هدية العدد : براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٨١ ○ محرم ١٤٠٠ هـ ○ نوفمبر ١٩٧٩ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

مسجد الرسول بالمدينة المنورة

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٨١ ○ محرم ١٤٠٠ هـ ○ نوفمبر ١٩٧٩ م

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



القافلة تسير

في شهر الله المحرم ، وفي مطلع هذا العام ، الذي يختتم به القرن الرابع عشر من تاريخ التحرك بالدعوة الاسلامية ، والانتقال بها من مكة ، بأسلوبها المحدد ، وميدانها الضيق ، إلى المدينة المنورة ، بالأساليب المنوعة ، وفي الميادين الرحبة ، حيث انطلقت قوافلها بالرسائل إلى الملوك ، وكبار القوم ، وبالوفود التي بعثت إلى أرجاء الجزيرة ، معلمة هادية ، والتي وفدت إلى مركز الدعوة معلنة الولاء لها ، والالتزام بها ، وبالجيوش الحاملة لنور الاسلام تنشره في آفاق الدنيا ، وهى آمنة في تحركها ، ليقبس منه الحيارى في ظلمات الجهل ، والناشرة للرحمة التي تهفو إليها نفوس المستعبدين الأذلاء ، تحقيقا لقوله سبحانه (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد) وقوله عز من قائل : (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) وقوله سبحانه : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

في هذا الشهر من هذا العام ، يصافحكم العدد الجديد من مجلتكم المحبوبة ، التي دأبت طوال خمسة عشر عاما على نشر المزيد من الوعي الاسلامي الصحيح ، والثقافة الرشيدة الرائدة . تسهم به إسهاما متواضعا مع الحشد العظيم الذي تعده الدول الاسلامية لاستقبال القرن الخامس عشر ، وهي في مهمتها الاعلامية والتثقيفية ، تناشد المسلمين جميعا أن تكون جهودهم في هذا المجال من منطلق العبرة بالماضي ، والافادة منه للحاضر ، والتخطيط به للمستقبل .

والدعوة الاسلامية قد عبرت أربعة عشر قرنا وهى بين مد وجزر ، والمسلمون معها بين قوة وضعف ، ولكل أسبابه وعلله ، وآثاره ونتائجه ، والخلاصة المركزة ، هى أنه كلما كان المسلمون مع الدين علما وعملا ، نشطت الدعوة ، ونعم أهلها بالأمن والاستقرار ،

والعزة والسلطان ، وكلما وهنت صلتهم به ، جهلا بمبادئه ، وتهاونا في تطبيقه ، أصاب الدعوة ضعف قعدت معه عن التحرك المنطلق ، وتكاثرت على المسلمين عوامل الفتنة والقلق ، وأصبحت صلتهم بالدين شكلا وعنوانا ، وواجهة واعلانا ، والنفوس من روحه خاوية ، والعقول من علمه خالية ، والسلوك من أخلاقه في منأى بعيد ، وصدق الله العظيم إذ يقول : (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة أعمى) .

ونحن إذا تحركنا في موكبنا الحاشد لاستقبال القرن الخامس عشر ، فلا نتحرك من فراغ ، فلنا قواعد ثابتة ، ولنا ماض مشرق ، وحين نتوجه ، لا نهيم بغير قصد ، ولا نتطلع إلى غير هدف ، فما كانت قواعد الدين لتستنفد أغراضها ، فالاسلام دين عام خالد ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وما كان ماضينا لينتهي ويقف ، بل هو مرحلة في سلسلة مراحل ، وخطوة تتبعها خطوات ، وما كانت وجهتنا الا نشر كلمة الحق والخير والسلام .

ليكن احتفالنا باستقبال القرن الجديد متحركا في خطين متوازيين : الخط الأول ، معرفة بهذا الدين ، معرفة أصيلة ، من منابعه الصافية ، وتعريف به في كل مجال على الصعيدين : المحلي والعالمي ، وإيمان صادق بايجابيته في تطوير العالم ، والسمو به إلى أعلى المثل ، معرفة يتلقاها كل من يوجه إليه خطاب الله بالتكليف ، ويقوم بها كل مسئول في أي قطاع يكون ، وتعريف يجند له كل قادر يحسن التبليغ ، يستوى في ذلك الحاكم والمحكوم ، وإيمان ينبع من الموازنة بين الماضي المشرق ، والحاضر الذي نحن بصدد إصلاحه .

والخط الثاني ، تطبيق للدين ، والتزام به ، عقيدة وسلوكا ، عبادة ومعاملة ، أخلاقا ونظاما ، فالالتزام بالمبادئ ، دليل الايمان ، وأقوى وسائل الاصلاح ، في محيط الفرد والجماعة .

وكل ما تتنفس عنه إجراءات الاحتفال بمقدم القرن الجديد ، فروع لابد أن تعود الى هذا الأصل الثابت ، ومظاهر يجب أن تنضوى تحت هذا اللواء .

والاسلام يحب للعمل أن يكون متقنا خالصا ، وللعاملين أن يكونوا على مستوى المسئولية والأمانة ، والشجرة الطيبة الثابت أصلها ، تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ، والله سبحانه وتعالى يقول : (وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) **رئيس التحرير**

أحمد البيومي

في ظلال التفسير النبوي للقرآن الكريم

للأستاذ : محمد العفيفي

ترتيب الرسول لآيات القرآن وسوره وتنظيم معرفتنا الانسانية :
١ ـ ترتيب السنة لآيات القرآن وسوره واستيعابه لكل أحوال المعرفة الانسانية .
٢ ـ البدايات والنهايات وأهميتها الكبرى في ترتيب آيات الله الكونية والقرآنية .
٣ ـ حدود المعرفة الانسانية في معرفة الترتيب الالهي في أجزاء الكون .

١ ـ ترتيب السنة لآيات القرآن وسوره واستيعابه لكل أحوال المعرفة الانسانية :

جعل الله السنة هي التي ترتب آيات القرآن وسوره ، حيث أمر الله رسوله بالقيام بهذه المهمة الكبرى .

وترتيب السنة لآيات القرآن ، له نتائجه العملية ، التي تربط عقولنا وقلوبنا ربطا وثيقا بالقرآن والسنة . فاذا تم هذا الفهم لمن كان أهلا له ، من الذين يتلون كتاب الله حق تلاوته ، ويجعلون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بابا مفتوحا دائما بينهم وبين كتاب ربهم ، كان ذلك هو السبيل الى التفسير الصحيح لكل حقائق الكون والحياة .

إن ترتيب السنة لآيات القرآن وسوره ، تؤدي إلى تنظيم التفكير الانساني ، مع كل صلة بين أحد من الناس ، وبين أي قليل أو كثير من القرآن .

ولننظر مثلا في هذه الجملة القرآنية وهي قوله تعالى : (**أفلا يتدبرون القرآن**) وقد جاءت ـ بسورة النساء في قوله تعالى : (**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**) (٨٢) النساء .

ثم جاءت ـ بسورة محمد في قوله تعالى :

(**أفلا يتدبرون القرآن أم على**

قلوب أقفالها) (٢٤) محمد .

إن هذا الترتيب في سور المصحف ، يجعلنا نتذكر مع اتصال القراءة أن هذه الجملة السابقة وكذلك كل قول قرآني آخر مهما قل أو كثر ، مما يجعل تفكيرنا منظما ومرتبا على نحو موافق تماما للواقع العملي في الكون والحياة .

فآية سورة النساء تبين لنا مصدر القرآن وهو الله تعالى ، والله متفرد بصفات الألوهية وليس كمثله شيء لذلك فان القرآن لا ينبغي أن تجد فيه أي اختلاف .

يأتي هذا في ترتيب السور — اولا — ثم يأتي — أخيرا — في سورة محمد باب أخير في قضية تدبرنا للقرآن ، يبين لنا أن الذين لا يتدبرون القرآن إنما هم منغلقون على أنفسهم ، فلا يتم لهم أي صلة بالحق واليقين .

وهكذا تبدأ القضية السابقة وتنتهي في ترتيب موافق تماما للواقع العملي ، حيث نزل القرآن وحيا من الله تعالى ، فكان ذكره أولى بالتقديم ، ثم وجب على الناس أن يتدبروا القرآن ، فكان ذكرهم أولى بالتأخير .

ولولا وجود الجملة السابقة بموضعيها كما تم ترتيبهما في هاتين السورتين ، ما ظهرت لنا أهمية هذا الترتيب كما تتجلى في الآيتين السابقتين من سورة النساء ثم سورة محمد .

وهكذا تفتح السنة أمام العقل البشري ، أبواب كل العلوم ، في ترابط وانسجام ، وأخلاق فاضلة ، ومشاهد جميلة ، في وحدة وتنوع ، لا مجال معها لأي تناقض بين العقيدة الصحيحة ، والقول الصادق ، والعمل الصالح .

ذلك أن الذي يجعلنا نشعر بالوحدة والتنوع ، والجمال والكمال في كل ما يحيط بنا من آيات الله القرآنية وآياته الكونية ، إنما هو هذا الترتيب الالهي ، لأجزاء كتابه القرآني ، وكتابه الكوني ، مع استقلال كل منهما بحقيقته ، لأن الخلق غير الكلام ، وإن كان مصدرهما الواحد هو الله تعالى وحده لا شريك له .

والقرآن في جملته وتفصيله ، مرتب هذا الترتيب ، الذي تظهر لنا آفاق عظمته ، مهما تتجدد حاجاتنا إلى النظر في الارتباط بين أي جزء من أجزائه ، وبين القرآن كله في جملته الواحدة ..

وهنا يتجلى لنا أن القرآن لا يحاط بكل ما فيه من الاعجاز .

فنحن لا نستطيع أن نحصي الروابط بين قليل القرآن وكثيره ، وإنما سبيلنا إلى ذلك ، أن نعمل بما علمنا منه ، وأن نؤمن بما لم نحط به من علومه ، فنرده إلى عالم كما أرشدتنا السنة المطهرة إلى ذلك .

وننظر فنجد البشر لا يستطيعون أن يحصروا حاجاتهم إلى ما تتعدد مواضعه من حروفهم في كلماتهم ، ثم من كلماتهم بين الكلام كله في أي كتاب من كتبهم ، أو في أي حوار من حوارهم ، الذي يديرونه فيما بينهم .

أما كلام الله فهو يحمل معه إعجازه العظيم ، في تقدير الله لمواضع كل حرف أو كلمة أو جملة ، بحيث

نقرأ القرآن قراءة متصلة فنتذكر الآيات المتشابهة ، ويلفت أنظارنا ما تحتوي عليه من المقاصد المتنوعة المتجلاة ، لنستخلص من كل منها ما خصه الله به من وجوه العلم ، ونكتشف الترتيب المعجزة في هذه المقاصد ، التي تتفق دائما ، مع ما يخضع لها من آيات الله الكونية .

وكذلك نجد النظام نفسه إذا ربطنا بين معرفتنا الانسانية وبين أجزاء الآيات القرآنية من حرف أو كلمة أو جملة ، حيث لا يتوقف البحث العلمي عند القراءة المتواصلة ، وإنما يتسع القرآن للبحث المباشر في كل جزء من أجزاء الآيات كلما تعددت مواضعه في القرآن كله ، لاستخلاص الأشباه والنظائر ، واستنباط الأحكام .

بل إن الأمر أعظم خطرا من ذلك ، حين تربط بين هذه الحقيقة المذهلة ، المليئة بدلائل الاعجاز ، وبين تفسير السنة للقرآن ، وارتباط مدلولات الأحاديث الشريفة كل منها فيما يخصه ، بمدلولات الآيات ومقاصدها .

ولعل هذا هو الأساس العظيم الذي جعل ابن جرير الطبري يخص كل عدد يسير من آيات القرآن في تفسيره ، بعدد كبير من الأحاديث الصحيحة التي تكفي وحدها ، لتفسير القرآن وتطبيقه تطبيقا عمليا على وجودنا ومعرفتنا بكل مكان وزمان ، بحيث يتنوع العمل في الآيات ، ثم يتجدد هذا التنوع في الأحاديث التي تفسرها ، والمقاصد واحدة ، في جملتها وتفصيلها ، لأن الله خص القرآن بما خصه به من المقاصد ، ثم جعل السنة تنطلق بهذه المقاصد ، وتربطهما بحركة الوجود البشري ، في كل مكان وزمان .

٢ ـ البدايات والنهايات وأهميتها الكبرى في ترتيب آيات الله الكونية والقرآنية :

الوحدة والتنوع في آيات القرآن وسوره ، تقوم على ترتيب الآيات والسور ، كما تقوم على بداية ونهاية معلومة ، لكل سورة بين السور ، وكل آية بين الآيات .

فهذه البدايات والنهايات هي المعالم القرآنية ، التي تبين لنا الاعجاز ، في شكل القرآن ومضمونه ، بل إن هذا الفراغ هو الذي نرى من خلاله البدايات والنهايات لكل كثير أو يسير من الحروف ، والكلمات ، والجمل ، والآيات والسور .

فهكذا جعل الله كلا من القرآن والسنة ، مستقلا بتكوينه اللغوي ، حتى يكون هناك مجال لرؤية الوحدة والتنوع ، في كل منهما ، ومجال لمعرفة المقاصد المتجددة ، بكل منهما .

وهذا أمر له دلائل مماثلة في آيات الله الكونية ، كما ننظر فنجد الماء ملحا في البحر ، وعذبا في الأنهار ، فاذا تجاور هذا ، وهذا ، لم يبغ أي منهما على الآخر ، وإنما يتحرك كل نوع في مجالات حركته ، فتكثر نعم الله على خلقه ، ويدل بعضها على بعض ، وتتجدد النعم وتتنوع ، وكلها من الله وحده لا شريك له .

ولولا التفرق بين النجوم والكواكب والأقمار ، ما عرفنا كل نوع من هذه الأنواع ، بذاته ، إن تأملناه بصفة خاصة ، وما كانت هناك وحدة مترابطة ، بين أنواع الخلق كلها ، نكتشفها إذا نظرنا نظرة عامة إلى الكون كله ، لنجد الأقمار تدور حول الكواكب ، والكواكب تدور حول النجوم ، وهي تجري ــ مع ذلك ــ إلى قدر معلوم ، وكل في فلك يسبحون .

ونحن كلما أنعمنا النظر في هذه الفروق الدقيقة ، بين الوحي الالهي من قرآن وسنة ، وبين كلامنا البشري العادي ، مهما يكن مصدره ، في الفكر أو الفلسفة أو مصطلحات علومنا البشرية ، أمكننا أن نعرف الفضل العظيم لكلام الله وسنة رسوله ، في استيعاب حركة الوجود البشري ، بكل دقائقها ، والاحاطة بكل حاجاتنا إلى التقدم الاخلاقي والمادي . الذي لا ينفرط به عقد الحياة ، ولا تختلف دروبها ، ولا تتداعى معه الأفكار ، والأقوال والأعمال ، على حقائقها ، وإنما تصبح الحياة الانسانية ، على كثرة أهدافها وتنوعها ، كالشجرة الكثيرة الألوان والثمار ، التي لا تكشف عن الحركة والتجدد ، وقد أخذ كل جزء من أجزائها موضعه الصحيح ، وكل لون من ألوانها تركيبه الدقيق ، وكل حركة من حركاتها ، زمانها ومكانها المتفق مع وحدة الكون وتنوعه ، ومسيرة الدنيا كلها وهي في طريقها إلى الآخرة .

٣ ــ حدود المعرفة الانسانية في معرفة الترتيب الالهي لأجزاء الكون :

ونحن كلما أنعمنا النظر في قضية الترتيب الذي أتمه الله لآيات القرآن وسوره ، علمنا أن أي علم بشري ، لا بد أن يكون خاضعا لكتاب الله وسنة رسوله ، ليستلهم هذا المنهج العظيم ، في بيان حدود المعرفة الانسانية ، وتفسير حاجاتنا الدائمة للوحي الالهي .

ولننظر إلى ترتيب المعاني بهذه الآية من آيات القرآن .

١ ــ أو لم يتفكروا في أنفسهم .
٢ ــ ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى
٣ ــ وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون الروم / ٨

إن ترتيب هذه الآية بموضعها من سورة الروم ، يؤدي دوره العظيم في بيان عظمة هذا الترتيب ، وما فيه من وجوه الاعجاز التي لا يحيط بها العقل البشري .

ويكفي أن نشير معا ــ هنا ــ إلى الوقف على أجزاء هذه الآية كما نجدها في قطاعاتها الثلاثة المبينة في الرسم الذي نجده في طبع هذه الآية على هذه الصفحة :

إن قوله تعالى **(أو لم يتفكروا في أنفسهم)**

يبدأ من داخل النفس الانسانية ، حيث يسبق التفكير دائما ــ كل قول وكل عمل .

لذلك علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، كيف نقف هنا ، وتكفل علماء

التجويد والقراءات ببيان نلك نقلا عن السنة الصحيحة .

والوقف هنا يؤكد هذا الترتيب في أجزاء هذه الآية ودلالاتها .

ثم يأتي قوله تعالى :

(ما خلق الله السموات والأرض وما بينهمـا الا بالحـق وأجـل مسمى)

ليخرج أفكارنا من داخل أنفسنا ، حتى تواجه الترتيب الكوني كله ، بكل ما فيه من ثبات الخصائص ، وحركتها الدائبة في كل التراكيب والتراتيب ، والارتباطات ، التي يقوم عليها كل ما في الحياة من أصالة وتجديد .

ثم يأتي قوله تعالى :

(وإن كثيرا من الناس بلقـاء ربهم لكافرون)

ليختم لنا هذا الترتيب في أجزاء الآية ، بما يتبين معه إخفاق الكفار في فهم حقيقة التركيب الكوني الذي يدل على حتمية انتهاء الدنيـا وإقبـال الآخرة .

وواضح أن ترتيب أجزاء هذه الآية يقدم لنا نمونجـ لاعجاز في ترتيب القرآن إذا قرأناه قراءة متواصلة ، بعد ما سبق من ظهور الاعجاز الذي رأيناه من قبل ونحن ننظر في أي جزء من أجزاء القرآن ، من حيث مواضعه وارتباطاته ، وما يؤدي إليه هذا النظر من ترابـط المعلومـات في المعرفـة الانسانية في سياق واحد لا سبيل الى نقضه بأي حال من الأحوال .

ولكن الذي يهمنا هنا في المقام الأول أن الله جعل لمعرفتنا الانسانية حدودا من حيث قدرتنا على تحصيل العلم من الوحي الالهي ، أو من خلق الله لمخلوقاته التي فطرها وجمعها في ترتيب كونـي جامـع لأجزائهـا ، ومواضعها وارتباطاتها ، وحركتهـا المتواصلة من الدنيا إلى الآخرة .

وحدود معرفتنـا الانسانيـة مع القرآن ، لها طريقان اثنان لتلقـي المعاني وبيان ترتيبها الذي يسره الله لعقولنا .

فأما الطريق الأول فهو يقوم على التلاوة المتواصلة التي هي أقرب ما تكون بالنظرة العامة الشاملـة إلى آيات القرآن كمـا هي مرتبـة في سورها .

وأما الطريق الثاني فهو يقوم على النظر إلى أي قدر من أجزاء القرآن ، من حيث ارتباطاته المتجددة بمواضعه في الآيات والسور .

فاذا نظرنا إلى مثل نلك في آيات الله الكونيـة ، وجدنـا حدود معرفتنـا الانسانيـة ، متفقـة تمامـا ، مع الطريقتين السابقتين ، لا تتعداهما أبدا بأي حال من الأحوال .

١ ــ فهناك النظر العام الذي يشمل آيات الله الكونية ، وهنـا تختـزن الذاكرة الانسانية المعلومات مرتبـة كما رتبها الله في الواقع العملي للكون والحياة .

فالشمس لا بد أن تشرق ، حتى تظهر معالم الحياة ، وحتى يذهب النوم وتأتي اليقظة ، وحتى تتحرك الحيـاة الانسانيـة في نشاطهـا اليومي .

والفلاح لا بد أن يضع البذور في

موضعها من باطن الأرض ، حتى تتبع نلك مراحل الانبات والاثمار .
٢ ـ وهناك النظر في مواضع جزء بذاته من أجزاء المادة ، كما يبحث الباحثون عن مناجم الذهب ، فاذا الذهب نفسه هو الذي يفتح لهم ابواب وجوده ، كلما طالعهم بخصائصه التي يدل عليها ، تكوينه الشكلي ، ابتداء ، ثم يتبع نلك ما نعرفه من ثبات خصائصه الواحدة ، بكل مكان وزمان .

والمجتمع الانساني والكوني كله ، يقوم على هذه الحركة المرتبة المعالم ، حيث يحمل كل فرد من خصائص مجتمعه ، ما يربطه به ويدل على ترتيبه بين أفراده جميعا ، وإن كانت حدود معرفتنا الانسانية ، مؤكدة لنا دائما ، أن العلم الحقيقي ، لله تعالى وحده لا شريك له .

فلا أحد من البشر ، يستطيع أن يحيط بالمعلومات الدقيقة ، في أي أمر لشدة خفائها ودخولها في أعماق الغيب .

ولا أحد من البشر ، يستطيع أن يستقطب كل معالم الوجود الكوني ، لسعته وكثرته .

والله وحده هو الذي لا يكثر عليه كثير لكثرته ولا يخفى عليه دقيق لدقته .

والانسان في نلك كله بين اثنتين :
أولاهما ـ أن ينظر نظرا عاما فتنحسر رؤيته عن كل معالم الرؤية لكثرتها واتساعها .
وثانيتهما ـ أن ينظر نظرا خاصا لمواضع أي جزيء من أجزاء الخلق ، ليرصد الأصالة والتجديد في ارتباطاته بكل مواضعه التي يتيسر الوصول اليها .

ولا شك أننا في الحالين لا نستطيع الاحاطة بترتيب ما هو عام بسبب كثرته على مداركنا .

كما أننا لا نستطيع أن نرد كل جزيء إلى ترتيبه بين أفراد مجتمعه كلهم ، لخفاء هذه الصلة الدقيقة بين كل جزيء وبين ما يربطه بترتيبه بين أفراد مجتمعه .

وقد نتساءل عن صلة نلك بترتيب السنة لآيات القرآن وسوره ، وعظمة هذا الترتيب ، في تفسير كل شيء ، من أشياء الكون والحياة .

والجواب على هذا التساؤل نجده بقوله تعالى :

(تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور . الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير) (١ـ٤) الملك .

لقد علم الله رسوله هذا كله ، كما علمه كيف يرتب آيات القرآن وسوره . وكفى بذلك دليلا على حدود المعرفة الانسانية ، وحاجاتنا المتجددة إلى القرآن والسنة لتنظيم الفكر البشري ، تنظيما لا ينبغي أن نجد له في كل محاولات البشر مصدرا مماثلا للوحي الالهي .



لا تحزن إن الله معنا

جاء في الصحيحين أن أبا بكر رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهما في الغار : « لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا ، فقال : « يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين ، الله ثالثهما ؟ » .

وجاء فيهما أيضا ، أنه قال عندما أدركهما الطلب : « يا رسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا ! » فقال له : « لا تحزن إن الله معنا » .

للشيخ احمد عبدالواحد البسيوني

مع هلال المحرم الذي يشرق في سماء العالمين ، يحمل ذكرى الانطلاقة الكبرى للرسالة الخالدة ، نقف على عتبة العام الجديد ، نتلفت الى ماض زاخر بالأمجاد ، حافل بالعزة والقوة ، ونتطلع إلى مستقبل مشرق بالآمال الكبار .

لما بعث محمد خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه ، دعا الناس إلى توحيد الله ، ونبذ عبادة الأصنام وأرسى قواعد المساواة والعدل والاحسان ، فهزت الدعوة العادلة عروش الطغاة والمستبدين ، وبهر نورها الذين ألفوا أن يعيشوا في الظلام ، فتآمروا على الحق ، وجندوا أنفسهم لحرب رسول الله ومن معه ، لقي منهم العنت والاضطهاد والايذاء والمقاطعة . وأخيرا مكروا به ليتخلصوا منه **(وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)** الانفال / ٣٠ .

كان التآمر عليه بعد ثلاثة عشر عاما قضاها بينهم ، يدعوهم إلى البر والرشاد ، فلم يبق الا الفرار بالدين من هذه الفتنة العارمة ، فكانت الهجرة من مكة إلى المدينة .

وأصحاب الدعوات وحملة الرسالات ، لا يعيشون لأنفسهم ، وإنما يعيشون من أجل المبادئ التي آمنوا بها ، فلا يعنيهم إلا نجاح دعوتهم ، فاذا وجدوا أرضا سبخة ، لا تنبت فيها الدعوة ، تحولوا عنها إلى أرض صالحة طيبة ، ... واذا ضاقت القوة الغاشمة بكلمة الحق التي يدعون إليها ، التمسو لها قوما أرق أفئدة ، وأسلس قيادا ، وأهلا لتحمل تبعات الرسالة .

وقد هاجر كثير من الأنبياء والمرسلين من ديارهم وأهليهم فرارا بدينهم وعقيدتهم وقد تكون هجرة أحدهم قبل النبوة أو بعدها ، فقد هاجر ابراهيم عليه السلام من بلدته « فدان آرام » بالعراق بين نهري دجلة والفرات إلى « أور » ثم الى « حران » ثم إلى « فلسطين » وتنقل في بلادها ، وهاجر إلى مصر حيث أهديت إليه هاجر أم إسماعيل ، وقد ابتدأ الهجرة عندما تنكر له أبوه **(قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا . وأعتز لكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا)** . مريم ٤٦ ــ ٤٨ .

وهاجر إسحق ويعقوب عليهما السلام ، وهاجر موسى بعد أن وكز القبطى ، وهاجر مرة أخرى مع هارون ومعهما بنو إسرائيل حين تبعه فرعون وجنوده ، وهاجر لوط مع عمه إبراهيم **(فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم)** العنكبوت /٢٦ وهاجرت مريم ومعها ولدها المسيح عليه السلام إلى مصر لما خافت عليه أذى قومها .

وهاجر خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم وذلك حين استقر رأي المشركين بمكة على أن ينتخبوا له فتيانا أشداء ، من قبائل مختلفة ، يترصدونه أمام بيته ، حتى إذا غفت العيون ، وهدأ الليل ، انقضوا عليه فضربوه ضربة رجل واحد ، وبذلك يتفرق دمه في القبائل فلا يقوى أهله على أن ينهضوا للأخذ بثأره ، ويكتفون من ذلك بدية أوديات .

ولكن الله تعالى أفسد عليهم تدبيرهم ، فأوحى إليه يأمره بالهجرة ، فذهب إلى أبي بكر ظهيرة ذلك اليوم يوم الجمعة من ربيع الأول ، وأفضى إليه بما عنده من الأمر ، فاتفقا على طريقة الخروج وساعته ومكانه ، وأن يكون التنفيذ من ليلتهما ، وهي الليلة التي عينتها قريش للايقاع بالرسول في فراشه .

ووقع اختيارهما على « عبدالله بن أريقط » من أمهر الأدلاء الخبراء بدروب الصحراء ومسالكها ، وقد عرفا فيه الرجولة والأمانة على السر فاستأجراه على ذلك على الرغم من أنه كان على دين قريش إلا أنه كان أميناً يحفظ السر مع أنه مشرك وواعداه أن يوافيهما براحلتيهما بعد ثلاث ليال في غار ثور .

وقد أراد الرسول صلى الله عليه وسلم ان تكون هجرته خالصة لله ، فأبى أن يقبل الراحلة التي أعدها له أبو بكر إلا بالثمن ، مع أنه قد قبل منه أكثر من هذا ، ومع أنه قال في شأنه : « ليس من أحد أمن على في أهل ومال من أبي بكر » وذلك لتكون هجرته إلى الله بنفسه وماله» .

وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم من ليلته على النفر الأشقياء ، الذين أحاطوا بداره ، ومر بهذه العصابة في حراسة الله ، لا جيش ولا عدة ، ولا حرس ولا عيون ، ولم يصنع أكثر من أنه تناول قبضة من تراب حثاها في وجوههم وهو يقول : « شاهت الوجوه » ، وكان منهم أبو جهل وأبو لهب وعقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف ولكن التراب حين عفر هذه الجباه الظالمة ، غشى الله على أبصارهم كما طمس على بصائرهم ، فخرج عليهم الرسول الكريم ولم يره أحد منهم ، وأخيرا أدركوا فشل خطتهم حين عرفوا أن الرسول قد أفلت من أيديهم فخرجوا يتقفون الآثار في شعاب الطرق ، وتعاريج الصحراء ، فكانت تنتهي بهم دائما الى غار ثور وظلت قريش تضاعف نشاطها في تعقب محمد صلى الله عليه وسلم ، هنا وهناك حتى وقفوا مدة غير يسيرة على باب الغار يتراودون في اقتحامه بحثا عن ضالتهم المنشودة وأخذ يناقش بعضهم بعضا بكلام مسموع لمن في الغار ، وأبو بكر يشتد به الخوف لا على نفسه ، ولكن على حياة من في حياته حياة الانسانية كلها ، فكان يقول للرسول في همس وحذر : لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا !

والرسول الكريم يهدئ من روع أبي بكر ، ويصب في قلب الصديق من إيمانه الراسخ ويقذف في خاطره من ثقته بالله ، ويمد نفسه المضطربة بجرعات من السكينة الغامرة التي تملأ النفس الكبيرة ، نفس المهاجر العظيم ـ صلوات الله وسلامه عليه .

فيقول : « يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين ، الله ثالثهما »؟؟ « لا تحزن إن الله معنا » !!

يا لها من معية غالية ، لا يقهرها سلطان ، ولا تجدي معها سطوة ، ولا تنفذ منها حيلة .

إذا كانت ... فكل تدبير معها خاسر ، وكل تفكير أمامها حائر ، وإذا تجلت ، تخلت الأمور عن حقائقها ، فاذا القوة ضعف ، وإذا الضعف قوة ، وإذا الكيد وهن ،، وإذا التسليم ركن ، وإذا الجمع هباء ، وإذا الرابضان في بطن الغار جيش ، يملأ الفضاء .. بهذه المعية ، شمخ الغار فأصبح حصنا منيعا (**فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم**) التوبة / ٤٠ .

وقايــة الله أغنــت عن مضاعفة   من الدروع وعن عال من الأطم

وهكذا صرف الله عن رسوله هذه العصابة من المشركين ، وبعد أن طال بهم الجدل حول اقتحام الغار ، لانقطاع الآثار عند بابه ، هتف أحدهم : يا قوم لا تضيعوا وقتا ، فليس بالغار أحد ! فانصرف القوم عن الغار ، يهيمون في كل واد ، ويرسلون عيونهم في جميع المسالك ، ويبعثون النداء في مكة وما حولها : من يأتي بمحمد حيا أو ميتا فله مائة ناقة .

يقول ابن هشام في سيرته : (فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج ، أتي أبا بكر بن أبي قحافة فخرجا من خوخة ـ وهي باب صغير كالنافذة الكبيرة ، تكون بين بيتين ينصب عليها باب ـ لأبي بكر في ظهر بيته ، ثم عمدا الى غار ثور ـ وهو جبل بأسفل مكة ـ فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبدالله بن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر . وأمر عامر بن فهيرة مولاه ، أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما ، يأتيهما اذا أمسى في الغار . وكانت أسماءبنت أبي بكر تأتيهما من الطعام اذا أمست بما يصلحهما .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثا ومعه أبو بكر ، وجعلت قريش فيه ، حين فقدوه ، مائة ناقة ، لمن يرده عليهم . وكان عبدالله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم ، يسمع ما يأتمرون به ، وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، ثم يأتيهما اذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه ، يرعى في رعيان أهل مكة ، فاذا أمسى

أراح عليهما غنم أبي بكر ، فاحتلبا وذبحا . فاذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما الى مكة ، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفى عليه . حتى اذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببعيريهما وبعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتهما ، ووعاء يوضع فيه الطعام للمسافر ونسيت ان تجعل لها عصاما ــ أي رباط تربطها به ــ فلما ارتحلا ، ذهبت لتعلق السفرة فاذا ليس لها عصام ، فتحل نطاقها فتجعله عصاما ، ثم علقتها به .

فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر : « ذات النطاق ، لذلك » .

فلما قرب أبو بكر ، رضي الله عنه ، الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم له أفضلهما ثم قال : اركب ، فداك أبي وأمي ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اني لا أركب بعيرا ليس لي . قال : فهي لك يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ! قال : لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا ، قال : قد أخذتها به . قال : هما لك يا رسول الله .

فركبا وانطلقا ، وأردف أبو بكر الصديق رضي الله عنه عامر بن فهيرة مولاه خلفه ، ليخدمهما في الطريق .

قالت أسماء بنت أبي بكر : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه ، أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت اليهم ، فقالوا أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ قلت : لا أدري والله أين أبي . قالت : فرفع أبو جهل يده ــ وكان فاحشا خبيثا ــ فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي !

قال سراقة بن مالك بن جعشم : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا الى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم . فبينا أنا جالس في نادي قومي اذ أقبل رجل منا حتى وقف علينا ، فقال : والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا على آنفا ، اني لأراهم محمدا وأصحابه . فأومأت إليه بعيني : أن اسكت . ثم قلت : انما هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم ! قال : لعله . ثم سكت ثم مكثت قليلا ، ثم قمت فدخلت بيتي ، ثم أمرت بفرسي فقيد لي الى بطن الوادي ، وأمرت بسلاحي فأخرج لي من دبر حجرتي ، ثم أخذت قداحى التي أستقسم بها ، ثم انطلقت فلبست لأمتي ــ أي سلاحي ودرعي ــ ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي أكره « لا يضره » ــ أي المكتوب فيه هذه الكلمة ــ . وكنت أرجو أن أرده على قريش فآخذ المائة الناقة . فركبت على أثره ، فبينا فرسي يشتد بي عثر بي ، فسقطت عنه ، فقلت : ما هذا ! ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي أكره « لا يضره » . فأبيت الا أن أتبعه ، فركبت في أثره ، فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فسقطت عنه فقلت : ما هذا ! ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي أكره « لا يضره » فأبيت الا أن أتبعه ، فركبت في أثره ، فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي . فذهبت

يداه في الأرض وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبعهما دخان كالاعصار ، فعرفت حين رأيت نلك أنه قد منع مني وأنه ظاهر ــ أي غالب منتصر ــ فناديت القوم فقلت : أنا سراقة بن جعشم ، انظروني أكلمكم ، فوالله لا أريبكم ، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : قل له : وما تبتغي منا ؟ فقال نلك أبو بكر . قلت : تكتب لي كتابا يكون آية بيني وبينك . قال : اكتب يا أبا بكر .

فكتب لي كتابا في عظم ، أو في رقعة ، أو في خزفة ، ثم ألقاه الي ، فأخذته فجعلته في كنانتي ثم رجعت ، فسكت فلم اذكر شيئا مما كان ، حتى اذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرغ من حنين والطائف ، خرجت ومعي الكتاب لألقاه فلقيته بالجعرانة ــ موضع بين الطائف ومكة ــ فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار ، فجعلوا يقرعونني بالرماح ، ويقولون : اليك اليك ، ماذا تريد ؟ فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته ، والله لكأني أنظر الى ساقه في غرزه كأنها جمارة ــ الغرز للرجل بمنزلة الركاب للسرج ، والجمارة بضم الجيم وتشديد الميم المضمومة ، لب النخل تكون في جوف الجزء الاعلى منه وهي بيضاء رخصة وتؤكل ــ فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت : يا رسول الله : هذا كتابك لي ، أنا سراقة بن مالك بن جعشم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم وفاء وبر ، ادنه . فدنوت منه فأسلمت . ثم تذكرت شيئا اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أنكره ، الا أني قلت : يا رسول الله ، الضالة من الابل تغشى حياضي وقد ملأتها لابلي ، هل لي من اجر في أن أسقيها ؟ قال : « نعم ، في كل ذات كبد حري أجر » . ثم رجعت الى قومي فسقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتي »

وبعد .. فمن حق الهجرة علينا ، أن نستخلص منها مواقف تنفعنا على طريق الجهاد والزحف المقدس في سبيل السلام والاسلام ، فمن مبادئ الهجرة ، الثبات على الحق ، وأن المصلحين في سبيل دعوتهم يتعرضون لأخطار فادحة ، ومؤامرات دنيئة ، ولكنهم لا يبالون بما ينالون ، بل يسيرون الى غايتهم في قوة لا تضعف ، وصبر لا ينفد ، واثقين من أن الحق لا بد وأن يعلو **(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق)** الأنبياء /١٨ .

ومن أبرز مبادئ الهجرة ، إحكام الخطة ، وإحاطتها بالحذر ، والكتمان ، والاخلاص ، وصدق القصد ، وخلوص النية لوجه الله والحق ، فلقد هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورضى الله هدفه وغايته ، والا لعاش بين أهله في مكة ، أحب البلاد إلى الله وإليه ، أولقبل عروض قريش حين عرضوا عليه الملك ، والمال ، والسيادة ، ولكنها المبادئ تبذل في سبيلها المهج والأرواح ، ولكنها المثل العليا تصان بكل مرتخص وغال ، وعلى هدى من هذه المبادئ المحمدية ، سار الصحابة والمصلحون من بعدهم فأقاموا الحق ، ونشروا العدل ، وعلموا الناس الحرية والمساواة ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

أحداث الهجرة النبوية

من المعلوم الذي لا يجهل ، والذكريات التي لا تنسى . ذكرى الهجرة النبوية الكريمة من مكة إلى المدينة . نعم هي أعز ذكرى يعتز بها المسلمون ، وهي بين أحداث البشرية أبرز حدث به يشيد المؤرخون ، وهي على صفحات الوجود أجمل صورة ، وأعظم أثرا ، به ظهر الحق ، وزهق الباطل ، وانخذل المبطلون ، ـ حقا فانا نكتب كل عام عن الهجرة ، ونخطب في كل ندوة عن فرائد الهجرة ، والكلام عن الهجرة لا يمل ، ونتحدث في كل مناسبة عن الهجرة والقول فيها لا يسأم ، بل كلما تكرر فيها القول حلا ، وكلما كثر عنها الكلام علا وغلا ، يؤيد هذا أحداث هذه الهجرة العجيبة ، ويؤكده مقوماتها الضخمة وعناصرها الفريدة ، فانها توحى بكل عظيمة ، وبها تتجلى كل قوة روحية جليلة . وإليك بعضا منها :

لما ضاقت قريش ذرعا بدعوة محمد عليه الصلاة والسلام ، اذ لم تفد في إحباطها مقاومة ، ولم يقلل من نيوعها تهديد للرسول ولا إيذاء ولا تعذيب لأصحابه ، ومع هذا علمت قريش أن رسول الله عقد مع الأوس والخزرج بيعة العقبة الثانية وكانت قرة عين المسلمين ، وضربة قاصمة للقرشيين ، وهي التي يقول فيها العباس بن عبادة : « يا معشر الخزرج ـ هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ـ قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فان كنتم ترون أنه إذا انهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلا ، أسلمتموه ، فمن الآن فدعوه ـ فهو والله ـ إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكه الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فانا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ـ فما لنا يا رسول الله إن نحن وفينا : قال : « الجنة » . قالوا : ابسط يدك ـ فبسط يده فبايعوه ـ قلنا فيما سبق إن هذه البيعة كانت ضربة قاصمة للقرشيين ذلك لأنهم لما علموا بأن الأوس والخزرج من أهل المدينة قد تابعوا محمدا وبايعوه على أن ينصروه ويمنعوه ممن خالفه ويحاربوا معه الأحمر والأسود من الناس ، صدموا بهذا النبأ صدمة عنيفة

بين الإعجاز والتدبير

للشيخ / عبد الحميد بلبع

وزلزلوا زلزالا شديدا ، وانقلبوا يلاحقون الأنصار ـ الأوس ـ والخزرج في كل طريق يريدون أن ينتزعوا من أعناقهم هذه البيعة ، ولكن هيهات هيهات ـ لقد وقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين » ـ لذلك عقدوا مجتمعهم لأخذ الرأي الحازم في شأن محمد وبعد تقليب وجوه النظر فيما ينبغي أن يكون لمحمد ليستريحوا منه ، تم الأمر على قتل محمد وفي مجلسهم وضعوا الخطة لهذا القتل ـ بأن يأخذوا من كل قبيلة شابا جلدا ويعطوا كل واحد سيفا يتربصون به عند بيت محمد وعند خروجه يضربونه بسيوفهم ضربة رجل واحد ليتفرق دمه في القبائل فلا يطلبونه ويكتفون بالدية . وعلى هذا بيتوا النية . ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . إذ أوحى إلى رسوله بما دبروا له من كيد ، وأذن له بالهجرة إلى المدينة ، فجعل الرسول يدبر لنفسه خطة الخروج لهذه الرحلة ، وعلى إثر الاذن بالهجرة إلى المدينة ، توجه الرسول إلى أبى بكر في بيته في وقت الظهيرة ، ولم يكن معتادا ذلك ، لذا دهش أبو بكر وأهله . وقال متعجبا : ما جاء رسول الله في هذه الساعة إلا لأمر حدث . قال الرسول : إن الله أذن لي في الخروج والهجرة ، فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله . قال : الصحبة · ثم قال أبو بكر : يا نبي الله ، إن هاتين راحلتين كنت أعددتهما لهذا اليوم ، ثم شرعا يرسمان الخطة المحكمة لهذه الرحلة الشاقة المخيفة ، وكانت على مراحل ـ المرحلة الأولى ـ أن يخرجا للسفر من بيت أبى بكر ، وأن يكون خروجهما من خوخة ـ باب صغير في ظهر البيت ـ ليلا وقت السحر حتى لا يكون بصيص من نور القمر ولا من نور الفجر ـ المرحلة الثانية ـ يقصدان غار ثور بجبل ثور يختفيان فيه مدة حتى يظهر ما يكون حال القوم في شأنهما ـ المرحلة الثالثة ـ لما تهدأ العواصف ، ويكف الطلب والبحث عنهما ، يأخذان طريقهما الى المدينة من طريق غير مألوف ـ المرحلة الرابعة ـ اختيار دليل حاذق عارف بالطرق المؤدية إلى المدينة يسلك بهما آمن الطرق وأبعدها عن عيون الرقباء ـ فوقع اختيارهما على عبد

الله بن أريقط فاستحضراه واستأجراه وواعداه أن يوفيهما بعد ثلاث ليال عند غار ثور ومعه الراحلتان اللتان أعدهما أبو بكر لهذه الرحلة . أما الرسول صلوات الله عليه وسلامه فكان عنده أمانات لكثير من أهل مكة ، ورأى أنه لا بد من ردها لأربابها قبل سفره براءة لذمته منها ، فاختار لذلك ابن عمه علي بن أبى طالب ليسلمها لأربابها نيابة عنه ، ولينام مكانه ويتغطى ببردته ليلة سفره تعمية وتضليلا للمتربصين له ، هذا ما دبره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه للقيام بهذه الرحلة الميمونة .

أما ما دبره الله عز وجل لرحلة رسوله صلوات الله عليه وسلامه ففي مواقف منها ، الموقف الأول مع الشباب الذين أعدهم القرشيون لتنفيذ خطة قتل محمد بن عبد الله حيث جاءوا في الليلة المحددة لذلك وتراصوا أمام بيت الرسول متربصين به عند خروجه ليضربوه بسيوفهم ضربة رجل واحد تنفيذا للخطة المرسومة لذلك ، ولكن أثبت التاريخ أنه صلوات الله عليه خرج من بيته غير هياب ولا وجل واخترق صفوف هؤلاء الشباب تاليا قوله تعالى : **(وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون)** يس/ ٩ وخرج من بينهم ناثرا التراب على رؤوسهم ولم يره منهم أحد ، وكفى بالله وكيلا . خرج الرسول الكريم قاصدا تنفيذ الخطة التي رسمها مع أبى بكر فذهب إليه في بيته وخرجا معا إلى غار ثور ودخلاه ولبثا به ، أما الشباب فقد تنبهوا من غشيتهم فلم يجدوا محمدا في موضعه ، ووجدوا عليا مكانه فسقط في أيديهم وأخذوا ينهبون الطريق سعيا في طلبه ، حتى انقطع بهم الأثر عند غار ثور ، فصعدوا إليه آملين في الحصول على فريستهم فيه ولكن خاب أملهم وضل سعيهم إذ وجدوا على باب الغار ما صرفهم . الموقف الثاني : وجدوا على باب الغار عنكبوتا نسج وحمامتين باضتا ، وشجرة تشعبت على باب الغار أغصانها ، هنا قال قائل الشباب : ما رأيكم في الغار إن فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد . فعادوا أدراجهم يحدوهم الخزى والعار ، أما رسول الله وصاحبه فقد كان أبو بكر متخوفا على رسول الله حذرا عليه كل الحذر ، لذا قال للرسول في الغار : إن القوم قد دنوا منا ولو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا فقال له الرسول : **(لا تحزن ان الله معنا)** التوبة/ ٤٠ ما ظنك باثنين الله ثالثهما . ولبثا في الغار ثلاثة أيام تضليلا للمطاردين فلما أيقن أن قد هدأت العاصفة أخذ في تنفيذ باقي الخطة فجاء الدليل في ميعاده ومعه الراحلتان وراحلة له .

فلما قرب أبو بكر الراحلتين لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدم له أفضلهما ثم قال : اركب فداك أبي وأمي . فقال رسول الله : إني أركب بعيرا ليس لي . قال فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي . قال : لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به قال كذا

وكذا . قال : قد آخذتها به . قال : هي لك يا رسول الله . فركبا وانطلقا . الموقف الثالث : كان في طريقهما إلى المدينة . وكان مع شاب من شباب مكة فتى وغنى ويعتز بنفسه وإسمه سراقة بن مالك بن جعشم . رجل من بني مدلج . وكان من أعداء الدعوة المحمدية ، ولما سمع أن قريشا جعلت دية لكل من يجئ بمحمد حيا أو ميتا ، وكانت دية مغرية ، بادر للبحث عن محمد رغبة في الدية المغرية ، وشفاء لنفسه من محمد صاحب الدعوة وهو عدوها فركب فرسا له وسلك الصحراء باحثا عن محمد وقد هدى إلى طريق سلكه هو وصاحبه فرآهما عن بعد فأجهد فرسه طمعا في اللحاق بهما حتى كان بينه وبينهما مرمى النبل ، وإذا فرسه تغوص قدماها في رمل الصحراء ولا تستطيع أن تنشط من عقالها وعجزت حيلته عن النهوض بها ، هنا قال سراقة : حقا إن لمحمد هذا شأنا وستظهر دعوته وتنتشر في العالم كله ، وعدل عما يريد بهما من سوء وشر ، وأشار لهما بالأمان ، فنهضت فرسه ولحق بهما وأخبر الرسول بما جاء من أجله ، وبما بيت القرشيون النية على الخلاص منه بوسيلة أو بأخرى ، وطمأن رسول الله بأنه لا يريد بهما سوءا الآن فقبل منه ذلك . وطلب إليه أن يخذل عنهما ولا يدل عليهما ، فتعهد له سراقة بذلك وأسلم على يدي رسول الله ، فدعا له رسول الله بخير . وبشره بأنه سيلبس سوار كسرى وعاد سراقة الى مكة صديقا وحبيبا لمحمد لا عدوا ألد لمحمد .

هذه بعض مقومات الهجرة ومنها العجب حقيقة . إذ كيف نعلل اختراق الرسول صفوف المتربصين له ولم يره منهم أحد ، وكيف نعلل وجود عنكبوت نسج ، وحمامتين باضتا ، وشجرة ممتدة الأغصان على باب الغار ولم يكن شئ منها موجودا عند دخول الرسول الغار من وقت قريب ، إذ لو كان موجودا لتمزق بعضه واختل نظامه ولكنه تدبير الله لرحلة رسوله فهو حقيقة عجيب وغريب . ومع هذا نسمع في صفوف المثقفين المجددين ونقرأ لبعض الكتاب المتحررين أنهم يرجعون بنجاح الهجرة النبوية الى حسن التدبير وإحكام الخطة ولا يرون في الهجرة معجزة السماء . لذا قال أحد كتابهم عن العنكبوت والحمامتين والشجرة . قال : « هذه الأمور الثلاثة هي وحدها المعجزة التي يقص التاريخ – وهي أعاجيب لها كل يوم في أرض الله نظائر » هذا قوله ، يا الله بلغ بهم جحود الواقع إلى إنكار الشمس ساطعة في رابعة النهار ، وماذا يقولون في قول الله عن الهجرة : **(إلا تنصروه فقد نصره الله)** الآية . الى قوله : **(فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها)** التوبة/ ٤٠ لا يستطيعون قولا ولكنه منهم ضعف الايمان إن كان هناك وقصور في العقل عن إدراك ما لله من معجزات ، وإنا نبرأ إليك يا رب من هذا وذاك ، ونرجوك التوفيق لفهم دينك . فانك سبحانك ولي التوفيق .



للشيخ : سيد سابق

١ ـ الاسلام دين ودولة :

الاسلام دين ودولة وعبادة وقيادة ومصحف وسيف فكما أن الاسلام واجب نحـو الله وزكاة نفس وأدب فاضل مع المجتمع فهو كذلك قانون ونظام ولا قيام له إلا في ظل دولة تحميه وحكومة ترعاه وتسهر عليه .

ومفهوم الدولة في الاسلام يتفق مع مفهوم الدولة الحديث والذي أطلـق عليه فقهاؤها « دار الاسلام » .

والدولة أو دار السلام هي المنطقة التي يقطنها المسلمون وتطبق فيها أحكام الاسلام بواسطـة حكومـة منتخبة ترضى عنها الأمة . وتظفـر بثقتها .

٢ ـ طبيعة الدولة وأهدافها :

والدولة الاسلامية دولة تقوم على أساس من المبادئ التي جاء بها الاسلام لتحقق التعاليم المثالية التي تجلب المصالح العامـة والخاصـة وتؤمن كل فرد على نفسـه ومالـه وعرضه وحريتـه وكرامتـه وتوطـد السلام بين الناس جميعا فهي دولة لها أسس تقـوم عليهـا وغايـات تستهدفها وتعمل من أجلها وجملة هذه الأهداف هي :

ا ـ تنفيذ أحكام الاسلام في داخل الوسط الاسلامي .

ب ـ تبليغ الدعوة في الخارج لغير المسلمين .

حـ ـ حمايـة الدولـة ورد عدوان المعتدين عليها حتى تبقى للمسلمين السيادة عليها ينفذون فيها حكم الله ويقيمون شريعته وهم سادة أحرار مستقلون .

٣ ـ سلطان الدولة :

والسلطات التـي ترعـى شؤون الدولة وتدير أمورها ثلاث :

ا ـ السلطة التنفيذيـة : ويختـار أعضاءها رئيس الدولة مع استشارة اهل الصلاح والرأي .

ووظيفتهـا الأساسيـة : ادارة شؤون البلاد وتدبير إدارة الحـكم ورعاية المصالح العامة والخاصة في حدود التشريع الاسلامي .

ب ـ السلطة القضائيـة : ويتـولى شؤون هذه السلطة الفقهاء من الأمة والعلماء ممن لهم قدم راسخ في دين الله وبصر نافذ في معرفة احوال الناس وقدرة على فض المنازعات والفصل في الخصومات والحـكم بـين النـاس بالعدل .

حـ ـ المجلس الشورى : وهو الذي يتولى الاشراف على السلطة التنفيذية ويراقب تصرفاتها ويعينها بالمشورة ويقدم لها النصيحة وينقد ما يدعو إلى النقد ويحاسب من يستحق الحساب

ويقوم المعوج بالطرق المشروعة .
ولا يختار لعضوية هذا المجلس الا القمم الشامخة ممن توفرت فيهم خشية الله والتزموا القانون والأخلاق وكان لهم سداد الرأي والحرص على مصالح الأمة . والأمة الواعية هي التي تختار هؤلاء ، لأنهم هم الذين يمثلون ارادتها ويتفانون في خدمتها وينهضون برسالتها .

٤ ـ رئيس الدولة :
والدولة لها رئيس مسؤول تختاره الأمة متى توفرت له عناصر الصلاحية من الالمام بشؤون الأمة والقدرة على الاضطلاع بتبعات الحكم .
والآيات والأحاديث الآتية تشير الى عناصر الصلاحية ومن الآيات :
١ ـ **(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك)** آل عمران / ١٥٩
٢ ـ **(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)** الحجرات / ١٣ .
٣ ـ **(إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم)** البقرة / ٢٤٧ .
٤ ـ **(إن خير من استأجرت القوي الأمين)** القصص / ٢٦ .
٥ ـ **(ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا)** الكهف / ٢٨ .
ومن الأحاديث :
١ ـ « أحب الناس إلى الله إمام عادل وأبغض الناس إلى الله إمام جائر » الطبراني والترمذي .
٢ ـ « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشر أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » مسلم .
٣ ـ « من قلد رجلا عملا على جماعة وفي تلك الجماعة من هو خير منه .. فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين » . الحاكم .
٤ ـ « إذا ضيعت الأمانة فانتظروا الساعة قيل وما تضييع الأمانة ؟ قال اذا وسد الأمر لغير اهله فانتظروا الساعة » البخارى .
٥ ـ « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهلاء فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » الشيخان .

٥ ـ قانون الدولة :
والقانون في الدولة هو الشريعة ، والشريعة تنتظم :
ا ـ القانون الدستوري .
ب ـ القانون العام المدني والجنائي .
حـ ـ قانون الأسرة .
د ـ قانون العلاقة الدولية .. ولا مانع شرعا من سن قانون تقتضيه الحاجة بشرط أن يكون عن مشورة وألا يعارض نصا او قاعدة شرعية أو إجماعا .

الحقوق والواجبات :
والناس في الدولة الاسلامية متساوون في الحقوق والواجبات

والحقوق ، حقوق إنسانية وسياسية ومدنية .

والحقوق السياسية هي :
١ ــ حق تولي الوظائف العامة .
٢ ــ حق الترشيح .
٣ ــ حق الانتخاب .
٤ ــ حق المناقشة والنقد والمعارضة .

والحقوق المدنية هي :
١ ــ حق العمل .
٢ ــ حق التعاقد .
٣ ــ حق الزواج .

ومنها الحقوق الانسانية وهي :
حق الانتفاع بمرافق الدولة العامة .
وحرية التدين .

والواجبات هي :
١ ــ السمع والطاعة في المعروف .
٢ ــ تقديم النصيحة للحاكم .
٣ ــ الجهاد من أجل إعلاء كلمة الدولة ورفع شأنها وكذلك العمل على توحيد كلمتها وتحريرها وإنهاضها بالعلم والعمل والانتاج واقتباس كل جديد نافع فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها .

٦ ــ العدل أساس الدولة :

والعدل أساس الدولة ويتمثل في أمرين :
١ ــ الحكم بما أنزل الله : فما أنزله الله عدل كله **(وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا)** الانعام/١١٥ صدقا في الأخبار وعدلا في الأحكام .
٢ ــ إعطاء كل ذي حق حقه .

فللمسلم حق المؤاخاة والموالاة والبر والنصح والحماية « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » قالوا قد عرفنا كيف ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال : « نمنعه من الظلم فذلك نصره » ولغير المسلم البر والقسط والمعاملة الحسنة : **(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)** الممتحنة /٨ .

ولكل حق المحافظة على الدم والعرض والمال والكرامة [كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه] . **(ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)** المائدة/٨ .

٧ ــ قوة الدولة :

وتمتاز الدولة الاسلامية بنوعين من القوة :
١ ــ القوة الروحية التي تتمثل في المعرفة بالله وفي حبه والاخلاص له وفي ذكره وشكره وحسن عبادته وفي طاعته والتزام ما شرع من أحكام .
٢ ــ القوة المادية التي تتمثل في التدريب والاعداد والسلاح والذخيرة .

٨ ــ السياسة المالية للدولة :

وتملك المال تملكا فرديا والتصرف فيه والانتفاع به حق مقرر متى كان سبب التملك سببا مشروعا ومتى كان التصرف في دائرة ما أحل الله .

وأسباب الملكية هي :
١ ــ العقود الناقلة للملك مثل البيع والهبة والوصية .

٢ ـ العمل في الصناعة أو التجارة أو الزراعة أو العمل الفكري والأدبي .

٣ ـ الميراث وهو توزيع تركة المتوفي على ورثته من أصحاب الفروض والعصبة . ومهما كان التملك صحيحا فانه لا يحل الاعتداء عليه الا عند الضرورة فلا بأس من نزع الملكية مع التعويض العادل كأن يحتاج الى نزع الملكية في حفر الجداول والأنهار وإنشاء الطرق ونحو ذلك مما تحتاج الأمة إليه في مصالحها العامة .

ومع احترام الاسلام للملكية الخاصة فانه أوجب فيها حقوقا للدولة وهذه الحقوق هي :

١ ـ نفقة الاقارب الفقراء .

٢ ـ الزكاة .

٣ ـ كفاية الفقراء اذا لم تف الزكاة بحاجاتهم ولم يكن في بيت المال ما يكفيهم وفي الحديث .. « إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ألا وإن الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا أليما » .. رواه الطبراني .

ومن حق الدولة أن تفرض ضريبة عند الجهاد حيث لا يوجد عندها من المال ما يكفي لدفع الخطر عن الأمة .

وقد أراد الاسلام بهذا النظام تقريب الفوارق الطبقية وتفتيت الثروة وتحقيق العدالة الاجتماعية .

وكما أن الاسلام يعترف بالملكية الخاصة فهو يعترف أيضا بالملكية العامة التي تملكها الدولة وهي أنواع .

١ ـ الأموال الموجودة بخلق الله مثل ـ الماء ، والنار ، والكلأ فقد جاء في الحديث أن الناس شركاء فيها . ويدخل في هذا الباب المعادن والبترول والأحجار الكريمة ونحو ذلك .

٢ ـ الأموال المعدة للنفع العام مثل : مال الوقف والمسجد والطرق والأنهار ، أما الأرض التي فتحها المسلمون عنوة فهي مملوكة للدولة ويد الفاتحين عليها يد اختصاص لا يد ملك عام .

٩ ـ السياسة الخارجية :

الاسلام يجعل علاقة الدولة الاسلامية بغيرها من الدول علاقة أخوة وسلام لا علاقة عداوة وخصام . فالعالم كله أسرة واحدة وما تفرقوا شعوبا وقبائل الا للتعارف وتبادل المنافع .

(يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) الحجرات/ ١٣ والاسلام يوافق على إنشاء عهود مع الدول الأخرى ويدعو إلى احترامها . **(الا الذين عاهدتم من المشركين)** التوبة/ ٤ وهو يدعوهم بأحسن الأساليب وهو لا يرفع السيف إلا دفاعا عن حق أو إبطالا لباطل . ولا يبدأ بحرب عدوانية ويعتبرها ضرورة وهي رحمة فلا يقتل إلا المقاتل للذميين في أرض الاسلام ما للمسلمين والمتسأمن له الأمان **(وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه)** . التوبة/ ٦ .



دروس من الهجرة

للاستاذ علي القاضي

مضى الآن على هجرة النبي الكريم صلوات الله عليه أربعة عشر قرنا كاملة ، وقد آن لنا أن ننظر إليها نظرة دقيقة ثاقبة حتى نستفيد من دروسها الفائدة المرجوة في نهضتنا الاسلامية في عصرنا الحاضر وقد أحاط الأعداء بنا من كل جانب إحاطة السوار بالمعصم ، محاولين أن يبعدونا عن ديننا حتى ينالوا منا ما يريدون .

جاء النبي الكريم برسالة ربه والوثنية تسود الحضارات ، والانسان غارق في الماديات ، والبشرية تدمر نفسها . وجاءت ذكرى القرن الرابع عشر الهجري والحال كما كان قديما والوثنية تسود الحضارات الحديثة ، والانسان غارق في المادة ، والانسانية تسير بخطوات واسعة نحو تدمير نفسها .. ونحن في حاجة إلى هجرة جديدة ذلك لأن الذين هاجروا مع النبي الكريم كانوا مسلمين في الشكل وفي المضمون .. والمسلمون الآن تائهون في ميادين العصر الحديث ومن هنا كان من الضروري أن ينظروا إلى الهجرة النظرة الكاملة المتكاملة التي تجعلنا نحس بأن هذه الهجرة هي ارتباط بين الايمان والعمل ، فهي تمثل البنية الحديثة للمسلم الذي يقوم برسالته في هذه الحياة ، والتي ترسم لنا الصورة الكاملة للمسلم الذي يهمه

أن يؤدي واجبه كاملا ، غير مفكر في أن يطالب بحقوقه ، وبخاصة وأن المسلم المعاصر تخلى عن دوره المرسوم له في الاسلام أو زحزح عنه ، ورأى أن هذا هو الوضع الطبعي ، وتغيرت نظرته إلى نفسه والى مجتمعه والى العالم حوله ، فأصبح في موضع يتأثر بما حوله ولا يؤثر فيه ، وينفعل بما فيه وليس له فاعلية ، وهو وضع يجعله تابعا وكان ينبغي أن يكون متبوعا حتى لا يكون متخلفا عن رسالته التي أعطاها الله له ، وفي ذلك خطر عليه وعلى المجتمعات الانسانية كلها ، فقد أصبح إنسان العصر الحديث ينظر إلى الحياة من زاوية مادية صرفة ، وترك الناحية الروحية والقيم الأخلاقية ، وهو بذلك يهدم نفسه ، ويهدم الانسانية باسم الحضارة ، ويصادر حريات الأفراد والجماعات باسم الحرية ، ويسام أنواعا من الظلم والقهر باسم الحرية ، والمسلمون يجرون الى هذا جرا ، وينالهم ما ينالهم من قتل وتعذيب وتنصير وتغريب ، ومن هنا أحسسنا بأننا في حاجة إلى المسلم الحقيقي شكلا وموضوعا بحيث تكون له طريقته الخاصة في التفكير التي تتسم بالذاتية والأصالة ، والتي تجعله يوحد بين الفكر والعمل ، بين العقيدة والسلوك السليم ، بين مسار العقل ومسار الروح ، فبذلك يستطيع المسلم المعاصر أن يقف على قدميه ، وأن يؤدي رسالته في هذه الحياة كاملة فينقذ نفسه ، وينقذ أمته ، وينقذ الانسانية كلها .

ولقد حاول الغرب عن طريق الحروب الصليبية أن يغير معالمنا ، وأن يضيع هويتنا ، وأن يبدل انتماءنا ولكنه لم ينجح رغم كل المحاولات التي بذلها .
ثم كانت الخطوة التالية في العصر الحديث حيث غيروا أسلوبهم ، وبدأوا ينفذون ما يريدون عن طريق أبناء المسلمين الذين قاموا بتربيتهم ، وتغيير أفكارهم ومفاهيمهم ، وأسلوب حياتهم ، وأصبحوا يخاطبون في أبناء المسلمين الأرض التي بذروا فيها ما يريدون وهم مطمئنون إلى أنهم يخاطبون من حيث الشكل مسلمين ، ولكنهم في الحقيقة يخاطبون أنفسهم .. ومع ذلك فهم من ورائهم يمدونهم بالأفكار والمال ويساندونهم بالقوة إن احتاج الأمر .
وقد أصبح فينا من يقول الآن : إن الغرب تقدم في الصناعة وفي التقنية وسبب ذلك أنهم تخلصوا من الدين فعلينا أن نحذوا حذوهم حتى لا نستمر في تأخرنا ــ وعلينا أن نبتعد عن سبب الضعف وأن نعزل الدين من حياتنا ... وإذا كان هذا الكلام ينطبق على الغرب لظروفهم الخاصة مع الكنيسة فانه لا ينطبق على الاسلام دين العمل الدائم ، ودين عمارة الأرض ودين العدالة والمساواة في ظل الصلة بالله وتطهير القلب ...
وقد آن الأوان لكي نسقط هذه الأفكار الغريبة عنا ، وندعو إلى إزالة هذه الغشاوة عن أعيننا ونبعد هذه المفاهيم المضللة عن أنفسنا وعن أبنائنا ، وندعو إلى الأيدلوجية الاسلامية نعتنقها ونطبقها ونحن على

أبواب قرن هجري جديد .
ولكي نستفيد من الهجرة الدروس الكافية التي تفيدنا في مجتمعنا الاسلامي المعاصر فلا بد وأن نعرف أسبابها والتخطيط لها وأسلوب التنفيذ ثم النتائج وطريقة بناء المجتمع الاسلامي حتى يمكننا أن نبني مجتمعنا الجديد على أساس سليم .

أسباب الهجرة :

أرسل الله سبحانه وتعالى محمدا صلوات الله عليه إلى العالم ، يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والى تزكية نفوس المؤمنين ، ووحدة الجماعة المؤمنة ، والى أن يرتفع المسلمون فوق الماديات ذلك لأن الله خلقهم وكرمهم وجعل لهم رسالة في هذه الحياة ، يؤدون رسالته وينشرون فيها العدالة ويعمرونها — وكان المفروض أن تلقى هذه الرسالة القبول لدى جميع الناس .
لكن الناس لا ينظرون إلى هذه المثالية عادة ... إنهم ينظرون إلى ما في أيديهم من مال أو جاه أو سلطان ، وهم يخافون من هذه الدعوة أن تذهب بكل ما لهم من رصيد في هذه الجوانب .. من هنا فانهم لا يرغبون فيها ، ولا يحبون الانضواء تحت لوائها .. ومن زاوية أخرى فانهم يقفون صادين عنها الناس ويتهمونها بكل أنواع التهم كما يتهمون صاحب الرسالة بكل ذلك ، وهو الذي نشأ فيهم ، وعرفوا كل شئ عنه ، ووصفوه بالصادق الأمين ، ومن زاوية ثالثة فانهم يعذبون كل من دخل في هذا الدين الجديد ويتخذون كل الأساليب الممكنة ، حتى التي تتنافى مع تقاليد العرب في الجاهلية من كرم أو رجولة او غير ذلك ، والى أن يصل الأمر الى المؤامرة على قتل صاحب الدعوة فماذا كانت حجتهم ؟ لقد كانت حجتهم هي التي ذكرها القرآن الكريم : **(وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا)** القصص/٥٧ وكان رد القرآن الكريم عليهم : **(أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا)** القصص/٥٧
وفي البداية هاجر بعض المسلمين إلى الحبشة ... والهجرة إلى الحبشة تبين لنا أن رابطة الدين بين أهل الكتاب أوثق من رابطتهم مع الوثنيين والملحدين ، لأن الأديان في مصدرها وأصولها تدعو إلى الايمان بالله واليوم الآخر ، وتتفق في الأهداف الاجتماعية الكبرى ، فوشائج القربى بينهم أوثق من أية وشيجة أخرى .. ولكن الهجرة إلى الحبشة حل مؤقت لا دائم فهم كاللاجئين السياسيين في العصر الحديث يجدون الأمن ولكنهم لا يستطيعون العمل ، فهم إذن قوة سلبية معطلة .. والوثنيون في مكة لا يستسلمون أمام أهل الحق ، وإن كانوا في قرارة نفوسهم يعلمون أن ما جاء به محمد هو الحق وقد بدأوا يستخدمون كل الوسائل للقضاء على الدين الجديد ، وكلما أخفقت وسيلة ابتكروا وسيلة

أخرى وهكذا ... وفي ذلك تدريب للمؤمنين حتى يستطيعوا حمل الرسالة كاملة ، ولكن حين ييأس المبطلون من إيقاف دعوة الحق ، وحين يفلت المؤمنون من أيديهم ، فانهم يلجأون إلى أسلوب آخر ... إلى قتل الداعية ظنا منهم أنهم إن قتلوه قضوا على دعوته .

لم يكفهم ما قاموا به من اضطهاد وتعذيب ، ولا ما قاموا به من تشويه للسمعة أمام القبائل الوافدة إلى مكة في موسم الحج ، ولم يكفهم اعتقال المسلمين ثلاث سنوات كاملة ، بل لقد اجتمعوا ليخططوا لقتل النبي صلوات الله عليه : والله من ورائهم محيط .

واستمر الرسول الكريم يربي أصحابه بالايمان ، ويغذي أرواحهم بالقرآن ، وفي الوقت نفسه أخذ يفكر في مستقبل الدعوة ، ويخطط للهجرة ، بعد أن تيقن أن لا أمل في مكة ولا في أهلها .

التخطيط للهجرة :

جاء إلى مكة نفر من الخزرج ليحجوا ، والتقى بهم النبي الكريم ، وحين عرف أنهم من الخزرج قال لهم : أمن موالي يهود ؟ قالوا : نعم . قال لهم عليه الصلاة والسلام : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى . فجلسوا معه فدعاهم إلى الاسلام ورغبهم فيه فمالت قلوبهم إلى الاسلام ، وأجابوه إلى دعوته ، وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك .. ثم قالوا له : سنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ، ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم ..

رجعوا إلى بلادهم وهم متحمسون لهذا الدين ، ونشطوا في الدعوة إليه ، وخلال عام واحد لم تبق دار من دور الأنصار إلا داخلها الاسلام ، وهذا يدل على أن البيئة الجديدة تربتها صالحة لاستقبال ، هذا الدين ، وقد يكون السبب في هذا راجعا إلى أن اليهود كانوا يستفتحون به على الأوس والخزرج وكانوا يقولون لهم : إنهم سينضمون إليه وسيقتلونهم معه قتل عاد وإرم ..

وفي موسم الحج التالي خرج الستة الذين قاموا بالدعوة إلى ستة آخرين أسلموا ليلتقوا بالنبي الكريم . وقد التقوا به عند العقبة وعقد معهم بيعة سميت بيعة النساء فقد بايعهم على ألا يشركوا بالله شيئا ، ولا يسرقوا ، ولا يزنوا ، ولا يقتلوا أولادهم ، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ، ولا يعصونه في معروف .. وقال لهم النبي الكريم فان وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء عفا ، وسميت هذه البيعة بيعة النساء لأنها على غرار بيعة النبي الكريم للنساء بعد ذلك بسنوات ..

وأنا ألمح في هذه التسمية معنى آخر

فان عناصر البيعة كلها سلبي لا تفعل كذا ولا تفعل كذا والرجال أليق بهم الناحية الايجابية كما كان في بيعة العقبة الثانية .

عاد هذا الوفد إلى المدينة وأرسل النبي صلوات الله عليه معهم مصعب بن عمير ليكون معلما لهم ، وقد نجح في مهمته نجاحا عظيما لأنــه يحمــل الاخــلاص الكامــل لله ولرسولـــه والتضحية في سبيل الله بكل شئ ، وكان كيسا فطنا يتلو من القرآن ما يرقق به القلوب ، ويجعلها تتفتــح للدين الجديد ، وعاد مصعب قبــل موسم الحج ليقدم تقريره إلى النبي الكريم ويطمئنه على سير الدعوة في المدينة ثم كانت بيعة العقبة الكبرى التي رسم النبي لها حتى لا تحس بها قريش ، وأن عدد المشتركين فيها من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان .. وقد بايعوه على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمــــر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يقوموا في الله لا يخافون لومة لائم ، وعلى أن يمنعوه في المدينة مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهــم وأمهاتهــم وأبناءهم ولهم الجنة .. ويلاحظ أن كل عناصر هذه البيعة إيجابي .. وقد أمرهم أن يخرجوا منهم اثني عشر نقيبا وقال لهم : أنتم على قومكم بما فيكم كفلاء ككفلة الحواريين عيسى ابن مريم .

وهكذا أصبح للدولة الجديدة ملجأ تلجأ إليه وسط هذه الجزيرة التي تموج بالكفــر ، وبــدأ المسلمــون يهاجرون إلى المدينة فرارا من الفتنة ، وتعاونا على إقامة المجتمع الجديــد بداية لنشر الدعوة على مستوى العالم كله .

وأخذ المسلمون يهاجرون تباعا كل على طريقته الخاصة واجتمع طواغيت مكة في دار الندوة ليتخذوا قرارهم الحاسم ضد محمد ، واختلفت الآراء بعضهم يرى أن يعتقل في سجن لا يتصل به أحد ويترك حتى يموت وهو مقيد بقيوده ، وبعضهم يرى أن ينفى من مكة نفيا تاما ، ولكن المؤتمرين لم يوافقوا على هذين الرأيين ، واتفقوا على أن يأخذوا من كل بطن من قريش شابا جلدا فتيا ثم يعطى لكل منهم سيف صارم ثم يضربونه جميعا ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها فيأخذون الدية ــ وقد سجل القرآن الكريم هذه المؤامرة في قوله تعالى : **(وإذ يمكر بك الذين كفــروا ليثبتــوك أو يقتلــوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)** الأنفال/٣٠ .

وبدأ النبي الكريم يخطط للهجــرة التخطيط الدقيق الكامل الذي لا يترك كبيرة ولا صغيرة في طوق البشر أن يعملها إلا عملها ثم وكل أمره بعد ذلك إلى الله .. وقد استبقى النبي معه أبا بكر وعليا كجزء من الخطة فلــكل منهما دوره الهام ، وبدأ أبو بكر يقوم بدوره فابتاع راحلتين فحبسهما في داره يعلفهما استعدادا لهذه الرحلة واستأجر دليلا خبــيرا بالصحــراء ليستعين به في هذه الرحلة الشاقة وهو عبد الله ابن أريقط ، وكان مشركا

ودفع اليه الراحلتين فكانتا عنـده لميعادهما .
وكان النبي الكريم يأتي بيت أبى بكر بكرة أو عشيا ، حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله في الهجرة ذهب إليه في الهاجرة فقال أبو بكر : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الساعة إلا لأمر حدث ، فلما دخل النبي قال له أخرج عني من عندك ، قال يا رسول الله : إنما هما ابنتاى وما ذاك فداك أبي وأمي ؟ قال عليه الصلاة والسلام : إن الله أذن لي في الخروج والهجرة فقال الصحبة يا رسول الله فقال : الصحبة .. ووضع النبي وصاحبه خطة الهجرة كاملة وحددا من يتصل بهما في الغار ومهمة كل منهم فمهمة عبد الله بن أبى بكر ، وهو غلام شاب حاذق سريع الفهم أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما ثم يأتيهما إذا أمسى في الغار ليبلغهما بأخبار ذلك اليوم وكانت مهمة عامر ابن فهيرة مولى أبى بكر أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحهما عليهما اذا أمسى في الغار فيقوم بمهمة مزدوجة الأولى أن يتبع أثر عبد الله بالغنم فيعفى عليه والثانية أن يحتلب الرسول وأبو بكر من الغنم وأن يذبحا ... وكانت مهمة على مزدوجة أيضا الأولى أن يبيت مكان النبي ليعمي الأمر على قريش والثانية أن يؤدي الودائع التي كانت عند النبي لأهل قريش .. أوليس من العجيب أن هذا الرسول الذي يكذبونه ويناصبونه العـداء ويقيمـون ضده المؤامرات ويسعـون الى قتلـه ... أوليس من العجيب أن يكون موضع أمانة أهل مكة جميعا فلا يكون بمكة أحد عنده شئ يخشى عليه إلا وضعه عنده ، ولذلك فان النبي الكريم جعل من مهمات على أداء هذه الودائع ..
وكانت مهمة عبد الله بن أريقط أن يكون دليلهما في هذه الرحلة ، لقد كان رجـلا مشركا ولكنـه خبـير بالصحراء أمين موطن ثقة ، وقد دفع إليه أبو بكر بالراحلتين فكانتا عنده يعدهما لاستقبال سفر بعيد ..
إلى أين سيذهب الصاحبـان ، إن الأمر سر لا يعرفه غيرهمـا وغـير الدليل ، حتى إن أبناء أبى بكر كانوا لا يعرفون شيئا ـ ولم يعلموا إلا بعد وصولهم إلى المدينة تقول أسماء مكثنا ثلاث ليال ما ندري أين وجه رسول الله صلى الله ـ'ـيـ وسلم حتى أقبل رجل من أسفل مكة يتغنى بأبيـات من الشعر :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتي أم معبد
همـا نزلا بالبـر ثم ترحلا
فأفلح من أمسى رفيق محمد

قالت أسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن وجهه الى المدينة ... ومع أن المدينة تقع في شمال مكة إلا أن التخطيط الدقيق جعلهم يتجهون الى الجنوب لتضليل المطاردين ، وتخيروا الغـار الـذي يأوون اليـه تجـاه اليمن ... وارتدى على البرد الذي ينام فيه رسول الله وتسجى به على سريره وفي غفلة من الحراس انسل الرسول

الكريم إلى دار أبى بكر حيث خرجا من خوخة في ظهرها إلى غار ثور ..
وانطلق كفار قريش في آثار النبي وصاحبه يفتشون عنهم في كل مكان ، وينقبون في جبال مكة وكهوفها ويحاولون قص الأثر حتى وصلوا إلى غار ثور ، وخاف أبو بكر على النبي الكريم فهو الدعوة وقتله يعني نهاية الدعوة ، والطريق شاق وطويل - والزاد قليل ، والماء محدود ، وقد جرت عادة المسافرين أن يستريحوا في وقت القيلولة تحت أي ظل - لكن هؤلاء المهاجرين لم يستريحوا ، والوصف سهل ولكن المعاناة صعبة ولا يمكن أن يدركها إلا من احترق بنارها ، ونحن نلاحظ أن الذين يقطعون هذه الرحلة في طريق معبدة وسيارة معدة يشكون ويشكون ولكن أصحاب الرسالات تهون أمامهم كل الصعوبات ..
نعم الطريق صعب إلى الغار ووعر المسالك والرسول الكريم يغالب نفسه في الصعود حتى حفيت قدماه ، ويحمله الصديق حتى يصل إلى الغار ، ويطلب منه أن ينتظر حتى يتأكد من خلو الغار من وحوش الصحراء وهوامها ويقول له يا رسول الله : إنني إن مت فأنا فرد واحد ، وأما إن مت أنت فان موتك موت أمة .
ترى هل يعرف أحد من أهل الجزيرة بنبأ هذه الرحلة ، إن الصحافة لم تكن موجودة والبرق والهاتف والمذياع والتلفاز والطائرات والسيارات كلها وسائل نقل أو إبلاغ حديثة .. ومع ذلك فقد شاع نبأ تلك الهجرة في جوانب الصحراء وعلم به البدو والحضر على طول الطريق بين مكة والمدينة - كما أن الأماكن التي توقف فيها وصل خبرها إلى أهل مكة بعد رحيلهم عنها ... كما ترامت أخبار النبي الكريم وصاحبه إلى المدينة فكان أهلها يخرجون كل صباح ينتظرون مقدمهما في شوق ولهفة فاذا اشتد عليهم الحر عادوا إلى بيوتهم وهكذا كانوا يفعلون كل يوم ... وفي أحد الأيام صعد رجل من اليهود على أطم من آطامهم لبعض شأنه فرأى الرسول وصاحبه عن بعد فصرخ اليهودي بأعلى صوته : يا بني قيلة هذا صاحبكم قد جاء ... هذا جدكم الذي تنتظرون ، فأسرع الأنصار الى السلاح يستقبلون به رسولهم وسمع التكبير يرج أنحاء المدينة واستقبله الجميع استقبال المؤمنين .
أوليس من العجيب أن يكون هذا الاستقبال لرجل لم يعرفوه من قبل ولم يروه في حياتهم وليس له ما يميزه عن غيره ، حتى إنه حين قدم لم يعرفوه من أبي بكر لأول وهلة وحتى ان العواتق كن يتراءينه من فوق البيوت فيقلن أيهم هو ؟
وهكذا نجحت هذه الرحلة التاريخية الهائلة التي احدثت آثارها في العالم كله بفضل التخطيط الدقيق والتنفيذ السليم وبفضل العناية الالهية الكاملة .
لقد خرج الرسول الكريم من مكة يوم الخميس أول يوم من ربيع الأول لسنة ٥٣ من مولده ووصل إلى المدينة في اليوم الثالث عشر من هذا الشهر .



نلتقي بالقراء على صفحة « هذا من الحديث النبوي » لنقدم باقة من الأحاديث الصحيحة ، يجد فيها المسلم أكرم زاد من الهدى المحمدي .

عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالت : « كنت في المسجد فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « **تصدقن ولو من حليكن** » وكانت زينب تنفق على عبد الله ، وأيتام في حجرها ، فقالت لعبد الله ، سل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيجزى عني أن أنفق عليك ، وعلى أيتام في حجري من الصدقة ؟ فقال : سلي أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت امرأة من الأنصار على الباب ، حاجتها مثل حاجتي ، فمر علينا بلال ، فقلنا : سل النبي صلى الله عليه وسلم ، أيجزى عني أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجري ؟ وقلنا : لا تخبر بنا ، فدخل فسأله ، فقال : « **من هما** » ؟ قال : زينب قال : « **أى الزيانب** » ؟ قال امرأة عبد الله قال : « **نعم ! لها أجران ، أجر القرابة ، وأجر الصدقة** »

(متفق عليه)

أيجزى : هل يكفي
لا تخبر بنا : لا تعين اسمنا ، بل قل تسألك امرأتان
أى الزيانب : أى زينب منهن ، فعرف باللام مع كونه علما لما نكر حين جمع
قال نعم : أى يجزى عنها أن تعطي زكاتها لزوجها ولها أجران
أجر القرابة : أى صلة الرحم . وأجر الصدقة أى ثوابها
واستدل بهذا الحديث على أنه يجوز للمرأة أن تدفع زكاتها المفروضة الى زوجها ويؤيد ذلك قولها (أيجزىٔ عني) ؟
والرسول الكريم لم يسألها عن الصدقة هل هي تطوع أو واجب ؟ فكأنه قال : يجزى عنك فرضا كان أو طوعا قال ذلك الشوكاني .

عن أبى هريرة رضي الله عنه قالوا : يا رسول الله إنك تداعبنا قال : « **إني لا أقول إلا حقا** »

(رواه الترمذي)



ليس من الحديث النبوي



يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

○ « من صلى سبحة الضحى ركعتين إيمانا واحتسابا كتب له مائتا حسنة ومحى عنه مائتا سيئة ، ورفع له مائتا درجة ، وغفر له ذنوبه كلها ما تقدم وما تأخر الا القصاص .. » .

موضوع :

قال ابن حجر : هذا كذب مختلق ، وإسناده مظلم مجهول .
وحكم الشوكاني في الفوائد المجموعة بكذبه .

○ « من صلى في آخر جمعة من رمضان الخمس الصلوات المفروضة في اليوم والليلة قضت عنه ما أخل به من صلاة سنته » .

موضوع :

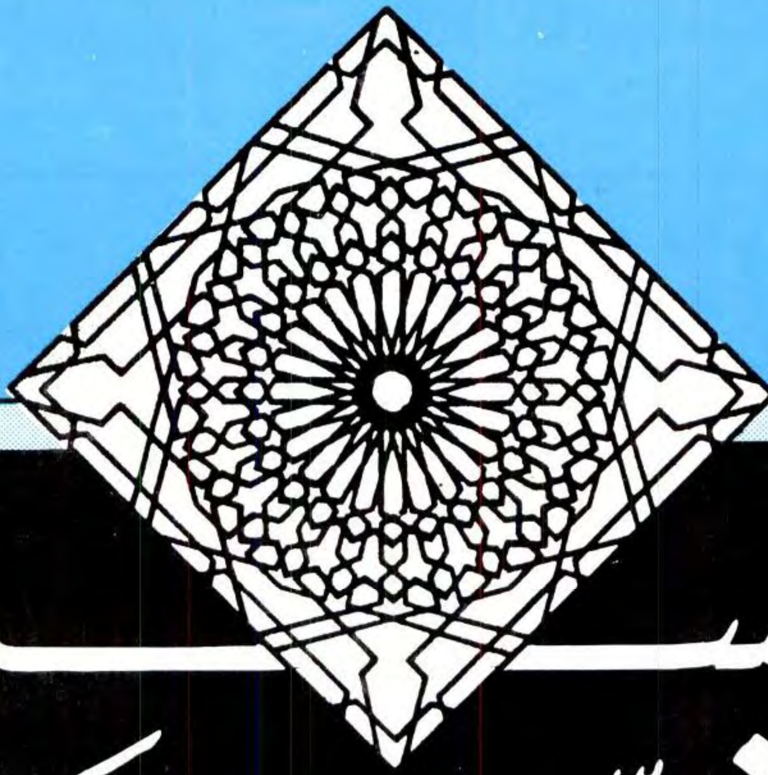
قال الشوكاني في الفوائد المجموعة هذا القول موضوع لا إشكال فيه ، ولم أجده في شيء من الكتب التي جمع مصنفوها فيها الأحاديث الموضوعة . ولكنه اشتهر عند جماعة من المتفقهين في عصر من العصور في بعض المدن ، وصار كثير منهم يفعلون ذلك ، ولا أدرى من وضعه لهم ، فقبح الله الكذابين .

ومن المعلوم أن الصلاة الفائتة لا تسقطها الصلاة اللاحقة .

وقد أفرد الفقهاء بابا للحديث عن كيفية قضاء الفوائت .

وأداء الصلوات المفروضة واجب في كل وقت ، وليس في آخر جمعة من رمضان فقط ، والذي ورد هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شمر عن ساعد الجد ، وشد المئزر وأحيا الليل بالعبادة ، وذلك تعليما وتشريعا لأمته ليكتسبوا بذلك الأجر العظيم .

ومن غير المعقول أن يكون أداء الصلوات الخمس في آخر جمعة من رمضان مسقطا لغيرها من الصلوات المفروضة .



السيرة النبوية
كيف كتبت وتطورت وكيف يجب فهمها اليوم

السيرة النبوية والتاريخ :

لا ريب أن سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تشكل الركيزة الأساسية لحركة التاريخ العظيم الذي يعتز به المسلمون على اختلاف لغاتهم وأقطارهم .

وانطلاقا من هذه السيرة دون المسلمون التاريخ .. ذلك لأن أول ما دونه الكاتبون المسلمون من وقائع التاريخ وأحداثه ، هو أحداث السيرة النبوية ، ثم تلا ذلك تدوين الأحداث التي تسلسلت على إثرها إلى يومنا هذا .

حتى التاريخ الجاهلي الذي ينبسط منتشرا وراء سور الاسلام في الجزيرة العربية ، إنما وعاه المسلمون من العرب وغيرهم واتجهوا إلى رصده وتدوينه ، على هدي الاسلام الذي جاء فحدد معنى الجاهلية ، وعلى ضوء المعلمة التاريخية الكبرى التي تمثلت في مولد أفضل الورى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسيرة حياته .

إذا ، فالسيرة النبوية تشكل المحور الذي تدور حوله حركة التدوين لتاريخ الاسلام في الجزيرة العربية .

للدكتور : محمد سعيد رمضـان البوطي

بل هي العامل الذي أثر في أحداث الجزيرة العربية أولا ، ثم في أحداث سائر العالم الاسلامي ثانيا .

ولقد امتلك فن الرواية لأحداث التاريخ عند العرب والمسلمين منهجا علميا دقيقا لرصد الوقائع وتمييز الصحيح منها عن غيره ، لم يملك مثله غيرهم . غير أنهم لم يكونوا ليكتشفوا هذا المنهج ، ولم يكونوا لينجحوا في وضعه موضع التنفيذ في كتاباتهم التاريخية ، لولا السيرة النبوية التي وجدوا أنفسهم أمام ضرورة دينية تحملهم على تدوينها تدوينا صحيحا لا يشوبها وهم ولا يتسلل اليها خلط أو افتراء .. ذلك لأنهم علموا أن سيرة سيدنا رسول الله صلى الله وسلم وسنته هما المفتاح الأول لفهم كتاب الله تعالى . ثم هما النموذج الأسمى لكيفية تطبيقه والعمل به . فكان أن نهض بهم دافع اليقين بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبأن القرآن كلام الله تعالى ، وبأنهم يحملون مسؤولية العمل بمقتضاه ، وأن الله محاسبهم على ذلك حسابا دقيقا ــ نهض بهم اليقين بكل ذلك إلى تحمل اقسى الجهد في سبيل الوصول الى منهج علمي تحصن فيه حقائق السيرة والسنة النبوية المطهرة .

وإنما أقصد بالمنهج العلمي قواعد مصطلح الحديث ، وعلم الجرح والتعديل . فمن المعلوم أن ذلك إنما وجد اولا لخدمة السنة المطهرة التي لا بد ان تكون السيرة النبوية العامة قاعدة لها . ثم انه أصبح بعد ذلك منهجا لخدمة التاريخ عموما ، وميزانا لتمييز حقائقه عن الأباطيل التي قد تعلق به .

والذي أريد بيانه من خلال هذه المقدمة ، هو ان كتابة السيرة النبوية ، كانت البوابة العريضة الهامة التي دخل منها المسلمون إلى دراسة التاريخ وتدوينه عموما ، وأن القواعد العلمية التي استعانوا بها لضبط الروايات والأخبار ، هي ذاتها القواعد التي أبدعتها عقول المسلمين شعورا منهم بالحاجة الماسة الى حفظ مصادر الاسلام وينابيعه الأولى من أن يصيبها أي دخيل يعكره .

كيف بدأت ثم تطورت كتابة السيرة :

تأتي كتابة السيرة النبوية ــ من حيث الترتيب الزمني ــ في الدرجة الثانية بالنسبة لكتابة السنة النبوية ، فلا جرم أن كتابة السنة ، أي الحديث النبوي ، كانت أسبق من كتابة السيرة النبوية عموما . اذ السنة بدأت كتابتها ، كما هو معلوم ، في حياة رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، باذن ، بل بأمر منه عليه الصلاة والسلام . وذلك بعد أن اطمأن الى أن أصحابه قد تنبهوا للفارق الكبير بين أسلوبي القرآن المعجز والحديث النبوي البليغ . فلن يقعوا في لبس بينهما .

أما كتابة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه بصورة عامة ، فقد جاء ذلك متأخرا عن البدء بكتابة السنة ، وإن كان الصحابة يهتمون بنقل سيرته ومغازيه شفاها .

ولعل أول من اهتم بكتابة السيرة النبوية عموما ، هو عروة بن الزبير المتوفى : ٩٢ ثم أبان بن عثمان المتوفى : ١٠٥ هـ ثم وهب بن منبه المتوفى : ١١٠ هـ ثم شرحبيل بن سعد المتوفى : ١٢٣ هـ ثم ابن شهاب الزهري المتوفى : ١٢٤ هـ .

إن هؤلاء يعدون ، ولا ريب ، في مقدمة من اهتموا بكتابة السيرة النبوية ، كما تعد كتاباتهم طليعة هذا العمل العلمي العظيم ، بل تعد الخطوة الأولى ــ كما ألمحنا ــ الى كتابة التاريخ والاهتمام به عموما ، هذا بقطع النظر عن أن الكثير من أحداث السيرة منثور في كتاب الله تعالى وفي بطون كتب السنة التي تهتم من سيرته صلى الله عليه وسلم بأقواله وأفعاله ، لا سيما ما يتعلق منها بالتشريع .

غير أن جميع ما كتبه هؤلاء ، قد باد وتلف مع الزمن ، فلم يصل الينا منه شيء . ولم يبق منه الا بقايا متناثرة روى بعضها الطبري ، ويقال إن بعضها الآخر ــ وهو جزء مما كتبه وهب بن منبه ــ محفوظ في مدينة هايدلبرج بألمانيا .

ولكن جاء في الطبقة التي تلي هؤلاء من تلقف كل ما كتبوه ، فأثبتوا جله في مدوناتهم التي وصل الينا معظمها ، بحمدالله وتوفيقه ، ولقد كان في مقدمة هذه الطبقة محمد بن اسحاق المتوفى عام ١٥٢ هـ . وقد اتفق الباحثون على أن ما كتبه محمد بن اسحاق يعد من أوثق ما كتب في السيرة النبوية في ذلك العهد ولئن لم يصل الينا كتابه « المغازي » بذاته ، إلا أن أبا محمد عبد الملك المعروف بابن هشام قد جاء من بعده ، فروى لنا كتابه هذا مهذبا منقحا ، ولم يكن قد مضى على تأليف ابن اسحاق له اكثر من خمسين سنة .

يقول ابن خلكان : « وابن هشام هذا ، هو الذي جمع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من المغازي والسير لابن اسحاق ، وهذبها ، ولخصها ، وهي السيرة الموجودة بأيدي الناس والمعروفة بسيرة ابن هشام » .

وعلى كل ، فان مصادر السيرة النبوية التي اعتمدها سائر الكتاب على اختلاف طبقاتهم محصورة في المصادر التالية :

أولا ــ كتاب الله تعالى . فهو المعتمد الأول في معرفة الملامح العامة لحياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي الاطلاع عل المراحل الاجمالية لسيرته الشريفة ، بقطع النظر عن اسلوب القرآن في بيان ذلك .

ثانيا : كتب السنة النبوية ، وهي

تلك التي كتبها أئمة الحديث المعروفون بصدقهم وأمانتهم ، كالكتب الستة وموطأ الامام مالك ومسند الامام أحمد وغيره ، وان كانت عناية هذه الكتب الأولى إنما تنصرف إلى أقوال رسول الله وأفعاله من حيث إنها مصدر تشريع ، لا من حيث هي تاريخ يدون . ولذلك رتبت أحاديث كثير من هذه الكتب على الأبواب الفقهية ورتب بعضها على أسماء الصحابة الذين رووا هذه الأحاديث ، ولم يراع فيها التتابع الزمني للأحداث .

ثالثا ـ الرواة الذين اهتموا بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وحياته عموما ، وقد كان في الصحابة الكثير ممن اهتم بذلك ، بل ما من صحابي كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشهد من مشاهد سيرته إلا ورواه لسائر الصحابة ولمن بعده أكثر من مرة . ولكن دون أن يهتم واحد منهم في بادئ الأمر بجمعها وتدوينها .

وأحب أن ألفت النظر هنا إلى الفرق بين عموم ما يسمى كتابة وتقييدا ، وخصوص ما يسمى تأليفا أو تدوينا . أما الأول فقد كان موجودا بالنسبة للسنة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا آنفا ، وأما الثاني « ويراد به الجمع والتنسيق بين دفتين » فقد ظهر فيما بعد ، عندما ظهرت الحاجة إلى ذلك .

المنهج العلمي في رواية السيرة النبوية :

من المعلوم أن كتابة السيرة النبوية ، تدخل في عموم ما يسمى تأريخا ، وان كانت السيرة النبوية ـ كما أوضحنا ـ منطلقا للتأريخ وحافزا على رصد الوقائع والأحداث التي خلت قبلها والتي جاءت متسلسلة على أعقابها .

ولكن على أي منهج اعتمد كتاب السيرة في تأريخها وتدوينها ؟

لقد كان منهجهم المعتمد في ذلك اتباع ما يسمى اليوم بالمذهب الموضوعي في كتابة التاريخ . طبق قواعد علمية سنشير اليها .

ومعنى هذا أن كتاب السيرة النبوية وعلماءها ، لم تكن وظيفتهم بصدد أحداث السيرة ، إلا تثبيت ما هو ثابت منها ، بمقياس علمي يتمثل في قواعد مصطلح الحديث المتعلقة بكل من السند والمتن ، وفي قواعد الجرح والتعديل المتعلقة بالرواة وتراجمهم وأحوالهم .

فاذا انتهت بهم هذه القواعد العلمية إلى أخبار ووقائع ، وقفوا عندها ، ودونوها ، دون أن يقحموا تصوراتهم الفكرية أو انطباعاتهم النفسية أو مألوفاتهم البيئية إلى شئ من تلك الوقائع بأي تلاعب او تحوير .

لقد كانوا يرون أن الحادثة التاريخية التي يتم الوصول إلى معرفتها ، ضمن نفق من هذه القواعد العلمية التي تتسم بمنتهى الدقة ، حقيقة مقدسة ، يجب أن تجلى أمام الأبصار والبصائر كما هي . كما كانوا يرون أن من الخيانة التي لا تغتفر أن ينصب من التحليلات الشخصية والرغبات النفسية التي هي في الغالب

من انعكاسات البيئة ومن ثمار العصبية ، حاكم مسلط يستبعد منها ما يشاء ويحور فيها كما يريد .

ضمن هذه الوقاية من القواعد العلمية ، وعلى نلك الأساس من النظرة الموضوعية ، للتاريخ ، وصلت الينا سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم بدءا من ولادته ونسبه ، إلى طفولته ، فصبوته اليافعة ، إلى الارهاصات الخارقة التي صاحبت مراحل طفولته وشبابه ، إلى بعثته وظاهرة الوحي التي تجلت في حياته ، إلى اخلاقه وصدقه وأمانته ، إلى الخوارق والمعجزات التي أجراها الله تعالى على يده ، إلى مراحل الدعوة التي سار فيها لتلبية أمر ربه ، من سلم ، فدفاع ، فجهاد مطلق حيثما طاف بالدعوة إلى الله تعالى أي تهديد ، إلى الأحكام والمبادئ الشرعية التي أوحى بها إليه ، قرآنا معجزة يتلى ، وأحاديث نبوية تشرح وتبين .

لقد كان العمل التاريخي إذاً بالنسبة إلى هذه السلسلة من سيرته صلى الله عليه وسلم ، ينحصر في نقلها إلينا محفوظة مكلوءة ضمن تلك الوقاية العلمية التي من شأنها ضبط الرواية من حيث الأسناد واتصاله ومن حيث الرجال وتراجمهم ومن حيث المتن أو الحادثة وما قد يطوف بها من شذوذ ونحوه .

أما عملية استنباط النتائج والأحكام والمبادئ والمعاني من هذه الأخبار « بعد القبول التام لها » فعمل علمي آخر لا شأن له بالتاريخ ، وما ينبغي أن يمزج به بحال من الأحوال .

إنه عمل علمي متميز ، ومستقل بذاته ، ينهض بدوره على منهج وقواعد أخرى من شأنها أن تضبط استنباط النتائج والمبادئ من تلك الأحداث ، ضمن قالب علمي يقصيها عن سلطان الوهم وشهوة الارادة النفسية التي يعبر عنها أمثال « وليم جيمس » بارادة الاعتقاد .

من هذه القواعد : القياس الاستقرائي ، وقانون الالتزام بأنواعه المختلفة ، والدلالات بأنواعها .. الخ .

ولقد استنبطت من أحداث السيرة النبوية طبقا لهذه القواعد أحكام كثيرة ، منها ما يتعلق بالاعتقاد واليقين ، ومنها ما يتعلق بالتشريع والسلوك . والمهم في هذا الصدد أن نعلم بأنها جاءت منفصلة عن التاريخ وتدوينه ، بعيدة عن معناه ومضمونه ، وانما كانت نتيجة معاناة علمية أخرى نهضت في وجودها على البنيان التاريخي الذي قام بدوره على القواعد العلمية التي ذكرناها .

السيرة النبوية على ضوء المذاهب الحديثة في كتابة التاريخ :

في القرن التاسع عشر ظهرت طرائق كثيرة متنوعة في كتابة التاريخ وتدوينه ، إلى جانب الطريقة الموضوعية ، أو ما يسمونه بالمذهب العلمي ، وقد تلاقى معظم هذه المذاهب فيما أطلق عليه اسم المذهب الذاتي . ويعد « فرويد » من أكبر الدعاة اليه والمتحمسين له .

ولا يرى أقطاب هذا المذهب من ضير في أن يقحم المؤرخ نزعته الذاتية أو اتجاهه الفكري أو الديني أو السياسي ، في تفسير الأحداث وتعليلها والحكم على أبطالها ... بل إنهم يرون أن هذا هو واجب المؤرخ ، لا مجرد تجميع الأخبار والوقائع العارية .

وهذه الطريقة تجعل كتابة التاريخ وتدوينه عملا فنيا مجردا ، ولا تسمح بعده نهوضا بعمل علمي دقيق .

ونحن وان كنا لسنا بصدد الحديث عن المذاهب التاريخية ونقدها ، فان علينا ألا نخفي أسفنا من أن يجد هذا المذهب ـ في عصر العلم والاعتزاز به وبمنهجيته ـ دعاة إليه ومؤمنين به . ذلك لأن هذا المذهب كفيل أن يمزق جميع الحقائق والأحداث التي يحتضنها الزمن في هيكله القدسي القديم الماثل أمام الأجيال ، بفعل سبحات من أخيلة التوسم وشهوة الذات وعصبية النفس والهوى ، وكم من حقيقة مسخت ، وأحداث نكست ، وأمجاد دثرت ، وبرءاء ظلموا ، تحت سلطان هذه المحكمة الوهمية الجائرة .

فهل كان لهذا المذهب الجديد من تأثير على كتابة السيرة وطريقة تحليلها ؟

الحقيقة أن هذا المذهب الجديد في كتابة التاريخ قد أصبح أساسا لمدرسة جديدة في دراسة السيرة النبوية وفهمها عند طائفة من الباحثين . فكيف نشأت هذه المدرسة ؟... وما هي عوامل نشأتها ؟... وما مصيرها اليوم ؟..

تعود نشأة هذه المدرسة الى أيام الاحتلال البريطاني لمصر ، لقد كانت مصر آنذاك منبر العالم الاسلامي كما نعلم ، يعنو إليه بتفكيره وعقله كلما أراد أن يعلم عن الاسلام علما ، كما يعنو إلى كعبة الله بوجهه كلما أراد حجا أو صلاة .

وكان في استمرار هذا الصوت العظيم من جانب ، وفي استمرار إنصات العالم الاسلامي إليه من جانب آخر ، ما لا يدع للاحتلال البريطاني فرصة هدوء أو استقرار . ومهما أخضعت بريطانيا لنفسها الوادي كله تحت سلطان من قوة الحديد والنار . فانه خضوع موقوت لا يطمأن إليه ، ما بقيت للأزهر هذه القيادة الحية .

لذا فقد كان لا بد للاحتلال البريطاني من الاقدام على أحد علاجين لا ثالث لهما :

اولهما : أن يقطع ما بين الأزهر والأمة ، بحيث لا يبقى له عليها من سلطان .

ثانيهما : أن يتم التسلل الى مركز العمليات القيادية في الأزهر ذاته ، فتوجه قيادته الوجهة التي ترضي مصالح الاحتلال وتهيىء له أسباب الطمأنينة والاستقرار .

ولم تتردد بريطانيا في اختيار العلاج الثاني ، نظرا إلى أنه أقرب منالا وأبعد عن الملاحظة والانتباه .

وكان السبيل الوحيد إلى هذا التسلل نحو القيادة العلمية والفكرية داخل الأزهر ، الاعتماد على نقطة ضعف أليمة كانت تعاني منها مشاعر الأمة الاسلامية عامة ، بما فيها مصر

وغيرها وهي إحساس المسلمين بما انتابهم من الضيعة والتخلف والشتات ، إلى جانب ملاحظتهم للنهضة العجيبة التي نهضها الغرب في شتى المجالات الفكرية والعلمية والحضارية !... لقد كان المسلمون يتطلعون ولا ريب إلى اليوم الذي يتحررون فيه من الأثقال التي خلفتهم إلى الوراء ، ليشتركوا مع الآخرين في رحلة الحضارة والمدنية والعلم الحديث .

من هذا السبيل تسلل الهمس ، بل الكيد الاستعماري إلى صدور بعض من قادة الفكر في مصر . ولقد كان مؤدي هذا الهمس أن الغرب لم يتحرر من أغلاله ، إلا يوم أخضع الدين لمقاييس العلم .. فالدين شيء والعلم شيء آخر ، ولا يتم التوفيق بينهما إلا باخضاع الأول للثاني . وإذا كان العالم الاسلامي حريصا حقا على مثل هذا التحرر فلا مناص له من أن يسلك الطريق ذاته ، وأن يفهم الاسلام هنا ، كما فهم الغرب النصرانية هناك . ولا يتحقق ذلك الا بتخلص الفكر الاسلامي من سائر الغيبيات التي لا تفهم ولا تخضع لمقاييس العلم الحديث .

وسرعان ما خضع لهذا الهمس ، أولئك الذين انبهرت أبصارهم بمظاهر النهضة الأوروبية الحديثة ، ممن لم تترسخ حقائق الايمان بالله في قلوبهم ولا تجلت حقائق العلم الحديث وضوابطه في عقولهم . فتنادوا فيما بينهم إلى التحرر من كل عقيدة غيبية لم تصل إليها اكتشافات العلم الحديث ، ولم تدخل تحت سلطان التجربة والمشاهدة الانسانية .

فكان أن قاموا بما سمي فيما بعد بالاصلاح الديني . واقتضى منهم ذلك ، أمورا عديدة ، منها تطوير كتابة السيرة النبوية وفهمها ، واعتماد منهج جديد في تحليلها ، يتفق وما استهدفوه من الاعراض عن كل ما يدخل في نطاق الغيبيات والخوارق التي لا يقف العلم الحديث منها موقف فهم أو قبول .

ولقد كان لهم في الطريقة الذاتية في كتابة التاريخ خير ملجأ يعينهم على تحقيق ما قصدوا إليه .

وبدأت تظهر كتب وكتابات في السيرة النبوية ، تستبدل بميزان الرواية والسند وقواعد التحديث وشروطه ، طريقة الاستنتاج الشخصي ، وميزان الرضا النفسي ، ومنهج التوسم الذي لا يضبطه شيء ، إلا دوافع الرغبة ، وكوامن الأغراض والمذاهب التي يضمرها المؤلف .

وإعتمادا على هذه الطريقة أخذ يستبعد هؤلاء الكاتبون ، كل ما قد يخالف المألوف ، مما يدخل في باب المعجزات والخوارق ، من سيرته صلى الله عليه وسلم . وراحوا يروجون له صفة العبقرية والعظمة والبطولة وما شاكلها ، شغلا للقارىء بها عن صفات قد تجره إلى غير المألوف من النبوة والوحي والرسالة ونحوها مما يشكل المقومات الأولى لشخصية النبي صلى الله عليه وسلم .

ويعد كتاب « حياة محمد » لحسين هيكل أبرز نموذج لهذا

الاتجاه في كتابة السيرة النبوية . ويعبر مؤلفه عن اتجاهه هذا بصراحة وفخر عندما يقول :

« إنني لم آخذ بما سجلته كتب السيرة والحديث ، لأنني فضلت أن أجري في هذا البحث على الطريقة العلمية » ..!

ومن نماذج هذه الطريقة الحديثة في كتابة السيرة وفهمها ، تلك المقالات المتتابعة التي نشرها المرحوم محمد فريد وجدي في مجلة نور الاسلام تحت عنوان :

(السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة) والتي يقول في بعض منها :

« وقد لاحظ قراؤنا أننا نحرص كل الحرص فيما نكتبه في هذه السيرة ، على ألا نسرف في كل ناحية إلى ناحية الاعجاز ، ما دام يمكن تعليلها بالأسباب العادية حتى ولو بشيء من التكلف » .

ومن نماذج هذه الطريقة أيضا تلك الكتابات الكثيرة التي ظهرت لطائفة من المستشرقين عن حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، في نطاق أعمالهم وكتاباتهم التاريخية التي قامت على المنهج الذاتي الذي ألمحنا اليه آنفا .

إنك لتراهم يمجدون شخص محمد صلى الله عليه وسلم ، وينوهون بعظمته وصفاته الحميدة ، ولكن بعيدا عن كل ما قد ينبه القارىء إلى شيء من معنى النبوة أو الوحي في حياته ، وبعيدا عن الاهتمام بالأسانيد والروايات التي قد يضطرهم الأخذ بها إلى اليقين بأحداث ووقائع ليس من صالحهم اعتمادها أو الاهتمام بها .

وهكذا وجد أبطال هذه المدرسة الجديدة ، في اتباع المذهب الذاتي في كتابة التاريخ ، الميدان الفسيح الذي يمكنهم من نبذ كل ما لا يعجبهم من حقائق السيرة النبوية مهما جاءت مدعومة بدلائل العلم واليقين ، متخذين من ميولهم النفسية ، ورغباتهم الشخصية وأهدافهم البعيدة ، حاكما مطلقا على حقائق التاريخ وتحليل ما وراءه من العوامل ، وحكما مطلقا لقبول ما ينبغي قبوله ورفض ما يجب رفضه .

لقد رأينا – مثلا – أن كل خارقة مما قد جاء به متواتر السنة ، وربما صريح القرآن ، تؤول ، ولو بتكلف وتمحل ، بما يعيدها إلى الوفاق مع المألوف ، وبما يجعلها تنسجم مع الغرض المطلوب .

فطير الأبابيل ، يؤول – على الرغم من أنف الآية الصريحة الواضحة – بداء الجدري .

والاسراء الذي جاء به صريح القرآن ، يحمل على سياحة الروح وعالم الرؤى .

والملائكة الذين أمد الله المسلمين بهم في غزوة بدر يؤولون بالدعم المعنوي الذي أكرمهم الله به .!!

وآخر المضحكات العجيبة التي جاءت على هذا الطريق ، تفسير النبوة في حياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمان الصحابة به وعموم الفتح الاسلامي ، بأن جميعه لم يكن

إلا « ثورة يسار ضد يمين » ، اثارتها النوازع الاقتصادية انتجاعا للرزق وطلبا للتوسع ، وألهبتها ردود الفعل لدى الفقراء ضد الأغنياء وأصحاب الاقطاع ...!

* * *

وبعد ، فقد كانت هذه الطريقة في دراسة السيرة النبوية خصوصا ، والتاريخ الاسلامي عموما ، مكيدة خطيرة عشيت عن رؤيتها أعين البسطاء من بعض المسلمين وصادفت هوى وقبولا حسنا عند طائفة اخرى من المنافقين وأصحاب الأهواء .

لقد غاب عن أعين أولئك البسطاء ، ان ذلك الهمس الاستعماري الذي يدعو المسلمين إلى ما أسموه بثورة اصلاحية في شؤون العقيدة الاسلامية ، إنما استهدف في الحقيقة نسف هذه العقيدة من جذورها .

وغاب عنهم أن تفريغ الاسلام من حقائقه الغيبية ، إنما يعني حشوه بمنجزات ناسفة تحيله أثرا بعد عين . ذلك لأن الوحي الالهي ـ وهو ينبوع الاسلام ومصدره ـ يعد قمة الخوارق والحقائق الغيبية كلها . ولا ريب أن الذي يسرع إلى رفض ما قد جاء في السيرة النبوية من خوارق العادات ، بحجة اختلافها عن مقتضى سنن الطبيعة ومدارك العلم الحديث ، يكون أسرع إلى رفض الوحي الالهي كله مما يتبعه ويتضمنه من إخباراته عن النشور والحساب والجنة والنار بالحجة الطبيعية ذاتها .

كما غاب عنهم أن الدين الصالح في ذاته لا يحتاج في عصر ما إلى مصلح يتدارك شأنه ، أو إصلاح يغير من جوهره .

غاب عن هؤلاء الناس هذا كله ، مع أن إدراكهم له كان من أبسط مقتضيات العلم ، لو كانوا يتمتعون بحقيقته وينسجمون مع منطقيته . ولكن أعينهم عشيت في غمرة انبهارها بالنهضة الأوروبية الحديثة وما قد حف بها من شعارات العلم وألفاظه ، فلم تبصر من حقائق المنطق والعلم الا عناوينها وشعاراتها ، وقد كانوا بأمس الحاجة إلى فهم كل ما وراء تلك العناوين وإلى هضم صحيح لمضمون تلك الشعارات . فلم يعد يستأثر بتفكيرهم الا خيال نهضة « إصلاحية » تطور العقيدة الاسلامية هنا كما تطورت العقيدة النصرانية هناك .

وهكذا ، فقد كان عماد هذه المدرسة الحديثة التي أشرنا اليها بايجاز ، هياجا في النفس ، أكثر من أن يكون حقيقة علمية مدروسة استحوذت على العقل .

مصير هذه المدرسة اليوم :

والحقيقة أن الاهتمام بهذه المدرسة في كتابة السيرة وفهمها ، والحماسة التي ظهرت يوما ما لدى البعض في الأخذ بها ـ انما كان منعطفا تاريخيا ومر .. وعذر أولئك الذين كتب عليهم أن يمروا بذلك المنعطف أو يمر هو بهم ، انهم

كانوا ـ كما قلنا ـ يفتحون أعينهم إذ ذاك على خبر النهضة العلمية في أوروبا ، بعد طول غفلة واغماض . وانه لأمر طبيعي أن تنبهر العين عند أول لقياها مع الضياء ، فلا تتبين حقائق الأشياء ، ولا تتميز الأشباه عن بعضها . حتى إذا مر وقت ، واستراحت العين إلى الضياء ، أخذت الأشياء تتمايز وبدت الحقائق واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض .

وهذا ما قد تم فعلا . فقد انجابت الغاشية ، وصفت أسباب الرؤية السليمة أمام الأبصار .. أبصار الجيل الواعي المثقف اليوم . فانطلق يتعامل مع حقيقة العلم وجوهره ، بعد أولئك الذين أخذوا بألفاظه وانخدعوا بشعاراته ثم عادوا وقد أيقنوا ببصيرة الباحث العليم والمفكر الحر ، بأن شيئا مما يسمى بالخوارق والمعجزات لا يمكن أن تتنافى في جوهرها مع حقائق العلم وموازينه .

ذلك لأن هذه الخوارق سميت كذلك لخرقها لما هو مألوف أمام الناس . وما كان للالف أو العادة أن يكون مقياسا علميا لما هو ممكن وغير ممكن . وهيهات أن يقضي العلم يوما ما بأن كل ما استأنست إليه عين الانسان مما هو مألوف ممكن الوقوع ، وأن كل ما استوحشت منه عين الانسان مما هو غير مألوف له غير ممكن الوقوع .

ولقد علم كل باحث ومثقف اليوم بأن أحدث ما انتهت اليه مدارك العلماء في هذا الصدد ، هو أن العلاقة التي نراها بين الأسباب ومسبباتها ، ليست الا علاقة اقتران مطرد ، اكتسبت تحليلا ، ثم تعليلا ، ثم استنبط منها القانون الذي هو تابع لظهور تلك العلاقة وليس العكس .

فان رحت تسأل القانون العلمي عن رأيه في خارقة او معجزة الهية ، قال لك بلسان الحال الذي يفقهه كل عالم بل كل متبصر بثقافة العصر : ليست الخوارق والمعجزات من موضوعات بحثي واختصاصي ، فلا حكم لي عليها بشيء . ولكن اذا وقعت خارقة من ذلك أمامي فانها تصبح في تلك الحال موضوعا جاهزا للنظر والتحليل ، ثم الشرح والتعليل ، ثم تغطي تلك الخارقة بقانونها التابع لها .

وقد انقرض الزمن الذي كان بعض العلماء يظنون فيه أن أثر الأسباب الطبيعية في مسبباتها أثر حتمي يستعصي على التخلف والتغيير . وانتصر الحق الذي طالما نبه إليه ودافع عنه علماء المسلمين عامة والامام الغزالي خاصة ، من أن علاقات الأسباب بمسبباتها ليست أكثر من رابطة اقتران مجردة . وما العلم في أحكامه وقوانينه الا جدار ينهض فوق أساس هذا الاقتران وحده . أما سر هذا الاقتران فهو عند ذلك الاله العظيم الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

ولقد رأينا العالم التجريبي « دافيد هيوم » كيف يجلي هذه الحقيقة بأنصع بيان صارم .

نعم ، لا بد ان يشترط كل انسان

عاقل يحترم العقل والحقيقة ، لقبوله اي خبر ، سواء تضمن أمرا خارقا أو مألوفا ، شرطا واحدا ، الا وهو ان يصل نلك الخبر إليه عن طريق علمي سليم ينهض على قواعد الروايةوالاسناد ومقتضيات الجرح والتعديل ، بحيث يورث الجزم واليقين ، وتفصيل القول في هذه الموازين العلمية العظيمة يستلزم كلاما طويل الذيل لسنا بصدد شيء منه الآن .

إن رجل العلم اليوم ، ليأخذ منه العجب كل مأخذ ، عندما يقف أمام هذا الذي يقوله رجل مثل حسين هيكل في مقدمة كتابه « حياة محمد » .

« واني لم آخذ بما سجلته كتب السيرة والحديث ، لأنني فضلت أن أجري في هذا البحث على الطريقة العلمية » .

أي انه يطمئنك إلى أنه لم يأخذ حتى بما قد ثبت في صحيحي البخارى ومسلم ، حفظا لكرامة العلم !.. اذا فان ما يرويه الامام البخاري ضمن قيود رائعة عجيبة من الحيطة العلمية النادرة في رواية الكلمة والخبر ، انحراف عن جادة العلم .. على حين تكون طريقة الاستنتاج والحدس والتخمين وما يسمونه بمنهج التوسم ، حفظا لكرامته والتزاما لميزانه وجادته !..

أليس هذا من أفجع الكوارث النازلة برأس العلم ؟..

وأخيرا : كيف ندرس السيرة النبوية على ضوء ما قد ذكرناه :

إن محمدا صلى الله عليه وسلم ، عندما ظهر في الجزيرة العربية ، قدم نفسه إلى العالم على أنه نبي مرسل من قبل الله عز وجل إلى الناس كافة ، ليؤكد لهم الحقيقة التي بعث بها الأنبياء الذين خلوا من قبل ، وليحملهم المسؤوليات ذاتها التي حملها الأنبياء السابقون أقوامهم ، موضحا أنه آخر نبي مرسل في سلسلة الرسل الذين تعاقبوا مع الزمن ، ثم زاد نفسه تعريفا لهم فأوضح أنه ليس الا بشرا من الناس يسري عليه جميع سمات البشرية وأحكامها ، ولكن الله ائتمنه ـ بوساطة الوحي ـ على تبليغ الناس رسالة تعرفهم بهوياتهم الحقيقية ، وتنبههم الى موقع هذه الحياة الدنيا من خارطة الملكة الالهية زمانا ومكانا ، وإلى مصيرهم الذي سيلقونه حتما بعد الموت ، كما تلفت نظرهم الى ضرورة انسجامهم في سلوكهم الاختياري مع هوياتهم التي لا مفر منها ، اي أن عليهم أن يكونوا عبيدا لله بيقينهم وسلوكهم الاختياري ، كما تحققت فيهم هذه العبودية بالواقع الاضطراري . ثم أكد لهم بكل مناسبة انه لا يملك أن يزيد أو ينقص أو يبدل شيئا من مضمون هذه الرسالة التي حمله الله مسؤولية ابلاغها الى الناس جميعا ، بل أكد البيان الالهي ذاته هذه الحقيقة قائلا :

« **ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من احد عنه حاجزين** » الحاقة/ ٤٤ ـ ٤٧ .

واذا ، فان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يقدم نفسه إلى العالم زعيما سياسيا ، او قائدا وطنيا ، أو رجل فكرة ومذهب ، او مصلحا اجتماعيا .. بل لم يتخذ لنفسه ، خلال حياته كلها ، أي سلوك قد يوحي بأنه يسعى سعيا ذاتيا إلى شيء من ذلك .

وإذا كان الأمر هكذا ، فان الذي يفرضه المنطق علينا ، عندما نريد أن ندرس حياة رجل هذا شأنه ، ان ندرس حياته العامة من خلال الهوية التي قدم نفسه الى العالم على أساسها ، لنستجلي فيها دلائل الصدق او عدمه على ما يقول !..

وهذا يلزمنا ، بلا ريب ، أن ندرس جميع النواحي الشخصية والانسانية في حياته ، ولكن على ان نجعل من ذلك كله قبسا هاديا يكشف لنا ببرهان علمي وموضوعي عن حقيقة هذه الهوية التي قدم نفسه الى العالم على أساسها .

نعم ، ربما كان مقبولا ان نزعم بأننا لسنا مضطرين ان نشغل أفكارنا وعقولنا بهذا الذي أراد محمد صلى الله عليه وسلم أن يشغل الناس به من معاني النبوة والرسالة في شخصه ، لو أن الأمر لم يكن متعلقا بمصيرنا ، ولم يكن له من شأن بحريتنا وسلوكنا .

أما وإن القضية متعلقة بذواتنا ، وتكشف – إن صح الأمر – عن واجبات في المعرفة والسلوك إن لم نسع إلى تحقيقها ، وقعنا من ذلك في مغبة شقاء عظيم وهلاك وبيل – إذاً فالمسألة أخطر من أن نتصور أنها لا تعنينا ، أو أن نمر عليها معرضين عابثين !..

من العبث البين عندئذ أن نعرض عن دراسة هذه الهوية التي عرف محمد صلى الله عليه وسلم العالم على نفسه من خلالها ، ثم نتشاغل بالتأمل في جوانب أخرى من شخصه لا صلة لها بنا ، وليس لها بتلك الهوية أي تعلق أو مساس .

أجل ، وأي عبث أعبث من أن يقف أمامنا هذا الرجل : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، ليكشف لنا عن ذاته ، ثم ليقول لنا محذرا بملء يقينه ومشاعره : « والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ووالله إنها لجنة أبدا ، او لنار أبدا » – ثم لا يهمنا من شخصه وكلامه هذا إلا التأمل في عبقريته أو فصاحته وحكمته ؟!..

أليس هذا ، كما لو أقبل إليك إنسان وأنت على مفترق طرق ، يعرفك منها على السبيل الموصل الهادي ويحذرك من المتاهات المهلكة ، فلم تلتفت من كل ما يقوله لك إلا إلى مظهره ولون ثيابه وطريقة حديثه ، ثم رحت تجعل من ذلك موضع درس وتحليل تستغرق فيه ؟!..

إن المنطق يقضي أن ندرس حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من شتى جوانبها : نشأته وأخلاقه ، وحياته الشخصية والبيئية ، وصبره وكفاحه ، وسلمه وحربه ، وتعامله مع أصدقائه وأعدائه ، وموقفه من الدنيا وأهوائها وزخرفها ، دراسة

موضوعية تتوخى الصدق والدقة بناء على المنهج العلمي الذي يقضي باتباع قواعد الرواية والاسناد وشروط الصحة فيها ـ أقول إن المنطق يقضي بأن ندرس ذلك كله ، ولكن على أن نتخذ منه سلما للوصول إلى نهاية من البحث والدرس نتأكد فيها من نبوته ، ونتبين فيها حقيقة الوحي في حياته . حتى إذا تجلى لنا ذلك بعد البحث الموضوعي المتجرد عن أي هوى أو عصبية ، أدركنا أنه صلى الله عليه وسلم ، لم يخترع لنا من عنده شرعة وأحكاما ، وانما كان أمينا على إبلاغها ايانا ، قضاء مبرما من لدن رب العالمين ، وعندئذ نتنبه إلى عظم مسؤولياتنا تجاه هذه الشرائع والأحكام رعاية وتنفيذا .

ثم إن كل من ألزم نفسه من دراسة السيرة النبوية بالجوانب الانسانية المجردة ، وراح يحللها بعيدا عن الهوية التي قدم النبي صلى الله عليه وسلم نفسه للناس على أساسها ، لا بد أن يحبس نفسه ضمن ألغاز مغلقة لا سبيل الى الخروج منها بأي تحليل .

لا بد مثلا أن يقف ذاهلا حائرا أمام لغز الفتح الاسلامي الذي قضى بأن يكون لطائفة من السيوف القديمة التي طالما أكل بعضها بعضا سلطان سحري في القضاء على حصن الحضارة الفارسية وجبروت البأس الروماني .

ولا بد مثلا أن يقف حائرا كل الحيرة أمام لغز القانون الذي تكامل في الجزيرة العربية قبل أن ينمو فيها نبت أي ثقافة ، وقبل أن يمتد عليها رواق أي مدنية أو حضارة !... تشريع متكامل توجت به الجزيرة العربية ، وهي لا تزال في مرحلة المهد من سعيها إلى المعرفة والثقافة والحياة الاجتماعية المعقدة ، كيف يتفق ذلك مع ما هو بدهي عند علماء الاجتماع من أن نشأة القانون المتكامل في حياة الأمة ثمرة لنضجها الثقافي والحضاري ، ونتيجة لتركيبها الاجتماعي المتطور ؟!..

ألغاز مقفلة ، لا يمكن لمن لم يضع نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الحسبان ، أن يجد لها أي حل في نطاق الأسباب والتعليلات المادية المألوفة ، وكم رأينا من باحثين ـ من هذا القبيل ـ يتطوحون بأفكارهم ذات اليمين وذات الشمال بحثا عن مخرج من الحيرة ، دون أن يعودوا من سعيهم بأي طائل .

ولكن سبيل المخرج من هذه الحيرة واضح مع ذلك .

فالسبيل هو أن نكون منطقيين وموضوعيين في دراسة السيرة النبوية ، نجعل من الهوية التي عرف محمد صلى الله عليه وسلم الناس على نفسه من خلالها محورا لدراسة حياته العامة كما قلنا .

حتى إذا أسلمتنا هذه الدراسة ، إلى اليقين بأنه نبي مرسل من قبل الله عز وجل ، أسلمتنا نبوته بدورها إلى المخرج من الحيرة والوقوف على السر بالنسبة لهذه الألغاز ، إن النبي الصادق في نبوته لا بد أن يكون مؤيدا من قبل الاله الذي أرسله ، ولا بد أن

يكون القرآن وحي هذا الاله إليه ، فالقانون المتكامل إذا تنزيله وشرعته وليس من تأليف أمة أمية حتى يقع العجب وتطبق الحيرة .
وهذا الاله يقول للمؤمنين في محكم تبيانه : (**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**) آل عمران/١٣٩ ويقول : (**ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين**) القصص/٥ ويقول : (**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بالف من الملائكة مردفين. وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم**) الانفال/٩ ، ١٠ .
فقد اتضح المبهم ، وظهر الحل ، وانجابت الغاشية ، وعاد الأمر طبيعيا إذ ينصر خالق القوى والقدر عباده المؤمنين به الملتزمين بمنهجه ويحقق لهم الفوز على من يشاء .
بل الحيرة كل الحيرة كانت تقع لو أن الله التزم النصر لرسوله والتأييد لعباده المؤمنين ، ثم لم تقع معجزة نلك النصر والتأييد .

* * *

وبعد :
لنذكر ، أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أعناقنا بيعة التزمناها يوم آمنا بنبوته وأخضعنا أنفسنا لسلطان رسالته .
ثم لنذكر أننا ما وفينا هذه البيعة حقها بعد ، ولنعلم أن هذا الدين العظيم الذي ابتعث به الأنبياء جميعا وكان محمد صلى الله عليه وسلم آخرهم جميعا ـ ليس فيه مكان لأعضاء الشرف ، ولا يحفل الا بأولئك الأعضاء العاملين فيه بيقين واخلاص .
ثم لنتأمل جميعا ما يقوله هذا الرسول الكريم في حديث صحيح ، وهو يصف مصير طوائف من أمته جاءوا مع الزمن فلم يثبتوا على العهد ، بل تخطفتهم الأهواء ، فغيروا الشرائع وتلاعبوا بالأحكام ... يقول :
« ألا ، ليزادن رجال عن حوضي كما يزاد البعير الضال ، فأقول ألا هلم ... ألا هلم ... فيقال : إنك لا تدري كم غيروا من بعدك ، فأقول : فسحقا ، فسحقا ، فسحقا » مسلم وابن ماجه والطبراني .
واذا فما أحرى بنا اليوم أن نجدد العهد ونعقد العزم ، على الوفاء بالحق الذي ابتعث به محمد عليه الصلاة والسلام سلوكا ودعوة ودفاعا . وانما العون الأكبر لنا على التنفيذ أن نعلم بأن هذه الدنيا ستطوى بما فيها عما قريب ، وأن لهذا اليوم الذي نلهو ونمرح فيه غدا قريبا نقف فيه بين يدي خالق عظيم ، وأن نيرانا كاوية من الندم ستلتهم أفئدة أولئك الذين أبوا إلا أن ينسوا الله فأنساهم أنفسهم .
وأختم حديثي بقول الله عز وجل :
(**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . فان تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم**) أواخر التوبة .

مائدة القارئ

العطاء .. والامساك

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

« ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا » رواه مسلم .

كريم القوم

جاء في الأثر أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ دخل بعض بيوته ، فدخل عليه أصحابه حتى اكتظ بهم المكان ، فجاء جرير بن عبدالله البجلى ، فلم يجد محلا ، فجلس عند الباب ، فلف رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رداءه فألقاه إليه ، وقال له ، اجلس على هذا ، فأخذه جرير ووضعه على وجهه ، وجعل يقبله ويبكي ، ثم أعطاه للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقال له : ما كنت أجلس على ثوبك ، أكرمك الله كما أكرمتني .

فنظر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يمينا وشمالا ، ثم قال : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه .

حكيم

شتم رجل أحد الحكماء ، فتغافل عن جوابه ، فقال الرجل : إياك أعني .

فقال الحكيم : وعنك أعرض .

رجل بلا نعل

خلع الرجل نعله ، ثم ذهب فجلس ، ولما قام بحث عنها فلم يجدها .. فقد سرقت .. فأقسم ألا يشتري غيرها ، فعوتب في ذلك ، فقال : أخشى أن أشترى نعلا فيسرقها أحد فيأثم .

قول الحق

قال تعالى على لسان عيسى ابن مريم :

(قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا . وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلني جبارا شقيا .، والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا . ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) . الآيات ٣٠ ـ ٣٥ من سورة مريم .

منطق الجبان

قيل لرجل جبان في بعض الوقائع : تقدم ، فأنشد يقول :

وقالوا تقدم قلت لست بفاعل — أخاف على فخارتي أن تحطما
فلو كان لي رأسان أتلفت واحدا — ولكنه رأس إذا راح أعقما
ولو كان مبتاعا لدى السوق مثله — فعلت ولم أحفل بأن أتقدما
فأوتم أولادا وأرمل نسوة — فكيف على هذا ترون التقدما

منطق الشجاع

قال أعرابي : إن الشجاعة وقاية ، والجبن مقتلة ، واعتبر من ذلك ، أن من يقتل مدبرا أكثر ممن يقتل مقبلا .

وقال آخر : الله مخلف ما أتلف الناس ، والدهر متلف ما جمعوا ، وكم من منية علتها طلب الحياة ، وحياة سببها التعرض للموت .

بين بخيل .. وكريم

كتب أحد البخلاء الى رجل سخي كريم ينصحه بالابقاء على ماله ويخوفه الفقر ..

فرد عليه السخي الكريم بقوله تعالى :

(الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) .

ثم قال : وإني لأكره أن أترك أمرا قد وقع ، لأمر لعله لا يقع .

العظمة النبوية

لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم

للشيخ احمد محيي الدين العجوز

قال تعالى : **(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)** الجمعة/٢ .

إن موازين العظمة الذاتية ومعاييرها لا تكون بوفير المال ، أو عديد الرجال ، ولا بصلابة السواعد وانفتال العضلات ، ولا ببسط السلطة ، وقوة النفوذ ، بل تكون بقدر عظمة النفس في نبلها وطهرها ، وعظمة الاخلاق في قداستها وسموها وعظمة الآثار في تقويمها واصلاحها .

فالعاملون في الاصلاح العام ، وتنظيم المجتمع هم الزبدة المختارة ، والخلاصة الخيرة وإذا قسنا الاعمال والجهود في هذا السبيل لرأينا ان أعمال النبي محمد صلى الله عليه وسلم فاقت كل عمل ، وان اصلاحه الشامل فاق كل اصلاح ، وان اخلاقه العظيمة فاقت كل اخلاق المصلحين ، وان شخصيته الفذة فاقت كل شخصية في دنيا الاجتماع البشري . فكان المصلح الأعظم ، والمنقذ الأكبر لأمم الأرض قاطبة . فلئن كان زعماء الأمم والشعوب اكتسبوا عظمتهم بالحروب الطاحنة ، التي قتلت مئات الآلاف من العباد ، ودمرت العديد من البلاد ، وقضت على كثير من الحضارات ، فان عظمة محمد صلى الله عليه وسلم بنيت على الرحمة بعباد الله وعلى غرس المحبة والسلامة بينهم ، وعلى تحقيق المساواة العامة فيهم ، بنيت على انقاذ المجتمع من اوبائه ، ومن عوامل فساده وشقائه وعلى تطهيره من شروره ، ومن فظائعه وفجوره بدعوته بحزم وتصميم ، وحكمة ولين الى الايمان بالله خالقه ، والعمل بدينه والانتهاج بشرعه .

ما جاء بحرب مدمرة ، وقنابل ذرية متفجرة ليهلك الحرث والنسل ، ويبث في الأرض الفساد . انما جاء رحيما متواضعا عطوفا متقشفا ، يرأف

بعباد الله ويخشع في صلاته لجلال الله ، ويسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء .
أتى بالأوامر الحكيمة التي تكفل مصالح البشر ، وتنظيم مجتمعهم ، وترقية حياتهم بالوسائل المصيبة ، والطرق العجيبة والتأثير البليغ ، في معالجة أمراضهم ، وتقويم اعوجاجهم ، وتوجيههم التوجيه السليم وربط قلوبهم برابطة الايمان والمحبة ، ورغبة الخير والخدمة ، واقامة العدالة الشاملة .
كان اذا وعظ اخذ بمجامع القلوب ، واذا علم كان من امهر علماء الاجتماع ، واعظم اساتذة النفس ، واذا ساس كان من اعلى القادة واذا حكم كان من اعدل الحاكمين ، واذا دبر ونظم كان من ادق المصلحين ، واذا اعطى كان من اجود الناس .
يوصي الرجل بنفسه ، وبخاصته من اهله واقاربه ثم بجيرانه والأباعد عنه ، ثم بالمسلمين ، والناس اجمعين . ويأمر كل مسلم بأن يصل من قطعه ويعطي من منعه ، ويحسن الى من اساء اليه ويقول الحق ولو على نفسه ، وان يعدل بالحكم ولو لمن ابغضه ، وان يحلم عند الغضب ويصبر على المصيبة ، ويرفق بالضعيف ويعين العاجز ، ويواسي المصاب ، ويجد في الخدمة ، ويلازم الصدق والاخلاص والتواضع واللين ، والامانة والحق يملأ النفوس رغبة في ثواب الله ، ورهبة من عقابه ، ليربي فيها وازع الدين قبل نبوته لم يكتسب المعرفة من مدرسة ، ولا من كتاب ، ولا من حكيم وفيلسوف بل جاء من وسط جاهلي ، من أمة أمية ، رزحت تحت كابوس الجهالة ودواعي التخلف ، سنين طويلة ، تخضع للأصنام ، وتستقسم بالازلام ، وتعمل فيها عصبيات قبلية ، وتتغلب عليها طبيعة الغزو والقتل ، واراقة الدماء وافناء الرجال والنساء ، وتتنازعها دولة الروم ، ودولة فارس ، ولا شأن لها في الحياة .
خرج من هذا الوسط الموبوء وقد كان من نواميس الفطرة أن ينشأ على عقائد بيئته ، وتقاليد عشيرته ، ولكنه جاء منزها عن تلك الرواسب ، بعيدا عن تلك الطبائع ، نقي الفطرة ، وقد نمت في نفسه شرائف الخصال ، وجلائل الخلال تكتنفه القداسة والنقاء ، والسمو والصفاء اجتمعت في نفسه الفضائل ، وتلاقت فيها الكمالات ، يدعو بلين وحكمة ولطف وإباء ، ويتحمل الأذى بصبر وجلد ، يعفو ويصفح ، لا يصده جفاء ، ولا يثنيه عن دعوته اضطهاد ولا يتهاون في دقائق الامور ، ولا يتغافل عن بسائطها ، حتى غير طبائع العرب الراسخة وألان القلوب القاسية ، فكف المجرم عن اجرامه ، والمعتدي عن اعتدائه ، والمقامر عن ميسره ، والفاجر عن فجوره ، حتى صفت النفوس ، وطهرت القلوب ، وزالت الخصومة ، وشاعت المحبة ، وترابطت الأفراد والجماعات ، وانحسرت النقائص وانزوت الشرور ، ونمت الفضائل ، وازدهر الخير والمعروف ، واصبح الناس في ابرك

العصور ، واسمى حياة ، واهنأ عيش بفضل شريعة الاسلام ، والتدبير النبوي الحكيم . ان قوانين العالم المتمدن لم تصل الى الآن الى شيء من هذه الغايات السامية ، ولا اتت بمثل تلك السعادة المنشودة ، ولا حققت للعالم من هناء ولا صفاء ، بل يمكننا ان نقول : انها ما اورثتهم الا شقاء وبلاء ، وتدميرا وتقتيلا ، فلا يعنون من المدنية الا بالمادة ، فمنها يبدأون ، واليها ينتهون ، اما الاصلاح النبوي فانه عني باصلاح النفوس ، وتنظيم المجتمع وبث مكارم الأخلاق ، ونشر الرحمة والعدالة وصيانة دم الانسان .

(إنما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق)

وفي رواية صالح الأخلاق : البخاري في الأدب ومالك في الموطأ .

فهذه هي العظمة الحقيقية ، التي اقام دعائمها الرسول العظيم .

فليست هي من عظمة الملوك الجبارين الذين يستعذبون انين الانسانية ، واستعباد الخلق واذلالهم .

فلقد خرج يوما على اصحابه ، فقاموا له اجلالا ، فنهاهم عن ذلك وقال : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا » رواه احمد .

وجاء اليه رجل في حاجة ، فلما رآه اصابته رعدة ، وتلعثم لسانه من هيبته ، فقال له : « هون عليك ، فاني لست بملك انما انا ابن امرأة تأكل القديد » (اللحم المجفف) البخاري .

وليست عظمته من عظمة القواد الظالمين ، الذين يرون السعادة في الفتك بالضعفاء ، وهدم البلاد على العباد ، والاستيلاء على خيراتها ومنافعها .

فلقد دخل مكة فاتحا منصورا ، وبيده جميع اسباب القوة والظفر ، ولم ينس ما اصابه من اهلها مدة ثلاثة عشر عاما من كيد وتنكيل ، واذى واضطهاد ، فلم يخامر نفسه صلف الفاتحين ، ولا جبروت المنتصرين ولا ثورة الانتقام ، وقد جلس حوله صناديد قريش ، وطغام الكبرياء والظلم الذين آذوه وظلموه ، وضايقوه واخرجوه وعيونهم اليه شاخصة ، وقلوبهم منه واجفة ينتظرون ما هو فاعل بهم ، واي عذاب اليم سينصب فوق رؤوسهم –

فيقول لهم بهدوء ودعة : ما ترون اني فاعل بكم ؟ فيقولون بلهجة من يستدر العطف والرحمة ، ويرجو الصفح والمغفرة اخ كريم ، وابن اخ كريم .

فيقول لهم تلك الكلمة الرقيقة ، والجملة الرحيمة الخالدة : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » البخاري .

الله اكبر ما اعظم عفوه وارحمه

وليست عظمته من عظمة الاغنياء الاشحاء الذين يسخرون عباد الله في سبيل شهواتهم واهوائهم ، ويسرفون في متعهم وفجورهم ، ويمنعون حق الفقراء من زكاة اموالهم بل كان كالريح المرسلة في الخير والعطاء والبذل والسخاء .

جاء اليه اعرابي من اجلاف العرب ، ومعه بعيران فجذبه بردائه بغلظة وجفاف وقال له بلؤم وخشونة : يا محمد احمل لي على بعيري من مال الله

الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ، ولا مال أبيك فقال له برفق وأناة : نعم . المال مال الله ، وانا عبده سيعطيك ما طلبت ويقاد منك ما فعلت ؟ فقال : لا.قال النبي : ولم ؟ قال : لا تجزئ السيئة بالسيئة ، ولكن تكافئ السيئة بالحسنة فتبسم النبي العظيم ، وامر ان يحمل له شعير على بعير ، وتمر على الآخر ، وانصرف شاكرا .

فعظمة محمد صلى الله عليه وسلم هي عظمة إصلاح وعدالة ، عظمة عطف ورحمة ، عظمة تثقيف وتهذيب ، عظمة بناء وتعمير عظمة سلم وأمان ، عظمة علم ومعرفة إنه عليه الصلاة والسلام لما شج وجهه وكسرت رباعيته ، وحل به من الألم ما يذهب بلب الحليم ، ورشد الحكيم ، لم يغضب عليهم بل اعتذر لهم على ما فعلوه ، ودعا لهم بالمغفرة قائلا « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون » رواه البخاري .

ولهذا استحق ان يقول الله تعالى في حقه : **(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)** التوبة/١٢٨ فكان من اثر جهاده وجهوده ، وتقويمه واصلاحه : ان العرب الذين كانوا بالأمس عاكفين على شن الغارات ، وسفك الدماء لأدنى سبب أصبحوا رحماء بينهم ، وقد قويت فيهم أواصر الاخوة والمحبة ، ونبذوا العداوة والبغضاء ، وأصبحوا صالحين مصلحين وهداة مرشدين .

وأولئك الذين كانوا جاهلين غافلين اصبحوا علماء مصلحين ومرشدين ، اجتازوا الآفاق ليعلموا الأمم المنحطة ، والشعوب المتخلفة .

وهؤلاء الذين قبعوا في الصحراء فقراء ضعفاء اصبحوا قادة ماهرين فاخذوا على ايدي اكبر دول العالم فارس والروم وفتحوا بلادها ، وهذبوا شعوبها . اصلاح والله عجيب ، وتقويم والله غريب ، مدهش في سرعته ، مذهل في قوته ، يحقق سعادة الروح ، ومطالب الجسد .

لم يعهد التاريخ انقلابا سريعا كهذا ، في كماله وشموله ، وامتداده واتساعه في الاعتقادات ، والعادات ، والاخلاق وشؤون الاجتماع العام ، في أية أمة من أمم الأرض ، وعن يد أي مصلح من المصلحين ، أو رسول من الرسل قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ولن يكون أبدا .

قال (لوثروب ستودارد) في كتابه (حاضر العالم الاسلامي) :

إن محمدا هو الذي استطاع في مدة وجيزة لا تزيد عن ربع قرن أن يكتسح دولتين من أعظم دول العالم ، وان يقلب التاريخ رأسا على عقب ، وأن يكبح جماح أمة اتخذت الصحراء المحرقة سكنا لها ، واشتهرت بالشجاعة ، ورباطة الجأش ، والأخذ بالثأر واتباع آثار السلف ، ولم تستطع الدولة الرومانية أن تغلب الأمة العربية على أمرها .

فمن الذي يشك أن القوة الخارقة التي استطاع بها محمد ان يقهر خصومه هي من عند الله) ؟

ليت شعري

« إنها لمن يعلل النفس بالآمال ثم يحققها بروائع الأعمال »

هى الآمــــال أرقبهـــا ، عذابا ... ولولاهـــا ، لكان العيش صابا
أرى هذى الحيـاة ، تضيـق سبلا ... وبالآمـــال ، ألمحهـــا رحابا

★★★

ومـــا عيش الفتـــى ، إلا الأماني ... يصـير بحلوهـــا ، شهــدا مذابا
ومــن يحيـــا بلا أمـــل ، مرجى ... له من دهـــره ، ضل الصوابا
وغايـــة همــه للجســـم ، ما قد ... يقدمـــه : طعامـــا ، أو شرابا
فدنيـــا جسمـــه الفانـــى عمار ... ودنيـــا روحـــه ، صارت خرابا !
وكيـــف يكون إنسانـــا إذا لم ... يدق على أمانـــي النفس ، بابا !

★★★

ومـــا نيـل المنـي بالقـــول ، لكن ... بكل الجهـــد ، ندركهـــا ، عذابا
ألا – إن الحيـــاة ، بهـــا صعاب ... وليس يذلل القـــول الصعابا
ومـــن رام المنـــى من غـــير كد ... ففى الأوهـــام عاش ، ولا ارتيابا !
ومـن طلـــب الـــلآلي ، يقتنصها ... بقـــاع اليـــم ، لا يخشى العبابا !

★★★

ودنيـــا المرء ، في يسر ، وعسر ... كمثـــل البحـــر : صفـــوا واضطرابا
يفيض على شواطئـــه ، بمد ... فيغمرهـــا ، عطـــاء ، لا حسابا
وأحيانـــا يجافيهـــا ، بجزر ... فيتـــرك أرضهـــا ظمـــآى ، يبابا !
فان لم يستجـــب للمـــرء ، دهر ... فقـــد يلفيـــه في غده استجابا
(ولا حزن يدوم ، ولا سرور) ... وكم في اليسر ، مر العسر ذابا !!

هذه الدنيا لمن ؟

للأستاذ محمود ابراهيم طيرة

★★★

ومن في معمعان العيش ، يخفق ذليل النفس ، في دنياه ، خابا !
ولكن سوف يظهر ، عن قريب له السر الذي قد عنه ، غابا
ويبدو سر خيبته ، قبيحا فيحذره ، ويجتنب اجتنابا
من الخطأ استفاد ، فعاد يسعى سديد الخطو ، يلتزم الصوابا
وكل الناس يخطىء ، في كثير وخير المخطئين فتى أنابا
وسبحان الذي لم يقص أمرا بواسع ملكه ، إلا أصابا !!

★★★

وهم بشر ، تغالبهم طباع وآدم قد عصى المولى وتابا !
فعيب المخطئين اليأس ، يضنى فيغدو العزم وهنا واكتئابا !
تناءت عنه غالية الأماني فمنها ، لا يحاول الاقترابا !
فشد العزم للآمال ، وانهض ولا تخش المخاطر ، والصعابا
وقارعها ، إذا طغت العوادى لتنتزع المنى منها اغتصابا !
فما استعصت على ذي العزم دنيا ولا دانت له ، إلا غلابا !!

★★★

وإن حياتنا ، أمل وسعى يحققه ، فلا يبقى سرابا
وليس السعى دون الصبر ، يجدى فمن يضرب بسهمهما أصابا !
وإن العمر صحراء ، وقفر فلست ترى به ، إلا الترابا !
وواحته المنى ، خضراء ، فاضت بماء العين ، سلسالا ، شرابا !
فان وافاك دهرك ، بالأماني فنجمك في العلا ، اجتاز السحابا !
وعش في هذه الدنيا ، سعيدا فجوك قد صفا ، والعيش طابا !

المركز الإسلامي الافريقي ودورته الحادية عشر في الكويت

شهدت الكويت محفلا إسلاميا مباركا .. حيث اجتمع دعاة الخير والاصلاح في رحاب الكويت المضياف كويت العرب والمسلمين ، من أجل العمل على نشر الدعوة الاسلامية في القارة الافريقية .

واذا كانت كتائب الجهاد قد توقفت منذ زمن ، وإذا كان قد مر بالمسلمين حين من الدهر غفلوا عن واجب الدعوة الى الله ، واذا كان الجهد الفردي مهما بلغ فهو محدود الأثر والنتائج ، إذا كان الأمر كذلك فلا بد من أن تتضافر الجهود ، وأن يتابع القوم ــ والله معهم ــ خطواتهم على طريق الدعوة الى الله ، من أجل توسيع الرقعة الاسلامية ونشر الضياء الى أقصى مكان يمكن أن يصل إليه النور .. النور الالهي .. والنور المحمدي .. والنور القرآني .

اجتمع القوم الكرام في رحاب الكويت رائدة التضامن الاسلامي والعربي ، هذا يعطي بسخاء مما أفاء الله عليه من مال ، وهذا يبذل قصارى جهده وفكره ، وهذه الدولة أو تلك ترسل بخيرة رجالها ليكونوا حملة المشاعل ــ مشاعل الضياء ــ الى أفريقيا السوداء .. ليحيلوا ظلامها الى نور يغمر القلوب .. فيخرجها ــ باذن الله ــ من موات إلى حياة .. وليصوغوا الانسان هناك صياغة جديدة ، صياغة إسلامية : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » وبذر الجمع المبارك (البذرة المباركة) فأضحت غرسا يعجب الزراع .. ويغيظ الكفار ، وتمثل ذلك في إنشاء المركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم .

وقد أنشئ هذا المركز بموجب نظام أساسي أقره مجلس الأمناء بتاريخ : ٢٥ من شوال ١٣٩٢هــ الموافق الأول من ديسمبر ١٩٧٢م .

وتتلخص أهداف المركز الاسلامي في :
أ ـ العمل على نشر الاسلام وتعميق الثقافة الاسلامية في إفريقيا .
ب ـ العمل على توضيح العقيدة الاسلامية وتثبيتها بين المسلمين في افريقيا .
جـ ـ اعداد الدعاة الى الاسلام .
د ـ خدمة المجتمعات الاسلامية عامة والافريقية خاصة .
هـ ـ التعاون مع الهيئات والمؤسسات الاسلامية على نشر الاسلام والثقافة الاسلامية .

مجلس الأمناء :

هذا والمركز مؤسسة إسلامية مستقلة يقوم على ادارتها مجلس أمناء يتكون على الصورة الآتية :
أ ـ ممثلون عن الدول التي ساهمت في إنشاء المركز وهي :
دولة الكويت ، دولة الامارات العربية المتحدة ، المملكة العربية السعودية ، جمهورية السودان الديمقراطية ، دولة قطر ، جمهورية مصر العربية ، سلطنة عمان .
ب ـ مدير المركز بحكم منصبه .
جـ ـ ممثلون للدول التي ترى الاسهام في المركز بعد موافقة مجلس الأمناء .
وقد انضمت المملكة المغربية مؤخرا .

اختصاصات مجلس الأمناء :

ومجلس الأمناء هو السلطة العليا التي تضع سياسة المركز وتشرف على تنفيذها وله أن يتخذ من القرارات ما يراه مناسبا لتحقيق الأهداف التي من أجلها أنشئ المركز وله على الأخص :
أ ـ اقرار اللوائح التنفيذية لهذا النظام .
ب ـ إقرار خطة الدراسة .
جـ ـ إجازة الميزانية السنوية للمركز .
د ـ الموافقة على الحساب الختامي للمركز .
هـ ـ إقرار النظام الخاص بمرتبات الأجهزة الادارية والمالية والتعليمية .
و ـ قبول التبرعات والاعانات والمنح والوصايا والأوقاف وغيرها على ألا يتعارض هذا مع الهدف الذي من أجله أنشئ المركز .

التنظيم المالي للمركز :

للمركز ميزانية مستقلة ، لها ايراداتها ومصاريفها المحددة ، وتخضع في مراقبة تنفيذها لمراقب الحسابات .
وتتكون الايرادات من :
أ ـ المساهمات التي تقدمها الدول المشتركة في المركز والتي وافقت على أن تكون نسبة إعاناتها كالآتي :

دولة الكويت	١٥٪
المملكة العربية السعودية	٢٥٪
دولة قطر	١٥٪
دولة الامارات العربية المتحدة	١٥٪

سلطنة عمان	١٠٪
جمهورية مصر العربية	١٠٪
جمهورية السودان الديمقراطية	١٠٪

ب ـ التبرعات والاعانات والمنح والوصايا والأوقاف .
جـ ـ ريع املاك المركز وما ينتج عن التصرف فيها .
د ـ غير ذلك من الموارد المذكورة في (أ ، ب ، جـ) مما يوافق عليه مجلس الأمناء .

مصروفات :

هذا .. وقد بلغت تكاليف التشييد والتشغيل خمسة ملايين جنيه سوداني تدفع خلال ثلاث سنوات من قبل الأعضاء حسب النسبة المبينة أمام كل دولة .

انجازات المركز :

أ ـ إنشاء معهد الدراسات الاسلامية الذي دخل عامه الدراسي الثالث وهو يضم ٢٧٦ طالبا جاءوا من ٢٠ دولة افريقية ، ومن المتوقع أن يستوعب المركز بعد استكمال منشآته حوالي ٥٠٠ طالب .
ب ـ تدريب الطلاب وتزويدهم بحرف صناعية الى جانب تثقيفهم وتحصينهم بالمعلومات والدراسات الاسلامية ، وبذلك يوجد الدعاة العاملون على قاعدة اسلامية .
جـ ـ العمل على أن يكون هناك ارتباط بين المركز وبعض الجامعات الاسلامية لتأهيل بعض المتفوقين من المعهد للالتحاق بهذه الجامعات الاسلامية ليستكملوا دراساتهم الجامعية .

طموحات المركز :

أ ـ يعمل أعضاء المجلس على أن يحلقوا طلابا من دول أخرى بالمعهد ، حتى يكون المعهد شاملا لجميع أبناء افريقيا ، ليعودوا إلى بلادهم بعد الدراسة دعاة إلى الله وهم أدرى بأمراض مجتمعهم ، وبالطريقة الأجدى في علاجهم ، وكما يقولون : أهل مكة أدرى بشعابها فيعم النور جميع افريقيا .
ب ـ افتتاح فروع للمركز في بعض الدول الافريقية لتكون امتدادا له ، وليسهل على الافريقيين الوصول إلى مراكز الاشعاع المحمدي .. والاغتراف من الثقافة الاسلامية .. ولسوف يكون ذلك في القريب إن شاء الله .
جـ ـ عقد دورات تدريبية للمدرسين ولبعض الأفارقة المسلمين لتعلم اللغة العربية وأصول الدين في فترات مناسبة يراها أعضاء المركز .
د ـ إنشاء مركز بحوث للدراسات الاسلامية لكي يعطى صورة صادقة عن القارة الأفريقية والنشاط الاسلامي بها ، وعدد المسلمين في كل دولة افريقية .

اجتماعات مجلس الأمناء :

يعقد مجلس الأمناء اجتماعاته على دورتين في العام ، ولرئيس الدورة أن يدعو لاجتماع طارئ عند الضرورة ، أو إذا تقدم نصف الأعضاء على الأقل بطلب مكتوب لعقد المجلس .
والاجتماعات تعقد عادة بالخرطوم إلا أنه يجوز عقدها في إحدى الدول المساهمة .

الدورة الحادية عشرة لمجلس أمناء المركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم ـ التي عقدت في الكويت

عقد مجلس أمناء المركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم اجتماعه الحادي عشر بمدينة الكويت في الفترة ما بين يوم الاثنين ١٠ ذى القعدة ١٣٩٩هـ الموافق الأول من أكتوبر ١٩٧٩م وحتى الخميس ١٣ ذى القعدة ١٣٩٩هـ الموافق ٤ اكتوبر ١٩٧٩م برئاسة الاستاذ محمد ناصر الحمضان وكيل وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت وعضو مجلس الأمناء .

هذا وقد عقدت جلسة الافتتاح تحت رعاية سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح .. الذي أناب السيد وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الاستاذ يوسف جاسم الحجي .

وبعد أن افتتحت الدورة بتلاوة مباركة من كتاب الله الكريم ، تحدث السيد وزير الأوقاف والشئون الاسلامية فقال :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهداه ودعا بدعوته الى يوم الدين .

وبعد : فنيابة عن سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح الذي يرعى هذه الدورة المباركة على أرض الكويت ، أرحب بكم لحضور هذا الاجتماع ، كما أرحب بكل الاخوة الذين لبوا الدعوة ..

إن الدورة الحادية عشرة لمجلس أمناء المركز الاسلامي الافريقي والتي نفتتحها اليوم ـ بعون الله وتوفيقه ـ لهي استمرار للدور الذي تؤدونه في تحقيق أهداف هذا المركز الاسلامي ، والذي سهل للطالب الافريقي الراغب في الدروس الشرعية والعلمية الالتحاق به ..

وعن دور الكويت في هذا الجهد الاسلامي قال سيادة الوزير :

إن الاهتمام الذي توليه الكويت لهذا الجهد الاسلامي المشترك نابع من مبادرتها إلى كل ما من شأنه تعميق القيم الدينية داخل البلاد وخارجها ، وهو منسجم مع سعيها الدائب للالتزام التام بالاسلام ثقافة ونظاما ـ بالاضافة لتمسكها به عقيدة وشعائر ـ واذا كانت سمة هذه الأمة أنها خير أمة أخرجت للناس فذلك مرهون باستمرارها في حمل أمانة هذا الدين وأدائها الى شعوب الأرض على اختلاف ألسنتها وألوانها ، لاخراجها من جور جاهلياتها إلى عدل الاسلام وهديه ونوره .

ثم دعا في كلمته إلى توحيد الجهود فقال :

ولما كان الاهتمام بامر المسلمين معيارا لانتظام المسلم في جماعتهم (ومن لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم) ، وكانت الدعوة إلى الاسلام ونشر ثقافته فريضة لازمة على الأفراد والهيئات وأولي الأمر ، فان من تمام هذا الواجب الكفائي توحيد الجهود وتنسيقها ، وبذل ما يتطلبه نجاحها من مال ورجال ..

وتحدث سيادته عن المركز ومصنع الدعاة فقال :

ومن هذا المنطلق وجد المركز الاسلامي الافريقي ، بالتقاء الرغبات الصادقة من الدول المساهمة في إنشائه ، لتجعل منه منارة لنشر الاسلام وثقافته في القارة الافريقية ذات الأصول الاسلامية العريقة ، وقد انبثق عن المركز معهد للدراسات الاسلامية ما هو إلا مصنع للدعاة الاسلاميين المؤهلين ، وهو ـ وفروعه المنوي إنشاؤها ـ بمثابة حصون منيعة دون الجهود المريبة التي تبذلها المؤسسات التبشيرية (وبعبارة أوضح : الطلائع الاستعمارية) لاحتكار مراكز التعليم والخدمات الطبية والاجتماعية لغاياتها التعصبية ، او لاشاعة ثقافة تؤدي لتنكر المسلمين لدينهم ، فضلا عن الحيلولة بين الاسلام والشعوب المتعطشة إليه من ضحايا حملات الاستعمار أو أسرى المعتقدات الموروثة .

وعن دور المراكز الاسلامية في العالم قال سيادته :

هذا ، وان دولة الكويت ـ بالتعاون مع بعض الدول الاسلامية الشقيقة ـ ترعى المراكز الاسلامية المنتشرة في أرجاء العالم والتي تعد بالمئات ، باعتبارها مصدر اشعاع للدعوة ، وواحات تلتقي فيها الجاليات الاسلامية ، وتتعاون لحفظ الذات من الضياع أو الذوبان ، وتجعل منها قوة لها وزنها في القضايا الاسلامية ، وفي نشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية (لغة القرآن) ..

وعن الكويت ودورها في خدمة الاسلام والمسلمين قال :

والكويت تبارك كل جهد يحقق نصرا للاسلام وصلاحا للمسلمين ، وخاصة غير الناطقين بالعربية ، وترى ذلك واجبا على كل مستطيع من الحكومات والهيئات والأفراد ، لكي تستنير هذه الشعوب بنور الاسلام وتعاليمه ، وتتقي شرور المؤامرات والدسائس التي يدبرها المستعمرون لنشر أفكارهم الهدامة .

وفي الختام شكر السيد الوزير الوفود الكريمة الممثلة للدول المساهمة وتوجه بالشكر الى سمو أمير البلاد راعي النهضة في هذا البلد والى سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الذي تفضل فشمل برعايته افتتاح هذه الدورة .

ثم ألقى السيد محمد ناصر الحمضان وكيل وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية ورئيس الدورة الحادية عشرة لمجلس أمناء المركز الاسلامي الافريقي الكلمة التالية :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ..

وبعد ، فان المركز الاسلامي الافريقي ـ الذي نشهد اليوم افتتاح دورته الحادية عشرة على أرض الكويت ـ رمز لتكاتف الجهود الاسلامية وتعاونها على البر والتقوى ، فهو مركز واحد لكنه بمثابة مراكز متعددة لسعة نطاقه ، وتنوع الطاقات لدعمه ، ولهذا كان التعاون بين الدول الاسلامية المقتدرة ضروريا لتكون الأعمال في مستوى الآمال ، فيد الله مع الجماعة ، وفي الاجتماع بركة وقوة .. ولهذا بادرت الكويت الى تلبية النداء لتاسيسه منذ سنوات وشاركت في جميع دوراته ، ورحبت قولا وعملا بكل المشاريع المقترحة لتقوية المركز ومضاعفة أنشطته ..

وعن مسئولية المسلمين تجاه إفريقيا قال سيادته :

إن مسئولية المسلمين تجاه القارة الافريقية كبيرة جدا ، لما رزحت تحت وطأة الاستعمار من عهود طويلة لم يغادرها إلا بعد أن ترك فيها بصمات التفرقة والافقار والانتماءات الثقافية المختلفة ، كل ذلك ليحول دون تجديد ماضيها حين كانت محضنا للعديد من الممالك الاسلامية الزاهرة ، وكانت قوافل الدعاة تجوب أرجاءها وتنشر فيها المعرفة والحضارة ، وتوثق صلاتها بشعوب الشرق الاسلامي ، ولكن لم تعد كافية تلك الجهود الفردية السابقة التي كانت تتمثل في تاجر مسلم يستهوى باستقامته السكان ، أو في رجل زاهد ينشر العلم والصلاح بما أوتيه من حكمة ، أو وال عادل يحبب رعيته بالاسلام من خلال حكمه العادل وبسطه الرفاه والأمن . فكان لا بد من مواكبة التطور في القارة بعد تعدد الكيانات وانتشار المدنية الحديثة ، وذلك بتكاتف الجهود ليكون للعمل الاسلامي مركز تناط به مسئولية الدعوة للاسلام ونشر ثقافته وترعاه دول لها علاقاتها المرموقة بدول القارة الافريقية وشعوبها ، وبذلك يتوفر للدعوة رجالها المؤهلون ويكون للثقافة الاسلامية ولغة القرآن امتدادها ، ويتحقق للمجتمعات الاسلامية ما تتطلع إليه من خدمات نقية خالصة .

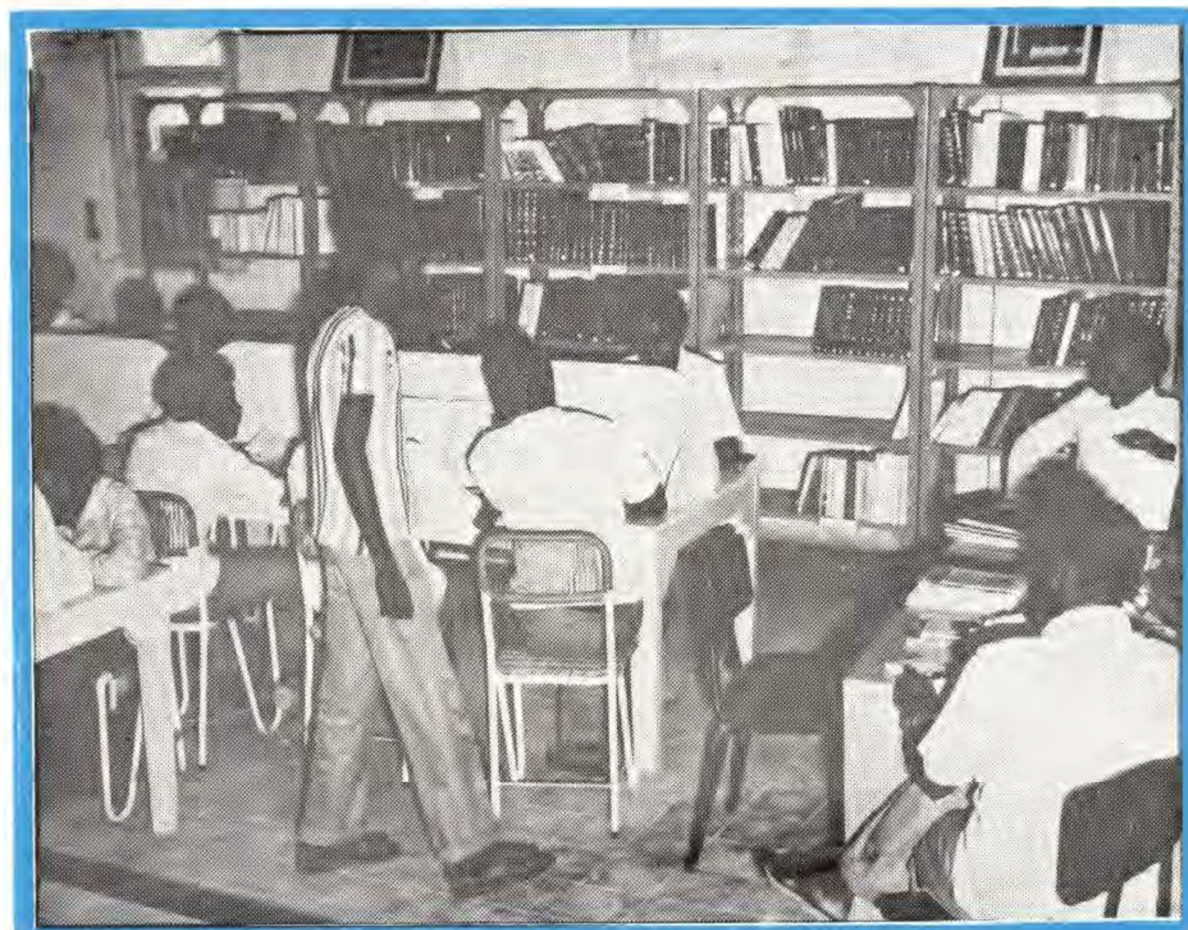
وعن مجلس أمناء المركز قال السيد وكيل الوزارة :

من أجل هذا تكون مجلس أمناء لانشاء المركز الاسلامي الافريقي في الخرطوم ، وساهمت فيه كل من دولة الكويت ، ودولة الامارات العربية المتحدة ، والمملكة العربية السعودية ، وجمهورية السودان الديمقراطية ، ودولة قطر ، وجمهورية مصر العربية ، وأخيرا انضمت المملكة المغربية ، وترك المجال مفتوحا للدول التي تنشط للاسهام في المركز بمعرفة المجلس .

ومضى سيادته في حديثه مبينا ثمرات المركز فقال :

وقد بادرت الدول المذكورة بما أفاء الله عليها من بركة في المال أو وفرة في الرجال ، الى تاسيس المركز على





تقوى من الله ورضوان : وكان من ثمراته إنشاء (معهد الدراسات الاسلامية) الذي استقطب مئات من أبناء الدول الافريقية ، والسعي مستمر لتمثيل جميعها في طلاب المعهد ليكونوا ـ بحق ـ سفراء في تمثيل حاجات تلك البلاد وإشباعها فكريا واجتماعيا .

لقد كان إنشاء هذا المعهد تجربة عملية فريدة لتحقيق الأمل المنشود في تنظيم الدعوة الى الاسلام بتربية تدريجية لفئة مختارة من الشباب الافريقي ليكونوا دعاة يعلمون الناس الخير ، وهم إلى جانب ذلك مؤهلون للاكتفاء ذاتيا من حيث مورد العيش لأن من خطة المعهد تدريب الطلبة على إتقان مهارات صناعية هامة ، كما أن هؤلاء الطلبة معايشون للبيئة التي ستكون ميدانا لنشاطهم ، عارفون بعاداتها وأساليب العيش والسلوك فيها وبهذا يكونون صالحين لقيادة شعوبهم فكريا ، أو لتوجيه القادة وتقديم البطانة الصالحة التي تذكر بالخير وتعين على فعله .

وعن التطلعات المستقبلية قال السيد الوكيل :

لقد كان لتعاون الدول والهيئات الاسلامية مع المركز من جهة ، وللاقبال على معهد الدراسات الاسلامية من جهة أخرى ما يشجع على استحداث فروع للمركز ومستويات أعلى للدراسة ، وعسى أن يتم ذلك في المستقبل القريب باذن الله ليعم خيره وتتحقق أهدافه المتمثلة في إعداد الدعاة لاصلاح أحوال المسلمين وخدمة مجتمعاتهم وإغنائها عن استعطاء المعرفة المشروطة .. كما يهدف إلى نشر الاسلام وتعميق الثقافة الاسلامية مع تاكيد التعاون والتنسيق مع الهيئات والمؤسسات الاسلامية ويتصل بهذه الأهداف المباشرة توضيح العقيدة الاسلامية وتثبيتها بين مسلمي القارة بعيدا عن الشوائب التي قد تلحق بها بفعل رواسب التقاليد المحلية الموروثة أو التشويه الذي تحدثه ضحالة المعرفة بالاسلام في ظروف تركت فيها الثقافة الاسلامية لمصير مجهول لا يحميها منه إلا التضحيات الفردية المدهشة التي يقدمها المسلمون بايثار نادر وإخلاص عجيب .

وعن أهمية المركز قال السيد الوكيل رئيس الدورة :

إن نظرة فاحصة للموازنة بين المركز الاسلامي الافريقي وبين أمثاله من المراكز التي تلقى الدعم والعون المناسب تكشف لنا عن وجوه الأهمية لهذا المركز فهو ـ من خلال المعهد المنبثق عنه ـ يخرج الدعاة .. وتخريج الداعية معناه تكرار الدعوة مادام هؤلاء الدعاة في الميدان .. كما أنه قد اختار لهذه الغاية تاهيل الدعاة من الطاقات المحلية ، وكما يقول المثل : أهل مكة أدرى بشعابها . وهؤلاء الدارسون أقدر على فهم مشكلات البيئة وقد زودوا بالعلاج الناجع لها وقد بلغ عدد الطلاب الدارسين بالمعهد مائة وثمانين طالبا ينتمون إلى تسعة عشر قطرا افريقيا . ومن الناحية المادية فان هذا المركز يمول بالصورة الكافية من دول تتعهده وتتعاهد على تعزيزه وتنميته .

وأخيرا فان المركز ومظاهر نشاطه يخضع لعملية متابعة نصف سنوية من خلال الدورات التي بلغت الآن إحدى عشرة دورة للاطلاع على سير العمل فيه ، وتقويم خطواته أولا باول ، وتطوير أنشطته وتنويعها .. كما أن مهمة الاشراف المباشر على المركز وتوابعه قد أسندت الى (مجلس الادارة) الذي يتم تعيينه من قبل مجلس أمناء ، ليكون عونا في ترجمة التوصيات الى واقع عملي .. فضلا عن قيام مجلس الادارة ومدير المركز بالأعمال التنفيذية التي يتطلبها سير العمل وتقديم التقارير والمقترحات لتيسير عملية المتابعة لنشاط المركز وتوجيهه والتخطيط له .

ثم تحدث السيد الدكتور محمد احمد ياجي . مدير المركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم فقال :

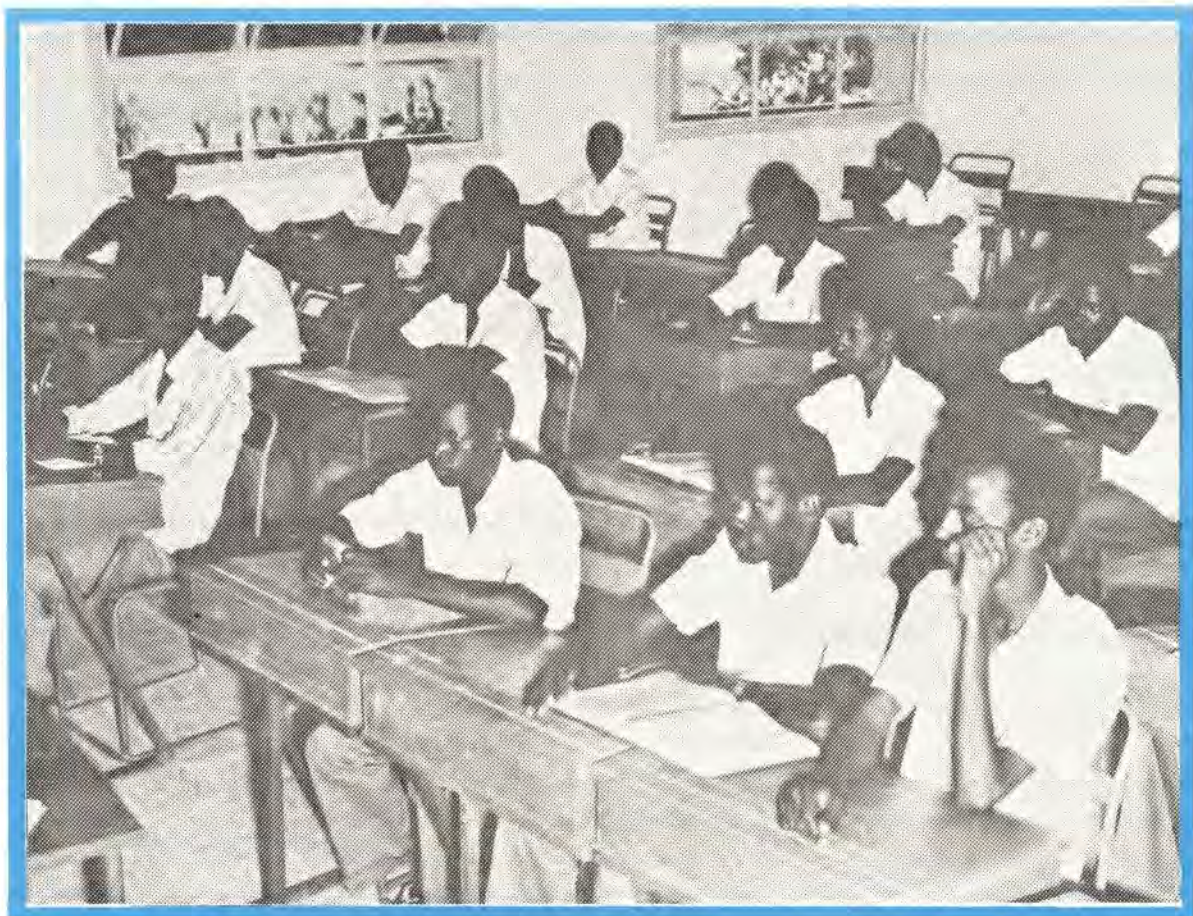
صاحب المعالي السيد يوسف الحجي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية .

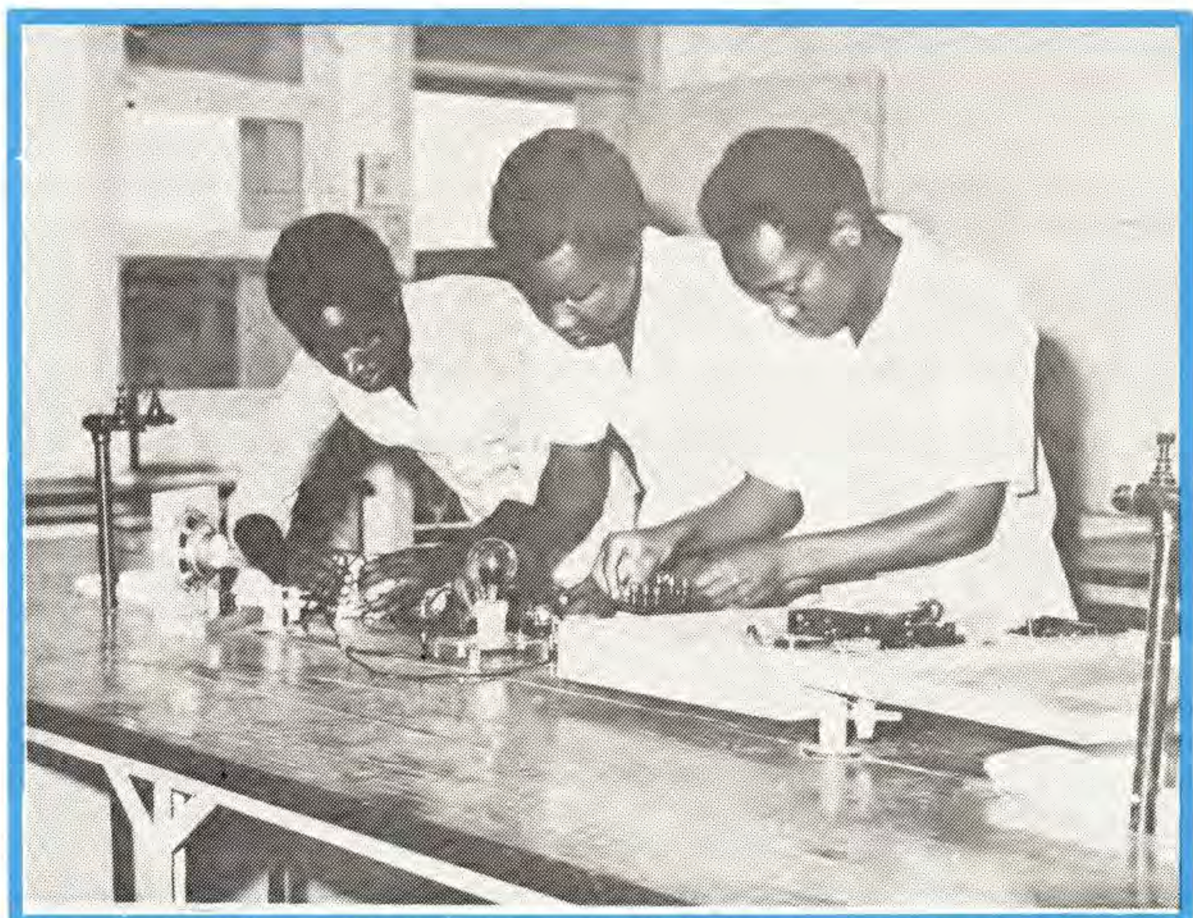
السيد رئيس الدورة الحادية عشرة لمجلس امناء المركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم .

السادة الضيوف الأجلاء .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

إنه لمن دواعي سرورنا وفائق غبطتنا ان تنعقد الدورة الحادية عشرة لمجلس أمناء المركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم في مدينة الكويت تحت رعاية ولي العهد رئيس مجلس الوزراء وبرئاسة الاستاذ محمد ناصر الحمضان وكيل وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت ، ومصدر هذا السرور ومنبع هذه الغبطة هو أن دولة الكويت كانت وما تزال سباقة في خدمة الاسلام والمسلمين ليس في افريقيا وحدها ولكن يدها البرة قد امتدت الى جميع انحاء العالم تقيل عثرة المسلمين ، وتقارع افكار الملحدين والمبشرين ،





وتثري المعاهد الاسلامية والمدارس القرآنية في بقاع آسيا وفي أصقاع أوروبا وامريكا ، وفي ظلمات أفريقيا بالعون المادي وبالمساعدة العينية وبالكتاب المقروء في كل اللغات .

واجتماعنا اليوم هنا ما هو الا ثمرة من ثمرات جهاد دولة الكويت في سبيل نشر الاسلام والأخذ بيد البلاد الافريقية التي طغى عليها الاستعمار فمحا دويلاتها الاسلامية ، وحبس انفاس المسلمين فيها ، وأتاح الفرصة لأبناء المسيحيين من خريجي مدارس الكنائس ليحتلوا الوظائف المرموقة وليتسلطوا على رقاب الأغلبية المسلمة من بني جنسهم والشواهد على ذلك كثيرة لا تحتاج الى بيان .

من أجل ذلك قام المركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم بمجهود عربي يهدف نحو تعليم ابناء المسلمين الافريقيين تعليما يمكنهم من معرفة اللغة العربية معرفة تامة ، ويساعدهم على التعمق في دراسة العقيدة الاسلامية ، ويحفزهم على أن ينهلوا من الثقافة العربية بالقدر الذي تكتمل به شخصيتهم ، ويتحقق به لهم العيش الكريم بين مواطنيهم في مناصب قيادية لياخذوا بايدي أهلهم وذويهم ، وليقفوا ضد التيار الكنائسي الجارف الذي يجتاح بلادهم .

ولقد استطعنا بحمد الله وشكره في خلال السنوات الثلاث الفائتة أن نجلب للمركز طلابا بلغوا دون المائتين بقليل جاءوا الينا من عشرين قطرا افريقيا بما في ذلك السودان حيث لا تزال توجد به بعض مناطق التبشير المسيحي جاءوا الينا من جزر القمر شرقا ، حتى ساحل العاج غربا ، جاءوا من كينيا ويوغنده وتنزانيا وزنجبار ورواندا وبورندي والكونغو وزامبيا وافريقيا الوسطى وتشاد والنيجر والكمرون ونيجيريا وبنين ومن الصومال والحبشة والسودان واصبحت هذه المجموعة تمثل منظمة للوحدة الافريقية داخل مباني المركز يربط بين قلوبها الاسلام ويثبت اقدامها الايمان وشعارها دائما وأبدا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الناس سواسية كاسنان المشط لافضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » .

ثم تحدث السيد مدير المركز عن المركز فقال :

لقد كانت تجربتنا يا حضرات السادة تجربة فريدة في نوعها فالمركز الاسلامي ليس كتابا لتعليم وحفظ القرآن ، ولا هو بمدرسة ابتدائية يجلب لها صغار الطلاب ولا هو بمدرسة متوسطة للصبيان ، ولا هو بثانوية عليا تؤهل للمعاهد والجامعات ولكنه مزيج من هذا كله فالقادمون اليه تتفاوت مستوياتهم وتختلف مقدراتهم وتتباين امزجتهم وطبائعهم ، وكان لا بد من ان نصهر هؤلاء جميعا في بوتقة الاسلام علما وسلوكا وخلقا . جاء منهم من لا يعرف الا قليلا من العربية ولا يعرف غير ذلك الا قليلا من الآيات القرآنية يرددها بلا فهم ويحفظها بلا معنى ومنهم من يعرف الانجليزية ولا يعرف غيرها الا لغته القومية ، ومنهم من لا يجيد الا الفرنسية التي يتكلمها من صغره ، ومنهم من لا يعرف لا هذا ولا ذاك . وكان لزاما علينا أن نتجاوز في بعض الاحيان عن شروط القبول التي تحتم معرفة اللغة العربية وتجعلها لغة التدريس وذلك لان بعض البلاد الافريقية في حاجة ماسة لهذا التجاوز .

وعن منهج الدراسة قال :

ومن أجل ذلك انتقينا نخبة من المدرسين السودانيين من خريجي الجامعات ممن مارسوا التدريس طويلا ليجربوا منهجا تكرمت جامعة الرياض جزاها الله كل خير بوضعه كما وقع اختيارنا على مجموعة من كبار الاداريين ممن مارسوا مثل هذا العمل وشغلوا مراكز مرموقة في الدولة ، واتجهت جهودنا جميعنا نحو غاية بينة واضحة هي جعل اللغة العربية لغة التدريس ، ناخذ بيد الطالب ردحا من الزمن عن طريق اللغة التي يعرفها حتى اذا ما انطلق لسانه وقوى بيانه نقلنا اليه شتى المعارف من لغات اجنبية الى علوم اجتماعية الى رياضيات اولية ومتقدمة الى علوم الكيمياء الحديثة مركزين على الدراسات الاسلامية والعربية .

تقييم ما تم انجازه :

بدأنا ذلك في اكتوبر ١٩٧٧م . فماذا كانت النتيجة بعد سنوات ثلاث ؟ ـ انني لا استطيع ان اخفي سروري وإعجابي بنجاح التجربة ، وقد كادت أن تؤتي أكلها : فالتلاميذ الذين جاءوا الينا غرباء الوجه واليد واللسان نطقوا العربية في يسر وحسنت معرفتهم الاسلامية في يقين وصاروا يصلون ائمة لزملائهم في المسجد ويؤذنون للأوقات الخمسة وتجلجل اصواتهم لتسمع المركز وما جاوره من القرى ، وأقاموا الندوات والمحاضرات في جمعياتهم الادبية بلسان عربي مبين وحفظ بعضهم ربع القرآن أو ثلثه في جمعياتهم القرآنية ، وبلغ بعضهم مستوى يبشر بدخولهم الجامعات الاسلامية هذا العام باذن الله .

اهداف اخرى للمركز :

ان المركز الاسلامي الافريقي وهو يخوض هذه التجربة التي تحتاج الى مراجعة الفينة بعد الفينة سيسير قدما نحو تحقيق اهدافه الأخرى بعد أن تكتمل مبانيه التي شارفت على الاكتمال والتي بلغت تكاليفها خمسة ملايين من الجنيهات ، ومن هذه الاهداف ان تقوم فيه شعبة للبحث والنشر لترجمة الكتيبات الاسلامية ونشرها باللغات الافريقية الحية ، وأن تقوم به شعبة للدعوة تستجلب الشباب الافريقي المثقف وكبار العلماء الاسلاميين لمناقشة الموضوعات الاسلامية والمشاكل التي تواجههم في نشر الدعوة ، وشعبة للخدمات العامة لدراسة احوال المسلمين الاجتماعية وتقديم العون لهم وغير ذلك من



النشاط من تدريب للدعاة ونشر للعقيدة ومتابعة للمتخرجين ، ونامل ونؤمل في مشاريع اخرى نسال الله أن يحققها .

وعن انطلاق الرمح الاسلامي ودفعه من الكويت والدول المؤسسة قال محدثنا الفاضل :ـ

إنني يا حضرات السادة واثق كل الثقة من أن دولة الكويت ستظل سباقة تشد من عضدنا مؤيدة ومؤزرة بزميلاتها الدول العربية الأخرى ولا أقول لكم في هذا الجمع الكريم إلا ما قاله زميل لي من قبل لجلالة الملك فيصل رحمه الله عندما ذهب اليه على رأس وفد يطلب العون لهذا المركز عند نشاته الأولى قال له : نحن في السودان يا صاحب الجلالة انما نمثل رأس الرمح بالنسبة لنشر العقيدة الاسلامية في افريقيا فان أنت دفعت هذا الرمح بيدك القوية مضى الرمح قويا وتعمق ، وان وقفت دونه فسوف لا نقول إن جلالته قد أبى ولكنا سنقول إن الرمح قد أصابه الصدأ . ودفع جلالته رحمه الله الرمح ، وهانتم تدفعونه ، وها هو الرمح يمضي ويمضي وها هو الاسلام يضيء .

وفي الختام حيى السادة اعضاء مجلس الأمناء في اجتماعهم الحادي عشر وشكر الكويت لحسن استقبالها للوفود ولكرم وفادتها ، وسال الله أن يوفق الجميع لما فيه خير الاسلام والمسلمين .

ثم انتهى الحفل الكريم .. على أن تبدأ جلسات المؤتمر فيما بعد لمناقشة جدول الأعمال ، وتقديم التقريرات والتوصيات .

الوفود :

وفي هذا الاجتماع الحادي عشر تمثلت البلاد المؤسسة بوفودها على النحو التالي :

دولة الكويت : ويمثلها :الاستاذ احمد ابراهيم المديني مدير إدارة المساجد .

المملكة العربية السعودية : ويمثلها : الدكتور عبدالعزيز عبدالله الفدا مدير جامعة الرياض . والاستاذ امين عقيل عطاس وكيل وزارة الحج والاوقاف .

جمهورية السودان الديمقراطية : ويمثلها : فضيلة الشيخ : عوض الله صالح مفتي الجمهورية . والدكتور : عبدالله الطيب الأستاذ حاليا بالمغرب .

دولة الامارات العربية المتحدة : ويمثلها : الاستاذ صقر ماجد المري وكيل وزارة العدل والشئون الاسلامية والاوقاف . والاستاذ سعيد عبدالله حارب رئيس تحرير مجلة المنار .

دولة قطر : ويمثلها : الاستاذ محمد الشافعي صادق مساعد مدير الشئون الدينية .

جمهورية مصر العربية : ويمثلها : الدكتور عبدالفتاح حسن مستشار فني ووكيل وزارة الأوقاف لشئون مكتب الوزير .

كما حضر الاجتماعات : الدكتور محمد احمد باجي مدير المركز .

والأستاذ محمد العربي ــ مقرر المجلس ــ وهما من السودان الشقيق . والسيد احمد عيسى الأزبط .. مساعد المقرر .

القرارات : وبعد تدارس المواضيع المدرجة في جدول الاعمال ، اتخذ القرارات التالية :

اولا : إسناد مباني السور والملاعب والمخازن وورش التعليم والمجاري الخاصة بالمرحلة الثانية بمباني المركز الاسلامي للمقاول الحالي حسب شروط العقد المبرم معه .

ثانيا : تخفيفا للنفقات التي يتكبدها اعضاء مجلس الادارة في ترحالهم لحضور جلسات المجلس . قرر مجلس الامناء رفع مكافاة اعضاء مجلس الادارة الى ٢٥ جنيها سودانيا لكل واحد منهم عن كل جلسة على ان يبقى الحد الاقصى وهو ٥٠٠ جنيه سوداني في العام على ما هو عليه .

ثالثا : قرر المجلس شراء خمس عشرة الة كاتبة عشر منها لاتينية وخمس عربية وما يلزم من ادوات للتدريب على اعمال السكرتارية في حدود مبلغ سبعة الاف من الجنيهات .

رابعا : قرر مجلس الأمناء قبول مائة وخمسة عشر طالبا للعام الدراسي ١٩٨٠ ــ ١٩٨١ م . موزعين على





خمس وعشرين دولة افريقية بنسب مختلفة .
خامسا : قرر اجازة توصيات اللجنة المالية الخاصة بميزانية المركز لعام ١٤٠٠ هـ .
سادسا : قرر الموافقة على توصية اللجنة المالية الخاص بميزانيتي التشغيل والتشييد لعام ١٤٠٠ هـ .
سابعا : قرر تاجيل النظر في لائحة شروط الخدمة للاجتماع الثاني عشر بالخرطوم ، وذلك لاعطاء فرصة للاعضاء لدراسة توصيات لجنة المالية الخاصة باللائحة .

ثامنا : قرر منح جميع العاملين الذين لم يشملهم القرار رقم ٨ و ٩ من اجتماع مجلس الامناء التاسع راتب شهر عن المدة من ١ شعبان ١٣٩٩ هـ . الى ٣٠ ذي الحجة ١٣٩٩ هـ . على ان تخصم المصروفات الناتجة عن هذا القرار من وفورات ميزانية ١٣٩٩ هـ .
تاسعا : قرر ان يكون صرف المرتبات لجميع العاملين بالمركز الاسلامي الافريقي حسب الشهور الهجرية .
عاشرا : بناء على توصية مجلس الادارة قرر مجلس الامناء تاجيل النظر في مذكرات المنهج الى الاجتماع الثاني عشر في ١٤ ربيع الثاني ١٤٠٠ هـ .
حادي عشر : قرر تاجيل النظر في اللائحة المالية للمركز الاسلامي الافريقي والمقدمة لهذا الاجتماع لتنظر في اجتماع ربيع الثاني ١٤٠٠ هـ .
ثاني عشر : بناء على توصية مجلس الادارة قرر مجلس الامناء تاجيل النظر في البت في اختيار نائب للمدير للشئون التعليمية والثقافية الى اجتماع مارس القادم ١٩٨٠ م .
ثالث عشر : قرر ان ينعقد اجتماع مجلس الامناء القادم في يوم السبت ١٤ ربيع الثاني ١٤٠٠ هـ . الموافق الأول من مارس ١٩٨٠ م . بمدينة الخرطوم .

التوصيات

كما اتخذ المجلس عددا من التوصيات : أهمها :
١ ـ أن يتولى السيد رئيس الدورة الحالية الاتصال بالسفراء العرب المعتمدين لدى دولة يوغندا وجزر القمر ومدغشقر وانجولا وملاوي والكونغو لمعرفة الاسباب التي دعت الى عدم حضور الطلاب القادمين من هذه الاقطار والذين تم قبولهم للعام الدراسي بالمركز الاسلامي الافريقي لعام ٧٩ ـ ١٩٨٠ م .
٢ ـ أن يقوم ممثلو الدول المشتركة في المركز بالاتصال بوزارات الاوقاف في بلادهم لمد يد العون لمدارس الاطفال في افريقيا الوسطى ، وساحل العاج ، والكميرون بالكتب العربية المبسطة لتعليم اللغة العربية .
٣ ـ أن تتصل ادارة المركز بالدول الاعضاء مناشدة تلك الدول ان تسعى لدى حكوماتها لتعيين بعض الخريجين من المركز الاسلامي مرشدين في اوطانهم وتتولى دفع مرتباتهم .
٤ ـ أن يتكرم السيد مدير جامعة الرياض بايفاد بعض الاساتذة الذين وضعوا منهج الرياض للمركز الاسلامي الافريقي الى السودان ليجتمعوا بنظرائهم من الذين وضعوا مذكرة المنهج المقترح حتى تكون توصياتهم جاهزة للنظر فيها مع مذكرة المنهج في الاجتماع المقبل .

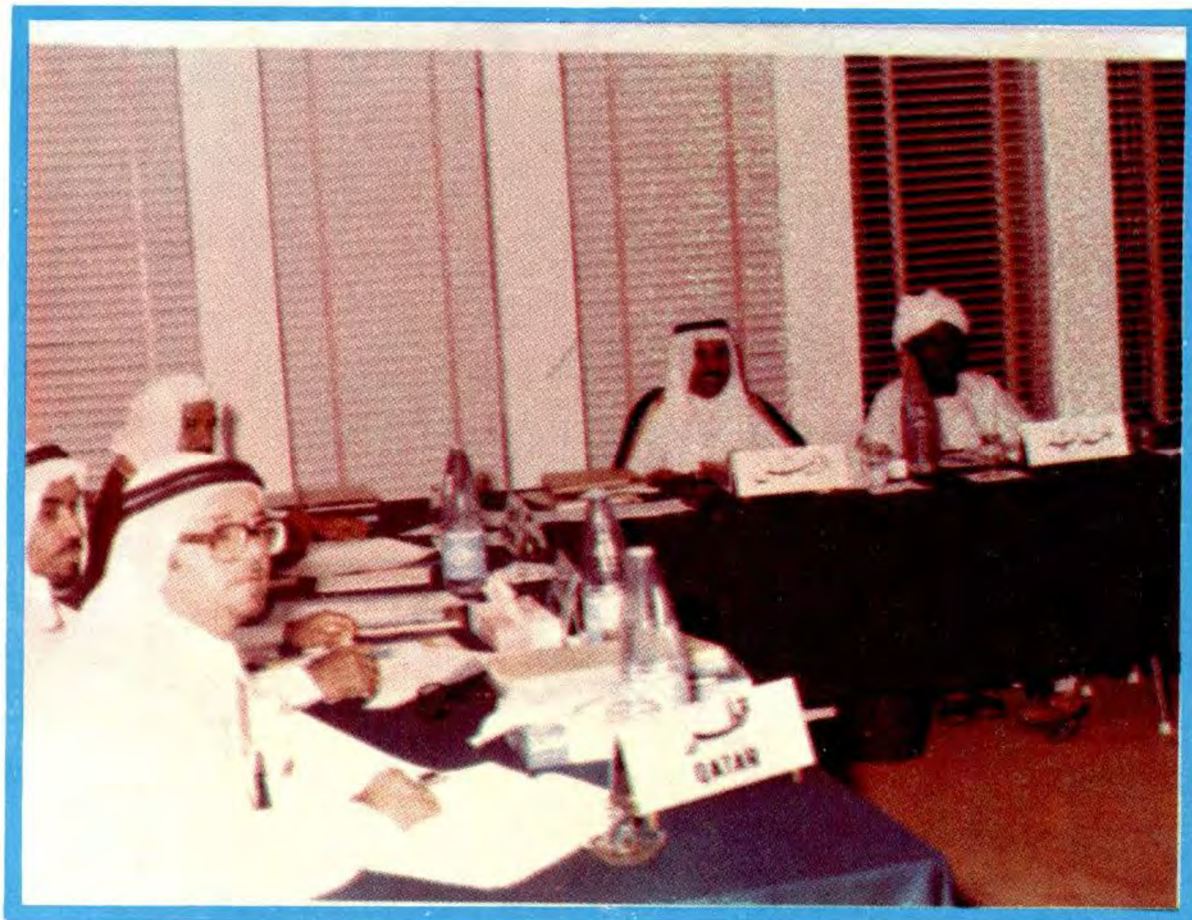
و (الوعي الاسلامي) ترجو الله ان يوفق الله الجميع لما فيه خدمة الاسلام والمسلمين ..

وتهيب بالدول الاسلامية جميعها ان تشارك في هذا العمل الخير من أجل رفعة لواء الاسلام ، والقيام بواجب الدعوة الى الله : (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين) .

ليعود من جديد مجد الاسلام التليد ، ويقف صهيب الرومي الى جانب سلمان الفارسي ، الى جانب بلال الحبشي ، الى جانب أبي بكر الصديق القرشي .. الكل إخوة في ساحة الاسلام وتحت راية لا اله الا الله محمد رسول الله ، وقائد المسيرة هو محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والتسليم . الذي قال :

(لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم) .

وفي ميدان الدعوة الى الله ، والأخذ بيد الانسان الى بر الأمان ، فليتنافس المتنافسون .


QATAR





المسجد النبوي

ورحلته مع الزمن

للاستاذ عبدالغني محمد عبدالله

أربعة عشر قرنا من الزمان .. عبرها الاسلام في رحلة الزمن . لم يتوقف فيها عن العطاء .

والفن الاسلامي ميدان مهم من ميادين الحضارة الاسلامية وجانب أصيل من جوانبها .. وتأثير العقيدة الاسلامية على هذا الفن كان تأثيرا إيجابيا حتى أن الفن الاسلامي رغم أنه استقى من حضارات وفنون سابقة فانه طوع ما استقاه للعقيدة الاسلامية .. ليس جبرا .. ولكن بايمان الفنان المسلم نفسه الذي ابتعد عن مجالات كثيرة رأى أن من الواجب عليه كمؤمن بالله أن يبتعد عنها كابتعاده تماما عن النحت وصناعة التماثيل حتى لا يذكره نلك بعبادة الأصنام . ولذا نجد الفنان المسلم أبدع فيما أنتجه من زخارف كتابية وهندسية ونباتية .. إلى جانب الوحدات الزخرفية الأخرى .. وهدفه كان جماليا وزخرفيا بحتا .

وبراعة الفنان المسلم في المجال المعماري بميادينه المختلفة طوال الأربعة عشر قرنا الماضية .. واضحة وجلية . ويأتي على قمة اهتمام الفنان في المجال المعماري الاهتمام بالعمائر الدينية . ويتضح لنا نلك من هذا العدد الهائل من المساجد والجوامع المنتشرة شرقا وغربا في كل أرجاء العالم الاسلامي . ومن هذه المساجد والجوامع ما له شأن عظيم سواء من ناحية مكانته الروحية كالمسجد الحرام والمسجد النبوي أو من ناحية مكانته التاريخية والأثرية مثل جامع عمرو بالفسطاط والأزهر بالقاهرة والقيروان بتونس والأموي بدمشق والأقصى والصخرة بالقدس الشريف .. الخ .

بعض هذه العمائر الدينية أكمل من عمره أربعة عشر قرنا أو يقل قليلا بضع سنوات ومازالت هذه العمائر قائمة مكانها تؤدي دورها . يؤمها المسلمون الخلف وراء السلف يذكرون فيها اسم الله ويصلون على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويؤدون فيها شعائر الاسلام .

ورحلة إلى مسجد الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة هى أمل تهفو إليه قلوب المسلمين .

واليوم رحلتنا على صفحات الوعي الاسلامي مع مسجد الحبيب عبر الزمن .. عبر هذه القرون والسنوات الطويلة لنرى أن هذا المسجد على مر التاريخ له مكانته في قلب كل مسلم . وأنه مع تطور الحضارة الاسلامية بفروعها المختلفة طرأت عليه تجديدات كثيرة شملت البناء وتوسيع مساحته مرة بعد الأخرى وتأنيق مبانيه وتجديده في كل مرة حسب الطرز الجديدة بما يجمع ما حققه فن عمارة المساجد من أساليب ليكون له – إلى جانب الحرم المكى .. مكان الريادة في العمارة الدينية الاسلامية .

وبعض المستشرقين ادعوا أن شبه الجزيرة العربية كانت خالية من الفن المعماري قبل الاسلام . ولا شك أن هذا الادعاء كاذب – فالثابت أن منطقة شبه الجزيرة العربية قد عرفت العمارة قبل الاسلام . ومن يطالع مصادر التاريخ الاسلامي يثبت له



خطأ هذه النظرية ففي سيرة ابن هشام نجد أن السيدة عائشة رضي الله عنها قد نزلت بأحد الحصون يوم الخندق . ونعرف أيضا أن الرسول الكريم قد هاجم حصون اليهود في خيبر . وبعض المدن كان حولها أسوار حصينة . ونعلم أيضا أن الكعبة المشرفة كانت موجودة قبل الاسلام وكانت مبنية من الحجر . ومعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد شارك في فض النزاع على الحجر الأسود ، ولكن البناء كان يتم بالأساليب والمواد المعروفة حينئذ .. وهذا يدلنا على أنه كانت هناك عمارة في شبه الجزيرة قبل الاسلام .

ولما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم وآذاه أهل مكة واضطر إلى الهجرة إلى يثرب واجه فيها حياة جديدة ، وكان لابد له من مكان يسكنه هو وزوجاته إلى جانب أنه من الضروري أن يوجد المسجد الذي يجتمع ويصلي فيه بالمسلمين ويلقي عليهم مواعظه ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويباشر في ساحته شئونه السياسية والنظر في خططه الحربية ويقضي بين الناس .

وقد أقام محمد صلى الله عليه وسلم مسجده وداره في يثرب التي صار اسمها المدينة المنورة حيث اشترى الأرض التي بني عليها المسجد والدار من غلامين يتيمين من بني النجار . وقد عمل الرسول الكريم مع المسلمين في تسوية المكان .

وتم إنشاء المسجد ولم يكن به شيء من الترف أو الفخامة لأسباب منها أن الرسول وأصحابه قد انصب جل جهدهم نحو نشر الدين الجديد . إلى جانب أن مواد البناء كانت بسيطة .

ولما بنى الرسول مسجده وداره في المدينة المنورة كان هذا البناء يهدف إلى أمور ثلاثة :

١ ـ هدف ديني

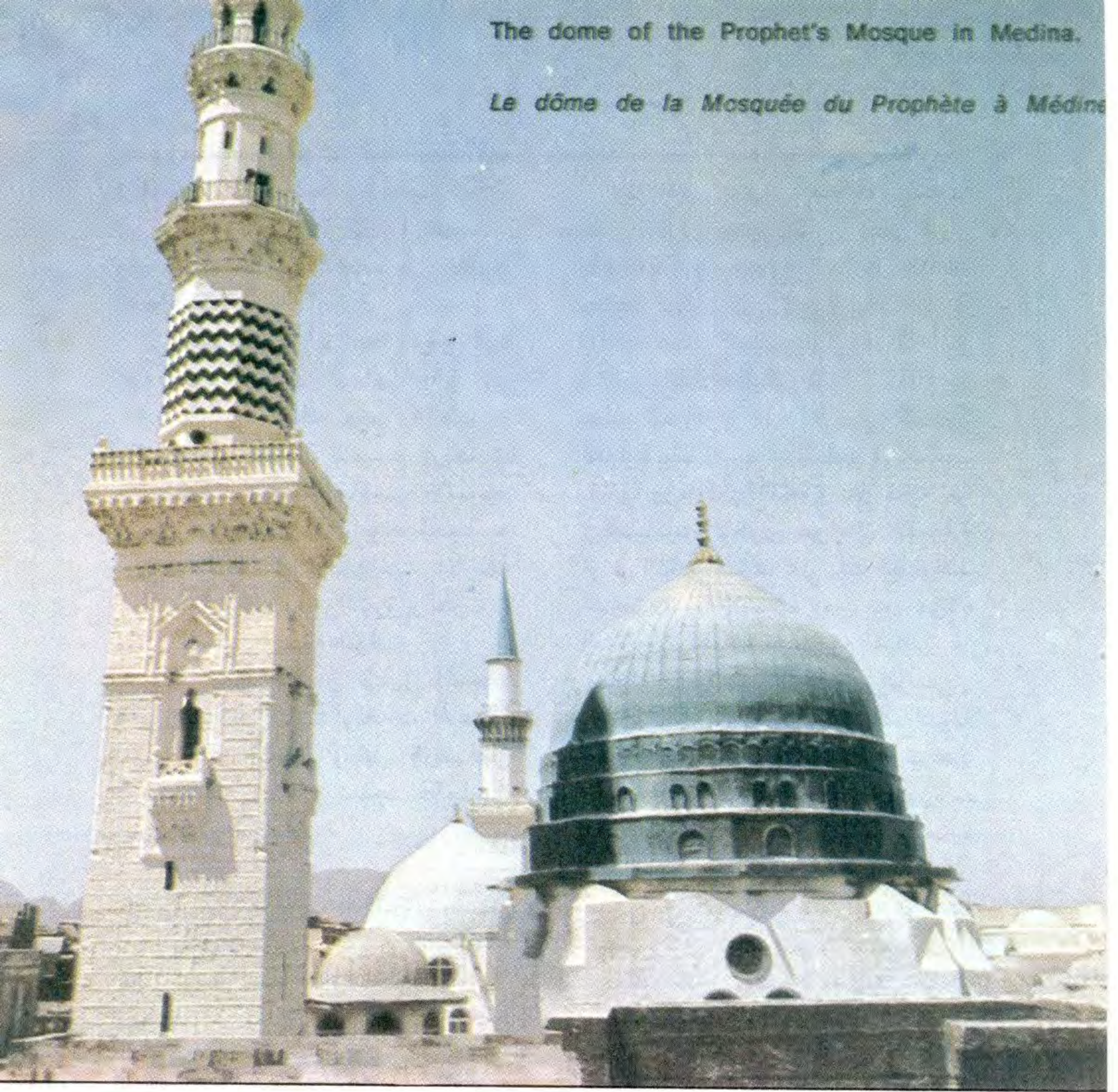
٢ ـ هدف سياسي

٣ ـ هدف اجتماعي

فالهدف الديني يتمثل في بناء المسجد ليكون مكانا للصلاة والعبادة والهدف السياسي في كونه مكانا يتخذه الرسول لتصريف أمور دولته الجديدة أما الهدف الاجتماعي فيتمثل في كونه مكانا ضم حجرات أزواجه الطاهرات . وبذلك أخذت حياته صلى الله عليه وسلم في الاستقرار واتجه إلى بناء دولته الجديدة .

وصف المسجد على عهد الرسول

وقد كان المسجد عبارة عن منطقة (صحن) مربعة مسورة بسور من اللبن طول كل ضلع من أضلاعه مائة ذراع تقريبا بارتفاع سبعة أذرع وحفر الأساس على عمق ثلاثة أذرع . وكان عضادتا المسجد من الحجارة ، وفرشت أرضه بالحصى وكان له ظلة في الشمال (ناحية القبلة الأولى اتجاه بيت المقدس) كان ينام تحتها فقراء المسلمين (أهل الصفة) ثم أقيمت ظلة ثانية في الجنوب بعد تحويل القبلة في اتجاه الكعبة . وكان المحراب الأول والثاني مرسومين على الحائط الشمالي ثم الجنوبي أما حجرات زوجات الرسول فكانت ذات



The dome of the Prophet's Mosque in Medina.

Le dôme de la Mosquée du Prophète à Médine

أسقف من فروع وسقف النخيل وكـــانت تفتح على صحن المسجد مباشرة .. وفي بعض الأقوال كان بينها وبين الصحن مسافة تشبه الشارع إلى أن زاد الرسول المسجد فالتصقت الغرف بالمسجد . وقد وصف لنا عبدالله بن زيد هذه الغرف فقال إن أبوابها كانت تغطيها ستائر من الشعر الأسود الكثيف مقاس كل ستارة ٣ × ٣ أذرع .

وبعد وفاة الرسول دفن في حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها وكان قبره مسنما فوق الأرض وفي روايات أخرى كان لحدا ثم أهيل عليه التراب وأصبح هذا المكان مقدسا يضم قبر الرسول صلى الله عليه وسلم .

المسجد عهد الخلفاء الراشدين :

في سنة ١٧ هـ على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أدخلت على

المسجد زيادات ليصبح طوله ١٤١ ذراعا وعرضه ١٢٠ ذراعا تقريبا . وقد تم استبدال الأعمدة من جذوع النخل بالخشب .

وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ازداد المسجد اتساعا ١٦٠ × ١٥٠ ذراعا وذلك عام ٢٤هـ .. واستكملت الظلات لتصبح أربعا في الاتجاهات الأربعة فأصبح المسجد يتكون من صحن مكشوف تحيط به أربع ظلات في الجوانب الأربعة (الشمال والجنوب والشرق والغرب) وكان للمسجد ستة أبواب .

وعلى عهد عثمان تطور المسجد فأنير بقناديل الزيت وتغيرت الأعمدة لتصبح من الحجر وصب الرصاص في وسطها .. وظل المسجد خاليا من الزخرفة والأناقة .

عمارة الوليد بن عبدالملك

انتقال حاضرة الدولة الاسلامية من المدينة المنورة إلى الكوفة ثم إلى دمشق لم يقلل من أهمية الحرم النبوي بل على العكس ظل عامرا وغاصا بالعلماء والدارسين وبالعباد ليلا ونهارا .

وكان لاتصال الدولة ـ بحضارات سابقة كالساسانية عند الانتقال للكوفة وبالبيزنطية عند الانتقال لدمشق أثر كبير على تطور الفنون الاسلامية في مجالات شتى فتطورت طرق ووسائل البناء وأساليب الزخرفة والانفتاح على طرز وأشكال زخرفية جديدة تم تطويعها لتصبح إسلامية صرفة .

وبزيادة غنى الدولة الأموية واتساعها وصيرورتها من أكبر الدول وأعظمها في عصرها بدأت عناصر جديدة تدخل على العمائر الاسلامية فبدأت هذه العمائر تنال قسطا من التأنق والفخامة حتى يتناسب ذلك مع عظم الدولة و[illegible] . وفي العمائر الدينية بالذات بدأت تتطور في أسلوب بنائها وزخرفتها لتتفوق على مثيلاتها في الديانات الأخرى سواء في الاتساع أو في التأنق ساعد على ذلك كثرة عدد الداخلين في الاسلام ومن بين هؤلاء الكثير من الفنانين في جميع الميادين .

ولما جاء الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك إلى الحكم وكانت الدولة الأموية قد استقرت لها الأمور ـ عهد الوليد إلى واليه على المدينة المنورة ـ عمر بن عبدالعزيز باعادة عمارة المسجد النبوي وهذا بدوره عهد إلى صالح بن كيسان بالاشراف على هذا العمل وكان ذلك عام ٨٨هـ .

ولقد كانت عمارة الوليد شاملة للمسجد وقد وصلت إلينا معلومات وافية عنها من أقوال المالكية والواقدى والطبرى والمقدسى والدينورى وابن عبدربه وباقي المؤرخين كالبلاذرى وابن سعد وغيرهم . وقد جمع لنا السمهودي ما كتبه محمد بن الحسن بن زبالة عن المسجد النبوي بالاضافة إلى ما كتبه ابن النجار (الدرة الثمينة في أخبار المدينة) ، وابن جبير الذي زار المسجد عام ١١٨٤م . وكتب لنا وصفا دقيقا عنه . ومن المحدثين فريد شافعي وابراهيم رفعت وأحمد فكري




مسجد الرسول بالمدينة المنورة من ال

وكريزويل وسوفاجيه الذين عملوا لنا تصورا عن عمارة الوليد في المسجد النبوي .

والحقيقة أن عمارة الوليد صارت بعد الانتهاء منها تحفة معمارية ونمونجا يقتدى به في المساجد الأخرى في العالم الاسلامي واستقرت في هذه العمارة معظم حدود ومعالم المسجد النبوي للآن .

وصار المسجد النبوي بعد عمارة الوليد عبارة عن صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة في الاتجاهات الأربعة أعمقها رواق القبلة (الجنوبي) وبه خمسة صفوف من الأعمدة موازية لجدار القبلة في كل صف ١٧ عمودا . ويليه الرواق المواجه لرواق القبلة والموازي له ويتكون من أربعة صفوف من الأعمدة في كل صف ١٧ عمودا أما الرواق الشرقي فبه ثلاثة صفوف في كل صف ٢٢ عمودا أما الغربي فمن أربعة صفوف في كل صف ٢٢ عمودا . وجعل سقف المسجد على الأعمدة مباشرة . وتم إبقاء قبر الرسول صلى

الله عليه وسلم في مكانه حيث أحيط بجدار خماسي الشكل حتى يختلف عن شكل الكعبة المشرفة .

وتم إبقاء الكثير من الأشكال على حالها ومكـــانها من باب التمسك بالسنة النبوية الشريفة فبقى المنبر بعيدا عن جدار القبلة وبقى المحراب في مكانه القديم وحلت الأعمدة الجديدة مكـــان القديمة ولكنها صارت من الحجارة وصب في وسطها الحديد والرصاص حتى أن أعمدة رواق القبلة بنيت من الحجر وكسيت بالجص لتظل محتفظة بشكلها القديم أما باقي الأعمدة الأخرى فمن الرخام .

ويذكر لنا السمهودي أن عمر بن عبدالعزيز لما صار إلى جدار القبلة دعا مشيخة أهل المـــدينة من قريش والأنصار والعرب والموالي فقال لهم : « تعالوا احضروا بنيان قبلتكم حتى لا تقولوا : عمر غير قبلتنا » وجعل لا ينزع حجرا إلا وضع مكانه حجرا كما بقى المحراب في مكانه القديم .

وقد بني المسجد على شكله الجديد من الحجارة بزيادة أوسعة في اتجاه الغرب والشمال وكسيت الجدران من أسفلها بالرخام ومن أعلاها زخرفت بالفسيفساء والزجاج الملون ونقشت رءوس الأعمدة والأعتاب بماء الذهب وكان السقف من خشب الساج وتمت تحليته بماء الذهب ، وأحيط الصحن بأربعة بوائك تحمل فوقها الشرفات وحلت مقصورة جديدة من خشب الساج في رواق القبلة مكان مقصورة كانت قد وضعت في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه .

ومن أهم الاضافات في الحرم النبوي المحراب المجوف والمئذنة وإضافة هذين العنصرين من عناصر العمارة الاسلامية كانت إيذانا بانتشارهما في العالم الاسلامي والأقوال كثيرة في أن هذا المحراب المجوف كان أول محراب مجوف في الاسلام . في حين أن المآذن الأربعة التي أقيمت كانت مربعة التخطيط وكل منها بارتفاع ٢٥ مترا .

أما مداخل المسجد القديمة فقد نقلت إلى نفس الجدران الجديدة وعلى نفس محاورها (باب النساء ــ باب جبريل ــ باب الرحمة ــ باب السلام) .

عمارة المهدى

وظل الحرم النبوي بعد عمارة الوليد ٨٨ ــ ٩١هـ محتفظا بمعالمه المعمارية لمدة خمسة قرون تالية إلى أن تعرض لحريق ضخم ٦٥٤هـ ١٢٥٦م ولم تجر عليه أي تغييرات مهمة خلال القرون الخمسة إلا في عهد الخليفة العباسي المهدى الذي قام بتوسيع المسجد من الجهة الشمالية فقط وكـــان ذلك عام ١٦٠هـ ٧٧٨م .

وعمارة المهدي وضعت للمسجد حدوده التي احتفظ بها حتى العصر الحاضر على الرغم من التجديدات التي طرأت عليه على مر العصور .

ويبدو أن عزم العباسيين كان منعقدا على إجراء عمارة مهمة في



الحرم النبوي غير أن ظروف استقرار الدولة لم تمهل أبا العباس السفاح لاجراء العمارة . أما المنصور فبرغم انعقاد نيته على إعادة تعمير المسجد فان عمارته الكبرى في إنشاء مدينة بغداد لم تمكنه من إجراء أي عمل معماري ضخم آخر .

ولما جاء المهدي أصدر أوامره بعمارة الحرم النبوي سنة ١٥٨هـ واستغرقت العمارة سنتين وفي بعض الأقوال خمس سنوات . وعهد المهدى إلى عبدالله بن عاصم ابن عمر بن عبدالعزيز وعبدالملك بن شبيب الغسانى بعمارة المسجد ولما مات ابن عاصم عين مكانه عبدالله بن موسى الحمصى .

وتقتصر عمارة المهدي في الرواق الشمالي فقط ويبدو أن ذلك كان مصدره عدم الرغبة في تغيير مظاهر أجزاء هامة في المسجد وهي معالم تقليدية يجلها المسلمون وترتبط في أذهانهم بالسنة النبوية الشريفة ولا يرضون فيها أن تكون عرضة للتغيير مثل الحجرة النبوية الشريفة ومنبر الرسول ومحراب عثمان والأبواب التي فتحها عمر وبعض الأساطين المرتبطة بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وتم هدم الرواق الشمالي ـ المواجه لرواق القبلة ـ وأضيفت إليه قطعة جديدة من الأرض طولها حوالي ثلاثين مترا . وصار بعد إعادة عمارته مكونا من خمسة صفوف من الأعمدة بكل صف ١٧ عمودا وبذلك صار الرواق الشرقي والرواق الغربي على حالهما من عدد صفوف الأعمدة على عهد الوليد إلا أن كل صف صار به ٢٨ عمودا بدلا من ٢٢ عمودا وصار طول الجدار الشرقي ١١٠ مترا والغربي كذلك وصار طول الجدار الشمالي أقل قليلا نظرا لاستمرار ميل الجدار الشرقي عليه ـ ٦٦ مترا ـ

وذكر ابن جبير أن المسجد كان يحتوي على ٢٩٠ عمودا وقد زادت زخرفة الرواق الشمالي بالفسيفساء .

وظل المسجد بعد عمارة المهدي محتفظا بشكله ونمطه وحدوده حتى حريق عام ٦٥٤هـ حيث امتدت النيران إلى المسجد من شعلة أحد القناديل وأتت على المسجد إلا القليل منه مثل قبة المسجد والحجرة النبوية الشريفة .

صحيح أنه بين عمارة المهدى والحريق الذي شب في المسجد سنة ٦٥٤هـ تمت عدة ترميمات قليلة قام بها الخلفاء المأمون والمتوكل والمعتضد والناصر لدين الله ولكنها لم تغير شيئا في شكل المسجد أو نمطه .

بعد حريق ٦٥٤هـ :

لم يمهل الغزو المغولي سنة ٦٥٦ الخليفة العباسي المستعصم لعمارة الحرم النبوي بعد الحريق .. إلا أن سلاطين المماليك في مصر بعد هزيمة المغول في عين جالوت وإنقاذ الحضارة الاسلامية .. قاموا باعمار المسجد النبوي تباعا .. وخلفهم العثمانيون واستمر الاعمار والتجديد والاضافة .. على مر العصور وحتى هذا الزمان .



اهل القرن الخامس عشر



للأستاذ : أنور الجندي

أ ـ أهل القرن الخامس عشر الهجري : هلال خير وبركة على سكان هذا الكوكب كله ، وشهدنا فجره فحق علينا أن نتوجه بالحمد والثناء إلى الحق تبارك وتعالى الذي أكرمنا بمشهده وجعلنا من العاملين على مشارفه والمدافعين بالقلم الذي أقسم به جل شأنه في سبيل إعلاء كلمة الله ولعل أبرز ما تحمله هذه البشرى في طياتها هى أن القرن الخامس عشر هو قرن « النهضة » بعد أن كان القرن الرابع عشر قرن « اليقظة » .

ولا ريب أن (الدعوة الاسلامية) ستنطلق في طريقها بالرغم من كل العثرات ومحاولات الاستقطاب والحواجز والسدود والقيود التي ماتزال تضعها في طريقها القوى الثلاث : النفوذ الأجنبي والشيوعية والصهيونية وقد بلغ المسلمون الآن ألف مليون (بمعدل ربع سكان هذا الكوكب وسيتضاعف عددهم خلال هذا القرن وقد أعطاهم الحق تبارك وتعالى :

(أولا) : الموقع الاستراتيجي الهام .

حيث يشكلون « القارة الوسطى » بين قارات العالم ويسيطرون على طرق المواصلات العالمية (برا وبحرا وجوا) .

(ثانيا) : الثروة والطاقة : حيث يملكون أهم ثروات البشرية : البترول والمنجنيز وعشرات المعادن .

(ثالثا) : التفوق البشري حيث يولد لهم تسعون في المائة من مواليد العالم وكل هذا ينكرهم بالمسئولية الخطيرة والدور الهام الذي امتحنهم الله به مسئولية وتبعة وهى إقامة حكم الله العادل وبناء مجتمعه الرباني في هذه الأرض وإذاعة كلمة (لا إله إلا الله) في العالم كله ، وحيث جاءت أزمة القوى الثلاث الكبرى (النفوذ الأجنبي والشيوعية والصهيونية) واحتلال بيت المقدس أعطاهم الثروات الضخمة مصدرا للدفاع ، وحجة عليهم إذا نكصوا أو قصروا .

ب ـ وقد نزل الستار على ساحة القرن الرابع عشر والعالم الاسلامي يتحرك في قوة وحيوية وفي مواجهة التحديات نحو تحقيق رسالة الحق والخير والرحمة : رسالة الانسانية :

(أولا) : انتصار دعوة قادة باكستان الاسلامية في العودة إلى

الشريعة وإعلان تطبيقها .

(**ثانيا**) : انتصار العدل على الظلم وسقوط الدكتاتورية والاستبداد والنفوذ الشيوعي الماركسي : باكستان وإيران وأندونيسيا ومصر .

(**ثالثا**) : انتصار الاسلام في معارك الجهاد المقدس الذي تجدد مرة أخرى على النحو الذي عرفه السلف الصالح والذي عرفه نور الدين وصلاح الدين إبان الحملات الصليبية :

الجزائر ، أفغانستان ، العاشر في رمضان .

(**رابعا**) : الاقتراب السريع ومطالبة الأمة في عديد من البلاد العربية والاسلامية ، وسقوط الاقطاع والاستعمار .

جـ ـ أمكن خلال القرن الرابع عشر تصحيح عشرات من المفاهيم والوقائع التاريخية التي كان الزيف قد أحاط بها ، ومنها :

(١) تصحيح موقف الدولة العثمانية والسلطان عبدالحميد .

(٢) الكشف عن فساد دعوات الاقليميات والقوميات الضيقة وهى محاولات استهدفت ضرب الوحدة الاسلامية .

(٣) الكشف عن فساد مفاهيم الديمقراطية الغربية والشيوعية والاشتراكية وضرورة استخلاص نظام اجتماعي سياسي من صميم الاسلام .

(٤) تحليل أخطار المفاهيم التلمودية المسيطرة على عديد من مناهج التعليم والتربية والثقافة .

(٥) الكشف عن أخطار القانون الوضعي وفساد تجربته في البلاد العربية والاسلامية .

(٦) ـ الكشف عن فساد المادية ، الوجودية ، العلمانية .

(٧) ـ الكشف عن إفلاس الحضارة الغربية وفسادها ، وما أحدث ذلك في النفس البشرية من هزائم الغربة والقلق والتمزق .

(٨) ـ تصحيح فساد ما حاول الاستشراق إحياءه من التراث الزائف حول ابن عربي وأبى نواس والحلاج وبشار وابن المقفع وإخوان الصفا والفلسفات الهلينية والفكر الباطني والوثني والمجوسى .

(٩) ـ الكشف عن فساد مناهج التعليم في مجالات العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق وفساد النظريات التي تدرس وكأنها حقائق بينما هى مازالت فروضا أقرب إلى الخطأ منها إلى الصحة ، والمقدمة من سارتر وفرويد ولارون ودوركايم وماركس .

د ـ أمكن تحقيق بعض الانتصارات :

(**أولا**) : الاعتراف بعظمة الحضارة الاسلامية ودورها الضخم في بناء الطابق الأول الأساسي من بناء الحضارة المعاصرة ودورها الخطير الذي قامت به في مجال الطبيعة والفلك والرياضيات .

(**ثانيا**) : ما أفاد الغرب من التقنين الاسلامي والفقه الاسلامي في

إنشاء القوانين التي تتصل بالحريات وحرمة المساكن وحقوق الناس وتحرير الانسان من ظلم الانسان .

(**ثالثا**) : الاعتراف بالحصيلة الضخمة التي قدمها (القرآن والسنة) في مجال العلوم الاجتماعية والسياسة والاقتصاد :

ـ سنن الله في الكون (وصولا إلى القمر) .

ـ قوانين قيام الحضارات والأمم وسقوطها .

ـ التكامل الجامع بين الروح والمادة ، والدين والدولة ، وعالم الشهادة وعالم الغيب والدنيا والآخرة .

ـ التكافل الاجتماعي بين الغني والفقير والعدل والرحمة والسماحة وأخلاقيات المجتمع .

ـ إقرار مبدأ الجزاء الأخروى والمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي .

هـ ـ بروز ظاهرة الاعتراف بالاسلام والفهم له .

وقد تكشف ذلك من خلال دعوة الكهنوت إلى الدخول في حوار مع العالم الاسلامي على أساسين صريحين (على حد تعبير الدكتور الدواليبى) .

(**أولا**) اعتراف الكنيسة بأنها هى التي ظلمت الاسلام في إعلان الحروب الصليبية وفي محاكم التفتيش في أسبانيا وأخيراً في وقوفها وراء الاستعمار الحديث .

(**ثانيا**) الدعوة الى تغيير عقلية المسيحيين بالنسبة للاسلام على أن يقدم الاسلام للمسيحيين على أنه دين مشحون بأعظم ما عرفته الانسانية من مبادئ سامية .

وفي هذا المجال نجد ظواهر خطيرة منها :

(**أولا**) كتاب الدكتور ميشيل هارت اسمه (المائة) قدم فيه مائة شخصية أثرت في تاريخ الانسانية وقدم هؤلاء جميعا بدراسة عن رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، والمؤلف عالم في الرياضة والطبيعة والفلك ، اختار رسول الله على جميع عظماء التاريخ باعتباره أعظم المؤثرين في التاريخ الانساني « إن اختياري لمحمد ليكون الأول بين ذوى النفوذ في العالم قد يكون موضع دهشة القراء ، ولكنه هو الوحيد في التاريخ الذي كان امتيازه متكافئا على المستوى الديني والدنيوى .

(**ثانيا**) كتاب الدكتور موريس بوكاى (الكتاب المقدس والقرآن والعلم) حيث يكشف عالم طبيب غربي كاثوليكي فساد منهج التوراة ويشير إلى بشريتها وأنها ليست منزلة بينما يثبت بألف دليل (ربانية) القرآن الكريم وكيف أن رواية التوراة مجافية لأوليات العقل ومعارضة لحقائق العلم وكيف أن رواية القرآن عن نشأة الخلق متسقة تماما مع حقائق العلم الحديث .

فاذا أضفنا إلى هذا كتابات كثيرة نشرت من قبل العلماء المنصفين تأكدنا أن هناك ظاهرة حقيقية هى وجود « تيار عالمي يمثل غزوة جديدة

للاسلام إلى الفكر البشري والعالم الانساني» .

ومع تحفظنا إزاء دعوة الحوار التي دعت إليها الكنيسة وخلفياتها التي تهدف إلى تصوير الاسلام بأنه غير مختلف عن المسيحية ، ومحاولة الحصول على كلمات من علماء المسلمين ترمي إلى إضعاف طابع الاسلام المفرد وطبيعته الربانية المتميزة عن الأديان التي دخل إليها الانحراف والتفسير البشري .

هذا كما أنه يجب التذكير بالحرب الصليبية التي ما يزال يشنها مجلس الكنائس العالمي (من بروتستانت وأرثوذكس) ضد الاسلام معتمدا على الأموال الصهيونية بمئات الملايين من الدولارات التي ينفقها في سبيل القضاء على الاسلام لدى الفقراء والمرضى والجهلة حيث لا يقدم لهم معونة إلا بشرط التنصير .

و ـ وضحت ظاهرة عالمية أخرى هي الدعوة إلى وضع نظام اقتصادي جديد للمجتمع البشري بعد أن تبين فساد النظامين الرأسمالي والماركسي ، وقد جاء في التوصيات التي قدمت في هذا الشأن أن الاسلام هو وحده الذي يستطيع أن يقدم أمثل منهج اقتصادي واجتماعي للبشرية بدعوته إلى وحدة الأسرة البشرية ووحدة مصالحها من غير تمييز في الحق وفي الحياة وفي الكرامة وفي إقامة العدل بينها .

ز ـ وضحت ظاهرة عالمية أخرى هى أن العالم قد اكتشف أنه لا سبيل إلى تحرره من ربقة الأخطار المحدقة به إلا بالاسلام وهذه هى الحقيقة التي أشار إليها عديد من الباحثين المنصفين بعد أن شهدوا مدى التردى الذي وصلت إليه الحضارة الغربية والمجتمعات الغربية .

حـ ـ انكشاف فساد خطة الاستشراق في محاولته لاثارة الشبهات حول الاسلام والقرآن وسيرة النبي والسنة والتاريخ الاسلامي والشريعة الاسلامية واللغة العربية .

وقد حفلت الدراسات التي قدمها رجال الفكر الاسلامي في السنوات الأخيرة من القرن الرابع عشر بالكشف عن زيوف وسموم ما قدمه الاستشراق .

ولقد هزم الاستشراق في أكثر من مؤتمر ، وتراجع أساطينه أمام الحقائق التي كشفها علماء الاسلام ، حتى أنهم فكروا أخيرا في الهروب من السمعة السيئة التي ألحقت بمؤسستهم الخطيرة فأعلنوا (نهاية الاستشراق) ومؤتمراته ، التي كانت قد بدأت عام ١٩٠٦ واشترك فيها الشيخ عبدالعزيز جاويش وواجه أخطر حملة وجهت إلى القرآن واللغة العربية ثم توالت المؤتمرات واستطاعت أن تستقطب أسماء جديدة صنعها المستشرقون والتبشير أمثال طه حسين وأمين الخولي وعثمان وعديد من مختلف أنحاء العالم الاسلامي .

ط ـ بروز قوة الفكر الاسلامي من خلال ظاهرة المفكرين المسلمين القرآنيين الذين يحملون لواء مفهوم الاسلام القرآني : دينا ودولة ونظام مجتمع ومنهج حياة على طول العالم الاسلامي وعرضه ، بديلا للمفكرين الاسلاميين الذين كانوا يعتمدون مفهوم الفلسفة وأسلوب المنطق الوافد وطريقة المستشرقين والذين كانوا يصدرون عن ما يسمونه علم الكلام الجديد وكانوا يسمون أنفسهم « **المعتزلة الجدد** » فقد غلب طابع الأصالة على حركة اليقظة الاسلامية في هذه المرحلة فأصبحت قيادة الفكر الاسلامي بأيدي باحثين قرآنيين وسقطت القيادة من أيدي أولئك الذين كانوا يمثلون في الفترة الماضية نلك الجيل من الأدباء الذي شكله الاستشراق في جامعات الغرب ، وحاول السيطرة على الدراسات الاسلامية وإدارتها في إطار منهج الغرب الوافد ، وحاول السيطرة على الدراسات الاسلامية من خلال الأدب والصحافة وإبراز القرامطة على أنهم دعاة عدل ، وإنكار عبدالله بن سبأ لحساب اليهودية العالمية ، بل وإنكار أنبياء الله ابراهيم واسماعيل عليهما السلام .

هذا الجيل الذي أفسد مفاهيم الأصالة وحطم القيم الأخلاقية وفتح باب الأدب المكشوف والقصة الجنسية وإبراز سموم الأغاني واعتباره مصدرا والذي أنكر العلاقة العضوية بين الأدب العربي والفكر الاسلامي ككل بل عمد إلى تدمير أخلاقية الأدب وإخراجه من نطاقه الطبيعي ، وهي الخطة التي سار عليها طه حسين وهيكل وأحمد أمين وأمين الخولي ومن سموا أنفسهم « المجددون » الذين كانوا يكرهون أخلاقية الأدب وينكرون ترابط عصوره ، والذين حاولوا خلق ما يسمى بالفكر الحديث والأدب الحديث منفصلين به عن الأدب العربي والفكر الاسلامي في عصوره السابقة . ومراحله المتصلة وهم الذين اعتنقوا مفاهيم الغرب في تحليل الأدب ونقده وتاريخه وخضعوا لنظريات سانت بيف وبرنتير .

ظ ـ لقد أشرق القرن الخامس عشر الهجري على المسلمين وقد تنبهوا إلى ضرورة التحرر من أمرين خطيرين ، وقطعوا شوطا طويلا في سبيل هذا التحرر ، وقد كان نلك موضع جهاد مفكرى الأمة خلال القرن الرابع عشر هما :

(الأول) التحرر من قيد التقليد وغلبة مفاهيم التراث الزائف كالباطنية والمجوسية والفرق وهو الذي عاود إحياءه الدكتور زكي نجيب محمود وآخرون وكذلك مفهوم جبرية الصوفية والتصوف الفلسفي وأخطاء الاعتزال .

(الثاني) التحرر من التبعية للفكر الغربي الوافد الذي غزا آفاق الفكر الاسلامي خلال سنوات ما بعد الاحتلال الغربي للعالم الاسلامي وخاصة الفكر الليبرالي الديمقراطي الرأسمالي الذي سقطت تجربته ،

والفكر الماركسي الاشتراكي الشيوعي الذي انهزمت خططه وكذلك انكشفت أخطار الفكر التلمودي المسيطر على العلوم الاجتماعية والفلسفة المادية ونظريات فرويد وماركس ودور كايم وسارتر وماركيوز .

والمسلمون الآن على مشارف طريق الأصالة تحررا من هذه التبعية ووصولا إلى عصر الرشد الفكري ، وانتقالا من اليقظة الى النهضة .

س ـ أخطار يجب أن يتنبه لها المسلمون :

إن القوة الغربية والصهيونية والشيوعية تخشى بأس الاسلام وتهاب قوته فهم يسعون إلى حربه بكل ما وسعتهم الحرب :

(١) تزييف مفاهيمه وإفساد قيمه .

(٢) الحيلولة دون تطبيق أحكامه وتنفيذ شريعته .

(٣) محاربة الأقليات من أهله والعمل على تصفيتهم .

(٤) القضاء على وحدته السياسية والاجتماعية والفكرية .

(٥) تدمير المجتمعات وإفسادها بالسموم والأمراض والأوبئة التي تحملها الحضارة الغربية .

(٦) محاولة تنصير أبنائه وإفساد عقيدتهم بالنظريات المادية . والمذاهب العلمانية .

(٧) العمل على السيطرة على مقدراته وثرواته .

ش ـ أخطر الظواهر التي تواجه المسلمين اليوم : تلك الحملات المعادية للاسلام التي ترمى إلى إذكاء روح الخلاف بين الشعوب الاسلامية عن طريق إثارة النعرات العنصرية والمذهبية والترويج لمبادئ الالحاد والاباحية والتحلل من القيم والأخلاق ، ونشر الفساد بين الشباب عن طريق المسرح والسينما والتلفزيون ، وإضعاف العقيدة في نفوس المسلمين وإزالة أثرها من حياتهم المعيشية عن طريق نشر الأفكار والمذاهب المادية ، وتغذية الحركات المعادية للاسلام وتمكينها من مراكز السلطة ومقاومة الاتجاه الذي ظهر في المرحلة الأخيرة من القرن الرابع عشر لعودة المسلمين إلى الحكم بشريعة الاسلام وتحكيم القوانين والنظم الاسلامية في شئون حياتهم ونظام حكمهم .

ولذلك فهم قد عملوا على خطة : « ضرب الاسلام من الداخل » بتسليط القاديانية والبهائية والروتارى بديل الماسونية والفرق الضالة ودعاة الشعوبية والمجوسية والتلمودية وهم كثيرون وجاء جارودى فدعا الشيوعيين إلى الدخول في المنظمات الاسلامية وتدميرها من الداخل بالعمل في مجال التأويل والتحوير ، وظهرت كتابات الذين يدعون إلى ظاهر الشريعة الاسلامية مجاراة ويحاربونها بالقول بالعصر والبيئة والتطور .

والحق إنه مهما تكتلت هذه القوى فسوف تلحق بها الهزيمة ، لأنها على الباطل ، ومهما وجهت من السهام إلى

الاسلام والمسلمين فانهم سينتصرون لأنهم على الحق ما استمسكوا به .

ولقد كانت الحضارة الاسلامية : حضارة الرحمة والسماحة والعدل وسوف تنبعث الحضارة الاسلامية الجديدة على نفس المنهج والخطة والخط الذي عرفه صلاح الدين حين رفض أن ينتقم من الصليبيين بعد أن انتصر في حطين ودخل بيت المقدس ظافرا .

ذ ــ على المسلمين أن يتنبهوا إلى خطة الشيوعية للقضاء على الاسلام :

أولا : عن طريق الاستعمار البلشفى لما يزيد على مائة مليون مسلم .

ثانيا : عمل الشيوعية في أفريقيا وهو جزء من خطة تدمير الاسلام في افريقيا وإعادة غزوها مرة أخرى .

ص ــ إن مخطط الغزو يركز اليوم على منطقة جنوب شرق آسيا ويركز بالذات على الجمهورية الأندونيسية ــ هذا العمل الذي يقوم به مجلس الكنائس العالمي ووضع موارده في سبيل خطة للتنصير ، وإقامة أكثر من سبعين مطارا والافا من المدارس والكنائس على أرض أندونيسيا مع جيش كبير من قادة الكهنوت .

ض ــ عودة القدس إلى المسلمين

على الفكر الاسلامي أن يكشف زيف دعاوي إسرائيل والصهيونية من حق تاريخي مزعوم ، فان فلسطين في أرض كنعان العربية منذ فجر التاريخ ، وقبل ولادة اسرائيل نفسه ، وإنهم استعمروا بالاغتصاب والدمار وتقتيل الرجال والنساء والأطفال وإلى أن أزالهم العرب البابليون وهدموا هيكلهم ، واستردوا الأراضي العربية المغتصبة ولكن اليهود عادوا بواسطة الفرس ثم لم يلبثوا حتى أزالهم الاسكندر بناء على طلب العرب ثم عادوا مع الرومانيين ، ولكن الرومانيين أنفسهم لم يلبثوا أن أخرجوهم وهدموا هيكلهم من جديد ، وبقي مهدما إلى اليوم ، فاليهود كاذبون حين يدعون اليوم أنهم حرروا أرضهم التاريخية من أيدي العرب ولم يغتصبوها ، ولا ريب أن الحجة الحقيقية للعرب على اليهود كما يقول الدكتور الدواليبى الذي نقلنا عنه هذا النص ، نص عليها كتابهم المقدس .

ويقول : إن عودة القدس إلى المسلمين تتطلب حلا إسلاميا ، وتتطلب إعلان الجهاد المقدس : هذا الجهاد الذي هو فريضة دائمة إلى يوم القيامة .



في رحاب الذكرى

للدكتور توفيق محمد شاهين

يخلق ما يشاء ويختار :

الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ، والله أعلم حيث يجعل رسالته . وتأتي رسل الله تعالى بوحيه ، مبشرين ومنذرين ، لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وتعيد الانسانية الحائرة إلى الجادة ، ليتبدل شقاؤها سعادة ، وخوفها أمنا ، وغيها رشدا ، ونزقها تهذيبا ، وضيقها فرجا .



وعلى حين فترة من الرسل ، اختار الله سبحانه محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ للرسالة الخاتمة ، رحمة للعالمين . اختاره من أزكى القبائل ، وأفضل البطون ، وأطهر الأصلاب ، كما حدث الرسول عن نفسه : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى هاشما من قريش ، واصطفاني من بني هاشم » رواه مسلم والترمذي .

ولا يقدح في هذا ما قد يأتي من بعض القرشيين من سفه أو انحراف عن الكرامة الانسانية ، كما صنع أبو لهب ، فان الانحراف يلغى من الاعتبار ما كان من نسب .

ومحمد دائما في جانب الخيرية ، كما في حديث الترمذي ، من أن الرسول قام على المنبر ، فقال : « من أنا ؟ قالوا : أنت رسول الله عليك السلام فقال : أنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا ، وخيرهم نفسا » .

فما تسلل شئ من أردان الجاهلية إلى شئ من نسبه صلى الله عليه وسلم .



كنتم خير أمة :

كانت العرب في ظلمة من الجهالة ، وحالة فطرية أولى ، فضلت طريق القيم الانسانية الرفيعة ، وبالغت فيما ورثته واعتادته من صفات ، فانقلبت إلى ضدها : فثارت المعارك الضارية على الأقربين والأبعدين بدافع الاباء والنجدة ، وقتلوا البنات ووأدوها بدافع الشرف والعفة ، وأتلفوا الأموال ـ وإن تربت أيديهم ـ بدافع الجود والكرم والثناء المستطاب كما زعموا !!

فالعرب لم يكونوا مجردين من الصفات الحميدة ، كما يصورهم خصومهم ، ولكنهم ـ مع انحراف بعضهم ـ كانت فطرهم سليمة ، ونزعتهم قوية ميالة للاتجاهات الانسانية ، وان لفهم جهل الظلمة ، وظلمة الجهل ، والفطرة البدائية الأولى .

وكان من حسن طالعهم أن جعلهم الله الطليعة التي تحمل مشاعل الدعوة إلى العالم ، لانقاذه مما يعانيه

ويلاقيه .

وكان الرسول من خيرهم حسبا ونسبا ، فلا بدع أن جعله الله تعالى خاتم الأنبياء والمرسلين ومن العرب ، وكانت البعثة ضرورة ، كما أن التدين ضرورة ، لصلاح الدنيا ، والدين .



وكل شئ عنده بمقدار :

علم الله تعالى شامل ومحيط ، وكل شئ في الكون بقضاء ، ولحكمة بالغة ، ولا تجرى الأمور على عواهنها ، وليست بالتالي من قبيل المصادفات :

● فقد اقتضت حكمته أن يكون الرسول أميا : لا يقرأ ولا يخط بيمينه ، حتى لا يرتاب الناس في نبوته ، ولا تتكاثر عليهم أسباب الشك في صدق دعوته ، حين يقرأ عليهم : **(قرآنا عربيا غير ذى عوج)** ، **(يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين)** .

وكانت أمته أمية أيضا ، معزولة عن الحضارات المجاورة ، حتى لا يقال : عنده علم من الكتاب ، أو مثقف اطلع على فلسفات ومناهج فكرية ، فادعى بما وعى نبوة في أمة حضارية ، ليكسب وتكسب مجدا ، أو يحيى وتحيى ذكرا :

(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) الجمعة/٢ .

● واقتضت الحكمة أن يكون مهد الرسالة في شبه الجزيرة العربية ، لوسطيتها بين أمم تموج بالمدنية والحضارة ، أو قل : بين أمم ذات حضارات جانحة ، لأنها قامت على أسس مادية بحتة ، وليس لها عقل رشيد يؤيده وحى السماء ، وتمثلت الحضارات الجانحة في فارس والروم ، والهند واليونان .. فجزاهم الله بما كفروا ، وهل يجازي إلا الكفور ؟

وتشرفت الجزيرة بالرسالة ، وحمل الأمانة ، للوسطية ، ولأن فيها البيت الذي أقامه إبراهيم ، واسماعيل ، وولد بجانبه خاتم الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

● وولد النبي يتيما ، فتولته عناية الله ، وليس من الصدفة أن يولد يتيما لا تكتحل عيناه برؤية والده ، ويحرم منذ النشأة الأولى ، ومنذ نعومة أظفاره من عاطفة الأم ، وحنان الوالدة ، ورعاية الوالد .. حتى لا يقال : أرشده أبوه الى طلب زعامة ونيل مجد ، وبخاصة وقد كان جده عبد المطلب صاحب راية ، وله الرفادة والسقاية للحجيج ، وشرف الخدمة للبيت ، والصدارة في قومه ، فضلا عن أن عمه لم يسلم ، حتى لا يتسرب لغط بأن للقبيلة مدخلا ، وللعصبية وقديم الزعامة مطلبا .. فتلتبس الزعامة بقداسة النبوة .

وما تدلل اليتيم التدليل المفسد ، ولا تقلب في النعيم ، حتى لا يتوق إلى مجد المال والجاه ، ويحن إلى مألوف التنعم وطراوة العيش وبلهنيته ، بل

ظل مضرب الأمثال في الاخشوشان ، والرجولة والاعتماد على الله والنفس .

يجدونه مكتوبا عندهم :

أعلم الله سبحانه رسله وأنبياءه ، بعلامات محمد ومبعثه ، وعهد إليهم أن يبشروا بظهوره ، ويوصوا باتباعه ، وذلك لعظمته ، ولكون رسالته كافة للناس جميعا ، وخاتمة الرسالات ، حين شبت الانسانية عن الطوق ، وباينت الطفولة ، وبلغت رشدها ، فأرسل الله لها : « رسول الله وخاتم النبيين » . وذاعت البشارات به وانتشرت ، وعلمها القاصي والداني ، وسجلت في كتب أهل الكتاب ، وتولى جمعها والكتابة فيها علماء عاملون فدونوها وصانوها من التحريف والتبديل ، والعبث والضياع .

● جاء في سفر التثنية من التوراة : (أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به) . والمماثل لموسى في الرسالة هو محمد ، عليهما صلاة الله وسلامه ، واخوة بني إسرائيل هم العرب ، إذ لم يقل من أنفسهم ، وقوله : (وأجعل كلامي في فمه) يوافق حال محمد النبي الأمي .

● بل يبكت القرآن علماء بني إسرائيل أنهم علموا بشارته ، فكانت آية لهم ، فكان الأولى بهم ــ بعدئذ ــ أن يصدقوه : **(أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل)** الشعراء/١٩٧ .

● ويؤكد القرآن الكريم معرفة أهل الكتاب بعلاماته حق المعرفة : **(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)** البقرة/١٤٦ .

ويروى القرطبي وغيره من أئمة المفسرين ، أنه لما نزلت هذه الآية ، سأل عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ عبد الله بن سلام ــ وكان كتابيا فأسلم ــ : أتعرف محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما تعرف ابنك ؟

قال عبد الله بن سلام : نعم ، وأكثر : بعث الله أمينه في السماء إلى أمينه في أرضه بنعته (بصفته) فعرفته ، أما ابني ، فلا أدري ما الذي قد كان من أمه .

● وينكر القرآن أن صفاته ، وما تتطلبه رسالته الخاتمة منهم أمرا ونهيا ، وجزاء من اتبعه باحسان .. كل ذلك مكتوب عند أهل الكتاب : **(الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)** الأعراف/١٥٧ .

● وكان اليهود يستفتحون على الأوس والخزرج ، قائلين : إن نبيا سيبعث قريبا ، وسنتبعه ، ونقتلكم

معه قتل عاد وإرم .. فلما جاء الرسول نكثوا عن الاتباع بغيا وحسدا ، قال تعالى : **(ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)** البقرة/ ٨٩ .

● وحكى القرآن قول عيسى ابن مريم ــ عليه السلام ــ لقومه : **(ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)** الصف/٦ .

وحسبنا ــ في هذه العجالة ــ من البشارات ، هذا الغيض من الفيض .

●

ورؤيا أمي التي رأت :

مولد الرسول الكريم حف بالكرم الالهي ، والعناية الربانية عند مولده ، وظهرت خوارق وغرائب ، إرهاصا بنبوته ، وتمهيدا لرسالته ، وإعلانا بعظيم رتبته ، وسمو منزلته ، ورفعة ذكره :

● فالتاريخ وعى أن محمدا ولد في عام الفيل ، بعد الحادث بخمسين يوما ، فكانت قصتهم إرهاصا بميلاده ونبوته ، وكيف أن الطير الأبابيل أحكمت الرمى ، وأصابت الهدف ، فحمى الله البيت للمسلمين : قبلة ومحجا ، ومصلى ومتجها .

ولكن الرسول الخاتم يؤرخ لنفسه منذ بدء الخليقة ، وبأنها الرسالة الخاتمة ، والجامعة والشاملة ، في علم الله التام الكامل :

● يروى الامام أحمد عن العرباض بن سارية ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « إني عند الله لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته (أى ملقى في الأرض قبل نفخ الروح فيه) ، وسأخبركم عن ذلك :

إنى دعوة إبراهيم ،

وبشارة عيسى ،

ورؤيا أمى التي رأت ، وكذلك أمهات النبيين يرين ،

وإن أم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام » رواه الطبراني .

فهو دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام ، حين تضرع إلى ربه تعالى :

(ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) البقرة/ ١٢٩ .

وهو بشارة عيسى ابن مريم عليه السلام : **(ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)** الصف/٦ .

ويروى حسان بن ثابت رضي الله عنه : « إني لغلام ابن سبع سنين أو ثمان ، أعقل ما رأيت وسمعت ، إذا يهودي يصرخ ذات غداة : يا معشر قريش ، هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ قالوا : لا نعلم . قال : انظروا ، فانه ولد في هذه الليلة نبي هذه الأمة » أخرجه البيهقي وأبو نعيم .

إنه كان يعلم النور من شواهد كتابه وبشاراته ، فرأى النور .

أنا بشر مثلكم :

يصر البعض على الوقوف عند وصف الرسول بالبشرية ، ويغفل عن أنه بشر « يوحى إليه » ، وهذا ما يميز بشرية الرسول عن بشرية غيره من البشر . فوصف البشرية عام ، ولكن بضميمة الوحي إليه يوحى بأنه الرسول المختار ، الذي لا ينساق ولا ينزلق وراء الأهواء والنزوات والنزعات البشرية ، التي تعرض للبشر . يقول الله تعالى: (**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي**) الكهف/ ١١٠ أى هو مهيأ بخصائص أعده وزوده بها مولاه ، وأمده في روحه وجسده وعقله وحواسه ومداركه .. بقابلية الاختصاص لأن يتلقى الوحي من لدن الحكيم الخبير .. والكثيرون من البشر لا طاقة لهم على تلقي الوحي ولا بأيسر طريقة من طرقه ، لأنهم غير مهيئين له .

ومن خصائصه البشرية ميله لما يميل له البشر .

فهو يمزح ولكن لا يقول إلا حقا : جاءته عجوز تسأله الدعاء لتدخل الجنة ، فقال لها : إن الجنة لا يدخلها عجوز ، فولت تبكي .. فقال لجلسائه : أخبروها بأنها ستدخلها شابة (**إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن أبكارا . عربا أترابا . لأصحاب اليمين**) الواقعة/ ٣٥ ـ ٣٨ فضحكت .

وهو يمارس الرياضة المفيدة : فكان يسابق عائشة ، فتسبقه ويسبقها رضي الله عنها وأرضاها . ويحسن السباحة ، ويحن للذكريات : روى ابن سعد عن ابن عباس وغيره ، قالوا : لما بلغ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ست سنين ، خرجت به أمه إلى أخواله بني عدى بن النجار بالمدينة تزورهم ، ومعه أم أيمن . فنزلت به دار التبابعة ، فأقامت به عندهم شهرا . فكان صلى الله عليه وسلم ـ يذكر أمورا كانت في مقامه ذلك . ونظر إلى الدار ـ وهو بالمدينة بعد الهجرة ، فقال : « ها هنا نزلت بي أمي ، وأحسنت العوم ـ أى السباحة ـ في بير بني عدى بن النجار ، وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إلي . قالت ـ أم أيمن ـ فسمعت أحدهم يقول : هو نبي هذه الأمة ، وهذه ـ المدينة ـ دار هجرته ، فوعيت ذلك كله من كلامهم » .

وفي رواية أبي نعيم ، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « فنظر إلى رجل من اليهود ، فقال : يا غلام ما اسمك ؟ قلت : « أحمد » ونظر إلى ظهري فأسمعه يقول : هذا نبي هذه الأمة ، ثم راح إلى إخوانه من اليهود فأخبرهم فأخبروا أمي ، فخافت علي ، فخرجنا من المدينة » البداية لابن كثير .

ويميل للهو فيحميه الله تعالى منه : فقد تناهى إلى سمعه مزامير الأفراح بمكة ، وهو صغير يرعى الغنم ، فأوصى راعيا يجاوره بحراسة غنمه حتى يشهد السامر بمكة مع اللاهين ، فما سمع ، بل ضرب الله على آذانه بالنوم ، وما أيقظه سوى حر الشمس اللافحة في اليوم

الثاني .. فقد أدركته عناية الله ، فحمته من العبث واللهو .

ولكن بشريته تتفوق حين واصل « الصيام » بروح زكي ، فواصل معه بعض أصحابه فنهاهم عن الوصال ، فقالوا : نراك تواصل يا رسول الله . فقال : « إني لست مثلكم » وفي رواية : « إني لست كهيئتكم : أبيت يطعمني ربي ويسقيني » الترمذي .

فهو بشر وليس كالأبشار ، كالياقوت حجر ، وليس كالأحجار !!
ومع بشريته عصمه الله من مظاهر الانحراف كلها ، وعما لا يتفق والسلوك السوى ، وعما لا يليق بمقتضيات الدعوة التي هيأه الله لها ، ويستوى في ذلك حاله قبل البعثة حيث لا وحي ولا شريعة تعصم ، ولكنه عاصم خفي يحول بينه وبين ما تتوق إليه نفسه ، وما لا يليق بمن هيأتهم الأقدار لاتمام مكارم الأخلاق : إنها عناية الله الذي رباه على عينه .. كما يستوى في ذلك بعد البعثة ، حيث اصطفاه مولاه ، وطهره ، وعلمه ما لم يكن يعلم ، وأقرأه باسمه ما لا ينساه ، وكان فضله عليه عظيما .

في رسول الله أسوة حسنة :

أيده الله بالوحي فهو رسول ، قبل أن يكون شخصية سامية ، أو عبقرية فذة . وهو مثل أعلى في كل شئون الحياة الفاضلة ، والسلوك الزاكي . وسيرته الذاتية مثل سام من حيث هو مستقل بذاته أو عضو فعال في مجتمعه : فهو شاب طاهر ، أمين مع قومه ، داع بالحكمة والموعظة الحسنة ، رئيس حكيم بالمؤمنين رءوف رحيم ، زوج مثالي في بَيته ، سياسي صادق محنك ، قائد ماهر نظيف ، متبتل خاشع عابد ، فكه أديب ظريف في أهله وأصحابه ..

فمنتهى القول فيه أنه بشر
وانه خير خلق الله كلهم

فلنفرح بمولده ، ولندع أبناءنا يفرحون بالذكرى ، ولندخل البهجة عليهم فيها ، ولنتدارس سيرته ، لنتصور الحقيقة الاسلامية من مجموعها متجسدة ، أو كعمل تطبيقي يجسد الحقيقة في مثلها الأعلى .

ولنجدد حبنا للنبي ـ صلى الله عليه وسلم في ذكراه ، ولنجعل دليلنا الصادق على حبه باتباعه فيما جاء به من عند الله ، وبذلك نحب نبيه ، ويحبنا الله : **(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)** آل عمران/٣١ والى ما فيه سعادة الدارين أطيعوه **(وأتبعوه لعلكم تهتدون)** الأعراف/١٥٨ .

ولنقس أنفسنا بعدا أو قربا من مبادئ صاحب الذكرى ، فان كنا قريبين فلنحمد الله ، وان كانت الأخرى ، فلنتق الله حق تقاته ، ولنستغفر الله : **(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)** الأحزاب/٢١ .



قالوا في الأمثال

دون ذا وينفق الحمار

مثل يضرب للمبالغة القاتلة ، وأن الشيء إذا زاد عن حده ، إنقلب إلى ضده .

وذلك أنه إذا كثر طلاب سلعة أو خطاب فتاة ، قيل إن السلعة أو الفتاة قد نفقت ، وكذلك يقال : نفقت السوق إذا راجت قالوا في سبب هذا المثل :

أراد رجل بيع حماره ، فذهب إلى المختص بعرض الدواب للبيع ، والمناداة عليها وقال له : اذكر محاسن حماري ، ولك مكافأة حسنة إذا بيع بثمن غال .

وذهب الرجل بحماره الى السوق فأقبل عليه المنادى على بيع الدواب وصاح أمام الناس : أهذا هو حمارك الذي كنت تصيد عليه الوحوش ؟ فأحس الرجل أن هذا المدح مبالغ فيه ، وأن هذه المبالغة قد تؤدي إلى عكس المطلوب ، وربما تفوت عليه ما قصده ، فلا يصدق الناس قوله ولا يقبلون على شراء الحمار ، فأسرع يقول للمنادى : دون ذا وينفق الحمار ! أي قل قولا أقل من هذا يناسب الحمار ، فان اكثارك قد يعطل بيعه .

وهكذا قد تفوت المبالغة القصد وتعكس المراد ، وحينذاك يقال : « **دون ذا وينفق الحمار** » أي ان المبالغة لا تجدي ، بل قد تجلب الضرر ..

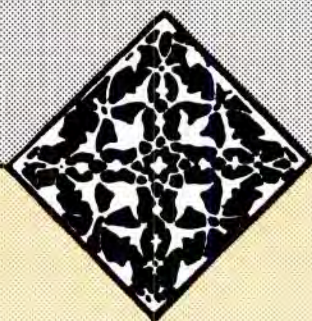
الذئب خاليا أسد

من يجد نفسه وحيدا في مأزق حرج ، وقد أحاط به خطر ، فانه يستخدم كل قوته وحيلته ليخرج من المأزق ، وينجو من الخطر ، لأنه ليس معه من يتكل عليه ، ويطمع في عونه ونجاته وحينئذ يقال له : « **الذئب خاليا أسد** » أي يكون مثله كمثل الذئب المنفرد أمام العدو أو أمام الفريسة حين يعتمد على نفسه فتبدو كل قوته ، وسيظهر الكامن من بأسه وشجاعته .

محمد بن عبد الله

عليه الصلاة والسلام

نموذج كامل للحضارة الراقية



للدكتور : عبد الحليم عويس

هذا النبي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، جاء يطرح مفهوما فذا للحضارة .. جاء يجمع في ظلاله ــ على مستوى السلوك ــ وفي ظلاله ــ على مستوى التقعيد معنى متكاملا للحضارة التي تاه في تحديدها المنظرون .

● الحضارة ــ في ظلاله ــ مستوى إنساني ينتظم كل الجزئيات الفكرية والسلوكية .

● مستوى انساني ممتد في الزمن ، يربط بين الدنيا المحدودة والآخرة اللانهائية .

● مستوى إنساني ممتد في المكان ، يكرم الانسان ، ويحدد حقوقه أنى كان ، دون تفرقة على أساس لون او جنس ..

● مستوى إنساني ممتد في الوقائع ، فلا جزئية فوق القانون ولا جزئية لا مكان لها في القانون .

● مستوى إنساني ممتد في المجتمع والفرد ، والرجل والمــــرأة ، والقوى والضعيف ، والجسم والروح ، والمادي واللامادي ، والطبيعة وما وراء الطبيعة ، دون انفصامية مصطنعة ، أو تشقيقية قاتلة مدمرة .

ــ والعجيب ــ الذي يمثل أبرز ظاهرة فردية في التاريخ ــ أن هذا النبي الكريم قد مثل ــ بحياته ــ كل أطوار الحضارة في مراحل رقيها ، حتى ليخيل للدارس أن ــ حياته عليه الصلاة السلام ــ حضارة مستقلة ، تتجلى كشعاع وهاج لكل الحضارات الباحثة عن المستوى الانساني السامي الجدير بالانسانية المتحضرة .

إنه لا انفصام في حياته عليه الصلاة السلام بين قول وفعل ، وظاهر وباطن ، وجوانب شخصية وجوانب اجتماعية ، وأعمال دنيوية ، وأعمال أخروية .

إنها جميعها كل متسق لا تصطدم وسائله ، ولا تتعارض غاياته ، وهي كلها ناضجة بالمستوى الانساني الذي يشكل المضمون الحي للحضارة .

ــ ففي عالم الفكر كان طلب العلم فريضة ، وعبادة ، وسلوكا ..

ــ وفي عالم المادة كان بناء الحياة ــ بلا حدود رقيقة ــ تشريعا وعبادة : قال عليه الصلاة والسلام :

« إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة ، فان استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر » رواه البخاري وأحمد .

ــ وفي عالم العلاقات الاجتماعية الانسانية ثمة شمول يمتد إلى كل صغيرة وكبيرة . وقد وضحها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : « إن أبواب الخير لكثيرة : التسبيح ، والتحميد ، والتكبير ، والتهليل ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وتميط الأذى عن الطريق ، وتسمع الأصم وتهدى الأعمى ، وتهدى

المستدل عن حاجته ، وتسعى بشدة ساقين مع اللهفان المستغيث ، وتحمل بشدة ذراعين مع الضعيف . فهذا كله صدقة منك على نفسك ، وتسبيحك في وجه أخيك صدقة ، واماطتك الحجر والشوكة والعظم من طريق الناس صدقة ، وهديك الرجل في أرض الضحالة لك صدقة » (رواه مسلم) ـ وحتى مع الحيوان وهو يذبح ثمة سلوك حضاري أخلاقي لا بد أن يتبع « فان قتلتم فأحسنوا القتلة . وإن ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » . (رواه الستة ما عدا البخاري) .



تبدأ الحضارة مسيرتها ـ في ظلال محمد ـ معتمدة على مقومين أساسيين هما : الأفكار والانسان .

ـ وبدون أفكار حضارية تمثل الخميرة المعنوية ، أو الطاقة النفسية لا يمكن اشتعال مصباح حضارة .

« إن شعار لا إله الا الله الذي أمر محمد صلى الله عليه وسلم برفعه في وجه الجاهلية ، جاء انقلابا شاملا على كل المستويات الدينية والاجتماعية ، بنواحيها الفكرية والنفسية والأخلاقية والسياسية والسلوكية .

وهو إشعار واضح بضرورة رد الأمر كله إلى الله (الحاكم) و (المشرع) ، وتجريد الانسان فردا وجماعة من الخضوع للغايات الجزئية القاصرة ، واتباع (الهوى) و (الظن) في كل صغيرة وكبيرة . وكان هذا الشعار ـ وهو شعار ممتد في التاريخ امتداد الحقيقة السمحاء ـ أساسا فكريا انطلقت منه فروع فكرية حددت موقفا حضاريا متميزا يمثل الأساس الاسلامي للحضارة الاسلامية والانسان المسلم !!

ـ وكان الانسان الذي استخلصته الحضارة الاسلامية من بين التراب الجاهلي : هو الوعاء النظيف الحي ... الذي جسد أفكار هذه الحضارة وأعطاها بعدها الحياتي وأساسها الثاني الضروري .

ـ ومن الالتحام بين الفكر والانسان في الزمن ـ تم ذلك الابداع الذي أطلق عليه « الحضارة الاسلامية » .. تلك التي برزت أسطع ما يكون البروز في ظلاله ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

الخندق ميلاد حضارة :

من الخندق دائما تولد الحضارات المبدعة ...

ولم توجد حضارة ولدت قبل معاناة الحمل والوضع والتعرض لمبضع الجراح .

وكانت الفترة التي بدأت بالهجرة ، وانتهت بالخندق هي الفترة التي تعرض المسلمون فيها لآلام الحمل كأشد ما تكون المعاناة .

وثمة موقفان واضحا الدلالة على ميلاد الحضارة في الخندق ـ لم يلقيا حقهما من

التحليل الكافي ، برغم ورودهما في معظم مصادر السيرة الزكية :
أولهما : يرويه سلمان الفارسي ـ ودوره في الخندق مشهور ـ عندما غلظت عليه صخرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا منه ـ يقول سلمان :
« كلما رآني أضرب ، ورأى شدة المكان علي ، نزل فأخذ المعول من يدي ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، قال ، ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلمعت تحته برقة أخرى ، قال ثم ضرب به الثالثة ، فلمعت تحته برقة اخرى ، قال : قلت بأبى انت وأمي يا رسول الله ، ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول ، وأنت تضرب ! قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ أوقد رأيت ذلك يا سلمان ! : قال : قلت نعم ، قال : أما الأولى فان الله فتح علي بها اليمن ، وأما الثانية فان الله فتح علي بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فان الله فتح علي بها المشرق » رواه الطبري
وثانيهما ـ تلك القولة القوية الدلالة التي قالها الرسول عليه الصلاة والسلام ـ لما انصرف عن الخندق :
« لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم » .
فكان كذلك حتى فتح الله مكة وما بعدها (كما يقول ابن هشام والطبري) .
وهكذا في أصعب لحظات الصراع الدموي كانت تولد ـ في ظلال رؤية النبوة ـ الاستشرافات المستقبلية للحضارة الجديدة الممتدة التي ستدين على سعتها لفكر وسلوك النبي الكـريم ـ عليه السلام ـ وللصفوة القادرة صانعة الخندق وحارسته .

هذا النبي حضارة كاملة راقية :

ـ الانسان ـ أي إنسان ممتاز ـ تجتمع فيه بعض صفات السمو ، وبالتأكيد لا يوجد ذلك الانسان الذي تجتمع فيه كل صفات السمو .

إلا محمدا عليه الصلاة والسلام .
ـ وأنت وأنا قد نقتدي بانسان في سلوك ، ولا يضيرنا ولا يضيره أن نخالفه في سلوك آخر فهذا تحقيق للذات ..
إلا محمدا عليه الصلاة والسلام
ـ ويقولون : إن خيوطا رفيعة تفصل بين العبقرية والجنون ، وبين الشجاعة والتهور ، وبين البخل والتنظيم ، وبين الكرم والاسراف ، مما من شأنه أن يربك سلوك كثير من الناس ويجعلهم يتأرجحون يمينا ويسارا . (إلا محمدا عليه الصلاة والسلام) .
ـ والمرء قد يكون سياسيا ماهرا فتدفعه السياسة إلى التنكر لأصدقائه ، وقد يكون تاجرا ناجحا فتدفعه التجارة إلى الكذب والغش ، وقد يكون زوجا ناجحا فيخضع في تبعية وذل لمن يحب . وقد .... وقد ... وقد ...(إلا محمدا عليه

الصلاة والسلام) .
– وكما نعرف من حياة الأنبياء السابقين والمصلحين الكبار فانك قد تجد في حياتهم أسوتك في أمور العبادات . ولكنك لا تجدها في أمور المعاملات ، وأنت واجدها بالتأكيد في أمور العقيدة ، لكنك لا تجدها في أمور الأحوال الشخصية كزوج وكأب أو في أمور الحياة الاجتماعية . كرجل يتعامل مع الناس تعاملا بشريا يوميا . وقد .. وقد .. (إلا محمدا عليه الصلاة والسلام) .
– وبروز الانسان في بعض القيم الفاضلة قد يجره إلى النقص في فضائل اخرى ... فالشجاعة قد تدفع إلى الغرور ، والكرم قد يدفع إلى طلب الفخر والذكر الحسن ، وكثرة العبادة قد تدفع إلى الرياء أو الشعور بالكمال ... وهكذا .
إلا محمدا عليه الصلاة والسلام .
– والعابد قد تكون عبادته على حساب بيته أو مجتمعه .
– والعالم قد يكون طلبه العلم على حساب أسرته أو على حساب القيم الانسانية نفسها ، والسياسي قد يظن نفسه ملكا للأمة وليس للزوجة أو العيال ، أو الأصدقاء . (إلا محمدا عليه الصلاة والسلام) .
في ظلال النبي ... النبي الحضارة الكاملة الراقية « النموذج » في ظلال النبي ... وجدت على نحو فريد ، الحضارة المتوازنة البشرية السماوية الواقعية ..
وفي ظلاله عليه الصلاة والسلام وجد الانسان النموذج الذي وجدت فيه كل الفضائل حياتها وتماسكها وانسجامها .. الشجاعة .. الصبر .. العمل .. الحق .. الواجب .. الوفاء .. العدل .. الرحمة .. القناعة .. الكرم .. العفو .. الرفق .. التواضع .. الصدق .. الأمانة .. العفة .. الحكمة .. العقل .. الرجولة .. الرقة !!



أجل ... اذهب إلى ظلاله عليه الصلاة والسلام كما يذهب الهارب من جحيم المادية والهبوط وقلب صفحات حياته الندية .. وسوف تجد لكل خلق من هذه الأخلاق نصيبا كبيرا لدرجة قد تطلق معها أنه عليه الصلاة والسلام كان مبتعثا لنشر هذا الخلق وحده وتثبيت دعائمه وحسب .
لكنك إن ذهبت إلى خلق آخر فسوف تجد أن ما هو موجود في الخلق الأول موجود نفسه في الخلق الثاني .. وهكذا ..
إن أهل مكة الكفار ... كانوا يسمونه « الصادق » و « الأمين » فكأن هاتين الصفتين محصورتان وقاصرتان ومضافتان الى اسمه الأصلي « محمد » .
والمسلم الذي يطالع الآن صفحات النبوة يجد أن كل خلق من الأخلاق المذكورة آنفا يمكن أن يطلق عليه صلى الله عليه وسلم بنفس التحديد ، أى كأنه صفة قاصرة عليه . بديل عن اسمه الكريم ، فكما قال الكفار عنه الصادق والأمين يقول المسلم : الصابر ، الوفي ، الكريم ، الرفيق .. الرحيم .....

وهذه الأخلاق أصيلة في ظلاله العالية .. إنها ليست قابلة للتغيير ولا للتأثير .. إنها فوق التغيرات والمؤثرات الخارجية .. وإن كل صفة منها توضع في مكانها السليم ..
وكل هذه الصفات انتظمت حياته عليه الصلاة والسلام على الرغم من كل تقلباتها :
فمحمد المطارد المحارب في مكة ... هذه صفاته
ومحمد الذي يعامل النفاق واليهود في المدينة ... هذه صفاته .
ومحمد الفقير .... محمد الغني ... هذه صفاته ..
محمد الرئيس .. محمد المحارب ... هذه صفاته .
محمد الأب ... الزوج ... السيد ... الراعي ... هذه صفاته .
محمد القائد النبي الانسان ... هذه صفاته .
وهكذا ... تمتد ظلاله الكريمة على امتداد حياته كلها بلا تكلف أو رياء ... أو قصور ... أو اختلال ...
إنها صفات أصيلة ... تبدو وكأنها بعضه ، بعض دمه الذكي وبعض أنفاسه العالية ... عليه الصلاة والسلام .

موكب الحضارة ... في ظلال النبي

الماضي في ظلال النبي ليس عبثا ..
إنه المسيرة البشرية بكل ألوانها ... وأمراضها وعلى الطبيب الأخير (عليه الصلاة والسلام) أن يستفيد من التجارب السابقة .
والماضي ليس تفصيلات فارغة يضيع معها الحاضر .. وآفاق المستقبل .. بل إنه رؤية تركيبية كلية تهدف إلى إعطاء المضمون الأخير الذي تتمثل فيه العبرة حتى تعرف أمته كيف تنهض الأمم .. وتعرف أيضا : كيف تسقط الأمم .
إن الماضي ليس نفيا كله وليس مقدسا كله ... إنه في ظلال النبوة خليط يكشف المرض والصحة ... والصعود والهبوط ... وعلينا أن نختار .
والخير والحق والجمال في الماضي ... هي من دعائم دعوته بل إن دعوته امتداد لهذا الماضي النبوي الحافل ... إنه حارس هذه القيم عليه الصلاة والسلام بصرف النظر عن ماضيتها أو عن حاضريتها أو مستقبلها .
إن القيم لا علاقة لها بنسبية الزمان ... إنها حاكمة الزمان ... وحامية حركته وليست ذيلا تابعا للأهواء المريضة والفلسفات المغرضة وتقلبات ما يسمى بالتقدم والتخلف .
هذا هو الماضي في ظلال الحضارة النبوية الكاملة .
أما الحاضر فهو الواقع المعاش ... هو الحركة اليومية التي لا حارس لها إلا ما رسمه منهج القرآن .. وما صورته ظلال النبي عليه الصلاة والسلام .

إن الحاضر حلقة متصلة بالماضي ... تهيئ للمستقبل فهو ليس مبتورا عن واجبات الماضي متخليا عنها وهو ليس انطلاقة عابرة مجنونة تسحق إنسان الحاضر باسم الجري وراء المستقبل .

وللحاضر دوره وحقه في ظل قوانين الله ، وفي رعاية الأخلاقيات اللائقة بحق الانسان وكرامة الانسان .

واذا كان الحق والخير والجمال محترما في الماضي ، فلا بد من باب أولى أن يعيش في الحاضر ، وأن تزدهر أزهاره في كل ركن من أركان الحياة ... مادة ومعنى ، أفرادا ومجتمعات من غير انفصال عن « عبرة الماضي » أو « حق المستقبل » .

والمستقبل له حقه في ظلال النبي عليه الصلاة والسلام .

المستقبل القريب .. والبعيد معا ..

ومن المعجزات الخارقة لهذا النبي الأمي الذي لم يدرس في معهد تخطيط او أحصاء ، او يتدرب في مرصد من مراصد تنبؤات السياسة ... او التاريخ ... من معجزاته ان كل ما تنبأ به كان صدقا .

وكان حقا حتى كأنه يتكلم كلماته لرسم واقعي للمستقبل ... لا زيادة فيه . وكلماته في ذلك كثيرة ..

حديثه عليه الصلاة والسلام عن أمته التي تشبه القصعة والتي يوشك أن يتداعى عليها الأعداء بينما المسلمون كثير يشبهون السيل .

ألست ترى الحديث أصدق صورة لما نحن عليه اليوم من انتفاضة من روسيا واسرائيل وامريكا واوربا – على أرضنا وبترولنا !!

وأليست هذه الصورة قد صدقت على المسلمين حين اقتسمت بريطانيا وفرنسا واسبانيا وهولندا – العالم الاسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين !!!

وحديثه الآخر في مدى تبعية المسلمين لليهود والنصارى : « لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب خرب لدخلتموه ... قالوا : اليهود والنصارى يا رسول الله ؟ قال : فمن إذن (أى فمن غيرهم) رواه البخاري ومسلم .

– ألا ترانا الآن نعيش صورة هذا الحديث .. أذيالا لليهود والنصارى حتى في ملابسنا وتسريحات شعرنا وتعلمنا الدراسات العربية والاسلامية !!

– وحديثه الآخر عن « الفتن » حين قال لأصحابه : « هل ترون ما أرى ؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر رواه البخارى ومسلم « فكانت » الفتنة الكبرى . ثم كانت عشرات من الفتن الكبرى بين المسلمين بعد ذلك !!

– وحديثه عن فتنة النساء بعده على الرجال

– وحديثه أن الله جعل بأس أمته بينها

– وحديثه في الخندق عن خضوع كنوز كسرى وقيصر للمسلمين

– وحديثه عن الأمن الذي يمشي في ظله الرجل من مكة إلى صنعاء لا يخشى إلا الذئب .

ـ ... ونترك هنا معجزاته المستقبلة الفردية التي تتعلق بأفراد كموت عمار بن ياسر على يد الفئة الباغية !! وموت أبي ذر وحده (في الربذة) وموت « قزمان » الشجاع على النفاق ، وإخباره إن فاطمة أول أهله لحوقا به إلى الرفيق الأعلى ، وإخباره ـ للمسلمين وهو في الثالثة والستين فقط ولمعاذ بن جبل حين ذهب الى اليمن ... بأنه قد لا يلقاه بعد عامه هذا ... وبأنه قد يمر بمسجده وقبره معا .
وحديثه عن قتال المسلمين لليهود ... قبل قيام الساعة !!
وحديثه عن الفتن التي تتأتى كقطع الليل المظلم : يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا ... « بوزارة أو امرأة أو غير ذلك » .
لقد عمدنا إلى الاطناب بعض الشئ في ذكر كلمات الرسول المستقبلية ، وكيف أنها كانت عين الصدق ... لنكشف حقيقة رجال المادية الجدلية اليهودية (مسيلمة العصر الحديث) كارل ماركس ... فان جميع فتاواه التاريخية المستقبلية التي سماها أذياله « تنبؤات حتمية ... كانت كاذبة !! »
وبعد نصف قرن فقط من فتاواه ركعت الشيوعية كبلد فقير أمام الرأسمالية القوية التي تنبأ ماركس بسقوطها ... ولم يسقط أى مجتمع رأس مالي ، زعم ماركس أنه سيكون ملجأ الماركسية لكن على العكس آل أمر المجتمعات الشيوعية الى الحضيض ..
إنسانيا .... وماديا ... وفكريا !!
لكن النبي الأمي (الصادق الأمين) الذي خرج في مكة قبل أربعة عشر قرنا من ظهور عصر العلم والتكنولوجيا ...
هذا النبي ... صادق لا يكذب وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي علمه شديد القوى ..
فكل كلمة من كلماته قبس من نور الحقيقة الالهية المهيمنة على التاريخ البشري كله :
المهيمنة على الماضي ... بنفي الخبيث وإتمام مسيرة الحق والخير والجمال !!
والمهيمنة على الحاضر ... بتحقيق خلافة الله في الأرض ، واستمرار مسيرة الحق والخير والجمال .
والمهيمنة على المستقبل ... برسم صورته العامة التي تتحرك وفق قوانين الله ، والتي تساعد قافلة الانسان على السير أيضا في طريق الحق والخير والجمال !!
يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم .
والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما . يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) النساء/٢٦ ـ ٢٨ .
وعلى محمد العربي الهاشمي ـ النموذج الكامل للحضارة ـ سلام الله ورحمته وبركاته .

وإذ يمكر بك الذين كفروا

للأستاذ : عبدالحميد المشهدى

هؤلاء أشياخ قريش في طريقهم الى دار الندوة مطأطئى الرؤوس لثقل ما تحمل من هموم ، وكثرة ما يمر بها من خواطر ، وهؤلاء شباب بني عبد شمس ونوفل ومخزوم ، يؤلفون حلقات متناثرة قبالة الدار يتناقشون – في حدة – حول ما توافد الأشياخ لأجله .. وهذه نوافذ الدور المحيطة بالمكان المرموق ، تشرق منها وجوه امتزج فيها الجمال المقبل بالوجل المدبر ، وحارت فيها عيون تلاقى فيها الصفاء الناعس ، بالحيرة المذعورة .. وهذا فضول الطفولة يدع الذرارى شاخصة هنا وهناك حول هذه الحلقات تتسمع وإن لم تفهم ، وتمعن النظر وإن لم تع ، حتى شد انتباههم نزغ سكير يهرف بما لا يعرف ، ويغنى بما لا يكاد يبين ، فهمس أحدهم في أذنه قائلا :

– سنكفيك أمره ..

فتراجع المخمور الى الوراء ، ثم انثنى الى الأمام ، ثم مسح على شاربه وعثنونه – والعثنون مؤخر الذقن – وجحظ في وجه محدثه وقال – وهو يهتز في شبه إغضاءة :

– من يكنه يا هذا ؟

الشاب : ابن أبي كبشة ذلك الذي ينفر الناس من الخمر – وابن كبشة : كنية كانت تطلقها قريش على رسول الله سخرية وهو أى أبو كبشة زوج حليمة التي أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم –.

السكران : مترنحا – مسكين .. اعذروه فانه لم يذقها .. ولو أنه شرب قدحا منها – لباع رسالته بالثاني .. دعوه .. ينفر الناس من الخمر حتى تبور تجارتها فترخص فأشرب منها

كما أشاء .

ضحك الشباب لتخلص السكير من ورطته ، وراحوا يذودون عنه سخرية الأطفال ، وما كادوا يتخلصون من ملحمة السكير ، حتى لفتت نظرهم حيرة شالوم اليهودي ينظر يمنة ويسرة ويتساءل :

ــ ما هذا الملأ من قريش في مثل هذه الحال ؟

شالوم : ساخرا ــ شفقة بهذا الرجل ، فان بذهنه دخلا ، وليس بين أصحابه الا فتى مفتون ، وعبد آبق ، وشيخ مأفون ، وجلهم فقير معدم ، ولو طعموا يوما لذة المال ، لأنستهم حلاوته عذاب الجحيم .. ولم يقطع على اليهودى حديثه ــ الا دبيب كاهنة تحملها هراوتها وقد أحاطت عنقها بمجموعة متنافرة من حبات فصلت بينها وحدات من الودع ، وتدلت فيها أرجل الأرانب ، وخرزات المرجان ، وقد دست في شعرها الأشعث ريشات بعض الطيور .

وبعد أن طافت واسترحمت ، وقفت قبالة (هبل) تناجيه في صوت مرتعش أجش : ويح نفسى !! أما لما نزل بقريش من نهاية ؟! اما لاصطباركم عليه من حد ؟ لقد مزقت دعوة محمد الأواصر وقطعت الأرحام ، وتمرد العبيد على السادة ، وشحت القرابين ، وضعف الاقبال على البيت ، واستهتر الشبان بالكهان ، واستخفوا بالآلهة ، فالى متى يظلنا هذا البلاء ..؟!

وما كادت تتم عبارتها حتى أجهشت ــ تأثرا ــ بالبكاء ، ثم أصابها سعال متتابع ، فألقت بنفسها على عصاها ، فانحدرت بها فوقعت على الأرض وهى تواصل السعال والنحيب ، ثم غالبت تأثرها وشخصت الى هبل ، فألفت كلبا يلعق لبنا ثم يبول في حجره ، فنهضت تطرده في غضب ، فلم تسعفها قدماها فانكفأت على الأرض مرة أخرى ، ثم نهضت وحلت منطقتها وراحت تمسح بولة الكلب عن إلهها وهى تبكى ، فسمعت على مقربة منها من يقول :

رب يبول الكلب في محرابه
وينال منه إنه لذليل ؟!

وما إن سمعت ذلك حتى توقفت يدها ثم نظرت خلفها وصاحت : يا للاله !! إنه نريح المجنون ، وما إن عادت الى مهمتها تمسح البول عن حجر هبل ، حتى سمعت مرة أخرى من يقول :

والهون يدفعه الحليم بقوة
إن لم يكن الا الدفاع سبيل

فاعتدلت وقالت :

قبحت مجنونا .. وكم من حكمة
يلقى بها المجنون وهى مزاح
هبل أباح الكلب شرب لبانه
لكن جناب الرب كيف يباح

ثم انصرفت حزينة مذعورة تتلفت عن يمين وشمال .

حلق الليل بجناحيه في الفضاء ، وخيمت الظلمة في دار الندوة لولا ذبالة مصباح تترنح في يد الرياح ، ظهر تحت ضوئها الباهت عمائم المشيخة من قريش قد استسلموا لهواجسهم وراحوا بين لاه على الرمل بعود ، أو

ماسح على صفيحة سيفه ، أو عابث بشعيرات ذقنه .. وما شق هذا السكون عليهم ـ الا قدوم الحكم بن هشام في وضاءة وجهه ، وامتداد قامته ، واسترسال ذؤابتيه على منكبيه فتجاوبت أصداء الدار ترحيبا به .. مرحبا وأهلا .

عقبة : وناقة ورحلا .

أبو البخترى : ومشتاخا سهلا .

ثم دخل أبو سفيان .. ثم فنظر أبو البخترى الى أبي سفيان وسأله : ما وراءك من أخبار هذا الرجل ؟

أبو سفيان :ـ يواصل أصحابه الهجرة سرا ، منذ أكثر من شهرين الى يثرب ، فقد ظعن مصعب بن عمير ، وعامر بن ربيع وامرأته ليلى بنت أبى خيثمة ، وعمار بن ياسر وبلال بن رباح ، وسعد وسالم مولى أبى حذيفة ، وأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وعمر بن الخطاب .

أصوات ـ في فزع ـ ابن الخطاب .

أبو سفيان :ـ وعياش بن أبى ربيعة في عشرين راكبا .

فوكز زمعة ـ الحكم بن هشام وقال له : هذا أخوك لأمك ، يحادنا من أجل محمد ، فاحمر وجه الحكم وطأطأ رأسه خجلا ، ثم تنفس وقال : سأعرف كيف أعود به في الحديد ، وحاول هشام بن العاص والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام الهجرة فحيل بينهم وبينها وكبلوا بالحديد وحبسوا ، كما حاول صهيب الرومي الهجرة فلم يعدم من قال له : أتيتنا صعلوكا فقيرا ، فكثر عندنا مالك ، وتريد أن تخرج به الى صاحبك .. لن يكون هذا أبدا .

الأسود :ـ وما خطب أم سلمة هذه تغادينا عند الابطح بالبكاء حتى المساء .

أبو سفيان :ـ إن في قصتها دليلا جديدا على قوة سحر هذا الرجل ، فقد أراد زوجها الهجرة بصحبتها فعلم أهلها بذلك فحالوا بينها وبين صحبته ، ونازعوا زوجها سلمة الصغير حتى خلعوا يده ، ولكن أبا سلمة غلبهم عليه ورحل به ، وخلف زوجته تبكى لوعة على فراقه حتى اليوم ، وإن آخر ما انتهى الى من معسكر المسلمين أن محمدا تهيأ للهجرة .

الحكم :ـ يتنفس ضيقا ـ إن أبا سفيان يقص علينا من الأنباء ما ليس بخاف إلا على القليل ممن كانوا خارج مكة لبعض الشئون ، وإنى لأرى أن هجرة محمد على وشك الوقوع ، وإذا تم له ذلك فقد تكون طريقه الى نصر منتظر ، وإن الخوف على دين قريش ليس في هجرته بقدر ما هو في هجرة دعوته ، فقد لا تعدم خارج مكة آذانا وقلوبا لا سيما بين هؤلاء الذين يجاورون تعاليم الكنائس والبيع وهى ديانات قريبة مما يقوله محمد ، وقد تلجأ بعض القبائل اليه لثارات بينها وبين غيرها ، فيجعل من شتاتها جمعا ومن ضعفها قوة ، والا فانظروا كيف جعل من مثل عمر بن الخطاب عدوا لقريش ، يتحدى أبناء عمومته وخؤولته حين هجرته ، ويدعو قريشا ـ على ملأ ـ الى النزال تهديدا لمن يحاول منعه عن الهجرة ، وكيف

طابت الهجرة لأبي سلمة دون زوجته وكيف ضحى صهيب بماله ليتركوا له سبيل الهجرة .. فاذا تمت لمحمد الهجرة ، فسوف لا نأمن منه طريق الوثوب علينا فيسلبنا سدانتنا وسقايتنا ورفادتنا وسيادتنا على سائر العرب .

أبو البخترى : احبسوه في الحديد ، واغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء حتى يصيبه ما أصابهم .

الأسود بن ربيعه :ـ نخرجه من بين أظهرنا ، فاذا خرج فوالله لا نبالي أين ذهب .

الحكم بن هشام :ـ الرأي أن تختاروا من كل قبيلة شابا جلدا حسيبا في قومه نسيبا ، ثم يعطى كل منهم سيفا صارما فيضربه الشبان ضربة رجل واحد فنستريح منه ، ويتفرق دمه في القبائل ، فلا يقدر بنو عبدمناف على حرب قومهم جميعا ، فيرضون فيه بالدية .

أصوات : مرحى مرحى .

أبو البخترى :ـ إنه لرأى ما أراكم قد وقعتم عليه بعد .

الأسود بن ربيعه :ـ وهذه جفنة من الدم فلنغمس فيها يدنا ، ليكون ذلك بمثابة عهد وميثاق يحفزنا على الوفاء به .

أصوات :ـ مرحى مرحى .

وكان السائر بين الصفا والمروة يسترعى انتباهه صدى دقات على باب أبي سفيان ، تبعها صوت مزلاج ، وصرير باب يدور على عقبه ، وأصداء شهقة عميقة تحمل البهر والاعياء ، وفحيح صوت يملؤه الفزع والانزعاج يقول :

ـ ابن أبي طالب ؟! وكيف اجترأ هذا الحدث على الدخول في فراش محمد ، وسيوف القوم تغشاه في الخارج ؟! يا لها من جرأة عاتية أجازها عليكم هذا الغلام .. وأين كنتم ساعة هربه .

عكرمة :ـ لقد هممنا أن نتسلق عليه داره ، فصاحت امرأة من الدار المجاورة في وجوهنا فتراجعنا ثم سمعنا من يقول : إنها لسبة في العرب أن يتحدث عنا : اننا تسورنا الحوائط على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا ، والله ما ندرى بعد ذلك ، كيف غلبنا النعاس .

أبو سفيان :ـ غاضبا محنقا ـ دعوني يا رجال ، وطاردوا محمدا في كل مجال ، ولمن يأتي به مائة ناقة حيا أو ميتا .. أعلنوها عنى في كل مكان ، ثم يضرب كفا بكف ويتلفت يمينا وشمالا ، ويتحدث الى نفسه فلا يكاد يبين ، ولعله كان يستعرض ما سوف تتعرض له قوافل قريش وتجارتها إذا هاجر الرسول الى يثرب ، بل ما سوف تتعرض له مكة وما حولها من مجاعة مهلكة ومحنة مربكة .

وقطع سكون الظهيرة اصطكاك الحوافر بالركام ، ووسوسة الرمال بالأقدام ، وحوار يدور بين القادمين ورعاة الأغنام .. قال أحدهما لصاحبه .

ـ عم صباحا يا عماه .

ـ عم صباحا وخيلا رباحا يا بنى .
الفارس : ألم تشاهد في طريقك رجلين ، أحدهما ربعه وضيء والثاني نحيل قميء .
الراعى : قد يكونان بهذا الغار ، وإن لم أر أحد أقدامه ولم أشهد ـ في طريقي ـ آثار أقدام غدوا إو رواحا .
الفارس :ـ عجيب أمر هذا الرجل ، هل ركب الريح الى السماء ، أم ابتلعته أخاديد الغبراء ؟! .. هيا يا فتيان للبحث عنهما قبل فوات الأوان .

وأغلب الظن أن الأثير قد حمل ما دار من حوار أمام الغار الى آذان الصاحبين ، وأن رسول الله قد استقبل ما سمعه بايمان قوى ، وجنان ثابت ، بينما ارتفعت دقات قلب أبى بكر ، خوفا على سلامة صاحبه ، فقال له صلوات الله عليه وسلامه : **(لا تحزن إن الله معنا).**

وما ان سمع أبو بكر وقع أقدام المنصرفين عن الغار حتى تنفس الصعداء ثم قال :
ـ ما كان حزنى الا عليك يا رسول الله ، فلو قتلونى فأنا فرد ، أما أنت فأمة كاملة .
ـ الرسول :ـ ما ظنك باثنين الله ثالثهما .

خميلة ظليلة من أشجار السمر ، يداعب النسيم أغصانها ، وتصفق للطيور أوراقها ، ويتردد صوت العصافير في أجوائها ، ويتفيأ كل مكدود ومحرور ظلها ، ويطيب للرعاة تبادل الأنباء ، أو سماع الأهازيج في فيئها .. ورجلان فارهان يتلفتان حولهما .. حتى إذا آنسا خلو المكان .. همس أحدهما في أذن صاحبه :
ـ يظهر أن وقت السفر قد حان .. وفي اعتقادي أن التجاء الرسول الى الغار كان لحكمة سامية فالباحثون ـ عادة ـ عن هارب خطير ، يندفعون بغريزتهم الى الدروب والمسالك المؤدية الى بلاد بعيدة ، وقد فوت الرسول على أعدائه غرضهم بالتجائه الى الغار ، فبينما تندفع الخيل والابل في كل اتجاه إذا به قابع في كهف من كهوف مكة ، ساخرا من عقلياتهم ، مستهزئا مما يبيتونه له ، ولا أعتقد أن بقاءه في الغار سيمتد لأكثر من ليلة ثالثة بعد أن تعبت مطايا قريش وراء البحث عنه .. لقد صاحب الرسول التوفيق في كل ما قام به ، فقد ترك ابن عمه نائما في فراشه ، ليوهم المتآمرين حول بيته بوجوده ، ويمنح نفسه فرصة الاختفاء ، واختار لحضوره الى منزل أبى بكر ملثما وقت الظهيرة ، حيث يختفى أهل مكة في منازلهم اتقاء الهاجرة ، واتخذ من عبدالله بن أبي بكر ـ عينا له بين محافل قريش ـ لصغر سنه ، فلا يأبه لوجوده أحد ، بينما هو فتى خطير الذكاء في نقل الأنباء الى ساكنى

الغار .. وحتى لا يتتبع أحد خطانا ـ أمر أبو بكر أن تعفى حوافر الأغنام ـ على مسيرة أسماء وأخيها عبدالله ، حين يفدون بالطعام والأخبار .

عامر بن فهيرة :ـ على أنه لا يفوتك أن أبا بكر حمل معه ما بقى من ماله ، وأن أسماء قد اضطرت الى تهدئة جدها الضرير ، فأخذت بيده ووضعتها على كوة حشدتها بصغار الحجارة وجذاذ القوارير فقال لها :

لا بأس يا بنيتى .. إذا كان قد ترك لكم هذا ـ فقد أحسن ، وفيه بلاغ لكم .. كما تعرضت للطمة على وجهها ، فأطاحت بقرطها ، من الحكم بن هشام حينما أنكرت عليه معرفتها بمكان أبيها وصاحبه .. وهكذا يضحى أبو بكر بكل ما يملك ويضع مستقبله ومستقبل أسرته في كفة الأقدار حبا في رسول الله ، فاستحق بذلك ثناءه عليه .

أطل هلال ربيع الأول بضع دقائق ثم اختفى ،، ووكل الى النجوم حراسة الأرض وترشيد المسافرين ، وهيأ للتاريخ أن يقدم بدوره ، وأصاخ الكون الى صرير الأقلام تدون أهم أحداث الحياة ، وتسجل ما يقوله الرسول عند هجرته من فوق ناقته قبالة الكعبة .

« اللهم انك لأحب أرض الله الى الله ، وأحب أرض الله الى نفسي ، ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت » ثم أدار زمام ناقته صوب الساحل وهو يقول :

(وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم . إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد).

بينما تودعهم أسماء وأخوها عبدالله ، وفي عينها دمعة حائرة بين الأمل في النجاة ، والوجد المشبوب للفراق .

وكان السائر عند الحجون يرى عمرو بن هشام فوق جواده يتحدث مغضبا الى سراقة المدلجى ، ويقول له فيما قال :

ـ وما وراءك يا بن مالك من انباء محمد وصاحبه .

سراقة : لا شئ .. لم أعثر لمحمد على أثر .

عمرو :ـ انى لأراك قد عدت بوجه غير الذي ذهبت به ، وأرى أنك قد التقيت بمحمد وأنه لابد قد سحرك .

سراقة : اذا كان محمد قد سحرنى فقد سحرك من قبل .. ولعلك تذكر يوم دخلت المسجد معلنا انه لابد من قتل محمد بصخرة رفعتها بذراعيك ، وهو ساجد ، ثم خرجت من المسجد مذعورا مهرولا وقد ألقيت بها بعيدا ، وأنت تقول : ان ثورا هائلا يطاردني !!؟

عمرو :ـ يطأطئ رأسه ويصفر وجهه ويلوذ بالصمت .

سراقة :ـ يدنو بجواده من محدثه ويحدث في وجهه ويقول له :ـ

أبا حكم والله لو كنت شاهدا
لامر وجوادى اذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا
نبى باخلاص فمن ذا يقاومه

الطفل المسلم في احتفالات عام الطفولة

- الحلقة الأولى -

للدكتور : احمد شوقي الفنجري

قررت هيئة الأمم المتحدة اعتبار عام ١٩٧٩ عام الطفولة . فأتصلت بجميع الهيئات المعنية برعاية الأطفال وتربيتهم لكي تتابع نشاطها في هذا المجال .. وأقامت الندوات العلمية والاحتفالات الترفيهية حول هذا الموضوع .. وكم كان بودي أن يكون لعلماء التربية المسلمين دور في هذه الدراسات .. ويكفي أن نقول إن أعظم مرب للأجيال في تاريخ الانسانية كلها هو نبينا الكريم : محمد بن عبد الله .

فلننظر الى دور الاسلام ولننظر كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يربي النشء ويعدهم لحمل الرسالة :

هدف التربية في الاسلام :

يختلف الاسلام إختلافا جذريا في نظرته الى تربية النشء عن جميع النظم المعروفة والمعاصرة ، إن الهدف الرئيسي لأي مبدأ أو تنظيم في التربية هو إعداد مواطنين صالحين لخدمة الدولة وقادرين على كسب عيشهم ، أما الاسلام فينظر إلى الأمر نظرة اخطر من ذلك بكثير ، فالانسان في نظر الاسلام هو خليفة الله في الأرض **(إني جاعل في الأرض خليفة)** والشباب المسلم هو حامل رسالة الله إلى الانسانية كلها وهؤلاء يصفهم الله تعالى بقوله : **(الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفي بالله حسيبا)** الأحزاب/ ٣٩ .

ولهذا الهدف العظيم والرسالة الكبيرة يعد الاسلام أبناءه ليكونوا قادرين على أداء الرسالة ، وحفظ الأمانة وقيادة الانسانية كلها واخراجها من الظلمات إلى النور ، والاسلام يبني شخصية الطفل من ثلاثة جوانب هامة :

الأول هو بناء ضميره ووجدانه :

وذلك بخلق ضمير إسلامي حي يقظ ونفس سليمة خالية من العقد والأحقاد ، وتهذيب الغرائز والعواطف البدائية في الطفل وذلك بتعليمه الرحمة والمحبة والتعاون والعزة والكرامة والكرم ، وحب الخير وبر الأبوين وطاعة أولي الأمر

والمسؤولين ، وحب الله ورسوله والوطن .. وكل هذه المعاني الخطيرة لا يتعلمها النشء إلا في الدين وحده ، فالرحمة والمحبة لا توجد في كتاب جغرافيا ولا حساب ولا علوم ، ويوم يحرم الطفل من التربية الدينية فانه مهما تلقي من علوم الدنيا ، وسواء أصبح طبيبا أو مهندسا أو عالما ، فانه يظل عرضة للانحراف ، وبدلا من أن يصبح العلم في يديه رحمة للانسانية فقد يصبح وسيلة للتخريب والدمار والاستغلال وهذا هو أخطر ما يعاني منه مجتمعنا عندما فصلنا التربية الدينية عن التربية العلمية .

الأمر الثاني هو البناء العقلي والذهني :

وقد يقول قائل : إن العلوم والمعارف التي يتلقاها الطفل في المدرسة من علوم وحساب وتاريخ تسد في هذه الناحية ، وهذا أيضا خطأ كبير ، فهناك فارق بين حشر المعلومات في الرأس وبين تنمية مدارك الطفل لتوسيع أفقه وتفكيره ، فالاسلام يدعو الطفل منذ نشأته إلى تأمل كل شيء في الحياة من حوله ، يدعوه إلى تأمل الخلق والمخلوقات ، والسماء والنجوم والشمس والقمر والليل والنهار وإلى التأمل في الأرض والجبل ، والبحر والأنهار ، والطير والحيوان والانسان ، أن يتأمل في نفسه وفي جسمه وفي خلقه ، في أمه عندما حملته وهنا علي وهن وأرضعته عامين ثم فطمته ، ثم بعد هذا كله يدعوه الى التفكير فيمن خلق هذا الكون كله وأبدعه ، وكل هذه الأمور

وهذا الفكر يوسع مدارك الطفل في الحياة ، ويزيد من حدة ذكائه ويجعله أكثر قدرة على استيعاب كل ما يتلقاه بعد ذلك من علوم الدنيا ، وخاصة أن هذه المعلومات لا توجد في كتب الدراسة والعلم ، وإذا تأملنا آية واحدة من كتاب الله مما كنا نحفظه ونحن أطفال ، تأمل قوله تعالى : **(إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)** . البقرة/ ١٦٤

فانظر كيف يحلق القرآن بعقولنا في كل ما حولنا ، في السماء والنجوم والشمس والقمر ، وفي الجبال والبحار والأنهار والفلك والسحاب والأمطار ، كل هذا ليوسع مداركنا ويشعرنا بعظمة خلق الله وإبداع صنعته .

الاهتمام الثالث : هو البناء الجسمي :

وذلك بخلق نسل صحيح البنية خال من العاهات الوراثية والصحية ، ثم تربية هذا النشء على حب الرياضة بأنواعها ، وبذلك يخلق جيلا قوي البنية قادرا على حمل الرسالة وعلى الجهاد في سبيل الله .
هذه العوامل الثلاثة هي التي تشكل شخصية الطفل المسلم : الروح والعقل والجسم ..

وسائل التربية الاسلامية :

تقوم التربية الاسلامية للنشء على دعامتين في وقت واحد : الاكرام مع التأديب وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكرموا أولادكم .. وأحسنوا أدبهم » رواه ابن ماجه .. والقصد بالتأديب هو التوجيه والتنبيه على الأخطاء . وبهذا الأسلوب السليم في التربية ، لا ينشأ الطفل محروما أو مهانا فيحقد ، ولا يصبح مدللا منعما فيفسد .

إكرام الطفل المسلم :

(١) وأول مبادىء الاكرام عدم سب الطفل المسلم لأي سبب فلا يقال له يا غبي أو يا حمار أو يا عبيط .. أو يقال له : الله يلعنك ، هذه مكروهة في الاسلام ، وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سباب المسلم فسوق » البخارى .. وإذا كان الاسلام قد نهي عن سب البهائم أو لعنها ، فمابالك بسب الانسان فقد سمع الرسول أحد أصحابه يلعن ناقته فعاقبه رسول الله وقال له : « يا عبد الله لا تصاحبنا اليوم على ناقة ملعونة ، فحط عنها رحالها وأطلقها » رواه مسلم .

(٢) ويكره الاسلام ضرب الطفل المسلم إلا لذنب كبير ، وينهى نهيا قاطعا عن ضربه على الوجه لأن الوجه هو خلقة الله التي كرمها فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فان الله خلق آدم على صورته» رواه البخارى ومسلم .. فالشرع يحرم على المدرس أو الأهل ضرب الوجه .

(٣) ويحذر الاسلام الأبوين من الكذب على طفلهما لأي سبب ، سواء كان هذا للتخلص من بكائه أو طلباته فقد رأى رسول الله امرأة تنادي على طفلها وتقول له : تعال أعطيك فقال لها : ماذا أردت أن تعطيه قالت أعطيه تمرة ، فقال لها الرسول : أما إنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة » رواه أبو داود وأحمد .

(٤) وينصح الرسول الأمهات بتولي تربية أبنائهم بأنفسهم وعدم الاعتماد على الخدم في تربية الطفل وفي ذلك يقول أحد فقهاء الشرع « أعط ولدك خادمك يكن لك بدل الخادم اثنان » وذلك لأن تربية الخدم تخلق خدما لا أسيادا .

(٥) ومن روائع الاسلام أنه يحترم مشاعر الطفل في مجلس الكبار ، وأن يعامل كما يعامل الرجل تماما ولا يتخطوه في الدور لصغر سنه فقد جاء إلى رسول الله وفد من مشايخ العرب يزورونه في بيته فأخذ رسول الله يقدم لضيوفه شرابا بيده ، ومن آداب الاسلام أن يبدأ بالتقديم إلى الأيمن أولا ثم الذي يليه وكان أول الجالسين على اليمين غلام صغير ، فسأله رسول الله قائلا : « يا غلام ، إن في القوم أشياخ كبار ، فهل تأذن أن أبدأ بهم قبلك ؟ » فقال الغلام : « لا يا رسول الله ، والله ما أرضي لأحد بحقي منك أبدا » فتبسم له الرسول واحترم عزة نفسه ، وأعطاه الشراب قبلهم (رواه مسلم) .

(٦) ويأمر الرسول المسلمين بالتلطف مع الأطفال واللعب معهم لأن هذا

يخلق روح المودة والترابط في الأسرة يقول صلى الله عليه وسلم : « من كان له صبي فليتصاب له » رواه ابن عساكر عن معاوية له وإيناسا ، وقد كان رسول الله مثالا للتعاطف والمودة مع أولاده وأحفاده ... فكان الصحابة إذا زاروه في بيته خرج إليهم وهو يحمل حفيده الحسن علي كتفه فيقول الصحابة للحسن مداعبين : يا غلام نعم الفرس تحتك ، فيقول لهم الرسول : ونعم الفارس هو ، وكان الرسول يداعب حفيديه الحسن والحسين لعبة الفارس والحصان فيمشي على يديه وقدميه مشية الحصان وهما يركبان فوق ظهره .

(٧) ومن تعاليم الاسلام أنه يحث المسلم والمسلمة على اصطحاب ابنهما الى المسجد من صغره حتى يتعود الطفل على الصلاة وعلى حب الجماعة وعلى حب بيوت الله ويتعلق قلبه بها ، وكانت السيدة فاطمة ابنة الرسول تحضر الصلاة في المسجد وتترك أولادها الحسن والحسين يلعبان هنا وهناك ، فأخذ الحسن يجري بين المصلين حتى وصل الى جده رسول الله وهو يؤم الجماعة في الصلاة فما إن سجد الرسول حتى ركب الحسن فوق رأسه فأطال الرسول سجوده وأطال الصحابة السجود خلف الرسول فما إن انتهت الصلاة حتى جاؤوا يسألونه : يا رسول الله أطلت السجود حتى ظننا أنه حدث أمر أو أنه قد أوحي إليك .. فقال الرسول كلا ولكن ابني ارتحلني (أي جعلني راحلته) فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته ..

وكانت اسماء بنت أبي بكر تحضر الصلاة في المسجد مع ولدها عبد الله ابن الزبير ثم تتركه في المسجد يلهو ويلعب مع الحسن والحسين وغيرهم من الصبية وتذهب إلى الأسواق لتشتري حاجتها ثم تعود لتأخذه فكان الصحابة يسمون هؤلاء الأطفال الأبرياء (حمام المسجد) تشبيها لهم بالحمام الأليف .

(٨) وكثيرا ما كان الأطفال الصغار يبولون على ملابس الرسول وهو يحملهم فلا يشعرهم بذلك أو يفزعهم حتى لا يقطع بولتهم ، وكان في هدوء يقوم ويغسل مكان البول من ثوبه ثم يعود إلى الطفل يلاعبه ..

(٩) ولم تكن هذه المعاملة للأطفال في البيت وحده بل كان يلاعبهم في الطريق أمام الناس ، فقد دعي الرسول هو وصحابته إلى وليمة طعام وبينما هم ذاهبون رأى الحسين يلعب في الطريق فبسط إليه يده والحسين يفر منه هنا وهناك والرسول يجري خلفه والصحابة يتفرجون ويضحكون ، حتى أمسك الرسول بالحسين واحتضنه وقبله .

(١٠) ولم تكن مداعبة الرسول لأولاده وحدهم .. بل كان أيضا يداعب أولاد أصحابه وجيرانه ويلاطفهم وكان إذا رأى صبية يتسابقون جرى معهم وكان الصحابة يحضرون إلى الرسول أبناءهم لكي يباركهم فعندما بلغ عبد الله بن الزبير ابن العوام السابعة من عمره احتفل أبوه الزبير بعيد ميلاده السابع

فاشترى له ملابس الفرسان ووضع في وسطه سيفا صغيرا وأخذه معه إلى رسول الله ، وأخذ الطفل يبايع الرسول على الجهاد في سبيل الله ، ففرح به الرسول وقبله ..

(١١) ومن آداب الاسلام أن المسلم إذا رأى صبيا يسير على قدميه في الشمس أو الحر أو رآه ينتظر من يوصله أن يتوقف له بسيارته وأن يصوله إلى بيته كما يوصل ابنه تماما ، وفي ذلك يقول رسول الله :

« من كان له فضل ظهر فليعد به علي من لا ظهر له » رواه مسلم ، أي من كان لديه مكان زائد على ناقته فليقدمه إلى من لا ناقة له ، وقد كان رسول الله إذا رأى صبيا في الطريق وهو على ناقته يتوقف له ، وينيخ ناقته وينادي على الصبي ويمسح برأسه في عطف ، ثم يحمله خلفه على ناقته حتى يوصله إلى بيته .

١٢ ـ ويوصي الاسلام بعدم التفرقة بين الأبناء في المعاملة وخاصة في الأمور المالية والميراث .. إلا أن يكون ذلك لعلة ، كأن يكون أحدهم عاجزا عن كسب عيشه .. وقد جاء إلي رسول الله رجل ومعه ولده ، فقال للرسول ، أشهدك يا رسول الله أني قد أوصيت لولدي هذا من بعدي بكذا وكذا ... فقال له الرسول : وهل فعلت ذلك لكل أولادك أم هذا وحده .. فقال الرجل : هذا وحده .. فقال له الرسول : اذهب فلا وصاية لك عندي ولا تشهدني علي جور » .. هذا في الأمور المادية والمالية .. أما في الأمور العاطفية .. فان الاسلام يقبل القاعدة العربية التي تقول : « صغيرهم حتى يكبر ، وغائبهم حتى يعود ، ومريضهم حتى يشفي » .

(١٣) والاسلام يأمر بعدم التمييز بين الولد والبنت في المعاملة إلا في حدود ما أمر به الله من ناحية الميراث حيث يكون للذكر مثل حظ الأنثيين .. وحكمة ذلك أن الذكر يكون مسؤولا عن الانفاق عن أسرته وزوجته .. أما الأنثى فليست ملزمة بالانفاق على زوجها وأسرتها من مالها ولكن زوجها ينفق عليها ، وفيما عدا ذلك فليس للأبوين أن يفرقا في العطف والمودة بين الولد والبنت ، بل لقد كان رسول الله أكثر عطفا على البنات وأكثر وصاية بهن حتى يزيل من نفوس العرب عادة الجاهلية البغيضة وفي ذلك يقول الرسول : « من كان له أنثى فلم يهنها ولم يؤثر ولده عليها وأحسن تعليمها كانت له سترا من النار » رواه أحمد ، وكثيرا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل أمامة بنت أبي العاص وهي ابنة ابنته زينب ويدللها ويضعها تحت عباءته ليدفئها في البرد ويخرج حاملها إلى صلاته .. ويروى أحد الصحابة أنه طرق باب رسول الله ليسأله عن شيء ، فخرج إليه الرسول وجعلا يتحدثان حديثا طويلا ، وكان تحت عباءة الرسول شيء يحمله ، فقال له : ما هذا يا رسول الله الذي تحت عباءتك فكشف عنه فاذا هي حفيدته أمامة ..

(١٤) وللاسلام نظرة عميقة في أمره المسلم بالتعاطف مع الطفل والحنان

عليه واحترامه ، فهو لا يهدف إلى مصلحة الطفل وحده ، ولكن إلى غرس روح المحبة والعطف في نفوس الكبار ، وإلى تهذيب مشاعرهم فقد جاء رجل أعرابي إلى رسول الله وقال له : إنه يشعر ببرود عواطفه وجفاء في طبعه ، ويطلب من الرسول علاجا لهذه الحالة ، فسأله الرسول إن كان له أطفالا ، فقال : لا .. فنصحه الرسول أن يأوي في بيته طفلا من اليتامى ، وقال له : إذا أردت أن يذهب الله عنك جفاء الطبع فامسح برأس اليتيم واعطف عليه .. رواه أحمد ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب على هيبته يقبل الأطفال ويلعب معهم ، وذات يوم عين واليا على أحد الأقاليم فدخل الرجل بيت عمر لكي يودعه قبل سفره إلى إقليمه فوجد عمر يقبل الأطفال ويلاعبهم فقال له مستنكرا : « أتفعل ذلك يا أمير المؤمنين فوالله إن لي عشرة أولاد ما قبلت واحدا منهم ولا لاعبته » ، فقال له عمر : « أو نملك لك أن نزع الله الرحمة من قبلك » ... ثم أخذ منه خطاب الولاية ومزقه فقال له الرجل : لم فعلت ذلك يا أمير المؤمنين .. فقال له عمر : إذا كنت لا ترحم أولادك فكيف تكون رحيما بالرعية .. ورسول الله يقول : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا » الترمذي .

(١٥) ولا يكتفي الاسلام بأمر الناس بحسن رعاية أولادهم . بل إن المسلمين جميعا ملتزمون بالتضامن مع الدولة في رعاية الأطفال الأيتام أو الذين لا عائل لهم ، فنشأة الطفل اليتيم في أسرة مسلمة صالحة خير له من نشأته في ملجأ حكومي ، ولذلك فقد جعل الاسلام تربية اليتامى أحد واجبات الأسرة المسلمة ما استطاعت ، وفي ذلك يقول رسول الله : « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه » رواه ابن ماجه ، ويقول أيضا : « أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة » (وأشار بأصبعين معا) ، البخاري .. وقد نشأ رسول الله يتيما فرعاه جده ثم رعاه عمه أبو طالب ... فلما شب الرسول واستطاع أن يكسب عيشه بدأ هو أيضا برعاية اليتامى والفقراء في بيته ، وأول طفل تولى الرسول رعايته رغم أن والديه كانا أحياء هو ابن عمه علي بن أبي طالب ، كما كان رسول الله يرعى في بيته زيد بن حارثة .. وكان زيد طفلا اختطفه الأعراب من قبيلته فلم يعرف له أهلا فاشترته خديجة وأهدته الى الرسول فتبناه الرسول وأعتقه وظل يسمي زيد ابن محمد مدة طويلة .

هذه هي بعض مبادئ تربية النشء في الاسلام .. المبادئ التي طبقها نبينا الكريم قبل أربعة عشر قرنا من الزمان .. والتي بها أنشأ جيلا من القادة والمصلحين الذين حكموا أركان الدنيا من الصين حتى الأندلس .. ونحن بدورنا نهديها الى الدارسين والباحثين في هيئة الأمم المتحدة .. لعلها تكون لهم هاديا ومرشدا في القرن العشرين .

الفتاوى

الطرق الصوفية

○ السؤال : ما حكم الاسلام في الطرق الصوفية كالنقشبندية والتيجانية وهل الانتساب اليها حلال أم لا ؟

أحمد سعدى الفرندواني ـ الرياض ـ سعودية

ـ **الجواب** : الطرق الصوفية حقيقة وجدت في التاريخ الاسلامي من أيامه الأولى وما تزال موجودة إلى يومنا هذا ، وقد كثر الكلام حولها تأييداً وتشجيعا ونقدا وتجريحا ، وكثير من هذه الأحكام تدفع إليه عاطفة حب أو شعور بغض ، والحكم في ذلك هو قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » فان كانت هذه الطرق ملتزمة للدين عقيدة وشريعة فهي محمودة ويجب تشجيعها ، وإن انحرفت فهي مذمومة ووجب تقويمها ، والتقويم يكون بالتي هي أحسن ، وبخطة مدروسة عملية يمكن بها تحويل هذه القوى الجبارة إلى طاقات خيرة منتجة تفيد نفسها وتفيد أمتها .

وهذه الطرق في نظري أشبه بالمدارس التربوية التي تضم إلى العلم والثقافة ممارسة عملية تطبيقية لما تقوم به من تعليم وتثقيف ، وهي إن استقام منهجها العلمي والعملي كانت طلائع نهضة ورواد خير ، تؤثر أكثر آلاف المرات مما تؤثره المدارس والمعاهد الحالية ، ذلك أن علاقة طلابها بأستاذهم هي علاقة حب واحترام وتقدير ، وهو بهذا الرباط الروحي يمكن أن يوجههم حيث يريد بكل يسر وسهولة ، وكم كانت لبعض هذه الطرق جولات في الدعوة إلى الاسلام والتحرر من الاستعمار ، بصرف النظر عما أخذ على بعضها من مآخذ دينية ، فهي على كل حال تملك قوة لا يملكها كثير من المنظمات .

وقد شاب نقاء هذه المدارس أمور جاءت من توارث الرياسة عليها توراثا تقليديا دون اعتبار للمؤهلات العلمية والخلقية ، فانحرفت السفينة لانحراف ربانها ، وحاول بعض هؤلاء القادة تغطية موقفهم الهزيل بادخال معلومات وصور في نفوس التلاميذ يشدهم بها إليه شدا حرصا على رياسته وضمانا لما يتمتع به من نفوذ أو ثراء .. فكثرت الخرافات والأضاليل . وكان من هذه الشوائب أيضا

الحب الأعمى من بعض التلاميذ لشيخهم ، تلك الحب الذي أوحى إليهم أن ينسبوا إليه من الفضل والكرامات ما لم ينزل به سلطان من عند الله . فكثرت الحكايات وألفت الكتب في مناقب بعضهم فيها ما لا يقره عقل ولا دين ، وقد يكون ذلك بغير علم شيخهم أو بعد وفاته ، وقد يكون بعلمه بل بايعازه إن كان من المنحرفين ، وبهذا كان نكبة على الدين وأهله .

ولو أننا استطعنا أن نوجد منظمات فيها العلم والتربية معا على أساس الدين ، مع الرباط الروحي بين التلاميذ وأستاذهم ، وبينهم بعضهم مع بعض لأفدنا فائدة عظيمة من شبابنا ورجالنا ولحميناهم من الانحراف عقيدة وسلوكا ، ولأعطينا صورة مشرقة نيرة عن الاسلام وتعاليمه وعن رجاله الذين جمعوا بين الدين والدنيا على أساس التعاون على تحقيق الخلافة في الأرض .

لا بد أن يكون هناك إنصاف في الحكم على هذه الطرق ، كالحكم على أي حركة وأي تنظيم ، ولا يجوز أن يكون الرأي عنها هو الهدم لذات الهدم دون التفكير في بديل لا يميل مع الأهواء ، بل يكون على ما قال الله سبحانه « **وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** » .

إجابات قصيرة

○ **السيد / البشير المرضى ـ تطاوين تونس** : القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بمعنى أنه حق . ومعنى قوله تعالى « ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام » من علامات القدرة والنعمة السفن الجارية في البحر كالجبال العالية حين ترفع أشرعتها ، والصبر على البلاء رضا بقضاء الله ، والخفاض للنساء يقابل الختان للرجال . وحفلات الزفاف يرجع الى حكمها في عدد ذى الحجة ١٣٩٨ ، والذي يقضى ما عليه من الصلوات يبدأ بالفرائض ، والسنة أن الناس هم الذين يعدون الطعام لأهل المتوفى ، أما لو ذبح أهل المتوفى بقصد التصدق على روحه فلا مانع .

○ **السيد / صلاح الدين محمد الكامل ـ الكرنك الأقصر مصر** : أوجب الله على الحائض قضاء الصوم دون الصلاة ، لأن الصوم نادر يأتي كل عام مرة ، فاذا نقص منه شيء أكملت عدته بالقضاء ، أما الصلاة فهى متكررة كل يوم فخفف الله عنها بعدم القضاء وقد صح في ذلك حديث البخاري ومسلم عن عائشة رضى الله عنها : كنا نحيض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة .



مع الشباب

الشباب هم ذخر الامة ، ومحط امالها ، وفلذات اكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والاخذ بيدهم الى الطريق الامثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض افكارهم يحدونا الامل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

نعم لا تحصى

وأرسل لنا محمد ابراهيم محمد لبن رسالة تحدث فيها عن عظمة الخالق سبحانه وأفاض في الحديث عن اثاره وروعة خلقه معددا بعض ما أنعم الله به على عباده في نظام دقيق ، حقا ما أعظم شأنه وأجل سلطانه وأبدع صنعه ، وتلك عبرة لمن يعتبر . حول هذه المعاني نعرض للشباب هذه الرسالة :

سبحانك اللهم ما أعظمك وما أبدع خلقك خلقت الانسان من عجب تباركت من اله صدق وتعاليت من رب حق أنعمت علينا بنعم لا تحصى « **وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**) الأنعام/ ٩٩ .

فلولا هذه الخضرة لانعدمت مملكة النبات وبالتالي مملكة الحيوان وعالم الانسان ، فالنبات يحول الطاقة ـ البطاريات الشمسية ـ الى مادة عن طريق التمثيل « الكلورفيلي » فيختزن النبات حرارة الشمس ليردها الينا في صورة النار ، فخضرة النبات تمتص الحرارة بطريق البناء الضوئى الذي حير العلماء ،

قال تعالى : « **الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذآ أنتم منه توقدون** » يس / ٨٠ .

فالنبات يتنفس الكربون ـ النار ـ ويخرج لنا الهواء ـ الاوكسجين ـ بعكس الانسان ، معادلة رائعة في ملكوت الله ، كما أن النبات يعطي حرارة الشمس في صورة النار عن طريق الأخشاب والفحم الحجري والنباتي والبترول الذي يتكون من فضلات الخلايا النباتية والحيوانية ، فالشمس ضياء ، كما أنها مصدر الطاقة .

سبحانك سبحانك هذا شأن بعض آثارك ، فكيف شأنك ، وهذه دنياك ، فكيف بآخرتك تباركت مخرج الخضراء من الغبراء .

ألفاظ عصرية

ويسأل الأخ محمد سعدي عامر من الأردن عن مدى صحة القول بأن الاسلام دين ودولة ، مع أن القرآن الكريم والحديث لم يصرحا بذلك ، والقرآن الكريم يقول « إن الدين عند الله الاسلام » .

وهل يجوز أن يقال بأن الرسول صلى الله عليه وسلم رجل الدولة ، وسياسي عبقري ، والقائد الأعلى للقوات الحربية ؟

وللاجابة على هذه الأسئلة نقول : إن هذه الألفاظ المستحدثة لا تغير من جوهر الحقيقة ، والمهم هو معرفة المراد منها .

فالاسلام دين ودولة بمعنى أنه ينظم علاقة الفرد بربه سبحانه عن طريق العقيدة والعبادة والأخلاق ، وينظم علاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه عن طريق التشريعات التي غطت كل أنواع المعاملات والعلاقات ، وعلى كل المستويات ، فهو دين كامل للحياة الدنيا من تمسك به هدى ، ومن سار وفق نهجه نال رضى الله ، والنعيم في الآخرة ، فهو إذا دين ودولة ، لأن نظامه شامل للمادة والروح مصداق ذلك قول الله سبحانه : **(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ)** .

وقد ارتضى الله لنا الاسلام دينا ، ولا يقبل غيره لأنه واف بكل حاجات البشر في كل عصر صالح لكل زمان ، يصلح شأن كل أمة ، يخرج الناس من الظلمات الى النور .

وما أحوج البشرية اليه لتقلع عن الشر الذي يتهددها كلها من جراء ما تعانيه من انحرافات وضياع وصراعات بينها ، لأنها تجاهلت ما اختاره الله لها لرشدها وسلامتها .



بأقلام القراء

جاءنا من الاستاذ محمد محمود متولي مقالا تحت عنوان : « من فنون الدعوة فن اجتذاب الجماهير » نقتطف منه ما يأتي :

يشغل احتواء الجماهير عاطفيا وعقليا ودينيا وسياسيا ، وتأليفها نحو الغاية الواحدة بال جميع المشتغلين بالفكر والدين والسياسة سواء استقام الفكر والدين والسياسة ام انحرفت عن الصراط المستقيم ، والغالبية العظمى من الدول الآن تؤلف لجانا متخصصة لتوجيه الجماهير داخل أوطانها وخارجها .

ومجال الدعوة فيه المخلصون وفيه الأدعياء والمخلصون أقل عددا من غيرهم . وفيهم الفاقهون بطرق الدعوة المؤلفون للناس وفيهم المنفرون رغم اخلاصهم . والأدعياء أمرهم متروك لحكم الناس عليهم لأنهم لابد منكشفون يوما ولهم خطرهم لأنهم صور شائهة لحملة الدين ووسيلة تنفير من غيرهم فان الناس قلما يفرقون بين الطيب والخبيث الا بعد كثير . والمخلصون غير الفاقهين لطرق الدعوة فيهم تزمت وتشدد ومبالغة وتغالي في الفتيا ترى الواحد منهم مقطب الجبين عبوس النظرات وفي ظنه أن العبوس هو الوقار فهو قلما يضحك لطرفة أو يستملح نادرة وهؤلاء رغم اخلاصهم نجد الجدوى منهم قليلة لأن الاخلاص عمل قلبي يكتشف ببطء اما العبوس والتقطيب فظاهران لأول وهلة وحين يكتشف الناس الاخلاص يكون العبوس قد طردهم عن الداعية .

ونحن المسلمين معنا بضاعة رابحة ولكنها محتاجة الى العرض الجيد وكثيرا ما قال لنا اساتذتنا اذا وجد دكانان أحدهما فيه بضاعة جيدة معروضة عرضا سيئا والآخر فيه بضاعة أقل جودة ومعروضة عرضا جيدا فمن الطبيعي اقبال الناس على الثاني دون الأول . وأول أسس فن اجتذاب الجماهير أن يكتسب الداعية بخلقه وسلوكه وعلمه ثقة الجماهير ويجعلهم يحسون باحتياجهم اليه فهم بجواره يشعرون ببرد السعادة وأنس الحياة ففي وجهه بشر وفي لسانه حلاوة وفي قلبه نبع عظيم من الحب وفي صدره رحابة .

كذلك فان الداعية الناجح دوره اشعار المسلمين بأنهم قوة وأنهم كانوا ذوى دور قيادي ومازال هذا مطلوبا منهم فان هداية الضالين أول مهام أمة الاسلام . فنحن أحوج ما نكون الى دفعة ثقة ودفقة امل ترينا ان الأيام دول وان من جد وجد ومن زرع حصد واذا رفع الاسلام السابقين الى مقام القيادة للعالم كله فهو كفيل ان يأخذ بيدنا الى ذلك .

والداعية الذكي يدرك امراض المجتمعات وعللها واختلافها من بيئة لبيئة فالطبقة الثرية لها عللها من نهم وجشع وغيرها .. والطبقات الفقيرة لها عللها من

تواكل وتحاسد .. الخ والمجتمعات الزراعية لها عللها ومشاكلها والمجتمعات التجارية لها مشاكلها وكذلك الصناعية لها مشاكلها والأعمار المختلفة والثقافات المختلفة كذلك .

على الداعية ان يصرف الناس عن الخلاف المذهبي ويدفعهم الى التشبث بالجوهر الحقيقي للاسلام .

ونحن جميعا قدوتنا في الدعوة هو الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وله في اجتذاب الناس ما يجعل اعظم علماء النفس والاجتماع والاخلاق ينحني اجلالا فمن قلوب اهل الشرك انبت التوحيد وفي طباع اهل الكبر زرع التواضع وفي نفوس اهل البغض اوجد الحب . ولقد كان الرجل يخرج في الصباح عازما على قتله صلى الله عليه وسلم فلا يلقاه حتى يصير احب اليه من نفسه وولده والناس أجمعين .

وكان الرجل يأتيه فاجرا سكيرا فيخرج وهو أطهر الناس قلبا وحواسا فان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أعطى مفاتيح أقفال القلوب ففتح كل قلب بمفتاحه وسيطر على كل نفس بما تتوق اليه في غير عصيان لله . فبعض الناس مفتاحه في ارضاء نوازع الفخر في نفسه وبعضهم مفتاحه في ايقاظ حسه وضميره وبعضهم في اعطائه ثقته بنفسه وبعضهم في العفو عن هفواته وبعضهم في اعطائه المال حتى يكتفي وبعضهم تأسره البسمة وتشتريه الكلمة .. والداعية يفتش عن هذا في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أمثلة ذلك كثيرة مشهورة .

والداعية جندي والجندي يترسم خطى قائده . وقائدنا زكي الفؤاد زكي الفكر زكي البصر زكي اللسان طبيب للبشر جميعا على اختلاف عوائدهم هم وألسنتهم وألوانهم وأجناسهم ووظيفة الداعية الاقتباس من هدايته فلا ينفر ولا يقنط وانما يؤلف ويجمع فنحن نعاني من التمزق ونريد من يلم شعثنا ويعيد الينا هويتنا وصدق الله العظيم : **(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن).**

والى الذين يهجرون بلادهم العربية والاسلامية ويسافرون الى غيرها طلبا للراحة والاستجمام وردتنا القصيدة التالية من الاستاذ حامد شكور من جمهورية مصر العربية .

أتهجر يا فتى وطنا جميلا ... وتنشد غيره الادنى بديلا
أتترك صاحبي وطنا فريدا ... وحيدا في الوجود فلا مثيلا
اتترك ذلك الوطن المفدى ... له ماض حوى المجد الأثيلا
وخير حضارة نشأت لديه ... وكانت ذلك النهج الأصيلا
ففي اكنافه بلغت ذراها ... وكان لها الحمى بله الكفيلا
اتمضي نائيا عن خير ارض ... وأهدأ بقعة زمنا طويلا
فقد فطرت على خلق كريم ... ولا زالت له ظلا ظليلا



بريد الوعي الاسلامي

الفضل الكبير

يقول سبحانه وتعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) فهل هناك فرق في الجزاء للذين ذكرتهم الآية وما معنى هذه الآية الكريمة ؟

علي فاضل اسماعيل الرفاعي ـ سوريا

حول المعنى المراد من الآية الكريمة رويت أقوال كثيرة عن عمر ، وعثمان ، وأبي الدرداء ، وابن مسعود ، وعقبة بن عمرو ، وعائشة توحي بأن الثلاثة الظالم لنفسه الذي عمل الصغائر ، والمقتصد الذي لا ينسى الآخرة ويعطي نفسه في الدنيا نصيبها ، والسابق الذي لازم العبادة ، وتجنب المعاصي وتحاشى الرذيلة ، سيدخلون الجنة .

قال كعب الاحبار : استوت مناكبهم ـ ورب الكعبة ـ وتفاضلوا بأعمالهم .

وتوريث الكتاب اي معاني الكتاب ، وهو القرآن الكريم ، وما فيه من علم وحكمة وعقائد ويرى ابن عباس وغيره أن هذا التوريث يخص الأمة الاسلامية .

والترتيب في التعبير القرآني لهؤلاء الثلاثة لا يقتضي تشريفا ولا فضلا ما دام الكل قد انتسب لهذا الدين فالعاصي والبار مقرون برحمة الله ، ويأخذ كل ما يتناسب ومقامه .

من يعمل الخير ينل جزاءه ، ومن يعمل سوءا يجز به ما دام غير مصر على الاثم ويخشى الله فلا شك ستلحقه رحمة الله ، ويصيبه غفرانه وعفوه ، والله سبحانه قد أكرم هذه الأمة بفضله في الجزاء حتى لمن أساء ، ولذلك نرى الآية الكريمة تشير إلى هذا بوضوح أن الثلاثة انتهوا الى الجنة على تفاوت في الدرجات وذلك هو الفضل الكبير إن ربنا لغفور شكور ، فما لنا عليه من فضل كما أنه لا يعقل أن يكون السابق بالخيرات مثلا متساويا مع المقتصد أو مع الظالم لنفسه .

معرفة سبب النزول

نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهل نزل كله بسبب أم ماذا ؟ مع ذكر بعض الآيات التي تبين ذلك ، ثم هل لمعرفة سبب النزول فائدة ؟

كمال عجالي ـ ولاية بسكرة ـ الجزائر

القرآن الكريم من حيث النزول قسمان :

قسم نزل غير مرتبط بسبب وهو لهداية الخلق الى طريق الحق الذي يريده الله سبحانه للبشرية ، ومن أجله أرسل رسله عليهم الصلاة والسلام ، وسن قوانينه العادلة التي لا تفقد هدايتها ولا يتغير مضمونها أبدا مهما تقادم الزمن ، واتسعت معارف الناس ، اقرأوا قول الله سبحانه في بداية نزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم : **(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) .**

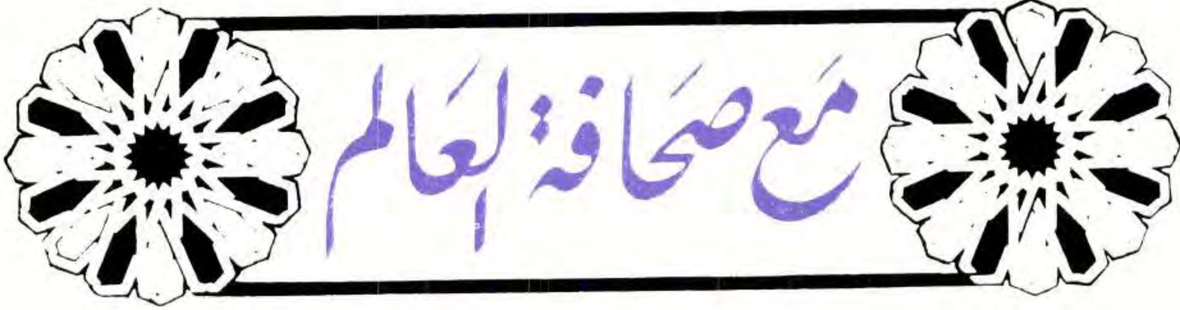
والقارىء لهذه الآيات يلمس ما توحي به من حكاية خلقهم في أحسن تقويم ، وتعليمهم ما لا يعلمون ، وذلك جانب مما نزل بلا سبب يحمل هذه المعاني .

وقسم نزل مرتبطا بسبب تحدثت عنه الآية الكريمة ، أو بينت حكمه أيام وقوعه ، أو كان حادثة وقعت أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو سؤالا وجه للرسول الكريم .

ولنأخذ مثلا الآيات الكريمة من سورة آل عمران من أول قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم)** مع أن هذه الآيات الكريمة من أروع ما ينفر من الفرقة والانقسام والشقاق ، ويرغب في المحبة والألفة والوحدة بين المسلمين فقد كان سبب نزولها الخلاف الذي دب بين جماعة من الأوس والخزرج بوقيعة من اليهود حتى تنادوا السلاح السلاح ، ولولا لطف الله بهم لشجر نزاع كان حتما سيقضي على ما كان من أخوة في الله في ظل الاسلام الذي أذهب من قلوبهم الحقد والغل والبغضاء والحسد ، ونبذوا بهذا الرباط الشقاق والخلاف الذي مزق حياتهم قديما ، وعاش بفضله اليهود في مأمن من آثار اجتماعهم على كلمة سواء .

وهناك آيات كثيرة لا يتسع المقام لذكرها بعضها نزل بسبب ، والبعض نزل بغير سبب .

ولا شك أن لمعرفة أسباب النزول فائدة عظيمة توجه القارىء لمعنى الآية ، وتوضح الهدف من نزولها ، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .



محاولات إسرائيلية لاجلاء ١٨ ألف عربي عن القدس

حذر السيد روحى الخطيب أمين القدس من المخططات الاسرائيلية التي ترمى الى إجلاء ١٨ ألف عربي من سكان الأحياء الاسلامية حول المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة وهدم الممتلكات العربية والاسلامية التاريخية فيها ودعا المسلمين في العالم كله للتصدى لهذه المخططات والدفاع عن عروبة القدس .

وأضاف السيد الخطيب ان الخطر الاخر يتمثل في مصادرة اجزاء من الأراضي العربية المتبقية حول القدس واقامة مزيد من المستوطنات حولها كما يجرى بالنسبة لقرى ابو ديس والعيزريه وعناتا والجيب بقصد تكثيف الاستيطان وسد الثغرات في الحزام الاستيطاني المضروب حول المدينة المقدسة . وكانت الوزارة الاسرائيلية قد اصدرت قرارا يقضي بتجميد حركة البناء في المناطق المختلفة من فلسطين وتركيزها في القدس وذلك لتنفيذ مشروع القدس الكبرى .

من جهة أخرى سجلت احصاءات ادارة الهجرى اليهودية الى فلسطين ارتفاعا ملحوظا في اوائل عام ١٩٧٩ بوصول ١٥٠٤٠ مهاجرا جديدا خلال الخمسة اشهر الأولى مقابل ١٠٤٥٧ في نفس الفترة من العام الماضي .

وتشير الاحصائيات الى ان ٤٠٪ من هؤلاء المهاجرين وفدوا من الاتحاد السوفيتي بينما وفد ٤٠٪ اخرون من الدول الغربية و ٢٠٪ من دول العالم الثالث .

رابطة العالم الاسلامي تحتج على التفرقة العنصرية بروديسيا وجنوب افريقيا

ناشدت رابطة العالم الاسلامي الحكومات الاسلامية الاحتجاج على سياسة التمييز العنصري التي تمارسها حكومتا جنوب افريقيا وروديسيا العنصريتان ضد سكان البلاد الأصليين في كافة المؤتمرات والمحافل الدولية ومساندتهم لنيل حقوقهم في تقرير المصير .

ودعا المجلس التأسيسي للرابطة تلك الحكومتين الى منح السكان الاصليين حقوقهم المشروعة كمواطنين في هذه البلاد حيث ان مبادئ الاسلام تساوي بين الناس دون النظر الى اللون او اللغة او العرف .

ندوة عن « العمارة الاسلامية » بجامعة الملك فيصل

تقيم جامعة الملك فيصل بالدمام ندوة عالمية عن فن العمارة الاسلامية والتخطيط تبدأ الندوة في الثامن عشر من صفر .

تهدف الندوة التي سيكون موضوعها « التعريف بالبيئة الاسلامية » الى احياء مفاهيم ومبادئ ونظريات العمارة الاسلامية من حيث تصميم الاشكال الفراغية والانشاء والزخارف والاشكال الهندسية وعلاقتها بالحضارة الاسلامية كما تدرس الندوة التي سيشترك فيها ٢٠٠ عالم واستاذ من المتخصصين في مجالات العمارة والتخطيط وسائل الاستفادة من التراث الاسلامي في فن العمارة في نظريات العمارة والتخطيط الحالية . كما سيقام في فترة انعقاد الندوة معرض كبير يحتوي على نماذج من فنون العمارة الاسلامية القديمة .

اهتمام كبير بالدراسات الاسلامية في الصين

تشهد الصين هذه الأيام نموا ملحوظا في الأبحاث الخاصة بالدراسات الاسلامية وعلوم القرآن الكريم . فقد قام معهد الابحاث الخاصة بالأديان التابع لاكاديمية العلوم الاجتماعية في سيكيانج من وضع ترجمة لسيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم باللغة اللويجوريه وهى اللغة التي يتحدث بها معظم المسلمين الصينيين والذي يبلغ عددهم ٤٠ مليون مسلم كذلك يعمل المعهد على اعادة طبع القرآن الكريم بكميات كافية لتكون في متناول ايدي المسلمين هناك ويذكر ان المعهد كان قد انشأ مكتبة خاصة بالكتب والمراجع الاسلامية في العام الماضي .

المسلمون ١/٣ السكان في الاتحاد السوفيتي سنة ٢٠٠٠

يتوقع الخبراء الديمجرافيون والاقتصاديون السوفييت أن يصل عدد السكان المسلمين هناك الى ثلث عدد السكان تقريبا في الاتحاد السوفيتي مع نهاية هذا القرن . وتشير الاحصائيات الرسمية ان عدد المسلمين الان يشكل ٢٢٪ من مواطني الدولة وان ٥٢٪ من هؤلاء المسلمين تقل اعمارهم عن ١٠ سنوات وهذا يعني ان عددهم سيكون ٩٠ مليون مسلم سنة ٢٠٠٠ بينما سيكون عدد السكان الكلي ٣٠٠ مليون نسمة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	[illegible]	[illegible]	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
			فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الثلاثاء	١	٢٠	١٢ ٢	١ ٢٥	٦ ٤٣	٩ ٤٠	١ ٢١	٤ ٥٣	٦ ١٦	١١ ٣٤	٢ ٣١	٤ ٥١	٦ ١٢
الاربعاء	٢	٢١	٣	٢٦	٤٣	٤٠	٢١	٥٤	١٧	٣٤	٣١	٥١	١١
الخميس	٣	٢٢	٤	٢٧	٤٤	٤٠	٢١	٥٥	١٨	٣٤	٣١	٥٠	١١
الجمعة	٤	٢٣	٥	٢٨	٤٤	٤٠	٢١	٥٥	١٨	٣٤	٣١	٥٠	١١
السبت	٥	٢٤	٦	٢٩	٤٥	٤٠	٢٢	٥٦	١٩	٣٥	٣١	٥٠	١١
الاحد	٦	٢٥	٧	٣٠	٤٥	٤١	٢٢	٥٧	٢٠	٣٥	٣٠	٥٠	١١
الاثنين	٧	٢٦	٨	٣١	٤٦	٤١	٢٢	٥٧	٢١	٣٥	٣٠	٥٠	١١
الثلاثاء	٨	٢٧	٩	٣٢	٤٦	٤١	٢٢	٥٨	٢٢	٣٦	٣٠	٥٠	١١
الاربعاء	٩	٢٨	١٠	٣٣	٤٧	٤١	٢٢	٥٩	٢٢	٣٦	٣٠	٤٩	١١
الخميس	١٠	٢٩	١١	٣٤	٤٧	٤١	٢٢	٥ ٠٠	٢٣	٣٦	٣٠	٤٩	١١
الجمعة	١١	٣٠	١١	٣٥	٤٨	٤١	٢٢	٠٠	٢٤	٣٧	٣٠	٤٩	١١
السبت	١٢	١	١٢	٣٦	٤٨	٤١	٢٢	١	٢٥	٣٧	٣٠	٤٩	١١
الاحد	١٣	٢	١٣	٣٧	٤٩	٤١	٢٢	٢	٢٦	٣٧	٣٠	٤٩	١١
الاثنين	١٤	٣	١٣	٣٧	٤٩	٤١	٢٢	٢	٢٦	٣٨	٣٠	٤٩	١١
الثلاثاء	١٥	٤	١٤	٣٨	٤٩	٤١	٢٢	٣	٢٧	٣٨	٣٠	٤٩	١١
الاربعاء	١٦	٥	١٤	٣٩	٥٠	٤٢	٢٢	٤	٢٨	٣٨	٣١	٤٩	١١
الخميس	١٧	٦	١٥	٤٠	٥٠	٤٢	٢٢	٤	٢٩	٣٩	٣١	٤٩	١١
الجمعة	١٨	٧	١٥	٤٠	٥٠	٤٢	٢٢	٥	٢٩	٣٩	٣١	٥٠	١١
السبت	١٩	٨	١٦	٤١	٥١	٤٢	٢٢	٦	٣٠	٤٠	٣١	٥٠	١٢
الاحد	٢٠	٩	١٦	٤١	٥١	٤٢	٢٢	٦	٣١	٤٠	٣١	٥٠	١٤
الاثنين	٢١	١٠	١٧	٤٢	٥١	٤٢	٢٢	٧	٣٢	٤١	٣١	٥٠	١٢
الثلاثاء	٢٢	١١	١٧	٤٢	٥١	٤٢	٢٢	٨	٣٢	٤١	٣٢	٥٠	١٢
الاربعاء	٢٣	١٢	١٧	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	٨	٣٣	٤٢	٣٢	٥١	١٣
الخميس	٢٤	١٣	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	٩	٣٤	٤٢	٣٢	٥١	١٣
الجمعة	٢٥	١٤	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	٩	٣٤	٤٢	٣٣	٥١	١٤
السبت	٢٦	١٥	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١٠	٣٥	٤٣	٣٣	٥٢	١٤
الاحد	٢٧	١٦	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١١	٣٥	٤٣	٣٣	٥٢	١٤
الاثنين	٢٨	١٧	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١١	٣٦	٤٤	٣٤	٥٢	١٥
الثلاثاء	٢٩	١٨	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٢	٣٧	٤٤	٣٤	٥٣	١٥
الاربعاء	٣٠	١٩	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٢	٣٧	٤٥	٣٥	٥٣	١٦

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامـر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ـ الشويخ ـ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهـذا بيان بالمتعهـدين :

مصـــر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجـلاء .

السودان : الخرطـوم ـ دار التوزيـع ـ ص.ب (٣٥٨)

ليبيـــا : طرابلس ـ الشركة العامـة للتوزيـع والنشر .

المغـرب : الدار البيضـاء ـ الشركـة الشريفة للتوزيـع .

تونـس : الشركـة التونسـية للتوزيـع .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جـدة : مكتبـة مكـة ـ ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافيـة ـ ص.ب : (٧٦)
الطائـف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جـدة
المدينة المنـورة : مكتبـة ومطبعـة ضـياء .

مسـقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب:(١٠١١)

البحريـن : دار الهلال .

قطـر : دار الثقافة للتوزيع ـ الدوحـة ص.ب. ٣٢٣ .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ـ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبـي : مكتبة دبـي .

الكويـت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ـ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ مـن الأعداد السابقة من المجلة .



طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –

هدية العدد : براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٨٢ ○ صفر ١٤٠٠ هـ ○ ديسمبر ١٩٧٩ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

صلاة الجماعة في المسجد النبوي الشريف

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٨٢ ○ صفر ١٤٠٠ هـ ○ ديسمبر ١٩٧٩ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية تحتفل بعيد الهجرة

احتفلت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية جريا على عادتها بمناسبة حلول السنة الهجرية الأخيرة من القرن الهجري الرابع عشر وحلول ذكرى الهجرة النبوية العطرة .

وكان على رأس الحضور مستشار سمو أمير البلاد الشيخ عبدالله الجابر ووزير الأوقاف والشؤون الاسلامية يوسف جاسم الحجي .. ووزير العدل عبدالله ابراهيم المفرج . وكبار المسئولين وعدد كبير من المواطنين .

وقد القى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية كلمة بالمناسبة قال فيها .

بسم الله الرحمن الرحيم . أحمد الله تبارك وتعالى وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته الى يوم الدين .

أيها الاخوة المؤمنون ـ السلام عليكم ورحمة الله وبعد ـ ففي مطلع العام الهجري الجديد ، وفي هذا المكان المبارك نحتفل ويحتفل المسلمون في كل مكان ، بذكرى هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، واذا كان في تاريخ أمتنا أحداث بارزة ، فالهجرة المحمدية أهم حدث غير مجرى الدعوة ، ومكنها من الانطلاق الى شرق الدنيا وغربها ، لتخرج الناس من الظلمات الى النور . ولقد فكر عمر رضي الله عنه ، وفكر معه الصحابة رضوان الله عليهم في اتخاذ حادثة هامة لتكون مبدأ للتاريخ الاسلامي ، فلم يجدوا أعظم أثرا من الهجرة المحمدية ، فقال عمر رضي



يصغون بخشوع الى ترتيل ايات من الذكر الحكيم .

الله عنه : الهجرة فرقت بين الحق والباطل ، فأرخوا بها وبالمحرم ، لأنه منصرف الناس من الحج ، وبذلك ربطوا تاريخنا بأهم حدث فيه حتى نظل على اتصال بالهجرة ودروسها ، نستمد منها هدياً لأنفسنا ، ونوراً يهدينا الطريق ، وعزماً ننشر به الدعوة في أرجاء الدنيا ، واثقين من نصر الله ، ما دمنا مع الله ــ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز .

أيها المؤمنون : اذا كان من واجب المسلمين في شرق الدنيا وغربها أن يحتفلوا بذكرى هجرة محمد صلى الله عليه وسلم وأن يستعيدوا أحداثها اعتزازاً بالماضي المشرق فما ينبغي أن يقتصر الاحتفال على كلمات تتناول جوانب الهجرة ، ولا يظهر لها أثر في السلوك والأعمال . فما عز السلف المؤمن بالكلمات والمقالات ، وإنما عزوا وسادوا بالايمان والعمل بالتضحيات والبطولات ، وبذلك عاشوا أعزة كراماً ، وفارقوا الدنيا يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين .

ومما لا شك فيه ان الظروف الحاضرة تفرض علينا كمسلمين أن نتأسى بصاحب الهجرة بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام ، الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه وأن نسير على دربهم جهاداً وصبراً وتضحية ومثابرة ابتغاء ماعند الله ، وما دمنا نرقب النصر ، وما دمنا طلاب عزة ومجد فليكن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم خير قدوة لنا كما قال الحق سبحانه : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) .

نهض صلى الله عليه وسلم بتبعات الدعوة ولم يكن معه سلاح يحارب به ، ولا قوة تحمل الناس على الخضوع له ، ولكنه كان يملك بين جنبيه أمضى سلاح . كان يملك عقيدة يقدم حياته من أجلها ، كان

يملك إيمانا يذيب الحديد والنار استطاع بهذا الايمان ان يبلغ دعوة الله ، وأن يواجه في سبيلها الصعاب بكل ما عرف البشر من قوة وصلابة وعزم وإباء ،
ويقول لعمه أبي طالب تلك الكلمة الخالدة التي ما زالت ملء سمع الزمن : والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه .

نعم تحمل هو وأصحابه كيد الخصوم ، ومغارم الجهاد المر ، وواجهوا آلام الحصار وحرب المقاطعة بصبر وصمود وبكثير من التضحيات ، وفي ذلك ايحاء لكل مسلم أن يقف من الصراع بين الحق والباطل موقف الواثق بأن الغلبة في النهاية ستكون للحق وحده ولا شيء سواه ، وان يقابل الأحداث مرفوع الرأس عزيز النفس مؤمنا بقول الله تعالى : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين) .

إن صاحب الهجرة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم علمنا أن نعيش دائما أعزة أمام البأساء ، لا نذل ولا نهون ولا نضعف ولا نستكين ، ونقابل نعم الله بشكره ، ونترجم عن شكرنا له بالتقوى وصفاء القلوب وصلاح الأعمال ، أن نهيئ المجال أمام النعم لتؤدي دورها في الحياة وتقدم للعقيدة أكرم عطاء .

أموالنا ننطلق بها الى ساحة الجهاد من اجل حماية الاسلام وصيانة الوطن واسترداد الأرض والمقدسات . أعدادنا البشرية تحتاج الى تضامن وتكتل واتحاد لنرد كيد الطامعين . نربي الشباب على الفضيلة ومكارم الاخلاق وننشئ الفتيات على العفة وشرف السلوك في جو اسلامي رشيد فالشباب في كل عصر هو درع الأمة وموطن الأمل والرجاء .

انه مما يستوجب الشكر ويبشر بالخير هذه الصحوة الاسلامية المباركة ، التي انبعثت في عقول كثير من المسلمين وقلوبهم ، لتردهم الى دينهم والاستمساك بالذي أوحى الى نبيهم والاعتصام بحبل الله .
هذه الصحوة ملأت قلوب الشباب بالايمان فاتجهوا الى المساجد واقبلوا على الدين وتدافعوا الى ساحات التجنيد حبا في الجهاد والاستشهاد .

نبهت هذه الصحوة شعور المسلمين فتنادوا بتطبيق شريعة الاسلام . ان عودة المسلمة الى الحجاب بكل قناعة والتزامها بآداب الاسلام يصحح المسيرة على طريق الخير والفلاح . كل ذلك يؤكد من جديد أننا خير أمة أخرجت للناس وأنه لن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها بالقرآن وحكمه ، بالاسلام ومنهجه ، بالمثل العليا والقيم الأخلاقية الفاضلة .

أيها الأخوة المؤمنون . توحي الهجرة المحمدية بأسباب النصر للمسلمين اذا استفادوا من دروسها ، وطبقوا منهجها وفهموا أسرارها . ولقد بادر محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من أول يوم من أيام الهجرة الى ربط المجتمع المسلم برباط التآخي لله وفي الله ، فجعل من هذا التآخي قوة تحرس الدعوة ، وتصون الاسلام ، وتصنع التاريخ . في إطار هذه الوحدة اختفت عصبيات الجاهلية ، وسقطت فوارق النسب واللون ، وحرص الانصار على الحفاوة باخوانهم المهاجرين ، وقدر المهاجرون هذا الحب وهذا السخاء فما استغلوه ولا نالوا منه إلا في حدود العمل الشريف .

بالحب والاخاء انتصروا على أعدائهم مع قلة العدد والعدة ، وأطل على الدنيا فجر الاسلام وأسسوا دولة امتدت الى الصين شرقا والى الأندلس غربا ، وأصبح سلطان الأرض في قبضة المؤمنين كسلطان السماء ، وكان حقا علينا نصر المؤمنين .

وأمتنا اليوم وهي تجتاز أصعب مراحل تاريخها في حاجة ملحة الى هذا الحب وهذا التلاحم الى وحدة الصف وجمع الكلمة وتناسي الخلافات وهجر المنازعات ، وذلك من أجل شعب مشرد ، وأراض محتلة ، ومقدسات سليبة ، وحق مضيع . ان تحرير المسجد الاقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين يفرض على الأمة أن تتوحد بعد فرقة وأن تتلاقى بعد قطيعة ، وأن تتصافى بعد خصومة ما دامت أمام عدو لايعرف الا منطق القوة والبغي والعدوان .

ان اليهود من فجر التاريخ يتربصون الدوائر بالاسلام وأهله يعملون دائما على بث الفرقة وإشعال الفتنة بكل وسائل الحقد والبغضاء . علينا أن نرد كيدهم في نحورهم ، وأن نستجيب لنداء الحق سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) .

اللهم وحد صفوفنا ، واجمع على الحق كلمتنا ، واعنا على أنفسنا ، وانصرنا على المعتدين . اللهم انصر الاسلام والمسلمين ، وأيد بفضلك كلمة الحق والدين ، وأخرجنا من المحن برءوس مرفوعة ونصر مبين . اللهم اجعل عامنا الجديد عام خير ونصر وبركة على أمة الاسلام .

وإني أنتهز هذه المناسبة الكريمة وأقدم التهنئة خالصة الى صاحب السمو أمير البلاد وإلى ولي عهده الأمين والى شعب الكويت والى المسلمين عامة في كل مكان . وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله ،،،

مِنْ وَحْيِ النُّبُوَّة

الورع طمأنينة

إعداد : الشيخ احمد عبد الواحد البسيوني

هذا الحديث ، خرجه الامام أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم من حديث يزيد بن أبي مريم عن أبي الجوزاء عن الحسن ابن علي ، وصححه الترمذي .

وهذا الحديث قطعة من حديث طويل ذكر فيه قنوت الوتر ، وعند الترمذي وغيره زيادة في هذا الحديث ، وهي (فان الصدق طمأنينة ، والكذب ريبة) . ولفظ ابن حبان : (فان الخير طمأنينة وإن الشر ريبة) .

وقد روى هذا الكلام موقوفا على جماعة من الصحابة : منهم عمروابن عمر رضي الله عنهم وأبو الدرداء وعن ابن مسعود قال : ما تريد إلى ما يريبك وحولك أربعة آلاف لا تريبك ؟. وقال عمر : دعوا الربا والريبة ، يعني ما ارتبتم فيه ، وإن لم تتحققوا أنه ربا ، ومعنى هذا الحديث ، يرجع إلى الوقوف عند الشبهات واتقائها ، فان الحلال المحض ، لا يحصل لمؤمن في قلبه منه ريب والريب : بمعنى القلق والاضطراب بل تسكن إليه النفس ويطمئن به القلب ، وأما المشتبهات فيحصل بها للقلوب القلق والاضطراب الموجب للشك . وقال ابو عبد الرحمن العمري الزاهد : إذا كان العبد ورعا ترك ما يريبه إلى ما لا يريبه . وقال الفضيل : يزعم الناس ان الورع شديد ، وما ورد علي أمران الا أخذت بأشدهما ، فدع ما يريبك الى ما لا يريبك . وقال حسان بن أبي سنان : ما شيء أهون من الورع ، اذا رابك شيء فدعه ، وهذا انما يسهل على مثل حسان رحمه الله .

قال ابن المبارك : كتب غلام لحسان ابن أبي سنان اليه من الأهواز : إن قصب السكر أصابته افة ، فاشتر السكر فيما قبلك ، فاشتراه من رجل ، فلم يأت عليه إلا قليل : فاذا

عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)
رواه النسائي والترمذي ، وقال : حسن صحيح .

فيما اشتراه ربح ثلاثين ألفا . قال : فأتى صاحب السكر فقال : يا هذا : إن غلامي كان قد كتب إلى فلم أعلمك ، فأقلني فيما اشتريت منك ، فقال له الآخر : قد أعلمتني الان وقد طيبته لك ، قال : فرجع فلم يحتمل قلبه ، فأتاه فقال : يا هذا: إني لم آت هذا الامر من قبل وجهه ، فأحب ان تسترد هذا البيع ، قال : فما زال به حتى رده عليه ؟ وكان يونس بن عبيد إذا طلب المتاع ونفق أرسل ليشتريه يقول لمن يشتري له : اعلم من تشتري منه ان المتاع قد طلب ! وقال هشام بن حسان : ترك محمد بن سيرين أربعين الفا فيما لا ترون به اليوم بأسا . وكان الحجاج بن دينار قد بعث طعاما إلى البصرة مع رجل وامرأة أن يبيعه يوم يدخل بسعر يومه ، فأتاه كتابه اني قدمت البصرة فوجدت الطعام منقصا فحبسته ، فزاد الطعام فازددت فيه كذا وكذا ، فكتب اليه الحجاج : انك قد خنتنا وعملت بخلاف ما أمرناك به ، فاذا أتاك كتابي فتصدق بجميع نلك الثمن ، ثمن الطعام على فقراء البصرة ، فليتني أسلم اذا فعلت نلك . وتنزه يزيد بن زريع عن خمسمائة ألف من ميراث أبيه فلم يأخذه ، وكان ابوه يلي الأعمال للسلاطين وكان يزيد يعمل الخوص .. وهو سعف النخيل ، ويتقوت منه الى أن مات رحمه الله وكان المسور بن مخرمة قد احتكر طعاما كثيرا فرأى سحابا في الخريف فكرهه فقال : ألا أراني كرهت ما ينفع المسلمين ، فآلى أن لا يربح فيه شيئا ، فأخبر بنلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر : جزاك الله خيرا . وفي هذا أن المحتكر ينبغي له التنزه عن ربح ما احتكره احتكارا منهيا عنه .

وقد نص الامام احمد رحمه الله على التنزه عن ربح ما لم يدخل في ضمانه لدخوله في ربح ما لم يضمن . وقد نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال أحمد في رواية عنه : (فمن أجر ما استأجره بربحه أنه يتصدق بالربح) . وقال في رواية عنه في ربح مال المضاربة ، إذا خالف فيه المضارب أنه يتصدق به . وقال في رواية عنه فيما اذا اشترى ثمرة قبل بدو صلاحها بشرط القطع ثم تركها حتى بدا صلاحها أنه يتصدق بالزيادة ، وحمله طائفة من أصحابنا

على الاستحبـــاب لأن الصدقـــة بالشبهات مستحبة .
وروى عن عائشة رضي الله عنها ، أنها سئلت عن أكل الصيد للمحرم إذا لم يصبه ، فقالت : انما هي أيام قلائل فما رابك فدعه ، يعني ما اشتبه عليك هل هو حلال أو حرام فاتركه ، فان الناس اختلفوا في إباحة أكل الصيد للمحرم اذا لم يصد ، هو .
وقد يستدل بهذا على أن الخروج من اختلاف العلماء أفضل لأنه أبعد عن الشبهة ولكن المحققين من العلماء من أصحابنا وغيرهم ، على أن هذا ليس على إطلاقــه ، فان من مسائـــل الاختلاف ما ثبت فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم رخصـــة ليس لهـــا معارض ، فاتباع تلك الرخصة أولى من اجتنابها وان لم تكن تلك الرخصة بلغت بعض العلماء فامتنـــع منهـــا لذلك ، وهذا كمن تيقن الطهارة وشك في الحدث ، فانه صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا) ولا سيما إن كان شكه في الصلاة فانه لا يجوز له قطعها لصحة النهي عنه ، وإن كان بعض العلماء يوجب ذلك .
وإن كان للرخصة معارض ، إما من سنة اخــرى أو من عمــل الأمــة بخلافها ، فالأولى ترك العمل بها ، وكذا لو كان قد عمل بهـــا شذوذ الناس ، واشتهر في الأمة العمــل بخلافها في امصار المسلمين من عهد الصحابة رضي الله عنهم ، فان الأخذ بما عليه عمل المسلمين هو المتعين ، فان هذه الامة قد أجارها الله أن يظهر اهل باطلها على أهل حقها ، فما ظهر العمل به في القرون الثلاثة المفضلة ، فهو الحق وما عداه فهو باطل .
وها هنا أمر ينبغي التفطن له وهو ان التدقيق في التوقف عن الشبهات ، إنما يصلح لمن استقامت أحوالــه كلها ، وتشابهت أعماله في التقوى والورع .
فأما من يقع في انتهاك المحرمــات الظاهرة ، ثم يريد أن يتورع عن شيء من دقائق الشبهة ، فانه لا يحتمل له ذلك بل ينكر عليه ، كما قال ابن عمر لمن سأله عن دم البعوض من أهل العراق : يسألونني عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين . وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (همـــا ريحانتاى من الدنيا ؟؟!!) وســـأل رجل بشر بن الحارث عن رجل له زوجة وأمه تأمره بطلاقها ، فقال : إن كان قد بر أمه في كل شيء ولم يبق من برها الا طلاق زوجته فليفعل ، وان كان يبرها بطلاق زوجته ثم يقوم بعد ذلك الى أمه فيضربها فلا يفعل .
وسئل الامام أحمد رحمه الله عن رجل يشتري بقلا ويشتــرط الخوصـــة : يعني التي تربط بها حزمة البقل ، فقال أحمد : إيش هذه المسائل ؟ قيل له إن إبراهيم بن أبي نعيم يفعل ذلك ، فقال أحمد : إن كان إبراهيم ابن أبي نعيم فنعم ، هذا يشبه ذاك ، وإنما أنكر هذه المسائل ممن لا يشبه حاله ، وأما أهل التدقيق في الورع فيشبه حالهم هذا . وقد كان الامام أحمد نفسه يستعمل في نفسه هذا الورع ، فانه أمر من يشتري له سمنا

فجاء به على ورقة فأمر برد الورقة إلى البائع . وكان الامام أحمد لا يستمد من محابر أصحابه ، وإنما يخرج معه محبرته يستمد منها . واستأذنه رجل أن يكتب من محبرته فقال له : اكتب فهذا ورع مظلم ، واستأذنه رجل اخر في ذلك فتبسم فقال : لم يبلغ ورعي ولا ورعك هذا ، وهذا قاله علي وجه التواضع والا فهو كان في نفسه يستعمل هذا الورع ، وكان ينكره على من لم يصل الى هذا المقام بل يتسامح في المكروهات الظاهرة ويقدم على الشبهات من غير توقف .

. وقوله صلى الله عليه وسلم : (فان الخير طمأنينة وان الشر ريبة) يعني ان الخير تطمئن به القلوب والشر ترتاب به ولا تطمئن اليه ، وفي هذا إشارة إلى الرجوع إلى القلوب عند الاشتباه .

وخرج ابن جرير باسناده عن قتادة عن بشر بن كعب أنه قرأ هذه الآية : **(فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه)** الملك/ ١٥ ثم قال لجاريته : ان دريت (ما مناكبها) فانت حرة لوجه الله ، قالت : مناكبها : جبالها ، فكأنما سفع في وجهه ، ورغب في جاريته ، فسألهم ، فمنهم من أمره ، ومنهم من نهاه ، فسأل ابا الدرداء فقال : الخير طمأنينة والشر ريبة فذر ما يريبك الى ما لا يريبك .

وقوله في الرواية الأخرى : (إن الصدق طمأنينة والكذب ريبة) يشير إلى أنه لا ينبغي الاعتماد على قول كل قائل كما قال في حديث وابصة : (وان أفتاك الناس وأفتوك) وإنما يعتمد على قول من يقول الصدق ، وعلامة الصدق أن تطمئن به القلوب ، وعلامة الكذب أن تحصل به الريبة فلا تسكن القلوب إليه بل تنفر منه . ومن هذا كان العقلاء على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمعوا كلامه وما يدعو اليه عرفوا انه صادق وأنه جاء بالحق ، واذا سمعوا كلام مسيلمة عرفوا انه كاذب وانه جاء بالباطل .

وقد روى ان عمرو بن العاص ـ سمعه ـ اي مسيلمة ـ قبل اسلامه يدعي انه انزل عليه : يا وبر ، يا وبر اذنان وصدر وانك لتعلم يا عمرو ، فقال : والله إني لأعلم أنك تكذب !

وقال بعض المتقدمين : صور ما شئت في قلبك وتفكر فيه ، ثم قسه إلى ضده ، فانك إذا ميزت بينهما عرفت الحق من الباطل ، والصدق من الكذب ، قال : كأنك تصور محمدا صلى الله عليه وسلم ثم تتفكر فيما أتى به من القرآن فتقرأ : **(ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس)** البقرة/ ١٦٤ . ثم تتصور ضد محمد صلى الله عليه وسلم فتجده مسيلمة ، فتفكر فيما جاء به فتقرأ : ألا يا ربة المخدع ، قد هيىء لك المضجع : يعني قوله لسجاح حين تزوج بها ، قال : فترى هذا : يعني القرآن رصينا عجيبا ، ينوط بالقلب ويحسن في السمع ، وترى : ذا يعني قول مسيلمة ، باردا غثا فاحشا ، فتعلم أن محمدا حقا أتى بوحي ، وأن مسيلمة كذاب أتى بباطل .

الإنسان في القرآن الكريم

محمد موءذن

للشيخ : محمد الغزالي

كانت الملائكة متشائمة من مستقبل الانسان على ظهر الأرض ، لعلها أحست أن أصله الترابي سيجعله هشا أمام الاختبارات الصلبة ، وأنه سيفقد تماسكه أمام الأهواء والمغريات ، لعلها رأت أنه يشبه أجناسا أخرى لم تصدع بأمر الله ، ولم تحسن تنفيذ وصاياه ، أو لعل شعاعا من عالم الغيب طلع عليها فرأت معه صورا من الحروب الدامية والمسالك المعوجة التي سوف يخوضها البشر ويظلمون بها أنفسهم ؟

على أية حال لقد تساءلت الملائكة مستغربة وقالت لله جل شأنه (**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**) البقرة/٣٠ وكان الجواب الأعلى (**إني أعلم مالا تعلمون**) البقرة/٣٠ وخلق الله آدم ووهب له عقلا محيطا بالأشياء كلها ، ووضع في هذا العقل خاصة باهرة ليتمكن بها من معرفة الأسرار والظواهر ، ويهيمن بها على شتيت من القوى والعناصر ، إن هذا الانسان المحدود في أعضائه ومشاعره ، يملك طاقات ضخمة تجعله سيدا لما حوله ، بل تجعله ملكا واسع السلطان ممدود النفوذ .

ولعل الملائكة اليوم ترقبه دهشة وهو يخترق الفضاء ويغزو الكواكب .. لكن عظمة الانسان لا تكمن في هذه القدرات الطيعة ، انها تكمن في أمر آخر أهم منها وأجل ، هو معرفته لمن خلقه فسواه ، لمن أعلى قدره ورفع مستواه ، لله الذي خلق هذا الكون ومكنه فيه وسخره له ... إن هذا الفريق من الناس الذي عرف ربه وأسلم له وجهه ، وافتتح مغاليق الحياة باسمه ، هو الذي يبرز الحكمة من وجود الانسان في العالم ، وأحسب أن هذا الفريق الصالح المصلح ، هو الذي استشفت الملائكة خبره ثم قالت لله : (**سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم**) ٣٢/البقرة ، وقصة الحياة الانسانية كما ساقها القرآن الكريم تستوقف النظر من نواح عدة نحب أن نبينها : أولها ، هذا التنعيم الذي احاط بها منذ بدايتها ، فبين يدي عرض في سورة البقرة القصة نقرأ قوله تعالى : (**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا**) ٢٩/البقرة ، وقبل ذلك بقليل نقرأ (**الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم**) البقرة/٢٢ .

وبين يدي عرضها في سورة الأعراف نقرأ قوله (**ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون . ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**) الاعراف/١١

وبين يدي عرضها في سورة الحجر ، سرد للنعم التي تحف الحياة البشرية نقرأ منه قوله تعالى : (**ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين . وحفظناها من كل شيطان رجيم . الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين والأرض**

مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون . وجعلنا لكم فيها معايش). الحجر/١٦ ـ ٢٠ .

والواقع أن الرغيف الذي يطعمه إنسان ، تشترك في إنباته وإنضاجه فجاج الأرض وآفاق السماء فتربة الأرض ، والسحب الهامية ، والأشعة العمودية أو المائلة التي تتعرض لها الحقول خلال دوران الأرض حول الشمس ، وأثر الضوء في تكوين الخضرة ، وأشياء أخرى كثيرة تتعاون جميعا على تكوين الغذاء والكساء والدواء ، الذي يحتاج اليه البشر ، إن شبكة من المواد الدقيقة جدا ، والجسيمة جدا ، انتظمت في خدمة الانسان وتأمين معايشه وتخطيط حاضره ومستقبله ، كل يؤدي دوره بوفاء وقدرة ، الكواكب السابحة في الفضاء ، والجرائم التي لا تراها العين ؟

وذاك سر الأقسام الكثيرة التي وردت في القرآن الكريم مشيرة إلى فخامة هذا العالم **(فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق.والقمر اذاتسق.لتركبن طبقا عن طبق)** الانشقاق/١٦ـ١٩ **(كلا والقمر . والليل اذ أدبر . والصبح اذا أسفر. انها لاحدى الكبر ..)** المدثر/٣٢ ـ ٣٥ وتدبره القسم بالرياح المثيرة والسحب الحافلة وما يتبع ذلك من زرع وحصاد وتجارة واحتراف وخبرات تعم البشر **(والذاريات ذروا . فالحاملات وقرا . فالجاريات يسرا . فالمقسمات أمرا . ان ما توعدون لصادق ..)** الذاريات/١ ـ ٥ .

إن رب العالمين أبدع ما صنع ، وحدثنا عن هذا الابداع لنعجب به ونتذوق جماله . واني لاستغرب أحوال ناس ينتسبون إلى الاسلام ويديرون ظهرهم للكون ، فلا يدرسون له قانونا ، ولا يكشفون له سرا .

أي إيمان هذا ؟ وأي جهل بقصة الحياة ووظيفة آدم وبنيه في ربوعها ..؟

ان الانسان في القرآن الكريم كائن مكرم مفضل محترم مخدوم ، ومن حق الله تبارك اسمه أن يعاتب البشر على سوء تقديرهم لآلائه **(ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير)** لقمان/٢٠ .

هذه ناحية تتصل بالتكريم المادي للانسان ، وثم ناحية ثانية تتصل بكيانه المعنوي فالانسان نفخه من روح الله الأعلى ، هكذا بدأ خلق آدم ، وهكذا تتخلق الأجنة في بطون الأمهات . ان الحياة في شتى الاجسام المتحركة شيء ، وخصائص الحياة الرفيعة في أبناء آدم شيء آخر ، وقد أشاع الله نعمة الخلق بين خلائق كثيرة برزت من العدم الى الوجود ، بيد أن آدم وحده هو الذي وصفه بقوله **(سويته ونفخت فيه من روحي ..)** الحجر/٢٩ .. واطرد هذا التكريم في ذريته الى قيام الساعة **(الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ**

خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة) السجدة ٧ ــ ٩ .

والانسان بهذه النفخة كائن جديد يعلو فوق ما يشبهه من ضروب الحيوان ولذلك قال جل شأنه (... **فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين)** المؤمنون/ ١٤ وبعد أن تم خلق آدم على هذه الصورة أمر الله الملائكة أن تسجد له . سجود تعظيم وتوقير لا سجود عبادة !! والملائكة هي التي أبدت دهشتها لايجاد هذا الانسان واستنكرت ما سوف يقع منه من فساد وفوضى .

انها طولبت بالسجود له بعد ما تم تكوينه !! وعوقب من رفض السجود بالطرد من رحمة الله وسواء كان ابليس من الملائكة ، أم صادف وجوده بينهم وهو من الجن ، فان النتيجة لا تختلف ، اذ أن الاستهانة بالانسان هي عند الله عصيان وخيم العاقبة ! وهذا التكريم البين ينضم إليه أمر آخر عظيم الدلالة على مكانة الانسان وحفاوة الله به ، هذا الأمر هو الفرح الالهي بعودة الانسان التائب واستقبال الله له باعزاز بالغ ، وتجاوزه عما فرط منه من خطأ ، وقوله في عفو شامل (**واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ..)** طه/٨٢ .

كلتا الناحيتين من تكريم ، وتنعيم ، استتبعت ناحية ثالثة ، كان لها الأثر الأكبر في مستقبل الانسان ومستقبل الكوكب الذي أعد لسكناه ، بل في مستقبل المجموعة الشمسية كلها ، التي سينتثر عقدها وينطفىء نورها مع انتهاء الرسالة الانسانية على ظهر الأرض .. هذه الناحية هي (التكليف) فان الله الذي زود الانسان بهذا السمو في مواهبه ، لم يتركه سدى ، بل أمره ، ونهاه ، وطلب منه أن يفعل ، وأن يترك ! وربما كلفه ان يفعل ما يثقله ، وأن يترك ما يشتهيه !! وهنا نقف وقفة يسيرة أمام سر التكليف ومعناه لنتناول جملة أمور .

ان أبانا آدم ، وهو الانسان الأول ، كلف ألا يأكل من شجرة معينة وكان جديرا به أن يعرف حق الآمر جل شأنه وأن يدع الأكل من هذه الشجرة أبدا ولكنه بعد مرحلة من الذهول والضعف ، عرضت له ساعة انهيار في إرادته وامتداد في رغبته ، فأكل من الشجرة المحرمة ، وشاركته زوجته في عصيانه فطردا جميعا من الجنة . وكانا قد أحسا بالخطأ الذي تورطا فيه ، فدعوا الله نادمين (**قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين . قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون)** الاعراف ٢٣ ــ ٢٥ ، ونزل أبوانا إلى الأرض ، وشرع كثير من الأبناء يمثلون القصة نفسها ، ويرتكبون الخطأ ذاته ، ولكنه ليس أكلا من شجرة ، بل

اتباعا للشهوات التي تقود إلى العصيان والحرمان !

العنوان متغير والحقيقة واحدة .. إن هذا السلوك من الانسان الأول يجعلنا نتساءل عن علته ؟ والعلة واضحة ، فان الانسان بدأ حياته بطبيعة مزدوجة ، قبس من نور الله داخل غلاف من طين الأرض !!

إن الله تبارك وتعالى بعد ما صور الانسان من التراب وسواه ، نفخ فيه من روحه ، فاذا كائن عجيب يجمع النقائض في تركيبه ، يقدر على التسامي وعلى الأسفاف ، يقدر على الاستقامة وعلى الانحراف ! وقد نبه القرآن الكريم الى هذا الخليط في التكوين البشري فقال جل شأنه (**انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا**) الانسان/٢ كما نبه إلى أن المامه بالخطايا ليس مستغربا ، انه ينزع الى عرق فيه ! (**الذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الأرض واذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم**) النجم /٣٢ .

وكلتا النزعتين الأرضية والسماوية ، تجد في الحياة أو في البيئة ــ ما يضعفها أو يقويها وقبل ذلك كله ، تجد في الانسان نفسه ما يرجح كفة على أخرى ، وما يسلم زمامه للخير أو للشر . كما يريد هو لنفسه دون تدخل من أحد في اتجاهه هنا أو هنا .

إن إيثار الوقوف عند الاشارة الحمراء أو المروق منها والتعرض لأخطار الانطلاق الأحمق تصرف إنساني محض .

وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى : (**واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها**) أي لو تسامى وترفع ــ (**ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه**) الأعراف ١٧٥ ــ ١٧٦ ــ فتركه الله حيث شاء لنفسه .

و لابد من توكيد هذه الحقيقة ، حقيقة الارادة الحرة في الصعود والهبوط ، في التقوى والفجور في إغضاب الله أو ارضائه ، فان الرحمن الرحيم يستحيل أن يظلم انسانا سعى في مرضاته كما أنه لا يرضى عن انسان سعى في اغضابه .

وبعض الناس يماري في هذه الحقيقة عن مكابرة ، أو تمحل أعذار ، وهيهات فقصة الوجود الانساني ، تقوم على اختيار حقيقي لاكتشاف المحسن والمسئ (**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**) الملك/٢ والمحسن انسان اتقن العمل واحترم الصواب . والمسئ انسان فرط ولزم العوج . والعراك داخل النفس الانسانية لاختيار أحد النهجين عراك حقيقي لا صوري ، وتلمح صدق هذا العراك وقبول نتائجه في قوله تعالى : (**فأما من طغى. وآثر الحياة الدنيا . فان الجحيم هي المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى،فان الجنة هي المأوى**) النازعات/٣٧ ــ ٤١ !! ان السالم في

هذا العراك انسان يشعر بقيام الله عليه وعلى سائر الكائنات ، ومع نماء هذا الشعور يخفت صوت الهوى ، ويغلبه صوت الضمير اليقظان أو القلب الحي .. فأين التمثيل أو المحاباة أو الخداع في هذه الحالات ؟

الله جل شأنه ينادي الانسان ويذكره ويهديه ، وعلى الانسان أن يلبي ويتنكر ويهتدي ، فاذا أبى الا الشرود فهو وحده الملوم . ومن ثم تقررت هذه الأحكام العادلة التي تدركها من قوله تعالى : (**قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها**) الانعام/١٠٤ (**ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها**) الشمس/٧ ــ ١٠ ، والتزكية والتدسية جهد بشري محض ، أو كنلك يكون أول الطريق ، ثم يلحقه من مشيئة الله ما يصل به الى النهاية (**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا**) النساء/١١٥ .

ونتساءل مرة ثانية : ما قيمة الصوت المضلل الذي يستمع اليه الانسان فيزيغ ويشقي ؟ الحق أن صداه الضخم أضعاف أضعاف حقيقته التافهة ، انه كنقيق الضفدعة يملأ أكناف الليل ومصدره لا قيمة له !

ما الشجرة التي أكل منها آدم ؟ هل أحس طويلا لذة ثمرها ومتعة ازدرادها ؟ لقد كانت وهما هذه النشوة المأمولة ، ولو فرضناها لذة ساعة فما قيمتها اذا ووزنت بما أعقبته من حسرات سنين عددا ؟ بل دهرا طويلا !!

إن الانسان في هذه الدنيا تهيجه رغبة حمقاء الى شئ محرم ، ما أن يواقعه حتى يحس الفراغ والضياع ، وحقيق بالانسان أن يتماسك أمام عوامل الاستفزاز ومزالق القدم .

ونتساءل مرة أخرى : ما مصدر هذا الصوت النابي الجهول الذي يزل الانسان . والجواب أن له مصدرين اثنين : أولهما نفس الانسان ، أو الاهاب الترابي الذي غلفت به ، والمصدر الثاني من كائن آخر خاصم الانسان من النشأة الأولى وهو الشيطان الذي آلى على نفسه استدامة هذا الخصام إلى يوم النشور ..

في المصدر الداخلي للمعصية ، يقول الله تعالى (**ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما**)طه/١١٥ .

فالنسيان وضعف العزيمة ، رذائل وقع فيها الانسان الأول ، ومع تولدها في نفسه تتهيأ الامكانات للشيطان كي يوسوس ويخادع ، ويقول لآدم وامرأته (**ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور**) الاعراف ٢٠ ــ ٢٢ . وما تمت هذه التدلية ولا نجح الشيطان في خدعته الا لأن آدم كان قد ضعفت ذاكرته وضعفت إرادته .

الضعف النفسي أولا ! ثم وساوس الشيطان ثانيا ! ولا عبرة بما يتعلل به المخطئون من أن الشيطان هو السبب الأول والأخير في انحدارهم !

إن للشيطان محطة إرسال يذيع منها فنون الاغراء والاغواء ، والانسان هو الذي يهيئ أقطار نفسه لاستقبال هذه الاذاعات والتجاوب معها .

وأنت الذي تتخير ما تسمع من محطات (الراديو) المختلفة ، ولو شئت أغلقت للفور ما تعاف سماعه ، وابتعدت عنه ، حتى لا يصل صداه الى سمعك ، أو قاومته بمشاعر النفور والمقت حتى لا يستولي عليك وقد منح الشيطان من أول يوم ، القدرة على إغراء الانسان وخداعه .

ودفعته خصومته إلى ابتكار وسائل كثيرة ونصب أحابيل مختلفة لايقاع الأغرار والغافلين وقيل له : **(واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك)** الاسراء/ ٦٤ . ولكن الشيطان لا يملك أكثر من الكلام يكذب فيه ويغر ، وقد نبه الله آدم وبنيه الى هذا الكاذب . وحذرهم من الشراك المنصوبة والأقاويل المزورة .

إن الشيطان يعد كاذبا ، ويقسم حانثا ، وينصح غاشا ، ويلين ليلدغ ، وينحني ليثب ويصرع ، وهو في هذا كله لا يملك الا شيئا واحدا ، الكلام ، الكلام وحده !! فلا يجوز أن نصدقه **(يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى)** طه/١١٧ (**أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا)** الكهف/ ٥٠ ومع ذلك فقد قدر الشيطان بالكلام المضلل أن يزيغ الكثيرين . وسيقول يوم القيامة لمن استجابوا له **(وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم)** إبراهيم/٢٢ .

إن سلاح الشيطان مفلول والنجاة منه ميسورة ميسورة !! وعندما يقع البعض في قبضته فلا حماية له ، لأن القانون لا يحمي المغفلين ! ومن ثم فالجهد الحقيقي في النصح والتربية يتجه إلى الانسان أولا وآخرا ليوقظ فيه أسباب الحذر ، وليسد الثغرات التي يمكن أن يتسلل منها الشيطان بوساوسه الماكرة ، لقد أشرنا إلى الأمشاج التي يتكون منها الانسان ، والحق أن في الانسان ـ مع أصله السماوي ـ طباعا لا يجوز تركها حرة تتصرف كما تشاء ، لا بد من مراقبتها بدقة واخضاع حركتها وسكناتها لحكم الله ، والا جرته من القمة إلى الحضيض **(لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين)** التين/ ٤و٥ .

وليس معنى هذا الرد أنه تحول إلى مسخ ذميم بعد ما كان في ذروة الحسن ! كلا .. المعنى إن امكانات الهبوط جاورت معاني الرفعة في نفسه ، وأنه يستطيع التحليق والاسفاف معا وذاك سر الاستثناء بعد **(الا الذين آمنوا وعملوا**

الصالحات) التين/٦ ، أي سوف يبقى قوامهم حسنا ماديا ومعنويا !!..

وجاءت في القرآن الكريم آيات كثيرة ، تقرر الطبائع الرديئة التي ينبغي الخلاص منها ، فالانسان (أناني) يحب نفسه وحسب ، وقد تكون محبة النفس أصلا في استبقاء الحياة ، ولكن هذه المحبة تتحول إلى مرض خطير ، يورث الشره ، والطمع ، والبغي ، واجتياح الحقوق بنزق ، وقد ذكر القرآن أن هذه الأثرة لا يطفئها الغني مهما اتسع **(قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا) !!** الاسراء/١٠٠ ، والانسان نساء أو غافل ، وقد يكون هذا أو ذاك أصلا في استبقاء الحياة ، فلو استصحب المرء حزنه إلى الأبد على ما فقد ما صلحت الدنيا .

ولكن هذا الذهول قد يكون جرثومة الكنود ونكران الجميل ونسيان الرب وما أولى **(واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا)** الاسراء/٦٧ ، **(إن الانسان لربه لكنود . وانه على ذلك لشهيد)** العاديات ٦ ، ٧ والانسان الذي يحلو له أحيانا أن يفخر ، ويتطاول ، وينظر إلى السماء بقلة اكتراث ، تنله علة في أي مكان من جسمه أو تزله غلطة في أي وقت من تفكيره مهما كان عبقريا **(يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا)** النساء/٢٨ ، والانسان محتال كبير في الدفاع عن نفسه والتماس الأعذار لأخطائه وعد ما يقع منه وجهة نظر مقبولة أو مغفورة **(وكان الانسان أكثر شيء جدلا)** الكهف/٥٤ .

وهذه الطبائع جميعا مزالق لمن يسترسل معها ، وقد نبه القرآن الكريم ، إلى أمراض شتى تعتري النفس ، فالانسان قد يبطر مع الغنى ، ويطغي مع السلطة ، ويقنط مع الفشل ، وقد يستحلي من شهوات النساء ، والرياء ، والاستعلاء ، ما يحيله إلى عبد لنفسه وهواه ، ولكن الفكاك من هذه الآثام كلها ميسور ، فان القرآن الكريم لما خوف عواقب هذه الانحرافات الانسانية ذكر أسباب النجاة منها ، **(والعصر . ان الانسان لفي خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)** سورة العصر ، وما أجملته سورة العصر من وصف للداء والدواء ، فصلته سور أخرى ، نختار منها سورة المعارج ، التي أسندت للانسان هذه الخلال **(إن الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا.واذا مسه الخير منوعا)** المعارج ١٩ ــ ٢١ ، لكن الانسان يبرأ من هذه العلل إذا قام بجملة العبادات المفروضة .

ونتساءل : هل هذه العبادات (مصل) واق ، أم شفاء من أمراض توجد وتتجدد ؟ قد يكون هذا أو ذاك ! ولنتدبر أولا الاستثناء الذي تضمنته السورة الكريمة **(الا المصلين .**

الذين هم على صلاتهم دائمون . والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم . والذين يصدقون بيوم الدين . والذين هم من عذاب ربهم مشفقون . ان عذاب ربهم غير مأمون . والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم بشهاداتهم قائمون . والذين هم على صلاتهم يحافظون . أولئك في جنات مكرمون) المعارج/من ٢٢ ـ ٣٥ .

لا شك أن هذه العبادات مجتمعة ، تنشئ إنسانا كاملا ، شريطة أن تؤدي أداء حقيقيا لا أداء تمثيليا !!! وأحب أن أقف عند واحدة من هذه العبادات لأتأملها وأتعرف على آثارها النفسية ، وهي قوله تعالى (**والذين هم بشهاداتهم قائمون**) المعارج/٣٣ . ان الانسان المسلم يجب أن يكون مستعدا دائما لآداء الشهادة على وجهها ، ليحق الحق ، ويبطل الباطل ، ويدعم العدالة . والقيام بالشهادة ، يتطلب صراحة لا تخاف في الله لومة لائم ، ذلك أن الحق يختنق في هذه الدنيا وسط دخان الشهوات المتصاعد من هنا ومن هناك . والمرء ينكل عن الادلاء بالرأي الصحيح والقول الصحيح ، لأنه يخشى على مستقبله مثلا ، أو يريد محاباة قريب ، أو يطمع في مال ، أو يتطلع إلى منصب ، انه لا يستبين وجه الله من غلظ الحجب على بصيرته !! والمجتمع الاسلامي يسقط مع اختفاء الذين هم بشهاداتهم قائمون . وكم رأينا من أناس قدموا وحقهم التأخير ، أو أخروا وحقهم التقديم ، لأن المؤمنين ليسوا بشهاداتهم قائمين ، ربما سكتوا أو قالوا فلم يعدلوا !!

ولقد عرفت لماذا سبقت بعض المجتمعات سبقا بعيدا ، عندما قرأت أن زوج الملكة في هولندا عزل وجرد من أوسمته ، لما كشفت صلته بقضية رشوة ، وأن رئيس وزراء اليابان عزل ورمي به في السجن ، للتهمة نفسها !!...

أن القيام بالشهادة يعني الا نترك صاحب حق مستوحشا في هذه الدنيا لا صديق له ولا ظهير ، والشهادة بداهة ليست ما يقال أمام المحاكم فقط ، بل ما يقال في كل خلاف أو مشورة أو اختيار أو انتخاب أو أي شأن ذى بال . والقائم بالشهادة ، رجل أسلم لله وجهه وقرر أن يحيا للحق وحده ! وقد تتشابك في نفس الانسان عدة طباع مثل تشهي الحياة ، وتعجل النتائج ، وغلبة الأثرة ، فيصدر أحكاما خاطئة على ما يصيبه من خير أو شر ، وتستبد به المبالغة فتجمح به مشاعره نحو نفسه ونحو الناس . وفي هذا يقول جل شأنه (**ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور . ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور . الا الذين صبروا**

وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) هود ٩/١١ ، في هذه الآيات صورة الانسان الذي تستبد به الساعة الحاضرة وحدها ، فهو عند فقد ما يسر منهزم كسير من شدة القنوط ، وعند وجدانه ، ينتشى ويغتر من شدة الفرح . وكان يجب أن يتمالك نفسه في الحالين وينظر إلى أصابع القدر وراء ما يمسه فيستكين لله ويؤدي ما عليه بتعقل .. ثم ينضم إلى هذا الاحساس المعتدل شعور آخر أساسه أن ما يناله من خير ليس تمتيعا له وحده ، فان للمحرومين سهما فيما جاءه ، وقد يكون سهما كبيرا (**فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن . وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن . كلا بل لا تكرمون اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين . وتأكلون التراث أكلا لما . وتحبون المال حبا جما)** الفجر ١٥ ـ ٢٠ ، والآيات تشير إلى أن الغنى ابتلاء ، وأن الفقر ابتلاء ، ومن الخطأ تصور الاغناء تكريما والافقار اهانة . العبرة بالنتائج ، فان الذي يستعف في فقره اسبق عند الله وارجح في الميزان من الذي يطغى بغناه .

والذي يمنح الثراء ، فيفتح أبوابه لليتيم والمسكين ويسارع بالبذل في مواطن النفقة هو الانسان الناجح في الامتحان ، السابق في الميدان .. لكن البشر ـ للأسف ـ يحسبون العطاء تدليلا لأشخاصهم ، والحرمان اهانة واذلالا .. وذلك خطأ بالغ في فهم الدين والدنيا .. وعندما خال الناس أن الغنى تكريم ذاتي لبعض الأفراد والأسر ، وأن الفقر هوان ذاتي قصده الله لبعض الأفراد والأسر ، عندما شاع ذلك انفجرت براكين الأحقاد ضد أصحاب الثروات ، وانفجرت معها عواصف الالحاد والكفر ، وتعرض مستقبل الانسانية كلها للبوار ، وهل انتشرت الشيوعية الا في هذا الجو ؟

ان العبادة هي السلم الفذ الذي تصعد فيه النفس الانسانية الى الكمال المنشود . يجب على الانسان أن يعرف ربه ، وأن يقف في ساحته عبدا نقيا من الآفات والعاهات ، إن آدم لما نسي وضعف ، أضحى دون مستوى الجنة فأخرج منها . ولن يعود أبناؤه إلى الجنة وهم يحملون أوزار النسيان والضعف ، لا بد من إيمان واضح ، وعمل صالح وفي طول القرآن وعرضه ، توكيد لهذه الحقيقة التي يحاول كثيرون الزوغان منها .. ونعود إلى الخاصة الأولى في تكوين آدم وبنيه ، خاصة العقل العالم بالأشياء الخبير بالحقائق والأسماء أن الانسان المكلف بعبادة الله لا يعبده بشبحه المحدود ، وجسمه المادي القاصر ! انما يعبده بتطويع طاقاته كلها لله . انه يضع بصماته المؤمنة على الأرض حتى اذا سجد ، سجد معه زرعها وضرعها وحديدها وذهبها وكل ما ملك وارتفق !!

وأرى أن ذا القرنين عندما ساوى بين الصدفين ، وذوب الحديد والنحاس داخل سلسلة من القلاع

التي تحمي الضعاف وتذود الطغاة ــ أرى أنه أحق الحق ، وأبطل الباطل ، لا بالكلام وحده ، ولكن بجعل الأرض ومعالمها ومعادنها تؤدي وظيفتــه ، وتحمل طابعه ، وكأنها امتداد لنبض قلبه وبطش يده ، وهل ملك الله الأرض للانسان الا لهذا ؟

عندما تعطي خادمك أسباب الزينة والوجاهة ، فيجيئك أشعث أغبر ، فأنت تضيق به ، والعباد الجهلـة بالحياة ، الغرباء في الكون ، سوأة زرية ، وجهل أو تمرد على الخلافة الانسانية في العالم ، ونحن المسلمين سنحاسب حسابا عسيرا على تخلفنا الفاضح في العلوم الطبيعية ، ربما احتاج الانسان كي يصلي إلى مساحة من الأرض لا تعدو ذراعا في ذراع ، ولكنه كي يدفع العـدوان عن هذا المسجد الضئيل ، يحتاج إلى معرفة تمتد من الأرض إلى المريخ ، بل إلى الشمس ، معرفــة في هذا العصر ، تهيمن على ما في الأرض وما فوق الثــرى ، وتختــرق طبــاق الجــو متحسسة آفاقا بعد آفاق من أغوار الكون البعيد .

كتب الدكتور فاروق الباز الخبير في غزو الفضاء عن حاجة العرب إلى (متنقل فضائي) يستعينون به على اكتشاف أرضهم ، وما أودع فيها من خيرات ، وأهاب بالحكومات العربية أن تمول هذا المشروع قال : (ليس من المستبعد في نظري أن تخطو دولة عربية هذه الخطوة فتحقق ما فيه الخير للعالم العربي كله ، نحن نعلم أن الصحراء تكون ٩٦٪ من جملة الأراضي العربية ولا بد من الانتفاع بجزء كبير من هذه الصحراء ، إلى جانــب دراستهــا دراسة علميـــة صحيحـــة ، فنحــن لا نعلـــم عن الصحراء إلا قليلا ، وربما كان سبب هذا أن علماء الغرب لم يهتموا لقلة الصحارى في بلادهم ، ولصعوبــة التنقل في صحرائنا الشاسعة ...!!

ويلزم العلماء العرب أن يدرسوا الصحراء وتضاريسها وتراكيبهــا ، دراسة تفصيلية لأن البادية منبع كل ما هو عربي .. والصحراء تحيــط بالعرب من كل ناحية ، يتضح هذا لرواد الفضاء في المـــدار الأرضي وضوحا تاما حتى أن رواد القمــر كانوا يتعجبون لظهــور الصحــراء العربية في صورهم الملتقطة كتلــة واحدة على بعد أربعة ملايين كيلــو متر) ..

قال : (وتعتبر الصحراء خزانا عظيم الشأن للنفط وللمياه الجوفية ، ويصلــح بعض أجزائهــا للزراعــة المثمرة ، وأهــم من ذلك كلــه أن الصحراء خزان عظيم لطاقة لا نهاية لها هي الطاقة الشمسية ، ولــذلك يجب أن تشمل دراسة الصحــراء العربية تحديد أصلح الأماكن لأبحاث الطاقة الشمسية ، وطرق الافــادة منها ومن الناحية الاجتماعية يجب أن تشمل الــدراسة التعــرف على الأماكن المختارة لمعيشة الانسان ، وانشاء المدن الكبيرة والصغيرة وطرق المــواصلات ومنتجعــات السياحــة والترفيه ، وتحديد بنية الخضرة في الصحــراء لاستغلالهــا ، ومعرفــة

المؤثرات المختلفة على حياة البدو ، إلى غير ذلك مما يجعل الصحراء بقاعا لائقة للعيش الكريم) .

قال : (وينجح هذا العمل اذا تم على مستوى عربي جماعي ! فالصحراء العربية برغم ترامي أطرافها ، أقليم واحد ، له ميزات ومعالم جغرافية واحدة ، ولا صلة لهذه الوحدة بالحدود السياسية الوهمية بين الدولة وخطوط الشتات التي مزقت الكيان الواحد) .

قال : (وأما المطلوب لدراسة الصحراء على المدار الأرضي ، فهو في اعتقادي قمر صناعي يرحل إلى الفضاء (المتنقل الفضائي) ـ الذي سبق للدكتور الباز اقتراحه ـ ويرجع صوره الملتقطة إلى الأرض رواد الفضاء المختارون ، وذلك بين آونة وأخرى ! ويكون هذا القمر عربيا في أغلب نواحيه ، يختار مكوناته علماء يقومون بتشغيله ، وتدرس المعلومات المرسلة في عدة معاهد عربية أو في مركز عربي موحد تشترك فيه الدول العربية كلها) .

قال : (وكنموذج للمكونات التي يجب أن يشتمل عليها القمر الصناعي العربي ينبغي وجود عدة كاميرات) . أهمها (كاميرا) للتصوير الطبوغرافي ، و (كاميرا) للتصوير الدقيق أي بانوراميه و(كاميرا) لأخذ الصور المتعددة الأطياف ، على نمط أجهزة لاندسات بل أكثر دقة وأقل تعقيدا . الكاميرات الطبوغرافية تلزم لأخذ الصور المطلوبة لخرائط على مقياس ١ : ١٥٠٠٠٠٠ من ارتفاع ١٨٠ ك متر وطول عدسة هذه الكاميرا هو ٣٠٥ ملليمتر ومساحة الصورة الواحدة ٢٣ × ٤٦ سنتيمتر .. الخ .. انني تعمدت هذا النقل ليعلم من يجهل ، أن دراسة الكون شيء مثير وخطير ، ولا بد منه لدنيانا وديننا معا . وأن هذه الدراسة برع فيها غيرنا ونبت لديه جيل من الرواد والباحثين العباقرة على حين تراجعنا نحن وراء وراء ..

ان هذا التخلف اذا بقي فسوف تتلاشى عقائد الايمان بالله واليوم الآخر ، وينهزم التوحيد هزيمة نكراء .. وإنني لأصيح دون مواربة بأن هذا التخلف جريمة دينية لا تقل نكرا عن جرائم الربا والزنا والفرار من الزحف وأكل مال اليتيم وغير ذلك من الكبائر التي الفنا الترهيب منها . بل لعلها أشنع وأوخم عقبى .

ان الجو الذي يحيا فيه قارئ القرآن يسع البر والبحر ، والسماء والأرض ، ويطلق الفكر سابحا في ملكوت لا نهاية له . ويؤكد للانسان انه ملك يخدمه كل شيء فما الذي جعل الفكر الديني يعيش في قوقعة ؟ انني أحس فزعا كبيرا عندما أرى بعض المتصدرين في العلوم الدينية ـ هكذا يوصفون ـ يماري في دوران الأرض ، أو ينكر وصول الانسان إلى القمر ! لماذا ؟ لأنه يعيش في مغارة سحيقة ، صنعها أشخاص قاصرون ، لا يتصلون بحقيقة القرآن الا كما يتصل القروي بعلوم الذرة ...

مساهمة المسلمين

في العلوم الإسلامية والعربية

للدكتور : محمد محمد أبو شهبه

انتشر الاسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بفضل الله ثم بفضل الصحابة الأبطال ، ومن جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم .. حتى بلغ الاسلام ما بلغ الليل والنهار من المحيط الاطلسي غربا او كما كانوا يسمونه أنذاك « بحر الظلمات » إلى المحيط الهادي شرقا ، وأصبحت أصداء كلمة التوحيد والاقرار برسالة سيدنا محمد تتلاقى من فوق المآذن في اليوم ، والليلة خمس مرات ، في هذه الرقعة الفسيحة من العالم المعروف حينئذ ، بعد قرنين من الرسالة ، أو يزيد ، حتى لقد مرت سحابة ببعض خلفاء بني العباس ، فنظر إليها قائلا : « أمطري حيث تمطرين ، فحيث تمطرين فسيأتيني خراجك » !! وقد كان هذا الانتشار السريع آية على إعجاز القرآن الكريم ، وعلى أن هذا الاسلام دين إلهي حقا .

ولم يكن هذا الانتشار السريع الذي أذهل الكثيرين ممن كتبوا في التاريخ من غير المسلمين عن إكراه ، أو قسر وإجبار ، وإنما كان عن طواعية واختيار ، فقد وجدت الشعوب التي رزحت تحت نير حكام الفرس ، والرومان ، ومن على شاكلتهم في الاسلام أفضل دين يعرف لبني الانسان حرياتهم ، ويرعى حرماتهم : حرمة الدم ، والعرض ، والمال ، ويعرف لهم حقوقهم قبل أن يعرف العالم المعاصر « حقوق الانسان » بأربعة عشر قرنا .

كما وجدوا فيه الدين الذي أراحهم مما كانوا فيه من ظلم ، وعسف ، وكفر ، وضلالات ، وخرافات ، وأوهام ، وجهالات ، وأشعرهم بكرامتهم الانسانية التي كانت مهددة وحقوقهم التي كانت مضيعة ، كما وجدوا في ظله الوارف الرحمة بأوسع معانيها والعدل بأوسع معانيه ، والأمان ، والاستقرار ، والسلام ، حتى في الحروب التي خاضوها كانوا أرحم الناس ، وأعدل الناس ، مع أن الحروب مبناها على الغلظة ، والقسوة ، والظلم والسفه ، والجهل ، وصدق غوستاف لوبون المؤرخ الفرنسي المشهور حيث قال : « لم نجد أرحم ، ولا أعدل من العرب في فتوحاتهم » ومراده العرب المسلمون ، والفضل ما شهدت به الأعداء .

وقد انتشرت اللغة العربية الشريفة : لغة القرآن والسنة بسرعة كانتشار الاسلام ، بل قد تعلم هذه اللغة الشريفة بعض أبناء هذه البلاد الذين لم يتشرفوا بالدخول في الاسلام كاليهود والنصارى ، والمجوس ممن سنوا بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية نظير ما تقوم به الدولة الاسلامية نحوهم من حماية ورعاية ، وخدمات اجتماعية كثيرة من شق الترع ، وتعبيد الطرق ،

وإقامة الكبارى والجسور ، وسكر الأنهار ونحوها من الخدمات الكثيرة .

« مشاركة المسلمين من غير العرب في العلوم العربية والاسلامية » :

وقد بلغ الكثيرون من هؤلاء المسلمين من غير العرب مبلغ المسلمين العرب في حذق اللغة العربية والعلم بدقائقها ، وخصائصها ، حتى صاروا من كبار علمائها ، إجادة ، ونطقا ، وعلما بقواعدها وكذلك بلغ المسلمون المستعربون مبلغ المسلمين العرب في العلوم العربية من لغة ، ونحو ، وصرف ، وبلاغة ، وفي العلوم الاسلامية الأصيلة من التفسير وعلومه ، والحديث وعلومه ، والفقه وأصوله ، والعلوم العقلية كالمنطق الذي يعتبر معيار المعقول ، وعلم الكلام ، والجدل ، والفلسفة بأقسامها ، والعلوم الاجتماعية كعلم الأخلاق ، والمواعظ ، والتاريخ ونحوها ، والعلوم الكونية كعلم سنن الله الكونية ، والكيمياء ، وعلم البصريات وعلم الفلك وغيرها من العلوم التي ضرب فيها المسلمون بسهوم راجحة ، في العصور الذهبية للحضارة الاسلامية الزاهية التي قامت على الايمان بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وعلى الايمان بالروح ، والجسد ، وأن لكل منهما مطالبهما ، وأن الانسان ليس جسما من لحم ، وعظم ، وعصب فحسب ، وإنما هو مركب من روح وجسد ، وقد جاء الاسلام الدين العام الخالد بالوفاء بكل ما تحتاج إليه الروح ، والوفاء بكل ما يحتاج إليه الجسد ، فمن ثم كانت الحضارة الاسلامية فريدة في بابها ، فهي ليست حضارة تقوم على إنكار الله تبارك وتعالى ، وعلى إنكار الأديان والطعن فيها ، ومحاربتها كما هو الشأن في الحضارة الشيوعية المعاصرة ، وما يدور في فلكها وليس حضارة مادية تؤمن بالله ، وتقر بالدين ، ولكنها فصلت الدين عن الدنيا ، وحصرته بين جدران الكنائس كما هو الشأن في الحضارة الغربية المعاصرة ، ولا هي حضارة قائمة على إنكار مطالب الجسد بل وتعذيب الجسد ، والانعزال عن الدنيا ، وزخارفها ، وذلك كما كان الشأن في بعض الحضارات القديمة في الهند ، وما على شاكلتها ، وإنما هي حضارة متميزة بتميز الاسلام عن غيره من الأديان ، تميز العقيدة الاسلامية عن غيرها من العقائد ، وتميز الشريعة عن غيرها من الشرائع السماوية ، والقوانين الوضعية الأرضية ، وتميز الأخلاقيات الاسلامية عن غيرها من الأخلاقيات قديما وحديثا .

وهذه المشاركة العلمية الجادة تدل على أن هؤلاء الذين تعلموا لغة القرآن والسنة قد تعلموها عن صدق ، وإيمان بأنها لغة الاسلام ، وأن ذلك لم يكن لنفع دنيوي ، ولا لنفاق ومداهنة لأن الحريات كانت مكفولة لكل من كان يعيش في دولة الاسلام ، والحرمات كانت مصونة في هذه الدولة سواء في ذلك المسلمون ، وأهل العهد

والذمة من اليهود والنصارى .

وعلى أن هؤلاء الذين دخلوا في هذا الدين العام الخالد : دين الاسلام دخلوا فيه عن اعتقاد ، ويقين ، بأنه أمثل الأديان ، وأوفاها بحاجات البشر ، وأصلحها لايجاد حياة كريمة ، وتكوين مجتمع فاضل ولولا هذا لما جاهدوا في تحصيل العلم هذه المجاهدة الصادقة ، ولما أتعبوا أنفسهم هذا التعب المضني في سبيل تدوين العلوم الاسلامية ، وجمعها ، وترتيبها ، وتبويبها ، وقد كان لهم في الخلود إلى الراحة مندوحة عن كل هذا ان أرادوا ، ولكنه الاخلاص لهذا الدين ، والحب لهذه اللغة الشريفة : لغة القرآن والاسلام .

« مثال عجيب في تعلم بعض العلوم الاسلامية من غير المسلمين »

لقد ذكر الامام السيوطي في « تدريبه » أثناء تعلمه عن الاجازة وأقسامها ، وأحكامها ، والرواية بها كلاما عن « الاجازة » للكافر ، قال : « وأما الاجازة للكافر فلم أجد فيه نقلا يعني عمن سبقه ، وقد تقدم أن سماعه صحيح ، قال : ولم أجد عن أحد من المتقدمين ، والمتأخرين الاجازة للكافر ، إلا أن شخصا من الأطباء يقال له : محمد بن عبد السميع ، سمع الحديث في حال يهوديته على أبى عبد الله الصوري ، وكتب اسمه في الطبقة مع السامعين ، وأجاز الصورى لهم ، وهو من جملتهم ، وكان ذلك بحضور المزى ، فلولا أنه يرى جواز ذلك ما أقر عليه ، ثم هدى الله هذا اليهودي إلى الاسلام ، وحدث ـ يعني بما أجازه به شيخه الصوري ـ وسمع منه أصحابنا .

وقد وقفت متعجبا عند هذا المثال العجيب : وهو حرص هذا الطبيب اليهودي على حضور مجالس هذا الامام المحدث الصورى ، والعلم بالحديث النبوي يعتبر من خصائص الثقافة الاسلامية الأصيلة ، ولو أن هذا الطبيب اليهودي عنى بعلوم اللغة ، والأدب ، أو بتلقي علوم الطب والكيمياء ، والفلك ونحوها التي تعتبر أمرا مشتركا بين المسلمين وغيرهم ، لما كنت أعجب وهذا يدل على أن الثقافة الاسلامية في هذا العصر كان لها سلطانها على النفوس حتى غير المسلمة ، وأنها كانت تستهوي غير المسلمين ، وإذا كانت هذه الحال بالنسبة لغير المسلمين من يهود ، ونصارى ، فما بالكم بالنسبة للمسلمين المؤمنين بالقرآن ، وبلغة القرآن ، وبرسول الله ، وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!! انه ـ والله ـ لأمر عجب حقا ، أن تفرض الثقافة الاسلامية الأصيلة نفسها على غير المسلمين !!

« مثل للعلماء المسلمين من غير العرب الذين شاركوا في الحياة العلمية »

علوم اللغة العربية :

(١) فمن هؤلاء الذين برعوا في علوم اللغة ، والنحو ، والصرف الامام اللغوي النحوي عمرو بن عثمان

الشيرازي الملقب : بسيبويه ، وإليه يرجع الفضل في تقعيد علم النحو ، وألف في علم النحو « الكتاب » وإذا أطلق لفظ الكتاب عند النحاة ، لا ينصرف إلا إلى كتاب سيبويه ومنهم الامام في اللغة وفقهها أبو علي الفارسي .

(٢) وألف في علم متن اللغة ، وبيان معاني المفردات ، الامام أبو نصر اسماعيل بن نصر بن حماد الجوهري الفارابي المتوفى في حدود سنة أربعمائة من الهجرة على اختلاف في التعيين كتابه « الصحاح » جمع فيه أربعين ألف مادة .

(٣) وألف أيضا الامام مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن ابرهيم ابن عمر الشيرازي الفيروزابادى ، وهي بلدة من بلاد فارس كما ذكر ذلك في مادة « فرز » من قاموسه و بها ولد أبوه وجده وأما هو فولد « بكارزين » كما صرح بذلك في كتابه ، في مادة « كرز » وهي من بلاد فارس أيضا وكان ميلاده عام ٧٢٩ هـ ، وتوفى في ليلة الثلاثاء العشرين من شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة بمدينة زبيد من بلاد اليمن السعيد .

وقد اعتنى بالحديث ، وله مشاركة في التأليف فيه ، ولكنه جد واجتهد في علم اللغة حتى صار إماما فيها ، وليس أدل على ذلك من كتابه القيم « القاموس المحيط » الذي جمع فيه ستين ألف مادة ، والقاموس : ماء البحر الواسع .

لم يفقه في هذا الا الكتاب المعروف « بلسان العرب » لمؤلفه الامام القاضي جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري المصري المولود سنة ثلاثين وستمائة ، والمتوفى سنة إحدى عشرة وسبعمائة من الهجرة يعني قبل ميلاد مجد الدين صاحب القاموس بثمانية عشر عاما فقد جمع في كتابه « ثمانين ألف مادة » والظاهر أن صاحب القاموس لم يطلع على هذا الديوان اللغوي العربي العظيم ، وإلا لزاد عليه أو على الأقل لنوه به .

التفسير وعلومه :

(١) وألف منهم في التفسير الامام الحافظ ، المفسر ، المؤرخ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري المولود سنة أربع وعشرين ومائتين ، والمتوفى سنة عشر وثلاثمائة ومن أجل مؤلفاته التفسير الكبير المسمى « جامع البيان في تفسير القرآن » قال فيه الامام الجليل النووي في « تهذيبه » : كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله ، وقال أبو حامد الاسفراييني .لو رحل رجل إلى الصين حتى ينظر تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا عليه : وهو من أجل كتب التفاسير بالمأثور وأصحها يذكر فيه ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وما ورد عن الصحابة والتابعين ، وقد زاد فيه على من سبقه ممن ألفوا في التفسير بالمأثور ، أنه عرض فيه لتوجيه الأقوال ، وترجيح بعضها على بعض ، كما ذكر فيه الكثير من وجوه الاستنباط والأعاريب واللغات ، والاستشهاد بالشعر على بعض معاني

الألفاظ .

ولولا ما شابه من روايـة الاسرائيليات ، وبعض الموضوعات ، من غير تنبيه إليها لكان جديرا بكل ما قيل فيه .

وللامام ابن جرير مؤلفات كثيرة جليلة منها (أ) كتاب « تهذيب الآثار » (ب) وكتاب « تاريخ الأمم والملوك » (جـ) وكتاب « القراءات » (د) وكتاب « تاريخ الرجال »(هـ) وكتاب « البسيط » في الفقه .

(٢) ومنهم الامام جارالله محمود بن عمر الزمخشري ، صاحب التفسير المشهور « الكشاف » وهو من أجل كتب التفسير بالرأي والاجتهاد ، ومن أحسن التفاسير - إن لم يكن أعظمها - في إظهار إعجاز القرآن الكريم ، لولا ما شابه من ذكر بعض الموضوعات والاسرائيليات ، ومن ذكر بعض الآراء الاعتزالية ، التي قد تخفى على الكثيرين ، ولا يتنبه اليها الا القليلون وقد ركب الصعب في توجيه بعض الآيات القرآنية كي يتخذ منها دليلا للانتصار لمذهب اهل الاعتزال ، وقد قيض الله له الامام العالم الكبير أحمد بن المنير عالم الاسكندرية وخطيبها ، فألف كتابه الجليل « الانتصاف » وقد طبع مع الكشاف ، و« بالانتصاف » يؤمن على قارىء « الكشاف » من أن تجوز عليه بعض الآراء الاعتزالية ، وكانت وفاة صاحب الكشاف سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ومنهم الامام القاضي المفتي أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ولد سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بقرية قرب القسطنطينية ونشأ في بيت علم ، وفضل ، ودين ، وقد تتلمذ على والده وغيره من العلماء حتى صار علما من الأعلام ، ولي التدريس مدة ، ثم ولي القضاء ، وصار يتنقل من بلد الى بلد حتى وصل الى الافتاء ، وكان متمكنا من اللغات الثلاث : العربية ، والفارسية ، والتركية ولم يدع له التدريس ، وولاية القضاء ، والتنقل بين البلاد مجالا للتأليف فلم يترك لنا الا تفسيره المسمى « إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم » ، وبعض حواش اخرى على تفسير الكشاف ، وعلى شرح « العناية على الهداية » وكانت وفاته سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة ، ودفن بجوار الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وأرضاه .

« **الحديث الشريف وعلومه** » :

وألف في الحديث وعلومه من هؤلاء المسلمين الأعاجم الذين صاروا عربا بالمربى أئمة اجلاء ، كثيرون ولعل أجل خدمة اداها هؤلاء العلماء للاسلام هي ما قاموا به نحو الحديث وعلومه من جمع في الصدور ، وتقييدها في الكتب والسطور ، وتأليف الدواوين الكبيرة التي تعتبر المرجع لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحفظها من الضياع ، والتي تعتبر الأصل الثاني من أصول التشريع في الاسلام وإليكم بعض هؤلاء الأئمة ، ونبدأ بأمير المؤمنين في الحديث الامام الكبير البخارى :

(١) الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل ، بن إبراهيم ، بن المغيرة بن بردزبة ، كان جده بردزبة مجوسيا على دين قومه ، أما ولده المغيرة فقد أسلم على يد اليمان الجعفي ، والى بخارى في هذا الوقت ، فنسب إليه ولاء إسلام لاولاء عتاقة فمن ثم قيل في نسب البخارى الجعفي ، وأما جده ابراهيم فلم أقف على شيء من أخباره ، وأما والده اسماعيل فكان عالما جليلا سمع من حماد بن زيد ، والامام مالك ، وترجم له ابنه ابو عبد الله الامام في كتابه « التاريخ الكبير » وذكر له ابن حبان ترجمة في كتاب « الثقات ، وقد جمع والده اسماعيل الى العلم الورع والتقوى روى عنه أنه قال عند وفاته « لا أعلم في مالي درهما من حرام ، ولا من شبهة » فالبخارى من بيت دين وعلم ، وورع ، فلا عجب ان ورث هذه الخلال الكريمة فيما ورث عن أبيه ، ولد البخارى يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة اربع وتسعين ومائة من الهجرة ، ببلدة بخارى وتوفي « بخرتنك » قرية على فرسخين من سمرقند ، ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين عن اثنين وستين عاما الا ثلاثة عشر يوما ، فرضى الله عنه وأرضاه وليس من قصدي في هذا ، الكتابة عن البخارى فذلك يحتاج إلى مجلد كبير ، وقد وفيته حقه في كتابي « اعلام المحدثين » وإنما أريد أن حياته المباركة التي قضاها في التطواف ، والترحال ما بين بخارى وسمرقند الى العراق ، الى مكة ، والمدينة من بلاد الحجاز ، إلى بلاد اليمن ، إلى بلاد مصر تمخضت عن أعظم كتاب من كتب الأحاديث والسنن ، وأصح كتاب في الاسلام بعد كتاب الله تبارك وتعالى : القرآن الكريم وهو « الجامع المسند الصحيح » الذي لا يجهله في العالم الاسلامي عالم ، ولا جاهل ، ولا رجل ، ولا امرأة ، ولا صغير ولا كبير ولو أن حياة الامام البخارى لم تتمخض الا عن هذا الجامع الصحيح » لكفى ، فما بالكم وقد ترك ثروة ضخمة من الكتب الحديثية التي أثرت المكتبة الحديثية في الاسلام منها .

(١) التاريخ الكبير (٢) التاريخ الصغير (٣) الأدب المفرد (٤) القراءة خلف الامام (٥) بر الوالدين (٦) رفع اليدين في الصلاة (٧) التاريخ الأوسط (٨) كتاب الضعفاء (٩) كتاب المبسوط (١٠) الجامع الكبير (١١) المسند الكبير (١٢) التفسير الكبير (١٣) كتاب العلل (١٤) كتاب الهبة (١٥) كتاب الفوائد (١٦) كتاب الكنى (١٧) كتاب الوحدان (١٨) كتاب « اسامى الصحابة » ومن هذه الكتب ما هو مطبوع ، ومنها ما هو مخطوط ، ومنها ما لم يعلم إلا عن طريق ذكر بعض الأئمة له .

٢ ــ الامام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير ، بن سداد بن عمرو

السجستاني صاحب كتاب « السنن » ولد سنة اثنتين ومائتين ، وتوفى سنة خمس وسبعين ومائتين .

وقد طوف في الأقاليم ، وارتحل ، ولقى الكثيرين من الشيوخ ، وأخذ عنه الكثيرون من التلاميذ ، وكان شديد الاعتزاز بكرامة العلم والعلماء ، ومما يدل على هذا الاعتزاز ما رواه الامام الخطابي بسنده عن أبى بكر بن جابر خادم أبي داود قال : كنت مع أبى داود ببغداد ، فصلينا المغرب ، إذ قرع الباب ففتحته ، فاذا خادم يقول : هذا الأمير أبو أحمد الموفق يستأذن ، فدخلت على أبى داود فأخبرته بمكان الأمير ، فأذن له فدخل ، فقعد ، ثم أقبل عليه أبو داود وقال : ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت ؟ فقال : خلال ثلاث ، فقال : هي .. ؟ قال : تنتقل الى البصرة فتتخذها وطنا ، ليرحل اليك طلبة العلم من أقطار الأرض ، فتعمر بك ، فانها قد خربت ، وانقطع عنها الناس لما جرى من مجيء الزنج فقال : هذه واحدة ، هات الثانية ، قال : وتروى لاولادي كتاب « السنن » فقال : نعم ، هات الثالثة فقال : وتفرد لهم مجلسا للرواية ، فان أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة ، فقال أبو داود : أما هذه فلا سبيل إليها ، لأن الناس : شريفهم ، ووضيعهم في العلم سواء !! قال ابن جابر : فكانوا يحضرون بعد ذلك ويقعدون ، ويضرب بينهم وبين الناس ستر فيسمعون مع العامة .

أقول : وهكذا فليكن العلماء ، لا يسعون إلى الملوك والأمراء ، وإنما يسعى إليهم الملوك والأمراء

(٣) الامام ابو عيسى محمد ابن عيسى الترمذي احد الأجلاء الذي يقتدى بهم ويرحل إليهم ولد سنة تسع ومائتين ، وتوفى بترمذ في شهر رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وهو صاحب التصانيف المفيدة التي من اجلها (١) جامع الترمذي (٢) وكتاب العلل الملحق بالجامع في آخره (٣) وكتاب « الشمائل النبوية » وهو أحسن الكتب في هذا الباب وأشملها

(٤) الامام الحافظ شيخ الاسلام أبو عبد الرحمن احمد بن علي بن شعيب الخراساني القاضي كان امام أهل عصره في الحديث والمقدم على أضرابه ، وفضلاء عصره ، ولد بنساء سنة خمس عشرة ومائتين وتوفى سنة ثلاث وثلاثمائة بالرملة على الصحيح وهي بلد من بلاد فلسطين ومن أجل مؤلفاته : « السنن الكبرى » و « السنن الصغرى » المعروفة « بالمجتبي » و« الخصائص »

(٥) الامام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني الربعي صاحب السنن وغيرها من الكتب المعتبرة ، ولد سنة تسع ومائتين ، وتوفى سنة ثلاث وسبعين ومائتين ومن مؤلفاته (١) كتاب السنن (٢) كتاب تفسير القرآن الكريم وهو تفسير حافل كما قال ابن كثير

(٦) الامام الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن

حمدويه النيسابوري الملقب بالحاكم والمعروف بابن البيع ولد سنة احدى وعشرين وثلاثمائة ، وتوفي سنة خمس وأربعمائة وله مؤلفات كثيرة من أجلها ، (١) كتاب المستدرك (٢) علوم الحديث (٣) كتاب الاكليل (٤) المدخل (٧) الامام أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي ، المتوفى حوالي سنة ٣٦٠ هـ ويقال : إنه أول من ألف في علوم الحديث على الاطلاق في كتابه « المحدث الفاصل ، بين الراوي والواعي » (٨) الامام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ومن أجل مؤلفاته كتاب « علوم الحديث » الذي جمع فيه شتات هذا العلم في كتب المتقدمين « الفقه وأصوله » وألف في علم الفقه وأصوله كثيرون منهم » .

(١) الامام الكبير أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي الفارسي الأصل والمولود « بكابل » سنة ثمانين للهجرة ، والمتوفى سنة مائة وخمسين للهجرة ، ويكفي الامام أبا حنيفة جلالة قول الامام الشافعي فيه « الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة » وليس له الا « الفقه الأكبر » في الاعتقاد لا في الفروع والفقه كما يظن ولكن تلاميذه ، ولا سيما الامام محمد بن الحسن دونوا فقهه وأقواله في كتبهم وهو مؤسس المذهب الحنفي أحد المذاهب الأربعة المعروفة المتبوعة في العالم الاسلامي .

وجاء بعد الامام كثيرون من الأحناف الذين ساروا على منهج الامام في أصوله من الذين صاروا عربا بالمربى كالامام السرخسي ، والامام محمد بن علي المرغيناني صاحب كتاب « الهداية » وغيرهما وفي كل مذهب من المذاهب الثلاثة الأخرى المالكي ، والشافعي ، والحنبلي علماء كثيرون ممن كانوا في الأصل اعاجم ثم صاروا عربا بالمربى لا يحصيهم العد ، ويطول الكلام جدا لو ذكرتهم .

« **تذكير وتنبيه** » :

وما ينبغي ان يعلم أن المؤلفين في اللغة وعلومها ، والتفسير وعلومه ، والحديث وعلومه ، والفقه وأصوله والسير والتواريخ وسائر الفنون والعلوم من العرب الأصلاء كثيرون جدا مثل هؤلاء أو أكثر منهم ، وليس أدل على ذلك من أن الأئمة الأربعة المتبوعين ثلاثة منهم عرب خلص ، والرابع وهو أبو حنيفة هو فارسي الأصل ولكني أردت ان أبين ان الكثرة الكاثرة من الشعوب التي دخلت في الاسلام عن طواعية واختيار أخلصوا لهذا الدين غاية الاخلاص وللغة العربية الشريفة : لغة القرآن والاسلام فسرعان ما تعلموا اللغة العربية حتى صاروا كأهلها ، وسرعان ما حذقوا العلوم الشرعية والعربية كحذق أهلها لها بل أشد ، وبذلك القم الذين زعموا ان « الاسلام قام على السيف والاكراه » حجرا ، وألقى اليهم بحجة لا يستطيعون لها ردا ؟

ما العمل في دوّامة الصراع

للدكتور : عبدالسلام الهراس

فوجىء العالم الاسلامي بتفوق عدوه عليه في ميادين شتى ، ولو أن هذا التفوق كان في مجال السيف والرمح والكر والفر فلربما كنا نستطيع أن ندفع عن أنفسنا شره ونحول دون انتصاره علينا وقد نهزمه فنسترد ما ضاع منا .

ولكنه كان ، ولا يزال تفوقا غير متكافىء فالعدو – على اختلاف أطرافه – يملك من وسائل القوة ما يضمن له التحكم والقهر ، وبسط النفوذ ، واملاء الارادة ، في الوقت الذي أصبحنا فيه عالة عليه في كل شيء حديث ومبتكر مما يجعلنا نصنف أنفسنا قبل أن يصنفنا غيرنا بأننا متخلفون . ونتيجة لذلك فنحن (عالم التبعية) الواقع تحت التأثيرات الخارجية و (قانون) التوازن الدولي ، وضمن الخريطة المطروحة في مجال (لعبة الكبار) . وتلك حقيقة لا تبطلها المخدرات التي يتحساها بعضنا من كؤوس خاصة تديرها عليه أيد خبيثة ماكرة !!

وإن الرجات العنيفة التي كان من المفروض أن تولد فينا ردود أفعال مناسبة لم تتوقف هزاتها وتحدياتها لكن دون أن تكون مواجهتنا لها في المستوى المطلوب . لذلك بقينا رغم (النهضة) دون نهضة حقيقية . ومعنى ذلك أن النهضة التي اعتمدناها منذ أزيد من قرن نهضة مشلولة ، بطيئة ، معوجة الانطلاق ، هزيلة الحركة ، عجفاء النتائج ، والحقيقة أننا لا ننكر أن مواجهاتنا الشيئية قد تغيرت كثيرا عما كانت عليه منذ قرن . ولكن المضمون الحقيقي للتغيير الفعال ولجوهر النهضة لم يمسه أي تطور ، بل ربما استفحلت أمراضه استفحالا أضحت قلوبنا غلفا بها لا تفقه ولا تعى ولو جابهتها الحقائق كل حين ، وبسبب ذلك فقدنا القدرة على الاحساس بحقائق الأخطار ، وعلى تبين مدى ما وصلنا اليه من عجز في الفكر ، وعمى

في البصيرة ، وضحالة في التجربة حتى أننا لم نعد نستطيع أن نستفيد من اطلاعنا على بعض المخططات التي أعدها عدونا منذ مدة لشل حركتنا ، وتمزيق وحدتنا ، وتعويق نهضتنا ، والتدرج بنا نحو التدمير الكامل ، والابادة الشاملة لبقايا حضارتنا ، وإجهاض كل بادرة جادة للتحرر والانطلاق ، والاجهاز بكل شراسة على كل خلية من خلايا الحياة والنمو الحضاري في مجتمعنا ، ولم يعد هذا العدو يأبه لنا أو يعبأ بنا .

لذلك فهو ينتهز هذه الفرصة فيوالي هجماته علينا في جميع الجهات والنواحي وبمختلف الأسلحة والوسائل قبل أن نستيقظ بالعقيدة من سبات الغفلة والتيه الفكرى !

ولولا قضاء الله وقدره الذي أغرى بين أعدائنا العداوة والبغضاء وشغل اهتماماتهم بتوجس كل فريق من خصمه لكانت الشعوب الاسلامية تباع وتشرى في سوق النخاسة الاستعمارية ألفا بدرهم أو بأدنى من ذلك !!

فهل موقفنا أن نظل كذا جامدين حتى ينتهى المتصارعون بقضاء بعضهم على بعض بالوفاق فيما بينهم لنبدأ نحن في النهضة والسير في طريق الحضارة ؟

يقينا أن من أهم ميادين الصراع وموضوعاته هو نحن ، ويقينا أن غاية الصراع تتراوح بين السيطرة علينا وبين اجتثاثنا تبعا لأسلوب كل معسكر معنا ، وأن الانتفاضات الاسلامية المستمرة على المستوى الشعبي لتدل ـ يقينا ـ على أن حس هذه الشعوب لايزال سليما ، واستجابتها للدفاع عن مقوماتها سريعة لا سيما عندما تنبثق قيادتها منها ، ويقينا ـ أيضا ـ أن النداءات المرتبطة بالاسلام وبشعاراته تلقى تلبية فورية في الأوساط الشعبية ، ومعنى ذلك أن القاعدة الشعبية الصلبة مستعدة دائما لخوض الصراع ، بل انها تخوضه بشكل أو بآخر لكن المشكل يكمن في القيادة التي تدرك حقيقة الصراع وتخطط لمواجهته ، وتولى وجهها شطر شعوبها لتعبئها تعبئة منظمة لتعى دورها الحقيقي وواجبها في هذا الصراع . والحقيقة أن الشعوب الاسلامية لا تنفك تصنع قادة من صميمها وقد تعودنا أن القيادة الاسلامية العظيمة لا تتكون خارج مجتمعاتها لكن لا يغيب عن بالنا أن من أهم استراتيجية أعدائنا التربص بهذه القيادة ، والتصدى لافساد تكوينها أو الاجهاز عليها إذا ما تكونت . مستعينين في ذلك بأساليب علمية ، وأجهزة جبارة ، ودراسات عميقة وشاملة ، وليس يخاف علينا اليوم أن لأعدائنا معاهد ومؤسسات وأقساما في الكليات مختصة بدراستنا في الماضي والحاضر ، ومن المؤسف أن العالم الاسلامي يسهم ـ بغفلة منه وجهل ـ في هذه المجهودات المضادة له . ويوجد الآن تركيز مكثف على دراسة بعض الموضوعات في العالم الاسلامي كدراسة بعض القبائل

والمناطق التي امتازت دائما بالصمود والجهاد والاهتمام ببعض اللهجات واللغات الميتة ، ومن سخرية القدر بالعرب أن أصبح طلابهم يقصدون الجامعات الغربية لطلب العلوم العربية والاسلامية وإعداد رسائلهم في موضوعات نحوية ولغوية وشرعية وقرآنية وحديثية وفي هذه الأيام قال أحد كبار المستشرقين الحاقدين على الاسلام في نهاية محاضرته : (إن العرب أصبحوا في حاجة إلينا لنعلمهم لغتهم) ولو أضاف (ودينهم) لما تجاوز الحقيقة والواقع !! وهكذا أصبحنا بماضينا وحاضرنا عراة مكشوفين أمام الأعداء يعرفون منا ما نجهل . وبذلك يستطيعون أن يتحكموا في مسارنا واتجاهاتنا وحركاتنا إذ هم أقدر على التصرف في مآلنا ، بناء على دراسات دقيقة وفحوص عميقة حتى أنهم أصبحوا قادرين على إحداث (فعل) معين فينا من أجل وجود (رد فعل) محدد منا .

ولو أراد بعضنا التخلص من مجال تأثير هؤلاء الأعداء والاستقلال بالتقرير والتنفيذ لوجد نفسه أخيرا في قبضتهم وسائرا وفق إرادتهم وخادما لأهدافهم !!! وقد أصبح من السهل على عدونا أن يوقع بين قائد وآخر وأن يسلط حكما على جماعة ويثير فتنة بين دولة وأختها الشقيقة !!

ورغم وضوح بعض المؤامرات فان الحقائق تفقد قوة البيان امام حملات الزيف والخداع والبهتان كل ذلك لأن فينا من القابلية والمطاوعة ما ييسر على عدونا مهمته فينا !!

إذن فكيف يمكن الافلات من عيون الرصد والاختفاء من أجهزة المراقبة الدقيقة وإبطال مفعول تلك الدراسات المتنوعة ؟ يبدو أن الكثير ممن لهم معرفة (ببواطن الأمور) قد هالهم الأمر وأفزعتهم وتفزعهم القوات الشرسة المجردة من الأخلاق التي تواجههم فلم يجدوا وسيلة الا اتخاذ الاستسلام سياسة لهم ومنهاجا ، لأنهم استشعروا الفشل ــ قبلا ــ يدب في أوصالهم فاستحوذ عليهم اليأس في المقاومة والصمود ، وعلى ضوء ذلك يفسر سلوكهم ومواقفهم وقراراتهم وبذلك يسوقون أمتهم الى طريق الخراب وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا !! ولكن فات هؤلاء وأمثالهم أن التاريخ لا يخضع فقط لهذه العوامل البشرية والا ما كان لموسى أن يصارع فرعون ولا للمستضعفين أن يقاوموا الطغاة ولا للشعوب الصغيرة المقهورة أن تتغلب على القوى العظمى .

إن التفسير العلمي المادي الذي يخضع الظواهر التاريخية للعامل المادي فرديا كان أو جماعيا طبيعيا أو اقتصاديا ليقف مذهولا وعاجزا أمام ظواهر غريبة تستعصى على مقاييسه فيضطر للتسليم رغم مراوغة البعض بأن هناك عاملا له تأثير في التاريخ . ونحن في مجتمعنا يجب أن نكون على يقين تام بأن أي قوة في العالم لا تستطيع التغلب على هذا العامل وهو العامل الغيبي **(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)** يوسف/٢١ ، وكان يجمل بكثير من

(قادة) العالم الاسلامي أن يهتموا بدراسة علم حضاري جديد لم يلتفت اليه أكثر الناس ، وهذا العلم يعني بتوصيل العبد بربه الى درجة الثقة المطلقة به ، وهو علم صعب على ذوى الأهواء والشهوات ، ويقتضي بذل مجهودات كبيرة والاستعانة بمتخصصين من نوعية نادرة في سوق السياسة ، ليحيطوا بالقادة ويزودوهم بالمناهج والبرامج ويقوموا بالتعاون معهم ، على تنفيذ ذلك بدقة وشجاعة ونية خالصة حتى يستطيعوا جميعا أن يصلوا في أعمالهم الى درجة التوكل **(ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره)** الطلاق/ ٣ . ويصبحوا اهلا لهذا الخطاب الرباني المشجع المبشر :**(يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين)** الأنفال/ ٦٤ .

إن هذه الثقة المطلقة بالله هى السر في تلك القوى الهائلة التي كانت تتمثل دائما في الدولة الاسلامية وحكامها الراشدين . فالرعب الذي زلزل كيان الأكاسرة والقياصرة وغيرهما لم يكن مصدره كثرة عدد أو عدة لدى المسلمين بقدر ما كان إظهار الاعتزاز بالله وتوثيق العرى به والاطمئنان اليه والتوكل عليه مما أغراهم بالاستشهاد وحثهم على استعجال لقائه وزهدهم في كل شيء من أجل رضاه .

وهذا ما بث الهلع والفشل في قلوب أعدائهم وللرعب في قلوب الأعداء ما ليس للجيوش العظيمة والأسلحة الفتاكة لذلك نصر الرسول صلى الله عليه وسلم بالرعب مسيرة أربعة أشهر .

وعندما يربى المجتمع قادة وشعوبا على الثقة بالله فان ذلك ينعكس ثقة بين أفراد هذا المجتمع تنبت فيهم وشائج المحبة والترابط وهكذا تتكون شبكة اجتماعية متينة وسليمة محصنة ذات إحساس مشترك ووعي متماثل ومواقف متشابهة مما يجعل أي مؤامرة كيفما كان مكرها وتخطيطاتها غير قادرة على تحقيق أهدافها وتنفيذ أغراضها خلال هذا المجتمع ، وقد تبين لنا مدى ما لهذا المجتمع من تماسك وترابط ووعي في فشل المؤامرات اليهودية وحلفائهم من المشركين والمنافقين على المسلمين بالمدينة لأنهم ربوا على أمرين : الثقة بالله والثقة بأعضاء المجتمع قادة وقاعدة . إن شعار هذا المجتمع كان حسن الظن بالله وحسن الظن بالمسلمين أي بنفسه . وقد تمتع هذا المجتمع بخلال وفضائل خلقية عظيمة من التحرى والحيطة والرجوع للقيادة والانصياع للحق والتمييز بين الضار والنافع والناصح والخاتل وبذلك كان يبطل مفعول المؤامرات وتصبح نيران الفتنة بردا وسلاما على المجتمع وتجربة ذات نفع في بناء نفسه والحفاظ على سلامته مما أهله للتحكم في أعدائه لأنه تحكم في أهوائه وحملها على الحق والصراط المستقيم . ولنا أمثلة كثيرة لهذه التربية القرآنية والمحمدية .

إن ثقة القائد بشعبه والشعب

بقائده لهى القاعدة السليمة لكل مجتمع سليم ودولة قوية متحضرة لذلك كان يجب على الذين يرغبون في قيادة هذه الأمة وتولى حكمها والتصدى لادارتها أن يعلموا علم يقين أن السبيل الى تحقيق هذه الرغبة تحقيقا مشروعا ومستساغا وذا قيمة حضارية كبرى هو زرع الثقة في النفوس وربط الحكم بارادة الأمة ربطا يشعر الجميع بالمسؤولية كل حسب موقعه وحجمه ومستواه ولكن هذه الثقة لا تزدهر وتثمر الا في وسط يتعاون فيه الجميع على ضمان الحرية وحماية كرامة الفرد والجماعة في مجالات التشريع والتربية والادارة والعمل والسياسة وغير ذلك من نشاط المجتمع ودولته وإنها لتذبل بل تموت ويحل محلها سوء الظن في جو الاستبداد والتحكم والاستئثار بأموال الأمة وتوجيهها حسب الأهواء وحملها على حياة غريبة عن دينها وعقيدتها ومثلها .

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة الذي ضرب المثل الأعلى في قيادة الأمم إذ ساس مجتمعه على أساس من الثقة بالله المطلقة والثقة التامة المتبادلة بينه وبين أفراد أمته منذ بداية دعوته الى نهاية تركيب المجتمع الاسلامي وإكمال دينه وسار على هداه خلفاؤه الراشدون ، وهذا النوع من القيادة والادارة هو الذي جعل المسلمين يلحقون عمر بن عبدالعزيز بالخلفاء الراشدين إذ كان فلتة في الحكم الأموى فخالف منهاجهم وعاد به الى الثقة والوفاء المتبادلين ، يقول رضى الله عنه عن السمة الاسلامية للعلاقة بين الادارة ومجتمعها بمناسبة قوله تعالى : (**الذين إن مكناهم في الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**) الحج/٤١ ، ألا إنها ليست على الوالي وحده ولكنها على الوالى والمولى عليه ، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم وبما للوالي عليكم منه : إن لكم على الوالي من ذلكم أن يأخذكم بحقوق الله عليكم ، وأن يأخذ لبعضكم من بعض ، وأن يهديكم للتي هى أقوم ما استطاع ، وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المستكره بها ولا المخالف سرها علانيتها) ابن كثير ٤/٦٥١ تفسير سورة الحج ٤١/٢٢).

ويولى حكيم الصين كونفشيوس أهمية كبرى للثقة في سياسة الدولة إذ يرى أن قوام السياسة أو الدولة ثلاثة أمور : الجيش والأقوات والثقة . وإذا كان لابد من التضحية بأحد الثلاثة فبالجيش واذا كان بعد ذلك لابد من التضحية بأحد الاثنين فبالأقوات أما الثقة فهى أقوى من الجيش والقوت فبوجودها توجد الدولة وبانعدامها تنعدم الدولة لذا يجب الحفاظ عليها ورعايتها ، وعدم التفريط فيها ، لأنها نبع المحبة وحسن الظن ، والسبيل الى ذلك ميسر لمن شاء أن يستقيم من قادة المسلمين وحكامهم ولهم في تعاليم الاسلام وسلوك أمراء المسلمين وحكامهم الصالحين والمصلحين خير دستور

يتبعونه ويسلكون وفقه . إن للشعوب الاسلامية حسا مرهفا ويقظا تستطيع به أن تفرق بين من يتودد اليها بصدق ويحمي ذمارها باخلاص ومن ينافقها ويخاتلها ، لذلك كان مفتاح المشكل في يد قادة المسلمين الذين يجب عليهم أن يعتبروا من الأحداث الجارية والمفاجآت المتكررة فلا يتولوا غير الله ورسوله والمؤمنين :

(ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) المائدة/٥٦ ، وبهذا الولاء المتبادل والثقة السائدة ننطلق في أمن داخلي الى خوض الصراع المرير ومواجهة المؤامرات الخبيثة التي تفتت وحدتنا ، وتعوق سيرنا ، وتمزق أوصالنا ، وتستنزف قوانا ، وتردنا على أعقابنا نحو التدهور والتخلف .

إن أعداء الاسلام لا يفوقوننا فقط في ميدان العلم والتقنية والصناعة والانتاج والاختراع بل إنهم يملكون فيما بينهم من الوشائج الاجتماعية والثقة المتبادلة ما لا نملك وعلى ذلك يعتمدون في بناء أنفسهم والتعامل مع غيرهم صديقا أو عدوا فعلام نعتمد نحن في بناء أنفسنا ومواجهة غيرنا إن لم نملك ما يملكون أو على الأقل إن لم نملك الشرط الأساسي في الرقي والتقدم : ترابط الشبكة الاجتماعية التي يعبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم « بالجسد الواحد ». إن الاعتماد على المبادرات الفردية ومجهودات القادة الشخصية لن يجدى فتيلا لأن الفشل محقق في كل خطوة من خطواتها ، فان بدا للبعض أنها لا تخلو من نجاعة وجدوى فذلك يرجع لظروف خارجية بحتة أي للعامل الغيبي الذي أشرنا إليه آنفا .. إن من أهم أسباب هزيمة المانيا الهتلرية اعتمادها على رجل واحد (ولن تفلح دولة يتوقف صلاحها على رجل واحد) كما قال الدكتور محمد تقي الدين الهلالي يوم كان الناس يعتقدون أنها لا تهزم . والذي حداه لقول ذلك والمانيا في أوج انتصاراتها ما لاحظه في العمق من تطاحن الجماعات وتعادى الوزارات وفقدان الثقة بين الناس وحكامهم وذلك في المانيا وما أدراك ما المانيا !!

إن المجهودات الجبارة التي تبذل في السفاسف والترهات والاجتماعات الفارغة والمؤتمرات العجفاء وتكوين المنظمات المترهلة وترويج هذا اللغو من الدعايات ومداراة الأعداء وتملقهم وبذل الوعود بشعارات إسلامية جوفاء وغير ذلك من الحركات والأعمال المشلولة والمسلولة التي سارت عليها البلاد الاسلامية الى الآن كان ينبغي أن تحول وتتجه نحو ميادين البحث الحثيث والسعي القاصد للحصول على ثقة ربهم وثقة أمتهم وشعوبهم وبذلك فقط تختفي مظاهر تخلفنا في المعركة الداخلية والخارجية ونحقق الخطوات الأولى في بناء الانتصار في دوامة الصراع المرير الذي نخوضه رغما عنا ، وما دمنا لم نحقق هذه الخطوة الأساسية لاقلاعنا الحضارى فان جميع ما يقال هراء وما يفعل باطل وويل للعرب من شر قد اقترب .



ليس من الحديث النبوي



يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وعي من الدخيل على السنة ، لندحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

○ « **أدوا الزكاة وتحروا بها أهل العلم فانه أبر وأتقى** » .

موضوع :

قال السيوطى في اللآلىء المصنوعة : إنه باطل موضوع ، وقد ذكره هبة الله بن المبارك السقطي ، واتهم من رواته عبدالله بن عطاء ، وقال كان يركب الأسانيد على المتون ، ورجاله فيهم مجاهيل ، والمتن لا يعرف في كتاب ، وإنما وضعه مستطعما للعوام .

وقال السيوطى إن المتن موضوع بلا شك .

هذا وأداء الزكاة فرض لأنها ركن من أركان الاسلام على من ملك نصاب الزكاة ، وهناك أصناف ثمانية ذكرهم القرآن الكريم ، وليس هناك شرط يقضي بأن يكون الواحد منهم بارا أو تقيا .

○ « **في الركاز العشر** »

موضوع :

قال ابن حبان ببطلانه وفي إسناده عبدالله بن نافع متروك ، وتابع روايته يزيد بن عياض ، وهو متروك الحديث .

وقال الشوكاني ببطلانه أيضا .

ولا شك أن بطلانه واضح لأنه يصطدم بنص صريح من قول الرسول صلى الله عليه وسلم ضمن حديث « في الركاز الخمس » .

وبناء على هذا لا يرى أحد قط أن في الركاز العشر لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد قضى أن في الركاز الخمس ، وقد روى ذلك في حديث متفق على صحته .



لهُ الأسماءُ الحُسنى



العز في الأصل هو القوة والشدة والغلبة والرفعة والامتناع ، والتعزيز هو التقوية ، ومنه قوله تعالى في سورة يس : « **إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث** » أي قوينا وشددنا ، واللغة تقول : عز يعز — بضم العين في المضارع — أي غلب يغلب ، ومنه قوله تعالى في سورة ص : « **وعزني في الخطاب** » ويقال : عز يعز — بكسر العين في المضارع — أي يقل مثيله ، ويقال : عز يعز — بفتح العين في المضارع — أي لا يوصل إليه . وهذا التنويع في المعنى بحسب التنويع في ضبط عين المضارع هنا من دقائق اللغة ولطائفها .

و « العزيز » اسم من أسماء الله الحسنى ، والعزيز هو المتفرد بالعزة ، فهو لا يذل ولا يضام ، ولا ترقى الى حقيقته الخواطر أو الأفهام أو الأوهام .. والعزيز هو الذي لا يغلب ولا ينال ، أو الذي لا مثيل له ولا

للدكتور أحمد الشرباصي

نظير ، أو الذي تشتد الحاجة إليه ، أو هو الظافر الذي لا يقهر ، أو هو القادر القوي الذي لا يوصل اليه .

ويقرر الامام الغزالي أن العزيز هو الخطير ، الذي يقل وجود مثله ، وتشتد الحاجة اليه ، ويصعب الوصول اليه ، فاذا لم تجتمع له هذه المعاني الثلاثة لم يطلق عليه اسم « العزيز ». فكم من شيء يقل وجوده ، ولكن لا يعظم خطره ، ولا يكثر نفعه ، ولذا لا يسمى عزيزا ، وكم من شيء يعظم خطره ، ويكثر نفعه ، ولا يوجد نظيره ، ومع ذلك لا يصعب الوصول اليه ، ولذلك لا يسمى عزيزا ، كالشمس مثلا فانها لا نظير لها ، والأرض كذلك ، والنفع عظيم في كل واحد منهما ، والحاجة شديدة اليهما ، ولكن لا يوصفان بالعزة ، لأنه لا يصعب الوصول الى مشاهدتهما .

فلا بد ـ كما يعبر الغزالي ـ من اجتماع المعاني الثلاثة ، ولكل واحد من المعاني الثلاثة كمال ونقصان ، فالكمال في قلة الوجود هو أن يرجع الى واحد ، إذ لا أقل من الواحد ، ويكون بحيث يستحيل وجود مثله ، وليس هذا إلا الله تعالى ، فان الشمس ـ وإن كانت واحدة في الوجود ـ ليست واحدة في الامكان إذ يمكن وجود مثلها . وشدة الحاجة هي أن يحتاج اليه كل شيء ، في كل شيء ، حتى في وجوده وبقائه وصفاته ، وليس ذلك على الكمال الا لله تبارك وتعالى .

وقد جاء ذكر العزة في مواضع من القرآن الكريم فجاء في سورة النساء : « **أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا** » وفي سورة يونس : « **إن العزة لله جميعا هو السميع العليم** ». وفي سورة فاطر : « **من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** » وفي سورة الصافات : « **سبحان ربك رب العزة عما يصفون** ».

وقد جاء ذكر اسم « العزيز » في أكثر من ثمانين موضعا ، منها في سورة البقرة : « **فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فأعلموا أن الله عزيز حكيم** » وفيها أيضا : « **وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم** ». وفي سورة آل عمران : « **إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام** » وفي السورة

نفسها : « **هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم** ».

وفي سورة الأنعام : « فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم » وفي سورة هود : « **فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ إن ربك هو القوي العزيز** ».

ونلاحظ في الآيات الكريمة التي ورد فيها اسم العزيز أنه في الغالب يقترن اسم العزيز باسم الحكيم ، وذلك لأن معنى العزيز يفيد الغلبة والقوة والامتناع ، ولما كانت هذه الغلبة القوية تحتاج الى أن يضبطها الحق والعدل والحكمة ناسب أن يقترن الوصف بالعزة بالوصف بالحكمة بيانا لذلك .

وهناك من الناس من يوصف بأنه عزيز ، والعزيز من الناس الذى يستحق هذا الوصف هو الذي يعتز بالله وحده ، ويعز أمر ربه بالسمع والطاعة ، والذي يمنع فيشكر ويبتلى فيصبر ، وقيل هو من يحتاج اليه عباد الله في التوجيه الى الخير ، وقد جاء في كتاب « المقصد الأسنى » أن العزيز من العباد هو من يحتاج اليه عباد الله تعالى في أهم أمورهم ، وهى الحياة الأخروية والسعادة الأبدية ، وذلك مما يقل وجوده ويصعب إدراكه ، وهذه رتبة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ويشاركهم في العز من ينفرد بالقرب من درجتهم كالخلفاء والعلماء ، وترتفع مرتبة الشخص هنا بقدر عنائه في إرشاد الخلق .

والشخص العزيز في عصره هو من يحيى القلوب بارشاده ، ويدلهم على الله تبارك وتعالى ، فيكشف لنفوسهم نور العزيز ، ويضحى في سبيله بكل غال ونفيس ، فاذا رأيت رجلا عنده شئ عزيز غير الله تبارك وتعالى ، فاعلم أنه لم يتجمل بأنوار العزيز سبحانه . ولما كانت العزة هى صفة الله العزيز جاء في القرآن المجيد قوله عز من قائل في سورة المنافقون : « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** » فالعزة هنا لله تحقيقا ، ولرسوله فضلا ، وللمؤمنين ببركة إيمانهم برسول الله عليه الصلاة والسلام .

والانسان العزيز له آداب يتخلق بها ويتحلى بزينتها وجمالها ، فيذكر القشيرى في كتابه « التحبير في التذكير » من آداب الشخص العزيز أنه لا يعتقد لمخلوق عزة أو إجلالا بجانب عزة الله سبحانه ، وجاء في الأثر « من تواضع لغنى لأجل غناه ذهب ثلثا دينه » وقد علق على هذا النص أبو على الدقاق أستاذ القشيرى ورائده فقال : إنما قال ثلثا دينه لأن تواضع المرء يكون بثلاثة أشياء : لسانه وبدنه وقلبه ، فاذا تواضع له بلسانه وبدنه ، ولم يعتقد له العظمة بقلبه ، ذهب ثلثا دينه ، فان اعتقدها بقلبه أيضا ذهب كل دينه . ولهذا قيل : إذا عظم الرب في القلب صغر الخلق في العين . ومتى عرفت أنه المعز لم تطلب العز إلا منه ، ولا يكون العز

إلا في طاعته .

وقد يعترض معترض فيقول : كيف نجمع بين قول الله تعالى : « **من كان يريد العزة فلله العزة جميعا** » وقوله سبحانه : « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** » ؟ والجواب أنه لا تنافي بينهما ، فان العز الذي للرسول وللمؤمنين هو في الحقيقة ملك لله ومخلوق له ، وعزه سبحانه هو المصدر لكل عز ، وعلى هذا فالعز كله لله : « **فلله العزة جميعا** ».

والعزة عند الانسان تكون فضيلة محمودة إذا استظلت بظل الله ، واحتمت بحماه ، ولذلك جاء في « تاج العروس » للزبيدى : العزة في البصائر حالة مانعة للانسان من أن يغلب ، وهى صفة يمدح بها تارة ، ويذم بها تارة أخرى ، كعزة الكفار ، ولذلك قال الله عز من قائل : « **بل الذين كفروا في عزة وشقاق** » . ووجه ذلك أن العزة لله ولرسوله ، وهى الدائمة الباقية ، وهى العزة الحقيقية ، والعزة التى هى للكفار هى التعزز ، وهو في الحقيقة ذل ، لأنه تشبع من الانسان بما لم يعطه . وقد تستعار العزة للحمية والأنفة المذمومة ، كما في قوله تعالى : « **واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد** ».

ويخاطب الشاعر احمد مخيمر الرب العزيز بقوله :

أنت العزيز ولا عزيز سواكا
كل الخلائق يطلبون رضاكا
يا من له الزلفى ، وليس بهين
أن يعرفوك ، ومستحيل ذاكا

ويقول عن اسم « العزيز »:

عزيز وكل العالمين عبيد
تفرد فوق العرش ، فهو مجيد
له الملك ، تعنو الكائنات لنوره
قريب اليها في الوجود ، بعيد
له الأمر ، لا شىء من الخلق كلهم
يريد اذا كان العزيز يريد

وقد وضع الشيخ احمد العقاد دعاء لاسم العزيز جاء فيه :

إلهي ، أنت العزيز الذي تسند إليك حاجات العباد وأنت العظيم الذي يصعب الوصول الى عزتك ، وأنت للقلوب مراد ، وأنت الجليل الواحد الأحد الذي لا نظير لك ، وتنزهت عن المثل والأمثال والأنداد .

صف قلبي من الأغيار ، حتى لا يرى عزيزا سواك وأشهدني معنى العزة في نفسي لتكون روحي فداك ، واجمعني على العارفين الذين منحتهم العزة ، فكانت قلوبهم بعزتك عامرة ، وأفض على من أسرار عزتك حتى تصير نفسي اليك طائرة واجعلني واخواني داخلين تحت قولك : « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ». وانفحني واخواني في كل وقت وحين ، انك على كل شىء قدير .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وصدق العلى الكبير حين أضاف العزة الى نفسه فقال : « **سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين** ».



تفسير السنة للمتشابه في الآيات والسور

١ ـ مقدمة عن تفسير السنة ـ للتشابه بين الآيات في جملتها وتفصيلها .
٢ ـ الأسلوب العملي في تفسير السنة للتشابه في آيات القرآن .
٣ ـ الأسلوب الوصفي لتفسير السنة للتشابه في آيات القرآن .

١ ـ مقدمة عن تفسير السنة للتشابه بين الآيات في جملتها وتفصيلها :

من الحدود الفاصلة بين كلام الله وكلام البشر ، أننا نجد كل كلمة في القرآن كله ، تعمل من خلال تقدير إلهي .. لأنواع صيغها ، وتقدير إلهي لعدد مواضعها .

بل إن بداية كل آية ونهايتها ، وبداية كل سورة ونهايتها ، لا يتم أي منهما بلا تقدير أو نظام دقيق كما هو الشأن في كلام البشر ، وإنما يدلنا ترتيب الآيات والسور ، على أن البدايات والنهايات تعمل عمل

للأستاذ : محمد العفيفي

الجسور التي تتنقل عليها الذاكرة الانسانية ، بين مواضع أجزاء الآيات ، وقد تنوعت ارتباطاتها ، وأمدتنا بمزيد من وجوه العلم مع كل جديد من مواضعها في الآيات والسور .

فمهما نتنكر من أجزاء الآيات في مواضعها في القرآن كله ، فنحن في وجوه علمية تترابط بترتيب معجز ونظام دقيق لا ينبغي أن يناله أي تحريف أو تبديل .

والعقل البشري يستوعب هذه الحقائق بالأسلوب العملي التطبيقي ، اكثر مما يستوعبها بالأسلوب النظري الوصفي ، لذلك جاءت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بالأسلوبين السابقين معا في بيان هذه الحقيقة .

وقد كانت كلمة التشابه هي الكلمة المستفادة من بيان القرآن والسنة لهذه الظاهرة القرآنية .

وسننظر الى تفسير السنة لهذه الظاهرة من خلال الأسلوب العملي أولا ، ثم يتبع ذلك الأسلوب النظري .

٢ ـ الأسلوب العملي في تفسير السنة للتشابه في آيات القرآن :

يروى مسلم في صحيحه عن أبي عمرو جرير بن عبد الله رضي الله عنه حديثا طويلا جاء فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب عندما رأى جماعة من المسلمين في عسر وفاقة فتلا قوله تعالى :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) . النساء/١

ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر خطبته هذه قوله تعالى :

(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) الحشر/١٨

لقد حض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أصحابه على البذل والانفاق ، ليسدوا خلل هؤلاء الفقراء ، من إخوانهم ، فتلا عليهم آيتين من سورتين .

فأما السورة الأولى فهي سورة النساء ..

وقد احتوت الآية الأولى التي قرأها منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على قصة البشر ، في فترات تاريخهم جميعا ، فاذا هم جنس واحد ، لا يختلف في حقائقه الأساسية ، مهما

تتفرق بأفراده الأمكنة والأزمنة .
فهكذا يشعرون بحاجتهم إلى أن يتراحموا وأن يتقوا الله في هذه الرحم الماسة ، والعاطفة الانسانية الكريمة .

وأما السورة الثانية فهي سورة الحشر ..

وقد احتوت الآية التي قرأها منها الرسول صلى الله عليه وسلم ، على واجب كل فرد من الناس ، أن يقدم لنفسه ما ينفعه في الآخرة ، التي هي آتية حتما بدليل هذه الحركة المتصلة ، في هذه الحياة الدنيا ، كما يقول الله تعالى :

(ولتنظر نفس ما قدمت لغد) .

لنتأمل كيف كان اسم السورة الأولى سورة النساء . ومنهن يكون الولد ، بينما كان اسم السورة الثانية الحشر ، وهو المصير النهائي لمن ولدوا جميعا .

وهذه الظاهرة من عجائب القرآن التي نجدها في أسماء سوره ، كما نجدها في ترتيبها في المصحف .

فاذا كانت هاتان الآيتان اللتان فسر الرسول بهما هذا الموقف التاريخي الاجتماعي الاقتصادي ، قد تشابه شكلهما ومضمونهما ، وتنوع عطاؤهما ، وتم هذا التمام ، فان هذا كله يعود إلى حقيقة عملية أساسية ، هي تعدد المواضع بالكثير من حروف هاتين الآيتين ، وبالكثير مما نجد بهما من الكلمات والجمل .

*** مع الحروف متعددة المواضع :**

لقد جاء حرف الواو في مواضع متعددة من الآية الأولى من سورة النساء ، كما نجده بقوله تعالى :

١ ــ وخلق منها زوجها .

وقوله : **٢ ــ وبث منهما رجالا كثيرا .**

وقوله : **٣ ــ ونساء .**

وقوله : **٤ ــ واتقوا الله الذي تساءلون به .**

وقوله : **٥ ــ والأرحام .**

وواضح أن حرف الواو ، حرف واحد في ذاته ولكنه يتحرك في مواضعه ، حركة متجددة دائما ، يبينها لنا ما يتنوع من مشاهده ، ويكثر من مقاصده ، كلما نظرنا في مواضعه المتعددة ، في هذه الآية أو في القرآن كله .

أولا ــ هناك خلق الزوج :

(وخلق منها زوجها) .

ثانيا ــ هناك بث الكثير من الرجال :

(وبث منهما رجالا كثيرا)

ثالثا ــ هناك بث الكثير من النساء :

(ونساء) .

رابعا ــ هناك الأمر بتقوى الله :

(واتقوا الله)

خامسا ــ هناك الأمر بتقوى الله في أرحامنا :

(والأرحام)

ويطرد هذا التنوع والتجدد ، في المقاصد التي يرتبط بها حرف الواو في الآية السابقة الذكر ، من سورة الحشر ، ثم في آيات القرآن كله .

ففي الآية الثامنة عشرة من سورة الحشر ، يتصل حرف الواو بقوله تعالى :

١ ـ **(ولتنظر نفس ما قدمت لغد)**
وهذا مقصد جديد ، اذا قسناه بالمقاصد السابقة ، التي وصلنا بها حرف الواو ، في الآية الأولى من سورة النساء .

*** مع الجمل المتعددة المواضع :**

وقد يظن بعض الناس أن حرف الواو متصل بقوله تعالى : **(واتقوا الله)** بكل من الآيتين السابقتين فليس هناك من جديد في ذلك .

وهذا الظن غير صحيح ..

ذلك أن قوله تعالى بالآية الأولى من سورة النساء :

(واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام .)

ثم قوله تعالى بالآية الثامنة عشرة من سورة الحشر :

(واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون)

قد ارتبط به حرف الواو بجملة واحدة هي قوله تعالى :

(واتقوا الله)

ولكن هذه الجملة ارتبطت بموضعين لها بكل موضع منهما عمل جديد .

فأما عملها بالموضع الأول : فهو أنها وصلتنا بتقوى الله في أرحامنا كما يقول الله تعالى :

(واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) النساء/١

وأما عملها بالموضع الثاني : فهو أنها وصلتنا بتقوى الله في أعمالنا كما يقول الله تعالى :

(واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) الحشر/١٨

*** مع الكلمة المتعددة المواضع :**

ومثل ذلك نجده في الكلمة القرآنية إذا تعددت مواضعها كما ننظر في كلمة **(يأيها)** في موضعيها بالآيتين السابقتين فنجدها بالآية الأولى من سورة النساء هكذا :

١ ـ **(يأيها الناس اتقوا ربكم)**

ثم نجدها بالآية الثامنة عشرة من سورة الحشر هكذا :

٢ ـ **(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله)**

والأمر حين يوجه للناس جميعا ، ثم يوجه للذين آمنوا ، يدلنا على أنه أمر واحد في ذاته ، وإن تنوعت أحوال البشر ، من حيث حاجتهم إليه . فالذين آمنوا لهم حقيقة خاصة بهم ، تخرجهم من الناس جميعا قبل أن يؤمن منهم ، من آمن ..

وهذا يفسر لنا لماذا جاءت كلمة **يأيها** بهذين الموضعين السابقين ، اللذين ارتبطت معهما بمشهدين متنوعين ، لا بد لنا أن ننظر فيهما معا . لنحصل من كل منهما على ما فيه من العلم .

فلم يكن أمرا عابرا ـ إذن ـ أن تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتين الآيتين المتشابهتين بصفة خاصة ، ليفسر بهما هذا الموقف الاقتصادي الذي لا يخلو منه زمان ولا مكان في حياة البشر .

ولقد تضمن هذا التفسير إظهارا للمنهج الذي يعلمنا كيف ننظر في أجزاء الآيات ، وكيف تترابط في مواضعها الكثيرة لتمدنا بمعلومات

متجددة .

والغاية من هذا المنهج ، تقوم على تطبيق القرآن في جملته وتفصيله ، على الواقع العملي لحياتنا ، في جملتها وتفصيلها . أما الطريق إليه فهو تعليم الرسول إيانا ، كيف ننظر في تركيب القرآن ، وهو سر إعجازه ، ومناط الحدود الفاصلة بين كلام الله وكلام البشر ، لنحتكم إليه في كل كثير أو قليل من أمور حياتنا .

وهذا التفسير الذي يقدم لنا الرسول منهجه العملي ، يبين لنا كذلك عظمة الارتباط . أنه تطبيق عملي لمنهج القرآن ، في إصلاح المجتمعات الانسانية كلها ، بكل مكان وزمان .

٣ ـ الأسلوب الوصفي لتفسير السنة للتشابه في آيات القرآن :

بين الله لنا في آيات قرآنية كثيرة الأصول العامة للتشابه ، في أجزاء وحيه وأجزاء خلقه .

فلما كان المقصود بالكلام هنا هو بيان التشابه في آيات القرآن ، فاننا ننظر في قوله تعالى :

(الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني) الزمر/٢٣

وهذه الآية تبين لنا أجزاء الآيات القرآنية من حيث تراسلها فيما بينها كما نجد الآيات مرتبة في السور . وكما نجد السور مرتبة في المصحف . لذلك قال الله تعالى : **(متشابها مثاني)** أي تتشابه علينا أجزاء الآيات كلما نظرنا في مواضعها فتتجدد لنا المشاهد التي تحملها لنا ارتباطاتها المتنوعة . لأهداف كثيرة لا نحيط بعلمها ، ومنها أن العقل لا يستطيع أن يحيط بكل المقاصد المتشابهة وإنما يذكر ما مضى منها بما حضر في أثناء التلاوة . أو البحث في الأشباه والنظائر . لذلك جاء قوله تعالى : **(متشابها مثاني)** لنفهم هذه الحالة بصفة خاصة ، بين ما لا نحيط بعلمه من مراد الله في هذه الآية .

وكذلك يقول الله تعالى :

(هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب) آل عمران/٧ .

وهذه الآية تجمع لنا كل أحوال التتابع ، في أثناء تلاوتنا للآيات ، وأجزائها ، ومواضعها ، ومواضع أجزائها ، في القرآن كله .

وآيات القرآن منها ما هو بموضع واحد مثل كل آيات القرآن باستثناء الآيات المتعددة المواضع كقوله تعالى : **(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)** جاءت متعددة المواضع بسورة القمر . وكقوله تعالى : **(فبأي آلاء ربكما تكذبان)** جاءت متعددة بسورة الرحمن .

ونحن نعرف كلا من هذين النوعين بقياسه بالنوع الآخر .

انظر ـ مثلا ـ بمواضع قوله تعالى **(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من**

مدكر) نجدها تربطنا مع كل موضع جديد ، بمشهد جديد عن أمة من الامم التي بادت في فترات متتابعة من التاريخ .

فهكذا نعلم أن هذه الآية ثابتة في نصها ولكنها متجددة في حركتها وعملها وارتباطاتها وكذلك النظام الواحد للنبات والحركة بكل آيات الله الكونية ، وكل آياته القرآنية .

ثم إن آيات القرآن بنوعيها السابقين تتراسل أجزاؤها فيما بينها ، فكلما تعددت مواضع حرف أو كلمة أو جملة أقل من آية ، في الآيات والسور ، تنوعت ارتباطاتها ، وكثرت مشاهدها المتفقة من حيث الكم مع عدد مواضع كل من ذلك ، والمتجددة من حيث التنوع بحكم ما تتحرك بنا المشاهد التي تتسع أمامنا كلما واصلنا التلاوة .

لذلك قال الله تعالى : **(منه آيات محكمات)** أي جاءت بجملتها متنوعة من حيث الأفراد أو التعدد في مواضعها بسور القرآن كله .

فان كانت الآية بتمامها ذات موضع واحد ، فهي محكمة على أساس إفراد موضعها وتوحيده .

أما إن كانت الآية متعددة المواضع ، فهي محكمة كذلك ـ بحكم ارتباطها في سياقها من كل موضع جديد ، بمشهد جديد ، يتفرد بذاته لأنه يحمل مشهدا خاصا به ، بين المشاهد المتنوعة التي تحملها مواضع هذه الآية ، إذا نظرنا إلى هذه المواضع في جملتها .

إن العقل البشري لا يستطيع أن يكتشف هذا التفرد ، الذي توصف به الآية ذات الموضع الواحد ، أو التفرد الذي توصف به الآية المتعددة المواضع ، بحكم اختصاصها بمشهدها الجديد المتصل بسياقه من كل موضع ، إلا إذا انفردنا بكل آية على حدة ، في أثناء التلاوة .

لذلك قال الله تعالى : **(منه آيات محكمات هن أم الكتاب)** ثم قال تعالى : **(وأخر متشابهات)** ليشمل ذلك كل أحوال النظر في كل آية بذاتها ، وفي كل جزء من أجزاء الآيات بذاته ، لأن هذا كله يصدق عليه التفرد من حيث النص أو من حيث الموضع ، ولا يقدر على هذا الوصف القرآني ، الذي يشمل كل ما هو عام وما هو خاص ، إلا الله تعالى .

وهكذا يتبين لنا أنه لا تناقض بين قوله تعالى :

(كتاب أحكمت آياته ثم فصلت) هود/١

وبين قوله تعالى : **(منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات)** آل عمران/٧

ذلك أن الآية الأولى من سورة هود ، تبين لنا أحكام الآيات وتفصيلها ، من حيث حقيقتها الذاتية . بينما الآية السابعة من سورة آل عمران تبين لنا حالة التتابع في القراءة بكل ما فيها من ظهور الأحكام ، أو خفائه ، وما يتصل بهذا الخفاء من تشابه .

ولذلك قال الله تعالى : **(فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما**

تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله) آل عمران / ٧

وهذا يدلنا في بعض معانيه على انقطاع الذين في قلوبهم زيغ عن النظر إلى ما هو عام من النصوص والمواضع ، اجتزاء بما هو خاص منها ، وذلك بأن يحصروا المطلوب من المواضع الكثيرة لكلمة واحدة ، في موضع واحد من مواضعها .

وهنا يحدث التعميم الخاطئ ، بينما الصواب هو النظر في الأحكام والتشابه ، أو الوحدة والتنوع لقياس الأشباه والنظائر بوجه عام ، واختصاص كل نص بما يخصه من معناه في ذاته ، وفي كل موضع بما يرتبط به من وجوه العلم الكثيرة ، ثم ترتيبها في معرفتنا ووجودنا .

لذلك قال الله تعالى : (**فيتبعون ما تشابه منه**) ليبين الخطأ في تعميم الجزء على الكل بغير حق ، دون أن يجمعوا دائما بين ما هو عام وما هو خاص من المعاني .

ثم قال : (**وما يعلم تأويله إلا الله**) أي إن الله وحده هو الذي يحيط علما بكل هذه المشاهد الكثيرة المتنوعة في جملتها وتفصيلها .

ثم قال : (**والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا**)

وهنا نعلم أن الاحاطة البشرية بكل ما في القرآن من وجوه العلم ، إنما هو أمر فوق طاقة البشر . فلذلك كان من تفسير السنة للقرآن ، بيان حدود قدرتنا على فهمه ، وبيان أن علينا أن نأخذ منه بقدر استطاعة كل منا .

ومما يؤكد ذلك كله أن هذه الآية قد ختمها الله بقوله : (**وما يذكر إلا أولو الألباب**) أي ان قياس الأشباه والنظائر يقوم على التذكر ، فبقدر ما يكون التذكر قويا نشطا ، يكون الفهم والاستيعاب متجددا يخص كل وجه من العلم بما يخصه من الفهم ، ولن يستطيع الانسان مهما تكن قوة تذكره ، أن يحيط بكل ما في كلام الله من وجوه العلم .

ويفسر الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الآية بقوله لعائشة رضي الله عنها :

« فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي .. فقوله صلى الله عليه وسلم : « فاذا رأيت » فيه الربط بين الفرد والجماعة .

وقوله : « فاحذروهم » فيه دعوة الأمة كلها إلى الحذر من كل من يعمم الجزء على الكل في الآيات وأجزائها ، دون أن يفهم سر الاتصال والحركة المتجددة التي تخص كل نص بما يخصه ، من المعنى والتنوع من حيث ارتباطه بمشاهده الكثيرة ، في الآيات والسور . لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه » ، أي يعممون الجزء على الكل ، ولا يتحركون مع مقتضيات التقدم ، والتجديد ، في معاني القرآن ، فهؤلاء الذين سمي الله فاحذروهم .

ولذلك نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن اختلاف الناس في المعاني ،

لأن منشأ الاختلاف هو انقطاع كل أحد برأيه المبني على جزء واحد من النصوص أو المواضع ، دون أن تتصل الرؤية لتقيس الأشباه والنظائر بوجه عام ، ثم تخص كل نص وكل موضع بما يخصه ، من وجوه العلم الكثيرة ، في جملتها المرتبة في العقل ، المطبقة في العمل .

ولقد سمع الرسول صلى الله عليه وسلم رجلين اختلفا في آية فعرف في وجهه الغضب وقال : « إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب » رواه مسلم .

ذلك أن الاختلاف ـ كما سبق بيان ذلك ـ منشؤه دائما ، انقطاع كل أحد برأيه المرتبط بنص بذاته أو موضع بذاته ، وانما الصواب هو الحركة المتجددة ، التي تنظر في المواضع بوجه عام ، ثم تخص كلا منها بما خصه الله من المقاصد ، بقدر الاستطاعة ، مع التسليم بأن ما كان من فهمنا صوابا ، فمن الله ، وما كان قاصرا عن إدراك الصواب ، فمن العجز البشري .

ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الحركة المتجددة ، بقوله عندما سئل عن أحب العمل إلى الله :

قال : الحال المرتحل

قيل : وما الحال المرتحل يا رسول الله ؟

قال : الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل » رواه الترمذي .

وهذا الحديث يدل متنه على صحته ، ذلك أن فيه تعميما في قوله صلى الله عليه وسلم : « الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره » وهذا التعميم فيه معنى الحركة التي تتقدم باستمرار ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قال بعد ذلك : « كلما حل ارتحل » وفي هذا بيان لسر الحركة ، وهو الثبات . فلولا ثبات كل نص على مبناه ومعناه ، وما خصه الله به من المواضع ، ما أحسسنا بالحركة التي تتجدد في هداها في أثناء التلاوة .

ومن روائع هذا الحديث الربط بين القارئ وبين القرآن حيث قال صلى الله عليه وسلم : « الحال المرتحل » .

ذلك أن « الحال » هو الذي يندمج مع ما في كل قول قرآني من ثباته على نصه ، وجملة مواضعه .

وأما المرتحل فهو الذي يندمج مع الحركة المتجددة ، التي تحتوي عليها كل الآيات والسور .

وهكذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يبين لنا الأحكام والتشابه ، بالأسلوب العملي الذي يؤكد لنا ما سبق بيانه من أنه لا تعارض إطلاقا بين قوله تعالى :

(كتاب أحكمت آياته ثم فصلت) هود/١

وقوله :

(منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) آل عمران/٧

ذلك أن الآية الأولى تحدثنا عن القرآن في ذاته . أما الآية الثانية فهي تحدثنا عن حالة التتابع ، التي نحس بها ونحن نواصل القراءة ، حالين ومرتحلين .



قالوا في الأمثال

ذهب الناس وبقى النسناس

قد يشاء القدر أن يحرم بلدا أو أمة شجعانها وكرامها ، وذوي الرأي فيها ، ويبقى الجبناء العاجزون ، أو يحرمها علماءها أو أذكياءها ويبقى جهالها وأغبياؤها ، فيتألم الناس حين لا يرون أولئك الذين كانوا ملء السمع والبصر ، ومن يستعان بعلمهم ورأيهم في كشف الغمة ، وحين لا يجدون بينهم غير العاجزين والحمقى والذين لا تغنى آراؤهم ولا يحسنون توجيها ، فيكونون في أعين الناس مثل النسانيس قبحا وسوء منظر فاذا لم يجدوا من يملأ العين ، ويزين المجالس قالوا : « **ذهب الناس وبقى النسناس** » أي ذهب الجيد وبقى الردئ ، ومضى الاخيار وبقى الأشرار الذين لا نفع فيهم :

ذهب الذين يعـاش في اكنافهم.·.وبقيت في خلف كجلـد الاجرب

ليس الدلو إلا بالرشاء

مثل يضرب ليكشف عن معنى قول الشاعر :

النـــاس للنـــاس من بدو وحاضرة.·.بعض لبعض وان لم يشعـروا خدم

والدلو : هو الوعاء الذي يدلى في البئر أو الحوض ليخرج به الماء ، والرشا : الحبل الذي يربط في الدلو ، فيمد حتى يصل الدلو الى الماء ثم يجذب فيخرج الدلو ممتلئا .

والانسان ضعيف بنفسه قوي بغيره ، والمرء قليل بنفسه ، كثير باخوانه والدلو بغير الرشاء لا يستطيع اخراج الماء .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « **مثل الأخوين ، مثل اليدين ، تغسل إحداهما الأخرى** » .

الحياة الأخرى

للأستاذ : محمد لبيب البوهي

براهين للمكذبين بالبعث :

عند بعض الناس شك في البعث ، أو ضعف في يقينهم عنه ، ذلك أن كل ما هو غيب كثيرا ما يصعب على النفس تصوره ، على حين أنه مطلوب من كل واحد منا أن يثق بالبعث كما يثق بوجوده في هذه الدنيا ، ومشاهدته لأهله وأعماله ، ويزيد من هذا الضعف في اليقين غلبة الأحاسيس المادية ، التي كلما تغلبت على صاحبها عاقته عن الادراك الكامل أو الصحيح لكل ما هو غائب عنه .



ولكن لو تأمل الانسان الأشياء الصغيرة المحيطة به ، لوجد أنه يحدث كل ساعة في هذه الدنيا ، بل في كل لحظة ما هو أشد عجبا من البعث .. فلنفرض مثلا أن إنسانا لم ير في حياته فيلا أبدا ، ولم يعرف كيف تتوالد المخلوقات إطلاقا ، وكان بدائيا في ذلك كله لم يصل إلى علمه شيء من هذا القبيل ، ثم قيل له : إن هناك نطفة في حجم رأس الدبوس أو أصغر سينشأ منها فيل هائل الحجم ، لو قيل لمثل هذا الانسان هذا القول لما استطاع تصديقه .

على حين أنه يحدث ويولد الفيل من نطفة أقل من رأس دبوس .



والانسان ذاته هو آية متحركة :

بل إن الانسان لو تأمل بني جنسه ، ورأى كيف أن المخترع

العظيم الـذي يختـرع الصواريـخ ويخترق الفضاء ويصل إلى الكواكب ويأتي بأسرارها إنما هو في الأصل نطفة من ماء مهين ، وتأمل العجائب والقوانـين والأسرار والامكانيـات والمكونات التي تحملها هذه النطفة المهينة ، بمثل هذا التأمل يقترب من الحياة الأخرى التي لا ترى ، ويقول الله سبحانه داعيا إيانـا إلى هذا التأمل : (**أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين**) يس/ ٧٧ .. وقال تعـالى : (**أيحسـب الانسـان أن يتـرك سدى . ألم يك نطفـة من منـي يُمنـى . ثم كان علقـة فخلـق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى**) القيامة/ ٣٦ ـ ٤٠ .

إن مداومة التأمل في النشأة الأولى تزيد من يقين الانسان في البعث ، وعليه بعد هذا اليقين الذي يقوي به إيمانه ، أن يستعد لهـذا القيـام الحتمي الذي هو آت لا ريب فيه .



حول الاعداد للحياة الأخرى :

ولما كان الانسان مقضيا عليـه بمفارقة الحياة الدنيا ، وأن الموت حقيقة لا ريب فيها ، وهو مصير كل نفس ، فانه من الحمق أن نرى بعض الناس .. أو ربما أكثرهم ، يشيحون بأنفسهم عن ذكر الموت وما بعده .

وليس علينا أن نقف من هؤلاء موقف الخصومة .. بل نحاول أن نأخذ بأيديهم، وأن نكشف الستار عما هناك من مباهج عالم آخر جميل وعظيم حيث ما لا عـين رأت من المسرات ـ ولا أذن سمعـت عن النعم ، ولا نفس ذاقت من عجائب اللذات ـ إن ما بعد الموت هو عالم فيـاض بالمباهـج والخـيرات لمن استطاع أن يعد لذلك العدة ويلتمس إليه السبيل .

وأول خطوة نراهـا ألا نخـاف الموت .

وقد يقال : إن هذا الشيء فوق طاقة البشر ـ لأن الخوف من الموت أمر غريزي ـ وهذا حق ـ ولكن الأمر يحتاج إلى بعض الايضاح ـ إن علينا أن نرهب الموت ـ ولا نخافه .

وهنا فارق بين الرهبة والخوف ..

فالفتى قد يرهب ليلة زفافه قبل أن تأتي ـ ولكنـه لا يخافهـا .. بل ينتظرها في شوق عظيم . وهكذا لا بأس أن نرهب الموت ـ ولـكن لا نخافه .. ونحـاول أن نعـرف ما وراءه .

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقف عند القبر ويبكي . فيقال له : يا عثمان تذكر الجنة والنار فلا تبكي .. ثم تقف عند القبور ويشتد بكاؤك ؟ فكان يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « القبر أول منازل الآخرة فمن نجا منه فقد فاز » رواه أحمد .

صورة مما يحدث بعد الموت :

هذه الصورة حاضرة بين أيدينا ، فان لكل منا حياة متجددة تبدأ كل يوم

بعد النهوض من النوم ، الذي هو صورة مصغرة من الموت ، فانه إذا كان الموت هو سكون الأعضاء . فكذلك كل أعضاء البدن في النوم ، فالأذن لا تسمع .. والعين لا ترى — والجسم لا يحس .. والعقل لا يفكر ولكنك عندما تنام تستيقظ فيك أعضاء أخرى — ترحل — وتسافر — وتناقش الناس وتأكل — وتشرب — وتتلذذ — وتتألم .

إن هذا ما يحدث كل يوم لكل واحد منا عند النوم — أعني في الرؤى — وكثيرا ما ننسى بعد اليقظة هذا العالم العجيب الذي سبحت فيه أرواحنا .

ويجب أن نذكر أن هذا الذي يحدث لنا في النوم لا يحدث بارادتنا .. إنه شيء يحدث على الرغم منا .. بدليل أننا قد نرى أشياء نريد أن ننساها .. ولا نحب أن نذكرها أو نراها .

فما معنى هذا ؟

معناه أن هذا العالم الآخر مركوز في داخلنا فطريا وغريزيا الاحساس به ، ومعناه أن القوى الخفية التي في أعماقنا لا تخضع لنا عند النوم .. فلها عالمها الخاص بها .

بداية النور إلى الحياة الأخرى :

إن القوى الخفية التي تنهض بالرغم منا إلى عالمها عند النوم ، إنما تكون لها هذه الحرية عندما تتخلص مؤقتا من سيطرة الجسد عليها .

ألا يكشف لنا ذلك عن أول خيط من النور إلى عالم الروح ؟

فاذا كانت الروح تتاح لها الفرصة اليومية للانطلاق عند سكون الجسد . فمن باب أولى يكون انطلاقها أتم وأعظم عندما تتخلص من الجسد تماما .. وتبدأ حياتها البرزخية .



ما هي الحياة البرزخية ؟

إن البرزخ تعبير عن الفاصل بين الدنيا ويوم القيامة ، ويمكن أن نتصور البرزخ مثل نهر يفصل بين شاطئين .. والميت مع يقظة روحه وإحساسه الكامل فانه لا يحس بالزمن .. ولا تعوق الأماكن انطلاق روحه .. فان الميت قد يلبث في حياة البرزخ إلى ما شاء الله ولو كان ذلك بحساب الأحياء بمئات الملايين من السنين .. ولكنه حين يبعث عند القيامة فسوف يقدر كأنه لم يلبث غير يوم أو بعض يوم .

وقد سبق تشبيه البرزخ بأنه كنهر يفصل بين شاطئين فالدنيا في شاطئ والآخرة في الشاطئ المقابل ، والذي يحدث للميت في البرزخ يمكن أن يشبه إلى حد ما ، ما يحدث لراكب سفينة يعبر بها النهر .. وهو مسافر من شاطئ إلى شاطئ .

وهناك مسافر يدرك وهو في السفينة العابرة أنه ذاهب إلى أهل له ينتظرونه في قصر قد بني له خصيصا ، فهو خلال فترة العبور البرزخية يغمره شعور بالسعادة والنعيم الذي سيكون كاملا عندما يصل ، فالحديث الشريف يخبرنا بأن

الميت قبل أن تفارق روحه جسده يرى مقعده من الجنة أو النار .. والقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار .

من صور الحياة في البرزخ :

فالميت خلال فترة وجوده البرزخي وهي فترة لا تخضع لا للزمان ولا للمكان . تأتيه نسمات الجنة فتسعد روحه أو يأتيه نفح النيران إن كان شقيا .

في مستقر الأرواح :

ولكن أين تستقر الروح بعد الموت إلى يوم القيامة ؟ أتكون حبيسة قبرها في الأرض ؟ أم منطلقة في السموات ؟ وعلى أية صورة يكون مقرها حتى قيام الساعة ؟ إن هذا الأمر تكلم فيه العلماء كثيرا — واختلفوا فيه .. فقال قائلون : أرواح الصالحين عند الله في الجنة شهداء كانوا أو غير شهداء .. إذ لم يحبسهم عن الجنة كبيرة وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم .. والرحمة لهم .

وهذا مذهب أبى هريرة .. وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

رأي آخر عن مستقر الأرواح :

وقالت طائفة : إن الأرواح بفناء الجنة .. على أبوابها في رحاب مداخلها . كما يكون بعض الضيوف في حديقة دار يتنعمون حتى تفتح لهم أبواب الدار .. وهم في هذه الرحاب يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها .

وقالت طائفة : الأرواح تحس بهذا ولكن مستقرها على أفنية قبورها .



وقالت طائفة من الصحابة والتابعين : أرواح المؤمنين عند الله عز وجل .. ولم يزيدوا على ذلك .

مناقشة الامام ابن القيم لهذه الآراء :

والامام ابن القيم في استعراضه لما ذكرناه يرى أن يقف عندما قاله الله عز وجل ، ونبيه عليه الصلاة والسلام ولا يتعداه فذلك البرهان الواضح وهو قول الله تعالى : **(وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)** الأعراف/ ١٧٢ .

ومفاد ذلك أن الله تعالى خلق الأرواح جملة .. أي خلقها جميعا في بداية الخلق قبل أن تخلق أجسامها .. وأخذ الله عهدها وشهادتها له بالربوبية وهي مخلوقة .. مصورة عاقلة . وذلك كله قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم . وقبل أن يرسلها في الأجساد ثم أقرها حيث شاء . أي في البرزخ الذي ترجع إليه عند الموت ، ثم لا يزال يبعث بها جملة فينفخها في الأجساد التي تتولد من المنى .. فصح أن الأرواح حاملة لأغراضها .. أي خصائصها وأنها عارفة مميزة فيبلوهم الله في الدنيا كما شاء .. ثم يتوفاها فترجع إلى البرزخ الذي رآها فيه رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليلة أسرى به فوق سماء الدنيا – فرأى أرواح أهل السعادة . وأرواح أهل الشقاء .



وهذا قول الله تعالى : (**فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة . والسابقون السابقون . أولئك المقربون**) الواقعة/٨ – ١١ ، فلا تزال الأرواح في البرزخ الذي جاءت منه قبل حلولها بأجسادها ثم تعود إلى ذلك البرزخ حتى تقوم الساعة . ويعيد الله الأرواح إلى أجسادها ثانية وهي الحياة الثانية . ويحاسب الخلق فريق في الجنة وفريق في السعير .

الأدوار الثلاثة للحياة كما يصفها الامام الغزالي :

إن الله سبحانه وتعالى جعل أدوار الحياة للانسان ثلاثة – دار الدنيا – والبرزخ .. ودار القرار .. وجعل لكل دار أحكاما تختص بها . وقد ركب الانسان من بدن ونفس ، وجعل الله أحكام دار الدنيا على الابدان والأرواح تبع لها .. ولهذا جعل أحكامه الشرعية على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح ، وإن أضمرت النفوس خلافه .. وجعل أحكام دار البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها .. فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا ، فتألمت بألمها ، والتذت براحتها وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب ، تغير الوضع فأصبحت الحياة في البرزخ صورا روحية فالأرواح في البرزخ هي التي تباشر العذاب والنعيم ، وقد أرانا الله بفضله .. ولطفه ، ورحمته أنموذجا لذلك في الدنيا من حال النائم فان ما ينعم به أو يتعذب به في نومه يجري على روحه أصلا مع صورة الجسد .

وهكذا الحال في البرزخ .

فاذا كان يوم الحشر ، وقيام الناس من قبورهم صار الحكم في النعيم والعذاب على الأرواح والأجساد معا .

الخطوة الأولى نحو العالم الآخر:

إن الله تعالى جعل أمر الآخرة غيبا ، وما كان متصلا بها جعله كذلك غيبا ، وحجب لحكمته ذلك عن إدراك المكلفين في الدنيا ، وليتميز المؤمنون بالغيب من المستريبين أو المنكرين له ، وأول ما يشاهده المرء يحدث عند الاحتضار حيث نتبين من الآيات والأحاديث والآثار الصحيحة أن الملائكة هم أول من يشاهدهم المرء في لحظة الموت إذ تنزل إليه وتكون قريبا منه .. ويشاهدهم عيانا .. ويتحدثون عن مصيره .. ويؤمنون على دعاء الحاضرين بالخير أو الشر ، وقد يسلمون على المحتضر .. ويرد عليهم تارة بلفظه وتارة باشارته ، وتارة بقلبه إذا كان حاله لا يسمح بالنطق أو الاشارة .



هل الجنة موجودة الآن ؟

ثم ينتقل بنا السياق عن الحياة الأخرى وما فيها من النعيم فنتساءل هل الجنة التي أعدها الله للمتقين يوم القيامة ـ والتي عرضها كعرض السموات والأرض هل هي موجودة الآن ؟ أم انها لم تخلق بعد ولم تزل اسما على شيء سيكون بعد القيامة والحساب ؟

إن أهل العلم ذهبوا في الجواب عن ذلك مذهبين :

ويضرب القدرية والمعتزلة مثلا فيقولون ليس مما يقبله العقل ، أن يقيم ملك دارا ، يعد فيها ألوان النعيم ، ويتركها عاطلة من الساكنين يمنعهم من دخولها حتى حين . بل الاقرب للعقل أن ينشىء الملك هذه الدار يوم يرد أصحابها .

ولله تعالى المثل الأعلى .. وانه سبحانه قادر على أن يقول للجنة كوني فتكون في مثل لمح البصر أو أقل .. وما دامت القيامة لم تقم بعد .. فانها ستخلق يوم تقام للناس الموازين .

● ● ●

هذا زعم ذهب إليه قوم



رأي الامام ابن القيم :

ويجيب على هذا الرأي الامام ابن القيم فيرى أن أصحاب هذا الراي قد جانبهم الصواب ، وزعموا زعما غير صحيح .. فما يصح أن تشبه أمثال الله تعالى بأمثال الناس وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عرض علي كل شيء فعرضت علي الجنة حتى تناولت منها قطفا فقصرت يدي عنه .. وعرضت علي النار فرأيت فيها امرأة من بني اسرائيل تعذب في هرة لها » .. رواه مسلم .

وقد قال تعالى : **(ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى)** النجم/ ١٣ ـ ١٥ فذاك كما يرى ابن القيم الدليل على أن الجنة موجودة الآن .. والنار كذلك .. وأنهما عرضتا على النبي صلى الله عليه وسلم .. وقد جاء في حديث رواه كعب بن مالك : « ان أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى أجسادها يوم القيامة » البيهقي فذاك أيضا دليل صريح في دخول الأرواح الجنة قبل يوم القيامة .. وقد ذكر الله تعالى الذين يقتلون في سبيله بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون .



الجنة التي كان فيها ادم عليه السلام :

والآن ننتقل خطوة أخرى .. بشأن الجنة التي أقام فيها ادم وحواء .. والتي قال الله تعالى عنها : **(اسكن أنت وزوجك الجنة)** الأعراف/ ١٩ .

هل هذه الجنة هي جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة ؟ أم هي

جنة أخرى جعلها الله لآدم وزوجه سكنا ؟

إن بعض أصحاب الرأي يزعمون أن جنة الخلد هي دار جزاء ينالها المحسنون باحسانهم . وأما جنة آدم فكانت جنة ابتلاء .



ولقد اختلفوا كذلك في موضع هذه الجنة التي كان فيها آدم عليه السلام ، فمن قائل أنها كانت في السماء بدليل قوله تعالى لهما : **(اهبطا منها)** طه/١٢٣ والهبوط يعني النزول من أعلى إلى أسفل .

ومن قائل : إن الجنة التي عاش فيها آدم كانت في الأرض لأنه سبحانه امتحنهما فيها إذ نهاهما عن **(شجرة)** .

فالذين يزعمون أن جنة آدم كانت في السماء يذكرون حديث النبي صلى الله عليه وسلم « ويجمع الله تعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتي آدم عليه السلام فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة .. فيقول : « وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم » رواه مسلم .

فمن هذا الحديث وغيره يرى أصحاب هذا الرأي أن الجنة التي أخرج منها آدم هي تلك التي يريدون أن يعودوا إليها . وأنها في السماء . إذ ليس من المعقول أن تكون هذه الجنة في الأرض ، وأن المؤمنين يريدون أن يدخلوا جنة من جنات الدنيا بعد أن تزول الدنيا وتزول الأرض .

وفي ذلك دليل على أن آدم وحواء لم يكونا قبل ذلك في الأرض ..

ثم إن الله تعالى يخاطب آدم بقوله : **(إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى)** طه/١١٨ ، ١١٩ .. وتلك أشياء ليست من طبيعة الدنيا .

رأي الذين يرون أن آدم لم يكن في جنة الخلد

إنهم يقولون : إن الله تعالى جعل من حق الداخل إلى هذه الجنة الخلود فيها .. وأما آدم فانه لم يخلد في الجنة التي دخلها .

ويقولون : إن الجنة لا يعصى فيها الله أبدا .. ولكن آدم عصي .

ويقولون : إن من أسمائها دار السلام ، ولكن آدم لم يسلم فيها من الفتنة ..

ويقولون : إنها دار القرار .. ولكن آدم لم يستقر فيها .

وقال الله تعالى في شأن الجنة : **(وما هم منها بمخرجين)** الحجر/٤٨ وقد أخرج منها آدم وحواء .



تلك أقوال الفريقين عرضناها في إيجاز .

ويرى أهل العلم أن كلا الأمرين ممكن ــ وأن الآراء متعارضة .. ومن الخير أن نقف عند حد العلم بالرأيين ولا نقطع بينهما .

مائدة القارئ

حجرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وصف عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حجرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : إنها حجرة لا ضيقة ولا واسعة ، وسط بين ذلك قواما ، وإذا بحصير في وسطها ، وعلى الحصير فراش نوم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسادة حشوها ليف ، وغطاء يقيه البرد ، غير دافئ لئلا يبعث الكسل ، ولا ناعم يجلب الرقاد ، ولقد نظر عمر ثم نظر : فما وجد إلا حفنات من الشعير ، وسواك الرسول ، وما لا قيمة له من زاد دار زائلة ، خير بنيها من خف حمله فيها ، واستخدمها لما بعدها ، فان الدنيا تخدم من إذا مدت إليه باعها باعها ، وتستخدم من اتبع هواه فأطاعها .

حسابْ الكريم

قيل لأعرابي : إن الله محاسبك غدا . فقال : سررتني يا هذا . إن الكريم إذا حاسب تفضل .

الفقهاء والزهاد

قال عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه مخاطبا القوم :

من صحبنا فليصحبنا بخمس ، وإلا فلا يقربنا :

يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ..

ويعيننا على الخير جهده ..

ويدلنا من الخير على ما نهتدى إليه ..

ولا يغتابن أحدا ..

ولا يتكلم فيما لا يعنيه ..

فابتعد الشعراء والخطباء وبطانة السوء عن ساحة الحكم .. وثبت عند الحاكم العادل الفقهاء والزهاد .. وهكذا كان الحاكم .. وهكذا كان العلماء .. فأين نحن الآن من هؤلاء ؟!

الحمدلله

قال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار في جنات النعيم . دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمدلله رب العالمين) الآيتان ٩ و ١٠ من سورة يونس .

ما تتمنى ؟

قال عبدالملك لأعرابي : ما تتمنى ؟ قال : العافية .
قال : ثم ماذا ؟ قال : رزق في دعة ، لا يكون لأحد فيه منة .
قال : ثم ماذا ؟ قال : الخمول ، فاني رأيت لحوق البوار بذوى النباهة أسرع .

عظة

قال الرشيد لابن السماك : عظني . فقال ابن السماك : احذر أن تقدم على جنة عرضها السموات والأرض وليس لك فيها موضع قدم .

مناجاة

قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ يناجي ربه :
كفاني عزا أن تكون لي ربا ، وكفاني فخرا أن أكون لك عبدا ، كنت لي كما أحب ، فوفقني لما تحب .

طرفة

ضرب رجل أعور بحجر فأصاب عينه الصحيحة ، فوضع الأعور يده على عينه وقال :
أمسينا وأمسى الملك لله .

مشاكل الشباب

١ ـ أهم مشاكل الشباب هي مشكلة مصادر التربية ، فانها على اختلاف أنواعها تعمل في حقل التربية كالفرقة الموسيقية التي يعزف كل عازف فيها لحنا على هواه ، فلا جرم أن كانت هذه الأصوات النشاز أكبر منفر للشباب عن استماعها والافادة منها ، ولو أنها كانت تعزف لحنا واحدا مهما اختلفت الآلات لتغير وجه الأمر ولاستمع الشباب لهذا اللحن واستساغه .

٢ ـ ان تربية الشباب يركز عليها الاسلام ابلغ تركيز ، ونعلم أن الله تعالى حدد مهمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في قرآنه الكريم حيث يقول : **(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)** آل عمران / ١٦٤

فمهمة النبي محمد عليه الصلاة والسلام هي : أ ـ ان يتلو على الناس آيات القرآن الكريم ، ب ـ ان يزكي اخلاقهم ويطهر نفوسهم ، جـ ـ ان يعلمهم الكتاب والحكمة ويبين لهم التشريعات وحكمها . وواضح ان مهمته إذًا هي التربية المعبر عنها

للأستاذ محمد علم الدين

بالتزكية ، والتعليم لما انزل الله مدعما بالعلل والحكم حتى يكون الايمان عن اقتناع لا عن مجرد اتباع .

٣ ـ اما حاجة الناس الى هذه التربية الدينية فهي لان الله تعالى خلق الانسان ـ لا عقلا بلا شهوة كالملائكة ولا شهوة بلا عقل كالحيوانات ، إنما خلقه بعقل وشهوة يمتحن عقله بشهواته فمن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة ، ومن غلبت شهوته عقله التحق بالحيوان . وقد من الله على الناس برحمته فبعث فيهم الرسول ينير لهم الطريق ويرتاد لهم سبيل الحق والعدل والرحمة والوصول الى الله ، وبذلك اتضحت معالم التربية واهدافها ، ومصادر التربية لها اعظم الاثر في توجيه الناشئين وصدق رسول الله عليه الصلاة والسلام اذ يقول : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » رواه الطبراني والبيهقي ـ والفطرة هي الاسلام لله .

٤ ـ ولخطورة التربية واثر المربين يقول الله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**) التحريم/٦ فالدنيا عرض زائل ، والآخرة حق لا ريب فيه وقد حذرنا جل شأنه من الركون الى متاع الحياة الدنيا من مال وبنين والغرور بالحياة الدنيا واتباع الشيطان بقوله (**يأيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور**) فاطر/٥ .

٥ ـ ان الامر امر تخريج أمم مسلمة واجيال تستحق التكريم الهائل الذي كرم الله تعالى به المسلمين في قوله الكريم : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) آل عمران/١١٠ .

وانه لمما يزيد في اهمية التربية الاسلامية ان اعداء المسلمين بخاصة ، واعداء الانسانية بعامة ، يريدون من الشباب ان ينشأ على امرين

أ ـ اتباع أهواء النفس ونزواتها ورغباتها نزولا على مبدأ الحرية المطلقة والوجودية .

ب ـ رفض نصائح الاباء والمربين لانهم قوم رجعيون ، افكارهم بالية علاها الصدأ ، وصارت لا تتمشى مع الجيل الجديد .. !!

ومتى تمرد الشباب على نصح الاباء والمخلصين ، ومتى جعل كل شاب الهه هواه فقد التحق بالحيوانات ، وحقق للصهيونيين أغراضهم ، عندما وصفوا من عداهم من الناس بأنهم حيوانات في صورة إنسان ليأنسوا به حين يخدمهم .

٦ ــ فلننظر الى ما يراد بنا حتى نأخذ الأمر بالجدية والحزم والتصميم والارداة القوية ، ولننظر الى حاضرنا لنعلم أين نحن من التربية الحقة وما حال المربين عندنا !!

إن مصادر التربية هي الاباء في المنزل ، والمعلمون في المدارس ، والوعاظ في المساجد ورجال الاعلام في الصحف والمجلات والاذاعة والخيالة والتمثيل ، والمؤلفون في كتبهم والمحاضرون في نواديهم والقياديون حيث كانوا .. الخ .

أ ــ الآباء معظمهم يفهم أن التربية إيواء وغذاء وكساء ودواء ، والقليل الواعي تشغله زحمة الحياة ومطالب العيش عن الاشراف على التربية الأولى ، ووضع حجر الاساس في بنائها فأولاد الاغنياء يتلقفهم الخدم ، وأطفال الفقراء يتلقفهم الشارع والأزقة والحارات وكلا الأمرين شر واندر من الندرة من يشرف على أولاده ، والنادر لا حكم له .

ب ــ لا يكاد الطفل يبلغ سن الحضانة أو الروضة أو المدرسة حتى يفرح الآباء لانزياح عبء التربية عن كاهلهم الى هذه الدور . ولكن هذه الدور اكتظت بمن فيها وأصبحت دور إيواء صباحية ومسائية ، يتعلم فيها النشء قشور العلم ، دون اشراف على التربية والسلوك واعتياد كريم الاخلاق والطلبة أصبح همهم لعب الكرة وربما الزوغان الى دور الخيالة ، حتى إذا دنا الامتحان حفظوا ما استطاعوا ، ولا يكاد الامتحان ينتهي حتى تحرق الكتب او تتحول الى قراطيس .. واذا اخذ احدهم الشهادة مرق من العلم مروق السهم من القوس ، وآلى الا يمسك كتابا بعد إنما هي القراءة السهلة في الصحف والمجلات ، فلا جرم ان يرتد أميا كما كان .. !!

جـ ــ وأصبح التلميذ بين مصادر التربية كالكرة ، الآباء يلقون بعبء التربية على المدرسة والمدرسون يلقون بالعبء على المنزل ، ولا نجاح بعد هذا الا لمن له حظ عظيم .

يخرج التلميذ الى المجتمع فيجد معاملات واتجاهات وتيارات القليل منها أخلاقي ، والكثير لا أخلاق عنده ، والمناعة ضعيفة والمغريات قوية مؤثرة فيكون الانحراف .. !.

الشاب يرى كل ما يساعد على العنف والاثارة الجنسية ويرى أن المال هو الهدف يأتي من اي طريق ، وقد ساعدت الاذاعات ووسائل الاعلام على نشر ذلك وأدخلته في البيوت ، ورأى الشباب أن الدولة وقد أباحت عرض هذه الأفلام فقد اعطت كلا منهم جواز مرور ليقلد هذه البطولات الزائفة ، والعقوبات إن أدركت المجرم فهي بطيئة ويسيرة فصار الاجرام علنا بعد أن كان خفاء ، ويغيظني أولئك الذين باسم الفن يثيرون

الشهوات ، كالذين نشروا البلوى باسم الباليه الفرنسي ، وفي نشرهم للعرى نشر للفاحشة كما يغيظني أولئك الذين يقولون إن هذا الفن يجتمع مع الدين في أنهما من السماء مع أن هذا الفن الساقط إنما هو من الأهواء ولو كان راقيا لوجد في مظاهر الطبيعة الكثير ووجده في جلال الأسرة وأنواع العبادة .

٧ – إننا لن نقف أمام كل هذا سلبيين ، بل نقترح الحلول ونعمل عليها جادين شعارنا : **(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)** الرعد/١١ .

لدينا بفضل الله كثرة من المدارس والمساجد والنوادي ووسائل الاعلام والمطابع ، وكلها عوامل سريعة التأثير والنشر ولكن ينقصنا العزم وارادة التغيير .

– كما نهتم بالطرق والمباني ووسائل النقل وتربية الدواجن ، وكما نعمل على صيانة البلاد من الامراض الوبائية علينا ان نهتم بتربية من جعلهم الله خلفاء له في الارض ، وسخر لهم ما في السموات وما في الارض جميعا وعلينا ،

أ – أن نضع مثلا عليا في نواحي الحياة تكون حاوية لشخصية المواطن الذي نبتنيه وشاملة الاطار الذي يتحرك فيه ، ثم ننشرها في البلاد وتعمل على تحقيقها كل أنواع ومصادر التربية في متابعة وإصرار .

ب – أن نعامل المذاهب الضارة والتيارات المنحرفة وكل وسائل الهدم معاملة الوباء نحاربها حربا لا هوادة فيها حتى نجتثها من أساسها .

٨ – الاسلام مملوء بالمثل العليا ويجب نشرها وشهرها وجعلها ألف باء التربية للمجتمع وأن تتضافر كل مصادر التربية على تأصيلها وجعلها الخلق العام ونحن أثرياء في العلم والأخلاق والأبطال قديما وحديثا .

اننا عندما ارتضينا ان يكون دين الدولة الاسلام نجد من المنطق الا نجعله شعارا فقط ، فلنبن على أساسه حياتنا ، ونقيم على قيمه الروحية دعائم بنياننا حتى نوجد جيلا :

١ – وثيق الصلة بالله الذي خلقه واستخلفه في الارض واستعمره فيها اخلاصا ومراقبة .

٢ – وثيق الصلة بالمواطنين ، كما داينوه صغيرا يرد لهم الدين كبيرا ، ويجعل كل ما أفاء الله عليه من نعمة في خدمة المجتمع علما وصحة ومالا وجاها .

٣ – يمجد العمل ويعتبره شرفا وواجبا ، ويمقت البطالة السافرة والمقنعة .

٤ – يصون الممتلكات العامة ويحافظ على آلات العمل والانتاج كمية وجودة ووقتا .

٥ – مستعدا للنضال ومجادلة الاعداء بكل ما اوتي من علم وصحة ومال .

٦ – قادرا على ضبط نفسه فلا ينهار امام إغراء الجمال والمال لأن إيمانه بالله راسخ كالجبال .

٧ – يقدر المرء بما يقدمه لامته من خدمات لا بما يملك من مال او جاه او سلطات .

٨ ـ يعشق النظام والنظافة ، ويحافظ على الأولويات ويحترم المرأة والكبير ويرحم الصغير .
٩ ـ يحقر المنحرف ويأخذ على يديه مكونا مع أمثاله الرأي العام الذي يحرس الفضائل والانتاج .
١٠ ـ مثلا أعلى للشرف والامانة والصدق ومكارم الأخلاق ، يحمل الاعداء على احترامه .
٩ ـ إن إيجاد هذا الجيل أمانة في أعناقنا نحن المربين على اختلاف مواقعنا من التربية ، وعلينا أن نعد كل مواطن ليكون من حيث العمل في أحد المواقع الآتية :
أ ـ الانتاج ، ب ـ حراسة الانتاج ، جـ ـ الرقابة والتوجيه .
وهذه الوقائع اسلامية مائة في المائة ، ورد الموقعان أ ، ب في أواخر سورة المزمل من القرآن الكريم حيث يقول رب العالمين : **(علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه)** المزمل / ٢٠ .
في هذه الآية يقسم الله المؤمنين قسمين : مرضى ، وأصحاء ، والمريض لا حرج عليه حتى يعود صحيحا ، والأصحاء يجب أن يكونوا من المنتجين الذين عبر عنهم القرآن الكريم بأنهم يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ، وهذا تعبير رباني عن العاملين في حقول الانتاج ، الزراعة ، والصناعة والتجارة والتعليم والهندسة والطب والمرافق الى آخره ، أو يكونوا من حراس الانتاج الذين عبر الله عنهم بانهم يقاتلون في سبيل الله ، وهؤلاء صنفان صنف يقاتل الاعداء من المستعمرين والبغاة وهو الجيش ، وصنف يقاتل الاعداء الداخليين من اللصوص وقطاع الطرق والمختلسين والمرابين والمحتكرين وتجار السوق السوداء ، وهم الشرطة ، اما الرقابة والتوجيه فهي جماعة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اذ التوجيه امر بالمعروف والرقابة نهي عن المنكر وقد أمر الله بهذه الجماعة في قوله : **(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)** آل عمران / ١٠٤ .
ولا غنى لأية أمة عن هذه الجماعة ، فلينظر كل مواطن أين هو من هذه المواقع الثلاثة حتى يكون مواطنا نافعا ولا يكون حربا على البلاد .
١٠ ـ فهل نحن قادرون على حمل أمانة الاسلام في تربية نشئه ، وهل وضعنا أقدامنا في أول الطريق وقولنا على بركة الله نسير ، أم سنكتفي بعبور الحياة على هامشها ونكون كركاب سفينة بلا ربان في بحر مملوء بالقرصان .
إننا ندعو إلى الاهتمام بشبابنا حتى نجعل منهم قوة تسر الأصدقاء وتغيظ الأعداء لاغثاء كغثاء السيل ، وعلينا ان نحشد كل طاقات الخير فينا لخدمة عملية التربية عاملين بقول الله تعالى : **(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)** العنكبوت / ٦٩ .

لغويات

يقولون

يقولون : هذه تاسع فتاة تفوز في المسابقة ، والصواب هذه تاسعة فتاة تفوز في المسابقة لأن العدد الترتيبي يوافق معدوده في تنكيره وتأنيثه سواء أكان صفة أم مضافا الى المعدود .

يقولون : اشترك في المسابقة أربعة خيول والصواب اشترك في المسابقة أربعة جياد لأن الخيول جمع خيل والخيل جماعة من الأفراس ولا مفرد له من لفظه وقال بعضهم : مفرده خائل لأنه يختال ، كما تطلق كلمة خيل أيضا على الفرسان ويدل على ذلك قوله تعالى : (**وأجلب عليهم بخيلك ورجلك**) أى بفرسانك الذين يركبون الخيل ورجالتك من المشاة .

يقولون : هذا منزل متهالك لدرجة أن سوره تداعى للسقوط ، والصواب : لدرجة أن سوره تداعى (وهو من المجاز) لأن معنى تداعى : سقط أو أوشك على السقوط .

يقولون : كان فلان حاكما دكتاتورا ، والصواب كان حاكما طاغية أو مستبدا أو ظالما ، لأن كلمة دكتاتور كلمة لاتينية كانوا في روما القديمة يطلقونها على القضاة في الحالات التي تكثر فيها الفتن والقلاقل لمدة لا تزيد عن ستة أشهر ويكون القضاة والحكام فيها غير مسئولين عن تبعة أعمالهم وأحكامهم ــ جاء في الآية ١٥ من سورة ابراهيم : (**وخاب كل جبار عنيد**) .



مسجد الرسول بالمد

المسجد النبوي

ورحلته مع الزمن

للاستاذ عبدالغني محمد عبدالله

المسجد النبوي
ورحلته مع الزمن (٢)

رحلنا مع المسجد النبوي عبر الزمن حتى عصر المهدى العباسى .. ورأينا كيف أن المسجد قد أصبح نمطا يحتذى به في بناء المساجد الجامعة في العالم الاسلامي .

وكان حريق عام (١٢٥٦م) المروع (ليلة الجمعة أول رمضان ٦٥٤هـ) وقد أصاب هذا الحريق المسجد بضرر غير قليل .. وما إن بلغ خبر هذا الحريق الخليفة العباسي المستعصم بالله . حتى أعد العدة لاعادة إعمار الحرم النبوي من جديد . ولكن الظروف السياسية التي مر بها العالم الاسلامي وقتئذ لم تسمح له بذلك إذ إن بغداد نفسها قد اجتاحها غزو مدمر من فعل المغول الذين اجتاحوا الشرق الاسلامي كله في غزوة كالبرق ويوم من الطبول ناشرين الخراب والدمار والموت حتى عمت الظلمة كل بلاد المسلمين في الشرق وجاء الدور على بغداد عاصمة الخلافة واصطبغ فيها دجلة بلون الدم وما لبث هذا اللون أن صار أسود قاتما كظلامة قلوب فاعليه . ودخل المستعصم بالله هو وزوجه وأولاده الى معسكر هولاكو ولم يخرجوا منه ولم يعرف مصيرهم .. كيف قتلهم هولاكو أو كيف تخلص منهم يوم ١٤ صفر سنة ٦٥٦هـ . وبذلك انتهت الدولة العباسية . وانتهت مع موت المستعصم بالله كل النشاطات من أجل إعادة إعمار الحرم النبوي .

واستمر المغول ينقضون كالسهم المنطلق إلى الغرب يكتسحون مدن الشام يحيلون فيها الحياة إلى موت والإعمار إلى خراب والأخضر واليابس يجتثونه من جذوره ناشرين الرعب والظلام خلفهم .. وكادت الحضارة الاسلامية أن يقضي عليها لولا أن تعرضوا لهزيمة قاسية على يد « قطز » سلطان المماليك في مصر عند « عين جالوت » يوم أن صاحت زوجته في الجنود ــ وا إسلاماه ــ .. وعند هذه النقطة بدأ ارتدادهم وبدأت ترتد معهم حضارتهم الوثنية التي كانت ستنتشر حتما فيما لو سقطت مصر هى الأخرى .

وبتولي مصر الزعامة صار سلاطين المماليك هم حماة الحرمين الشريفين .. وقد استطاع السلطان بيبرس (خلف قطز بعد مقتله أثناء عودته من عين جالوت) أن يستقدم أحد أفراد البيت العباسي وبايعه بأن يكون خليفة على المسلمين ..

وبدأ سلاطين المماليك في تعمير المسجد النبوي حيث سارع السلطان « الظاهر بيبرس » باعادة إعماره من جديد . وقد عمل من جاء بعده من سلاطين المماليك على التجديد والاصلاح في المسجد . ومنهم على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر السلطان الناصر محمد الذي أضاف بائكتان من الأعمدة في رواق القبلة من جهة الصحن .

والسلطان « الظاهر جقمق » عام ٨٥٣هـ جدد بعض الأسقف



التي كانت تحتاج للتجديد لسوء حالتها .

حريق عام ٨٨٦هـ .

وفي ليلة ١٣ رمضان ٨٨٦هـ انقضت صاعقة على إحدى مآذن الحرم النبوي صرعت المؤذن الذي كان يؤذن بالصلاة في ذلك الوقت . وأصابت النيران سقف المسجد وأحرقته وأصابت بعض المصلين بالمسجد وتهدمت الجدران وسقطت الأعمدة وأتت النار على المنبر وأغلب الكتب ولم يسلم من هذا الحريق سوى الغرفة الشريفة وقبة الصحن .

عمارة قايتباي

وهي إحدى العمارات الهامة في المسجد . وقد سارع السلطان قايتباي بعد الحريق فأعد العدة لعمارة المسجد وعين الأمير « سنقر الجمالي » مسئولا عن هذه العمارة .

وتتلخص عمارة قايتباي باضافة قبة فوق الغرفة النبوية الشريفة ثم فوقها قبة أخرى يحملها عدد من الأعمدة .

وتم نقل الجدار الشرقي للشرق قليلا . وفي رأس مثلث الغرفة النبوية الشريفة أقاموا قبة تقف على اسطوانة تم إنشاؤها خصيصا لذلك ويحيط بهذه القبة ثلاث قباب صغيرة .

وقد تم إنجاز :ـ

١ ـ كسوة الغرفة النبوية الشريفة وما حولها بألواح الرخام .

٢ ـ استحداث محراب مجوف في



دعامة مستحدثة أقيمت بين قبر الرسول صلى الله عليه وسلم والمنبر .
٣ ـ أقاموا مصطبة من الرخام (يستخدمها المؤذن) .
٤ ـ توسيع وزخرفة محراب عثمان رضي الله عنه .
٥ ـ إعادة بناء المئذنة الجنوبية الشرقية .
٦ ـ بناء مئذنة باب الرحمة في الجنوب الغربي من المسجد .
٧ ـ إعادة بناء الجدر المتهدمة .
٨ ـ جلدت الحوائط في المسجد بالرخام .
٩ ـ باب السلام تم بناؤه وجلد بالرخام الرائع .
١٠ ـ إنشاء مدرسة بين باب السلام وباب الرحمة وهي المعروفة بالمدرسة المحمودية .
١١ ـ صارت الأعمدة تحمل عقودا يجلس السقف فوقها وقد عمل قايتباي على تغطية مصاريف عمارة المسجد النبوي ببذخ إذ بلغت تكاليف إعادة الأعمار مبلغا كبيرا . ومهما كان الأمر فان حدود المسجد لم يتم تغييرها تقريبا .. إلا أن الطابع المعماري المملوكي قد ظهر بوضوح وجلاء .

وزود المسجد بالمفروشات والأثاثات اللازمة وكذلك بعض الأعمال الفنية الاسلامية الرائعة منها على سبيل المثال شمعدان من النحاس المكفت بالذهب والفضة (صناعة مصر زمن المماليك وهو حاليا محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة) .

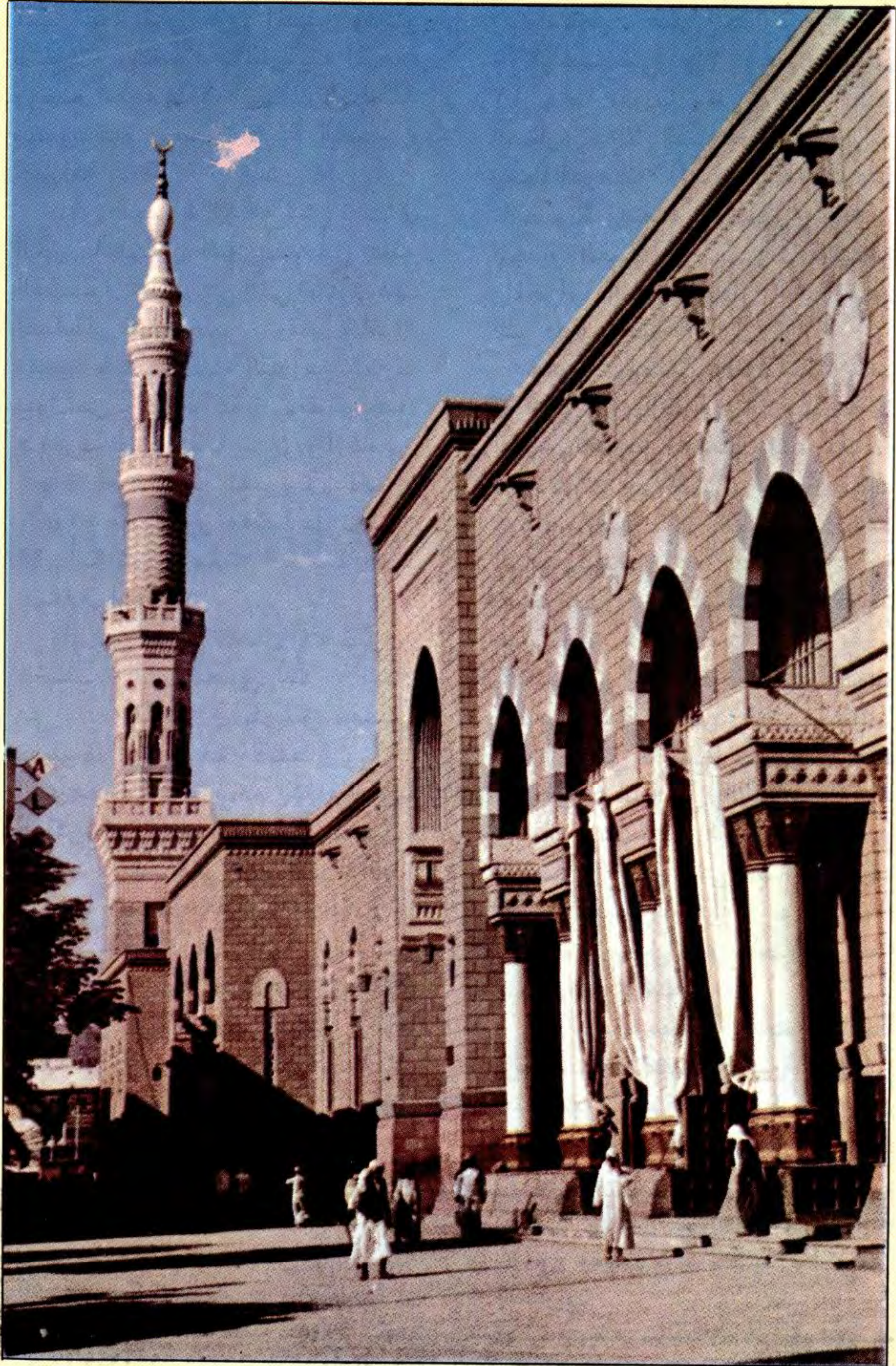
وقد استغرقت عمارة قايتباي للمسجد النبوي ما يقرب من العام ولم يكتف بذلك بل إنه رتب لسكان مدينة الرسول بعض المؤن التي تكفيهم . واستمر المماليك يهتمون اهتماما كبيرا بالحرم النبوي تجديدا وإصلاحا طوال العصر المملوكي .

وقد ظل المسجد النبوي بعد عمارة قايتباي دون التعرض لعمارة هامة طوال أربعمائة عام تقريبا .

العثمانيون والمسجد النبوي

وبدأ العثمانيون يتجهون الى الشرق منذ عهد السلطان سليم الأول فاصطدم بالصفويين أولا ثم بالمماليك ويهمنا هنا ايضاح انتصار سليم على قنصوة الغوري سلطان المماليك في مصر والشام عند « مرج دابق » وانجلى غبار المعركة عن عصر جديد بدأ يطل على المنطقة اكتمل ظهور هذا العصر عند تعليق طومان باى بآخر سلاطين المماليك على باب زويلة في القاهرة ... وتباعا بدأت الولايات الاسلامية في الدخول تحت السيادة العثمانية .. ومنها أن شَريف مكة قد التقت رغبته مع عرض عثماني بقبول السيادة العثمانية .. وكان الأمر في نهايته مفاتيح الحرمين الشريفين لسليم الأول العثماني ودخول الحجاز اسميا تحت سيادة آل عثمان . وبذلك تأكد لهم الزعامة الروحية والسياسية على العالم العربي وحينئذ صار لهم شرف رعاية وحماية المسجد النبوي .

وتعرض المسجد النبوي للتجديد أكثر من مرة على يد آل عثمان فمثلا



سليم الثاني سنة ٩٨٠هـ قام بتعمير أحد المحاريب غرب المنبر وأمر بزخرفته وكسوته بالموزاييك المذهب ووضع اسمه عليه . وكذلك السلطان محمود قام بتعمير قبة الحجرة الشريفة سنة ١٢٢٣هـ .

ولكن العمارة الهامة التي تمت في الحرم النبوي الشريف على عصر العثمانيين كانت هي التي تمت في عهد السلطان عبدالمجيد .. وقد كانت تحديدا شاملا للبناء الذي مر عليه ما يقرب من أربعمائة عام . وقد تم إعداد مجموعة من المعماريين والفنانين المهرة مُطلِقاً لهم العنان في العمل لأخراج عمارته وزخرفتها على نحو من الفخامة تليق بقيمته العظيمة عند جماهير المسلمين .

وقد نقل هؤلاء العمال الأحجار من هضاب وادي العقيق عند « آبار على » . ونقلوها في طريق مهدوه خصيصا لنقل هذه الأحجار .

وعند البناء لم يهدم البناء جميعه ولكن تم البناء والتجديد جزءا جزءا .. وذلك حتى لا تتوقف الصلاة في هذا المسجد وهو نظام متبع في العصر الحديث في أغلب المساجد الجامعة إذ يلجأ المهندسون إلى إغلاق جزء من الجامع يتم هدمه وإعادة بنائه من جديد بينما إقامة الشعائر الدينية في باقيه . هذا ويرى الدكتور حسن الباشا والاستاذ ابراهيم رفعت علاوة على ما ذكر من سبب أنه يحتمل أنهم كانوا يهدفون من وراء ذلك إلى المحافظة على الحدود والمعالم الأصلية التي ربما كان يخشى من ضياعها أو تغييرها إذا هدم المسجد كله .

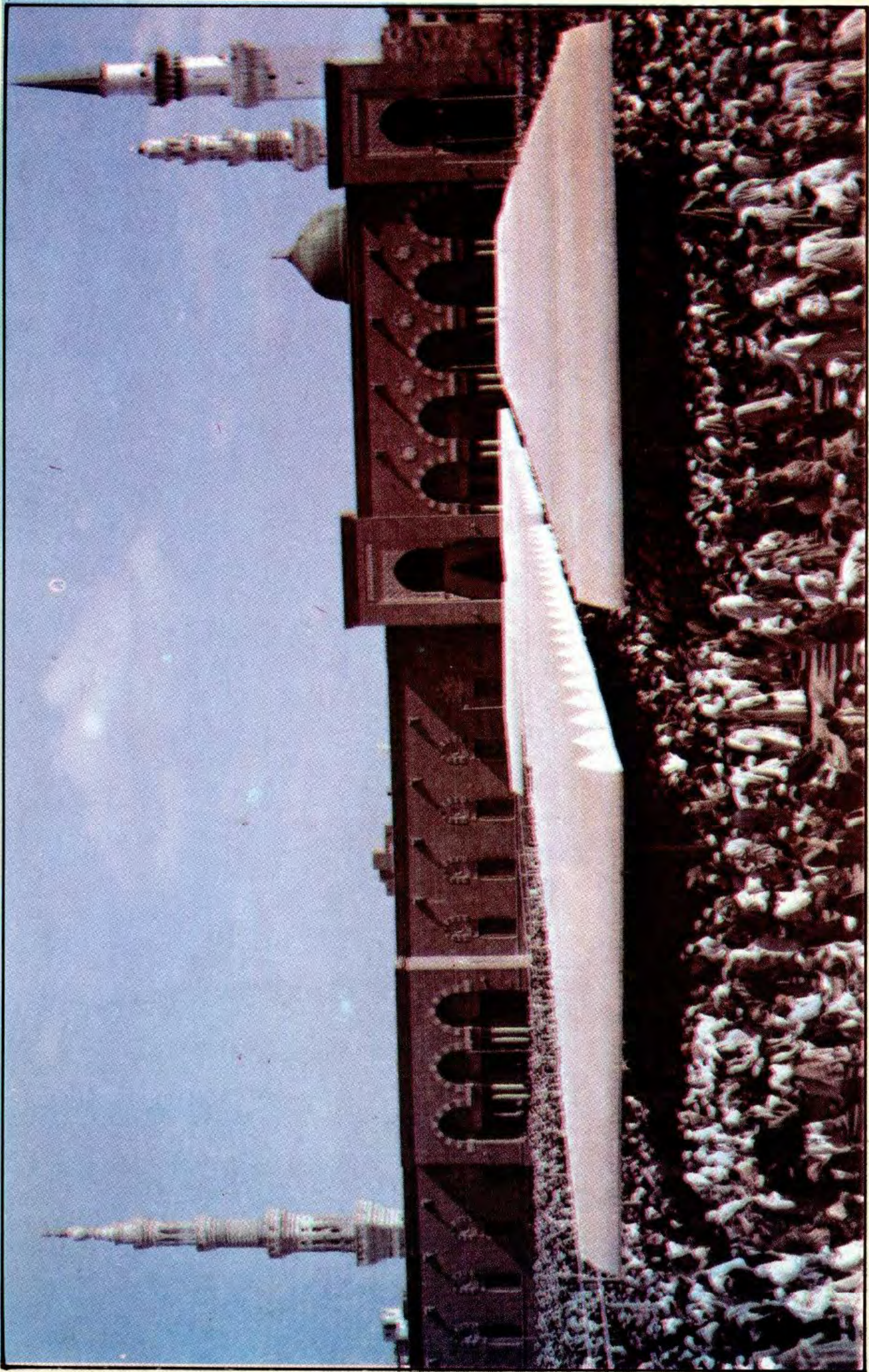
واستمرت هذه العمارة من عام ١٢٦٥هـ حتى ١٢٧٧هـ أي حوالي ١٢ عاما تقريبا وقد تكلفت هذه العمارة ٧٥٠ ألف جنيه مجيدى . وفيها أعيد بناء المسجد كله فيما عدا المقصورة والجدار الشمالي ومعظم الجدار الغربي ومحراب عثمان والمحراب النبوي ومنبر النبي صلى الله عليه وسلم .

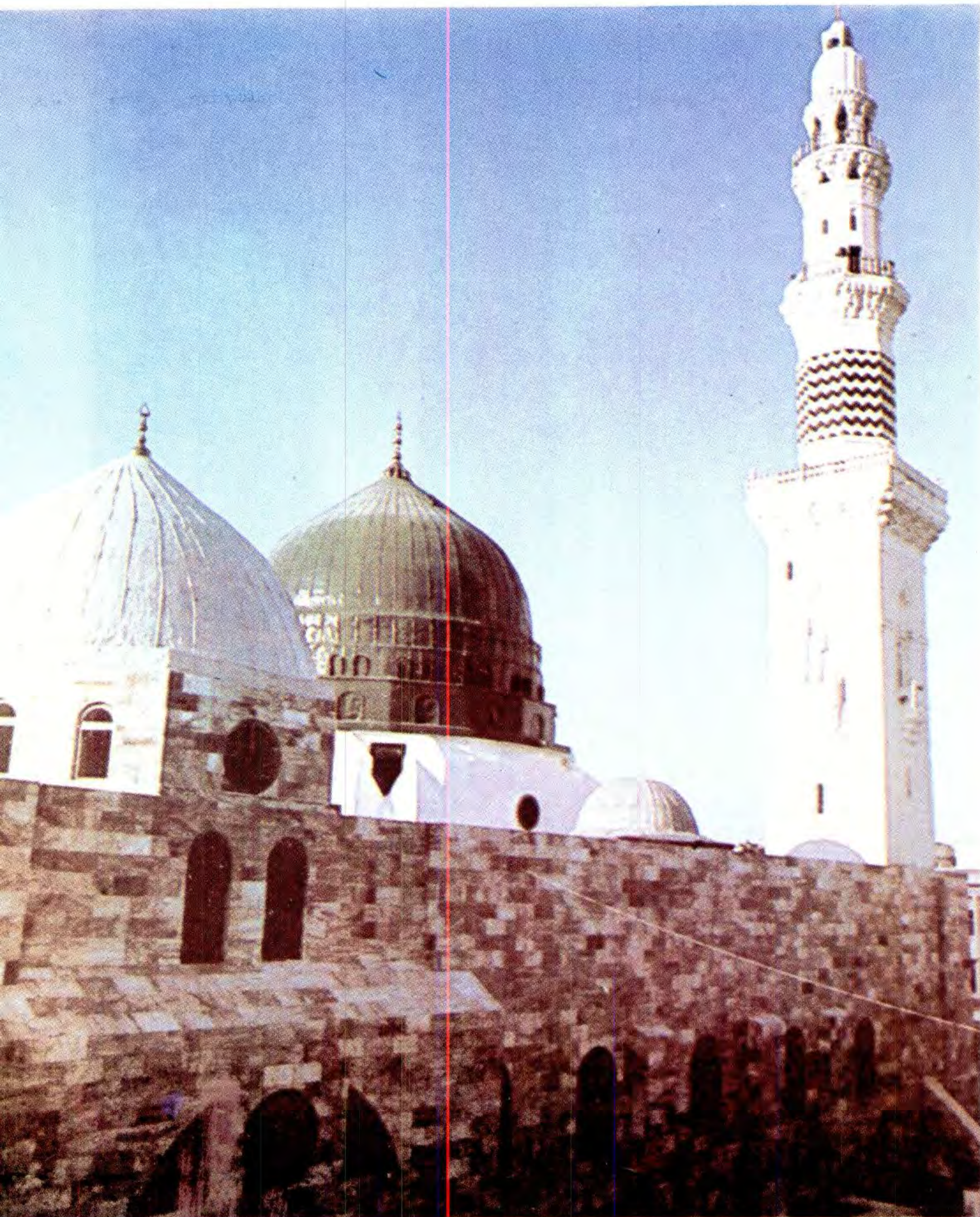
حدود المسجد في هذه العمارة ظلت كما هى تقريبا عدا زيادة بسيطة في الجنوب الشرقي وأضيف اليه مساحة من الأرض في الشمال أصبح مكانا للوضوء وفتح باب جديد عرف باسم الباب المجيدى .

تم تغيير وتبديل جميع الأعمدة فيما عدا بعض الأعمدة بالروضة وفوق العقود التي بنيت من الحجر الأحمر المنحوت جاءت عقود أخرى تحمل القباب التي تتخللها شبابيك شغلت بمشغولات النحاس والزجاج الملون .

وقد أعيد بناء المئذنة الموجودة في الشمال الغربي التي صارت تعرف باسم المئذنة المجيدية .. وأعيد بناء باب السلام على نحو فخم ومن خلفه جاءت قبة عظيمة .

وتم ترميم منائر المسجد ومداخله وإضافة بعض الغرف وبعض الخلوات . وتم تبليط أرض المسجد بالرخام وكذا جلدت بعض حوائطه بالرخام وزخرفت بواطن القباب ببعض المناظر الطبيعية من أشجار وزهور ومجاري مائية وذهبت بعض المحاريب .





وحول هذه المناظر الطبيعية صار جدل كبير بين علماء الآثار الاسلامية .. حول طبيعتها ومقصد الفنان المسلم منها .. وهل قصده كان تخيل شكل الجنة ؟

وعند انتهاء هذه العمارة صار المسجد النبوي على نحو فخم يليق بمقامه بين المساجد الجامعة عند المسلمين .. عمارة رائعة وزخارف من أرقى ما وصل إليه الفن الاسلامي في المدرسة التركية .. وشرائط من الكتابات التي أبدع خطوطها مشاهير الخطاطين المسلمين مثل الفنان الخطاط زهدي ومما دون على باب السلام :

رسول الله إني مستجير
بجاهك والزمان له اعتداء
وجاهك يا رسول الله جاه
رفيع ما لرفعته انتهاء
وظني فيك يا طه جميل
ومنك الجود يعهد والسخاء
وحاشا أن أرى ضيما وذلا
ولي نسب بمدحك وانتماء

ولقد اهتم الخزافون الأتراك بتصوير المسجد النبوي على البلاطات الخزفية تعظيما له وتبركا به وقد حققت هذه الخزفيات أثرا تاريخيا وفنيا كبيرا في الدراسات المتعددة حول تاريخ العمارة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهذه البلاطات محفوظة في كثير من المتاحف العالمية ولعل أعظمها موجود بمتحف « طوبقا بوسراى » في استامبول بتركيا ومتحف الفن الاسلامي بالقاهرة وهما يشكلان أكبر تجمع أثري وفني إسلامي . وقد أفادت هذه البلاطات كثيرا في التأريخ للمسجد النبوي .

ولعله من الملاحظ أن العثمانيين لم يولوا عنايتهم الفائقة لمساجد وجوامع في العالم الاسلامي إلا تلك التي انشئت في تركيا بالأضافة إلى عنايتهم واهتمامهم بالحرمين الشريفين بمكة والمدينة المنورة .

خاتمة :

واستمر التجديد والإعمار .. ومازالت مساحته في تزايد حتى وصلت ١٦,٣٢٧ مترا مربعا عدا زيادة السنوات الأخيرة وما هو مزمع الاضافة إليه ويعتبر المسجد النبوي جامعة الاسلام الأولى . تخرج فيها الأفذاذ من كبار الصحابة الذين حملوا مشاعل النور والحضارة إلى كل أنحاء الدنيا .

والمسجد النبوي ـ الحرم النبوي ـ من المساجد التي تشد إليها الرحال . والصلاة فيه خير من الصلاة في غيره إلا المسجد الحرام . وبين المنبر والقبر الشريف قطعة من الجنة (ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة) . ومن زار القبر الشريف حظى بشفاعة صاحبه صلى الله عليه وسلم (من زار قبرى وجبت له شفاعتى) .

أبدع فيه المعماريون والفنانون في إنتاج باخلاص على مر العصور .. فما أشرف من العمل في مسجده صلى الله عليه وسلم .. إلا في المسجد الحرام ؟

الطفل المسلم

في احتفالات عام الطفولة

تعاليم الاسلام في التربية سبقت احدث نظريات القرن العشرين

الحلقة الثانية

في مقال سابق ذكرنا أن هيئة الأمم المتحدة قررت اعتبار العام الحالي ١٩٧٩ عام الطفولة .. وقد دعت الهيئة الدارسين والباحثين في هذا المجال إلى التلاقي في المؤتمرات الدولية والى تقديم أحدث نظرياتهم وآرائهم في رعاية الطفولة وتربيتها . ثم تعرضنا لدور الاسلام في تربية النشء وكيف استطاع أن يخلق من أولاد البدو الرحل الحفاة جيلا من القادة العقائديين الذين غزوا الدنيا كلها من الصين حتى الأندلس وأصبح منهم العلماء والساسة والأبطال العسكريون والمصلحون الاجتماعيون ..

وأصدق مثل على شخصية الطفل المسلم وحسن تربيته هو تلك القصة التي تنقلها لنا كتب التاريخ عن عبد الله بن الزبير عندما كان طفلا في الثانية عشرة من عمره ... فبينما كان يلعب مع زملائه في الطريق إذ مر بهم الخليفة عمر بن الخطاب .. وكانت لعمر إذا سار في الطريق هيبة في قلوب الناس .. فما إن رآه الصبية حتى تركوا الكرة وهربوا من الطريق تأدبا واحتراما إلا عبد الله بن الزبير الذي نظر إلى الخليفة وحياه ثم ظل يلعب في مكانه ... فناداه عمر وسأله :

لماذا لم تهرب من الطريق كالآخرين ؟
فقال عبد الله :
ولماذا أهرب ؟. ولست بظالم حتى أخشاك .. وليس الطريق ضيقا حتى أتركه لك ولم افعل ذنبا حتى أهرب منك .
ففرح الخليفة بهذا الرد وربت على رأس الفتى إعجابا بشجاعته وقال لأصحابه : سيكون لهذا الفتى شأن عظيم .. وقد صدق ظنه وأصبح عبد الله بن الزبير خليفة للمسلمين .
وقد جاء الاسلام بنظرية حديثة في

التربية كانت تعتبر ثورة في عصره وزمانه وهي أنه ألغى حاجز السن إذا توافرت الكفاءة والتقوى ... لقد كان عرب الجاهلية لا يجلون الانسان إلا بعمره وشيبته ولحيته ... والأكبر سنا هو الذي يصبح شيخ القبيلة وله الطاعة ولو كان بين شباب القبيلة من هو أعلم منه وأكفأ .

فجاء الاسلام ليحطم هذه النظرية ، وفي آخر غزوة قام بها المسلمون قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم عين الرسول أسامة بن زيد وهو فتى في التاسعة عشرة من عمره قائدا على جيش من الصحابة فيهم كبار الشيوخ أمثال أبى بكر وعمر وفيهم كبار القادة الحربيين أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وقد جاء بعض الصحابة ، إلى رسول الله أكثر من مرة يرجونه أن يجعل على قيادة الجيش واحدا من كبار الصحابة والرسول في شدة مرضه يصر ويقول لهم : انفذوا بعث أسامه .

تربية الطفل المسلم :

تكلمنا في الحلقة السابقة عن إكرام الطفل ومجالات هذا الاكرام وبقي الشق الآخر من التنشئة وهي تربية الطفل أى تعليمه الصواب والخطأ وتأديبه وتثقيفه في البيت والمدرسة وهذه هي بعض تعاليم الأسلام في التربية :

(١) لقد نهى الاسلام نهيا قاطعا عن إفساد الأطفال بالتدليل الزائد ... ففارق كبير بين العطف والمداعبة وبين التدليل والافساد ... ومن التدليل المفسد الترف الزائد في المأكل والملبس والمال .. فمثل هؤلاء الأطفال المدللين لا يرجى منهم خير ولا يصلحون لرسالة الاسلام . نظر رسول الله إلى مصعب بن عمير مقبلا عليه وهو جالس بين أصحابه في المسجد . وكان مصعب من فتيان المسلمين الذين نشأوا في ظل الدعوة ورأى رسول الله عليه ثوبا خشنا باليا وقد اخشوشنت يداه .. فقال الرسول : انظروا إلى هذا الذي نور الله قلبه بالايمان .. لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة اشتراها له أبوه بمائتي درهم فدعاه حب الله وحب رسوله إلى ما ترون .

(٢) والطفل المسلم يجب أن يحفظ الكثير من القرآن والحديث من صغره وأن يتعلم الصلاة من السابعة ويضرب عليها في العاشرة وذلك لقول رسول الله : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع » رواه أبو داود .

وحكمة ذلك أن الطفل الصغير يكون دائما أكثر مقدرة من الكبار على الحفظ والاستيعاب ، وكلما كبرنا في العمر قلت قدرتنا على الحفظ ، وليس ضروريا أن يحفظ الطفل القرآن كله كنظام الكتاب القديم ، وان قدر على ذلك كان أفضل وأعظم بل يمكن ان يحفظ الآيات التي تتناسب مع مراحل عمره المختلفة : ـ فيحفظ أولا الآيات التي تدل على خالق الكون وقدرته ووحدانيته ثم يحفظ الآيات التي تدل

على الخلق والمخلوقات والسماء والنجوم والشمس والقمر والأرض والجبال والبحار والأنهار .. ثم يحفظ الآيات التي تنبهه إلى النظر في نفسه وفي خلقه وتكوينه ونمو الجنين في بطن أمه وتطوره والحمل والرضاعة والميلاد ثم الآيات التي تحث على الرحمة ومكارم الأخلاق وهكذا نجد أن اختيار آيات الله للطفل يحتاج منا إلى تنظيم علمي ضخم ، يشترك فيه علماء التربية وعلم النفس والطب والاجتماع مع رجل الدين .. ولا تقتصر فائدة حفظ القرآن في الصغر على الجانب العلمي والأخلاقي والتربوي وحدها ، ولكنها تقوم لسانه أيضا على اللغة العربية الفصحى منذ الصغر ، وتعطيه القدرة على تفهم أسرارها وبلاغتها .

(٣) وبعض الآباء يقف موقفا سلبيا أمام أخطاء طفله إما بدافع المحبة والتدليل ، وإما بدافع السلبية والضعف ، وهو بهذا يجني على طفله ولا يعطيه الحصانة والمعرفة لمواجهة الحياة : فالحكمة العربية تقول : « من لم يعلمه أبواه علمه الليل والنهار » وتقول أيضا : « رحم الله والدا يبكي ولده حتى لا يضحك الناس عليه » ... وكثير من الأمهات تجد المتعة في أن طفلها الصغير يسبها أو يضربها وتضحك له ... وهي تنسى أن هذا الطفل عندما يكبر قد يسبها ويضربها في شيخوختها .. أي أن تربية الأبوين هي التي تخلق الابن البار العطوف .

(٤) والاسلام لا يسمح للطفل المسلم ان يكون مخربا أو مؤذيا فكما أنه يأمر بالعطف على الطفل ورحمته فكذلك يأمر الطفل نفسه أن يكون رحيما بالمخلوقات التي هي أضعف منه فلا يؤذي طفلا أصغر منه ولا يؤذي كلبا أو قطة أو طائرا ... ولا يخلع شجرة أو يتلفها ولا يتلف حديقة أو زهرة فكثير من الآباء والأمهات في عصرنا الحاضر يتركون أطفالهم يلعبون ويخربون ويزعجون الجيران .. ويتلفون كل شئ فاذا اعترض الجار قالوا : إنهم أطفال لا يفهمون فاتركهم ، وهذا نوع من التربية الجاهلة والتدليل المفسد الذي نهى عنه الاسلام .. فقد أمسك أحد الصبية بطائر صغير لا يستطيع الطيران وأخذ يعبث به ... وبينما الرسول جالس في المسجد إذ جاءت أم العصفور وأخذت ترفرف بجناحيها وتصيح على ولدها ... ففطن الرسول إلى شكواها وآلامها ... فنادى أصحابه وقال لهم : « انظروا من فجع هذه بوليدها وردوه عليها » .. فبحث الصحابة حتى وجدوا الصبي ومعه الطير فأعادوه إلى أمه ثم أخذ الرسول يعلم الطفل في رفق ألا يكون مؤذيا أو مخربا ... ومرة أخرى رأى رسول الله مجموعة من الأطفال يصطادون الطيور بالنبل .. فوقف معهم يفهمهم أضرار النبل وقال لهم : « إنها لا تصيب صيدا ... ولكنها تفقأ العين وتكسر السن » البخاري أى إن اللعب بالنبل قد لا يصيد الطير ولكنه يؤذيه ويجرحه ويصيبه بعاهة دائمة ثم نهاهم عن استعمالها .

التربية الجسمية :

لا يكتفي الاسلام في تربيته للنشء باعدادهم عاطفيا وذهنيا ولا يكتفي بتعليمهم أمور الدين والفقه والأخلاق وحثهم على طلب العلم ولكنه أيضا كان يهتم بتكوين أجسامهم وبتربيتهم تربية عسكرية ورياضية وفي ذلك يقول الرسول : « علموا أولادكم السباحة والرماية » رواه احمد .

فكان الشباب على عهد الرسول يتعلمون كل أنواع الرياضة العسكرية . ومن طريف ما يحكى في ذلك أن رسول الله كان يستعرض جيشه قبل إحدى الغزوات .. ورغم قلة الجنود المسلمين فقد كان إذا وجد شبابا أصغر من السادسة عشر عاما يردهم ، حتى وجد اثنين من فتيان المسلمين واقفين في الصف ، وكان كل منهما يشب على أصابعه حتى يبدو في طول الرجال ، فضحك رسول الله وسأل أحدهما وهو سمرة بن جندب عن سنه فقال سمرة : إن سني خمسة عشر عاما ... فربت الرسول على ظهره وقال له : اذهب يا سمرة وتدرب على القتال ثم تعال في العام القادم نأخذك ... فقال له سمرة يا رسول الله لقد تدربت على الرماية حتى لم يعد بين الرجال من هو أفضل مني ... فأخذ الرسول يمتحنه بين بعض الرجال الرماة المهرة ووضع لهم هدفا فلما تفوق سمرة في الرمي قبله الرسول بين جنوده ... ثم جاء دور زميله رافع بن خديج وكان في مثل سنه ... فقال له الرسول : اذهب يا رافع فتدرب على القتال وفي العام القادم نأخذك معنا فقال له رافع : يا رسول الله لقد أجزت سمرة وأنا أقوى منه ولو صارعني لصرعته .. فقال رسول الله دونك فصارعه : وأقام الصحابة حلقة حول الفتيين اللذين أخذا يتصارعان أمام رسول الله في حماس شديد فلما تغلب رافع على سمرة قبلهما رسول الله معا في جيشه ، وهكذا كان رسول الله يعد هذا الجيل من الشباب لغزو العالم ونشر الدعوة وحكم الشعوب .. وكان عبد الله بن الزبير بن العوام أول فتى ولد في الاسلام في مدينة رسول الله وعندما بلغ الثالثة عشرة من عمره اصطحبته أمه أسماء بنت أبي بكر معها وهي تحارب في الشام وفي معركة اليرموك .. وفي عهد عثمان بن عفان كان قد بلغ العشرين من عمره فاشترك في معركة ذات الصوارى في الاسكندرية كأحد قادة البحرية الاسلامية وهي المعركة التي دمر فيها بدو الصحراء المسلمون الأسطول البحري الروماني واستولوا على سفنه وأسروا بحارته وجنوده ... ثم اشترك بعد ذلك في غزو القسطنطينية على عهد معاوية بن أبي سفيان كأحد قادة الجيش الاسلامي .. وهكذا استطاع تلاميذ رسول الله في خلال سنوات قليلة أن يغزوا الدنيا كلها شرقا وغربا وأصبح منهم العلماء والفقهاء والقادة العسكريون وأمراء البحار ثم أصبح منهم أعدل حكام عرفتهم الانسانية في تاريخها الطويل .

وهذه هي ثمرة التربية الاسلامية للطفل .



للدكتور : حسن فتح الباب

لا غرو أن يقترن ــ في الوجدان الثقافي بصفة عامة وفي دراسات النقاد بصفة خاصة . اسم أحمد شوقي أمير الشعراء باسم حافظ إبراهيم شاعر النيل ، فقد كانا فرسي رهان في مضمار الشعر فن العربية الأول ، وذلك في أواخر القرن الماضي وفي الثلث الأول من القرن الحالي ، فقد اتفق أن ولد الشاعران في عامين متقاربين ، ولقيا ربهما في عام واحد . ولا يعرف تاريخ ميلاد حافظ على وجه التحديد ، والمرجح أنه ولد حوالي سنة ١٨٧٢ م . أما شوقي فقد ولد في ١٦ أكتوبر ١٨٧٠ م . وكانت وفاة الأول في ٢١ يوليه ١٩٣٢ م ، والثاني في ١٤ أكتوبر ١٩٣٢ م . وقد رثى شوقي حافظا بقصيدة من عيون شعره قال في مطلعها مشيرا إلى تفوق شاعر النيل في المراثي :

قد كنت أوثر أن تقول رثائي   يا منصف الموتى من الأحياء

وكانا أكبر شعراء عصرهما وأكثرهم شهرة وأغزرهم إنتاجا وأقدرهم تعبيرا عن مشاعر الأمة ، وإليهما يرجع الفضل بعد محمود سامي البارودي في بعث الشعر العربي وتجديد ديباجته وإحياء بهجته ونضارته وسحره وقوته ، والعودة به إلى عهود ازدهاره الأولى في دولة العباسيين . فكان شعرهما بذلك نقطة تحول للشعر العربي من عصر انحطاطه في أيام المماليك والعثمانيين إلى عصر تألقه الحديث ، كما غدا صوتا للوطن العربي وبداية انطلاقه إلى آفاق فسيحة من التطور مكنته ــ من خلال المعارك الأدبية التي أثارها وخاصة شعر شوقي ــ أن يفتح أبوابا جديدة للرؤية الشعرية من حيث الشكل والمضمون ، وأن يقتحم في جسارة دائرة الشعر العالمي عن جدارة أنبتتها الموهبة والارادة والممارسة والمعاناة .

ولئن كان الشاعران قد أفاضا من نفسيهما ما نفخ في الشعر العربي خلال الحقبة المشار إليها روحا وقوة ، وأسسا مدرسة واحدة اشترك معهما فيها إسماعيل صبري وأحمد نسيم وأحمد محرم وخليل مطران في مصر ، والزهاوي والرصافي في العراق ، وعمر أبو ريشة وبشارة الخوري في الشام وغيرهم ، فقد كان لكل شاعر بطبيعة الحال سماته وخصائصه التي يتفرد بها عن غيره تبعا لاختلاف حظوظهم من الموهبة والخبرة واختلاف منابعهم الثقافية واتجاهاتهم النفسية ونزعاتهم الفنية . وعلى الرغم من هذا الاختلاف فقد اتفق شوقي وحافظ في الالتزام بكثير من القضايا التي كانت سائدة في عصرهما وفي مقدمتها قضايا الوطن والعروبة والاسلام . فاتخذ كل منهما من شعره لسانا يؤكد به انتماءه إلى وطنه وقومه ودينه ، وسلاحا يدافع به عن مثله وقيمه المستمدة من هذه المقدسات .

والنزعة الدينية التي تتجلى في شعر شوقي وحافظ كانت صدى للضمير العام ، ومن ثم كانا في شعرهما الاسلامي يصدران عن البيئة السياسية والاجتماعية التي عاشا فيها ويمثلان ضمير أهلها . ويصف هذه البيئة الأديب المؤرخ المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل في المقدمة التي كتبها للشوقيات بقوله : « إنه لما

انتهت انجلترا باحتلال مصر بعد الثورة العرابية ، ونكثت بعد الاحتلال وعودها بالجلاء ، وأحس المصريون بتدخلها في شؤونهم ، اشتد عطفهم على تركيا ، وضعف تبرمهم بسيادتها عليهم ، وثبت عندهم اليقين بأن دول النصرانية تطارد دول الاسلام ، وقويت فيهم النزعة الدينية ، وكان من ذلك ما زاد النشاط في بعث الحضارة الاسلامية والأدب العربي في مصر » .

وفي تأصل هذه النزعة الاسلامية يقول الدكتور محمد حسين هيكل أيضا في موضوع آخر إنه « إلى جانب مقام العاطفة الوطنية قوية متسلطة على نفس الشاعر تقوم عاطفة أخرى لا تقل عنها قوة ، وربما كانت أشد أخذا بهذه النفس وإثارة لشاعريتها ، تلك هي العاطفة الاسلامية .. وعاطفة المسلم تتجه صوب مكة مسقط رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومقام إبراهيم كعبة المسلمين وقبلة أنظارهم . ومكة في بلاد العرب ، والنبي عربي والقرآن عربي » .

وقد عرف شوقي بأنه شاعر الاسلام والمسلمين ، وتعددت الدراسات التي كتبت عن نزعته هذه . ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لشاعر النيل مما يرجع في رأينا إلى كثرة ما أنتجه أمير الشعراء في هذا الغرض . بيد أن العاطفة الصادقة التي يفيض بها شعر حافظ الاسلامي على قلته إذا قيس بشوقي تجعله جديرا بالبحث والدراسة من تلك الناحية . وتقتضينا أن ندرسه كشاعر للاسلام كما عرفناه شاعر الوطنية وشاعر الشعب وشاعر السياسة والاجتماع ، وهي الميادين التي لم يجاره فيها أحد من شعراء عصره . وأول ما ينبغي تسجيله في هذا الصدد أن عاطفته الاسلامية كانت كما نوهنا انعكاسا لبيئته واستلهاما للشعور العام الذي ساد فيها ، كما كانت من نتاج الحياة الاجتماعية التي عاشها حافظ والمنابع الثقافية التي استقى منها . فقد كان شاعرنا ذا حس وطني بلغ من رهافته أن العلامة المرحوم أحمد أمين كاد أن يفضله عن شوقي في قصائده الوطنية بقوله : « كان شوقي إذا شعر في الترك وحروبهم والخلافة وشؤونها شعرت أنه يتحدث عن قومه ، يفخر بنصرهم ، ويعتز بعزهم ، ويراعي العلاقة القوية بين عابدين ويلدز ، وبين الخديوي والخليفة . وإذا شعر حافظ في ذلك لم نر عصبية جنسية ، إنما هي عصبية دينية ووطنية ، فهو يفخر بنصرة الترك ، لأنها نصرة للاسلام ، ويخشى على الخلافة لأن في ضعفها ضعفا لدينه وفي النيل منها نيلا من وطنه » .

وإذا كنا نعتبر حافظا شاعرا وطنيا من الطبقة الأولى ، فان مؤدي ذلك أيضا أنه شاعر إسلامي كبير . ذلك أنه لم يكن ثمة انفصال في ذلك العصر بين العاطفتين الوطنية والدينية . فمصر ــ الوطن ــ من أكبر معاقل الدين الاسلامي في ماضيها وحاضرها . وكلاهما يتأثر بالآخر ويؤثر فيه قوة وضعفا . كما تشهد وقائع التاريخ منذ الفتح العربي حتى اليوم .

وقد كان حافظ مهيأ بحكم منبته ومنشئه ليكون شاعرا إسلاميا ، إذ كان جده لأمه أمين العمرة في الحج ، وعاش شاعرنا في أوساط الجماهير واندمج في غمار الناس حيث كانت الروح الاسلامية هي السائدة . وكان الدين مادة أساسية في

المدارس التي تلقي فيها العلم بالقاهرة على اختلاف مراحلها وذلك قبل أن يدرس في المدرسة الحربية . ويتبين لنا من تاريخ حياة حافظ إبراهيم في مطلع شبابه أنه كان حريصا على أداء الفرائض الدينية . وذلك أنه حينما انتقل مع أهله إلى طنطا « تعرف به هناك الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار وكان هذا طالبا بالمعهد الأحمدي ، وذلك في شعبان سنة ١٣٠٥ هـ . إبريل ١٨٨٨ م وسن حافظ إذ ذاك نحو ستة عشر عاما .. قال الأستاذ النجار : « وقد قضينا رمضان هذه السنة نصلي المغرب والعشاء والتراويح معا ، ثم نلبث في سمر ممتع ومطارحة للشعر ومذاكرة في نوادر الأدب وما كان يطرفني به مما يقف عليه من جيد القريض إلى أن يأتي وقت السحور » .

ولا شك في أن الصداقة التي توثقت عراها بين حافظ وبين الامام الشيخ محمد عبده رائد الاصلاح الديني في عصره قد أنكت نزعة حافظ الدينية لا سيما إذا علمنا أنها نشأت في مرحلة مبكرة من عمره ، واستمرت قوية حتى اختار الله الامام إلى جواره ، فرثاه حافظ رثاء حارا متفجرا من ذوب قلبه . وكان اتصال حافظ بالأستاذ الامام أيام كان في السودان حيث سافر في الحملة الأخيرة التي كانت بقيادة اللورد كتشنر ، وطالما كتب إليه رسائل يصف له حاله ويبثه لواعجه وشجونه ، ويستغيث به المرة بعد المرة أن يرده إلى مصر « فلما عاد في سنة ١٩٠٦ م زاد اتصاله به وعطف عليه الأستاذ وأنهله من علمه وفضله .. وقد عد حافظ نفسه فتى الامام ، وكان يحضر بعض دروسه التي يلقيها على نخبة من الفضلاء في منزله بعين شمس ، ويجلس في مجالسه ، وقد يصحبه في أسفاره . وكان مجلس الشيخ ومجالس سعد زغلول وقاسم أمين ومصطفى كامل ونحوهم من أرقى المدارس ، تطرح منها المسائل العلمية والمعضلات السياسية والمشكلات الاجتماعية ، وتعرض فيها الحلول المختلفة ، وتبسط فيها أدواء الأمم وكيف عولجت وما إلى ذلك ، ولعل هذا كان أكبر منبع استقى منه حافظ أفكاره التي صاغها في شعره » .

تلك هي العوامل التي شكلت الاتجاه الاسلامي في شعر حافظ إبراهيم ، بعضها يرجع إلى نشأته الأولى ، على حين يرجع بعضها الآخر إلى التيارات البيئية والثقافية التي عاصرها . وهو يعبر عن هذا الاتجاه تعبيرا غير مباشر حينا وتعبيرا مباشرا حينا آخر . والمقصود بالأول هو تلك الروح العامة التي تشيع في ثنايا بعض القصائد حاملة نفحات الاسلام دون أن يعمد الشاعر إلى بثها والافصاح عنها ، فمثلها مثل الأشعة التي ترسلها الشمس أو القمر ، والماء الذي يسكبه الجدول ، والعبير الذي تذيعه الزهرة ، والغناء الذي يردده العصفور . فشاعر النيل يتنفس هذه الروح الاسلامية لأنها تسري فيه مسرى الدم في الشرايين ، ومن ثم نحس بها إذ نقرأ شعره في الوطنية وفي السياسة وفي الاجتماع ، لتأصل تلك الروح في نفس حافظ من جانب ولاقتران الوطنية بالدين والمجتمع في وعي الرأي العام من جانب آخر .

فاذا لاحظنا أن الكثرة الغالبة من قصائد حافظ تدور حول هذه الأغراض أمكن القول إن حافظا شاعر إسلامي وشاعر وطني واجتماعي في آن واحد . ويصدق هذا الرأي أيضا فيما يتعلق بالنزعة العربية وهي من الظواهر المميزة لشعره ، بل إن الروح الاسلامية أوثق صلة بتلك النزعة منها بالنزعة الاجتماعية أو السياسية ، لأن العروبة والاسلام يشكلان رسالة واحدة . ومما يسترعي النظر تلك القوة التي يمتاز بها تعبير حافظ عن الروح الاسلامية في بعض قصائده على الرغم من أن الاسلام ليس غرضها أو محورها الرئيسي ، وذلك دليل على صدق إيمانه بدينه وتغلغل قيمه في نفسه وانعكاس ذلك في فنه .

كما تعزى قوته في التعبير عن الاسلام تعبيرا غير مباشر إلى أنه كان في معالجته موضوعات شعره يغمس ريشته في مدار الواقع ، ويرسم صوره من صميم الحياة ، ولا ينسجها من أوهام الخيال ، فقوله يصدر من نبع الحقائق وهي الأحداث الاجتماعية والسياسية التي كان يموج بها عصره . وهو شاعر ملتزم يدعو إلى تحرير وطنه ونهضته ويهاجم أعداءه . فلا عجب أن تكون النزعة الاسلامية التي تتخلل هذه الدعوة وذلك الهجوم قوية ثائرة معبرة عما يضطرم في صدره من عاطفة جياشة وما يلتهب به من غيرة وحماسة .

وليست الصور التي يبني حافظ شعره بها هي وحدها التي تمثل طابعه الاسلامي ، بل إن قاموس الألفاظ عنده في كثير من قصائده يكاد أن يكون قاموسا إسلاميا أيضا كما نلمس هذه الظاهرة في بعض تراكيبه ، فهو يستخدم في قصيدته التي قالها مهنئا الامام بعودته من سياحته في بلاد الجزائر « نشرت في ٦ أكتوبر ١٩٠٣ م » الألفاظ الآتية : « الشرع ، الهدى ، الكتاب ، المحراب ، يوم الحساب ، المطهر الأواب ، ذوو الألباب ، المهيمن الوهاب ، الأزلام والأنصاب » ويقسم بالذي يرى ما بنفسه وهو الله تعالى اقتداء بعبارة رسول الله « والذي نفس محمد بيده » . ويصوغ معانيه في الصور الاسلامية الآتية :

خشع البحر إذ ركبت جواريـ	ـه خشوع القلوب يوم الحساب
يتجلى كأنه صحف الأبـ	ـرار منشورة بيوم المآب
علمت من تقل فانبعثت للـ	ـقصد مثل انبعاثه للثواب
فهي تسري كأنها دعوة المضـ	ـطر في مسبح الدعاء المجاب

ومن ظواهر الروح الاسلامية أيضا في شعر حافظ ظاهرة الاقتباس من القرآن والتضمين من الحديث . ومن ذلك قوله مدافعا عن الشيخ محمد عبده ضد من حمل عليه من أعدائه في الصحف ورسموا صورا تزرى بقدره :

رسموا بذاتك للنواظر جنة	محفوفة بمكاره الأشعار

إذ يشير بذلك إلى قوله صلى الله عليه وسلم : (حفت الجنة بالمكاره) . ويشبه

صورة الامام في صحف أعدائه وما كتبوه حولها من مستكره الهجو بالجنة التي حفت بالمكاره . وهو يقتبس الآية الكريمة (**وأمرهم شورى بينهم**) في قوله :

فجعلت أمر النـاس شورى بينهم وأقمـت شرع الواحـد الديان

كما يقتبس من قوله تعالى (**ووضع الكتاب فترى المجرمين**) الآية ، وذلك في البيتين الآتيين :

وضع الكتب وسيـق جمعهمـو إلى يوم الحساب وموقـف الايمان
قد جاء يومهمـو هنـا وأمامهم بعـد النشور هنـاك يوم ثاني

والأبيات الثلاثة الأخيرة وردت في قصيدة سياسية تحدث فيها حافظ عن شؤون الحكم وعلاقة الشعب بالحاكم ، وصور الجيش رجالا وسلاحا ، وطـاف بالحواضر في الشرق والغرب ، ومع ذلك فقد استخدم في تعبيره عن تلك المعاني مصطلحات ومعاني إسلامية . وفي صياغة جميلة وموسيقى رخيمة الجرس والصدى ينشئ حافظ قصيدة تمتاز بالسهولة والجزالة معا يهنئ بها عباس الثاني بقدومه من الحج « ١٣٢٧ هـ ــ ١٩٠٩ م » ، فيأسرنا ما تنضح به من عبير الشعائر المقدسة في الحج ، وتصوير هذه الشعائر تصويرا يدل على القدرة الفنية ، كما يكشف عن نشوة المشاعر الروحية بذكر فريضة الحج ولهفته الحارة إلى أدائها :

فيا ليتني اسطعت السبيـل وليتني بلغت مني الداريـن رحبـا ومغنما

ومثلما يبث حافظ إيمانه القوي بدينه في قصائده السياسية نراه يتخذ هذا النهج في غير ذلك من الأغراض ، ففي قصيدته « إلى الأرض » التي أوحى إليه بها الثوران « البركاني » الذي حدث سنة ١٩٠٢ م في المارتنيك ــ وهي إحدى جزر الهند الغربية التي كانت تتبع فرنسا وبها كثير من الفوهات « البركانية » ــ والذي لم يشهد العالم مثله في شدته وكثرة ضحاياه يقول حافظ :

أيها الناس إن يكن ذاك سخط الـ أرض ، ماذا يكون سخط السماء ؟
إن في علـو مسرحـا للمقاديـ ـر في الأرض مكمنـا للقضاء
فاتقـوا الأرض والسمـاء سواء واتقوا النـار في الثـرى والفضاء

وتتجلى نزعته الاسلامية في أكمل صورها ممتزجة بحاسته العربية المرهفة في قصيدته المشهورة التي قالها سنة ١٩٠٣ على لسان اللغة العربية تنعي حظها بين أهلها . فهي إشادة رائعة بالعروبة والاسلام ، ودعوة صارخة إلى التمسك بلغة

القرآن والانتصار لها ضد أعدائها الذين اتهموها بالضيق والجمود ، وهي التي صيغت بها أعظم الحضارات الانسانية علما وأدبا وفيها يقول :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي ؟

ويتوهج نور الاسلام في قصائد حافظ الوطنية والاجتماعية ، فهو ينهج فيها سبيل الدعوة الاسلامية ، ويؤيد منطقه بها ، ويصور الشريعة ورجالها منارا وقدوة للخير والرحمة والعدل ويكثر من ذكر القيم والمثل الاسلامية ، فيقول في الحث على تعضيد مشروع الجامعة سنة ١٩٠٨ م مشيرا إلى ما كان يقيمه عميد الدولة الانجليزية المحتلة من العقبات في سبيل إنشاء الجامعة ، متمثلا بقول الله تعالى : **(إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم) :**

وراقبوا يوم لا تفنى حصائده ... فكل حي سيجزي بالذي اكتسبا
بنى على الافك أبراجا مشيدة ... فابنوا على الحق برجا ينطح الشهبا
إن تقرضوا الله في أوطانكم فلكم ... أجر المجاهد ، طوبى للذي اكتتبا

ويردد حافظ ذكر القرض الحسن الذي نزلت به الآيات البينات في ختام قصيدة أنشدها سنة ١٩١٦ م للحث على إعانة الطلبة الشاميين بالأزهر .

أقرضوا الله يضاعف أجركم ... إن خير الأجر أجر مدخر

ويقول من قصيدة أنشدها في الحفل الذي أقامته جمعية رعاية الأطفال سنة ١٩١٠ م :

وعجزت عن شكر الذين تجردوا ... للباقيات وصالح الأعمال
خير الصنائع في الأنام صنيعة ... تنبو بحاملها عن الاذلال
وإذا النوال أتى ولم يهرق له ... ماء الوجوه فذاك خير نوال
والمحسنون لهم على إحسانهم ... يوم الاثابة عشرة الأمثال
وجزاء رب المحسنين يجل عن ... عد وعن وزن وعن مكيال

فمن البين أن الشاعر هنا يستقي من نبع الشريعة السمحة . ونلمس ذلك أيضا في قصيدته عن ملجأ رعاية الأطفال إذ يقول :

وعلمنا أن الزكاة سبيل اللـ ... ـه قبل الصلاة ، قبل الصيام

خصهـا الله في الكتـاب بذكر فهـي ركن الأركـان في الاسلام
بدأت مبـدأ اليقـين وظلـت لحيـاة الشعـوب خـير قوام
لو وفي بالزكـاة من جمـع الدنـيا وأهـوى على إقتنـاء الحطام
ما شكا الجوع معـدم أو تصدى لركـوب الشرور والآثام
راكبـا رأسه طريـدا شريدا لا يبـالي بشرعـة أو نمام
سائـلا عن وصيـة الله فيه أخـذا قوتـه بحـد الحسام

وتسود الروح الاسلامية أيضا في قصيدته التي قالها سنة ١٩١٦ م على لسان صنيعة من صنائع الجمعية الخيرية الاسلامية كان يتيما فكفلته الجمعية حتى اكتمل عقلا وعلما :

وجمـال صنـع البـر أ لا يسـتشف له حجاب
فتحـوا المـدارس حسبة وتنظـروا حسـن المآب
فيهـا تبينـت الهدى وقـرأت « فاتحـة الكتاب »
وبهـا صدفـت عن الضلا لة واهتديـت إلى الصواب
وغـدوت إنسانـا تجمـلـه الفضائـل لا الثياب
متبصرا ذا فطنة تنفـي القشور عن اللباب

وهو يفتتح قصيدة نظمها في الاشارة بانشاء ملجأ الحرية بذكر البعث من القبور بعد الموت ، مشبها به نهضة الأمة من كبوتها وتحررها من إسارها بانجاز صالح الأعمال ، وفي ذلك دلالة على قوة عقيدته وعلى تأثره فنيا بالقرآن الكريم . فقد أوحى إليه اسم الملجأ الذي اتخذه موضوعا لقصيدته بالحديث عن الحرية ، وكم هنالك من صور أدبية يعبر بها الشعراء عن هذا المعنى ، ولكن روح حافظ الاسلامية هي التي أملت عليه الصورة الدينية التي اختارها فقال :

أيهـا الطفـل لك البشرى فقد قدر الله لنـا أن ننشرا
قدر الله حيـاة حرة وأبـى سبحانـه أن تقبرا

ويختم قصيدته أيضا بما يؤكد هذه الروح ويكشف عن إيمانه العميق بالله وشريعته ، فيردد اسم الجلالة والقدرة الالهية كما صنع في المطلع ، ويذكر حكم المثوبة لمن اشترى الآخرة بالحياة الدنيا ، فيقول مستحثا على الاحسان إلى اليتيم والمسكين وابن السبيل :

كل من أحيـا يتيمـا ضائعا حسبـه من ربـه أن يؤجرا
إنمـا تحمـد عقبـى أمره من لأخـراه بدنيـاه اشترى

النسخ بين القرآن والسنة

للأستاذ حسن عبدالغني أبو غدة

قبل الكلام عن نسخ الأحكام الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، لابد من كلمة تمهيدية نعرض فيها مكانة القرآن والسنة من حيث حجيتهما ، ثم نأتي الى بيان معنى النسخ وشروطه ووقائعه .

القرآن الكريم : يطلق هذا اللفظ على كتاب الله تعالى لأنه مقروء فهو قرآن .

وجاء لفظ القرآن في قوله تعالى : **(إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)** سورة يوسف /٢ كما سمي كتابا لأنه يكتب في الصحف وغيرها : **(كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته)** سورة ص / ٢٩ . وللقرآن الكريم أسماء اخرى وردت في آيات عدة ، ومن هذه الأسماء الفرقان وكلام الله .. الخ .. ولما جمعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجعل صحفه وأوراقه كتلة واحدة – بعد أن كانت موزعة عند الصحابة – أطلق عليه اسم المصحف .

والتعريف العلمي – الاصطلاحي – للقرآن الكريم في قولهم هو : « اللفظ العربي المنزل على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنقول إلينا متواترا المبدوء بسورة الفاتحة

والمختوم بسورة الناس » فالله تعالى أوحى الى عبده محمد ألفاظا عربية حفظها المسلمون وتناقلوها جماعات عن جماعات لا مجال للاتفاق بينهم على الكذب لكثرة عددهم ، وهؤلاء حافظوا على النص المنزل من عند الله حتى وصل القرآن الينا كما أنزل على الرسول - صلى الله عليه وسلم - قبل أربعة عشر قرنا تقريبا وسيبقى بعيدا عن يد التحريف والعبث تحقيقا لوعد الله تعالى : **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** سورة الحجر / ٩ .

لقى القرآن الكريم العناية والاهتمام من الصحابة ومن بعدهم من المسلمين ، فأقبلوا عليه يقرءونه ويفهمونه ويهتدون بآياته ويحفظونها . إذ هو المصدر الأول لسعادة حياتهم ، لأن مريد الوصول الى حقيقة الدين وأصول الشريعة يجب عليه أن يجعل القرآن الكريم مرجعه ونوره الذي يهتدي به .

السنة النبوية : وتسمى حديثا نبويا أيضا ، وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع لأنها المعينة على فهم القرآن إذ عنيت بشرح قواعد القرآن وتفريع الجزئيات على كلياته . لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بمقاصد القرآن .

ولفظ السنة في اللغة العربية يراد به الطريقة محمودة كانت أو مذمومة ومن ذلك قول الرسول « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » أخرجه مسلم .

أما التعريف العلمي - الاصطلاحي - للسنة النبوية فهو : « ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير » .

والسنة القولية : ما تحدث بها النبي صلى الله عليه وسلم في مختلف المناسبات مما يتعلق بتشريع الأحكام ، ومن ذلك قوله : « الحياء من الايمان » متفق عليه .

والسنة الفعلية : ما نقلها الصحابة من أفعال الرسول في شئون التشريع من عبادة وحج ومعاملات وجهاد ومن ذلك ما أخرجه الترمذي وابن حبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخلل لحيته الشريفة عند الوضوء - أي يبللها بالماء بأصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم .

والسنة التقريرية : ما أقرها الرسول من أفعال صدرت عن بعض أصحابه كأن سكت عنها أو أيدها ومن ذلك سكوته عن عمرو بن العاص رضي الله عنه حينما أصابته جنابة فتيمم وصلى لأن الوقت كان شديد البرد كما أخرج أبو داوود وأحمد وكما أقر الرسول

أكل خالد بن الوليد للضب أمامه وامتنع رسول الله عن أكله لعدم إلفته لذلك لأنه لم يكن منتشرا في قومه كما في الحديث المتفق عليه .

وكما أن القرآن الكريم حجة يستند اليها في استخلاص الأحكام الشرعية فكذلك السنة النبوية إذ يجب الأخذ بها والاعتماد عليها لقوله تعالى في سورة الحشر : **(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب)** الآية /٧ وماذكرناه من تعريف للسنة فذلك قول علماء الأصول ، لأن البحث عن الأحكام وقواعد الدين وطرق الأدلة وثبوتها من اختصاصهم . أما الفقهاء والمحدثون فلهم تعريفات أخرى تناسب ما يقصدونه من غرض البحث .

وقد تلقى الصحابة أحاديث الرسول من مخالطتهم له في المسجد والسوق والبيت والسفر والحضر بل إن جميع ما يصدر عن رسول الله كان موضع اهتمامهم ، وبلغ من حرصهم أنهم كانوا يتناوبون في ملازمة الرسول والأخذ عنه ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشتغل وجار له في الزراعة ، يذهب جاره مرة ليسمع من رسول الله ثم يذهب عمر مرة ويتبادلان العلم والاسترشاد بما سمعا من رسول الله في فروع الحياة وسبل المعيشة ، وإذا كان العمل بالقرآن واجبا فالعمل بالسنة واجب ايضا لأن كلا العملين من طاعة الله والله لم يرسل رسولا الا ليطاع : **(وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله)** النساء /٦٤ غير أن العلماء فرقوا بين حقيقة القرآن والسنة بأن ألفاظ القرآن ومعانيه من عند الله تعالى وهو معجز ومتعبد بتلاوته في الصلاة وغيرها . أما السنة فألفاظها من عند رسول الله أما معانيها فمن عند الله تعالى بمعنى أن الله يوحي الى رسوله أمورا يعبر عنها رسول الله من كلامه هو ، ثم إن السنة غير معجزة لعدم تحدي الناس بها ولا يجوز التعبد بها في الصلاة .

النسخ : النسخ في اللغة العربية الازالة ، والنقل ، فمن الازالة قولنا : نسخت الشمس الظل أي أزالت الشمس الظل ، ومن النقل قولنا : نسخت الكتاب أي نقلت ما كتب فيه .

والنسخ في الاصطلاح العلمي : « رفع حكم شرعي أو لفظه بدليل متأخر من الكتاب والسنة » إذ كان من رحمة الله بعباده ان غير لهم بعض الأحكام الشرعية ، وقد نقل ذلك التغيير بالقرآن الكريم أو بالسنة النبوية ، ومما جاء نسخه قول الله تعالى : **(إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا)** الانفال/٦٥ فهذه الآية كانت توجب على المسلمين أن يصمد العشرون منهم أمام مائتين والمائة أمام الألف ، ولكن الله نسخ هذا الحكم رحمة بالمؤمنين بما في قوله : **(الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن**

منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين) الأنفال /٦٦ وصار الواجب على الفرد المسلم أن يثبت في القتال أمام الرجلين من اعدائه ولا يجوز له الانهزام أو التراجع إلا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة .

وقوع النسخ وحكمته : والنسخ ـ الذي هو تغيير الأحكام بأحكام متأخرة عنها أو رفعها ـ قد وقع في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ليس لأحد بعده أن ينسخ من أحكام الدين أو يرفعها لأنه صلى الله عليه وسلم هو المبلغ عن ربه والموحي إليه بذلك . ورفع الأحكام مقبول وجائز في العقل لأن الله بيده الأمر وله الحكم وهو الرب المالك ، له أن يشرع لعباده ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والرحمة ، وهو الذي يعلم أن في النسخ قياما لمصالح الناس الدينية والدنيوية ، والمصالح قد تختلف بحسب الأزمان والأحوال فربما كان الحكم في وقت أو حال أصلح للعباد ، ولكن غيره في وقت أو حال أخرى أصلح منه ، والله عليم حكيم . وما دام العقل يتصور حدوث النسخ كان عليه أن يسلم بحدوثه إن نقل بطرق صحيحة لا يرقى الشك إليها . هذا وقد ذكرت حكم وفوائد للنسخ لا بأس من الاشارة إليها منها :

١ ـ اختبار المكلفين باستعدادهم لقبول التحول من حكم الى آخر ورضاهم بذلك .

٢ ـ مراعاة مصالح العباد بتشريع ما هو أنفع لهم .

٣ ـ التدرج والتغيير في الأحكام حتى يبلغ المكلفون الكمال المراد والنضج العقلي .

٤ ـ اختبار المكلفين بقيامهم بواجب الشكر إذا كان النسخ الى أخف وواجب التصبر إن كان إلى أثقل وأشد .

شروط نسخ الأحكام : لا يجوز إهمال نص شرعي أو حكم ما بحجة أنه منسوخ بمجرد أن يقع البصر على ذلك النص أو الحكم . إن التجرؤ على القول في الدين بغير علم ولا دراية بهتان عظيم وضلال كبير . بل لابد من الرجوع الى المصادر الموثوقة التي أثبتت فيها النصوص المنسوخة . وقبل ذلك لابد من معرفة أن العلماء المختصين قد شرطوا شروطا يجب أن تتوفر حتى يصار الى العمل بالناسخ . وقد ذكرت تلك الشروط نتيجة التتبع والاستقراء الكامل لأطراف الموضوع وهذه الشروط هي :

١ ـ تعذر الجمع بين الحكم المظنون انه ناسخ والحكم المنسوخ ، أما اذا أمكن الجمع بين الدليلين والعمل بهما فلا يعدل عن ذلك إذ هما مطلوبان ولا يزال حكمهما ساريا . وقد أسرف من قال بأن آيات المجادلة بالحسنى والدعوة الى الصبر والتحمل منسوخة بآيات المقاتلة والجهاد . لأننا حين نعمل النظر في كلا الأمرين نرى أنه يمكن العمل بهما والجمع بينهما . وهل هناك نسخ لأسلوب دعوة الناس ومناقشتهم وإقناعهم بالحجة والموعظة الحسنة ؟ إن بامكان المسلمين أن يدعوا غيرهم ويصبروا

على أذاهم وليس لأحد أن يقول إن ذلك الحكم منسوخ وأن على المسلمين أن يشرعوا سلاحهم في وجه خصومهم تمسكا بآيات المقاتلة والجهاد .

٢ ـ العلم بتأخر النص الناسخ : ومعرفة التاريخ ضرورية في ذلك وطرق معرفته إما التصريح بذلك من اللفظ المتأخر أو بخبر من صحابي أو بمعرفة وقائع الحادثة حين يذكر تاريخها وأيامها .. ومثال معرفة التاريخ من لفظ النص الناسخ قوله صلى الله عليه وسلم : « كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة » رواه مسلم . فقد صرح الحديث بالاباحة ثم أتبعها بالحكم المحرم الناسخ فعرف عند ذلك بأن نكاح المتعة كان مباحا ثم حرمه الاسلام .

ومثال خبر الصحابي قول عائشة رضي الله عنها : « كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات » رواه مسلم فهي قد حددت المنسوخ والناسخ .

ومثال معرفة ذلك من وقائع الحادثة وذكر تاريخها قوله تعالى : (**الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا**) إذ في الآية دلالة على تأخر تاريخ هذا الحكم عن الذي قبله ، وقد سبق شرح هذا المثال .

٣ ـ ثبوت الناسخ ثبوتا قطعيا أو صحيحا من حيث الرواية . أما إن كان ثبوته ضعيفا فلا يؤخذ به ، لأنه لا مجال للاستدلال بالضعيف في الأحكام والتشريع .

ما لا يقبل النسخ : لئن كان النسخ واقعا في أحكام الأدلة الشرعية أو ألفاظها فان العلماء قد أشاروا الى امور لا تقبل النسخ والتغيير لأنها بمثابة قواعد دينية ثابتة فلذا كان النسخ ممتنعا فيها وهذه الأمور هي :

١ ـ ما كان الحسن والمصلحة دائما فيها دون تأثر بتغير الأزمان والأماكن ، لأن حسنها لا يختلف باختلاف الأمم وذلك كوجوب الايمان بالله ووحدانيته وبر الوالدين والصدق .. فأمثال هذه الأمور لا يمكن أن تكون واجبة ثم تنسخ فتحرم وكذلك حرمة الأذى والكذب والزنى فهي أمور لا يأتي عليها إباحة بعد تحريم ولا تقبل النسخ ، لأن نظرة الدين إليها واحدة لا تتأثر باختلاف الأزمنة فهي بمثابة أركان الشريعة بل الشرائع التي أرسل الله بها رسله ليحققوا للناس مصالحهم ويدفعوا عنهم المفاسد .

٢ ـ كذلك لا يمكن وقوع النسخ على حكم نص الشارع على تأبيده وذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة : « وإن الله حرم ذلك الى يوم القيامة » رواه مسلم فلا يصح بل لا يتصور بعد هذا التحريم المؤبد أن يأتي نص يبيح نكاح المتعة لأن نتيجة ذلك وقوع التضاد بين الأخبار الشرعية وهذا ما ينزه عنه الشارع الحكيم . كما أن الخبر الشرعي عن شيء مضى لا يقبل النسخ وكذلك الوعد في المستقبل كاخباره عن انتصار الروم في سنين مقبلة كقوله تعالى

(ألم . غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد) الروم /١ـ ٤ لان ورود النسخ على ذلك الخبر سحب له فهو بمثابة التكذيب للخبر والكذب وإخلاف الوعد يستحيل على الشارع .

النسخ بين القرآن والسنة : لا خلاف بين العلماء في جواز نسخ القرآن بالقرآن إلا ما كان من أبي مسلم الأصفهاني الذي لا يلتفت الى رأيه لمعارضته الصريح المنقول من منطوق القرآن العزيز ووقائع السنة : **(ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها)** البقرة /١٠٦ .

كما لا خلاف بين العلماء في نسخ السنة المطهرة وتغيير أحكامها بسنة مطهرة صحيحة النقل فان كانت متواترة ـ ينقلها جماعات عن جماعات ـ فيشترط في نسخها تواتر الناسخ ، وإن كانت آحادا ـ ينقلها فرد او افراد عن مثلهم ـ فيشترط في نسخها آحادية الناسخ ، ومن باب أولى ينسخ الآحاد بالمتواتر .

أما ما وراء ذلك فقد كان للعلماء فيه آراء نوضحها بما يلي :

١ ـ نسخ السنة الشريفة بالقرآن الكريم : بمعنى هل يجوز أن ينسخ نص قرآني حكم نص سابق ثبت بالسنة النبوية ؟ وهل جاءت نصوص من السنة ثم غيرها نص من القرآن ؟ جمهور العلماء أجازوا هذا النسخ وسلموا بوقوعه لما رواه البخاري ومسلم أن المسلمين ـ في اول هجرتهم الى المدينة ـ صلوا بضعة عشر شهرا متجهين الى بيت المقدس ، ثم إن الله نسخ هذا الحكم الثابت من السنة بآيات من القرآن الكريم تأمر بالتوجه الى الكعبة المعظمة قال تعالى : **(قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام)** البقرة/ ١٤٤ .

والامام الشافعي رحمه الله لم يوافق على القول بنسخ السنة بالقرآن لاحتمال أن يدعي أحد ترك الأحاديث المنشئة لحكم ما محتجا باطلاق القرآن ، خاصة إذا لم يعلم المتقدم منهما . بل ربما يدعي بعضهم أن آيات جلد الزاني نسخت حكم رجم الزاني الثابت في السنة النبوية . قال في الرسالة : « وهكذا سنة رسول الله لا ينسخها إلا سنة لرسول الله .. » ولو جاز ان يقال قد سن رسول الله ثم نسخ سنته بالقرآن ولا يؤثر عن رسول الله السنة الناسخة ، جاز أن يقال فيما حرم رسول الله من البيوع كلها قد كان يحتمل أن يكون حرمها قبل أن ينزل عليه قوله تعالى : **(أحل الله البيع وحرم الربا)** البقرة/ ٢٧٥ وفيمن رجم من الزناة قد كان يحتمل أن يكون الرجم منسوخا لقول الله تعالى : **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة)** غير أن هذا احتمال لا يخطر على بال مسلم بل عالم بالشريعة خاصة وأنه لا يصار الى النسخ إلا بعد تعذر الجمع بين الدليلين والتأكد من المتقدم والمتأخر

من حيث الزمن .

٢ ـ نسخ القرآن الكريم بالسنة النبوية : وبيان ذلك انه هل يجوز أن ينسخ نص من السنة نصا من القرآن الكريم ؟ فالسنة ناسخة والقرآن منسوخ ـ كما هو واضح ـ فالجمهور وعلماء الحنفية منهم قالوا بجواز ذلك في العقل ووقوعه فعلا . وقد اشترطوا لنسخ القرآن بالسنة أن يكون الناسخ من السنة متواترا أو مشهورا من حيث الثبوت . أما خبر الآحاد فلا ينسخ نصا قرآنيا . وحجتهم في ذلك أن الحديث المتواتر قطعي الثبوت فهو كالقرآن الكريم في ذلك والمشهور من الأحاديث كقطعي الثبوت ـ المتواتر ـ لأنه اكتسب الشهرة عند العلماء . ومثلوا لذلك بأن الله جعل الوصية للوالدين والأقربين مقررة في الآية الكريمة : **(كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف)** البقرة/ ١٨٠ ثم نسخ هذا الحكم فمنع الوصية للوالدين والأقربين الوارثين في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور : « لا وصية لوارث » رواه أحمد والترمذي وغيرهما . وصار من المقرر في الشريعة الاسلامية أن الوصية لوارث غير صحيحة لأن الحديث المشهور المعمول به لدى جماهير العلماء نسخ حكم الآية الكريمة . بل إن ابن حجر في كتابه « فتح الباري » نقل عن الشافعي أن حديث « لا وصية لوارث » متواتر . ولكن بعض العلماء ومنهم الشافعي خالفوا الحنفية فيما ذهبوا اليه ومنعوا نسخ القرآن بالسنة سواء كانت متواترة أم مشهورة أم آحادا . مستدلين بقوله تعالى : **(ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها)** البقرة/١٠٦ فصريح القرآن يدل على أن الناسخ لابد أن يكون مثل المنسوخ إن لم يكن خيرا منه . ومن المتفق عليه أن السنة ليست مثل القرآن ولا خيرا منه . بل إن عمل السنة متعين في بيان الكتاب الكريم وتفصيل أحكامه والتفريع عليها لا نسخها وتغييرها : **(لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)** النحل/ ٤٤ فالقرآن في هذه الآية يخبرنا أن سنة الرسول مبينة له ومفصلة لأحكامه وليست ناسخة ومعدلة لها .

وأجابوا عن مثال الحنفية حول الوصية بأن آية المواريث : **(يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد)** النساء /١١ هذه الآية ناسخة لآية الوصية للوالدين والأقربين المتقدم ذكرها . ثم إن حديث لا وصية لوارث جاء بحكم جديد وبهذا اشتهر عند العلماء في أنه أنشأ حكما جديدا منع فيه الوارث عن الوصية . ولا شك في أن الاستقراء يدل على عدم وجود نص قرآني أبطلته السنة وحدها . وغاية ما وردت به السنة الزيادة على القرآن أو بيان حكم

جديد .

كلمة أخيرة : يعرف النسخ بالرجوع الى المصادر المختصة مثل كتب التفسير عامة وكتب تفسير آيات الأحكام ، والكتب الشارحة لأحاديث الأحكام وما كتب في علوم القرآن واصول الفقه عن النسخ ، أو ما أفرد البحث فيه عن النسخ سواء في القرآن أم في السنة .

وينبغي أن نشير الى أن بعض العلماء بالغوا في ادعاء النسخ وأكثروا من إيراد الأمثلة عليه ، بل إن بعضهم ادخل كثيرا من العموم المخصص في عداد المنسوخ ، وخلط بين النسخ وبداء الأحكام الشرعية وبين نسخ الأحكام . ومن الغرائب ما نقله ابن العربي في « أحكام القرآن » والقرطبي في « الجامع لأحكام القرآن » ، عن بعضهم أن آية واحدة في القرآن نسخ أولها بآخرها وهي قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)** المائدة / ١٠٥ فأول الآية يأمر بالتزام النفس والحفاظ عليها بالعزلة عن الآخرين وآخرها يدعو الى الاهتداء لأن الهدى هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك من سنن النبوة وذلك قوله (اهتديتم) ومن الغرائب ما نقله القرطبي عن سعيد بن جبير من أنه كان يرى نسخ إطعام الطعام للأسير ـ الوارد في الآية الكريمة **(ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)** الانسان/٨ ـ بالآية القرآنية **(وقاتلوا المشركين كافة)** التوبة/٣٦ وهي التي تشتهر بآية السيف . وقد أسرف ابن سلامة فيما أورده في كتابه « الناسخ والمنسوخ » غير أن السيوطي في كتابه « الاتقان في علوم القرآن » ابدى اعتدالا حينما قدر الآيات القرآنية المنسوخة باثنتين وعشرين آية ، وقد تابعه الزرقاني في ذلك وعددها في كتابه « مناهل العرفان في علوم القرآن » أما في المنسوخ من الحديث النبوي الشريف فقد أفرد له ابن الجوزي رسالة ذكر فيها ما نسخ من الأحاديث وسماها « إخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث » .

ومما سبق نستخلص أن النسخ غير كثير في القرآن الكريم والسنة الشريفة ـ لا كما ادعى بعضهم ـ لأن حكمة النسخ ليست منحصرة في تبديل أكثر قدر من الأحكام المقررة وإنما هي في تأهيل المكلفين واختبارهم والانتقال بهم في بعض مراحل زمنية بتشريع ما هو أنفع لهم على مرور الزمن وبشكل مستقر ودائم . والمعتمد في ثبوت النسخ استيفاء الشروط المتفق عليها بين العلماء ـ وقد تقدم ذكرها ـ ولا يعتمد أي قول بالنسخ مبني على رأي أو اجتهاد إذ لا نسخ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لأنه هو الأمين على الرسالة المبلغ لأوامر الله ـ فلابد من إثبات النسخ بنقل صريح صحيح عن رسول الله او عن صحابي . وإذا ما ثبت نسخ حكم أو نص فلا يعمل به ولا تبنى عليه أحكام اجتهادية لانتهاء العمل به شرعا .

إلا تنصروه

للأستاذ عبدالحميد المشهدي

(إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) التوبة/٤٠

جلس الحبر « دانيال » في ظل الشجرة المجاورة لمنزله بين مجموعة من بني قومه ، تلهى بعضهم بلعب الميسر ، وانشغل آخرون بالحديث عن رحلة الصيف الى الشام ، واشتبك فريق ثالث في الحديث حول استعداد اهل يثرب لملاقاة النبي محمد والحفاوة به ، وما يمكن أن يؤدي اليه نفوذه من الخطر على شريعة إسرائيل وتجارتها .. فكنت ترى الحبر تارة منتصب القامة يستعرض ثوبه في ضوء الشمس ويفليه ، وتارة اخرى مكبا عليه يرتق فتوقه ، ويدعم خروقه ، وثالثة تنام يده عن الحركة ليدلى بدلوه في المناقشة الدائرة حول قدوم الوافد الجديد .. ثم احتدت المناقشة ، وارتفعت يد الحبر في وجه احدهم بصوته العالي الاجش ، فسقطت الابرة من يده ، فقام وأقام من حوله — في ذعر — للبحث عنها ، وانتقل مجال النقاش عن ظروف الضيف القادم — الى البحث عن إبرة الحبر التي سقطت فجأة من يده ، وهو ينافح عن رأيه ، وراح الكل يبحث عنها هنا وهناك ، وداس أحدهم على نعل الحبر فانقطع شراكه ، فزاد غضبه وهياجه ، وكاد يشتبك مع غريمه في معركة ، لولا أن قطع عليهم ضوضاءهم — صوت (فنحاص) أحد زعمائهم قائلا :

— كأن الجزع على إبرة ونعل ، سيلهينا عن البحث في مستقبل بني إسرائيل

الحبر — محتدا — إن إبرة ونعلا في يدي — خير عندي من إسرائيل نفسه

الكل — في تضاحك وتمايل .. ثم قال أحدهم .

— هذا (مشكم) قد وافانا من أحشاء يثرب فلعله يحمل من أنباء القادم — ما هو جديد .

— نامت الألسن ، وشخصت الأبصار فترة الى مشكم ، ثم تحرك لسانه وقال :

— لازال القوم في انتظار صاحبهم ،

فقد نصره الله

يروحون مع الشمس ، ويغدون مع النجوم ، ويتحسسون أخباره من الوافدين في شوق وقلق .

ميمون ــ ولم لا يكون له مثل هذا الشأن ، وقد ألف بسحره بين زعماء الأوس والخزرج بعد أجيال من الحروب بينهما وسفك الدماء ، ثم هادن بدهائه عقائد النصارى واليهود ، حتى يتفرغ لكل فريق على انفراد ، على أنه إذا كان قد ألف بين زعماء الأوس والخزرج ــ فقد فرق بين الوالد وولده والمرء وزوجه ، مما حفز قومه على مطاردته لقتله .

الحبر ــ دعوا الحكم على الموقف حتى نرى من تصرفات الرجل ما يسمح لنا بالحكم عليه .

أصوات ــ الى الغد الى الغد

انفرط عقد الاجتماع الا من شخص واحد مقوس الظهر ، يبحث عن إبرته المنشودة وبالقرب منه صهره شاءول ، وقد اعتزم أن يكون أول من تقع عينه على الرجل الذي ملك على اصحابه قلوبهم ، وأول من يعلنها لهم ، فيذهب وحده بحسن الصيت ونبوغ الأحدوثه .. فراح يزرع فضاء الطريق ببصره ، فتارة تخدعه بعض الهضاب ، يظنها إبلا ، وتغريه تارة أخرى تموجات السراب يتوهمها قافلة ، فاذا تأهب لاعلان ما يرى ، وتجلت له الحقيقة عاد مبهورا ، حتى رأى عن بعد شاسع ثلاثة رجال ودليلهم على مطيتين ، بينهم من يحمل بعض الأوصاف التي سمعها من صهره الحبر ، فشهق ثم عاد فسكن ، ولكنهم كلما دنوا تحققت لديه علاقة جديدة مما سمعه في وصف رسول الله ، فيطفر دم الفرح في وجهه ، ويتلفت يمينا وشمالا ، ليتأكد خلو المكان ممن عساهم يشاركونه اكتشافه ثم أمعن في القادمين وصاح بأعلى صوته :

ــ يا معشر الأوس والخزرج هذا صاحبكم قد جاء .. والله إنه هو بعينه وضىء رغم آثار السفر . منبلج الوجه وفي عينيه دعج .

لم يكد شاءول يتم نداءه ، حتى تداعت جموع المسلمين من كل مكان كأنهم الجراد انتشارا ، والسيل

تدافعا ، وعلى رأسهم عمر وعثمان وسعد بن ابي معاذ وعبادة بن الصامت ، وأسيد بن الحضير وغيرهم من أساطين الصحابة في عدتهم وسلاحهم ، فسلموا على رسول الله وهتفوا مكبرين ..

عمر ـ ادخلوها إن شاء الله آمنين .

وهز السرور بريدة بن الحصيب ، فاتخذ من عمامته راية وشدها على رمح ، وراح يسير أمام ناقة الرسول ثم قال له على من تنزل يا نبي الله ؟؟

رسول الله ـ إن ناقتي هذه مأمورة ..

نزل ركب الرسول (بقباء) وحل ضيفا على كلثوم بن الهرم سيد بني عمرو بن عوف ، وظل في ضيافته أياما بنى خلالها مسجد قباء ، ثم عاد فركب ناقته واتجه صوب المدينة ، فكان الناظر اليها عن بعد يراها وكأنها سابحة في أمواج من البشر ، فهؤلاء كبار الصحابة في سيوفهم المشرعة كشجرة متشابكة الأغصان ، وهؤلاء مجموعة من محاربي الاحباش يقومون برقصتهم الحربية ، وكأنهم ومعهم حرابهم تحت التراب الثائر ـ نجوم تتلألأ في ظلام الليل ، وهذه مجموعات كثيرة وفي أيديهم سعف النخيل وافنان الشجر مشرعة تهتز وتتمايل وهم يرددون .

الله أكبر هذا سيد العرب
الله أكبر أوصانا بخير نبي
الله أكبر يا ابن مطلب
خير الجدود وأعلاها ذرى نسب

وهاتيك ربات الخدور قد برزن كالأزهار فوق الأسطح وبين الشرفات يرددن اللحن الخالد :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع

أخذت الناقة سبيلها من جديد بين مظاهر الفرح ومباهج السرور ، فما ترك كلثوم بن الهرم زمام الناقة إلا ليد عتبان بن مالك سيد بنى سالم ، وما تخلت يد عتبان إلا لزياد بن لبيد ، وما اسلمته يد زياد إلا لسعد بن عباده ، وسلمها سعد ليد بنى عدى بن النجار ، ورسول الله يقول : « خلو سبيلها فانها مأمورة » .

سارت ناقة النبي غير بعيد عن دار أبي أيوب الأنصاري ثم عادت إليها وبركت :

الرسول ـ أى بيوت أهلنا أقرب ؟

أبو أيوب ـ دارى يا رسول الله .. أتأذن في أن أرفع اليها رحلك

الرسول ـ اذهب فهيىء لنا مقيلا ، فالمرء مع رحله

أبو أيوب ـ قد هيأناه فادخل على بركة .. الله

رسول الله ـ وهو يدخل ـ رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين .

توارت الشمس خلف غلالة الشفق في اليوم العاشر من ربيع ، واهتزت الأغصان بين يدي النسيم نديا

حانيا ، وارتفع ثغاء الغنم فرحة برحلة العودة الى حظائرها تحت سحائب الغبار ، وصاحت أمهات الأطيار بأفراخها ، تحتضنها ، وتطمئن على ذكورها عائدة من جولات الرزق طيلة النهار ، وأطلت النجوم من شرفاتها تزين الكـــون بنور محياها ، وتحرس فضاء الدنيا من كل مارد جبار ، وكــأنها تحالفت جميعا على أن تشارك « يثرب » أفراحها بمقدم المصطفى المختار .

وبين النخيل المياسة في بستان بني عوف . جلس عامر بن فهيرة وعبدالله ابن أريقط وزيد بن حارثة وبريد بن الحصيب يأكلون التمر ويتبادلون أطراف الحديث ، فقال بريدة لصاحبه وهو يحاوره ــ ومن أي طريق جاء رسول الله وما وفد قادم على يثرب ــ إلا أنكر وجودكم في طريقه .

عامر بن فهيرة ــ لقد سلكنا طريق الساحل لأنها غير مطروقة ، ومع هذا فما كدنا نسير بعيدا عن مكة حتى سمعنا وقع حوافر فرس جامحة تحمل فارسين شاكـــي السلاح ، فتمكن الخوف من أبي بكر على سلامة رسول الله فقال له : (لا تحزن إن الله معنا) ثم توجه الى السماء وقال : (اللهم اكفناه بما شئت) فعثر الفرس ووقع على منخريه فخر عنه راكباه ولكنهما لم يزدجرا طمعا في الجعل ثم انهضاه وركبا من جديد ، فلم يسر غير بعيد حتى ساخت مقدمتا الفرس الى ركبتيه ، فخرا الى الارض مرة اخرى ثم عادا فركبا ، ولم يكد الجواد يقطع بضع خطوات حتى ساخت مقدمتاه الى لبته ، فنادى : يا محمد انا سراقة بن مالك ، ادع الله لى أن يطلق فرسي ، فأرجع عنك وأرد من ورائي فدعا له وانطلق فرسه وركباه حتى كانا دوننا بقليل ثم قال :

إني لأعلم بعد هذا الذي حدث أن أمرك سيظهر ، وأنك ستملك قلوب الناس ، فعاهدني إذا أتيتك يوم ذاك أن تكرمني ، فكتب أبو بكر له عهدا بذلك بأمر من رسول الله[٣] ثم قال له : وكيف بك يا سراقة إذا سورت يوما بسوار كسرى .

سراقة ــ كسري بن هرمز ؟

رسول الله ــ نعم ..

سراقة ــ فرحا قريرا ــ هذا يا رسول الله رحلي ومتاعي فخذوه ، وعند الثنية القادمة ــ قطيع من غنمي فاذبحوا واحملوا معكـــم منها ما تشاؤون .

الرسول ــ إذا لم ترغب في الاسلام ــ فلا حاجة بنا الى متاعك ومنيحتك ، اكفنا نفسك ورد عنا من ورائك .

سراقة ــ لك في عنقي ذلك برا ووفاء ! بريدة بن الحصيب ــ وما سر هذه الوضاءة تكسو رسول الله ، بينما السفر الطويل والشمس محرقة .

عامر بن فهيرة ــ لقد لازمت رسول الله سحابة وفية ندية رخية منذ زايلنا مكة ... حتى وافينا (يثرب) .

أصوات ــ الله أكبر الله أكبر .

الفتاوى

للشيخ عطية صقر

السبحة

السؤال :

ـ يقول بعض الناس : . إن التسبيح بالسبحة بدعة تبطل الأجر أو تقلل منه ، فهل هذا صحيح ؟

ع . ن بميناء سعود ـ الكويت

الجواب :

السبحة « بضم السين المهملة وسكون الباء الموحدة » هي الخرز المنظوم ، والتي يعد بها الذكر والتسبيح ، وقيل : إنها عربية وتجمع على « سبح » بضم السين ، وقيل : إنها مولدة .

وإحصاء الذكر بالسبحة من اختراع الهند ، كما يقول الأستاذ السيد أبو النصر أحمد الحسيني « مجلة ثقافة الهند ـ سبتمبر ١٩٥٥ » اخترعه الدين البرهمي فيها ، ثم تسرب الى البلاد والأديان الأخرى ، وتسمى السبحة في اللغة السنسكريتية القديمة في الهند « جب ما لا » أي عقد الذكر .

ثم يقول : وتختلف الفرق البرهمية في عدد حباتها وفي ترتيبها ، فالفرقة الشيوائية سبحتها أربع وثمانون حبة ، والفرقة الوشنوية سبحتها مائة وثمان حبات . والخلاف راجع الى حاصل ضرب ١٢ « عدد الأبراج السماوية » في ٧ « عدد النجوم الظاهرة بما فيها الشمس والقمر عند الفرقة الاولى » أو في ٩ « عدد النجوم الظاهرة عند الفرقة الثانية باضافة أحوال القمر الثلاثة » وكل سبع حبات في مجموعة متميزة .

وعند ظهور البوذية في الهند بعد البرهمية اختار رهبانها السبحة الوشنوية « ١٠٨ » من الحبات . وعند تفرق طوائفها في البلاد قلد رهبان النصرانية هؤلاء فيها . وكل ذلك قبل ظهور الاسلام .

جاء الاسلام فأمر بذكر الله كما أمر بسائر العبادات والقربات والطاعات ، وإذا كان الأمر بالذكر قد ورد مطلقا بدون حصر في عدد معين أو حالة خاصة كما في قوله تعالى (**الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم**) آل عمران / ١٩١ وقوله أيضا : (**يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا . وسبحوه بكرة وأصيلا**) الأحزاب / ٤١ ، ٤٢ ـ فقد وردت أحاديث تحدد عدده ووقته ، كما في

ختام الصلاة بثلاث وثلاثين تسبيحة ، وثلاث وثلاثين تحميدة ، وثلاث وثلاثين تكبيرة ، وتمام المائة : لا إله إلا الله وحده .... وكما جاء في نصوص أخرى في فضل بعض الذكر عشر مرات أو مائة مرة ، وهنا يحتاج الذاكر إلى ضبط العدد ، فبأي وسيلة يكون ذلك ؟

ليس في الاسلام وسيلة معينة أمرنا بالتزامها حتى لا يجوز غيرها ، والأمر متروك لعرف الناس وعاداتهم في ضبط أمورهم وحصرها ، والاسلام لا يمنع من ذلك إلا ما تعارض مع ما جاء به .

والمأثور أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعقد التسبيح بيده ، كما رواه ابو داود والترمذي والنسائي والحاكم وصححه عن ابن عمر ، وأرشد أصحابه الى الاستعانة بالأنامل عند ذلك ، فقد روى أبو داود والترمذي والحاكم عن « بسرة » وكانت من المهاجرات ، أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ، ولا تغفلن فتنسين التوحيد ، واعقدن بالأنامل فانهن مسؤولات مستنطقات » .

غير أن الأمر بالعد بالأصابع ليس على سبيل الحصر بحيث يمنع العد بغيرها ، صحيح ان العد بالاصابع فيه اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، لكنه هو نفسه لم يمنع العد بغيرها ، بل أقره ، وإقراره من أدلة المشروعية .

أ ــ أخرج الترمذي والحاكم والطبراني عن صفية رضي الله عنها قالت : دخل علي رسول الله صلى اللهعليه وسلم ، وبين يدي أربعة آلاف نواة أسبح بهن ، فقال « ما هذا يا بنت حيي » ؟ قلت : أسبح بهن ، قال : « قد سبحت منذ قمت على رأسك أكثر من هذا » قلت : علمني يا رسول الله ، قال « قولي سبحان الله عدد ما خلق من شيء » . والحديث صحيح .

ب ــ وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه عن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة ، وبين يديها نوى أو حصى تسبح ، فقال « أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل ؟ قولي : سبحان الله عدد ما خلق في السماء ، سبحان الله عدد ما خلق في الارض ، سبحان الله عدد ما بين ذلك . وسبحان الله عدد ما هو خالق ، الله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، ولا قوة إلا بالله مثل ذلك » .

والى جانب إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لهذا العمل وعدم الانكار عليه ، اتخذ عدد من الصحابة والسلف الصالح النوى والحصى وعقد الخيط وغيرها وسيلة لضبط العدد في التسبيح ، ولم يثبت إنكار عليهم .

١ ــ ففي مسند أحمد ــ في باب الزهد ــ أن أبا صفية ــ وهو رجل من الصحابة ــ كان يسبح بالحصى ، وجاء في معجم الصحابة للبغوى أن أبا صفية ، وهو مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يوضع له نطع ــ فراش من

جلد ـ ويجاء بزنبيل فيه حصى فيسبح به الى نصف النهار ، ثم يرفع ، فاذا صلى الأولى أتى به فيسبح به حتى يمسي .

٢ ـ وروي أبو داود أن أبا هريرة كان له كيس فيه حصى أو نوى يجلس على السرير ، وأسفل منه جارية سوداء ، فيسبح ، حتى اذا انفد ما في الكيس فدفعته إليه يسبح . ونقل ابن أبي شيبة عن عكرمة أن أبا هريرة كان له خيط فيه ألفا عقدة ، فكان لا ينام حتى يسبح به اثنى عشر ألف تسبيحة .

٣ ـ وأخرج أحمد أيضا في باب الزهد أن أبا الدرداء كان له نوى من نوى العجوة في كيس ، فاذا صلى الغداة ـ الصبح ـ أخرجهن واحدة واحدة يسبح بهن حتى ينفدن .

٤ ـ وأخرج ابن أبي شيبة أن سعد بن أبي وقاص كان يسبح بالحصى أو النوى ، وأن أبا سعيد الخدري كان يسبح أيضا بالحصى .

٥ ـ وجاء في كتاب « المناهل المسلسلة لعبد الباقي » أن فاطمة بنت الحسين كان لها خيط تسبح به .

٦ ـ وذكر المبرد في « الكامل » أن علي بن عبد الله بن عباس المتوفي ١١٠هـ كان له خمسمائة أصل شجرة من الزيتون ، وكان يصلي كل يوم إلى كل أصل ركعتين ، فكان يدعى « ذا النفثات » فكأنه كان يعد تركعه بالأشجار .

[لايهمنا من هذا الخبر الذي لم تتوفر له مقومات الصدق عدد ما كان يصليه صاحب هذه الأشجار في اليوم الواحد ، وهو ألف ركعة ، إنما يهمنا هو أن وسيلة الاحصاء كانت الشجر] .

وبناء على هذه الأخبار لم تكن « السبحة » المعهودة لنا معروفة عند المسلمين حتى أوائل القرن الثاني الهجري ، ويؤيد ذلك ما نقله الزبيدي في « تاج العروس » عن شيخه : أن السبحة ليست من اللغة في شيء ، ولا تعرفها العرب ، إنما حدثت في الصدر الأول إعانة على الذكر وتذكيراً وتنشيطاً .

يقول الأستاذ الحسيني في المجلة المذكورة : ويظهر أن استعمالها تسرب بين المسلمين في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، فان أبا نواس ذكرها وهو في السجن ، في قصيدة خاطب بها الوزير ابن الربيع في عهد الأمين « ١٩٣ ـ ١٩٨ » .

أنت يا ابن الربيع ألزمتني النسك وعودتنيه والخير عادة
فارعوى باطلي وأقصر حبلي وتبدلت عفة وزهادة
المسابيح في ذراعي والمصحف في لبتي مكان القلادة

وهو أقدم ذكر للسبحة بالشعر العربي فيما يعلم .

ولما شاعت بين المسلمين استعملها بكثرة العامة من المشتغلين بالعبادة ، ولم يستحسنها علماؤهم ، ولذلك لما رؤيت في القرن الثالث الهجري في يد « الجنيد » اعترض عليه وقيل له : أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة ؟ فقال : طريق وصلت به إلى ربي لا أفارقه « الرسالة القشيرية » .

وذكر ابو القاسم الطبري في كتاب « كرامات الأولياء » أن أبا مسلم الخولاني كانت له سبحة ، وأن كثيرا من الشيوخ كانت لهم سبح يسبحون بها ، وذكروا في فوائدها أنها تذكر الانسان بالله كلما رآها أو حملها ، وتساعده على دوام الذكر ، وعلى ضبط العدد .

وبقي استعمالها بين المسلمين بين راض عنها وكاره لها ، حتى كان القرن الخامس ، فانتشرت بين النساء المتعبدات ، الى أن عمت بين الناس جميعا ، ويحتفظ في أضرحة بعض الأولياء بسبحهم التي ينتظم بعضها ألف حبة ذات حجم كبير .

ولم يصح في مدحها خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، كالذي أخرجه الديلمي مرفوعا « نعم المذكر السبحة » ، كما لا يصح ما نقل عن الحسن البصري أنه ، عندما قيل له : أنت مع السبحة مع حسن عبادتك ؟ قال : هذا شيء استعملناه في البدايات ما كنا لنتركه في النهايات .

ولم ينقل عن أحد من السلف ولا من الخلف المنع من عد الذكر بالسبحة ، ولا يعدون ذلك مكروها . وقد سئل بعضهم ، وهو يعد بالتسبيح : أتعد على الله ؟ فقال : لا ، ولكن أعد له .

وجعل حبات السبحة اليوم مائة أو ثلاثا وثلاثين راجع الى الحديث الصحيح في ختم الصلاة .

وبناء على ما سبق ذكره يكون التسبيح بغير عقد الأصابع مشروعا ، لكن أيهما أفضل ؟ يقول السيوطي : رأيت في كتاب « تحفة العباد » ومصنف متأخر عاصر الجلال البلقيني فصلا حسنا في السبحة قال فيه ما نصه : قال بعض العلماء : عقد التسبيح بالأنامل أفضل من السبحة لحديث ابن عمرو ، لكن يقال : إن المسبح إن أمن الغلط كان عقده بالأنامل أفضل ، وإلا فالسبحة أولى . والسنة أن يكون باليمين كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجاء ذلك في رواية لأبي داود وغيره .

« انظر : الحاوي للفتاوي للسيوطي ، ونيل الأوطار للشوكاني » .

هذا ، وقد تفنن الناس اليوم في صنع السبحة من حيث المادة والحجم والشكل واللون والزخرفة وعدد الحبات ، وعني باقتنائها كبار الناس ، سواء أكان ذلك للتسبيح أم للهواية أم لغرض آخر ، ولا يمكننا أن نتدخل في الحكم على ذلك ، فالله أعلم بنياتهم ، ولكل امرىء ما نوى .

وأقول : إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « واعقدن بالأنامل فانهن مسئولات مستنطقات » فان حبات المسبحة لا تحركها في يد الانسان الا الأنامل ، وهي ستسأل وتستنطق عند الله لتشهد أنه كان يسبح بها ، ولا يجوز التوسع في إطلاق اسم البدعة على ما لم يكن معروفا في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا أن يجر الخلاف في السبحة الى جدل عقيم قد يضر ، والأهم من ذلك هو الاخلاص في الذكر ولا تضر بعد ذلك وسيلته ، والله ينظر الى القلوب كما صح في الحديث .



جاءتنا هذه القصيدة بعنوان :

« عجبت لا تنتهي »

عجبت للأرض تعطى الخير أهليها — والكفر يرجمها والشرك يؤذيها
عجبت للشمس من في الصبح يظهرها — ومن وراء الدجى في الليل يخفيها
عجبت للحبة الصماء نبذرها — في الأرض تؤتى ثمارا ثم نجنيها
عجبت للوردة الفيحاء نقطفها — من ذا الذي أودع العطر الذي فيها
عجبت للأم تؤتى الدر إن ولدت — وان تكن عاقرا لا در يأتيها
عجبت للطير في الأرجاء سابحة — تسعى بجد ورزق اليوم يكفيها
عجبت للشهد أم الشهد تصنعه — من ذا الذي لجميل الصنع يهديها
عجبت للحية الرقطاء مسكنها — في الصخر لا ماء بين الصخر يرويها
عجبت للروح أين الروح في جسدي — من عنده علمها سبحان باريها
عجبت لاتنتهي إن جد قائلها — لم يؤت علما عن الأشياء يحصيها
العلم لله كل الأرض قبضته — إن شاء يقبضها أو شاء يبقيها
سبحانه من إله واحد أحد — يبلي العظام وأنى شاء يحييها

عوض الحسيني محمد قشطه

كما جاءتنا من السيد صلاح الدين محمد الكامل كلمة بعنوان :

أسوة حسنة

الأسرة هي الوحدة الأساسية التي تتكون منها الأمة . وقد عنيت بها الشريعة الاسلامية أجل عناية باعداد هذه الوحدة لتؤدي وظيفتها على الوجه

الأكمل في تكوين شخصية الفرد فيها ليستطيع مواجهة المجتمع بمطالبه وتبعاته ، وكان للاسلام الفضل الأول في ميدان تنظيم الأسرة فتناولت تشريعاته جميع نواحيها ، ووضعت الحلول لكل مشاكلها . وخير ما يفيدنا في بيان ذلك أن نلتمسه من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في داره ، وقد أمرنا الله تعالى أن نتخذ منه أسوة حسنة في كل ما تنتظم به شؤون الحياة ، قال تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوَة حسنة) ..

وكانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في داره أصفى معين تؤخذ منه الهداية فقد كانت حياته تسير على وتيرة واحدة من السعادة والفهم الواعي وقال برواية ابن حيان وابن ماجه قال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » . كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخدم نفسه بنفسه ، وكان يتولى خدمة البيت .

كان النبي رحيم القلب لين الجانب خافض الجناح في معاملة الأولاد بنوع خاص وهذا شأنه ، كان يوصي بالضعفاء ويوصي صحبه إنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم » .

وما زلنا نعلم عن معاملته لصغار الأولاد الذين كان يحملهم ويداعبهم وكان الحسن يمتطى ظهره وهو ساجد في الصلاة فيطيل السجود وإذا سأله الصحابة عن هذا التطويل يقول : « ان ابني ارتحلني فأحببت ألا أزعجه عن راحلته » .. تلك النفحة ما زال الكثير لا يعمل بها ، كم رأيت أطفالا مثل الحسن ،.. ولكنني لم أر أسوة الرسول .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم حكيما في سياسته لزوجاته ، يعدل بينهن بالسوية ، ولا يحمله حب إحداهن على غمط حق الأخرى .. ولا يترك مظلومة حتى ينتصف لها من الأخرى ، ذلك إن العدل يجب أن يسود في الأسرة حتى تستقيم الأمور . كان الرسول يطلع عائشة على ألعاب الحبشة التي يقدمونها في المسجد وكانت تطلع متكئة على كتفه ، .. لقد كان الرسول يعالج أمور أسرته بالحسنى ويحل المشاكل بالكياسة لقد كان لا يغضب إلا لله . ولا ينتقم إلا أن تنتهك حرمات الله لقد كانت الواحدة من زوجاته تهجره اليوم والليلة وكن يراجعنه في الكلام ويكثرن المطالب ، ومع ذلك لم يرفع يدا ليضرب بها ، ولم يطلق لسانه بعيب يجرح شعور واحدة منهن ، كان يتحمل ما قد يكون من مضايقات تفرضها طبيعة المرأة ويساعده على هذا التحمل ما اختاره لنفسه من العيش المتواضع ، وما مرن عليه من الحلم والصفح الجميل ، ويوصي قائلا : « اتقوا الله في الضعيفين : النساء والرقيق » .





بريد الوعي الاسلامي

التكبير في العيدين

نسمع المصلين في العيدين يكبرون ، فهل لهذا التكبير صيغة خاصة ذكرها الفقهاء ، وهل له دليل لديهم وما حكم صلاة العيدين .
محمود علي السيد احمد ـ الفيحاء ـ الكويت

شرعت صلاة العيدين في السنة الاولى من الهجرة ، وهي سنة مؤكدة واظب عليها الرسول صلى الله عليه وسلم .

هذا وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكبر يوم الفطر من حين خروجه من بيته حتى يأتي المصلى .

وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان اذا غدا يوم الأضحى ، ويوم الفطر يجهر بالتكبير حتى يأتي المصلى ، ثم يكبر حتى يأتي الامام .

ولا شك أن التكبير ذكر لله سبحانه وتعالى وهو في العيدين شعار لهما تعارف عليه المسلمون ، وتناقلته الأجيال المؤمنة دون نكير ، وقد أكد ذلك الأئمة من فقهاء المسلمين على اختلاف بينهم في درجة ثبوته ، وكل الآراء في النهاية أثبتت مشروعيته مستندين في ذلك على أدلة من الكتاب والسنة من ذلك قول الله سبحانه :
(ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم) .

يقول الامام الشافعي رضي الله عنه سمعت من أرضاه من العلماء بالقرآن الكريم يقول :
المراد بالعدة عدة الصوم ، ـ وبالتكبير ـ عند الاكمال .
ولا مانع من أن يكون التكبير في الأضحى قياسا على التكبير في الفطر .
وقد أخذ الفقهاء من قول الله سبحانه : **(واذكروا الله في أيام معدودات)** دليلا على التكبير في الأضحى إذ بعد انتهاء الحاج من التلبية ، وهي شعار الحج يبقى شعار العيد وهو التكبير متصلا بالسلام في الصلاة غير مفصول عنه ، ويسن أن يكون جهرا ، ويستمر حتى عصر آخر أيام التشريق .

وصيغة التكبير كما اختاره الأحناف والشافعية : (الله اكبر الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد ، الله اكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا

وسبحان الله بكرة وأصيلا ، لا اله الا الله وحده صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا اله الا الله ، ولا نعبد الا اياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، وعلى اصحاب سيدنا محمد ، وعلى أنصار سيدنا محمد ، وعلى أزواج سيدنا محمد ، وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا) .

العرب في روديسيا

أرسل الأخ **مفيد عبدالسلام مصطفى** رسالة حول وصول العرب لروديسيا بعد وصولهم الى موزمبيق وتركهم آثارا واضحة بينة تدل على استيطانهم لها ، وقد كان ذلك في القرن الخامس عشر ، تعقيبا على موضوع نشر بالوعي الاسلامي في العدد ١٧٤ تحت عنوان هل وصل العرب الى روديسيا .

يقول لم يكن ذهاب العرب الى تلك البلاد للصيد ، بل ذهبوا هناك من أجل الكشوف الجغرافية والرحلات البحرية عبر المحيط الهندي على سواحل افريقية الشرقية ، بل والأهم من هذا أن اسلامهم كان يسيطر عليهم ويدفعهم لجذب غيرهم للاسلام ، كذلك وصل التجار العرب سواحل افريقية الشرقية حتى أقصى الجنوب من موزمبيق ، وكل همهم كسب أرض جديدة للاسلام ، ولقد كانوا أمثلة طيبة للاسلام والمسلمين بما يتحلون به من أخلاق وعادات دينية .

واثناء رحلة فاسكو داجاما في طريقه عبر المحيط الاطلنطي وصل رأس الرجاء الصالح ، ثم دار حوله واتجه شمالا الى المياه العربية محاذيا شاطئ افريقية الشرقية وتروي كتب التاريخ انه استعان ببحار عربي كان يقطن هو وجماعة من العرب في موزامبيق في منطقة تتصل بروديسيا أرشده هذا البحار العربي الى طريق الهند .

وقد كان العرب الذين عبروا نهر « بولا وابو » يستقرون في روديسيا ويتكاثرون .

من اجل هذا استطاع شعب روديسيا أن يلم ببعض صفات العرب ، وتقاليدهم ، وعاداتهم ومنهم من تعلم الدين الحنيف واعتنقه وسار على نهجه أولاده وذووه .

ولما جاء المستعمرون من الغربيين المسيحيين اضطهدوا المسلمين وأجبروهم على التنصر بالقوة ، ولكن بقيت قبائل كثيرة من تلك البلاد الافريقية محافظة على سنن وتعاليم الاسلام .

وإنا لنرجو أن يعود هؤلاء مرة ثانية بعد أن زال كابوس الاستعمار عن كاهلهم الى سالف عهد آبائهم ويكون الاسلام الحنيف دينهم ليهديهم كما نور لأسلافهم من قبل طريقهم وسار بهم الى مرضاة ربهم .



مع الشباب

الشباب هم ذخر الامة ، ومحط امالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .

ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .

ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

مفهوم الحضارة

أرسل الأخ محمود حماد غنايم يسأل عن سلامة القول بأن الاسلام هو الحضارة الكاملة ، ولم يذكر القرآن أو الحديث أنه حضارة ، بل صرحا بأنه دين .

نقول له : هذه ألفاظ لا تغير المضمون منها مادامت تصلك بالمراد .

وكون الاسلام هو الحضارة الكاملة تعبير عن واقع هذا الدين إذا أريد بالحضارة مفهومها الصحيح الشامل للروح والمادة ، والذي لا تتغير أصوله بتغير الزمان والمكان والألفاظ .

واذا كان القرآن الكريم والحديث الشريف لم يذكرا هذه الألفاظ الحديثة العصرية فان هذا لا يمنع من اطلاقها على الدين ، مادامت تؤدي المفهوم الصحيح المستمد من الدين ، ومادامت لا تخرج عما يريده الاسلام للناس من نظام دقيق محكم يرعى مصالحهم ، ويحثهم على رعاية مصالح الآخرين .

ولا يجوز أن تطلق على الدين بالمفهوم الذي يريده الناس ، فان في بعض المفاهيم مخالفة صريحة لما في الدين .

فمثلا عد بعض الناس الفنون بما فيها من انحلال وضياع ، والمعاملات المالية الحاضرة بما فيها من ظلم واحتكار وأكل لأموال الناس بالباطل من مقومات الحضارة .

فهل يجوز أن يكون ذلك على إطلاقه من الحضارة ، وهو ليس من الدين ؟

إن المقاييس الصحيحة للحضارة هى مقاييس الدين حتى يكون إطلاق هذا اللفظ سائغا لا حرج في ذكره في معرض الحديث عن الحضارة الاسلامية .

أنقذوا المجتمع

أرسل الينا الأخ ابراهيم حمد هندي رسالة ينادي فيها جمهرة الشباب أن تعالوا نلتقي تحت راية الاسلام ، بصوت كله حب ، وفهم لتعاليم الاسلام التي لو تمسك بها الناس ، وساروا وفق هديها لأنقذوا المجتمع البشري كله من براثن الرذيلة ، والمساوىء والأخطاء ، فالاسلام دين الحياة الفاضلة فيه سعادة الفرد في الدنيا ونجاته في الآخرة والفوز برضوان الله سبحانه .
ننقل للقارىء الكريم فقرات من تلك الرسالة :

أجل ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض واجب علينا ، وقد قال الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة** » وذلك بردعهم عن الشر وتوجيههم وجه الخير والفلاح ، فعلى العالم هداية الجاهل ، وعلى المستيقظ هداية الغافل المستهتر ، وعلى القوى ارشاد الضعيف ، وعلى الكبير توجيه الصغير .

ولو أن كل قادر على انكار المنكر والأمر بالمعروف فعل ما يستطيعه لتغيرت جملة من المنكرات ولغنمنا كثيرا من الخيرات .

ان الانسان بأصغريه . قلبه ولسانه ، فهذا اللسان تلك النعمة الكبرى التي من الله بها على البشرية إن هو إلا أداة تساعدنا على إنقاذ الجاهلين من براثن الجهل والظلمات ، وتقودنا الى طريق الهدى والخير ، بل هو البريد الذي طالما حمل لواء النصر والنجاة لأمم كانت ترزح تحت نير الظلم والاستعباد .

اما نساؤنا فحبذا لو يجعلن قسما من أحاديثهن الكثيرة ، التي لا تسنح للرجال ، عبارة عن مناقشات لرفع مستوى الحياة العائلية ، وتطهيرها مثلا . ويتحدثن عن الطرق الناجحة في تربية الأطفال تربية مثلى ، وكم يجمل بنسائنا الصالحات اللواتي يربين أولادهن على الفضيلة والدين أن يظهرن أهمية تأثير الدين في تربية النشء الجديد ليكن قدوة لغيرهن من النساء الغافلات ، ولا شك أن في تلك الأحاديث لذة ولها آثار حميدة ، أين منها إضاعة الوقت الثمين بالنميمة ، والغيبة وما لا طائل له من الأحاديث الفارغة .

وأخيرا لنرددالحديث الشريف القائل : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » حتى يكون ذلك حافزا لعالمنا ليقوم بواجبه على اكمل وجه وليقوم الوالد والوالدة والمعلم والحاكم كل بعمله ودعوته على أحسن وجه يرضى رب العالمين ، فان من وراء ذلك من الثمرات المرجوة ما يغير مجتمعنا تغيرا كليا ويجعله مجتمعا مثاليا حقا .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

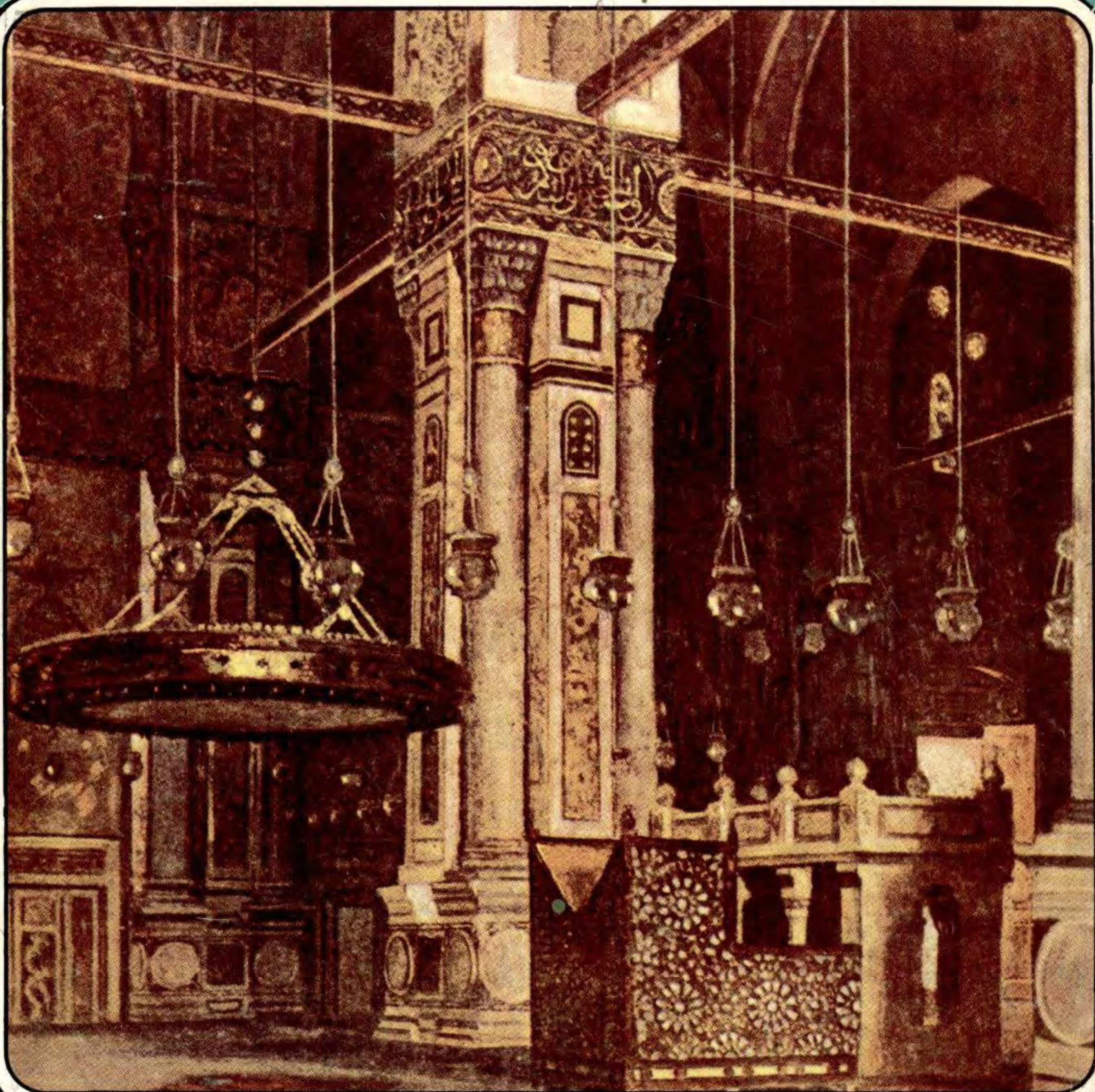
أيام الأسبوع	[illegible]	[illegible]	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الخميس	١	٢٠	١٢ ١٩	١ ٤٤	٦ ٥٢	٩ ٤٢	١ ٢٣	٥ ١٣	٦ ٣٨	١١ ٤٥	٢ ٣٥	٤ ٥٤	٦ ١٦
الجمعة	٢	٢١	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٣	٣٨	٤٦	٣٦	٥٤	١٧
السبت	٣	٢٢	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٤	٣٩	٤٦	٣٦	٥٥	١٧
الاحد	٤	٢٣	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٤	٣٩	٤٧	٣٧	٥٥	١٧
الاثنين	٥	٢٤	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٥	٤٠	٤٧	٣٧	٥٦	١٨
الثلاثاء	٦	٢٥	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٥	٤٠	٤٨	٣٨	٥٦	١٩
الاربعاء	٧	٢٦	١٩	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣	١٦	٤٠	٤٨	٣٨	٥٧	١٩
الخميس	٨	٢٧	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١٦	٤١	٤٩	٣٩	٥٧	٢٠
الجمعة	٩	٢٨	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١٦	٤١	٤٩	٣٩	٥٨	٢٠
السبت	١٠	٢٩	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣	١٧	٤٢	٥٠	٤٠	٥٩	٢١
الاحد	١١	٣٠	١٧	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	١٧	٤٢	٥٠	٤١	٥٩	٢١
الاثنين	١٢	٣١	١٧	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	١٧	٤٢	٥١	٤١	٥ ٠٠	٢٢
الثلاثاء	١٣	يناير	١٧	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	١٨	٤٢	٥١	٤٢	٠٠	٢٣
الاربعاء	١٤	٢	١٦	٤٢	٥١	٤٢	٢٣	١٨	٤٣	٥٢	٤٢	٠١	٢٤
الخميس	١٥	٣	١٦	٤١	٥١	٤٢	٢٣	١٨	٤٣	٥٢	٤٣	٢	٢٤
الجمعة	١٦	٤	١٦	٤١	٥١	٤٢	٢٣	١٨	٤٣	٥٣	٤٤	٢	٢٥
السبت	١٧	٥	١٥	٤٠	٥٠	٤٢	٢٣	١٩	٤٣	٥٣	٤٥	٣	٢٦
الاحد	١٨	٦	١٥	٤٠	٥٠	٤٢	٢٣	١٩	٤٣	٥٤	٤٦	٤	٢٦
الاثنين	١٩	٧	١٤	٣٩	٥٠	٤٢	٢٣	١٩	٤٣	٥٤	٤٦	٥	٢٧
الثلاثاء	٢٠	٨	١٤	٣٩	٥٠	٤٢	٢٣	١٩	٤٤	٥٥	٤٧	٥	٢٨
الاربعاء	٢١	٩	١٣	٣٨	٤٩	٤٢	٢٣	١٩	٤٤	٥٥	٤٨	٦	٢٨
الخميس	٢٢	١٠	١٣	٣٧	٤٩	٤١	٢٢	٢٠	٤٤	٥٥	٤٨	٧	٢٩
الجمعة	٢٣	١١	١٢	٣٦	٤٨	٤١	٢٢	٢٠	٤٤	٥٦	٤٩	٨	٣٠
السبت	٢٤	١٢	١١	٣٥	٤٨	٤١	٢٢	٢٠	٤٤	٥٦	٥٠	٩	٣٠
الاحد	٢٥	١٣	١١	٣٤	٤٧	٤١	٢٢	٢٠	٤٤	٥٧	٥١	٩	٣١
الاثنين	٢٦	١٤	١٠	٣٣	٤٧	٤١	٢٢	٢٠	٤٤	٥٧	٥١	١٠	٣٢
الثلاثاء	٢٧	١٥	٩	٣٢	٤٦	٤١	٢٢	٢٠	٤٣	٥٧	٥٢	١١	٣٣
الاربعاء	٢٨	١٦	٨	٣١	٤٦	٤١	٢١	٢٠	٤٣	٥٨	٥٣	١٢	٣٣
الخميس	٢٩	١٧	٧	٣٠	٤٥	٤١	٢١	٢٠	٤٣	٥٨	٥٤	١٣	٣٤

هدية العدد : براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٨٣ ○ ربيع الأول ١٤٠٠ هـ ○ يناير ١٩٨٠ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

المشكاوات الزجاجية النادرة التي تفنن الصناع المسلمون في تشكيلها تتدلى من سقف الساحة الداخلية لمسجد الرفاعي بالقاهرة .

انظر صفحة (٦٨)

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٨٣ ○ ربيع الأول ١٤٠٠ هـ ○ يناير ١٩٨٠ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



الرحمة المهداة

دار الفلك دورة أخرى ، فأظل العالم من جديد شهر ربيع الأول .. وهو شهر يحمل للبشرية بأسرها من الذكريات أمجدها ويجدد لها من الدروس أنفعها وأخلدها

ويتيح لنا - بعودته - الفرصة ، كي نكون - بالقدوة والاتباع ، لا بالادعاء والتمني - خير أمة أخرجت للناس .

ولقد اختار العليم الحكيم شهر ربيع الأول ميعادا لمولد خيرته من خلقه ، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب .

وجعل حياته حياة للوجود من فناء كاد يأتي على بنيانه من القواعد وكان الوليد السعيد سرا إلهيا في ضمير الكون ، يميط الله عنه اللثام رويدا رويدا ، بما تواتر بين يديه من إرهاصات معبرة ، وشواهد دالة على ما ينتظره الوجود - بمولد محمد ورسالته - من حياة راضية ، تزخر بالخير والدعة ، وتجيش بالنماء والسعة ، وتتحرك بدواعي الازدهار ، وتحفل بأماني الصفو والاستقرار ، وجل الله الذي يمتن علينا وعلى الناس بنبيه صلى الله عليه وسلم بمثل قوله .

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) التوبة/ ١٢٨

(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) آل عمران/ ١٦٤

لقد عرا الدنيا في شتى جوانبها من الضلال ضروب ، فانحرفت عن الصواب في عقيدتها ، وتداخلت فيها حدود الخير والشر ، فرأت المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ، واهتزت فيها الروابط الاجتماعية بين الأفراد والجماعات ، وبين الأمم والشعوب ، في اكبر دول الأرض يومئذ ، وفي الجزيرة العربية ، التي ذهبت دون سواها بحظ من الفضائل النفسية اعرب عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »

وكانت به أهلا لأن يصطفى الله منها مصطفاه ، وهو سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته .

في هذا الجو المضطرم بالشر والكفر ، جاء محمد صلى الله عليه وسلم كما يجيء الماء الزلال من الصخر ، وكما يشرق وجه الحياة بنور الصباح بعد ليل طال ، واعتكر ظلامه !!

وأمد الله بأمداد فضله مصطفاه ، وأعده ليكون الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، وأرسله بالهدى ودين الحق للناس كلهم ، عربهم وعجمهم ، فهدى من أراد الله من الضلالة ، وعلمهم من الجهالة ، وصاروا بالاسلام خير من عرفت الحياة ، من أزلها والى أبدها ،

لقد رد النبي صلى الله عليه وسلم عقول الناس وقلوبهم إلى الله وواجههم بآياته المتلوة ، والمجلوة في الأنفس والآفاق على سواء .. وزكى بذلك أرواحهم ، باعتبارها منطلق كل صلاح وإصلاح .. فكان المسلمون اهلا لأن يسلكهم الله مع مصطفاه في سمط الاشادة به وبهم في قوله تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود) الفتح / ٢٩ .

فما عدا مما بدا ؟!..

لقد سيطرت في جوانب من دنيانا غفلات ، وطغت شهوات ، وتصيرت الهمم عن ان نكون في الدين والدنيا على مستوى أوائلنا ، وخلب بصائر وابصارا ما يقذفنا به الأعداء من مذاهب وأفكار لا توضع في كفة ميزان أمام وحى السماء .

إن رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هى المنار الهادى إلى الجادة ، وهناك سكينة القلوب ، ونعمة الأمن ، وواحة السلام الحق ، وقيادة الحياة من جديد ، بالايمان ، وإلى آخر الزمان ..

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) النور / ٥٥ .

فاستنجزوا موعود الله ، وانتم تعيدون الى الاسلام هيمنته الحقة الى دنياكم ، وجزى الله عنا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ما هو أهله .

رئيس التحرير

أحمد البيومي

دراسات قرآنية

أولا : مدى كلمتي (القـرآن) و (الكتاب) في بعض آيات القرآن الكريم

ـ ١ ـ

مـن المسلـم به أن كلمتـي (القرآن) و(الكتاب) تطلقان على جميع ما في المصحف الشريف . وفي القرآن آيات كثيرة تفيد مع ذلك أن هاتين الكلمتين بدء باطلاقهما على ما كان ينزل من القرآن قبل أن يتم تمامه أيضا ، وهي تعد بالمئات وفي سور مكية ومدنية بحيث تغني كثرتها عن التمثيل الكثير فنكتفي بهذه الأمثلة لبيان المقصود :

١ ـ **(يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبـد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم)** المائدة/١٠١ .

٢ـ **(وإذا تتلى عليهم آياتنـا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا**

للاستاذ : محمد عزة دروزة

ائت بقرآن غير هذا أو بدله) يونس ١٥/ .

٣ ـ (الرّ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير . ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير) هود ١ - ٢ مكية .

٤ ـ (الرّ تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) الحجر ١/مكية .

٥ ـ (يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا) المزمل ١ ـ ٤ مكية .

ـ ٢ ـ

رغم أن في القرآن آيات كثيرة أيضا تفيد أن كلمتي (القرآن) و(الكتاب) تعنيان نوعا خاصا من القرآن ، وليس جميعه ، على اختلاف أنواعه ، وليس ما كان يتنزل منه مطلقا قبل أن يتم تمامه .. وهذه الآيات أيضا مدنية ومكية وإن كانت المكية اكثر بكثير من المدنية . كما يلمح في الأمثلة التالية :

١ ـ (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) البقرة/٢٣ مدنية .

٢ ـ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) البقرة/٨٩ مدنية .

٣ ـ (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) المائدة ١٥ و١٦ مدنية .

٤ ـ (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) الأنعام/١٥٥ مكية .

٥ ـ (المص . كتاب أنزلناه إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين) الأعراف ١ و٢ مكية .

٦ ـ (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون) يونس/١٥ ـ ١٦ مكية .

٧ ـ (وما كان هذا القرآن أن

يفتري من دون الله ولكن تصديق الذين بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) يونس/٣٧ ـ ٣٨ مكية .

٨ ـ (إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) الاسراء/٩و١٠ مكية .

٩ ـ (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا) الاسراء/٨٨ و٨٩ مكية .

١٠ ـ (طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ـ إلا تذكرة لمن يخشى) طه/١ ـ ٣ مكية .

١١ ـ (وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) الفرقان/٣٠ مكية .

١٢ ـ (وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) الفرقان/٣٢ مكية .

١٣ ـ (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) ص/٢٩ مكية .

١٤ ـ (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) فصلت/٢٦ مكية .

ـ ٣ ـ

والمتبادر بكل قوة أن المقصود من الكلمتين في هذه الآيات وأمثالها الكثيرة : نوع خاص من (القرآن والكتاب) وعلى كل حال فان الآيات نفسها وأمثالها الكثيرة جدا والآيات التي فيها حكاية لأقوال الكفار وجدالهم والرد عليهم والحملة عليهم وهي كثيرة جدا في السور المكية والمدنية وأكثرها في السور المكية ومنها على سبيل المثال :

١ ـ (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) النساء/١٠٥ مدنية .

٢ ـ (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) المائدة/٤٨ مدنية .

٣ ـ (وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) المائدة/٨٣ مدنية .

٤ ـ (ومنهم من يستمع اليك

وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين) الانعام/٢٥ مكية .

٥ ـ **(أفغير الله ابتغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين)** الأنعام/١١٤ ـ مكية .

٦ ـ **(فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل)** هود/١٢ ـ مكية .

٧ ـ **(قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا)** الاسراء/١٠٧ و١٠٨ مكية .

٨ ـ **(وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا)** الفرقان ٤ و٥ مكية .

٩ ـ **(وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين)** سبأ/٣١ مكية .

١٠ ـ **(وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين)** سبأ/٤٣ مكية .

نقول إن هذه الآيات وأمثالها الكثيرة جدا والتي منها فصول طويلة في سور عديدة من ذلك النوع الخاص لأنها تشير إليه ولا يكون هذا هو المشار إليه بطبيعة الحال .

ـ ٤ ـ

فما هو هذا النوع الخاص الذي أريد بالكلمتين في كثير من آيات القرآن ؟ والذي يتبادر لنا جوابا على هذا السؤال والله أعلم : أنه عنى بالقرآن والكتاب في بدء الاسراء واستقر في أذهان الكفار والمؤمنين على السواء أنه السور والفصول التي احتوت :

١ ـ الدعوة الى الايمان بالله وحده ، وتوكيد استحقاقه للعبادة وحده . وتنزيهه عن الأولاد والشركاء واستغنائه عنهم . وتسفيه الشرك واتخاذ الشركاء وإشراكهم معه بالعبادة بصفتهم أبناء ه وبناته وبقصد التقرب اليه والاستشفاع بهم عنده .

وكانت العقيدة العامة عند العرب قبل الاسلام : الايمان بالله وكونه الخالق المدبر وإشراك شركاء معه في العبادة والدعاء والاستشفاع بهم لديه

والتقرب بهم اليه مما احتوى القرآن آيات كثيرة في تقريره وتسفيه المشركين عبره نكتفي منه بهذه الأمثلة :

أ ـ (**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون**) يونس/١٨ .

ب ـ (**قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون . فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون . كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون . قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون . قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون**) يونس ٣١ ـ ٣٥ .

جـ ـ (**قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فأنى تسحرون . بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون . ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون . عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون**) . المؤمنون ٨٤ ـ ٩٢ .

٢) الدعوة الى البر بالضعفاء والفقراء والمساكين واليتامى .

٣) شجب التفاخر بالأنساب والأموال وتقرير كون الأكرم عند الله هو الأتقى .

٤) إقامة الصلاة لله تعالى عبادة لله .

٥) أداء زكاة الأموال تطهيرا لها وعبادة لله .

٦) العدل والاحسان والتواصي بالحق والمرحمة .

٧) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى الخير .

٨) الوفاء بالعهد والكيل والوزن وقول الحق وقول الذي هو أحسن وعمل الذي هو أحسن ومعاملة الناس جميعا بالحسنى وعدم العدوان على مال أحد وعرضه ودمه وعدم أكل أموال الناس بالباطل والحيلة وعدم الكبر والبطر والبخل وتجنب الزنا والفواحش سرا وعلنا والانتصار من البغاة والعفو والمغفرة عند المقدرة ودرء السيئة بالحسنة والتخلق بالجملة بجميع مكارم الأخلاق وتجنب جميع رذائلها .

٩) تشريعات متنوعة للصلاة والزكاة والجهاد والصيام والربا والخمر والميسر والحج والوصية والارث والزواج والطلاق

والجرائم الخ ..

١٠) الايمان باليوم الآخر الذي يوفى الناس حسابهم على ما فعلوه في الدنيا من خير وشر وحسن وسيىء وإيمان وكفر وتقوى وفسق وعدل وظلم ، وتمتع الصالحين المؤمنين بالنعيم والفاسقين الكافرين بالعذاب .

ـ ٥ ـ

وجاء كل هذا بأساليب متنوعة قوية ومتتالية في السور المكية والمدنية .

ويتمثل أولا وفي مبادىء البعثة النبوية في سور عديدة مكية قصيرة ليس فيها جدل ولا حجاج ولا حكاية أقوال الكفار ومواقفهم ولا حملات عليهم وإنما فيها تقرير لتلك الأغراض والمقاصد السامية مثل سور الفاتحة والاخلاص والأعلى والليل والفجر والعصر والعاديات والتين والتكاثر والقارعة والشمس والبلد والطارق والانشقاق والانفطار والنبأ .

ويتمثل ثانيا في فصول كثيرة جاءت في سور مكية طويلة ومتوسطة فيها أوامر ونواه ووصايا ومواعظ وتلقينات وتقريرات إيمانية وتوحيدية وتعبدية وأخلاقية واجتماعية وشخصية مزيجة مع فصول الجدل والحجاج وحكاية أقوال الكفار ومواقفهم وقصص الانبياء والأقوام السابقين وأحوالهم ومصائرهم ومشاهد الكون الأخروية وأخبار الجن والملائكة وعقائد العرب فيهما بسبيل التوضيح والتدعيم لتلك المبادىء والأغراض والمقاصد السامية التي أخذت تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم منذ عهد مبكر أيضا حينما انبرى زعماء قريش لمناوأته وتكذيبه وتأليب الجمهور على ذلك .

وتتمثل ثالثا في فصول كثيرة في سور مدنية طويلة ومتوسطة مزيجة كذلك على النحو المذكور مع التشريعات المتنوعة التي ذكرناها في الفقرة (العاشرة) التي كانت في العهد المدني دون العهد المكي حيث قام في العهد المدني للاسلام سلطان ملزم فصار التشريع لازما مع التنبيه على أن كثيرا من هذه التشريعات جاءت في السور المدنية بأسلوب الحث والتحذير .

ويستطيع المتمعن أن يلمح في جميع هذه الفصول ذلك المعنى الخاص الذي قصد بكلمتي القرآن والكتاب والذي نبهنا عليه ويميزه عما امتزج به أو سبقه أو لحقه من آيات وفصول ليس فيها ذلك المعنى الخاص . وهي كثيرة بل هي جل ما في المصحف الشريف بحيث تغني كثرتها عن إيراد الأمثلة .

ـ ٦ ـ

وفي آية سورة آل عمران هذه [هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ..] آل عمران/٧ . ما يمكن والله أعلم أن يؤيد ما نبهنا عليه

من المعنى الخاص حيث قررت أن آيات الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نوعان : (محكمات هن أم الكتاب) و(متشابهات) والاولى هي المواضيع السامية التي عددناها في الفقرات العشر . والثانية : هي ما عداها من قصص وأمثال ووعد ووعيد وترغيب وترهيب وتنديد وجدل وحجاج وانذار وتبشير وأخذ ورد وحكاية أقوال ومواقف وتنكير وبرهنة والزام ولفت النظر الى نواميس الكون وعظمة الله وقدرته والجن والملائكة والمشاهد الأخروية الخ الخ . وقد سميت المحكمات : بالأسس ،
والمتشابهات : بالوسائل التدعيمية لتلك الأسس وهي موجودة في كتاب (القرآن والملحدون) .

ثانيا : دراسة قرآنية في استكشاف سر الفرق بين صيغة القرآن الكريم وصيغة الأحاديث النبوية .

ـ ١ ـ

في سورة القيامة هذه الآيات : **(لا تحرك به لسانك لتعجل به . ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم ان علينا بيانه)** ١٦ ـ ١٩ .

ان هذه الآيات جاءت معترضة بين آيات متصل قبلها بما بعدها اتصالا موضوعيا . واتصال خطاب ونظم ، في حين أنها غير متصلة بهذه الآيات لا موضوعا ولا خطابا ولا نظما . كما يبدو حين قراءة السياق بطوله من أول السورة الى ما بعد الآيات المذكورة الى آخر السورة .

ولقد روى في مناسبتها حديث يستفاد منه أنها نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان حينما يتلقى الوحي القرآني يحرك شفتيه بما يوحى اليه خشية نسيانه . ووجود الآيات في موضعها يلهم بقوة أنها أوحيت في أثناء نزول الآيات التي قبلها والتي بعدها . ولا يصح فرض غير هذا فيما نعتقد لفهم حكمة وجودها في السياق . ولا مناص من فرض ثان : وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتدوين آيات السورة فور وحيها . وأملي على الكاتب هذه الآيات في سياق إملائه لأنها أوحيت اليه مع الآيات مع أنها كانت خطابا خاصا له . وبقصد تعليمه كيفية تلقي الوحي فدونت كما جاءت بين الآيات التي قبلها والتي بعدها .

وفي الآيات في موضعها ملهمات أخرى عظيمة الخطورة أيضا في صدد القرآن وصيغته . فهي تقف أمام أي شك حتى من أشد الناس تشككا بأن ما كان يبلغه النبي صلى الله عليه وسلم من آيات القرآن إنما كان وحيا يشعر به في أعماق نفسه ويدركه ويستمع اليه بأذن بصيرته . ويعيه بقلبه . وانه شيء منفصل عن ذاته غير نابع من باطنه كما يظنه الأغيار . وتبين مقدار شدة حرصه على أن لا يفلت منه أية كلمة أو حرف مما كان يوحى اليه به قرآنا فكان يسارع الى ترديده واملائه على كتابه حتى يبلغه

تاما كاملا لا تبديل فيه ولا زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير . وهي تقرر معنى من معاني العصمة النبوية في صدد ما يبلغه النبي من وحي القرآن في توكيدها له بأن الله يثبت في قلبه وذاكرته ما يلقى عليه ويجعله يحيط به ويلهمه فهمه وبيانه . فالنبي صلى الله عليه وسلم بهذا قد عصم من الغلط والنسيان والخطأ والتقديم والتأخير والزيادة والنقص في القرآن . فكل ما بلغه منه هو وحي رباني . وقد بلغ ما أوحى اليه بتمامه وحرفيته . وفيها دلالة على أن القرآن نزل على النبي بصيغته وألفاظه المبلغة من النبي المدونة في المصحف وليس بالمعنى ثم صاغه النبي بلغته كما يقوله بعضهم .. وتقرير هذا هو المقصد الرئيسي من النبوة .

وفي سورة طه هذه الآية **(فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي اليك وحيه وقل رب زدني علما)** ١١٤ ، حيث تفيد أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد فعل ما فعله سابقا أو سارع فأبلغ بعض ما أنزل عليه قبل أن يتم تمامه لتدوينه لشدة حرصه على إملاء كل ما ينزل عليه حالا وبدون تأخير وبدون زيادة ونقص .

ـ ٢ ـ

وفي سورة الشعراء هذه الآيات **(وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين)** ١٩٢ ـ ١٩٥ . حيث يمكن أن يكون في الآيات تأييد لما استلهمناه من آيات القيامة من أن الوحي أو الروح الذي كان يتنزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن كان يوحي بالصيغة القرآنية المبلغة المدونة بحروفها وألفاظها ونظمها بلسان عربي مبين .

وهذا مستلهم بل ومؤيد أيضا بآيات عديدة أخرى منها ما يلي :

١ ـ **(انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)** يوسف/٢ .

٢ ـ **(ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون . قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون)** الزمر ٢٧ ، ٢٨ .

٣ ـ **(ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته)** فصلت/٤٤ .

٤ ـ **(وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها)** الشورى/٧ .

٥ ـ (إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) الزخرف/٣ .

ـ ٣ ـ

وأسلوب الأحاديث النبوية أسلوب خطاب عادي كانت تصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم في مجالسه وفي مختلف المناسبات . وبين أسلوبها والأسلوب القرآني فرق واضح من حيث ان الأسلوب القرآني مركز في مقاطع متلاحقة في سياق ونسق

طويلين لها خواتيم متميزة وكثير منها موزون أو مقفى أو مسجع . والجمهور على أن الاحاديث النبوية هي وحي من الله تعالى . وسند ذلك آيات سورة النجم **(وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى)** ٣ ، ٤ . ثم الآيات العديدة التي تقرر واجب أخذ كل ما يأتيه النبي والانتهاء عن كل ما ينهى عنه . وكون طاعته من طاعة الله تعالى كما جاء في هذه الآيات :

١ ـ **(من يطع الرسول فقد أطاع الله)** النساء/ ٨٠ .

٢ ـ **(وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** الحشر/ ٧ .

ـ ٤ ـ

وننبه بنوع خاص الى أن هناك عشرات من الأحاديث يرويها النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل وهي التي تسمى (الأحاديث القدسية) والتي ورد كثير منها في صحيحي البخاري ومسلم وكتب حديث أصحاب السنن المعتبرة . وهذا نموذج منها : (عن ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله تعالى قال : من عادى وليا فقد أذنته بالحرب . وما تقرب الى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه . وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه . فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها . وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنه . وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته) رواه البخاري والامام أحمد .

وإذا كان هناك من توقف في هذا الحديث فهناك أحاديث كثيرة أخرى لم يتوقف فيها أحد . وليس من فرق بينها وبين القرآن من حيث أنها مبلغة عن الله عز وجل في حين أن الأحاديث غير القدسية صادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بدون عزو الى الله تعالى .

ـ ٥ ـ

والمتبادر أن الأحاديث النبوية بنوعيها كانت توحي الى النبي صلى الله عليه وسلم بمعانيها فيصوغها رسول الله بأسلوب كلامه العادي ويلقنها للناس في مجالسه وفي المناسبات . وهذا هو سر الفرق بينها وبين القرآن الذي كان يوحى به الى النبي صلى الله عليه وسلم بصيغته المبلغة المدونة في المصحف . وليس من تعليل آخر ما دام أن الأحاديث هي وحي من الله تعالى على ما هو عليه الجمهور .

ومن هنا تظهر حكمة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهي عن كتابة غير القرآن عنه حتى لا يختلط أسلوبه الذي كان ينزل بصيغته المبلغة المعروفة بالأحاديث التي كانت توحى بمعانيها .

السنة وواجب المسلمين نحوها

للدكتور عبد الحليم محمود

إن السنة : دعوة بالحسنى إلى الرقي الأخلاقي الذي تجري وراءه الانسانية المهذبة ، إنها دعوة إلى التاجر أن يكون صدوقا فيحشر مع النبيين والصديقين والشهداء .

والى العامل أن يتقن عمله ، لأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه .
والى الصانع ان يؤدي العمل كما يجب ، حيث أخذ الأجر ، ومن أخذ الأجر حاسبه الله على العمل .

وهي دعوة إلى الأب باعتباره أبا ، والى الأم في وضعها كأم ، والى الأخ في مهمته كأخ ، والى غيرهم من أفراد المجتمع : أن يرعى كل منهم ما وكل إليه من أمر رعيته لأنه مسئول عن رعيته ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .
وهي دعوة للناس إلى الأمانة حيث إنه لا إيمان لمن لا أمانة له .

والى الصدق ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا .
والى الرحمة : الرحمة العامة والشاملة ، وصلوات الله وسلامه على من قال :
« إنما أنا رحمة مهداة » حديث صحيح .
ومن قال : « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » رواه الترمذي .
وخذ أي خلق كريم تتمنى أن يسير عليه المجتمع : فستجد في السنة دعوة إليه ، بوسيلة أو بأخرى ، أو بثالثة .
وهي في هذه الدعوة تنبه دائما إلى دور الأمة الاسلامية في الأخلاق العالمية : إن دورها إنما هو دور الرائدة الراعية ، وعلى الرائد دائما أن يكون المثل الأعلى ، والأسوة الكريمة ، والقدوة الصالحة .
ولقد كان رسول الله ــ صلى الله عليه

وسلم ـ الصورة الحية الناطقة التي طبقت ـ كمبادئ إنسانية ممكنة ـ الخلق الذي رسمه الله وأحبه للانسانية جمعاء ، والذي عبرت عنه السنة أجمل تعبير وأبلغه .

ومن أجل هذا التقدير الكريم للسنة الشريفة كان العلماء المستنيرون في كل عصر يجاهدون من أجلها ، ومن أجل مكارم الأخلاق التي تعبر عنها ، وكان هؤلاء العلماء ـ علماء السنة ـ يعرفون بسيماهم : فقد كانوا أزهد في حطام الدنيا : بحيث لا ينازعون الناس في دنياهم :

لقد كانوا مشغولين عن جمع المال بخدمة الدين ، وكانوا مشغولين عن الجاه بغرس الخلق الصالح الكريم ، وكانوا مشغولين عن السلطان بمن بيده السلطان يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء : مالك الملك ذي الجلال والاكرام .

وكانوا صادقين ، لقد كان الصدق ديدنهم وفطرتهم .

وكانوا صابرين على الحياة ، وصابرين على العمل : لقد أقاموا نهارهم ، وأسهروا ليلهم عملا على مرضاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

والمثل الذي نحب أن نسوقه ـ كصورة لهؤلاء القوم ـ هو : الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، إنه المحدث الذي حاول أن يكون صورة صادقة لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في الزاوية الأخلاقية .

وسيرة الامام ، رضوان الله عليه : مثل اعلى في التمسك بما يراه حقا ، وفي الصبر على ما يناله في سبيل التمسك بالحق .

على أن كل من تشبع بالسنة حقا : إنما هو صورة قريبة بقدر المستطاع ، من الامام أحمد .

ولقد كان الامام البخاري وغيره ـ ممن اشربت نفوسهم حب السنة ـ أمثلة كريمة للخلق الكريم .

والأمثلة الكريمة للخلق الكريم هدف دائما لسهام النماذج الأثيمة التي استهواها الشيطان في قليل أو في كثير : إنه النزاع الدائم بين الفضيلة وأصحابها ، وبين الممثلين لنزعات الهوى والضلال .

ولولا وجود هذه المثل العليا لمكارم الأخلاق في كل عصر لفقدت الانسانية الثقة بنفسها ، ولما اطمأن الانسان لانسان ، ولما وثق شخص بآخر .

لقد ربت السنة رجالا ، وخصائصها التي ربت بها الرجال موجودة فيها ، لأنها من طبيعتها ومن ذاتها ، ولقد شهدت الانسانية واعترفت بسمو هؤلاء الرجال وأولتهم ثقتها وتقديرها .

إن الامام احمد بن حنبل ، وإن الامام البخاري ، وإن أمير المؤمنين في الحديث : الامام سفيان الثوري ، وأمثال هؤلاء رضي الله عنهم : منارات يهتدى بهم عشاق المثل العليا الأخلاقية .

لا بد إذن من العمل على نشر السنة واذاعتها ، ومحاولة الاكثار من النفوس التي تتشربها وتحققها ، وتتمثلها وتحياها .

لا بد من نشرها وطنية .

ولا بد من نشرها إنسانية ، لأنها تعبر عن أرقى مستوى إنساني .

لا بد من نشرها دينا .

ولا بد من نشرها ذوقا أدبيا .

ولا بد من نشرها للثروة اللغوية .

وما من شك في أن للسنة جوا فكريا : فالرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يتحدث عن إصلاح المجتمع ، وعن عوامل الهدم التي تعمل على تقويضه ، وعن عوامل البناء التي تعمل على إقامته على قواعد سليمة ، ويتحدث عن النظم التي ينبغي أن تسود المجتمع الانساني ، وعن الأوضاع التي يجب أن تستقيم .

وللسنة جو لغوي : فالرسول ، صلى الله عليه وسلم قد أوتي جوامع الكلم ، وكلامه ، صلى الله عليه وسلم : أبلغ الكلام البشري ، ونشر السنة عامل من أهم العوامل على ترقية اللغة التي يكتب بها الكتاب وعلى وضع الناشئين والمثقفين في وضع أدبي ممتاز من حيث اللغة ، ومن حيث الأسلوب .

وللسنة جو روحي : إنها تهذيب للنفس ، وتربية للروح ، وسمو بالأخلاق إلى درجة لا تجاري ، وصلى الله وسلم على من قال :

« إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق »

رواه البخاري .

ورحم الله شوقي إذ يقول :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فان هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ومن أجل ذلك كله كان نشر السنة واجبا دينيا ، وعملا اجتماعيا كريما ، وواجبا وطنيا حتميا ، وإصلاحاً أخلاقيا ساميا .

وهو على كل حال ضرورة وطنية ملحة في عصر تحاول الرذيلة فيه أن تعمم الانحلال الخلقي في كل أسرة وفي كل بيت ، ويحاول الفساد أن يأتي على مقدسات الأمة ومقوماتها : من عرض وشرف وكرامة .

لقد أحب الله للانسانية مثالا أخلاقيا كريما كما رسمه سبحانه في القرآن الكريم قولا ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم الصورة التطبيقية الكاملة للرسم الالهي ، وكان بذلك الانسان الكامل .

لقد كان المثل الأعلى في الرحمة ، والمثل الأعلى في الكفاح ، والمثل الأعلى في الصبر ، المجاهد المتفائل والمثل الأعلى في الصدق وفي الاخلاص وفي الوفاء وفي البر وفي الكرم .

ولقد وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله :

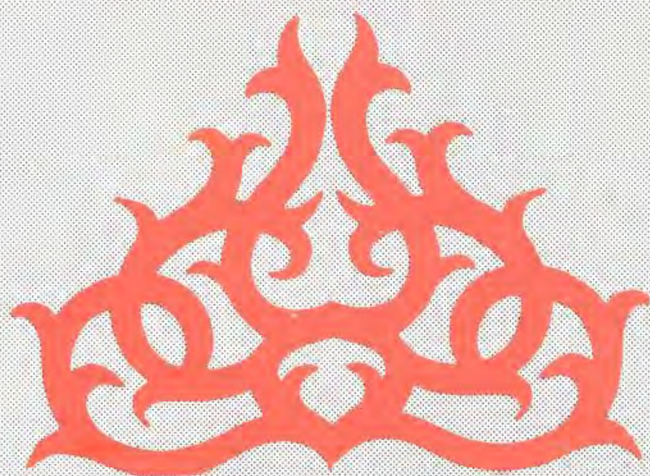
(وإنك لعلى خلق عظيم) القلم/ ٤ .

ولا ريب في أن الأمة الاسلامية حينما تقتدى بالرسول صلى الله عليه وسلم ، إنما تقتدى بأعظم البشر رجولة وإنسانية .

وتقتدى بمن أحب الله سبحانه أن تقتدى به :

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) الأحزاب/ ٢١

وإن العمل على نشر السنة إنما هو توجيه للاقتداء بالرسول ، صلى الله عليه وسلم .



الشعر في عهد النبوّة



للأستاذ يوسف العظم

لقد كان الشعر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نشيد معركة وهتاف شهادة تردده ألسنة المؤمنين الذين وجلت قلوبهم ، وصفت نفوسهم ، واستعذبوا الموت ، وجادوا بالحياة في سبيل الله .

واننا لنرى الشعر في مواقف البطولة الرائعة يردده المجاهدون والشهداء وهم يعانقون الموت ويصافحون المنية ، معبرين عن صدق جهاد ، وصفاء عقيدة مما يحسنون قوله أو يتمثلون به من الشعر .

ولسنا نحصر هنا كل ما قيل من شعر في ميادين الجهاد والاستشهاد ، وفي معارك الظفر ومواقف البطولة ، ولكنها نماذج من الشعر الهادف السامي نسوقها وقد ترددت يوما على ألسنة طاهرة وخفقت بها قلوب مؤمنة في ظلال رايات الجهاد وأفياء سيوف الشهادة على أبواب الجنة .

ولقد حرصنا أن يكون أكثر ما نورده في هذا الباب من شعر عهد النبوة مما جرى على ألسنة صحابة النبي صلى الله عليه وسلم في مواقف التضحيات وهم يأخذون الدروس والعبر بين يدي سيد الخلق وخاتم النبيين .

وقد يرى البعض أن جانبا مما أوردناه هنا إنما هو رجز ارتجزه صحابي أو أكثر في غير المفهوم الفني الاصطلاحي للشعر كما نعرفه اليوم وندرسه في مختلف عصوره العربية ومدارسه الأدبية ، ولا نحب أن نخوض في جدل أو نمضي في نقاش طويل حول الفرق بين الرجز والشعر ، غير أن الذي يعنينا هو أننا متفقون بعد حصر بحور الشعر العربي على أن الرجز بحر من هذه البحور وأن الرجز هو أول شعر قاله العرب طال أم قصر ، والذي يعنينا كذلك هو أن الرجز نغم موسيقى موزون يتغنى به الناس في مواقف شتى وحالات كثيرة كلما حركت ذكريات الأفراح أو الأحزان أحاسيسهم وداعبت مشاعرهم ، وهذا هو الذي يعنينا من مفهوم الشعر شكلا ومضمونا ومفهوما ودلالة في البحث الذي نحن بصدده والموضوع الذي نتناوله بالدراسة والتحقيق .

وإنها لظاهرة جديرة بالدراسة حرية بالتقدير أن نرى عددا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلون على ميادين الجهاد والاستشهاد وعلى

ألسنتهم شعر ينشد وفي حناجرهم هتاف من النغم الموزون المقفى مما يدل على قيمة الشعر وأثره في بناء المجتمع الانساني الرفيع يوم يكون شعرا هادفا رفيعا لا يتمرغ قائلوه في الوحل ولا يقذفون به في مهاوى الفحش والرذيلة أو يسوقونه قصائد استجداء وتطفل على موائد الطغاة والمتكبرين .

ولم نحرص على الترتيب الزمني فيما نسوق من أمثلة شعرية في هذا الباب حرصنا على نماذج حية من الشعر الكريم على لهوات كرام أماجد ورجال صنعوا جانبا مشرقا من الحضارة الانسانية وشادوا صرحا من التراث سيبقى سامقا لا ينال منه المزورون من أعدائه أو يزعزعه الحائرون الضائعون من أحفاد بناته وصانعيه .

في « بدر » تمثل عبيدة بن الحارث بالشعر

أخرج ابن عساكر عن محمد بن علي بن الحسين قال : لما كان يوم بدر دعا عتبة الى البراز ، فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه الى الوليد بن عتبة فقتله . ثم قام شيبة بن ربيعة ، فقام اليه عبيدة بن الحارث رضي الله عنه ، فاختلفا ضربتين ، فضربه عبيدة ضربة أرخت عاتقه الأيسر .

فنظر عتبة لرجل عبيدة فضربها بالسيف فقطع ساقه ورجع حمزة وعلي رضي الله عنهما على عتبة فأجهزا عليه وحملا عبيدة الى النبي صلى الله عليه وسلم في العريش فأدخلاه عليه فأضجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسده رجله وجعل يمسح الغبار عن وجهه فقال عبيدة : أما والله يا رسول الله ! لو رآني أبو طالب لعلم أني أحق بقوله منه حين يقول :

ونسلمـــه حتـــى نصرع حوله　　　ونذهـــل عن أبنائنـــا والحلائل

ألست شهيدا ؟ قال : بلى وأنا الشاهد عليك ، ثم مات فدفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء ونزل في قبره وما نزل في قبر أحد غيره ، كذا في كنز العمال (ج ٥ ص ٢٧٢) (١) .

أى تكريم أروع من هذا التكريم لرجل مات بين يدي الرسول الكريم وفي قلبه إيمان وعلى لسانه بيت شعر يفيض بالثبات والتضحية والصبر والشهادة في سبيل الله ، أن يبشره الرسول بالشهادة وأن ينزل معه في قبره يودعه الوداع الأخير ؟!

(١) حياة الصحابة : ج ١ ص ٧٦٨ ـ ٧٧٠

خبيب الأنصاري رضي الله عنه يتغنى بالشعر وهو مصلوب على خشبة الموت في طريقه الى الخلود

أخرج الطبراني حديث عروة بن الزبير رضي الله عنهما ــ بطوله ، وفيه : وقتل خبيبا رضي الله عنه أبناء المشركين الذين قتلوا يوم بدر . فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب نادوه وناشدو : أتحب أن محمدا مكانك ؟ فقال : لا والله العظيم ! ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه ، فضحكوا ، وقال خبيب رضي الله عنه حين رفعوه الى الخشبة :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا — قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم — وقربت من جذع طويل ممنع
الى الله أشكو غربتي ثم كربتي — وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي
فذا العرش ! صبرني على ما يراد بي — فقد بضعوا لحمي وقد بان مطمعي
وذلك في ذات الاله وإن يشأ — يبارك على أوصال شلو ممزع
لعمري ما أحفل اذا مت مسلما — على أى حال كان لله مضجعي

قال الهيثمي (ج ٦ ص ٢٠٠) : رواه الطبراني ، وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن ، وفيه ضعف ــ انتهى . وقد ذكر الأبيات ابن اسحاق ، كما في البداية (ج ٤ ص ٦٧) ، فزاد بعد البيت الخامس :

وقد خيروني الكفر والموت دونه — وقد هملت عيناى من غير مجزع
وما بي حذار الموت أنى لميت — ولكن حذارى جحم نار ملفع
فوالله ما أرجو اذا مت مسلما — على أى جنب كان في الله مضجعي
فلست بمبد للعدو تخشعا — ولا جزعا إني الى الله مرجعي

أية عاطفة أصدق من هذه العاطفة التي يصورها ويعبر عنها رجل في طريقه الى الله ، كان قمة في التضحية والثبات وأية أنشودة أروع من هذه الأنشودة تسيل على لسانه شعرا كريما صادقا نابعا من القلب نابضا بالاحساس والوجدان ؟

أبو دجانة يهتف شعرا وقد عصب رأسه بعصابة الموت

أخرج الحاكم (ج ٣ ص ٢٣٠) عن الزبير رضي الله عنه قال : عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا يوم أحد فقال : « من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ » (فقمت) فقلت : أنا يا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأعرض

عني) ، ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقلت أنا يا رسول الله فأعرض عني ثم قال من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام أبو دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه فقال : أنا آخذه يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بحقه ! فما حقه ؟ قال : « أن لا تقتل به مسلما ، ولا تفر به عن كافر » . قال : فدفعه اليه ، وكان اذا أراد القتال أعلم بعصابة . قال : قلت : لأنظرن اليه اليوم كيف يصنع ؟ قال : فجعل لا يرتفع له شيء الا هتكه وأفراه . قال الحاكم : صحيح الاسناد . وقال الذهبي : صحيح .

وعند ابن هشام كما في البداية (ج ٤ ص ١٦) : قال : حدثني غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : وجدت في نفسي حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف ، فمنعنيه ، وأعطاه أبا دجانة رضي الله عنه ، وقلت : أنا ابن صفية عمته ومن قريش وقد قمت اليه فسألته إياه قبله ، فأعطاه أبا دجانة رضي الله عنه وتركني ، والله لأنظرن ما يصنع ؟ فأتبعته . فأخرج عصابة له حمراء ، فعصب بها رأسه . فقالت الأنصار : أخرج أبو دجانة رضي الله عنه عصابة الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب (بها) . فخرج وهو يقول :

أنـــا الـــذي عاهدنـــي خليلي ونحـــن بالسفـــح لدى النخيل
أن لا أقـــوم الدهـــر في الكبول أضرب بسيـــف الله والرسول

فجعل لا يلقى أحدا الا قتله . وكان في المشركين رجل لا يدع (لنا) جريحا الا ذفف عليه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة رضي الله عنه ، فاتقاه بدرقته وضربه أبو دجانة رضي الله عنه فقتله . ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها (قال الزبير) ، فقلت : الله ورسوله أعلم .

عمير بن الحمام ينشد الشعر
وهو يقبل على الله يوم أحد

سمع عمير بن الحمام رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعد بالجنة للمقاتل في سبيل الله الصابر المحتسب ، المقبل غير المدبر ، فيرى الجنة أمامه ويشم ريحها بأنفه فيلقى بتمرات يأكلهن ويقول :

بخ ، بخ ، أما بيني وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلني هؤلاء ؟! ثم يأخذ سيفه ويقاتل حتى يلقى الله شهيدا وهو يهتف :

ركضـــا الى الله بغـــير زاد الا التقـــى وعمـــل المعاد
والصبـــر في الله على الجهاد وكل زاد عرضـــة النفاد

غير التقى والبر والرشاد

حمزة بن عبد المطلب يقول الشعر في عقد اللواء له بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم

بأمـــر رســـول الله أول خافق ... عليـــه لواء لم يكن لاح من قبلي
لواء لديـــه النصر من ذي كرامة ... الــه عزيــز فعلــه أفضـــل الفعل
فلمــا تراءينـــا أناخـــوا فعقلوا ... مطايــا وعقلنــا مدى غرض النبل
فقلنــا لهــم حبــل الألــه نصيرنا ... ومــا لكم الا الضلالـــة من حبل
فثــار أبــو جهــل هنـــالك باغيا ... فخــاب ورد الله كيــد أبــى جهل
ومــا نحــن الا في الثلاثــين راكبا ... وهم مائتــان بعــد واحــدة فضل
فيــا آل لؤي لا تطيعـــوا غواتكم ... وفيئوا الى الاسلام والمنهج السهل
فانــى أخــاف أن يصـــب عليكم ... عذاب فتدعـــوا بالندامـــة والثكل

في الخندق أنشد على شعرا وهو يقتل عمرو بن ود

روى البيهقي عن ابن اسحاق قال : خرج عمرو بن عبد ود وهو مقنع بالحديد ، فنادى من يبارز ؟ فقام علي بن أبى طالب رضي الله عنه فقال : أنا لها يا نبي الله فقال : « انه عمرو ، اجلس » . ثم نادى عمرو : ألا رجل يبرز ؟ فجعل يؤنبهم ، ويقول : أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها ؟ أفلا تبرزون الى رجلا ؟ فقام علي رضي الله عنه فقال : أنا يا رسول الله فقال : « اجلس » . ثم نادى الثالثة . فقام علي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ! أنا . فقال : « إنه عمرو » . فقال : وإن كان عمرا . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى اليه حتى أتى وهو يقول :

لا تعجلن فقــد أتــاك ... مجيـــب صوتـــك غـــير عاجز
فـــي نيــة وبــصيرة ... والصـــدق منجـــى كل فائز
إنـــى لأرجـــو أن اقيــ ... ـم عليـــك نائحـــة الجنائز
مـــن ضربــة نجــلاء ... يبقـــى ذكرهــا عنـــد الهزاهز

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا علي . قال : ابن عبد مناف ؟ قال : أنا علي بن أبى طالب . فقال : يا ابن أخي ! من أعمامك من هو أسن منك ثم سل

سيفه وأقبل نحو علي رضي الله عنه مغضبا ، واستقبله علي بدرقته ، فضربه عمرو في درقته فقدها ، وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه . وضربه علي رضي الله عنه على حبل عاتقه فسقط ، وثار العجاج وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير ، فعرفنا أن عليا رضي الله عنه قد قتله .

في « يوم الخندق » تمثل الزبير بن العوام بالشعر بعد أن قتل مشركا بارزه

ذكر يونس عن ابن اسحق قال : خرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي – أي يوم الخندق – فسأل المبارزة ، فخرج اليه الزبير بن العوام رضي الله عنه فضربه ، فشقه باثنتين حتى فل في سيفه فلا ، وانصرف وهو يقول :

انـــي امـــرؤ أحمـــي وأحتمي   عن النبـــي المصطفـــى الأمي

كذا في البداية (ج ٤ ص ١٠٧)

وقد أخرج ابن جرير عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : أقبل رجل من المشركين وعليه السلاح ، حتى صعد على مكان مرتفع من الأرض فقال : من يبارز ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من القوم : « أتقوم اليه ؟ » فقال له الرجل : إن شئت يا رسول الله !

فأخذ الزبير رضي الله عنه يتطلع . فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « قم يا ابن صفية ! » فانطلق اليه حتى استوى معه ، فاضطربا ثم عانق أحدهما الآخر ، ثم تدحرجا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيهما وقع الحضيض أول فهو المقتول » . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ودعا الناس فوقع الكافر ، ووقع الزبير رضي الله عنه على صدره فقتله .

كذا في منتخب الكنز (ج ٥ ص ٦٩) .

كان الشعر أنشودة بطولة في خيبر

أخرج مسلم ، والبيهقي – واللفظ له – عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه – فذكر حديثا طويلا ، وذكر فيه رجوعهم من غزوة بني فزارة . قال : فلم نمكث الا ثلاثا حتى خرجنا الى خيبر . قال : وخرج عامر رضي الله عنه فجعل يقول :

والله لولا أنــت مــا اهتدينا ولا تصــدقنا ولا صلينا
ونحن من فضــلك مـا استغنينا فأنـزلن سكينـة علينـا
وثبت الأقدام إن لاقينا

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من هذا القائل ؟ » فقالوا : عامر . فقال : « غفر لك ربك » . قال : وما خص رسول الله صلى الله عليه وسلم قط أحدا به الا استشهد . فقال عمر رضي الله عنه وهو على جمل : لولا متعتنا بعامر . قال : فقدمنا خيبر . فخرج مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول :

قد علمـت خيبـر أنـى مرحب شاكي الســلاح بطــل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

قال : فبرز له عامر رضي الله عنه وهو يقول :
قد علمـت خيبــر أنـى عامر شاكي الســلاح بطــل مغامر

قال : فاختلفا ضربتين ، فوقع سيف مرحب في ترس عامر رضي الله عنه فقتله . وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي بن ابى طالب يدعوه وهو أرمد ، وقال : « لأعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله » . فأعطاه الراية . فبرز مرحب وهو يقول :

قد علمـت خيبـر أنـى مرحب شاكي الســلاح بطــل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

قال فبرز له علي رضي الله عنه وهو يقول :
أنا الـذي سمتنـي أمـي حيدرة كليـث غابـات كريـه المنظرة
أو فيهم بالصاع كيل السندرة

قال : فضرب مرحبا ففلق رأسه فقتله . وكان الفتح . هكذا وقع في هذا السياق : أن عليا هو الذي قتل مرحبا اليهودي .

في « مؤتة » .. كان هتاف جعفر بن أبى طالب شعرا ينبض بالبطولة ويفيض إيمانا وإقبالا على الجنة

أخرج ابن اسحق عن عباد بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال :

حدثني أبي الذي أرضعني ــ وكان أحد بني مرة بن عوف ــ وكان في تلك الغزوة « غزوة مؤتة » قال : والله ! لكأني أنظر الى جعفر رضي الله عنه حين اقتحم عن فرس له « شقراء » ثم عقرها ، ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول :

يا حبــذا الجنـــة واقترابها طيبـــة وبـــارد شرابها
والـــروم روم قد دنـــا عذابها كافـــرة بعيـــدة أنسابها
علي إذ لا قيتها ضرابها

كذا في البداية (ج ٤ ص ٢٤٤) . وأخرجه أبو داود من هذا الوجه ، كما في الاصابة (ج ١ ص ٢٣٨) . وأبو نعيم في الحلية (١ ص ١١٨) .

• أليس هذا دليلا على سمو رسالة الشعر في الحياة الخيرة الهادفة أن يتردد أهازيج بطولة وأناشيد استشهاد على لسان صحابي جليل ومجاهد صادق وشهيد من شهداء بيت النبوة ؟!

عبد الله بن رواحة
يسعى الى الشهادة وعلى لسانه أبيات من الشعر

واستعر « القتال والطعن والضرب حتى سقط زيد بن حارثة شهيدا وتبعه جعفر بن أبي طالب فدعا الناس عبد الله بن رواحة وهو في جانب العسكر ، فتقدم فقاتل حينا ، ثم نزل ، فأتاه ابن عم له بعرق من لحم ، وقال له : شد بهذا ظهرك ، فانك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت !! فأخذه من يده فانتهش منه نهشة ، ثم سمع الحطمة في الناس فقال لنفسه : « وأنت في الدنيا !! » والقى العرق من يده ، ثم أخذ سيفه وأسرع وحدث نفسه فقال ، فيما يذكر المؤرخون : « يا نفس الى أى شىٴ تتوقين ؟ الى فلانة : ــ امرأته ــ فهي طالق ، والى معجف ــ وهو بستان له ــ فهو لله ولرسوله ، ثم قال :

يا نفس مالك تكرهـــين الجنة أقســـم بالله لتنزلنه
طائعـــة أولا لتكرهنة فطـــالما قد كنـــت مطمئنة
هل أنـــت الا نطفـــة في شنة !؟ قد أجلـــب النـــاس وشـــدوا الرنة

وحمي الوطيس فطعن أحد المشركين عبد الله بن رواحة ، فاستقبل الدم بيده ، فدلك به وجهه ثم صرع بين الصفين ، فجعل يقول : « يا معشر المسلمين ذبوا عن لحم أخيكم » فجعل المسلمون يحملون حتى يحوزوه ، فلم يزالوا كذلك حتى مات مكانه شهيدا .

تجارة لن تبور

محمد فؤاد

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

كل تجارة يتجر بها الانسان في سوق الحياة ، وتبادل المنافع ، هي عرضة للربح أو الخسارة ، ولن يسلم تاجر أبدا من أن يخرج من السوق على غير أحد هذين الحالين : الربح أو الخسارة ، إذ ليس هناك ضمان لتاجر في أشياء الحياة ، يحميه من الخسارة التي قد تذهب أحيانا بكل ما بين يديه ، وتلحقه بالمفلسين !! هكذا شأن الناس في أسواق التجارة ، حيث هم بين رابح وخاسر ، وليس هذا بالذي يصد الناس عن الدخول في تلك الأسواق ، بائعين أو مشترين ، لأن نظام حياتهم لا يقوم إلا على تبادل المنافع بينهم ، فهذا يبيع ، وذاك يشتري .. وشرط واحد يشترطه الاسلام على أتباعه في هذا الميدان ، وهو : ألا غش ، ولا خلابة ، ولا تدليس .. والله تعالى يقول : (**ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن اولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين**) (سورة المطففين ١ : ٦) .

وإذا كانت التجارة في سوق الحياة مع الناس ــ بيعا أو شراء ــ في معرض الربح ، والخسارة معا ، وإذا كان التاجر هنا في معرض الفتنة التي ترد عليه من حب المال ، وهو بين يديه ، يدعوه إلى الاستكثار منه ، ويغريه إلى ظلم الناس ، وأكل أموالهم بالباطل ، على أية صورة من الصور ، التي تلبس الحق بالباطل ، والحلال بالحرام ــ نقول إذا كان هذا شأن التجارة والتجار في سوق الحياة ــ فان هناك تجارة إذا دخل المسلم سوقها ، فلن يخرج من هذه السوق إلا رابحا ربحا موفورا ، يتضاعف به رأس ماله أضعافا كثيرة ، ثم هو مع ذلك في ضمان وثيق من أنه لن يخسر أبدا !!

وذلك حين يكون المسلم متعاملا مع الله تعالى ، مقدما نفسه أو ماله ، أو بعض ماله ، لله ، فان لم تكن نفس ، أو مال ، فأمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، فان لم يكن هذا أو ذاك فكلمة طيبة .. فان كل هذا مما يقبله الله تعالى من المسلم ، وفي مقابل هذا يعطيه الله سبحانه أضعاف ما أخذ منه .. إنه في تجارة مع الله ، وفي ضمان وثيق من أنه رابح لا محالة .

ففي الصحيحين ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تبارك وتعالى : إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ، فان عملها فاكتبوها بمثلها ، وإن تركها لأجلي فاكتبوها له حسنة ، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها ، فاكتبوها له حسنة ، فان عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة » .. وهذا من معنى قوله تعالى : **(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)** (البقرة ٢٦١) ..

فالتجارة في أعمال البر ابتغاء وجه الله ، هي التجارة الرابحة التي لا تطوف بها خسارة أبدا ، ما دامت تخرج من قلب مؤمن ، ومن يد مؤمنة ، بعيدة عن المن والأذى ، مجانبة الرياء والنفاق .. وفي هذا يقول الرسول الكريم ــ صلوات الله وسلامه عليه :

« ما تصدق أحد بصدقة من طيب ــ ولا يقبل الله الا الطيب ــ إلا إذا أخذها الرحمن بيمينه ، وإن كانت تمرة ، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل ، كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله » . (رواه مسلم) .. ويقول ــ صلوات الله وسلامه عليه : « على كل مسلم صدقة » قيل أرأيت إن لم يجد ؟ قال : « يعمل بيديه ، فينفع نفسه ويتصدق » قيل أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف » قيل أرأيت إن لن لم يستطع ؟ قال : « يأمر بالمعروف » قيل أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : « يمسك عن الشر ، فانه صدقة » (رواه مسلم) ..

والنفس أعز شئ يملكه الانسان ، وأحب شئ إليه ، ومن هنا كان بذل

النفس والتضحية بها من أجل نصرة الحق ، والتمكين للخير ، أكرم وأعظم ما يتقرب به العبد إلى ربه جل وعلا .. ولهذا كانت تلك الدرجة الكريمة العالية عند الله تعالى لأولئك الذين يقتلون في سبيل الله ، حيث يدخلون الجنة بغير حساب ، لأن دمهم المسفوك في سبيل الله قد غسل كل ما كان من ذنب لهم ، ولهذا فهم ينقلون من هذه الحياة الدنيا الى الجنة ونعيمها ، لا ينتظرون يوم البعث والحساب ، والجزاء ، فاذا كان يوم البعث والحساب والجزاء ، حضروا هذا المشهد بالحالة التي كانوا عليها عند استشهادهم ، ليراهم الناس ، وليروا منزلتهم عند الله ، وفي هذا يقول الله تعالى : **(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين)** (آل عمران ١٦٩ ، ١٧١) .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما أحد يدخل الجنة ، فيحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء ، إلا الشهيد ، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ، فيقتل عشر مرات ، لما يرى من الكرامة » .

وانظر كيف يدخل المؤمن سوق التجارة مع الله تعالى ، فيشترى الله سبحانه منه ما يقدمه للجهاد في سبيل الله .. وذلك في قوله تعالى : **(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)** (التوبة ١١١) .

فأي بيع أربح من هذا البيع ؟ فالله تعالى هو المشترى لهذه الأنفس وتلك الأموال التي قدمها المؤمنون في سبيل الله طيبة بها أنفسهم ، وإلا لما قبلها الله تعالى ، لأنه سبحانه طيب لا يقبل إلا طيبا ، ولهذا كان الجزاء العظيم الذي يخف إزاء بعضه كل ما في هذه الدنيا من مال ومتاع .. إنه الجنة ، والحياة الطيبة الخالدة في نعيمها الذي لا ينفد أبدا .

ثم انظر إلى هذا الفضل العظيم ، من رب رحيم كريم ، إذ يشترى من عباده المؤمنين ما وهبهم من حياة ، وما رزقهم من مال ، وهم وما ملكوا في قبضة يده سبحانه .. فبدلهم بالحياة الفانية حياة دائمة خالدة ، وبالأموال جنات عرضها السموات والأرض ، لهم فيها ما تشتهي أنفسهم ، ولهم فيها ما يدعون ، نزلا من غفور رحيم .. فما أوسع فضل الله ، وما أعظم رحمته بعباده .. إنه يعطيهم ، ثم يشتري منهم ما أعطاهم بأضعاف ما قدموا لله من هذا المعطى لهم من فضله ! فأى غبن للانسان ، وأى ظلم لنفسه ، إذا هو لم يدخل متاجرا

في هذه السوق ، ليجد يد الله تعالى مشترية منه ما يقدمه لله تعالى من نفس أو مال ، فيخرج من هذه السوق وقد ربح ما لا تتسع هذه الدنيا كلها للقليل منه .. إنها الحياة الخالدة ، والجنة وما أعد الله فيها لأهلها من نعيم مقيم : **(جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا . لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا)** (مريم ٦١ و٦٢) .

وإذا كان من الله تعالى شراء من المؤمنين لأنفسهم وأموالهم ، فان للمؤمنين كذلك شراء لأنفسهم ، وتخليصا لهذه الأنفس من الكفر ، والالحاد ، والشرك ، حتى تكون مؤهلة لأن تباع لله .

وفي هذا يقول الله تعالى : **(ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد)** (البقرة ٢٠٧) .

فالذي يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ، هو الذي يبيعها في سبيل الله ، وذلك في مقام الدفاع عنها من أهل الضلال الذين يريدون قهرها ، والتسلط عليها ، وفتنتها فيما ارتضته من الايمان بالله ، والولاء له سبحانه .. فهو إذ يبيع نفسه في تلك الحال ، وإذ يخلصها من يد الشيطان ، فانما هو في الوقت نفسه قد اشتراها خالصة لله ، محررة من دواعي الفتن المحيطة بها ، وبهذا تصبح تلك النفس صالحة لأن تشترى من الله ، وأن تنزل بصاحبها منازل المكرمين عند الله .

وقد نزلت هذه الآية الكريمة في صهيب ابن سنان الرومي ، وكان من الذين دخلوا في الاسلام قبل الهجرة ، ولقى من البلاء على يد مشركي قريش ما لقى المستضعفون من المسلمين يومئذ ...

وقد خرج صهيب مهاجرا إلى المدينة ، حيث هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن استطاع الهجرة من المسلمين .. فلما علمت قريش بخروجه من مكة أرسلت إليه نفرا من المشركين يردونه عن هجرته ، فلما رآهم نزل عن راحلته ، ونثل ما كان في كنانته من سهام ، وقال : « والله لا تصلوا إلى حتى أرمي بكل سهم معي ، ثم أضرب بسيفي هذا ما بقى في يدي !! هذا ، وإن شئتم دللتكم على مال لي ، دفنته بمكة ، وخليتم سبيلي !! » فقالوا : نعم ، نفعل هذا ، ونخلي سبيلك فدلهم عليه ومضى صهيب في طريق هجرته حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نزلت الآية الكريمة ، فقال له النبي – صلوات الله وسلامه عليه – : « ربح البيع أبا يحيى » وتلا عليه الآية الكريمة .

فالذي يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله أي يبيعها في سبيل الله هو من يبذل نفسه في طاعة الله ، من صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وحج ، وجهاد ، وأمر بمعروف ، ونهي عن منكر ، فكان ما يبذله من نفسه ، في مجاهدتها ، أشبه بالسلعة ، فصار كالبائع والله المشترى ، والثمن هو ثواب الله في الآخرة ..

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم »** (الصف : ١٠ — ١٢) .. وما يشير إليه سبحانه أيضا في قوله تعالى : **(إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور)** (فاطر : ٢٩ و٣٠)..

تلك هى السوق الرابحة ، التي يدخل فيها المؤمنون بتجاراتهم التي يشتريها الله تعالى منهم ، فيعطى الكثير العظيم الخالد ، على القليل الزهيد الفاني .. فهنا الربح ، وهنا الفوز بنعيم الله والنجاة من النار : **(فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)** (آل عمران : ١٨٥) ..

ومع هذا الخير الموفور الممدود للناس ، ومع هذه الأبواب المفتحة لهم للفوز بحياة طيبة في الدنيا والآخرة — فان كثيرا من الناس يغامرون بأنفسهم وأموالهم ، فيردون موارد التهلكة ، حيث يتجرون مع الشيطان في أسواق الضلال ، فينفقون أموالهم في الخمر والميسر ، وعلى ما يترضون به شهواتهم الحيوانية ، حتى تنهد قواهم ، وتعتل أجسامهم .. ثم يغادرون هذه الدنيا وقد حملوا أوزارا ثقيلة من الآثام ، يتقلبون بها في نار جهنم ، وبئس مثوى الظالمين .. **(أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)** (البقرة /١٦) ..

فالذي يكفر بالله ، إنما هو قد باع نفسه المؤمنة إيمان الفطرة ، واشترى بها نفسا كافرة ملحدة ، وكان بهذا من الذين قال الله تعالى فيهم : **(إن الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم)** (آل عمران : ١٧٧)..

فأي خسران بعد هذا الخسران ، لمن يشترى الخبيث بالطيب ، والكفر بالايمان ، والدنيا بالآخرة ، والنار بالجنة ؟

ومع هذا فما أكثر الذين يفضلون الظلام على النور ، شأنهم في هذا شأن الهوام والخفافيش !! وما أكثر الذين يعافون الطيب من الطعام ، ويقبلون على الخبيث منه ، شأنهم في هذا شأن الذباب الذي لا يسقط بكيانه كله الا على المزابل والجيف !! والله تعالى يقول : **(وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم)** (الأنعام : ١١٩)..

نسأل الله السلامة والعافية من أن نزل أو نضل .. **(ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)** البقرة/٢٠١

استقبال القرن الخامس عشر

مطلع القرن الخامس عشر الهجري
يا له من حدث تاريخي إسلامي عظيم ، ومن مناسبة قومية إسلامية فوق كل المناسبات .

أول المحرم عام ١٤٠٠ هو الارهاص الكبير بميلاد القرن الخامس عشر الهجري ، ويوافق ذلك اليوم الحادي والعشرين من نوفمبر عام ١٩٧٩م .

وأول المحرم عام ١٤٠١ ، ويوافق يوم ٩ نوفمبر عام ١٩٨٠م ، هو المطلع الحقيقي للقرن الخامس عشر الهجري .

وسواء احتفل المسلمون بنهاية القرن الرابع عشر ، وببداية القرن الخامس عشر ، في التاريخ الأول (أول المحرم ١٤٠٠هـ) او التاريخ

للدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي

الثاني (أول محرم عام ١٤٠١هـ) ، فانه لشيء رائع وعظيم وجليل .

إن التاريخ الاسلامي وهو استمرار فعالية الأحداث في حياة المسلمين ، ودوام اتصال الماضي بالحاضر والمستقبل في تراثهم وفي أعمالهم القومية والحضارية لهو سلسلة متصلة الحلقات من مفاخر العمل المبدع ، والانجاز الكبير لشعوب الاسلام على امتداد الرقعة الاسلامية التي صنعت المعجزات في كل جيل ، والتي ستصنع باذن الله دائما وأبدا كل معجزة في حياة الانسانية .

لن يخفت صوت الاسلام ، ولن يقف تيار المد الاسلامي أبدا باذن الله ، في كل عصر ، وكل جيل ، وكل حقبة ، من حقب تاريخنا ، الذي صنعه الله بيده ، واصطنعه لنفسه ، وطرزه المسلم بعين الله ووحيه وعونه وعنايته ورعايته .

كان القرن الأول في تاريخ الاسلام عصر سيادة العقيدة والأمة في العالم قاطبة ، وكان القرن الثاني عصر سيادة لغة القرآن وثقافته في الدنيا ، وكان القرن الثالث حلقة الاتصال بين الثقافة الاسلامية والثقافات العالمية ، وكان القرن الرابع هو عصر ازدهار حضارة الاسلام وكان القرن الخامس عصر النهضة الحقيقية ، الكبيرة للفكر الاسلامي ، وفي القرن السادس كان الغزو الصليبي للعالم الاسلامي وقد فشل هذا الغزو فشلا ذريعا ، وتحطم على صخرة الصمود البطولي للمسلمين ، وفي القرن السابع تحطم الغزو المغولي للعالم الاسلامي في عين جالوت على صخرة الاباء الاسلامي الذي مثلته مصر وجيشها في اعتزاز بلغ حد الروعة ، وكأنه المعجزة التي يظهرها الله للناس بين الحين والحين ، دليلا على رعايته لدينه ، واصطفائه لكتابه ، وعونه لأمة القرآن الكريم وحملت مصر راية الخلافة الاسلامية ، وفي القرن الثامن تجددت الروح الاسلامية من جديد ، وأخذت تبني ما هدمه التتار ، وتعيد السيادة لله ولدينه ولكتابه في الأرض ، وفي القرن التاسع استطاع العلماء المسلمون ، والجامعات والمدارس الاسلامية وفي مقدمتها الأزهر الشريف ، أن يعيدوا للثقافة الاسلامية وجهها الرائع العظيم ، وإذا كانت الانلس قد سقطت في أيدي برابرة محاكم التفتيش في نهاية هذا القرن ، فان المسلمين قد دخلوا القسطنطينية في أواسطه فاتحين ، بقيادة السلطان محمد الفاتح العثماني (عام ٨٥٧هـ -

١٤٥٣م) ، وفي القرن العاشر حمل الأتراك عبء مواجهة الاسلام لأوروبا المتآمرة على شعوبه وحريات دوله ، وفي القرن الحادي عشر امتدت موجة انتصار الأتراك في أوروبا ، وفي القرن الثاني عشر ظهرت دعوات إسلامية جديدة تحمل عبء المواجهة الشعبية لتيار الغرب الصليبي المعادي للاسلام والمسلمين ، وفي القرن الثالث عشر استمرت موجة المقاومة الاسلامية لغزو أوروبا السياسي والحضاري للعالم الاسلامي ، وفي القرن الرابع عشر استمرت موجة النضال ضد الاستعمار ، وأخذت الدول الاسلامية استقلالها بالقوة من أيدي الغرب ، الذي كان قد فرض هيمنته السياسية على الشعوب الاسلامية فرضا محكما ..

وها هوذا القرن الخامس عشر على وشك أن يبزغ فجره في أفق المسلمين ، وأن يصنع الله فيه لدول الاسلام معجزة جديدة تكون شاهد صدق على تأييد الله ورعايته لدينه العظيم ، وكتابه الحكيم .

وإني لأتنبأ بأن هذا القرن سيكون قرن ازدهار الحضارة الاسلامية مرة أخرى ، وأخذها الزمام بيديها لتقود العالم من جديد ، إلى حيث الأمان والايمان ، وإلى حيث الاسلام والسلام ، وإلى المبادىء والقيم الرفيعة التي نزل بها القرآن الكريم ، وكل ذلك بإذن الله ومشيئته وقدرته وعونه .

لقد سادت الحضارة الاسلامية العالم كله عشرة قرون أو يزيد ، كانت هي التي تفيء الدنيا الى ظلالها ، وهي التي يهتدي الناس بنورها ، وينعمون بالسعادة والرخاء والعدالة والحرية ، والاخاء والمساواة تحت لوائها ، لواء دين الاسلام وكتاب المسلمين المنزل من السماء ، على رسولهم الكريم ، محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

ثم على حين غفلة ، وبالمكر والخداع والتمويه ، فرض الغرب سيادته على العالم الاسلامي ، وفرض حضارته على المسلمين .. وهي حضارة زائفة ، الحق فيها للقوة ، **بينما كانت حضارة الاسلام تفرض القوة لحماية الحق** ، والمقام الأول فيها للمادة ، **وفي حضارة الاسلام للروح نصيب ، وللمادة نصيب ، من ذلك . وحقوق الانسان وكرامته في حضارة الاسلام هي كل شيء ،** وهيمنة الدولة وسيطرتها في حضارة الغرب هي كل شيء ولن تنتهي الموازنة بين الحضارتين ، **ولن تنتهي مفاخر الحضارة الاسلامية كلما توغلنا في هذه الموازنة شيئا فشيئا .**

حضارة الغرب هي حضارة الصراع والمصارعة وحضارة المكيافيلية الخادعة ، وحضارة الكذب والنفاق والمظاهر البراقة ، وحضارة المادة الكثيفة المظلمة وحضارة التمويه على الشعوب ، وحضارة العصبية للون والجنس والطائفية والمذهب ، وحضارة الصراع الطبقي والاقتصادي والمذهبي الضيق المحدود ، وحضارة الالحاد والعلمانية والاباحية والعرى

والقمار والربا ، وكل الموبقات التي ينفر منها العقل والمروءة والدين .

حضارة الغرب حضارة منهارة تقوم على غير أساس ، وهي في كف الصراع الذري في قلق لا مثيل له ، وتقف على حافة الهاوية كل لحظة ، وقد تنبأ لها المفكرون والفلاسفة في العالم كله بالانهيار ، لقد هجر الناس في ظلالها الأسرة والزواج إلى بيوت اللهو وإلى صداقة العشيقات ، وهجروا الدين إلى الالحاد ، وهجروا الفضائل الانسانية كلها إلى دنس الرذيلة التي لا نهاية لقذارتها ، وداس الأغنياء على رؤوس الفقراء فنشأت المذاهب الثورية الملحدة التي تكفر بكل القيم والديانات والكتب السماوية ، والتي تخوض إلى أغراضها بحار الدماء .

حضارة شاخت وهرمت ، ومصيرها القريب أو البعيد إلى الانهيار البالغ حد القسوة والقوة ، والرهبة والجبروت .

والبديل لهذه الحضارة الغربية هو حضارة الاسلام ، التي تستند إلى دعائم قوية متينة ، من العقيدة الصالحة ، والسلوك الانساني الرفيع ، والفضائل الخلقية الطاهرة ، ومن الايمان بحق الانسان في الحياة والعدالة والحرية والمساواة والاخاء والكرامة الانسانية .

إن القرن الخامس عشر الهجري هو العصر المرتقب لعودة الحضارة الاسلامية ولازدهارها من جديد ، ليعود المسلم الحقيقي إلى الأرض وفي يده الرسالة وفي قلبه الايمان ، وفي روحه تعاليم السماء الطاهرة المضيئة أبدا .

فالى العمل ، أيها المسلمون ، بكتاب الله ، بدين الله ، بكل ما فرضه الاسلام على المسلم من التزامات روحية ، وذاتية واجتماعية وقومية ، وفكرية ، فذلك هو سعادة الدنيا والآخرة ، وهو عز الفرد والمجتمع والأمة ، وهو الأمان الحقيقي للانسانية من أخطار الدمار والانهيار وفي يد المسلمين النور الذي لا يطفأ أبدا ، وهو كتاب الله الحكيم (**يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا**) النساء / ١٧٤ .

وأمامهم منهج سليم متكامل لا يوجد له مثيل في أية حضارة أخرى .

فليكن لنا من كل ذلك زاد يوصلنا إلى البعث الاسلامي الجديد الذي ينشده كل مسلم ، والذي يقوم من أجل الانسانية ، ورفاهية الانسان ، ولخدمة الأمم كافة ، ولتعزيز مبادئ السلام والأمان والايمان في الأرض ، القرن الخامس عشر الهجري ها هوذا على الأبواب ، ولا يجدي شيئا أن نقيم الحفلات والمهرجانات لاستقباله ، إنما الذي يعنينا أن تكون هناك خطة مدروسة ، وهدف واضح ، يحدده المفكرون المسلمون ، ويدعون اليه الشعوب الاسلامية كلها ، على كلمة سواء ، أن لا نعبد إلا الله ، وأن لا يكون لنا قائد غير محمد ، ولا دستور إلا دستور القرآن الكريم .. وليشهد العالم أنا مسلمون .

حافظ ابراهيم

شاعر الإسلام

٢

للدكتور حسن فتح الباب

لا غرو أن تكون قصائد شاعر النيل حافظ ابراهيم التى استوحاها من الأعياد الاسلامية مباشرة أو من الشخصيات والأحداث التاريخية الاسلامية أكثر حفلا بالتعبير عن المبادىء والقيم الاسلامية ، وأوضح في دلالتها على اتجاهه الاسلامي من قصائده الوطنية والسياسية والاجتماعية التي نلمس فيها هذا الاتجاه تلميحا لا تصريحا . فالموضوع الأساسي للقصائد الأولى هو الاسلام ، والغرض من إنشائها وانشادها هو تمجيد رسالته الخالدة ودعوة أهله حكاما ومحكومين الى العودة الى أصولها والاستقاء من ينابيعها الطاهرة ، واتخاذها درعا تقى الأمة شر أعدائها في الخارج والداخل ، وتقضى على الآثار الضارة التي حاقت بها من جراء التخلي عن الجوهر الباقي والتشبث بالعرض الزائل .

وتمتاز أشعار حافظ التي كتبها من وحي الاسلام بقوة عاطفتها وإشراق ديباجتها وجمال موسيقاها ، وهى السمات التي يتميز بها شعره في سائر الأغراض التي ذكرناها بصفة عامة . ومرجع ذلك ـ كما نوهنا ـ إلى صدوره في كل ما نظمه عن روح وطنية اجتماعية دينية . وتتألق في تلك الأشعار أضواء الاسلام في عصره الذهبي كما يفوح عبق أمجاده وانتصاراته التاريخية . ويؤثر شاعر النيل تناول تلك الأحداث والأمجاد بأسلوب قصصي عصري يخلع عليه طابع الطرافة والتشويق وينأى به عن رتابة النظم التقليدي . ومن ذلك قوله في تحية العام الهجري (المحرم سنة ١٣٢٧هـ الموافق يناير سنة ١٩٠٩م) :

أطل على الأكوان والخلق تنظر   هلال رآه المسلمون فكبروا
وأذكرهم يوما أغر محجلا   به توج التاريخ والسعد مسفر
وهاجر فيه خير داع الى الهدى   يحف به من قوة الله عسكر
يماشيه جبريل وتسعى وراءه   ملائكة ترعى خطاه وتحفز
بيسراه برهان من الله ساطع   هدى ، وبيمناه الكتاب المطهر
فكان على أبواب (مكة) ركبه   وفي (يثرب) أنواره تتفجر
مضى العام ميمون الشهور مباركا   تعدد آثار له وتسطر
ففيه أفاق النائمون وقد أتت   عليهم كأهل الكهف في النوم أعصر
وفي عالم الاسلام في كل بقعة   له أثر باق وذكر معطر

ويمضي شاعرنا مطوفا بروح الوامق المنتمي الشفوق في أرجاء العالم الاسلامي المترامى الأطراف بوصفه وحدة واحدة لا تتجزأ مهما تعددت دوله ، يسجل أحداثه خلال العام المنصرم ، ويرصد المحاسن والمساوىء ، ويبين الانتصارات والنكسات ، ويستخلص من الماضي العبرة للحاضر والمستقبل . فينتقل من تركيا الى فارس ، ومن مراكش الى أفغانستان ، ومن جاوة « أندونيسيا » الى الجزائر وتونس ، حتى ينتهى الى مصر قلب الأمة الاسلامية فيغنيها أفراحه وآلامه

وأحلامه في نهضتها . ويسترعى النظر في هذه القصيدة صوت الحرية والجسارة منطلقا من صدر الشاعر لا يخشى في الحق ملاما ، فهو يدين السلاطين المستبدين ، وينذر الملوك اللاهين المفسدين ، وينقم على المستعمرين ويحذر من الفتنة ، ويشيد بالحكام المحسنين المصلحين ، ويتطلع إلى غد تتلاشى فيه الحدود والفواصل بين الدول الاسلامية ، وتقوم وحدة إسلامية حقة على أسس من الايمان والعلم والحكمة والقوة :

إذا اللــه أحيـا أمـــة لن يردها	إلى المــوت جبـــار ولا متجبر
رجال الغـد المأمـول إنـا بحاجة	إلى عالـــم يدعـــو وداع يذكر
فكونـــوا رجـــالا عاملـــين أعزة	وصونوا حمـى أوطانكـم وتحرروا
فما ضاع حق لم ينم عنــه أهله	ولا نالــــه في العالمـــين مقصر

وإيمان حافظ برسالة الاسلام ـ كما يبدو من هذه الأبيات ـ إيمان واع مستنير مدرك أن الدولة الاسلامية الحديثة ينبغي أن تأخذ بأسباب التطور وعلوم العصر في السلم وفي الحرب ، لأن الاسلام قائم على التفكير والعلم ، وهو دين ودولة ، ومنهج للحياة والتقدم : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)** الأنفال/ ٦٠ .فلا ينبغى أن نقف جامدين على حين يسارع الغرب إلى الكشف عن كل مستحدث في ميادين العلوم والصناعات والفنون والآداب ، ويحشد طاقاته ليفوز بقصب السبق في كل مضمار . فلندع له ما يخالف عقيدتنا من تقاليد وبدع ، ولنأخذ عنه ثمرات الكشوف والمخترعات العلمية . فتلك هو النهج الذي استنه رجال الدولة الاسلامية قديما حين نقلوا عن الحضارات القائمة في تلك الحين من فارسية وهندية ويونانية ، فأفادوا منها وأثروا بها ما حصلوه من آثار أسلافهم ، ثم أضافوا إليها حتى استطاعوا أن ينشئوا حضارة إنسانية عظمى أضاءت وجدان البشرية وفتحت أمامها مغاليق المعرفة قرونا طوالا . ولم تتدهور أحوال المسلمين إلا حينما سيطر الجمود ، وأغلقت أبواب الفكر والاجتهاد والابتكار والأخذ بالجانب الوضئ من المدنية الحديثة ، وتهافت الحكام على ملذات الدنيا وقمعوا الحرية وناموا عن أطماع العدو .

تلك هى المعاني التي توحى بها قصائد شاعر النيل والتي تعبر عن فكره الاسلامي النير . فهو يحض على نبذ البطء والتواكل والاستكانة لأن السرعة وعلو الهمة هما إيقاع هذا العصر ، ويحث على استخدام المخترعات الحديثة لأن هذا الاستخدام من أسباب النجاح والتفوق . ولكنه في نفس الوقت يحث على الاعتصام بحبل الله والتمسك بالفضائل والمثل العليا التي شرعها الاسلام وأرسى الصحابة والتابعون صرحها ، ويحذر من التنابذ والفرقة والأثرة فيقول :

أيهـا الشرقـي شمـر ، لا تنم | وانفض العجـز فان الجـد قاما
وامتـط العـزم جوادا للعلا | واجعـل الحكمـة للعـزم زماما
وإذا حاولـت في الأفـق منى | فاركـب البـرق ولا ترض الغماما
سابـق الغربـى واسبـق واعتصم | بالمـروءات وبالبـأس اعتصاما
جانـب الأطمـاع وانهـج نهجه | واجعـل الرحمـة والتقـوى لزاما
قوة الرحمـن ، زيدينـا قوى | وأفيضي في بنـى الشرق الوئاما

ونلتقي بنفحات التاريخ الاسلامي المجيد وما حفل به من أمجاد وبطولات في السلم والحرب في نشيد فريد في ديوان شاعر النيل ، ذلكم هو « نشيد الشبان المسلمين » الذي يستهله بتلك الدعوة التي أخذت بمجامع نفسه ، فأفسح لها من شعره مكان الصدارة ، وجعل منها معزوفته الأساسية ، واستوحاها أرق أنغامه وأعمقها أثرا ، وهى الدعوة الى إحياء تراثنا العريق في الدين والقيم الاخلاقية والانسانية ، والذود عن صرحها الأشم الذي لم تعن هامته للخطوب كما لم تعن جباه بناته لغير الله الواحد القهار ، والذي يسعى من في نفوسهم مرض للكيد له والانقضاض عليه : **(ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون):**

أعيـدو مجدنـا دنيـا ودينا | وذودوا عن تراث المسلمينا
فمـن يعنـو لغـير اللـه فينا | ونحـن بنـو الغـزاة الفاتحينا

وفي المقطع الثاني من هذا النشيد يعبر الشاعر بلغة مشرقة صافية عن مقومات الدولة الاسلامية في عصر الرشيد أزهى عصور الدولة العباسية ، وهى الحكم بالعدل بين الناس والاحسان والبر اليهم جميعا مما أفاء الله على الدولة من سعة في الرزق ووفرة في الثمار بعد الفتوحات الكبرى وهزيمة الامبراطوريتين الرومانية « البيزنطية » والفارسية أقوى دولتين في العالم حينئذ :

جبينا السحب في عهد « الرشيد » | وبـات النـاس في عيش رغيد
وطوقـت العـوارف كل جيد | وكـان شعارنـا رفقـا ولينا

ويستكمل الشاعر في المقطع الثالث مقومات الحكم الاسلامي الأصيل ، فيقول إن الفتح كان قائما على العلم وقوة الارادة كركنين أساسيين للرسالة الاسلامية . ويختتم النشيد بأن أسلافنا العظام براء منا وأننا غير جديرين بالانتساب إليهم ما لم نقتد بهم ونعمل على إقالة أمتنا من عثرتها أو نموت كراما :

سلـوا بغـداد والاسلام دين | أكـان لهـا على الدنيـا قرين

رجـــال للحـــوادث لا تلين   وعلـــم أيـــد الفتـــح المبينا

. . . .

فلسنـــا منهمـــو والشرق عانى   إذا لم نكفـــه عنـــت الزمان
ونرفعـــه الى أعلى مكان   كمـــا رفعـــوه أو نلقـــى المنونا

وتأسرنا قوة شعر حافظ في دفاعه عن العالم الاسلامي ودعوته الى تحريره إذ كانت أقطار كثيرة منه واقعة في قبضة الاستعمار الأوروبي يسومها الخسف والنكال ، ويكيد لدينها وقوميتها ، ويمتص خيراتها ، ويحجب عنها أنوار الحضارة . فيتصدى له بسلاح الشعر الحماسي ليثير في النفوس مكامن الحقد المقدس ، ويلهب عزائم المسلمين ، ويحرضهم على الجهاد والتضحية . ومنهجه الفني في ذلك هو تصوير فظائع العدو وخطاياه من إهدار للحرمات ، ونكث للعهود ، وانتهاك للشرائع السماوية والقوانين الوضعية ، وارتكاب للموبقات التي يعف عنها الحيوان على الرغم مما يزعمه من تمدنه وتحضره . ولشاعر النيل في هذا المقام قصائد من عيون الشعر الحماسي التصويري مثل قصيدته في حرب طرابلس في سنة ١٩١٢م ، وهي الحرب التي شنها الطليان طمعا وعدوانا في الشمال الافريقي العربي الاسلامي ، وكانت صفحة سوداء ووصمة عار في تاريخهم ، لما عمدوا إليه من تنكيل بالمدنيين من شيوخ ونساء وأطفال حتى ليقول حافظ وكأنه يسترجع ذكرى الحروب الصليبية الاستعمارية :

عجـــز الطليـــان عن أبطالنا   فأعلـــوا من ذرارينـــا الحساما
كبلوهـــم ، قتلوهـــم ، مثلوا   بذوات الخـــدر ، طاحـــوا باليتامى
بارك (المطـــران) في اعمالهم   فسلـــوه بارك القـــوم علاما ؟
أبهـــذا جاءهـــم إنجيلهم   آمـــرا يلقـــى على الأرض سلاما ؟
كشفـــوا عن نيـــة الغـــرب لنا   وجلـــوا عن أفـــق الشرق الظلاما

وكذلك منظومته التمثيلية التي قالها عقب ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت انتقاما من الأتراك في عهد نشوب الحرب الطرابلسية المشار إليها آنفا . وفيها يدعو المسلمين والنصارى إلى الوحدة حتى يقفوا بنيانا مرصوصا في وجه العدو ، ولا يتركوا له ثغرة ينفذ منها ، فليس مثل الانقسام عونا للمغير المعتدي ووبالا على صاحب الحق :

يـــا قـــوم إنجيـــل عيسى   وأمـــــة القـــــرآن
لا تقتلـــوا الدهـــر حقـــدا   فالملـــــك للديـــــان

أما قصيدته « أيا صوفيا » التي يخاطب فيها مدينة الآستانة ـ حين خيف عليها أن تمتلكها دول الحلفاء وتنزعها من يد الأتراك بعد أن احتلتها جيوشهم ، وكانت رمزا للخلافة الاسلامية ، وذلك عقب الحرب العظمى ـ فهى من عيون الشعر الاسلامي عامة ومن فرائد شعر حافظ خاصة ـ فهي تنبض بمشاعر متأججة لا تصدر إلا من قلب أديب مسلم غيور على دينه شديد الشجى لما أصاب أهله من ضراء .

ويكاد القارئ ان يسمع في ثنايا الأبيات صرخات الشاعر ، وأن تلفحه نار لوعته وحرقة زفراته ومنها قوله متضرعا إلى الله :

أيرضيك أن تغشى سنابك خيلهم — حماك وأن يمنى «الحطيم» و«زمزم» ؟
وكيف يذل المسلمون وبينهم — كتابك يتلى كل يوم ويكرم ؟

وتتوهج روح حافظ الاسلامية مع مشاعره الشخصية في مرثيته للامام الشيخ محمد عبده ، وهو يرسم فيها صورة صادقة جياشة بالعاطفة لشخصية العالم المصلح في الاسلام كما ينبغي ان تكون ملامح هذه الشخصية في مطالع القرن العشرين حين كان الاستشراق الأوروبي المغرض يلقي ظله الكثيف على بعض المضللين في العالم الاسلامي . وقد أدار حافظ قصيدته هذه حول عدة محاور هى تقوى الامام ، وصبره على ما ابتلى به من أذى الحاقدين ، وموقفه التاريخي في دحض أباطيل المستشرقين من أعداء الدين ، وتفسيره للقرآن الحكيم .

ومن أبرز هذه المحاور وحدة العالم الاسلامي كما تمثلت في الحزن العميم على موت المصلح الكبير ، تلك الوحدة التي طالما تغنى بها شاعر النيل . ففي وصف فضيلة الصبر يقول حافظ مخاطبا الامام :

وآذوك في ذات الاله وأنكروا — مكانك حتى سودوا الصفحات
رأيت الأذى في جانب الله لذة — ورحت ولم تهمم له بشكاة

وفي تصوير مقدرة الشيخ على إفحام المستشرقين يقول :

ووفقت بين الدين والعلم والحجا — فأطلعت نورا من ثلاث جهات
وقفت «لهانوتو» و «رينان» وقفة — أمدك فيها الروح بالنفحات
وخفت مقام الله في كل موقف — فخافك أهل الشك والنزعات
وأرصدت للباغى على دين أحمد — شباة يراع ساحر النفثات

وفي التعبير عن الحزن الذي اعترى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها كأنه يصدر من قلب رجل واحد يقول :

بكى الشرق فارتجت له الأرض رجة	وضاقت عيون الكون بالعبرات
ففي «الهند» محزون، وفي «الصين» جازع	وفي (مصر) باك دائم الحسرات
وفي «الشام» مفجوع، وفي (الفرس) نادب	وفي «تونس» ما شئت من زفرات
بكى عالم الاسلام عالم عصره	سراج الدياجي هادم الشبهات

وإذا كان حافظ قد رثى الشيخ محمد عبده بوصفه إماما مصلحا كرس علمه وجهده للدفاع عن الاسلام ، فلقد رثى الشيخ علي يوسف بوصفه كاتبا وطنيا إسلاميا من رواد الصحافة أفسح صفحات جريدته « المؤيد » التي أنشأها في سنة ١٨٨٩م لرد الامام على « هانوتو »، وكانت صحيفته هذه من منابر الاسلام ومنهلا زاخرا من مناهل الدين :

وكان ميدان سبق للألى غضبوا	للدين والحق من داع ومحتسب
أي الصحائف في القطرين قد وسعت	رد « الامام » مزيل الشك والريب
أيام يحصب « هانوتو » بفريته	وجه الحقيقة والاسلام في نحب

وفي هذه القصيدة أيضا نلاحظ ان الوحدة الاسلامية محور أساسي من محاورها ، فهو يؤكدها قبيل ختام أبياته كما فعل في مرثية الامام فيقول :

لولا « المؤيد » ظل المسلمون على	تناكر بينهم في ظلمة الحجب
تعارفوا فيه أرواحا ، وضمهمو	رغم التنائي زمام غير منقضب
في مصر، في تونس، في الهند، في عدن	في الروس، في الفرس، في البحرين، في حلب
هذا يحن الى هذا وقد عقدت	مودة بينهم موصولة السبب

أما الختام فهو مزج بين الجهاد الاسلامي والكفاح الوطني وهى إحدى السمات الأصيلة في شعر حافظ كما أشرنا من قبل :

جاهدت في الله والأوطان محتسبا	فارجع إلى الله مأجورا وفز وطب
واحمل بيمناك يوم الحشر ما نشرت	تلك الصحيفة في دنياك وانتسب

والتأثر بأسلوب القرآن الكريم وصوره واضح أيما وضوح في البيت الثاني ، فضلا عن دلالته القوية على إيمان حافظ والروح الاسلامية التي تنبض في شعره .

وتمتزج النزعة الوطنية بالنزعة الدينية عند حافظ أيضا في مرثياته الأخرى . أوليست مصر ــ موطن شاعرنا ــ هى كنانة الله في أرضه ؟ وكم لها من مآثر في نصرة الاسلام ، وهى مازالت حصنا منيعا من حصونه ودرعا تقيه سهام الخصوم .

ولا شك في أن هذه المعاني مستقرة في وجدان حافظ الاسلامي ، وأنه استوحاها في قوله من قصيدة في ذكرى مصطفى كامل الأولى :

ماذا يريـــدون ؟ لا قرت عيونهمو ... إن الكنانة لا يطوى لهـا علم
كم أمة رغبت فيهـا فمـا رسخت ... لها ــ على حولها ــ في أرضها قدم
ما كان ربـك رب البيـــت تاركها ... وهى التي بحبال منـه تعتصم

وفي رأينا أن شاعر النيل يعد نموذجا للشاعر الداعية الاسلامي في العصر الحديث . ولقد رأينا مصداق ذلك في دعوته الأمة الاسلامية الى تبوؤ مكانتها في ركب التقدم تحت شمس العلم ، والأخذ بالجانب الوضيء من الحضارة الأوروبية كما فعل المسلمون الأوائل وهم يلتمسون السبل إلى بناء الحضارة الاسلامية عاملين بما جاء في الأثر : « اطلبوا العلم ولو في الصين »، وما أوصى به الرسول القائد المعلم من تعلم اللغة السريانية ، فان من عرف لغة قوم أمن شرهم . ومما يدل على هذا الوعي الاسلامي المستنير عند شاعرنا أنه لم يكن متعصبا ضيق الأفق في فهمه لجوهر الاسلام ، بل عرف بمودته للمسيحيين من أهل مصر والشام ممن عرفوا بحسن الجوار والتعاطف مع المسلمين بدافع الانتماء إلى الوطن الواحد والمصلحة المشتركة ، ولأنهم أصحاب دين سماوي وليسوا كفارا .. والله تعالى يقول في محكم التنزيل : **(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا)** المائدة/٨٢ والرسول عليه السلام قد استوصى الصحابة بأهل مصر خيرا فقال : « إذا فتحت فاستوصوا بالقبط خيرا فان لهم ذمة ورحما » الطبراني والحاكم .

أما المنتمون الى المسيحية اسما والمخالفون لتعاليم عيسى في المحبة والسلام بسلوكهم المعادي للأمة الاسلامية وعقيدتها ، فان حافظا بوصفه شاعرا يدعو للاسلام قد وقف منهم موقف المهاجم . وقد تمثل ذلك في تنديده برئيس الكهنة الذي بارك إغارة الايطاليين على طرابلس وما ارتكبوه من مذابح ضد المسلمين يندى لها جبين الانسانية وتنهى عنها الديانة المسيحية .

ومودة حافظ ابراهيم للمسيحيين المناصرين للمسلمين ــ كما عرف بها ونطق بها شعره . ومن أمثلة هذا الشعر إخوانياته ومرثياته لقادة المسيحيين في مصر والشام وكبرائهم وشعرائهم ورجال الصحافة النابهين ممن كانوا يدا واحدة مع

المسلمين ضد أعداء الوطن وأعداء الدين ، فمن قصائده الأولى ما قاله في خليل مطران شاعر القطرين ، ود . فارس نمر العالم السوري عضو مجمع اللغة العربية ، ود . يعقوب صروف الأديب اللبناني وقد اشترك الرجلان في إنشاء مجلة المقتطف وجريدة المقطم وتحريرها ، وداود عمون الشاعر والمحامي اللبناني ، وواصف غالي وقد ترجم بعض الشعر العربي القديم إلى اللغة الفرنسية وفند مزاعم « رينان » ضد الاسلام ، وأمين واصف من كبار رجال الادارة ، ومسرة الشام وهو مطران كبير لطائفة الروم الأرثوذكس من أسرة مسرة المعروفة ببيروت ، وكان يعنى بالجرحى من مسلمين ومسيحيين في أثناء عدوان إيطاليا على بيروت ويقرب بين الطائفتين اهل الوطن الواحد .

ومن قصائده الثانية مارثى به الطبيب العالم اللبناني نزيل مصر المشهور شبلى شميل ، وجورجى زيدان منشئ مجلة الهلال وعلم من أعلام التاريخ والأدب العربي المرموقين ، ود . يعقوب صروف ، وحبيب المطران وكان سريا من سراة الشام ، وقد نزل الامام الشيخ محمد عبده بقصره في بعلبك في بعض أيام إقامته بالشام حين كان منفيا بها بعد الثورة العرابية .

بل إن السماحة الاسلامية العميقة الجذور في نفس حافظ قد وسعت الناس جميعا فيما عدا أعداء الاسلام والوطن . فشدا للانسان ذى القيم الفاضلة التي حث عليها الاسلام في كل مكان كما تفصح عن نلك قصيدته في الشاعر الفرنسي الذائع الذكر « فكتور هوجو » والكاتب الروسي العالمي « تولستوي ». وهذا يدلنا ايضا على تأصل سماحة الاسلام في نفسه ، تلك السمة التي يتصف بها المسلم الحق والتي تشتد إليها حاجتنا في هذا العصر الذي تصطرع فيه المذاهب والنحل ، ويبحث فيه كثير من المثقفين في مختلف أرجاء العالم عن الطريق ، ولا يقنعون بغير البراهين العقلية المنطقية ، ويلفظون أساليب التعصب والعنف . ونلك هو سبيل داعية الاسلام المتفهم لجوهر الدعوة ، والله تعالى يقول : **(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)** ويقول : **(وجادلهم بالتي هى أحسن)** النحل/١٢٦ .

وأخيرا فان لحافظ إبراهيم آية فنية بمقاييس الشعر الاسلامي هى منظومته القصصية المطولة ـ فقد بلغ عدد أبياتها ١٧٧ بيتا ـ في سيرة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، والخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصرح الباذخ في بناء الاسلام وحضارته الانسانية ، والحاكم القائد العلم الذي شهد له العالم أجمع أنه النموذج المجسد للعدالة ، ورجل الحق الذي لا تأخذه فيه لومة لائم . كما تمثل هذه القصيدة ذروة في شعر حافظ أيضا ، إذ تبلورت فيها موهبته في أكمل صورة ، وقامت دليلا لا يدحض على أنه نذر حياته وفنه للتغني برسالة الاسلام ومثله العليا ومناقب الصحابة ومآثرهم . ومن ثم تستحق هذه الآية الفنية الاسلامية الفريدة أن تختص بدراسة قائمة بذاتها ، وبالله التوفيق .

من دلائل صدق الرسالة المحمدية

مؤذن

للمستشار حسن الحفناوي

تساؤل يجيش أحيانا بنفوس الشباب .. ما الدليل على صدق الرسالة المحمدية المطهرة ؟.. فان استندت إلى القرآن الكريم فهم بعد .. لم يلموا بشئ كثير عنه .. ولا عن إعجازه .. بيد أن الأمر لا يوجب توقفا .. ولا يوجد حيرة .. ذلك أن هناك من الدلائل العقلية على صدق الرسالة .. ما يجل عن الحصر .. نجتزئ بشئ منها فيما يلي :

أولا : أجمع ثقات المؤرخين .. وكتاب السيرة .. أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ اشتهر منذ فجر شبابه بصفات ثلاث .. تميز بها : ألا وهي الصدق .. والأمانة .. ورجاحة العقل .

فلقد كان صادقا لم يجرب عليه كذب قط .. حتى في أحرج المواقف وأدقها .. ثم كان أمينا إلى أبلغ حدود الأمانة .. حتى أنه عندما عمل في تجارة السيدة خديجة .. أعجبتها أمانته .. حتى أعجبت به ..

واصطفته على أترابها من الأغنياء زوجا .. بل لقد بلغ من أمانته .. أن عرف بين قريش .. بالأمين .. والأمانة والصدق .. صنوان .. بعضهما من بعض .

كذلك كان راجح العقل .. ذكي الفكر .. ثاقب البصر .. يقطع في ذلك .. ما أوردته أمهات كتب السيرة .. من أنه .. قبل النبوة بسنوات .. هدمت قريش الكعبة لتجديد بنائها .. وعندما وصلوا إلى الحجر الأسود .. دب بينهم النزاع فيمن يضع الحجر منهم في موضعه .. ورأوا أن ذلك شرف .. لا يبخلون في سبيل نيله .. بنفس أو نفيس .. فبرزت كل قبيلة تزعم أنها وحدها صاحبة الحق في هذا .. حتى احتدم الأمر .. واستعر الخلاف إلى أن وضع السيف بينهم موضع التحكيم .. بل تحالف كثير منهم على الموت .. ولبثوا في خلفهم ذاك أربع ليال .. حتى تداركهم رجل فيهم .. له سمت وسن .. هو ابو أمية حذيفة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .. إذ أشار عليهم أن ينحوا السيف جانبا .. وأن يحقنوا دماءهم بأن يحكموا بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد .. فاذا الداخل من ذاك الباب ذاك الشاب الصادق الأمين .. إنه محمد بن عبد الله .. فلما رأوه .. استبشروا .. فقالوا .. هذا الأمين .. رضينا به .. ثم عرضوا عليه خطبهم .. وكان هو بين أمرين .. كلاهما مر .. فاما أن يبحث عن حل يرضيهم جميعا .. وذاك أمر صعب المنال .. وإما أن يفشل فيقع القتال لا محالة .. غير أن سداد نظره .. ورجاحة فكره .. وذكاء عقله .. أملت عليه حلا موفقا عجيبا .. إذ دعا بثوب ثم أخذ الحجر فوضعه في الثوب ثم طلب من كل قبيلة أن ترفع الثوب وتحمله من إحدى نواحيه .. وبذلك اشتركوا جميعا في حمل الحجر وعاد بينهم الوئام محل الخصام .

فاذا كان صدقه قد مكن له .. رغم صغر سنه .. أن يكون حكما بين القبائل في أمر جلل خطير .. وإذ كان راجح فكره أهله أن يحسم هذا الخلاف الكبير .. فان ذلك يقوم دليلا راجحا .. وبرهانا واضحا على صدق ما جاء به بعد ذلك .

ثانيا :

عندما نتأمل بالدراسة .. أول بوادر الوحي .. نرى منها دليلا صادقا على ما تقدم .. فمن المعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. كان قبل الرسالة .. قد تعود أن يتفرد بنفسه في غار حراء .. يتحنث .. عندئذ فوجئ بجبريل ـ عليه السلام ـ يحضر اليه ويأمره أن يقرأ .. فيجيب بأنه ليس من ذوي القراءة فيعصره عصرا شديدا ويعيد إليه الطلب .. ثم يقول له أخيرا : « **اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق ..** » العلق/ ١ ، ٢ تجمع المراجع على أن الرسول صلى الله عليه وسلم .. عاد إلى بيته .. وزوجه خديجة .. خائفا مرتجفا .. مستغربا متحيرا ثم أخبر زوجته بما

وقع له ثم يعلق لها على ذلك فيقول : « لقد خشيت على عقلي » .. فأخذت تثبته .. وتهدئ من روعه قائلة له : أبشر .. فوالله لا يخزيك الله أبدا .. إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث .. وتحمل الكل .. وتعين على نوائب الدهر .. ثم أرادت هي نفسها .. ان تطمئن إلى سر ما حدث فصحبت الرسول صلى الله عليه وسلم .. إلى ابن عم لها .. كان نصرانيا .. وعرف بالتنسك والتحنث وهو ورقة بن نوفل .. حيث قص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ما وقع له .. ففطن ابن نوفل إلى حقيقة الأمر إذ هتف قائلا : يا محمد .. هذا هو الناموس الذي أنزله الله على موسى .. ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك ! فعجب الرسول من ذلك .. وسأل متحيرا .. أو مخرجي هم ؟ ففسر له ورقة الأمر بقوله .. نعم : لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى .. وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً !!

فاذا لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم .. يدرك أول الأمر تفسير ما وقع له .. وكذلك خديجة .. لذلك لم يدع أول الأمر أنه وحي رسالة .. أو انه أصبح رسولا .. ولم يقص الأمر على أحد من أصدقائه .. وإنما أسرع إلى داره عائذا لائذا .. حتى فسر الأمر له عابد منقطع .. إذا كان الأمر كذلك .. فانه لا يتفق ـ في المنطق السليم ـ مع الكذب والاختراع لا سمح الله . بل إن ذلك دليل ساطع على الصدق .

ثالثا : من المسلم عقلا .. أن الانسان إذا كذب على غيره فلا يستساغ ان يكذب على نفسه .. فمن الممكن أن يوهم أحدهم بقية أصحابه كذبا .. أنه غني .. ولكن من غير المستساغ عقلا أن يكذب على نفسه بذاك الوهم .

على ضوء ذلك فلننظر بعض الحوادث مما أجمعت عليه جل كتب السيرة .

١ ـ حادث الهجرة إلى الطائف :

عندما ازدادت سفاهات الحاقدين من قريش .. للرسول صلى الله عليه وسلم .. وكثرت إساءاتهم له .. حتى أجمعت قريش أمرها فقاطعت النبي وصحبه من المسلمين .. وحصرتهم في شعب حيث لا تعامل معهم .. لا بيع ولا شراء ولا مصاهرة ولا محادثة وزاد الأمر شدة عندما ماتت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها .. وكانت تلك مصيبة بالغة .. فهي أخلص من أخلص له .. ثم مات عمه ابو طالب .. وكان يذود عنه كيد الكافرين .. عندئذ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحى بالدعوة وجهة أخرى فيمم شطر الطائف .. عساه يجد فيها معينا أو نصيرا .. وأخذ معه زيد بن حارثة .. وكان الأمل معقودا على ثقيف فهم أخواله وأقاربه .. فحادث سادتهم .. عبد ياليل .. ومسعود .. وحبيب بنو عمر ابن عمر .. وحاول أن يفتح أفكارهم .. وأن يوسع آفاقهم ولكن عميت بصائرهم فأساءوا فهمه .. كما أساءوا لقاءه .. بل وأغروا به الصبية والسفهاء .. فجعلوا

يحصبونه بالأحجار حتى أدميت قدماه فلجأ وزيد .. إلى بستان لعقبة وشيبة .. حيث صلى ثم توجه إلى السماء يناجي ربه فيقول كما جاء في كتب السيرة : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي .. وقلة حيلتي .. وهواني على الناس .. يا أرحم الراحمين .. أنت رب المستضعفين .. وأنت ربي .. إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ! أو إلى عدو ملكته أمري !! اللهم إن لم يكن بك غضب علي .. فلا أبالي .. ولكن عافيتك أوسع لي .. فأعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة .. من أن تنزل بي غضبك .. أو تحل علي سخطك .. لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك .. » .

لا جدال أن النبي صلى الله عليه وسلم .. لا يمكن أثناء ذاك الكرب الشديد .. والبلاء الكبير .. أن يلجأ إلا لما يؤمن به من عميق وجدانه .. بل إنه في خضم هذا البلاء لا يهمه منه شئ .. إلا أن يكون غير ناتج عن غضب الله عليه .. لا يمكن أن يتأتى ذلك .. في العقل السليم .. إلا من صادق مصدوق يؤمن بجوارحه ووجدانه بربه وبرسالة ربه .

٢ ـ من حوادث غزوة بدر :

شبيه بذلك ما وقع في غزوة بدر الكبرى .. إذ خرج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه في حوالي ثلاثمائة أو يزيد قليلا .. لا يبتغون قتالا .. ولا ينتوون حربا .. بل يتصدون لقافلة تجارية لقريش .. لعلهم يستردون بذلك بعض أموالهم التي خلفوها بمكة لقريش قسرا عنهم .. أما قريش فعندما عرفت .. خرجت بخيلها وخيلائها .. وقضها وقضيضها في نحو ألف من خيرة محاربيها منهم خيرة الفرسان .. وكان الأمر بالنسبة للمسلمين غاية في الدقة .. فان عادوا أدراجهم مؤثرين السلامة على القتال .. ففضلا عما في ذلك من انسحاب تأباه طبيعة الجهاد .. فانه يطمع الأعداء فيهم .. وإن آثروا اللقاء .. فهو لقاء غير متكافئ القوى .. ولا متوازن الأطراف .. موقف عصيب .. وساعة حرجة .. كفيلة بأن ينسى الانسان فيها كل كذب وتصنع .. وقد يذكرنا ذلك بموقف طلحة بن خويلد .. ذاك الذي كان قد زعم النبوة وزعم أن وحيا يتنزل عليه بكتاب .. فلما حاصره خالد بن الوليد وتحرج موقفه .. وتأزم مهربه .. أحاط به قومه وطلبوا منه أن يدعو ربه لينصره .. عندئذ .. نسى كذبه .. وهجر تصنعه .. وقال لهم : حاربوا عن أنسابكم وأحسابكم .. فأما عن الدين فوالله لا دين !!

في وقعة بدر كان موقف المسلمين وقائدهم غاية في الحرج والدقة .. لذلك أشار سعد بن معاذ سيد الأوس أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيموا له عريشا .. يكون موقعه أقرب إلى المدينة .. ويعدون عنده ركائبه .. فاذا كان اللقاء وانتصر المسلمون فبها ونعمت .. وإن كانت الثانية .. فيستطيع الرسول عليه الصلاة والسلام أن يلحق

بالمدينة ليخرج باقي رجالها ممن لم يخرجوا ليذودوا عنها ..

بنى العريش فعلا وبقي به الرسول فترة .. حتى دخل عليه أبو بكر فوجده مستغرقا في دعاء ربه يدعو .. ويجتهد في الدعاء .. حتى سقط رداؤه من على كتفيه .. وهو يقول لربه من ملء قلبه ووجدانه كما جاء في الأثر :

« اللهم هذه قريش أقبلت بخيلائها وفخرها .. تجادل وتكذب رسولك .. اللهم فنصرك الذي وعدتني .. اللهم أحنهم الغداة .. ثم يقول مجتهدا مناشدا : « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم .. فلا تعبد في الأرض .. » وظل كذلك حتى أشفق أبو بكر .. وقال له : يا نبي الله .. بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ما وعدك ..

ولا ريب أن مناشدة النبي صلى الله عليه وسلم ربه .. على انفراد بهذا الاستغراق العجيب .. وذاك الاجتهاد العميق في وقت هو من أشد الأوقات حرجا .. ليعتبر دليلا أكيدا على صدقه مع نفسه في علاقته بربه عز وجل .

٣ ـ من حوادث أحد :

إن غزوة أحد تمثل امتحانا عميقا لايمان المؤمنين .. إذ كان المسلمون كثرة .. ولكنهم هزموا .. لأسباب لا مجال للخوض فيها هنا .. والمعروف ـ بداهة ـ أن الانسان إذا تعرضت حياته لخطر محقق ... انشغل به عن أى وهم أو تصنع كان يتكلفه في حالته الطبيعية .

وفي هذه الواقعة تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لأخطر الاحتمالات .. فقد دارت الدائرة على المسلمين .. وفر كثير من صناديد الأبطال .. وشجعان الرجال .. وتعاهد أربعة من رءوس الكفر من قريش على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم .. يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .. كان أولئك هم : عبد الله بن شهاب وعتبه بن أبى وقاص .. وعمرو بن قمئه .. وأبى بن خلف .. ورماه بعضهم يومها بأحجار فكسرت رباعيته .. وشج في وجنته الشريفة وجحشت ركبتاه .. وكان الموت قاب قوسين أو أدنى لولا رعاية من الله لنبيه .. وأشاع الكافرون أن محمدا قد قتل ..

رغم هذه الشدائد .. فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزدد إلا ثباتا وشجاعة .. وكان كل حديثه أن قال : كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم ؟ ثم أخذ يتلو قوله تعالى :

(وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين) ١٤٤/ آل عمران .

لا ريب أنه ... وقد تبين .. أنه لم يذكر في خضم هذا الكرب الا أنه نبي الله إلى أولئك الناس ... ثم أخذ يتلو قول ربه ... كل هذا قاطع في الفكر السليم .. على صدق واضح أكيد ... لا يأتيه الباطل من بين يديه ... ولا من خلفه ..

وللبحث بقية إن شاء الله تعالى .

التطوّر والثبات في الفقه الإسلامي

الجزء الأول

للدكتور : محمد رواس قلعه جي

الحياة حامل ، ولكنها حامل من نوع خاص ، إنها تلد في كل ساعة مولودا جديدا ، وهذا المولود الجديد قد يشابه أحد أجداده الذين ولدتهم الحياة قديما ، وقد يكون متميز الخلق ، لا يشابه أحدا من أسلافه ، فمواليد الحياة لا تتناهى ..

وبدهي أني أعني بتلك المواليد « الحوادث » ، وبدهي أيضا أني أعني بما ضربته من مثال : أن الحياة الانسانية لا تستقر على حال ، بل هي في تبدل دائم ، أعني : في تطور دائم ... تطور في العلاقات الاجتماعية ، وتطور في العلاقات السياسية ، وتطور في الفاعليات الاقتصادية ، وتطور في العادات والأعراف .. وتلك مسلمة لا جدال فيها .

نزلت شريعة الله تعالى « الاسلام » على قلب محمد صلى الله عليه وسلم في نصوص ، سواء كانت هذه النصوص آيات قرآنية كريمة ، أم سنة مطهرة شريفة ، وهذه النصوص هي نصوص معدودة ـ قلت أو كثرت ، ونصوص الأحكام لا تتجاوز في أحسن أحوالها ثمانمائة نص ، وإذا كانت النصوص معدودة ، فالأحكام التي تحملها تلك النصوص هي أحكام معدودة محدودة حتما .. وهذه مسلمة لا جدال فيها أيضا .

والسؤال الآن : إذا كانت النصوص معدودة محدودة ، والحوادث التي تتمخض عنها الحياة غير محدودة ، فكيف تستوعب تلك

النصوص حوادث الحياة غير المحدودة ؟

إن هذه النصوص الثابتة لا بد وأن تحمل في كيانها روح التطور الذي يجعلها مواكبة لسيرة الحياة ، ومتطورة بتطورها ، تمدها بالأحكام اللازمة لها ، ولا تضيق أو تضعف عن استيعاب أي مولود جديد ـ أعني : حادثة جديدة ـ بأحكامها .

وطبعي أني لا أعني بهذا الاستيعاب « الموافقة الحتمية » بل أعني به « إيجاد الحكم الملائم » الذي يحقق مصلحة الجماعة .

والحق أن الفقه الاسلامي لم يقف حتى الآن ، ولن يقف في المستقبل ، مكتوف الأيدي أمام أية حادثة جديدة مهما كان نوعها ، بل لا بد وأن يكون له فيها حكم ، ولو فرضنا جدلا أن ذلك قد حدث ، فان العذر في ذلك ليس في الفقه ذاته ، بل في القائمين عليه ، فهم إما أنهم قد قصر علمهم عن الاحاطة بالنصوص الشرعية ، وإما أنهم لم يدركوا الأهداف التي ترمي إليها هذه النصوص .

وأعود فأسأل ثانيا : كيف يتم هذا التطور في تلك النصوص الثابتة ؟

أ ـ لو رجعنا إلى آيات القرآن الكريم لوجدناها تنص على مبادىء تشريعية عامة ، دون أن تخوض في التفصيليات ، فمثلا :

يقول الله جل شأنه : **(واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء)** البقرة/٢٨٢ .. ولكن : من هم الذين نرضاهم من الشهداء ؟ إن القرآن الكريم لم يبينهم ، وبينت السنة طائفة منهم ، وأضافت مدرسة الحياة التي يمثلها فقهاء المسلمين طائفة أخرى ممن لا ترضى شهادتهم ، لاستهتارهم بالقيم الاجتماعية ، مثلا .

وقال تعالى : **(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)** الأعراف/١٩٩ .. ولكن : ما هو هذا العفو ، وما هي حدوده ، وما هو العرف الذي يؤمر به ؟ كل ذلك متروك للحياة ، تطور مفهومه بشكل يواكب مسيرتها ، ولا يقف في وجه تقدمها الخير .

وقال تعالى : **(إن الله يأمر بالعدل والاحسان)** النحل /٩٠ .. ولكن ما هي الطرق التي تحقق العدل ؟ لقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم طائفة منها ، ولكنه ترك الكثير للحياة ، تستحدث من السبل ما يضمن إقامة العدل بين الناس .

مما تقدم نرى أن القرآن الكريم قد نص على المبادىء العامة دون أن يخوض في التفصيليات ، وبذلك يكون القرآن العظيم قد أوجد في نصوصه مرونة خاصة تجعلها قابلة للتطور .

والحق أن القرآن الكريم لم يفصل القول إلا في الميراث ، وقد أتى فيه بما هو محل أنظار المشرعين في أنحاء العالم **(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)** .. النساء/٨٢ .

ب ـ إن هدف كل الشرائع السماوية عامة ، وهدف الشريعة الاسلامية

خاصة تحقيق مصالح الناس في دنياهم وآخرتهم ، وما نزلت الأوامر والنواهي الالهية إلا لتحقيق هذه المصالح ، ولذلك فان الأوامر والنواهي الالهية تمثل المسار الحقيقي والأكيد لمصلحة الناس جميعا .

وقد تظهر هذه المصلحة للناس جميعا في بعض الأحكام ، فتلمس لمس اليد ، أو ترى رأي العين ، أو يحيط بها الفكر إحاطة السوار بالمعصم ، فلا ينكر منها شيئا .

وقد تظهر للبعض دون البعض ، حسب الاستعداد الفكري والروحي الذي يتمتع به الناظر ، وقد لا تظهر لأحد ، وعدم ظهورها لأحد لا يعني أنها قد انعدمت ، بل يعني أنها قد دق مأخذها حتى أصبحت فوق مستوى فهم الانسان ، ولكنها موجودة ولا بد ، وعلى المؤمن ألا يشك في وجودها ، ثقة منه بالله جل شأنه ، لأن الشريعة بجملتها صادرة عن الله سبحانه ، والله ــ جل شأنه ــ يجل عن العبث ، كالمريض يتجرع الدواء وهو يجهل تفاعله في الجسم ، ومع ذلك فهو يتجرعه إيمانا منه بفائدته ، ومصدر هذا الايمان الثقة بالطبيب الذي وصفه .

ولما كانت العبادة لا تقبل التطور ، كانت الأحكام فيها غير معقولة المعنى ، أعني أنها لا يظهر وجه المصلحة للناس فيها ، فما المصلحة من جعل صلاة العصر أربع ركعات ، وصلاة المغرب ثلاث ركعات ؟ ولماذا يجب الوضوء من خروج البول ، والغسل من خروج المني ؟ ولماذا تقرأ الفاتحة مع السورة في الركعتين الأوليين من الفرض ، ولا تقرأ الا الفاتحة وحدها في الركعتين الأخيرتين ؟ كل ذلك لا جواب عليه إلا تمحلا لمن تكلف الجواب .

والحكمة من عدم إدراك المصلحة في ذلك هي إبراز الجانب الايماني المفصح عن الثقة المطلقة ، بالله عز وجل ، لأنه لو ظهرت المصلحة للانسان في كل شيء لكان امتثاله للأمر الالهي هو امتثال للفكر ــ في الحقيقة ــ لا لله ، أو قل هو امتثال لله مشوب بامتثال الفكر ، ولكن عندما يتحقق الامتثال للأمر الالهي رغم غياب وجه المصلحة في هذا الأمر فهو امتثال تمحض لله تعالى .

ومن هنا كان ثواب العبادة لا يعادله ثواب آخر ، ومن هنا أيضا كان إصرار رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصه على العبادة .

أما أحكام المعاملات : كالبيع والرهن والاجارة والزينة و .. فانها خاضعة للتطور بتطور الحياة ، ولذلك قال الفقهاء : إن أحكامها معقولة المعنى ، وبعبارة أخرى اتفق الفقهاء ــ إلا من شذ منهم ــ على أن النصوص الشرعية ــ من قرآن وسنة ــ الخاصة بالعبادات غير معللة ، وأما النصوص الشرعية الخاصة بالمعاملات فانها معللة ، وكان لهذا الكلام نتائج على غاية من الأهمية ، ذلك أن النص الشرعي لم يعد حكما شرعيا لحادثة معينة ، بل أصبح قاعدة فقهية يقاس عليها ما لا

يحصى من الحوادث إذا اتحدت علتها مع علة الحكم في هذا النص .

وبذلك أصبح يلازم كل نص في المعاملات أمران : هدف ، وعلة ، ولا بد من أن تتحقق المناسبة بين الهدف والعلة ، فاذا ما خرجت العلة عن انسجامها مع الهدف ، أو خدمتها له : اعتبرت علة باطلة ، ولا يجوز إدارة الحكم معها وإذا ما خرج تطبيق حكم النص الشرعي عن تحقيق هدفه لأمر ما وجب تعديل الحكم بشكل يحقق الهدف الذي شرع الحكم من أجله ، أو إيقاف العمل به إلى أن تزول الظروف التي أدت إلى إخراج حكم النص عن دائرة هدفه .

وهذا ما يرى فيه بعض أدعياء الفقاهة خروجا على حكم النص ، ويرى فيه فوارس الفقهاء عملا بروح النص وهدفه .

وكما أن الهدف يكون سببا لايقاف العمل بالنص ، أو لتعديل الحكم الوارد فيه لظروف معينة ، يكون أداة لتخريج كثير من الأحكام لكثير من الحوادث الجديدة عليه ، كما تكون العلة أداة لقياس كثير من الأحكام على النص الذي توفرت فيه .

وهذا قد أعطى للشريعة الاسلامية قابلية للتطور ضمن نصوصها ، لا يقف عند حد ، أقول : نعم ... لا يقف عند حد ... لا يقف عند حد ..

وهذا ما يروق لي أن أسميه « تطور الشريعة ضمن نصوصها » .

ولم تتضح لدى كثير من الباحثين ومدعي الاجتهاد زورا ، فكرة أهداف النص ، بل لم تتضح لمن كان أضيق منهم نظرا فكرة تعليل النص .

حـ ـ لقد قلنا في مطلع الفقرة السابقة : إن هدف الشرائع السماوية عامة ، وهدف الشريعة الاسلامية خاصة تحقيق مصالح الناس في دنياهم وآخرتهم ، وما نزلت الأوامر والنواهي الالهية ، إلا لتحقيق تلك المصالح حتى قال ابن القيم : « أينما وجدت المصلحة فثم شرع الله » .

وانطلاقا من فكرة « الهدف » هذه ، كان لا بد وأن تلد في الفقه الاسلامي نظرية الاستحسان التي تعالج تخلف الأحكام عن أهدافها ، ونظرية الاستصلاح التي يتم بها ترتيب أحكام على مصالح جماعية حقيقية لم يرد فيها نص في الشريعة ، ونظرية العرف التي يتم بها ترتيب وتعديل كثير من الأحكام على ضوء الأعراف ، حتى قال الفقهاء : « المعروف عرفا كالمشروط شرطا » وقالوا : « التقييد بالعرف كالتقييد بالنص » .. واعتبار كل من الاستحسان والاستصلاح والعرف مصادر فرعية للتشريع ـ على اعتبار أن نصوص القرآن والسنة قد نوهت بها .

ويروق لي أن أسمي ذلك « تطور الشريعة خارج نصوصها » .

وخلاصة القول :

أن الشريعة الاسلامية ثابتة بأهدافها التي رسمتها نصوصها من قرآن كريم وسنة مطهرة ، ولكنها متطورة في حركية هذه النصوص .

مائدة القارئ

القرآن

قال تعالى : « إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما » .

الآية ٩ و ١٠ من سورة الاسراء

كن على إرث منهم

قال أحدهم مخاطبا أميرا من أمراء المسلمين :

أيها الأمير : إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف ظلم فغفر ، فكن على إرث من هؤلاء .

أفضل من الحق

إلى واقع التخاصم والفرقة الذي يعيشه المسلمون اليوم نسوق هذه الكلمات : وقعت دماء بين حيين من قريش ، فأقبل أبو سفيان ، فما بقى أحد واضع رأسه إلا رفعه ، فقال : يا معشر قريش ، هل لكم في الحق أو فيما هو أفضل من الحق ؟ قالوا : وهل شيء أفضل من الحق ؟

قال : نعم ، العفو . فتهادن القوم واصطلحوا .

أربعة تؤدي إلى أربعة

قال حكيم : **أربعة تؤدي إلى أربعة : الصمت إلى السلامة ، والبر إلى الكرامة ، والجود إلى السيادة ، والشكر إلى الزيادة .**

حكمة نبوية

ذبحت عائشة ـ أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ شاة وتصدقت بها ، وأفضلت منها كتفا ، فقال لها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما عندك منها ؟ » .

فقالت : ما بقى منها إلا كتف .

فقال : « كلها بقى إلا كتفا » .

حكمة نبوية رائعة فما يتصدق به هو الذي يبقى ثوابه ، لا ما يؤكل وينتفع به في هذه الحياة .

لا حسد إلا في اثنتين

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار . ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » .

صبي .. وهدهد سليمان

دخل الحسن بن الفضل ـ وكان صبيا ـ على أحد الخلفاء .. وعنده كثير من أهل العلم . فأحب أن يتكلم ، فزجره الخليفة قائلا : يا صبي كيف تتكلم في هذا المقام ؟

فقال الحسن : يا أمير المؤمنين إن كنت صغيرا فلست أصغر من هدهد سليمان ـ ولا أنت أكبر من سليمان عليه السلام ـ وقد قال الهدهد لسليمان كما حكى القرآن الكريم « **أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين** » . وألم تر يا أمير المؤمنين أن الله قد فهم الحكم سليمان « ففهمناها سليمان » ولو كان الأمر بالكبر لكان داود أولى .

أحسنت في الاساءة

أراد المتوكل شراء جارية قيل إنها فصيحة شاعرة ، فعزم على أن يعقد لها اختبارا قبل أن يشتريها ، فقال لأبى العيناء الشاعر الضرير : اختبر هذه .

فقال ابو العيناء :

أجيزي أيتها الجارية أحمد الله كثيرا

فقالت الجارية :

حيث أنشاك ضريرا .

فقال أبو العيناء : اشترها يا أمير المؤمنين ، فانها قد أحسنت في إساءتها .



حقيقة المواضع بين القرآن والسنة

من أراد أن يفهم كيف يفسر القرآن بعضه بعضا ، فعليه أن يجعل السنة بابا ينفذ منه إلى النهج الصحيح في قراءة القرآن ، وكيف تكون هذه القراءة مطابقة لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تم علم التجويد بكل أصوله وفروعه ، وتمت سائر علوم القرآن ، وقامت عليها الدراسات ، بكل الأزمنة والأمكنة . بل إن السنة تعلمنا كيف نفهم معاني القرآن ، وتأتي في تلك أحاديث كثيرة ، لا بد من معرفتها كلها ، لأنها

للأستاذ : محمد العفيفي

أحاديث متنوعة ، وعلينا أن لا نترك أى مقصد من مقاصدها الكثيرة ، دون أن نبذل أكبر الجهد في فهمه والعمل به .

من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما صح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : « سمع النبي صلى الله عليه وسلم ، قوما يتدارءون في القرآن ، فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا ، فلا تكذبوا بعضه ببعض ، فما علمتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه » رواه احمد وابن ماجه .

فهذا الحديث على ما به من العلوم الكثيرة ، يشير إلى مواضع الكلم ، عن الآيات والسور ، وكيف يدلنا كل ما تتعدد مواضعه في القرآن ، على مشاهد متنوعة ، يصدق بعضها بعضا ، وتتحرك معها دوافع التذكر في عقولنا فتتصل بها وجوه العلم ، في ترتيب معجز ، لا سبيل إلى تبديله أو تحريفه ..

ولننظر إلى قوله تعالى :

(من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا) النساء /٤٦ .

ثم إلى قوله تعالى :

(يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به) المائدة/ ١٣ .

ثم إلى قوله تعالى :

(يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه) المائدة/ ٤١ .

ومما يدلنا على الأعجاز في ترتيب آيات القرآن أننا نلحظ أن كلمة **(مواضعه)** قد جاءت ثلاث مرات في الآيات الثلاث السابقة ، كما هي مرتبة السور في القرآن كله . فسورة النساء تسبق سورة المائدة . والآيات الثلاث السابقة مرتبة بين آيات هاتين السورتين ترتيبا يدلنا على أن للقرآن إحكاما وتفصيلا ، ووحدة وتنوعا ، لا مثيل لهما في كلام البشر . فلولا هذا الترتيب ، الذي أمر الله به رسوله ، في شأن كل آية وكل سورة في القرآن كله ، ما وجدنا الآيات الثلاث السابقة بمواضعها من سورة النساء ثم سورة المائدة .

ولولا هذا الترتيب ما وجدنا كلمة

واحدة هي كلمة (**مواضعه**) تصلنا في كل مرة مع ارتباطها بسياقها الذي يتجدد بكل آية من هذه الآيـات ، بمقصد جديد ، حتى اتصل ترتيب هذه المقاصد في عقولنا ، فعلمنا أن العصيان ثم النسيان ثم خلط الصدق بالكذب ، هي النتائج التي ينتهي إليها تحريف الأمم السابقة للكتب الالهية ، التي أمرهم الله باتباعها .

إن العصيان ثم النسيان ثم الخلط بين الصدق والكذب ، حقائق واقعية ، لا بد من ترتيبها على هذا النظام كما أن الظمأ لا بد أن يسبق الحاجة إلى شرب الماء ، وكما أن شروق الشمس لا بد أن يسبق انتشار الضوء في آفـاق الحياة الانسانية .

وكذلك الأمر دائما كلمـا تعـددت مواضع أى قول قرآني في الآيـات والسـور ، فترابطـت من طريقـه المعلومات التي تتصل في عقولنـا ، ونحن نواصل تلاوة القرآن ، في ترتيب لا سبيل إلى نقضه ، أو تحريـف مساره في روح الانسان وقلبه وعقله .

وكما أمر الله رسوله أن يرتب آيات القـرآن وسـوره ، هذا الترتيـب المعجز ، فقد جعل سنتـه العمليـة والقوليـة ، في جملتهـا وتفصيلهـا تفسيرا للقرآن في جملته وتفصيله .

السنة حركة دائبة لتطبيق أهداف القرآن في الواقع العملي

والسنة ترتبط مقاصدها بمقاصـد القرآن ، ارتباطا عمليا ، يقبس لنا من نور القرآن ، بكل ما في أجزاء آياته من ثبات وحركة ، ليستمر هذا النظام في السنة ، فاذا هي دائبة التأثير في حياتنا العملية ، بما تغرسه في قلوبنا من نور القرآن ، وما تشيعه في عقولنا من معالمه المتجددة ، وآفاقه الدائبة الحركة ، المتصلة العطاء ..

إن هناك ارتباطا كميا وكيفيا بين أى مجموعة متنوعة الصيغ من كلمات القرآن ، مثل كلمة (**وضع**) في قوله تعالى : (**والسماء رفعها ووضع الميزان**) الرحمن/٧ ومثـل كلمـة (**وضعته**) في قوله تعالى : (**حملته أمـه كرهـا ووضعتـه كرهـا**) الأحقـاف/١٥ ومثـل كلمـة (**مواضعه**) كما نظرنا في المشاهد الثلاثة من قبل .

فأما الارتباط الكمي : فهو ارتباط كل كلمة قرآنية بعدد مواضعها الذي قدره الله لها في القرآن كله ، تقديرا نهائيا لا تبديل له .

وأما الارتباط الكيفي : فهو تقديـر المقاصد المتجددة ، التي تتصل في معرفتنا ونحن ننظر في ارتباط أى كلمة قرآنية بكل موضع جديد من مواضعها في الآيات والسور .

والسنة تجمع لنا النور القرآني الذي فصله الله في أنواع الصيغ وأعداد المواضع لكل كلمة قرآنية ، فتغرس نوره بمعرفتنا الانسانية في صيـغ جديدة ، ولكن فيها تطبيقا وتفسيرا لمقاصد القرآن ، المتعلقة بكل نوع بذاتـه ، من صيغـه اللغويـة ، وارتباطاتها في الآيات والسور .

ومن ذلك أننا نجد لهذه الكلمـات القرآنية الخاصة بمواضع الكلم ، في

آيات القرآن ، والخاصة بمواضع مخلوقات الله في الكون ، صيغة جديدة في السنة ، هي التي نعرفها — مثلا — في **كلمة التواضع** ، وهي من كلمات الحديث التي لم يرد نصها في القرآن ، وإنما نبعت من كل الصيغ القرآنية الدالة على المواضع ، كما سبقت الاشارة إلى نماذج منه في الآيات السابقة .

إن كلمة التواضع بسائر صيغها في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، إنما هي أنواع جديدة ، من الكلمات المماثلة لها في القرآن تتحرك بالمقاصد القرآنية حتى تصلها بأبعد أعماق الفطرة التي فطر الله الناس عليها .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« إن الله أوحى إلى أن **تواضعوا** حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد » رواه مسلم .

وينص هذا الحديث ، على أن السنة وحي من الله ، كما أن القرآن وحي من الله . ولكن القرآن هو كلام الله بنصه ومعانيه ، أما السنة فمعانيها وحي من الله وهكذا نعلم أن الوحي الالهي يتجلى في مقاصد السنة ، التي هي امتداد لمقاصد القرآن .

أما التكوين اللغوي للسنة ، فهو يقوم على مواضع الكلم ، التي وهبها الله لرسوله خاصة ، ولا مثيل لها في كلام البشر الخارج عن نطاق كلام النبوة .

وفي هذا الحديث — أيضا — تأتي كلمة (تواضعوا) بهذا الأمر الشامل ، الذي يتسع للحكم على من حرفوا كلام الله عن مواضعه ، ويتسع لكل أهداف الحياة الأخلاقية والعملية ، كما جاء بها دين الله ، قيما ثابتة ، تواكب كل أحوال البشر ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ويتجلى هذا كله بالسنة ، في أن الله شاء أن يكون كل معنى من معانيها في تقدم مستمر وإحاطة شاملة ، وبيان لكل خاص في ذاته ، وفي صلته بكل ما هو عام .

وليس كذلك معاني البشر ، في تكلفهم للمعاني ، وخلطهم بين المقاصد ، واختلافهم بين ما يريدون قوله ولا يقدرون عليه ، أو يقولونه ولا يريدونه .

إن الأحاديث الخاصة بالتواضع كثيرة ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم :

« ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا يعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه » رواه مسلم .

فهل يلتفت الذين يهونون من شأن السنة ، إلى هذا التجديد المتواصل في بناء السنة كله ، حتى نجد كل حديث إنما هو لبنة قائمة بذاتها تحمل معها مرحلة جديدة في البناء ، وحركة متنوعة في العطاء ..

لقد دار الحديث الأول على بيان التواضع في غاية من غاياته وهو ترك الفخر ، والبغي . ثم إن هذا الحديث الثاني ، يبين لنا ناحية اقتصادية عظيمة الأهمية في التواضع مهما نبحث في حقيقته الكمية أو الكيفية .

فمن التواضع أن يحرص العادون ، بكل مكان وزمان ، على الترتيب والتعقيب . ذلك أن الترتيب والتعقيب

هو الذي يسد الفراغ في حائط بيت بلبنات يتبع بعضها بعضا .
وكذلك عندما يقول قائل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ لا ينبغي له أن يعدل عن هذا الترتيب والتعقيب ، إلا إذا أخل بالحقيقة التي يفسرها لنا بهذا البيان الحسابي . ولو أخل أى إنسان بالترتيب والتعقيب في أى أمر لكان خارجا عن التواضع في معنى من معانيه وغاية من غاياته .

والصدقة ـ مثلا ـ رد لبعض أموال الأغنياء على الفقراء .
لذلك فهي إعادة لترتيب الحياة ، على وجهها الصحيح ، وقد دعا الشرع إلى ذلك وحض عليه اختيارا ، بعد أن جعل في فريضة الزكاة ، حقا معلوما للفقراء على الأغنياء .
فقوله صلى الله عليه وسلم في صدر الحديث السابق : « ما نقصت صدقة من مال » إنما هو حق لا ريب فيه ، لأن فيه بيانا للتكامل بين حركة المال في المجتمع وبذلك لا تنقص صدقة من مال .
ونجد الوحدة والتنوع في أحاديث الرسول كلما نظرنا في هذه الحركة المتجددة ، التي تزيدنا عطاء ، كلما زدنا كلام النبوة نظرا وتفكرا ..
ومن ذلك أننا ننظر في حديث جديد ، من الأحاديث التي جاء بها ذكر التواضع فنجد أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم « العضباء » لا تسبق ، أو لا تكاد تسبق ، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين ، حتى عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه » رواه مسلم . فمن الجديد في معاني هذا الحديث بالنسبة للحديثين السابقين أن الرسول يبين لنا أن الله وضع كل شيء من الدنيا بموضعه . لذلك فالدنيا كلها منتهية حتما إلى الآخرة . فمهما يرتفع شيء من الدنيا ، فان الله يضعه لا محالة ، للدلالة على أن الدنيا ذات بداية ونهاية .

كل كلمة قرآنية لها رصيد يفسرها من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم

وهكذا نعلم أننا كلما نظرنا في حديث ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدنا لكل كلمة في القرآن ما يخصها من الأحاديث الكثيرة التي تدور معها في كل مواضعها ، وتقبس لنا من جملة نورها ما تصلح به أمور حياتنا في الدنيا والآخرة ، في بيان عملي ، وتفسير تطبيقي تفهمه كل العقول ، ويستطيع أن يعمل به كافة الناس مهما تتنوع ثقافاتهم ، ودرجات تحصيلهم العلمي ، بل وقدرة كل منهم على العمل .

١ ـ من تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للكلمات المتعددة المواضع

كما بين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم كيف ننظر إلى الآيتين

المتشابهتين السابقتين ، فقد خص بالذكر الكلمة القرآنية إذا كانت متعددة المواضع ، لنتعلم كيف نحصل على الفوائد المرتبطة بذلك ، كلما كنا بحاجة إليه . وذلك بأن نعمد مباشرة إلى كلمة بذاتها لننظر في مواضعها المتعددة .

ومن ذلك ما صح عن عبدالله بن مسعود ، قال :

لما نزلت هذه الآية (**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**) شق ذلك على الناس فقالوا : يارسول الله وأينا لا يقع في الظلم ، يقصدون ما يقع في حياة الناس اليومية من بعض التنازع ، وقد يظلم بعضهم بعضا في ذلك ، وهم لا يشعرون . قال صلى الله عليه وسلم : « إنه ليس الذي تعنون . ألم تسمعوا قوله تعالى : (**إن الشرك لظلم عظيم**) **إنما هو الشرك** ، رواه البخاري ومسلم وأحمد . .

فلننظر كيف تفتح لنا السنة بهذا الوجه من وجوه العلم أبواب الفهم لكتاب الله ، من خلال بيانها لهذا التقدم والتنوع اللذين تحملهما معها كل كلمة قرآنية ، متعددة المواضع في القرآن كله .

بل إن النظر إلى الكلمات المتعددة المواضع ، يبين لنا ـ كذلك ـ كيف ننظر في الكلمات التي ينفرد موضع كل كلمة منها ، في القرآن كله ، حيث يدلنا كل نوع من هذين النوعين على غيره .

٢ ـ من تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للمعنى في الكلمة القرآنية

وكما يعلمنا الرسول كيف ننظر في مواضع الكلمة إن كانت متعددة المواضع . فكذلك يعلمنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، كيف ننظر في معنى الكلمة القرآنية في ذاتها .

ومن ذلك ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال :

« قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية « **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون**) فصلت / ٣٠ .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد قالها ناس من الناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها » رواه النسائي .

فها نحن نرى أن تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم قد انصب على كلمة واحدة هي قوله : (استقاموا) وقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى (استقاموا) فذكر أن الاستقامة هي الاستمرار على الايمان بغير انقطاع . ومما يؤكد لنا هذا المعنى الثمين ، إن الخط المستقيم هو الخط المتصل ، فالاستقامة والاتصال بمعنى واحد ، في كل أمر من الأمور . ولننظر الى تركيب المعاني في هذا الحديث الشريف حيث قال صلى الله عليه وسلم : « قد قالها ناس من الناس » أي مجتمعات بشرية بين البشر جميعا في جملتهم الواحدة » ثم قال صلى الله عليه

وسلم : « **فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها** » فربط هنا بين كل أحد من الذين **(قالوا ربنا الله)** وبين مجتمع المؤمنين خاصة .

وهذا من أثر التركيب القرآني ، في فهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، لبناء المجتمع البشري ، بكل ما فيه من ثبات الخصائص ، وحركتها الدائبة من الدنيا الى الآخرة .

والرسول صلى الله عليه وسلم ، قد بين لنا هذه الحقيقة في أحاديث كثيرة ، يحمل كل منها لبنة جديدة في بناء السنة كله .

ومن ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :

« خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال : هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وشماله وقال : هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه .. وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)** (الانعام/١٥٣) ـ رواه احمد والنسائي .

فلو نظرنا في جملة الأحاديث التي تبين لنا هذه الكلمة القرآنية في سائر صيغها ومواضعها ، لرأينا العجب العجاب ، ولكن هذا أمر ليس في وسع شخص واحد ، وإنما يجب أن يتجرد له أهل العلم في الأمة كلها .

٣ ـ من تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للترابط بين كلمات القرآن وهي في سياق واحد

ويزداد هذا الأمر وضوحا إذا نظرنا إلى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم للمعاني القرآنية التي نجدها مع اتصال كلمات القرآن بعضها ببعض .

فقد روى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه فسر قوله تعالى :

(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يونس/٢٦

فقرأ قوله تعالى : **(للذين أحسنوا)** وقال : « شهادة أن لا اله الا الله »

وقرأ : **(الحسنى)** وقال : « الجنة »

وقرأ : **(وزيادة)** وقال « النظر إلى ربهم » رواه مسلم .

فمن شاء أن يتوسع في فهم النتائج المترتبة على هذا التفسير ، فلينظر إلى مواضع كلمة الحسنى ، ومواضع الصيغ المرتبطة معها من حيث الأصل اللغوي ، ثم لينظر كذلك إلى مواضع الكلمات الدالة على الزيادة ، وسيعلم أن تفسير الرسول لهاتين الكلمتين ، إنما هو نور شامل يصلنا بالكثير من آيات القرآن وسوره ، ويبين لنا الطريق إلى النظر في كل ما فهمه الصحابة والتابعون ، لوجهين أساسيين من وجوه الفهم للكلمة القرآنية . فأما الوجه الأول فهو الكلمات القرآنية وهي مترابطة بسياق واحد كما رأينا الآن .. وأما الوجه الثاني فهو فهم الكلمات القرآنية وكل كلمة منها متعددة المواضع والارتباطات في القرآن كله .



للدكتور : احمد الحوفي

(حقيقة الشجاعة)

عرض أرسطو لتعريفها فقال : إننا نخاف الأشياء التي من شأنها أن تخاف ، وهذه الأشياء هي الشرور ، فالخوف اذا هو تصور الشر ، سواء أكان عارا أم فقرا أم مرضا أم موتا . غير أن الرجل الشجاع لا تظهر عليه الشجاعة ضد جميع الشرور بلا استثناء ، بل من الشرف أن يخاف بعض الشرور ، ومن المخجل ألا يخاف مطلقا .

مثال ذلك العار ، فالرجل الذي يخاف العار حقيق بالاحترام ، وذو شعور بالشرف ؛ أما الذي لا يخافه فهو وقح شقي ، وان سمى شجاعا أحيانا فهذا مجاز لأن فيه نوعا من الشبه بالرجل الشجاع .

فما الشرور المخوفة التي تنطبق عليها الشجاعة في الحقيقة ؟.

إنها الشرور العظمى ، لأنه لا يطيقها الا الشجاع ، والموت أشدها إخافة .

لكن الشجاعة لا تنحصر في مكافحة الموت في جميع الأحوال بلا تمييز ، بل تنحصر في مكافحة الموت في الحرب ، حيث يدافع المرء عن نفسه بشهامة ، وحيث يكون الموت شرفا ومجدا .

وسيتبين من شجاعة رسول الله

صلى الله عليه وسلم أنها كانت أعم من هذا وكانت اسمى من رهبة الموت في الدفاع عن النفس ، لأنها كانت في حماية النفس ، وفي الدفاع عن الدين وعن الحق ، وعن الصحب وعن المستضعفين ، وعن المثل العليا التي دعا الاسلام إليها .

فلم يكن رسول الله شجاعا فحسب بل كان المثل الأعلى في الشجاعة ، اذ كان شجاعا في السلم وشجاعا في الحرب وكان شجاعا في وحدته وقلة من أنصاره ، وشجاعا في جماعته وفي كثرة من أعوانه ، وكان شجاعا في جهره بالحق ، وفي دفاعه عن العقيدة مهما تكن عاقبة الشجاعة .

وإذا كان التاريخ القديم والحديث قد سجل في صفحاته أسماء كثير من الشجعان الذين تضرب بشجاعتهم الأمثال فانه لم يستطع ان يسجل لواحد منهم ما سجله لرسول الله من ضروب الشجاعة المثلى في مصادرها وفي مظاهرها وفي غاياتها .

مصادرها

أما مصادر شجاعته فهي وراثته وفطرته وتربية الله له ، وحسبنا أن نذكر قوله تعالى : **(ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)** التوبة / ١١١ .

وقوله تعالى :**(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين)** آل عمران / ١٦٩ ـ ١٧١ .

وقوله سبحانه : **(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)** الانفال / ١٥و ١٦ .

مظاهرها

أما مظاهر شجاعة الرسول فانها كثيرة الالوان متعددة الضروب ، لكنها تنحصر في شجاعة الرأي وفي شجاعة الحرب .

١ ـ شجاعة الرأي :

قضى الرسول حياته قبل البعثة ساخطا على ما يرى من فساد العقيدة ، وضلال العقول ، وعمى القلوب وانحلال الأخلاق وكان قد شاركه في بعض هذا السخط معاصرون له هم الحنفاء ، لكن سخطهم لم يكن مثل سخطه ، وغيرتهم على كرامة الانسان لم تكن مثل غيرته ، وتشوفهم الى العقيدة الصحيحة لم يكن كتشوفه .

ثم اجتباه الله لرسالته ، فثبت على الدعوة إليها ثباتا لا يتململ ، وغار

على دينه غيرة لا تتحول ولا تتبدل .

أ ـ فقد ضاقت قريش بدعوته إلى الاسلام وبتسفيه أحلامها وعيب ألهتها ، فمشوا إلى عمه أبى طالب وقالوا له : إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وإنا قد شكونا إليك ابن أخيك ، فلم تنهه عنا ، وإنا والله لن نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك ، حتى يهلك أحد الفريقين . فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفسا بخذلان ابن أخيه ، فقال له : يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا ، فابق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق .

فظن الرسول أن عمه تخلى عنه وأنه خاذله قد ضعف عن نصرته ، فقال : يا عم : والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ، ثم بكى وقام ، فقال أبو طالب : يا ابن أخي أقبل ، فأقبل عليه فقال له : اذهب يا ابن اخي ، فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشئ أبدا . رواه ابن هشام في سيرته .

ب ـ بعد ان أسلم حمزة بن عبدالمطلب عرض عتبة بن ربيعة على قريش أن يغري الرسول بأمور لعله أن يقبل بعضها ، فيكف عن دعوته ، فوافقته قريش ، فمضى إليه عتبة وقال : يا أبن أخي إنك منا حيث قد علمت من الشرف في العشيرة والعلاء في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ؛ فاسمع مني أعرض عليك امورا تنظر فيها ، لعلك تقبل بعضها .

فقال له رسول الله : قل يا أبا الوليد أسمع .

قال عتبة : يا ابن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا ، سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمرا دونك ! وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا ولا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه .

فلما فرغ عتبة قال له رسول الله : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال الرسول : فاسمع مني ، قال عتبة : أفعل ، فقرأ الرسول : **(بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون)** فصلت / ١ ـ ٤ ومضى رسول الله يقرؤها وعتبة منصت ، وقد ألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ، ثم انتهى الى آية السجدة من السورة ، فسجد ، ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك .

فعاد عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد

جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به .

فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد : قال : سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم به أسعد الناس .

قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم .

جـ ـ قال عبد الله بن عمرو بن العاص إن أشراف قريش اجتمعوا يوما في الحجر ، فذكروا رسول الله وقالوا : لقد سفه عقولنا وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، ولقد صبرنا منه على امر عظيم ، وبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ، فمضى حتى استلم (الركن) ثم طاف بالبيت . فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ـ فعرفت ذلك في وجهه ـ ثم مضى ليطوف ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ـ فعرفت ذلك في وجهه ـ ثم مضى فمر بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلها ، حتى وقف وقال : أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح . فأطرق القوم كأنما على رأس كل واحد منهم طائر واقع ، حتى إن أشدهم على رسول الله وطأة قبل ذلك ليسكنه ويهدئه ، ويقول : انصرف يا أبا القاسم راشدا ، فوالله ما كنت جهولا .

فانصرف رسول الله ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه ، فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسول الله فوثبوا إليه جميعا ، فأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا لما كان قد بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، فقال : نعم ، أنا الذي أقول ذلك . فرأيت رجلا منهم أخذ بمجامع ردائه ، وقام أبو بكر الصديق دونه يقول وهو يبكي : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ، ثم انصرفوا عنه .

٢ ـ شجاعة الحرب

لقد تجلت شجاعته الحربية منذ مطلع شبابه ، فانه لما كان في الرابعة عشرة والخامسة عشرة هاجت حرب الفجار بين قريش ومعها كنانة وبين قيس عيلان ، وشهد رسول الله وقائعها إذ أخرجه أعمامه معهم ، وحدث رسول الله بقوله : كنت أنبل على أعمامي .

ثم كان بعد النبوة يشارك في المواقع ، ويقدم إقدام البطل ، ويمارس ما يمارسه أشجع قائد ، ويتعرض لما يتعرض له أتباعه وجنوده ، على حين أنه كان يستطيع أن يعفى نفسه من هذه المشاركة العملية ، اعتمادا على أنه النبى ،

فيتوارى أو يتحصن أو يتخذ مكانه في مؤخرة الجيش .

ولو أنه فعل ذلك لكان له مندوحة لا يرقى إليها تثريب ولا ملام ، ولو أنه آثر هذا المسلك لرضي المسلمون به مرضاة خالصة ، فقد كانوا يؤثرون رسول الله على أنفسهم ، ويشترون سلامته بأرواحهم .

أ ــ ففي غزوة بدر تزاحف المسلمون والمشركون ، ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل . وجعل يعدل الصفوف ، ثم دخل العريش ، وناشد ربه ما وعده من النصر ، ثم خرج إلى المسلمين فحرضهم ، وقال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة « سيرة ابن هشام » .

ب ــ وحينما علم بمقدم قريش لحربه في غزوة أحد قال لأصحابه : إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة ، وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام ، وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها .

وكان عبد الله بن أبى بن سلول يرى هذا الرأى ، وكان رسول الله يؤثر البقاء ، ولكن جماعة من أصحابه آثروا الخروج ، ولم يزالوا برسول الله حتى دخل بيته ، فلبس لأمته ، وتقلد سيفه ، ثم خرج إليهم ، فندموا وقالوا : استكرهنا رسول الله ولم يكن لنا ذلك . فلما خرج عليهم قالوا : يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فان شئت فاقعد . فقال : ما ينبغي لنبي اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل ، ويحكم الله بينه وبين عدوه . وخرج في ألف من أصحابه /رواه ابن هشام في سيرته والطبري . تتجلى هنا ضروب من الشجاعة . أولها في تدبير الخطة والموازنة بين قوة المسلمين وقوة قريش ، وإيثار أن يبقى المسلمون في مدينتهم ، ليدفعوا العدو المهاجم وهم أوفر منه قوة ، وأعز حصانة ، وأقدر على ملاقاته وان كانوا اقل منه عددا وعدة ، ولا تثريب على الشجاع أن يقف مثل هذا الموقف لأن الشجاعة تقتضي الهجوم تارة وتقتضي الارتداد تارة ، وتكون في المبادأة حينا وتكون في التريث حينا آخر .

وثانيها في الاستجابة لحماسة الكثرة التي آثرت الخروج من المدينة للقاء قريش ، فانه لم يكن بد من هذه الاستجابة والجذوة متقدة ، والعزيمة ملتهبة ، والنفوس متلهفة إلى الاستشهاد في الدفاع عن العقيدة وعن الوطن ، والا كانت هذه الحماسة عرضة لأن يخمدها البقاء واختلاف الآراء .

وثالثها مضاء النبي في عزيمته ، ورفضه ان يستجيب لدعوة البقاء بعد أن لبس لأمته وأعد عدته ، واصراره على ألا يضعها حتى يقاتل أعداء الله ، فانه بهذا الاصرار أذكى شجاعة الصحابة جميعا ، من كانوا يؤثرون الخروج ، ومن كانوا يؤثرون البقاء ، وخرج بهم يقودهم إلى لقاء الأعداء .





للأستـــاذ محمـــد الحسينـــي عبد العزيز

عرف الانسان صناعة الزجاج منذ القدم في بلاد الشرق الأدنى القديم ذات الحضارة العريقة كمصر وبلاد الرافدين وفينقيا وكانت المواد التي تصنع منها الأوانى الزجاجية متوفرة فالرمال والجير والصودا كثيرة وقد توصل الى صهرها معافي درجة حرارة مرتفعـــة (١٣٠٠° ــ ١٦٠٠° مئويـة) وتعتبـر الرمـال المادة الأساسية فتبلغ نسبتها الى الخليط نحو ٧٠٪ وكربونات الصوديوم ١٥٪ وكربونات الكالسيوم ١٠٪ .

أسلوب صناعة الزجاج وتشكيله

وأقدم الطرق التي عرفها الانسان القديم تقوم على أساس استعمال كتلة من الخشب يشكل حولها إناء من الرمل وتغمر الكتلة الخشبية مع الرمل في محلول الزجاج حتـى يعـم كل أجزائها وبعدها تسحب من المحلول الزجاجي وتترك لتبرد وتنزع منهـا كتلة الخشب ثم يرفع الرمل ويبقى الاناء على هيئة شكل الرمل الذي كان محيطا بقطعة الخشب ويأتـي دور

الفنان الصانع ليتولى صقله وتهذيبه كما يضيف اليه المقابض والزخارف زيادة في تنميقه وتزيينه .

أما الطريقة الثانية فتعتمد على تحويل الزجاج الذائب الى خيوط وبعدها تجمع الخيوط في حزم وتصهر لتتحول كل حزمة منها الى قضيب مستدير واحد يقطع الى قطع عرضية ليحصل منها على أقراص مستديرة تجمع في كل قرص منها الألوان التي كانت مستعملة في الحزمة ، ومن هذه الأقراص تصنع الأواني بأشكالها المتنوعة .

وقد كانت مدينة الاسكندرية بمصر صاحبة هذا الابتكار الفني الذي يتطلب مهارة فائقة ودقة كبيرة وظل يصنع بها منذ عهد البطالمة حتى الفتح الاسلامي وما بعده .

وكانت شهرة مدينة الاسكندرية بهذه الصناعة معروفة حتى أن القائد يوليوس قيصر اشترط على مصر أن تورد هذه الأواني كجزء من الجزية التي تقدمها لمدينة روما سنويا ، كما أن الامبراطور نيرون استقدم عددا من الصناع المصريين الى عاصمته ليشرفوا على إقامة مصنع للزجاج ويقوموا بمهمة تشغيله وإدارته .

وهناك طريقة الكبس في قالب وتعتمد على صب مادة الزجاج المنصهر في قالب معدني وتكبس بمكبس مناسب للقالب ويأخذ الاناء شكل هذا القالب .

والطريقة الرابعة هى طريقة النفخ في قالب وقد ابتكرها السوريون في القرن الأول قبل الميلاد وأحدثت ثورة هائلة في صناعة الزجاج حيث كان الزجاج المنصهر ينفخ بالفم بواسطة أنبوب النفخ داخل القالب المعدني وعندما يبرد الزجاج يأخذ الشكل المطلوب وينسب إلى مدينة صيدا ابتكار هذه الطريقة الجديدة .

وعن هذه المدينة صيدا انتقلت أسرار صناعة الزجاج بطريقة النفخ إلى روما حيث بدأ يصنع في إيطاليا وعنها انتقل إلى أوربا .

وتعددت أنواع الأواني الزجاجية وأشكالها فكانت صنجا تستخدم في عمليات الوزن أولا ثم صنعت أواني للشرب من أكواب وأباريق ودوارق ومصابيح وقنينات للعطور ومشكاوات وغيرها مما يحتاج إليه الانسان في حاجاته ومتطلباته اليومية بالاضافة إلى الأواني الكبيرة الخاصة كحفظ الأحماض ونقل السوائل وإجراء التجارب الكيميائية ، والتحاليل الطبية .

الأواني الزجاجية في الدولة الاسلامية

لقي الزجاج أكبر عناية من الصناع المسلمين الذين أقبلوا على تطوير صناعة الأواني الزجاجية المذهبة منها والعادية خاصة لأن الأواني الذهبية والفضية كان استخدامها محرما مما دفع الصانع إلى التوسع في عمليات صناعة الأواني الزجاجية التي لقيت من الخلفاء والحكام المسلمين أكبر اهتمام

بالاضافة إلى الاقبال على اقتنائها من أمراء أوربا وحكامها لأنها لا تصدأ ولا تتخللها أوساخ وإن اتسخت فالماء وحده لها جلاء ومتى غسلت أصبحت جديدة وتتضح نقاوة السوائل داخلها لصفائها وبهائها .

الزجاج المزخرف بالمينا

ابتكر الصانع العراقي في العصر العباسي الزجاج ذا البريق المعدنى ، وهذه الطبقة اللامعة تتكون من مسحوق الزجاج الذي يخلط مع بعض الأكاسيد المعدنية ويذاب هذا المخلوط في مادة زيتية ويوضع في الأفران تحت درجة معينة لتترسب هذه المينا على سطحه فتعطيه هذا البريق الجذاب وتنوع أسلوب تلوين الزجاج فاذا أريد اللون الأبيض الناصع استخدم أكسيد القصدير وإذا كان اللون المطلوب هو اللون الأخضر أضيف أكسيد النحاس ويمكن الحصول على اللون الأحمر عن طريق إضافة أكسيد الحديد ويتكون اللون الأصفر باضافة الأنتيمون واللون الأزرق باضافة اللازورد واللون الشفاف باضافة ذائب الرصاص .

وكانت طريقة التذهيب للزجاج من أعظم الأساليب التي ابتكرها وتوصل إليها الفنان المسلم ، بانتاجه زجاجا له بريق معدني أصبح يضاهي أواني الذهب التي كانت محرمة وصارت أعظم بديل للأواني المصنوعة من الذهب الخالص وقد انتقلت إلى مصر من العراق أيام الطولونيين وازدهرت



نافذة من الزجاج الملون

وبلغت شأوا من السمو في العهد الفاطمي .

البلور الصخري

البلور الصخرى حجر طبيعي له شفافية جذابة وتوجد في الجبال بكميات قليلة وتؤخذ وتهذب في أشكال مختلفة لتحفر عليها الزخارف نقشا وقد اشتهرت مصر في العهد الفاطمي الذي اتسعت فيه عمليات التنقيب واكتشفت هذه المادة على ساحل البحر الأحمر وكذلك في منطقة البصرة في

العراق وببلاد المغرب .

ويمتاز البلور الصخري بصلابته ومتانته وجمال شكله وقد نال إعجاب الكثيرين في العالم ولهذا فهو يزين متاحف أوربا وقصور أمرائها وكنائسها .

ومن أشهر التحف البلورية إبريق في كنوز كاتدرائية « سان ماركو » بمدينة البندقية بايطاليا وموضوع زخرفته هو رسم أسدين بينهما شجرة الخلد وعلى المقبض تمثال خروف صغير وبين رقبة الابريق وبدنه شريط من الكتابة الكوفية يؤرخ صنعه « بركة من الله للامام العزيز بالله » .

وفي كتدرائية مدينة « فرمو » بايطاليا إبريق من البلور الصخري رقبته مفقودة وعلى بدنه زخرفة من طائرين متواجهين بينهما فروع نباتية غاية في الدقة وتعلوها كتابة كوفية نصها « بركة وسرور بالسيد الملك المنصور » .

وفي متحف الأرميتاج إبريق آخر ذو مقبض قائم الزاوية وحول عنقه القصير شريط وبه زخرفة من فرع نباتي دائر وأما بدنه فعليه رسم أربعة أسود كل اثنين منها متواجهان .

ولا شك أن وجود مثل هذه الأواني في كنائس أوربا ومتاحفها دليل على ما لقيته من إعجاب لدقة صنعها وبديع زخارفها وصلابتها حتى قد دفعوا في الحصول عليها الأموال الطائلة لتزين بها الدور والقصور كما يفعل الناس في عصرنا حين يتخذون الأواني الزجاجية كوسيلة من وسائل تزيين



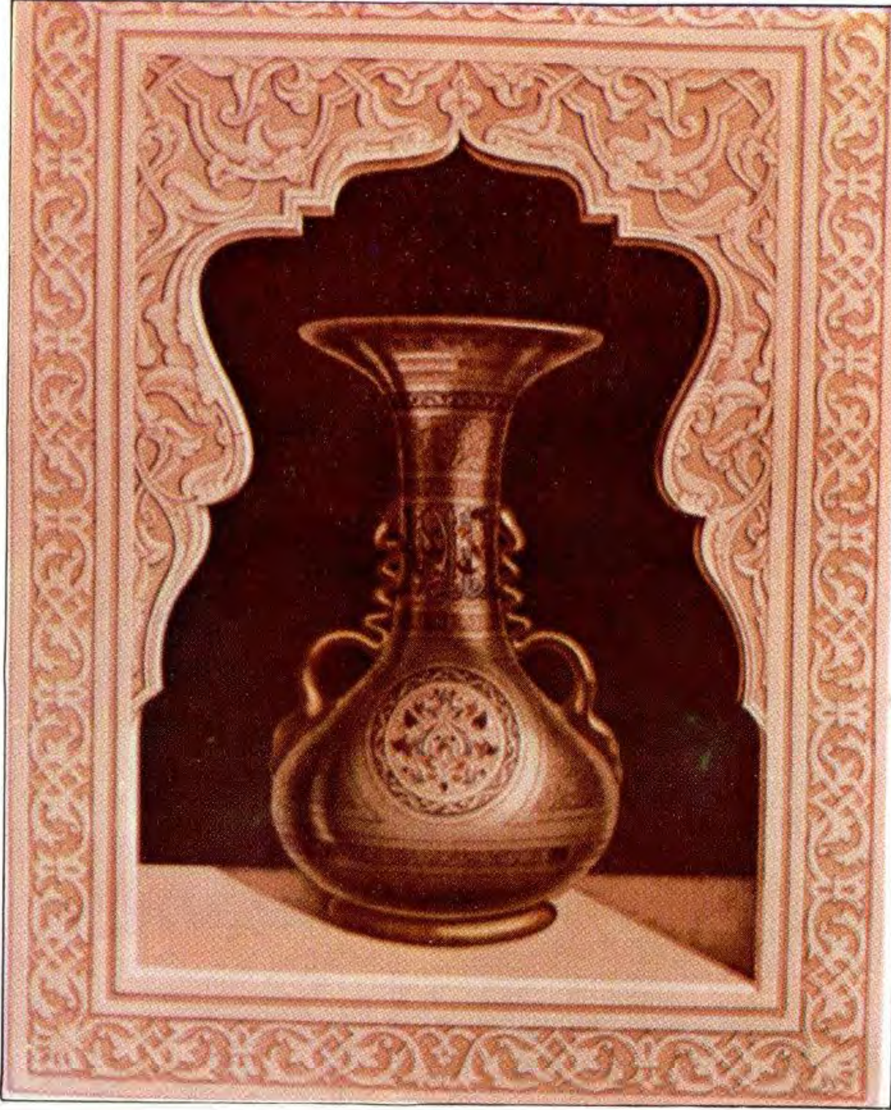
زجاج ملون على نافذة مسجد .

غرف الاستقبال لادخال البهجة على الضيوف والزائرين .

كما كانت هذه الأواني البلورية موضع إعجاب الرحالة فقد شاهدها « ناصرى خسرو » في رحلته إلى مصر بين عامي ٤٣٩ ـ ٤٤١هـ وامتدحها لكونها صلبة وشفافة ورائعة في زخارفها وجمالها .

الزجاج ذو البريق المعدنى

ازدهرت صناعة الأواني الزجاجية ذات البريق المعدني في العراق في العصر العباسي كما وصلت إلى درجة بالغة من الجودة والاتقان في العصر الفاطمي في مصر والشام وتطورت عما

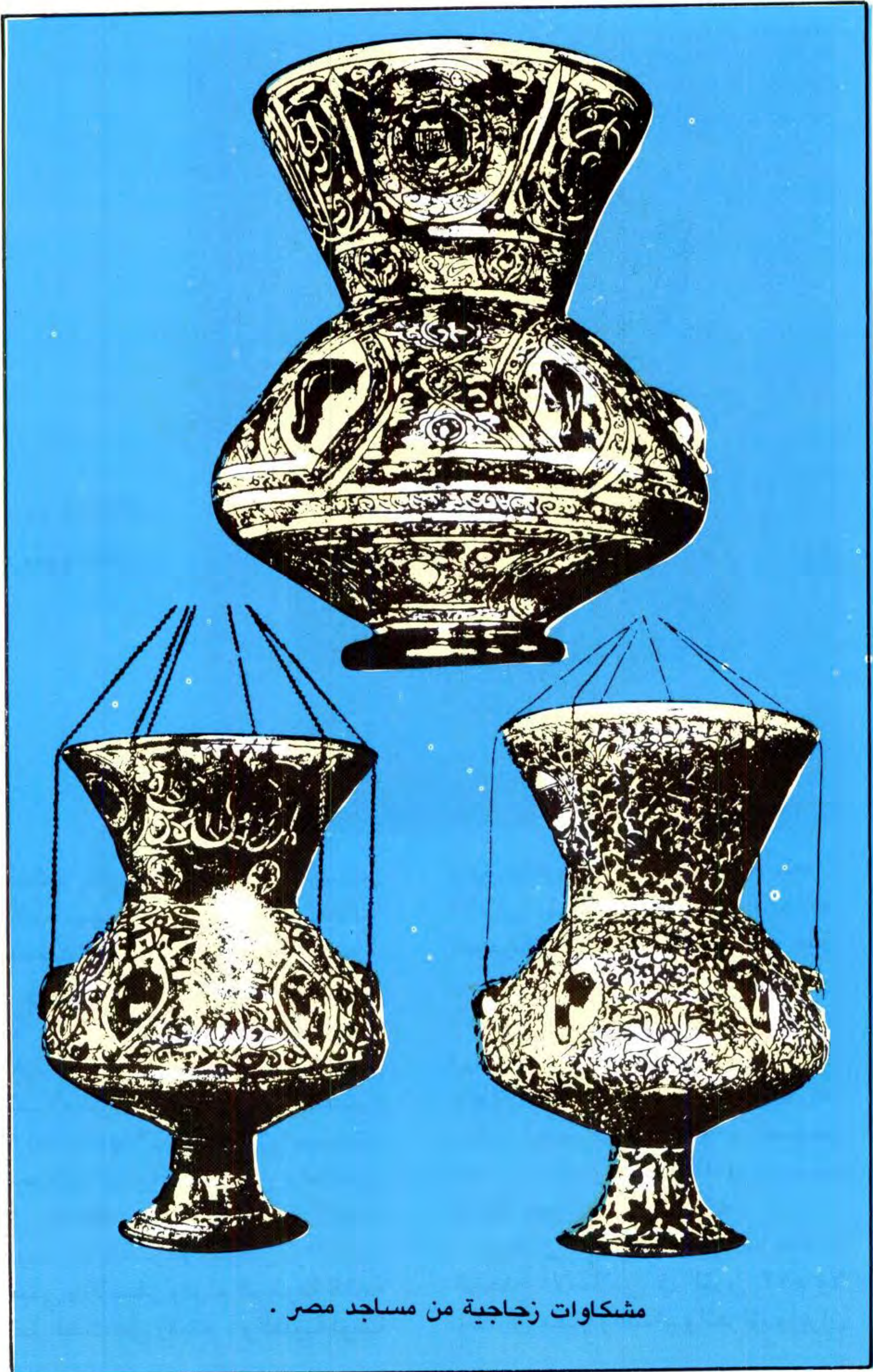


دورق زجاجي
مموه بالمينا .

كانت عليه أيام الطولونيين والاخشيديين وشمل التطور الدقة الصناعية والسمو الزخرفي .

ومن التحف الفاطمية النادرة من هذا النوع دورق من الزجاج المموه بالمينا كانت محفوظة في القسم الاسلامي من متاحف برلين وارتفاعها ثمانية وعشرون سنتيمترا ومحيطها تسعة وخمسون والتذهيب على التحفة بديع وهو متعدد الألوان ففيه الأحمر والأبيض والأخضر والبني والأصفر وقوام الزخرفة كتابة بخط الثلث على رقبته ، والقنينة لونها أزرق وتقوم على فروع نباتية متعددة الألوان وتحتها شريط من الزخارف المجدولة وبينها منطقة عريضة فيها رسم اثنى عشر فارسا من لاعبي الصولجان وفوق هذه المنطقة زخارف ورسوم حيوانات تركض من أرانب وغزلان وكلاب ويفصل بعضها عن بعض رسوم وريدات ذات فصوص خمس ، وفوق هذا الافريز رسوم نباتية حورت عن الطبيعة .

ويعتبر العصر الذهبي لصناعة الزجاج الاسلامي في القرن ١٣م ولا شك أن مصر والشام والعراق وإيران


مشكاوات زجاجية من مساجد مصر .

قد ساهمت في تطوير الأواني الزجاجية وقد حمل كثيرا من هذه الأواني بعض الحجاج المسيحيون الذين كانوا يفدون الى بيت المقدس .

أسلوب التذهيب

أما طريقة التذهيب والطلاء بالمينا فكانت تمر بمراحل متعددة حيث كان الصناع يضعون الزخارف المذهبة على التحفة بواسطة الريشة عند رسم الخطوط الخارجية وبالفرشاة في المساحات الكبيرة وبعد أن تحرق التحفة في الفرن للمرة الأولى يحدد موضع الرسم باللون الأحمر ثم يدهن ويطلي بالمينا المختلف الألوان .

المشكاوات

هذه المشكاوات ازدهرت في العصر المملوكي وقد تفنن الصناع المسلمون


مشكاة من الزجاج الشفاف

في صنعها وللمشكاوات الزجاجية مقابض تمسك منها بسلاسل فضية أو نحاسية وتتجمع السلاسل في داخل كرة زجاجية وشكل المشكاة منتفخ البدن ولها رقبة ومقابض تمسك منها وقد زخرفت المشكاوات ببعض آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى :
(كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى) النور/٣٥ بالاضافة إلى عبارة دعائية للسلطان الذي صنعت في عهده واسم الصانع ، كما وجدت عليها رسوم نباتية من ورود وزهور وزنبق ورسوم طير ، ولهذا تعتبر ثروة فنية هامة .

وتزهو متاحف العالم في مصر والشام والعراق وأروبا وأمريكا بهذه الأواني الزجاجية النادرة في طرازها التي كانت تزين المساجد في مصر والشام والتي صنعت خصيصا لها .

وهكذا تعددت الابتكارات في صناعة الزجاج في العصور الاسلامية وبلغت أشكال الأواني الزجاجية مبلغا كبيرا من التنوع والكثرة ، وكانت الزخارف على هذه الأواني تصاغ بالأسلوب الذي ابتكره الفنانون المسلمون بالاضافة إلى تنوع الكتابات التي عن طريق أسلوبها يمكن تحديد تاريخ صنعها .

إن هذه التحف الفنية الاسلامية في العالم سفارات لنا في الخارج تشيد بما وصل إليه الفنان المسلم من ذوق مرهف وعبقرية فنية في الانتاج الصناعي والفن الزخرفي جعلتها موضع التقدير والاعجاب .

من نفحات المولد النبوي الشريف

للدكتور/محمود محمد بكر هلال

يا عيـد طه هجـتَ حُرَّ بياني ... فسكبـتُ في ذكراك كل جناني
أكبـرت قدرك عن قواف قُيِّدَت ... ورفعـت ذكرك عن لهـاً وأغاني
فلأنـت بحـرٌ زاخـرٌ لم يكتشف ... ما فيـه من دُرٍّ ومـن مرجان
وَجـدتْ به سفـنُ الحيـاة مرافئا ... أمنـت بهـا ما كان من طغيان
لولاك لاضطرب الزمان وما اهتدى ... ولـكان يرزحُ في لظـى الكفران
فالـكون كان عمايـةً وضلالةً ... والجهل يحكم في بنـي الانسان
حتى طلعـت على الوجود منارة ... تهـدى على التقـوى إلى الايمان
عجبـاً لكل عجيبـةٍ من أمره ... لا ينقضي بتقـادمِ الأزمان
طفـلٌ رضيـعٌ هزَّ أركانَ الورى ... في مهده وهو اليتيـم العاني
في ليلـةِ الميـلادِ أشرقَ نورُه ... وانجـابَ ليـل الشرك والأوثان
غاضـت بحيراتٌ وأُخمِدَ ما علا ... للفُرس من لهـبٍ ومـن نيران
وتساقطتْ شُرفـاتُ كِسْرَى وانتهى ... ما كـان من زورٍ على الأيوان
وتزلْـزَلَ الكفـرُ البغيضُ ورُوعت ... دنيـا الضـلال ودَولـةِ البهتان
وهوتْ على الأذقان أربـابُ الهوَى ... وانفضَّ سامرُهـا من الكهّان
والحـانُ خرتْ والكئـوسُ تفزعتْ ... وغَـدتْ جفافـا في يد النُّدمان
طاحـتْ أباطيـل الجهالـةِ كلها ... لمّا بَدَا الإشراق من عدنان
أنقَـى من الزهـر الجميل بهاؤُه ... وشـذاه أعطـرُ من شذا الريحان
وأرقُّ من مَرِّ النسيـم إذا دَعَا ... لله في سرٍّ وفي إعلان
فإذا استطـال الكفـرُ كانَ صلابةً ... للحـق فوقَ شجاعـةِ الشجعان
وإذا الجبابـرُ صاغـرون لهديهِ ... وإذا الأكابـرُ مُرْهَفُـو الآذان
وإذا النفوس تَرِقُّ يملكهـا الهُدَى ... والحـق يَنفُـذُ بـين كل جَنان
وإذا النبـي هو الأثيـر لَديْهِمُو ... وأعـز من أهـلٍ ومـن وِلْدان
هذِي مبـادئ فتّحـتْ آياتُها ... غُلْـف القلـوب ومُغْلَـق الأذهان

ليست من السحر الحرام وإن تكن ... في فعلها أقوى على الإنسان
هي إن تكن شتى فإن جماعها ... في مبدأين : العدلِ والإيمان
جاء النبيُّ بها بياناً معجزا ... ولتلك آيته مدى الأزمان
بقيت على الأجيال نبعاً خالداً ... يَروي الحياةَ بحكمة القرآن
المعجزات جميعها فنيتْ ولم ... يَخلُد لها في الناس من بُرهان
إلا كلام الله دام مخلدا ... ما فيه من دين ومن فرقان
هذا هو الإعجاز لا ضَبٌّ ولا ... جِذْعٌ ينوح بلوعةٍ وحنان
أقسمتُ لم أرَ في الدعاة كأحمدٍ ... رُوحا سَمَتْ في هامة الأكوان
مَلَكَ النفوس بهديه ورشاده ... فنأتْ عن الآثام والطغيان
عَجَباً أكان السحر في آياته ... أمْ أنها شِيبَتْ ببنت دِنانِ ؟؟
كلا فما كان النبي مشعوذا ... أبداً ولا شيخاً من الكُهان
بل جاء يمحو الشعوذات جميعها ... ويريق ما تحوي كئوس الحان
لكنه الدين الحنيف جلالُه ... وجمالُه سرٌّ من الرحمن !!!
منْ يعتصمْ بحماه يصبحْ شامخا ... أقوى وأرسخ من ذرا ثهلان
والسابقون الأولون به بنوْا ... مجداً تليداً ثابتَ الأركان
قومٌ إذا سمعوا النداءَ تراكضوا ... لا يثنينهمو هَوًى وغوان
فإذا تراءى المال عفُّوا وانثنوا ... ودعوْا إلى الملكوت كالرهبان
لم يمتلك يوماً حماهم طامع ... كلا ولا خضعوا لأى هوان
قد علَّموا الدنيا الحياة كريمة ... والعيش حُرًّا في حِمَى الديَّان
لكنَّ أبناء الحنيف تغيروا ... ونأوا عن الأمجاد والقرآن
وتهافتوا نحو الحياة وضيعوا ... ما شَيَّدَ الآباء من عمران
فتحكَّمَ الباغي بقوم محمدٍ ... وعَدَا بمَسْراه الدخيلُ الجاني
صهيونُ صيره مباءةَ رجسهِ ... والقدسُ نورٌ طاهرٌ رباني
فإلى متى والشرقُ غافٍ غافلٌ ... وخطاه خطوُ العاجز الوَهنان ؟!!
يا قوم هيا فاستردوا مجدكم ... وتسلحوا بالعلم والإيمان
وهو الصراع فليس فيه موضع ... لمؤمِّل أو عاجز أو وانِ
والمجدُ لا يُشرَى بقول ساحر ... أو خطبة في محفل وأغانِ
فاحملْ لواءَك يا شباب فإنما ... تُعْلِي البلادَ سواعدُ الشبان
وانزعْ حقوق العُرْب من متطفل ... قد عاث في الأوطان كالذؤبان
وطغَى بأرض المرسلين وغرَّه ... ما طال من مال ومن سلطان
ومضَى يذيق الآمنين شروره ... بالغدر والتنكيل والعدوان
عفوًا رسولَ الله إني لم أزلْ ... في ذكرك الغالي وفي الميدان
فلقد جمعتَ الدين والدنيا معا ... وبلغتَ بالتقوى أعزَّ مكان
فاسأل إله العرش أن يرضى بنا ... ويَعُمَّنا بالعفو والغفران
ويُعيدَ للشرق المفدى مجْدَهُ ... ويُمِدَّهُ بالنور والإيمان
ويصيرَ دينك للبرية كلها ... نورا يضيءُ على مَدَى الأزمان

المؤتمر العالمي الثالث

للسّيرة والسّنة النبَويَة

- ☐ السنة صفحة ناصعة في جبين الأمة الإسلامية وإنكارها ردة عن الإسلام .
- ☐ السيرة النبوية منهج حياة متكامل وتاريخ أمة شامخة في ظل الإسلام .
- ☐ الإعلام ينبغي أن يبث برامجه على هدى من الإسلام .



شاركت الكويت في مؤتمر السيرة والسنة النبوية ممثلة في معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية السيد/يوسف جاسم الحجي والسيد/عبدالرحمن عبدالوهاب الفارس.وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية والسيد/فيصل مقهوي.مدير مكتب السيد وزير الأوقاف ، وقد شارك من الكويت أيضا وفود من العلماء المتخصصين في هذا المجال ، الذين رفعوا صوت الكويت عاليا بما قدموا من بحوث ودراسات حول السيرة الشريفة والسنة المطهرة .

وذلك شأن الكويت دائما تحرص على المشاركة الايجابية الفعالة في كل المؤتمرات التي تعود بالنفع على المجتمع المسلم أيا كان موقعه ، باذلة قصارى جهدها للسير به قدما الى النجاح .

وقد كان لها في هذا الميدان سبق مشهود ، وعمل جليل مشكور في المؤتمرين السابقين « للسيرة النبوية » في باكستان سنة ١٣٩٦هـ وتركيا سنة ١٣٩٧هـ .

هذا وقد عقد في مدينة الدوحة عاصمة قطر الشقيقة المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية في الخامس من محرم سنة ١٤٠٠هـ الى العاشر منه الموافق ٢٤ ــ ٢٩ نوفمبر ١٩٧٩م ، وقد أسهمت دولة قطر الشقيقة بجهد وافر في خدمة الدعوة ، والعمل على انجاح المؤتمر بهمة لا تعرف الكلل ، وروح اسلامية كريمة .

وقد أتى هذا المؤتمر في وقت نحن أحوج ما نكون فيه الى بعث لهذا التراث

العظيم ، الذي تركه أسلافنا الذين كانوا به قادة الدين والدنيا على السواء ، وأسسوا حضارة شامخة قواعدها على الحق ، وبنيانها من الهدى النبوي ، وشعارها العلم بما أنزل الله في ظل كتابه الكريم وسنة نبيه العظيم .

وهذا المؤتمر كان فاتحة احتفالات العالم الاسلامي بمقدم القرن الخامس عشر الهجري . وقد شاركت فيه كل البلاد الاسلامية والعربية بحرص شديد واخلاص وفير .

أهداف المؤتمر :

لا شك أنه باب من أبواب رحمة الله يجب أن يطرقه كل من له جهد ليبذله في خدمة الاسلام ، ويقدم للمسلمين ما ينفعهم . وهو مجال واسع لخدمة السنة المفترى عليها ـ في هذا العصر ـ والتأكيد على أنها المصدر الثاني للتشريع اذ لا تقوم الحياة إلا بها ، لصلتها بالقرآن الكريم حتى تدحض كيد أعداء الاسلام ، وتؤكد زيف دعواهم .

والمؤتمر مظهر من مظاهر الحركة الاسلامية الدائبة المعاصرة ، ودليل حي على صحوة الفكر الاسلامي وصلاحيته ، وواقع قائم لحركة متوثبة للوعي الذي اتسم به علماء المسلمين في خضم التيارات المتلاحقة من أعداء الله والحق ، وهو عامل توجيه لحث الهمم نحو اعداد البحوث والدراسات التي تعالج قضايا العصر في اطار الشريعة الغراء ، بإلقاء الضوء على المشكلات التي ظهرت على صفحة الحياة فغمرتها بغزوها المستمر ، وفرضت نفسها على مسرح الأحداث من خلال أجهزتها المنتشرة .

وفيه نستلهم الدروس من السيرة النبوية العميقة الأبعاد كأسلوب عمل ومنهج حياة ، تستقيم بها حياة الأجيال المسلمة في مستقبل أيامها ، ولمس متطلباتهم وعلاجها برفق وأناة ووعي .

أهمية المؤتمر :

لا شك أن قدوم القرن الخامس عشر الهجري يقف بنا على مفترق الطرق ، ويطالبنا أن نقف وقفة نراجع فيها أنفسنا ، ونحدد بها مسار خطواتنا نحو أمتنا المسلمة ونحو العالم من حولنا حتى نكون جديرين بانتسابنا للاسلام .

فالأمة الاسلامية جعلها الله خير أمة أخرجت للناس بكتابه الكريم ، وهدى نبيه الخاتم ، ولا يجب أن تتخلف ، وهي تملك كل أسباب الابداع والتقدم والارتقاء ، فلماذا نترك الركب العالمي يسير دون أن نكون قادته بما لنا من تراث ، وحضارة وعلوم .

فعقيدتنا الصافية استمدت قوتها من كتابها الخالد الذي لايشوبه العوج ، ولا تلعب به الأهواء .

كما أن السنة التي بذل علماؤها في سبيل بيانها وتنقيتها من الدخيل، الجهد

المتواصل المخلص تمثل صفحة ناصعة في جبين الأمة الاسلامية .

هذه الأصول حرى بها أن تورث أمتنا مقومات العزة والسعادة والقوة ، وتضع أقدامنا بكل ثقة على سلم التقدم ، وتأخذ بيدنا الى الطريق السوى روادا حداة للمجد والمعرفة .

واجبنا نحو العالم :

واجبنا نحو العالم هام جدا تدعو اليه الحاجة ، وأوصت به رسالتنا لأنها عالمية في هدايتها ، لا يستقيم حال الانسانية إلا بها ، فقد أتت بأرقى أسس الحياة ، ووضحت مناهج الاصلاح للمجتمع بلا افراط ولا تفريط ، يقول الله سبحانه : (**أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون**) وانطلاقا من عموم هذا النص الكريم نعلم أننا نحمل أمانة التبليغ والايضاح لهدى الله سبحانه .

وعلى هذا فالهدف من هذا المؤتمر بلا ريب هو بيان عظمة التشريع الاسلامي وسلامته ، ووجوب الأخذ به ، فالعالم في أمس الحاجة إليه ، ليكون حاديهم إلى الهداية والايمان .

وفود المؤتمر :

وقد اشترك في هذا المؤتمر عدد من السادة الوزراء وكبار المسؤولين عن الشؤون الاسلامية وجم غفير من علماء المسلمين الذين وفدوا من سبع وأربعين دولة ، الذين لهم باع طويل في الدعوة ، وقدم راسخ في فهم الاسلام وتعاليمه مستلهمين الهدى من كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وليس هناك أجل من ذلك ، يقول الله سبحانه : (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**) ، كما حضر المؤتمر وفود عن المنظمات الاسلامية الدولية مثل منظمة المؤتمر الاسلامي ورابطة العالم الاسلامي .

أمل ورجـــاء :

ولنا كبير أمل أن يخرج المؤتمر على العالم بما يحقق الهدف المرجو من انعقاده ، وأن تكون الأيام اللاحقة لهذا المؤتمر ناعمة بثماره حتى نقدم للبشرية اللاهثة وراء السراب الخادع السيرة النقية والسنة الناصعة ، والمنهج القويم فنأخذ بيدها من الظلمات الى النور ، ونكون خير خلف لخير سلف .

إذ واجب العلماء المجتمعين في مؤتمر السيرة والسنة النبوية العمل على تجديد الثقافة الاسلامية ، واخراجها لعالم اليوم دون دخيل ، وتجريدها من الشوائب التي ربما تكون قد خالطت جوهرها ، وتنقيتها من الآثار المترتبة على التعصب المذهبي والسياسي ، وحمل هذه التبعة ، وتبليغ الدعوة الى الناس بالحكمة والموعظة الحسنة .

بحوث ودراسات المؤتمر :

بالاستقراء وضح أنه قدمت في المؤتمر بحوث ودراسات تناولت شتى ألوان المعرفة ، ومختلف أوجه الفكر الاسلامي ، ومن المعروف أن هذه الدراسات كانت ولا زالت معينا للمعرفة لا ينضب ليس بالنسبة للشرق فقط ، بل بالنسبة للغرب أيضا ، والذي استمد منها الزاد العقلي والفكري والخلقي وكانت سبب تقدمه ، وانبهرنا بهذا التقدم فخلت بعض النفوس من نهج الاسلام ومحتواه العظيم ، لهذا أصبحت الساحة الاسلامية مهيأة ، عند ذلك تسربت المفاهيم الغربية بما فيها من إلحاد ، وظهر على اثر هذا ازدواج ثقافي في العالم الاسلامي ، فكانت هذه الصحوة التي تعمل جاهدة لتحفظ على العالم الاسلامي شخصيته ، وتحميه من الضياع ، وفقدان توازنه وسط موجة الثقافة الوافدة ذات التجارب والأبعاد والانحرافات التي لا تمثل واقع أمتنا من مجتمعات معاصرة لا تؤمن بالاسلام . وازدهرت فيها الحضارة المادية ، واشتد فيها الظمأ الى الروحانيات وأخلاقيات الاسلام ، وهي اليوم أرض خصبة لغرس الايمان وبيان فضله وعموم نفعه .

لجــان المؤتمر :

وقد قسم المؤتمر الى لجان أربع :

- لجنة السنة مصدرا للتشريع ومنهاجا للحياة .
- لجنة الدعــوة والاعــلام .
- لجنة التربية والشباب .
- لجنة التراث والمصـــادر .

ولقد عملت هذه اللجان عملا دائبا ليخرج المؤتمر ببيان فضل السنة وعموم نفعها ، وأهمية السيرة بكل جوانبها الفعالة بشكل أشمل وأعم ، فليست السيرة غزوات وبعوثا وسرايا فحسب .

ولبيان أن من ادعى الاكتفاء بالقرآن عن السنة ضال منحرف ، فالسنة قد بينت ما سكت عنه القرآن وفصلت ما أجمله .

ومن الغريب أن تتعرض السنة للنقد والانكار والتشويه ، بل والتجريح جهلا بشأنها وبغيا عليها ، فكانت لفتة واعية أن يضيف المؤتمر السنة النبوية الى جدول أعماله ، وجعلها من أهم بحوثه ليقف الناس على حقيقة السنة بمنطق العصر الذي نعيشه وبنظرة علمية موضوعية .

هذا ويجب علينا أن نحذر مغبة انصرافنا عن الاسلام لأنه ما ظهر الالحاد في أمة فتركت عبادة ربها ، واستباحت الحرمات إلا فتح الله عليهم من الشر كل باب ، وأيضا لا ينجو من هذا من ترك النصيحة والدعوة إلى الله يقول الله سبحانه : **(واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) .**

توصيات المؤتمر :

وقد أصدر المؤتمر توصيات من أهمها :

- أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قرينة القرآن الكريم ، وجحودها ردة عن الاسلام .
- سياسة الاعلام ينبغي أن تستمد روح الاسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة ، وضرورة اهتمام الحكومات والهيئات الاسلامية برسم سياسة اعلامية مستمدة من روح الاسلام ، وتعريف المسلم بوطنه الاسلامي الكبير ، والارتقاء بمستوى الكلمة والتزام الصحافة بالعمل على تكوين جيل مرتبط بلغته العربية والارتقاء بها صياغة وأداء .
- يوصي المؤتمر باحياء كتب التراث بما فيها كتب السنة رواية ودراية ، وتحقيقها تحقيقا علميا .
- وضع أحكام الشريعة الاسلامية في دستور كامل ، وجعلها في متناول كل دولة اسلامية لتفيد منها في تطبيق الشريعة الاسلامية .
- تعميق معاني التربية الجهادية واعتماد العقيدة العسكرية الاسلامية دون غيرها في الجيوش الاسلامية .
- التأكيد على نظرية الاسلام في التربية .
- انشاء مركز بحوث للدراسات المتعلقة بالسيرة النبوية ، والسنة الشريفة يعني بتجميع مصادر السيرة والسنة المخطوطة منها والمطبوع .
- اصدار دائرة معارف اسلامية يقوم على ادارتها وتحريرها علماء مسلمون أثبات .
- تشجيع ترجمة معاني القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وأهم الكتب التي توضح مزايا الاسلام الى اللغات الحية ، ولا سيما لغات الشعوب الاسلامية غير العربية .

وهناك قرارات وتوصيات كثيرة هامة نرجو لها أن تأخذ طريقها الى حيز التنفيذ ، وتنال من العلماء المتخصصين العناية اللائقة بها .

واختتم المؤتمر أعماله على أن ينعقد في المملكة المغربية ليواصل متابعته لما أنجز من مقترحات ، ويضع الحلول لما يجد من مشكلات ، ويعتمد الدراسات التي تهم العالم الاسلامي في عصره الحديث .

وأوصى المؤتمر على أن تكون المؤتمرات القادمة متخصصة ما أمكن ، تبحث في جانب محدد من جوانب السنة والسيرة تتوافر جميع الدراسات على استيعابه مع الأصالة والعمق والابداع ، وذلك حرصا على تعميق هذه الدراسات ، وتحاشيا للتكرار في تناولها .

والمجلة ترجو أن تواكب هذه المؤتمرات العصر ، وتصبغه بطابع الاسلام لتكون أهلا لحمل رسالة السماء ، وحتى يصدق فينا قول الله سبحانه : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .**



تنعي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إلى العالم الإسلامي عالماً جليلا هو:

فضيلة الشيخ/أحمد عبدالواحد البسيوني

الذي قضى حياته في خدمة العلم بلسانه وقلمه ، وترك بإخلاصه وحبه لواجبه أطيب الآثار .

ولد رحمه الله عام ١٩١٢م ، وحصل على الشهادة العالية من كلية أصول الدين جامعة الأزهر سنة ١٩٤٣م. وعلى العالمية مع إجازة الدعوة سنة ١٩٤٥م. وعلى العالمية مع إجازة التدريس سنة ١٩٥٠م .

اشتغل بالوعظ والارشاد منذ تخرجه وتولى مناصب قيادية في الأزهر الشريف إلى أن عين مراقباً عاماً للدعوة .

وشارك في إقامة المجمّع الإسلامي في حي المنيل بالقاهرة .

الشيخ أحمد البسيوني

رحمه الله

ويضم المجمع مسجداً ومدرسة وداراً للحضانة ومستوصفاً وداراً لتحفيظ القرآن الكريم .

واصل نشر الدعوة في البلاد العربية الشقيقة حيث أعير للسعودية ثم إلى لبنان واليمن والعراق وسلطنة عمان . وأثناء وجوده في لبنان أقام مركزاً إسلامياً في بلدة"البترون"ضم مسجداً ومدرسة .

وعمل في وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بدولة الكويت عام ١٩٧٥م . في الوعظ والإرشاد ثم تولى رئاسة تحرير مجلة الوعي الإسلامي لأفقه الواسع وعلمه الغزير ولما له من خبرة في الكتابة وقد أسهم بقلمه وعلمه في كتابة موضوعات قيمة عن السنة في المجلة ، هذا بجانب قيامه بإلقاء المحاضرات في المساجد والمدارس والجمعيات الاسلامية ومن خلال أجهزة الاعلام المختلفة .

من مؤلفاته : (قبسات من السنة) . ومخطوطات أخرى كان يعتزم طبعها .

تميز(رحمه الله)بغيرته الدينية وصلاحه في دينه ودماثة خلقه ووفائه ، كما كان عف اللسان سليم الطوية .

انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الأحد ودفن بالقاهرة صباح الاثنين ٣١ ديسمبر ١٩٧٩م .

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته وألهم آله وذويه ومعارفه الصبر والسلوان .

إنا لله وإنا إليه راجعون

مدرسة الأزواج



مكانة الأم :

إن التفكك في أى مجتمع من المجتمعات إنما مرده في الواقع إلى الأم ، وذلك لما للأم من أثر بعيد المدى وعظيم الخطر في صنع هذه المجتمعات . ولقد عرفت الأديان كلها هذه الحقيقة ، فأشادت بالأم

للاستاذ محمد محمد حلاوة

واعترفت بمنزلتها ، وبمدى الدور الكبير الذي تؤديه في نهضة الشعوب والأمم ... وجاء الدين الاسلامي فأكد هذه الحقيقة ، وقرر للأم حقوقها كاملة ، ووضع لها من الضمانات ما يصونها ويحميها ، ويكفل لها أداء رسالتها على الوجه الأمثل ، ولهذا أوصى الله سبحانه وتعالى بها وقرن طاعتها هي والأب بطاعته قال تعالى :

(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) الاسراء / ٢٣ و ٢٤ وفضلها وقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأب عندما جاءه رجل يسأله : « من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك قال : ثم من ؟ قال : أبوك » رواه البخاري .

ولست في حاجة إلى أن أعدد ما ورد في هذا المجال من النصوص دينية كانت أم أدبية ، ولكني أقف عند بيت من قصيدة للمرحوم شاعر النيل حافظ إبراهيم :

والأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق

وصدق حافظ فالأم مدرسة ، ولكنها ليست كبقية المدارس الأخرى : ليست مدرسة تفتح أبوابها بميعاد ، وتغلقها بميعاد ، ليست مدرسة تبدأ حصتها بناقوس ، وتنتهي على الناقوس ، ليست مدرسة تعمل أكثر الوقت ، وتتعطل في المواسم والعطلات ، ليست مدرسة يتولى التدريس فيها أساتذة مختلفو الطباع ، والنزعات ، والثقافة ، وإنما هي مدرسة من نوع فريد : أستاذها واحد لا يتغير ولا يتحول ، يعمل باستمرار آناء الليل وأطراف النهار ، دون توقف أو تعطل ، من غير سأم أو ملل ، بكل الصبر ، وبكل الايمان ، وبكل الاخلاص والوفاء والايثار ، ثم هو الأستاذ الأول الذي يتلقى تلاميذه نطفا ، فأجنة ، فرضعا ، فأطفالا ، فشبابا ثم إلى نهاية الحياة . فهل قدرنا رسالة الأم حق قدرها ، وهل أعددناها بما يكافئ أعباء هذه الرسالة ويحقق أهدافها ، زوجة قبل أن تكون أما ؟؟؟

حسنة الدنيا :

ولقد طالعت كتب التفسير ، وقرأت

آراء المفسرين في « حسنة الدنيا » في قوله تعالى : **(ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)** البقرة/٢٠١ فمنهم من فسرها بالمال الحلال ، وبعضهم فسرها بأنها الولد الصالح ، وآخرون قالوا : هي الزوجة الصالحة ، ووقفت كثيرا عند التفسير الأخير وراعني ، ذلك لأن الزوجة إن صلحت صلح المال ، وصلح الولد ، وصلح كل شئ ، فهي الهدوء والسكن ، هي الأمن والراحة ، هي المتعة والبهجة ، هي الأخ والصديق والسمير ، هي الواقع الحلو والأمل الجميل ، هي الحاضر المشرق والمستقبل الباسم .. هي الحياة .

خطب عمرو بن حجر أمير كندة أم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني ، ولما حان وقت زفافها إليه حرصت أمها أن تزودها بما ترى من نصائح تساعدها على أن تنجح في حياتها الزوجية وتحتل في قلب زوجها مكانا كريما . قالت :

« أى بنية . إنك فارقت الجو الذي منه خرجت ، وخلفت العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فاحفظي له خصالا عشرا يكن لك ذخرا » .

أما الأولى والثانية فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة . وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواقع عينيه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح . وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فان تواتر الجوع ملهبه ، وتنغيص النوم مغضبه . وأما السابعة والثامنة فالاحتراس بماله ، والارعاء على حشمه وعياله . وملاك الأمر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير ، وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصين له أمرا ، ولا تفشين له سرا . فانك إن خالفت أمره أوغرت صدره وإن أفشيت سره لم تأمني غدره ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهتما ، والكآبة بين يديه إذا كان فرحا » .

وقد يفهم البعض أو يتبادر إلى ذهنهم أن المقصود بالصلاح هنا الورع والتقوى ، وبراءة القلب ، وسلامة الطوية ، ولكن هذا غير صحيح ، وما كان للتشريع الكامل أن يقصد هذا المعنى الضيق ، بل المقصود بصلاح الزوجة صلاحها في كل شئ ، وفي كل حال : صلاح في الجسم فلا عيب فيه يحول دون القيام بوظيفتها ، وصلاح في العقل يزن الأمور بميزانها السليم ، يميز بين الخبيث ، والطيب ، والقبيح ، والحسن ، وصلاح في العاطفة فلا تحيد أو تجور ، ولا تفتر أو تشتط ، وصلاح في التصرف ينبو بها عن المكاره ، ويرقى بها إلى كل جميل وحميد .

بين الأمس واليوم :

وإذا عدنا إلى الماضي ، وقلبنا صفحاته لوجدنا أن المرأة كانت على حظ غير قليل من هذا الصلاح استقامت به الأسرة فعزت وقويت ،

وتماسكت به الأسر فنهض المجتمع وسعد .

● فلقد كانت هناك القدوة الصالحة تراها في أمها ، في أبيها ، في عمها وخالها ، في أختها وأخيها ، في تاريخ السلف الصالح من عظماء الأمة وعظيماتها .

● وكان هناك البيت ترى فيه سعادتها ، جنتها ، دنياها ، وآخرتها . كل جهدها له ، وكل تفكيرها له ، هو عالمها ومملكتها ترعاه بكل أنواع الرعاية ، وتحوطه بجميع أنواع الحماية .

● وكانت هناك القيم والمثل : الحياء الذي يكسوها جمالا ووقارا ، والفضيلة التي تعض عليها بنواجذها ، والشرف الذي دونه الموت ، والواجب الذي تقدسه ، والمسئولية التي تخافها ، وتحسب لها ألف حساب . نظرة الأجنبي إليها تخيفها ، وتلميحه لها يؤذيها ، والكلام معه جريمة لا تغتفر . لربها رهبة ، ولوالديها هيبة ، ولدينها حرمة ، ولوطنها قدسية واحترام .

● وكانت هناك الصفات العربية الأصيلة التي تحرص على التمسك بها من تضحية وفداء وإيثار ووفاء ، وحب وحنان ، ونخوة ونجدة إلى غير ذلك من الصفات التي اشتهر بها العرب وحدثنا عنها التاريخ .

● والى جانب ذلك كله كانت الروح القوية ، والنفس العالية ، والضمير اليقظ .

ثم جاء العصر الحديث بمبتكراته ومخترعاته فكيف أصبح حال المرأة فيه ؟! لقد جرفها التيار فيما جرف ، وذهب بها بعيدا بعيدا ، فتاهت في زحامه ، وضلت وسط صراعاته .

● اسفرت وتبرجت وأصبحت تلهث وراء كل بدع وجديد فقبحت ورذلت وابتذلت ، وتعرضت للاغواء والاغراء فانزلقت ثم انحرفت .

● وخرجت إلى العمل في ميادين الحياة المختلفة فنسيت البنت والولد والزوج ، ونسيت مع ذلك نفسها وطبيعتها ، فأصبح البيت كمًّا مهملا ، والولد عبئا ثقيلا ، والزوج ظلا وصورة وضاع الجميع في دوامة المدنية والتقدم . « فالأم المكدودة بالعمل ، المرهقة بمقتضياته ، المقيدة بمواعيده ، المشتتة الطاقة فيه ،لا يمكن أن تهب للبيت جوه وعطره ، ولا يمكن أن تمنح الطفولة النابتة فيه حقها ورعايتها . وبيوت الموظفات والعاملات ما تزيد على جو الخنادق والحانات ، فحقيقة البيت لا توجد إلا أن تخلقها امرأة ، وأرج البيت لن يفوح إلا أن تطلقه زوجة ، وحنان البيت لن يشيع إلا أن تتولاه أم . والمرأة أو الزوجة أو الأم التي تقضي وقتها وجهدها وطاقتها الروحية في العمل لن تطلق في جو البيت إلا الارهاق والكلال والملال » .

● وفقدت الزوجة قوامة الرجل عليها ، فأصبحت تعمل كما يحلو لها ، وتتصرف وفق هواها دون كبير تخشاه ، أو رقيب يحاسبها ، بل وقد بلغت بها الجرأة أن تمردت عليه ، بعد أن تساوت به في كل شيء .

● وكان لانتشار وسائل الاعلام

الحديثة من صحافة وإذاعة وغيرها ، ولشيوع المذاهب الاجتماعية والأدبية المختلفة التي راجت في القصة والشعر والمسرحية ما هدم ما تبقى من مقوماتها ، فسمم أفكارها ، وبدل نظرتها إلى الحياة .

● وأمام المادية الجارفة هوت روحها ، والتوى ضميرها ، وماتت مشاعرها، ونضبت عواطفها .

أفلستَ معي بعد هذا كله ، ومن أجل نلك كله أننا في حاجة ماسة وشديدة إلى عمل حاسم نوقف به هذا الخطر الداهم الذي يشتد بلاؤه ، ويتفاقم يوما بعد يوم !! إن ما وصلت إليه حال المرأة ينذر بخطر شديد ، ولا بد له من علاج سريع .

مدرسة الأزواج :

وربما وجدنا بعض العلاج في إنشاء مدرسة للأزواج لن أخوض في تفصيلاتها ، وسأكتفي بوضع الخطوط الأساسية لها .

أولا : المتقدمون إليها : كل من يرغب في الزواج من كلا الجنسين .

ثانيا ـ السن : تبدأ من الثامنة عشرة الحد الأدنى لزواج الفتاة .

ثالثا ـ مدة الدراسة : تكفي سنة دراسية صباحية أو مسائية .

رابعا ـ أساتذتها : المتخصصون في علوم : الدين ، والتربية ، وعلم النفس ، والتدبير ، والاقتصاد ، والطب ، والآداب .

خامسا : المواد الدراسية :

١ ـ التربية الاسلامية وتتناول :

أ ـ من العقائد الايمان بالله سبحانه وتعالى ، وبصفاته ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليه .

ب ـ من العبادات الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، بنهج جديد ، وفهم جديد فيه عمق ، وتأمل ، وتأن .

جـ ـ من التشريع كل ما يتعلق بالزواج من خِطبة ، فصداق ، فمنزل زوجية ، فدخول ، فحمل ، فرضاعة ، فطلاق ، فعدة .....

د ـ من التهذيب ما لا بد منه للحياة الجديدة واستمرارها وسعادتها من مودة ، ورحمة ، وألفة ، وتعاون ، وإخلاص ، ووفاء ، وتفان ، وإيثار ، وصدق ، وأمانة ، وتبادل حب واحترام .

٢ ـ التدبير المنزلي ويتناول :

أ ـ الأغذية المختلفة ، وأنواعها ، وقيمتها الغذائية ، والقدر اللازم منها للجسم ، وأضرار التخمة ، والأمراض التي تنشأ عنها .

ب ـ الأغذية الشرقية ، وما ينجم عنها من أمراض الكبد ، والقلب ، والأمعاء ، وتصلب الشرايين ، وسوء الهضم .

جـ ـ إعداد المائدة الصحية بأقل تكلفة .

د ـ المشروبات على اختلافها ساخنة وباردة ، وطريقة إعدادها ، وبيان المفيد منها والضار .

هـ ـ حفظ الأطعمة ، والصناعات المنزلية .

و ـ تفصيل الملابس ، وخياطتها ، وتطريزها ، وغسلها وكيها .

٣ ـ الميزانية وتتناول :
أ ـ الدخل ، أنواعه ، طرق تنميته .
ب ـ الدخل الخاص بالزوجة ، موقف الاسلام منه ، المشكلات التي تطرأ عنه .
جـ ـ الميزانية ، تحديدها ، توزيعها ، أبواب صرفها ، طريقة الصرف .
د ـ احتياطي الميزانية ، وبيان أحسن الطرق للانتفاع به .
هـ ـ الطرق المشروعة للاستثمار .
٤ ـ العلوم الصحية وتتناول
أ ـ الطب العام لدراسة أهم الأمراض ، وخاصة ما يمكن أن يظهر بعد الزواج مع التركيز على الأسباب ، والأعراض ، وطرق الوقاية .
ب ـ طب الطفل ويهتم به اهتماما خاصا لخطورة الأمراض التي تصيب الأطفال وخطورة الآثار المترتبة عليها .
جـ ـ صيدلية المنزل ، وطريقة إعدادها .
د ـ الطيور المنزلية ، وطريقة تربيتها ، والالمام بأمراضها ، وكيفية علاجها .
٥ ـ التربية وعلم النفس
أ ـ التربية بوجه عام .
ب ـ تربية الطفل .
جـ ـ مراحل النمو المختلفة ، وخصائص كل مرحلة ، ومشكلاتها ، وطرق علاجها .
د ـ أسس الصحة النفسية لتجنب الانفعالات ، والاجهاد ، والتوتر ، وكل ما يسبب الاضطرابات النفسية .
٦ ـ التربية الجمالية وتتناول :
أ ـ نظام البيت ، وترتيبه .
ب ـ متاعه وأثاثه و (ديكوراته)
جـ ـ الملابس ، وطريقة اختيارها ، لونها ، تفصيلها ، وتطريزها ..
د ـ الحلي وأدوات التجميل .
هـ ـ وباختصار كل ما ينمي الذوق الجمالي نظريا وعمليا ، وينعكس أثره على الأسرة والمنزل بهجة وسعادة .
٧ ـ أدب المرأة ويتناول :
كل ما يقوى العواطف النبيلة ، ويربي فيها الضمير والقيم ، ويحببها في مكارم الأخلاق ، وتراثنا العربي والاسلامي في عصور مختلفة زاخر بالكثير والجميل .
٨ ـ مشكلات تريد حلا :
ويختار لها من واقع الميدان ، ويقوم بعرضها أساتذة متخصصون .
سادسا ـ الكتب الدراسية : يعد لها كتب جديدة وفق المنهج السابق .
إن هذا المنهج قابل للتعديل والتطوير ، فالبيئة الريفية غير المدنية ، وما يناسب المثقفين ، غيرما يناسب الأميين .

وبعد فهل لدولة كدولة الكويت لها من إمكاناتها المادية ، وحبها للتطوير ما يجعلها رائدة في هذه التجربة !!
إنه أمل قد يكون أمامه عقبات . ولكن الهمم المنطلقة ، والنفوس المؤمنة ، والقلوب الواعية كفيلة بأن تذلل كل العقبات .
والبحث مفتوح .
والله الموفق .

من أدلة الشرع المختلف فيها :

الاستحسان

محمد مؤذن

للدكتور/عجيل النشمي

الاستحسان موضوع كثر فيه النقاش بين الأصوليين واشتد نكير بعضهم على بعض ، بل شنع بعضهم على الآخر حتى ليخيل للناظر أن شقة الخلاف مستحكمة بينهم وأن وجهات النظر متباعدة تباعدا ليس وراءه لقاء أو اتفاق . وغاية هذا البحث كشف اللثام عن حقيقة الخلاف في هذا الموضوع بين الأصوليين والوصول إلى تقييم الاستحسان من حيث كونه دليلا معتبرا أم ملغيا .

أقسام الأدلة :

يقسم الأصوليون الأدلة الشرعية التي تستنبط منها الأحكام الشرعية إلى أدلة متفق عليها ومختلف فيها .

أما المتفق عليه من الأدلة : فالكتاب والسنة ، وهذا محل اتفاق بين أئمة المسلمين ، ولم يشذ عن هذا أحد . والاجماع والقياس وهما محل اتفاق جمهور المسلمين ما عدا النظام وبعض الخوارج فقد خالفوا الجمهور في عدم الاعتداد بالاجماع ، وخالف الجعفرية والظاهرية . الجمهور في عدم الاعتداد بالقياس .

وفي الجملة ، فان الأدلة المتفق عليها هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس . أما المختلف فيه من الأدلة فهي كثيرة واشهرها ستة ، الاستحسان والاستصحاب والمصلحة المرسلة والعرف وقول الصحابي وشرع من قبلنا .

تحرير محل النزاع :

محل نزاع العلماء في أن الاستحسان هل هو دليل من الأدلة الشرعية فيعتد به ويكون حجة ، أم هو قول بالرأي والتشهي فلا يعتبر

دليلا ولا يحتج به .

تعريف الاستحسان :

ذكر للاستحسان تعاريف كثيرة ، ربما لم يذكر لموضوع ما من مواضيع علم الأصول تعاريف مثل ما ذكر للاستحسان ، وسنذكر بعض ما عثرنا عليه من تعاريف في بطون الكتب حتى يتضح مدى التنافر والخلاف بين هذه التعاريف ، مما يدل على اختلافهم في فهم معنى الاستحسان وتحقيقه .

تعريفه في اللغة :

الاستحسان مشتق من الحسن ، ومعناه ما يميل اليه الانسان ويهواه من الصور والمعاني وإن كان مستقبحا عند غيره ، فاستحسن استفعل من الحسن وهو عد الشيء حسنا يقابله الاستقباح ، ويقول الرجل : استحسنت كذا أي اعتقدته حسنا ، فالمعنى طلب الأحسن للاتباع الذي هو مأمور به .

تعريفه في الاصطلاح :

عرفه البزدوي من الحنفية بأنه : العدول عن موجب قياس إلى قياس أقوى منه أو هو تخصيص قياس بدليل أقوى منه .

وعرف أيضا بأنه : دليل ينقدح في نفس المجتهد وتقصر عنه عبارته فلا يقدر على إظهاره .

وقال الكرخي : هو قطع المسألة عن نظائرها لما هو أقوى .

وقيل هو ترك وجه من وجوه الاجتهاد غير شامل شمول الألفاظ لوجه أقوى منه يكون كالطارىء على الأول .

وعرفه ابن العربي المالكي بأنه : إثبات ترك مقتضى الدليل على طريق الاستثناء والترخيص لمعارضة ما يعارضه في بعض مقتضياته .

وقال الباجي من المالكية : هو القول بأقوى الدليلين .

وقال الكمال بن الهمام : عند الحنفية يطلق باطلاقين ، أحدهما : قياس خفي وقع في مقابلة قياس جلي ، وثانيهما : دليل وقع في مقابلة القياس الظاهر سواء كان الدليل نصا أم إجماعا .

وذكر السرخسي من تعاريفه : ترك القياس والأخذ بما هو أوفق للناس أو السهولة في الأحكام فيما يبتلي فيه الخاص والعام ، أو الأخذ بالسعة وابتغاء الدعة ، أو الأخذ بالسماحة وانتقاء ما فيه الراحة .

وله تعاريف كثيرة يصعب فيها الحصر .

ولا شك أن هذه التعاريف متباينة تباينا شديدا في صياغتها ومعانيها ، آثرنا نقلها استقراء من كتب الأصول حتى يستند الكلام على أصل عند تقرير أن اختلافهم هذا إنما هو نتيجة لاختلافهم في تصور معنى الاستحسان ومدلوله عند كل من أبدى في الاستحسان رأيا .

ويلاحظ على هذه التعاريف في جملتها بعدها عن مواصفات التعاريف الأصولية في دقتها وكونها جامعة مانعة ، فبعضها غامض

كتعريف الباجي بأنه أقوى الدليلين وبعضها تعريف بما يشبه النثر ، وبعضها أقرب الى السجع منه إلى التعريف وذلك مثل التعريفات التي ذكرها السرخسي آخرا .

وسنقتصر على شرح ومناقشة لثلاثة تعاريف مشهورة للاستحسان سبق الاشارة لها .

الأول : دليل ينقدح في ذهن المجتهد وتقصر عنه عبارته فلا يقدر على إظهاره .

الثاني : قياس خفي وقع في مقابلة قياس جلي .

الثالث : قطع المسألة عن نظائرها لما هو أقوى منها .

التعريف الأول :

دليل ينقدح في ذهن المجتهد وتقصر عنه عبارته فلا يقدر على إظهاره .

فالمقصود بالدليل اي الادلة الشرعية التي يحصل بها ظن الحكم .

وكلمة ينقدح لها عدة معاني في اللغة فيقال : قدح بالزند رام الايراء به ، وقدح الشيء في صدري أثر فيه ، وقدحت العين غارت ، وقدح الطبيب العين أخرج منها الماء المنصب من داخل .

ويستفاد من هذا أن كلمة ينقدح يحتمل أن يراد بها الأول فيكون المعنى أن المجتهد لما كد ذهنه وشحذ عقله لاستنباط الحكم كان كمن يريد إيقاد النار .

ويحتمل أن يراد بها الثاني فيكون المعنى إن الدليل أثر في صدره وامتنع به .

ويحتمل أن يراد بها الثالث فيكون المعنى أن المجتهد لما لم يستطع التعبير عنه فكأن الدليل غار في نفسه .

ويحتمل أن يراد بها الرابع فيكون المعنى أن المجتهد لما جال بذهنه في دليل الحكم فكأنه خلصه من غاشية كانت حوله كما خلص الطبيب العين من الماء ، وعلى هذا فمعنى التعريف : ان الاستحسان دليل على الحكم الشرعي استقر في نفس المجتهد واطمأن اليه لكنه يعجز عن التعبير عنه .

وعند التدقيق في هذا التعريف يمكن توجيه بعض الاعتراضات عليه ، كما وجه اليه ابن السبكي اعتراضا فحواه أن كلمة « ينقدح » إن كان المراد أنها بمعنى يتحقق الدليل عند المجتهد فهو معتبر ولا يضر قصور عبارته ، أما إن كان معنى « ينقدح » يشك أو يتوهم فهو مردود باتفاق .

ولذلك قال الغزالي في المنخول : « فمعاني الشرع اذا لاحت في العقول انطلقت الألسن بالتعبير عنها فما لا عبارة عنه لا يعقل .

فالذي يقوم في ذهن المجتهد قد يكون صحيحا وقد لا يكون ، فلا بد من ظهوره وبيانه ليتميز صحيحه من فاسده .

ويعترض على هذا التعريف أيضا : بأنه عرضة للأهواء والميل النفسي حسب رغبة المجتهد مادام قد

انقدح في ذهنه هذا الدليل فاعتمد على ما انقدح في ذهنه دون بيان او اظهار لهذا الانقداح ولا معنى لهذا الدليل الكامن إلا الهوى ، فلا يسمى دليلا ما لم يظهره ، ويثبت قوته وحجته .

التعريف الثاني :

دليل يقابل القياس الجلي الذي يسبق اليه الأفهام والمراد من الاتيان بعبارة « يقابل القياس الجلي » ليخرج من التعريف القياس الذي ترك به الاستحسان فانه يقابل القياس الخفي دون الجلي ، فلا يدخل تحت الاستحسان وهذا التعريف أصح التعاريف — في نظري — وهذا ما رجحه سعد الدين . التفتزاني حين قال : « بعض الناس تحيروا في تعريفه ، وتعريفه الصحيح هو هذا ، وهو أنه دليل يقع في مقابلة القياس الجلي » .

فالقياس الجلي الذي تسبق اليه الأفهام قبل إنعام النظر والتأمل فيه ، ثم بعد إنعام التأمل في حكم الحادثة وأشباهها من الأصول يظهر أن الدليل الذي عارضه فوقه في القوة ، فان العمل به هو الواجب فسموا ذلك استحسانا للتمييز بين هذا النوع من الدليل وبين الظاهر لكونه مستحسنا لقوة دليله ، وهو نظير عبارات أهل العلوم في التمييز بين الطرق لمعرفة المراد ، فان أهل النحو يقولون هذا نصب على التعجب ، وما وضعوا هذه العبارات الا للتمييز بين الأدوات الناصبة ، وأهل العروض يقولون هذا من البحر الطويل وهذا من البحر المتقارب وهذا من البحر المديد .. فكذلك استعمال عبارة القياس والاستحسان للتمييز بين الدليلين المتعارضين وتخصيص أحدهما بالاستحسان لكون العمل به مستحسنا ولكونه مائلا عن سنن القياس الظاهر فكان هذا الاسم مستعارا لوجود معنى الاسم فيه .

ومن هذا التعريف يتبين أن القياس الخفي هو الاستحسان ، لكن الاستحسان أعم من القياس الخفي ، فان كل قياس خفي استحسان وليس كل استحسان قياسا خفيا ، لأن الاستحسان قد يطلق على غير القياس الخفي أيضا ، لكن الغالب في كتب الحنفية أنه اذا ذكر الاستحسان أريد به القياس الخفي الذي هو دليل يقابل الجلي الذي يسبق إليه الأفهام .

وهذا الدليل الذي يقابل القياس الجلي يعنون به دليلا من الأدلة الشرعية المتفق عليها يقع في مقابلة القياس الجلي ويعمل به اذا كان أقوى من القياس الجلي فلا معنى لانكاره لأنه إما بالأثر كالسلم والاجارة ، وإما بالاجماع كالاستصناع أو بالضرورة كطهارة الحياض والآبار وإما بالقياس الخفي — كما سيأتي — .

وقد يتوهم ان الاستحسان — بناء على هذا — يكون من قبيل تخصيص العلة .

والصواب أنه ليس من تخصيص العلة لأن انعدام الحكم في صورة الاستحسان إنما هو لانعدام العلة ، فمثلا موجب نجاسة سؤر سباع الوحش هو الرطوبة النجسة في الآلة الشاربة ولم يوجد نلك في سباع الطير فانتفى نلك الحكم لنلك ، وهذا معنى ترك القياس الجلي الضعيف الأثر بدليل قوي هو قياس خفي قوي الأثر فلا يكـون من تخصيص العلة في شيء .

التعريف الثالث :

قطع المسألة عن نظائرها لما هو أقوى .

أي أن يعدل الانسان عن أن يحكم في مسألة بمثل ما حكم به في نظائرها إلى الحكم بخلافه لوجه أقوى يقتضي العدول عن الأول ، ونلك حيث دل نليل خاص على إخراج ما دل عليه العام كتخصيص أبى حنيفة قول القائل : ما لي صدقة بالمال الزكوي دون غيره ، فان الدليل الدال على وجوب الوفاء بالنذور يقتضي وجوب التصدق بجميع أمواله عملاً بلفظه لكن ها هنا نليل خاص يقتضي العدول عن هذا الحكـم بالنسبة الى غير الزكوي ، وهو قوله تعالى : (**خذ من أموالهم صدقة**) التوبة /١٠٣ . فان المراد بالمال في الآية هو الزكوي ، فليكن في قول القائل ما لي صدقة ، والجامع هو قرينة إضافة الصدقة الى المال في الصورتين .

وبالامكـان الاعتراض على هذا التفسير بأنه يلزم أن يكـون التخصيص استحسانا لانطباقه عليه ولا نزاع في التخصيص .

معنى الاستحسان من هذه التعاريف :

من جملة هذه التعاريف نستطيع أن نحدد معنى الاستحسان في أنه عبارة عن وجود قياسين أحدهما جلي واضح والآخر خفي وكلا القياسين في هذه المسألة يقتضي حكما غير الذي اقتضاه الآخر ، وانقدح في ذهن المجتهد أن القياس الخفي أولى من القياس الجلي فيعدل في الحكم إلى مقتضى القياس الخفي ، فهذا العدول والترك هو الذي يسمى بالاستحسان ولما كان الاستحسان بناء على نليل سمى هذا الدليل بسند او وجه الاستحسان ، وما يثبت بالاستحسان من حكم يسمى الحكم المستحسن .

ووجه آخر من التعاريف وأبرزها « قطع المسألة عن نظائرها لما هو أقوى » يشير إلى أن الاستحسان قد يكـون باستثناء صورة معينة من قاعدة عامة أو تخصيص لعام بأن يدل نليل على إخراج المسألة من حكم العام إلى حكم خاص . ... **وهـذا** العدول الاستثنائي من **القاعدة العامة** أو الحكم العام يسمى استحسانا والدليل الذي انبنى عليه يسمى السند ووجه الاستحسان وما يثبت به يسمى الحكم المستحسن .

مذاهب العلماء في الاستحسان :

اختلفت مذاهب العلماء في الاستحسان فاعتبره بعضهم حجة ورده البعض الآخر وشنع على القائلين به .

فقال به ابو حنيفة وأصحابه ، ونقل الآمدي وابن الحاجب عن الحنابلة القول به ، ونقل غيرهما أنهم لا يقولون به .

والتحقيق أنهم يقولون به استنادا إلى ما جاء في روضة الناظر قال القاضي يعقوب الاستحسان مذهب احمد رحمه الله .

وقال المالكية بالاستحسان أيضا .

وانكره الشافعية وتصدر هذا الانكار الامام الشافعي والشيعه أيضا من نفاة الاستحسان .

خلاصة الأدلة :

ان القائلين بالاستحسان اعتبروه دليلا شرعيا لأنه قياس خفي وقع في مقابلة قياس جلي وهو راجح عليه وكل دليل راجح يعمل به ، وهو إما مردود إلى نص من الكتاب أو إلى نص من السنة أو الاجماع أو الضرورة أو قياس خفي فاعتبروا ذلك استحسانا في مقابلة قياس ظاهر .

والمانعون نظروا إلى ان الاستحسان قول بالرأي والهوى فلا فارق بين استحسان العالم والجاهل ما دام بغير دليل فجماع حجتهم انه لم يتحقق له حقيقة من الحقائق الشرعية فيعمل به إنما هو شيء يهجس في النفس وليس قياسا ولا مما دلت النصوص عليه ولهذا جاءت ردود واعتراضات المانعين للاستحسان .

حقيقة الخلاف في الاستحسان :

بالنظر الصحيح المتمعن في موضوع الاستحسان نلاحظ ان كل إمام قال به سواء منهم المثبت أو النافي .

فالحنفية اكثروا فيه وتصدوا للدفاع عنه . والمالكية قالوا به ومن ذلك ما رواه العتبى محمد بن احمد قال حدثنا اصبغ بن الفرج قال سمعت ابن القاسم يقول قال مالك تسعة اعشار العلم الاستحسان . وجوز مالك استئجار الأجير بطعامه وان لم ينضبط مقدار الأكل ليسارة أمره استحسانا .

وقال احمد بن حنبل في فاقد الماء يتيمم لكل صلاة استحسانا ، وقال يجوز شراء أرض السواد ولا يجوز بيعها ، قيل له : فكيف يشتري ممن لا يملك البيع فقال : القياس هكذا وإنما هو استحسان .

والامام الشافعي نفسه قال به في كثير من المسائل ، فقال في متعة الطلاق أستحسن ان تكون ثلاثين درهما ، وقال في الكتابة أستحسن ترك شيء من أقساط الكتابة للمكاتب وقال في الشفعة أستحسن ثبوت الشفعة للشفيع الى ثلاثة أيام ، وقال في السارق اذا اخرج يده اليسرى بدل اليمنى فقطعت القياس ان تقطع يمناه والاستحسان ان لا تقطع .

ومن هذا يتبين ان الائمة كلهم قالوا بالاستحسان ، ولا يمكن ان يقولوا به وهم ينكرونه .

والحق الذي لا محيص عنه أن الاستحسان المنكر متفق على إنكاره والاستحسان المقبول متفق على قبوله . فالذين ردوا الاستحسان يريدون به الاستحسان بمعنى ميل الانسان إلى ما يحبه ويهواه لان ذلك هو ما يصدق عليه أنه قول بالتشهي والهوى وهو متفق على رده .

والذين قالوا بالاستحسان ارادوا به انه ترجيح دليل على دليل فالاستحسان اذا عن دليل لا عن هوى . وبذلك يتحقق انه لا خلاف في الحقيقة بينهم ، فالاستحسان معتبر ولا يصح ان يثار فيه نزاع .

قالوا في الأمثال

○ مقتل الرجل بين فكيه .

الفكان : مفارس الاسنان وما بينهما اللسان ، وقد يستخدم المرء لسانه في غير ما خلق له ، فيقع به في الأعراض ، او يسخر به من الناس ، او يوقع به بين المتحابين ، أو يشي به بين المتصافيين ، او يفتري به على البرىء ، أو يجرح به النظيف .

فاذا استخدم المرء لسانه في غير ما خلق له جر على نفسه البلاء ، وأوقعه لسانه في المأزق الضيق ، وقد يدفع به الى الهلاك .

وقد يسبق اللسان صاحبه فيدلي بأمر محظور ، أو يكشف عن خبر مستور ، أو يبين ما تخفيه الصدور ، أو ينحرف به عن المقصد المراد ، فيكون جزاء زلته الهلاك .

ورب كلمة أثارت ثورة ، ورب لفظة جرت ندما ، حتى فضل العقلاء الصمت فقال شاعرهم :

مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام



ليس من الحديث النبوي



يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الاحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

○ **« من صلى الضحى يوم الجمعة أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد لله عشر مرات ، وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات ، وقل أعوذ برب الناس عشر مرات ، وقل هو الله أحد عشر مرات ، وقل يا أيها الكافرون عشر مرات وآية الكرسي عشر مرات ، فاذا قال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله سبعين مرة ، ثم يقول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو ... »** الى آخر ما يروى وهو حديث طويل .

موضوع .

أورده الشوكاني في الفوائد المجموعة وقال : إنه موضوع إذ في رواته مجاهيل .

○ **« إذا قال المؤذن : الله أكبر الله أكبر غلقت أبواب النيران . واذا قال : أشهد أن لا إله إلا الله فتحت أبواب الجنان..... »**

موضوع .

قال الحاكم : إن من رواته القاسم بن محمد بن عبدالفرغاني وهو وضاع .

وقال السيوطي : في اللآلئ المصنوعة : إنه موضوع وواضعه القاسم بن محمد المشار إليه .

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال عن القاسم : إنه وضاع يضع الحديث وضعا فاحشا .

ويرى الشوكاني في الفوائد المجموعة : أنه موضوع .

قصة قصيرة

لست عقيماً

هي مدينة كبيرة في بلد عربي ، وقد تناثر حولها أحياء كثيرة بعد أن فشا فيها تفكك روابط القربى والجوار ، وبعد أن لم يعد فيها للأواصر الروحية تأثير كبير .

يقع أحد أحياء هذه المدينة على مقربة من نهر اعتاد صبيان هذا الحي الذهاب اليه يسبحون فيه ويمرحون قربه .

ذات يوم بعد العصر علت صيحة في الحي : « غرق صبي في النهر » ، فساد في الحي سكون ما لبث أن زال بصيحات جزع من الأمهات وهن يخرجن من بيوتهن فاقدات الشعور

للاستاذ/علي حسن الشكرجي

ويتجهن راكضات صوب النهر ثم يخرج الآباء بعدهن بقليل وقد علا وجوههم الوجوم والجمود وهم يهرولون نحو النهر .

لم يكن مع الأمهات والآباء ، عمة أو خالة أو أخت أو أخ أو جد أو جدة يشاركون هؤلاء هلعهم ويشاطرونهم قلقهم ، فقد شاع في المدينة الحديثة أن ينعزل الزوج والزوجة في بيت لهما ويبتعدا عن والديهما وأقاربهما ولا يلتقيا بهم الا في المناسبات ووقت الحاجة اليهم . وصار مألوفا أن يقول أحدهما للآخر : « أنت كل شيء في حياتي » دون أن يعترض أحدهما ويقول : « أين تضع إذن أبويك وأقرباءك وذوي الفضل عليك ؟! هل نسيتهم ؟؟ فكيف أضمن وفاءك لي إذن ؟! »

وما إن وصل الآباء الى النهر حتى وجدوا كل أم قد احتضنت ابنها تقبله وتمسح على رأسه ويأخذ كل أب ابنه من أمه ويضمه اليه ويقبله وتطلق الحناجر كلمات تليل وعبارات حنين إلا حنجرة واحدة كانت تترجم ما في قلب صاحبتها من حزن وجزع إلى بكاء وصراخ . إنها أم الذي غرق ولم يغرق معه أحد ، إنها الثكلى الوحيدة بين أمهات فرحات بأولادهن غاية الفرح . يا لخيبتها ويا لمصيبتها !! كل امرأة كان معها ابنها تضمه إليها وهي في وسطهن لا تجد ابنها لتضمه اليها بقوة ولتقبله بحرارة ولتبذل له كل ما يريد ومهما يريد .

يراها زوجها ، حين يقترب من المشهد ، وحيدة فيفغر فاه ، وتتباطأ مشيته ، ويسير بسكون اليها وحين يكون قريبا منها تراه فتصرخ : « يا كمال فقدنا ابننا الى الأبد !! »

يجوزها زوجها ويقترب من النهر ويقف أمامه ويركز نظراته إليه . ما عاد يسمع صراخ الأم الثكلى ولا صوتا آخر .

« هذا النهر الذي كان ابني يعبث بمائه فأصبح به الماء يلعب ، هذا النهر الأزلي السرمدي لا نعرف له بداية ولا نعلم له نهاية يجري ليل نهار وصيف شتاء ، يشرب منه الانسان . والحيوان ، وترتوي بمائه الأرض ويبتلع ماءه البحر ، ولا ينضب على كر السنين ومد الدهور .

« ماذا أفعل بك وكيف أنتقم منك ؟! قد صرعت آلافا من الناس هم أشد مني قوة وأعظم بأسا ، طوت الأرض من أراد الانتقام منك وبقيت ، كما كنت ، ما أشقى الانسان تلعب به الصروف وما أضعفه وأذله وهو لا يقوى على انتقام .

« إنك يا نهر الآن تعصر ابني أنيس وحشتي في هذه الدنيا بعد أن خنقته وأخمدت انفاسه العذبة التي كثيرا ما أطربتني وأنا أضمه الي ، وها أنذا قربك لا استطيع ان انتزعه منك ولو جسدا بلا روح حتى تلفظه فيطفو على سطحك » .

يلتفت ويرى زوجته وقد فتحت فمها وبدت أسنانها ، ما بالها ؟ أمازالت تبكي وتصرخ ؟! إنه لا يسمع منها صوتا لكنه يرى الدموع تنهمر على خديها من عينيها المحمرتين اللامعتين ؟ إنها إذن ما زالت تبكي وتصرخ ويجيل طرفه ويرى الأمهات والآباء ما زالوا متعلقين بأطفالهم وهم يرنون اليه والى زوجته .

« ما لي لا أرى على وجوههم العطف والمواساة نحونا ؟! لماذا لا يذهبون ويتركوننا ؟ ليت شعري هل يتمتعون بمصيبتنا إذ يديم منظرنا فيهم بهجة لقائهم بأبنائهم بعد أن ظنوا أنهم فقدوهم الى الأبد ؟؟ وهل يضاعف كمدنا فقد ابننا فرحتهم بأولادهم بين أيديهم سالمين ؟! كلهم يعلمون أننا فقدنا ابننا الوحيد ويعلمون مدى شوقنا الى أولاد وابننا بيننا فكيف بنا وقد فقدناه إلى الأبد ؟! أين مشاعر الانسان في القرن العشرين ؟! إذا كان أهله هكذا بلا عاطفة فلا يشعرون بآلام غيرهم ولا يشاطرونهم حزنهم ؟؟ إني اليوم في الدنيا وحيد ويزيد وحدتي وجود هؤلاء حولي . »

يدير بصره فيرى شيخ الحي وإمام جامعه المهجور قادما نحوه .

« إنه لم يأت كهؤلاء لابن له كان يلعب مع الصبيان على الشاطىء ، لم يكن له ابن صغير يلعب مع الصبيان إنه أتى معزيا ، إنه يحاول أن يخفف عن مصيبتي » .

يعيد النظر الى هؤلاء حوله ، ويحدق في وجوههم ويحدق ويحدق فيخيل اليه انه لا يرى وجوها آدمية بل وجوه حيوانات الى جانب صغارها .

رأى في هذا الشيخ الروحاني الوقور أبا حانيا ، وشعر أنه ابن ضعيف لهذا الأب الحاني فلينفس عن كربته بالشكوى اليه كما يفعل ابن مظلوم امام ابيه .

« يا شيخ ، إنه ابني الوحيد قد أصبحت بعده عقيما ، لن يكون لي ولد بعد ، سنعيش في دار موحشة بلا طفل ، ومظلمة بلا براءة طفل . مصيبة كبرى يا شيخ . لو كان لي آخر لهانت هذه المصيبة . »

ينطق الشيخ الوقور :

« لماذا جعلته وحيدا ولم تجعل له أخا » ؟

« عجبا يا شيخ . أما سمعت ما قلت ؟! إني أصبحت عقيما ، الطبيب قال لي : لن يكون لي ولد أبدا » .

أجاب الشيخ : « الأطفال ،

كيفما كانوا أبرياء والعطف عليهم إحسان لا شائبة فيه ، أكنت تعطف على أطفال غير طفلك » ؟؟

« لا »

سأل الشيخ : لماذا ؟

« لأن الجميع هكذا ، لا أحد عطف على طفلي فلم يكن في قلبي عطف على طفل غير طفلي » .

قال الشيخ : « هكذا صار لك طفل وحيد وصار لهم أطفالهم لا غير ، ولذلك أسست « دار الأيتام » لأن اليتيم لم يعد يجد أبا أبدا غير أبيه الراحل . ألا تتفق معي لو أنك رعيت أطفالا وعطفت عليهم كما تفعل لطفلك لصاروا في نظرك أبناءك ولصرت أنت في نظرهم أباهم ؟ أنت تعلم أنك إذا جئت بحيوان كلب مثلا وأطعمته وآويته فسيتعلق بك حتى لو طردته وضربته ، فكيف اذا فعلت ذلك بانسان بريء لم يكتب عليه إثم . وأرجو ألا يثقل عليك أن أقول إنك لم تفعل فضلا ولم تؤد عملا إنسانيا حينما بذلت لطفلك وسهرت عليه فالحيوانات أيضا تفعل ذلك مع صغارها تحميهم وتسقيهم وتجلب لهم الطعام ..

يلتفت الى هؤلاء ، حوله ويحدق في وجوههم مرة أخرى .

« صدقت يا شيخ غاية الصدق ، الحيوانات تفعل ذلك أيضا . إني ظلمت نفسي ، وظلمت ابني ، وظلمت أبناء غيري »

ويتلو الشيخ قوله عز وجل : **(وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)** النحل / ١١٨

ويقول كمال بخشوع : « صدق الله العظيم » .

يلتفت ألى أهل حيه وما زالوا ملتصقين بأولادهم : « ألا تريدون أن لا يكون أولادكم يتامى أبدا ويكون لكم أولاد كثيرون يشارككم غيركم في رعايتهم ، ألا تريدون أن لا يصاب أحدكم بالعقم أبدا ؟ هيا ننظر إلى غير أولادنا كأولادنا ، ونسهر عليهم كما نفعل مع أولادنا .

لم يكن لكلامه فيهم وقع ، فما زالوا صامتين ينظرون ولا يبصرون وينصتون ولا يسمعون .

يلتفت إليه الشيخ : دعهم إنهم لا يفهمون هذا الكلام الآن حتى يصيبهم ما يؤلمهم ويوقظ مشاعرهم فيعون ويغيرون ما بأنفسهم فيغير الله ما بهم ، ويتلو قوله تعالى : **(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)** الرعد / ١١ يلتفت كمال الى زوجته .

« يا ليلى كُفّي عن البكاء وأبشري ، سيكون لنا أولاد كثيرون فلم أعد عقيما كما زعم الطبيب . »

يأخذ بيدها ويتجه مع الشيخ إلى الحي راجعين .



الفتاوى

للشيخ : عطية صقر

غسل الميت مع اختلاف الجنس

السؤال :

لو ماتت امرأة في مكان ليس فيه امرأة ، أو مات رجل في مكان ليس فيه رجل فهل يجوز لأحد الجنسين أن يغسل الآخر ؟

أحمد علي ابراهيم ـ الزقازيق ـ مصر

الجواب :

قد يكون أحد الجنسين زوجا للآخر وقد يكون غير ذلك ، ولكل حكمه ،
١ ـ غسل الزوج لزوجته :
وردت في ذلك عدة أحاديث منها :
أ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت : رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جنازة بالبقيع ، وأنا أجد صداعا في رأسي وأقول : وا رأساه ، فقال « بل أنا وا رأساه ، ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك » رواه أحمد وابن ماجه .
ب ـ روى الدارقطني والبيهقي باسناد حسن أن عليا رضي الله عنه غسل فاطمة رضي الله عنها . وأخرجه الشافعي .
جـ ـ أوصت فاطمة بنت عميس أن يغسلها علي بن أبي طالب وأسماء ، فغسلاها ، ولم ينكر أحد من الصحابة عليهما ذلك فكان إجماعا ، كما ذكره الشوكاني في « نيل الاوطار ج٤ ص ٢٩ » .
د ـ وجاء في « كشف الغمة » للشعراني أن عبد الله بن مسعود غسل زوجته حين ماتت .
٢ ـ غسل الزوجة لزوجها :
ورد في ذلك آثار منها :
أ ـ قالت عائشة رضي الله عنها : لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسل النبي صلى الله عليه وسلم إلا نساؤه ، رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه .

ب ــ أوصى أبو بكر رضي الله عنه أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس ، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة ، أخرجه البيهقي « نيل الأوطار ج ١ ص ٢٦٠ » .
وروى مالك في « الموطأ » أنها غسلته وكان اليوم شديد البرودة وهي صائمة فلم تغتسل من غسله .
بعد هذه المرويات قال الشوكاني « ج٤ ص ٢٩ » : قال أحمد : لا تغسله ، لبطلان النكاح ، ويجوز العكس عنده كالجمهور . وقال ابو حنيفة واصحابه والشعبي والثوري : لا يجوز أن يغسلها لمثل ما ذكر أحمد ، ويجوز العكس عندهم كالجمهور ، قالوا : لأنه لا عدة عليه بخلافها .
وجاء في كتاب « الفقه على المذاهب الاربعة » أن الزوج لو مات فان للزوجة أن تغسله ، وذلك بالاتفاق حتى لو كانت مطلقة ، لكن أبا حنيفة وأحمد قالا : اذا كانت بائنا فليس لها أن تغسله ولو كانت في العدة ، واذا ماتت الزوجة غسلها زوجها ، إلا أن أبا حنيفة منع ذلك ، لأنها صارت أجنبية عنه .
٣ ــ الغسل بين غير الزوجين :
جاء في كتاب « الفقه على المذاهب الأربعة » قال المالكية : إذا ماتت المرأة وليس معها زوجها ولا أحد من النساء ، فان كان معها محرم لها غسلها وجوبا ، ولف على يديه خرقة غليظة مع ستارة بينه وبينها ، فان لم يوجد محرم يممها واحد لكوعيها فقط . وإذا مات رجل ولم توجد زوجته غسلته محرمه بخرقة مع ستر عورته ، فان لم توجد محرمه يممته الأجنبية إلى المرفقين .

وقالت الحنفية : إذا ماتت المرأة ولم تكن هناك نساء يممها المحرم الى المرفق ، ويممها الأجنبي مع وضع خرقة على يده وغض بصره ، والزوج كالأجنبي إلا أنه لا يكلف غض البصر ، وإذا مات الرجل بين نساء ليس فيهن زوجته غسلته القاصرة ، فان لم توجد يممته الى المرفقين مع غض البصر .

وقال الشافعية : إذا ماتت بين رجال ليس فيهم زوج ولا محرم يممها الأجنبي الى المرفقين مع غض البصر وعدم اللمس ، أما الزوج فيغسلها وكذلك المحرم ان لم يوجد الزوج ، وإذا مات الرجل بين نساء ليس فيهن زوجته ولا محرم يممته الأجنبية بحائل يمنع اللمس مع غض البصر ، أما الزوجة فتغسله وجوبا وكذلك المحرم عند عدم الزوجة .

وقال الحنابلة : إذا ماتت المرأة ولم يوجد زوج يممها المحرم ، وإلا يممها الأجنبي بحائل ، واذا مات الرجل ولم توجد زوجته يممته الأجنبية بحائل ، أما المحرم فلا يشترط الحائل في تيمم الرجل أو المرأة . والله أعلم .



مع الشباب

الشباب هم ذخر الامة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .

ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .

ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

التدوين بين الاعتدال والشطط

أرسل بعض الاخوة الشباب رسائل حول الاسناد وكتابة التاريخ الاسلامي من جديد .

نقول للاخوة ان التاريخ الاسلامي غني بالمصادر الصادقة ، فأغلب الأحداث التي حدثت في العصر النبوي سجلها القرآن الكريم كالغزوات الاسلامية مثلا وليس هناك أدق من هذا التسجيل لأنه محفوظ من التحريف والتبديل . وقد شاركت السنة المطهرة في جوانب هامة مسجلة أحداثا عاصرت الصدر الأول أو الذي يليه .

وقد انفرد الاسلام بحرص رجاله على التأكد من سلامة الاسناد . وانسحب ذلك على كل أعمالهم ، وصبغها بتلك الصبغة .

لهذا نرى أن التاريخ الاسلامي في مصادره الأساسية سليم من كل شائبة ، والقليل من هذا النوع الذي لحقه التشويه ، ونالته الأيدي الآثمة من أعداء الاسلام قد قيض الله له من نقاه من أغلب الشوائب هذا عن التاريخ الاسلامي .

وهناك شطط في نصوص بعض المصادر ، ولكن لكل وجهة ، فقد جاء هذا الشطط نتيجة الاعتقاد الخاطىء الذي نشأ عن انحراف في العقيدة ، والذي نشأ عنه أن كل فريق سجل ما يؤكد مذهبه ، وما يتفق ومنهجه ، فقد دعم أتباع الأحزاب السياسية آراءهم ونظرياتهم بأحاديث لتأييد مذاهبهم ، أو روايات تاريخية ضالة ليس لها سند من الواقع .

ولم يكن المسلمون في صدر الاسلام يشككون في السند الى عصر سيدنا عثمان حتى وقعت الفتنة ، عند ذلك بدأ المسلمون يكذب بعضهم بعضا ، وتكونت الفرق ، والأحزاب ، وبدأ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخذ مطية لأهل الأهواء والاتجاهات .

يتحدث الامام محمد بن سيرين عن ذلك فيقول : « لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم » .

وانظروا ما نقله الامام مسلم بسنده المتصل عن مجاهد قال : « جاء بشير بن كعب العدوى إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ، ولا ينظر اليه فقال يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع فقال ابن عباس إنا كنا مرة اذا سمعنا رجلا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا وأصغينا اليه بآذاننا فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف » .

وكما كان ذلك واضحا جليا ومنهجا قويما نقيا للصحابة رضوان الله عليهم ، كذلك كان التابعون ، بل وأتقن التابعون الاسناد .

لكن يزعم قوم بأنه لا بد من العودة الى كتابة التاريخ الاسلامي وتنقيته مما علق به بحجة أن المنقول إلينا قد شابه التحريف فاننا لا ننكر بأن التاريخ سجل من طرق مختلفة ومن أصحاب أهواء متباينة . وفي نفس الوقت توفر للتاريخ من أخلص فيه النية والعمل ، وحافظ على تاريخ هذه الأمة ، وتراثها العظيم من التحريف ، وذلك أمر مشاهد مدون .

وتكون العودة للتدوين من جديد ضرورة ملحة اذا تعلق ذلك بالعقيدة ، وقد صان الله سبحانه مصدرها من التغيير ، أو مرتبطة بالرعيل الأول والفقهاء والقواد ، فانهم الذين أخذنا عنهم ما كان عليه رسول الله ، وفهمنا منهم شرع الله سبحانه ، أو متعلقة بالأحداث الهامة في تاريخ الاسلام والمسلمين ، واصطدمت بأخلاق اسلامية .

ورغم هذا فما وصل لأيدينا من هذا التراث العظيم لا يبعد عن الصواب ، فقد بذل فيه جهد مشكور ، فجزى الله ، رعيل الأمة الأول عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

والمأمول أن يعرض التاريخ عرضا وافيا مناسبا لعظم الأحداث وجلالها مواكبا بهذا العرض أسلوب العصر ومنهجه دون إخلال بجوهر الأحداث ومدلولاتها .

حتى ننزه تاريخنا عن العبث الذي يشوه جماله وتناسقه وارتباطه بالأمة المسلمة .



جاءنا من الاستاذ السيد محمد القاضي مقال تحت عنوان :

الاسلام والمستقبلية

نقتطف منه ما يلي :

لا نجافي الحقيقة إذا ادعينا ان العصر الذي نعيشه ونحياه يمثل تحديا حقيقيا ومعجزا للانسان ، فقد خيل للبشر ـ ضلالة ـ أنهم قد تغلبوا على عجزهم المركب في جبلتهم وأصل خلقتهم وتجاوزوه ، وأصبحوا قادرين على إخضاع الكون وعناصره وظواهره لسيطرتهم وإراداتهم ، بعد أن نجحوا في اكتشاف بعض القوانين ، وأجروا عليها تجاربهم واجتهاداتهم فاستجابت لهم ، بيد أنهم ـ وقد أجهدوا قدراتهم العقلية والتجريبية في مسيرتهم تلك ـ أغفلوا الجانب الانساني والروحي فيهم ، وكان من نتيجة الافراط في جانب والتفريط في آخر هذا الاعوجاج الذي ألم بالبشرية وأصابها في جوهرها وحقيقتها ، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى ، وأبين من أن تحتاج إلى برهان ، فالدول الغنية مثلا تنتج من المواد الغذائية وفرة تكفيها وتزيد ، وما يزيد تبيعه لمن يدفع الأسعار التي تحددها هي ، وهي دائما تحدد الأسعار المرتفعة ، ولا تتورع عن إلقاء كميات هائلة من منتجاتها في قاع البحار والمحيطات ، بدعوى الحفاظ على مستوى معين من الأسعار يضمن للسلعة ألا تبتذل بالتوفر في الأسواق والأيدي والبطون بأسعار رخيصة ، يتم هذا تحت سمع وبصر الحكومات والمنظمات والشعوب وبرضاها ، وكأنما هناك اتفاق غير معلن ، ويتم أيضا في الوقت الذي تهلك فيه جماعات من الجنس البشري ، جوعا ومسغبة ، هلاكا حقيقيا لا مجازيا ، وتعرض على الناس صور أشباحهم « نماذج للدراسة » ، ولا ريب أن أمرا كهذا وأمثلته كثيرة ، يدل على أن البشر قد أصيبوا في أعز ما يملكون ، في إنسانيتهم وآدميتهم .

والعلاج الناجع لهذا العوج يقتضي العودة الى أصل الداء وجذوره والعودة الى الجذور في رأي الكثيرين ردة لا تليق بالبشرية في مراحل تطورها وأيضا فان العلاج يستنفد طاقة أولى بها أن توجه إلى الأمام لا إلى الوراء ،

ومن ثم فقد ابتدع الفكر مخرجا من الورطة سماه « النظرة المستقبلية » ويعنون بها الغوص في أعماق المستقبل ، لاستكشاف أغواره ، واستكناه طبيعيته ، للتنبؤ بما سوف يكون فيه أو ما ينبغي أن يكون عليه ، اعتمادا على المنجزات العلمية التي تحققت وعلى قوانين السببية ، أو بمعنى أدق قوانين الاحتمالات التي كثيرا ما تصيب ، وهذا المخرج المتوهم عن طريق « النظرة المستقبلية » هو في الحقيقة مهرب أو حيلة لجأت اليها البشرية حين عجزت عن مواجهة خطايا حاضرها وآثامه ، واذ قد هالها جهامة عيشها وقتامته فقد لجأت إلى أحلام اليقظة تنشد عندها عيشا أكثر إشراقا وبهجة ، وبالأمس البعيد تخيل أفلاطون جمهورية رشيدة ، ومن بعده تخيل الفارابي مدينة فاضلة ، بعد أن عزت على الناس الفضيلة والرشاد ، ولذلك فانه من المتوقع أن يحمل الانسان معه في انتقاله الى المستقبل أوزاره وأعباءه ، ولن يتخلى عنها ، وحينئذ يزداد المستقبل تعقيدا وكأنما كتب على البشرية أن تدور في حلقة من المشكلات المتفاقمة والعصيبة على الحل ، وقد بدأ فعلا بعض المفكرين في الغرب ــ وهم ألصق بأزمة الانسان وأشد احساسا بوطأتها ــ يرفعون أصواتهم محذرين من احتمالات الغد ، ومما يحمله في طياته من مفاجآت ليست بالقطع في صالح الانسان .

والأمر ولا ريب يعنينا نحن المسلمين ، فنحن جزء من العالم ، مرتبطون به تأثيرا فيه ، وتأثرا به رضينا أم سخطنا ، بل إن سنة التطور توثق هذا الارتباط يوما بعد يوم ، ومن هذه الحتمية فان علينا أن نسأل أنفسنا .

إلى أين يتجه هذا العالم ونحن في فلكه ــ بعد أن خلت حياته من كل معنى ، وافتقر إلى الهدف ؟

وهل مكتوب على المسلمين أن يظلوا على الرغم منهم مقودين إلى المجهول ؟

تساؤلات كثيرة تطرح على مستوى الساحة الاسلامية أولا ، وعلى مستوى الساحة العالمية ثانيا ، وكلها تمثل الحيرة ، حيرة الجنس البشري في ضباب التيه والضلالة ، واستيعاب التساؤلات والبحث عن أجوبتها بالنسبة للمسلم جهاد يرقى الى درجة فرض الكفاية إن لم يصل الى فرض العين ، وإذا كانت نبرة العلم في الغرب تعلو على كل نبرة بحسبانه المعتمد الوحيد والموثوق به لدى أهله ، فهل العلم أيضا هو الفرض المقدم على ما عداه في عالمنا الاسلامي بحيث يمكن الزعم بانتفاء الحاجة إلى ما عداه ؟

ومما يعزينا نحن المسلمين أن المعيار الذي ارتضى للتمييز بين عالمين مختلفين ، أحدهما متطور متقدم ، والآخر نام ــ هذا المعيار هو معيار « الاقتناء المادي » الصرف وليس معيار الترقي في سلم القيم الانسانية النبيلة ، وكأن ليس لهذا المعيار الأخير وزن يعتد به ، وحتى إذا اعتبر فليس هو الأهم على كل حال ومن

منظور القيم الانسانية يستطيع عالمنا الاسلامي أن يلف إلى المستقبلية وان يشارك العالم في إرساء الأسس القويمة لحياة إنسانية كريمة ، ولن تكون رعايته للقيم عائقا يحول بينه وبين أن يسهم في التجريب والكشف العلميين ، بل على الضد من نلك ستكون القيم بالنسبة له نعم الحافز ونعم المعين ، وحينئذ لن يعوزه شيء ، ففيه الذكاء ، وفي يده المال ، وتحت أقدامه وفي ترابه ومائه ما يشاء من مواد ومعادن .

أما لماذا يجب على عالمنا الاسلامي أن يستظل بلواء القيم فنلك حتى لا ينزلق فيما انزلق فيه غيره من خطايا موبقة حين نحى القيم عن طريقه ، مكتفيا بما احرز من تقدم في العلم ، وأشد هذه الخطايا عسرا وفتكا اثنتان .

أولاهما : أن العلم – مع انه نتيجة التفكير والجهد الانساني المحض – قد أضحى سيد الانسان بعد ان تراجع الانسان للعلم عن مكانه ومكانته ، وكان حريا بالانسان أن يظل مسيطرا وسيدا ومن يوم أن ألقى الانسان زمام عبوديته إلى العلم فقد الأمن في عيشه وفي سربه ، وحقت عليه كلمات ربه : **(أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم)** الجاثية / ٢٣ .

وثانيتهما : أن العلم بدل أن يكون طريقا يصل العبد بربه ، ويحل الخشية منه في قلبه صار – أي العلم – سبب قطيعة بين الله وعباده العلماء ، بعد أن تلبس الانسان بالغرور والالحاد .

ومن شأن الأمرين جميعا أن يعيدا الرضا والاطمئنان إلى نفوسنا المصابة بالدوار والفزع نتيجة البون الشاسع بيننا نحن الذين لا نزال ندرج في مطلع الطريق طريق العلم ، وأولئك الذين يتوهمون أن قد بلغوا من الشوط مداه .

ومن فضول القول ونافلته أن نقرر هنا أن الأيدلوجيات المطروحة في الساحة العالمية كلها زيف لا غناء فيه ، لافتقارها إلى أصل وثيق تعتمد عليه ، وتلجأ إليه في شدتها وضيقها ، وما أشد حاجة العالم إذن إلى عصا موسى ، لتلقف ما يأفك السحرة ، وليست عصا موسى المرجوة غير ما يقدمه الاسلام للبشرية من نظام يعيد اليها الاتزان . وعقيدة تملأ حياتها سكينة ورضى ، وتحفزها الى الجد النافع والعمل المثمر .

ولكن ....

هل يكفينا ويكفي غيرنا ، ويقنعنا ويقنع غيرنا أن نردد نحن المسلمين شعار « إن الاسلام دين صالح لكل زمان ومكان » ثم نستكين موقنين بأن قد قمنا بما فرضه الله علينا من واجب الدعوة اليه أتم قيام ؟

نلك غير كاف ولا مجد والواجب على علماء الأمة ، وهم والحمد لله كثرة ، أن يتنادوا ، وأن ينظموا صفوفهم وجهودهم ، وأن ينهضوا لدراسة الدين – عقيدة وشريعة – ثم عليهم بعد نلك أن يصوغوه في صورة تلائم العصر ، وترضي الذوق ، وتقنع العقل ، حتى يلتزم به الناس .



بريد الوعي الاسلامي

صفة إنسانية حقا

الحب صفة إنسانية نرجو بيان ذلك في ضوء الشريعة الاسلامية فاننا نشاهد أفلاما تعرض ألوانا من العلاقات تحت هذا الاسم تحظى باهتمام الشباب فهل هذه العلاقات تتفق مع هذه الصفة الانسانية السامية ؟
محمد السلمانى ـ العراق

حقا ان الحب صفة إنسانية جليلة ، وعاطفة وجدانية دعا الاسلام إليه ، وحبب فيه ، بل وحث على تنميته ، فنلك أمر لا تنكره الديانات .

وليس بمحظور في الشريعة الاسلامية إذ القلوب بيد الله عز وجل يقلبها كيف يشاء ، وتظل هذه العاطفة صفة إنسانية حتى تتحول إلى حب للجسد والغريزة عند ذلك ننبه على أهمية مراعاة ما ينسجم مع الاسلام ، وتعاليمه ونبذ ما عداه .

ونستطيع أن نقول إن من أسمى أنواع الحب ما يتعلق بالايمان ، فحب الله سبحانه وتعالى بمعنى الانقياد لأوامره ، واجتناب نواهيه ، والشعور بأنه الله الذي لا معبود بحق إلا هو ، ولا شريك له فان ذلك حب لله لا مراء فيه .

وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي تصديق دعوته ، والتزام نهجه والسير وفق سنته ، والدفاع عن ملته الحنيفية السمحة لا شك أن هذا أيضا من ألزم أنواع الحب ، لسلامة عقيدة المسلم ، فحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتبط ارتباطا وثيقا بالعقيدة وقوتها ، فلا يؤمن أحدنا حتى يكون الرسول أحب إليه من روحه التي بين جنبيه .

وقد روى أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن أحب عبدا لا يحبه إلا لله ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » .

وحول المتحابين في الله لغير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء والشهداء ــ قيل : من

هم لعلنا نحبهم قال : هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ: **(ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .**

وهناك محبة القربى والزوجة ولا شيء فيها بل هي الأوجب مصداق ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه) .

نتبين من هذا النص أن محبة ذوى القربى والزوجة صلة حث عليها الاسلام ، ورغب فيها .

أما ما يعرض في أجهزة الاعلام من أفلام تقدم العلاقات بشكل مثير بين الجنسين زاعمة أن هذا حبا ، فانه لا يعرف الحب في قليل أو كثير ، لأنه أولا بين أجنبيين عنصره الأساسي الاثارة ، والفتنة ، والعرى ، وكشف العورات ، بلا تحفظ ، ولا رعاية لحرمات نهى عنها الاسلام .

ولا يتفق هذا أبدا مع ما لهذه الصفة الانسانية من دوافع وأهداف ، حبب اليها الاسلام ودعت اليها نصوصه الصحيحة .

واهتمام الشباب بهذا اللون راجع الى الفراغ الديني الذي يعيشونه .

وهم بلا شك يحتاجون لشرح وتوضيح ما يتفق مع الدين والأخلاق الاسلامية الفاضلة .

وأيضا يحتاج المنتجون لهذه الأفلام الى رقابة توقف هذا الهبوط بالأخلاق العامة حتى تكون السينما وغيرها من أجهزة الاعلام أداة تثقيف وتوعية وتربية في ظل ديننا الحنيف . **فهل من مجيب ؟**

جامعة دار العلوم بديوبند في عيدها المئوى

جامعة شامخة عظيمة مضى على إنشائها مائة عام قدمت للعالم الاسلامي الكثير ، وهى أقدم وأكبر جامعة بالهند على الاطلاق .

ومن الأمور المسلمة أن تاريخ الهند زاخر بالعلماء والباحثين والفقهاء ممن لهم باع طويل وفضل على المسلمين في الهند وغيرها .

ولقد مكث المسلمون زهاء ثمانية قرون متواصلة أصحاب السلطان في شبه القارة الهندية على اختلاف رقعتها ، وامتداد مساحتها يحكمون ، وينشرون الاسلام ، ويعملون على تأصيله في النفوس ، وغرس تعاليمه ، وأهدافه السامية .

خلال هذه الفترة الطويلة أقام المسلمون هناك منارات عالية للثقافة ، وتركوا معالم وآثارا اسلامية في سائر انحاء البلاد ، وخلفوا تراثا علميا قيما ازدانت به المكتبة الاسلامية . ونهل الناس منه خير زاد يتزود به المسلم من أهمها جامعة دار العلوم التي تمثل الثكنة القوية للاسلام والمسلمين والتي صمدت أمام كل تيار

جارف ، تواجه الأفكار الخاطئة الضارة بالاسلام والمسلمين .

ومن المعروف أن المسلمين في الهند من أكثر الأقليات الاسلامية في العالم تمسكا بدينهم ، وحفاظا على تراثهم ، من أجل ذلك كان حرصهم على معرفة دينهم شديدا ، فأسسوا المعاهد والكليات والمؤسسات الاسلامية والعربية ، لتكون ركيزتهم العلمية التي تمدهم بالثقافة النقية ، وكان من أهم نتاجهم هذه الجامعة ، ومؤسساتها التي انبثقت منها في شبه القارة الهندية وغيرها .

ومن أبرز مؤسسيها بل صاحب فكرة إنشائها الشيخ محمد قاسم النانوتوى سنة ١٨٦٦م .

ويطلق المسلمون عليها (أزهر الهند) لما لهذه الجامعة من مكانة علمية تواكب مسيرة الأزهر الشريف في مصر .

وقد تخرج فيها الآلاف من العلماء والدعاة الواعين الذين قاموا بالدعوة خير قيام ، وكانوا حصنا منيعا أمام كل التيارات المعادية للاسلام وأهله .

وإلى جانب علوم التفسير والفقه والأدب تميزت هذه الجامعة بالعناية بالحديث الشريف وعلومه من حيث الجمع والاستيعاب ومن حيث السند والمتن والتفقه والدراية .

وتلك ميزة تفوقت بها على شقيقاتها في شبه القارة الهندية .

وقد ذاع صيت دار الحديث التابعة لها في جميع أنحاء العالم ، فأخذ يقصدها رواد الحديث المتعطشون إليه الدارسون لأصوله .

وللجامعة مكتبة كبيرة زاخرة بتراث علمي عظيم ؛ تعد من أغنى المكتبات وأخصبها .

هذا ولا يزال شعار هذه الجامعة المحافظة على الشعائر الاسلامية ، والدفاع عن السنة ، والصمود في وجه التيارات المعادية للاسلام في خضم الدعوات الملحدة ، والاضطهاد ، والوثنية الباغية دون ملل أو ضعف أو تخاذل أو تقصير .

وقد زودوا المسلمين بالأفكار النيرة المغذية للقلوب ، المنعشة للعقول ليدحضوا شبهات المشككين حول الاسلام ، ويقتلوا الحركات الهدامة في مهدها ، كالقاديانية ، والبهائية ، وغيرهما ..

وقد أشاد بدور الجامعة من شاهدوا تلك القلعة الحصينة ، والنموذج الحي لحفظ التراث الاسلامي ، أساتذة أجلاء ، أصحاب فكر ، وقلم من كبار رجال العلم والدين .

وجامعة تلك خدماتها ، وهذا تراثها ، وتاريخها ، حرى بنا أن نذكرها ، ونذكر الناس بفضلها .

ونرجو أن تظل المنارة العالية ، والمعهد العتيد ، والأمل المرجو للاسلام والمسلمين في وجه الطغاة والمفسدين ، وأصحاب البدع ، والأهواء ، لأنها أسست على تقوى من الله ورضوان ، وهى النبراس الذي يستضئ به الرجال في ظلمة الجهل ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ربيع الأول	يناير	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
			فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الجمعة	١	١٨	٦ ١٢	٢٩ ١	٤٥ ٦	٤١ ٩	٢١ ١	٢٠ ٥	٤٣ ٦	٥٨ ١١	٥٤ ٢	١٤ ٥	٣٥ ٦
السبت	٢	١٩	٥	٢٨	٤٤	٤١	٢١	٢٠	٤٣	٥٩	٥٥	١٤	٣٦
الأحد	٣	٢٠	٤	٢٧	٤٤	٤١	٢١	٢٠	٤٣	٥٩	٥٦	١٥	٣٦
الاثنين	٤	٢١	٣	٢٦	٤٣	٤١	٢١	٢٠	٤٢	٥٩	٥٧	١٦	٣٧
الثلاثاء	٥	٢٢	٢	٢٥	٤٣	٤٠	٢١	١٩	٤٢	٠٠ ١٢	٥٧	١٧	٣٨
الأربعاء	٦	٢٣	١	٢٤	٤٢	٤٠	٢٠	١٩	٤٢	٠٠	٥٨	١٨	٣٨
الخميس	٧	٢٤	٠٠	٢٢	٤١	٤٠	٢٠	١٩	٤١	٠٠	٥٩	١٩	٣٩
الجمعة	٨	٢٥	٥٩ ١١	٢١	٤١	٤٠	٢٠	١٩	٤١	١	٠٠ ٣	٢٠	٤٠
السبت	٩	٢٦	٥٨	٢٠	٤٠	٤٠	٢٠	١٨	٤١	١	٠٠	٢١	٤١
الأحد	١٠	٢٧	٥٧	١٩	٤٠	٣٩	٢٠	١٨	٤٠	١	١	٢١	٤١
الاثنين	١١	٢٨	٥٦	١٦	٣٩	٣٩	٢٠	١٨	٤٠	١	٢	٢٢	٤٢
الثلاثاء	١٢	٢٩	٥٥	١٦	٣٨	٣٩	٢٠	١٨	٣٩	١	٢	٢٣	٤٣
الأربعاء	١٣	٣٠	٥٣	١٥	٣٨	٣٩	٢٠	١٧	٣٩	١	٣	٢٤	٤٤
الخميس	١٤	٣١	٥٢	١٣	٣٧	٣٩	١٩	١٧	٣٨	١	٤	٢٥	٤٤
الجمعة	١٥	فبراير	٥١	١٢	٣٦	٣٩	١٩	١٦	٣٨	٢	٥	٢٥	٤٥
السبت	١٦	٢	٥٠	١١	٣٦	٣٩	١٩	١٦	٣٧	٢	٥	٢٦	٤٦
الأحد	١٧	٣	٤٩	١٠	٣٥	٣٩	١٩	١٦	٣٧	٢	٦	٢٧	٤٦
الاثنين	١٨	٤	٤٧	٨	٣٤	٣٩	١٩	١٥	٣٦	٢	٧	٢٨	٤٧
الثلاثاء	١٩	٥	٤٥	٧	٣٤	٣٨	١٩	١٥	٣٦	٢	٧	٢٩	٤٨
الأربعاء	٢٠	٦	٤٤	٥	٣٢	٣٨	١٩	١٤	٣٥	٢	٨	٣٠	٤٩
الخميس	٢١	٧	٤٣	٤	٣٢	٣٨	١٩	١٢	٣٤	٢	٨	٣٠	٤٩
الجمعة	٢٢	٨	٤١	٣	٣٢	٣٨	١٩	١٢	٣٤	٢	٩	٣١	٥٠
السبت	٢٣	٩	٤٠	١	٣١	٣٨	١٩	١٢	٣٣	٢	١٠	٣٢	٥١
الأحد	٢٤	١٠	٣٨	٥٩ ٢	٣٠	٣٧	١٨	١١	٣٢	٢	١٠	٣٣	٥١
الاثنين	٢٥	١١	٣٧	٥٨	٢٩	٣٧	١٨	١٠	٣١	٢	١١	٣٤	٥٢
الثلاثاء	٢٦	١٢	٣٦	٥٧	٢٩	٣٧	١٨	١٠	٣١	٢	١١	٣٤	٥٣
الأربعاء	٢٧	١٣	٣٤	٥٥	٢٨	٣٧	١٨	٩	٣٠	٢	١٢	٣٥	٥٣
الخميس	٢٨	١٤	٣٢	٥٣	٢٧	٣٦	١٨	٨	٢٩	٢	١٢	٣٦	٥٤
الجمعة	٢٩	١٥	٣٠	٥١	٢٦	٣٦	١٨	٧	٢٨	٢	١٣	٣٧	٥٥
السبت	٣٠	١٦	٢٩	٤٩	٢٥	٣٦	١٨	٧	٢٧	٢	١٣	٣٨	٥٥

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ــ الشويخ ــ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا	:	طرابلس ــ الشركة العامة للتوزيع والنشر .
المغرب	:	الدار البيضاء ــ الشركة الشريفة للتوزيع .
تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب : (٤٧٧) الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) الطائف : مكة المكرمة : برحة نصيف / مكتبة جدة المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب:(١٠١١)
البحرين	:	دار الهلال .
قطر	:	دار الثقافة للتوزيع ــ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .
أبو ظبي	:	مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ــ ص.ب:(٣٢٩٩)
دبي	:	مكتبة دبي .
الكويت	:	شركة الخليج لتوزيع الصحف ــ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .



من مساجد الكويت/ مسجد الشيخة فاطمة

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

هدية العدد : براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ـ العدد ١٨٤ ـ ربيع الثاني ١٤٠٠ هـ ـ فبراير ١٩٨٠ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

○ الجزء الاعلي من احدى اللوحات الموجودة داخل مسجد شاه زاد محمد مسلم بتركيا وهي من البلاط الخزفي الملون ذي التأثير الفني الرائع ، وهذا الشكل يعتبر قمة في الخزف الاسلامي خلال النصف الاول من القرن السادس عشر .

(انظر صفحة ٧٤)

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٨٤ ـ ربيع الثاني ١٤٠٠ هـ ـ فبراير ١٩٨٠ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصـدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

في ذكرى

مولد الرسول صلى الله عليه وسلم



الوزير الحجي يلقي كلمة الوزارة

احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بذكرى مولد الرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم . الذي جاء بالنور فايقظ الانسانية من سباتها وشدها إلى حظيرة ربها ، وصحح مسيرة الأمة ، وجنبها الزلل . وحماها من الغواية والضلال .

فهل للمسلمين من وقفة تدبر وتامل ؟

هذا وقد أقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية حفلها المعتاد في مثل هذه المناسبة الكريمة . وتحدث الخطباء بما يناسب الذكرى الجليلة وكان في مقدمة المتحدثين ـ السيد/يوسف جاسم الحجي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية .

قال سعادة الوزير .

نحمد الله تعالى ، ونصلي ونسلم على رسوله محمد ، وعلى آله وصحبه ، والذين آمنوا برسالته وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، فكانوا معالم واضحة على طريق الحق والعدل والطمأنينة . وبعد ،

فنحتفل الليلة بذكرى مولد رسول الله محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صلى الله عليه وسلم الذي ولد من أشرف بيوت العرب نسبا وأرفعها حسبا ، وهو بيت:« هاشم بن عبد مناف » وشب على أكمل خلق وأقوم سبيل ، إلى أن جاءت الرسالة العامة الخاتمة ، بتوحيد الله ، وتقويم العقائد وتهذيب الأخلاق ، وإصلاح حال المجتمع ، وتوثيق عرى الوحدة بين المؤمنين والجهاد في سبيل الحق والعدل ، لحمل لوائها ، وتعليم البشرية من وجوه الحكمة ما لم يكونوا يعلمون . قال تعالى : **(كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) .**

وشأننا في هذا الاحتفال ، أن نورد عن سيرة النبي العظيم ما فيه أسوة حسنة ، لعلاج ظروفنا الماثلة ، وأحوالنا الراهنة ، ولذلك آثرت أن ألمس في هذه المناسبة لمحة وجيزة عن شجاعته في مقابلة الخطوب والأحداث ، لتكون ضياء نشق به الطريق إلى حقوقنا .

لقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ المثل الأعلى في رباطة الجأش ، واستقبال الشدائد بعزم لا يلتوى ، وإقدام لا يعرف الإحجام ، وحذر وحيطة لا يشوبهما غفلة .. كان موقفه في الحرب أقرب موقف من العدو .. يأوى إليه المجاهدون من أصحابه ويحتمون بظله حين يشتد لهب الحرب . يقول علي رضي الله عنه : « إنا كنا إذا حمي البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي وهو أقربنا إلى العدو » .. وفي غزوة أحد خف المسلمون إلى الهزيمة ، ولكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثبت بمكانه حتى انكفأت عليه كتائب المشركين ، وهو في نفر قليل من أصحابه ، فهشموا البيضة على رأسه ، وجرحوا وجهه الكريم ، وكسروا رباعيته ، وفي القرآن الكريم شاهد صدق على أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتى في هذه اللحظة الحرجة ـ كان يعظ المسلمين حين خفوا إلى الهزيمة وعظا بليغا ، ويدعوهم إلى الثبات ، قال تعالى :

(إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في آخراكم) .

ولما بلغه أن الروم وقبائل من العرب يجمعون جموعهم ، ليزحفوا على المدينة ، نادى بالتهيؤ لغزوهم ، وجد في السير حتى انتهى إلى تبوك ، فقذف الله في قلوبهم الرعب ، وأتاه قادتهم طالبين الصلح ، ولما أمن مكرهم صالحهم ، وقفل إلى المدينة راجعا ... وفي هذا العمل تعليم من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لقادة المسلمين من بعده ، أن يمسكوا بزمام المبادرة ، لصيانة عقيدتهم ، وحماية وطنهم ومقدساتهم ، وأن يكونوا أيقاظا لما وراء بلادهم من مؤامرات ، حتى لا يفجأهم عدوهم ببأسه ونكاله وهم غافلون ..

إن ظروفنا الحاضرة توجب علينا أن نفطن إلى ما يدبر لنا من شرور ، وأن ندرك أن اليهودية والشيوعية والصليبية أبرز جبهات الكفر في التخطيط والتنفيذ لإبادة الاسلام .. لقد اتخذت اليهودية طريق (العلمانية) وطريق (الماسونية) كاتجاه فكري وثقافي ، يقلل من شأن الدين والقيم الانسانية في نفوس الطبقة الوسطى من المثقفين والشباب ، وفي نفوس الطبقة العليا من السياسيين ورجال الأعمال والفكر .. ولما وجدت أن العلمانية والماسونية لا تكفيان لتحقيق إنشاء (اسرائيل) وضعت تفكير (كارل ماركس) اليهودي بالنسبة للدين والقومية موضع التنفيذ ، في نظام حكم سياسي واجتماعي ، حتى يكون معولا آخر قويا في هدم الدين يستهدف طبقة العمال والفلاحين ، كي يتخلخل الايمان في نفوسهم ، وبهذا يسير أخطبوط اليهودية العالمية في جميع مستويات المجتمع الانساني .. والصهيونية تستولي على الاتجاه الرأسمالي العلماني عن طريق رأس المال اليهودي ، وتستولي على الاتجاه المركسي عن طريق رجال العلم والفكر من اليهود ، وهي بذلك تضرب الاسلام مع أي من المعسكرين .. والتعاون على ضرب الاسلام والاجهاز عليه في كل مكان ، تعاون وثيق بين الشيوعية واليهودية والصليبية ، وما تظهره وسائل الاعلام من خلافات بينهم ، اكثر ما يكون للتضليل ، وإن وجدت خلافات فهي بعيدة كل البعد عن هذا الهدف الذي هو محل اتفاق وطيد بينهم .

واجب الشباب المسلم أن ينأى بنفسه عن الفكر الدخيل ، الذي يصرفه عن القيم الانسانية العليا ، التي هي قيم الدين والوطن ، وعليه أن يباشر العبادة التي فرضها الاسلام وأن يحولها إلى سلوك عملي ، فان الشباب بهذا يسهم في بناء مجتمع إنساني فاضل قوي ، يتماسك في وجه التبعية للغير ، وضد الذوبان في عالمية تجرده من خصائصه ، وبعده لان يكون موضوعا لاستغلال هذا الثالوث البغيض .

ولتحقيق إقبال الشباب المسلم على الايمان بالله ، ورفض الأفكار الإلحادية ، يجب أن تعنى الجهات الرسمية في المجتمع بالايمان بالدين ، وأن تشجع الدولة كل طريق خاص يؤدي إلى تحقيق هذه العناية ، وأن تعنى الدولة بالبناء الاجتماعي ، وتأسيسه على أسس إسلامية ، تستهدف مواجهة المخططات الصهيونية والشيوعية والصليبية .. وأن يعاد تخطيط الدعوة لمبادئ الاسلام ، حتى تكون في مجال المواجهة للتحديات التي تحاول أن تتركز على الأرض الاسلامية وفي قلوب الشباب المسلم ..

أيها المؤمنون .. إن شجاعة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – التي ذكرنا طرفا منها ، توجب علينا أن نتأسى به في مواجهة التحديات ، وأن نعتصم بإيماننا ، وننأى

بأنفسنا عن التبعية لأي جهة من جهات الكفر ، وأن نقدم أنفسنا وأموالنا وأفكارنا في سبيل صد العدوان على بلادنا ومقدساتنا ، واسترداد ما سلب من تلك البلاد والمقدسات ، وأن نكون أيقاظا ، نفطن للمكائد التي يحيكها الكفر للاضرار بنا ، وأن نستجيب لأوامر الله ، فلا نخدع بحيل الكافرين وأحابيلهم التي ينصبونها لإلباسنا طوق المذلة والهوان ، تحت ستار الدفاع عن أمننا .. إن الاقتداء برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في جهاده يقتضينا أن نهب لتخليص فلسطين الحبيبة والقدس الشريفة من أنياب الصهيونية وألا نيأس من روح الله مهما وضعت في طريقنا العراقيل حتى ترفرف عليهما من جديد راية الاسلام ، ويعود شعبها إليها عزيزا كريما ، في ظل الايمان بالله والعمل بشريعته ، ويقتضينا كذلك ان نناصر المسلمين في أريتريا والفلبين وفي كل مكان ، حتى يتمكنوا من الصمود في وجه الطغاة الظالمين ، وأن نسرع إلى نجدة أفغانستان التي أغار عليها الشيوعيون بدباباتهم وطائراتهم ، يهرسون الأرض ويسوونها بأجساد المسلمين .. إن الجهاد يتعين على جميع المسلمين إذا ديست أرض الاسلام ، وقد قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**) . والاستشهاد في سبيل الله حياة ، قال تعالى : (**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون**) . وبذل الأموال في سبيل الله جهاد يعطي الله عليه الأجر العظيم ، قال الله تعالى : (**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جهز غازيا غزا فقد غزا ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا » .. اننا حين ننهض بمعونة المجاهدين وتأمين حياة أسرهم ، إنما نصون وجودنا وحقوقنا وعزتنا وكرامتنا ، فالوجود الاسلامي ، والحق الاسلامي ، والقوة الاسلامية ، والكرامة الاسلامية ، كل لا يتجزأ ، والأخوة الحقيقية محصورة في الايمان بالله ، قال تعالى : (**إنما المؤمنون إخوة**) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وما من مسلم ينصر مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته ، « ومن أذل عند مؤمن فلم ينصره وهو قادر على نصره أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة » .

أيها المؤمنون .. إن الغزو السوفيتي لافغانستان المسلمة لهو سرطان خبيث كسرطان اليهود في فلسطين ، وأن لم يواجه من المسلمين في كل مكان بقوة تصده فانه سيمتد إلى بلاد أخرى من بلاد الاسلام .. وعليه فواجب المسلمين الوقوف بكل ما يستطيعون في وجه الغزاة الظالمين ، مستمدين العون من الله ، واثقين من نصره وتأييده ، قال تعالى : (**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**) .

وبهذه المناسبة الكريمة نتوجه بالتهنئة الخالصة لحضرة صاحب السمو أمير البلاد وولي عهده وإلى جميع المسلمين في كل مكان ، سائلا المولى الكريم أن ينصرهم على أعدائهم بعونتهم إلى تطبيق الشريعة الاسلامية في جميع مناحي الحياة ، والله الموفق وهو يهدي السبيل ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

تفسير سورة الصف

الحلقة الاولى

للاستاذ: محمد عزة دروزة

تعريف بالسورة :

للسورة بعض الخصوصيات الهامة . فهي أولى الآيات نزولا بايذان الله باظهار الدين الاسلامي على سائر الاديان ، وإحباط كل مسعى مناوئ لذلك . وفيها بشارة عيسى عليه السلام برسالة محمد صلى الله عليه وسلم . إن مطلع السورة ومقاطعها الأخيرة مترابطان في موضوع الجهاد في سبيل الله . وبينهما فصلان استطراديان فيهما أقوال لموسى وعيسى عليهما السلام ، وفيهما تدعيم للدعوة النبوية للجهاد والحث عليه وللتنديد بمن يخلفون وعدهم في التضامن فيه . بحيث يقال إنها نزلت مرة واحدة او متتابعة مع التنبيه على أن هناك حديثا سيرد في الشرح يذكر أنها نزلت دفعة واحدة .

وقد روى الزمخشري أن السورة مكية . ويروى هذا أيضا البغوى والطبري عن عطاء ، وهذا عجيب ومثال لاهتمام المفسرين بالروايات اكثر من النص . فحث المؤمنين على الجهاد في السورة والتنديد الشديد بالمقصرين فيه يجعلان احتمال مكيتها مستحيلا . لأن القتال إنما فرض وحرض عليه في العهد المدني وبعد الهجرة . وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يأذن للمسلمين في مكة بمقابلة المشركين بأذى على أذاهم . وقد هدأهم القرآن وطلب منهم التسامح في قوله تعالى : **(قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله)** الجاثية / ١٤ وفي قوله تعالى : **(الم تر إلى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب)** النساء / ٧٧ .

وفي السورة آيات قد تكون قرينة على كونها نزلت قبل صلح الحديبية ووقعة خيبر ، وهاتان الوقعتان قد أشير اليهما في سورة الفتح التي يأتي ترتيبها بعد هذه السورة مباشرة في روايات ترتيب نزول السور حيث يكون ذلك قرينة على صحة ترتيبها والله تعالى أعلم .

ولقد ذكر الطبرى أن السورة تسمى بسورة الحواريين وبسورة عيسى عليه السلام ، ولم يذكر سندا .

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم . (١) يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون (٢) كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون (٣) ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (٤)) .

عبارات الآيات واضحة . والآية الاولى مطلع تمهيدي لما بعدها . والآيتان الثانية والثالثة احتوتا عتابا وتنديدا موجها إلى المسلمين الذين لا ينفذون بالفعل ما يقولونه ويعدون به باللسان ، وتنبيها إلى ما في هذا من موجبات مقت الله الكبير وغضبه . أما الآية الرابعة فقد احتوت على القتال في سبيل الله بعزم وتراص وتضامن وإيذانا بأن الله تعالى يحب الذين يفعلون ذلك . وقد تفهم الآية الرابعة أن التنديد في الايتين السابقتين هو للذين يعدون بالقتال ولا يقاتلون وليس لجميع المؤمنين . وهذا ما روته الروايات كسبب من أسباب النزول .

روايات نزول الايات :

لقد روى المفسرون روايات عديدة في ذلك . منها أنها في المنافقين الذين وعدوا بالتضامن في القتال فاخلفوا . ومنها في شخص أو أشخاص ادعوا كذبا أنهم قاتلوا وقتلوا بعض الكفار . ومنها أنها في أشخاص سمعوا ثناء الله ورسوله على أهل بدر فنذروا بأن يفعلوا مثلهم فلم يصدقوا . ومنها حديث رواه ابن ابي حاتم عن عبدالله بن سلام جاء فيه (قعدنا نفر نتذكر في أحب الاعمال لله حتى نفعل فانزل الله السورة فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرأها عليهم) رواه الترمذي عن عبدالله بن سلام مع فارق أن الذي أنزل الله جوابا على أمنيتهم هو الاية الرابعة .

والرواية الاخيرة عجيبة . لانها تجعل نزول الاية الرابعة مقدما على الاية الثانية أو منفردة ، مع أن الملموح بقوة انها نتيجة للآيتين اللتين قبلها .

تعليق على الآيات :

(١) ان التنديد الشديد في الآيتين الثانية والثالثة يدل ــ كما هو ظاهر ــ على انها في صدد جماعة كانوا يعدون بالجهاد ثم يخلفون . ولقد حكت آيات عديدة في سور أخرى ذلك عن المنافقين . وفي سورة الاحزاب آية صريحة في ذلك وهي **(ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا)** الاحزاب ١٥ . ثم تقاعسوا وراوغوا في حرب الخندق التي نزلت هذه الآيات في صددها بحيث يصح الترجيح ان الآيتين فيهم .

(٢) وشدة التنديد في الآيتين تدل على ان الموقف الذي وقفوه ــ وكان سبب

نزولهما ـ كان مثيرا للمقت والسخط . اما بتكرره واما في ظروفه . ولعل الآيات تنطوي على تقرير كون هذا الموقف مما آلم النبي صلى الله عليه وسلم وآذاه . والمتبادر ان الآية التالية للآيات التي تذكر بموقف قوم موسى المؤذية من نبيهم رغم اعترافهم بنبوته ، وتندد بهم ، وتصفهم بالفسق والانحراف والزيغ هي قرينة على ذلك .

(٣) وأسلوب الآيات عام . وتلقينها مستمر المدى لجميع المسلمين في كل ظرف ومكان . ومن شأنها أن تهز النفس هزا شديدا . سواء بايذانها بمحبة الله تعالى للذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص . أم بايذانها بمقت الله تعالى الشديد الكبير للذين يقولون ولا يفعلون ما يقولون .

(٤) وفي القرآن الكريم آيات كثيرة جدا في الامرين . أي (التنديد) بالمتثاقلين عن الجهاد المثبطين منه المخلفين بوعودهم به و(التنويه) بالذين يقاتلون بصدق وإخلاص حيث يدل هذا على ما اعاره القرآن الكريم من عناية عظمى لهذا الركن العظيم الذي كتب على المسلمين لما فيه من حياطة أمرهم وقوام وجودهم وكرامتهم وأمنهم وسلامتهم وعزة الاسلام وقوته . ولقد جعله الله تعالى عنوانا لصدق ايمان المؤمن قال الله تعالى : **(انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون)** الحجرات ١٥ . ولقد اعتبر الله تعالى أن كل مسلم متعاقد معه . واشترى منه نفسه وماله بالجنة ليقاتل في سبيله فيقتل او يقتل قال تعالى : **(إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)** التوبة ١١١ . ولقد أنذر الله تعالى المتثاقلين عن القتال بالعذاب الشديد وإبدالهم بغيرهم قال تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير)** التوبة ٣٨ ، ٣٩ .

(٥) وهنا موضع تنبيه مهم جدا في بابه وهو أن الله عز وجل إنما شرع وكتب على المسلمين القتال ضد الكفار الاعداء المعتدين على الاسلام والمسلمين بأية صورة من صور الاعتداء ، وقرر أن لا قتال للكفار المسالمين الموالين ولا سبيل للمسلمين على من يعتزلهم ويلقي اليهم السلم ويكف يده ولسانه عنهم بل وحث على البر بهم والاقساط اليهم . جاء هذا في آيات كثيرة ومناسبات مختلفة وهذه بعضها :

قال تعالى : **(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)** البقرة ١٩٠ .

٢ ـ **(الا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم**

فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) النساء ٩٠ .
٣ ـ **(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين)** الممتحنة ٨ .
(٦) وقد تكون جملة (**يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص**) قد عنت أسلوبا من أساليب القتال في ذلك الزمن . ولكن المتبادر أن فيها تلقينا واسع المدى وشاملا بحيث يتناول مقاتلة العدو بكل أسلوب يضمن النصر عليه ، وبكل وسيلة من وحدة القوى المادية والمعنوية وأساليب الحرب المتنوعة ، ومن التضامن التام بين المسلمين في كل ذلك . ومن بذل كل ما يمكن في الاستعداد والأموال ، ومن إظهار كل ما يجب من عزيمة وتصميم دون ترك أي ثغرة في ذلك . وفي القرآن الكريم آيات فيها هذا التوجيه بصراحة منها هذه الآيات :
١ ـ **(وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين)** البقرة ١٩٥ .
٢ ـ **(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا . الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا)** النساء ٧٥ و ٧٦ .
٣ ـ **(ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما)** النساء ١٠٤ .
٤ ـ **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون)** الانفال ٦٠ .
٥ ـ **(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين . ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع اجر المحسنين)** التوبة ١١٩ و١٢٠ .
٦ ـ **(ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)** محمد ٣٨ .
(٧) ولقد قال غير واحد من المفسرين ومنهم الطبري والبغوي وابن كثير ان الآيتين الثانية والثالثة عامتا الشمول لكل اخلاف بوعد ، او نكول عن عهد ونذر ، وقول يكذبه الفعل . وقد يكون في هذا وجاهة بسبب الأسلوب المطلق الذي جاءت عليه الآيتان . مع التنبيه على أن الآية الرابعة التي هي منسجمة مع الآيات

السابقة ونتيجة لها ـ كما هو المتبادر ـ تلهم أن الآيتين تهدفان بالدرجة الاولى إلى التنديد بالذين يخلفون بوعدهم بالقتال في سبيل الله والصدق فيه . وقد قال ابن كثير أن الجمهور قد حملوا الآيتين على انهما انزلتا حين تمنوا فرض القتال فلما فرض نكل عنه بعضهم .

ومع ذلك فان القول بالنسبة للاطلاق في الآيتين يظل يحتفظ بوجاهته البديهية من حيث استحقاق الذين يكذبون في اقوالهم ولا ينفذون وعودهم ويخلفون فيها للتنديد الرباني المنطوي في الآيتين . فالقرآن قد حظر الكذب والنكث بالعهد والاخلاف بالوعد ولعن الكاذبين وندد بالناكثين والمخالفين في آيات كثيرة مكية ومدنية تغني كثرتها عن التمثيل . والاحاديث النبوية المتساوفة مع ذلك كثيرة . منها حديث رائع جامع رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي عن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة . وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . وإياكم والكذب . فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند ربه كذابا) . وهناك حديثان مهمان رواهما الاربعة ايضا . واحد رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (آية المنافق ثلاث . اذا حدث كذب واذا وعد اخلف . واذا أؤتمن خان) وواحد رواه عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اربع من كن فيه كان منافقا خالصا . ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها . اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد اخلف . واذا خاصم فجر ، حيث يفيد الحديثان أن الاخلاق التي نددت الآيتان بها وقررت استحقاق صاحبها لمقت الله الشديد هي صفات المنافقين دون المؤمنين الصادقين المخلصين .

لقد كانت الدعوة الى الجهاد ضد الاعداء المعتدين والحركة التي انبثقت عن ذلك قد شغلت حيزا عظيما من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وجهده في العهد المدني وفي القرآن المدني . ولقد حكت آيات عديدة سبق نزولها سورة الصف المواقف المثبطة المتثاقلة لبعض المسلمين وبخاصة المنافقين من الدعوة إلى القتال في سبيل الله مما كان يثير في نفس النبي صلى الله عليه وسلم مرارة شديدة وقد حملت الآيات عليهم حملات شديدة قارعة . فالمتبادر أن الموقف الذي حكته الاية الثانية ونددت به الاية الثالثة موقف جديد اثار المرارة من جديد في نفس النبي صلى الله عليه وسلم فاقتضت حكمة التنزيل مقابلته بما جاء في الآيتين ثم بما جاء بعد الايات الاربع من آيات استطرادية فيها حكاية لأقوال موسى وعيسى عليهما السلام . وايذان باظهار دين الله على الدين كله رغم أنوف الكفار والمشركين لتدعيم الموقف النبوي في الدعوة الى الجهاد والتنديد بالمتثاقلين عنه ، المخلفين بوعودهم بالصدق فيه . ثم للتأكيد بأن الله ناصر دينه ومؤيد كلمته . ومحيط جهد الكفار والمشركين في محاولتهم إطفاء نور الله .



آية الإعجاز في الهجرة النبوية الشريفة

للأستاذ / عبدالحفيظ فرغلي على القرنى

يرجع الناس عادة الأحداث الجارية في الحياة الى الأسباب والمسببات ، ويربطون بين الأمور بروابط مادية تقوم على المقدمات والنتائج ، وهم في ذلك يغفلون في كثير من الأحيان عن تصاريف الأقدار التي يقف العقل أمامها عاجزا لا يقدر على التفكير ولا يستطيع التدبير ، كما يغفلون أحيانا عن ألطاف الله الخفية التي تصاحب الأقدار فتخفف من وقعها وتعين على تحملها ، وتلفت أنظار الناس الى رحمة الله الواسعة وفضله الغامر وحكمته العظيمة ونعمته الوفيرة ، حتى قال الحكيم الصوفى ابن عطاء الله السكندري رحمه الله : من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره .

وبذلك القياس المادي حاول كثير من المؤرخين أن يقيسوا خطوات الهجرة الشريفة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، على اعتبار أنها تمت على أساس من الترتيب العقلي والتخطيط السياسي البارع الذي يدل على عبقرية فريدة وبعد في النظر جديرين بتلك الشخصية الفذة شخصية المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهم في ذلك يحاولون أن يجعلوا شخصية الرسول كغيره من البشر إلا أن الله اختصه من بينهم بالعقل المستنير والقدرة على التصرف السليم في الوقت المناسب وبالصورة المناسبة ، فما يصدر منه من تصرفات لا ينبغي أن يكون لجوانب أخرى غير منظورة دخل فيه ، وهذا في نظرهم هو قمة الكمال البشري .

الرسول بشر يوحى اليه :

والرسول صلى الله عليه وسلم بشر لا شك في ذلك **(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى)** فصلت/ ٦ . ولكن هذا الوحى هو الميزة الكبرى التي اختص بها نبيه وأمدته بصلاحيات خاصة رفعته فوق سائر البشر ، فجعلته يرى الملائكة ويكلمهم ويسمع منهم ويتلقى منهم الوحى ، فهو بذلك متفرد بصفة متميزة لا يشركه فيها سوى إخوانه من الأنبياء والمرسلين الذين اجتباهم الله واصطفاهم ، بل هو نفسه تفرد بصفة أخرى لم يشركه فيها إخوانه من الأنبياء والمرسلين وفضلته عليهم فقد أسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وعرج به الى السموات العلا حيث اخترق بجسده الشريف عوالم وحجبا ليس في مقدور غيره من البشر أن يخترقها .

أجل ، لقد أنعم الله على النبي صلى الله عليه وسلم بنعمة العقل الكبرى التي تجلت في مقدرته أن يسع أفكار الناس جميعا ويخاطبهم على قدر عقولهم ، ولكن العناية الالهية لم تتخل عنه الى جانب نلك في أي لحظة من لحظات حياته وكان يدعو الله دائما أن لا يكله الى نفسه طرفة عين .

الهجرة والعناية الالهية :

وفي حادث الهجرة صاحبته هذه العناية ، فأمدته بخوارق كثيرة وقفت أمامها عقول الكفار من قريش ذاهلة مشدوهة ، وليس في نلك طعن في مقدرة النبي صلى الله عليه وسلم على التصرف السليم والتخطيط البارع الحكيم ، ولكنه تحقيق لمعنى قول القائل :

إذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يجنى عليه اجتهاده

ولابد للاعجاز أن يتدخل في تحركات النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة بالذات ـ وقد كان مصاحبا له في جميع حياته ـ حيث جمعت قريش كل كيد لها ، وأحاطت جموعها به من كل جانب ، وتكشف حقد الكفار على أشده حتى استشرى الخطر واستفحل الشر ، ومن وراء نلك الشيطان ينفث سمومه ، ويوسوس لأعداء الله كيف يتخلصون من محمد ودعوته ، ويرسم لهم الطريق ويشترك معهم في المؤامرة ..

أجل ، لا ينافي الاعجاز الذي أحاط بالنبي صلى الله عليه وسلم في هجرته كما له البشري وقدرته العقلية وبراعته في قياس الأمور وتقدير الأحوال والظروف ، بل الكمال كل الكمال أن يوهب النبي صلى الله عليه وسلم كل نلك ويمنح إلى جانبه العناية التي تحبط كل كيد وتتحدى كل شر لا يقع في مقدور البشر توقعه أو صده .

فلم يدخر النبي صلى الله عليه وسلم وسعا في الاعداد للهجرة والتخطيط لها ، فجعل أصحابه يسبقونه إلى المدينة زرافات ووحدانا بعد أن مهد للاسلام فيها ووطد أركانه بين جوانبها ، وأثار شوق أهلها للقاء إخوانهم المهاجرين ومقاسمتهم أموالهم وديارهم وإيثارهم على أنفسهم في نلك حتى نزل فيهم قوله تعالى : **(والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)** الحشر/ ٩ . واستبقى صديقه أبا بكر وأمره أن يعد الرواحل والدليل والعيون التي ترقب الطريق وتأتي بالأخبار وتحمل الزاد وتعفي على الآثار ، والفدائي الذي ينام على الفراش فيعمى الطلب ويؤخره حتى يبلغ الركب مأمنه ، إلى غير نلك مما قام به النبي صلى الله عليه وسلم من إعداد يشهد بدقة التفكير ، وقوة الملاحظة وبعد النظر والتعرض لكافة الاحتمالات .

وبنلك ترتفع هذه الشخصية الفريدة في نظر المفكرين المحدثين إلى القمة الشامخة التي تتطامن دونها

القمم ، وتتخاذل دونها الهمم ، وهذا عند هؤلاء يكفي لأن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قوة لها خطرها وشأنها بغض النظر عما يورده رواة السيرة وكتاب التاريخ من معجزات خارقة صاحبت موكب الهجرة من مبدئه إلى منتهاه .

الاعجاز لا يعارض التفوق البشرى

وليس هناك غضاضة في أن ترقب السماء خطوات النبي صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى يثرب ، وهو الذي بعثه الله بالحق ليوطد الدين الذي لا يرضى الله بغيره من الناس (**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**) آل عمران/ ٨٥ ، وبخاصة بين قوم لا يريدون الاعتراف بغير الخوارق والمعجزات (**وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا**) الاسراء/ ٩٠ ـ ٩٣ .

ولئن كان القرآن الكريم أراد أن يرد الناس إلى صوابهم ، ويطلب منهم أن يحكموا العقل في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فيؤمنوا بها لأنها هى دعوة الفطرة ورسالة النور ووسيلة السعادة في الدنيا والآخرة ، وطلب من النبى أن يوضح لهم أنه بشر كغيره من البشر ، فان ذلك لا يجافي أن يكون للرسول معجزاته التي تؤيد الحق الذي جاء به ، فهذا وحده ـ في أغلب الأحيان ـ الذي يبهر العقول ويذل الجبابرة ويكبح جماح المعارضين ويزيل شبهة المتشككين ، ويقضي على تردد المترددين وصلف المعاندين .

يروى لنا الثقات أن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبته معجزاته الشريفة في الهجرة كما صاحبته في غيرها فالاسراء والمعراج وانشقاق القمر وغيرها معجزات للنبي صلى الله عليه وسلم ، جاء في سيرة ابن هشام : لما نزلت آية (**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزئين**) الحجر/ ٩٤ ، ٩٥ . أتى جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والمشركون يطوفون بالبيت ، فقام وقام رسول الله إلى جنبه ، فمر به الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمى ، ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات به ، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنين وليس بشئ فانتقض به فقتله ، ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فألقاه على شبرقة (نبات ذى شوك) فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته ، ومر به الحارث ابن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فامتخض قيحا فمات . وهؤلاء هم

رأس الكفر والشقاق المستهزئـون بالنبي صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك ما رواه ابن هشـام أيضا : كان ركانة بن عبديزيد بن هشام بن المطلب أشد قريش ، فخلا يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض شعاب مكة ، فقال له رسول الله : يا ركانة ألا تتقى الله وتقبل ما دعوتك إليه ؟ فقال : لو أعلم أن الذى تقول حق لأتبعتك . فقال الرسـول صلى الله عليه وسلم : أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق ؟ قال نعم . فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مرتين . قال ركانة : يا محمد والله إن هذا للعجب ، أتصرعنى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأعجب من ذلك أن أدعو لك هذه الشجرة التى ترى فتأتينـي . قال ركانة : فادعها ، فدعاها فأقبلت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فقال لها : ارجعى إلى مكانك فرجعت إلى مكانها .

وليس هذا غريبا فالقرآن الكريم ـ وهو أصدق الحديث ـ يقص علينا أن الملائكة نزلـت تقاتـل في صفـوف المسلمين في بدر وفي حنين ، وليس هذا إلا الاعجاز الذي لا يكون لغير نبى أيده الله بالحق ونصره بجنود لا يراها الناس ، ففي غزوة بدر يقول الحق جل وعلا : (**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين . وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم ومـا النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم . إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجـز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام . إذ يوحـى ربـك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذيـن أمنوا سألقى في قلوب الذين كفروا الرعـب فاضربـوا فوق الأعنـاق واضربـوا منهـم كل بنـان**) الأنفال/ ٩ ـ ١٢ .

وفي غزوة حنين يقول : (**لقـد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروهـا وعذب الذين كفـروا وذلك جزاء الكافرين**) التوبة/ ٢٥ ، ٢٦ .

ولا شك أن نزول الجنـود من الملائكة ليحاربوا مع المسلمين أمر خارق للعـادة لا ينـافي استعـداد المسلمين للمعركة ، وحسن إعـداد النبي صلى الله عليه وسلم لها ومهارة قيادته فيها ، يقول الأستاذ سعيد حوى في كتابه « الرسول صلى الله عليه وسلم » : « عندما تدرس حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تجدك دائما أمام حادث تشعر فيه أنك أمام قدرة الله المباشرة التي لا دخل لعالم الأسباب فيها ، ولا تستطيع أبدا أن تجد تعليلا لما تراه ، أو نقل إليك نقلا صحيحا ، إلا أن الله جلت حكمته يجرى على يد هذا الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ما تقوم به الحجة على الكافر ، ويزداد به المؤمن يقينا ،

ويخرج به الشاك من شكه » وهذا هو سر المعجزة .

ولنقف أمام هذه الآيات المعجزة التي صاحبت الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته لندرك من ورائها إحاطة الله له وعنايته به وحفظه له ، ولندرك من وراء ذلك معنى هذه الآية المباركة **(واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا)** الطور/٤٨ .

معجزات صاحبت الهجرة :

جاء في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي محمد عبدالملك بن هشام . قال ابن اسحاق راويا عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي : « لما اجتمع المشركون ، وفيهم أبو جهل بن هشام فقال وهم على باب النبي صلى الله عليه وسلم : إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها .

قال : وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال : نعم أنا أقول ذلك أنت أحدهم ، وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم وهو يتلو الآيات من أول سورة يس حتى قوله تعالى : **(فأغشيناهم فهم لا يبصرون)** يس/٩ . ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمدا ، قال : خيبكم الله ، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته .. » .

واقتفى القوم أثره حتى وجدوا الأثر ينقطع عند غار ثور ، وهموا أن يدخلوه ليجدوا النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه بداخله . ولكن المعجزة الالهية أبت أن تترك هؤلاء الكفار ينفذون عزمهم فقد نسج العنكبوت خيوطه على باب الغار ، وبنت حمامة عشها على بابه لتبيض فيه ، فتطلع القوم الى هذا النسيج والى هذا العش ، وألقى الله في روعهم أن نسيج العنكبوت أقدم من ميلاد محمد ، ولو أن أحدا ساورته نفسه أن يقتحم الغار لتحول هذا النسيج الواهن الى حراب طاعنة ، فما كان الله ليخلي بين هؤلاء الحاقدين وبين رسوله الأمين الذي بعثه الله ليبشر بدينه وينشره في الآفاق ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

ويظل الرسول صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثة أيام حتى يسكن الطلب ، ثم يمضي سالكا – حسب التخطيط السليم – طريقا غير مطروق ، وهنا تظهر معجزة أخرى يؤيد الله بها نبيه ويؤنسه بها في رحلته الشاقة ، فقد مر الركب الميمون في طريقه الى المدينة بخيمة أم معبد ، وهي عاتكة بنت خالد من خزاعة ، فطلب النبي صلى الله عليه وسلم منها لبنا أو لحما يشترونه فلم يجدوا

عندها شيئا ، فنظر الى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم ، فسألها النبي صلى الله عليه وسلم : هل بها من لبن ؟ فقالت : هي أجهد من ذلك ، فقال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟ فقالت : بأبي أنت وامي إن رأيت أن بها حلبا فاحلبها ، فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها فدرت واجترت ، ودعا باناء يشبع الرهط فحلب فيه حتى ملأه وسقى القوم حتى رووا ثم شرب أخرهم ، ثم حلب فيه مرة أخرى عللا بعد نهل ، ثم غادره عندها .

وذهبوا فجاء أبو معبد فلما رأى اللبن قال : ما هذا يا أم معبد ؟ أني لك هذا والشاة عازب حيال ولا حلوبة بالبيت ؟ فقالت : لا والله الا أنه مر بنا رجل مبارك ، فقال : صفيه فوصفته له فقال : هذا والله صاحب قريش ولقد هممت ان اصحبه ولأفعلن ان وجدت سبيلا .. قال ابن الاثير في أسد الغابة : وأسلم وشهد الفتح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهد فيه .

ومن تمام هذه المعجزة أن أصبح أهل مكة يسمعون صوتا عاليا ولا يرون صاحبه يصيح قائلا :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين قالا خيمتي أم معبد
هما نزلاها بالهدى واهتدت به
فقد فاز من أمسى رفيق محمد

ولم يزد خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة قريشا الا إمعانا في الكيد وإجماعا على الشر فتواضعوا على أن يجعلوا مائة ناقة لمن يستطيع أن يرده اليهم .

حدث سراقة بن مالك بن جعشم قائلا : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا الى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن يرده عليهم . قال : فبينا أنا جالس في نادي قومي إذ أقبل رجل منا حتى وقف علينا فقال : والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا على آنفا ، إني لأراهم محمدا وأصحابه . قال : فأومأت اليه بعيني أن اسكت ، ثم قلت : إنهم بنوفلان يبتغون ضالة لهم ، قال : لعله ثم سكت .

قال : ثم إني مكثت قليلا ، ثم قمت فدخلت بيتي ، ثم أمرت بفرسى فقيد لي الى بطن الوادي وأمرت بسلاحي فأخرج لي من دبر حجرتي ثم اخذت قداحى التي أستقسم بها ، ثم انطلقت فلبست لأمتي ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره ، قال : وكنت أرجو أن أرده على قريش فآخذ المائة ناقة ، قال : فركبت على أثره فبينا فرسى يشتد بي عثر بي فسقطت عنه ، فقلت : ما هذا ؟ ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره ، قال : فأبيت الا أن اتبعه فركبت في أثره فبينا فرسى يشتد بي عثر بي فسقطت عنه فقلت ما هذا ؟ ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره ، قال : فأبيت الا أن أتبعه فركبت في أثره ، فلما بدا لى القوم ورأيتهم عثر بي فرسي فذهبت يداه في الأرض وسقطت

عنه ، ثم انتزع يديــه من الأرض وتبعها دخان كالاعصار . قال فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني وأنه ظاهر .

قال : فناديت القوم فقلت : أنا سراقة ابن جعشم انظروني اكلمكم فوالله لا أريبكم ولا يأتيكم منى شيء تكرهونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : قل له وما تبتغي منا ؟ فقال لي ذلك أبو بكر ، فقلت تكتب لي كتابا يكون آية بيني وبينك ، قال : اكتب له يا أبا بكر ، فكتب لي كتابا في عظم أو في رقعة ، ثم ألقاه إلى فأخذته فجعلته في كنانتي ثم رجعت فسكت فلم أذكر شيئا مما كان . حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرغ من حنين والطائف خرجت ومعي الكتاب لألقاه ، فلقيته بالجعرانة ، قال : فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار ، فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون : إليك إليك ماذا تريد ؟

قال : فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته والله لكأني أنظر الى ساقه في غرزه كأنها جمارة ، فرفعت يدي بالكتاب ، ثم قلت يا رسول الله هذا كتابك لي أنا سراقة بن جعشم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوم وفاء وبر ، ادنه ، قال فدنوت منه فأسلمت ، ثم تذكرت شيئا أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره ، إلا أني قلت : يا رسول الله ، الضالة من الابل تغشى حياضي وقد ملأتها لابلي ، هل لي من أجر في أن أسقيها ؟ قال : نعم ، في كل ذات كبد حرى أجر . قال : ثم رجعت الى قومي ، فسقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتي .

هذه بعض معجـزات صاحبـت النبي صلى الله عليه وسلم في رحلته تلك التي فرق الله بها بين الحـق والباطل ، وكانت إيذانا لظهور هذا الدين الذي عم نوره الأفاق وتطهرت به الدنيا من أرجاسها ، وللمسلمين في رسولهم الكريم الذي تحدى جحافل الكفر والنفاق فقضى على باطلهـم بعزمه الوقاد أسوة حسنة ، وصدق الله العظيم إذ يقول : **(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)** الأحزاب / ٢١ .

اللغة العربية والدعوة الإسلامية

ـ ١ ـ

في اختيار الله تعالى للغة العرب لسانا لوحيه ، ووعاء لكتابه ، إشارة واضحة لمن يتدبرون حكمة السماء ، إلى أن هذه اللغة ، أقوم لغات البشر جميعا ، وأنها أصلحها للحياة والبقاء ، وأنها أقدرها على حمل الدعوة ، وعلى نشرها في كل زمان ومكان .

وبهذا الاختيار ، وهذا التدبير الالهي الحكيم ، أصبح الارتباط بين الدعوة الاسلامية واللغة العربية ، ارتباطا عضويا ، لا يقبل الانفصال بحال ، وارتباطا أبديا ، لا تقترب منه عوادي الزمن ، إذ كان القرآن الكريم هو النبع الأعظم لهذه الدعوة ، وكانت هذه اللغة هي وعاءه ، وقد حفظ الله هذا الكتاب كما جاء في قوله تعالى : **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** الحجر/٩ فهذه اللغة باقية ما بقى الكتاب .

وعلى أن هذه القضايا السالفة ـ أعني قضايا أن هذه اللغة أقوم اللغات ، وأنها أصلحها للحياة ، وأنها أقدرها على حمل الدعوة ونشرها ـ توشك أن تكون بدهيات مسلمة في شرعة العقل المفكر ، فان من الخير أن نطوف بها بعض الشيء ، لنزيدها كشفا وإيضاحا ، والله المستعان الموفق .

ـ ٢ ـ

واذا كانت اللغة صورة حية للناطقين بها ، وللبيئة التي عاشت فيها ، فقد هيأ الله لهذه اللغة ما لم يهيىء للغة أخرى .. اختار لها قوما من البشر ، لهم تكوين خاص في

للدكتور : محمد نايل

الطبــاع والأخـــلاق والحس ، في أخلاقهم القوة والبأس ، وفي طباعهم نقـاء الفطـرة ودقـة الحس ، وفي سلوكهم المروءة والنجدة ، والوفـاء الملتزم ، ثم أسكنهم أرضا منيعـة فسيحة ، يتوسطهـا حرم مقـدس آمن ، ثم أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ، ثم ألقى في قلوبهم حب هذه اللغة ، يتسابقون في الاجادة فيها ، وفي المفاخرة بحسن الابانة بهـا ، والتأنق في ألفاظهـا وأساليبهـا ، فشهدت طورا من التهذيب وعلو القدر في الأداء ، كان إرهاصا لأن ينزل بها الكتاب المعجز ، آخر كتب السماء إلى الأرض ، فكانت خير اللغات للتعبير عن هذا الكتاب المعجز ، وعما يحمل من دعوة إلى البشر ، وكان أهلها أصلح الناس لفهـم هذا الوحـي المعجز ، ولحمل هذه الرسالة الخطيرة إلى الدنيا .

ففي هذه اللغة من الخصائص ما لا يتسع المجال لتفصيله هنا ، وما لا يكاد يوجد أقله في لغة أخرى ، إنها لغة تعتمد على الايجاز ، حتى يصل إلى الاشـــارة ، وعلى التصرف في التراكيب بما يغني عن العبارة ، فهي تحمل الكلمة أحيانا ألوانا من المعاني تقوم مقام القصة ، ثم تحملها من الطاقات الدالة على أنحاء شتى ... بل إنها تصنع هذا الصنيع بالحرف وحده أيضا .. انظر إلى هذا البيت :

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا
ثم القفول .. فقد جئنا خراسانا

كم من المعاني والعبارات قد طوى في الشطر الثاني من البيت ، وقام الحرفان (ثم والفاء) بحق التعبير عنها ، أبين ما يكون التعبير .. كم يحمل البيت من معانـي الضجـر والضيق ، ثم اللوم على خلف الوعد ، وتبديد الوقت ، والحرمان من العودة إلى الأهل والوطن .. كل ذلك وأكثر منه مطوى في الـكلام ، دل عليـه الحرفان ..

ثم إذا لقيك إنسان لم يعرف من اي جنس أنت ، كان التعبير الطبيعي لهذا الموقف الطبيعي أن تقول له — أنا عربي ، فيجيء ترتيب الجملـة عاديا ، المبتدأ أولا ثم الخبر .. فاذا اختلف ظنه فيك ، فحسبك ألمانيا أو فرنسيا ، كان عليـك أن ترده إلى الحقيقة ، بمخالفة الترتيب في الجملة فقط ، فتقول — عربي أنا . فأنت لم تزد في الجملة شيئا ، ولم تجابهه بعبارة تصرح بخطئه في الظن ورده إلى الصواب .. إنما خالفت له ترتيـب الجملة ، فقدمـت الخبـر وأخـرت المبتدأ ، فكان اختلاف هذا الترتيب موحيا باختلاف ظنه ، ورادا له إلى الصواب .. اختلاف يرده اختلاف .

هذا اللون من التصرف العجيب في وحي هذه اللغة ليس له مثيل في لغة أخرى على الاطلاق .. إن أية لغة أخرى ، لا تملك في مثل هذا الموقف الا أن تؤدي المعنى بأكثر من عبارة ، فيقول قائلها — لست ألمانيا كمـا ظننت ، أنا عربي .

وما أعرف لغة كالعربية ، تزيد المعنى بانقاص اللفظ ، حين تعمد إلى الحذف ، أو تعبر بالحركة والسكون عن معنى تطويه في الكلام ، وللتنكير في أسرار الكلام باع معروف ..

ثم نقف عند كلمة (راود) في قوله تعالى : **(وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب)** يوسف/٢٣ .. فيأخذنا العجب من دلالات الكلمة ـ وهي كلمة ـ على المعاني المنوعة ، فهي تدل بمعناها القاموسي على الحركة المتوالية في قلق واضطراب ، ثم تدل بنبراتها الصوتية على الرفق والحيلة في الحركة .. وأخيرا تصور قصة كاملة ومشهدا مثيرا في دار العزيز ، ثم يجيء تضعيف اللام في (غلقت) مصورا لمبلغ الحذر والخوف وشدة الاحتياط في إخفاء المشهد ..

ـ ٣ ـ

لمثل هذه الخصائص التي يعرفها الفاقهون ، اختيرت هذه اللغة للوحي ، وبمثل هذه الخصائص ، اتسعت لتلقى طاقات الاعجاز ، وللنهوض بما حمل من إبداع وسحر ..

ولا يقعن في الوهم ، أن القرآن الكريم أحدث جديدا في تراكيب هذه اللغة وقوانينها ، مما اصطلح عليه أصحابها ، أو أحدث من ألفاظها ما لم ينطقوا به أو يعرفوه . لم يحدث من ذلك شيء ، إنما اتجه القرآن إلى أساليبهم وألفاظهم فنظمها على حال لم تبلغها قدرتهم ، فأصبحوا منها على صورة من يعرف ويجهل في آن ، وهذا هو الاعجاز .

وإن طرائق التعبير والتصوير في هذه اللغة تتفاوت إلى درجات كثيرة ، بين العلو والهبوط ، والاجادة والتقصير ، حتى ترى البيت من الشعر ، يفوق قصيدة كاملة ، والجملة من النثر ، تعلو على صفحة منه ، وترى الشاعر تواتيه القريحة لحظة ، فيأتي بالعبارة أو الصورة ، لا يحسن أن يقول مثلها ثانية ، ولا يستطيع غيره أن يلحقه فيها ، فتصبح من الشوارد الآبدة ، كأوابد امرىء القيس وعنترة ..

هذه النوادر الشاردة ، التي تند عن بعضهم فلتة ، وفي لحظة قد لا تتكرر العمر كله ، مع شدة تمكنهم من القول ، وافتنانهم في مسارحه وأنماطه ، هي التي ارتقى بها القرآن الكريم إلى نمط جاء أعلى من مستواهم وطاقاتهم ..

وهنا يصح أن نتوقف لحظة ، لنتأمل جملة واحدة من آية في كتاب الله ـ في قوله تعالى في سورة يوسف ـ **(فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا)** الآية ٨٠ نرى الكلمات ترسم مشهدا كاملا ، وموقفا عنيفا لأخوة يوسف ، ترسم صورته المرئية ، وأعماقه الخفية ، في وقت واحد .. والجملة هي الجملة ، وقانون التركيب هو القانون . لكن النظم الكريم ، أصاب بها أغراضا لا يرقى اليها ـ بمثل هذه الجملة ـ ناطق من البشر ..

السين والتاء حرفان معروفان عند العربي ، يدلان على الطلب ، لكنهما هنا في (استيأسوا) أفادا ـ مع الطلب ـ معاني جمة وعجيبة ، تستخفي وراء هذا الطلب الغريب ، طلب اليأس ..

كأن إخوة يوسف ـ في محاولتهم إنقاذ بنيامين من قبضته ـ كانوا قد نحوا اليأس عنهم تنحية جازمة ، وأبعدوه عن دائرة تفكيرهم إبعادا ، وكأن الأمل في إنقاذه كان هو الهدف الذي لا محيد عنه ، ولكنهم حين بلغت حيلهم ومعانيرهم كل مبلغ ، وسد عليهم يوسف كل باب طرقوه ، وغرقوا في لجة من الضيق والاضطراب النفسي ، وأظلم الموقف عليهم من كل جوانبه ، لم يبق أمامهم شيء ينقذهم من هذا الموقف ، ويخلصهم مما يعانون ، الا اليأس الذي غاب عنهم حين نحوه أول الأمر .

هذه المعاني الفطرية الخفية ، التي تموج بها النفوس في مثل هذا الموقف الحرج ، قد طواها النظم الكريم من الكلام طيا ، وترك أمرها إلى السين والتاء ، تلوحان بها أي تلويح ، وتنمان عنها في إيحاء بين .. ثم تأتي بعد تلك كلمة (خلصوا) لتعبر عن خلاصهم من المأزق ، ولتصور اليأس وقد انتزعهم منه ، انتزاع الشيء من الشيء ، قد كان مختلطا به ، مغمورا فيه .. أما كلمة (نجيا) فتعطى صورة أخرى للضعف الانساني ، حين يصاب بالفشل في أمر ، أن إخوة يوسف خرجوا بعد هذا الفشل يتهامسون بأصوات خافتة ، تعبر عن الضعف والخوف معا ، يتسارون في خجل ـ ماذا يقولون لأبيهم ... إنها الصدمة الثانية لهذا الشيخ الكبير ، تأتي بعد الصدمة الأولى في يوسف .. فكيف يصدقهم في هذه بعد الذي رابه في تلك ..؟ وكيف ينجون منه ومن غضبه .. إن هذه الكلمة لترمي إلى هذين المعنيين معا ـ النجوى والنجاة ، فمادة « نجا » تأتي لهما بوضعها اللغوي ، وهذه إحدى خصائص النظم القرآني ، إذ يطوع اللفظ الواحد لآداء أكثر من معنى في آن واحد ، ما دام يتسع لذلك في استعماله اللغوي .

أرأيت إلى كلمات ثلاث ، في جزء من آية ، كيف رمت إلى آفاق بعيدة ، ورسمت مشهدا كاملا ، تعددت فيه الصور والملامح ، بين مرئي وخفي .. وهكذا القرآن كله لمن يتذوقه ويتأمله في أناة وروية .

هذا البيان الواسع بالكلمات القليلة ، وهذا التصرف العجيب في النظم الكريم ، هو واحد من الأسرار الكثيرة في إعجازه .

ومع أننا لسنا في معرض البحث عن أسرار الاعجاز ، لا نرى بأسا أن نطيف بجانب ثان من جوانبه .. جانب التركيب الصوتي في نبرات الحروف والحركات في أسلوب القرآن ، مما جعل له تلك الحلاوة والعذوبة الآسرة ، وهو جانب لم يأخذ حظه من الدراسة بعد . لقد بدأه أسلافنا الأوائل في « فن التجويد »

كأصول وقواعد لاتقان التلاوة والترتيل ، أما البحث عن الأسرار التي أورثته هذه الحلاوة ، وبذل المحاولة لاستخلاص بعض القواعد والأصول التي جعلته في هذا النسق المثير ، فنلك ميدان لم يفتح بعد ..

إن أرقى ما وصل إليه الجهد البشري في تنسيق الأسلوب ، وفي ضبط الايقاع الصوتي فيه ، على مستوى جميع اللغات الحية ، إنما هو الشعر في أوزانه وضوابطه ، ومع نلك فشتان ما بين القرآن وهذا الشعر .. وهيهات أن يدنو بأوزانه وإيقاعه من نلك السلسل العذب ، إن موازين الشعر – على حسنها وسلامة ضبطها – لم تلتفت الا لنظام الحركات والسكون فحسب ، أما ما وراء نلك ، من التلاؤم بين الحركات والسكون ، وبين ما وقعت عليه من الحروف ، مما يمنحها التجانس والتجاوب في النطق ، فنلك ما ند عن علماء الأوزان ، حتى ترى الكثير من الشعر يرهق اللسان وينبو به النوق ، مع مجيئه على قوانين الوزن . ولقد حاولت « البلاغة » أن تطرق هذا الباب في بحث (التنافر) ولكنها وقفت على الأعتاب ، ولم تستطع أن تفعل شيئا أكثر من سوق المثل والشاهد .. أما محاولة الوصول إلى قانون في نلك فلا ..

أما النظم القرآني فقد ضرب بأوزان الشعر كلها عرض الحائط ، وكسر كل ما اصطلح عليه الناس من قواعد وضعوها في ضبط الأوزان ، وفي تهنيب الأساليب .. قالوا إن توالى الحركات في الكلام يصيبه بالثقل ، ثم حظروا على الشعر أن تتوالى فيه أكثر من أربع حركات ، فجاء القرآن بالحركات المتوالية ما بين ست حركات وتسع ، وكلها بالفتح .. فاذا تلونا قوله تعالى في سورة النازعات (آية ٢٣) : **(فحشر فنادى)** أو قوله : **(ثم عبس وبسر)** المدثر/٢٢ وجدنا اللسان يسرع بها في خفة كأنها حركة واحدة ، لا ست ولا تسع ...

هذا الانسياب الرشيق في أسلوب القرآن ، جاءه من التأليف الدقيق بين طبيعة الحروف وما يليق بها من الحركة أو السكون ، في الكلمة والكلمات على سواء ، مما غفل عنه صانعو الأوزان الشعرية ، على أنهم لو فطنوا اليه لأصابهم العجز عنه ،فليس في طاقة أحد من البشر أن يتحرى نلك ، كلما قال شعرا أو كتب نثرا ، انما نلك من عمل من لا يعجزه شيء ، جلت قدرته ..

– ٤ –

وهذا الحديث القصير القاصر عما في القرآن من إعجاز ، وما به من حلاوة وطلاوة ، إنما يشدنا إلى حديث آخر ، لعله أهم ما نهدف إليه في هذا البحث الموجز ، عن علاقة اللغة العربية بالدعوة الاسلامية .

وهنا أطرح سؤالا هاما – أيستطيع داعية ما ، بالغة قدرته ما بلغت ، وبأي لسان ، عربي أو غير عربي ، أن ينقل إلى قلوب الناس

وأرواحهم حلاوة القرآن وتأثيره حين يتلى ..؟

أظن أن الجواب واضح ...هو على القطع ـ لا .. وإلا لحاول العرب ـ وهم أصحاب اللغة وأرباب البيان واللسن ـ أن يجاروه أو يحاكوه .. لقد بهروا به وخشعوا له جميعا، سواء المؤمن منهم والجاحد .. بل إن تأثيره على الجاحدين كان عجبا ـ فمنهم من سجد لبلاغته، ومنهم من جهر معترفا بحلاوته، ومنهم من كان يتسلل في جنح الليل خفية ليستمع إليه ... فقد لوى أعناقهم وهز أعطافهم على كره منهم ..

إن جميع اللغات الحية، بما فيها العربية، وهي أرقاها وأدقها بيانا وتعبيرا، بما لها من خصائص ألمنا بشيء منها فيما سبق .. وان جميع الناطقين بهذه اللغات، مهما أوتوا من قدرة في البيان .. الجميع سواء في العجز عن النهوض بالدعوة بوجهها المشرق، كما نهض بها القرآن .. حتى إن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، وهو أفصح الناس وأبينهم، وهو الذي أوتى جوامع الكلم، لم يكن يلجأ في دعوته الا الى الآية والآيات يتلوها، فتعمل عملها في غزو القلوب والمشاعر ..

وإذا كانت اللغات جميعها، وكل الناطقين بها، سواء في هذا العجز، فان العربية أقربها رحما بهذا القرآن ودعوته، إذ هي اللغة الرسمية التي اصطفاها رب العزة لهذه المهمة، وهيأ لها أسباب القدرة على أدائها، في حدود الطاقة البشرية.

أريد أن أخرج من هذا الحديث الموجز الى أمرين هامين، ينبغي أن يكونا في موضع العناية والدرس ـ أولهما: أن يكون للدعاة أسوة في رسول الله، فيكون القرآن زادهم وسلاحهم في الدعوة، فلا يكثرون على الناس في الخطب والمواعظ بأسلوبهم الخاص، فان قليل القرآن أجدى وأقوى في فتح القلوب، وهز المشاعر .. وإن أقوى الدعاة وأشدهم تأثيرا ـ كما هو مجرب ومشاهد ـ من كان القرآن ثروته، ينفق منه القدر المناسب في الموقف المناسب ..

وثانيهما: أن نعطي هذه اللغة جهدا غير عادي، فهي لسان هذا الدين، وهي السبيل الأول والأخير لفهم كتاب الله، وكشف ما فيه من أسرار وحكمة، ومن أنظمة وتشريع، وتربية وهداية ..

إن تعلم العربية وتعليمها، أصبح جزءا من هذا الدين، هو فرض كما يرى الشافعي وابن تيمية .. بل إن نشرها خارج حدودها، يوشك أن يكون واجبا حتما، إن أهل اللغات الأجنبية الحية يعملون على نشرها بكل سبيل، إعلانا عن حضارتهم وثقافتهم، فنشر لغتنا إعلانا عن ديننا ثم حضارتنا أحق وأوجب، لم لاننشئ المدارس والمعاهد في عواصم العالم ومدنه، ليعرف العالم هذا الدين من مصادره، فنسد الطريق على المزيفين والمغرضين من أعدائنا، بما يترجمون ويحرفون .. والحمد لله أصبح لدينا من الثروات المادية

والبشرية ما ينهض بذلك وأكثر منه ..
نعم ، تستطيع اللغات الأجنبية أن تتسع لترجمة أصول الاسلام ومبادئه وتشريعه ، ومن حق غير المسلمين ، أن نمدهم بهذه المبادئ بلغاتهم ، وهذا واجبنا ، ولكن أين تذهب هذه الترجمة وأين تقع مما نريد !!.. إن لهذا الدين روحا ، وله رسوما ، والترجمة تنقل الرسوم وتعيا بنقل الروح ، لهذا منع أسلافنا ترجمة القرآن الى لغة أخرى ، ليدفعوا من أسلم من غير العرب أن يتعرب ، ليأخذ الدين من مصدره .. من لغته التي وعته ، وليتصل بالقرآن مباشرة ، حتى يجد حلاوته وحلاوة الايمان في قلبه ، إن المسلم الذي لا يتلو القرآن ولا يتأمله هو في الواقع مسلم فقط ، لم يعمر الايمان قلبه بعد ، وذلك واضح في سلوك المسلمين اليوم عامة وهو أمر مزعج يقض مضجع الذين يتفقدون حال الأمة بوعي ..
فان تقصيرنا في حق القرآن اليوم شنيع ، قد أحالنا إلى مسلمين شكلا وصورة فقط ، وهذا هو سر البلاء الذي نعانيه الآن . إننا نقصر في حفظه وفهمه معا ، بينما هذا الحفظ والفهم هو لب الاسلام ، هو حياته وروحه ، هو السبيل الفرد الى الايمان ، وإلى تقويم السلوك ، وإلى البذل والعطاء في سبيل الدين ..
ولست أدري كيف صرنا إلى الاهتمام بالعرض دون الجوهر ، نفرح بكثرة المسلمين عددا ، ونحرص على المزيد منهم ، ونهمل النوعية والكيف .. بينما نحن نعلم ، والتاريخ يشهد ، أن فردا واحدا مؤمنا خير عند الله ، ولدين الله ، وأرجح كفة في الميزان من مائة مسلم ، لا يعرف من الاسلام الا رسمه ..
وما فرض الله على المسلمين عبثا — وحاش لله — أن يفروا الى الله بتلاوة القرآن ، يتلونه خمس مرات في اليوم عند كل صلاة .. إنه ربيع القلب ونور البصيرة ، ومقوم السلوك . فاذا تركنا المسلمين يهملون حفظه ، ثم يهملون تدبره وفهمه ، فقد ضيعنا الحكمة التي من أجلها فرض علينا كل يوم وليلة ، وصرنا الى أمية في الدين ، هي أخطر من الأمية التي نحاربها الآن في التعليم ..
هل يرى البصيرون خطرا يتهدد اليوم هذه الأمة ، أشد من انحراف الفكر والسلوك في أبنائها عامة ، وفي شبابها خاصة ..؟ سنقول إنه الفكر الوارد ، والفساد العالمي الشامل ، ولكن ليس هذا القول هو الحق كله ، إن أحق منه أن نعترف بأننا تركنا أمتنا وشبابنا لفراغ فكري وروحي طال أمده ، فهيأنا الشباب لاستقبال ذاك الفكر الوارد يغزوهم ، إذ لا رصيد ولا حصانة ترد هذا الغزو ..
وإني هنا لأعلن عن قلقي الشديد ، من الأسلوب الذي نسلكه في الدعوة إلى الاسلام في هذه الأعوام .. نبذل طاقة كبيرة في دعوة غير المسلمين الى الاسلام ، بينما الاسلام مهدد في عقر داره ، مهدد في فكر أبنائنا وبناتنا ، وفي سلوك شعوبنا ، وبينما

الطاقة المبذولة في ردنا إلى حظيرة الاسلام الحق والايمان المطمئن ، هي دون الكفاية .. فلو أننا ضاعفنا الجهد في الداخل ، في أنفسنا وفي شعوبنا ، حتى يستقيم أمرها على الدين الحق ، عبادة وتربية وسلوكا عمليا ، وحتى تصبح نموذجا حيا ، تتمثل فيه فضائل هذا الدين ، كما تمثلت في أسلافنا المهتدين من قبل لأقبل الغرب على الاسلام من غير دعوة ولا دعاية ، ولهرب من جحيمه الفكري .. ومن جوعه الروحي ، مما يجده الآن ويصطليه ، الى هذا الدين القيم السمح ، العامر بأسباب الاستقرار والطمأنينة النفسية ، ولذاق طعم السعادة الروحية التي فقدها اليوم ..

يجب أن نصارح أنفسنا ، وألا نخجل من الاعتراف بواقعنا .. إن أكبر عائق للدعوة في الخارج ، هو هذه الشكوك التي تثار في صدور الراغبين في معرفة الاسلام ، حين يواجههم الواقع المر فينا ، فيرون الاسلام في سلوكنا وحياتنا شيئا غير الذي ندعوهم إليه .. فيقول الغامزون والجاهلون معا ـ لو كان هذا الاسلام كما نسمع ونقرأ ، لغير من حياة أهله أولا ..

أنا لا أصد عن الدعوة في الخارج ، وفي الغرب خاصة ، إنما أريد أن نهتم بالمسلمين أولا ، ونبذل في سبيل ذلك ما نستطيع من جهد ، فذلك هو الأحق والأجدى .. إن المسلمين اليوم يعدون بمئات الملايين ، فهل فيهم بعض الغناء الذي كان في أسلافهم ، حين كانوا يعدون بالآلاف ..؟ هذا هو الحق الذي يجب أن نعيه ، وأن نتدارسه ونخطط له ، لنتدارك النقص ، ونستدرك ما فات ..

ـ ٥ ـ

أما والقرآن لا يزال غضا طريا كما نزل ، ولا يزال دره حافلا بالمدد لمن أقبل عليه ، والأمة لا تزال أيضا بخير في سلامة فطرتها وأصالتها ، تحتشد للداعية الراشد ، وللكلمة المؤمنة ، فان الأمل لا يزال قويا ، والطريق لا يزال ميسورا ، أن تعود هذه الأمة إلى ربها ، فتقبل على قرآنها ، تستلهمه الرشد ، وتلتزمه في السلوك . ليرفع الله من مكانها ، ويهدي البشرية بهديها ، كما سبق أن رفع بأسلافها وهدى ..

فأما الداعية الراشد ، المؤمن بدعوته ، والحافظ لقرآنه ، المتفقه في أسراره ، فانه مهمة المسئولين في العالم الاسلامي .

وأما اللغة العربية فهي السبيل الوحيد لفقه القرآن وأسراره ، وما فيه من أنظمة وتشريع ، ومن تربية وتوجيه ، ثم تذوق ما فيه من بلاغة معجزة ، ومن طلاوة تأخذ بالقلوب والألباب .. ولا بد لنجاح الدعوة الاسلامية من العناية بها ، وبذل أقصى الجهود الممكنة لتيسير تعلمها ونشرها بشتى الوسائل والأساليب في ربوع العالم بأسره وفق خطة عامة شاملة يتعاون في تنفيذها المسلمون في كل مكان .

التطور والثبات في الفقه الاسلامي

الجزء الثاني

للدكتور : محمد رواس قلعه جي

○ **فهم الصحابة للتطور والثبات في الفقه :**

أ ـ نحن لا نشك بأن الصحابة رضوان الله عليهم أعلم الناس طرا بالاسلام ، وأقدرهم على استجلاء أهدافه ، وإدراك مراميه لأسباب :

أولها : أنهم شاهدوا أنوار النبوة ، فأكسبهم ذلك فتحا في فهم الاسلام وتمثل أهدافه .

ثانيها : أنهم تربوا على مائدة النبوة ، وكان هم رسول الله أن يربيهم على الفكر السديد ، وينمي فيهم المحاكمة الصادقة ، وتقدير البعد الصحيح لكل حكم شرعي ، حتى أصبحت المحاكمة الفقهية جبلة فيهم ، ومعرفة هدف الشارع من

أحكامه سليقة من سلائقهم .
ثالثها : أنهم أخذوا الاسـلام عن رسول الله صلى الله عليـه وسلـم مباشرة ، ففهموا منه ما لم يفهمه من لم يأخذ الاسلام عنه ، وكان رسول الله أفصح الناس لسانا ، وأبلغهم تعبيرا ، وأحسنهم لما يريد عرضا ، وأن المشاهد له عليه الصلاة والسلام قد يفهم من المعاني التي يفيض بها وجهه الشريف ، أو توحي بها إشارته ما لا يفهمه من العبارة ، وقد توفر ذلك للصحابة ولم يتوفر لغيرهم .
رابعها : توفر لديهم التقوى الحقيقية التي رضيها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتقوى تورث فتحا في الفهم لا يعرفه إلا من عاناه (**واتقوا الله ويعلمكم الله**) البقرة/٢٨٢ .
فان قيل : إن التقوى قد توفرت في غيرهم أيضا ، قلت : نعم ، ولكنها ليست كتقواهم ، فقليل أولئك الذين حفظوا التوازن بين الروح والجسد ، وحق الله وحق الناس كمـا فعـل الصحابـة ، وعلى فرض أنهـم قد أقامـوا هذا التـوازن كمـا فعـل الصحابة فان تقوى المتأخرين ـ على كل حال ـ هي كالتقوى التي رضيها رسول الله صلى الله عليـه وسلـم لأصحابه ، وليست هي بالـذات ، والفرق بينهما كالفرق بين الصورة والأصل .
ومن هنا فقد الزم الامام أبو حنيفة نفسه بألا يخرج عن فهمهم للشريعة أحكاما وأهدافا ، فكان رضي الله عنه يطلب الحكم في كتاب الله تعالى ، فان لم يجده طلبه في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان لم يجده طلبه في اجتهادات الصحابة ، فان وجدهم قد اتفقوا فيه على أمر أخذ به ولم يفلته ، وإن وجدهم قد اختلفت اجتهاداتهم فيه اختار رضي الله عنـه من هذه الاجتهادات ما يطمئن إليه قلبه ، ولا يحـل لنفسـه الخـروج عن اجتهاداتهم ، فان لم يجد الحكم عندهم أحل لنفسه أن يجتهـد في استنباط الحكم كما اجتهد ابراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح وغيرهم من أئمة التابعين .

وسنعـرض لك فيمـا يلي بعض الأحكام المأثورة عن أئمة الفتوى من الصحابة لنكشف لك عن مدى فهمهم للتطـور والثبـات في الشريعـة الاسلامية .
ب ـ يعتبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه المرسي الأول لقواعـد التفكير الفقهي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلـم ، هو واضـح في كتـاب « موسوعة فقه عمر بن الخطاب » . وإننا سنعرض عليك هنا فهم عمر لبعض الأحكام التي نوهـت بهـا نصوص شرعية .
١) يقول الله تعالى مبينا مصارف الزكاة : (**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم**) الخ .. التوبة/٦٠ .
لقد جعل الله سبحانه في هذه الآية الكريمة سهما من الـزكاة يصرف للمؤلفة قلوبهم ، وكان رسـول الله

صلى الله عليه وسلم وبعده أبو بكر يصرف لهم هذا السهم ، ولكن لما آل الأمر الى عمر ، نظر في الآية مستبينا هدف صرف هذا السهم لهذه الفئة من الناس ، ولم يطل به النظر حتى عرف أن الله تعالى لم يعط المؤلفة قلوبهم هذا السهم لأنهم من الفقراء ، ولا لأنهم من العاملين عليها ، ولا لأنهم من الذين يعملون لرفعة الاسلام وإعلاء شأنه ، ولكنه أعطاهم إياه اتقاء لشرهم أو تألفا لقلوبهم ، حين كان كيد هؤلاء له أثره في تأخير مسيرة الاسلام ، أما وأن المسلمين قد كثروا ، وصارت لهم الغلبة في الأرض ، وعلت راية الاسلام خفاقة فوق قصور الطغاة والجبابرة ، وأصبح الاسلام قادرا على حماية نفسه من هؤلاء وغيرهم ، بعدالة مبادئه ، وكثرة المؤمنين به لذلك رأى عمر أن التصرف الطبيعي أن يوقف إعطاء هؤلاء المؤلفة قلوبهم ما خصصته الآية لهم من سهم ، لزوال الظروف التي استدعت صرفه إليهم ، فقد جاء مشرك إلى عمر يلتمس منه مالا ، فلم يعطه عمر ، وقال له : **(من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)** الكهف/ ٢٩ .

وجاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبي بكر فقالا : يا خليفة رسول الله إن عندنا أرضا سبخة ، ليس فيها كلأ ولا منعة فان شئت أن تقطعناها لعلنا نزرعها ونأكل ثمرتها ، فأقطعهما إياها أبو بكر ، وكتب لهما بذلك كتابا ، فقال طلحة ابن عبيد الله أو غيره لعيينة : إنا نرى أن هذا الرجل ـ يعني عمر ـ سيكون من هذا الأمر بسبيل ، فلو أقرأته كتابك ، فأتى عيينة عمر ، فأقرأه كتابه ، فقال عمر : أهذا كله لك دون الناس ؟ ومحا الكتاب وقال له : إن رسول الله كان يتألفكما والاسلام يومئذ ذليل ، وإن الله تعالى قد أعز الاسلام ، فاذهبا واجهدا جهدكما .

٢) المعروف أن دية القتل غير العمد تتحملها العاقلة ، وكانت العواقل هي العشيرة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي عهد أبي بكر ، وفي الصدر الأول من عهد عمر ابن الخطاب ، ولما دون عمر الدواوين ونصب الرايات جعل الدية على أهل الديوان ، قال الحاكم في الكافي معلقا على هذا التغيير الذي أحدثه عمر رضي الله عنه : ولم يكن ذلك من عمر تغييرا لحكم الشرع ، بل تقريرا له ، لأنه عرف أن عشيرته كانوا يتحملون ما يتحملونه من الدية بطريق النصرة ، فلما كان ـ أي أصبح ـ التناصر بالرايات جعل العقل عليهم .

٣) يقول الله تعالى : **(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله)** المائدة/ ٣٨ وكان عمر يعلم تمام العلم أن المال مال الله **(وآتوهم من مال الله الذي آتاكم)** النور/ ٣٣ وان الخلق كلهم عيال الله (الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله) وأن الله تعالى قد فرض في أموال الأغنياء بقدر ما يكفي فقراءهم ، فان جاع الفقراء أو عروا أو جهدوا فبمنع

الأغنياء ، ولذلك رأى عمر أن الفقير إذا سرق بدافع الحاجة لا تقطع يده ، ولذلك لم يقطع أيدي عبيد حاطب بن أبي بلتعة عندما سرقوا ناقة لرجل فذبحوها ، لأنه قد تبين لعمر ان الحاجة التي دفعت إلى ذلك إنما هو الجوع ، وقال لمن أجاعهم – وهو سيدهم – لأغرمنك غرامة توجعك .

وجاء رجل إلى عمر وقد سرقت ناقته فقال له عمر : هل لك في ناقتين بها عشارتين مربغتين سمينتين ؟ فانا لا نقطع في عام جدب .

فعل هذا كله عمر بن الخطاب – وهذا غيض من فيض – والصحابة كثر متوافرون ، فلم يعترض عليه في ذلك معترض منهم ، ولم يروا في عمله هذا خروجا على نص القرآن الكريم أو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم رأوا فيه عملا بأهداف النص الشرعي – من قرآن أو سنة – فأكبروا في عمر عمله ، وارتفع في نظرهم عليا .

حـ – ويعتبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه باب مدينة العلم بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عمر لا يستغني عن مشورته ، وكان لا يخرج في فهمه للتطور والثبات في الشريعة عن فهم عمر رضي الله عنه .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مبينا عقوبة الزاني غير المحصن « البكر بالبكر جلد مائة وتغريب سنة » مسلم والترمذي وأبو داود .

فلا يشك من يقرأ هذا الحديث الشريف أن نفي الزاني سنة عن البلدة التي وقع فيها الزنا عقوبة فرضها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان الخلفاء من قبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يغربون الزاني غير المحصن بعد جلده مائة جلدة ، فلما كان عهد علي كان ينفي في أول خلافته ، فنفى امرأة زنت قبل أن يدخل بها زوجها إلى نهر كربلاء ونفى جارية من همدان قد زنت إلى البصرة .

ولكن لفت نظر عمر شيوع الفتنة ، وانتشار السوء في العراق ، ولفت نظره بشكل خاص تعرض الذين ينفون إلى ألوان من الفتنة بسبب ضعف الرقابة من جهة ، وضعف الوازع الديني من جهة أخرى ، ولذلك رأي أن حكم النفي لم يعد يحقق أهداف النص ، وفي هذه الحالة لا بد من تطوير العقوبة بشكل يحقق أهداف النص ، فاستبدل النفي بالسجن ، وفي السجن تتاح للامام المراقبة ، ويتاح له التوجيه فقال على كرم الله وجهه : « إذا زنى البكر بالبكر يجلدان مائة ويحبسان ، ومن الفتنة أن ينفيا » .

د – وعائشة رضي الله عنها سيدة فقيهات الصحابة ، تربت في بيت النبوة ، وعلمت دخائل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي في فهمها للتطور والثبات لا تند عن فهم عمر وعلي ، قال عليه الصلاة والسلام : لعن الله النامصة والمتنمصة و ... » رواه البخارى .

لقد فهم بعض الفقهاء من هذا الحديث تحريم نتف المرأة ما نبت في وجهها من شعر إلا أن يفحش

فيجعلها أشبه بالرجال .

ولكن السيدة عائشة رضي الله عنها فهمت من الحديث غير هذا ، لقد عرفت السيدة عائشة أن الهدف من هذا الحديث هو منع الغش بنتف الشعر النابت في الوجه ــ النمص ــ فيظن من يراها أنها ممن لا ينبت في وجوههن الشعر ــ وهي صفة مرغوبة في النساء ــ فيقدم على الزواج منها ، فتظهر له بعد الزواج أنها ليست كذلك ، وأن الشعر في وجهها كثير منفر .

وهذا هدف لا يتحقق في المرأة المتزوجة ، إذ لا يتحقق الغش من قبلها ، لأن زوجها يعرفها ، وهو يطالبها بالتزين له ، ومن التزين إزالة الشعر من الوجه ، وهي مطالبة باتخاذ كل سبيل لادخال السرور إلى قلب زوجها ، ولتكون الوحيدة في قلبه .

وإذا كانت إزالة الشعر من وجه المرأة غير المتزوجة غش وخداع ، وإزالته من وجه المرأة المتزوجة تزين ، فلا بد من أن يفترق الحكم .

ولذلك رأت السيدة عائشة أنه لا بأس أن تتنمص المرأة لزوجها ، فقد قرأت في مصنف عبد الرزاق أن امرأة أتت السيدة عائشة فقالت : يا أم المؤمنين إن في وجهي شعرات أفأزيلهن ، فقالت السيدة عائشة ، تزيني لزوجك ، أطيعي زوجك .

وهكذا تكون السيدة عائشة فهمت النص التشريعي لا بألفاظه ولكن بأهدافه ، وهكذا يفعل الفقيه المتمكن .

○ فهم التابعين للتطور والثبات في الفقه :

التابعون هم تلاميذ الصحابة ، وحاملو آرائهم واجتهاداتهم ، وإن المتتبع لاجتهاداتهم يجدها لا تخرج عن دائرة تفكير الصحابة ، ولذلك فاني سأكتفي بعرض فهم إمام أئمة التابعين في الفقه لمفهوم التطور والثبات في الشريعة الاسلامية ، ذلك هو ابراهيم بن يزيد النخعي ، حامل علم عبد الله بن مسعود حتى قال عنه سليمان بن مهران الأعمش إذا رأيت علقمة فلا يضرك ألا ترى ابن مسعود ، وإذا رأيت ابراهيم فلا يضرك الا ترى علقمة ، وكان ابراهيم تلميذ علقمة بن قيس النخعي ، وكان علقمة تلميذ عبد الله بن مسعود .

ولما مات ابراهيم قال عامر بن شراحيل الشعبي : مات اليوم أفقه الناس ، فقيل له : أفقه من الحسن البصري ؟ قال : أفقه من الحسن ، وممن في الشام ، وممن في الحجاز ، وسنعرض فهم ابراهيم النخعي للتطور والثبات من خلال نظريته في الايلاء .

يعرف الفقهاء الايلاء بقولهم : الحلف على ترك وطء الزوجة أكثر من أربعة أشهر ونلاحظ أن هذا التعريف يحوي ثلاثة عناصر : الأول : الحلف ، والثاني : ترك الوطء والثالث : المدة .

ونحن لو استقرأنا فقه ابراهيم النخعي متلمسين هذه العناصر الثلاثة فيه لوجدنا أن فهم النخعي لهذه العناصر الثلاثة مرتبط تمام الارتباط

بالهدف الذي شرعت من أجله أحكام الايلاء .

أما العنصر الأول ـ الحلف : فان النخعي لا يشترط فيه أن يكون بالله تعالى ، ولا باسم من أسماء الله ولا بصفة من صفاته ، بل يكفي أن يحلف بأي يمين يلزمه فيها حق ، لتحقق المنع بهذا اليمين ، لما فيه من مشقة القيام بهذا الحق الذي لزمه ، وعلى هذا فانه لو حلف بالطلاق ، أو بالعتاق ، أو بصوم غير واجب عليه أو بصدقة غير واجبة لكان موليا ، لأن المقصود من اليمين حصول المنع به ، وقد حصل المنع فعلا ، ولذلك كان موليا بهذه الأيمان .

أما العنصر الثاني ـ ترك الوطء : فاننا نرى النخعي يتوسع فيه توسعا كبيرا ، لأنه نظر في الغاية من ترك الوطء فوجدها « الاضرار بالزوجة » فأخذ هذه الغاية وجعلها المدار الذي يدور الحكم في فلكه ، دون الالتفات إلى اللفظ الذي يتلفظ به الرجل ، سواء كان ترك الوطء أو غيره ، ولذلك يقرر النخعي أنه إذا حلف ليسوءن زوجته ، أو لا يكلمها ، أو ليغيظنها ، كان موليا ، لأنه إن كان في ترك الوطء إضرار بالزوجة ، فان في ترك تكليمها ضرراً أكبر ، وكذلك في إساءة عشرتها ، ونحو ذلك .

أما العنصر الثالث ـ المدة : وهي أربعة أشهر فان النخعي يفهم هذه المدة في الايلاء فهما ضمن إطار الهدف العام من تشريع أحكام الايلاء ، فلا يشترط ذكر هذه المدة ـ أربعة أشهر ـ بل يكفي في ذلك أن يحلف الزوج على ترك الوطء أو الاضرار ، وينفذ ذلك عمليا من أجل هذا الحلف ، فان الذي يريد النخعي رفعه إنما هو الأثر ـ وهو ترك الوطء أو الضرر ـ الحاصل بالحلف ، ولذلك كان ذكر المدة لا قيمة له عنده ، وعلى هذا فانه لو حلف لا يقربنها الليلة ، فتركها أربعة أشهر ليمينه كان موليا .

وبمضي الأربعة أشهر يقع الطلاق بائنا دون حاجة الى تطليق الزوج ، لأن الزوج قد يرفض الطلاق ، وإن التماسه منه ، أو إجباره عليه قد يتطلب أياما أو شهوراً ، وهذا يعني استمرار الاضرار الواقع على الزوجة طيلة هذه المدة ، وانطلاقا من هدف رفع الضرر عن المرأة ـ الذي هو هدف تشريع أحكام الايلاء ، فان النخعي يرى وقوع الطلاق بمضي المدة دون حاجة إلى تطليق الزوج .

ويقع الطلاق بذلك بائنا ، لأن الضرر لا يرفع إلا به ، لأن الزوج المولي إن لم نقل بوقوع الطلاق بائنا ـ يستطيع أن يراجعها ما دامت في العدة ، وبذلك يعود إلى إضراره لها ، وبذلك تكون الشريعة لم تنجح في رفع الظلم الواقع بالمرأة من الايلاء .

مما تقدم نلاحظ : ان النخعي كان يجري أحكام الايلاء متلمسا روح الشريعة وهدفها العام الذي تهدف إليه من تشريع أحكام الايلاء ، وهو رفع الضرر النازل بالمرأة ، وللوصول إلى هذا الهدف كان لا بد من تجاوز بعض الشكليات الفقهية التي تقف حائلا دون ذلك ، والتي تمنع من

إمعان السير ، وسرعة الوصول إلى الهدف المرسوم .

○ **فهم الأئمة المجتهدين للتطــور والثبات في الفقه :**

يقول الله تعالى في القرآن العظيم : **(يأيها الذين آمنــوا لا تأكلــوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما)** النساء/ ٢٩ ـ لقد وضعت هذه الآية الكريمة الأساس الأول في المعاملات التجاريــة ، وذلك أنــه إذا ما تم التراضي بين المتبايعين وانتفى الغرر فليبع الانسان لمن شاء ، وليشتر ممن شاء وبالسعر الذي يشاء .

وكأن الامام مالك رضي الله عنه نظر إلى هذه الآية الكريمة فوجد أن الهدف منها هو : تحقيق مصالــح المسلمين بمنحهــم تلك الحريــة في التعاقد ، ولكن إذا ما انقلبت هذه الحرية إلى وسيلة للاضرار بالمسلمين في نوع معين من أنــواع التعامــل التجاري وجب تقييد هذه الحرية في ذلك النوع من التعامل ، وإن لم يرد نص صريح من الشارع بتقييدها في ذلك النوع من التعامل .

لقد وجد الامام مالك رضي الله عنه ما يلعبه التاجر الوسيط ـ وهو الذي يدخل بين المنتج والمستهلك دون أن يكون له أي أثر في السلعة تصنيعا ، أو تحسينا ، أو نقلا إلى بلد آخر ـ من رفع أسعار السلع على المستهلك ، مثلا :

أنتج أحدهم قمحا ، فأتــى به السوق فاشتراه منه تاجر بألف ، ثم لم يلبث أن باعه كما هو إلى تاجر آخر في نفس البلدة بألف ومائة ، ثم لم يلبث التاجر الثالث أن باعه كما هو إلى تاجر رابع في البلدة نفسها بألف ومائتين ، ثم باعه التاجر الرابع كما هو إلى المستهلكين بألف وثلاثمائة .

إن هؤلاء التجار الوسطاء بــين المنتج والمستهلك لم يكن لهم أي أثر في القمح ، فهم لم يطحنوه ، ولم يعزلوا صغار حبه عن كباره ، وكانوا سببا في رفع السعر على المســتهلك ولــو تداولته أيديهم ، ولو أنه انتقل من المنتج إلى المستهلك ، دون وسطاء لوصل إليه بسعر ألف ومائة بدلا من أن يصل إليه بألف وثلاثمائة .

ولما كان للتاجر الوسيط هذا الدور أحيانا في إغلاء السعر فقد رأى الامام مالك رضي الله عنه منع التاجر الوسيط من ممارسة دوره في إغلاء السعر على المستهلك ، وعلى الدولة الاسلامية أن تشرف على تنفيذ ذلك .

فقد سئل رحمه الله تعــالى عن الطحانــين يشتــرون الطعـــام ـ الحنطة ـ يغلون بذلك أسعار الناس فقال : أرى أن كل ما أضر بالناس في أسعارهم أن يمنعه الناس ، فان أضر ذلك ـ التعامل ـ بالنــاس منعــوا منه .

قال ابن رشد موضحا رأي الامام مالك رضي الله عنه : أما شراء أهل الحوانيت الدقيــق من الجــلاب ـ المنتجين ـ وبيعه على أيديهــم من الناس ، وشراء الطعام وبيعــه على أيديهم غير مطحون ـ فلا وجه من

الفرق في ذلك لعامة الناس ـ فينبغي أن يمنع من ذلك إن كان فيه تغلية للأسعار ويباح إذا لم يضر ذلك بالأسعار .

أقول : وهذا هو المعنى الذي قصده رسول الله بقوله : « ولا يبع حاضر لباد » متفق عليه قيل لابن عباس : ما قوله لا يبع حاضر لباد ؟ قال : لا يكون له سمسارا لأن في ذلك رفع تكاليف المبيع ، وفي ذلك ما فيه من رفع السعر على المستهلك .

○ فهم الفقهاء المتأخرين للتطور والثبات في الفقه :

سنعرض عليك فهم فقيه يعتبر بحق خاتمة الفقهاء المتأخرين ذلك هو الفقيه الحنفي محمد أمين بن عابدين ، صاحب حاشية رد المحتار على الدر المختار التي اعتبرها العلماء نافذة الفقه الحنفي ، حيث جمع فيها فأوعى ، وحرر ونقح ، جزاه الله خيرا .

ولنأخذ مثلا على ذلك نظرته الى آلات اللهو التي ورد النهي عنها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من الأحاديث الشريفة ، وان هذه الأحاديث وإن كانت لا تخلو من مقال ، إلا أن بعضها يعضد بعضا ، فيطمئن القلب إليها ، إن ابن عابدين لا ينظر الى آلات اللهو والموسيقى على أنها قطع من الخشب أو المعدن صنعت بشكل معين ، ولكنه ينظر إليها كأداة يجتمع عليها الفساق ، فيشغلون بها عن أداء الواجبات ، أو اقتحام الموبقات ، وما كان هذا شأنه فهو منهى عنه ، ورد له ذكر في النصوص الشرعية أو لم يرد ، وما لم يكن كذلك فلا نهى عنه ، قال ابن عابدين :

« أقول : هذا يفيد أن آلة اللهو ليست محرمة لعينها ، بل لقصد اللهو منها ، إما من سامعها ، أو من المشتغل بها ، وبه تشعر الاضافة ـ أي اضافة الآلات إلى اللهو ـ ألا ترى ان ضرب تلك الآلة بعينها حل تارة وحرام أخرى باختلاف النية ، والأمور بمقاصدها » .

وصفوة ما أريد أن أقوله في نهاية المطاف :

أن الأهداف التي رسمتها الشريعة الاسلامية للأحكام تتركز في المصلحة العليا للأمة والأحكام الفرعية تعتبر صحيحة ما حققت هذه الأهداف ، فاذا ما حدث ظرف ما ، وفشلت الأحكام في تحقيق الأهداف ، وجب تطويرها ضمن أصول الشريعة ومناهجها في البحث بشكل يحقق هذه الأهداف .

وقد رأينا كيف أن الصحابة والتابعين ، والفقهاء قد فهموا أحكام الشريعة على هذا الأساس .

وبذلك نقول لرجال السياسة والقانون : تحرروا من رواسب خلفتها في بلاد المسلمين ظروف معينة ، وافتحوا صدوركم للشريعة الاسلامية ، ومدوا أيديكم إليها ، فانها الكفيلة بتحقيق المصالح العليا لأمتنا إذا صفت النفوس ، وخلصت النيات لله عز وجل .

الأطباء المرضى

كثرت دعاوى العلميين الغربيين ، وازدادت مفترياتهم ، واغتروا بعلومهم حتى ظنوا أنهم وحدهم في الساحة ، وأن كلمتهم هي الفاصلة لا راد لها ولا معقب عليها ..
زعم أصحاب التحليل النفسي ... أن اللا معقول يمكن أن يكون معقولا ، وأن الحلم يمكن أن يكون حقيقة وواقعا ، ونسوا الله ، وعبدوا الهوى ، وتابعوا غواية الشيطان ، وجنحوا بسفه عقولهم الى الاسراف والغلو ، فأنكروا الدين والأخلاق ... فكيف الطبيب النفسي الذي يقارع الخمور أن يعاون المدمن عليها للاقلاع عنها ...!!!

وكيف يستطيع المتابع لهوى نفسه أن يشفي مريضا من الوسواس الشيطانية ..!!!
كيف يساعد الطبيب النفسي المشرك بالله مريضا مصابا بهواجس الشك وجنون الريبة والحصر النفسي ...!!!
لقد صدق في هؤلاء قول الشاعر :

وغير تقي يأمر بالتقى

طبيب يعالج الناس وهو مريض

ان علماء النفس الغربيين بعامة ، وأصحاب مدرسة التحليل النفسي بخاصة ، يزعمون أن النفس البشرية مغلوبة على أمرها رضيت بذلك أم أبت ، تسيرها دوافع قسرية ،

للدكتور حسن الشرقاوي

وتحركها غرائز حيوانية ، ونزعات أنانية ، وأن الانسان مثله مثل الحيوان يسعى لتحقيق حاجاته البيولوجية ، واشباع شهواته البهيمية ... ويستطرد هؤلاء في مزاعمهم فيقولون أنه حتى وان ظهرت الشخصية أمام اعيننا يسلك صاحبها سلوكا عكسيا ، فيبدو في مواقفه وتصرفاته مضحيا وايثاريا يسمو على حاجاته النفسية ، ويغالب رغباته الدفينة ، ويترفع عن تنفيذ نزعاته اللاشعورية المخبوءة ... متخليا في ذلك عن مطالبه الاساسية الغريزية ...

حتى ان ظهرت هذه الشخصية كذلك فان حقيقتها بخلاف ذلك حيث أن ما يظهر امامنا من سلوك يتميز بالطيبة والتسامح والعفو والتضحية والايثار هو موقف تحويلي أو حيلة هروبية لا تعبر عن هذه الشخصية ولا توضح ما يعتلج نفس صاحبها من الداخل من صراعات لا شعورية ...

كما يزعم هؤلاء أن ما يظهر على سطح الشعور ليس الا قناعا يخفي وراءه وحشا كاسرا ، وذئبا عدوانيا مفترسا ... اذ أن الشخصية الانسانية يحكمها قانون الغاب من الداخل وهذا القانون يقرر : « انه اذا لم تتذأب أكلتك الذئاب » .

ان عدم ظهور الدوافع والنزعات والرغبات الحقيقية — في تصورهم — ليس الا نوعا من الكبت المقصود لها ، فلم تستطع التعبير عن وجودها في بؤرة الشعور ، وذلك بسبب الضغوط البيئية ، أو التقاليد الاجتماعية ... الأمر الذي جعل صاحبها يقوم بطرق تحويلية وهي عبارة عن حيل مشروعة او غير مشروعة يحل بها صراعاته النفسية الداخلية ...

وينتهي هؤلاء المفترون على الحقيقة ... الى الزعم كذبا وبهتانا أن اصحاب مكارم الأخلاق مرضى نفسيون ... باعتبار أن الانسان حيوان وحشي مصاب بالشبق الجنسي ... فلا هم له الا تحقيق لذاته ، والتنفيس عن غرائزه الجنسية ... فان لم يستطع ، فهو مريض نفسي لا بد أن يعرض على الطبيب النفسي ليبلى من أمراضه !! ويشفى من أسقامه ... أو بمعنى آخر يشفى من الطيبة الزائدة ، والأخلاق القويمة ، أى لا بد للانسان أن يتوحش ليكون انسانا سويا وأن يتحلل من مكارم الأخلاق لتكتب له الصحة النفسية !!

هذه هي المهزلة الكبرى التي يلعب بطولتها بعض علماء النفس الغربيين ... فيمثلون على خشبة الحياة وقائعها التي تجعل من الأخلاق القويمة شرا للانسان . وتجعل من اللا اخلاق خيرا له ، وبذلك يشوهون حقيقة الانسان ، ويكذبون بآيات الله ، ويخالفون الفطرة التي

فطر الله الناس عليها ، ويبتدعون من عند انفسهم قانونا يجعل مما هو غير معقول مقبولا ، ومما هو غير منطقي منطقيا ...

ولا تنتهي مزاعم هؤلاء الى هذا الحد البعيد عن الصدق والأمانة العلمية ، ولا يقفون عند هذا الموقف المزري ، بل يتمادون في غيهم ، ويتطاولون على الحق والحقيقة فيدعون وقد خلعوا براقع الحياء ، وقادتهم نفوسهم الامارة الى الضلال المبين ... يدعون في قحة ... ان المشاكل النفسية التي يعاني منها الشباب والشيوخ من الجنسين ترجع الى أسباب جنسية في البداية والنهاية ، وأنه يمكن علاج تلك الأمراض في ضوء عقدتي أوديب والكترا .. فما هو أوديب وما هي الكترا ؟

أوديب هذا فتى اسطوري في الملاحم اليونانية القديمة ، وتصور قصته انه كان على علاقة جنسية بأمه ، وأنه كان يكره أباه لاحساسه بأنه منافس خطير له في حبها .. وتنتهي القصة بأن يقتل أوديب أباه ... أى أشرك وقتل وزنا ..

ولقد اتخذ فرويد من هذه الشخصية الاسطورية مسرحا لعلاجاته النفسية ، وقد اعتبر أوديب ممثلا لشخصية كل شاب ، فجعل العلاقة الجنسية المحرمة بين الأم ووليدها هي الصورة المعبرة عن الشخصية الانسانية ... وبذلك هبط بأشرف علاقة انسانية وأطهرها وسقط بها الى اسفل سافلين ...

أنه لمن الجلى الواضح أن هذه الاسطورة التي فرضها فرويد وتلامذته على الناس فرضا ، انما هي محض خيال البسوها ثوب الحقيقة عسفا وظلما ، لتصبح قسرا واقعا لا مفر منه ، دون ادلة أو براهين أو سند علمي ... اذ أنها عبارة عن خيالات مرضى ، وهواجس مجانين ... ومع ذلك يصدقها كثير من السذج ، ويصفقون لها كثيرا ... ولقد روج لها اليهود في كتبهم ، وعملوا على تلقينها للشباب والكهول باعتبارها حقائق يقينية ، بغية هدم العلاقات الأسرية والعمل على التفكك الاخلاقي والغاء القيم السامية والمثل العليا من على الارض .

واذا كان فرويد قد استعار أسطورة أوديب ليجعلها أساس العلاقة بين الأم ووليدها ، فأنه استعار عقدة الكترا ايضا لتمثل العلاقة الجنسية بين الأب وأبنته ، والكترا ايضا فتاة وهمية كانت تكره أمها لأنها تشاركها في حب ابيها ، وكانت تتملكها الغيرة القاتلة اذا التقى والدها بأمها لقاء جنسيا .

جعل فرويد اذن من الاسطورتين الخياليتين حقيقة واقعة وأخذ ينشر هذه الآراء في المجتمعات الغربية والتي كانت قد سقطت في اوائل هذا القرن في الانحلال الخلقي ، وتفشي بين الاسر الزنا والعلاقات غير المشروعة ... فوجدت آراؤه آذانا صاغية ، وتمسك بها الشباب الساقط والزوجات العاهرات .. لتكون مسوغا علميا لتصرفاتهم اللا أخلاقية ومبررا لفعل الفواحش ...

كما ظهرت روايات ومسرحيات تعاون على ترسيخ هذه الموجة الانحلالية في عقول الشباب الأوروبي ، فظهرت مسرحية المومس الفاضلة التي عرضت بصورة مختلفة في المسرح والسينما مئات المرات ، وهذه القصة تمثل الحالة التي تردت فيها اوروبا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حيث اتضح أن الزوجات يمارسن الجنس مع غير أزواجهن ... فجاءت قصة المومس الفاضلة او كما تسمى أحيانا مارجريت .. لتدافع عن العهر والعاهرات ، وتروي قصة امرأة عاهرة أحبت شابا من أسرة محافظة .. الا أن والد الشاب رفض هذه العلاقة وذهب إلى المرأة يرجوها ان تتخلى عن ابنه اذا كانت تحبه حقا ... اذ أن له بنات يخاف على مستقبلهن ...

وتنتهي قصة مارجريت هذه بأن تهجر الشاب ، وتتخلى عن أملاكها ، لتعيش بعيدا في كوخ حقير حيث تموت بداء السل ...

ولا يخفى على القارئ المغزى الخطير من هذه القصة .. فهي تشجع على البغاء ، وتعاون المنحرف على الانحراف .. وتزعم أن للعهر أخلاقيات وأن للمرأة العاهرة مثلا ، وربما تكون لها فضائل كالتضحية والايثار يفتقر اليها كثير من بنات الاسر المحافظة .. وها هي مارجريت التي ضحت بنفسها من أجل حبيبها ... حتى يستطيع أن يعيش في حياة مستقرة بعيدة عن المشاكل والصراعات ..

ان ما حدث في أوروبا في أوائل هذا القرن وأواخر القرن الماضي وما زال يحدث من تفكك أسري وانحلال أخلاقي ، وشذوذ جنسي ، قد ساعد على ترويج مفتريات التحليل النفسي الفرويدي ونشره بين العام والخاص .. بل لقد أمتد الآن ليغزو بشكل خطير كثيراً من المجتمعات الانسانية .. باعتباره حقائق علمية لا تحتمل التشكك فيها ..

واذا كان الغرب قد ورث ميراثا ثقيلا من اللا أخلاقيات كنتائج للحربين العالميتين فليس ذلك مسوغا لنشر هذا الانحلال على العالم وها هو « شفينتر » وهو من أكبر علماء التربية الالمان يقول عن الحالة التي تردت فيها اوروبا الآن سلوكيا وأخلاقيا :

نحن نعيش عصر انهيار الحضارة ..
نحن نعيش بين الحضارة والبربرية .

واذا كان علماء النفس الغربيون ومدرسة التحليل النفسي بخاصة تستخدم طرقا لعلاج المرضى النفسيين تبرر فيها السلوك الجنسي الشاذ ، والعلاقات غير المشروعة ، وتنصح الشباب بالتنفيس عن نزعاتهم الجنسية ، ومتطلباتهم البيولوجية وحاجاتهم الغريزية بدعوى أن كبتها يولد الأمراض النفسية ولا يحقق الصحة النفسية .

واذا كان هؤلاء الأطباء يهبطون بالانسان الى البهيمية والحيوانية . فان معنى ذلك ان هؤلاء الاطباء مرضى يحتاجون الى العلاج السريع .

المكتبة الاسلامية

مؤذن

من المؤلفات الدينية لعلماء شبه القارة الهندية الباكستانية في العصر الحديث

تبدأ هذه السلسلة بعرض موجز لبعض مؤلفات العلامة المرحوم سيد سليمان الندوى ، ولعل من المناسب قبل الحديث حول هذه المؤلفات أن نلقي نظرة سريعة على تاريخ الدعوة الاسلامية في شبه القارة ثم نؤرخ في إيجاز للعلامة المرحوم سيد سليمان الندوى .

تاريخ الدعوة الاسلامية في شبه القارة :ــ

يبدأ تاريخ الدعوة في شبه القارة منذ أن وضعت طلائع المجاهدين من العرب المسلمين أقدامها في سنة ١٥هــ على ثلاثة من سواحل الهند هى ــ تانه ــ بهروج ــ الديبل ، والمجاهدون الذين وجههم عثمان بن أبي العاص الثقفي تحت قيادة أخويه الحكم والمغيرة الى الهند قد نزلوا على هذه السواحل ولم يتغلغلوا في أعماق البلاد ومثلهم البحارة العرب الذين وصلوا الى شواطئ الهند .

للدكتور عبدالعزيز عزت عبدالجليل

وكانت غزوة محمد بن أبي القاسم الثقفي محدودة في إقليم السند ولم ينتشر الاسلام في أرجاء البلاد طولاً وعرضاً إلا في عهد محمود الغزنوى وخلفائه سنة ٣٨٨هـ .

وكانت جيوش محمود الغزنوى ممن دانوا بالاسلام حديثاً فلم يتوخوا العمل بالشريعة الاسلامية والغوريون الذين أتوا من بعدهم لم يسلموا الا في القرن الرابع الهجري وأما المغول فانهم كانوا يعدون غير مسلمين حتى سنة ٦٩٥هـ .

ومن ثم فان سكان البلاد الذين أسلموا من تلقاء أنفسهم أو بجهود الدعاة من العلماء والمتصوفين لم يجدوا رعاية من الحكومات الاسلامية على امتداد ثمانية قرون فامتزجت أعمالهم وعقائدهم بألوان كثيرة من شعائرهم الدينية وطقوسهم المذهبية وزاد من ذلك لجوء بعض الطوائف من المارقين والملحدين بعقائدهم الفاسدة إلى هذه البلاد وكان من أثر ذلك ما فعله جلال الدين أكبر بابتداعه الدين الالهي .

وجاء الشيخ أحمد بن عبدالأحد الفاروقي الملقب بمجدد الألف الثاني فحارب علماء السوء في عصره وانتقد معتقدات المتصوفين الذين هجروا الكتاب والسنة وعضده في جهاده مولوى عبدالحق الدهلوى .

وتمضي الأعوام والسنون وشبه القارة تموج بتيارات إلحادية وعقائد موروثة فاسدة حتى جاء الامام شاه ولي الله الدهلوى الذي كانت له يد طولى في الاصلاح الديني .

وفي منتصف القرن الماضي كان حال المسلمين بتلك البلاد قد وصل الى درجة يرثى لها فقامت حركة السيد احمد خان كما ظهر في هذه الفترة طائفة من المفكرين أمثال مولانا أبي الكلام أزاد وشبلى النعمانى والدكتور محمد اقبال والمرحوم سيد سليمان الندوى .

العلامة سيد سليمان الندوى :ـ

نشأ العلامة سيد سليمان الندوى في أسرة عريقة من أسر السادات فيتصل نسبه من جهة أبيه الى الامام موسى الرضا ومن جهة أمه الى الامام زيد .

وقد ذكر غلام محمد في كتابه تذكرة سليمان « اردو » انه قد سمع من العلامة الندوى أن أجداده نزحوا من الجزيرة العربية قبل مائتي سنة حتى وصلوا الى سواحل السند ولكن السيد الاستاذ أبا عاصم زوج كريمة العلامة الندوى وابن

أخيه يذكر أن هذه الرواية مجافية للصواب والحقيقة انهم كانوا في واسط ثم انتقلوا الى مشهد بايران ثم نزحوا الى هرات وأخيرا استقر بهم المقام في الهند .

وقد ولد العلامة الندوى في قرية ـ دسنه ـ من أعمال محافظة بتنه في يوم الجمعة الثالث والعشرين من صفر سنة ١٣٠٢هـ الموافق ٢٢ نوفمبر ١٨٨٤م فأسماه جده أنيس الحسن وكانت الكنية شائعة بين أفراد أسرته فأخوه أبو حبيب وأحد أعمامه أبو تراب والآخر أبو يوسف فكنى هو بأبى نجيب .

العلامة الندوى في مراحل تعليمه :ـ

تلقى العلامة الندوى تعليمه الابتدائي في قريته فحفظ القرآن الكريم وقرأ الكتب الأردية والفارسية كعادة أهل بلاده ثم انضم الى حلقة أخيه فتعلم على يديه اللغة العربية ثم التحق بمدرسة صغيرة في إسلام بور « زاوية مجيبى » .

ودرس اللغة العربية ومبادئ علم المنطق ، وفي عام ١٩٠١ التحق بدار العلوم ندوة العلماء في « لكناو » وظل بها سبع سنوات حتى حصل على شهادة التخرج .

وجدير بالذكر هنا أن ندوة العلماء في « لكناو » قد تأسست سنة ١٣١١هـ ، وأسست دار العلوم التابعة لها بعد ذلك بخمس سنوات لتكون وسطا بين فريق المتشددين في دار العلوم « ديوبند » وفريق المتخرجين في جامعة « عليكره » .

وعندما أتم دراسته في الندوة سنة ١٩٠٧ اراد والده أن يتوجه لدراسة الطب العربي القديم كي يزاول مهنة آبائه وأجداده ولكنه لم يكن راغبا في ذلك ولم يجد في قلبه ميلا إلى هذا العمل ، وكان أستاذه شبلى نعمانى يلمس استعداداته ويرى أن يتفرغ للتحقيقات العلمية فكتب الى والده في ذلك فاستجاب الى رغبة أستاذه ، وكان رحمه الله يجيد إلى جانب الأردية اللغة العربية والفارسية . كما تعلم العبرية على يد أستاذ يهودى إبان عمله في كلية بونا التابعة لجامعة « تومباى » .

الفترة من ١٩٠٧ الى ١٩٢٩ :ـ

في هذه الفترة برز نشاط العلامة الندوى العلمى والأدبي والسياسي وكان أول عمل أسند اليه وظيفة أديب بندوة العلماء مع احتفاظه بمنصب نائب مديرها ، والى جانب ذلك كان مديرا لمجلة البيان الشهرية التي كانت تصدر باللغة العربية ونذكر من المقالات التي حررها في هذه المجلة وكان لها صدى بالغ في الأوساط العلمية ـ المسلمون وعلم الهيئة ـ المراصد الاسلامية ـ طبقات الأرض ـ انجيل برنابا ـ مسألة الارتقاء ـ الايمان بالغيب ـ مكررات القرآن ـ سعة اللغة العربية .

وفي عام ١٩٠٧ كتب سلسلة من المقالات حول شجاعة نساء الاسلام طبعت عدة مرات وترجمت إلى الانجليزية ، وفي عام ١٩١٠ صنف قاموسا صغيرا للألفاظ

الجديدة والاستعمالات العربية الحديثة وقدمه للشيخ رشيد رضا فحاز إعجابه ، وهذا عمل تظهر قيمته بالنسبة للمهتمين بالدراسات العربية في شبه القارة ، وفي هذه الأثناء كان أستاذه شبلى قد أنشأ شعبة خاصة لتدوين وترتيب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فانضم إليها ، وفي عام ١٩١٣ اشترك في تحرير الهلال مع مولانا أبي الكلام آزاد وكتب عدة مقالات ألهبت شعور المسلمين ضد المستعمر الانجليزي .

وعند وفاة أستاذه شبلى كان يعمل بالكلية الحكومية في « بونا » فترك العمل فيها وانتهى من تأليف كتابه ـ تاريخ أرض القرآن ـ وتعاون مع مسعود الندوى في تأسيس دار للمصنفين وظل وفيا لهذه الدار يعمل فيها لمدة اثنين وعشرين عاما حتى أصبحت محط أنظار العلماء والباحثين والمفكرين وموئل كبار الزعماء السياسيين ، وفي عام ١٩١٩ ساهم بدور كبير في حركة الخلافة وانتخب عضوا في الوفد الذي سافر الى أوربا تحت رئاسة مولانا محمد علي جوهر .

وفي آخر حياته مال إلى التصوف ، وفي يونيو سنة ١٩٥٠ بعد تقسيم الهند بثلاث سنوات نزح إلى باكستان وتوفى بمدينة كراتشى في نوفمبر سنة ١٩٥٣ ودفن بها رحمه الله رحمة واسعة .

وحسب القارئ العربي أن يعرف قدر العلامة الندوى من الفقرة التالية في شأنه من تحرير العالم الكبير مسعود الندوى :ـ

« الفضل في نشر معارف السنة النبوية والدفاع عن حظيرة الدين الحق يرجع الى العالم الأكبر الأستاذ المحقق السيد سليمان الندوى صاحب مجلة معارف الشهيرة ، ورئيس جمعية دار المصنفين ، والمشرف على دار العلوم التابعة لندوة العلماء ، وفي « لكناو » لا يختلف اثنان أن السيد سليمان الندوى إمام الدفاع الاسلامي وبطله المغوار فان لمؤلفاته العلمية المستفيضة من عيون الكتاب والسنة تأثيرا بالغا في تكوين عقائد المسلمين وتقويم أفكارهم » .

حقا لقد ألفت بعد طبع هذا الكتاب في ابريل سنة ١٩١٥ كتب كثيرة تناولت هذه الموضوعات في الجغرافية البشرية وتاريخ الأديان ولكن الجديد في كتاب العلامة الندوى والذي غفل عنه الجميع من الأقدمين والمحدثين انه سمي جميع المواقع وحوادث التاريخ بمسمياتها الاسلامية . وأوضح مدى تطابق أحدث النظريات مع آيات القرآن الكريم الواردة في هذا الشأن ، واذا كان المؤرخون والجغرافيون القدامى قد كتبوا في هذه الموضوعات فانهم اقتصروا على إدراجها تحت عناوين العرب البائدة أو العاربة أو المستعربة دون إشارة إلى أن هؤلاء هم قوم عاد الأولى وهؤلاء قوم عاد الثانية أو ثمود أو أصحاب الحجر أو أصحاب الأيكة حتى أصبح المسلم الذي لم يقرأ تفسيرا أو تاريخا يجهل تماما من هم قوم عاد ومن هم أصحاب الأيكة ومن هم أهل مدين وغيرهم .

فجاء العلامة الندوى فسد هذه الثغرة في كتابه هذا بشكل يجذب القارئ ويشوقه الى تاريخ هذه الأمم ودراسة أسباب حضارتها وأسباب زوالها فتتم له

العبرة ويدرك أن ما وصل إليه المؤرخون في هذا العصر نتيجة تطور أساليب البحث العلمي والتقدم الفكري بناء على الاكتشافات الحديثة قد أجمله القرآن الكريم وأشار اليه نظرا لأنه ليس كتاب تاريخ .

إن هذا الكتاب ينبغي أن يترجم إلى اللغة العربية وأن تؤلف على نهجه كتب وموسوعات كي تدرس في كليات الآداب والتربية بالجامعات المختلفة ولا سيما قسم الحضارة بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر لأنه من أفضل الزاد للداعية الاسلامي .

وتعالوا بنا نلق نظرة سريعة على جزء من عناوين بحوث هذا الكتاب . بعد ديباجة قصيرة للمؤلف كتب مدخلا الى موضوع الكتاب في ١٠٢ صفحة من حجم الفولسكاب تناول فيه ذكر المصادر التي اعتمد عليها في بحثه وهى :

أهم مؤلفاته :ـ

نذكر من مؤلفات العلامة سيد سليمان الندوى أهمها على النحو التالي :ـ

١ ـ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا المؤلف سبعة أجزاء الأول والثاني بقلم استاذه شبلى واشترك في ترتيبها معه ، والأجزاء الأربعة بقلم المرحوم الندوى والأجزاء الستة مطبوعة في الهند وقد طبعت أخيرا في باكستان والجزء السابع لم يطبع للآن لأن بعض أصوله مفقود .

٢ ـ تاريخ ارض القرآن ـ جزآن في مجلد .

٣ ـ خطبات مدراس ـ في مجلد .

٤ ـ عائشه ـ في مجلد .

٥ ـ علاقات العرب بالهند ـ جزءان

٦ ـ الخيام ـ في مجلد

٧ ـ حياة شبلى ـ في مجلد

٨ ـ خطبات أحمديه ـ في مجلد

٩ ـ الملاحة العربية والاكتشافات البحرية

١٠ ـ قاموس في ألفاظ اللغة العربية

إن المرحوم العلامة سيد سليمان الندوى كان أحد أعلام الاصلاح الديني ونضيف اليوم أن من أجل مآثره أنه أحدث تصورا جديدا في التأليف في السيرة النبوية فقد زود هذا الفن بما حرمه في جميع أدواره السالفة بعد أن رأى رحمه الله أن المسلمين أصبحوا لا يعرفون من السيرة إلا قشورا خفيفة لا تستثير الهمم فهم يعظمون الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته عن تقليد موروث ويكتفون من هذا التعظيم باجلال اللسان بما قلت مؤنته من عمل فوسع في دائرتها ، ولم يجعلها وقفا على مجرد بيان حوادث الحياة من الميلاد إلى الانتقال الى الرفيق الأعلى وإنما

جعل التأليف فيها يشمل جوانب اخرى ونواحي متعددة في أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله ، وبهذا يحق لنا أن نطلق على كتابه ـ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم دائرة المعارف النبوية ، أو الرسول والرسالة ، أو فقه الرسالة وغير ذلك من العناوين التي تناسب ما فيه من مادة .

هذا الكتاب مؤلف باللغة الأردية ، وهي إحدى اللغات السائدة في شبه القارة ، وقد ترجم إلى اللغة التركية ، وهو في سبعة مجلدات طبع منه ستة مجلدات والجزء السابع لم يطبع حتى الآن وأصوله موجودة في دار المصنفين ولكنها ناقصة .

وسنجمل الحديث فيه ونكتفي بالاشارة الى موضوع كل جزء منه ونأتي في نهاية هذا المقال بنموذج منه يكشف للقارىء العربي عن قيمة هذا الكتاب الذي له أجمل الأثر في حياة المسلمين في شبه القارة وتكاد لا تخلو مكتبة منه .

المجلد الأول :ـ

هذا الجزء بقلم العلامة المرحوم شبلى النعماني ومنذ أن شرع في كتابته وتصنيفه اشترك معه تلميذه سيد سليمان الندوى ويشتمل على مقدمة مطولة ووافية على أهمية السيرة النبوية وملخص تاريخي لأرباب السير .

وقد تناول في المقدمة كذلك كل ما يتعلق بالسيرة من الحديث الشريف والمغازي والروايات بالنقد والتحليل وفقا للأصول العلمية ثم أتى بتذكرة مختصرة عن المؤلفين الأوربيين وكتبهم التي صنفوها في هذا المجال ويعتبر هذا العمل في حد ذاته مؤلفا مستقلا .

ويبدأ بعد ذلك في بيان سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام من ولادته حتى الغزوات وجلاء يهود خيبر وزواج الرسول عليه الصلاة والسلام من بعض أمهات المؤمنين متصديا لدفع كل الشبهات ومجيبا على جميع الاعتراضات التي أثيرت حول تلك الأمور وأوضح بالأدلة القوية النقلية منها والمنطقية طهارة رسول الاسلام وصدق رسالته .

الجزء الثاني :ـ

هذا الجزء أيضا بقلم المرحوم شبلى وقد تناول فيه حياة الأمن والاستقرار ودور تبليغ الرسالة وتأسيس الحكومة الاسلامية في المدينة ونظامها ، ثم تحدث عن حجة الوداع والوفاة وشمائله صلى الله عليه وسلم وعن أزواجه المطهرات وأولاده وأهل بيته وأحوال حياتهم ، وغير ذلك مما يتصل بهذه الأمور . وإلى هنا ويعتبر ما يتعلق بموضوع السيرة قد انتهى بنهاية هذا الجزء ولكن لم يكن المقصود من تأليف هذا الكتاب الوقوف به عند هذا الحد وإنما كان الغرض منه يتجاوز هذه الدائرة إلى عرض كامل وواف للشريعة الاسلامية وما اشتملت عليه من خصائص

دون غيرها من الملل والشرائع الأخرى ويقع هذا المجلد في ستمائة صفحة .

الجزء الثالث :ــ

بدأ العلامة الندوى هذا الجزء بالبحث حول الأدلة والمعجزات وحقيقة المعجزة وإمكان حدوثها ثم كتب عن نزول الملائكة والرؤى وحادثة الاسراء والمعراج وشرح صدره عليه الصلاة والسلام .

الجزء الرابع :ــ

هذا الجزء يبحث في العقائد الأساسية في الاسلام وفيه أفرد المؤلف بابا أطال فيه الكلام عن النبوة والوحي والملائكة وبعد ذلك كتب عن القيامة والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار وأخيرا خاض في عالم ما وراء الطبيعة وقد بسط الحديث عن منصب النبوة وحقيقتها وأهميتها وضرورتها .

الجزء الخامس :ــ

يبدأ هذا الجزء بمقدمة عن الأعمال الصالحة ثم يتناول العبادات ــ الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والتوكل والصبر والاخلاص والحمد والشكر .
وقد توخى العلامة الندوى أن يكون أسلوبه جامعا بين السهولة والدقة غير أنه في بعض المسائل الفقهية يمزج بين آراء المتصوفين والفقهاء في تعليل الأحكام وفي كل موضوعات هذا الجزء يقارن بينها في الاسلام وما سبقه من مذاهب وأديان وهو بهذه الصفة يعتبر من مقارنة الأديان .

الجزء السادس :ــ

موضوع هذا الجزء الأخلاق التي يرجع إليها شرف الانسانية وقد أوضح مدى عناية الاسلام بها وتناول آراء الفلاسفة والحكماء في مجال فلسفة الأخلاق بالنقد الموضوعي على ضوء التعاليم الاسلامية من القرآن الكريم والسنة المطهرة .

الجزء السابع :ــ

وهو الجزء الأخير من الكتاب ونظرا لأن بعض أصوله مفقود لم يطبع حتى الآن وقد كتب ابن شقيقه السيد أبو عاصم المحامي بمدينة كراتشي كتيبا في اللغة الانجليزية تعريفا بهذا الجزء لخص فيه موضوعه .

ونأمل أن يستدل على الأجزاء المفقودة منه حتى لا يحرم المسلمون وأبناؤهم من الشباب المسلم في شبه القارة من هذا الزاد الشهي من رياض السيرة العطرة الذي قدمه بلغتهم العلامة المرحوم سيد سليمان الندوى .

أما كتاب تاريخ أرض القرآن فموضوعه تشير اليه العبارة التي استهل بها المؤلف مقدمة الكتاب والتي قال فيها : « أحمدك يامن دحى الأرض وبث فيها رجالا كثيرا ونساء وأسكن بواد غير ذى زرع من ذريتهم شعوبا وقبائل ذات العماد والبطش الشديد والبسط في الخلق من قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد فمزقهم كل ممزق وجعلهم أحاديث وأصلى وأسلم على النبي الابراهيمي الاسماعيلي المضرى القرشى الهاشمي وعلى صحبه أجمعين .

ثم بين أهمية هذا الموضوع وضرورته وقال : « لعل مما لا يستطيع أحد أن ينكره أن عامة المسلمين بل وعلماءهم لا يكادون يعرفون التاريخ الصحيح للأقوام والمدن والأمكنة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وعزا ذلك الى عدم توجه العلماء لتخصيص كتب مستقلة خلال ثلاثة عشر قرنا في هذا الشأن على عكس غيرهم من اليهود والنصارى الذين مع تقادم العهد وتطاول الأمد بينهم وبين أقوامهم ومساكنهم استطاع علماؤهم أن يكتبوا أرض التوراة ودائرة معارف الكتاب المقدس وان يحيوا هذا الموات وأن يجددوا صفحات هذا التاريخ .

أما القرآن الكريم الذي لم يرد فيه ذكر أكثر من عشرين أو ثلاثين قوما فلم يهتم أحد بتخصيص كتاب لتحقيق هذه الموضوعات بشكل مفصل وعرض شامل وإنما ما كتب عن ذلك جاء ضمن كتب التفاسير أو التاريخ . ثم تحدث عن الآداب الاسلامية والاسرائيلية واليونانية والرومانية ثم الاكتشافات الأثرية ثم فصل القول في علم الأنساب وحقق لفظ عرب وأصول التاريخ القديم وجغرافية العرب وحدود ديارهم ، واستطرد في ذكر طبيعة بلاد العرب وحاصلاتهم الى غير ذلك حتى وصل الى بيان شجرة أقوام أرض القرآن ، ومن هنا يبدأ أصل موضوع الكتاب ــ الأمم السابقة ــ الأولى ــ عاد ــ تحقيق لفظ عاد ــ زمان عاد ومقامه ــ حكومات عاد ــ عاد في بابل ــ عاد في مصر ــ عاد في الشام ــ عاد في ايران ــ عاد في قرطاجنه وفي اليونان وكريت وأخيرا عاد والقرآن ثم يلى ذلك بعثة هود عليه السلام . عاد الثانية ــ لقمان ــ إلى أن يأتي الى ثمود وهكذا مع استيعاب تاريخي وجغرافي وبشري في أسلوب جمع فيه بين النقول والشواهد الصحيحة المعتبرة وبين النظريات العلمية دون أن يترك مجالا للتخمين بحيث يقتنع القارىء ويطمئن ولا شك في أن هذا الكتاب يسد ثغرة لازالت مفتوحة في المكتبة العربية والاسلامية .

ونرجو أن يسمح لنا الوقت وأن تسمح ظروف النشر لكي ننقل للقارىء العربي طرفا من تحقيقاته حول أهم الموضوعات التي اشتمل عليها الكتاب والتي تهم القارىء المسلم على وجه الخصوص ..



ليس من الحديث النبوي

« الباذنجان لما أكل له »

قال السخاوى في المقاصد الحسنة : باطل لا أصل له وإن أسنده صاحب تاريخ بلخ وقال ابن حجر العسقلاني لم أقف عليه وما رواه أبو على بن زيرك « الباذنجان شفاء لا داء فيه » لا يصح أيضا وقد سمعت بعض الحفاظ : إنه من وضع الزنادقة .

وقال الزركشى : قد لهج به العوام .

ويقول السخاوي كل هذه الروايات باطلة .

وقال السيوطى في اللآلئ المصنوعة إنه حديث باطل لا أصل له وقال التاجي « في كتابه قلائد المرجان في الوارد كذبا في الباذنجان انه باطل موضوع كذب .

وقال السيوطي في الدرر المنتثرة : إنه لا أصل له .

وقال السيوطي أيضا في الفتاوى الحديثية إن هذا القائل مخطئ أشد الخطأ فان حديث الباذنجان كذب باطل موضوع بالاجماع من أئمة علماء الحديث .

وقال الصغانى : من الأحاديث الموضوعة ما ورد في فضائل البطيخ والباذنجان والكرفس و « الفوم » والبصل .

ونحن ننشر هذا القول للتنبيه على أنه باطل ، ولنقطع الأسئلة حوله .

« من زارني وزار أبى ابراهيم في عام دخل الجنة »

موضوع :

قال ابن تيمية موضوع ولم يروه أحد من أهل العلم بالحديث .

واعتبره السخاوى موضوعا .

وقال النووى في آخر الحج من شرح المهذب هو موضوع لا أصل له .

وقال العجلونى في كشف الخفاء بوضعه .



للاستاذ / احمد عادل كمال

لا شك أن بعض نواحي التاريخ الاسلامي قد نالت ما تستحق من عناية وجهد في القديم أو في الحديث . ولقد استأثر تاريخ القرآن الكريم بأعظم قدر من الدراسة يليه الحديث الشريف والسنة المطهرة ، ثم جاءت بعد ذلك سائر العلوم والمعارف . ولقد كان جانب كبير من تلك الدراسات ينصب على الرجال والاعلام ، وأظهر ما كان ذلك في علم الحديث باعتبار أن رواة الحديث صاروا جزءا لا ينفصل عن الحديث ذاته ، حتى زخرت كتب التراجم والرجال بعشرات وربما مئات الألوف من التراجم . ورغم هذا فان تلك العناية الفائقة لم تمتد بحيث تشمل قادة الحرب من الغزاة والفاتحين من المسلمين الأوائل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم ، فان عثرنا على ذكر فبصفتهم رواة للحديث في الأغلب الأعم . قد يبدو هذا غريبا بالنظر الى أن الفتح الاسلامي كان حركة فريدة في التاريخ اكتسحت الشرق والغرب في سنوات معدودة تم اكثرها في نطاق جيل واحد . ولكن يزول العجب اذا عرفنا أن ذلك يرجع الى اهمال دراسة تلك المعجزة الكبرى ذاتها — الفتوح — وبالتالي لم ينل أبطالها ما يستحقون .

ولسنا نعالج ذلك النقص هنا

بمقالة ، وإنما نحاول فقط أن ندلل على صواب ما ذكرنا ، فاخترنا لذلك صحابيا لم يكن من كبار القادة ، بل إذا وصفناه بأنه كان من صغارهم لكان أقرب الى الصحة ، وما أكثر عدد هذا الصف من الأركان في جيوش المسلمين الفاتحين ، لن نقدم له سجلا مسهبا ولكن نقدم ما هو في حدود الخير المتاح . وبطلنا ليس اسمه مجهولا لدى قرائنا ، ولكن شهرته تكاد تنحصر في حادث واحد هو ما قام به من وقيعة بين يهود بنى قريظة وبين أحزاب الكفر التي جاءت تغزو مدينة الرسول والمسلمين حين اعتصموا بالله وراء الخندق . أما ما كان قبل ذلك وما كان بعده من سيرة الصحابى نعيم بن مسعود الأشجعي فهو ما نذكره اليوم .

ونعيم بن مسعود من بنى أشجع ابن ريث بن غطفان ، وعلى ذلك فقد كانت منازل قبيلته في نجد . وتدلنا أخباره على أنه كان نشيطا كثير الحركة فهو يظهر مرة في مكة وأخرى في المدينة وهكذا ، ولم تكن هذه ولا تلك من منازله . وقد كان قبل إسلامه كثير التردد على يهود المدينة من بنى النضير وبنى قريظة ، فكانوا يميزونه بالعطاء ، ولا تسعفنا الروايات عن سبب تلك الزيارات ولا العطاء وأغلب ظننا أنه كان مقابل خدمات يؤديها إليهم أقلها شأنا أن ينقل إليهم أخبار قبائل شبه الجزيرة .

وأول ما يطالعنا من أخبار نعيم أنه قدم ــ وهو مازال مشركا ــ على كنانة بن أبى الحقيق في بنى النضير فشرب معه الخمر حتى سكر وكان في المجلس سليط بن النعمان ــ أحد الصحابة ــ يشرب معهم ولم تكن الخمر قد حرمت . فذكر نعيم والخمر تدور برأسه أن عير قريش خرجت من مكة عليها صفوان بن أمية تحمل تجارتهم وأموالهم الى الشام وأنه قد تنكب عن جادة الطريق فسلك على جهة العراق خوفا من أن يعترضهم المسلمون . فقام سليط من ساعته وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما سمع ، فأرسل النبي زيد بن حارثة على سرية إلى القردة من أرض نجد (وهي بين الربذة والغمرة ناحية ذات عرق) فسار لهلال جمادى الآخرة من العام الثالث في مائة راكب ، فأصابوا العير وأسروا دليلهم فرات بن حيان وأفلت أعيان القوم فقدم زيد بالعير فخمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ الخمس عشرين ألف درهم وقسم ما بقي على أهل السرية .

وبعد نحو من أربعة أشهر كانت موقعة أحد فأوقع المشركون بالمسلمين ، وفي انصرافهم صاح أبو سفيان « يوم بيوم بدر وموعدنا العام القادم ». فلما كان الموعد بعد عام نجد صاحبنا نعيم بن مسعود قد جاء مكة معتمرا ، فقالوا : يانعيم من أين كان وجهك ؟ قال : من يثرب . قالوا : وهل رأيت لمحمد حركة ؟ قال : تركته على تعبئة لغزوكم . قال أبو سفيان : يانعيم إن هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام ترعى فيه الابل الشجر ونشرب فيه اللبن ، وقد جاء

أوان محمد ، فالحق بالمدينة فثبطهم وأعلمهم أنا في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ، فيأتي الخلف منهم أحب إلى من أن يأتي من قبلنا ، ولك عشر فرائض أضعها لك في يد سهيل بن عمرو ويضمنها . وجاء سهيل بن عمرو فسأله نعيم : ياأبا يزيد ، تضمن هذه الفرائض وأنطلق إلى محمد فأثبطه ؟ قال : نعم . فخرج نعيم حتى قدم المدينة فوجد المسلمين يتجهزون ، فتدسس لهم وقال ليس هذا برأي ! ألم يجرح محمد في نفسه ؟ ألم يقتل أصحابه ؟ فثبط الناس حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال والذي نفسى بيده لو لم يخرج معي أحد لخرجت وحدي ». فخرج المسلمون وحملوا معهم تجارات فأصابوا للدرهم درهمين ولم يلقوا عدوهم . هذه هي بدر الموعد ، وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها في كل عام ثمانية أيام .

ويجئ شوال العام الرابع وقد نجح اليهود في تكتيل قبائل الشرك فسارت الأحزاب من قريش وغطفان وأسد تريد غزو المدينة . يروى نعيم ما قام به فيقول : كنت أقدم على كعب بن أسد ببنى قريظة فأقيم عندهم الأيام أشرب من شرابهم وآكل من طعامهم ثم يحملوني تمرا على ركابي ما كانت فأرجع به إلى أهلي . فلما سارت الأحزاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرت مع قومي وأنا على ديني ذلك . وكان رسول الله بي عارفا ، فقذف الله في قلبى الاسلام فكتمت ذلك قومي ، وأخرج حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء فأجده يصلى ، فلما رآني جلس ثم قال « ما جاء بك يانعيم ؟» قلت : جئت أصدقك وأشهد أن ما جئت به حق ، فمرني بما شئت يارسول الله . قال « ما استطعت أن تخذل عنا الناس فخذل ». قلت : ولكن يارسول الله أنى أقول ؟ قال « قل ما بدا لك فأنت في حل » . فذهبت الى بني قريظة فقلت : اكتموا عني اكتموا عني . قالوا : نفعل . فقلت : إن قريشا وغطفان على الانصراف عن محمد ، إن أصابوا فرصة انتهزوها وإلا استمروا إلى بلادهم ، فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا . قالوا : أشرت بالرأي علينا والنصح لنا .

ثم خرج نعيم إلى أبي سفيان فقال : قد جئتك بنصيحة فاكتم عني . قال : أفعل . قال : تعلم أن قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وأرادوا إصلاحه ومراجعته ، أرسلوا إليه وأنا عندهم إنا سنأخذ من قريش وغطفان سبعين رجلا من أشرافهم ونسلمهم إليك تضرب أعناقهم ونكون معك على قريش وغطفان حتى نردهم عنك ، وترد جناحنا الذي كسرت الى ديارهم (يعني بنى النضير) فان بعثوا اليكم يسألونكم رهنا فلا تدفعوا إليهم أحدا واحذروهم . (ثم أتى غطفان فقال لهم مثل ما قال لقريش وكان رجلا منهم فصدقوه) وأرسلت قريظة الى قريش : إنا والله ما نخرج فنقاتل

معكم محمدا حتى تعطونا رهنا منكم يكـــونون عندنا ، فانا نتخوف أن تنكشفوا وتدعونا ومحمدا . فقال أبو سفيان : هذا ما قال نعيم . وأرسلوا الى غطفان بمثل ما أرسلوا الى قريش فقالوا لهم مثل ذلك ، وقالوا جميعا : إنا والله ما نعطيكـم رهنا ولكـن اخرجوا فقاتلوا معنا . فقالت يهود : نحلف بالتوارة إن الخبر الذي قال نعيم لحق . وجعلت قريش وغطفان يقولون : الخبر ما قال نعيم . ويئس هؤلاء من نصر هؤلاء وهؤلاء من نصر هؤلاء واختلف أمرهم وتفرقوا . فكان نعيم يقول : أنا خذلت بين الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه وأنا أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على سره . في هذه الغزوة نجد نعيما قد وفق كل التوفيق وهو مسلم ، فيما فشل فيه وهو مشرك وهو قيامه بمهمة الطابور الخامس وراء الصفوف .

بعد ذلك ترك نعيم منازل قبيلته وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن المدينة وكانت ذريته بها من بعده ، وكـــان صحيح الاسلام يغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبعـث الـرسول نعيم بن مسعود ومعقــل بن سنان الى بنى أشجع يأمرانهم بالحضور الى المدينة في التجهيز لفتح مكـــة ، فجاء من أشجع ثلاثمائة كانوا في جيش الرسول على لواءين حمــل أحدهما نعيم وحمل الثاني معقــل . ومرت أشجع مع الجيش أمام أبي سفيان فسأل العباس بن عبدالمطلب : من هؤلاء ؟ قال : بنو أشجع . قال أبو سفيان : هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد ! قال العباس : أدخل اللــه قلوبهم الاسلام فهذا من فضل الله . كذلك أرسل النبى صلى اللــه عليه وسلم نعيما إلى أشجع في رجب ٩هــ يستنفرها لغزوة تبوك . وفي العام الحادي عشر بدأت الـردة تطــل بوجههـــا ، فبعــث الـرسول بعض أصحابه في هذا الأمر فكان ممن بعث نعيم بن مسعود أرسله الى ابن ذى اللحية وابــن مشيمصة الجبيري . وروى سلمة بن نعيم بن مسعود عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين قرأ كتاب مسيلمة قال للرسولين : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال . فقال صلى الله عليه وسلم : لولا أن الرسل لا تقتــل لضربت أعناقكما . ولعلنا نلمح في استخدام الرسول لنعيم في بعض الحرب أنه كان يرى إمكان الاعتماد عليه في هذا المجال .

وفي عهد الخليفتين أبى بكر وعمر انطلقت جيوش المسلمين في حركـــة الفتوح الـــكبرى في اتجاهـــين أساسيين ، اتجاه المشرق من خلال العراق ومن بعده ايران حتى ما يعرف اليوم بباكستان وامتد شمالا حتى أرمينيا وتركستان ، واتجاه الغرب الذي بدأ بالشام ثم مصر وليبيا حتى شمال افريقيا . وساح الصحابة رضوان الله عليهم في هذا أو ذاك يقودون وحدات تلك الجيوش المظفرة . فكان نعيم بن مسعود مع جيش سعد بن أبي وقاص الــذي اقتحم مدائن كسرى وأنزل « يزدجرد

الثالث » آخر ملوكهم عن عرش آبائه وأجداده وشرده في البلاد . ولم تنته الحرب مع الفرس بسقوط المدائن وإنما استمروا يقاومون ويعيدون تجييش الجيوش للقيام بهجوم مضاد المرة تلو الأخرى . وتشعب الفتح تبعا لذلك الى عدة شعب . فشعبة سايرت الفرات نحو « هيث » و « قرقيسياء » وشعبة سايرت دجلة نحو « تكريت » و « الموصل » و « نينوى »، وشعبة اتجهت نحو جموع الفرس الرئيسية في « جلولاء » ثم « حلوان »، كما اتجهت قوة الى « ماسبذان من أرض ايران ». كل ذلك انبثق من جبهة المدائن التي تقع على نهر دجلة الى الجنوب من موقع بغداد .

ولكن عمر فتح على الفرس جبهة ثانية في الجنوب فوجه جيوشه نحو شط العرب وكان قائده هناك عتبة بن غزوان . كان الغرض الاساسي المحدد لعتبة هو تثبيت القوات الفارسية هناك للحيلولة دون اشتراكهم في الدفاع عن المناطق التي يجرى غزوها في الشمال . ولكن نجاح عتبة كان فائقا حتى أنه غزا المنطقة فسقطت « الأبلة » في يده وأقام قاعدة البصرة الحربية . وكان واحد من أشد قادة الفرس مراسا هو « هرمزان » يقف « بالأهواز » من وراء أسفل دجلة وشط العرب يجمع جنده ويغير على ما فتح المسلمون بأسفل العراق من نهر « تيرى » الى « ميسان » (جهة العمارة) ومن « مناذر » الى « دست ميسان » (شرقي شط العرب بجهة البصرة).

وطلب عتبة المدد فأمده سعد بن أبى وقاص بنعيم بن مقرن المزنى وبنعيم بن مسعود الأشجعي في قواتهما ، وأمرهما أن يأتيا أعلى ميسان ودست ميسان حتى يكونا بين عتبة وبين نهر تيرى . وبعث عتبة سلمى بن القين وحرملة بن مريطة حتى نزلا على حدود ميسان ودست ميسان بين نعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود وبين مناذر . وفي الموعد المحدد فيما بينهم تحرك القادة الأربعة بقواتهم ، سلمى وحرملة ونعيم ونعيم فالتقوا بجيش هرمزان الكبير بين دلث ونهر تيرى فاقتتلوا . وانهزم هرمزان وقتل كثير من جنده فانسحب حتى شاطئ دجيل (نهر كارون حاليا) وطلب هرمزان الصلح فأجيب الى طلبه . ثم نقض هرمزان صلحه فتجدد القتال وعاد المسلمون يهزمونه ويطاردونه حتى رامهرمز فعاد يطلب الصلح وأجابه المسلمون مرة أخرى . ثم عاد وانتقض فانهزم ووقع في أسر المسلمين فأرسلوه الى عمر . هرمزان هذا هو صاحب القول المشهور « عدلت فأمنت فنمت » ونرجو أن تكون لنا عودة نقدم فيها هرمزان هذا الى القراء . هذه المعارك التي أجملنا ذكرها هنا نجد تفاصيلها في دراسات حركة الفتوح .

لا ندرى متى عاد نعيم الى المدينة ولكن من المعلوم أنه توفى بها في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وتذهب رواية الى أنه قتل في يوم الجمل الأول قبل قدوم على رضى الله عنه مع مجاشع بن مسعود السلمى .

ما عند الله خير

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب يوم الجمعة ، فجاءت قافلة تحمل شيئا من متاع الحياة ، فانصرف الناس اليها . ولم يبق إلا اثنا عشر رجلا ، فنزل قوله تعالى في آخر سورة الجمعة : (**إذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين**) .

الشيطان .. ومداخله

قيل إن إبليس ظهر لعيسى عليه السلام ، فقال له : ألست تقول : لن يصيبك إلا ما كتب الله عليك ؟ قال : بلى . قال : فارم نفسك من ذروة هذا الجبل ، فاذا قدر الله لك السلامة تسلم ، فقال له : يا ملعون ، إن الله تعالى يختبر عباده ، وليس لعبد أن يختبر ربه .

دعاء له

قالت امرأة لرجل أحسن إليها : أذل الله كل عدو لك إلا نفسك ، وجعل نعمته عليك هبة لك لا عارية عندك ، وأعاذك الله من بطر الغنى وذل الفقر ، وفرغك الله لما خلقك له ، ولا شغلك بما تكفل به لك .

عطاء .. لا يريده أحد

قال رجل لأحمد بن خالد الوزير : لقد أعطيت ما لم يعطه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وكيف ذلك يا أحمق ؟. قال : لأن الله تعالى يقول لنبيه : « **ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك** » وأنت فظ غليظ ، ونحن لا نبرح من حولك .

السجن

روى أن يوسف عليه السلام لما خرج من السجن كتب على بابه : هذا قبر الأحياء ، وشماتة الأعداء ، وتجربة الأصدقاء .

رجل ثقيل .. وحمل ثقيل

سئل حكيم : ما بال الرجل الثقيل أثقل على الطبع من الحمل الثقيل ؟ فقال : لأن الحمل الثقيل يقع عبؤه على الروح والجسد معا ، أما الرجل الثقيل فتنفرد الروح بحمله .

جوار يباع ويشترى

شغلت الحياة بمتطلباتها الناس ، فارتخت حبال المودة بينهم إن لم تكن تقطعت ، واتحدت مساكن الجيران في مداخلها وحوائطها ، ومع هذا القرب القريب تباعد القوم فلا أحد يعرف عن جاره شيئا .. فالى هذا الواقع المؤلم نسوق هذا الموقف في زمن رحم الله أصحابه .

أراد ابن أبي الجهم أن يبيع داره ، فأعطاه المشترى فيها مائة ألف درهم . فقال البائع للمشترى : وبكم تشترى جوار سعيد بن العاص ؟. قال المشترى : ما رأيت جوارا يباع ! فرجع ابن أبي الجهم عن البيع وقال : لا أدع جوار رجل يحب معاونتى ، إن غبت سأل عني ، وإن رآنى رحب بي ، وإن سألته أعطاني ، وإن لم أسأله ابتدانى بالعطاء .

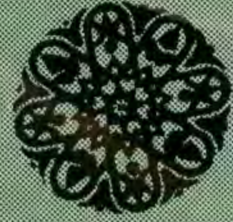
فلما بلغ ذلك سعيدا بعث إليه بالثمن ، وأبقاه في داره .

فهل هناك في عالمنا اليوم مثل هذا الجوار ؟!

النصح والمشورة

قال الشاعر :

تمسك بأهداب المشورة واستعن بحزم نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فريش الخوافى قوة للقوادم



الوحدة الوطنية والتيار الواحد بين الماضي والحاضر

للأستاذ سالم البهنساوي

ظهر أخيرا كتاب للشيخ الدكتور/محمد عمارة والكتاب باسم (الاسلام والوحدة الوطنية) الصادر عن دار الهلال في ربيع أول ١٣٩٩/فبراير ١٩٧٩م العدد ٣٣٨ زعم فيه أن الألوهية والعمل الصالح والحساب والجزاء هى أصول الدين الواحد ، أما تعدد الأنبياء والرسل فهذه مناهج ووسائل للتدين لا تمنع دخول أصحاب هذه الديانات الجنة حتى لو ظلوا على شريعتهم بعد بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأن الفارق بين المسلمين وأهل الديانات السابقة كالفارق بين العاملين بالكتاب والسنة والمبتدعين . وزعم أن الفوز بأجر الله وثوابه والنجاة من العذاب الذي تحدث عنه القرآن في وعيده الذي توعد به العصاة ـ كل ذلك حق وعد به الله سبحانه المسلمين المؤمنين بالشريعة الاسلامية والمؤمنين بالدين الالهي مطلقا ـ سواء منهم الذين آمنوا بشريعة محمد أم موسى أم عيسى لقول الله تعالى : (**ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) البقرة/٦٢

ثم قال : ولقد يحسب البعض أن هؤلاء المبشرين بالنجاة من أتباع الشرائع السماوية هم من عاشوا وماتوا قبل البعثة المحمدية ، أما من أدرك هذه البعثة أو جاء بعدها فلن ينفعه الايمان بالله والآخرة والعمل الصالح الا اذا آمن بشريعة محمد . قد يحسب البعض هذا . ولكننا نجد في القرآن ما يقطع بأن اختلاف الشرائع السماوية حتى بعد البعثة المحمدية لن يحول بين فرائقها وبين النجاة ص ١١٣ ، ١١٤ .

استدلال معكوس

والآيات التي يستدل بها الشيخ هى قول الله تعالى : « **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين . فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين**) المائدة/٨٢ ٨٥ .

والاستدلال المعكوس من الشيخ هو قوله إن الآية « **وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق** » ومعناها شريعة عيسى التي جاءتهم وان الآية تتحدث عن طائفة نصرانية ظلت على نصرانيتها وكانت علاقاتهم بالمسلمين من طابع المودة والموالاة لهذا كانوا من أهل المثوبة بالخلود في الجنات التي تجرى من تحتها الأنهار ص ١١٥ . أي على الرغم من عدم إيمانهم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

موطن التحريف

إن القرآن الكريم والسنة النبوية لا يمكن أن يتناقضا لأن مصدرهما واحد وهو الله تبارك وتعالى الذي قال عن نبيه : (**وما ينطق عن الهوى . إن هو الا وحي يوحى**) النجم ٣و٤ وفي هذا روى الامام احمد عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوما يتدارءون في القرآن فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا ، فلا تكذبوا بعضه ببعض ، فما علمتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم فكلوه الى عالمه).

والشيخ عمارة أراد أن يخدم أوضاعا وأقواما لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ، فحرف معنى الآية ٦٢ من سورة البقرة والآية المماثلة لها وهي ٦٩ من سورة المائدة ، فجعلها تناقض باقي ما ورد في القرآن والسنة النبوية عن اليهود والنصارى .

فهذه الآية تبشر اليهود والنصارى وكل من آمن برسالة سابقة على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بأن (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

والمعنى الذي أجمع عليه المسلمون هو أن من صدق منهم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وآمن بها وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم وهذا يؤكده قول الله تعالى (**ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتينه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته**) الحديد/ ٢٧ ، ٢٨ .

ويؤكد ذلك قول الله تعالى:(**إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد**) الحج/ ١٧ .

فهذه الفئات هي نفسها التي قال الله عنها:(**من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ...**).

والمعنى في الآيتين :

أن الذين آمنوا من هؤلاء برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وعملوا صالحا فهم من أهل الجنة ، ومن ظل

على إيمانه بالرسالة السابقة وكفر بالرسالات التالية وآخرها رسالة خاتم النبيين ، فالله يفصل بينهم يوم القيامة فيدخل الذين آمنوا الجنة ويدخل غيرهم النار كما هو مدلول آية سورة الحج (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ص ٢٠٨ وتفسير البيان للطوسى ص ٢٦٧ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ص ٣٩٨).

علامات التحريف والافتراء :

إن المستقرئ للقرآن الكريم من غير المسلمين يتضح له أن الذين يقولون بالدين الموحد الذي يضم الاسلام واليهودية والمسيحية ويسوى بينهم في الجنة بدعوى اتفاقهم على الايمان بالله تعالى ، هؤلاء يحرفون الكلم عن مواضعه ويفترون على الله ورسوله وعلى الناس جميعا لأسباب لا تحصى ، نذكر منها :

١) أن هذه الأية التي استشهد بها الشيخ محمد عمارة ويستشهد بها كل من يريد مجاملة اليهود والنصارى على حساب الله ورسوله والقرآن المنزل من عند الله تعالى وردت مرة أخرى في سورة المائدة برقم ٦٩ مسبوقة بتحذير من الله لأهل الكتاب وهم اليهود والنصارى بأن يكفوا عن تحريف التوراة والانجيل . ويكون ذلك بالعمل بهما وبالايمان بما أنزل اليهم بعدهما وهو القرآن ، قال الله تعالى : (**قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين . إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) المائدة /٦٨ و ٦٩ .

٢) الآية من سورة المائدة وهى (**لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم**)المائدة /٧٢ وقوله تعالى (**لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة**) المائدة ٧٣ .

٣) كما بين القرآن بعد ذلك أن الله قد سخط عليهم لموالاتهم المشركين ولعدم إيمانهم بالقرآن والنبي فقال تعالى (**ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون**) المائدة /٨٠ و ٨١ .

ثم أعقب ذلك بالتفرقة بين اليهود والنصارى مبينا أن من النصارى قسيسين ورهبانا لا يستكبرون عن الحق المنزل على خاتم النبيين ويعلنون ايمانهم بما سمعوه من الرسول الذي أسمعهم القرآن (وليس الانجيل) لهذا قال الله : (**فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم**) المائدة ٨٥ ـ ٨٦

٤) من هذا يتضح عدم صحة ما ذكره الشيخ محمد عمارة وتحريفه آيات

القرآن الكريم بما زعم من أن النصارى الذين لا يؤمنون بالقرآن ، قد شهد القرآن لهم بالرضوان والمغفرة وأنهم من أهل الجنة استنادا الى قول الله تعالى (**فأثابهم الله بما قالوا جنات**) الآية/٨٥ والآية لم تحكم لهم جميعا بهذا الثواب بل للذين صدقوا النبي صلى الله عليه وسلم .

كما حرف الشيخ عمارة آيات سورة المائدة السابق ذكرها فزعم أن قول الله : (**مما عرفوا من الحق**) يراد به ما ورد في الانجيل الموجود بين أيديهم وقت نزول الايات وهو الانجيل الوارد به عقيدة التثليث التي قال الله تعالى عنها : (**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة**).

٥) وتعمد هذا الشيخ إغفال ما يبين أن هذا الحق هو القرآن لأنه مسبوق بقول الله تعالى : (**واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق**) المائدة/٨٣ . فالحق الذي عرفوا هو الذي سمعوا وهو ما أنزل الى الرسول وهو القرآن وليس الانجيل كما زعم الشيخ .

وقول الله على لسانهم : (**وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق**) مرتبط بما سمعوه من القرآن فالايمان هنا هو الايمان بالقرآن والنبي وليس الايمان بالانجيل المحرف وما به من عقيدة التثليث.

٦)إن اللعبة التي أرادها الشيخ هو الزعم بأن هذا الثواب لجميع النصارى وهو يعلم أن الله أثابهم على هذا الايمان جنات خالدين فيها ، ولو كان هذا الجزاء لايمانهم بما جاء في كتبهم لكان هذا معارضا صراحة لسياق هذه الآيات لأن ما جاء قبلها وبعدها يؤكد كفر أصحاب عقيدة التثليث وأن مصيرهم النار ، وبالتالي فان الجزاء الجديد وهو الجنة كان لشئ آخر غير الايمان بهذه الكتب الا وهو الايمان بما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم وهو القرآن الكريم والذي فاضت أعينهم دمعا مما جاء فيه من الحق .

٧) وأخيرا وليس آخرا فإن آيات القرآن الكريم الأخرى تؤكد هذا المعنى ونكتفي منها بقول الله تعالى (**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**) الآية ٢٩ من سورة التوبة .

والجزية هى ضريبة سنوية تؤخذ من أهل الكتاب الذين يقيمون في الدولة الاسلامية وذلك مقابل عدم تجنيدهم في الجيوش ومقابل الدفاع عنهم .

وهذه ليست ضريبة رأس كتلك التي كانت تفرضها الجيوش على أهل البلاد التي اغتصبت واحتلت لأنها تفترق عنها في السبب سالف الذكر وفي أنها لا تفرض على النساء والشيوخ المسنين والصبيان الصغار كما يعفى منها غير القادرين من الرجال .

تضليل آخر :

ولكن مع هذا فالشيخ عمارة تقربا

منه لليهود والنصارى ، زعم أن الآية التي فرضت الجزية على أهل الكتاب نزلت في طائفة خاصة من اليهود والنصارى لا تدين بالتوحيد ولا تؤمن بالله واليوم الآخر . وأهل الكتاب لا ينطبق عليهم هذه الآية فقد نزلت في أهل الروم في غزوة تبوك والغرض منها حث المسلمين على الرضا بآية منع المشركين من الحج وقد كانوا يجلبون الأموال والمنافع للمسلمين . ص ٨٤ .

وأمام هذا التضليل .

فان الآية التالية قد قطعت بعقيدة أهل الكتاب الفاسدة والتي تجعلهم لا يعدون من المؤمنين بالله واليوم الآخر حيث قال الله تعالى عنهم : **(وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أني يؤفكون)** الآية ٣٠ من سورة التوبة .

فليس صحيحا أن الآية نزلت في فئة خاصة ليست من صنف أهل الكتاب لأن القرآن صريح في أمره أخذ الجزية من أهل الكتاب بجميع طوائفهم والسبب الذي زعمه الشيخ عمارة لم يرد في أي حديث نبوي (تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٩٨) وتفسير البيان للطوسى ج ٥ ص ٢٠٢ .

والجزية أخذها المسلمون من أهل الروم ومن غيرهم من أهل الكتاب فليست خاصة بفئة معينة .

بدعة التوفيق بين الاسلام والمسيحية :

عندما كانت البلاد الاسلامية تحت الاحتلال الانجليزي أو الفرنسي كانت تتردد في بعض الفترات بدعة التوفيق بين الاسلام والمسيحية وقد دعا الى ذلك قديما « ويلفرد بلنت » (المتوفى سنة ١٩٢٢م) واسحق تيلور الذي التقى بالشيخ محمد عبده في دمشق سنة ١٨٨٣م وحاول إقناعه بهذه الفكرة هو وصديق له يدعى محمد الباقر ، وقد روى الشيخ محمد رشيد رضا هذه القصة في كتابه تاريخ الأستاذ الامام حيث أوضح أن محمد الباقر كان مذبذبا وتردد بين الاسلام والمسيحية وتنصر ثم عاد وأعلن توبته وعودته الى الاسلام وأخذ يدعو للتوفيق بين الاسلام والمسيحية على أساس ما وجد عند الكنيسة الانجيلية .

وقد ذكر الدكتور محمد حسين في كتابه الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر تحت عنوان دعوات هدامة : أن أحد الفرنسيين زار مصر في أوائل هذا القرن وأخذ يفاوض شيوخ الاسلام لتوحيد الأديان فأهمله الشيخ حسن الطويل ولم يرد عليه .

وفي مجلة الهلال عدد مارس سنة ١٩٣٩م (شهر المحرم سنة ١٣٥٨هـ) تحت عنوان . (هل يمكن توحيد الاسلام والمسيحية) نقل عن القمص سرجيوس أن هذه الدعوة باطلة ولا يمكن تحقيقها وفي عدد أغسطس من نفس العام كتب الشيخ الفيشاوي من علماء غزة أن

التوفيق بين المسيحية والاسلام لا يكون الا بدخول المسيحيين في الاسلام فالأناجيل لو فهمت فهما صحيحا لا تعارض الاسلام وكل مسلم يؤمن بعيسى وسائر الانبياء .

تعطيل الشريعة الاسلامية :

إن الغرض الرئيسي من هذا التحريف الذي تبناه الشيخ عمارة قد أفصح عنه في قوله : « إن جمهور المتحدثين باسم الدين وجمهرة الباحثين فيه وعامة المسلمين يدعون إلى تطبيق الشريعة الاسلامية على مجتمعات تضم رعايا غير مسلمين ... وهذا الطلب يمثل خروجا عن سنة الله في كونه وقانونه في خلقه : تعدد الشرائع الدينية لتعدد أمم الرسالات ص ٦٤ .

وزعم أن هذا منهج الرسول والخلفاء وقال : « إن المسلمين الأوائل على عهد الخلافة الراشدة عندما كانوا يفتحون البلاد ويضمونها الى الدولة فانهم كانوا يميزون بين قطاعين من التشريعات في تعاملهم مع هؤلاء الرعايا الجدد غير المسلمين ، فبعد الفتح تدخل البلاد المفتوحة في إطار الدولة الواحدة التي تخضع جميعها لقوانين متحدة ، تنظم أمور الحرب والسلم والأمن والمال .. الخ على حين لم يكن الأمر كذلك في مسائل الدين وأيضا الشريعة فلقد تركت الحرية للرعايا غير المسلمين في عقائدهم وفي شرائعهم الأمر الذي يشهد أن الشرائع متعددة وليست واحدة وأنه لذلك فلا حق لأبناء شريعة في فرض شريعتهم على أبناء الشريعة الأخرى ماداموا جميعا أصحاب شرائع إلهية ص ٦٦ .

ولقد استشهد الشيخ عمارة ببنود المعاهدات في عهد الخلفاء حيث إن بها (لا يحال بينهم وبين شرائعهم) (لهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وملتهم وشرائعهم ، لا يغير شيء من ذلك هو اليهم) ص ٦٧ .

ثم جعل الشيخ المعاملات من الأمور الدنيوية التي لا يحكمها دين ويوجدها الوطن الذي هو محور ولاء الجميع ص ١٨٩ .

موطن التضليل :

إن قمة التضليل في هذا الكلام ، هو أن الدين الالهي الواحد قد ابتدعه بعض اليهود والنصارى لتحويل المسلمين عن دينهم ولو كان لدى أصحاب هذه الدعوى أدنى درجة من الصدق لاتبعوا الرسالة الخاتمة وتركوا مزاعمهم ان الله ثالث ثلاثة أو أن عيسى ابن الله أو أن عزيرا ابن الله أو أن اليهود أبناء الله وشعبه المختار .

إن هذا الدين الالهي الواحد ، لا وجود له عند المسلمين واليهود والنصارى ولكنه وسيلة عند الشيخ عمارة ليحقق به أهدافا معلومة .

كما أنه ليس صحيحا ما زعمه بأن الانجيل تضمن شريعة في فقه المعاملات كان يرجع اليها النصارى ، فالأنجيل جاء خاليا من أي تشريع في أمور الدنيا ، ولهذا يتبع النصارى في كل دولة تشريع هذه

الدولة عن طاعة وقناعة **بل ذهب الى السعودية في العام الماضي وفد من فرنسا على رأسه وزير العدل وصرح بأنهم يرغبون في أخذ نظام المعاملات والمواريث في الشريعة الاسلامية للعمل بها .**

وليس صحيحا أن المعاملات من الأمور الدنيوية التي لا يحكمها دين لأنه لا خلاف بين المسلمين وأعدائهم في أن الاسلام تضمن تنظيم الشئون الدنيوية في مجال المعاملات المالية والتجارية والأمور المدنية .

والثابت في السنة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم واجه عدى بن حاتم وكان من علماء النصارى بحقيقة كفرهم في المعاملات المالية والدنيوية إذ روى عنه الترمذي انه عندما دخل على النبي ليعلن إسلامه قرأ النبي عليه قوله تعالى : **(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)** التوبة /٣١ قال عدى : ما عبدناهم . قال النبي : ألم يحلوا لكم الحرام ويحرموا عليكم الحلال فتتبعوهم .

قال عدى: بلى ، قال النبى : فتلك عبادتهم من دون الله).

أهل الكتاب يكذبون عمارة :

بل إن العلماء من أهل الكتاب يصرحون بأن الاسلام دين شامل لأمور الدنيا كلها وأنه أصلح الشرائع والقوانين .

مجلة الدعوة الصادرة في القاهرة في شعبان ١٣٩٦هـ (أغسطس ١٩٧٦م) نقلت ما نشرته صحف القاهرة للكاتب المسيحي الاستاذ سامي داود الذي قال : « إن وزير العدل المستشار احمد سميح طلعت صرح بأن إقامة الحدود الشرعية ستكون قاصرة على المسلمين أما المسيحيون فسيطبق عليهم القانون الوضعي ، وهذا الذي ذكره الوزير من شأنه أن يفصم الوحدة القانونية التي ظلت تحفظ وحدة المسلمين والمسيحيين على مر العصور وبأي ضمير يحكم القاضي على المسلم اذا سرق بقطع يده بينما يحكم على المسيحي اذا سرق بالحبس بضعة أشهر ، ثم قال : « إن ما يتضمنه القانون المدني من مواد تستند الى الشريعة الاسلامية ومنها ما يتعلق بالمواريث وهو أهم وأخطر على علاقات الأسر يطبق على الجميع ، فهل شكا أحد من ذلك ؟

وفي العدد التاسع من المجلة المذكورة الصادرة في غرة ربيع الأول سنة ١٣٩٧هـ (فبراير ١٩٧٧م) نشرت تحقيقا تضمن رأي علماء المسيحيين في مصر عن تطبيق الشريعة الاسلامية فنقلت قول الكاردينال / اصطفانوس بطريرك الأقباط الكاثوليك « إن تطبيق حدود الشريعة الاسلامية ضروري على الشخص وعلى المجتمع حتى تستقيم الأمور وينصلح حال الناس ، وليس في تطبيقها أبدا ما يمس حقوق المسيحيين أو يضايقهم والذي يحترم الشريعة الاسلامية يحترم جميع الأديان » ونقلت المجلة عن الأنبا غريغريوس ممثل الأقباط الأرثوذكس

قولــه : « إن تطبيـــق الشريعـــة الاسلامية في مصر أمر لا شك فيه ولا اعتراض عليه ـ وقال على الرغم من أن الديانـــة المسيحيـــة ليس في نصوصها قطع يد السارق أو قتل القاتل إلا ان المسيحيين لا يعارضون في تطبيق حدود الشريعة الاسلامية في مصر ».

كما نقلت المجلة عن القس برسوم شحاته وكيل الطائفة الانجيليـة في مصر قوله : « لابد من تطبيق حدود الشريعة الاسلامية لتحقيق العدالـة والسلام والحب في المجتمع ».

أهل الذمة وعهد الأمان :

لقد استشهـد الشيـخ عمـارة بعبارات وردت في عهود الخلفاء لأهل الذمة الذين ارتضوا حكم الاسلام وزعم أنها تعنى أن يطبـق هؤلاء شرائعهم في المعاملات الدنيوية .

والشيخ لا يجهل أن شرائعهـم ليست فيها نصوص في هذا الشأن ولا يجهل أنه لم يحـدث في التاريـخ الاسلامي كلـه أن كانـت لليهـود والنصارى شرائع خاصة في المعاملات المالية على الرغم من أن الاسلام لا يجبرهم على حكمه في هذه المعاملات ولكن ان التجأوا الى القاضي المسلم حكم بالاسلام لأنهم ارتضوا حكم الاسلام بهذا التحاكم .

أما الحدود وهى العقوبـات فلا توجد دولة في العالم تسمح باستثناء واحد من هذه العقوبات وهذا يسمى في الفقه القانوني المعـاصر بمبـدأ إقليمية القوانين .

وقد شهد ممثلو النصارى في مصر بما يكذب الشيخ عمارة ويفسر معنى هذه العهود وحسبنـا قول وكيـل الطائفة الانجيلية فيما نشرته مجلة الدعوة بنفس العدد سالف الذكر « في كل عهد أو حكم إسلامـي التـزم المسلمـون فيـه بمبـادئ الديـن الاسلامي كانوا يشملون رعاياهم من غير المسلمين والمسيحيين على وجـه الخصـوص بكل أسبـاب الحريـة والأمن ».

أما ممثل الأقبـاط الأرثـونكس فيقول : « لقد لقيت الأقليات غـير المسلمة ـ المسيحيون بالذات ـ في ظل الحكم الاسلامي كل حرية وسلام وأمن في دينها ومالها وعرضها حيث كانـت تتجلى روح الاسـلام السمحة » .

وأما بطريرك الأقباط الكاثوليـك فقد قال : « لقد وجدت الديانـات الأخرى والمسيحية بالـذات في كل العصور التي كان الحكم الاسلامي فيها قائما بصورته الصادقة ، ما لم تلقه في ظل أي نظام آخر من حيث الأمان والاطمئنان في دينها ومالها وعرضها وحريتها ».

وبعد :

نأمل أن يدرك ذلك الشيخ محمد عمارة ويرجع عن مزاعمه وافتراءاته ومنهـا ادعـاؤه وجـود اضطهـاد للمسيحيين في العصور الاسلامية .

كما نأمل أن يدرك ذلك المسلمون والمسيحيـون واليهـود حكامـا وشعوبا .

القرآن

مدخل إلى حياة العقل الإسلامي

للدكتور محمد أحمد العزب

١

يشكل القرآن الكريم محور الحركة الاسلامية منذ البدء وحتى يرث الله الارض ومن عليها ، فكل العلوم الاسلامية نبعت من محيطه ، وكل الفتح الاسلامي تم تحت رايته ، وكل العبقريات الاسلامية تخرجت في ظلاله .

وقد عرف المسلمون للقرآن الكريم هذه الوضعية التاريخية المعجزة ، فأحاطوه — منذ نزل — بقلوبهم حبا وتأملا عباديا ، وبعقولهم بحثا وتعمقا تنظيريا ، فكان لهم من ذلك كله ، هذا الرصيد الهائل الضخم من العلوم

والفنون والمعارف في شتى منــازع الفكر ومختلف جوانب الابداع .

ـ ٢ ـ

والذين يتصورون ان حركة الفكر العربي كانت ماضيــة الى غايتهــا التاريخية في ظل من حتمية التطور واندفاعه دائما نحو الأرقى والأكمل ، حتى ولو لم يجيء الاسلام حاملا بين يديه قرآنه العظيم ، واهمون أو هم خابطون ، لأن ذلك قد كان يمكن أن يكون لو ان الاسلام جاء استطرادا طبيعيا لمسـيرة الفـكر العربــي في اتجاهيه : المادي والمعنــوي ، لان احتمال الموافقة حينذاك كان يمكن أن يعطي احتمال الاستطراد التاريخي في الاتجاه نحو التطور الطبيعــي ... ولكن الذي حدث قد كان شيئا مغايرا تماما ، فالاسلام لم يجيء استطرادا طبيعيا للنمط الحياتــي أو النمــط الفكري الجاهلي ، بل هو على النقيض جاء مصادرة كاملة أو قل شبه كاملة لنوعية التعامل الفكري والحياتي في المجتمع العربي ، ربمــا باستثنــاء بعض الملامح الصميمة التي تمليها فطـرة الخلــق في بشريــة البشر ، وإنسانية الانسان ... أما ما عدا ذلك فقد جاء الاسلام بنقيضه تماما ، ليـؤسس عالما مغايـرا في الـــكم والكيف ، وليبــدأ من منطلــق هذا الانقلاب الشمولي حركة فكر جديدة ، تؤصل لعلوم جديدة وتقعد لنظريــة جديدة ، وقد اتخذ من القرآن الكريم محور حركته في كل هذه الاتجاهات ، مما يؤكد على أن الاسلام بدأ بالفعل يعطي للفكر العربي مضمونا مغايرا وجديدا ، ويبدأ به رحلة ابداع وتنظير جديدة ، ويضع له وبه من العلــوم النظرية والتطبيقية ما ينبــيء عن إسلامية خلقها وتشكيلها وتكامــل وجودهــا الموضوعــي ، بعيــدا عن استطراد تاريخي متوهم يمكن أن يكون به امتدادا للمسار الجاهلي في جانبه العقلي أو جانبه العقائدي .

ـ ٣ ـ

واذا قلنا إن القرآن الكريم بدأ هذا الفتح الفكري المسلم فليس هذا القول نابعا من تعصب عرقي أو عقائدي ، ولكنه تأمل موضوعي لظاهرة تاريخية فرضت حلولها على خريطة الواقــع الحي ، وفسحت للمسلمين بها مكانا عريضا وعميقا في مسـيرة الفـكر والابداع الانسانيــين وجعلــت من الحركة الاسلامية انعطافة بالتاريخ كله من مناطق العبودية والاجترار والتكرار ، الى مناطق التفجر والخلق والابتكار ، وهذا هو الحجم الحقيقي لأية ظاهرة أصيلة تنبع من صلابة نظرة كونيــة شاملــة ، وليس من هشاشة فكر عرضي خابط أو حتى بين متردد الخبط والاستواء !!

ـ ٤ ـ

ولأن المسلمين قد عرفوا للقرآن الكريم كل هذا الــدور الخطــير في تشكيل ملامح الظاهرة الاسلامية ، فقــد استقطبــوه تأمــلا ودراســة وتفسيرا ، وحاولــوا من خلال هذا الاستقطاب أن يلموا بجوانب إعجازه واكتنازه ، ولكن الأجيال الخالفــة كانت تجد دائما في القرآن مناطق لم تستوعبها جهود الأجيال السالفة ،

وستجد كل الأجيال ـ دائما ـ في هذا الكتاب المعجز الخالد ما يثير فكرها نحو مزيد من الابداع والفكر ، وما يحرك عقلها نحو مزيد من التنظير والتأصيل ، سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ـ ٥ ـ

لقد لحق النبي صلى الله عليه وسلم بربه والقرآن وديعة في صدور الرجال وفي عديد من الصحف المفرقة التي خطها كتاب الوحي ، واحجم ابو بكر الصديق ان يقدم على ما لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم من تدوين القرآن واثباته تعبدا وتحوطا ، ولكن فارس الفكر الاسلامي المقتدر عمر بن الخطاب سار الى ابي بكر وقد هاله كثرة القتلى من حملة القرآن في حروب الردة الطاحنة ، وقال له :

إن أصحاب رسول الله باليمامة يتهافتون تهافت الفراش في النار ، واني لأخشى ان لا يشهدوا موطنا الا فعلوا ذلك ، حتى يقتلوا ، وهم حملة القرآن ، فيضيع القرآن وينسى ، فلو جمعته وكتبته .. فنفر منها ابو بكر ، وقال : افعل ما لم يفعل رسول الله ؟ وتراجعا في ذلك . ثم ارسل ابو بكر الى زيد بن ثابت قال زيد : فدخلت عليه وعمر مسربل فقال لي ابو بكر : ان هذا قد دعاني الى امر فأبيت عليه ، وانت كاتب الوحي فان تكن معه اتبعتكما ، وان توافقني لا افعل ، فاقتص ابو بكر قول عمر ، وعمر ساكت ، فنفرت من ذلك ، وقلت : تفعل ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ الى ان قال عمر كلمة : وما عليكما لو فعلتما ذلك ؟ فذهبنا ننظر ، فقلنا : لاشيء والله ، ما علينا في ذلك شيء ، قال زيد : فأمرني ابو بكر فكتبته في قطع الأدم وكسر الأكتاف والعسب .

ـ ٦ ـ

هذا موقف ينبيء عن اتجاهين أساسيين اعتصم بهما الفكر الاسلامي الرائد حيال محور حركته ، القرآن الكريم : اتجاه محافظ يتحرج ان يفعل ما لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، حتى ولو كان هذا الفعل حياطة القرآن من مظنة الضياع والنسيان ... واتجاه واقعي جسور يتحرج هو الاخر ان يشل ارادته نحو صيانة قرآنه حتى ولو لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قد فعل مثل ذلك في حياته ..

وبعيدا عن جمود المذهبية او جمود الاقتناع الذاتي بصواب اتجاه معين ، يتشاور الرجلان الجليلان حول محور القضية المطروحة ، ويبدي كل منهما رأيه في هدوء علمي جليل ، وحين يحسان ان المسافة بينهما لا تقترب ، يستدعيان كاتب الوحي ويطرحان امامه القضية وموقف كل منهما حيالها ، ويطلبان اليه المشورة والرأي ، حتى اذا أنس الرجل من نفسه ميلا الى رأي دون رأي ، صدع به بلا مبالاة .. ولكن (كلمة) مقنعة من طرف ، تبدد غواشي التردد في نفس الطرف الاخر ، فاذا هو صادع للحق ، ماض الى انفاذ الرأي النقيض في بطولة فكرية رائعة .. اما موقف عمر في هدوئه

العلمي الرصين فينبغي ان يكون نمونجا يحتذى في كل حوار على كل مستوى وفي كل اتجاه ، فقد القى الى خليفته ابي بكر برأيه في القضية ، وظل معتصما بأدب الجندي ، صامتا في حومة الحوار الدائر بين الخليفة الاول وكاتب الوحي ، حتى اذا لاح له ان القضية توشك ان تتجمد بينه وبينهما ، لم يزد على ان قال : وما عليكما لو فعلتما نلك ؟ ويتسرب بهذه القولة الحكيمة الى اعماق الرجلين معا ، فيجدان في انفاذ ما اشار به ، وإمضاء ما رأى ورأيا من صواب .. وإننا لنحسبه قد خرج من مجلس الخليفة الاول وهو يتمتم بدعاء الشكر لله أن قيض لرأيه مساقة في قلب صاحبه أتاحت لرأيه أن يخرج من عالم الحلم الى عالم التحقق والحلول .

— ٧ —

وإذا دل هذا التحوط الحانر على شيء فانما يدل على تحرج بالغ حيال هذا الكتاب المعجز الخالد ، وعلى إحساس حقيقي بإلهية هذا القرآن الكريم الذي تلقفه المسلمون بعقولهم وقلوبهم مطرا سماويا جليلا يخصب الجدب ويحول وجهة التاريخ ..

وقد تفيق حركة الالحاد العالمي المعاصر على إيقاع مثل هذه الحقائق البادهة ، فلو أن طلائع الصحابة النين عايشوا النبي صلى الله عليه وسلم كانت تتسرب اليهم نرة من الشك في إلهية القرآن لما أحسوا نحوه ، وقد لحق الرسول بربه ، بكل هذا التحرج البالغ ولبدا من بعضهم بصيص من جراءة ينفرد بها حتى في جمع القرآن وتدوينه ، وهو الامر الذي لا يضير القرآن في شيء ... ان هذا التحرج في امر ظاهر الطهارة والبراءة ، من هذا النفر الجليل من صحابة النبي وخلصائه ، يؤكد بلا حدود إلهية القرآن ، وإيمان الرعيل الذي عاصر وحيه وتلقيه بأن محمدا لم يكن سوى بشر رسول يوحى اليه ، ويحمل عن ربه كلماته الى الناس ، ليخرجهم من الظلمات الى النور ، ولينتقل بهم من بداوة تاريخ دموي غليظ الى حضارة تاريخ قرآني شفيف .

— ٨ —

وقد اصطنع زيد بن ثابت في جمع القرآن وتدوينه منهجا علميا بالغ الدقة والاحاطة ، فقد شعر بجسامة التبعة التي ألقاها ابو بكر على عاتقه ، حتى انه قال : « فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن » . لقد عمد زيد الى الحفاظ يستنبئهم ويسمع اليهم ، وعمد الى الرقاع والاكتاف واللخاف والعسب يجمعها ويوازن بينها ، وعمد الى ذاكرته هو وما وعته من حفظ القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة الاخيرة من حياته يستحثها ويثيرها ، ثم راقب في يقظة كاملة حقيقة أن أبا بكر يحفظ القرآن ، وعمر يحفظه ، وعليا يحفظه ، وعثمان يحفظه ، وكبار الصحابة يحفظونه او يحفظون منه اجزاء كثيرة ، الى جانب اربعة من الصحابة

هو واحد منهم جمعوا القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك فيما يرويه مسلم والبخاري عن انس ابن مالك انه قال : « جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار : ابي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وابو زيد » وقول انس هنا لا يراد به ان هؤلاء الأربعة هم الذين حفظوا القرآن في عهد النبي دون سواهم ، يقول القرطبي : « فقد ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن عثمان ، وعلي ، وتميم الداري ، وعبادة بن الصامت ، وعبد الله بن عمرو بن العاص . فقول انس : لم يجمع القرآن غير أربعة يحتمل أنه لم يجمع القرآن وأخذه تلقينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير تلك الجماعة ، فان أكثرهم أخذ بعضه عنه ، وبعضه عن غيره وقد تظاهرت الروايات بأن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لأجل سبقهم الى الاسلام . وإعظام الرسول صلى الله عليه وسلم لهم » ... بل إن آخرين كتبوا مصاحف بعضها كامل وبعضها غير كامل ، ومن هؤلاء عبد الله بن مسعود .

كل هذه المصادر البشرية والوثائقية كانت تحت عين زيد بن ثابت وهو ينهض بعملية جمع القرآن الكريم ، وكان من غير شك يراقبها مراقبة محاذرة ، ويرجع اليها كلها أو بعضها كلما أشكل أمر أو استبهم طريق فاذا اضفنا الى ذلك حتمية إيمان زيد ومراقبته الخاشعة لله ولذكرى رسوله الذي كان زيد كاتب وحيه وأمين سره الى زمن قريب ، أدركنا الى أي مدى كان توثيق هذا الكتاب الخالد المعجز خاليا من الركاكة التي طرأت على توثيق غيره من الكتب ، تحقيقا لوعد الله عز وجل :

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .الحجر /٩ .

— ٩ —

وحين جمع زيد بن ثابت آيات القرآن لم يجمعها في مصحف واحد ، ولكنه جمعها في صحف مختلفة أودعها عند أبي بكر رضي الله عنه ، ثم انتقلت هذه الصحف من ابي بكر الى عمر رضي الله عنه ، ثم الى حفصة بنت عمر ، حتى اذا ولي عثمان رضي الله عنه أمر المسلمين بعث الى حفصة في طلب هذه الصحف ، وعهد الى جماعة من الصحابة منهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص بجمعها في مصحف واحد ، ونسخ منه نسخا وزعها على الأمصار فأرسل منها الى مكة والشام واليمن والبحرين والبصرة والكوفة . واستبقى في المدينة واحدا ، وهو مصحفه الذي يسمى الامام ، وكان ذلك في سنة خمس وعشرين للهجرة .

— ١٠ —

واتفاق المؤرخين منعقد على أن ترتيب الآيات في السور كان واحدا في كل المصاحف التي جمعت قبل وفاة الرسول والتي جمعت بعد وفاته وقبل أن يأمر أبو بكر بجمع القرآن ، اما جمع السور وترتيبها فقد ترك لاجتهاد الأمة وخلفاء النبي : (روي ابن

عباس : **قلت لعثمان** : ما حملكم على أن عمدتم الى الأنفال وهي من المثاني ، والى براءة وهي من المئين ، فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم . ووضعتموها في السبع الطوال ، فقال عثمان : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليه السورة ذات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا . وكانت الانفال من أوائل ما نزل بالمدينة . وكانت براءة من آخر القرآن نزولا . وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت انها منها فقبض رسول الله ولم يبين لنا انها منها . فمن اجل ذلك قرنت بينهما ، ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتها في السبع الطوال . »)

واذن فترتيب الآيات في السور تم بتوقيف النبي صلى الله عليه وسلم ، ولقد قبض وهذا الجمع تام معروف للمسلمين ، ثابت في صدور القراء والحفاظ .

يقول الدكتور محمد حسين هيكل :

« ونصوص القرآن تؤيد ما سبق . من ذلك قوله تعالى : **(يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلا . نصفه أو أنقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا)** . المزمل / ١ ــ ٤ وآيات المزمل هذه نزلت في الفترة الاولى من بعث الرسول . فمطالبة النبي فيها أن يقوم الليل يرتل القرآن يرجح أن الآيات لم تكن مبعثرة من غير ترتيب ، وتؤكد ما قدمنا من ان ما كان يوحي الى النبي متصلا بوحي سبق اليه كان الوحي يلحقه به . وذلك قولهم ان جبريل قال للنبي حين أوحى اليه قوله تعالى : **(واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)** . يا محمد ضعها في رأس ثمانين ومائتين من البقرة .

من هنا يتضح أن عمل زيد في الجمع والتدوين كان توقيفيا من جهة ترتيب الآيات في السور ، وأنه اكتفى بذلك في عهد أبي بكر فجمع السور في الواح وعسب ولخاف . وتركها هكذا حتى تم لها في زمن لاحق أن تأخذ شكلها الاستطرادي ، لعله زمن عمر أو زمن عثمان كما يقول العلماء على خلاف في ذلك بينهم .

ــ ١١ ــ

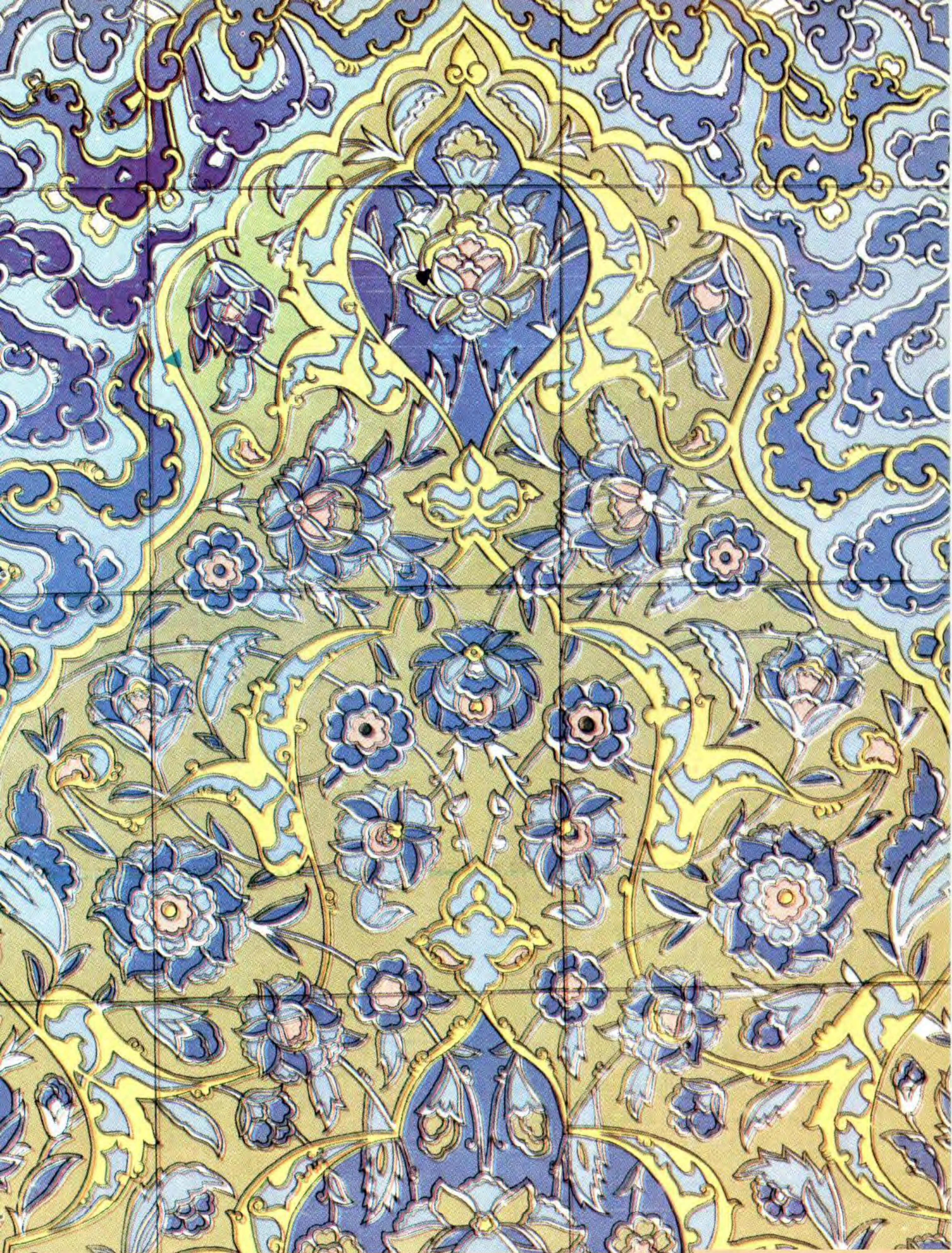
والذي يتأمل تاريخ الفكر العربي قبل الاسلام وبعد الاسلام يروعه ما يجد هناك من جدب فكري الا بعض الاطلالات التي تلوح من خلال الحركة الشعرية الناشطة في الجاهلية ، وبعض من فتات القول في حكمة تروى أو مثل يسير أو خطبة تذهب في الناس ... ثم ما يجده هنا من عطاء علمي وفني في كل اتجاهات الفكر والفن ، من علوم تتصل ببنية اللغة وحقائق التعبير أو علوم تتصل ببنية الكون وحقائق الأشياء ... فاذا حاول احد ان يتلمس الحافز الحقيقي وراء هذا التحول الهائل وجده كامنا في القرآن الكريم : **فهو الذي دعا الى تأصيل علم القراءات حين استنفر قوما** من علماء الأمة الى ضبط لغاته ،

ومعرفة مخارج حروفه : وإلى تأصيل علم النحو حين استنفر قوما الى معرفة المعرب والمبني من الاسماء والافعال والحروف العاملة وضروب كل اولئك .. والى تأصيل علم التفسير حين استنفر قوما الى شرح الفاظه الدالة على معنى أو معان كثيرة ، أو شرح تراكيبه الظاهرة أو البعيدة .. والى تأصيل علم التوحيد حين استنفر قوما الى رصد ما فيه من أدلة عقلية وشواهد كونية على الوجود والوحدانية والخلود .. والى تأصيل علم الأصول حين استنفر قوما الى معرفة التخصيص والاخبار والنص الظاهر والمجمل والمحكم والمتشابه والنسخ وأنواع الأقيسة واستصحاب الحال والاستقراء .. والى تأصيل علم التاريخ حين استنفر قوما الى تأمل قصص القرون والأمم الخالية ودراسة أخبارهم وتدوين آثارهم ووقائعهم .. وإلى تأصيل علم الفلك حين استنفر قوما الى النظر في الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والبروج ... والى تأصيل علم البلاغة حين استنفر قوما الى مصاحبة ما فيه من جزالة ونظم ومباديء ومقاطع وتلوين في الخطاب وإطناب وإيجاز ... والى تأصيل علوم الطبيعة والكيمياء حين استنفر قوما الى ضرورة البحث في المادة وخواص الأشياء بما لفتهم اليه واستدعى اجتهاداتهم حياله .

وهكذا نرى أن علوم العرب ـ قبل القرآن ـ كانت مزقا من الفكر لا تشكل نظرية في أي من الاتجاهات ، ولكنها ـ بعد القرآن ـ أخذت طريقها الى التشكل في نظريات عديدة رفدت العلم العالمي آنذاك بكثير من الاجتهادات الصميمة التي أضافت اليه وأخصبت مساره الواثق ... وحسب كتاب ما أن يعمل بكل هذه البطولة المعجزة في كل هذه الاتجاهات النظرية والتطبيقية ، وأن يخرج بأتباعه من حتمية التلقي والاحتذاء الى حتمية العطاء والامتلاك وأن يكون كتاب هدية وعلم ، ومشرق إيمان وحضارة ونبع بلاغة وتأصيل .

ـ ١٢ ـ

يبقى أن نتأمل حركة اتجاهات الفكر المسلم في ظلال القرآن .. لماذا هي ؟ وكيف تشكلت ؟ وما هي خصائصها ؟ وما طبيعة المراحل التي مرت بها ؟ ومن هم أولئك الرواد الذين نيطت بهم بطولة العمل في كل واحد من اتجاهاتها العديدة ؟؟ بكلمة واحدة : ما هي معطيات الفكر الاسلامي في هذا المجال ؟ وسنرى ان حركة الفكر المسلم في ظلال القرآن من خلال تفسيره ، بعد جمعه وتدوينه تضع جهود العلماء المسلمين في مكانها الحقيقي على خريطة الفعل الاسلامي ، وتحدد بالتأكيد طبيعة الموقف العقائدي الذي صدروا عنه في هذا الاتجاه أو ذاك ، وتشير الى الخط البياني الصاعد الذي يضيف فيه كل عصر الى كل عصر ، وتضعنا نحن في إطار من حتمية الترقي الى هذا الأفق الذي إن فاتنا طوق إحتوائه كاملا ، فينبغي على الاقل ان لايفوتنا قدر ان نتأمل روعته الحقيقية ، وان نسبح في تيار بهائه بلا حدود !!



الخزف الإسلامي ذو البريق المعدني

للاستاذ / محمد الحسيني عبدالعزيز

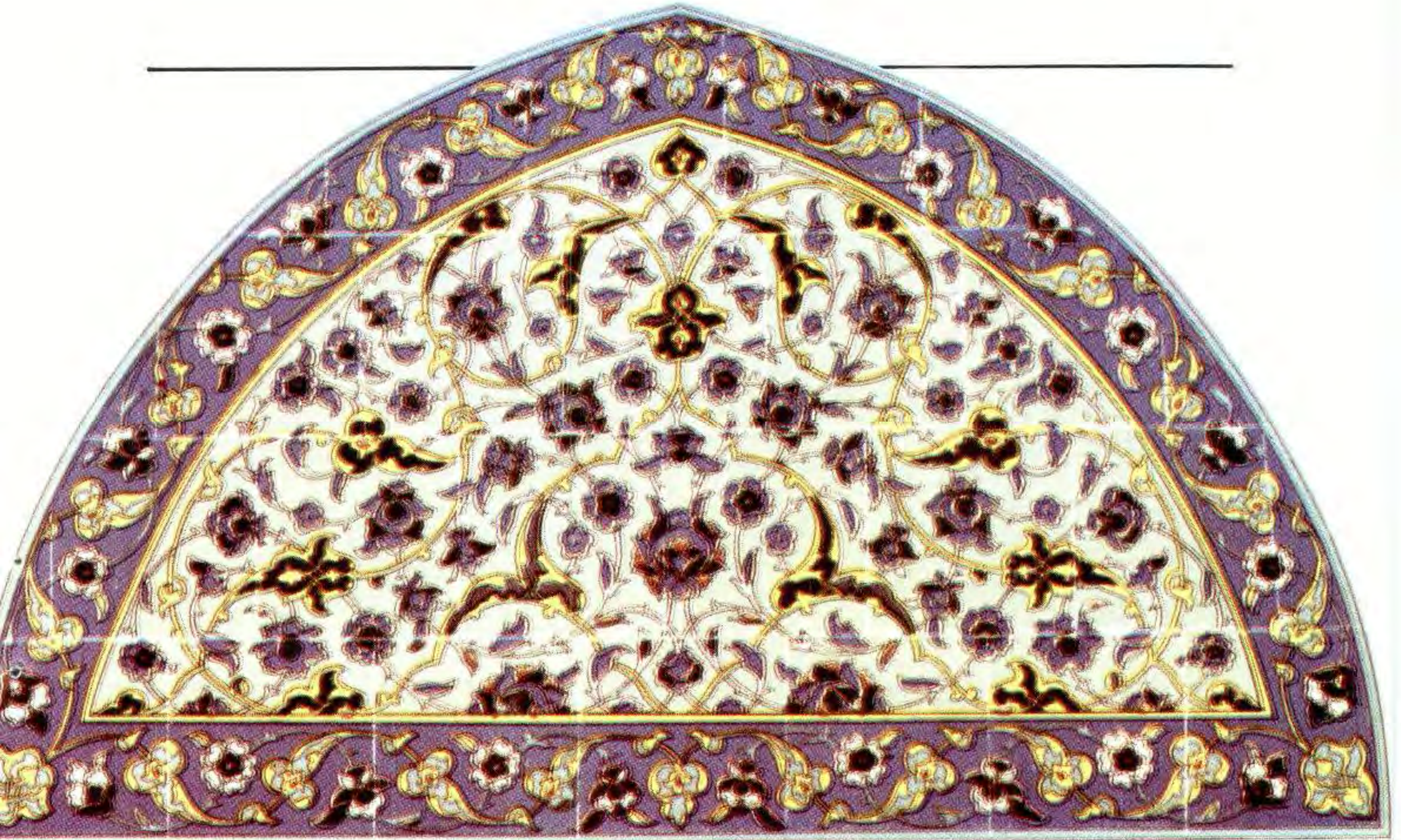
عرف الانسان صناعة الفخار وتوصل إلى صنع أواني خزفية منذ القدم خاصة أن المواد التي يصنع منها الفخار تتوفر في الطبيعة وحاجته إلى الفخار والخزف ليكون قدورا وأواني يحفظ بها الحبوب والزيوت والطعام تزداد يوما بعد يوم .

وكان الفخار بسيطا لا زخرفة فيه لكن التطور صاحب صناعته فبدت الأواني رقيقة بعد أن كانت غليظة كما أصبحت ذات أشكال متناسقة وأضيفت لها الزخارف لتدخل البهجة على من يستعملها .

والخزف نو البريق المعدني عبارة عن فخار غطى سطحه بطبقة من مادة زجاجية ذات بريق توصل إليها الصانع بعد جهد باضافة مواد كيميائية وتفاعلات كيميائية ، وهذه المواد هى زيادة مادة الصودا بالاضافة إلى الحرارة العالية التي تزيد أيضا صلابته .

وقد اشتهرت بلاد الشرق الأدنى ذات الحضارة العريقة مثل مصر وبلاد الرافدين بانتاج خزف ذى جودة عالية ومن أقدم الأواني الخزفية ما عثر عليه في قرية « حصا نلق » قرب مضيق الدردنيل بتركيا عام ١٨٠٠ق . م وبلاد الاغريق التي اقتبست الأسلوب الزخرفي والصناعي عن بلاد الرافدين ونلك بالنسبة للخزف الذي صنع في القرن السادس قبل الميلاد ، وتأتي أهمية الخزف اليوناني في

● بلاط خزفي يمثل شكلا تاجيا بجوار ابواب مسجد شاهزاد مسلم في تركيا .



● احدى الوحدات الزخرفية الخزفية الموجودة اعلا شبابيك مسجد السلطان سليم بتركيا .

تعبيره عن عادات هؤلاء القوم وطبائعهم وتظهر على الأشخاص ملامح الوجه بدقة .

الدين الاسلامي وصناعة الخزف ذى البريق المعدني

يعتبر العراق في ظل الدولة العباسية مهد هذا النوع من الخزف حيث عثر عليه في حفائر « سامرا » التي شيدها الخليفة « المتوكل » العباسي في القرن الثالث الهجري وقد جاءت صناعته بوحي من الدين الحنيف وتوجيهه نظرا لأن استخدام الأواني الذهبية والفضية يعتبر ترفا وإسرافا لا يتناسب مع الزهد والبساطة التي يدعو إليها الدين .

ولهذا فكر الصانع المسلم في إنتاج أواني خزفية لها بهاء الذهب وبريقه واستخدامها لن يكون مكروها فضلا عن رخص ثمنها وإمكان زخرفتها برسوم بديعة تفنن الصانع في ابتداعها وتنسيقها كما أنه لم يتخذ الرسوم الآدمية والحيوانية إلا محورة وليست كما هى في الحقيقة والواقع ، لأنه لا يجوز للانسان أن يصنع شيئا فيه تقليد لما خلقه الباري سبحانه فأحكم صنعه ، وأكثر من تزيين الخزف بالرسوم الهندسية وفروع الأشجار والأغصان والورود والزهور وما شاكلها .

وتوصل الانسان إلى صنع البريق المعدني عن طريق حرق الاناء مرة ثانية بعد وضع المادة المعدنية من

الأكاسيد على سطحه وإدخاله في الفرن بعد عملية حرقه للمرة الأولى لتترسب المادة المعدنية بواسطة الحرارة البطيئة بين ٥٠٠ ـ ٨٠٠° فهرنهيت حيث يتفاعل الدخان المتصاعد وقت الاحتراق مع الأكسيد وتكسو الطبقة البراقة الاناء بصورة تجعله لامعا براقا .

خزف سامرا

ويفوق خزف مدينة « سامرا » بالعراق جميع أنواع الخزف الاسلامي وزخارفه منقوشة ببريق ذى لون واحد أو متعدد الألوان فوق طلاء قصديري اللون ، والزخارف الجميلة ذات الألوان المتعددة يغلب عليها الذهبي والأخضر والبني ، وقوام الزخارف فروع نباتية حورت عن الطبيعة أيضا ، وهى عبارة عن أشكال مخروطية ومراوح نخيلية ذات ثلاثة فصوص ورسوم مجنحة ودوائر بيضاء من وسطها نقط داكنة وأشكال هندسية ظللت بخطوط صغيرة .

أساليب الزخرفة

نقوش هذا الخزف إما ذهبية اللون على أرضية بيضاء أو نقوش حمراء ، أو قرمزية على أرضية بيضاء أيضا .

وقد تنوعت الأساليب الزخرفية فكانت ترسم تحت الطلاء بلون واحد أو بألوان متعددة كما تحفر الرسوم بطرق منوعة وفي عمق متنوع أو تكون بارزة بطريقة دقيقة أو تخرم الأواني وجدرانها ويغطون الأجزاء التي ثقبت فتبدو شفافة رائعة الجمال .

وللخزف أهميته في إتصاله بحياة الانسان حيث يلازمه في مكان عمله وفي بيته كما يعتبره مورخو الفنون مصدرا للتاريخ الاجتماعي للانسان ، بل وفي ميدان القتال وأثناء القنص والصيد في المناطق الجبلية والصحراوية ، وهكذا أصبح مصدرا تاريخيا واجتماعيا وفنيا يبين تاريخ الانسان وتطور أساليبه الفنية بما ابتكر من أساليب زخرفية أو كتابية يمكن منها تحديد تاريخ الصنع ومكانه .

الخزف السلجوقي

كان حكام السلاجقة رعاة للفنون جمعوا في قصورهم كثيرا من رجال الفن ووفروا لهم جميع الامكانيات المادية من مواد الصناعة والألوان ، فضلا عن التشجيع الفني للصناع ، الذي أوجد التنافس بينهم وكان أحد عوامل الازدهار الصناعي ، وخلال حكمهم ازدهرت صناعة الخزف في المدن مثل الري ومرو وأصفهان ونيسابور وأنتج خزف على درجة عالية من الجودة والاتقان ، وأصبحت مدينة الري من أعظم المراكز الصناعية حيث اكتشف فيها عدة تحف تزهو بها متاحف العالم .

وتختلف ألوان الخزف السلجوقي بين اللون الذهبي الباهت واللون الأخضر واللون البني الداكن فوق طلاء أبيض ، ولم يقتصر الانتاج

الخزفي على الأواني ، بل تعداه إلى الألواح والبلاطات التي تزين بها الجدران (والتي لازالت تستخدم في عصرنا كأثر من آثار الماضي) .

ومن القطع الفنية المشهورة التي تنسب للعصر السلجوقي قطعة إناء بالمتحف البريطاني مؤرخة (٥٧٥هـ) تزينها أشرطة تضم أشخاصا يجلسون ، وحيوانات تعدو ، وفروع نباتية ، والعثور على مثل هذه القطع التالفة أو المكسورة في مدينة الري يعد دليلا على وجود مصنع للخزف بها .

وهناك قطعة أخرى في متحف « المتربوليتان » بالولايات المتحدة تعتبر أروع إنتاج خزفي ذي بريق معدني ، قوام زخرفتها رسم شخصين ربما تكون لأمير وصديقه يلعبان على الصنج ، وحدد الشخصان بخط واضح ، وحولهما أرضية الاناء التي ازدحمت بالزخارف النباتية وبملابس الشخصين المزينة بالرسوم النباتية .

أما الخزف السلجوقي الذي ينسب لمدينة الرقة فهو من اللون البني الداكن ، وقد رسمت زخارفه باللون الأسود تحت طلاء أزرق فيروزي وكتابات كوفية متشابكة مع طيور ألحقت بها رسوم كالنقطة والفصلة داخل مناطق منفصلة .

الخزف ذو البريق في مصر

أنتجت مصر في العهد الفاطمي خزفا ذا بريق معدني عثر عليه في



● كوب خزفي مزين بصور نباتية ومحفوظ بالمتحف البريطاني .

● زهرة التيوليب على دورق خزفي من متحف فيكتوريا بلندن .



● جدار مكسو ببلاط خزفي بالوان متعددة على شكل
زهرة الزنبق مع اطار بديع من الزهور .



● طبق خزفي يحمل صورة مركب وسط امواج البحر .

حفائر الفسطاط حيث كانت بها أفران صنع الخزف ، أما ألوانــه فهــي الدهان بطلاء أبيض أو أبيض مائل للخضرة ، ويعلو الدهان رسوم ذات بريق معدني ذهبي اللون في الغالب أو أحمر أو بني أيضا .

ويمتاز الخــزاف المصري بثقتــه بنفسه حيث نقش اسمه على الاناء ومن أساتذة صنع الخــزف كثــير أشهرهم الخزاف : مسلم وسعد وأبو الفــرج والحسينــي وابــن نظيــف وغيرهم .

ويمتاز الخزف الذي صنعه مسلم بالبساطــة والقــوة والحريـــة في الزخرفة ، أما خزف سعد فكان رقيقا رشيقا يجمع بين التناسق والابداع الفني ، وقد ظهرت في الرسوم الخزفية لمسلم ومدرسته الزخارف الحيوانية والآدمية المحورة عن الطبيعة إضافة إلى الكتابة الكوفية والنباتية . وكان الخزاف سعد يوقع على الاناء بالخط الكوفي المورق على السطح الخارجي للاناء ، ويستخدم المينا القصديرية البيضاء أو الزرقاء المائلة إلى الخضرة نتيجة إضافة مادة النحــاس ، أو الحمراء باضافة المنجنيز إليها .

الخزف الأندلسي

كان خزف الأندلس ذو البريــق المعدني في عصر الخلفاء الأمويين في مدن بلنسية والزهراء والمرية يعتمد على الطلاء الزجاجي لكنه لا يشمل الاناء كله كما كان الحال في المشرق الاسلامي بل كان يلــون كل جزء بلون ، ويفصل هذا الجزء بحز عميق عن الجزء الملون بلون آخر ، وتغلب على الألوان الأخضر والأزرق والبني الذي على لون القهوة وزخارفه نباتية وهندسية وكتابية ورسوم طيور .

ومن أشهر الخزف القدور التي كانت تستخدم لحفظ الأدوية وعليها كتابات كوفية عليها عبارات مثــل « العافية » وقد ظلت أساليب زخارف بلنسية نماذج للعصر الأسباني بعد زوال الحــكم الاسلامــي ، ولقــى الخزف الأندلسي رواجا وإقبالا من أمراء أوربا .

الخزف العثماني

اهتم صانع الخــزف العثمانـــي بالاقتباس عن الأسلوب الذي كان

سائدا من قبل إلى جانب تقليد الخزف الصيني أو المغولي .

وأدخل الفنان زخارف نباتية مثل شجر السرو وأزهار القرنفل والياسمين والمراكب الشراعية وغلب على الألوان الزيتوني والفيروزي والأرجواني والأحمر وإشتهرت مدن إزنيق وكوتاهيه بهذا النوع الذي تزخر به المتاحف .

وهكذا تميزت الزخارف بأوراق القرنفل وبالكتابات النسخية والكوفية التي تتضح في البلاطات الخزفية التي كانت تزين المساجد والقصور .

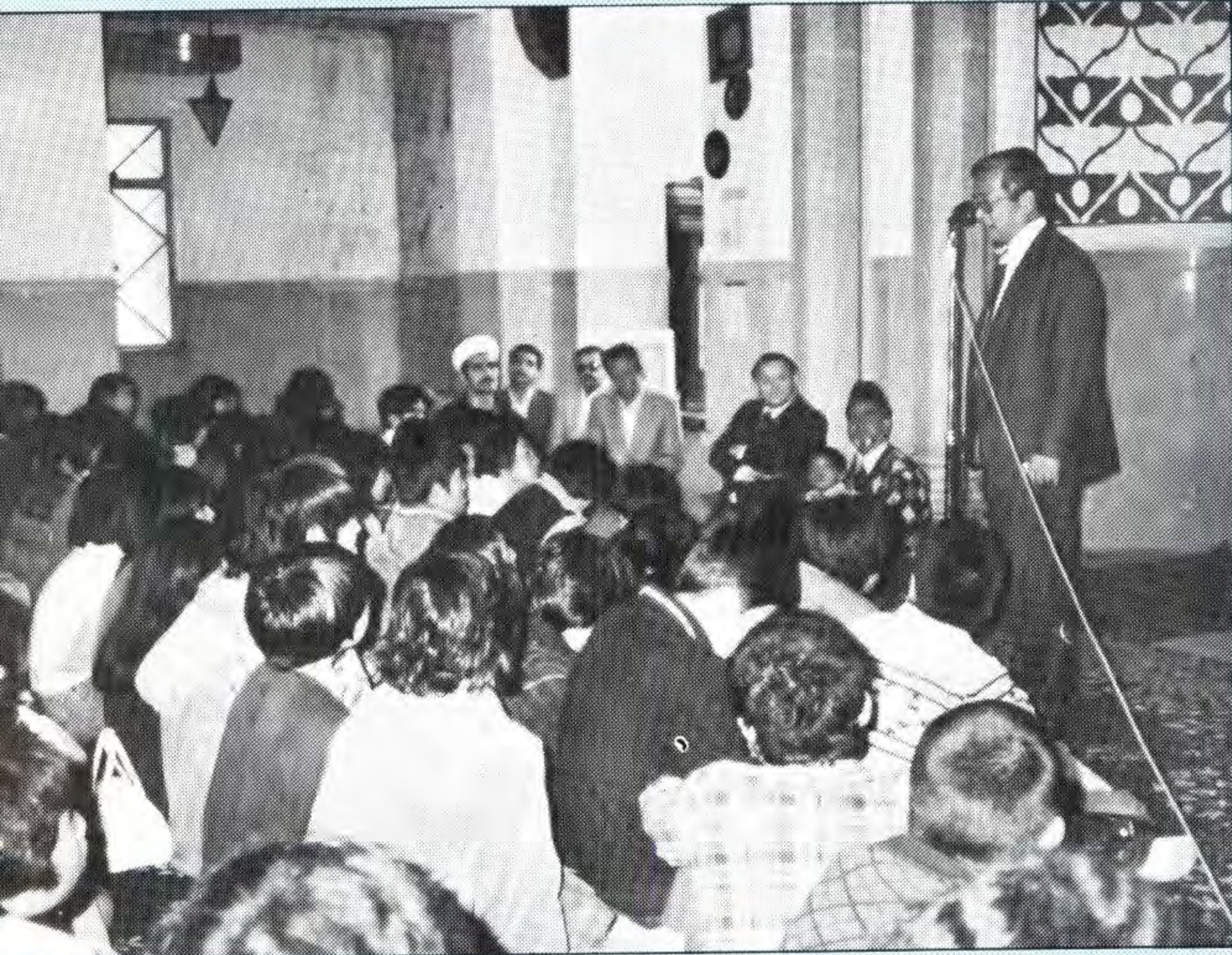
هذا هو الخزف الاسلامي الذي ابتكره الفنان المسلم ليكون بديلا للأواني الذهبية ، وأصبح موضع التقدير يقبل الجميع على اقتنائه لجمال زخارفه وبهاء ألوانه ودقة صناعته .



● سلطانية خزفية مزانة بالزهور ومحفوظة بالمتحف البريطاني .

مسجد طوكيو والمسلمون هناك

(١) محاضرة على طلبة وطالبات غير مسلمين .. من اجل الدعوة إلى الله .



الواقع الاسلامي :

يعيش العالم الاسلامي المعاصر ظروفا صعبة قاسية .. تشيع فيه الفتن الداخلية ، وتتكالب عليه قوى الشر والبغي والعدوان .. تخريب هنا وتخريب هناك ، وإفساد في أرض الاسلام والمسلمين ، وتتفاعل الأزمات ، ويطمع في الديار أعداء الانسانية ، ويحاولون نهب ثروات المسلمين ، وتتقاسم الفتن مواطن المسلمين .. وينشغل الأخ عن أخيه .. وتنبعث الصيحة في « أفغانستان » واسلاماه .. فيتردد صداها في فلسطين .. وجواب الصدا في لبنان .. ويهتز ضمير الشعب المسلم .. وتتفاعل الأحاسيس .. ولكن ماذا نحن فاعلون ؟! ويبقى السؤال ـ حتى الآن ـ بلا جواب ..

نور الاسلام :

ووسط هذه التفاعلات نسعد بلقاء الأخ المهندس **أحمد محمد المغربي** ـ الكويتي الجنسية ـ ليحدثنا عما رأى وشاهد في اليابان .. وعن إخوة لنا هناك .. أسلموا لله .. وعملوا على نشر راية التوحيد هناك .. ليبقى الأمل يانعا .. ولتتسع دائرة الرقعة الاسلامية .. رغم أنف الالحاد والملحدين : **(والله متم نوره ولو كره الكافرون)** .

إخوة لنا :

يقول محدثي : كنت أؤدي صلاة الجمعة بمسجد طوكيو الوحيد بهذه المدينة التي يبلغ عدد سكانها حوالي (١٢) مليونا ، وحيث يبلغ عدد المسلمين باليابان حوالي (٣٠) ألف مسلم . كما أخبرني بذلك القائم على شئون المسلمين هناك .. وهو الدكتور/ **عبدالكريم سايتو** ـ دكتوراه في الاقتصاد والعلوم السياسية ـ وهو ياباني الجنسية . وقد اعتنق الاسلام هو وأسرته قبل (٢٥) عاما .

الدعوة إلى الله :

وهناك يلتف أعداد كبيرة من الطلبة والطالبات ممن تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة ، يلتفون حول إمام مسجد طوكيو بعد أداء فريضة صلاة الجمعة ، حيث يلقي عليهم درسا في أصول الاسلام ومبادئه السمحة ، وتعاليمه التي توافق الفطرة السليمة ، والامام تركي الجنسية ، ويجيد التحدث باللغة اليابانية ، والانجليزية ،



(٢) منظر عام لمسجد طوكيو .. رمز الاسلام في كل مكان .

والعربية ، إلى جانب لغته الأصلية .
وبعد أن فرغ الامام من درسه قام رجل مسلم ياباني يحاضر في الطلبة البوذيين ـ بأسلوب سهل بسيط ، يفهمه الطلاب والطالبات بيسر وسهولة .

وإلى جانب هذه المحاضرات والندوات في المسجد ، يقوم المثقفون بواجب الدعوة إلى الله كلما سنحت الفرصة .

غير أن إمكانات المسلمين هناك محدودة ، وهم في حاجة إلى دعاة مخلصين يعرفون كيف يخاطبون عقل الانسان المعاصر بأساليب المنطق الحديث ، والناس هناك مهيئون ـ بمشيئة الله ـ لقبول الدعوة الاسلامية .

وبذا نأخذ بيد الانسان إلى طريق الهداية ، والله لا يضيع أجر المحسنين يقول تعالى : **(ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين)** .

مسجد طوكيو :

ومما يلفت النظر أن مسجد طوكيو مسجد قديم ، وصغير ، أسس سنة ١٩٣٨م ولا يتسع لأكثر من مائتي مصلي . والمسجد بوضعه الراهن يضيق عن استيعاب المصلين الذين يزدادون ـ بتوفيق الله ـ يوما بعد آخر .

كما أن المسجد تعرض لزلازل

وأعاصير جعلته في حالة خطـرة ، فجدرانه متآكلة ، ومئذنته متصدعة ، والأجزاء الخشبية فيه أمست بالية متهالكة . فهو في أمس الحاجة إلى إعادة بنـاء ، وتوسعـة ، وتدفئـة مركزيـة نظـرا لبـرودة الـطقس باليابان .

ومن غير المسلمين المخلصين يقوم بواجب عمارة مساجد الله في شتى بقاع الأرض ؟!

ومن غير الصالحين الذين وفقهم الله إلى طاعته يبذل ماله في سبيل الله .. من أجل إنقاذ الانسان من الضلال ، من أجل بناء مساجد الله حيثما وجد الانسان ؟!

لمثل هذا يتسابق المؤمنون .. قال تعالى : (**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخـر**) وقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من بنى مسجدا لله بنى الله له بيتا في الجنة** » .

لجنة المسجد :

وقد شكلت لجنـة من مسلمـي اليابان ـ تطوعا ـ من أجل إعمار المسجد وتوسعته وإصلاحه ، وجمعت اللجنة ـ حتى الآن ـ مبلغ عشرة آلاف دينار فقط ، ومـازال الأمـر يحتاج إلى مبلغ تسعين ألف دينار أخرى .

فهل لك ـ أخي القـارئ ـ أن تساهم في تشييد صرح إسلامي في بلاد غير إسلامية . ليكون منـارا للاسلام هناك ؟! ولتشد من أزر إخوة لك مسلمين هم في انتظار مساعدتك .

ورسولنا صلى الله عليه وسلـم يقول : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** » .

لمن أراد الخير :

هذا واللجنة قد فتحت حسابـا خاصا باسم (لجنة تصليح مسجد طوكيو) وذلك في بنك طوكيو تحت حساب رقم ٠٢٩ ـ ١٨٣٨٧٣ ، ولا يستطيع أحد أن يسحب أي مبلغ إلا بتوقيع مشترك من الرئيس ، ونائبه ، ومدقق الحسابات بعد الحصول على مصادقة اللجنة على الغرض الذي من أجله يسحب المبلغ .

ونحن نهيب بمن أراد فعل الخير من المسلمين أن يمدوا يد المعونة إلى لجنة تصليح مسجد طوكيو على العنوان التالي :

**"TOKYO MOSQUE REPQIR COMMITTEE" INT THE BANK OF TOKYO
(SHINJUKU BRANCH, TOKYO)
a/c No. 029 - 183873.**

ونسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه خير الاسلام والمسلمين ، وأن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم .. وعند الله خير الجزاء ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا .) .

فالى ساحات الخير والفـلاح .. ترهبون عدو الله وعدوكم .. واللـه ناصر من ينصر دينه .

وبالله التوفيق ،

مدرسة الأزواج

٢



الزواج ضرورة طبيعية :

الزواج ـ أسرة الغد ومجتمع المستقبل ـ قصة البشرية على الأرض منذ أن هبط آدم وحواء من الجنة ، وسيظل كذلك الى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وتؤكد البحوث والدراسات المختلفة التي أجريت على غير المتزوجين من كلا الجنسين عدة أمور :

اولا : أن نسبة غير المتزوجين الى المتزوجين في كل عصر ، وفي كل مكان نسبة قليلة جدا .

ثانيا : أن هذه الفئة واحد من

للأستاذ محمد محمد حلاوة

ثلاثة .. عاجز خلقة عن أداء دوره الوظيفي كزوج ، أو مريض بمرض لا يقدر معه على أعباء الحياة الزوجية ، ويخشى عليه ، وعلى النسل منه ، أو مدع فلسفة خاصة لو حللناها لوجدناها ترجع في النهاية الى أوهام خادعة ، أو تعلات كاذبة أو رواسب نفسية .

ثالثا : أن رغبة هؤلاء عن الزواج ليست تعففا ولا زهدا وانما هم مضطرون الى ذلك اضطرارا ، ولذلك يشعرون بالحرمان والضياع ، ويقضون العمر في حسرة وأسى ومرارة !! ألم يفقدوا وجودهم وذواتهم كأحياء !! ولا يعني هذا كله الا حقيقة واحدة هي أن الزواج ضرورة .. ضرورة لوجود الحياة .. ضرورة لبقائها واستمرارها .. ضرورة لتعمير هذا الكون .. ضرورة لكل من الرجل والمرأة على حد سواء ، بحكم تكوينهما الطبيعي ، بل هو ضرورة لكل الكائنات الحية على اختلافها . سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

يقول الله سبحانه وتعالى : **(يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم)** الحجرات / ١٣ ويقول عز من قائل : **(ألم نجعل الأرض مهادا . والجبال أوتادا . وخلقناكم أزواجا)** الآيات ٦،٧،٨ من سورة النبأ . وفي موضع آخر : **(حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل)** الآية ٤٠ من سورة هود .

وفي الحديث الشريف :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم : أما أنا فاني أصلي الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا .. أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » . رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

فترة التفكير :

ما من فتاة أو فتى يبلغ سن الرشد إلا ويجد نفسه تلقائيا يفكر في

« نصفه الآخر » .. أمر طبيعي .. وقد تطول هذه الفترة أو تقصر ، ولكنها على كلتا الحالتين فترة ذات سمات محددة :

فهي نقطة البداية في حلقات الحياة الزوجية ، فيها يوضع حجر الأساس الأول ، وعلى نوعية التفكير ، وسلامته ، واتجاهاته ، ومدى وعيه يكون النجاح أو الاخفاق في الحلقات التالية .

كما أن هذه الفترة ترتبط بتلك السن التي يشتد فيها الجسم ، ويعنف الجنس ويتفتح الذهن ، وتتوهج الأحلام ، ولذلك كانت فترة حاسمة في مسار الحياة .

وليس يغيب عن الأذهان أن مفهومات الشباب وثقافتهم عن الحياة عامة ، وعن الحياة الزوجية بوجه خاص قد أصبحت عاجزة وكليلة ومختلطة .. وهي في حاجة الى مجهود شاق ومتصل إلى تنقيتها من الشوائب .. وتطهيرها من السموم ، وتوجيهها الوجهة الرشيدة الصالحة .

أضف الى كل ما سبق تلك المسافة التي تتسع شيئا فشيئا فتفصل الآباء عن أبنائهم وتكاد تضرب بينهم حجابا ، ولا سيما فيما يتعلق بمسائل الجنس اعتقادا منهم أن الحديث عنها غير مرغوب فيه ، والعلم بها لا يقره العرف والتقاليد ، وضرره أكثر من جدواه .

لا أريد أن أزعج الشباب فأقتحم عليهم خلوتهم ، وأقطع عليهم حبل سعادتهم ، وأنما أحب أن أنبههم ، وأؤكد على هذه الفترة بكل سماتها في صنع الأساس الأول لبناء الزوجية ..

ولذلك وجب عليهم أن يقفوا وقفة متأنية عاقلة ليأتي تفكيرهم هادئا رزينا ، متمشيا مع منطق الحياة وواقعها ، خاليا من أي تهور أو انفاع ، بعيدا عن الأوهام والمظاهر ، لا ينفردون فيه برأي ، بل يستشيرون من يثقون فيه من أولي الرأي والحكمة .. وعليهم بعد ذلك كله أن يراجعوا أنفسهم مرات ومرات قبل أن يخرجوا الصورة النهائية لنصفهم الآخر ، وقبل أن يأتي يوم يندمون فيه فلا ينفع الندم ولا يفيد .

أصعب اختيار :

يسير جدا أن تختار كتابا تقرؤه . ويسير جدا أن تنتقي ثوبا تشتريه . ويسير جدا أن تؤثر عملا على عمل ، أو شيئا على شيء .. أي عمل .. وأي شيء .

وقد لا يعجبك الكتاب ، أو لا يروقك الثوب ، أو لا ترضى عن العمل ، ولكنك في جميع الحالات تستطيع أن تتدارك هذا وذاك بالتغيير مثلا أو بالاستبدال ، أو بأي وجه آخر من الوجوه .. دون كبير عناء ، ومن غير ضرر يذكر .

أما اختيار الزوجة أو الزوج فيا له من اختيار !! إنه أصعب اختيار يواجه الانسان في حياته كلها ، وذلك لأسباب كثيرة منها :

أن النجاح أو الاخفاق فيه ليس مقصورا على الفرد نفسه ، بل يتعداه إلى غيره من الولد ، والأهل ،

والأسرة ، ويتحدد بهذا الاختيار مصير الانسان ومستقبله فاما سعادة وهناء وإما تعاسة وشقاء .
وبعد : فعلى أي أساس نختار نصفنا الآخر ؟

كيف نختار ؟:

انختاره لجماله ، أم لماله ، أم لحسبه ، أم لدينه ، أم لكل اولئك جميعا ؟ إن اختيار المرأة لجمالها اختيار شهوة وجنس ، وهو اختيار قلما يحالفه التوفيق إذ سرعان ما تنطفيء حدة الجنس ، وتفتر ثورة الشهوة ، ويفقد الجمال طعمه بالتدريج ، وقد أثبتت الأيام أن الزواج بالجميلات يجلب لأصحابه الهم والنصب . ويحيل بيوتهم الى براكين تفر منها الراحة ، ويغيب عنها الأمان .

اختيار المرأة لمالها هو اختيار الطمع والمادة ، وما دخل الطمع في شيء الا أنهكه وأفسده ، وكم من بيوت زوجية انهارت في أيامها ـ لا سنواتها الأولى بسبب المال ، ووقعت الجناية كلها على الأبناء الأبرياء ، فضلوا طريقهم وتاهوا وسط الظلام .. وكانت نهايتهم الضياع والخسران .

واختيار المرأة لحسبها اختيار عفى عليه الزمن ، ولم يصبح له في عالم اليوم مكان . واختيار المرأة لدينها اختيار عقل وعاطفة ، ومادة وروح ، ولذلك فهو الاختيار الأصلح والأبقى .. الاختيار الذي صنع البيوت العريقة ، وخلد الأمجاد العريضة ، وأثبت وجوده دائما في أشد الأزمات وأحلك الساعات ، ووقف شامخا في شمم وإباء ، حكاية وفاء ترددها الأجيال ، وأغنية صبر وإيثار في قيثارة الوجود ، ونشيد تضحية في فم الزمان ، وملحمة كفاح في أسطورة الخلود ..

وكل ما قيل في تحليل أسباب اختيار الرجل للمرأة هو ما يقال نفسه في اختيار المرأة للرجل .

أحسن اختيار :

وليس هناك اختيار أسمى ، ولا أدق ، ولا أروع من اختيار معلم الانسانية الأول محمد صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أبو هريرة رضى الله عنه قال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

نعم . إنها ذات الدين ، وكفاها بالدين عزا وجاها وغنى إن لم يكن لها سواه فان كانت ـ مع ذلك ـ ذات مال كان دينها عصمة لمالها ، وحارسا يقظا وأمينا يحسب له الزوج كل حساب إن هو حاول استغلالها أو امتدت يده بالطمع فيها ، وإن كانت إلى ذلك ذات جمال فخليق بالدين أن يسمو بهذا الجمال ، وأن يحفظ له قدسيته وطهارته ، ويصونه من كل عبث وصغار .

ولن يجد رجل أبدا شيئا يتمناه في امرأة : من كان ، وكيفما كان ، أكثر مما ورد في الحديث النبوي الكريم .

« ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة ، إن أمرها

أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله » رواه ابن ماجة .

فما للآباء ألهتهم الحياة الدنيا ، وشغلتهم أموالهم وأنفسهم ، فنسوا أعز ما يمتلكون ـ فلذات أكبادهم ـ في وقت هم أحوج ما يكونون فيه إليهم ، وفي أمر من أدق أمور الدنيا كلها ، يتلهفون فيه إلى وعي سليم ، ورأي سديد ، ويتشوقون إلى قائد أمين ، وربان ماهر ينأى بهم عن مهاوي الطريق ، ويهديهم إلى بر النجاة والأمان .

وأنتم أيها الفتيان والفتيات كفاكم كفاكم ، ودعوكم من الأحلام الوردية ، والأبراج العاجية ، وقصور الرمال ، وخاتم سليمان ، وبساط الريح ، وليالي شهرزاد ، وجنة الأحلام ، وفاتنات الشاشة ، ونجوم المسرح ، وأبطال الروايات ، وأساطير العشق والغرام ، وقصص الجنس الحرام ... ومقاييس الطول والعرض ، ولون الشعر والخد ، والرشاقة والحركة ... والنظرة واللفتة ـ فصدقوني ـ ستتعبون تتعبون ، ثم تنقطع أنفاسكم ، ولن تصلوا إلا إلى سراب .

الخطبة :

وإذا ما أنعمنا التفكير ، وأحسنا الاختيار على النحو السابق كان التمهيد للخطبة أمرا طبيعيا ، وتهيأت كل الوسائل لنجاحها ، فقد سلمت المقدمات فلزم أن تسلم النتائج ، وكان الله مع الجميع ، وخير هاد وخير معين .

وليس هناك في أمر الخطبة ما أحب أن أتحدث فيه سوى نقطتين :

الأولى : كيف تتم الخطبة ؟

والثانية فترة الخطبة .

كيف تتم الخطبة :

الخطبة بوضعها الراهن لا تأخذ حقها الواجب من العناية والاهتمام ، ولا تنال من الآباء والأمهات ما تستحقه من دقة وتمحيص ، وتناول سليم ، فكثيرا ما تكون الخطبة مفاجئة ، ويتم فيها القبول السريع ، ويؤخذ الموضوع كله في عجالة عاجلة ، وينتهي بين يوم وليلة ، كأنه عقد بيع أو صفقة مزاد .

ورأيي أن تتم الخطبة وفق الخطوات التالية :

١ ـ أن يسبقها تحر كاف من جميع الأطراف المعنية .

٢ ـ أن يقوم بها الآباء وحدهم ، أو بصحبة أبنائهم ، دون وسيط إلا إذا كان الوسيط ثقة ومأمونا .

٣ ـ ألا نتقدم إلى الخطبة إلا بعد أناة ، وروية ، وتثبت ، واقتناع .

٤ ـ ألا يتم القبول من الطرف الآخر إلا برضا الفتاة ، وبمثل ما تم به من الطرف الأول حتى إذا قيلت نعم ، كانت بحق نعم .

ولا بأس من أن تخطب الفتاة لنفسها ، أو يخطب لها أهلها ما دام الدافع إلى ذلك شريفا ، وكريما ، وخالصا من الأهواء ، بعيدا عن الشبهات ، يحقق قيام الأسرة السعيدة ، فقد خطبت السيدة خديجة

رضى الله عنها سيد الخلق محمدا صلى الله عليه وسلم لنفسها لما سمعت عن أمانته وحسن معاملته من غلامها ميسرة .

فترة الخطبة :

والأسئلة تفرض نفسها الآن .. والسؤال الأول : أيهما أفضل أن تطول فترة الخطبة أم تقصر ؟ .. وقد لا يكون الحكم دقيقا على إطلاقه إذا فضلنا أحد الأمرين على الآخر ، فقد يستحسن الطول في حالات ، ويعاب في حالات أخرى والأمر كذلك بالنسبة لقصرها .. وصمام الأمان على أي اعتبار هو في البعد عن التكلف والتصنع ، والتهويل وترك الأمور على سجيتها ، وفي الرقابة الساهرة الواعية على كل من الفتى والفتاة ، حتى لا يقع منكور أو محظور ، وبالدراسة الدقيقة والأمينة لأخلاق كل من الفتى والفتاة ، وأسرتيهما ، ومدى تأصل القيم والمثل فيهما ، وتسليط الأضواء للكشف عن الطباع والاتجاهات ، والتوجيه الصادق المستمر في أثناء تلك الفترة برفق وكياسة ممن يحسنونه بقصد التعديل والتقريب والتلاقي ، والتطويع والتطبيع ، وتقويم هذه العملية مرة بعد أخرى ... حتى إذا تبين استحالة الوفاق تم الفسخ بينهما في الحال بالمعروف وبالحسنى ، حسما للموقف ، وحفظا للوقت والجهد والمال ، وتلافيا لمشكلات أكبر وأعمق لا يدري مداها وآثارها إلا الله .

والسؤال الثاني هو : وهل يلتقي الخطيبان ؟ وكيف ؟

بالخطبة وحدها لا يصبح الفتى زوجا ، ولا تصير الفتاة محرما ، ولذلك فلا يحل اللقاء بينهما لا عرفا ، ولا عقلا ، ولا دينا على أية صورة من الصور ، وفي أي مكان من الأمكنة ، وتحت ستار أي مسمى من المسميات .. وواجب الآباء حينئذ أن يكونوا همزة الوصل بينهما ينقلون لهما وعنهما بأمانة ما يخدم ويهدف ويجمع ويؤلف ، وأن يكونا لهما باستمرار رسل محبة ، ومودة ، وسلام . ولا أملك بعد ذلك لمن تركوا الحبل على الغارب من الآباء والأمهات ، فسمحوا لأبنائهم وبناتهم باللقيا والاجتماع ، وحضور الحفلات ، وزيارة الأقارب والأصدقاء ، والخروج للنزهة ، والتردد على الملاهي .. إلى غير ذلك مما هو معروف ومألوف ــ أقول ــ لا أملك إلا أن أدعو الله لهم من قلبي :

اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون .

وإزاء ما يحدث تحت ستار الخطبة من مخاز يندى لها الجبين ، ومآس يتفطر منها قلب الانسانية ، ومشكلات تتتابع وتتعقد ، تنفق فيها الأموال ، وتهدر الأوقات ، وتنشأ العداوات ، وتتفكك الأواصر والصلات . أرى لزاما أن أعلنها الآن ، بكل الصدق والاخلاص والايمان . التعجيل التعجيل بالقران ، وأدعوكم إلى التجربة فهي خير دليل ، وأصدق برهان .

وما التوفيق إلا من عند الله العزيز الحكيم .



قالوا في الأمثال

الطيور على أشكالها تقع

الناس مثل الطيور مختلفو الأشكال ، متباينو المشارب ، متعددو الطبائع والأمزجة كما يختلفون قوة وضعفا . ومن طبائع الناس ان كل انسان يجد راحة في العيش مع من يناسبه ويشابهه فالمحزون يميل إلى المحزون والصغير إلى الصغير ، والكبير إلى الكبير ، ويألف الصالح الصالح ، والعاصي العاصي حتى قالوا :

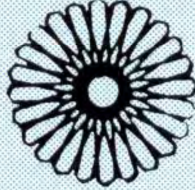
عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

فاذا اختار الانسان الصديق الذي يوافق مشاربه ، ويطابق مزاجه يقال حينئذ « **الطيور على أشكالها تقع** » او شبيه الشيء فيجذب إليه .

السنور الصياح لا يصطاد شيئا

مثل يضرب لكثرة الكلام مع قلة الجدوى .. فاذا أراد القط صيدا تخفى لفريسته ، واجتهد ألا يحدث حركة أو يظهر صوتا ، فتخرج الفريسة آمنة مطمئنة ، فيأخذها القط على غرة ويفوز بصيدها ، أما اذا صاح فقد دل على مكانه بصياحه ، فتأخذ الفريسة حذرها ، ولا تغادر مخبأها ، فيظل ذلك القط ينتظر دون أن يحظى بصيد . وهكذا يصنع العقلاء للوصول إلى مآربهم ، فلا يطلعون أحدا على أسرارهم ، فيصلون إلى ما يريدون دون أن يتنبه الناس لهم فيقفوا في طرقهم ، أما غير العاقل فيثرثر بالكلام ، فيطلع الناس قاصدا أو غير قاصد على طريقه ، فيحتاط أعداؤه ، ويحولون بينه وبين ما يريد فلا يصل إلى هدف ، وحينئذ يقال له : « **السنور الصياح لا يصطاد شيئا** » أي لا بد للنجاح من الكتمان .

الإسلام دين الجماعة



تأليف الرئيس : أحمد سيكوتوري

ترجمة الأستاذ : محمد البخاري

عرض وتحليل : سعيد زايد

كتاب صغير الحجم ، كبير القدر ، يقع في أكثر من مائة وخمسين صفحة من القطع المتوسطة . قسمه مؤلفه الرئيس أحمد سيكوتوري الى سبعة أبواب وخاتمة . وقدم له مترجمه بمقدمة قصيرة .

وقد تحدثت الأبواب السبعة عن العمل في الاسلام ، وقواعد الاسلام الخمس . ودور المسلم في تحقيق السعادة للشعب ، واكتساب العلم الذي يعد فريضة اجتماعية . وعن دور الاسلام في خدمة الشعب وسورة الفاتحة ودورها في قهر الشيطان ، وأخيرا عن الوجدان الذي تتحقق به قيمة الانسان . وقبل ان نعرض ابواب الكتاب ، نرى من المفيد أن نجول بعض

الشيء في مقدمة المترجم الـذي يذكر ان الرئيس أحمد سيكوتوري واحد من هذه الكوكبة الفذة من رواد التحرر الوطني في افريقيا ، قاد شعبه ضد الاحتلال العسكري وضد الاستعمار الاقتصادي والفـكري ، وأثرت أفكاره في الحضارات الأفريقية وتألق اسمه في كتلة العالم الثالث وعدم الانحياز . حصل لدولته غينيا على استقلالها سنـة ١٩٥٨م ، ولم يكن ذلك إلا نقطة انطلاق نحو مستقبل زاهر في اعادة الوجه الاصيـل للوطن . ولقد كان من سعة أفق الرئيس سيكوتـوري عدم استجابتـه لحـركة « الزنوجة » . فلم يشأ ان يواجه الاستعمار الابيض بدروع سوداء ، فقد رأى في هذا ردا عنصريا على عدوان عنصري ، فالانسان لا ينتمي الى انسان اخر لاتحادهما في اللون ، بل ينتمي اليه بالوجدان . فالوجدان هو الحس والمشاعر ، هو الوعـي والافـكار والمبادىء ، هو الالتزام بالمثل والقيم . ولا يكون الانسان انسانا حقا الا اذا كان جزءا من الناس ، اوفردا في المجتمع . وان الرباط الحقيقي بين البشر هو العقيدة الدينية ذات الملامح الانسانية العالمية وهي السمـات الحقيقيـة للاسـلام وقـد فطـن احمـد سيكوتوري المسلم الى ألاعيب الاستعمار الذي اراد ان يلبس المسيحية رداء يرسي من خلاله مفاهيم أبعدَ ما تكون عن الفـكر الديني الاصيل ففك اللحمة بين التبشير الغربي والاقلية المسيحية الدينية ، وضمن لها استقلالها عن كنائس اوروبا لتصبح مرتبطة بأرضها وشعبها وتراثها ، عاملة من اجل مستقبلها الوطني . وحـارب في الوقت نفسه حرص الاستعمار على ربـط الشعوذة بالاسلام ، فأودى بكل ما لحق به من خزعبلات مدسوسة عليه . وفي سبيل ذلك أمر بترجمة معاني القرآن الكريم الى لغات غينيا الثلاث لتيسير فهمـه على جميـع المواطنين وأنشأ المجلس الاسلامي الوطني ليحمي مبادىء الاسلام وأحكامه من البدع والخرافات المتناقضة مع تعاليمه الاصيلة ، ويعتني ببناء المساجد بوصفها دور عبادة ومراكز ثقافية اسلامية ، ويقترح كل ما يفيد في تطوير الاوضاع حسب روح الشريعـة الاسلامية .

وقد عنون المؤلف الباب الاول بـ « العمل ركيزة الاسلام » . وقد ذكر انه حين تأمل العلاقة الوثيقة بين فهم الاسلام والدفاع عنه ، رأى أن المرء لا يملك ان يدافع حقا الا عن الشيء الذي يحبه ، وما يحب المرء الا ما يعرفه وما يعرف الا ما اتقن تعلمه ، ولهذا لا يستطيع احد ان يحب الاسلام حبا صادقا دون ان يعرفه ، ولا ان يعرفه دون أن يعرفه ذاته . وطريقه الى معرفة ذاته تتم بالاجابة عن عدة أسئلة هامة مرتبة ترتيبا تصاعديا اولها معرفة اسرته ثم مجتمعه الكبير ، ثم طبيعة منطقته ، فقوانين بلاده ، فالتقاليد التي تسيطر عليهـا ، واخـيرا الطبيعـة الجغرافية من حوله . فاذا اجاب عن هذه الاسئلة اهتدى الى معرفة ذاته ، وعرف أن الانسان لا يمكن معرفته وحيدا منبت الصلة عما عداه ، فليس في الكون من ينفـرد بالوحدانية سوى الله الذي يعرفه الناس فردا احدا لا شريك له .

ودعوة المؤلف الانسان الى معرفة ذاته ، شبيهة بدعوة شيخ الفلاسفة سقراط الى ان يعرف الانسان نفسه بنفسه ، وتختلط مع قول المعلم الاول ارسطو ان الانسان مدني بطبعه .

فاذا عرف الانسان ذاتـه ادرك انـه مجموعة من المتناقضات تكمن فيه ينابيع الخير والحق والجمال ، ولـكن يسكنـه الشيطان ويتضمن المجتمـع بالتـالي كل تناقضات افراده . فاذا استطاع الانسان التغلب على الشيطان وتعالى عن بقية خلق الله من نبات وحيوان واتجه بفكره ووجدانه نحو الله ، عرف انه مخلوق متميـز من الواجب عليه ان يعمل حتى يؤدي دينـه لخالقه ببقائه مؤمنا به وعارفا لفضله ، ويؤدي دينه للمجتمع . فوفاء الدين للمجتمع إنما يقوم على العمل، ولقد انشأ الاسلام حقوق المخلوقات ، وأداء الواجب هو الذي يقيم الحق في ربوع المجتمع ومن هنا كان

الاسلام بين الواجب .
ورسالة الله تعالى من أجل إسعاد البشر تتابعت في اقوال الانبياء والرسل وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ولذا فان الاسلام يتضمن جميع الحقائق التي ابلغت الى البشر لتضيء لهم الطريق ، ولتتيح للعدالة والحق أن يسودا بينهم ، وتوثق عرى التضامن حتى تتحقق لهم السعادة جميعا . « ولهذا فان الاسلام لا ينتسب الى رجل ما ، ولا الى أسرة ما ، ولا الى جنس ما .
انه للبشر كافة حتى يكونوا سعداء ، يستغلون خيرات الطبيعة كلها لصالح البشر » .

نحن في حاجة إذن إلى الاسلام ، اذا أردنا ألا نضل افضل الطرق لمعرفة الحقيقة والمجتمع والطبيعة ، وأفضل الطرق لمعرفة الله . هذا هو محور الباب الثاني من كتاب المؤلف ، والذي تدور حوله الممارسة التطبيقية للاسلام ، وترجمة العقيدة الاسلامية في سلوك عملي ، يتتبعها المؤلف من خلال قواعد الاسلام الخمس وهي : الشهادة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج .

ويرى ان القاعدة الاولى وهي : « شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمدا نبيه ورسوله » هي الشرط الاول لدخول الاسلام فلا يكفي اقرار المرء بوجود الله وبوحدانيته دون الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته ، فان ايمان المسلم لا يكتمل بذلك ، وسبيل الاتصال بالله هي الصلاة ثانية قواعد الاسلام ، فقد خلق الله الكون والانسان ووضعهما في اطاري الزمان والمكان اللذين يحويانهما فلا يخرج من دائرة الزمان والمكان سواه سبحانه وتعالى . وصلاة المؤمن تتضمن اعترافا منه بفضل الله حين من عليه بحيز زماني وبحيز مكاني ، فكأنه حين يصلي يقول : « يا الهي لقد مننت علي بالمكان ، واعترافا مني بفضلك ، فاني اشغل هنا الحيز المحدود مسلما نفسي لك مقرا بعظمتك ، لقد وهبتني الزمان ، واعترافا بك فاني اشغل هذا الوقت الخاطف ، في خشوع لك » .

أما القاعدة الثالثة وهي الزكاة فهي الحق المعلوم الذي فرضه الله للفقراء في أموال الأغنياء ، وهي تجعل الانسان يعيش داخل اطار المجتمع . فقد سخر الله الطبيعة للبشرية جمعاء ، فمن ظلم فقد جار ومن آتى الزكاة وتصدق بما زاد عن حاجته ، ربح في الدارين فالناس جميعا ملك للمجتمع وليس المجتمع ملكا للناس .

والصوم هو القاعدة الرابعة ، وهو الذي يميز الانسان ، ويرمز الى سيطرة فكره على الجزء الحيواني منه ، ويتيح له السمو على دوافع الجسد .

وأخيرا القاعدة الخامسة وهي الحج الى بيت الله الحرام في مكة المكرمة لمن استطاع اليه سبيلا ، وهو — فوق أنه تأدية لركن من أركان الاسلام — فانه مؤتمر سنوي عالمي ، يلتقي فيه المسلمون لبحث أوضاعهم ومشاكلهم .

هذه هي قواعد الاسلام الخمس ، وانها لا تتم جميعا خارج نطاق الفكر فالايمان بالله والايمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من عمل الفكر ، والصلاة ايضا من عمل الفكر ، فانها تقوم على النية والوعي . والزكاة جهد فكري يصارع الشيطان الذي يوسوس بحب المال حتى يصرعه ، والحج يقوم على الفكر ، فانه يقوم على النية الصادقة ولا يصح بدونها .

ولقد خص المؤلف الباب الثالث من كتابه بالحديث عن دور المسلم في تحقيق السعادة للشعب ويذكر في اوله ان في الدين طريقين لا ثالث لهما ، هما طريق الخير وطريق الشر الأول يوصل الى الجنة وهو الذي اختطه الأنبياء ، والثاني يوصل الى الجحيم وهو الذي اختطه الشيطان . ثم ندد بالناس في اكثر الشعوب الاسلامية ، لأنهم نسوا كيف يتعرفون على الشيطان ، ولهذا فقد اتبعوا طريقه وهو يرى أن أية دولة لا تحارب الاستعمار والامبريالية لا يصح ان تدعي انها دولة مسلمة حقا . فاذا كانت فكرة ما صائبة نقية ، فلا يكمل الصواب والنقاء الا

بالفعل الطيب . وبالتالي فاذا كان اسلام المرء والتزامه طريق النبي محمد صلى الله عليه وسلم أمرين ضروريين ، فذلك شرط مبدئي لايكفي وحده ، اذ يجب الوفاء بالالتزام . فالاسلام ليس لقبا ، ولكنه جهاد وعمل ، وسلوك نافع للمجتمع ، وتطبيق ديموقراطي ومحاربة للاستعمار والامبريالية .

وحديث الرسول الكريم القائل بأن طلب العلم فريضة على كل مسلم يجعله المؤلف هدفا للباب الرابع ، الذي عنونه بـ « اكتساب العلم فريضة » . فالاسلام يفرض على كل مسلم تحصيل العلم ، وتعميق المعرفة والتربية الصالحة ، ونشر التعليم على نطاق المجتمع كله . وبأن يظل الانسان دائما تلميذا في مجال البحث عن الحقيقة ، فالحقيقة ضالة المؤمن ، من الواجب عليه ان يسعى الى اكتشافها .

ويتحدث المؤلف في هذا الباب عن العدل والمساواة في الاسلام فالاسلام دين ينادي بالمساواة بين جميع افراد البشر ، دون تمييز بسبب اللون او السن او القومية او النوع ، فالناس سواسية كأسنان المشط ، ولا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوي كما قال النبي عليه الصلاة والسلام . ويرى انه يجب على النظام الثوري ان يلتزم بمحاربة التباهي بالعنصرية ومكافحة القبلية والظلم ، لفرض احترام الروح الاسلامية .

أما الباب الخامس ، فان المؤلف يذكر فيه ان الاسلام لمصلحة الشعوب ومن اجل ذلك أنشيء المجلس الاسلامي القومي الغيني ، ليقوم — على حد تعبير الرئيس سيكوتوري — بدوره الحاسم في تطوير غينيا . وواضح انه يأمل خيرا كثيرا من وراء إنشاء هذا المجلس بالنسبة لتقدم المسلمين في جميع ارجاء المعمورة ، تقدم تتحقق فيه العدالة والمساواة بين اجناس البشر ، ولا تظهر فيه اية ميزة لأبيض على اسود ، وهي الظاهرة التي تقلق الرئيس احمد سيكوتوري ، كما يظهر في اكثر من موضع في الكتاب .

يجب اذن لتقدم المسلمين ان ينظموا صفوفهم على اساس من الأخوة الاسلامية ويجب على المسلم ان يعرف ان جنته وناره على هذه الارض ، قبل ان تكون في الآخرة. فمن الخطأ ان نفصل بين العالم الآخر والسلوك الحالي . ويرى ضرورة عمل تنظيم للعالم الاسلامي ، يقيم وحدة حقيقية لا شكلية بين المسلمين ، تهدف الى اتباع هدى القرآن وحده ، ويوجهها اكثر المسلمين ثقافة وذكاء وكفاءة .

ويحلل المؤلف في الباب السادس سورة الفاتحة فيقول : « إنها سبيل لقهر الشيطان . فهي سورة قصيرة ، لكن معانيها عميقة ، وتجمع على إيجازها كل الهداية الاسلامية . ويجب ان يستوثق المرء من نقائه الخلقي والروحي والثقافي والسياسي والاجتماعي ومن تطابق سلوكه مع تعاليم الاسلام ، قبل قراءتها ، ففيها يحمد المرء لله قدرته ورحمته وعفوه وكرمه اللانهائي ، ويقر بوحدانية الله ، وبعلو صفاته وعظمته اللامحدودة وخيره العميم الذي يغمر به جميع مخلوقاته » . ويدرك طريقي الاستقامة والضلال ، فيختار الاول . وتعلن الفاتحة عن قيام الصراع بين الخير والشر ، فيتجه المسلم كل يوم عدة مرات الى الله يدعوه قائلا : « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين » فيعلن بهذا الدعاء ادانته للسلوك الاجتماعي السيىء ، ورفضه لطريق الشر والضلال، لطريق الشيطان . ولا نجد الفردية في سورة الفاتحة تعبيرا عنها ، فهي لا تتضمن ضمير المتكلم المفرد ، بل تتحدث بلفظ الجمع « اهدنا الصراط المستقيم » . فالمسلم الحق ينبغي ان يقف ضد الطبقية ، فالاسلام لا يعرف الانانية والفردية والخيانة .

ولقد حارب الاجداد — هكذا يقول الرئيس سيكوتوري — من اجل الحفاظ على حرية افريقيا ، غير ان تفوق الوسائل التكنيكية للامبريالية مكنها من ان تفرض

نفسها عليها ، ولكن التاريخ يذكر ان الحاج عمر طال الرائد الاسلامي قد رحب بالموت دفاعا عن الحق الاسلامي كما يذكر عظماء المناضلين الذين تصدوا للتسلل الاستعماري في افريقيا ، في الوقت الذي تحول فيه عدد قليل من الناس الى ادوات طيعة في ايدي الاستعمار ، فتحدثوا باسمه ، واعانوه على استعباد شعوب افريقيا ، واقصاء الدين الاسلامي » .

واذا كان الاسلام لم يثر حربا لكي يفرض بالقوة ، فانه يفرض على معتنقيه الحرب من اجل القضاء على الشر في مجتمعهم ، ومن اجل سلوك الطريق المستقيم واغلاق طريق الفساد فالطريق القويم هو الذي يوصل الى سعادة المجتمع .

وكأي زعيم مناضل ، وأي انسان مستنير ، يقف الرئيس سيكوتوري ضد مذهب الجبريين ويدعو لمذهب الاختيار ، فالمرء مسئول عن افعاله ويحاسب عليها ، ومن واجبه نحو نفسه ونحو وطنه ان يناضل ولا يستكين ، ويسعى في طلب الرزق بجد وامانة .

ويرجع المؤلف الى الوجدان ، ويتحدث عنه في الباب السابع والاخير الذي جعل عنوانه « الوجدان قيمة الانسان » . ويبدأه بقوله : « لعل الناس لم يكونوا في حاجة الى دين سماوي ولا الى حزب سياسي ، لو كانوا يحيون في عالم يتسم بالكمال يسكنه رجال كرماء لا تنطوي علاقاتهم الاقتصادية على غير المزايا والفضائل ، والعدل والأمانة ، والنفع والكفاءة . غير أن الناس لا يولدون فضلاء ، بل يولدون وفي أعماقهم الشر والخير ، وانما يكتسب الانسان الفضيلة بعد ذلك ، ويتميز الانسان عن سائر المخلوقات بوجدانه ، والدين يتجه الى الوجدان ، ويرتب عليه الثواب والعقاب ، ويحاسب المرء امام الله بما يكنه ضميره وما يصدر عن هذا الضمير من افعال .

ويحاول الرئيس سيكوتوري في نهاية هذا الباب ان يخلص الى شعار ، فيرى ـ بعد شرح قصير ـ انه العمل والعدالة والتضامن ، ولهذا يجب احترام الشعب ، وبذل كل طاقات النفع الاجتماعي ، فتزايدها المتصل يمثل مطلبا من مطالب الوجدان الحي ، وممارسة للحقيقة التاريخية والمنطق الاجتماعي .

وفي الخاتمة يشيد الرئيس سيكوتوري برابطة العالم الاسلامي التي تشكلت بمبادرة من المغفور له الملك فيصل ، وبجهوده الصادقة الدعوية فهي توثق الصلات بين شعوب الاسلام . ولقد سعدت غينيا اذ وجدت نفسها مشدودة بروابط متينة الى العالم الاسلامي في اطار الرسالة المحمدية التي اضاءت للبشر طريق السعادة الحقيقية ، طريق سيادة السلام وروح الاخوة والمساواة بين مختلف الشعوب .

وهكذا نرى احد رؤساء الدول الافريقية يساهم في الفكر الاسلامي المعاصر ، بكتاب مفيد ، طرحه في اجتماعات المؤتمر الاول للمجلس الاسلامي الوطني المنعقد في المدة ما بين ٣٠ سبتمبر الى ٣ اكتوبر سنة ١٩٧٥ . فالدين الاسلامي عنده هو النور الذي اهتدى به في كل معاركه السياسية والاجتماعية والوطنية ، وقاد به ثورته المظفرة .

وبعد ، فقد قلنا في مطلع المقال إن كتاب الرئيس سيكوتوري كتاب صغير الحجم كبير القدر ، وكبر قدره آت من أنه جاء على لسان احد الحكام ، فان ما فيه من افكار يعرفها كل من قرأ كتاب الله واحاديث نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ، فالشورى والحرية ، وكرامة الانسان والعمل المخلص وحب الوطن ، واحترام الغير من اهل الديانات الاخرى ، وما الى ذلك من صفات نبيلة ، ذكرت في اكثر من موضع في القرآن الكريم ، ودعا اليها المصطفى قولا وعملا . ولكننا في حاجة من آن لآخر الى من يذكرنا بأمور ديننا ، فيوقظنا من غفوات تخيم على العقول ، وضلالات تصيب النفوس ، وجحود يعتري القلوب . وما اجمل من ان تأتي هذه التذكرة من ذوي السلطان ، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .













للاستاذ/محمد محمد شرف الدين

كانت عقارب الساعة تشير الى الثانية والنصف عندما انطلق رنين المنبه عاليا متلاحقا ، كأنه يريد أن يتخلص من الأمانة الملقاة عليه ، وظل طوال الليل حاملا لها وأمينا عليها ، ولم يتوقف حتى استيقظت (أم إيمان) وأسكتته ، بعد أن قالت بصوت فيه هدوء ومناجاة : « الحمد لله الذي رد علي روحي ، وعافاني في جسدي ، وأذن لي بذكره » فقد اعتادت أن تقول ذلك كلما استيقظت ، كما كانت تقول وتفعل عند نومها ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لأحد الصحابة : « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ، وقل : اللهم أسلمت نفسي اليك ، ووجهت وجهي اليك ، وفوضت أمري اليك ، والجأت ظهري اليك ، رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا اليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت . »
ثم اتجهت وأيقظت « إيمان » ابنتها الكبرى ، وأمرتها بايقــاظ الحســن والحسين ، وباقي الأولاد ، من الحجرة المجاورة ، ليصلي الجميع صلاة الليل ، ويختتموا بالوتر قبل أذان الفجر ، وبعد ذلك استمعت إلى الآذان الشرعي ، من المسجد المجاور للمنزل ، وكان صوت المؤذن وهو يقول : « الصلاة خير من النوم » فيه خشوع ، وتذلل ، وتضرع ، رددت خلفه ، وصلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، وسألت الله الوسيلة والفضيلة ، وراحت تدعو الله وتسأله العفو والعافية ، في الدين والدنيا والآخرة ، وهنا سمعت ابنها الصغير « إسلام » يقول لها : أمي ، أين عصا جدي ، لأذهب مع إخوتي الى المسجد ، لأنني قلت للامام في صلاة العشاء أمس : إن شاء الله سأحضر كل وقت ، ففرح وأعطاني مصحفا ، نمت وهو معي ، وربتت على كتفه ، وضمته الى صدرها بحنان الأم ، وقالت له : « مع السلامة يا بني ، جعلك الله من أهل القرآن والسنة » ــ ووقفت تصلي بابنتها « إيمان » صلاة فيها الاطمئنان والخشوع . إنها تحب الصلاة كثيرا ، وتشعر فيها بالراحة والهدوء ، فهي قرة عين المؤمن . ويعجبها قول الحسن البصري : « لو خيرت بين دخولي الجنة وصلاة ركعتين ، لفضلت أن أصلي الركعتين ، لأن في دخولي الجنة إرضاء لنفسي ، وفي صلاتي الركعتين إرضاء لربي ، وأولى بالعبد المؤمن أن يفضل إرضاء ربه على إرضاء نفسه » ، وتحب أن تقرأ كثيرا من القرآن في صلاة الصبح ، لأن قرآن الفجر المقروء في الصلاة مشهود تحضره الملائكة ، وتدعو كثيرا في سجودها فأقرب ما يكون العبد الى ربه وهو ساجد . وكلما ازداد الانسان سجودا لله ازداد قربا منه . ورغبة فيه . وحبا له . وتعلقا به . هكذا غرست الايمان في قلوب أولادها جميعا ، بدروس ايمانية في المنهج والسلوك ...
كانت ترغب المطيع وتكافئه ، وترهب العاصي وتقومه ، أيقنت تماما أن الأم التي تخشى الله وتعبده ، كأنها تراه في كل ما تأتي ، وكل ما تدع ، تربي أولادها على العفة والفضيلة ، ودماثة الخلق ، أما المرأة الخليعة فيكون أولادها صورة منها . وهناك بون شاسع بين الطفلة التي تقلد أمها المسلمة ، في السجود ، وتلاوة

القرآن ، وبين الطفلة التي تقلد أمها الناقصة ، في وقفتها الخليعة أمام المرآة ، تلطخ خلقة الله ، وتغيره بالمساحيق ، والأقذار ، التي لا تزيدها إلا نقصا ، ودناءة ، وخسة ، فالرضاع يؤثر على الطباع ، والزهرة الأصيلة عنوان البستان التي قطفت منه ، وهي تحمد الله كثيرا ، فأولادها جميعا يحفظون القرآن ، وابنتها الكبرى بالجماعة الاسلامية في كليتها ، تقوم دائما بالحث على الفضيلة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، معززة ما تقوله بدروس سلوكية ، لجوهر الفتاة المؤمنة ، في مجتمع يعيش في خضم رهيب ، من التقليد الأعمى ، والأفكار السطحية ، ودخل أولادها باستئذان وهدوء ، بعد تأدية الصلاة ، وبادروها بتحية الاسلام ، وطبع كل منهم على يدها قبلة الوفاء والتقدير ، ويلمح إسلام في يدها كتابا من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيقول لها : أمي من الذي أعطاك هذا الكتاب ؟ وتلمح في عينيه البراءة والاستفهام ... أخذت تفكر ... وتفكر ... تريد إجابته بكل الصدق ، فهي لم تتعود الكذب مطلقا ، وراحت تنظر إلى الآيات القرآنية ، في صفات عباد الرحمن المعلقة على الحائط ، وتذكرت هذا اليوم الذي جلس فيه « أبو الحسن » زوجها وأخذ يكتبها ، حتى فرغ منها ، بعد ساعات متأخرة من الليل ، وكأنه أحس بقلبه المؤمن ، أنه يقترب من النهاية ، يومها كتب وصية شرعية ، رأت في عينيه أثناءها دموعا متجمدة ، وهو يخط بيده :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

إني أبرأ إلى الله ، من كل فعل أو قول ، يخالف الشرع الشريف (هذا ما أوصى به « خالد العربي أبو المجد » إنه يشهد أن لا اله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأوصى أهلي أن يتقوا الله ، ويصلحوا ذات بينهم ، ويطيعوا الله ورسوله ، وقد أوصيت بما يأتي : « أن يحضرني بعض الصالحين قرب الوفاة ليذكروني بحسن الظن بالله ، وبرجاء رحمته ، ومغفرته ، ويلقنوني كلمـــة التوحيد ، ويمنع رفع الصوت بالنياحة والندب ، ولطم الخدود ، وشق الجيوب ، والدعاء بدعوى الجاهلية ، ويبدأ بقضاء ما علي من الدين ، ويمنع خروج النساء الى المقابر مطلقا ، ويمنع تأجير جماعة لعمل عتاقة ، ويمنع أهلي من صنع اى طعام يجمعون عليه الناس ، فكل هذا من البدع المذمومة ، المخالفة للشرع الشريف ، وقد أوصيت بثلث مالي للفقراء ، ومسجد الرحمة ، وتوضع كتبي في هذا المسجد الشرعي ، وجعلت النظر في ذلك ، لمن يرأس أهل السنة في هذه الجهة .
وبالجملة فاني ابرأ الى الله ، من كل فعل ، أو قول يخالف الشرع الشريف ، ومن أهمل تنفيذها أو بدلها ، أو خالفها ، فعليه وزره : **(فمن بدله بعدما سمعه فانما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم)** البقرة / ١٨١ .
تذكرت بعد كتابة الوصية ، ما حدثها به عن روعة لقاء الله ، وعن مرض الرسول صلى الله عليه وسلم الأخير ، ووفاته ، وكيف غسل ، وكفن ، وصلى عليه ،

ودفن ، ومسحت دموعها حينما تذكرته وهو يقول لها ، وكانت حاملا : (إن شاء الله « يا أم إيمان » عند الوضع بسلامة الله أذني في أذن الطفل اليمنى ، وأقيمي الصلاة في أذنه اليسرى ، وحنكيه بالتمر ، وفي اليوم السابع اطلقي عليه اسم إسلام إن كان ذكرا ، وقصي شعره ، وانفقي بوزن الشعر ذهبا أو فضة على الفقراء ، واختتنيه داعية له بالبركة .

راحت تتذكر كل هذا ، ورجعت بفكرها بعيدا ، يوم أن قال لها ، عندما ذهب ليخطبها ولم ير منها سوى الوجه والكفين : « دبلة الخطوبة الخاصة بي إن شاء الله تكون من الفضة لأن الذهب والحرير محرمان على الرجال ، وتمنع أية بدعة من بدع الأفراح ، ويكون عقد القران بالمسجد ، أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، يومها أخذ يحثها على الاجتهاد في قيام الليل ، وتلاوة القرآن ، وأعطاها تشجيعا لذلك مصحفا هدية ، ومجموعة من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم وقال لها يومها : إن الخالق سبحانه وتعالى ، تجلى لعباده في كتابين عظيمين : كتاب مقروء هو القرآن الكريم ، وكتاب منظور هو الكون . ويجب علينا أن لا ننشغل بما خلق لنا عمن خلقنا له . وقال لها أيضا يومها :

« الحروب والمكائد ضد الاسلام والمسلمين ، تدور وتدبر بشراسة وحقد والاسلام يحارب من أدعيائه قبل أعدائه . والمنتسبون إليه عالة عليه ، والمشكلة أننا نحتاج إلى تغيير جذري ، فالمستعمر أفقدنا الحواس ، وزرع فينا تبلد الشعور ـ اللامبالاة ـ اللاقيم ـ اللا أخلاق ـ اللا شعور ـ اللا ضمير ـ اللا دين ـ كل هذا يعترى السواد الأعظم من المسلمين اليوم ـ المسلمون يذبحون ويشردون وأصبحوا أذلة مستضعفين ، ورغم هذا فهم يرتشفون الخمور ، وحياتهم مليئة بالفسق والفجور ـ هناك من يتلاعب بأقوات الفقراء دون خوف أو مبالاة لعلام الغيوب ـ أنظري إلى « حسان » المجاور لنا وهو يرتدي ثوبا باليا ، مرقعا ، ملطخا ، بالأوساخ والأقذار ، ولا يملك ثمنا لصابونة . وينام جائعا يحلم بطبق من العدس أو الكوسة !!! ورغم هذا ، فهناك من يعيشون وسط الآلاف والملايين ، وليس هذا عدلا ـ أين أنت يا عمر يا أستاذ العدالة ؟ وأين أخلاق الاسلام المتسامح العظيم ؟ الاسلام أصبح غريبا بين أهله ، وفي بلاده ، وأصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر !!! مصيبتنا ما نعانيه من تفكك وصراعات جانبية ، وداخلية ، وإسلامنا يدعو إلى الاعتصام والمحبة ، نحن نربو على ٨٠٠ مليون مسلم ، ورغم هذا ، لا نستطيع عمل شيء يرضي الله ونفخر به لأجيالنا ، والصحابة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا لا يزيدون عن ١٢٤ ألفا وكان لهم العزة ، والقوة ، والمهابة ، لأنهم استمسكوا بحبل الله المتين ، واحتكموا فيما بينهم بالكتاب المبين ، انهم خافوا الله فخوف الله منهم جميع خلقه ، أما نحن فلما لم نخف الله ، خوفنا الله من جميع خلقه ، أصبحنا نسخر من الدين ، ونعد من يسير على مبادئه رجعيا ، ومتخلفا ، ونتهم علماءنا بأنهم مصابون بالعقم الفكري ، والجمود ، دون جرأة لنقول لراقصة أنت مصابة بالعقم الفني ،

والرقص الخليع ، نهزأ بأصحاب اللحى والعمائم ، والمتحجبات الطاهرات العفيفات ، مصفقين للراقصات ، والمطربات الفاجرات ، حتى أصبح المسلم مسلما بشهادة ميلاده ، أما جوهره فملئ بأفكار الغرب المستوردة ، والهدامة للاسلام المتآمر عليه . لا ... هذا لا يرضي أى مؤمن صادق الايمان كلنا مسئولون أمام الله ، ولن نجد الحجة أو الدافع لنا وعنا ، في عدم تطبيقنا لشرع الله ، اقتربنا من المخلوق وابتعدنا عن الخالق ، أحببنا المال ، ونسينا الحساب ، بنينا القصور ونسينا القبور ، حتى الحوار الذي يدور بين شابين مسلمين بالغين لا يخلو من المناقشات السفسطائية ويدعو للرثاء والألم ، حينما يقول أحدهما لزميله .. كم من الأفلام دخلت ؟ وكم من الأغاني حفظت ؟ ولم يقل له : كم من القرآن حفظت ؟ ومن أحاديث الرسول درست وطبقت ؟ أصبحت قلوبهم تهتز باهتزاز شبكة المرمى ، ولا تهتز بذكر الله ، راحوا يحفظون العشرات من أسماء اللاعبين ، والفنانين والفنانات ، والأفلام الوقحة المنحطة والمطربات الفاجرات ، ولم يخطر ببال أحدهم أن يحفظ ويعرف من هم العشرة المبشرون بالجنة !!

كان يدعو كثيرا ويقول : « اللهم ارزقني الشهادة في سبيلك ، ولذة النظر إلى نور وجهك الكريم » ويحدثها عن الترغيب في الجهاد ، وفرضيته من الكتاب والسنة ، وبطولات إسلامية نادرة من هذا الرعيل النادر ، من الخلفاء الراشدين ، والصحابة والتابعين ، وعن فضل الشهادة ، والشهداء ازدادت ابتهالا ، حينما حدثها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت جعفر بن أبي طالب ملكا يطير في الجنة ذا جناحين ، يطير بهما حيث شاء ، مضرجة بالدماء » ـ لأن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قطعت يداه في سبيل الله يوم مؤتة ، فأبد له الله بهما جناحين يطير بهما في الجنة ، وفي صحيح البخاري أنهم عندما التمسوه في القتلى ، وجدوا بما أقبل من جسده بضعا وتسعين ، بين ضربة ورمية وطعنة ، امتلأ قلبها إيمانا وغبطة حينما قال لها : أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ، تتعلق بأشجار الجنة ، وهم أحياء عند ربهم يرزقون .

وخرج أبو الحسن يومها سريعا على غير عادته ، كأنه على موعد في غاية الأهمية ، موعد عزيز إلى نفسه ، طيب لخاطره ، وامتلأ أنفها برائحة المسك الذي تعود أن يتطيب منه ، وصلى ركعتي الاستخارة والسفر .... سافر ولم يعد ؟؟؟ وأيقنت بأن دماءه ستظل دافئة ، بين أحضان الرمال ، مع زملائه الشهداء في سبيل الله ، وفي معارك الحق والمبادئ والشرف ، أحست بأن روحه تحلق فوقها وتحوم في أرجاء البيت ، فأخذتها رعدة شديدة ، حينما تخيلت صوتا يقول لها : « الطريق ما زال طويلا ، ادفعي بالأولاد ، أنا في انتظارهم أرحب بهم » وانتبهت فجأة على صوت « إسلام » وهو يقول لها : لماذا تبكي يا أماه ؟؟ بالله تقرئي لي من هذا الكتاب الذي بين يديك .

وضمته إلى صدرها ، وراحت تقرأ له تلك القصة الخالدة ، التي هزت مشاعرها ، واستولت عليها ، وتمنت أن تكون هي صاحبة القصة . وتمنت لو قرأها ،

ووعاها كل مسلم ، حاكما أو محكوما ، رجلا أو امرأة ، فتى او فتاة ... وبدا لها ابنها شجاعا كبيرا ... فراحت ترويها لابنها ، كما يقول (أبو قدامة) أحد قادة المسلمين في غزواتهم ضد الروم :

« كنت أميرا .. فدعوت إلى الجهاد في سبيل الله ، فجاءت امرأة بورقة وصرة ، ففضضت الورقة لأقرأها ، وأنظر ما فيها ، فاذا في تلك الورقة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من أمة الله المسلمة إلى أمير جيش المسلمين سلام الله عليكم ـ أما بعد ـ فانك قد دعوتنا إلى الجهاد في سبيل الله ، ولا قدرة لي على الجهاد . وهذه الصرة فيها ضفيرتي ، فخذها قيدا لفرسك ، لعل الله يكتب لي شيئا من ثواب المجاهدين . يقول أبو قدامة ، فشكرت الله على توفيقها ، وعلمت أن المسلمين يشعرون بواجبهم ، ويتكتلون ضد أعدائهم . فلما واجهنا العدو ، أبصرت صبيا حدثا ، ظننت أنه ليس أهلا للقتال لصغر سنه ، فزجرته رحمة به ، فقال : كيف تأمرني بالرجوع وقد قال الله تعالى : **(انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله)** التوبة/ ٤١ قال : فتركته ثم أقبل علي ، وقال : أقرضني ثلاثة أسهم ، فقلت له وأنا معجب به ومشفق عليه : إني أقرضك ما تريد بشرط أن تشفع لي إن من الله عليك بالشهادة ، وكنت أشعر نحوه بمحبة وتقدير ، فقال : نعم إن شاء الله فأعطيته الأسهم الثلاثة ، ثم أقبل على العدو في قوة وحماس ، وما زال ينال من أعدائه وينالون منه ، حتى خر صريعا في ميدان القتال ، وكانت عيني لا تفارقه طوال المعركة إعجابا به ، وإشفاقا عليه ، فلما خر صريعا ، أقبلت عليه ، وسألته : هل تريد طعاما أو ماء ، فقال : لا ، إني أحمد الله على ما صرت إليه ، ولكن لي حاجة ، فقلت له : مرني بما تشاء وليس أحب إلي من قضائها فقال ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة الطاهرة : أقرئ أمي مني السلام ، ثم ادفع إليها متاعي ، فقلت : ومن أمك أيها الشاب ؟ قال : أمي هي التي أعطتك شعرها قيدا لفرسك ، حين عجزت أن تقاتل في سبيل الله تحت لوائك ، قلت : بارك الله فيكم من آل بيت ... ثم فارق الحياة فقمت نحوه بما يجب .

ثم رجعت إلى أمه تنفيذا لوصيته ، فلما رأتني أقبلت علي ، وقالت : هل جئتني معزيا ، أو جئتني مهنئا !!! فقلت لها : وما معنى ذلك يا أمة الله فقالت : إن كان ابني قد مات فقد جئتني معزيا ، وإن كان قتل في سبيل الله ، ونال ما كان يطمع فيه من الشهادة ، فقد جئتني مهنئا ، فقصصت عليها ما حدث ، فقالت : الحمد لله لقد استجاب دعاءه ، فقلت لها : وما ذاك فقالت : إنه كان يدعو الله في صلواته ، وخلواته ، ويقول في صباحه ومسائه « اللهم اجعلني من الشهداء » وما كادت تفرغ من قراءة القصة حتى استمعت الى إسلام وهو يقول لها : أمي استودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، وخرج مسرعا كما خرج أبوه ، فقالت له : إلى أين يا بني ؟ فقال لها وهو يبتسم : ادع لي يا أماه فغدا ستعرفين ، وظلت تنظر إليه ، وكان سريعا على غير عادته ، كأنه على موعد في غاية الأهمية ... موعد عزيز إلى نفسه ..... طيب لخاطره حتى اختفى بعيدا ..... بعيدا في رعاية الله .

الفتاوى

للشيخ : عطية صقر

أين يصلي العيد

السؤال : أي مكان أفضل لصلاة العيد ؟

محمد رفعت ـ الكويت

الجواب :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنهم أصابهم مطر في يوم عيد فصلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العيد في المسجد ـ رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم ، وسكت عنه أبو داود والمنذري ، أي لم يبينا درجته ، وهو حديث ضعيف في إسناده رجل مجهول ، وهو عيسى بن عبدالأعلى ، قال فيه الذهبي لا يكاد يعرف وقال هذا حديث منكر .

أكثر الأحاديث الواردة في صلاة العيد تذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم فعلها في « المصلى » والمراد به غير المسجد وعبر عنه أحيانا بالجبانة وهذا الحديث على الرغم من ضعفه ، يفيد أن الرسول عليه الصلاة والسلام صلاها في المسجد لعذر المطر ، حيث لا يوجد في المصلى ما يتقي به .

ومن هنا اختلف العلماء في أفضلية صلاة العيد ، هل تكون في المصلى أو في المسجد ، فالامام مالك يقول إن فعلها في الجبانة ، أي في غير المسجد ، أفضل ، واستدل بما ثبت من مواظبته عليه الصلاة والسلام على الخروج إلى الصحراء ، فان كان هناك عذر كمطر فالأفضل المسجد .

والامام الشافعي ذهب إلى أن المسجد أفضل ، لأنه خير البقاع في الأرض ، والأحاديث واردة بكثرة في فضل التردد عليها والصلاة فيها ، قال في الفتح : قال الشافعي في الأم : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج في العيدين إلى المصلى بالمدينة ، وهكذا من بعده إلا من عذر مطر ونحوه ، وكذا عامة أهل

البلدان إلا أهل مكة ، ثم أشار الشافعي إلى أن سبب ذلك سعة المسجد وضيق أطراف مكة ، قال : فلو عمر بلد وكان مسجد أهله يسعهم في الأعياد لم أر أن يخرجوا منه ، فان لم يسعهم كرهت الصلاة فيه ولا إعادة ، قال الحافظ : ومقتضى هذا أن العلة تدور على الضيق والسعة لا لذات الخروج إلى الصحراء ، لأن المطلوب حصول عموم الاجتماع ، فاذا حصل في المسجد مع أولويته كان أولى .

فأنت ترى أن حجة الأولين هى فعله صلى الله عليه وسلم وهو قدوة حسنة ، لكن يقال : إن الفعل واقعة حال لا تنفى غيرها ، ولم يرد من الرسول عليه الصلاة والسلام أمر بفعلها في غير المسجد عند الاختيار ، ولانهى عن فعلها في المسجد ، ولعل اختيار الرسول فعلها في غير المسجد كان لأمرين ، الأول ضيق المسجد لأنه دعا النساء أيضا لشهود صلاة العيد ، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما ، حتى الحيض منهن ، والحيض لا يدخلن المسجد ، والثاني إظهار شعيرة من شعائر الاسلام وإعلان الفرح بيوم العيد لما فيه من فضل الله على المسلمين ، والاجتماع الواسع شعار كل الناس في أعيادهم ، والتوجيهات التي يلقيها على الحاضرين تعم أكبر عدد من المسلمين لم يكن ليوجد لو حضروا في المسجد ، ولذلك عندما حث على الصدقات توجه إلى حيث يجتمع النساء وذكرهن ووعظهن ، فجمع منهن خيرا كثيرا لمساعدة من لا يجدون سعة ولا يستطيعون التمتع ببهجة العيد لضيق ذات أيديهم .

ويقع في نفسي بناء الحكم على نتيجة إقامة الصلاة وأثرها ، فان كان هناك مسجد واحد كبير في محله يسع كل الناس بما فيهم من لا يصلون العيد كالنساء كانت صلاتها فيه أفضل ، وذلك لأفضلية المسجد على غيره ، ولحصول التجمع وفرصة التلاقي وتبادل التهاني بين كل أهل البلدة ، فاذا تعددت المساجد وضاق مسجد واحد عن استيعاب أهل البلد كان فعلها في الخلاء أفضل ، وذلك لأن التعارف وتبادل التهاني وشهود التوجيهات العامة الموحدة يحدث في المصلى بشكل لا يوجد في كل مسجد على حدة ، حيث لا يتم التعارف الشامل ، والاسلام يحب من المسلمين أن يظهروا وحدتهم وتعاونهم ، وفي تجمعهم على شكل واسع . إعلان عن قوة الاسلام ودعاية صامتة تجتذب لها قلوب غير المسلمين ، والمظاهر اذا كانت تستهدف خيرا كانت مشروعة ، وشواهد ذلك كثيرة .





النقط والشكل في القرآن الكريم

من أول من قام بنقط المصحف الشريف ؟ وهل كان مصحف سيدنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه غير منقوط كما نعلم ؟ وما الحكمة في ذلك ؟ وهل الشكل والنقط حدثا في عهد واحد ؟ - غسان سليمان - الكويت

كان مصحف سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ذا أثر واضح في نفوس المسلمين في كل أنحاء العالم الاسلامي ، فما كاد يصل الى تلك الأقطار حتى أقبل عليه المسلمون من كل حدب وصوب . وقام الناس بالنسخ على غراره بعد ذلك في جيله رضى الله عنه ، وفي الأجيال المتعاقبة ، وبجانب التحسين في النسخ والطبع والعناية بالورق والتجليد ـ فتلك تحسينات شكلية ـ حرص المسلمون على تقريب نطق الحروف ، وبيان المتشابهات ، وتمييز الفروق بين الكلمات ، فنشأ عن ذلك ما سمي بالاعجام (النقط) .

والمعروف أن مصحف سيدنا عثمان لم يكن منقوطا ، وذلك يدع الكلمة تحتمل أن تقرأ بكل ما يمكن من وجوه القراءات .

على أن هناك من العلماء من يرى أن الاعجام كان معروفا قبل ذلك ، وترك الاعجام في مصحف سيدنا عثمان لترك احتمال الكلمة عدة وجوه للقراءات الصحيحة الواردة .

وقول آخر يرى أن النقط لم يكن معروفا حتى قام به أبو الأسود الدؤلى رضى الله عنه . وسواء عرف الاعجام قديما أم لم يعرف ، فان المشهور أن اعجام المصحف لم يحدث الا في عهد عبدالملك بن مروان ، إذ إن رقعة الاسلام قد اتسعت ، ودخل في الاسلام العرب والعجم وكاد أن يختلط على الناس الأمر بالنسبة للغة ، وخشى أن يسرى هذا اللبس على

قراءة المصحف وحتى أصبح يشق على العامة من الناس قراءة المصحف دون إعجام ، عند نلك أمر الخليفة عبدالملك بن مروان الحجاج بن يوسف أن يهتم بهذا الأمر العظيم .

فندب الحجاج لهذا الأمر الجلل عالمين ، مشهود لهما بحسن الصلة بهذا الفن هما نصر بن عاصم الليثي ، ويحيى بن يعمر العدواني ، وهما قد تتلمذا على أبى الأسود الدؤلي رضي الله عنهم .

وقد نجحا في إخراج المصحف الشريف لأول مرة منقوطا ، وكان لنلك أثره الواضح فقد أزال الاشكال ، ونحى اللبس جانبا ، وأشاع في الناس القراءة خالية من التحريف مشفوعة بالنقط ملتزمين في نلك منهج هذين العالمين الجليلين .

ويقال : إن أول من قام بنقط المصحف هو أبو الأسود الدؤلي .

وكان لابن سيرين مصحف منقوط قام بنقطه يحيى بن يعمر .

وتوفيقا بين هذه الأقوال يمكن إن يقال : أن أول من نقط المصحف هو أبو الأسود الدؤلي بصفة فردية ، وكان على إثره ابن سيرين .

وأن عبدالملك بن مروان أول من أمر بنقط المصحف بصفة رسمية

وكان من نتيجة نلك انتشار النقط وشيوعه بين الناس عامة ، وقضى بنلك على الاشكال الذي قد ينشأ من عدم النقط .

والشكل خلاف النقط ، ولكنه يتبعه ، ولم يهتم العرب قديما بالشكل لقوة ارتباطهم باللغة وسلامة نطقهم لها ، وحتى اختلط على الناس الأمر ، ودخل في الاسلام من في ألسنتهم عجمة، فخيف من مغبة تأثير هؤلاء على سلامة اللغة الذي يسري ضرره ، ويمتد الى القرآن الكريم .

فكان السعي الحثيث من أبي الأسود الدؤلي الذي أفزعه لحن الناس ، فاستأنن الحاكم في نلك ، وأعمل فكره ، وهداه اجتهاده إلى أن وضع للفتحة نقطة فوق الحرف ، وللكسرة نقطة أسفل الحرف ، وللضمة نقطة بين أجزاء الحرف ، وللسكون نقطتين حتى كان عصر عبدالملك بن مروان ، والذي في عهده أعجم المصحف ، عند نلك كان لابد من التمييز بين النقط ، والشكل فكان الشكل هو ما نعرفه اليوم .

ولا شك أن النقط والشكل في هذا العصر أوجب من العصور السابقة ، ونلك خوفا من التغيير ، وصيانة للقرآن الكريم من اللحن .



مع الشباب

الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .

ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .

ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

الشباب بين الأسرة والمدرسة

أرسل الأخ عبدالباسط محمد خليل كلمة يتحدث فيها عن الشباب وما يعانيه وعزا ذلك إلى التسيب الذي يحيط بالمجتمع من كل جانب من انصراف للآباء وسوء توجيه في أجهزة الاعلام وعدم كفاية التوجيه الديني في المدرسة نقتطف منها ما يلي :

كثر ارتكاب الشباب لألوان مختلفة من الانحرافات التي تنوعت مظاهرها ، وقد اتسمت بالجرأة ، وتميزت بالعبث والفساد .

وهى بلا شك ظاهرة اجتماعية يجب أن يحسب لها كل حساب ، لذلك كان لزاما على من يهتمون بمشكلات الشباب وحياتهم أن يكونوا على وعي كامل حتى يتمكنوا من تهيئة الجو المناسب الصالح للشباب المسلم .

ولا شك أن هذه الانحرافات سببها راجع إما الى الاهمال الواضح من الأسرة ، فلم يجد الشاب فيها الحصانة الكافية ، فالمنزل هو الخلية الأولى ، والبيئة الأصيلة التي تعلمه الحياة الفاضلة ، فالمنزل لابد أن يكون حافلا بكل معاني الاخلاص ، والتعاون ، والمودة ، والرحمة ، والخلق الديني المستقى من كتاب الله وسنة رسوله ، فيتخرج الى الحياة العامة ، وقد توافرت فيه هذه

المبادئ ، وتلك الصفات محذرا من العلاقات المنحرفة بعيدا عن جو المشاحنات ، والمنازعات ، والحقد ، والكراهية ، غير منصرف عن شعائر الله التي تصقل النفوس وتنقى الأرواح .

والمدرسة عامل هام ورئيسي في حياة الشباب تكون اتجاهاته ، وهى التي تعد الشباب ليكونوا رجالا نافعين يرفعون شأن الأمة ، ويدعمون حضارتها .

وعدم كفاية التوجيه الديني في المدرسة أفقد الشباب حصانات كان يمكن ان تكون سلاحا قويا في وجه كل التيارات والاتجاهات المنحرفة الضالة المضلة ، لذلك نراهم قد استسلموا للمبادئ الهدامة ، والأفكار الضارة .

ودور أجهزة الاعلام دور هام وفعال فالمادة التي تقدم لو أحسن اختيارها لا شك أنها ستكون زادا جيدا ورصيدا هائلا ونورا على الطريق يضيء للشباب دروب الحياة من أفلام أجنبية مسمومة تشرح بكل وضوح خير الوسائل للجريمة ، بل وأسهلها على الصغار ، وترسم طريق الانحراف مدعية أن لكل مشكلة علاجاً ، ولا شك أن هذه مضيعة للوقت ، وهدم للأخلاق في نفس الناشئة .

ولا ينكر أحد أثر أجهزة الاعلام في نفوس الشباب .

وتعقيبا على ذلك نقول : نعم الأسرة هي الطريق المستقيم الذي يأخذ الشباب الى النجاة ، ويشده الى الفضيلة ، ويغرسها فيه اقرأ قول الشاعر :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

والأم هى الاناء الذي يصقل الأسرة ويهبها الوسائل للوقوف امام ما يعترض سبيل حياته .

وإذا كانت الأسرة تعرف طريق ربها الذي أراده للناس فانها تكون أسرة صالحة تخرج للحياة جيلا صالحا .

وكذلك المدرسة هي الخلية الهامة المؤثرة في سلوك الشباب فان القائمين عليها يحتلون في نفوس الشباب مكانة مرموقة ، وقد تعارف الناس على تقديرهم :

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم ان يكون رسولا

وان أجهزة الاعلام تدخل بلا حجب كل البيوت ، وتلامس النفوس ، فوجب أن يكون ما يقدم فيها منسجما مع الأخلاق والفضيلة .

نرجو أن يتنبه الآباء للعلاج النافع ، والتوجيه السليم لأبنائهم ، فهم فلذات الأكباد وهم أمانة في أعناقنا ، وقد أوصانا الرسول صلى الله عليه وسلم بهم ، وأمرنا أن نرعاهم خير رعاية ، ورسم لنا الطريق ، ولا يجب أن نخطئه في كل حياتنا ، ففي هذا صلاحنا وصلاح أولادنا .

ولنضع لهم منهجا صالحا ، فلا يشاهدون ، ولا يقرأون ، ولا يسمعون شيئا سيئا ، ولا نغفل توجيههم .



المرأة في الاسلام

للأستاذة فتحية محمد توفيق

كانت المرأة في بعض الشعوب لاتعدو أن تكون مخلوقا تابعا للرجل ، ليس له قيمة ، وفي بعض المجتمعات تعامل معاملة الحيوان الأعجم ، وعلماء أوروبا ينظرون إلى المرأة على انها شر لا بد منه ومحبوبة فتاكة ورزء مطلي مموه ومدخل الشيطان الى نفس الانسان ، وإنها هي التي دفعت الانسان الاول الى ارتكاب الخطيئة هكذا كانت نظرة المجتمعات ، ولا زالت بعض الشعوب التي تزعم انها متحضرة ومتمدينة تنظر الى المرأة على أنها مرغوب فيها ، ووسوسة لا بد منها ، أسفر نور الاسلام فافتر ثغر الدهر عن جو مشرق للمرأة وأمل بعيد وأسلوب في الحياة جديد ، وثب الاسلام بالمرأة إلى أبعد غاية من كمال النفس وسمو الحياة واتزان الأخلاق وأدب السلوك فظهرت المرأة المسلمة في مشرق هذا النور ملأى اليدين من حق موفور ، وفضل مأثور ، فياضة النفس بما شاعت من الأدب والرفعة والعفة والصيانة والعز ، والشرف والكرامة ، نعم أنصف الاسلام المرأة من جميع جوانب حياتها وفي كل أدوارها ، أنصفها ووضعها في الموضع اللائق ، صيانة للمجتمع وحفظا له ، وأنصفها من ناحية المعاملات التي حث عليها ، وأعربت عنها تعاليمه السمحة ، ومحا عنها الظلام الدامس ، وقشع عنها السحب الداكنة ، التي كانت منعقدة فوق سمائها ، وأزال عنها الأصفاد والقيود التي كانت تعيش فيها ، فبالله عليك أيها القارىء هل رأيت دينا أعدل وأرأف وأرحم بالمرأة من الاسلام ، إنه حقا من عند الله . ذلك الاسلام المشرق الوضاء . قرر للمرأة حقوقها ، وأثبت وجودها ، ورفع مستواها وهيأ لها الجو الصالح كي تعيش قريرة العين مساهمة في بناء المجتمع الانساني مساعدة في تعمير الكون وحركة الدنيا ، لها ما للرجل وعليها ما على الرجل . وليس هذا كلام يقال ، أو عبارات تنسق أو جمل ترتب وتكتب ، بل هي حقائق ثابتة قوية لا سبيل إلى الشك فيها ، شهد بها الزمن وتاريخ الاسلام الزاخر

بالحيوية . وهذا القرآن الكريم عرض لكثير من شئون المرأة في أكثر من عشر سور ، مثل سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والنور والأحزاب والمجادلة والممتحنة والطلاق والتحريم .

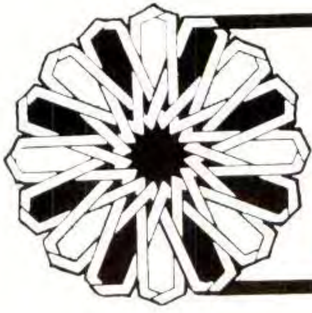
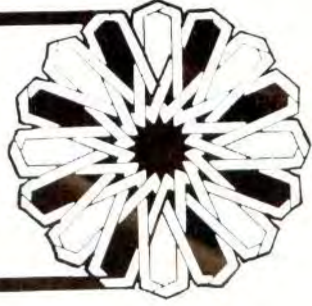
وشخصية المرأة في القصص القرآني تبدو على جانب عظيم من السمو والنفسية العالية والفكر الثاقب كما شهدت بذلك سورة مريم والقصص ويوسف والتحريم .

وسورة النساء افتتحها الله عز وجل مخاطبا عضوي المجتمع الانساني معا : (**يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء**) النساء /١ مطلع قوي أخاذ صدرت به سورة النساء .. يقرر مبدأ واضحا جليا على أساسه تقام الحياة الاجتماعية ، هو مبدأ المساواة : (**من نفس واحدة وخلق منها زوجها**) : (**يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**) الحجرات /١٣ تلك عناية واضحة من القرآن الكريم بشأن المرأة واهتمام بمكانتها التي ينبغي أن توضع فيها ، واهتمام باستقصاء أعظم أحوالها في مختلف اطوارها وفي جوانب حياتها ، وضح حقوقها على الرجل ، وحقوق الرجل عليها وقد أعرب عن ذلك القرآن في شيء من البيان ، وجاءت السنة المطهرة

فكانت الصدى المتجاوب مع القرآن فلم تدع شيئا من شئون النساء دون أن تبرزه إبرازا يتفق وسنة الحياة ،

المرأة نصف المجتمع الانساني ، وحقل الانبات البشري ، حملت الرجل جنينا ووضعته وليدا وسهرت عليه في مهده . وغذته بلبانها وهذبته بسلوكها وقومته بأدبها فهي المربية والطبيبة والحكيمة والمرشدة والأم والوالدة ، والمدرسة الأولى التي يتخرج منها الجيل الى الحياة المليئة بالحركة والحيوية ، **وهي الجامعة التي يتلقى فيها الأفراد المعارف** واللغات والعرف والعادات .

قدرها الاسلام حق قدرها وكلفها بكل ما عليها وجعلها مسئولة عن نفسها وعقيدتها وعبادتها وبيتها ومجتمعها ، وفتح لها أبواب المثل العليا والقيم الأخلاقية الرفيعة حتى تصل الى ذروة ما قدر لها من سمو ونجاح ، وهذه آية من سورة الأحزاب تتجلى فيها مكانة المرأة العاملة جاءت الآية في ثوب رائع ونسق بديع وأسلوب شيق رائق قال تعالى : (**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما**) الاحزاب / ٣٥

مع صحافة العالم

المركز الاسلامي في ميونخ :

بدعوة من وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية زار الكويت وفد من المركز الاسلامي في ميونخ (جنوب ألمانيا) لتمتين الصلات بأشقائهم المسلمين في الكويت ، ولكي يعرضوا نشاطهم على المسئولين فيها ، والوفد برئاسة الدكتور/محمد علي الحجري والسيدة عقيلته التي تشرف على النشاط النسائي بالمركز والاستاذ ابراهيم درويش والاستاذ عبدالحليم خفاجي .

وقد عقد الوفد لقاءات مع السيد يوسف الحجي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية والسيد وزير العدل والسيد وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء .

ومما تجدر الاشارة إليه أن المسلمين الذين يرعاهم المركز الاسلامي ويقدم لهم النصح والتوضيح ، ويقوم بتبصيرهم بأمور دينهم يقدر عددهم بستين ألفا من المسلمين الألمان الذين اعتنقوا الاسلام عن اقتناع ، ومن جنسيات مختلفة باكستانية وتركية وعربية وأندونيسية وإيرانية وأفغانية .

وقد أسس المركز الاسلامي في ميونخ سنة ١٩٥٨م وبدأ منذ اللحظة الأولى لانشائه العمل على لم الشمل وتأصيل الروابط الاسلامية للمسلمين المقيمين في ألمانيا على مستوى الطلبة أو الاباء على السواء . والدعوة إلى الاسلام وشرح رسالته السمحة وتوضيحها بأسلوب يناسب العصر .

وقد التقى الوفد بعدد من المواطنين المهتمين بالدعوة لتيسير سبل تدعيمها .

كما زار الكويت وفد من السنغال لبحث التعاون الثنائي بين البلدين وقد التقى المستشار السياسي للرئيس السنغالي بالسيد الوزير يوسف جاسم الحجي .

وصرح المسئول السنغالي عقب الاجتماع بأن زيارته للكويت تأتي بتكليف من الرئيس السنغالي في نطاق توسيع مجالات التعاون وتنمية العلاقات سواء على صعيد التعاون العربي الافريقي أو التعاون الثنائي بوجه خاص .

وأكد الزائر الكريم أن هذا التعاون أثمر عددا من المشاريع المشتركة بين البلدين وقد تركزت مع السيد وزير الأوقاف والشئون الاسلامية على التعاون في الشئون الاسلامية مبديا رغبة السنغال في إنشاء مسجد كبير ومعهد إسلامي في مدينة (نيو اوون) إحدى أكبر المدن الاسلامية في السنغال التي لعبت دورا كبيرا في نشر الثقافة والدعوة الاسلامية في دول غرب افريقيا بوجه عام والسنغال بوجه خاص .

ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الافريقية

في القاهرة بحث السيد/عبدالوهاب دوكوري سفير الرابطة الاسلامية ومبعوث السنغال ترجمة معاني عشرين سورة من القرآن الكريم إلى اللغات الافريقية إيمانا منه بأن الدين الاسلامي يجب أن ينشر بجميع اللغات الافريقية المتعددة مثل السونينكية والفلانية والهاوسا والأمهرية والسواحلية وهذه اللغات يتحدث بها السواد الأعظم في افريقيا .

هذا وقد سبق أن ترجمت عدة كتب بتلك اللغات شملت أجزاء من السيرة النبوية ، والزكاة ، والفقه ، وقد لاحظ الباحثون وجود كلمات عربية كثيرة في تلك اللغات من جراء الاختلاط الديني والثقافي .

ومن المسلم به أن افريقيا متعطشة لمعرفة الكثير عن الاسلام ويمكن أن يقال عنها القارة المسلمة لكثرة المعتنقين للاسلام من سكانها .

ومثل هذا العمل يفتح الطريق أمام الفئات غير المسلمة للتعرف على الاسلام والوقوف على أسراره وعظمته .

نرجو أن تكلل هذه الترجمات بالنجاح وأن تنال القدر الكافي من العناية لتكون في متناول الدارسين والباحثين وطالبي المعرفة .

الجهاد المطلوب ما هى حدوده

تناقلت وكالات الأنباء عزم الدول الاسلامية على التلاقي لبحث شؤونهم ومن أخصها التدخل السوفيتي في أفغانستان وتحرير القدس الشريف وفلسطين . وقد تقرر أن يبدأ المؤتمر أعماله بوزراء الخارجية .

ولا شك أن الخطر يدق أبواب الأمة الاسلامية فما هي حدود الجهاد المطلوب منا الآن كأمة إسلامية تستمع إلى أجراس الخطر تصدح من حولها وتريد أن نحافظ على كيانها وعقيدتها لنثبت أن الجهاد لم يشرع ليكره الناس على الاسلام كما يدعى الكارهون له .

في حديث للأهرام مع فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي يقول فيه : لنقف ابتداء عند تعريف كلمة الجهاد فالجهاد بذل الطاقة في الفعل . كما قال أن الله أمر أمة الاسلام أن تتحمل فرضية الجهاد في سبيل الله بكل ما أوتيت من وسع وطاقة ، ولكن الجهاد في الاسلام ليس معناه اغتصاب كلمة الايمان بالسيف ولا قهر الناس على الايمان بالله والداعي إليه ، فمهمة الجهاد كانت لتزيح عن البشرية موانع حرية الاختيار ليقبل الانسان على الايمان بالدين إقبالا حرا بدون تأثير رهبة قوة أو خوف طغيان ، وحين تزاح عقبات القهر على عقيدة ما يصبح الناس أحرارا في اعتناق ما يريدون من عقيدة ، إذن فالجهاد إنما شرع لا ليكره مختارا ولكن ليحرر اختيارا ، والدليل على ذلك أن البلاد التي دخلها الفتح الاسلامي وجد بها من لا يؤمن بالاسلام دينا ، ولا بمحمد رسولا ، ولهذا كان يجب على أعداء الاسلام أن ينتبهوا جيدا لهذه الظاهرة قبل أن يرموا الاسلام بأنه انتشر بالسيف

فالى الجهاد بالنفس والمال دفاعا عن المسلمين وحرماتهم إن كنتم تعقلون فنحن أمة واحدة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	التاريخ	فبراير	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
			فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الاحد	١	١٧	١١ ٢٨	١٢ ٤٨	٦ ٢٤	٩ ٣٦	١ ١٨	٤ ٦	٦ ٢٦	١٢ ٢	٣ ١٤	٥ ٣٨	٦ ٥٦
الاثنين	٢	١٨	٢٦	٤٧	٢٤	٣٥	١٨	٥	٢٦	٢	١٤	٣٩	٥٧
الثلاثاء	٣	١٩	٢٤	٤٥	٢٣	٣٥	١٨	٤	٢٥	٢	١٥	٤٠	٥٧
الاربعاء	٤	٢٠	٢٢	٤٣	٢٢	٣٥	١٨	٣	٢٤	٢	١٥	٤١	٥٨
الخميس	٥	٢١	٢١	٤٢	٢١	٣٥	١٨	٢	٢٣	٢	١٦	٤١	٥٩
الجمعة	٦	٢٢	٢٠	٤٠	٢٠	٣٤	١٧	٢	٢٢	٢	١٦	٤٢	٥٩
السبت	٧	٢٣	١٨	٣٨	١٩	٣٤	١٧	١	٢١	١	١٧	٤٣	٧ ٠٠
الاحد	٨	٢٤	١٧	٣٧	١٩	٣٤	١٧	٠٠	٢٠	١	١٧	٤٣	١
الاثنين	٩	٢٥	١٥	٣٥	١٨	٣٣	١٧	٤ ٥٩	١٩	١	١٧	٤٤	١
الثلاثاء	١٠	٢٦	١٣	٣٣	١٧	٣٣	١٧	٥٨	١٨	١	١٨	٤٥	٢
الاربعاء	١١	٢٧	١٢	٣٢	١٦	٣٣	١٧	٥٧	١٧	١	١٨	٤٦	٢
الخميس	١٢	٢٨	١٠	٣٠	١٥	٣٢	١٧	٥٦	١٦	١	١٩	٤٧	٣
الجمعة	١٣	٢٩	٨	٢٨	١٤	٣٢	١٧	٥٥	١٥	٠٠	١٩	٤٨	٤
السبت	١٤	مارس	٨	٢٨	١٤	٣٢	١٧	٥٥	١٥	٠٠	١٩	٤٨	٤
الاحد	١٥	٢	٦	٢٦	١٣	٣١	١٧	٥٤	١٣	٠٠	١٩	٤٨	٥
الاثنين	١٦	٣	٤	٢٤	١٢	٣١	١٧	٥٣	١٢	٠٠	٢٠	٤٩	٥
الثلاثاء	١٧	٤	٢	٢٢	١١	٣٠	١٧	٥٢	١٠	٠٠	٢٠	٤٩	٦
الاربعاء	١٨	٥	١	٢٠	١٠	٣٠	١٧	٥١	٩	٠٠	٢٠	٥٠	٦
الخميس	١٩	٦	١٠ ٥٩	١٨	٩	٢٩	١٧	٤٩	٨	١ ٥٩	٢٠	٥١	٧
الجمعة	٢٠	٧	٥٧	١٦	٨	٢٩	١٧	٤٨	٧	٥٩	٢١	٥١	٨
السبت	٢١	٨	٥٥	١٤	٧	٢٨	١٧	٤٧	٦	٥٩	٢١	٥٢	٨
الاحد	٢٢	٩	٥٣	١٢	٦	٢٨	١٧	٤٦	٥	٥٩	٢١	٥٣	٩
الاثنين	٢٣	١٠	٥٢	١١	٦	٢٨	١٧	٤٥	٤	٥٨	٢١	٥٣	١٠
الثلاثاء	٢٤	١١	٥٠	٩	٥	٢٧	١٧	٤٤	٣	٥٨	٢١	٥٤	١٠
الاربعاء	٢٥	١٢	٤٨	٧	٤	٢٧	١٧	٤٣	١	٥٨	٢٢	٥٥	١١
الخميس	٢٦	١٣	٤٦	٥	٣	٢٧	١٧	٤١	٠٠	٥٨	٢٢	٥٥	١١
الجمعة	٢٧	١٤	٤٤	٣	٢	٢٦	١٧	٤٠	٥ ٥٩	٥٧	٢٢	٥٦	١٢
السبت	٢٨	١٥	٤٣	٢	١	٢٦	١٧	٣٩	٥٨	٥٧	٢٢	٥٦	١٢
الاحد	٢٩	١٦	٤١	٠٠	٠٠	٢٥	١٧	٣٨	٥٧	٥٧	٢٢	٥٧	١٣

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ـ الشويخ ـ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهـذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجـلاء .

السودان : الخرطـوم ـ دار التوزيـع ـ ص.ب (٣٥٨)

ليبيـا : طرابلس ـ الشركة العامـة للتوزيـع والنشر .

المغـرب : الدار البيضـاء ـ الشركـة الشريفة للتوزيـع .

تونـس : الشركـة التونسـية للتوزيـع .

لبنـان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جـدة : مكتبـة مكـة ـ ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافيـة ـ ص.ب : (٧٦)
الطائـف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جـدة
المدينة المنـورة : مكتبـة ومطبعـة ضـياء .

مسـقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب:(١٠١١)

البحريـن : دار الهلال .

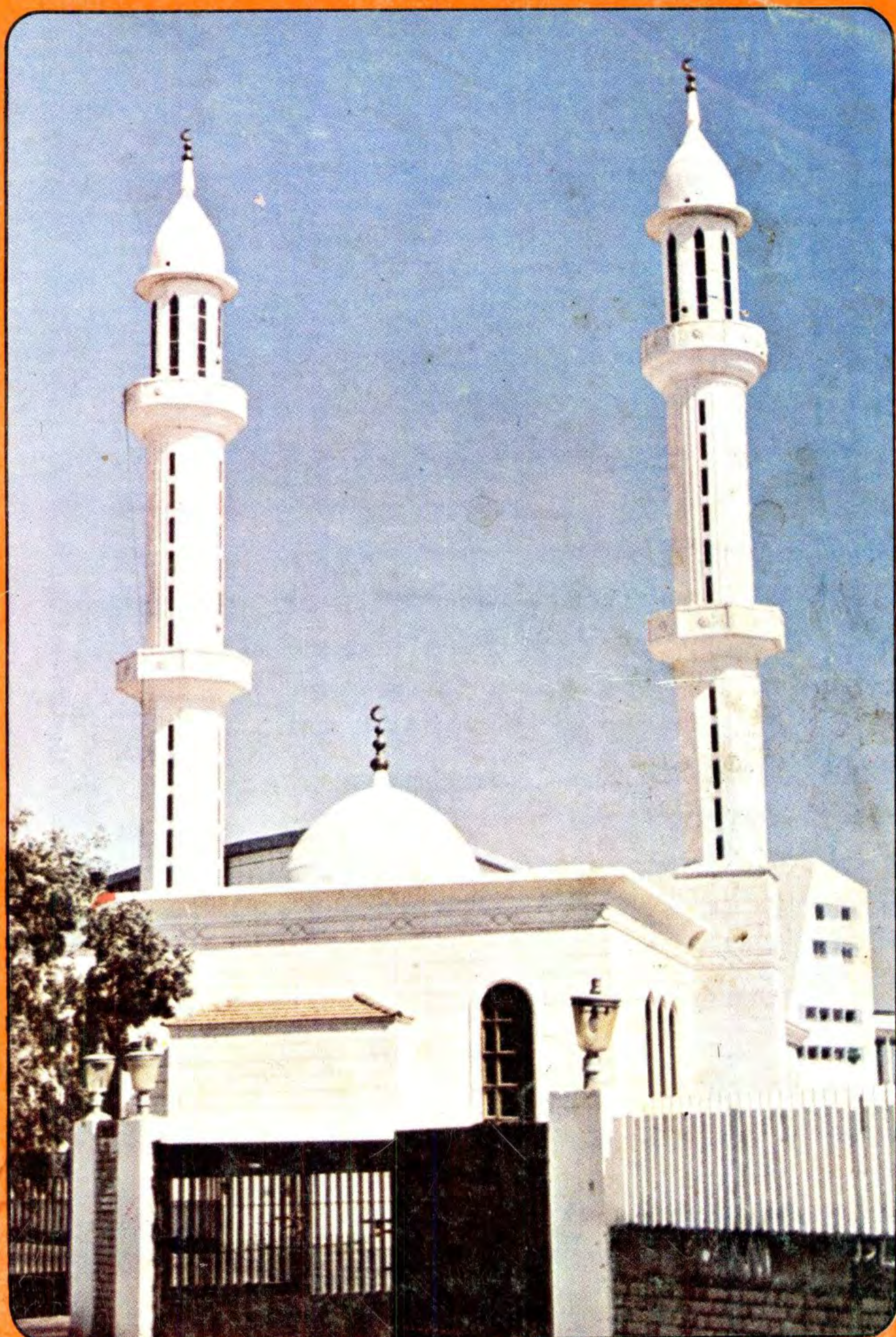
قطـر : دار الثقافة للتوزيع ـ الدوحـة ص.ب. ٣٢٣ .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ـ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبـي : مكتبة دبـي .

الكويـت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ـ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ مـن الأعداد السابقة من المجلة .



○ مسجد الخالدية : من مساجد الكويت .

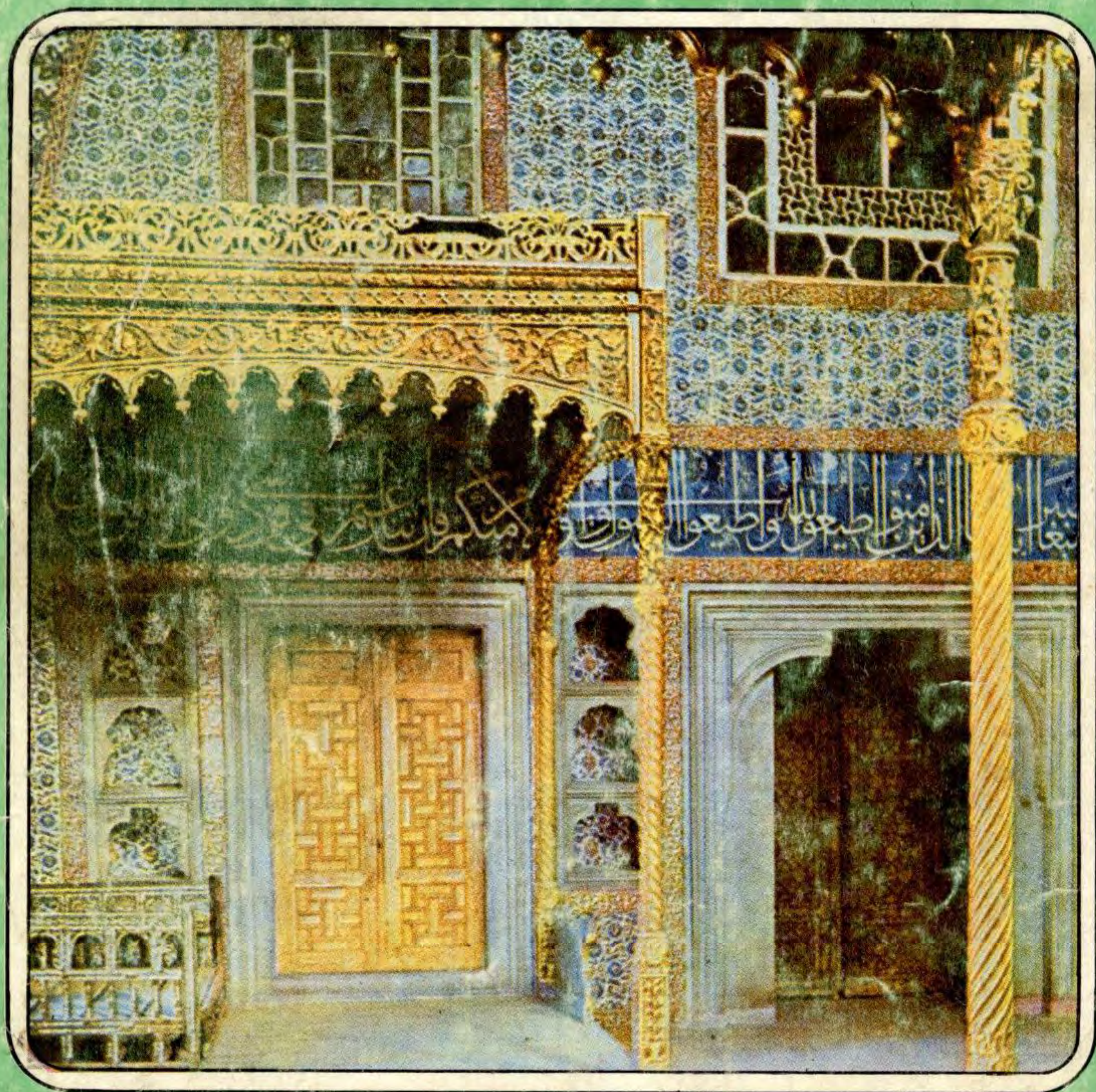
طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

هدية العدد : براعم الايمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٨٥ ○ جمادي الأولى ١٤٠٠ هـ ○مارس ١٩٨٠ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

ازدهر الحفر على الخشب في الدولة الاسلامية وأثر ازدهاره على الفنون العالمية الأخرى . وهذه واجهة لمبنى أثري في تركيا وقد ظهرت الزخرفة الاسلامية البديعة محفورة على الاعمدة والأريكة والمظلة والباب والنوافذ .

انظر صفحة ٦٨

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٨٥ ○ جمادي الأولى ١٤٠٠ هـ ○ مارس ١٩٨٠ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



الاعتزاز بالوطن

ألوطن هو الأرض التي ينشأ عليها الانسان فيتفاعل جوها في تكوينه ، وتطيب نفسه بالعيش فيها ، والاغتنام من خيرها ، ويسكن قلبه إليها .. وإذا بعد عنها كان دائب الحنين إليها ، بالغ الشوق الى رحابها ، حتى ولو كان غيرها اكثر نعمة وأكبر عطاء ، وأعظم أمنا ، فالمدينة الحافلة بألوان الحضارة يهبط اليها الأعرابي ، فلا تصرفه حضارتها ولا ما تزخر به عن خيرات من وطنه ، وما وطنه الا صحراء جرداء ، وكثبان من الرمال وأطلال بالية ، وصخور تسفعها الهاجرة وأطناب تعصف بها الرياح . ولكنه الوطن مستقر الأفئدة على أرضه درجت النفس ، فكان لزاما ان يكون به هيامها ، وإليه حبها ونزوعها .

ورسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو مهاجر الى المدينة حيث الأنصار الذين عاهدوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم ـ كان في سيره دائب التلفت نحو وطنه (مكة) ولم يصرفه عن حبها أن قومه اخرجوه منها : فلما قاربت معالمها أن تغيب عن ناظريه اتجه إليها قائلا : « والله إنك لأحب بلاد الله الى الله ، وإنك لأحب بلاد الله إلي ، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت » . وبينما هو ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المدينة ينعم هو وصحابته بالحرية والأمن ، سمع احد صحابته المهاجرين يعبر عن حنينه الى مكة قائلا :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

فأشار اليه قائلا : « دع القلوب تقر » .

وحب الوطن من أعظم ثمرات الإيمان بالله تعالى ، لأن الوطن هو الميدان الذي تطبق فيه مبادئ الحق والخير والطمأنينة والعدل ، وهو الساحة الواسعة التي يغدو فيها المواطنون ويروحون وقد استنارت أعمالهم وأقوالهم بتعاليم الاسلام وفضائله ، فنهضوا بأخلاقهم يبنون صرح الألفة والمحبة ويشيدون ما يحقق العزة .

والوطن الاسلامي هو مهبط المدنية الأولى ، ومشرق العلم النافع ، وموئل الشرف العريق ، فيه قامت الحضارات النظيفة التي أمدت العالم كله بالنور والمعرفة ، ومنه انبعثت رسالات الله ، تهدي الإنسانية وترشدها وترسم لها معالم السعادة وقد أخرج الله فيه كنوزا ، وأنشأ جنات معروشات وغير معروشات ، والزرع مختلفا أكله ، وجعل له مزية الامتياز في موقعه بين الشرق والغرب . فكان سبيل الاتصال وطريق التجارة . ووطن هذا شأنه واجب على أهله أن يوقفوا عليه خفقات الحب في قلوبهم ، وأن يجعلوه ميدانا يطبق فيه منهج الله في الحياة وتنطلق منه دعوة الله في انحاء المعمورة لتخرج الناس من الظلمات الى النور وتهديهم الى صراط العزيز الحميد ، وأن يبذلوا في صد الأعداء عنه أنفسهم وأموالهم ، وأن يعملوا – في غير هوادة – للحفاظ عليه وتثبيت استقلاله وحماية عزته .

لقد سعد هذا الوطن بتطبيق منهج الاسلام قرونا ، كان أهله فيها سادة الدنيا وأساتذة العالم ، ولما تهاونوا في حمل أمانة الرسالة تداعت عليهم الأمم الكافرة كما تداعى الأكلة على قصعتها ، وغمروا الأوطان الاسلامية بالمفاسد توهينا لقوى شبابها ، وصرفا لهم عن الحياة الجادة – حياة الايمان بالله والأخذ بهدايته – وعمدوا الى استثمار مفاسدهم في تكوين منافقين بين المسلمين ، يعملون لحسابهم في توهين القوى ، وصرف الأمة عن تراثها العظيم ، وبهذا الطوفان من الفساد أقاموا إسرائيل في قلب البلاد الاسلامية ، لتكون جسرا يعبرون عليه لتحقيق أغراضهم الخبيثة ، ويعملون من خلالها على تفريق صفوف المسلمين وبهذا الطوفان من الفساد اجتاحوا « أفغانستان » المسلمة ليبيدوا أهلها بعد ان عجز عملاؤهم عن إخضاعها لحكم الالحاد والضلال .

ومن واجب المسلمين – في كل مكان – ان يهبوا لتطهير أوطانهم من كل فساد ، وأن يتعاونوا تعاونا صادقا على دحر المعتدين .. والسبيل إلى ذلك سبيل وحيد وهو الاستهداء بالاسلام وتطبيق تعاليمه بكل أصولها وفروعها ، فبالاسلام عقيدة وشريعة نستطيع أن نثبت في وجه أعداء الوطن ، وان نحبط مؤامراتهم ، وأن ندمر خططهم وأن نسترجع حقوقنا من قبضتهم ، فلا يصلح أمر هذه الامة الا بما صلح به أولها .

وبالجهاد في سبيل الله تفتح سبل الخير وطرق المجد ، ويكون عون الله وتأييده : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سلبنا وإن الله لمع المحسنين)

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

تفسير سورة الصف



الحلقة الثانية

للاستاذ/محمد عزة دروزه

﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين (٥) وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين (٦) ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين (٧) يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون (٨) هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٩) ﴾ .

شرح وتعليق :

(١) لم يورد المفسرون فيما اطلعنا عليه رواية خاصة كسبب لنزول الآيات . والمتبادر أنها متصلة بالآيات السابقة اتصال تعقيب واستطراد . ففي الآيات السابقة تنديد بالذين يقولون ما لا يفعلون ، وإيذان بما في ذلك من موجبات مقت الله الشديد . فجاءت هذه الآيات .

ـ لتتذكر على سبيل العظة والزجر والتمثيل بما كان من قوم موسى إزاء موسى عليه السلام من مواقف مؤذية محكية عن لسانه مع تأكدهم بأنه رسول الله إليهم . وبما كان من انتقام الله منهم حينما زاغوا وانحرفوا عن جادة الحق حيث أزاغ الله قلوبهم . لأن الله لا يمكن أن يوفق ويسعد الفاسقين المنحرفين المتمردين عليه .

ـ ولتتذكر بهدف توكيد رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقوة ما فيها من الحق والنور الالهي وحمل المؤمنين بها على الثبات عليها وتأييدها والاستجابة إلى ما يدعوهم النبي إليه من جهاد وغير جهاد بما كان من بشارة عيسى عليه السلام بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم حيث حكت قوله لبني إسرائيل : إنه رسول الله إليهم مصدقا بالتوراة التي أنزلت قبله ومبشرا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد بما فيه تدعيم لموقف النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته ورسالته .

ـ ولتندد بمـا كان من موقـف الكفار من النبي محمـد المبشر به حينما جاءهم وقولهم عن رسالته إنها سحر .

ـ ولتؤكد انتصار دينه وانتشار نور الله وتمامه نتيجة لذلك حتى يظهر على ما عداه من الأديان رغم كل المحـاولات المعطلـة من الكفـار والمشركين الرامية إلى إطفاء ذلك النور وبعبارة قوية داوية حيث تقرر :

أولا : أنه ليس من أحد أشد ظلما ممن يفترى على الله الكذب فيقول عن آياته إنها سحر بينما هي تدعو إلى الايمان بالله والاسلام له .

وثانيا : أن المعطلين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ومواقفهم وأقوالهم ولكن الله تعالى سوف يتم نوره وينشره حتى يملأ الكون على الرغم من الكافرين .

وثالثا : أن الله قد أرسل رسوله بالهدى والدين الحق الواضح وأنه لجاعل له السيادة والغلبة والظهور على جميع الأديان حتى يصبح دين العالم كله على الرغم من المشركين .

(٢) ولقد صرف بعض المفسرين ضمير (الفاعل المستتر في جملـة (جاءهم) إلى عيسى عليه السلام . وصرفها بعضهم إلى محمد صلى الله عليه وسلم . وهذا قول الطبري . وقد رجحناه وأخذنا به في شرحنا الآنف استلهاما من الآيات الثلاث الأخيرة ، والله أعلم .

(٣) يصح أن يكون المقصود من جملة:(**فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين**) كفار العرب ، كما يصح أن يكونوا هم الذين كفروا برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من بني إسرائيل . ونحن نرجح الاحتمال الثاني لأن الكلام هو في صدد بني إسرائيل . وفي القرآن آيات كثيرة ذكرت كفر بني إسرائيل بهذه الرسالة ومنها آيات البقرة:(**يا بني إسرائيـل اذكروا نعمتـي التـي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياى فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معـكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياى فاتقون**) البقرة/ ٤٠ و ٤١ . وآيات البقـرة: (**ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين**) الآيـة/ ٨٩ . وعلى هذا فتكون الآيات الثلاث التي جاءت بعدها قد قصدت كفار بني إسرائيل أيضا .

(٤) ومع ذلك فقد جاءت الآيات الثلاث بأسلوب عام لتكون شاملة لجميع الكفار والمشركين من جهـة وليكون ما فيها أعم مدى من موقف جحـود الاسرائيليـين من رسالتـه المحمدية من جهة أخـرى . وهـذا أسلوب من أساليب القرآن . والله تعالى أعلم .

(٥) ولقد قال المفسرون ومنهم الطبري وابن كثير والبغوي أن الأذى الذي كان يقع على موسى من قومه هو تعجيزهم له بالمطالب كقولهم : (**لن نصبر على طعام واحد**) وهذا حكته

عنهم آيـة سورة البقـرة (٦١) وقولهم : **(لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة)** وهذا حكته عنهم آية سورة البقرة (٥٥) و **(اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعـدون)** وهذا حكته عنهم آية سورة المائدة (٢٤) أو رميهم إياه بالبرص أو تآمر قارون عليه أو رميه بالزنا الخ . ولقد ورد في آية (٦٩) في سورة الأحزاب إشارة إلى أذى قوم موسى لموسى وهي:**(يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عنـد اللـه وجيها)** وقد ذكر المفسرون الأنواع الأخيرة من الأذى في سياقها أيضا . وآية الأحزاب نهت المسلمين عن أن يكونوا مثلهم . وجاءت بعد آيات فيها إنذار رهيب للذين يؤذون الله ورسوله خاصة والمؤمنين والمؤمنات عامة حيث ربطت بين المؤمنين على سبيل المقارنة والإنذار . والمتبادر أن موقف الذين كانوا يقولون ما لا يفعلون الذي حكته الآية الثانية من السورة ونددت به الآية الثالثة قد كان مما آذى رسول الله واستوجب شدة مقت الله تعالى فاقتضت حكمة التنزيـل أن يعـاد التذكير والمقارنة والتنديد في هذا المقام وإن اختلف الأسلوب حيث نهت آية الأحزاب المسلمين من أن يكونـوا كالذين آذوا موسى وحيث جاء هذا في آية سورة الصف التـي نحـن في صددها حكاية عن لسان موسى .

(٦) ولقد تكرر وعد الله تعالى بتمكين دينه ونصر رسوله والمؤمنين في آيات عديدة مكية ومدنية ، غير أن التوكيد بإظهار هذا الدين على الدين كله يأتي هنا لأول مرة . وقد تكرر بعد هذا مرتين . واحدة في سورة الفتح التي يأتي ترتيب نزولها بعد سورة الصف بهذا النص:**(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا)** الفتح/٢٨ . ووواحدة في سورة التوبة في آيتين وبنص قريب من نص سورة الصف التي نحـن في صددهـا . وبالاضافة الى ما في الآيات من قصد تدعيم موقف النبي صلى الله عليه وسلم من الدعوة إلى الجهاد والتنديد بالذين يخلفون بما وعدوا ويقولون ما لا يفعلون وهو القصد القريب المباشر والله أعلم ، وبالاضافة إلى ما فيها من تحد مطلق للكافرين والمشركين . وإيذان بوعد الله تعالى بإظهار الدين الذي أرسل محمد صلى الله عليـه وسلم به على الدين كله فان جملة **(بالهدى ودين الحق)** تنطوي على تقرير ما في الرسالة المحمدية من هدى وحق . وقد تمثلا أقوى تمثيل وأروعه فيما احتواه القرآن الكريم والسنن النبوية الشريفة من مبادىء وقواعد وتشريعـات ووصايـا وتنبيهـات وتلقينـات وتوجيهـات ومعالجـات وأوامر ونواه إيمانيـة واجتماعيـة وسياسيـة واقتصاديـة وأسريـة وسلوكية وشخصية وتبشيرية وروحية من شأنها ضمان السعادة العظمى للبشرية في الدنيا والآخرة على أتم وجه وأوسعه وأفضله . ولقد دعـا هذا الدين إلى الله وحده المتصف بجميع صفات الكمال المنزه عن كل نقص

وشائبة ، وقرر ربوبيته للعالمين جميعا دون اختصاص . واستغناءه وتنزهه عن الشريك والمساعد والولد بأي معنى كان . وسواء أكان ذلك تأويلا أم وسيلة أم شفاعة . وحارب بكل قوة ودونما هوادة كل أنواع ومظاهر الشرك التي تمثل انحطاط الانسانية وتسخيرها لقوى وأفكار وعقائد سخيفة مغايرة للعقل والمنطق والحق وممثلة لنظام جاهلي فيه تقاليد جائرة وعادات منكرة وعصيان ممقوت . وهدف إلى القضاء على ما طرأ على الديانات السماوية وبخاصة الديانتين المعروفة يقينا مصدريتها من الله المارستين أي اليهودية والنصرانية من سوء تأويل وانحراف وانقسام واختلاف وتهاتر ، وإلى تحرير الانسانية من الخضوع لأية قوة خفية وظاهرة غير الله ، وفتح آفاق الحياة للمؤمنين بهذا الدين على مصراعيها في نطاق أسمى المبادئ وأكرم الأخلاق وأفضل المناهج والخطط الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفردية والانسانية وأشدها مرونة للنهوض إلى ذرى الكمال في كل مجال من مجالات الحياة وتوجيهها نحو أحسن السبل وأشرفها وأنزهها وأعدلها وأتمها صفاء وسناء . شاملة للناس جميعهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم وفئاتهم ليكونوا تحت راية أخوة متساوين في الحقوق والواجبات على اختلاف مناحيها . وليقوم في ظله عالم واحد ونظام واحد ودين واحد ولغة واحدة ، وبكلمة واحدة مجتمع إنساني واحد يتولى الأمر فيه الصالحون خلقا ودينا ، الأكفاء الحريصون على المصلحة العامة . لا طاعة فيه لسلطان بمعصية وضرر ، ولا سند لحاكم فيه إلا كتاب الله وسنة رسوله ومصلحة العباد والبلاد المتسقة معهما ، ولا مكان فيه لظالم جبار وطاغية مسيطر ، والشورى فيه صفة أساسية لأهله وواجب ملزم حكامه . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أي الأمر بكل ما فيه خير وصلاح ونفع والنهي عن كل ما فيه شر وفساد وضرر وبغي وظلم) والدعوة إلى الخير والسلام والتواد والتراحم والتواصي بالصبر والحق والمرحمة من واجبات كل فئة منه حاكمة أو محكومة ، وصفة أساسية وخصائص ذاتية لأهله نتيجة لإسلامهم . ولا يسمح فيه باستقطاب الثروة في جانب والفقر في جانب . وللدولة فيه حق التوجيه . ويؤخذ فيه من الغني للفقير بالاضافة الى ما أوجب على الدولة من مساعدة الفقير العاجز . ويمنع فيه القوي من ظلم الضعيف . ويساعد فيه القادر العاجز . ويتواصون جميعا بالصبر والمرحمة والتعاطف والتعاون . ويستمتعون جميعا بكل طيب حلال من طيبات الحياة وزينتها بدون تفريط وافراط ولا إسراف ولا تقتير . وتمنع فيه الفوضى والعدوان والمنكرات والموبقات والخلاعة والمسكرات والإثم والبغي والظلم في ظل سلام شامل يعرف الناس عبره أنهم إنما وجدوا ليتعارفوا ويتفاهموا ويتعايشوا ويتعاونوا على البر والتقوى دون الاثم

والعدوان . ويتسابقوا في الخيرات . وفي ظل شرائع وتعاليم وخطوط ومبادئ قابلة للانطباق في كل زمن ومكان . ومستجيبة لمختلف مطالب البشر المادية والروحية . ومخاطبة للعقل والقلب معا . وموفقة في ذلك كله بين سعادة الدنيا والآخرة بأسلوب لا تعقيد فيه ولا التواء ولا آصار ولا اغلال ولا تكاليف شاقة محرجة . ونافذة إلى أعماق النفس . مع الأمر بالدعوة إلى سبيل الله أي إلى هذا الدين بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن وعدم الاكراه والاجبار في الدين وسعة الصدر لمن أراد الاحتفاظ بدينه وعقيدته إذا واد المسلمين وسالمهم ولم يتآمر عليهم وعلى دينهم ، ومع الأمر بمعاملة هؤلاء بالقسط والبر وحسن التعامل والتعايش . وبعدم القتال إلا للدفاع ودفع العدوان والمقابلة بالمثل . وتأمين حرية الدعوة وإرغام الظالمين . وقد وصف معتنقو هذا الدين في القرآن بصفة الوسط التي هي الخيرية والاعتدال في كل شيء وعدم الافراط والتفريط وعدم الغلو والتقصير وعدم التزمت والاستهتار . وعدم الاقتصار على ناحية والتقصير في ناحية مما فيه خير دين ودنيا . والتمسك بكل ما هو الأفضل والأصلح والأنفع والأحسن من كل أمر وصفة وخلق وعمل وموقف ، وقد اختص هذا الدين الأنثى بعناية خاصة فجعلها صنوا للذكر وقسيما له في الانسانية والحقوق والواجبات والتكاليف والحياة العامة وبنيان الدولة والمجتمع سواء بسواء . كما أسبغ على الحياة الزوجية رعاية عظيمة كفل فيها حق المرأة من مختلف النواحي ما لم يكن له مثل في سابق الاسلام ومما لم يلحق به إلى الآن .

وكل ما تقدم من مقتضيات كتاب الله الكريم وسنن رسوله الشريفة . وليس من شأن حالة المسلمين الحاضرة أن يطمس سناء (الهدى ودين الحق) اللذين أرسل الله رسوله بهما والمتمثلين في كتاب الله وسنن رسوله . ويظل في كل ذلك أقوى أسباب الجذب والاستقطاب لمختلف أنواع وفئات البشر في كل زمن ومكان ويصدق وعد الله تعالى باظهار الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم على الدين كله .

(٧) ولقد أورد المفسرون في سياق آيات سورة التوبة المقاربة في نصها لآيات سورة الصف التي نحن في صددها وهي سياق الآية (٥٥) من سورة النور التي فيها وعد باستخلاف الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المسلمين في الأرض وتمكين دينهم ، بعض الأحاديث النبوية التي تذكر توقعات أو تنبؤات النبي صلى الله عليه وسلم بما سوف يكون لدين الله من انتشار وانتصار . ومن ذلك حديث أورده ابن كثير ورواه الامام أحمد عن تميم الداري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار . ولا يترك الله بيت مدر ولا دبر إلا أدخله هذا الدين . يعز عزيزا ويذل ذليلا . عزا

يعز الله به الاسلام وذلا يذل الله به الكفر ».وكان تميم يقول : وهذا تتمة رواية الحديث ـ قد عرفت ذلك في أهل بيتي . لقد أصاب من أسلم الخير والشرف والعز . وأصاب من كان كافرا منهم الذل والصغار والجزية) ومنها حديث وصفه ابن كثير بأنه صحيح ثابت جاء فيه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها . وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها » ومنها حديث روى عن عدى ابن حاتم وروى البخاري صيغة مقاربة له . جاء فيه ، قال له رسول الله حين وفد عليه : « أتعرف الحيرة . قال لم أعرفها ولكن قد سمعت بها . قال : فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة وتطوف بالبيت في غير جوار أحد . ولتفتحن كنوز كسرى ابن هرمز . قال : قلت : كنوز كسرى ابن هرمز ؟ قال : نعم كسرى بن هرمز . وليبذلن المال حتى لا يقبله احد » . قال عدى بن حاتم فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار أحد . وقد كنت في من فتح كنوز كسرى بن هرمز . والذي نفسي في يده لتكونن الثالثة لأن رسول الله قالها . ومنها حديث رواه مسلم عن نافع بن عقبة قال : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله وتغزون فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله » .

(**٨**) ولقد بدأ تحقق وعد الله عز وجل باظهار دينه على الدين كله وبتمكينه وباستخلاف أهله الذين يعملون الصالحات في الأرض . وهذا مما وعده الله في آية سورة النور هذه **(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)** النور/ ٥٥ في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يتوفاه الله إلا بعد أن ساد دينه جميع أجزاء جزيرة العرب وأخذ يطرق أبواب الأقطار المجاورة . وصار للاسلام دولة نافذة الأمر والسلطان في الشؤون القضائية والتشريعية والجهادية والاقتصادية والتنظيمية تحت رايته صلى الله عليه وسلم فكان ذلك معجزة من معجزات القرآن ثم استمر تحققها تحت راية خلفائه الراشدين الذين ساروا على طريقته فظلت المعجزة مستمرة في عهدهم فانتشر الاسلام وساد على سائر الأديان في جميع الأقطار المجاورة لجزيرة العرب من الشمال والجنوب ، وقام السلطان الاسلامي العادل الفاضل المتسامح المتآخي القائم بحدود الله الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر المحل للطيبات ، المحرم للخبائث الرافع الإصر والأغلال قويا منصورا ، واندحرت أمامه قوى الظلم والطغيان . ثم ظل هذا مستمرا ما استمر حكام المسلمين ورجالهم في

الطريقة حتى صار السلطان الاسلامي والدين الاسلامي في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة شاملين لمعظم ما كان معروفا من أرجاء المعمورة في المشارق والمغارب من حدود الصين والهند شرقا إلى المحيط الاطلسي غربا مع امتداد عظيم في الشمال والجنوب من هذه الناحية الشاسعة على اختلاف أجناس سكانها وألوانهم ونحلهم مع سيادتهما قسما كبيرا من أسبانيا الأوروبية .

(٩) ونحن مؤمنون بأن وعد الله المطلق يظل يتحقق للمؤمنين وللدين الاسلامي في كل زمان ومكان إذا ما تحقق في المسلمين الشروط التي تنطوي في جملة :(**الذين آمنوا وعملوا الصالحات**) والتي يلمح في الآية أنها شرط بتحقيق وعد الله تعالى . والتي تتناول على ما هو المتبادر كل ما هو خير وصالح من أمور الدين والدنيا مما رسمه الله تعالى في كتابه الكريم ورسوله صلى الله عليه وسلم في سننه الشريفة وأوجباه على المؤمنين من واجبات وخطط وأخلاق تعبدية واجتماعية وسياسية واقتصادية وشخصية وجهادية وثقافية وتضامنية وأسرية وتبشرية . وساروا فيها بكل جد وصدق وإخلاص .

(١٠) والايمان بهذا واجب على كل مسلم لأن الله لن يخلف ما وعده من النصر والتمكين للمؤمنين الصالحين . وفي ما أمر الله ورسوله ورسماه في الكتاب الكريم والسنة الشريفة أعظم بواعث الثقة والاعتزاز وحوافز العزيمة والإقدام والاندفاع في المسلمين الصادقين للعمل على تحقيق وعد الله ونشر دينه حتى يظهر على الدين كله . وهذا واجب لازم عليهم يأثمون في التقصير فيه .

ومن الجدير بالذكر أن الاسلام ظل ينتشر ويتسع بعد زوال السلطان العربي الذي استمر في القرون الثلاثة الأولى . لما فيه من قوة وعناصر الجذب والاستجابة والاستقطاب حتى لقد كان عدد المنضوين إليه بعد زوال ذلك السلطان أكثر من المنضوين إليه في عهده . ويكاد يكون الدين الوحيد الذي لا يتركه معتنقوه والذي يزداد معتنقوه من الخارج مجددا وليس فقط بالنمو الذاتي ومن كل نحلة وفئة وجنس وفي كل مكان . ولو تيسر له دعوة قوية التنظيم والتمويل ودعاة ومرشدون صالحون كثيرو العدد لازداد اتساع انتشاره وانجذاب الناس له .





القضاء والقدر



للشيخ عبدالجليل عيسى

يقول الله سبحانه : (**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا**) الكهف / ٢٨ .

ويقول تعالى : (**ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين**) القصص / ٥٠ .

ما معنى هاتين الآيتين ، وما المقصود بالهوى فيهما ؟

بما أن ما جاء أولا هو جزء من الآية ، ولا يفهم إلا بعد فهم أولها رأينا أن نتعرض لبيان الآية كلها ، فأولها خطاب من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول : (**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه** ... الخ) .

المفردات : (اصبر نفسك) الصبر هو حبس النفس ، اي احبس نفسك (**الذين يدعون ربهم**) هم جماعة من الفقراء والضعفاء الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يجالسونه كثيرا لينتفعوا وليبتعدوا عن غطرسة زعماء الشرك ، واستهزائهم بهم ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم : (**إن الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . وإذا مروا بهم يتغامزون**) الى قوله

سبحانه : **(وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون)** المطففين / ٢٩ — ٣٢ .

(ولا تعد عيناك عنهم) اي لا تصرف النظر، عيناك عنهم .

(أغفلنا قلبه عن ذكرنا) الذكر هو القرآن ، قال تعالى : **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** الحجر /٩ .

(وأغفلنا قلبه) أي جعلنا قلبه غافلا عن القرآن عقابا له على عناده ، وتكبره ، وعدم خضوعه للحق ، وهذا معنى قوله تعالي فيهم : **(إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم)** سورة البقرة /٦ و٧ وقال هذا المعنى في أمثالهم:**(فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين)** الصف /٥ .

وقال سبحانه : **(ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم انفسهم)** اية ١٩ من سورة الحشر وقال فيهم وفي أمثالهم :**(ولو اننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا)** الانعام /١١١ .

(اتبع هواه) الهوى هو شهوة النفس إذا جمحت وتجاوزت حدود ما رسمته لهاالشرائع ، وبيان ذلك أن حكمة الله في خلق شهوات النفوس هي حمل أصحابها على عمارة هذه الأرض التي يعيشون عليها ، إذ لو خلق الانسان بدون شهوة ، لا ياكل ، ولا يشرب ، ولا يتناسل ، لما كلف نفسه مشقة العمل لعمارة الأرض بالحرث ، والزرع ، وغير ذلك مما لا بد منه لحياته ، وحينئذ يعجل إليه الفناء في أقصر وقت ، وبذا لا تتحقق حكمة الله في خلق آدم وذريته ليكونوا خلفاء في الأرض ليعمروها ، وبالتالي ، يفقد كثير من المخلوقات غير الانسان فائدته ، فالأرض والسماء وما فيهما من شمس ، وقمر ، وزرع ، وشجر ، ومياه ، وغير ذلك ، كلها مسخرة لمنفعة الانسان ، قال الله تعالى : **(الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سالتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار)** إبراهيم / ٣٢ — ٣٤ .

وإذا كانت شهوة النفس لا بد منها لعمارة الأرض ، لأن كل صاحب شهوة يعمل جاهدا لاشباعها ، فلو تركت بدون قيود ورقابة ، لطغى الناس بعضهم على بعض ، ولتمتع القوى بكل الملذات ، ولو علي حساب شقاء غيره ، أو هلاكه ، وفي هذا قال البوصيري في بردته : —

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم .

والقيود هي الشرائع والرقيب الحازم هو العقل الذي يوقف النفس عند حدودها ، ويا لهلاك النفوس إذا

أهملت الشرائع ، أو فسدت العقول .

ولما كان الاسلام دينا وسطا ، لا هو روحاني محض ، يحرم على أتباعه متاع الحياة الدنيا ، ولا هو مادي خالص يفتح لشهوات الانسان مجالات اللذائذ الفانية ، فيعيش ليأكل كما تأكل البهائم والوحوش ، ثم يحرم من النعيم الخالد الذي أعده الله للمتقين .

فحكمة خلق الشهوة في الانسان كانت لمنفعته ، كما خلقت اليد ، والرجل ، والبصر ، والسمع ، والعقل، فكل هذه نعم ، إذا أحسن الانسان استعمالها ، أما إذا استعمل يده في السرقة ، أو ضرب الضعيف ، أو قتله واستعمل الرجل ــ بكسر الراء ــ في السعي في الأرض للافساد ، فقد خالف أمر من أنعم بها عليه فاستحق مقته ، وغضبه . لكل هذا اقتضت الحكمة الالهية أن يضع للانسان شريعة عادلة تنظم حياته مع غيره ، ولا تحرم عليه متعة لا توقعه في خطر ، فنظم الشهوة وحدد لها حدودا لا تتجاوزها ، فاذا هو أطلق لنفسه عنانها ، وطغى وظلم ، كان مأواه جهنم ، وإذا ضبط نفسه ، وكفها عن هواها ، فمأواه الجنة ، قال الله سبحانه : **(فأما من طغى . وآثر الحياة الدنيا . فإن الجحيم هي المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هي المأوى)** النازعات / ٣٧ ــ ٤١ .

(فرطا) لفظ مأخوذ من الإفراط ، وهو الاسراف ، وعدم الاعتدال في الأعمال والتصرفات ، **(فأمره فرطا)** أي إسرافا في الشهوات ، وتضييعا للعمر فيما لا يعود على المرء بالنفع الحقيقي .

المعنى : قال ابن كثير والبغوى نزلت آية: **(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم** ... الخ **)** لما طلب أشراف قريش من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس معهم وحدهم ، ولا يجلس معهم من آمن به من الضعفاء والفقراء كبلال ، وعمار بن ياسر ، وأبي ذر الغفاري ، وأمثالهم قالوا له : اطرد هؤلاء لئلا يجترئوا على مجالستنا بثيابهم الرثة ، ونحن أسياد مضر وأشرافها ، ونحن إن أسلمنا أسلم الناس ، ولا يمنعنا من اتباعك إلا جلوس هؤلاء معك ، فنحهم وأبعدهم . ففكر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قليلا ، هل يفعل ما طلبوا لعلهم يهتدون ؟ واذا اهتدوا فيستعلمون التواضع ، ويكرهون التكبر على الفقراء . فنزل قوله تعالي **(واصبر نفسك .. الخ)** أي احبس نفسك يا محمد مع الذين يدعون ربهم دائما يريدون بعملهم هذا رضاء الله وحده ، لا عرضا من أعراض الدنيا ، ولا تصرف عيناك النظر عنهم إلى غيرهم ، فانك إن فعلت كنت من الذين يريدون مجالسة الأغنياء والوجهاء الذين تحيط بهم زينة الحياة الدنيا ، فلا تفعل ذلك ، وإلا كنت ظالما لنفسك ، وللضعفاء من المؤمنين الذين يريدون زيادة التقوى ، قال تعالى : **(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**

يريدون وجهه) إلى قوله **(فتطردهم فتكون من الظالمين)** الأنعام /٥٢ ، وما فعله المشركون مع نبينا صلى الله عليه وسلم وفقراء أمته ، هو ما فعله الكفار قبلهم من الأمم الماضية مع انبيائهم ، قال تعالى في قوم نوح : **(فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين)** إلى أن قال : **(وما أنا بطارد الذين آمنوا)** ثم قال : **(ومن ينصرني من الله إن طردتهم)** هود / ٢٧ — ٣٠ .

ولذلك أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بعدم طاعتهم ، وبالمحافظة على احترام المؤمنين مهما كانوا ، يستوى في مجلسك فقيرهم وغنيهم ، ولا فضل لأحد عند الله إلا بالتقوى ، لا تفعل هذا ظانا أن هذا يرضيهم عنك ، فتطمع في إيمانهم ، لأني أنا المطلع على سرائرهم ، وأعلم أنهم حاقدون ، حاسدون ، تحجرت قلوبهم ، وأقفرت من الرحمة ، فلن يؤمنوا بك مهما صنعت ، ولذلك **عاقبناهم على عنادهم بجعل قلوبهم غافلة عن تأمل** القرآن حتى صاروا عبيدا لأهوائهم وشهواتهم فلا يسمعون نصحا ، ولا يبصرون عبرا ، وصار أمرهم في جميع تصرفاتهم بعيدا عن الاعتدال ، فكلما طالت بهم الحياة لجوا في الشقاء؛ **(استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون)** المجادلة /١٩ ، وهم الذين قال الله في أمثالهم : **(سأصرف عن آياتيَ الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين)** الأعراف /١٤٦ . وقال الله تعالى فيهم في مواضع أخرى : **(ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين)** القصص / ٥٠ فالله سبحانه لا يهدي إلا من استحق الهداية ، ولا يضل إلا من استحق الضلال ، قال تعالى : **(وما يضل به إلا الفاسقين)** البقرة / ٢٦ . وبهذا يتضح معنى قوله سبحانه : **(من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم)** الأنعام / ٣٩ . فمعناه بعدما تقدم ، من يشأ الله زيادة إضلاله لأنه تسبب في ذلك يزده ضلالا ، ويهدي من يشاء ممن سعى في زيادة أسباب الهداية .

قال تعالى في المنافقين والمؤمنين عندما يسمعون القرآن : **(وإذا ما أنزلت سورة فمنهم (اي المنافقين) من يقول (مستهزئا) أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون . وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم (أي كفرا إلى كفرهم) وماتوا وهم**

كافرون) التوبة / ١٢٤ و ١٢٥ .

وتوضيح ذلك أن الله سبحانه اقتضت حكمته في نظام هذه الحياة الدنيا أنه أودع في الانسان حرية الاختيار ، وسهل له سبيل ما يريد ، وكان قادرا على أن يسلبه هذه الحرية ، ويجعله مجبورا كما قال : **(ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)** يونس / ٩٩ . نعم لو أراد سبحانه لفعل ، فلا راد لإرادته ، ولكن لا تكون الدنيا هي الدنيا التي نعيش فيها الآن ، ولا كان هناك حساب ولا جزاء ، وبالجملة لما خلق آدم لعمارة الأرض ، ولما خلق إبليس وجنوده ، ليكونوا مصفاة تميز الخبيث من الطيب ، ولما أرسل رسلا مبشرين ومنذرين ، إلى آخر مالا يحصيه عد .

فليس معنى إضلال الله للعباد ، أو هدايته لهم ، أنه فعل ذلك قهرا عنهم ، بحيث تكون أفعالهم وحركاتهم كحركة الدم في الجسم ، وعمل المعدة في هضم الطعام ، لادخل لهم فيه ، ولا يستطيعون منعه .

وكرر سبحانه هذا المعنى في القرآن مرارا ، فقال : **(من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا)** الاسراء / ١٨ ــ ٢٠ .

وقال: **(من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب)** آية ٢٠ من سورة الشورى ، ولهذا قال سبحانه عقب هذه الآية التي هي موضوع الحديث مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)** الكهف / ٢٩ . فهو سبحانه بعد ما أعطى عبده حرية الاختيار ، يسر له ما يختار من خير أو شر ، فقال عز وجل : **(إن سعيكم لشتى .** (أي متنوع) **فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى .** (أي بكل عقيدة حسنى كتوحيد الله) **فسنيسره لليسرى .** (أي نسهل له سلوك الطريق السهلة التي توصله لسعادته الدائمة) **وأما من بخل واستغنى. وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى)** أي الطريق العسيرة لخلوها من طمأنينة القلب ، الليل / ٥ــ١٠ .

وبهذا يتضح أنه لا إشكال في قوله تعالى : **(وما تشاؤون إلا أن يشاء الله)** الانسان / ٣٠ إذ ليس معناها أن كل إرادة للعبد لاي عمل من أعماله الكثيرة لا تكون الا مسبوقة بارادة من الله خاصة بهذا العمل ، كلا ، بل المعنى أن الله سبحانه وتعالى عندما قدر خلق الانسان ليعمر هذه الارض على الوجه السابق بيانه شاءت إرادته تعالى بمقتضى حكمته أن يمنح الانسان إرادة حرة يريد بمقتضاها ما يشاء في أي وقت يشاء ، فلهذا

التقدير السابق على خلق الانسان صح أن يقال : لولا مشيئة الله لما كانت مشيئة العبد ، أي لولا أن الله تعالى قدر إطلاق حريته فيما يشاء ويختار لكان مجبورا على عمل لا إرادة له فيه .

والخلاصة : لولا أن الله تعالى شاء حرية العبد فيما يشاء لكان مجبورا ، ولما صح أن يقال له : (**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**) كما تقدم .

ومثل هذه الحالة ، ولله المثل الأعلى ، رجل لا يستطيع السير بدون الاعتماد على عصا ، فأعطاه رجل آخر تلك العصا وأمره أن ينتفع بها في السير فيما ينفعه ، وعلى ألا يضر أحدا بسببها ، فيصح أن يقال : لولا أن الرجل المعطى مكن هذا العاجز من العصا لما استطاع إرادة السير ، وبالتالي ولا السير نفسه ، ويصح أيضا أن يقال : إن للذي أعطاه العصا أن يحاسبه على الانتفاع بها في السعي فيما يضر غيره .

ولذلك صح أن يحاسب الله عبده على استغلال ما وهبه من الارداة فيما يخالف ما شرعه له ، وأرشده اليه .

ولذلك كرر سبحانه أسباب الهداية وأسباب الضلالة في القرآن عشرات المرات ، من ذلك آية ٢٧ من سورة الرعد:(**ويهدي إليه من أناب**) وآية ٦٩ من سورة العنكبوت : (**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**) وقول الله عز وجل : (**ومن يؤمن بالله يهد قلبه**) التغابن / ١١ وقوله سبحانه : (**والله لا يهدي القوم الفاسقين**) المائدة /١٠٨ وقوله تعالى : (**ويضل الله الظالمين**) ابراهيم / ٢٧ وقوله عز وجل : (**إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب**) غافر / ٢٨ .

فمن حيث أنه سبحانه هو واضع الأسباب والمسببات ، صح أن يقال إنه يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء ، بمعنى أنه لا سلطان لأحد على مشيئته ، فكان قادرا على أن يغير نظام هذا العالم ويجعله كله مجبورا ، ومن حيث أنه سبحانه فتح للعبد باب حرية الاختيار ، وسهل له أسباب ما يريد ، صح أن يرتب على ذلك إضلاله وهدايته ، وصح أن يقول : (**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**) الزلزلة /٧ و٨ .

(**وما ربك بظلام للعبيد**) و(**ولا يظلم ربك أحدا**) صدق الله العظيم .

بقي أن يقال : إن همزات الشياطين تسربت الى قلوب رق إيمانها ، ويخشى على هؤلاء أنهم لو تركوا لتخطفتهم الشياطين ، هذه الهمسات تقول : أليس الله بكل شيء عليم : ؟ يعلم مصير كل إنسان ، وأنه الى نعيم أو إلى جحيم ، فالشقاوة والسعادة أزليتان ، قضى بهما الله وقدر ، ولا راد لقضائه ، فكيف يستطيع العبد الخلاص من ذلك ؟ .

نقول : نعم ، إن الله بكل شيء عليم ، وإنه سبحانه قضى وقدر في الأزل كل شيء ، ولكن خفى عليكم أن العلم صفة اكتشاف فقط ، لا صفة تأثير وتنفيذ ، ولا يصح أن يعلم الله

الشيء على غير ما هو عليه ، وإلا كان جهلا تنزه الله تعالى عنه .

وبما أن علمه سبحانه لا بد أن يكون على وفق الواقع ، وقد علم سبحانه أن فريقا من الناس سيدعى الى الحق فيجيب مختارا ، فكتبه في الأزل سعيدا ، وأن فريقا آخر سيدعى الى الحق فيمتنع كبرا وعنادا رغم قيام الأدلة على صحة قول الداعي فكتبه شقيا .

ولنضرب لذلك مثلا بعمر بن الخطاب ، وابي جهل ، فعمر بن الخطاب ، علم الله في الأزل أن الرسول صلى الله عليه وسلم سيدعوه للاسلام ويقدم له الأدلة على صدقه فيقبل ولو بعد حين ، ويتأمل في أدلة الدعوة وينشرح لها صدره ، كما علم سبحانه في الأزل أن أبا جهل سيدعوه الرسول صلوات وسلامه الله عليه للايمان فيحمله العناد والاستكبار على رفض الدعوة ، فعمر علم الله أنه سيقبل فهداه وسهل له ما أقبل عليه بإرادته ، وأبو جهل علم الله انه سيعرض فأضله وسهل له ما أراده كما تقدم ذلك في آيات الاسراء وغيرها .

فقضاء الله ، وقدرته ، وإرادته ، تابعة لعلمه ، وعلمه سبحانه ليس صفة تأثير كما تقدم ، وكون السعادة والشقاوة أزليتين لا يبيح للعبد أن يتكل على ما قضى في الأزل ، بل يجب عليه أن يعمل ، فقد روى البخاري عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد إلا كتب مكانه في الجنة أو النار » فقال رجل : يا رسول الله أفلا نتكل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما اهل الشقاوة فسييسرون لعمل أهل الشقاوة » ثم قرأ صلى الله عليه وسلم: **(فأما من أعطى واتقى.وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى)** . إلى آخر سورة الليل .

وقد علمنا مما سبق أن تيسير الله مبني علي إرادة العبد المترتب عليها عمله . وقد نسب الله العمل للعبد مباشرة ، قال تعالى : **(من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة)** غافر / ٤٠ . وبعد ذلك ، فهل يستطيع عاقل أن ينكر أن كل إنسان يشعر بالفرق بين فعل حصل منه باختياره ، وفعل حصل بدون إرادته ؟ وهل يمكن التسوية بين رجل ينزل من على سطح منزل باختياره من طريق مأمون (كسلم مثلا) وبين آخر قذفته ريح عاصف فسقط مرغما ؟ .

فمن السفه أن يقال إن العبد مجبور في كل أفعاله .

وهذا هو منشأ مسئوليته ، وثوابه ، وعقابه ، أما ما يحصل بدون إرادة العبد واختياره ، فقد عافى الله عباده منه ، ولذلك كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرون إذا شرعوا في العمل الصالح وسهل الله تعالى لهم إتمامه ، ويحزنون إذا عاقهم عائق ، ويسرعون إلى البحث في دخيلة أنفسهم لعل فيها شيئا من

دسائس الشيطان ، فيبتعدون عنها ، قال تعالى : (**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**) الاعـــراف / ٢٠١ .

أما من غلبت عليه شهواته فانه لا يشعر بألــم المعصيــة ، بل ربمـــا استعذبها ، مثل هؤلاء لا يشعرون بما هم عليه من الشقاء ، فلا يبحثون له عن علاج ، كالمريض الذي يفتك به المرض ولا يبحــث له عن علاج ، ويدهمهم الموت وهم عنه غافلون ، وعند ذلك يندمون ويتمنون الرجوع إلى الدنيا ليتلافوا ما فرط منهم ، قال تعالى فيهم : (**حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون . لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ** ... الخ) المؤمنون / ٩٩ و ١٠٠ .

قد يقول سائل : إنا نرى كثيرا من الناس تنزل بهم مصائــب يصــل بعضها إلى حد القتل ، وهم في نظر الجميــع بل في اعتقادهــم في أعلى درجات المتقين ، من هؤلاء أنبيــاء وأتقياء . فمن الأنبياء زكريا وابنه يحيى عليهما السلام ، قتلهما أبناء أبيهم بنو إسرائيل ، قال ذلك القرآن الكريم في تعداد جرائم بني اسرائيل . (**أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتــم وفريقا تقتلون**) البقرة / ٨٧ .

ومن المتقين رجال مؤمنون أحرقهم بالنار أصحاب الأخدود ، ولا ذنب لهم إلا أنهم مؤمنون ، كما في ايات من ٤ الى ٨ من سورة البروج .

وبعد ذلك قتل المشركون في غزوة أحد حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وقتل ثلاثة من خلفائه صلى الله عليه وسلم ظلما . وعذب كثير من أصحابه صلوات الله وسلامه عليه منهم بلال ، وعمار بن ياسر فما سبب ذلك ؟

نقول : إن هذا سؤال ممن يظن أن نعيم الحياة الدنيا مقصــود أصلي للمؤمن ، وإذا حل به شقاء في الدنيا يكون فاتــه كل خــير ، ونسي هذا السائل أن الحياة الدنيا ما هي الا ممر للحياة الخالدة التي جعل الله نعيمها جزاء للمؤمنين ، وخصهم فيها بكل ألوان النعيم:(**لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين**) فهم لذلك ما كانوا يبالون بالشدائد ، ولا يهابون الموت ، لأنهم يرونه يقربهم الى أسمى مقاصدهم .

وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم (ما يصيب المسلم من نصب ، ولا وصــب ولا هم ، ولا حزن ، حتــى الشــوكة يشاكهــا ، إلا كفــر الله بهــا من خطاياه) وفي رواية (إلا كفر الله بها خطيئة أو رفعه بها درجة) . وفي هذا جاء في رواية مسلم ، أيضا ، أنه صلى الله عليه وسلم قال في حديث قدسي عن الله عز وجل أنه قال : (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه (أي عينيه) فصبر ، عوضته منهما الجنة) .

فليس كل ما يصيب المؤمــن في الدنيا نتيجة ذنب اقترفــه ، بل قد يكون ابتلاء من الله له ، فان صبر واسترجع ، علم الملأ الأعلى أنه عبد

يستحق النعيم الخالد ، ومن هذا الابتلاء لهذه الحكمة ما حصل لنبينا صلى الله عليه وسلم ، كثيرا ومنه موت ابنه ابراهيم وهو لازال طفلا صغيرا بين يديه ، حتى فاضت عيناه بالدمع ، وقال عقب ذلك مباشرة : « إنا لله وإنا اليه راجعون ولا نقول إلا ما يرضى ربنا » وفي هذا قال سبحانه : **(ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون . ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)** البقرة / ١٥٤ ــ ١٥٧ ، ولهذا قالوا : « سبحان من لا يحمد على مكروه سواه » لأن غير الله سبحانه إذا أصاب غيره بمكروه ، فانه كثيرا ما يؤذي ولا ينفع ، اما هو سبحانه فانه إما أن يكفر به خطايا عبده ، حتى يلقاه يوم القيامة وليس عليه ما يثقل ظهره ، وإما أن يرفع به درجاته في الجنة ، ولهذا كان بعض الصالحين إذا أصيب يقول في دعائه : « اللهم إن كان هذا يرضيك عني فزدني منه » .

ومن هذا يتضح أن مصائب الدنيا قد تكون رحمة من الله بالمصاب ويتجلى ذلك إذا كان المصاب طفلا ، أو صغيرا لم يبلغ حد التكليف ، إذا حصل هذا وهو كثير الوقوع نعلم أن رحمة الله أدركت هذا الطفل فأنقذته من شرور الدنيا .

والخلاصة .

أن الانسان ما خلق ليكون خالدا في هذه الدار ، ولا هذه الدار نفسها خالدة ، بل هي إلى زوال ، وإن مدة حياة الانسان فيها كلمح البصر اذا قيست بخلود دار الآخرة ، ولهذا يراها الكافر بعد أن يبعث لحظة خاطفة ، قال تعالى : **(ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة)** الروم/ ٥٥ وقال في آية أخرى : **(كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار)** الاحقاف / ٣٥ . ومن أروع ما جاء في هذا المعنى ما قاله ابن القيم لما قرأ قوله تعالى : **(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب)** البقرة / ٢١٤ لما قرأ ذلك أخذ يخاطب بعض أهل زمانه : (يا مخنث العزم : جنة طرد منها آدم لأكل لقمة ، وناح لأجلها نوح ، والتقم حوت البحر في بطنه يونس ، وطرح في النار ابراهيم الخليل ، ولم يذق الراحة يوما موسى وهارون ، وقتل بالمنشار زكريا وابنه يحيى ، وعاش مع الوحوش في البرية عيسى ، وابتلى بقسوة شدائد المشركين محمد ، جنة هذه حال طالبيها ، تريدها أنت وقد غمرتك لجج شهواتك .

أسأل الله تعالى لي ولكم التوفيق والهدى .

لماذا كانت الفتوح الإسلامية

للاستاذ / أحمد عادل كمال

في كتابه « تاريخ الجيوش » تناول جورج كاستلان الجيش الاسلامي في عصر الفتوح فقال : « ... كان الجيش يتكون في أساسه من قبائل البدو وهمها السلب والمغامرة » .

وكتب « آرثر كريستنسن » في كتابه إيران في عهد الساسانيين يقول : « ... هذا هو حال إيران حين أغارت جيوش البدو والسذج عبر الصحراء العربية يذكيها التعصب للدين وروح الغزو » . ثم قال إن العرب الغزاة لم يستطيعوا أن يستولوا على ما في إيران من أموال رغم عنفهم إلا بالتحالف مع الدهاقين .

وقال « دانيت كنيث » في كتاب الجزية والخراج في الاسلام : « ... وقد لاحظ كايتاني مصيبا في ملاحظته أن نية العرب لم تكن إسقاط امبراطورية ، وإنما الحصول على المغانم والأسلاب ، وربما إلى جانب ذلك تحويل القبائل العربية المسيحية في المنطقة إلى الاسلام » ثم قال عن جيش خالد بن الوليد : « .... كان جيشه صغيرا وكان هدفه الغنائم والأسلاب ، وكانت معلوماته عن الحكومة أولية وفكرته عنها محدودة .

ويقول « جورج كيرك » في موجز تاريخ الشرق الأوسط « ... وكانت بعض جموع المسلمين قد خرجت في عهد محمد في غارة على بعض أطراف الدولة البيزنطية الى ما وراء نهر الأردن من الجنوب فلقيت صدمة عنيفة [يقصد غزوة مؤتة] فلما انتخب الخليفة الثاني عمر قام قواده العظام بقيادة غارات كبيرة إلى فلسطين والشام والعراق ومصر ، فكان ما لقوه من سهولة الاغارة وقلة المقاومة يعد من المدهشات ،

واستحال ما كان الغرض إليه في الأصل مجرد السطو والغنم على نمط ما ألفه العرب إلى غزوات وفتح دائم » .

كذلك كتب « جون باجوت جلوب » في امبراطورية العرب « ... ولعل من الطريف أن الشعوب الناطقة بالعربية التي ندون تاريخها الامبريالي في هذه الصفحات أصبحت من أشد خصوم الامبراطوريات عنفا وكأنها لم تكن في يوم من الأيام تمثل إحدى الدول الامبريالية العظيمة في التاريخ » . كما قال في موضع آخر « لم تكن الحروب بين المسيحية والاسلام ناشئة عن تنافر غريزي متبادل بين الديانتين ، فقد كانت الديانتان-على النقيض من ذلك-متقاربتين حتى أن كثيرين من علماء اللاهوت المسيحي اعتبروا الاسلام مجرد انحراف عن المسيحية . ولكن هذه الحروب المستمرة كانت على الغالب ناجمة عن عاملين ، أول هذين العاملين أن النبي محمد أوضح في ظروف مغايرة أن من واجب المسلمين ان يحاربوا الكفرة [لكن الكفرة كانوا عبدة الأصنام عندما صدرت هذه الأوامر] .

أما السبب الثاني فهو الجوار الجغرافي » . ولم يذكر جلوب هنا شأن الآخرين هدف السلب والنهب واللصوصية . وقال أيضا « وقد بدأ العرب ينازعون بيزنطة سيطرتها البحرية منذ عام ٦٥٠م وظلت سفن المسلمين التي يعرفها الأوروبيون باسم سفن قراصنة البربر تجعل الملاحة غير مأمونة في البحر الأبيض المتوسط إلى ما قبل مائة وخمسين عاما » . وفي عبارة عاد فنقضها قال : « ... ونحن ننظر الى العربي على أنه محارب قاس ميال إلى قطع الرقاب » .

وغير هؤلاء وهؤلاء كثير ولا غرابة في ذلك ، فهم من غير المسلمين من الذين لم يؤمنوا بهذا الدين ، فاذا دفعهم حقدهم الى الازورار عن الحق الذي يناقض الواقع فلا عجب . واذا كان من المستشرقين من كتب ما مر ذكره فللحق نقول ان منهم من كان منصفا التزم المنهج العلمي وقال ما استبان له حتى ولو لم يؤمن بالاسلام . فالفتوح الاسلامية هي الحركة الكبرى التي لم يكن كمثلها حركة في تاريخ العالم ، تميزت بسرعة الانجاز واتساع الرقعة ودوام الأثر والرحمة في الحرب ثم كانت حاسمة في كل شيء ، سقطت بها ممالك عريقة واسعة لتقوم مكانها دولة يانعة ، وزالت بها لغات لتحل محلها العربية لغة ، وانحسرت أديان ليظهر مكانها الاسلام دينا ، فلم يكن مستطاعا لأعداء الاسلام وشانئيه أن يغمضوا الأعين عن تلك الحركة ولا أن يلزموا الصمت فيما يتعلق ببواعثها وأهدافها:(**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**) الصف /٨ . فكان منهم المغرض والمنصف .

وكان من العجب ان يكتب كاتب مسلم يرد على المنصفين فيقول : « لا نوافق بعض المستشرقين في قولهم إن العرب كانوا مدفوعين نحو الفتح

بالحماس الديني وأن الحروب التي قاموا بها تعتبر حروبا دينية ، فنحن لا نظن أن العرب ــ ومعظمهم من البدو ــ كانت تسودهم الروح الدينية والرغبة في نشر الاسلام . فقد رأينا كيف انتقضت العرب وأنها لم ترجع إلى الاسلام إلا بحد السيف . ومهما تكن البواعث الدينية قوية عند الخلفاء وبعض أتقياء المسلمين في المدينة ومكة فانه من غير الممكن أن يخرج البدوي وهو الذي لايهتم بالدين لنشر الاسلام ، بل جاء القرآن بنص صريح في حرية العقيدة :[**لا إكراه في الدين**] . ثم بعد ذلك يصل الكاتب إلى النتيجة التي أرادها وهي أن حركة الفتح إنما كان لها هدف قومي هو :« القومية العربية » وذلك لجمع شمل العرب الذين كانوا ما زالوا تحت سيطرة فارس والروم إلى المجتمع الجديد !!

ما كنا نحسب أننا بحاجة إلى طرح هذا الموضوع ظنا منا أن الباعث على حركة الفتح واضح وضوح الشمس ، وما كان ما نقلنا عن الكاتب ليهم كثيرا لولا أنه أستاذ للتاريخ الاسلامي في إحدى جامعاتنا كتب ما كتب في كتاب جامعي يدرسه شبابنا فخشينا على بعضهم أن يأخذ دون روية أو تمحيص . وكأننا بالأستاذ المسلم لا يعلم أن جزيرة العرب قد دخلت في الاسلام طائعة مختارة وظلت وفود قبائلها تترى على المدينة تعلن إسلامها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتبايعه حتى أطلق الرواة على العام التاسع للهجرة عام الوفود ، وأثبت القرآن الكريم ذلك فقال : **(ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا)** النصر /٢ .

لأول مرة في تاريخ شبه الجزيرة تقوم بها دولة موحدة لها حكومة مركزية وعاصمة في المدينة . ولم يكن ذلك مرضيا تماما لجميع زعماء القبائل وكبرائها ، فقد كانت الرئاسة قبل ذلك تنتهي عندهم ، أما هم فلم يكونوا يتبعون أي جهة أخرى . فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم رآها بعض هؤلاء فرصة لاعلان الاستقلال . وتنوع طموحهم فبعضهم اقتصر تمرده على رفض سداد الزكاة إلى المدينة ، وبعضهم وقد رأى محمدا بن عبد الله قد صار رئيسا للدولة بالرسالة،تراءى له أن يدعى رسالة،وأن يزعم وحيا يتنزل عليه من السماء ، فماذا كان عن الجماهير ؟ بعضهم وقد كان حديث عهد بالاسلام انحاز إلى التمرد ، وبعضهم ثبت على إسلامه يجهر أو يستخفي به ، فقد قام المتمردون يحملون هؤلاء على الانحياز إليهم ويبتكرون وسائل التعذيب لفتنتهم فأحرقوهم بالنار وألقوا بهم من شواهق الجبال ورشقوهم بالسهام ورجموهم بالحجارة .

وبصفته خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر يحمي هؤلاء المسلمين ويصون وحدة الأمة ويقتص من المعتدين ، كما فعلوا فعل بهم ليعيد الأمن والنظام إلى ربوع الدولة . ولكن الاستاذ المشار إليه كان له رأي آخر اكتشفه بعد أربعة عشر قرنا ....

أن العرب ارتدت باختيارها وأن أبا بكر أعادهم قسرا إلى الاسلام بحد السيف ، والله يقول : **(لا إكراه في الدين)** البقرة / ٢٥٦ وكأنما فهم من القرآن ما غاب عن أبي بكر ! ونسى الاستاذ أن جيوش ابي بكر كانت من المسلمين الذين لم تسبق لهم ردة ، وأنه لم يسمح للتائبين من أهل الردة الذين حسن بعد ذلك إسلامهم بالمساهمة في حركة الفتح إلا عشية توفى ، في اليوم الأخير من حياته ، وتوفي على أثرها وأوصى بها عمر بن الخطاب فعمل بها .

هـذا هو الحـق ... لقـد كان الفاتحون دعاة قبل أن يكونوا غزاة ، وكانوا وهم يسيرون فاتحين تسبق دعوتهم معاركهم ، ويلقون السـلام قبل أن يرفعوا الحسام . إن الاسلام دعوة عالمية للبشر جميعا وليس قاصرا على العرب وحدهم ، ولقد بدأ تبليغ الرسالة خارج جزيرة العرب في عهد النبوة ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم برسائله الى كسرى برويز مع عبد الله بن حذيفة السهمي يدعوه إلى الاسلام ، وإلى هرقل الروم مع دحية ابن خليفة الكلبي ، وإلى مقـوقس القبط بمصر مع حاطب بن أبي بلتعة . وبشر صلى الله عليه وسلم سراقة بن جعشم بسواري كسرى برويـز بن هرمز قبل أن يلبسهما بستة عشر عاما ، وبشر المسلمين بقصور الحيرة وقصور المدائن وقصور الروم وقصور صنعاء وهم يحفرون الخندق حول المدينة دفاعا عنهـا أمـام هجمـة الأحزاب . كما بشر عدي بن حاتم الطائي باتساع سلطان المسلمـين حيث قال له : « فان طالت بك الحياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحـدا الا الله » . رواه البخاري ولقد ساق ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق نحوا من خمسين حديثا تحـت عنـوان « تبشير المصطفـى عليـه أفضـل الصلاة والسلام أمتـه المنصـورة بافتتاح الشام » ، فليرجع إليها من شاء .

فلم يكن السلب والنهب إذاً ، ولم تكن القومية ، فالاسلام كما ذكرنا رسالة عامة شاملة لا يفرق بين عربي وعجمي ، وفي خطبة الوداع قال صلى الله عليه وسلم :« الناس لآدام ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى » . رواه البخاري ، فالاسلام لا يعرف تعصباً لجنس ولا ترفعاً للون ، ولم يحدث قط في غير الفتوح الاسلامية ــ ولا تحـت أي ظروف ــ أن قال الفاتحون للمفتوحة أراضيهم :« لكم مالنا وعليكم ما علينا » . أليس من عجائب الأحداث أن تنتقل عاصمة الخلافة من مهبط الوحي ومن جوار الرسول صلى الله عليه وسلم ، من المدينة المنورة إلى دمشق بالشام ثم إلى بغداد بالعراق ، وأن يقوم الحكم في الدولة العباسيـة على عنـاصر من الفرس ... أكان من الممكن أن يحدث هذا لولا أن عقيدة الفاتحين لم تكن ترى بين الناس إلا المسـاواة كل المساواة ما داموا مسلمين . من حيث أن خاتم الرسالات رسالة عامة فمن

مقتضى ذلك أن تجتاز شبه الجزيرة ولا تحبس فيها ، ونصوص القرآن صريحة وباتة في ذلك :(**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا**) الأعراف /١٥٨ . (**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله**) التوبة /٣٣ . وعلى ذلك فلم تكن أحداث الردة وما تسلسل عنها حتى حركة الفتوح إلا المناسبة التي أقتت الفتوح بمواقيتها .

بقي شيء عن مادة السلب ، فقد ورد في بعض الروايات في أخبار الالتحامات أو المبارزات التي كانت تقع بين المقاتل المسلم والمقاتل المجوسي أو الرومي أن يقتل المسلم غريمه ويأخذ سلبه وهو ما يكون عليه من حلية وسلاح ، ومن قتل عدوا فله سلبه ... هكذا وردت في مصادرنا التاريخية فأخذ بعضهم المعنى من قولهم استلب ثوبه اختلسه منه ، وهو أحد معاني الكلمة ، ولكن للكلمة معنى آخر في اللغة لعله غاب عن أذهانهم وقد اخترنا أن نأخذه عن معجم المنجد الذي وصف بأنه قاموس كاثوليكي . قال سَلَبَ سَلْباً وسَلَباً ، الشيء انتزعه من غيره قهرا . وهذا هو المعنى المقصود في الروايات وهو حق ، وقد كان ذلك نوعا من غنائم الحرب وهو مبدأ مقرر في الحروب . كان المقاتل المسلم حينذاك هو الذي يجهز فرسه وسلاحه ، ولم تكن الدولة ، وكذلك كانت له مغانم الحرب ، وللدولة منها الخمس ،وهو المعنى بالأنفال .

أبى آلهة الشعوب المفتوحة تبليغ الرسالةفيما سلطهم الله عليه ، فمزق كسرى برويز رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وبعث إلى عامله على اليمن أن يرسل إليه رجالا ليأتوه به مقبوضا عليه ! وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الغفاري من كبار الصحابة في خمسة عشر رجلا إلى قوم من قضاعة في ذات أطلاح من أرض الشام ليدعوهم إلى الاسلام ولكن قضاعة رشقوهم بالنبل وقاتلوهم حتى قتلوهم إلا واحدا عاد إلى المدينة مثخنا بالجراح . كما أرسل الحارث بن عمير الأزدى برسالة إلى هرقل فتعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني لما عرف أنه رسول النبي إلى هرقل وأمر به فأوثق ثم ضرب عنقه صبرا . وكان المفروض أن يغضب هرقل ولكن الذي حدث كان عكس ذلك فكانت تلك مقدمات غزوة مؤتة . ولم يسمح الروم أبدا ـ كما لم يسمح الفرس ـ لدعاة المسلمين أن يبلغوا دعوتهم في بلادهم ، ولم يقتصر عدم السماح على الرفض بل تعدى ذلك إلى سفك دمائهم ! فما دام باب الدعوة يصفق بالسيف فلم يكن سبيل إلا فتحه ولو بالسيف . باب ماذا ؟ نريد أن نؤكد أنه باب الدعوة وليس باب الاسلام ذاته . الدعوة يجب أن تبلغ الناس،والناس بعد ذلك أحرار وكل ذاهب بنفسه فمعتقها أو موبقها . الأرض تفتح بالسيف ولا بأس،ولكن القلوب تفتح بالدعوة ولا تفتح أبدا بالإكراه:« **لا إكراه في الدين** » . ذلك هو الجهاد في سبيل الله .



كل نفس ذائقة الموت

للدكتور/احمد حسنين القفل

الموت : فوق حتميته فانه ضرورة حيوية .

اقتضت حكمة الخالق جلت قدرته ، أن يكون الموت مصير كل حي ، طال عمره أو قصر . فالموت كأس يتجرعه كل حي ، فهو إذن حق ، وإن كان كريه الملتقى ، مر المذاق ، إلا أنه لا مهرب منه ولا محيص عن ملاقاته . وإذا كان القرآن قد وصف الموت « بالمصيبة » لشدة وقعه على النفوس ، وحذر سبحانه من غمراته وخاصة على الكافرين ، إلا أن الله لم يحتم الموت على الاحياء عبثا ولا لعبا ولا لهوا ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ ولكن اقتضت حكمته ذلك لأن ألموت ضرورة حيوية بالاضافة إلى حتميته . فكما أنه « لا موت بلا حياة » فانه أيضا « لا حياة بلا موت » بمعنى أن الحياة تقتضى موتا ، وأن الموت يقتضي حياة . وسيتضح ذلك من المناقشة فيما بعد .

١ ـ أما عن « مصيبة » الموت فيقول سبحانه :

○ **يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت)** المائدة/١٠٦ .

● **(أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير . وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين . وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم)** آل عمران/١٦٥ ـ ١٦٧ .

○ **(وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيدا)** النساء/٧٢ .

٢ ـ أما عن حتمية الموت والرجوع بعده إلى الله للحساب والجزاء ، فيقول سبحانه :

● **(كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)** آل عمران/ـ ١٨٥ .

○ **(أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة)** النساء ـ ٧٨

● **(وما جعلنا لبشر من قبلك الخلدَ أفإن مت فهم الخالدون . كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر**

والخير فتنة وإلينـا ترجعـون) الأنبياء / ٣٤ و ٣٥ .

○ **(إنك ميت وإنهم ميتون . ثم إنـكم يوم القيامـة عنـد ربـكم تختصمون)** الزمر / ٣٠ و ٣١ .

● **(ثم إنكم بعد ذلك لميتـون)** المؤمنون/ ١٥ .

○ **(نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين)** الواقعة/ ٦٠ .

● **(إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير)** ق/ ٤٣ .

○ **(إن إلينا إيابهم . ثم إن علينا حسابهـم)** الغاشيـة/ ٢٥ و ٢٦ .

ويسخر الله من الذين يبحثون عن مهـرب من الموت ومنجـي منـه ، بالتخلف عن الجهاد والقعـود عن نصرة المؤمنين والفرار يوم الزحف ، وتولية الأدبار . يقول سبحانه .

● **(الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرأوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين)** آل عمران/ ١٦٨ .

○ **(ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهـد الله مسئولا . قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا . قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليـا ولا نصـيرا)** الأحزاب/ ١٥ ـ ١٧ .

● **(يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا قل لو كنتـم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهـم القتل إلى مضاجعهم وليبتلى الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور) .** آل عمران/ ١٥٤ .

○ **(يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلـوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير . ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون . ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون)**آل عمران/ ١٥٦-١٥٨

والزمـان والمكان المحـددان لموت الانسان غيب بالنسبة له ولغيره ، وهذا من فضل الله عليه ورحمته به . يقول سبحانه :

○ **(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابـا مؤجـلا)** آل عمران/ ١٤٥ .

○ **(وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ومـا تدري نفس بأي أرض تموت)** لقمان/ ٣٤ .

وعندما حضرت الوفاة رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كبر ذلك على أصحابه ، وشق الأمر على من ترامى إليهم الخبر ، حتى ظنوا استحالته ومن بينهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لقد ظنوا أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يجري عليه الموت كما يجري على غيره ، وكاد يرتـد عن

إيمانه كثير من المؤمنين لهول المصاب لولا أن وقف فيهم سيدنا أبو بكر الصديق خطيبا ليقرأ قول الله تعالى :

○ **(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين)** آل عمران/ ١٤٤ .

وهنا نزلت السكينة على قلب عمر ـ رضي الله عنه ـ وقال : « كأني لم أقرأ هذه الآية من قبل » .

ويتضح مما سبق « حتمية الموت » وأن الله سبحانه قد حكم به على كل حي ، لحكمة سيتضح مغزاها فيما بعد ، عندما نشير إلى « الضرورة الحيوية للموت » .

ويروى في هذا الصدد أن الملائكة قالت عندما نزل قوله تعالى : (كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) الرحمن/٢٦ و٢٧قالت إن هذه الحقيقة الخاصة بالفناء تنطبق فقط على الأحياء التي تتواجد على ظهر الأرض ، ولا تنطبق علينا نحن الملائكة لأننا لسنا « عليها » أي لا نعيش على الأرض ، ولسنا ندب عليها . وعندما نزل قوله تعالى : **(كل نفس ذائقة الموت)** وقوله سبحانه : **(أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة)** قالت الملائكة إن العبارات في الآيتين الكريمتين موجهة إلى الانسان ، ولن ينالنا الموت أبدا . وعندما نزل قوله تعالى : **(كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون)** القصص/ ٨٨ . تيقن الملائكة أنهم هالكون لا محالة ، فسبحان من له الدوام ، وسبحان من سيقول لنفسه عندما لا يوجد حي سواه : **(لمن الملك اليوم)** غافر/ ١٦ . ثم يرد سبحانه ويجيب نفسه : **(لله الواحد القهار)** غافر/ ١٦ .

أما عن الموت كضرورة حيوية ، بمعنى ان الحياة لا تستقيم ولا تستمر بغير الموت ، فتفسير نلك يمكن توضيحه على الوجه التالي :

١ ـ هناك حقيقة علمية يعلمها كل دارس لعلوم الطبيعة والكيمياء ومؤداها « أن المادة لا تفنى ولا تتجدد » ومعناها أن الله سبحانه وتعالى منذ خلق الأرض ، وقدر فيها اقواتها ، قد خلق سبحانه العناصر التي تتكون منها الأشياء (كالأيدروجين والكربون ـ والحديد والأوكسجين والنحاس و .... الخ) ثم شاءت حكمته أن تبقى هذه العناصر وتظل بكمياتها دون زيادة أو نقصان ، ولكنها تكون قابلة في نفس الوقت لأن تتفاعل مع بعضها البعض ـ حسب قوانين معينة ـ فتجتمع وتأتلف ، أو تتفرق وتختلف ، حسبما يشاء الله لها أن تكون ، ومعنى نلك أن ذرات « الأيدروجين » مثلا منذ خلقت لا تزيد ولا تنقص ـ وإن كان هناك آراء حديثة بشأن هذه الحقيقة ولا محل للخوض فيها في هذا المقام ـ لكن

بعضها قد يتحد مع الأوكسجين فيكون الماء أو قد يتحد مع الكربون والأوكسجين فتتكون مركبات عضوية مختلفة ... وهكذا . كما قد تتفاعل المركبات التي بها الأيدروجين فتنفصل بعد ائتلافها ... وهكذا ويقاس على ذلك بقية العناصر الأخرى في الكون كله .... وهذه العناصر تدخل في تكوين الجماد والنبات والحيوان ومن الأخير الانسان بالطبع . .

٢ ـ بغض النظر عن الروح التي لا نعرف لها كنها ، فان اجسام الكائنات الحية من نبات وحيوان تتكون جميعها من مادة الحياة (البروتو بلازم) التي يدخل في تكوينها عناصر محدودة . ومع أن مادة الحياة هذه تختلف بعض الشيء من كائن حي لكائن حي آخر ، بل تختلف في الكائن الحي الواحد من عضو إلى آخر ، ومن نسيج لنسيج آخر ، بل وفوق ذلك فانها تختلف في المكان الواحد من الكائن الحي الواحد من وقت لآخر ـ وهذا الاختلاف هو سر صلاحيتها للحياة ذلك لأن الكائن الحي تختلف الحياة حوله وفي بيئته تباعا ولا بد أن تواكب مادة الحياة فيه هذه الاختلافات تباعا أيضا وإلا هلك ومات ـ ومع هذا الاختلاف فان العناصر المسجلة في الجدول التالي هي من مكونات مادة الحياة (البروتو بلازم) بوجه عام في الكائنات الحية عموما ، وخاصة الحيوانات .

العنصر	نسبته المئوية
الاوكسيجن	٦٥ ـ ٧٥٪
الكربون	١٠ ـ ٢٠٪
الايدروجين	نحو ١٠٪
الآزوت	٢,٥ ـ ٣,٠٪
الكبريت	٠,٢٪
الفوسفور	٠,١٪
البوتاسيوم	٠,٣٪
الحديد	٠,٠١٪
المغنسيوم	٠,٠٢٪
الكالسيوم	٠,٠٢٪
الصوديوم	٠,٠٢٪
الكلور	٠,١٠٪

وتوجد عناصر أخرى (يود ... بروم ... الخ) تدخل في تركيب المادة الحية لبعض الحيوانات والنبات ، كما ان هذه العناصر لا توجد متفردة بل توجد في مركبات عضوية وغير عضوية على نحو ما يعرفه علماء البيولوجيا والكيمياء الحيوية ـ كما أن هذه المركبات تدخل مع بعضها مكونة « نظام كيماوي خاص » يجهله العلم حتى الآن ـ وسيظل يجهله ـ ذلك لأن هذا النظام الكيماوي الخاص هو الذي يصلح فقط لتلقي الروح واستقبالها بالكيفية التي يعلمها الله ولا يعلمها سواه .

٣ ـ وإذا علمنا ان الانسان ـ ومثله اغلب الكائنات ـ يبدأ جنينا بخلية واحدة ثم لا تلبث هذه الخلية الواحدة أن تكون جسما كبيرا به ملايين بل

بلايين الخلايا متشابهة وغير متشابهة لتكون أعضاء وانسجة واجهزة ، فمن اين جاءت الخلية الواحدة بكل هذه الاضافات التي تبلغ بلايين أضعافها ؟... لقد جاءت كل هذه الاضافات نتيجة لتغذية الجنين في رحم الأم ثم نتيجة لطعامه وشرابه منذ ولد وحتى الممات . ويتكون غذاء الانسان نباتيا كان او حيوانيا من العناصر المشار اليها آنفا والتي تكون في صورة مركبات أو أملاح أو غازات ثم تجري عليها عمليات الأيعن « التحويل الغذائي » كما أسلفنا وحصيلتها الأخيرة هي عملية « البناء » أي إضافة مادة حية جديدة الى المادة الأصلية في صورة خلايا تبني الجسم وتنميه ويصاحبها عملية « الهدم » تنتج عنها الطاقة والافرازات الصالحة للعمليات الحيوية في الجسم بالاضافة الى مواد اخراجية يتخلص منها الجسم . . وحين تزيد عملية البناء على الهدم يكون النمو وحين يزيد الهدم على البناء يكون الضعف والعجز ثم الموت أخيرا .

وخلاصة كل ما سبق أن الانسان ـ والكائنات الحيوانية الأخرى ـ يكتسب عناصر جسمه جميعا من خارجه : من الهواء والغذاء والشراب وهذه جميعا تتركب من عناصر ميتة مصدرها الجماد أو النبات أو الحيوان . ويتفاعل الانسان مع بيئته التي يعيش فيها طول حياته أخذا وعطاء حتى إذا مات وتحلل جسمه سريعا (بالحرق) أو بطيئا (بالدفن) تفرقت عناصر جسمه أي جسده لتأخذ دورها من جديد في جماد أو حيوان أو نبات ... وهكذا دواليك .

٤ ـ ولو افترضنا ـ مجرد فرض ـ أن الأحياء لا تموت ، فماذا عساه يترتب على خلودها وتكاثرها في ذات الوقت . يترتب على ذلك :

(١) ـ حيث ان المادة (العناصر) لا تفنى ولا تتجدد ، فسوف تتركز عناصر المادة الحية ـ التي اشرنا اليها سابقا ـ في اكداس من الأحياء ـ لا أتصور مبلغ أحجامها ـ وبما أن هذه الأحياء لا تموت فان عناصر جسمها تكون محجوبة في ابدانها بحيث تقل مواردها عن الأحياء اللاحقة فلا تتاح لها فرصة الوجود .

(٢) ـ موت الأحياء معناه رد عناصرها إلى الكون لاحداث التوازن فيه من حيث دورات عناصره بين حيوان ونبات ، فاذا تكدست الأحياء في خلود بطل هذا التوازن .

(٣) ـ يترتب على ما سبق عدم تكوين نباتات وحيوانات لاحقة لخلود الأحياء السابقة الى مستوى معلوم . ومعنى ذلك الوصول إلى حد تنعدم عنده الحياة ، إذ تكون مكوناتها من العناصر غير متواجدة .

(٤) ـ عدم تكوين نباتات وحيوانات من جديد معناه انعدام الغذاء بالنسبة للأحياء السابقة التي لم تمت والتي لا نعرف ولا نتصور ما سيكون

سلوكها .
ومن هنا نلاحظ أن الفرض السابق لا يمكن أن يكون ، وأن الموت هو ضرورة حيوية فالحي اللاحق تتوقف حياته على الميت السابق ، ومن هنا يكون الموت ضرورة لتسيير عجلة الحياة في نبات وحيوان على مر ألعصور وتعدد الأجيال ، وحتى تقوم الساعة .
٥ ـ وهنا يلزم أن نتوقف قليلا لنتأمل معا قول الله تعالى :
○ **(يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي)** الروم / ١٩ .
(١) ـ فقد فسرت سابقا على أن « الحي » يقصد به المؤمن وأن « الميت » يقصد به الكافر وهذا تفسير مجازي .
(٢) ـ وقد يكون « إخراج الحي من الميت » هو بناء المادة الحية من العناصر الميتة في جسم الأحياء والذي يصاحبه كما أسلفنا « اخراج الميت من الحي » أي عملية الهدم التي فيها تهدم أجزاء من المادة الحية لتكوين افرازات ميتة بجانب الطاقة .
(٣) ـ وقد يكون « إخراج الحي من الميت » وإخراج الميت من الحي » هو تكوين الأحياء اللاحقين من أموات سابقين في تتابع مستمر منذ وجدت الحياة على الأرض وإلى يوم القيامة على نحو قدمناه من مناقشة .
٦ ـ كما يلزم أن نتوقف أيضا لنتأمل قول الحق تبارك وتعالى :
○ **(تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا)** الملك / ١ و ٢ .
ويلاحظ القارىء الكريم ان الله سبحانه قد « خلق الموت والحياة » مقدما سبحانه لفظ « الموت » على لفظ « الحياة » والمقصود بالحياة هنا هو الحياة الدنيا بدليل قوله تعالى : **(ليبلوكم أيكم أحسن عملا)** ...
وإذا كانت « واو العطف » لا تفيد الترتيب ، إلا أن تقديم الموت على الحياة في اللفظ القرآني قد يشير إلي :
(١) ـ أن يكون المقصود « بالموت » في الآية هي العناصر الميتة التي تكون الجماد والتي خلقها الله اولا تمهيدا لخلق الحياة منها بعد نلك .
(٢) ـ أو يكون المقصود « أن الموت والحياة » ظاهرتان متلازمتان لا يمكن لاحد يهما أن تستغني عن الأخرى أي أن كليهما ضرورة لتواجد الأخرى ، كما سبق تبيانه . وتقديم لفظ « الموت » على لفظ « الحياة » يكون من قبيل ابراز أهميته ولفت النظر اليه « إذ الموت تمهيد للحياة ولا شك » .

هل يموت الجسم الحي برمته دفعة واحدة ؟

عندما ينشب الموت اظفاره في كائن حي كالانسان ؟ ويقال ان « فلانا » قد « مات » لتوه ، فتوقف قلبه عن النبض ، وسكنت رئتاه فلا يتنفس ، وبرد جسمه ـ الخ فالمتداول عليه في هذه الحالة ان حياة هذا « « الفلان »

قد انتهت .
١ ـ المعروف ان الانسان ـ وغيره من الاحياء ـ تتكون من خلايا ، وان الخلية حين تموت ـ تتوقف مظاهر الحياة فيها ـ فلا يمكن اعادة الحياة اليها بعد موت حقيقي مهما بذل من مجهود لارجاعها سيرتها الاولى .
٢ ـ ان جسم الانسان يتكون من انسجة واعضاء واجهزة تعمل كلها متآزرة متعاونة في تكافل عجيب ليحتفظ الانسان بحياته على الوجه الاكمل . واي انحراف عن تأدية الوظائف كما يجب ان تؤدي يتأتى عنه الامراض والعلل ... او الموت ..
٣ ـ عندما تفارق الروح الجسد فلا يعني هذا ان بلايين الخلايا في الجسم قد ماتت في التو واللحظة ، ذلك لانه اذا كان الجسد عامة قد مات فان انسجته بخلاياها لا تموت كلها دفعة واحدة بل تموت تباعا . والمعروف علميا ان خلايا المخ وبالتالي الانسجة العصبية هي التي تموت اولا ـ ومن ثم يكون الشلل الكامل ـ اما خلايا الانسجة الاخرى فقد تحتفظ بحيويتها فترة قد تمتد الى ساعات .
(١) في كل معامل الجامعات وفي تجارب الفسيولوجيا الحيوية ، تقتل الضفدعة ثم يستخلص منها قلبها بعد قتلها مباشرة بطريقة خاصة ثم يركب في جهاز خاص ويمرر في القلب محلول بتركيز خاص من املاح معينة (محلول رنجر) فاذا بالقلب المفصول عن الجسم كله يستأنف ضرباته من جديد ، ويسجل نبضه منتظما ويستمر يعمل هكذا ساعات او بضعة ايام طالما ان المحلول يندبه .
(٢) كثير من الحيوانات التي تذبح يبقى قلبها نابضا بعد ذبحها لفترة ، كما ان امعاءها تتحرك . هل شاهدت ذلك او لاحظته ايها القارىء الكريم عند ذبح ارنب وسلخه مثلا .
(٣) نسمع كثيرا الآن عن عمليات نقل « القلوب » ونقل « الكلى » ونقل « الكبد » وقد تنجح العملية وقد تفشل ، وحين تنجح في انسان فمعنى ذلك ان العضو الذي اخذ من ميت إثر موته لا زال يحتفظ بحيويته .
(٤) هل سمعت ايها القارى الكريم عن « بنك الدم » وبنك العيون » و « بنك الجلد » وهناك تفكير عن امكان تكوين « بنوك » لاعضاء تكون بمثابة قطع الغيار يهبها الاموات للاحياء .
(٥) ـ امكن للاطباء اعادة يد قطعت على إثر حادثة الى يد صاحبها . وعمليات ترقيع شبكيات العيون وطبلات الآذان مشهورة . وتوصل العلم الى ابتكار قلب صناعي او كلية صناعية تعمل مكان العضو الاصلي لفترة حتى يصلح العضو الطبيعي .
وخلاصة ما سبق ان الانسان ـ وغيره من الاحياء ـ حين يموت فليس معنى ذلك ان الجسم كله يموت دفعة واحدة بل تموت الخلايا والانسجة تباعا . ويحدث احيانا ان يتوقف القلب عن النبض ويكف الجهاز التنفسي عن اداء عمله ، فاذا اجرى

تنفس صناعي في حينه قد يستعيد الانسان حياته من جديد ولأجله المسمى .



هل هناك موتتان او موته واحدة ؟

١ ـ يقول سبحانه :

○ **(لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى)** الدخان / ٥٦

○ **(أفما نحن بميتين . إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين)** الصافات . ٥٨ و٥٩

○**(إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين)** الدخان /٣٥

« والموتة الأولى » هنا معناها الموتة التي يموتها الانسان ـ وكل كائن حي آخر ـ بعد انقضاء اجله المسمى على وجه الارض . وكل انسان له « موته اولى » خاصة به تعقب سكرات الموت او غمراته .

٢ ـ لكن هناك « موتة عامة » اشترك فيها كل البشر ـ بل وكل الاحياء وهي التي تمتد من الازل وتنتهي بخلق الانسان واقعيا من النطفة حين يبدأ في « عالم الشهادة » بعد « عالم الغيب » والقرآن يشير الى ذلك فيقول سبحانه :

○ **(هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا . إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا)** الانسان / ١ و٢

○ **(كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون)** البقرة / ٢٨ .

○**(قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا)**غافر / ١١ .

والموتة العامة هنا هي الفترة التي خلق فيها الانسان في علم الله ازلا ، ويؤكدها قول الحق تبارك وتعالى » .

○ **(وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)** الاعراف / ١٧٢ .

واخذ ذرية بني آدم من ظهورهم قبل ان يتواجدوا واقعيا ، هو خلق في عالم الغيب ـ لا زال ساريا حتى الان بالنسبة للذين لم يوجدوا على الارض بعد ـ وهو موت عام في حد ذاته .

ولهذا فلكل انسان موتتان ، احداهما عامة تمتد حتى بداية تكوينه كخلية في رحم امه وموتة ثانية تأتي بعد انقضاء اجله ـ

٣ ـ ونريد ان نقف هنا قليلا لنتأمل ظاهرة النوم ـ وهل هي موت متكرر ؟.

الله سبحانه هو الذي : **(لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم)** البقرة /٢٥٥ .

وقد كتب سبحانه على غيره من الاحياء « النوم » كما كتب عليهم « الموت » .

والنوم لازم لكل حي : ويمتن الله على

الانسان بهذه الظاهرة فيقول سبحانه :

○ **(ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون)** الروم / ٢٣ .

○ **(وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا)** الفرقان / ٤٧

○ **(وجعلنا نومكم سباتا)** النبأ / ٩

ولا يستطيع احد ان يمتنع عن النوم فترة طويلة والذين يحاولون ذلك تظهر عليهم اعراض القلق ثم الجنون ... الخ ولو اجبروا على عدم النوم لماتوا . ولنتأمل معا ـ ايها القارىء ـ قول الله تعالى :

○ **(الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)** الزمر / ٤٢

والمعنى في تصوري :

(١) ـ ان الله يقبض روح من يموت بعد توفيته اجله ، فلا يرد روحه اليه بعد ذلك . .

(٢) ان روح النائم تفارقه جزئيا ولكن الله لكي يوفيه اجله المسمى عنده فانه يرد روحه اليه حتى يبلغ الكتاب اجله ، وخلاصة هذه الآية :

(١) ان الله وقد كتب على عباده الموت فقد كتب عليهم النوم وهو موت مؤقت يتكرر كلما نام الانسان بمعنى ان الانسان حين « ينام » يكون « ميتا » وحين يستيقظ يبعث من جديد . وفي ذلك عبرة لمن يتفكر ويتدبر فكما ان احدا لا يمكن ان يدفع عن نفسه النوم فانه لا يمكن ان يدفع عن نفسه الموت . وكأن النوم واعظ « متكرر » يذكر صاحبه بالموت غالبا كل يوم .

(٢) ان الروح كما تفارق جسد الميت الى غير رجعة (الا عند البعث) فان روح النائم تفارقه جزئيا وترتد اليه عند استيقاظه ودليل ذلك ان النائم يستطيع ان يرى بغير عينيه وان يقطع الآفاق ويحلق في الفضاء بدون جسده وان يفعل ما لا يستطيع ان يفعله وهو مستيقظ وكل هذا تفعله روحه دون جسده .

ومن هنا تدرك قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما معناه « والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتجزون بالاحسان احسانا ، وبالسوء سوءا » وقول على بن ابي طالب « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » فيه اشارة واضحة الى تنبه الروح بعد مفارقة جسدها .



الكتاب والسنّة معاً

لا يعرف التاريخ إلا قرآنا واحدا منشور النسخ بين جماهير المسلمين من ليلة القدر الأولى إلى يوم الناس هذا ، ولم يحدث خلاف على هذه الحقيقة خلال أربعة عشر قرنا مضت ، فكتاب المسلمين واحد وقد حاول بعض المستشرقين الصغار أن يختلق ريبة حول ذلك فزعم أن عند الشيعة مصحفا آخر ، وهو زعم ساقط كان أقل من أن نثبته هنا ، ولكنا ترخصنا في ذكره ليعلم من يجهل ان القرآن الذي يحفظه جميع المسلمين ويحتفظون بنسخه في بيوتهم واحدا واحدا .

للشيخ محمد الغزالي

ولم يؤثر عن شيعي او سني أو خارجي أو صوفي أن لديه قرآنا آخر غير هذا الكتاب الفذ ، إن المصحف يطبع في القاهرة فيقتنيه مسلمو إيران والهند من الشيعة دون أي تردد عالمين بأن هذا هو الوحي الذي نزل على نبيهم .

وظاهر أن الأقدار ضاعفت أسباب الصيانة لهذا الكتاب حتى انفرد بهذه المكانة التي لم يظفر بها كتاب سماوي آخر .

ومع كثافة الأسانيد المتواترة التي دفعت بهذا الكتاب إلينا ، فان هناك نظرا آخر جدير بالاحترام كله ، إن حديث القرآن عن الله ولقائه ومطالبه من عباده يعلو كثيرا جدا عن نظيره في الكتب الأخرى .

فتالى القرآن يشعر بأن الله واحد ، واسع ، عظيم ، أعلى ، جدير بالحمد كله ، والمجد كله ، يستحيل ان ينسب إليه نقص أو يكون فوق كماله كمال .

وتالى العهد القديم يشعر بأن الله يذكر وينسى ، ويخطئ ويصيب ، ويفعل ويندم ، ويأكل مع الناس ، ويلاكمهم أحيانا ..!

وتالى العهد الجديد يشعر بأن الله تجسد وقتل في سياق غامض حافل بالمتناقضات وفي التوراة كما سجلها العهد القديم . لا توجد كلمة عن لقاء الله ، ولا يوجد ذكر ليوم القيامة ، الحديث كله عن الشعب المختار ، وحقوقه في هذه الدنيا وواجباته تجاه رب اسرائيل ! فأي تدين هذا ؟

والحديث عن يوم القيامة في العهد الجديد إما أن يؤخذ عن طريق الرؤى في المنام ، أو الاشارات الروحية ليوم الدينونة ..

والبون بعيد بين هذا الأسلوب الخافت وبين الهدير الذي يسمع دويه في الوعد والوعيد ، ومشاهد القيامة وصور الحساب والثواب والعقاب كما تكاثرت في سور القرآن .

والجانب الانساني الحر ظاهر في القرآن الكريم ، فأنت وحدك صانع مستقبلك ، ومصور ملامحك ، إن أحسنت لم يستطع أحد أن يعترض طريقك إلى الجنة .. وإن أسأت لم يستطع أحد أن ينقذك من النار : **(من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد)** فصلت / ٤٦ فلا وسطاء ولا شفعاء ولا قرابين على نحو ما تصور الوثنية أو على نحو ما تصور الأديان السماوية التي انحرفت ..

والقرآن ــ بهذا الواقع المشرق ــ

جدير أن يكون الصوت الفذ المنبعث من السماء فلو لم تدعمه أسانيد التواتر الغنية السخية لقال العقل : ما يصح عن الله إلا هذا .

ومن هنا فنحن نوقن بأن القارات الخمس لا تحوي سجلا للوحي الأعلى الا في هذا الكتاب العزيز ..

ومن هنا أيضا جاء خلود الرسالة التي بقي مصدرها الأول خالدا:(**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**) فصلت / ٤٢ .

وقد اتفق المسلمون على أن القرآن هو المصدر الأول لتعاليم الاسلام ، والمعجزة الباقية أبد الدهر لنبيه عليه الصلاة والسلام ، كما اتفقوا على أن السنة المطهرة هي مصدره الثاني ونقف وقفة قصيرة أمام هذا المصدر .

تواجه السنة النبوية هجوما شديدا في هذه الأيام ، وهو هجوم خال من العلم ومن الانصاف ، وقد تألفت بعض جماعات شاذة تدعى الاكتفاء بالقرآن وحده .

ولو تم لهذه الجماعات ما تريد لأضاعت القرآن والسنة جميعا ، فان القضاء على السنة ذريعة للقضاء على الدين كله ..

إن محاربة السنة لو قامت على أسس علمية لوجب ألا يدرس التاريخ في بلد ما لماذا يقبل التاريخ - على أنه علم - وتهتم كل أمة به ، مع أن طرق الاثبات فيه مساوية او أقل من طرق الاثبات في الحديث النبوي ؟؟

وأمر آخر نحب أن نثيره لماذا تدرس سير العظماء وكلماتهم وتعرض للتأسي والاعجاب ويحرم من ذلك الحق رسل الله ، وفي صدارتهم سيد أولئك الرسل مروءة وشرفا ، وبيانا وأدبا ، وجهادا وإخلاصا ؟؟

إن بعض البله يتصور الأنبياء أبواقا لأمين الوحي ، يرددون ما يلقيه اليهم ، فاذا انصرف عنهم هبطوا الى مستوى الدهماء ، وخبا نورهم .

أي غفلة صغيرة في هذا التصور ؟

إن الأنبياء رجال أكابر ، أكارم ، مصطفون من بين الالوف المؤلفة لصفاء فطرتهم ، وزكاة أفئدتهم ، ونفاسة معادنهم .

والوحي الذي يمر بنفوسهم يتألق في جوانبهم ويتأنق في سيرهم ويضوع شذاه في إيمانهم وصلاحهم ، فاذا لم يكن هؤلاء قدوة فمن القدوة ؟

الأدباء القوالون وحسب ؟ الساسة الماكرون وحسب ؟ القادة السفاحون وحسب ؟ ما أغرب أحكام البشر !!

إن الله في كتابه أحصى أسماء ثمانية عشر نبيا من الهداة الأوائل ثم قال للهادي الخاتم : (**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين**) الانعام / ٩٠

فاذا برز للانسانية إنسان كامل ، التقت في سيرته شمائل النبوات كلها ، وتفجرت الحكمة على لسانه كلمات جوامع ، واستطاع - وهو الفرد المستوحش - أن يحشد من القوة ما يقمع كبرياء الجبابرة ، ويكسر قيود الشعوب ، ويوطىء الاكناف للحق المطارد .. إذا يسر الله

للانسانية هذا الانسان العابد المجاهد الناصح المربي جاء غر يقول : لا نأخذ منه ولا نسمع له ، ثم يستطرد مخفيا غشه : حسبنا كتاب الله ! وهل السنة ! إلا امتداد لسناه ، وتفسير لمعناه وتحقيق لأهدافه ووصاياه ؟ .. على أننا نعتب على جماعات كثيرة تنتسب للسنة وتظهر التمسك بها .

فان مسلكها قد يكون من وراء انصراف بعض الناس عن السنن وشكهم في جدواها ونأخذ على هذه الجماعات أمرين : أولهما أنها تخلط الصحيح بالسقيم ، ولا تدري بدقة ما يقبل ويرد من المرويات .

وقد لاحظت عند تحديد الوضع الاجتماعي للمرأة أنه ما يجيء حديثان في قضية تتصل بها إلا أخر الصحيح وقدم الضعيف !

فزيارة المرأة للقبور ترويها أحاديث صحيحة ولكن بعض أهل العلم يقدمون عليها حديثا ضعيفا يلعن زائرات القبور ..

ورؤية المرأة للرجال – مع غض البصر – ترويها أحاديث صحيحة ، ولكن بعض أهل العلم يطوون ما صح وينشرون آثارا واهية أن المرأة لا ترى رجلا ولا يراها رجل !! وقد وضعت تفاسير وذكرت مرويات لتقرير أن وجه المرأة عورة ، وأن الإسفار عنه جريمة ، وليس وراء هذا الزعم سنة صحيحة ، ولا فقه قائم ..

ولعل هذا القصور العلمي وراء الانهيار الاجتماعي أمام زحف المدنية الحديثة :خذ مثلا هذه القضية الاجتماعية الحساسة ، قضية المهور ، فان الأحاديث الصحيحة وردت برفض المغالاة فيها . روى مسلم عن أبي هريرة قال : « جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني تزوجت امرأة من الانصار ، فقال له النبي على كم تزوجتها ؟ فقال : على أربع أواق من فضة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : على أربع أواق !! كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل !!»

وظاهر من تعليق الرسول أنه استكثر المهر

والأصل في المهور التيسير ، وسنته صلى الله عليه وسلم في نسائه وفي بناته التيسير ، والأحاديث في ذلك كثيرة ..

ولكن هذه الأحاديث الكثيرة طويت طيا وانهزمت أمام رواية جاءت أن امرأة جادلت عمر بن الخطاب في زيادة المهور وهزمته مستشهدة بقوله تعالى : **(وآتيتم إحداهن قنطارا)** النساء /٢٠ .

وهذه الرواية لم تأت بسند صحيح ، بل في رجالها انقطاع وضعف ، ولو تجاوزنا ذلك – وما يجوز تجاوزه – فان موضوع الآية ومعناها ليس محل الاستشهاد إذ الآية في شخص يريد تبديل زوجة بأخرى ويريد أن يسترد من الزوجة المتروكة ما أعطاه إياها مهرا فرفض القرآن هذا المسلك الصغير ، وبين أنه ما يجوز أخذ شيء من المرأة المهجورة ولو أمهرها قنطارا ..

والعبارة تفيد المبالغة ، ولو لم تفدها فالأمر يتصل بقضية أخرى غير إنشاء البيوت ، وإعفاف الرجال والنساء ، وإغلاق أبواب الحرام وتفتيح أبواب الحلال ، وحماية الأمة من التسول الجنسي ومقاذر الانحراف .

وقد لاحظت أن هناك أحاديث ضعيفة تحكم المجتمعات الاسلامية وتهزم الأحاديث الصحيحة بل المتواترة ، خذ مثلا رفض صلاة النساء في المساجد ، فقد فهم من أحاديث لم يروها رجال الصحيح ومع نلك فقد أقر الرفض عمليا ، وطويت الأحاديث المتواترة والصحيحة في هذه القضية المتصلة بأهم عبادات الاسلام والتصرف في السنة بهذا الأسلوب لا يمكن أن يكون دينا قويما ولا صراطا مستقيما أما الأمر الثاني الذي يؤخذ على المشتغلين بالسنن عموما فهو قصورهم الفقهي وليست لهم قدم راسخة في فقه الكتاب الكريم ! مع أنه الأصل ـ كما أنهم يأخذون الأحاديث مقطوعة عن ملابساتها ، ولا يضمون إليها ما ورد في موضوعها من مرويات أخرى قد تؤيدها وقد تردها .

خذ هذين المثلين مما عرض لي في القاهرة وأنا مهموم بقضايا الدعوة :

أولا : وقف خطيب يدعى السلفية يروى للناس أن والد الرسول في النار ، وكان نلك لمناسبة احتفال المسلمين بالمولد النبوي !! وقلت للناس : هذا الحديث يخالف قوله تعالى : **(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)** الاسراء / ١٥ وقد ثبت أن جيل الرسول الكريم وصحابته كلهم لم يبعث أحد إلى آبائهم:**(لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون)** يس / ٦ **(لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون)** السجدة / ٣ ومعنى هذا ان عبدالله وأمثاله لا يعذبون ، ولا يدخلون النار . ويكفي هذا الخلاف لنقض الحديث فهو علة تقدح في صحته .

وعلماء المصطلح يردون المتن إذا خالف ما هو أصح وأوثق .

وليس بعد حكم القرآن الكريم حكم ، ولعل الراو ى فهم أن تعذيب المشركين جميعا هو الأساس ، وأن استثناء أهل الفترة رحمة فوق العدل ، فساق الحديث لتوكيد المعنى الأول ..

وعلى أية حال فان رواية هذا الحديث في خطبة جامعة وفي مناسبة الاحتفال بالمولد النبوي جلافة وجهالة غليظتان ..

ثانيا : وقال خطيب آخر يدعى التصوف : إن الله ليلة المعراج نزل لمحمد وأوحى إليه وقلت للناس : ما روى في نلك كان رؤيا منام ، ومع نلك فقد رفضه الحفاظ وردوه ردا شديدا وعدوه من العثرات القليله التي أخذت على راو يه .وقد لاحظت أن المطابع وضعت في أيدي الجماهير نسخا كثيرة من الموطأ ومن الصحيحين وكثيرا ما يقرأ العامة أحاديث فوق مستواهم ، والحديث إن لم يقدمه عالم فقيه ، أو إذا لم يصحب بشرح يلقى ضوءا

كاشفا على معناه ، ربما كان مثار فتنــة ولغـــط .. وكم من أنصاف متعلمين أساءوا إلى السنة بضعف الفقه وقصور البصر .. والخلاصة أن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاعة الله تبارك وتعالى: (**وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون**) آل عمران /١٣٢ (**من يطع الرسول فقد أطاع الله**) النساء / ٨٠ وأن من زعم أن الرسول يجوز عصيانه فيما أمر به ونهى عنه فهو كافر باتفاق المسلمين .. وقد بذلت جهود لم يبذل مثلها في الوقوف على تراث بشر كي يعرف ماذا قال الـرسول حقـا .. وانتهت هذه الجهود بجملة حقائق محترمة .

١) أن في السنة ماهو متواتر لفظا أو معنى ، وهذا النوع من السنن يشبه القرآن الكريم فيمـا أتـى به من أحكام ، ولا يمكن رده ، وهو كثير في التراث النبوي وعليه تقوم الكثـرة الكاثرة من الأحكام المقررة ، وليس بصحيح أن المتواتر في السنة ضيق النطاق ، ربما كان ذلك فيما تواتر لفظه ، أما ما تواتر معناه فهو أساس مقررات فقهية كثيرة والواقع أن أخبار الآحاد من الناحية العملية لا تشكل مساحة كبيرة من السلوك الاسلامي المهم ، فان ما لا بد منه تكفلت به نصوص ثابتة بيقين ..

٢) وجمهور الأمة يقبل سنن الآحاد ويعدها دليلا على الحكم الشرعي الذي نتعبد الله باقامته ، ومن الناس من عد هذه السنن مفيدة لليقين الذي يفيده التواتر ـ ما دامت صحيحة ـ ولكن جمهور العلماء يقبل سنن الآحاد في الأحكام العملية والفروع الفقهية ولا ينقلها إلى ميدان العقيدة الذي يقوم الأمر فيه على القطع ، ومعنى ذلك أن سنن الآحاد تفيد الظـن العلمـي وحسب ..

٣) مع اتفاق الفقهاء على أن سنن الآحاد قرينة مقبولة في إفادة الحكم الشرعي فان عددا من الأئمة يتجاوز هذه السنن إذا كانت هناك قرينة أقوى منهـا في إفـادة حكم الله ، « **فمالك** » مثلا يرى عمل أهل المدينة أدل على السنة النبوية من حديـث الآحـاد مهمـا كانـت صحتـه ، « **والأحنـاف** » يرون أن حديـث الآحاد لا ينهض على اثبات الفرضية وحده ، ولا ينهض كذلك على إثبات الحرمة ولكنه يثبت أحكامـا أقـل رتبة .. وغالي بعضهم فجعل القياس القطعي أرجح من سنن الآحاد .. ودراسة السنــة علـم له رجالـــه الخبراء ، ولا يقبل في هذا الميدان ما يرسله السفهاء من أحكام طائشة تجعل التطويح بالسنة الشريفة أمرا جائزا أو تجعل تكذيب حديث ما هوى مطاعا .

إنه لا فقه بغير سنة ولا سنة بغير فقه ، وقوام الاسلام بركنيه كليهما من كتاب وسنة وفي ذلك يقول الأستاذ الامام حسن البنا : « القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الاسلام ، ويفهم القرآن طبقا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف ويرجع في فهم السنة إلى رجال الحديث الثقات » .

عناية المنهج التربوي الإسلامي في مرحلة الطفولة

للاستاذ/ أحمد عبدالمحسن المنشاوي

لقد قامت دعوة الاسلام على رسالة هادفة – عاملة على إيجاد أمة متكاملة – لها إيجابيتها في الحياة تأخذ منها وتعطيها – ولها كيانها العقيدي ولها كيانها العلمي بجانب كيانها العملي – ومن أول كلمة جاء بها الاسلام ندرك هذا المنهج التربوي – ففي قوله تعالى : **(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم)** العلق/١ – ٥ . ندرك من هذا القول الكريم الذي افتتحت به الرسالة السماوية – العناية بالمنهج العلمي القائم على تعلم القراءة والكتابة – وتعظيم وسائلها – المتمثلة في القلم وتوابعه من وسائل التعليم ثم العناية بالناحية الفكرية والفطرية المتمثلة في قوله تعالى : **(خلق الانسان من علق)** ثم الناحية العقيدية المتمثلة في قوله تعالى : **(علم الانسان ما لم يعلم)** ثم السمو الروحي المتمثل في قوله تعالى : **(اقرأ وربك الأكرم)** .

ومن هذا المنطق الكريم تحددت مفاهيم الدعوة الاسلامية والغرض منها في خلق أمة مثالية وفي قوله تعالى : **(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)** الجمعة/٢ . في هذا القول توضيح للمنهج التربوي الذي جاء الاسلام به ليخرج للناس أمة عالمة متعلمة لها منهجها ولها تربيتها ولها سلوكها في الحياة . فمن الآية الكريمة ندرك هذا الغرض واضحا .

فالمنهج العلمي في الآية – هو التلاوة للآيات والتعلم والكتابة والمنهج التربوي في الآية هو (الحكمة ومعرفتها) والمنهج الاخلاقي والسلوكي (هو تزكيتها وطهارتها) .

كما اعتنى المنهج التربوي الاسلامي بالطفولة – فلم يبدأ به من ساعة خروج الطفل الى الحياة – كما فعلت المناهج التربوية الأخرى الحديثة في الشرق وفي الغرب – وإنما سبق الاسلام هذه المناهج إذ نظر أولا

إلى اختيار الزوجة والزوج ــ ذلك لما لهذا الاختيار من أهمية كبرى تتعلق بها الحياة القادمة بالنسبة للنشء الـذي يراد تربيتــه على السلــوك الاسلامي .

ولهذا الاختيار أبعاده العميقة ــ واعتباراته التي لابــد منهــا ومــن الحساب لها ــ ذلك لأن عامل الوراثة الذي ينقل صفات الآباء والأمهات إلى النشء لا يمكن أن ينكره عقل ولا تتعارض معه دعوة أو منهج تربوي ــ ولذلك نرى الاسلام يقرر البعد عن نكاح المشركة ــ ونكاح المشرك مهما بلغا من مكانة اجتماعية أو اقتصادية في الحيــاة فيقــول تعــالى : **(ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولــو أعجبكم أولئك يدعون إلى النــار والله يدعو الى الجنــة والمغفــرة باذنه)** البقرة/ ٢٢١ .

ولا يقف العقل في فهمه للآيــة الكريمة عند الحفاظ على العقيــدة والخوف عليها إذا كانت الأم مشركة أو كان الأب مشركا ــ ولكن نظرة الآية في الحياة أبعد من ذلك وأشمل . فهي إن راعت الجانب العقيدي . فلا تقتصر عليه فقط وإنما تتعمق الآية في أغوار بعيدة لها تأثيرها في الحياة العامة والخاصة ، ذلك أن المشركة أو المشرك لا ضوابط خلقية تحكمهما ولا موازين عادلة عندهما تقوم عليهــا السلوك ــ وهذا الخطر الذي يخاف على النشء منه في التربية الاسلامية ــ

وفي تفضل العبد المؤمن والأمة المؤمنة على الحر المشرك والحرة المشركة تأمين للحياة القادمــة ــ ذلك لأن توافــر الضوابط الأخلاقية واعتدال السلوك يتحقق في جانب الأمة المسلمة والعبد المسلم .

وأيضا في تحريم نكاح الزانية من الحر الشريف ، أو الزاني من الحرة الشريفة ما يدور في هذا المعنى من حرص الاسلام في منهجه التربوي على النشء وحمايته من الانحلال الخلقي ذلك لأن الزاني والزانية قد تحقق فيهما الانحلال الخلقي والانحراف السلوكي وهذا مما يخافه الإسلام في النشء والأسرة .

وفي هذا المعنى يجيء أحاديــث الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه : حيث يحمل المتأهلين للتزاوج على اختيار الزوجة الكريمة حتــى يكون النشء مؤهلا للحياة الكريمة ، وتخرج النشء إلى الحياة بأخــلاق وسلوك حميدة محمودة ــ حيث يقول عليه الصلاة والسلام : « تخــيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحــوا اليهم » رواه الحاكم والبيهقــي ــ وليبعد الزواج عن الرغبة في الغرض والغــرور بالحســن والجمــال الجسدي .

تطهير النطفة والعنايــة بهــا في المنهج التربوي الاسلامي

ولا تقف عناية الاسلام عند اختيار الزوجة أو الزوج ــ بل يسير في منهجه إلى نقاء النطفة والبعــد بهــا عن

التلوث : إذ أن النطفة هي عنصر التخليق والتكوين الحيوي للنشء فنرى الاسلام يتعهدها بالطهارة : حتى تكون نطفة طاهرة بعيدة عن الخبث ، فيأمر القرآن الكريم المؤمنين بالتغذي بالحلال والبعد عن الحرام في المأكل والشرب .

ولعل واحدا يقول : ما علاقة هذا .. بالتربية التي لا تكون إلا إذا خلق الطفل أو خرج إلى الحياة ؟

وللجواب عن ذلك نقول : إن التهاون فيما حرم الله تعالى وأحل من المأكل والمشرب لهو أحد الصفات التي تورث للطفل من الآباء والأمهات .

والاسلام حريص كل الحرص على تجنيب الطفل في تكوينه الفسيولوجي صفة مثل صفة التهاون ذلك لأن التهاون ينتج عنه التسيب الخلقي — ودعوة الاسلام ما أقامت منهجها إلا لمحاربة التسيب الخلقي في الانسان — وتلك هى آيات القرآن الكريم الداعية إلى التحفظ عن الحرام في الغذاء قال تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون . إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله)** البقرة/ ١٧٢ و١٧٣ .

ولقد حرم الله هذه الأشياء لا ابتلاء كما يقول بعض المفسرين وإنما لعلل وراءها يخافها الاسلام في النشء وما يورث من صفات — وهذه الأشياء التي حرمها الاسلام لها تأثيرها السيكولوجي والفسيولوجي في تكوين الطفل — فأكل الميتة رغم ما يورث من أمراض جسمية فانه بجانب ذلك يورث دناءة النفس — وأكل الدم يورث ثقلا في الجسم كما يورث الخبث في النفس ولحم الخنزير يولد بجانب أمراض الأمعاء البلادة في الطبع وما أهل به لغير الله يولد الانحلال العقيدي — فاذا خرج الطفل إلى الحياة وقد ورث هذه الصفات — فأي منهج تربوي يستطيع تعديله والاستقامة به على طريق الحياة مهما أوتي هذا المنهج من قوة وعمق .

لذلك نرى المنهج التربوي الاسلامي يعتني في خطه التربوي — بالنطفة — حتى يتكون الطفل أو الجنين على الفطرة السليمة التي هي أصل الحياة في الانسان .

ولعل في معاندة إبليس — لعنه الله تعالى — ربه في الانسان — ما يوضح الشركة التي للشيطان في الأولاد — إذ يقول الله تعالى : **(وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد)** الاسراء/ ٦٤ .

فلن تكون للشيطان مع الانسان شركة في الوطء — إنما الشركة — في تحلل الآباء وتهاونهم في غذائهم بما حرم الله تعالى عليهم فيخرج أبناء إلى الحياة وأهم ما فيهم من صفات يكتسبها الشيطان فيهم ويأخذهم بها إلى طريقه هى — التسيب الخلقي الناتج عن التهاون الموروث من آبائهم والمنقول من أمهاتهم إليهم .

ونطفة الرجل في الحقيقة ما هي إلا خلاصة الغذاء الذي يتناوله الانسان — فاذا كان الغذاء حراما فلا ينبت إلا خبثا .

عناية الاسلام بالطفل بعد خروجه إلى الحياة

لقد اهتم الاسلام بهذه المرحلة : لأنها أخطر مرحلة في حياة الانسان .

ذلك لأنها المرحلة الأولى التي يستقبل بها الطفل الحياة ــ والتي يكون فيها الطفل جهاز استقبال فقط : يأخذ من الحياة : ويحاول التجاوب معها بعمل لا إرادي منه والاسلام يركز اهتمامه وعنايته بهذه المرحلة : التي لم ينتبه إليها علماء التربية الحديثة إلا بالقدر اليسير من التوجيه والارشاد ــ وإن كان اهتمامهم قد انصب فقط على التربية الجسمية .

بينما اهتم الاسلام في هذه المرحلة بالتكوين النفسي بجانب التكوين الجسمي للطفل .

فأما اهتمام الاسلام بالتكوين الجسمي :

فلقد أقر مدة الرضاعة كاملة وجعلها عامين : حيث قال تعالى : **(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة)** البقرة/٢٣٣ . ذلك لأن الرضاعة هي عنصر الغذاء الوحيد للطفل في هذه المرحلة : وللعناية بها . فرض الاسلام ــ نفقة ــ للأم تزيد على نفقتها العادية المقررة لها في المعاشرة الزوجية بل توسع في النفقة على الأم في الرضاعة حتى شملت الغذاء والكساء : حيث قال تعالى : **(وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن)** البقرة/٢٣٣ .

وفي حالة التعسر : نرى الاسلام يرعى الطفل ويلزم الوالد باحضار مرضعة غير أمه يشملها الوالد بالنفقة الشاملة والرعاية الصحية حتى يتغذى الطفل من مصدر قوي وفي قوله تعالى : **(وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى)** الطلاق/٦ ، لا يقصد فقط به التعاسر في الرضاعة بامتناع الأم عن الرضاعة . بل يشمل حالة عدم توافر الصحة في الأم حتى لا يتغذى الطفل لبنا قد يكون سببا في ضعفه جسمانيا ــ وما تلك إلا عناية من الاسلام في منهجه التربوي في رعاية الطفل .

ويجعل الرسول الكريم ــ (حسن التغذي في هذه المرحلة بجانب حسن الرعاية والتعليم) من وسائل النجاة من الوقوع في النار يوم القيامة ــ ويضع الرسول الكريم هذا الحسن في موازين العبادة ــ حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كانت عنده جارية ــ فغذاها فأحسن غذاءها ــ ورباها ــ فأحسن تربيتها ــ وعلمها فأحسن تعليمها ــ كانت له وقاية من النار »رواه ابن ماجه واحمد .

التكوين النفسي عند الطفل

لقد حرص الاسلام على أن يرعى التكوين النفسي عند الطفل منذ التهيؤ للتزاوج على خلاف ما قاله علماء النفس والتربية الحديثة . فان علماء النفس والتربية لا يرعون هذه المرحلة

ولا يعلقون علمهم بها إلا ساعة أن يدرج الطفل بين أبويه . وهذه المرحلة تسبقها مراحل أخرى في نظر الاسلام . ولقد اهتم الاسلام بتلك المراحل لأنها في نظره وتقييمه ، القاعدة الأولى التي تبنى عليها بقية مراحل النمو والتكوين والتربية الحقة .

فاشترط الاسلام عند التزاوج أن يتوافر التكافؤ بين الزوجين ـ والتكافؤ الذي اشترطه الاسلام ـ جعله شرط صحة في عقد الزواج .

وهو أشمل من أن يكون تكافؤا في الدرجة الاجتماعية . بل الاسلام يضع هذا النوع في آخر مرتبة للتكافؤ ـ وإنما التكافؤ الذي أراده الاسلام ، هو أولا في الخلق ، ثانيا ، في المزاج ، ثالثا ، في العمر . رابعا ، في الدرجة الاجتماعية . وقبل هذا كله التكافؤ في العقيدة .

ولعل من يقول : ما علاقة هذا ـ بالتكوين النفسي عند الطفل ؟

نقول : إن مراعاة هذه الأنواع من التكافؤ مما له أكبر الأثر في التكوين النفسي عند الطفل : ذلك لأنه لابد من توافر الانسجام بين الزوجين ـ الانسجام القائم على المساواة في كل نواحي التكافؤ : فبالتكافؤ تتحقق المحبة والألفة والمودة بين الزوجين وتزداد هذه يوما بعد يوم حينما تكون المماثلة في المكانة الاجتماعية . فلا كدر ولا مشاكسة ولا إحساس بالفوارق ـ مما يؤثر في حياة الأطفال وفي تكوينهم النفسي وكم من طفل خرج للحياة بين أبوين غير متفاهمين لسنة التزاوج فحمل بين جنبيه نفسا مريضة مليئة بالعقد التي قد يستطيع التنفيس عنها بالشغب أو بالاتلاف في بيئته الصغيرة ـ المنزل ـ ثم بالانحراف والتسيب الخلقي في مجتمعه الخارجي ـ وهذا مما يحسب الاسلام له في منهجه التربوي ألف حساب .

ومما اشترط الاسلام توافره بين الزوجين في بيت الزوجية لمراعاة التكوين النفسي عند الطفل أن تكون المداعبة بين الزوجين قائمة في كل مجال ـ في المحادثة ـ والملاعبة ـ والفكاهة ـ والمشورة ـ وفي العمل المنزلي ـ على شرط أن تكون بعيدة عن المداعبة الشائنة التي توحي للطفل بالنمو الجنسي المبكر .

ولقد قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يداعب زوجاته ـ ويلاعبهن ـ وفي حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ـ خير دليل على ذلك ـ فلقد قالت انها كانت تلاعب الرسول .

ولما كان البيت لا يخلو من المشاكل البيئية والمعيشية اشترط الاسلام ـ أن تكون بعيدة عن الطفل . وأن يباشر الزوجان حلها في جو من التفاهم والود والاستئناس بالرأي واحترامه حتى لا يورث الطفل تنافرا من أحد الوالدين ، خصوصا إذا علمنا أن الطفل أكثر تعلقا بأمه .

وكذلك اشترط الاسلام ـ مداعبة الأطفال على شرط أن تقوم المداعبة على حد الاعتدال وأن يتجنب الافراط فيها ـ بل تستغل للتوجيه التربوي

من الأبوين ، وأن لا يركن بها إلى طفل دون آخر حتى لا تخلف الأثر السيئ بين الاخوة وهى العداوة .

ونحن إذا قرأنا قصة يوسف عليه السلام مع اخوته ، نرى العامل الأكبر الذي حمل اخوة يوسف عليه السلام على التخلص منه ـ إنما هو زيادة الاهتمام من يعقوب عليه السلام بيوسف دون إخوته ـ ولعل سيدنا يعقوب كان على حق في هذا ، ذلك لأن اخوة يوسف كانوا أكبر منه سنا ـ ولازال هو طفلا ـ فلقد حملت إلينا الآيات هذا القول الصادر من اخوة يوسف عليه السلام ، حيث قالوا : **(اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم)** يوسف/ ٩ .

ففي قولهم ـ يخل لكم وجه ـ أن يخلص لكم حبه والركون إليكم .

والاسلام يرى أن مرحلة الطفولة ـ من أخطر المراحل التي يكون فيها الطفل محتاجا إلى المصادقة والمصارحة ـ لأن المصادقة والمصارحة تنطبع في نفسه البريئة فيشب عليها ويخرج إلى الحياة بعيدا عن التمويه والكذب والنفاق ـ ولذلك حارب الاسلام ـ الوعود الكاذبة التي قد يعمد إليها الآباء ـ كوسيلة للتخلص من مطالبة الأطفال لهم أو العمد إلى كفهم عن الصياح والبكاء ـ خصوصا إن كان في البيت ضيف .

إن ما يعمد إليه الآباء والأمهات في هذه المرحلة ـ يقدر خطرها الاسلام ويطالب بتجنبها وهناك البديل عنه وما يستطيع به الآباء الوصول إلى ما يريدون من أطفالهم دون الوعود الكاذبة .

ولقد كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم موقف من هذه المواقف حيث كان الرسول الكريم في ضيافة أحد الصحابة ولهذا طفل كثير البكاء ـ فسمع الرسول أم الطفل تقول له : إن سكت أحضرت لك ثمرة ـ فقال لها الرسول الكريم : « لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبة » رواه البخاري .

وهذا هو موقف الاسلام التربوي في تكوين الناحية النفسية عند الأطفال .

العقيقة وأثرها التربوي

جعل الاسلام الحنيف من سننه الحميدة إقامة وليمة شاملة للأهل والأقارب عند استقبال الطفل الجديد ، سواء كان ذكرا أم أنثى ـ وسميت تلك ـ بالعقيقة ـ وينتقل بها من أسبوع إلى أسبوع .

وللعقيقة أهميتها في منهج الاسلام التربوي ـ ولها قيمتها ـ في التكوين النفسي للطفل وقد يكون هذا بعيدا عن بعض العقول ـ حتى يقول هذا البعض :

ما أثر هذا في التكوين النفسي عند الطفل ؟

ونقول كما أدركنا : ان العقيقة لها أثرها العظيم في نفس الوالدة ـ فهي تشعر بقيمتها بين الأسرة ـ وفي نفس زوجها ـ حين تقام هذه

العقيقة ـ وخصوصا اذا كانت مشمولة بالفرح والسرور ـ وهذا له أثره العظيم في صفاء اللبن الذي يتغذى به الطفل ، خصوصا إذا علمنا أن الطفل بواسطة الرضاعة يتكيف نفسانيا ـ وإذا كانت الحالة النفسية عند الأم في أيام الرضاعة وخصوصا في الأيام الأولى منها ـ مرضية ومنشرحة الصدر منبسطة النفس ـ فمما لا شك فيه انها تجنب وليدها ضعف الحالة الجسمية التي هي المؤثر الأكبر في الحالة النفسية عند الطفل .

والاسلام الحنيف جعل في العقيقة كبشين للذكر ـ ولم يغفل جانب الأنثى بل جعل عقيقتها كبشا ـ وهذا لم يكن من قبل التفرقة بين الذكر والأنثى ـ حتى لا يكون مبعث حزن في نفس الوالدة ـ بل هى تسوية تامة ـ فالوالدة حينما تجد أن لبنيها وليمة أقيمت على فرح من أسرتها ومن أبيها لا يتخلف في نفسها حزن على ما أنجبت ولا يكدر لبنها بل تقبل على بناتها وأبنائها بحب وتقدير وعناية تامة .

هذا ولم نجد في كتب التربية الحديثة من قيم مثل هذا مما يجعلنا نقول : إن نظرة الاسلام في المنهج التربوي ـ كانت أعمق من أي نظرة يعتنى بها المتعلمون في وطننا الكبير ـ والاسلام حينما قرر العقيقة لم يقصر أثرها على فرحة العائلة وإنما نظر إلى الطفل وكيف يعصمه من الانتكاس النفسي بما تغذى به من لبن الأم ولبن الرضاعة .

الأذان ونظرة الاسلام التربوية إليه

من السنن الحميدة التي سنها الاسلام عند استقبال الطفل الجديد ـ الأذان له ـ في أذنه ومن العجيب أن كثيرا من المتعلمين يعترضون على هذه السنة الحميدة ، ويقولون : ما قيمة هذا الأذان لطفل لم يدرك معناه ؟ إذ لا يحمل في نظرهم إلا أحد معنيين :

المعنى الأول : أنه تأييد لسنة لم يفهم القصد منها .

المعنى الثاني : أنه من قبل التعصب الديني الذي يشبه إلى حد ما ـ التعميد الذي يقوم به أهل الأديان الأخرى لأطفالهم في الكنائس ؟

وللجواب على هذا نقول :

إنه من الناحية السيكلوجية ـ نجد حواس الطفل هى أجهزة دقيقة جديدة لم تمرن بعد ـ وأكبرها تأثرا بالحياة ـ حاسة السمع ـ وحاسة البصر ـ ولذلك ينصح الأطباء في عصرنا الحديث ـ أن تكون حجرة الوالدة قليلة الضوء وخالية من الألوان الزاهية وذلك خوفا على حاسة البصر عند الطفل ـ ويجب تمرين هذه الحاسة شيئا فشيئا ـ حتى تتقوى على مقابلة الأضواء ـ وحتى لا تتأثر بقوتها ـ لأن ذلك يورث الطفل ضعفا في الابصار : وحاسة السمع لها من الدقة ما لحالة الابصار تماما عند الأطفال ـ ولذا ينصح الأطباء في العصر الحديث بابعاد الأصوات العالية عنهم في أول حياتهم ـ ولابد من تمرينها شيئا فشيئا على تقبل تلك الأصوات ـ وحتى لا تصاب ولا

تتعطل هذه الحاسة ــ وضع الاسلام في نصائحه التربوية أن يقابل الطفل بالأذان ــ الهادىء في أذنه حتى يمرن على تقبل الأصوات .

هذا ولقد ثبت من علم التشريح أن أول حاسة تعمل في حياة الطفل ــ هي حاسة السمع ــ ولذلك ابتدأ الاسلام بتدريبها على سماع الأصوات الهادئة ــ ولو لاحظنا الطفل ساعة الولادة ــ لوجدنا أن حاسة السمع مهيأة للعمل قبل الادراك البصري فالطفل ساعة الولادة يسمع من أول لحظة ويأنس بالأصوات حوله ــ ولكنه لا يحرك بصره وعينيه إلا بعد أيام .

ولكن للاسلام نظرة أخرى مع تلك الاعتبارات الفطرية ــ نظرة في الآذان الذي يلقي في أذن الطفل ساعة الولادة .

هذا الطفل مهيأ من الولادة ــ باعتباره جهاز استقبال لأول كلمة تسجل على قلبه فأول كلمة يبتدأ بها التسجيل ــ كلمة تتوافق مع فطرته البيضاء ــ خصوصا إذا علمنا أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ــ يقول : « كل مولود يولد على الفطرة »رواه البيهقي . والأذان بما فيه من كلمات احتوت معاني التوحيد والشهادة والصلاة والدعوة إليها تتوافق مع فطرته السليمة الأولى .

ولقائل أن يقول : إن الطفل لا يدرك معنى الأذان ــ ذلك لأنه لا عمل له من الناحية الفكرية ــ فما فائدة هذا للتربية التي يقصدها الاسلام ؟

نقول : إن الفطرة عاقلة والدليل على صحة ذلك ، أن الله تعالى جل شأنه قد خاطبها قبل أن يقرها في الأرحام والأجسام ، وكلفها وأشهدها على نفسها ــ وهذا وارد في قوله تعالى : **(وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون)** الأعراف/١٧٢ و١٧٣ .

والفطرة سر من أسرار الله تعالى ــ عاقلة ومدركة ــ وإن لم تدل عليها الحوادث عند الطفل . . ومن أجل ذلك جاءت السنة الشريفة ــ بالأذان بعد الولادة وهذا من عناية الاسلام بالتربية الوجدانية المبكرة وتدريبها عند الطفل .

اللعب وعناية المنهج التربوي الاسلامي به

لما كان اللعب هو المصدر الوحيد في حياة الطفل لكسب المعارف والعلوم وتزويد خبراته واكتشافه للعالم المحيط به ــ توجه الاسلام في منهجه التربوي ــ إلى العناية باللعب وتهذيبه ــ كوسيلة لاشباع رغبات الطفل الديناميكية ــ وللتوجيه التربوي وتهذيب سلوكه وتعليمه .

لذلك طلب الاسلام من الوالدين ــ مشاركة الطفل في اللعب ــ ومعاونته على أدائه ــ وأن يتركا له حرية اختيار اللعب الذي يتناسب مع قدرته . وأن

ينزلا إلى عمره في اللعب ويعملا على تحقيق ما يريده - وإن يتخذا من تصرفه وسيلة لتقويمه وتوجيهه تربويا دون أن يكون ذلك مانعا - له من رغباته - أو معطلا لنشاطه .

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة . فلقد كان عليه الصلاة والسلام يداعب الحسن والحسين رضي الله عنهما - ويبسط لهما رداءه بعد أن يكون قد بسط لهما نفسه وقلبه .

فلقد روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل من نفسه - جملا - للحسن والحسين - وكان يتنقل بهما في الحجرة الشريفة إلى ما يريدون ويردد معهما نشيدهما في هذا الشأن .

فكانا يقولان له عليه الصلاة والسلام - إلى هنا - يا جملا .. وكان الرسول الكريم - يقول لهما : « نعم الحمل حملكما - ونعم الجمل جملكما » .

وفي هذا دليل على أن الاسلام يرفع اللعب مع الأولاد ومشاركتهم الى صفة الرحمة التي هي في القلب عاطفة من العواطف الانسانية التي يهبها الله تعالى لمن أحب من الناس ولقد أخذت به النظريات الحديثة في مناهجها التربوية كوسيلة من وسائل التعلم .

فانظر إلى الاسلام كيف يقول بهذا - قبل هذه النظريات بألف سنة وأكثر - ألم يكن هذا أكبر دليل على عمق الفهم الاسلامي في منهجه التربوي القويم .

الاستماع إلى الأطفال واحترام أفكارهم من عناية المنهج التربوي الاسلامي

لما كان الطفل انسان الحياة المستقبلة - وصانع مدنيتها - وباني حضارتها - كان لابد من الاهتمام به من كل ناحية - الناحية الجسمية - وقد رأينا كيف قدر لها المنهج الاسلامي قدرها - والناحية النفسية وكيف والاها بالاهتمام الأكبر - والناحية الفكرية - وهذه الناحية اهتم الاسلام بها أكبر الاهتمام - ذلك لأن الادراك الفكري بدأ عمله في الطفل من أول حياته - ولو أنه في السنوات الثلاث الأول من حياته كانت بصورة بسيطة ثم تدرجت في التعقيد شيئا فشيئا - فهو يزداد عمقا بتقدم الطفل في العمر .

ولم يقصر الاسلام الاهتمام بالناحية الفكرية عند الطفل عند سن السابعة - وهذه السن هى في حياة الطفل مرحلة التمييز بين المدركات الفكرية لا - بل نرى الاسلام اهتم بها قبل السابعة - حيث أوجب على الوالدين مشاركة الطفل في اللعب وملاحظة قدرته على الابتكار - وإرشاده وتعديل انفعالاته وملكاته - كوسيلة من وسائل التربية والتعليم .

أما حينما يبلغ الطفل السابعة . نرى الاسلام - يقرر في منهجه التربوي - الاستماع إلى الطفل . وأخذ رأيه وتمحيصه وتعديله - كوسيلة كشف لقدرته الفكرية . ذلك لأن في الاستماع إليه والنظر في رأيه تقويما لشخصيته - وحمل على

الاعتزاز بها والاستئناس بفكره ـ وهذا ما يريده علماء التربية في العصر الحديث ـ وهو ما يركز عليه الاسلام في منهجه التربوي قبل هؤلاء بألف سنة تقريبا وفي قصة القضاء أيام سيدنا داود عليه السلام والتي يجلس فيها بجانبه ولده ـ سليمان عليه السلام ـ وكان سليمان أيامها لازال حديث الطفولة ترى كيف ـ احترم داود عليه السلام رأي سليمان عليه السلام في الفصل في هذه القضية التي أوقعت سيدنا داود في تفكير عميق .

والله تعالى يقول : (**ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما**) الأنبياء/ ٧٩ .

وكان رأي سيدنا سليمان ـ أن يأخذ صاحب الأرض الغنم ينتفع بلبنها مدة أن يزرع له صاحب الغنم أرضه وحتى يصل الزرع إلى مستواه الذي أتلف فيه وهذا مما يدفعنا إلى ضرورة الاستئناس برأي الطفل وتمحيصه واحترامه .

إظهار المهارات عند الطفل وعناية المنهج التربوي الاسلامي بها

لما كان الطفل في مرحلة الطفولة ـ تغلب عليه الناحية الديناميكية ـ (الحركية) أكثر من النواحي المتعددة فيه ـ كان لابد لمنهج التربية الاسلامية أن يضعها في دراساته ويعتني بها ويجعلها ضمن خططه التربوية .

فأوصى الاسلام بضرورة مباشرة الطفل لأنواع الرياضات ـ التي من شأنها أن تكسبه مهارات خاصة ـ وتظهر فيه مواهب وابتكارات ـ على أن يتخذ هذا لأغراض تربوية ـ وأهمها ـ تعديل السلوك ـ ونماء الأخلاق وإظهار الشخصية ـ والاعتداد النفسي عند الطفل .

وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على هذا الاهتمام خصوصا بالرياضة الجسمية التي ينطلق منها الطفل إلى الابتكار أكثر من غيرها ـ فيقول عليه الصلاة والسلام : « علموا أبناءكم ـ السباحة والرمي » رواه البيهقي .

وهذه هى الرياضة التي كانت في زمن التشريع ولا بأس أن تضاف أنواع أخرى من الرياضات الفكرية والجسمية . وقد باشر الرسول الكريم بنفسه أنواع الرياضات ومنها المصارعة

إن الاسلام يرى أن القوة النفسية والقوة الجسمية لابد أن يقوم المنهج التربوي على تحقيقهما في مرحلة الطفولة ـ ذلك لأنها المرحلة التي تقوم عليها بقية مراحل العمر .

وخصوصا المرحلة التي فيها مجاهدة جنسية والتي يخافها رجال التربية ـ وهي مرحلة المراهقة ـ ويقول الاسلام بضرورة العناية بهذه المرحلة في الطفولة ليقضي على الفراغ الذي يكون سببا في الانحراف الجنسي ـ فالطفل الذي يباشر الرياضة ويشغل بها وقت فراغه ـ تتأخر فيه الناحية الجنسية ـ وإن ظهرت مبكرة ـ يكون قادرا على تهذيبها بنفسه والوصول بها إلى هواياته .



الظواهر الكونية في الآيات القرآنية

للدكتور / عبدالغني الراجحي

في الوجود أشياء وظواهر قد نمر عليها بالنظرة العجلى ولا نعيرها التفاتا ، لكن القرآن الكريم يوجه اليها الأنظار ويحث على التأمل فيها ، فاذا ما تأملها الانسان وجدها بسيطة في مظهرها كبيرة في مخبرها وجوهرها ، من تلك الظل للأشياء الملموسة المادية وعلاقته بالشمس ، ودورة الليل والنهار ، ودورة الأرض حول نفسها وحول الشمس ، فمن نظر الى الظل وتأمل حركاته وسكناته ، وكيف أن الله بحكمته وقدرته جعل لكل شيء ظلا ممدودا متحركا ، وكيف أنه جعل من طبيعة الأجرام الكثيفة ، شجرا كانت أم حجرا أم إنسانا أم حيوانا أم نباتا أم

عريشا ، أنها إذا تسلط عليها الضوء من جهة ، كان لها من الجهة المقابلة للضوء ظل يكون الضوء عنه مكفوفا ، فالشمس تظهر عند الشروق أفقية جدا فتلقي بضوئها على الموجودات والأجسام الكثيفة ، فيكون لكل موجود كثيف في مقابلة ضوء الشمس ظل ظليل ممدود من جهة الغرب على صورة وهيئة هذا الجسم تماما ، كأنه صورة له ، وقد صارت هذه الصورة تؤخذ اليوم وتسجل بطريقة ما هو معروف بالتصوير الشمسي أو الضوئي كما يقول الرافعي في كتابه إعجاز القرآن . ثم إن الشمس في رأي العين لا تزال تصعد في الافق حتى تصير عمودية أو شبه عمودية على الأشياء ، فكلما صعدت إلى أعلى في الافق قصرت ظلال الأشياء وتقلصت وانكمشت حتى لا يرى للأشياء ظل إطلاقا إذا تعامدت عليها الشمس ، وعندما تبدأ الشمس في الانحدار إلى جهة أفق الغرب ينتقل ظل الشيء إلى جهة الشرق شيئا فشيئا وينقلب الوضع السابق ، ولا يزال يطول ويمتد ولا يتلاشى إلا عند غروب الشمس ، فالشيء الكثيف لا ظل له إطلاقا اذا تعامدت عليه الشمس وقد يصير ظل الشيء مثلا له في الطول وقد يصير مثليه او ثلاثة أمثال منه أو أكثر ، على حسب مقدار ميل الشمس عن هذا الجسم شرقا أو غربا ، الأمر الذي حاول علماء الفلك وفقهاء الشريعة الاسلامية قديما ضبط مواقيت صلاة الظهر والعصر به ، فالشمس دليل على الظل ، وبين الشمس والظل تلازم ، فلا ظل لشيء إلا بسبب ضوء الشمس مسلطا عليه من الجهة المقابلة ، ومتى كانت الشمس على الجسم أفقية أو قريبة من الأفقية كان له ظل طال أم قصر . لا ظل إلا عن شمس ولا شمس إلا ولها ظل في الأجسام الكثيفة . وذلك كله من الأجسام . والشمس وضوئها ، وظل هذه الاجسام تتحرك فتطول وتقصر من توابع حركة الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس ، وكل ذلك من الشمس ونظامها ، والأرض ونظامها ، ، والظل ونظامه من آثار قدرة الله وحكمته وعظمته في الكائنات .

وفي كل تحريكة في الورى
وتسكينة له شاهد
وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد

ثم إن تناقص طول الظل صباحا حتى يتلاشى عند تعامد الشمس على الجسم الكثيف ، وكذلك تلاشيه عند نهاية استطالته عند غروب الشمس ، كل ذلك يكون يسيرا دقيقا بحساب معلوم ونظام دقيق ، يتخذه علماء الفلك طريقة لتحديد أوقات الصلاة بما هو معروف في عالم المزاول الشمسية التي كانت تلعب دورا كبيرا في تحديد أوقات الصلاة قبل انتشار هذه الساعات الدقاقة وغير الدقاقة .

نعم إن الظل ، هذا الشيء البسيط الذي قد ننظر اليه ولا نعيره التفاتا قد

وجهت اليه أنظارنا وإلى ما فيه من دلالة على قدرة الله وبديع صنعه في حركة الأفلاك والكواكب وطبائع الأجسام المعتمة والأجسام الضوئية والشفافة ، آيات كثيرة في القرآن الكريم ، ربما كان من أظهرها وأبرزها في هذه المعاني التي سقناها قوله تعالى في سورة الفرقان : (**ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا . ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا**) الآية / ٤٥ ،٤٦ فهو يمده عند أفقية الشمس شرقا أو غربا ، ويجعله ساكنا عند غروب الشمس أو تعامدها على الأشياء . وقد ورد ذكر الظلال في القرآن في سياق النعمة والامتنان بها على العباد كما في قوله تعالى في سورة النحل : (**والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون**) الآية / ٨١ وجاء في سورة فاطر توجيه النظر إلى الفرق الشاسع بين الظل والحرور في قوله تعالى : (**وما يستوى الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا النور . ولا الظل ولا الحرور . وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور**) الآيات / ١٩ ــ ٢٢ . ثم تعود آيات القرآن فتذكر الظل والظلال في بيان عظمته وقدرته وهيبته وجلاله وسجود كل شيء له طوعا أو قهرا ، فتقول سورة النحل : (**أو لم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون**) الآية / ٤٨ وتقول سورة الرعد : (**ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال**) الآية / ١٥ .

اي في الشروق وبعد الزوال . نعم إن التأمل في هذه الظاهرة البسيطة في مظهرها الكبيرة في جوهرها ومخبرها ليدل دلالة قوية على أن الله هو الحق ، الحكيم الذي أحسن كل شيء خلقه ، وأتقن كل شيء صنعه ، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، وخلق كل شيء فقدره تقديرا ، وجعل من الأفلاك وآثارها ، ومظاهر سيرها وحياتها ، دليلا على عظمته ، حيث إن ظل الاشياء المادية الكثيفة ، وامتداده بميلان الشمس أفقيا شرقا أو غربا ، وحركة سيره طولا ، وقصرا ، كله بحساب موقوت ودقيق تابع لحركة الأرض ودورانها حول الشمس ، وطريقة وقوع ضوء الشمس عليه مع ما في الظلال فوق وجه الأرض من تلطيف كمية حرارة الشمس وتلطيف الجو تخفيفا على العباد ورحمة بهم من الحاح الحر عليهم ومطاردتهم الى حيث لا يجدون مأوى من ظل او حماية من كن . ألا يرى أن الله جعل هذه الظاهرة في الظل وسيلة لطف ورحمة ونعيم لأهل الجنة كما كان لهم في الدنيا . فالليلة بنت البارحة والآخرة بنت الدنيا ، وذلك حيث يقول الله تعالى في سورة الواقعة عن أصحاب اليمين انهم : (**في سدر مخضود .**

وطلح منضود . وظـل ممـدود) الآيات / ٢٨ ـ ٣٠ وحيث يقول في سورة الانسان عن أهل الجنـة : **(متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا . ودانية عليهم ظلالها)** الآيـة / ١٣و١٤ ويقول عنهم في سورة المرسـلات : **(إن المتقـين في ظلال وعيـون)** الآية / ٤١ ويقول في سورة الرعد : **(مثل الجنة التي وعد المتقـون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار)** الآية / ٣٥

حتى إذا ما ذكر القرآن الظل في سياق عاقبة الكافرين وعقابهـم في الآخرة جعل معه احتراسا عن أن يكون ظلا من الظلال المعهودة التي يستريح الانسان لها في دنيـاه أو آخرته ، بل هي ظلال تهكمية كأنما جملت استدراجا للكافريـن يأوون إليها فاذا هي ظلال العذاب المفاجئ والانتقام الجبار . فيقول تعـالى في سورة الواقعة إنهم : **(في سمـوم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم)** الآيات / ٤٢ ـ٤٤ ويقول في سورة المرسلات لأهـل النـار : **(انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون . انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب . لا ظليـل ولا يغنـى من اللهـب)** الآيات / ٢٩ ـ ٣١ وشيء شبيه بذلك قد وقع في الدنيا فقد أهلك الله قوم شعيب بعذاب الظلة الوارد في قصتهم في قوله تعالى في سورة الشعراء : **(فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم)** الاية / ١٨٩ حيث اشتد بهم الحر فوجدوا سحابة كثيفة لجأوا الى ظلها من شدة الحر فاذا بها تمطـر عليهـم نارا تحرقهم فكانوا كما قال القائل :

والمستجير بعمرو عنـد كربته
كالمستجير من الرمضاء بالنار

ومن مظاهر عظمة الله في بديع صنعه وأعاجيب فعله أن يجعل من الشيء الواحد تارة وسيلة رحمة وتارة أخرى وسيلة عذاب كما كان الامر عليه في الماء الـذي جاء في بعض المواضع القرآنية نعمة من أعظـم النعم ، ثم جاء في بعضها الآخـر وسيلة انتقام وإغراق ، والنار التي جاءت في بعض النصوص القرآنية نعمة ورحمة ثم جاءت في بعضهـا الآخر وسيلـة تعذيـب وانتقـام ، والرياح التي جاءت تارة نعمة ورحمة وتارة أخـرى هلاكا وانتقامـا من الكافرين ، وكذلك كان الشـأن في الظل والظلال ، يرحم بها من يشاء ويعذب بها من يشاء ، وكل من الظلال والماء والنار والريح والليل والنهار . والأرض والسمـاء وسائـر أنـواع الكائنات ما هي إلا سطور في كتاب الوجود الذي أبدعته يد الخلاق العليم والذي قال فيه القائل :

تأمل سطور الكائنـات فانها
من الملأ الاعلى إليـك دلائل
وقد خط فيها لو تأملت خطها
ألا كل شيء ما خلا الله باطل

إن ما سبق ذكره من الظل والظلال كجزئيات وأفراد فوق ظهر الأرض تبعا لما يوجد من الجسم الكثيف المقابل لضوء الشمس ، يعتبر ذلك كله نموذجا ومثالا واضحا للظل والظلال في وجه الأرض كمجموع وكل ، فان نصف الكرة الأرضية دائما أبدا مقابل لضوء الشمس بينما النصف الثاني دائما أبدا يختفي عن ضوء الشمس ليكون ظلا للنصف الأول المضيء ، والنصف الأول المقابل للشمس هو النهار في وجه الأرض كمجموع وكل بصرف النظر عن كون النهار أطول وأقصر في بعض المناطق عنه في بعضها ، كما أن النصف الآخر من الأرض المختفي عن ضوء الشمس يكون ظلا معتما جدا حيث يكون هو الليل الدامس الظلام لولا النجوم والقمر ، وهذا النصف الثاني المظلم يساوي النصف الاول المضيء كمجموع وكل بالنسبة للارض كلها وان اختلفت مقادير الليل بالطول والقصر في بعض المناطق عنها في بعض آخر ، والنتيجة أن الليل والنهار ، والظل والضياء يتبادلان وجه الأرض بانتظام ومناصفة تامة ، فأحدهما لا يزيد عن الآخر ولا ينقص عنه ، والليل مساو للنهار بالنظر للكل والمجموع ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : **(لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)** يس / ٤٠ .

والحقائق العلمية الحديثة بالتجربة الثابتة والملاحظة والاستقراء تقول إن الجسم الكروي إذا قابل مخروطا ضوئيا في نقطة معينة كان الجزء المقابل للضوء مساويا للجزء المختفي عن الضوء تماما ، وهذه هي حالة الأرض مع الشمس والليل مع النهار تقع الأرض في بعد من الشمس محسوب بكل دقة وحكمة تصلح معها حياة الأرض وما عليها من الكائنات بحيث لو زاد بعدها عن الشمس أكثر مما هو الآن لفسدت الحياة عليها بالبرودة وغيرها ، ولو نقص هذا البعد عن الشمس لبطلت الحياة فوقها بالحرارة وغيرها .

فاذا كانت المناسبة بين الليل والنهار من جانب ، وبين سائر الظلال والضوء من جانب آخر واضحة من حيث ان الليل ما هو إلا ظل الارض على نفسها فانه مما يشهد لهذه المناسبة ويؤكدها أن آية الظل في سورة الفرقان في قوله تعالى : **(ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا . ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا)** تلتها مباشرة الآية المتحدثة عن الليل والنهار والقائلة : **(وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا)** الفرقان / ٤٧ الأمر الذي يؤكد ما قاله العلماء من تناسب الآيات في السور وأخذ بعضها بحجز بعض وشد بعضها أزر بعض ، بالارتباطات الوثيقة والمناسبات اللطيفة كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير .

مائدة القارئ

عاقبة البخل

قال تعالى : (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) .
الآيات ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ من سورة التوبة

بئس الكاسب

أتى عبد الملك بن مروان بأعرابي سرق ، فأمر بقطع يده ، فأنشأ يقول :

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها
بعفوك أن تلقى مكانا يشينها
ولا خير في الدنيا وكانت حبيبة
إذا ما شمالي فارقتها يمينها

فأصر عبد الملك على قطع يده ، فقالت أم الاعرابي : يا أمير المؤمنين ، هو واحدي وكاسبي . فقال : بئس الكاسب كان لك ، وهذا حد من حدود الله تعالى .

طاعة محبة .. وطاعة خوف

دخل أحدهم على المهدي وكان عاتبا على قوم ، وأراد أن يغزوهم ـ فقال له : يا أمير المؤمنين ، عليك بالعفو عن الذنب ، والتجاوز عن المسيء ، فلأن تطيعك العرب طاعة محبة ، خير لك من أن تطيعك طاعة خوف .

تضرع ودعاء

اللهم احرسني بعينك التي لا تنام ، واكنفني بحفظك الذي لا يرام ، ولا أهلك وأنت رجائي ، فكم من نعمة أنعمتها علي قل لك عندها شكري فلم تحرمني ، وكم من بلية ابتليت بها قل عندها صبري فلم تخذلني .

مثل صاحب القرآن

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إنما مثل صاحب القرآن كمثل الابل المعقلة ، إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت » . رواه مسلم .

كن مع الله

قال أبو العيناء : قلت لأحمد بن أبى دواد : إن قوما تظافروا علي ، قال : **(يد الله فوق أيديهم)** . قلت : إنهم عدد وأنا واحد ، قال : **(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله)** . قلت : إن للقوم مكرا ، قال : **(ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله)** .

وتتكلم أيضا ؟

بلغ هشام بن عبد الملك عن رجل كلام غليظ ، فأحضره ، فلما وقف بين يديه جعل يتكلم ، فقال له هشام : وتتكلم أيضا ؟ فقال الرجل : يقول الله عز وجل : **(يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها)** فنجادل الله تعالى جدالا ولا نكلمك كلاما ؟ فقال هشام : ويحك ! تكلم بحاجتك .

إذا لا أبالي

دخل ابن السماك على محمد بن سليمان فرآه معرضا عنه ، فقال له : ما لي أرى الأمير كالعاتب علي ؟ قال : ذلك لشئ بلغني عنك كرهته .
قال : إذا لا أبالي ، قال : ولم ؟ قال : لانه إذا كان ذنبا غفرته ، وان كان باطلا لم تقبله .

مدرسة الأزواج

الحلقة الأخيرة

للأستاذ / محمد محمد حلاوة

الزواج شركة إذا أريد إنشاء شركة ما بين اثنين أو أكثر ، فاننا نلحظ اهتماما غير عادى ، ونشاطا في كل اتجاه ، وحركة دائبة لا تتوقف ولا تنى : دراسات ، وأبحاثا ، وتخطيطا ، واجتماعات ، وحسابات ، ... الى آخره ، اذ لا بد من اتفاق الشركاء على كل صغيرة وكبيرة ، وتوفير كل ما يلزم للشركة من مال وغيره ، ووضع الشروط التى يلتزم بها جميع الأطراف ، وتضمن لها النجاح والسلامة والنمو ، ولا بد كذلك من أن يحسب للمستقبل ـ بكل احتمالاته ـ حسابه الدقيق حتى لا تتعرض الشركة للافلاس أو الضياع .

والزواج لايعدو أن يكون شركة بين طرفين : رجل وامرأة ، ولكنه يتميز عن الشركات جميعا ، فهو شركة البناء والتعمير وصنع الحياة . يقول الله سبحانه وتعالى :(**يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا**)سورة النساء الآية الأولى ، وهو شركة السكن والراحة . قال تعالى :(**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة**

ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)الآية ٢١ من سورة الروم . انه شركة رأسمالها التعاون ، وأدواتها المودة والرحمة ، والصبر والصدق ، والأمانة والبر ، والوفاء والايثار ، وإنتاجها استقرار النفس ، وهدوء البال . أما صمام الأمن فيها فدين محكم لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وضع لها من الأحكام والضمانات ما يحقق لها كل خير ، ويجنبها كل سوء ، بدءا من مرحلة الاختيار إلى ما بعد الانفصال ، خطبة ، وصداقا ، وعشرة ، ورعاية ، وقوامة ، وسعيا ونفقة ..... الى آخر ذلك مما فصلته كتب السنه والفقه .

ومع هذا كله فلم يحظ الزواج منا بالرعاية الحقة ، وانحرفنا به عن الجادة ، فاعتنينا بالمظهر ، وأهملنا الجوهر ، وسيطرت علينا المادة ، فأغفلنا كل ما هو روحى وإنسانى ..... الزوجة ما حظها من المال والجمال !!!والزوج من هو ؟ !! ، وما يملك ؟ !!! ، والصداق كم يكون ؟ !! ، والأثاث ماذا يحوى من كماليات !! و .... ، و .... الى آخر ذلك مما يضيق به المجال . أما الأسس التى تبنى البيت السعيد ، وأما الدين والفضل ، وأما الحجا والآداب فأشياء على الهامش ، وليس لها فى تقدير الكثيرين حساب !!!

آفات الحياة الزوجية

تتعرض الحياة الزوجية لآفات مختلفة أولاها وأخطرها **عدم التفهم الكامل الواعى لطبيعة الحياة الزوجية وأعبائها .**

فمن الأزواج من يتسلط عليهم الجنس ، فينساقون اليه كالحيوان بكل نهم ، ويلهبونه بما شاءوا من كل خبيث - وغير خبيث أيضا - وما دروا أنهم بذلك ينتحرون ، والى الهاوية يسرعون !! واسألوا السموم المختلفة من مسكرات ومخدرات وغيرها كم ضيعت من أموال ، وخربت من أسر ، وجنت على أبرياء !!! وفتشوا فى قواميس البشرية كلها كيف كان هؤلاء من إنسانيتهم وآدميتهم ، وكم وكم اجترحوا فى حق أنفسهم ، وذويهم ، وأوطانهم !!! ، ثم احنوا رءوسكم معى بعد ذلك رهبة ، وإجلالا لموقف الاسلام من هذه الموبقات ، حفاظا على الحياة ، وعلى موطن التكريم فى الانسان العقل الذى كرم الله به بنى آدم .

حتى هؤلاء الذين لا يتناولون هذه الخبائث ، وينكبون على الجنس دون حساب ، اسألوهم كم عمرت بيوتهم ، وتتبعوهم بعد قليل من سنى زواجهم تروا أجساما معتلة ، وعقولا مختلة ، وعزائم منحلة ، وحياة حط عليها الذل والشقاء !!!

وقد آن الأوان لحكامنا المسلمين الذين حاربوا هذه السموم بكل ما

يستطيعون ، وسنوا العقوبات الرادعة لمدمنيها ، ومهربيها ، والمتجرين فيها - أقول قد آن لهم الأوان ان يحاربوا - دون هوادة ، وبكل حزم وصدق - كتب الجنس ، وأفلامه ، وصوره ، فهى أكثر فتكا ، وأشد خطرا مهما تعلل المتعللون .

ما أردت بهذا أن أهاجم الجنس ، أو أقلل من أهميته فى الحياة الزوجية ، إنما أردت الا يتسلط الجنس على الناس بصورة تفسد عليهم حاضرهم ، وتهددهم فى مستقبلهم ، وتصرفهم عن هدفهم الأسمى فى هذه الحياة .

ومن الأزواج من يعتقدون أن الحياة الزوجية هى« الجنة الموعودة » ،وأن طريقها مفروشة بالورود والرياحين ، خالية من الهموم والمتاعب ،
ولقد أخطأوا ، وأساءوا التقدير ، فالحياة الزوجية فى حقيقتها بيت وأولاد ، وأسرة ، ورغبات ، ومطالب ، ونصب ، وعرق ، وكفاح ، ورعاية ، وتوجيه ،وتهذيب وإصلاح ، ... وباختصار دنيا جديدة كلها أعباء ، ومسئوليات .
عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كلكم راع ومسئول عن رعيته . الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ، ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ، ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى بيت سيده ومسئول عن رعيته . وكلكم راع ومسئول عن رعيته » رواه البخاري ومسلم .

وهناك فئة من الأزواج تجاوزوا الحد ، وخلطوا بين الحق والواجب ، ولم يميزوا الخبيث من الطيب ، فاستبد الرجل بالمرأة ، واستخفت المرأة بالرجل ،وأهملت المرأة فى واجباتها ، وتهاون الرجل فى واجبه ، وفعل الرجل ما ليس حقا له ، وتمادت المرأة فطالبت مساواتها بالرجل فى كل شىء ، حتى لقد سمعنا ونسمع من ذلك ما يضحك ويبكى معا !!! لماذا يسمح للرجل بالسهر خارج المنزل ولا يسمح للمرأة !! لماذا لا تعمل المرأة فى جميع المجالات كما يعمل الرجل !!! لماذا تكون له القوامة من دونها !!!

مهاترات ومغالطات تشقى بها بيوتنا ومجتمعاتنا ، علما بأن الحياة الزوجية الصحيحة هى المدرسة العملية لبيان الحقوق والواجبات ، وتربية الخلق والسلوك ، والتأكيد على الحق والخير والجمال .... وما العلاقة الزوجية حتى فى أخفى أسرارها الا الأمانة ، والعفة ، والفضيلة ، والجمال فى أدق معانيها ، وما الوفاء بالمسئولية فى حقيقته الا القوة والعزة والكرامة لوفقه الجاهلون .

وثمة فئة أخرى من الأزواج لم يتمكن الايمان من قلوبهم أرادوا الحياة
- كما تصوروها - عسلا دائما ، وصفوا خالصا ، فاذا حلت بهم كارثة ، أو ألم بهم مكروه أصابهم الجزع والسخط - معاذ الله ، واستبد بهم اليأس ، وخيم عليهم البؤس . وقد فاتهم أن الحياة ليست

نعيما مقيما ، ولا هناء متصلا ، ولا سعادة دائمة ، وإنما هى مزيج من نعيم وبؤس ، وسعادة وشقاء ، وصفو وكدر ، كما فاتهم أن الحياة الزوجية تعاون بين الرجل والمرأة يتقاسمان حلوها ومرها ، خيرها وشرها ، فى الشدة وفى الرخاء ، فى العسر وفى اليسر ، فى المرض وفى الصحة .

وتلك هى الحياة التى يبتلى بها الله عباده المؤمنين ،وهى التى خلقت الرواد والقادة ، وصنعت القدوة من الامهات والرجال فى الشكر ، والصبر ،والصدق ، والوفاء ، ونكران الذات .

وثانية الآفات الزوجية**عدم التكافؤ بين الزوجين**

والتكافؤ المطلق لا يعنينا ، لأنه لايتحقق ، وعدم التكافؤ أصلا يأباه العرف ، والعادة ، ولايقره الدين ، وإذا حدث كان فلتة . أما التكافؤ النسبي فهو نوعان :

تكافؤ نسبى مقبول يكون الفارق فيه بين الرجل والمرأة محدودا ، وغير كبير ، وهو التكافؤ الصحيح المنشود الذى أقره العرف والعقل والدين ، وبه تتحقق الأسرة السعيدة .

النوع الثانى تكافؤ نسبي غير مقبول يكون الفارق فيه بين الرجل والمرأة كبيرا ، وغير محدود ، وهو آفة خطيرة تهدد مستقبل العلاقات الزوجية ، وتسبب خلافات ، ومشكلات لا تنتهى .

ويمكنك أن تتتبع بيوتا اختلفت فيها الثقافة ، أو السن ، أو المال ، أو البيئة بين الزوجين اختلافا بينا فستجد وجوها شاحبة ، وعقولا شاردة ، ونفوسا يسيطر عليها الحذر ، والتوجس ، والقلق ، والريبة ، ويحدق بها الهم والضيق والكآبة ، وتمزقها المعاناة ، ثم تعقب أخبار هذه البيوت لتعلم الى أى مدى كانت جناية المال والجمال والجاه والعاطفة الهوجاء !!!

ومع ذلك فقد تسعد بعض هذه الزيجات ، إما لعامل إنسانى ، أو لمقدرة عالية فى احد الزوجين على التعويض فى نواح أخرى تعويضا يكافئ ويرضى .

والآن يمكن لأى زوجين متكافئين أن يبدآ حياتهما فى ثقة إذا التزما بما يلى : –

- تخلصا من سيطرة الجنس .
- فهما الحياة الزوجية على أنها أعباء ومسئوليات .
- التزما بحدود الله .
- وطنا أنفسهما على تحمل المكاره ، والرضا بقضاء الله .

ولا يبقى بعد ذلك الا الآفة الأخيرة ، وهى **عدم فهم كل من الزوجين للآخر فهما سليما** ،وعلاج هذه الآفة يحتاج الى وقت ، وجهد ، وصبر ، وحكمة ،

غريبان يعيشان – لأول مره – تحت سقف بيت واحد بطباع مختلفة ، وأهواء متباينة ، وعادات ، واتجاهات تقترب حينا ، وتبتعد أحيانا فى الطعام والشراب كما وكيفية ومذاقا ، وفى الحديث أسلوبا وفكرة

وأداء ، وفى العاطفة عنفا ورقة واتزانا ، وفى المعاملة ، وفى الادراك ، وفى التصرف ... ، وفى كل شئ تقريبا – أقول غريبان بهذا الوضع ماذا يطلب منهما ؟ يطلب أن يكمل كل منهما الآخر ، وأن يصبحا يدا واحدة ، وقلبا واحدا ، وفكرا واحدا ، وإحساسا واحدا ، وأن يعملا لهدف واحد هو : تأسيس حياة زوجية سعيدة ، ولا يتأتى هذا الا اذا فهم كل من الزوجين صاحبه فهما سليما ، وذلك يقتضى :

أولا : أن يعرف الرجل ما تريده المرأة منه ، وأن تعرف المرأة مايريده الرجل منها .

مايريده الرجل من المرأة ؟

يريد الرجل من المرأة أن تسمع له وأن تطيع ، وهذا حق الرجل الذى لا جدال فيه ، وما من فتاة تزف الى زوجها الا وهى تعلم ذلك ، وتحرص على تنفيذه بكل جوارحها ، وما أسرع المرأة اليه وأسعدها به إذا وجدت من الرجل صدرا حانيا ، وبسمة راضية ، وليس الأمر سهلا كما يبدو ، فموضوع السمع والطاعة خطير وجليل ، وتطبيقه يحتاج علما وحكمة ، وحظ الأزواج من ذلك ناقص وقليل .

ولذلك ليس عجيبا إذا وجدنا من الرجال من استخدموا هذا الحق استخداما سيئا ، فكلفوا المرأة ما ليس فى طبعها ، أومن شئونها ، أو فى مقدورها ، ووجدنا من النساء من تأبين على الطاعة ، ومردن على العصيان فامتلأت بيوت هؤلاء وأولئك بالشقاق ، والخلاف .

ويريد الرجل من المرأة أن تهيئ له طعامه وشرابه وراحته ، والزوجة الواعية هى التى تسخر حواسها جميعا منذ اللحظة الأولى لتعرف ما يشتهى زوجها من أنواع الطعام ، وألوانه ، وأى نوع ولون يفضل ، وطريقة إعداده ، وتقديمه ، وموعده ، ولن يعجزها أبدا أن توفق بين هواه وهواها ، بل هى قادرة أن تحبب اليه ما لم يألفه .

ولن يدل على حذق المرأة ونوقها ومدى إحساسها بالجمال أكثر من وسيلتها فى تهيئة الراحة للرجل مكانا ، وزمانا ، وهدوءا .

ويريد الرجل من المرأة أن تحافظ عليه فى نفسها ، وفى ماله ، وما شرع الزواج إلا لصون العفاف والطهر ، وعفاف المرأة رأسمالها ، وهى أحرص ما تكون عليه ، ولا عذر لها أبدا إن هي تهاونت فيه .

وإذا كانت المرأة مسئولة عن ذلك مرة فالرجل مسئول عنه مرات . لقد أصبحت الزوجة فى بيته ، وحبست نفسها عليه وعلى راحته ، ووقفت وقتها وجهدها لخدمته ، تسمع فتلبى ، وتؤمر فتطيع ، منزلها هو مملكتها الذى يأويها ويسترها ، ورجلها هو فارسها الذى يقوم عليها ويحميها ، فلم إذا تنحرف ؟ اسألوا أنفسكم أيها الرجال ....

وإذا كانت المرأة مسئولة عن مال الرجل أيضا ، فالرجل لايقل

مسئولية عنها فى ذلك : المال ماله ، والاذن له ، والرقابة عليه ، فكيف اذاً تمتد يدها أو تفكيرها اليه ؟

وسلوا أنفسكم مرة أخرى أيها الرجال !!

وما أظن امرأة يرعى الرجل حرمتها ، ويصون حقها ، ويشبع رغباتها العادلة تسول لها نفسها يوما أن تخونه فى ماله أو فى نفسها .

ماتريد المرأة من الرجل ؟

اولا :

تريد المرأة من الرجل أن يكفيها حاجاتها ، وحاجات المنزل ، وعلى الزوج منذ اليوم الأول أن يتفهم جيدا حقوق الزوجة ورغباتها كاملة ، حتى لا يؤذيها أو يظلمها ، وأن يتعرف متطلبات البيت جميعها صغيرها وكبيرها ، وأن يتم التفاهم والاتفاق بينه وبين زوجته في كل هذه الشئون بالحق والعدل .

واذا قرت عين المرأة ، وشعرت بالأمان فستكفيها الكسرة ، وإذا نعم الرجل ، وشعر باخلاص المرأة فلن يضن عليها بما تشاء . وتريد المرأة من الرجل ، معاملتها بالمعروف وبالحسنى ، والمعاملة هنا على إطلاقها ، والمعروف لا حد له ، وليت الرجال فهموا ذلك ففعلوه ، ولو أنهم فعلوا لسعدت البيوت ، واختفى منها أكثر المشكلات .

ثانيا : هذا الفهم ليس هدفا فى ذاته ، ولكنه وسيلة لتطبيق أحكام الله وحدوده .

ثالثا : على كل من الزوجين أن يعمل لارضاء الآخر وفق هذه الحدود والأحكام

رابعا : على كل منهما أن يأخذ بيد صاحبه إذا وجد فيه خطأ ، أو قصورا ، أو شططا بالحسنى وبالمعروف ليتم التلاقى المنشود .

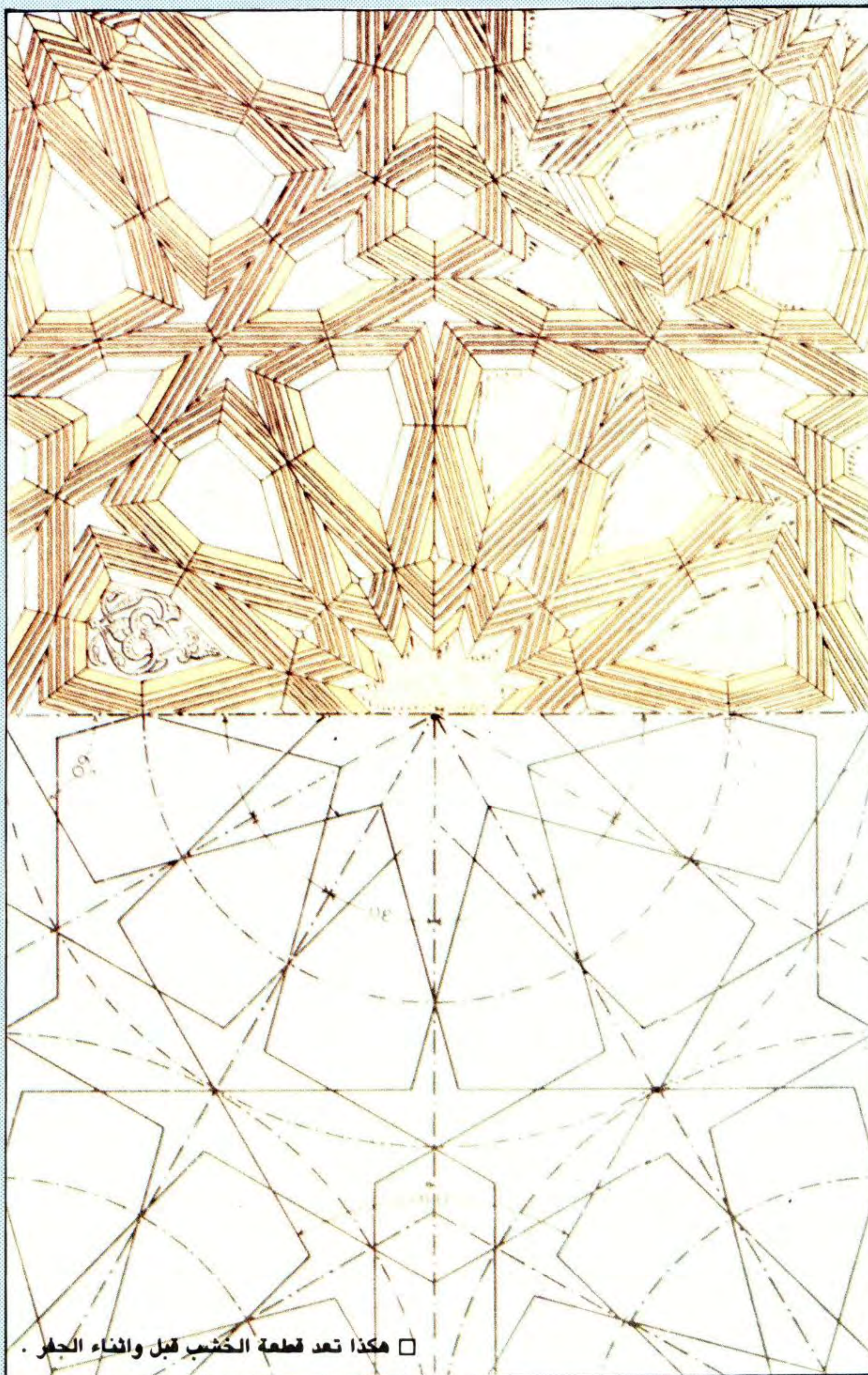
خامسا : أن يبتعد كل عن الاستعلاء ، وحب السيطرة ، فليس هنا سيد ومسود ، بل تعاون وعمل مشترك يتجلى فيه الاخلاص والتفانى ونكران الذات .

وسيلة معطلة

إن الحديث أعظم وسيلة للفهم والتفاهم قد عطلت أو كادت بين الأزواج ، فكم من الوقت يتحدث الزوجان معا كل يوم ، وما الموضوعات التي يتناولانها ؟ قد لا يحدث ، واذا حدث ففي موضوع تافه ،أو فى شقاق وخلاف .. وليتكم أيها الأزواج تعلمون سمر الحديث ومتعته وأثره .

إن السنة الأولى من الزواج هى الأساس العملى للحياة الزوجية ، فان كانت سليمة وقوية . سلمت وبقيت ، وإن كانت مختلة واهية وهنت وتصدعت ، بها يتقرر مصير الزوجين فاما سعادة دائمة ، وإما شقاء متصل .

أيها الأزواج حاولوا جادين مخلصين فى السنة الأولى من الزواج فعلى قدر محاولاتكم يكون نجاحكم وتوفيقكم ، والله معكم ، ولن يتركم أعمالكم .



□ هكذا تعد قطعة الخشب قبل واثناء الحفر .

فن زخرفة الأخشاب عند المسلمين

للاستاذ عبدالغني محمد عبدالله

أبدع الصناع والفنانون المسلمون في صناعة التحف من الخشب . شأنهم في ذلك،يسير موازيا للابداع الذي مارسوه في الميادين الفنية الأخرى . مثل ما نراه من خلال الجهد الاسلامي الفني على المعادن والنسيج وعلى العاج والعظم .. وما خلدوه لنا في العمارة الاسلامية بأنواعها المختلفة وميادين أخرى كثيرة ومتعددة .

وصناعة التحف الخشبية ــ التي تعتبر الآن أثرية ــ عند المسلمين من العلامات البارزة في فنونهم . وحقيقة أن هذا الميدان قد حظى بنصيب عظيم من الجهد والابداع الفني . وخليق بنا أن نهتم بما خلفه لنا الأجداد ولو بوقفة . نرى وندرس ونحلل مقرنين ذلك بالتأريخ الفني لهم وسنجد أن ذلك يسير سيرا معتدلا مع حوادث التأريخ الاسلامي السياسية .. فمثلا عندما تتأكد سلطة الدولة الاسلامية وتتدعم نجد أن مردود ذلك على الفن الاسلامي كان واضحا وجليا . في استقرار الفنون وتطورها وتقدمها . وانفرادها بأسلوب إسلامي فريد وخاص بالمسلمين .

ولم يكن غريبا أن يزدهر الحفر على الخشب في الدولة الاسلامية . بل وأكثر من ذلك يعطي هذا الازدهار إشعاعات قوية تؤثر على الفنون



□ ابواب خشبية ذات تفاصيل فنية .

العالمية الأخرى . على مر التاريخ . وإلى اليوم .

وقد ازدهر هذا الفن في الأمصار الاسلامية التي تشتهر بالأخشاب الجيدة .. وتلك التي لم تشتهر بها ، فمثلا وجدنا في مصر وهي ليست ذات شهرة فائقة في إنتاج الخشب ولا سيما ذلك النوع الذي يستعمل لتصنيعه محفورا ومزخرفا وفي الأعمال التي تتطلب المتانة ودقة الصنع . إذ من المعروف أن وادي النيل يتوفر فيه أنواع من الخشب لا تصلح إلا لأعمال النجارة البسيطة مثل عمل الكراسي والأسوار الخشبية أو عمل أعتاب للأبواب أو الشبابيك . أو أوتاد للخيام .. الخ وهذا يتم الحصول عليه من أشجار السنط والنبق والزيتون والسرو والجميز . ولما كان الحال كذلك في مصر . فان الأعمال الفنية على الخشب في مصر اعتمدت بدرجة كبيرة على أنواع جيدة تم جلبها من بلاد أخرى بطريق الاستيراد فكانوا يحصلون على خشب الأرز من آسيا الصغرى والشام . وخشب الساج من بلاد الهند . ومن السودان جلبوا خشب الأبنوس . وهذا يفسر لنا السبب الذي من أجله كانت المحاولات المتعددة والجادة من جانب الدولة الفاطمية لزراعة الغابات رغبة في توفير أنواع جيدة من الخشب . صحيح لم يكن قصد الفاطميين . تقديم مادة أولية جيدة للفنانين والصناع لزخرفتها . ولكن من أجل توفير الأخشاب اللازمة للأعمال الحربية مثل بناء السفن والأبراج والمجانيق والعربات واستكمال المعدات الحربية لجيوشهم من أجل بناء جيش قوي . والصانع الفنان بطبيعته كان وراء صناعة الآلة الحربية يلتقط كل ما تلفظها هذه

الصناعة ليبدع فيها بأزميله ومطارقه بزخرفة رائعة محفورة عليها بعد أن تأخذ الأشكال المناسبة . وظهر ذلك جليا بعد الدولة الفاطمية . في فترة الكفاح الاسلامي ضد الصليبيين . ولندرة قطع الأخشاب الطويلة نظرا لامتصاص الصناعات الحربية لكل الأطوال الخشبية . فنجد في العصر الأيوبي لجوء الصانع والفنان المزخرف على الأخشاب إلى استخدام أساليب وطرق جديدة في زخرفة الأخشاب فاستخدم خشب الخرط وتعشيق القطع الصغيرة مع بعضها واستخدام خشب الخرط وتجميعه .

والواقع أن عظمة الفنان والصانع المسلم في إنتاجه الخشبي بقيت خالدة فيما خلفه لنا من روائع هى بلا شك دليل تفوقه وتحتفظ لنا المتاحف في القاهرة (متحف الفن الاسلامي) وفي استانبول (متحف طوبقا بوسراى) ـ أكبر مجمعين للفنون الاسلامية . وفي المتاحف الأخرى في دمشق وبغداد والمتاحف العالمية الأخرى . تحتفظ لنا هذه المتاحف بثروة طائلة من الأعمال الخشبية التي تم إنتاجها على مر العصور الاسلامية بمدارسها الفنية المختلفة .

ولعل أكبر كمية من الأخشاب عثر عليها من حفريات الفسطاط وعين الصيرة بمصر . وهى مازالت ـ في أغلبها ـ بحالة جيدة . تدلنا على تاريخ صناعتها بنفسها بما عليها من كتابات أو أساليب زخرفية أو



□ منبر ومحراب مسجد مريم خليفة بالكويت وهما من الخشب المحفور وقد برزت الزخرفة الاسلامية حول الاعمدة والمقرنصات الخشبية .

باعادتها إلى المنشآت التي استخدمت فيها وترجع إلى تاريخ معلوم .

وبرغم تواجد هذه الكمية الكبيرة من الأخشاب الأثرية إلا أنه من المؤسف حقا أن كميات كبيرة من هذه التحف قد ضاعت على مر العصور ، إما بالفقد ، وإما بالتلف ، نتيجة لرحلتها مع الزمن أو بسبب عوامل

خارجية كالحريق مثلا . فالخشب مادة قابلة للتلف والفناء السريع بسبب النيران ذاتها أو عند محاولة إطفائها وما يصيب هذه المادة من تشبع بالمياه أو تكسير . فلا يكاد يشب حريق صغير حتى تصبح هذه القطع الخشبية الجافة ــ مع الزمن ــ وقودا . تلتهمها النيران بسرعة كبيرة أما في خلال الحروب والقلاقل واضطراب الأمن . فان الخسائر المادية ضخمة ومن بين هذه الخسائر تكون الأخشاب . الوقود الصالح للتدمير والحريق . مما أصاب الفنون الاسلامية في كنزها الهائل من الأخشاب بضرر بليغ نتيجة للسرقة والاتلاف والحريق والتخريب والتدمير .

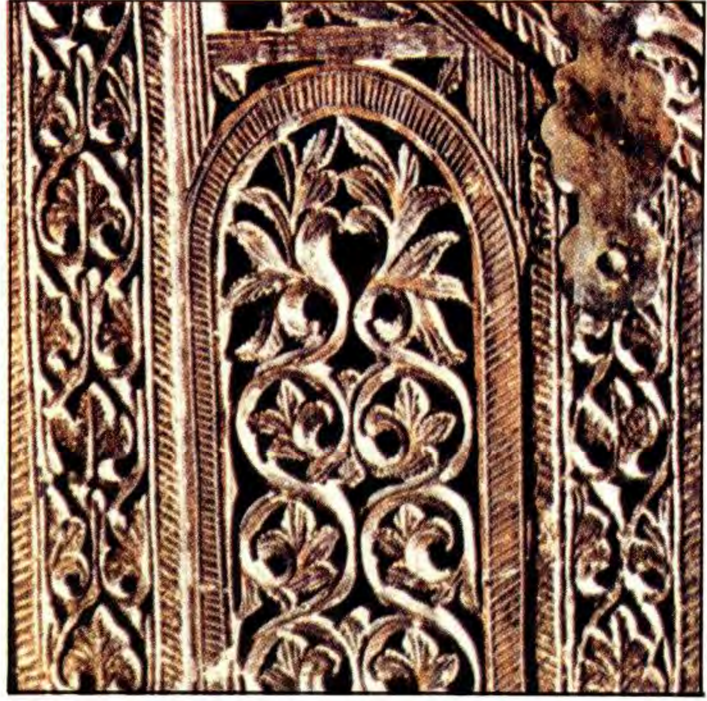
ولعل ذلك كان وراء الفراغ الكبير في المنتجات الفنية الاسلامية على وجه العموم في العراق وايران . وهما البلدان اللذان تعرضا لجحافل الغزو المغولي المدمر واكتساحهم المعروف للشرق الاسلامي وتكفلت الحروب والقلاقل في الشام بوجود فراغ فني آخر هناك . وكان الأسف شديدا على ما ضاع في الفسطاط عند حرقها خلال الصراع بين شاور وضرغام .

ومما يسبب قلة التحف الخشبية هو عدم وجود الأصناف الجيدة من الخشب . الأمر الذي كان يدعو البعض إلى انتزاع بعض الأخشاب من مباني قديمة وإعادة تكييفها وتحوير زخارفها لتتطابق في استخدامها مع مبنى آخر جديد .. الأمر الذي يختلف مع أسلوب التحفة



□ حفر عميق على الخشب .

الفني وعصرها ومدرستها الفنية مما يضع الباحث في حيرة شديدة من أمره عند التأريخ الفني للمبنى الذي وقع بين يديه إذ يجد تحفا ذات أساليب فنية مختلفة تماما عن أساليب عصر هذا المبنى موضوع البحث . ولعل أكبر مثال لهذا الشيء هو ما أثبتته الأبحاث عن بيمارستان قلاوون (ضمن مجموعة قلاوون بشارع المعز لدين الله الفاطمي بالقاهرة . وقد زال هذا البيمارستان الآن) . فقد تم العثور على بعض الأخشاب التي لا تمت فنيا في زخارفها الى العصر المملوكي بصلة . ولكن أساليبها الفنية تعود إلى العصر الفاطمي . وبعد أبحاث طويلة تم التأكد بأن هذه الألواح الخشبية التي اشتهرت باسم ألواح قلاوون . ما هى إلا أجزاء من القصر الفاطمي الغربي . وهى تمثل ثروة زخرفية هائلة ومحفوظة بعناية



□ تفاصيل زخرفية نباتية مماثلة للطبيعة على احد المنابر .

الآن في متحف الفن الاسلامي .
ولعله من المفيد القول بأن بعض الوزرات الخشبية المزخرفة والألواح وباطنية الأسقف والعقود الموجودة للآن في مكانها في كثير من العمائر الاسلامية . والدينية خاصة . لعلها تعتبر بحق متاحف حية شاهدة على عظمة هذا الفن عند المسلمين .
ومعظم التحف الخشبية التي حصلت عليها المتاحف . أو تلك التي مازالت تؤدي دورها للآن في العمائر الاسلامية (المساجد والدور الباقية) . هى من تلك الأنواع الثابتة . والمتصلة بالمباني مثلما استخدم في مصاريع الأبواب والنوافذ ودواليب الحوائط وجوانبها واطاراتها وأبوابها أو باطنية العقود أو السقوف . والكوابيل الحاملة . والروابط الخشبية بين العقود (مثل روابط قبة الصخرة) والازارات والمنابر (منبر صلاح الدين في القدس الذي أحرقه الصهاينة ـ منبر مدينة قوص) والمحاريب المنقولة (محراب السيدة نفيسة والسيدة رقية) . والقباب الخشبية (قبة المسجد الأموي القديمة) . والأشرطة الكتابية الخشبية أو الزخرفية (مثل ألواح قلاوون) .
أما قطع الأثاثات المنزلية فهذه نادرا ما وصلت إلينا .. وما وصل إلينا منها قليل . بعض الكراسي من تلك الأنواع التي تستخدم في المنازل وهذا بدوره قلل لدينا المعلومات التاريخية عن الحياة الاجتماعية والمدنية داخل البيوت . وأساليب الحياة المنزلية في بعض الفترات التاريخية للدولة الاسلامية كدولة واحدة أو دويلات . ولربما تعطينا التصاوير المختلفة للأثاث المنزلي اذا ما تم بحثها بعناية أكثر . لربما تعطينا هذه التصاوير الكثير من المعلومات التي تسد بعض الفراغ في هذه المعلومات المفروض توفرها ضمن تأريخنا للحياة الاجتماعية . ولساعدت أيضا في سد الثغرات الموجودة في تاريخ قطع الأثاث المنزلي المستخدم في الدور الاسلامية .
والزخرفة على الأخشاب تطورت في ظل الاسلام تطورا مسايرا للدول الاسلامية المختلفة وفي نفس الوقت متأثرا بالأسلوب الفني المعاصر لكل دولة .

الزخرفة على الخشب في العصر الأموى :

وهذه الفترة محكومة زمنيا فيما بين عامي ٦٦١م الى ٧٥٠م ومكانيا بالأراضي التي تسيطر عليها الدولة الأموية . ونظرا لأن هذه الدولة قامت أساسا بالشام وامتدت سيطرتها الى أقاليم مختلفة تشمل شبه الجزيرة العربيـة ومصر وشمـال افريقيـا والأندلس وفارس وبلاد السند وما وراء النهر فضلا عن العراق وبعض جزر البحـر المتوسـط . فان الاشعاعات الفنية التي انطلقت إلى العالم الاسلامي في ذلك الوقت كانت متأثرة الى حد كبير بالأساليب الفنية الشائعة بهذه الجهات ومتأثرة إلى حد ما بالأثر السياسي الأموي القادم من بلاد الشام ـ وبلاد الشام متأثـرة بأساليب فنية بيزنطية . ولذلك لم يكن غريبا أن تكون الأعمال الفنيـة في زخرفة الأخشاب ـ شأنهـا في ذلك شأن الفنون الاسلامية في الميادين الأخرى ـ قد نقلت عناصره وأساليبه نقـلا أمينـا من الفـن البيزنطـي والهيلنستي إلى جانب عناصر أخرى ساسانية قادمة من العراق وفارس ، وقوطية قادمة من الأندلس . حيث من المعلوم أن الفن الاسلامي في هذه الفترة المبكرة كان مزيجا من تقاليد وعناصر وأساليب المدارس الفنيـة التـي دخلـت في نطـاق الدولـة الاسلامية . وهذا المزج لم يغير في التقاليد والعناصر كثيرا .

وتظهر في التحف الخشبية الأموية التأثيرات الساسانيـة والهيلنستيـة



□ مظلة نافذة من الخشب المحفور .

(تماما كمـا امتزجـت في الفـن البيزنطي) ويتضح ذلك في طريقـة الحفر نفسها فقد جاء هذا الحفر عميقا مما يظهر الكثير من الأرضيات في التحف . أما المواضيع فقد اتخذت أساسا من الطبيعـة .. واتخـذت وحدات زخرفية نباتية مثل عناقيـد العنب . وورقة العنب ذات الخمسة فصوص ، وورقة البرسيـم التـي تحتوي على فصوص ثلاثة . والفروع النباتية الملتوية التي تحصر بينهـا عنـاصر زخرفيـة (ذات أصـول هيلنستية) ومتطابقة مع زخـارف عصر سابق لدرجة كبيرة مما يجعل لدى الباحث صعوبة في نسبتها إلى العصر الأمـوي ما لم تكن هنـاك كتابات يمكن الاستعانة بها لتأريخ التحفة وبخلاف ذلك يكون نسبة هذه

واستخدم الخشب في هذا العصر لتسجيل الممتلكات (عقود ملكية) حيث نقش على ألواح الخشب ممتلكات الأفراد في عبارات ذات طابع قانوني ..

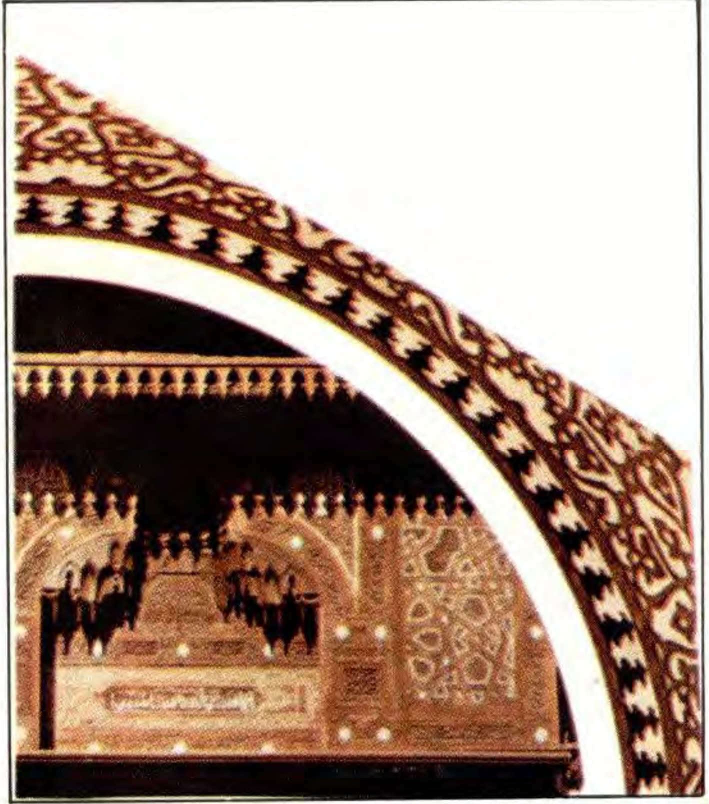
والخشب في هذا العصر بدأت الزخارف عليه تتجه إلى التجريد والتحوير عن الطبيعة والابتعاد عن تصوير ما خلقه الله سبحانه وتعالى .. حتى إنه في القرن الثالث الهجري وفي مدينة « سامراء » في العراق بدأت مظاهر طراز سامرا الثالث في الظهور بوضوح (تحوير كامل عن الطبيعة) على ألواح الخشب وعلى ألواح الجص .

الخشب الفاطمي:

وقد بلغت الزخارف على الخشب الفاطمي درجة عظيمة من الرقي سواء في دقة صناعتها وجمال زخارفها وأهمية المناسبات التي صنعت فيها أو الأبنية التي ساهمت في إنشائها أو في زخرفتها .

ومجموعة الأخشاب الفاطمية موزعة على العصر الفاطمي كله في شمال افريقيا ومصر . وقت قوتهم وحال ضعفهم . ومنه ما صنع في صقلية وتأثر بالأساليب الفاطمية ـ باعتبار الفاطميين هم أقرب إسلاميا لصقلية ، ومنه ما ينتسب إلى بني زيرى حلفاء الفاطميين في شمال إفريقيا .

وتمتلىء المتاحف عامة ومتحف الفن الاسلامي بالقاهرة بصفة خاصة بمجموعة كبيرة من الخشب



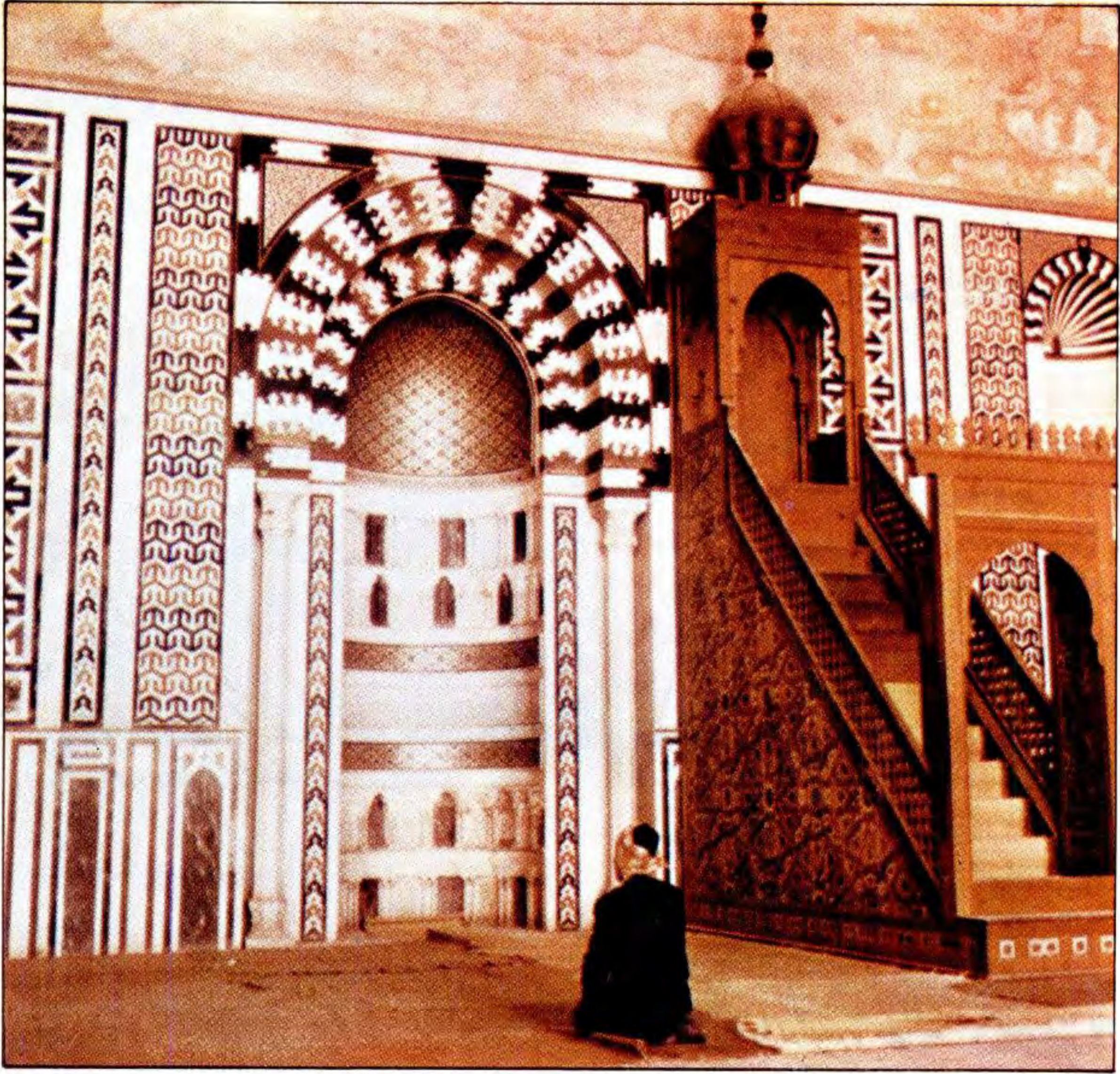
□ واجهة محل من الخشب المزخرف .

التحفة إلى العصر الأموي موضع شك كبير .

ومن أساليب العصر الأموي في زخرفة الأخشاب أسلوب التطعيم بقطع من السن والعظم والأبنوس وأنواع مختلفة من الخشب متفاوتة في الحجم وتلصق على سطح الخشب وهى تمثل نفس الأسلوب الزخرفي الذي يمتاز به هذا العصر .

الخشب العباسي:

وقد يعرف أيضا بالخشب الطولوني وخاصة في مصر ولا شك أن ازار الخشب الموجود أسفل السقف . بأعلى الجدران وقد نقشت عليه الكتابات القرآنية بشكل بارز في خطوط كوفية ذات زوايا وليس على هذه الخطوط أي عنصر زخرفي .



□ المنبر من اهم الصناعات الخشبية الفنية الدقيقة .

الفاطمي في حالة جيدة من الحفظ وقد استخدم في حفر هذه الأخشاب كلا طريقتي الحفر (الميل والعمق) ونظرا لشيوع هذه الطريقة وجمالها ودقتها فقد انتشر في الكنائس القبطية في مصر . الأمر الذي يثير الدهشة فعلا . سواء في الكنيسة المعلقة أم كنيسة « الست بربارة » أم كنيسة « أبو سرجه » .

ويمكننا أن نقسم الخشب على فترات في العصر الفاطمي، الفترة الأولى منه تنتهي بعصر الحاكم بأمر الله سنة ١٠٢٠م والفترة الثانية هى فترة حكم الخلفاء الظاهر والمستنصر سنة ١٠٢٠م الى سنة ١٠٩٤م وهى فترة وصل فيها فن الحفر على الخشب أقصى ما بلغه في العصر الفاطمي،حيث ازدادت الدقة في الحفر والاتقان بلغ حد الروعة في نقش الفروع النباتية والأوراق واستخدام الحيوانات والطيور كعناصر زخرفية . ويقف على قمة هذه الفترة « مجموعة ألواح قلاوون » السابق الحديث عنها .

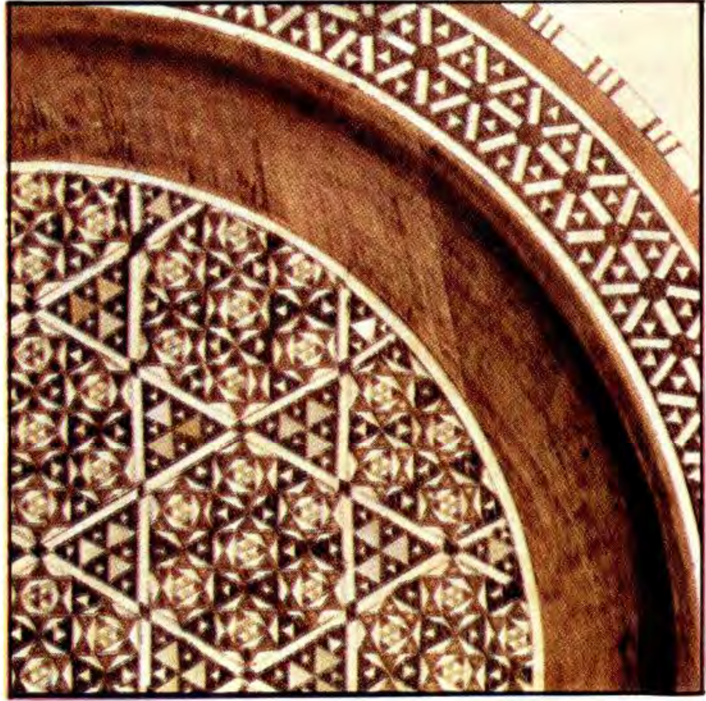
أما الفترة الثالثة من العصر

الفاطمي والتي تبدأ من عصر المستعلى سنة ١٠٩٤م فقد بدأ الفنان في زخرفة مساحات واسعة دون أن يكون وحدة زخرفية واحدة ومستمرة . حيث كان ذلك يتم بواسطة تجميع حشوات صغيرة كل حشوة تأخذ شكلا نجميا ذا زخرفة مستقلة من زخارف هندسية ونباتية غاية في الدقة ومماثلة للطبيعة بشكل جيد . كما أن الكتابات الكوفية بدأت في الاستدارة وبدأ ظهور الخط النسخي مع استخدام الطيور والحيوانات كعنصر زخرفي .

وعلى أي الأحوال فان الخشب الفاطمي قد بلغ مبلغا عظيما من الرقي ويساعد على فهم هذه المجموعات الرائعة منه والمنتشرة في المتاحف أنها جيدة الحفظ وعثر عليها في حالة ممتازة .

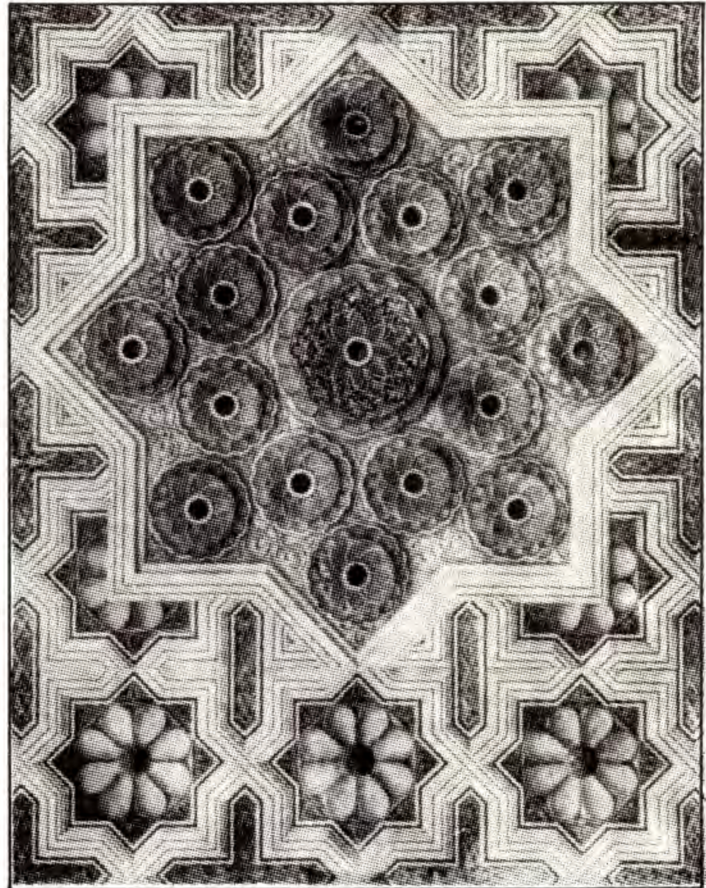
والحديث عن فن زخرفة الخشب عند المسلمين لا ينتهي . فروعته دفعت الكثير من علماء ومؤرخي الفنون ورجال الآثار إلى الحديث عنه وتصنيفه وفهم أسرار فنه . ميدان واحد يثبت عظمة أجدادنا وشموخ حضارتنا الاسلامية . ومرممو الآثار في كل أنحاء العالم الاسلامي ينكبون دوما على ترميم تلك القطع الرائعة التي فقدت أجزاء منها عبر رحلة الزمن أو تأثرت بألوان غريبة عنها .

وليس هو الخشب وحده ما نفخر ونعتز به .. ولكنه عنصر واحد من حضارة ضخمة .



□ زخرفة اسلامية حديثة بوحدات هندسية وتطعيم بالصدف .

□ حفر خشبي هندسي جميل على ابواب احد المساجد .



مؤتمر الدعوة الإسلامية لجنوب شرقي آسيا



□ الحكمة والموعظة الحسنة مبدأ هام التزم به المسلمون وحث عليه الاسلام .

□ الكويت تشارك في المؤتمر انطلاقا من مبدأ حرصها على الدعوة الاسلامية .

□ رعاية أتباع الديانات الأخرى في مجتمع المسلمين منهج سار عليه المسلمون في كل عصر .

□ العمل على تقوية الدعاة ، وتدعيم المراكز الاسلامية لخدمة المسلمين .

ان الدعوة الاسلامية تتطلب قدرات خاصة ، وكفاءة عالية من الداعين اذ تهدف الدعوة أول ما تهدف الى بناء العقل الانساني ، وتأسيسه على العقيدة ، حتى يكون في منعة من سيطرة الملحدين وأهواء أصحاب الملل الضالة .

وحتى يكون صافي النفس ، قوى الارادة ، سليم العقيدة ، فلا شك أن هذا يحتاج الى مهارة من الداعي ، وحسن عطاء .

فقد دلت التجارب أن الانسان صعب المراس ، لهذا أوصى الاسلام بحسن الأداء ، والحكمة في العطاء ، وحسن الموعظة يقول الله سبحانه : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) .

وقد تعرض الاسلام في هذا العصر لهجمات شرسة ، وغزو مدمر أحكم ودبر بليل ، في دهاء وخبث ، وسوء طوية ، ويحسب المدبرون أنهم قد حققوا مآربهم . خابوا وخسروا فهيهات هيهات ، فقد حفظ الله دينه ، وحمى كتابه من التحريف : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

أمام هذا الزحف هل استيقظ المسلمون من غفلتهم ، وأفاقوا من نومهم ، وأعدوا للامر عدته ، وحشدوا طاقاتهم ـ وما أكثرها ـ واعتصموا بحبل الله المتين ، ونبذوا الفرقة ، ووقفوا صفا واحدا في وجه التيارات الملحدة الحاقدة على الاسلام وأهله ، فان ذلك وحده هو الذي يدفع عنهم الخطر الداهم القادم من بعيد وكتاب ربنا يدعونا مؤكدا ذلك يقول الله سبحانه :

(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) .
ولقد فطن لذلك المخبتون الى ربهم ، فعبروا به القارات مبلغين مبشرين بالخير ، وكانوا مثلا رائعا ، ونماذج تقتدي ، فانجذب اليهم الناس جماعات ووحدانا عن رغبة وحب ، وأصبح هؤلاء من اشد المتمسكين به الداعين اليه ، يشهد على ذلك انتشار الاسلام في شتى البقاع دون قتال أو غزو .
ونحن في هذه العجالة أمام خريطة العالم الاسلامي في مشارق الأرض ومغاربها تجتذبنا بقعة منه عزيزة في جنوب شرقي آسيا .
يحدثنا السيد الوكيل المساعد لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الاستاذ / عبدالرحمن عبدالوهاب الفارس حيث كان هناك في دعوة لحضور مؤتمر الدعوة الاسلامية لجنوب شرقي آسيا ممثلا للكويت فيقول :
ان المسلمين في تلك المناطق الاسلامية يحتاجون الى جهود مخلصة فقد لمست من خلال زيارتي لماليزيا ان المراكز الاسلامية والمعاهد والمساجد التي يقع عليها عبء الدعوة في كوالالمبور في حاجة ماسة الى العون المادي حتى تسير قدما دون تعثر .
والى العون العلمي حتى تستطيع أن تواصل رسالتها على أحسن وجه وأكمله .
ويؤكد سيادته أن ذلك راجع لسببين أولهما : غياب المدرس الكفء ، وثانيهما : عدم توفر الكتاب العربي . ومع وجود الرغبة الواضحة التي يبديها المسؤولون عن هذه المؤسسات بضرورة تقديم المساعدة حتى يتمكنوا من نشر اللغة العربية ، وهي الوسيلة المفضلة لفهم الاسلام وعلومه المختلفة ، والاستعداد يبدو واضحا على الطلبة المسلمين الراغبين في المعرفة حين يرددون الأناشيد الاسلامية باللغة العربية ، ويتلون القرآن الكريم بشكل جيد وواضح .
ويواصل السيد الوكيل حديثه فيقول :
ومع هذا فهناك حركة نشطة للشباب المسلم في ماليزيا لنشر الاسلام ، والدعوة الى التمسك به والتحلي بآدابه ، والاعتصام بمبادئه السامية ، فالمساجد لا تخلو منهم ، وكذلك دور التعليم ومراكز تحفيظ القرآن الكريم .
وعن المؤتمر يقول سعادته :
لقد حضر مؤتمر الدعوة الاسلامية في جنوب شرقي آسيا مندوبون عن ست عشرة دولة عربية واسلامية ، كما حضر بعض المراقبين من بلاد اسلامية أخرى .
وقد شكلت الوفود المشاركة أربع لجان :
- لجنة دور المسجد والتربية والاعلام في مجال التربية الاسلامية ، واعداد الدعاة المسلمين .
- لجنة مشاكل التحديات التي تواجه جهود الدعوة الاسلامية ونشاط الدعوة بين-

الأقليات الاسلامية .

- لجنة تطوير وتنسيق أعمال الدعوة بين المؤسسات والمراكز الاسلامية القائمة .
- لجنة الاسلام والتغيرات العالمية وأثر ذلك بالنسبة للمرأة .

ويقول سعادته وفي ختام المؤتمر صدرت عدة توصيات من أهمها :

- تشجيع التفاهم الأعمق المتبادل بين الجاليات الاسلامية التي تفصلها المسافات الشاسعة والاختلافات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية الكبيرة .
- تنمية روح المساعدة والتعاون المتبادل بين الجاليات والمنظمات المسلمة .
- دعوة المسلمين الى الالتزام بمبدأ الدعوة في الاسلام والقيام بواجبها بالحكمة والموعظة الحسنة لتحقيق الانسجام والتفاهم والاحترام المتبادل بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى .
- يحض المؤتمر حكومات الدول التي يمثل المسلمون فيها أقلية على الاعتراف بالدور الفعال والمشاركة الايجابية للمسلمين فيها في تطوير وتحقيق التقدم للبلاد المختلفة ، وبناء عليه منحها كافة التسهيلات التي تمكنها من ممارسة شعائر دينها بسلام وانسجام .

وفي ضوء هذه التوصيات والحرص على خروجها الى حيز التنفيذ قرر المؤتمر :

- إنشاء مجلس اقليمي للدعوة الاسلامية في كوالالمبور لمنطقة جنوب شرقي آسيا والباسفيك لضمان تفاهم وتعاون وتنسيق أكثر فعالية وخاصة على صعيد الدعوة على مستوى المنطقة ودعم هذا التعاون .
- إنشاء معهد اقليمي لتدريب الدعاة مع الأخذ بعين الاعتبار الحاجات الجديدة للمؤمنين كجزء هام من نشاط الدعوة .

الى جانب القرارات الهامة الأخرى التي انصبت على الكثير من الجوانب ذات الفائدة التي تعود على المسلمين هناك .

وعن النشاط الاسلامي في الهند يقول سيادته :

لقد زرت عددا من المراكز الاسلامية والمساجد والمعاهد الدينية في مدينة بومبي ونيودلهي ، والتقيت ببعض القيادات الدينية النشطة ، واطلعت على نشاطهم الواسع في نشر الثقافة الاسلامية وحركة الدعوة الاسلامية في الهند ، ولقد تحلى الجميع بروح طيبة وتفهم للمسئولية الملقاة على عاتقهم ، وقد لاحظت حاجتهم الى الدعم المادي وحاجتهم الشديدة الى الكتب الاسلامية .

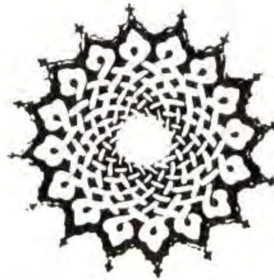
- وقام السيد الوكيل بزيارة لسيرلانكا ـ ضمن هذه الجولة ـ بدعوة لحضور

الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري .
يحدثنا سيادته فيقول :
شارك في هذا المؤتمر عدد كبير من العلماء والمفكرين الذين يمثلون خمسا وعشرين دولة وممثلون لبعض الأقليات الاسلامية .
وقد استمر الاحتفال على هذا النحو اربعة أيام بحثت أمور شتى تخص العالم الاسلامي وما يحيط به من مشكلات وطرح الدراسات والحلول لهذه المشاكل .
وقد أشاد بالنشاط الاسلامي ، وقال ان الاحصائيات التي قدمها المشاركون في هذا المؤتمر تبرز بوضوح مظاهر الاهتمام بالمعاهد والمدارس الاسلامية ، وكثرة المساجد ودور القرآن الكريم ، وانها لظاهرة جديرة بالاحترام والتقدير والتشجيع .

وقد أسفرت الاجتماعات عن تشكيل اللجان التالية :

- لجنة دعوة المسلمين للرجوع الى الشريعة الاسلامية والعلوم الاسلامية .
- لجنة النظر في الرقي الاقتصادي للمسلمين .
- لجنة النظر في مكانة المرأة المسلمة في المجتمع .
- لجنة النظر في مساهمة الأقليات المسلمة في تقدم وارتقاء الأمة كافة .

وفي ختام حديثه تمنى للمسلمين في هذه المناطق ، اليقظة التامة حتى لا يكونوا أداة سهلة تحركها الجماعات غير الاسلامية كيفما تشاء .
وأن يهتموا بالدعاة لأنهم الدعامة القوية للدعوة الناجحة ، وبذل العناية بالمساجد حتى تظل رسالة المسجد حية ويرتفع صوت المؤذن مناديا للصلاة .
وبعد : فما أحوج المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها الى التمسك بالاسلام أسلوب عمل ومنهج حياة ، والتعاون على رفع مناره ، وسيادة تعاليمه بين الأمم .
وما أحوج البشرية اليه وهي تعاني من الاستغلال بلا رحمة والانحلال بلا وعي ، والضياع في متاهات شتى .
فصلاحية الاسلام ، وعالمية دعوته ، ودقة تشريعاته تبدو واضحة بلا خفاء ، ومن أحسن من الله قيلا .
فهل من مجيب ؟





ليس من الحديث النبوي



يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على السنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لندحض زيفها ، ونكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

« إذا بكى اليتيم وقعت دموعه في كف الرحمن يقول من أبكى هذا اليتيم الذي واريت والديه تحت الثرى من أسكته فله الجنة » .

موضوع .

قال الخطيب هذا الحديث منكر جدا فمن رواته موسى بن عيسى البغدادي وهو مجهول .

وقال السيوطي في اللآلىء المصنوعة نقلا عن أبي نعيم في الحلية إن في سنده من لا أعرفه ومن رواته الحسن بن أبي جعفر وهو منكر الحديث .

كما أن اليتيم قد أوصى الاسلام به ، وحبب الناس في رعايته وأجزل العطاء لمن يحسن اليه يقول الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم : (**فأما اليتيم فلا تقهر**) وشدد النكير على من يظلمهم أو يعتدي على أموالهم بغير حق يقول الله سبحانه :(**إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا**) .

كما رغب الرسول صلى الله عليه وسلم في كفالة اليتيم مؤكدا أن لهم من الله الثواب الجزيل فقال صلى الله عليه وسلم : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما وهذا الحديث صحيح رواه البخاري وأبو داود والترمذي .

وما دام قد حظى اليتيم بهذه الرعاية في الاسلام مصداق ذلك مما أكده القرآن الكريم والسنة المطهرة فهو لا يحتاج الى مثل هذا النص الذي لم يحظ بثقة علماء الحديث ، ولم ينل مرتبة الصحيح من السنة لهذا لزم البيان والحكم على هذا القول ، وإيراد أسباب بطلانه .

خلق الله الانسان

محمد مؤذن

تتعرض بعض المواضيع في كتب علم الاجتماع ، وتاريخ النظم والشرائع ومبادئ تاريخ القانون لمباحث معينة ، قد تؤدي الى خلخلة في فكر الشباب .

ولمعالجة هذه الموضوعات والتعرض لمباحثها كان هذا البحث الذي أعد لايضاح أن التشريع السماوي لازم الانسان ، ولم يتخل عنه من بدء وجوده ، وقبل نزوله إلى الأرض ، ثم بعد نزوله إليها والعيش فيها ..

المراحل التي مر بها الانسان الأول

بين القرآن الكريم ـ وهو الكتاب السماوي الذي نزل على خاتم الأنبياء والمرسلين ـ المراحل التي مر بها الانسان الأول ، في كثير من السور وموقف التشريع السماوي في كل مرحلة ، ليتضح منهج القرآن الكريم في توضيح حقيقة ثابتة ، وهي أن الله سبحانه وتعالى فضل الانسان وأرشده في كل مرحلة من مراحله ، ليثبت لبقية المخلوقات أفضليته ،

الحلقة الأولى

للدكتور : محمد طموم

وإذا دققنا النظر في الآيات القرآنية التي تعرضت لهذا تبين لنا أن الانسان الأول مر بمراحل متعددة قبل نزوله الى الأرض ليعمرها ، ومن هذه المراحل ما يأتي :

١ ــ خلق الله الانسان .
٢ ــ إخبار الله بمهمة الانسان في الكون .
٣ ــ موقف الملائكة من الانسان .
٤ ــ تعليم الانسان لتأكيد أفضليته .
٥ ــ اقناع الملائكة بأفضلية الانسان .
٦ ــ طلب تسليم الملائكة بأفضلية الانسان .
٧ ــ إظهار العدو الأول والأكبر للانسان .
٨ ــ إسكان الأسرة الأولى .
٩ ــ صدور أول قانون للانسان .
١٠ ــ القانون الذي رآه آدم وعاشر تطبيقه على غيره .
١١ ــ الخروج على القانون وأثره .
١٢ ــ التحقيق مع العاصي الخارج عن القانون .
١٣ ــ الفرق بين معصية آدم ومعصية إبليس .
١٤ ــ إيقاع الجزاء ، الأحكام التي صدرت على إبليس ، والأحكام التي صدرت على الانسان .

ا ــ حكم ابتدائي .
ب ــ ما بدر من العصاة بعد الحكم الابتدائي .
حـ ــ الحكم النهائي مع الشمول بالنفاذ .
د ــ عناصر الحكم .

ثم بعد نزول الانسان الأول الى الأرض ليعيش فيها ويعمرها بأولاده وأحفاده وذريته ، مر بمراحل أخرى متعددة ، تختلف في طبيعتها عن المراحل التي مر بها قبل نزوله إلى الأرض ، حيث إن الأرض مقام تكليف وتعمير ومشقة ، فكانت لهذه المراحل ما يميزها ، وسنتكلم عليها بالتفصيل فيما بعد ، عند الوصول اليها في تتابع الأحداث حتى تكون المراحل متصلة ، ويكون الحديث عنها مرتبطا بها .

خلق الله الانسان

قال الله تعالى : **(ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون)** الحجر/٢٦ .

(إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي) الحجر/٢٨ ، ٢٩ .

(ولقد خلقناكم ثم صورناكم) الاعراف/١١ .

(وخلقته من طين) الاعراف/١٢ .

(قال أأسجد لمن خلقت طينا) الاسراء/٦١ .

(قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) الحجر/٣٣ .

ففي هذه الآيات الكريمة من كتاب الله عز وجل يبين الله سبحانه وتعالى أن الانسان الأول خلق من صلصال من حمأ مسنون ، وهو الطين الذي يتكون الانسان منه ، ثم صوره الله وسواه ونفخ فيه من روحه ، ومن هذا يتضح مقومات الانسان ومم يتكون .

وفي هذا رد على من يدعى ويقول بفكرة التوتم .

وتقوم فكرة التوتم على الاعتقاد بأن الانسان قد انحدر من كائنات حيوانية أو نباتية ، أو من ظواهر طبيعية كالبرق والرعد والشمس والقمر ، وأنه كان في الزمان الأزلي متحدا معها ، ثم خلقت له أعضاء بشرية وأخذ يمشي على الأرض ، من حيث بقيت هي على طبيعتها الأصلية وبذلك يكون التوتم : هو الحيوان أو النبات أو الظاهرة الطبيعية التي انحدر منها الجسد الأعلى أو الجد الأسطوري واستحال الى انسان .

إخبار الله بمهمة الانسان في الكون

قال الله تعالى :

(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) البقرة/٣٠ .

فالله سبحانه وتعالى أخبر بالانسان وبين مهمته وأنه سيكون خليفة الله في الأرض ليعمرها ، فاذا دققنا النظر في هذا ، نجد ان الله سبحانه وتعالى الخالق لكل شيء . والمتصرف في الكون كيف يشاء ، يقدم للحدث الكبير ـ وهو وجود الانسان ـ بالأخبار عنه ، حتى لا يكون ذلك مفاجأة لبقية مخلوقاته ، المكونين للمجتمع الكوني في السموات والأرض وما بينهما ، وحتى يوجد الاستعداد النفسي عند هذه المخلوقات ، والرضا بوجود هذا المخلوق الجديد ، والاقتناع بوجوده ومكانته ، والتعاون معه وفي خدمته ، لأن المخلوق المأمور إذا كلف بشيء ، وكان مقتنعا به ومسلما بضرورته ، كان أداؤه على أكمل وجه ، وكان طائعا عن رضا واختيار .

وفي ذلك درس عظيم للحكام والرؤساء عندما يأمرون أو يشرعون لبني جنسهم ، وليعرفوا أن اتباع هذا الأسلوب لا يقلل من قدرهم ، وليس لهم حق الاحتجاج بأنهم أعلم من رعيتهم ، وأنهم يدركون ما لا تدركه الرعية ، ويعلمون ما يجهله الآخرون ، وأن شعوبهم جاهلة متخلفة ، لم تصل إلى درجة الرشد والادراك .

كما أننا نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى حينما أراد أن يخبر بالحدث العظيم ، اختار الملائكة بالإخبار الأول ، وذلك باعتبارهم أفضل

مخلوقاته ـ قبل وجود الانسان ـ وأرقاها خلقة وتكوينا ، وليرى الله أثر هذا الخبر عليهم ، وأجابتهم ، مع علم الله مسبقا بذلك ، ولكن لينطقوا بما يضمرون ويعترفوا بما في نفوسهم ، فيحاسبون بما بدر منهم وظهر .

موقف الملائكة من الانسان

قال الله تعالى :

(قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) البقرة/٣٠ .

في هذه الآية الكريمة يتضح موقف الملائكة من هذا الحدث ، وهو عدم الاقتناع بوجود الانسان ، ولكن بأسلوب مهذب ، وهو ما يجب لأنه صادر من الأدنى للأعلى ، فكان اعتراضهم باظهار مساوئ الانسان ، وهو الفساد والافساد وسفك الدماء ، وفي مقابل ذلك إظهار المحاسن في الطرف الآخر ، وهو تسبيحهم بحمد الله وتقديسه . وبذلك أظهروا ما يكتمونه واعترفوا بما في نفوسهم ، وبينوا نظرتهم لهذا المخلوق الجديد ـ وهو الانسان ـ ووضحوا رأيهم فيه .

ويتلخص كلامهم في أن الانسان لن ينفع الكون ولن يستفيد منه ، وأنه لن يكون مسبحا بحمد الله ولا مقدسا لذاته ، وإنما سيكون أسلوبه في الحياة الافساد وسفك الدماء .

ومعنى ذلك أنه لا حاجة لوجوده ، بل الضرورة والمصلحة تحتم عدم وجود الانسان .

فهم قد نظروا لمساوئ الانسان وبينوها ، ولم يلتفتوا إلى محاسنه ، ولم يفهموا إشارة الله سبحانه وتعالى إلى ذلك ، حينما بين مهمة الانسان في الأرض وهي الخلافة ، وأن الانسان سيكون خليفة الله في أرضه ، وفي ذلك من المحاسن ما لم تدركه الملائكة ، أو لم تذكره ، ولذلك رد الله عليهم بقوله تعالى : **(قال إني أعلم ما لا تعلمون)**

وفي ذلك درس عظيم لنا معشر البشر ، لأن الله عرض الأمر على الملائكة ، وأتاح لهم إبداء الرأي مع علمه سبحانه وتعالى بما لا يعلمون ، وهذا هو أساس الحكم العادل ، والأسلوب الأمثل لما يجب أن يتبعه الحاكم العادل الرشيد ، وضعه الله لنا وبينه ، واتخذه أسلوبا ومنهجا مع مخلوقاته ، وهو الخالق والاله ، والذي إذا أراد أن يكون شئ فيقول له كن فيكون ، وذكره لنا في القرآن الكريم ـ دستور الاسلام والمسلمين ـ لنتبعه ونقتدي به ، فيصلح المجتمع الاسلامي ، وتستقيم أمور حياته الدنيوية ، فيسعد في الدنيا والآخرة .

تعليم الانسان لتأكيد أفضليته

قال الله تعالى :

(وعلم آدم الأسماء كلها) البقرة/٣١

بينت لنا الآية أن الله سبحانه وتعالى هو الذي علم الانسان الأسماء

كلهـا ، وأن الانســـان الأول لم يكتسبها بمجهوده ، كما أثبتت الآية أن الانسان لم ينشئ هذه الأسماء أو اصطلح عليهـا ، وإنمـا الحقيقـة والواقع أنه تعلمها من الله سبحانه وتعالى .

كما وضحت لنا هذه الآية أن الله العالم بكل شئ علم الانسان الأول الأسماء ليثبت للملائـكة بالحجـة والبرهان أن الانسان الذي خلقه هو مخلوق أفضل منهم ، ولذلك ميزة بما لم يميزهم به ، حيث علمه الأسماء كلها ولم يعلمها لغيره من المخلوقات ، حتى يبقى ما عداه دونه ، وليكون الانسان دائما متفوقا على جميـع مخلوقات الله .

كما أننا إذا لاحظنا ما فضل الله به الانسان على سائر خلقه ، نجد أن الله فضله بالعلم دون غيره من أسباب التفضيل ، ولذلك علمـه الأسمـاء كلها .

ومن هذا يتبين لنا فضل العلم وأفضليـة العلمـاء . وذكر ذلك في القرآن الكريم ـ وهو المصدر الأول للتشريع الاسلامي ـ يبين لنا مكانة العلم والعلماء في الاسلام ، وتمييز العلماء وتفضيلهم ، وهذه الدعـوة يعلنها الاسلام من أربعة عشر قرنا من الزمان ، قال الله تعالى : **(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)** الزمر/٩ **(انما يخشى الله من عباده العلمـاء)** فاطـر/٢٨ **(واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم)** البقـرة/٢٨٢ **(كمـا أرسلنا فيكم رسولا منـكم يتلـو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمـكم الكتاب والحكمة ويعلمـكم ما لم تكونـوا تعلمـون)** البقـرة/١٥١ **(وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم)** الأنعام/٩١ .. **(وأنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون)** يوسف/٦٨ **(يا أيهـا النـاس علمنـا منطـق الطـير)** النمل/١٦ **(ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحـن والطـير وكنـا فاعلين . وعلمناه صنعة لبـوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون)** الأنبياء/ ٧٩ ، ٨٠ .

إقناع الملائكة بأفضلية الانسان

قال الله تعالى :

(وعلم آدم الأسماء كلهـا ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) البقرة/٣١ ـ ٣٣ .

لما أخبر الله الملائكة بأنه خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، وعلم الملائـكة مقومـات الانسـان

ومكوناته ، وبناء على ذلك عرفوا عيوبه ومساوئه ، فوجدوا في نفوسهم شيئا بعد أن أخبروا بمهمة الانسان في الكون ، وأنه سيكون افضل منهم ومن جميع المخلوقات ، لأنه سيكون خليفة الله في أرضه ، يعمرها بالذرية والعمل ، ويملؤها بطاعة الله وإقامة شعائره ، أراد الله سبحانه وتعالى ـ بعد علمه بما يكتمون في نفوسهم ـ أن يثبت للملائكة بالحجة والبرهان أن الانسان الذي خلقه هو مخلوق أفضل منهم ، فميزه بما لم يميزهم به ، فعلمه الأسماء كلها ، ثم اختبرهم فيها وتحداهم بآدم ، وهو يعلم عجزهم ، حتى يقتنعوا ويسلموا بأفضلية الانسان عليهم ، فكانت إجابتهم تبريرا لعجزهم ، حيث قالوا : **(سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)** .

فطلب الله من آدم أن يجيب عما عجزوا عنه ، فلما أنبأهم بأسمائهم ، وثبت تفوقه عليهم ، وعلمه بما لا يعلمون ، مما يجعله أفضل منهم ، وذلك بالحجة والبرهان والدليل القاطع المفحم ، أراد الله أن يؤكد لهم خطأهم في اعتراضهم على وجود الانسان ، وذلك بوصف الانسان بالفساد وسفك الدماء ، وانهم تحدثوا بما لا علم لهم به ، وأنهم لم يقدروا الانسان حق قدره ، حيث ذكروا المساوئ ، ولم يذكروا محاسن الانسان ، لأنهم يكتمون خلاف ما يظهرون ، وأنه كان يجب عليهم التسليم بأمر الله وعدم الاعتراض ، ولذلك قال الله تعالى للملائكة ـ بعد أن أنبأهم آدم بالأسماء ـ : **(ألم اقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)** .

وفي هذه الآيات القرآنية يعلمنا الله تعالى أسس الحكم وسياسة الأوامر ، وأن الانسان إذا كان يملك الأمر ، وعلى الآخرين الطاعة فقط ، فليس معنى ذلك أن يأمر بما لا يقتنع به المأمورون ، أو لا يحاول أن يقنعهم بما أمر ، لأنه صاحب السلطة والأمر والنهي ، وانما يجب على الآمر أن يسلك طريق الاقناع وإقامة الحجة على صحة وجهة نظره ، وصلاحية ما أمر به ، واثبات بعد نظر الآمر ، وعلمه بما خفي عن غيره ، وذلك للمصلحة العامة وحسن تنفيذ الأمر لأن المأمور اذا اقتنع بما أمر به ، اطاعه باخلاص ونفذه باتقان ، لأنه أصبح راضي النفس فلا تكون هناك جفوة بين الآمر والمأمور ، واتخاذ هذا الأسلوب في الحكم والأمر لا يقلل من قدر صاحبه ولا ينزل من شأنه ، لأن الله سبحانه وتعالى الخالق للكون والمعبود من المخلوقات قد اتخذ هذا الأسلوب مع بعض مخلوقاته ، وبينه لنا ، وذكره في كتابه الكريم .

طلب تسليم الملائكة بأفضلية الانسان

قال الله تعالى :

(واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) البقرة/ ٣٤ .

(ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس لم يكن من الساجدين) الأعراف/ ١١ .

(فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين) الحجر/ ٢٩ ـ ٣١ .

((واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى) طه/ ١١٦ .

(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس) الاسراء/ ٦١ .

في هذه الآيات نجد أن الله تعالى طلب من الملائكة ـ بعد إقناعهم بالحجة والبرهان ـ فعلاً يثبتون به تسليمهم بأفضلية الانسان عليهم ، وذلك بالسجود له ، ولم يكتف الله بالتسليم السلبي وهو السكوت ، لأن السكوت هنا ليس علامة على الرضا ، وخاصة بعد اعتراضهم الضمني بذكر مساوئ الانسان ومفاسده ، فالموقف هنا لا يكفي فيه الرضا السلبي ، وإنما يحتاج الأمر إلى الرضا الصريح القوى ، وذلك بالفعل ، لأن الفعل أقوى من القول في إظهار الرضا والاقتناع والتسليم ، ولأن التسليم الفعلي يظهر المعترض الذي لم يقتنع بالحجة والبرهان ، ولم يصرح بالقول مخالفا الجماعة ، ولذلك طلب الله من الملائكة السجود لآدم ، وذلك غاية التسليم بتفوق الانسان وأفضليته ، وعندما حدث التسليم الفعلي وسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس ، ظهر المعترض الذي لم يصرح قولا بالاعتراض المنفرد .

اظهار العدو الأول والأكبر للانسان

قال الله تعالى :

(قال يا ابليس ما لك ألا تكون مع الساجدين . قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون . قال فاخرج منها فانك رجيم . وإن عليك اللعنة الى يوم الدين) الحجر/ ٣٢ ـ ٣٥ .

(قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين . قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين) الأعراف/ ١٢ ، ١٣

(فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) طه/ ١١٧

في هذه الآيات القرآنية يبين الله ما حدث من إبليس ، وهو امتناعه عن السجود للانسان الأول ، ورفضه التسليم بأفضلية الانسان ، ولم يكتف ابليس برفضه السجود والتسليم بأفضلية الانسان ، بل قلب الآية وعكس الأمر ، فقال : **(أنا خير منه)** .

ولاقتناعه بدعواه ، ورفضه أمر الله ، أراد أن يعلل دعواه بقوله : **(خلقتني من نار وخلقته من طين)** . ولم يقف به الأمر عند هذا الحد ، وإنما حاول أن يحقر من شأن الانسان الذي فضله الله ، فقال : **(أأسجد لمن خلقت طينا)** **(لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون)** .

وفي كل هذه التصرفات التي حدثت من إبليس تجاه الانسان الأول ، توضيح كاف للانسان من هو عدوه الأول والأكبر ، ليكون الانسان على بينة من أمره ، وليحتاط لنفسه فلا يقع في حبائله .

ولم يكتف الله سبحانه وتعالى بما ظهر من ابليس ليعرف الانسان عدوه اللدود ، وانما صرح للانسان الأول بأنه عدوه ، حتى لا يكون هناك عذر للانسان عندما يقع في مكائده ، فقال الله تعالى : **(فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى)** .

كما أننا نجد أن الله تعالى أكد للانسان التحذير من إبليس ، فبين له أن ابليس سيحاول إخراج آدم وحواء من الجنة ، وعند ذلك سيكون الشقاء .

ولم يقف الله عند هذا كله وانما أوقع العقوبة بابليس على الفور ، قال تعالى : **(فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين)** الاعراف/١٣ **(قال فاخرج منها فانك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين)** الحجر/٣٤ ، ٣٥ .. وذلك ليؤكد للانسان عداوة إبليس له ، وليرى آدم إيقاع العقوبة بالعاصي ، وحكم الله بها وعلى الفور ، كل ذلك ليكون تحذيرا للانسان من الوقوع في المعاصي ومخالفة أمر الله وعظة له حتى يتدبر أمره .

رجاء

يرجى من السادة الكتاب مراعاة كتابة مقالاتهم بالآلة الطابعة وترقيم الآيات وتخريج الأحاديث الواردة بمقالاتهم وذلك لتسهيل عملية مراجعتها ونشرها .. والله الموفق .





يقول شاعر عربي معاصر :

سيان عند ابتناء المجد في وطن
من جرد السيف أو من جرد القلما

من يتأمل هذا القول يدرك أنه لا يخالف الصدق والواقع وأنه يتضمن حقيقة نفسية الا وهي أن كلا من القلم والسيف يكمل الآخر في بناء النهضة والمجد وإعداد القوة والقدرة وصنع الحياة الانسانية الحرة الكريمة .

فالله سبحانه وتعالى علم الانسان بالقلم ما لم يكن يعلم ، وأوحى الى أنبيائه ورسله وزودهم بوحي القلم من أديان سماوية وشرائع الهية ، ليدعو الناس الى الايمان بالله وحده لا شريك له وليبينوا لهم طريق الخير والحق والصواب من طريق الشر والباطل والخطأ وليعلموهم مكارم الأخلاق وليتعارفوا ويتعاونوا ويتعايشوا في إخاء وأمن وسلام .

للدكتور فؤاد محمد محمود

وقد كانت أول آية قرآنية أنزلت على رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) قوله جل شأنه :

(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) العلق / ١ ـ٥ ، وقد حمل رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام نور القلم الالهي وانطلق يعلم الناس ويفتح ابصارهم وبصائرهم ويخرجهم من الظلمات الى النور ، ويهديهم الى طريق الله طريق الايمان والتوحيد ، والعقيدة والخير والحق ، والعدل والسلام ، وقد أفلح عليه الصلاة والسلام بعد لأي شديد وجهاد طويل في اجتثاث ما في عقول قومه العرب وما في نفوسهم من كفر وشرك بالله وعبادة للأوثان والأصنام وأخلاق وطباع سيئة وعادات وتقاليد بالية ضارة وغرس مكانها الايمان بالله وحده والأخوة الاسلامية السمحة ، وأشربهم مكارم الأخلاق والآداب وعلمهم ما حسن وطاب من العادات والتقاليد ، فاستنارت عقولهم واتسعت آفاق تفكيرهم بعد جهل وظلمة وضيق ، وتهذبت نفوسهم وسمت أرواحهم بعد فظاظة وانحطاط وانصلحت احوالهم واستقامت امورهم بعد فساد واعوجاج وتحابوا وتعاونوا واتحدوا بعد تخاصم وتفرق وانقسام ، وتحرروا واستقلوا بعد خضوع وتبعية للفرس والروم والاحباش وعزوا وسادوا بعد ضعف وذلة ، ومن ثم تقدموا وارتقوا وأقاموا أعظم دولة وأرقى حضارة في العصور الوسطى .

وهكذا قامت الدولة العربية الاسلامية في عهد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وفي عهود خلفائه من بعده على القلم والسيف فقد أدى كل منهما دوره في تأسيس الدولة وبنائها ، وقد حمل رسول الله محمد والذين آمنوا معه القلم الالهي وراحوا يرسلون أنواره وأضواءه الساطعة فيكشفون طريق الايمان والهدى والخير وطريق الكفر والضلال والشر ، ويدعون الناس الى السير على طريق الايمان والنور والحق فلبى النداء والدعوة أصحاب العقول والألباب والفطر الطيبة وبادروا الى اتباع سبيل الله والرسول ، ولكن أصحاب الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والطباع السقيمة أصروا

واستكبروا استكبارا ، وأبوا الا أن يبقوا في طريق الكفر والضلال والعمى والظلام ، وأخذوا يصدون عن سبيل الله ويحاولون تقويض منائر الايمان والخير التي أقامها المؤمنون في طريق الله واقتلاع الغراس الطيبة المثمرة التي زرعها الرسول وأصحابه في الأرض الطيبة ، وقد غالى اهل الكفر والضلال في عدوانهم على المسلمين وتمادوا ولم يرعووا ولم تجد معهم حكمة ولا موعظة ولا لوم ولا تحذير ولا إنذار فاضطر المسلمون الى التخلي عن مخاطبتهم بلغة القلم لغة أهل العقول والألباب وخاطبوهم باللغة التي يفهمها أهل الجهل والغرور والعناد واللؤم ألا وهي لغة السيف والقوة ، وقد هداهم الى هذه اللغة وذلك الأسلوب القلم فقد قال الله تعالى لهم : **(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين)** البقرة / ١٩٤ ، وقال أيضا جل شأنه : **(يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين)** التوبة / ١٢٣ .

وبين لهم القلم أن المبادئ والأديان والأفكار لا تنشر بين الناس ولا يمتثلونها بالقوة والاكراه ، بل بالحكمة والموعظة الحسنة والمناقشة والمجادلة بالتي هي أحسن لأن ما يفرض على الناس بالقوة والارغام لا يلبث ان يزول وينهار بزوال وانهيار القوة التي فرض بها ، فقد قال تعالى : **(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)** النحل / ١٢٥ ، وقال جل شأنه : **(لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)** البقرة / ٢٥٦ ، وقال سبحانه وتعالى : **(فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)** الكهف / ٢٩ .

وما ينشر بالرضا والرفق والاقناع يمكث في الارض وينبت وينمو ويؤتي ثمارا طيبة ويبقى ناميا مثمرا .

وذلك يدل على أن السيف استعمله المسلمون للدفاع عن أنفسهم ورد العدوان عنهم وشق طريق انتشار الاسلام وإزالة العقبات من دربه ، ولم تكن الفتوحات العربية الاسلامية في حقيقة أمرها وفي دوافعها وبواعثها وأهدافها ومراميها غزوا استعماريا ولا عدوانا على حريات الشعوب واستقلالها اذ لم يرغم احد على حمل الاسلام واعتناقه ، وهنا ينبغي التمييز بين نشر الاسلام وتطبيقه وبين الفتوحات الاسلامية ، فبقوة السلاح فتح طريق انتشار الاسلام وعبد ، وبنور القلم أضيء الطريق وأنير .

ويلاحظ أن معظم البلاد التي شملتها الفتوحات الاسلامية قد انصهرت في بوتقة الاسلام وانصهر بعضها الاخر في بوتقة العروبة والاسلام ، وذلك يرجع الى أن الفتوحات العربية الاسلامية لم تكن غزوا استعماريا ولا احتلالا امبرياليا استغلاليا بل كانت رسالة إنسانية ، ودعوة الى نشر الاسلام ومبادئه

السامية القائمة على الخير والحق والعدل والرحمة والاخاء والمساواة والحرية والسلام ، فلو كانت غزوا استعماريا لانهارت بانهيار القوة التي حملتها ولما تركت أثرا خالدا في حياة المجتمعات التي دخلتها وفتحتها ولما طبعت أهلها وشعوبها بطابع الاسلام الخالد ، فالقوة التي لا يواكبها القلم تكون قصيرة العمر وهشة سريعة الانكسار ، ويوضح نلك غزو المغول الأعمى الهمجي للعالم الاسلامي إذ سرعان ما تقوض وانهار واحتوى المجتمع الاسلامي المغول الغزاة الجهلة الذين لم يكونوا يحملون مع سلاحهم وغزوهم علما ولا حضارة ولا رسالة انسانية وذابوا فيه ، ومن قبيل الغزو المغولي الغزو الصليبي للشرق العربي فلم يلبث ان انحسر ظله وانمحت آثاره لأنه كان غزوا استعماريا وحشيا لا انسانيا ، لا يحمل علما ولا اخلاقا وكذلك الاستعمار الغربي المعاصر للشرق ، فهو غزو استعماري استغلالي تجرد من المعاني الانسانية والمبادىء السامية من رحمة وعدل واخاء ومساواة وحريةونحوهاولذلك اخذ في الانهيار والتلاشي .

ومن يقرأ تاريخ الثورات الانسانية العالمية كثورة الاسلام العظمى يعرف أن الثورات المسلحة العملية تسبقها دائما ثورات فكرية ونفسية ، والثورة المسلحة قام بها السيف والسلاح والثورة الفكرية والنفسية من نتاج القلم ، والقلم يثير الحرب الباردة والحرب المعنوية الروحية ، والسيف يشعل نار الحرب الساخنة الملتهبة المحرقة .

ويلاحظ أن المسلمين يتراخون عن خوض ميدان الجهاد والقتال والكفاح المسلح عندما يضعف في نفوسهم ما يبثه القلم المسلم من معاني الايمان والثورة على الظلم والباطل وروح التضحية والفداء والاستشهاد ، ويتفرقون وينقسمون على أنفسهم قولا وعملا ، حينما تخمد في كيانهم روح التعاون والاتحاد والاعتصام بحبل الله ، والقلم المؤمن يبعث هذه الروح ويغذيها ويذكيها .

ونلك يدل على أنه بالقلم والسيف تنهض الشعوب وتبني الدول وتتقدم الأمم وترقى فلا نهضة ولا قوة ولا مجد بالقلم وحده ولا بالسيف وحده بل بالاثنين معا ، ويدل كذلك على أن القلم والسيف يكمل كل منهما الآخر في بناء المجتمع الناهض المتقدم وصنع الحياة الحرة الكريمة ، فالقلم يوجه ويرشد الى الطريق السليم وينير السبيل ويحدد الهدف ويضع الخطة ، والسيف يعمل بتوجيه القلم وبارشاده ويسلك الطريق الذي يرسمه له القلم ويحقق الهدف الذي عينه له، القلم يبني صرح العلم والحضارة والمدنية والسيف يحرس هذا الصرح ويحميه من خطر الغزو والعدوان .

والقلم يضع القوانين والدساتير والقرارات والسيف يقوم بتنفيذها وتطبيقها ، والقلم يضع نظام الدولة والسيف يحرسه ويحميه .

والقلم لمقارعة الحجة بالحجة والمنطق بالمنطق ودحض الباطل والافتراء ولحل القضايا التي تحل في ساحات المحاكم ودور القضاء وهو لحرب الدعاية والحرب الباردة النفسية ، والسيف لمخاطبة الذين لا يفهمون لغة العقل والمنطق ولحل القضايا التي لا تحل الا في ميادين الحرب والقتال وهو للحرب الساخنة المشتعلة .

وكم يكون غبيا متخاذلا من يخاطب بلغة السيف ناسا يفهمون لغة القلم .

والسيف يعمل تحت رعاية القلم وبتوجيهه وإرشاده وعلى ضوئه وهديه ، والسيف الذي يعمل بلا قلم يكون وحشا مفترسا وسفاكا سفاحا وإرهابيا مجرما ويخبط خبط عشواء ويسير كالأعمى بلا معنى ولا محتوى ولا هدف وسرعان ما ينكسر ويتحطم .

والقلم ينير العقل المظلم ويهذب النفس الشائكة ويبعث الضمير الحي ويوقظ النائم ويحرك الجامد الخامد ويشد العزيمة وينفخ في الروح الهامدة ويشفي القلوب المريضة ويشعل في الصدور نار الحماس والحمية والعزة ويحضر الهمجي ويمدنه .

والقلم يحرر النفوس والأرواح من أغلالها وقيودها وبنور القلم ينجلي ظلام الجهل والأمية وتتبدد أشباح الأوهام والخرافات والاساطير ، اما السيف فانه يحطم قيود الايدي والارجل . وتحرير العقول والنفوس أصعب من تحرير الايدي والارجل ، ولا فائدة من تحرير الاجسام اذا كانت العقول والنفوس مقيدة مستعبدة .

والقلم يعلم الجاهل ويقرئ الأمي ويرشد الضال التائه وينير الطريق ويعمر الخراب ويشيد العمران ويحيي ميت الأحياء ، وبنوره يعرف طريق الحق والخير والعدل والصواب من طريق الباطل والظلم والخطأ ويدعو الى اتباع الطريق الاول واجتناب الطريق الثاني .

ويكشف عن حقائق الأشياء وأسرار الحياة .

ومن شأن القلم الدعوة إلى تصافي النفوس وتآلف القلوب وتصافح الايدي والاعتصام بحبل الله جميعا وبناء صرح التعاون والاتحاد ومعروف أنه لا قوة ولا تقدم ولا فلاح لأي مجتمع الا في حمى التعاون والاتحاد .

والقلم الصادق المستنير يحارب الجهل والبؤس والمرض والفساد وهذه الأوبئة والآفات الاجتماعية تجعل الشعب مريضا ضعيفا عاجزا عن حماية نفسه من اي خطر داهم . وما يعيب هو أن يقول الانسان أو يكتب قولا فارغا خاليا من المعاني السامية والأفكار النيرة أو يكتب كلاما لا معنى له ولا طعم ولا هدف .

وعيب على الانسان أن يقول ما لا يفعل أو يفعل ما لا يقول وألا ينفذ أقواله وقراراته ورب قول أبلغ من فعل ورب كلام أغلى من الدر والذهب ورب لسان أنفذ من يد .

انقذوا افغانستان المسلمة من طغيان الملاحدة

لفضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .
أما بعد : فيا أيها المسلمون السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،.

لا يخفى عليكم ما جرى ويجري الآن في افغانستان البلاد المسلمة من اعتداء روسيا الشيوعية عليها واحتلالها وتقتيل المسلمين وتشريدهم من ديارهم ومحاولة الشيوعية القضاء على الاسلام والمسلمين في افغانستان البلد المسلم ومع هذا فهم جادون في الدفاع عن دينهم ثم عن أنفسهم وأعراضهم وبلادهم أمام هذه الحملة الكبيرة الكافرة الظالمة وهم في أشد الحاجة بل الضرورة الى مساعدتهم من اخوانهم المسلمين لأن المسلمين كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وانه يؤلمنا ما يؤلم اخواننا ويسرنا ما يسرهم وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على وجوب جهاد اعداء الله بالنفس والمال ولا سيما اذا هجموا على شيء من بلاد المسلمين وان المسلمين متى تركوا ذلك اثموا جميعا ومن المعلوم ان الخطر الشيوعي يهدد كل دول الاسلام واننا معرضون لهجمات الشيوعية الحاقدة على الأديان ولقد جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة ما يكفي ويشفي في فضل الجهاد والحض عليه فمن ذلك قوله تعالى :
(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين) .

وقوله تعالى (**ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**)

وقال تعالى:(**يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين**) .

والآيات في فضل الجهاد كثيرة ومما جاء في السنة النبوية المطهرة في ذلك ما رواه الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أفضل ؟ قال : (ايمان بالله ورسوله) قيل ثم ماذا ؟ قال : (الجهاد في سبيل الله) قيل ثم ماذا قال : (حج مبرور) متفق عليه .

وما رواه الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أي العمل أحب الى الله تعالى ؟ قال : (الصلاة على وقتها) قلت : ثم أي ؟ قال : (بر الوالدين) قلت : ثم أي ؟ قال : (الجهاد في سبيل الله) متفق عليه .

وما رواه الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أي الناس أفضل ؟ قال : (مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله) قال : ثم من ؟ قال (مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ، ويدع الناس من شره) متفق عليه والأحاديث في هذا الباب كثيرة .

ويجب الجهاد على الأعيان في ثلاثة مواضع أحدها : اذا التقى الزحفان وتقابل الصفان ، لقوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**) وقوله تعالى (**يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار**) .

الثاني : اذا نزل الكفار ببلد ، تعين على أهله قتالهم ودفعهم ، كما هو الواقع في افغانستان ، ويجب على اخوانهم المسلمين في كل مكان دعمهم ومساعدتهم لعموم قوله تعالى : (**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله**) الآية .

ثالثا : اذا استنفره من له استنفاره ، تعين عليه ، لقوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ..**) الآية . ولقول النبي صلى الله عليه وسلم (واذا استنفرتم فانفروا) متفق عليه . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، يجب جهاد الكفار واستنقاذ ما بأيديهم من بلاد المسلمين واسراهم ، ويجب على المسلمين ان يكونوا يدا واحدة على الكفار ، وان يجتمعوا ويقاتلوا على طاعة الله ورسوله والجهاد في سبيله ويدعو المسلمين الى

ما كان عليه سلفهم الصالح من الصدق وحسن الأخلاق ، فان هذا من اعظم اصول الاسلام وقواعد الايمان التي بعث الله بها رسله وأنزل بها كتبه وأمر عباده عموما بالاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف كما قال الله تعالى : (**أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**) وقال تعالى : (**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات**) وأخبر سبحانه بأنه أرسل جميع الرسل بدين الاسلام كما قال تعالى : (**ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا**) انتهى كلام شيخ الاسلام .

فيا أيها المسلمون في كل مكان إن علينا جميعا ان نشكر الله سبحانه على ما من به علينا من النعم الظاهرة والباطنة وان نمد يد المعونة والمساعدة لاخواننا المسلمين الأفغانيين الذين يعانون من أعداء الاسلام التقتيل والتشريد والتيتيم والتشتيت في العراء والصحراء في البرد والجوع فالواجب على المسلمين جميعا ان يبذلوا لهم ما يعينهم على جهاد أعداء الاسلام ويمكنهم من اسباب النصر عليهم كل حسب استطاعته لقول الله عز وجل : (**فاتقوا الله ما استطعتم**) وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم والسنتكم) وقوله عليه الصلاة والسلام : (من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلفه في اهله بخير فقد غزا) والآيات والآحاديث في فضل الجهاد والنفقة فيه كثيرة . ولا مانع من صرف الزكاة لهم لأنهم من الأصناف الثمانية المذكورة في قوله تعالى : (**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**) والمجاهدون هم المقصودون بقوله تعالى (**وفي سبيل الله**) ولا بأس بتعجيلها وإخراجها لهم قبل وقتها اي قبل ان يحول عليها الحول ويشرع للجميع الدعاء لهم بالنصر والتأييد على اعداء الاسلام لأن الدعاء من افضل القربات مع بذل جميع الأسباب المكنة في جهاد الأعداء واعانة المجاهدين ومن اعظم الأسباب التوبة الى الله سبحانه من جميع الذنوب والاستقامة على اداء فرائضه وترك محارمه لأن المعاصي من أعظم اسباب الخذلان وتسليط الاعداء كما قال الله عز وجل (**وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير**) وقال عز وجل (**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي علموا لعلهم يرجعون**) وقال سبحانه (**ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك**) وأسأل الله باسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينصر دينه ويعلي كلمته وان يصلح احوال المسلمين في كل مكان ويصلح قادتهم وان يمن على الجميع بالتوبة النصوح وان ينصر اخواننا المجاهدين في افغانستان وفي كل مكان وان يجمع كلمتهم على الحق وان يذل اعداء الاسلام ويشتت شملهم ويفرق جمعهم ويجعل تدميرهم في تدبيرهم وأن ينزل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين انه على كل شيء قدير وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه الى يوم الدين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

من القصص الاسلامي

الطريد

○ انقضى من الليل أغلب ساعاته وما انفك الشيخ منكبا على أوراقه ينقل عليها سطور المخطوط الذي بين يديه ليفرغ منه ويقدمه لصاحبه في ضحى الغد حتى يقبض أجر نسخه بعد أن غدا لا يملك شروى نقير منذ الصباح ..

وقبل أن يفرغ زيت المصباح وتنطفىء ذبالته ، كان الشيخ قد فرغ من نسخ آخر صفحة من مخطوط « صحيح البخاري » ودعا الله أن يسدل عليه بركته ، وأن يحسن له دنياه وآخرته ..

وقام الشيخ إلى فراشه ليصيب حظا من نوم قليل قبل أن يطلع النهار حتى يقوى على الخروج بعد أن هده السهر الطويل ووجع الظهر والكتفين من طول الانحناء على الأوراق في سبيل العيش والأرزاق ..

ولطالما تمنى الشيخ أن يتوب الله عليه من هذه الحرفة الشاقة وما يعانيه في سبيلها من ضعف في بدنه وذبول في نور عينيه ، ودعا الله أن يهيىء له سبيلا آخر للرزق الحلال لا يكلفه كل ذلك الجهد والكلال ..

للاستاذ : حسين الطوخي

ثم غلبه النوم ، ورأى في حلمه أيامه الأولى وطفولته الباكرة في مدينة « قوص » بصعيد مصر حين صحبه أبوه إلى مكاتب تحفيظ القرآن حيث أتم حفظه وتجويده ، كما أتقن القراءة والكتابة وشهر عنه أنه أحسن من يكتب بخط جميل لا اعوجاج فيه ولا تذييل ..

ويموت أبوه ولما يبلغ السابعة عشرة من عمره ، ويرى نفسه مطالبا بكسب عيشه فيرحل إلى مدينة « القاهرة » وهي يومئذ مقر السلطنة .. سلطنة الناصر محمد بن قلاون ، ويعيش أهلها في يسر ورغد حيث أسباب العيش لكل الناس موفورة ، والأرزاق للفقراء والأغنياء ميسورة ..

وتتعاقب أحداث الحلم ياخذ بعضها بتلابيب بعض ، ويرى « شهاب الدين النويري » نفسه في مدينة القاهرة وقد تعلم حرفة نسخ المخطوطات وبيعها بعد أن شهر عنه حسن الخط وتنسيقه ، وجمال شكله وتنميقه ، ويبيع النسخة من المخطوط بألف درهم حيث لم تكن على أيامه مطابع وآلات أو مكاتب وإدارات ..

ويصحو « شهاب الدين » من نومه على صوت طرقات رقيقة على باب غرفته ، وتدخل إليه « ام حماد » جارته الطيبة في ربع الصنادقية الذي يسكنه تحمل إليه طعام الافطار ، وتلملم ما اتسخ من ثيابه وحاجياته لتقوم بغسلها وتنظيفها بعد أن عزف عن الزواج وآثر أن يعيش وحيدا ولا يظلم معه زوجة تقاسمه شظف العيش وعسر الحياة ..

كانت « ام حماد » جارة طيبة حقا ، وكان زوجها يعمل سقاء يحمل المياه إلى البيوت في الصباح الباكر ويعود قبل الغروب يحمل الطعام والفاكهة إلى

زوجته الراضية ، ولم يكن يشكو العوز أو هم العيش مثلما يشكو شهاب الدين . وكثيرا ما كانت ام حماد تطلب إلى شهاب الدين أن يسكن إلى زوجة تضيء له حياته المعتمة ، وقد بلغ الأربعين أو تجاوزها ، فكان يجيبها : يأم حماد .. لقد أدركتني حرفة الأدب ولحقتني لعنته ، وقد أكسب اليوم درهما ثم أظل أياما لا يدخل جيبي دانق .. جزاك الله عني خيرا .

وبينما شهاب الدين جالس يوما في قاعته ، اذ جاءه صديقه « رافع بن عباده » حاجب السلطان يعرض عليه أن يصله به ليعمل في ديوان السلطنة متوليا بعض أموره ، وكاتبا لرسائله ، ومنظما لمسائله ..

والحق أن نفس شهاب الدين قد طارت فرحا في ذلك اليوم ، وكاد قلبه أن يقفز حبورا وغبطة بقدوم هذه السانحة السعيدة ، وحدثته النفس : مرحى .. مرحى .. قد استجاب الله لدعائك وفتحت لك أبواب السماء بعد طول إملاق وعناء .

دلف « شهاب الدين النويري » إلى بلاط سلطان مصر في ذلك اليوم الباهر من عام ٧٢٧ هجرية المقابل لعام ١٣٤٤ ميلادية ، وبهرته أسباب النعيم التي يعيش أصحاب القصر ومن يلوذون بهم في أعطافها ، وأحس أنه ودع على أبواب القصر المنيف ما لاقاه من شظف العيش وقسوة الحياة ، وأنه سيبدأ حياة رخاء ويسر ، بعد طول املاق وعسر ..

ولو قد علم صاحبنا ماذا كان يخبؤه له القدر ، لما رضى بقبول اليسر بعد العسر ، ولا بالاغداق بعد الاملاق !

أخذ شهاب الدين منذ قدمه صديقه « ابن عباده » ليعمل في ديوان القصر يقترب من السلطان « محمد بن قلاون » وأخلص النية في خدمته ، وأصدقه في مشورته ، ومازال يرقى عنده حتى ولاه نظر الجيش بطرابلس الشام ، ثم نظر الديوان بالدقهلية والمرتاحية ، بعد أن كسب ثقته ، وأمن غدرته .

بيد أنه كان يلحظ « ابن عبادة » يطيل النظر إليه كلما دخل على السلطان ويجده قريبا منه يحادثه ويملي عليه رسائله ، أو يناقشه شئونه ومسائله ، وكان شهاب الدين لطيب طويته يخالها نظرات إعجاب ورضاء ، لا تشى بأحقاد سوداء ..

وتمضي الأيام والشهور ، ويبين لشهاب الدين أن القلوب ما تنفك تغص بالغيرة والشرور ، فقد لحظ تحرك نفس الصديق « ابن عبادة » الحاجب كأنما استكثر ان يجالس شهاب الدين سلطان مصر أكثر مما يجالسه !

والوشاية بشرفاء الناس ، ومقولة السوء ، من قبل ومن بعد ، داء قديم ، وسلاح خسيس يجري الطعن به في الظلام ، ومن وراء الظهور ، فكان أن وشى به « ابن عبادة » لدى السلطان الذي دعا شهاب الدين ذات صباح ،

وأخذ يعنفه شر تعنيف ، ويلصق به تهما لم تقترفها يداه ، وحال بينه وبين أن يدفع ما اتهم به ، ثم أمر بضربه بالمقارع ، وإخراجه من القصر الى الشوارع ..

انطلق شهاب الدين بعد إخراجه من قصر السلطنة يجوب شوارع القاهرة محزون القلب ، ويعجب لهذه الدنيا التي تبسم يوما للنفوس ، ثم تلقاهم بعد ذلك بوجه عبوس ..

عاد ثانية الى حي الصنادقية ليمارس مهنته الأولى ، وبعد أن هدأ روعه ، أسلم لله أمره فهو القادر وحده ليجزي الناس عما قدمت أيديهم من خير ومن شر ..

وطاب لشهاب الدين بعد حوار بينه وبين نفسه المكلومة ، أن يقلع عن مهنة النسخ ليتفرغ الى إنشاء كتاب جامع في الأدب والتاريخ ومختلف فنون العلوم والمعارف ، ومن ثم عكف على إنشائه حتى فرغ منه بعد خمس سنوات عانى خلالها مر العيش وذل الحاجة حتى أصاب الوجع ذراعه وأصابعه ولم يعد يقوي على الكتابة والتدوين رغم أنه لم يتجاوز الخمسين من عمره ..

ولم يطاوعه قلبه المحزون أن يهدى مؤلفه إلى سلطان البلاد كما جرى العرف والمألوف ، وقد أسمى مؤلفه « نهاية الأرب في فنون الأدب » وجعله في ثلاثين مجلدا يضم خمسة فنون أساسية كل فن منها يحوي خمسة أقسام تناول فيها السماء وما فيها ، والآثار العلوية ، والأرض والجبال والبحار ، والانسان وطبائعه ، والملوك وما يشترط فيهم لحكم الرعية ، والحيوان ، والنبات ، والتاريخ ، وقصص الأنبياء ، وأخبار الملة الاسلامية ..

وفي باب ما ينبغي ان يأتيه الحاكم من جميل الفعال ، وما يتركه من قبيح الخصال ، وقع شهاب الدين على كتاب بليغ وجهه « على بن ابي طالب » كرم الله وجهه إلى « مالك بن الحارث الأشتر » حين ولاه مصر يقول فيه :

« يجب على الوالي أن يتعهد أموره ، ويتفقد أعوانه ، حتى لا يخفي عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء ، ثم لا يترك أحدهما بغير جزاء ، فانه إذا ترك ذلك ، تهاون المحسن واجترأ المسيء ، وفسد الأمر ، وضاع العمل » .

وحين دخلت اليه « ام حماد » في صباح ذلك اليوم من عام ٧٣٢ هجرية وجدته قد أسلم الروح لبارئها ليغادر هذه الدنيا الفانية إلى دار الآخرة الباقية .





مع الشباب

الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط امالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .

ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .

ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والاخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

أرسل الاخ احمد عبد المقصود علي عجيلة كلية الشريعة جامعة الازهر كلمة عقب بها على موضوع « أهل القرن الخامس عشر » الذي نشر في عدد محرم ١٨١ ضمنه تعقيبا على ما كتبه الاستاذ أنور الجندي . وقد آثر به الشباب ليحثهم على تجنب أخطار الثقافة الوافدة والفكر المشبوه يقول :

قرأت بامعان شديد ما كتبه الاستاذ الكريم/ أنور الجندي في عدد محرم ١٤٠٠هـ نوفمبر ١٩٧٩ م من مجلتنا الغراء « الوعي الاسلامي » عن استقبال القرن الخامس عشر الهجري .. وقبل أن أدلي برأي حول هذا الموضوع القيم أتقدم بخالص شكري ، وعظيم تقديري للأستاذ الفاضل / أنور الجندي .. على ما كتبه لأنه من المواضيع الهامة جدا حيث تعرض سيادته لانتصارات الاسلام العملاق على أعدائه ، وسقوط الدكتاتورية والاستبداد ثم تعرض سيادته لبعض النقاط الهامة التي تعتبر صلبا لمواضيع أكثر أهمية وهي الكشف عن فساد مفاهيم الديمقراطية الغربية والشيوعية ، والاشتراكية ، وضرورة استخلاص نظام اجتماعي سياسي من صميم الاسلام .

وكذلك مناهج التعليم والثقافة الغربية التي تقدم للشباب المسلم ، ومدى خطرها .

هذا بجانب تعرض سيادته للمناخ الفكري والتربوي الذي نشأت وترعرعت فيه نخبتنا المثقفة التي تبث كل ما تستقيه من هذه الافكار المشبوهة ، وذلك عن طريق كتابتها المسمومة التي تعمل ضد الاسلام ..

هذا بجانب النواحي الأخرى في مجال الأدب والفن المكشوف المدمر .

ومن فوق منبر مجلة « الوعي الاسلامي » الغراء يسعدني أن أتوجه بندائي هذا إلى الاخوة الشباب في كل مكان بأن يضعوا ما كتبه

الاستاذ/ أنور الجندي نصب أعينهم لكي لا يطغى عليهم الفكر الغربي المدمر ، وثقافته المشبوهة ، وأن يحذروا تيار الغزو الفكري الذي حدثنا عنه الاستاذ / الجندي لأنه من أخطر الأسلحة التي تحارب الفكر عن طريق الثقافة والمسرح والتلفزيون ، وكل أوجه النشاط الفكري ، وحبذا لو تكرم علينا أستاذنا الكريم /أنور الجندي ، وقدم لنا عرضا مشوقا بأسلوبه الرائع عن تيار الماسونية والعلمانية والوجودية وغير ذلك من التيارات المعاصرة الهدامة التي يغفل عنها الكثير من شباب الاسلام ..

دين الله

وأرسل الأخ عبدالجواد محمد الخضري كلمة للشباب حول القرن الهجري والآمال المرجوة من هلاله على العالم الاسلامي مؤكدا أن الخير لأمة الاسلام لن يتحقق إلا إذا ارتبطوا بدينهم وأخذوا منه لحياتهم فلا تصلح إلا به ولآخرتهم فلا يفوزون برضوان الله ونعيمه ما لم يكونوا من المنتمين اليه انتماء عمل واعتقاد وسلوك ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وتلك بعض فقراتها :

استقبل المسلمون ، في مشارق الأرض ومغاربها ، (القرن الخامس عشر الهجري) قرن المثابرة والنضال ولما كان الجهاد لاعلاء كلمة الله ، أمرا لازما في شريعة السماء : **(كتب عليكم القتال وهو كره لكم)** ٢١٥ ـ البقرة ، أود أن يستحضر عالمنا الاسلامي « القدس » واسلامية الأرض ، دافعهم الى ذلك ايمانهم وعظمته الخالدة فقد ظل طيلة هذه المدة ـ دين الانسانية الخالد ـ وأعاد للبشرية حقها السليب ، وارتفع بالمؤمنين الى معارج القدس ، ألا يكفي أن الله ارتضاه فقال : **(إن الدين عند الله الاسلام)** ١٩ ـ آل عمران ، ولم يقبض نبيه محمدا (صلى الله عليه وسلم) الا بعد كمال الشريعة وأداء الأمانة : **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)** ـ ٣ ـ المائدة ، أقول : على الرغم من نصاعة الحجة ، وبياض المحجة ، امتدت يد الحقد من صناع الضلال فكادوا لنا في الخفاء والعلن ، لم يردعهم ضمير ، ولم يردهم وازع ـ صنعوا محطات تبشيرية ، (ساعة الاصلاح) (حول العالم) وزعوا نشرات ضد القيم والسلوك ، وطبعوا كتبا بالمجان ! على ملأ ومسمع لم يتحرجوا من عالمنا وهم في أرضنا .. ماذا يريدون ؟ إنني أهيب بالأخذ على أيدي هؤلاء ، خفافيش الظلام ـ الذين اتخذوا من سماحة الاسلام خنجرا مسموما للطعن فيه وأقول لهم ، ولأمثالهم ، إن أهل الايمان زاحفون رغم التحديات يساندهم في ذلك ايمان لا ينفد ، وعزيمة لا تضعف ، ويقين لا يبتر ، وما دام القرآن معنا والسنة رائدنا فلن ننهزم أبدا

بأقلام القراء



التوبـــــــــــة

وأرسل إلينا القارئ الأستاذ أحمد حسين مرواد ـ بمراقبة شئون الموظفين بالوزارة ـ كلمة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلي :

للاسلام منهج واضح وسبيل معلوم يصل بالانسان إلى المكانة اللائقة به ويجعله جديرا بالخلافة عن الله في الأرض .

وأنت أيها المسلم إنسان تتنازعك قوى الخير والشر ، فتتغلب عليك طبيعتك الروحية أحيانا فتسمو وترتفع ، وأحيانا تتغلب عليك قوى الشر فتخلد الى الأرض وتستمرئ الوقوع في الهاوية . لذلك فأنت في حاجة إلى توبة متجددة متكررة ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم : **(إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)** البقرة/ ٢٢٢ . ومن ذلك أيضا قوله تعالى : **(ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير)** التحريم/٨ .

« والطاعة تنير القلب » وتبسط الرزق ، وتقرب من الله عز وجل ، كما يقول سبحانه : **(ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب)** الطلاق/ ٢ و٣ .

ويقول سبحانه : **(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض)** الأعراف/ ٩٦ .

أما المعاصي : فانها تميت القلب ، وتغضب الرب ، وتذهب النعم وتأتي بالنقم .

وانظر معي إلى القرآن الكريم : لماذا أغرق الله قوم نوح . وفرعون وقومه ؟

لماذا أرسل الله على ثمود الصيحة والعذاب والهوان وأهلكهم بالطاغية ؟

لماذا سلط الله على عاد الريح العقيم فألقتهم على الأرض صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ؟

ولماذا دمر الله مساكن قوم لوط وجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل ؟

ولماذا خسف الله بقارون وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ؟

وحسبنا عظة قول الله عز وجل :
(.... وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين . فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) العنكبوت/ ٣٩ و٤٠ .

ولكن من فضل الله عز وجل بعباده أن فتح لهم باب المتاب وأمرهم بالاستغفار والتوبة وبالكف عن المعاصي والذنوب ووعدهم بقبول توبة من آمن . حتى لا يصيبهم مثل ما أصاب الأمم السابقة .. فيقول عز وجل : **(وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)** طه/ ٨٢ .

جاءتنا هذه القصيدة بعنوان :

اصداء من البعثة النبوية للشيخ/محمد رضا آل صادق

نقتطف منها ما يأتي :

أطل فرفت طيوف المنى بمبعثه هاديا للورى !
أطل باشراقة للحياة فهرول فجر يلف الدجى
وأخصب فكـــر وأينع عمر وفر ضجيج الأسى وانطوى
أطل بأصدائه فاشرأبت عوالم تصغي لكـــل صدى
وراحت تزف نشيدا جميلا لرب الثريا ورب الثرى
بأنا سمعنا وأنا أطعنا وأنا أنبنا وقلنا : اهدنا
أطل فخفت إليه القلوب وخب النسيم وماج الشذى
وسارت قوافل عرس الربيع تطرز بالبشر درب السنا
أطل ليطبع فينا الاخاء حنانا ويهدينا للعلا
لينشر في كل أفق صفاء وحبا يضوع بدنيا الملا
ليطفيء كل رويء للضلال وما قد تجهم فيه المدى
ليرسم بالخلق الحلو معنى تسامى به في الدنا من سما
لينقذنا من خضم الشقاء وأمواجه لرياض النهى
بنى المصطفى إنها خير ذكرى بها نستطيل إلى المرتقى
هي المجد والمجد فيها استطال وأبلج تاريخنا وازدهى

الفتاوى

للشيخ : عطية صقر

السجن في الاسلام

السؤال : في الوقت الذي تفكر فيه بعض السجون بالسماح لزوجات المسجونين زيارة خاصة نسمع بعض الناس يقول : ليس في الاسلام عقوبة بالسجن ، فما رأيكم في ذلك ؟

احمد محمود علي ـ القنايات مصر

الجواب :

فكرة العقوبة بالسجن معروفة قبل الاسلام ، وفي القرآن الكريم ما يدل على أن عزيز مصر كان عنده سجن ودخله يوسف عليه السلام ، والتقى فيه بفتيين دعاهما الى توحيد الله ، كما هو في سورة يوسف ٣٦ ـ ٤٢ . وفي القرآن أيضا أن فرعون الذي أرسل اليه موسى كان له سجن هدده بادخاله فيه (قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين) الشعراء ٢٩ .

وفكرة السجن معروفة في الاسلام أيضا ، ولم تكن أيام النبي صلى الله عليه وسلم بالمعنى المتبادر للذهن ، من اتخاذ دار خاصة يوضع فيها من استحق عقوبة ، ولم تكن كذلك أيام أبي بكر رضي الله عنه ، ولكن كان هناك « حبس » بمعنى تعويق الشخص ومنعه من التصرف الحر ، حتى يقضي دينا وجب عليه ، أو يرد حقا اغتصبه ، وكان الذي يلازم المحبوس هو الخصم أو وكيله ، ولهذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم أسيرا .

وروى أحمد أنه عليه الصلاة والسلام حبس في تهمة ، وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي ، وقال الترمذي عنه ، إنه حسن ، وزاد هو والنسائي : ثم خلى عنه . والحاكم صحح هذا الحديث ، وله شاهد آخر من احديث أبي هريرة يقوى حديث بهز بن حكيم المذكور . وجاء في حديث أبي هريرة أن الحبس كان يوما وليلة استظهارا وطلبا لأظهار الحق بالاعتراف .

وروى البيهقي أن عبدا كان بين رجلين فأعتق أحدهما نصيبه ، فحبسه النبي صلى الله عليه وسلم حتى باع غنيمة له ، وهذا الحديث وإن كان فيه انقطاع فانه روى من طريق اخرى عن عبدالله بن مسعود مرفوعا .

والبخاري في صحيحه جعل بابا بعنوان « باب الربط والحبس في الحرم » قال ابن حجر في شرح البخاري « فتح البارى » كأنه أشار بهذا التبويب الى رد ما نقل عن طاووس أنه كان يكره السجن بمكة ويقول : لا ينبغي لبيت عذاب أن يكون في بيت رحمة .

ويقال : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أول من اتخذ دارا للسجن في مكة ، اشتراها من صفوان بن أمية بأربعة آلاف درهم ، وكان ذلك بمعرفة عامله على مكة « نافع بن عبدالحارث الخزاعى » وقيل : إن أول من اتخذ دارا للسجن هو معاوية بن أبي سفيان ، كما ذكره المقريزى « الخطط ج٣ ص٣٠٢ » وكان القاضي شريح هو أول من حبس في الدين .

ومن وقائع الحبس أيام عمر رضي الله عنه أنه حبس الحطيئة الشاعر الهجاء ، لتطاوله على ابن بدر ، عامل عمر ، أو هدده بالحبس حتى تضرع له بقصيدة معروفة منها قوله :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ   زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة   فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فعفا عنه .

وكذلك حبس عمر أبا محجن الثقفي لما جلده على السكر ، ونفاه الى جزيرة في البحر ، فهرب من الرجل الذي كان يصحبه ، ولحق بسعد بن أبي وقاص وهو يحارب ، فكتب عمر الى سعد أن يحبسه وبعد نفيه الى « رابغ » وهروبه منها قبض عليه وسجن قرب القادسية أسفل قصر الامارة ، وتوسل الى سلمى بنت حفصة زوجة سعد فأطلقته ، واشترك في الحرب وأبلى بلاء حسنا ، ثم عاد الى القيد ، وفي النهاية أفرج عنه بعد توبته .

وأيضا معن بن زائدة ، أمر المغيرة بن شعبة بحبسه في حادث تزوير في أوارق رسمية ، ولما هرب من السجن عاد الى عمر تائبا ، وفي النهاية عفا عنه .

وعثمان بن عفان رضى الله عنه أقر عقوبة الحبس ، ومن سجنائه جنائي بن الحارث الذي هجا بنى جرول . ويلاحظ أنه لم يكن له مكان خاص ، بل كان يسجن أحيانا في السجن ودهاليز البيوت ، وأما على بن أبي طالب رضي الله عنه فيقال : إنه حبس الغاصب ، وآكل مال اليتيم ظلما ، والخائن في الأمانة ، وخصص للسجن مكانا ، وكان أولا من أعواد القصب ، ثم بنى غيره محكما ، ويقول البلاذرى والمسعودي : إن معاوية أربى على الخلفاء في إعداده السجون والاهتمام بها .

ومن أنواع السجن النفي ، لأنه فصل عن المجتمع الذي كان يعيش فيه المنفي ، ومنه قوله تعالى في جزاء المحاربين المفسدين:(أو ينفوا من الأرض) المائدة ٣٣ .

وقد قرر الفقهاء إيقاع الحبس على المشترك في جناية حتى يفصل فيها ، وكذلك أجازوا التعزير للردع وللديون حتى ترد ، وللتأديب الذي يراه الحاكم .

فالسجن الموجود الآن نوع من التعزيرات التي لم تحدد في الاسلام لا كما ولا كيفا ، بل ترك أمرها الى القاضي ليقرر ما يراه مناسبا للجريمة أو المخالفة بوجه عام .

ونظرا لبعض المعاملات القاسية التي تتخذ مع المسجونين الآن ، رأى بعض العلماء عدم جوازه ، رجوعا الى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخليفته أبي بكر ، مع استبدال اجراءات أخرى به ، تضمن رد الحقوق الى أصحابها ومنع الضرر عن الناس .

هذا ، وقد تطورت السجون في التشريعات الحديثة لدى بعض الدول ، فجعلت كمؤسسة تربوية ، يعامل فيها المسجون كمريض تدرس أحواله ، ويعالج بطرق خاصة ، لنجعل منه مواطنا صالحا بعد الانتهاء من مدة احتجازه .

والشوكانى في كتابه نيل الأوطار « ج٩ص٢١٨ » يقول بعد بحث الموضوع : والحاصل أن الحبس وقع في زمن النبوة وفي أيام الصحابة والتابعين فمن بعدهم الى الآن في جميع الأعصار والأمصار من دون إنكار ، وفيه من المصالح ما لا يخفى .

وأخذ يعدد هذه المصالح الى أن قال : وقد استدل البخارى على جواز الربط بما وقع منه صلى الله عليه وسلم من ربط ثمامة بن أثال بسارية من سوارى مسجده الشريف ، كما في القصة المشهورة في الصحيح .

وأرى أنه لا مانع شرعا من الزيارة الخاصة بين الزوجة وزوجها المسجون ، وقاية لها من الانحراف ومصلحة له أيضا ، وليس في ذلك إغراء له على عمل ما يدخله السجن ، فان تقييد حريته في مخالطة زوجته ورعاية أهله وفي التصرفات الأخرى فيه تعزير ، والله أعلم .





أئمة متخصصون إلى أمريكا

زار الكويت مؤخرا الدكتور محمد رشدان الأمين العام لاتحاد الطلاب المسلمين في الولايات المتحدة وكندا وأجرى جولة من المحادثات مع المسؤولين بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية .

وقال رشدان إن تجاوبا تاما بين وزارة الأوقاف وبين الاتحاد من حيث إرسال الأئمة والتعاون في مختلف المجالات الثقافية الاسلامية،وقد تمت الاستجابة من قبل المسؤولين في الوزارة لإيفاد بعض الأئمة إلى هناك .

حول اللحوم المصدرة إلى الدول الاسلامية :

تقول مصادر المركز الاسلامي في الدانمارك ان اللحوم المصدرة إلى منطقة الشرق الأوسط خلال السنوات الثلاث الماضية لم تذبح على الطريقة الاسلامية .

وقد ثبت أن الشهادات التي صدرت حول حل هذه اللحوم كانت مزورة،نشرت تلك الصحف الدانماركية ، وذكرت بعض هذه الصحف أن هناك وثائق تدين بعض الشخصيات التي لها علاقة بهذا الموضوع .

والمعروف أن الطريقة التي يتم بها الذبح تقوم على أساس إطلاق الرصاص على رأس الحيوان فيموت قبل السلخ .

ويقول الدكتور مروان القيس خطيب مسجد المركز الاسلامي في الدانمارك إن من واجبي أن أقوم باعلام المسلمين في الشرق الأوسط بأن الطريقة التي يتم بها الذبح غير إسلامية .

وبعد هذا الاكتشاف الذي يؤكده المصدر المذكور،والتلاعب الذي واصلت الصحف الدانماركية نشره مؤخرا،ماذا نحن فاعلون ؟

صرح جديد للقرآن الكريم في الكويت

اهتمت الصحف المحلية وأجهزة الاعلام المختلفة بنشر وقائع الاحتفال الكبير بافتتاح مركز تحفيظ القرآن الكريم وتفسيره وتجويده بالفحاحيل .

فقد سارعت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية إيمانا منها بسمو الهدف الذي

تؤمله من إضافة صرح جديد من صروح القرآن الكريم إلى رصيدها الكبير في هذا المضمار .

وقد ألقى معالي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية السيد يوسف جاسم الحجي كلمة جاء فيها :

إن حفظ القرآن الكريم وجودة ترتيله وتفهم معانيه أمنية تترد أصداؤها في كل نفس مسلمة لأن القرآن يغمر القلوب بنوره ويربط الانسان بربه ويحس بأعظم النعم تحيط به حين تنزل عليه السكينة وتغشاه الرحمة وتحفه الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم : « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » .

ومما لا شك فيه أن التربية القرآنية هي أساس صلاح الفرد والمجتمع إذا احتكم المسلمون الى كتاب الله وفهموه عقيدة وطبقوه سلوكا وأخلاقا ومعاملة .

لقد صلح أول هذه الأمة بالقرآن ولن يصلح آخرها إلا به ، وأنه يهدي الى سبل السلام ويخرج الأمة من الظلمات الى النور ويهديها الى الصراط المستقيم ، قال الله تعالى : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) .

من اجل هذا حرصت الوزارة انطلاقا من مسئوليتها عن القرآن الكريم وصيانته على انشاء دار للقرآن تتميز الدراسة فيها بطابع فريد انفردت به الكويت حيث تقتصر الدراسة على التحفيظ والتجويد والتفسير في نظام شامل متكامل يتخرج الدارس في نهاية المرحلة وقد حفظ القرآن الكريم كله واتقن ترتيله وفهم معناه .

بدأ هذا المشروع الجليل مع استقبال شهر رمضان عام ١٣٩١هـ ، ١٩٧١م . في المركز الرئيسي ، ومكنت الوزارة المسلمين من ان يعيشوا في جو قرآنهم بلا فوارق من سن أو جنسية وانتسب الى الدار اصحاب المستويات المختلفة في درجة الثقافة وانتظم في الدراسة الأئمة وكثير من مدرسي وزارة التربية وموظفي الدولة وعدد من الضباط والجنود والعمال وغيرهم ... وأقبل الجميع بروح عالية وايمان صادق وأمل مشرق فكان هذا الزحف البشري من المؤمنين بكتاب الله مبشرا بالنجاح المرتقب .

وأمام إلحاح الجماهير المؤمنة انشأت الوزارة فروعا للدار في الجهراء والفروانية والفحيحيل والسالمية لا يقل عدد الدارسين فيها حاليا عن ١٣٠٠ دارس ... ولما كانت المرأة المسلمة في أمس الحاجة الى حفظ القرآن الكريم ومعرفة أحكام الدين انشأت الوزارة للنساء مراكز خاصة في الضاحية والخالدية

والسالمية تنتظم فيها حاليا ما يقرب من ألف دارسة واننا بصدد التوسع بفتح فروع في الضواحي للنساء ان شاء الله .

هذا ولما كان الشباب هو أمل الأمة ومناط رجائها وفي أمس الحاجة الى تربية اسلامية رشيدة تحمي أخلاقه وتصون عقيدته امام تيار الالحاد والمبادئ الدخيلة سارعت الوزارة بالتعاون مع جمعية الاصلاح الاجتماعي في انشاء مراكز دائمة للشباب في المساجد تقوم على تحفيظ القرآن الكريم وتزويد الشباب بالثقافة الاسلامية يوميا في المناطق الرئيسية في قلب المدينة وضواحيها وذلك بالاضافة الى الدراسات الصيفية للبنين والبنات في كل عام ، وقد ظهر اثر ذلك في سلوك الشباب واخلاقهم بما يبشر بصحوة اسلامية تعم الشباب المؤمن ان شاء الله .

أيها الحفل الكريم :

مع فرحة الكويت باستقبال يومها الوطني التاسع عشر نفتتح على بركة الله المقر الجديد لمركز من مراكز دار القرآن الكريم بمنطقة الفحيحيل واني اذ اشكر لكم تلبية الدعوة اذكر بكل تقدير تعاون المسئولين في وزارة التربية معنا في انجاح الدراسات القرآنية ، فقد فتحت أبواب المدارس لنا في كل منطقة ولبى المسئولون كل طلب يتصل بهذا المشروع الجليل ، واشكر لوزارة الاعلام تعاونها معنا في اذاعة القرآن الكريم وإسماع صوته للجماهير المسلمة في الكويت وخارجها .

كما أشكر الأساتذة والمشرفين على تحفيظ القرآن الكريم وأسأل الله أن يجزي بالخير أهل القرآن ومن يبذل جهدا في صيانة القرآن ومن يسير على هديه ويعمل به .

وختاما نتقدم الى سمو أمير البلاد وإلى سمو ولي عهده بهذه المناسبة الكريمة وهى الاحتفال باليوم الوطني التاسع عشر لدولة الكويت وإلى الشعب الكويتي الكريم بالتهنئة الخالصة بهذه المناسبة سائلا المولى جلت قدرته أن ينعم علينا بنعمة الاسلام والايمان وأن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه .

وألقى المستشار الثقافي والمسئول عن دار القرآن الكريم الشيخ حسن مناع كلمة نوه فيها بما للقرآن الكريم من فضل على الأمة وأنه جاء فأخرج الناس من الظلمات إلى النور وأنه ما من أمة اهتمت بالقرآن الكريم إلا وخطت خطوات رائدة في كل المجالات وذكر المستشار الثقافي للصحف المحلية أنه انتسب إلى الدار كثير من الراغبين في حفظ القرآن الكريم على اختلاف مستوياتهم العلمية لقد جاء هؤلاء بدافع من الايمان بالقرآن وإصلاحه للنفوس .

كما أن الوزارة فتحت أبوابها لجميع الجنسيات دون التقيد بسن معينة وهو مشروع فريد لا نظير له في العالم العربي والاسلامي .

وحول فروع خاصة بالنساء يقول إن الرغبة ملحة بشأن الاكثار منها وقد أضيفت للنساء مناهج خاصة بهن وهى مادة الفقه والسيرة النبوية والحديث الشريف ومادة النحو .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

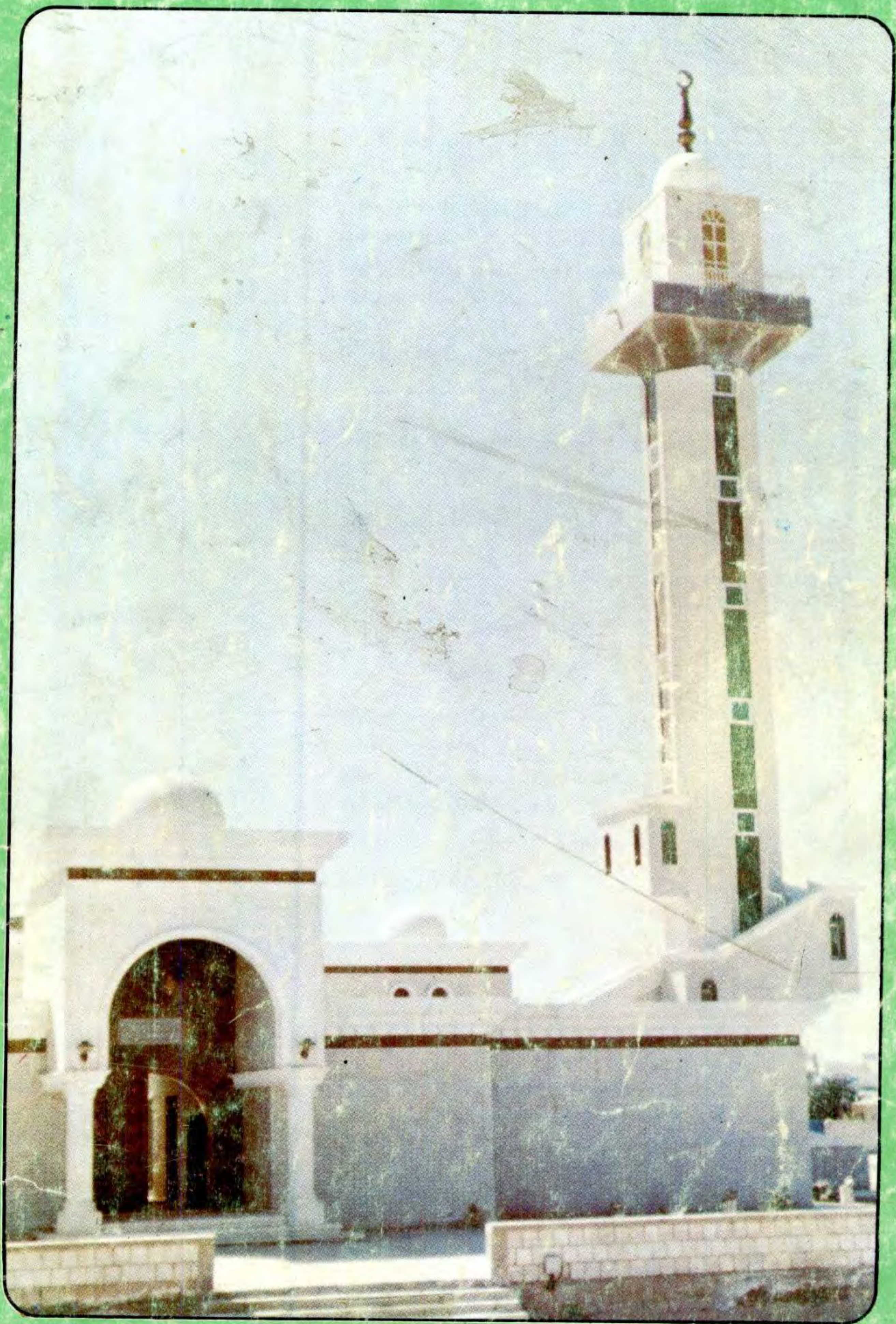
أيام الأسبوع	جمادى الأولى	مارس	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
			فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الاثنين	١	١٧	١٠ ٣٩	١١ ٥٨	٥ ٥٩	٩ ٢٥	١ ١٧	٣٧	٥ ٥٦	١١ ٥٧	٣ ٢٢	٦ ٥٨	٧ ١٤
الثلاثاء	٢	١٨	٣٧	٥٦	٥٨	٢٥	١٧	٣٥	٥٤	٥٦	٢٣	٥٨	١٤
الاربعاء	٣	١٩	٣٥	٥٤	٥٧	٢٤	١٧	٣٤	٥٣	٥٦	٢٣	٥٩	١٥
الخميس	٤	٢٠	٣٤	٥٣	٥٧	٢٤	١٧	٣٣	٥٢	٥٦	٢٣	٥٩	١٦
الجمعة	٥	٢١	٣٢	٥١	٥٦	٢٣	١٧	٣٢	٥١	٥٥	٢٣	٦ ٠٠	١٧
السبت	٦	٢٢	٣٠	٤٩	٥٥	٢٢	١٧	٣٠	٥٠	٥٥	٢٣	١	١٧
الاحد	٧	٢٣	٢٨	٤٧	٥٤	٢٢	١٧	٢٩	٤٨	٥٥	٢٣	١	١٨
الاثنين	٨	٢٤	٢٦	٤٥	٥٣	٢١	١٧	٢٨	٤٧	٥٤	٢٣	٢	١٩
الثلاثاء	٩	٢٥	٢٤	٤٤	٥٢	٢١	١٧	٢٧	٤٦	٥٤	٢٣	٢	١٩
الاربعاء	١٠	٢٦	٢٢	٤٢	٥١	٢٠	١٧	٢٥	٤٥	٥٤	٢٣	٣	٢٠
الخميس	١١	٢٧	٢١	٤٠	٥٠	٢٠	١٨	٢٤	٤٤	٥٤	٢٣	٣	٢١
الجمعة	١٢	٢٨	١٩	٣٨	٤٩	١٩	١٨	٢٣	٤٣	٥٣	٢٣	٤	٢١
السبت	١٣	٢٩	١٧	٣٦	٤٨	١٨	١٨	٢١	٤١	٥٣	٢٣	٥	٢٢
الاحد	١٤	٣٠	١٥	٣٥	٤٨	١٨	١٨	٢٠	٤٠	٥٣	٢٣	٥	٢٣
الاثنين	١٥	٣١	١٣	٣٣	٤٧	١٧	١٨	١٩	٣٩	٥٢	٢٣	٦	٢٣
الثلاثاء	١٦	ابريل	١١	٣٢	٤٦	١٧	١٨	١٨	٣٨	٥٢	٢٣	٦	٢٤
الاربعاء	١٧	٢	٩	٣٠	٤٥	١٦	١٨	١٦	٣٧	٥٢	٢٣	٧	٢٥
الخميس	١٨	٣	٨	٢٨	٤٤	١٦	١٨	١٥	٣٥	٥١	٢٣	٧	٢٥
الجمعة	١٩	٤	٦	٢٦	٤٣	١٥	١٨	١٤	٣٤	٥١	٢٣	٨	٢٦
السبت	٢٠	٥	٤	٢٤	٤٢	١٤	١٨	١٢	٣٣	٥١	٢٣	٩	٢٧
الاحد	٢١	٦	٢	٢٣	٤٢	١٤	١٩	١١	٣٢	٥١	٢٣	٩	٢٨
الاثنين	٢٢	٧	٠٠	٢١	٤١	١٣	١٩	١٠	٣١	٥٠	٢٣	١٠	٢٨
الثلاثاء	٢٣	٨	٩ ٥٨	٢٠	٤٠	١٣	١٩	٩	٣٠	٥٠	٢٣	١٠	٢٩
الاربعاء	٢٤	٩	٥٦	١٨	٣٩	١٢	١٩	٧	٢٩	٥٠	٢٣	١١	٣٠
الخميس	٢٥	١٠	٥٤	١٦	٣٨	١١	١٩	٦	٢٧	٤٩	٢٣	١٢	٣٠
الجمعة	٢٦	١١	٥٣	١٤	٣٧	١١	١٩	٥	٢٦	٤٩	٢٣	١٢	٣١
السبت	٢٧	١٢	٥١	١٢	٣٦	١٠	١٩	٣	٢٥	٤٩	٢٣	١٣	٣٢
الاحد	٢٨	١٣	٤٩	١١	٣٦	١٠	٢٠	٢	٢٤	٤٩	٢٣	١٣	٣٣
الاثنين	٢٩	١٤	٤٧	٩	٣٥	٩	٢٠	١	٢٣	٤٨	٢٣	١٤	٣٤
الثلاثاء	٣٠	١٥	٤٥	٧	٣٤	٨	٢٠	٠٠	٢٢	٤٨	٢٢	١٥	٣٤

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ — الشويخ — الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة — مؤسسة الاهرام — شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم — دار التوزيع — ص.ب (٣٥٨)
ليبيا	:	طرابلس — الشركة العامة للتوزيع والنشر .
المغرب	:	الدار البيضاء — الشركة الشريفة للتوزيع .
تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٧) الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) الطائف : مكة المكرمة : برحة نصيف / مكتبة جدة المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر — ص.ب:(١٠١١)
البحرين	:	دار الهلال .
قطر	:	دار الثقافة للتوزيع — الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .
أبو ظبي	:	مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف — ص.ب:(٣٢٩٩)
دبي	:	مكتبة دبي .
الكويت	:	شركة الخليج لتوزيع الصحف — ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .



من مساجد الكويت (مسجد مريم خليفه الغانم) السرة ـ الكويت

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

هدية العدد : براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٨٦ ○ جمادي الآخرة ١٤٠٠ هـ ○ ابريل ١٩٨٠ م



اقرأ في هذا العدد

الى راغبي الاشتراك
يرجى الرجوع الى الصفحة ١١٥ من المجلة ...

صـورة الغـلاف

ثروة زخرفية اسلامية رائعة وغنية .. وفوارات للمياه متناسقة . وعمـارة وفتحـات وعقـود مع استخدام القرميد في نظام التسقيف .. ما زالت باقية للآن .. من غرناطة الاسلامية .

انظر صفحة ٦٨

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٨٦ ○ جمادي الآخرة ١٤٠٠ هـ ○ ابريل ١٩٨٠ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة
الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



العماد الأول للاسلام

بين رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الاسلام يقوم على أركان خمسة فقال : (بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا) .

والركن الأول من هذه الأركان ، وهو شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، هو الذي تقوم عليه بقية الأركان ، وهو في شقه الأول إقرار من العبد لله تعالى بالألوهية المطلقة ، وهذا يعني أن السلطة الحقيقية التي يجب أن تعبد وتطاع هي ـ الله وحده ـ فلا يجوز الخضوع لغيره ، وقد قال الله تعالى لرسوله موسى عليه الصلاة والسلام : (فاستمع لما يوحى. إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) وخاطب رسوله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) .

ويعني كذلك أن الله تعالى هو وحده القوة المدبرة لهذا الكون ، وأنه لا تدبير لانسان في صغيرة ولا كبيرة الا أن يشاء الله ، ومن ثم يجب أن يؤخذ عن شريعة الله كل وسائل الحياة ، لأنها شريعة اللطيف الخبير الذي يعلم أمر عباده ، ويشرع لهم ما فيه خيرهم وسعادتهم .

وشريعته ـ سبحانه ـ واقع أرضي عظيم الخطر كبير الشأن ، تقوم عليه سياسة الحكم ، والمال ، والقضاء ، والادارة ، وكل تنظيمات الأرض ، وكل العلاقات التي تقوم بين طوائف المجتمع المختلفة ، المتضاربة المصالح والحقوق والواجبات . فلا حكم الا بما أنزل الله ولا تصريف للمال الا بما رسم الله ، ولا تنظيم لأمور المجتمعات الا بما بينه الله قال تعالى : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) .

أما الشق الثاني من هذا الركن ، وهو شهادة أن محمدا رسول الله فيدلنا على المصدر الذي نستقي منه هداية الله ونأخذ عنه تفسير وحي

الله : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) فرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأقواله وأفعاله وتقريراته ، هو البيان الصحيح الكامل الدقيق لشريعة الله ، ومن ثم كان القدوة التي يجب الاقتداء بها :(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) .

واي تجاه لمشرق أو مغرب بحثا عن قدوة ومثال ، اتجاه ضال ، تشقى به الحياة ولا تسعد ، وتذل به الأمم ولا تنهض .. ذلك أن الجوانب الصحيحة النظيفة للحياة الدنيوية والأخروية ، لا تتمثل في أروع صورها الا في محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو الانسان الذي تجمعت فيه كل المعاني الانسانية الكريمة ، يتسامح ويعفو حين يتطلب المجال التسامح والعفو ، ويشتد على الأعداء ويثبت في الجهاد ـ حتى في أحلك الظروف وغلبة الأعداء ـ حتى يحول الهزيمة الى نصر والضعف الى قوة ، ويعدل ، فلا يصرفه عن اقامة الحق شفاعة صاحب ، ولا شرف شريف ، ولا قرابة قريب ، ويدعو الى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، فيجمع بتواضعه ولينه القلوب ويؤاخي بين النفوس .

اذن فليست شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، مجرد لفظ يلفظ به اللسان ، ولا مجرد وجد يجيش به الجنان ، وانما هي خضوع لله وتطبيق لشريعته ، واقتداء برسوله في كل ما جاء به عن ربه جل وعلا .

وللايمان بالله وبشريعته وبرسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ طعم حلو جميل ، يتذوقه المؤمنون الراضون بربوبية الله وشرعه وقيادة رسوله ، قال عليه الصلاة والسلام : « ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبيا ورسولا » .

واتباع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما جاء به من عند الله ، هو البرهان الواضح على حب المسلم لخالقه ، وهو الأساس لرحمة الله بعباده ، ومغفرته لذنوبهم قال تعالى لرسوله : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) .

وكل من ادعى محبة الله وهو عازف عن شريعته غير متبع لما جاء به رسوله فهو كاذب في دعواه قال تعالى : (قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: « من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد » .

ذلك أن الاسلام معرفة ، واقرار ، وانقياد لأوامر الله ظاهرا وباطنا ، فمن عرف وعى ، ومن أقر أعلن ومن انقاد برهن على صدق إعلانه .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

تفسير سورة الصف

الحلقة الثالثة

للأستاذ / محمد عزة دروزه

(●) والآية الثانية من الآيات التي نحن في صددها أي الآية (٦) قد حكت أقوال عيسى عليه السلام لبني اسرائيل التي منها انـه بشر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد . وهـذا الاسـم مرادف في المعنـى والاشتقاق لاسم محمد الـوارد في القرآن الكريم والذي كان يتسمى به النبي صلى الله عليه وسلم منذ طفولته على ما هو متواتر يقيني . وأحمد صفة تفضيل من (الحمد) ولقد أورد ابن كثير في سياق الآية حديثا رواه البخاري عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لي أسماء . فأنا محمد وأنـا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الـذي يحشر الناس على قدمي . وأنا العاقب » . وأورد حديثا آخر رواه مسلم عن ابي موسى الأشعري جاء فيه ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه بأسماء فقال : « أنا محمد وأنا احمد والمقفى والحاشر ونبي الرحمة ونبي التوبة » .

(●) وفي سورة الاسراء هذه الآيات : **(قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتو العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا)** ١٠٧ و ١٠٨ . وفي سورة الاعراف هذه الآية : **(الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيـل يأمرهـم بالمعـروف وينهاهم عن المنكر ويحـل لهـم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم)** آية ١٥٧ . والذين اوتو العلم المذكورون في آيات الاسراء

هم أهل التوراة والانجيل حيث يكونون قد علموا بصفة رسول الله فيهما وحيث بلغهم بشارة عيسى عليه السلام به فرأوا في ظهوره ودعوته تحقيقا للصفات المأثورة ولبشارة عيسى فقالوا ان وعد ربنا قد تحقق فآمنوا وخشعوا .

(●) ولقد ذكرت البشارة والاسم بصراحة في انجيل يسمى انجيل برنابا (ترجم هذا الانجيل عن الطليانية الدكتور خليل سعادة وطبع في مطبعة محمد علي صبيح وأولاده في القاهرة عام ١٣٢٦هـ) . وإذا كان النصارى ينكرون هذا الانجيل فان في الأسفار المتداولة المعترف بها كثيرا من الاشارات والدلالات والتعبيرات التي يمكن صرفها الى تأييد ذلك مما أورد السيد رشيد رضا عليه الشواهد الكثيرة بأسلوب فيه من قوة الحجة ما فيه لاقناع غير المكابرين . وقد أورد ذلك في الجزء السابع من تفسيره العظيم وفي سياق تفسير آية الاعراف (١٥٧) واكتفينا بهذه الاشارة تفاديا من التطويل .

(●) وفي الاصحاح السادس عشر من انجيل يوحنا أحد الأناجيل الأربعة المعترف بها عبارات فيها تصديق لآية سورة الصف بخاصة التي تحكي بشارة عيسى عليه السلام برسول يأتي من بعده اسمه أحمد حيث جاء فيها (إن في إنطلاقي خيرا لكم . لأني إن لم انطلق لم يأتكم المعزى . ولكن إذا مضيت أرسلته إليكم . ومتى جاء يبكت الناس على الخطيئة وعلى البر وعلى الدينونة . وإن عندي كثيرا أقوله لكم . ولكنكم لا تطيقون حمله الآن . ولكن متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق . لأنه لا يتكلم من عنده بل يتكلم بكل ما سمع ويخبركم بما يأتي) . وكلمة (المعزى) جاءت في الطبعة البروتستانتية (البار قليط) والباحثون المسلمون يقولون إنها كلمة تعني الحمد . والنصارى يقولون إن البار قليط او المعزى المبشر بمجيئه هو روح القدس . مع أن روح القدس عندهم صفة من صفات الله غير منفكة عن ذات الله . وعبارة الانجيل تفيد بقوة أنه شخص يأتي بعد عيسى ويبكت الناس ويهديهم إلى البر . (انظر كتاب دليل الحيارى للامام ابن قيم الجوزية) . وما جاء في هذه الآية وفي آية الأعراف كان يتلى علنا . ولا يمكن أن يكون — ونقول ذلك من باب المساجلة — إلا بتسليم السامعين من أهل الكتاب به وقد آمنوا نتيجة لذلك . ومن لم يؤمن فقد كان مكابرا ختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة ...

(●) ولقد أورد المفسرون ومنهم الطبري وابن كثير والبغوى في سياق آيات الصف التي نحن في صددها بضعة أحاديث تفيد أن بشارة عيسى عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم مما كان متداولا على الألسنة في زمن النبي وبيئته ويؤيده إيمان أهل العلم والكتاب به مما سجله القرآن في آية الاعراف (١٥٧) وآيات القصص (٥٢ و ٥٣) وآيات الاسراء (١٠٧ و ١٠٨) المكية

وآيات آل عمران (١٩٩) والنساء (١٦٢) والمائدة (٨١ – ٨٣) المدنية منها حديث رواه ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار جاء فيه : (إن الله يقول لعيسى عليه السلام : هو عبدي المتوكل المختار ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزى السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، مولده بمكة وهجرته بطابة . ويملك الشام . وأمته الحمادون . يحمدون الله على كل حال . وفي كل منزلة لهم دوى كدوى النحل في جو السماء . بالسحر يعرضون أطرافهم . ويأتزرون على أنصافهم في القتال مثل صفهم في الصلاة . رعاة الشمس يصلون حيث أدركتهم ولو على ظهر دابة) ومنها حديث أخرجه الامام أحمد عن عبدالله بن مسعود – وأورده أيضا ابن كثير – جاء فيه فيما جاء : (إن عمرو بن العاص قال للنجاشي حينما جاء إليه موفدا من قريش للوشاية بالمهاجرين الأولين إلى الحبشة ولاسترجاعهم : إنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم فقال لهم : ما تقولون ؟ قالوا : نقول كما قال الله عز وجل : كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسسها بشر ولم يعترضها ولد . فرفع عودا من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان . والله ما يزيدون على الذي تقولون فيه ما يساوي هذا . ثم قال لهم مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده . أشهد أنه رسول الله وأنه هو الذي نجد في الانجيل ، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم . انزلوا حيث شئتم . والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه) ومنها حديث أورده الخازن والزمخشري عن كعب الأحبار جاء فيه (إن الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا أمة . قال : نعم ، يأتي بعدكم أمة حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم في الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل) .

(●) أما ما جاء في الآية (٦) من حكاية قول عيسى عليه السلام لبني إسرائيل إنه رسول الله إليهم ففي الأناجيل المتداولة التي يعترف بها النصارى كثير من العبارات المؤيدة لذلك وهذه طائفة من ذلك : (أراه إبليس جميع ممالك العالم ومجدها وقال له أعطيك هذه كلها إن خررت ساجدا لي . حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان . فانه قد كتب للرب إلهك تسجد له وحده تعبد) (متى ٤ – ١١) و (لا لكم أبا على الأرض فان أباكم واحد وهو الذي في السموات) (متى ٢٣ – ١٠) (ولكن لكي تعلموا أن ابن البشر له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا) (مرقس ٢ – ١٠) ويقصد نفسه بابن البشر . (فقال يسوع لماذا تدعوني صالحا إنه لا صالح إلا الله وحده) (مرقس) ، ١٠ – ١٩) و (فقال لهم إنه ينبغي لي أن أبشر المدن الأخرى بملكوت الله لأني لهذا ارسلت) (لوقا ٤ – ٤٤) .

(الحق الحق اقول لكم ان من يسمع كلامي ويؤمن بمن أرسلني له الحياة الأبدية ولا يصير إلى دينونة . ولكنه قد انتقل من الموت إلى الحياة) (يوحنا ٥ ـ ٢٥) و (أما أنا فلي شهادة أعظم من شهادة يوحنا لأن الأعمال التي أعطى لي الأب أن أتممها هذه الأعمال التي أنا أعملها هي تشهد لي بأن الأب قد أرسلني) (يوحنا الاصحاح ٥ ـ ٣٧) (فأجابهم يسوع وقال إن تعليمي ليس هو لي بل للذي أرسلني) (يوحنا ٧ ـ ٤٥) (فقال لهم يسوع إذا رفعتم ابن البشر فحينئذ تعرفون اني أنا هو وأني لست أفعل شيئا من عندي ولكني كما علمني الأب كذلك أقول (يوحنا ٨ ـ ٢٩) (فصاح يسوع وقال من آمن بي فليس بي يؤمن بل بالذي ارسلني) (يوحنا ١٢ ـ ٤٥) (إن تعليمي ليس هو لي بل للذي أرسلني . ان شاء أحد أن يصنع مضيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أنا أتكلم من عندي . إن من يتكلم من عنده إنما يطلب مجد نفسه فأما الذي يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق ولا جور عنده (يوحنا ٧) (أما أنت فاذا صليت فادخل مخدعك وصل إلى أبيك في الخفية وأبوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك) (متى ٦ ـ ٧) .

(ابانا الذي في السموات ... إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم) متى . (طوبي لصانعي السلام فانهم أبناء الله يدعون) (متى ٥ ـ ١٠) .

(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم (١٠) تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (١١) يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم (١٢) وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين (١٣) سورة الصف .

شرح وتعليق :

(١) عبارة الآيات واضحة . ولم يورد المفسرون رواية ما في صددها . والمتبادر أنها متصلة بمطلع السورة . وفيها عود على بدء في الحث على الجهاد . وهذا يؤيد ما قلناه إن الآيات التي جاءت بعد المطلع قد جاءت على سبيل التعقيب والاستطراد والتدعيم . ويسوغ ترجيح نزول هذه الآيات وما قبلها معا .

(٢) أسلوب الحث والترغيب الذي جاءت عليه قوى . وقد احتوت بشارتين للمؤمنين الذين وجه إليهم الخطاب . أولاهما ، أخروية وهي رضاء الله تعالى ومغفرته وجناته . وقد قدمت بالذكر لأنها خير وأبقى . وثانيتهما ، دنيوية مما يحبونه وهي النصر في الجهاد الذي يدعون إليه والفتح السهل القريب الذي سوف ييسره الله لهم .

(٣) وسورة الفتح التي تأتي في روايات ترتيب النزول بعد سورة

الصف مباشرة قد احتوت تنويها عظيما بفتح الله المبين الذي قصد به صلح الحديبية . واحتوت كذلك إشارة إلى فتح قريب ومغانم كثيرة يسرها الله للمسلمين . وهذا ما كان نتيجة غزوة خيبر وما بعدها التي كانت بعد صلح الحديبية مباشرة تقريبا . وهكذا تكون البشارة الدنيوية التي احتوتها الآيات لم تلبث أن تحققت فكان ذلك من منجزات القرآن الباهرة .

(٤) وقد يكون هذا التوافق بين السورتين دليلا أو قرينة على صحة ترتيب هذه السورة بين يدي سورة الفتح .

(٥) ولقد كان ما احتوته الآيات من بشائر دنيوية وما احتوته آيات أخرى من إشارات إلى الغنائم التي تدخل في يد المسلمين نتيجة للحركات الجهادية التي يقومون بها وسيلة لغمز أعداء الاسلام ، وقولهم : إن القرآن كان يثير في نفوس المسلمين مطامع الغنائم والفتح فيحملهم على القتال حتى لقد قال بعضهم : إن بعض الوقائع الحربية مثل وقعة خيبر لم تكن إلا وسيلة إلى ملء أيدي المسلمين بالغنائم ومكافأة لهم على الاسلام .

وننبه أولا على أن حث المسلمين على القتال لم يقتصر في أي موضوع قرآني على الاغراء بنتائجه الدنيوية . بل كان الترغيب في ذلك يأتي على الهامش كما يظهر من الآيات التي نحن في صددها وفي آيات كثيرة مثبوتة في سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والأنفال ، والتوبة ، والأحزاب ، بل إن أكثر الآيات التي حثت على الجهاد قد اقتصرت على الترغيب برضاء الله وجزائه الأخروى . وعلى بيان ما في الجهاد من واجب عظيم وضرورة مبرمة لاعلاء كلمة الله ومقاتلة العدوان وضمان حرية الدعوة إلى دين الله وحرية المسلمين وأمنهم ومن دليل على صحة إيمان المؤمنين . بل وكان الخطر والقتل والأذى والغم والفرح والجهد هو الأكثر توقعا وورودا والذي نبه إليه القرآن في آيات كثيرة : (اقرأ آيات البقرة ١٩٥ و ٢١٦ و ٢١٨ وآل عمران ١٥١ ـ ١٧٥ والنساء ٧٤ ـ ٧٩ و ٨٣ و ٩٤ و ١٠٠ و ١٠٤ والأنفال ٨ و ٣٨ ـ !؟ و ٦٧ ـ ٦٨ والتوبة ٢٤ و ٣٨ ـ ٥٣ و ٨١ ـ ٩٩ و ١١١ و ١١٩ و ١٢٢ والأحزاب ٩ ـ ٢٠ .

وننبه ثانيا على أننا لسنا نرى شذوذا أو محلا للفخر بالقرآن حتى فيما احتواه من بشرى الفتح والغنائم والترغيب فيها لأن ذلك متسق كل الاتساق مع طبيعة الحياة . وهذا هو أسلوب القرآن عامة في معالجة الأمور ، مما فيه حكمة سامية ترشح الشريعة الاسلامية للخلود .

وفي صدد (جنات عدن) نقول : إن هذه العبارة وما يقاربها تكررت في القرآن . ولقد ذكرت جنة عدن في سفر التكوين أول اسفار العهد القديم على أنها هى التي أسكن الله آدم فيها حينما خلقه ولا يعرف يقينا كتاب هذا السفر ومصدره وزمنه وإن كان فيه

ما يفيد أنه كتب بأقلام إسرائيلية بعد موسى عليه السلام بمدة طويلة . وفي آثار سبأ اليمن المنقوشة جنات اسمها (أدنت) ويرجح أن اسم عدن اليمن المشهورة إلى اليوم تطور عنها . فيجوز أن تكون هذه الجنات مما كان مشهورا بحسن سنائه وروائه في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم .

ولقد اقتضت حكمة التنزيل وصف نعيم الآخرة وعذابها بأوصاف دنيوية للتأثير والترغيب والترهيب فيجوز أن يقال إن الله سبحانه أراد تبشير عباده الصالحين بجنات مثل الجنات التي سمعوا بها وسماها باسمها والله تعالى أعلم .

(يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ١٤)الصف / ١٤ .

شرح وتعليق :

(١) وهذه الآية متصلة بالموضوع نفسه بأسلوب آخر فيه تمثيل وتذكير وحث ودعوة إلى الناس :

● فالمؤمنون بالرسالة المحمدية مدعوون إلى أن يكونوا أنصار الله .

● وعليهم أن يتأسوا بالحواريين الذين استجابوا إلى دعوة عيسى ابن مريم عليه السلام حينما هتف قائلا : **(من أنصاري إلى الله)** فأعلنوا أنهم أنصار الله .

● وكان نتيجة لذلك أن آمنت طائفة من بني إسرائيل بعيسى ورسالته ، وكفرت طائفة ، فأيد الله تعالى المؤمنين على أعدائهم فظهروا عليهم وانتصروا .

(٢) والتأسى المطلوب هو أن يستجيب المؤمنون بالرسالة المحمدية لهتاف رسول الله ودعوته إلى نصره والجهاد في سبيل الله .

(٣) والفقرة الأخيرة من الآية تنطوي على بشارة ضمنية للمؤمنين بالرسالة المحمدية إذا ما استجابوا لدعوة الرسول إلى النصر والجهاد حيث يكون الله تعالى مؤيدهم على الذين كفروا بهذه الدعوة ومظهرهم عليهم .

(٤) وهذه الفقرة تنطوي كذلك على بيان وأسباب ما سجله التاريخ قبل نزولها وإلى حين نزولها من حقيقة وهي انتصار الذين آمنوا بعيسى عليه السلام على الذين كفروا به من بني إسرائيل .

(٥) والآية وثيقة الصلة بما قبلها . والمرجح أنها نزلت معها ومع ما قبلها معا .

(٦) وواضح أن العبارة القرآنية لا تفيد أن الحواريين هم فقط الذين آمنوا برسالة عيسى عليه السلام من بني إسرائيل في حياته . بل تفيد أن جماعة أخرى قد آمنت أيضا وهو ما كان فعلا وحقيقة .

(٧) وجملة : **(فأصبحوا ظاهرين)** قد تفيد أن الانتصار الذي تم للمؤمنين برسالة عيسى على

الكافرين بها قد وقع بعد وقت ما . وهو ما كان فعلا وحقيقة أيضا .

(٨) وننبه في هذه المناسبة على أن في القرآن الكريم آيات كثيرة فيها توكيد رباني بنصر الله للمؤمنين ولرسله وبنصر الله لمن ينصره وكون نصر المؤمنين حقا على الله عز وجل وعلى أن معظمها موجه للمؤمنين بالرسالة المحمدية (اقرأ آيات البقرة ٢١٤ ، والتوبة ١٥ و ٣٠ ، والأنفال ٢٦ ، والحج ٤٠ ، والروم ٤٧ ، والصافات ١٧١ ـ ١٧٣ ، وغافر ٥١ ومحمد ٧) .

(٩) وكلمة : **(الحواريين)** قد تكررت في القرآن حيث جاءت أيضا في سورتي آل عمران والمائدة . وعلى رأي جمهور المفسرين ومنهم الطبري والبغوي وابن كثير والنسفي والخازن أنها عربية الأصل والمعنى مع اختلاف في التخريج . حيث قيل : إنها من (الحور) وهو البياض ، لأن الحواريين كانوا يلبسون الثياب البيضاء . أو من (الحواري) وهو لباب الدقيق وخالصه . وأطلقت الكلمة عربيا ومجازا على صفوة اخصاء الشخص وخالصتهم له .

ومما قيل : إن (الحواري) قد يعني النظيف النقي . ومن ذلك إطلاق (الحورية) و (الحوريات) و (الحور) على النساء الحضريات أو على من تكون ألوانهن ناصعة البياض أو شديدة النظافة .

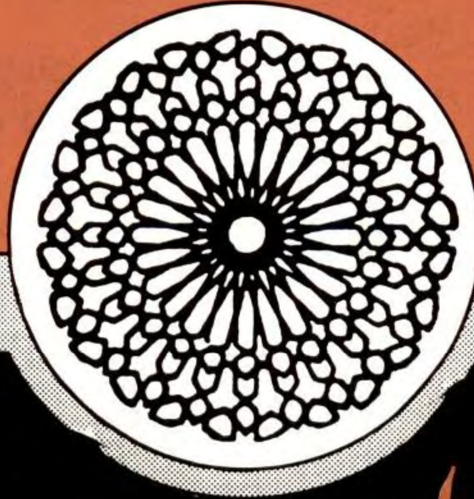
ومما قيل : إن (الحور) في اللغة هو شدة بياض العين . ومنه الحور العين . واستنتج بعضهم أنها بمعنى النصير من حديث رواه الشيخان والترمذي جاء فيه : « ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ندب الناس يوم الأحزاب كان الزبير بن العوام رضي الله عنه أول الملبين مرة بعد مرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواريي من أمتي الزبير » ولا يفيد الحديث كون الكلمة بمعنى النصير لغويا . وربما كانت بقصد تشبيه الزبير بحواريي عيسى الشديدي الاخلاص والاستغراق فيه ..

ولقد أرجع بعض الباحثين الكلمة إلى (حوارا) الآرامية بمعنى (الأبيض) وقالوا : إنها دخيلة على اللغة العربية . واللغة العربية واللغة الآرامية من أصل واحد . فلا يستبعد أن تكون الكلمة مشتركة . ولا يمكن القول إنها دخيلة لأن معناها لغويا عربيا ، البياض أيضا . ومما ذكره السيد رشيد رضا أن بعض كتاب النصارى زعموا أن الكلمة محرفة عن كلمة (الخورى) اليونانية الأصل وفند الامام رشيد هذا الزعم لغويا وصرفيا واستعمالا تفنيدا قويا .

(١٠) هذا ، والحواريون اثنا عشر على ما ذكرهم أصحاب الأناجيل . وهم سمعان المدعو بطرس ـ اندراوس اخوه ـ يعقوب ابن زبدى ـ اخوه يوحنا ـ فيلبس ـ برتلماوس ـ توما ـ متى العشا ـ يعقوب بن ملفى ـ تدارس ـ سمعان الثانوي ـ يهوذا الاسخربوطي .

(انجيل متى ١٠ ـ انجيل مرقس ٣ انجيل لوقا ٦)

والحمدلله رب العالمين



في ظلال التفسير النبوي للقرآن الكريم

للأستاذ : محمد العفيفي

ترتيب الرسول لآيات القرآن وسوره وتنظيم معرفتنا الانسانية :

١ ـ ترتيب السنة لآيات القرآن وسوره واستيعابه لكل أحوال المعرفة الانسانية .

٢ ـ البدايات والنهايات وأهميتها الكبرى في ترتيب آيات الله الكونية والقرآنية .

٣ ـ حدود المعرفة الانسانية في معرفة الترتيب الالهي في أجزاء الكون .

١ ـ ترتيب السنة لآيات القرآن وسوره واستيعابه لكل أحوال المعرفة الانسانية :

جعل الله السنة هي التي ترتب آيات القرآن وسوره ، حيث أمر الله رسوله بالقيام بهذه المهمة الكبرى .

وترتيب السنة لآيات القرآن ، له نتائجه العملية ، التي تربط عقولنا وقلوبنا ربطا وثيقا بالقرآن والسنة . فاذا تم هذا الفهم لمن كان أهلا له ، من الذين يتلون كتاب الله حق تلاوته ، ويجعلون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بابا مفتوحا دائما بينهم وبين كتاب ربهم ، كان ذلك هو السبيل الى التفسير الصحيح لكل حقائق الكون والحياة .

إن ترتيب السنة لآيات القرآن وسوره ، تؤدي إلى تنظيم التفكير الانساني ، مع كل صلة بين أحد من الناس ، وبين أي قليل أو كثير من القرآن .

ولننظر مثلا في هذه الجملة القرآنية وهي قوله تعالى : **(أفلا يتدبرون القرآن)** وقد جاءت ـ بسورة النساء في قوله تعالى : **(أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)** (٨٢) النساء .

ثم جاءت ـ بسورة محمد في قوله تعالى :

(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) (٢٤) محمد .

إن هذا الترتيب في سور المصحف ، يجعلنا نتذكر مع اتصال القراءة أن هذه الجملة السابقة وكذلك كل قول قرآني آخر مهما قل أو كثر ، مما يجعل تفكيرنا منظما ومرتبا على نحو موافق تماما للواقع العملي في الكون والحياة .

فآية سورة النساء تبين لنا مصدر القرآن وهو الله تعالى ، والله متفرد بصفات الألوهية وليس كمثله شيء لذلك فان القرآن لا ينبغي أن تجد فيه أي اختلاف .

يأتي هذا في ترتيب السور ـ اولا ـ ثم يأتي ـ أخيرا ـ في سورة محمد باب أخير في قضية تدبرنا للقرآن ، يبين لنا أن الذين لا يتدبرون القرآن إنما هم منغلقون على أنفسهم ، فلا يتم لهم أي صلة بالحق واليقين .

وهكذا تبدأ القضية السابقة وتنتهي في ترتيب موافق تماما للواقع العملي ، حيث نزل القرآن وحيا من الله تعالى ، فكان ذكره أولى بالتقديم ، ثم وجب على الناس أن يتدبروا القرآن ، فكان ذكرهم أولى بالتأخير .

ولولا وجود الجملة السابقة بموضعيها كما تم ترتيبهما في هاتين السورتين ، ما ظهرت لنا أهمية هذا الترتيب كما تتجلى في الآيتين السابقتين من سورة النساء ثم سورة محمد .

وهكذا تفتح السنة أمام العقل البشري ، أبواب كل العلوم ، في ترابط وانسجام ، وأخلاق فاضلة ، ومشاهد جميلة ، في وحدة وتنوع ، لا مجال معها لأي تناقض بين العقيدة

الصحيحة ، والقول الصادق ، والعمل الصالح .

ذلك أن الذي يجعلنا نشعر بالوحدة والتنوع ، والجمال والكمال في كل ما يحيط بنا من آيات الله القرآنية وآياته الكونية ، إنما هو هذا الترتيب الالهي ، لأجزاء كتابه القرآني ، وكتابه الكوني ، مع استقلال كل منهما بحقيقته ، لأن الخلق غير الكلام ، وإن كان مصدرهما الواحد هو الله تعالى وحده لا شريك له .

والقرآن في جملته وتفصيله ، مرتب هذا الترتيب ، الذي تظهر لنا آفاق عظمته ، مهما تتجدد حاجاتنا إلى النظر في الارتباط بين أي جزء من أجزائه ، وبين القرآن كله في جملته الواحدة ..

وهنا يتجلى لنا أن القرآن لا يحاط بكل ما فيه من الاعجاز .

فنحن لا نستطيع أن نحصي الروابط بين قليل القرآن وكثيره ، وإنما سبيلنا إلى ذلك ، أن نعمل بما علمنا منه ، وأن نؤمن بما لم نحط به من علومه ، فنرده إلى عالم كما أرشدتنا السنة المطهرة إلى ذلك .

وننظر فنجد البشر لا يستطيعون أن يحصروا حاجاتهم إلى ما تتعدد مواضعه من حروفهم في كلماتهم ، ثم من كلماتهم بين الكلام كله في أي كتاب من كتبهم ، أو في أي حوار من حوارهم ، الذي يديرونه فيما بينهم .

أما كلام الله فهو يحمل معه إعجازه العظيم ، في تقدير الله لمواضع كل حرف أو كلمة أو جملة ، بحيث نقرأ القرآن قراءة متصلة فنتذكر الآيات المتشابهة ، ويلفت أنظارنا ما تحتوي عليه من المقاصد المتنوعة المتجلاة ، لنستخلص من كل منها ما خصه الله به من وجوه العلم ، ونكتشف الترتيب المعجزة في هذه المقاصد ، التي تتفق دائما ، مع ما يخضع لها من آيات الله الكونية .

وكذلك نجد النظام نفسه إذا ربطنا بين معرفتنا الانسانية وبين أجزاء الآيات القرآنية من حرف أو كلمة أو جملة ، حيث لا يتوقف البحث العلمي عند القراءة المتواصلة ، وإنما يتسع القرآن للبحث المباشر في كل جزء من أجزاء الآيات كلما تعددت مواضعه في القرآن كله ، لاستخلاص الأشباه والنظائر ، واستنباط الأحكام .

بل إن الأمر أعظم خطرا من ذلك ، حين تربط بين هذه الحقيقة المذهلة ، المليئة بدلائل الاعجاز ، وبين تفسير السنة للقرآن ، وارتباط مدلولات الأحاديث الشريفة كل منها فيما يخصه ، بمدلولات الآيات ومقاصدها .

ولعل هذا هو الأساس العظيم الذي جعل ابن جرير الطبري يخص كل عدد يسير من آيات القرآن في تفسيره ، بعدد كبير من الأحاديث الصحيحة التي تكفي وحدها ، لتفسير القرآن وتطبيقه تطبيقا عمليا على وجودنا ومعرفتنا بكل مكان وزمان ، بحيث يتنوع العمل في الآيات ، ثم يتجدد هذا التنوع في الأحاديث التي تفسرها ، والمقاصد واحدة ، في جملتها وتفصيلها ، لأن الله خص القرآن بما خصه به من

المقاصد ، ثم جعل السنة تنطلق بهذه المقاصد ، وتربطهما بحركة الوجود البشري ، في كل مكان وزمان .

٢ ـ البدايات والنهايات وأهميتها الكبرى في ترتيب آيات الله الكونية والقرآنية :

الوحدة والتنوع في آيات القرآن وسوره ، تقوم على ترتيب الآيات والسور ، كما تقوم على بداية ونهاية معلومة ، لكل سورة بين السور ، وكل آية بين الآيات .

فهذه البدايات والنهايات هي المعالم القرآنية ، التي تبين لنا الاعجاز ، في شكل القرآن ومضمونه ، بل إن هذا الفراغ هو الذي نرى من خلاله البدايات والنهايات لكل كثير أو يسير من الحروف ، والكلمات ، والجمل ، والآيات والسور .

فهكذا جعل الله كلا من القرآن والسنة ، مستقلا بتكوينه اللغوي ، حتى يكون هناك مجال لرؤية الوحدة والتنوع ، في كل منهما ، ومجال لمعرفة المقاصد المتجددة ، بكل منهما .

وهذا أمر له دلائل مماثلة في آيات الله الكونية ، كما ننظر فنجد الماء ملحا في البحر ، وعذبا في الأنهار ، فاذا تجاور هذا ، وهذا ، لم يبغ أي منهما على الآخر ، وإنما يتحرك كل نوع في مجالات حركته ، فتكثر نعم الله على خلقه ، ويدل بعضها على بعض ، وتتجدد النعم وتتنوع ، وكلها من الله وحده لا شريك له .

ولولا التفرق بين النجوم والكواكب والأقمار ، ما عرفنا كل نوع من هذه الأنواع ، بذاته ، إن تأملناه بصفة خاصة ، وما كانت هناك وحدة مترابطة ، بين أنواع الخلق كلها ، نكتشفها إذا نظرنا نظرة عامة إلى الكون كله ، لنجد الأقمار تدور حول الكواكب ، والكواكب تدور حول النجوم ، وهي تجري ـ مع ذلك ـ إلى قدر معلوم ، وكل في فلك يسبحون .

ونحن كلما أنعمنا النظر في هذه الفروق الدقيقة ، بين الوحي الالهي من قرآن وسنة ، وبين كلامنا البشري العادي ، مهما يكن مصدره ، في الفكر أو الفلسفة أو مصطلحات علومنا البشرية ، أمكننا أن نعرف الفضل العظيم لكلام الله وسنة رسوله ، في استيعاب حركة الوجود البشري ، بكل دقائقها ، والاحاطة بكل حاجاتنا إلى التقدم الاخلاقي والمادي . الذي لا ينفرط به عقد الحياة ، ولا تختلف دروبها ، ولا تتداعى معه الأفكار ، والأقوال والأعمال ، على حقائقها ، وإنما تصبح الحياة الانسانية ، على كثرة أهدافها وتنوعها ، كالشجرة الكثيرة الألوان والثمار ، التي لا تكشف عن الحركة والتجدد ، وقد أخذ كل جزء من أجزائها موضعه الصحيح ، وكل لون من ألوانها تركيبه الدقيق ، وكل حركة من حركاتها ، زمانها ومكانها المتفق مع وحدة الكون وتنوعه ، ومسيرة الدنيا كلها وهي في طريقها إلى الآخرة .

٣ ـ حدود المعرفة الانسانية في معرفة الترتيب الالهي لأجزاء الكون :

ونحن كلما أنعمنا النظر في قضية الترتيب الذي أتمه الله لآيات القرآن وسوره ، علمنا أن أي علم بشري ، لا بد أن يكون خاضعا لكتاب الله وسنة رسوله ، ليستلهم هذا المنهج العظيم ، في بيان حدود المعرفة الانسانية ، وتفسير حاجاتنا الدائمة للوحي الالهي .

ولننظر إلى ترتيب المعاني بهذه الآية من آيات القرآن .

١ ـ أو لم يتفكروا في أنفسهم .
٢ ـ ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى
٣ ـ وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون . (٨) الروم .

إن ترتيب هذه الآية بموضعها من سورة الروم ، يؤدي دوره العظيم في بيان عظمة هذا الترتيب ، وما فيه من وجوه الاعجاز التي لا يحيط بها العقل البشري .

ويكفي أن نشير معا ـ هنا ـ إلى الوقف على أجزاء هذه الآية كما نجدها في قطاعاتها الثلاثة المبينة في الرسم الذي نجده في طبع هذه الآية على هذه الصفحة :

إن قوله تعالى **(أو لم يتفكروا في أنفسهم)**

يبدأ من داخل النفس الانسانية ، حيث يسبق التفكير دائما ـ كل قول وكل عمل .

لذلك علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، كيف نقف هنا ، وتكفل علماء التجويد والقراءات ببيان ذلك نقلا عن السنة الصحيحة .

والوقف هنا يؤكد هذا الترتيب في أجزاء هذه الآية ودلالاتها .

ثم يأتي قوله تعالى :

(ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى)

ليخرج أفكارنا من داخل أنفسنا ، حتى تواجه الترتيب الكوني كله ، بكل ما فيه من ثبات الخصائص ، وحركتها الدائبة في كل التراكيب والتراتيب ، والارتباطات ، التي يقوم عليها كل ما في الحياة من أصالة وتجديد .

ثم يأتي قوله تعالى :

(وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون)

ليختم لنا هذا الترتيب في أجزاء الآية ، بما يتبين معه إخفاق الكفار في فهم حقيقة التركيب الكوني الذي يدل على حتمية انتهاء الدنيا وإقبال الآخرة .

وواضح أن ترتيب أجزاء هذه الآية يقدم لنا نمونجا للاعجاز في ترتيب القرآن إذا قرأناه قراءة متواصلة ، بعد ما سبق من ظهور الاعجاز الذي رأيناه من قبل ونحن ننظر في أي جزء من أجزاء القرآن ، من حيث مواضعه وارتباطاته ، وما يؤدي إليه هذا النظر من ترابط المعلومات في المعرفة الانسانية في سياق واحد لا سبيل الى نقضه بأي حال من الأحوال .

ولكن الذي يهمنا هنا في المقام

الأول أن الله جعل لمعرفتنا الانسانية حدودا من حيث قدرتنا على تحصيل العلم من الوحي الالهي ، أو من خلق الله لمخلوقاته التي فطرها وجمعها في ترتيب كوني جامع لأجزائها ، ومواضعها وارتباطاتها ، وحركتها المتواصلة من الدنيا إلى الآخرة .

وحدود معرفتنا الانسانية مع القرآن ، لها طريقان اثنان لتلقي المعاني وبيان ترتيبها الذي يسره الله لعقولنا .

فأما الطريق الأول فهو يقوم على التلاوة المتواصلة التي هي أقرب ما تكون بالنظرة العامة الشاملة إلى آيات القرآن كما هي مرتبة في سورها .

وأما الطريق الثاني فهو يقوم على النظر إلى أي قدر من أجزاء القرآن ، من حيث ارتباطاته المتجددة بمواضعه في الآيات والسور .

فاذا نظرنا إلى مثل ذلك في آيات الله الكونية ، وجدنا حدود معرفتنا الانسانية ، متفقة تماما ، مع الطريقتين السابقتين ، لا تتعداهما أبدا بأي حال من الأحوال .

١ ــ فهناك النظر العام الذي يشمل آيات الله الكونية ، وهنا تختزن الذاكرة الانسانية المعلومات مرتبة كما رتبها الله في الواقع العملي للكون والحياة .

فالشمس لا بد أن تشرق ، حتى تظهر معالم الحياة ، وحتى يذهب النوم وتأتي اليقظة ، وحتى تتحرك الحياة الانسانية في نشاطها اليومي .

والفلاح لا بد أن يضع البذور في موضعها من باطن الأرض ، حتى تتبع ذلك مراحل الانبات والاثمار .

٢ ــ وهناك النظر في مواضع جزء بذاته من أجزاء المادة ، كما يبحث الباحثون عن مناجم الذهب ، فاذا الذهب نفسه هو الذي يفتح لهم ابواب وجوده ، كلما طالعهم بخصائصه التي يدل عليها ، تكوينه الشكلي ، ابتداء ، ثم يتبع ذلك ما نعرفه من ثبات خصائصه الواحدة ، بكل مكان وزمان .

والمجتمع الانساني والكوني كله ، يقوم على هذه الحركة المرتبة المعالم ، حيث يحمل كل فرد من خصائص مجتمعه ، ما يربطه به ويدل على ترتيبه بين أفراده جميعا ، وإن كانت حدود معرفتنا الانسانية ، مؤكدة لنا دائما ، أن العلم الحقيقي ، لله تعالى وحده لا شريك له .

فلا أحد من البشر ، يستطيع أن يحيط بالمعلومات الدقيقة ، في أي أمر لشدة خفائها ودخولها في أعماق الغيب .

ولا أحد من البشر ، يستطيع أن يستقطب كل معالم الوجود الكوني ، لسعته وكثرته .

والله وحده هو الذي لا يكثر عليه كثير لكثرته ولا يخفي عليه دقيق لدقته .

والانسان في ذلك كله بين اثنتين :
أولاهما ــ أن ينظر نظرا عاما فتنحسر رؤيته عن كل معالم الرؤية لكثرتها واتساعها .
وثانيتهما ــ أن ينظر نظرا خاصا

لمواضع أي جزيء من أجزاء الخلق ، ليرصد الأصالة والتجديد في ارتباطاته بكل مواضعه التي يتيسر الوصول اليها .

ولا شك أننا في الحالين لا نستطيع الاحاطة بترتيب ما هو عام بسبب كثرته على مداركنا .

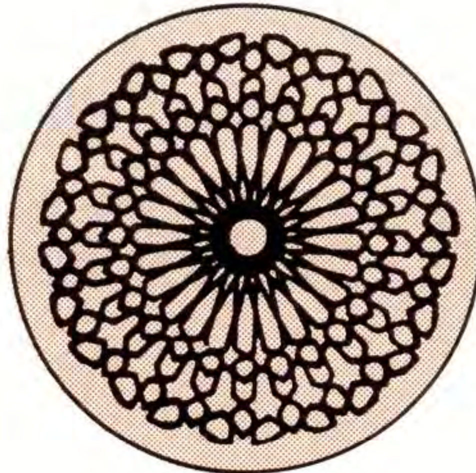
كما أننا لا نستطيع أن نرد كل جزيء إلى ترتيبه بين أفراد مجتمعه كلهم ، لخفاء هذه الصلة الدقيقة بين كل جزئ وبين ما يربطه بترتيبه بين أفراد مجتمعه .

وقد نتساءل عن صلة ذلك بترتيب السنة لآيات القرآن وسوره ، وعظمة هذا الترتيب ، في تفسير كل شيء ، من أشياء الكون والحياة .

والجواب على هذا التساؤل نجده بقوله تعالى :

(تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور . الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير) (١-٤) الملك .

لقد علم الله رسوله هذا كله ، كما علمه كيف يرتب آيات القرآن وسوره . وكفى بذلك دليلا على حدود المعرفة الانسانية وحاجاتنا المتجددة إلى القرآن والسنة ولتنظيم الفكر البشري ، تنظيما لا ينبغي أن نجد له في كل محاولات البشر مصدرا مماثلا للوحي الالهي .





الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

للدكتور عبد الحليم محمود

يقول الله تعالى :
(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران/ ١٠٤ .

ونبدأ فنقول :
إن كلمة **(من)** في قوله تعالى **(منكم)** إنما هي للتبعيض ، أخرجت من لا يستطيعون الدعوة إلى الخير ، ولا يستطيعون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لعجزهم أو جهلهم أو ضعفهم ..

والأمة كلها إذن — ما عدا من لا يستطيعون — مأمورة بالدعوة إلى الخير ، ومأمورة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وذلك أن الآية الكريمة افتتحت بالأمر :
(ولتكن منكم أمة) .

وهذه الصيغة أمر ، لأن اللام في قوله تعالى : **(ولتكن)** لام الأمر ..
على أن القرآن صريح في إيجاب الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر على كل الأمة ..

يقول سبحانه :
(كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران / ١١٠ .

وتتفاوت استعدادات الناس ومراكزهم فيما يتعلق بمسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فبعضهم يأمر بيده ، أى يغير المنكر ويقف في وجهه بالقوة ، وهذه مرتبة الحكام ..

ومنهم من يقف في وجه المنكر بلسانه ، وتلك مرتبة كل عارف ، وليست خاصة بطبقة دون طبقة من الناس ، وذلك أن معرفة الأمي بأن السرقة حرام ، كمعرفة العالم بحرمتها ، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالخمر أو الاختلاس ، أو الاغتصاب .

والمسئولية تترتب على المعرفة ، فما دامت هناك معرفة فهناك مسئولية ، ولا تختص — إذن — مسئولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر القولية بعلماء الدين فحسب ، وإنما هي موزعة على كل من يعلم بالمعروف ويعلم بالمنكر ..

ومن الناس من لا يستطيع أن يقف في وجه المنكر إلا بقلبه ..

وهذه الطبقة — وإن كانت في المرتبة الأولى — طبقة الذين لا يستطيعون الجهاد باليد ، ولا الجهاد باللسان ، فانها — في حقيقة الأمر — تعم جميع أفراد الأمة ، أى أن المجاهد بيده يجب أن يكون في الوقت نفسه مجاهدا بقلبه ...

والمجاهد بلسانه يجب في الوقت نفسه أن يكون مجاهدا بقلبه ، وينتفي الايمان — في وضعه السليم الصادق — بانتفاء الجهاد القلبي :
والجهاد القلبي معناه : عدم الرضا عن فعل المنكر ومظهر عدم الرضا إنما

هو اعتزال فاعل المنكر إذا لم يرعو ولم يأخذ بالنصيحة ، فاذا كان تاجرا لا يشترى الانسان منه ، واذا كان مشتريا لا يبيعه ، واذا كان صديقا يقطع صداقته ، فلا يؤاكله ولا يشاربه ولا يجالسه .. واذا كان مرشحا لأية هيئة نقابية ، مثلا ، لا يساعده ولا يعينه ، ولا ينتخبه ، وذلك أن المجاهر بالمنكر محاد لله ورسوله ، وجزاء الذين يحادون الله ورسوله معروف ، وقد حرم الله ـ سبحانه ـ أن يعقد المؤمن صداقة ومودة بينه وبين الذين يجاهرون بالمنكر ، فقال سبحانه :

(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) المجادلة/ ٢٢ .

هذا هو الجهاد القلبي : إنه ليس جهادا سلبيا ، كلا ، وإنما هو في حقيقة الأمر علاج حاسم للمجاهرين بالمنكر ، وذلك أن المجاهر بالمنكر ، حينما يشعر بنفسه مهينا في المجتمع وحينما يشعر بأن الناس يعتزلونه كما يعتزلون وباء خبيثا ، فانه يعود مضطرا أو مختارا إلى الجادة :

عن أبى سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول :

« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » رواه مسلم .

ولقد بدأت هذه الآية الكريمة بالدعوة إلى الخير ..

والخير في الآية الكريمة هو الأخلاق الفاضلة ..

والأخلاق في جو الاسلام مرتبطة بالدين ارتباطا لا ينفصل : منه تنبع ، وعلى أساسه تقوم ، وعنه تصدر ، إنها جزء من الدين الاسلامي لا يتجزأ ، مصدرها هو مصدره : إلهي رباني ..

وبعض الناس في العصر الحديث يريد أن يجعل للأخلاق مصادر أخرى .. يريد بعضهم أن يجعل أساس الأخلاق الضمير ، بيد أن ذلك خطأ بين ، فالضمير يربى ويكون ، وتربيته وتكوينه هما شكله ، ونزعته ، واتجاهه ، الذي يتكيف بحسب الثقافة والبيئة والعصر والوسط . أين مثلا الضمير عند الأمريكي بالنسبة للأمريكي الأسود ؟ وأين ضمائر البيض في جنوب إفريقيا بالنسبة لأهل البلاد الأصليين ؟ وأين ضمير المستعمر أينما كان بالنسبة للمستعمر ؟ إن الضمير أحيانا يصنع كما تصنع الزينات ، وهو إذن مقياس للأخلاق خاطئ ..

وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلى المصلحة العامة ، ولكن المصلحة العامة كلمة غير محددة ، وكل من يتحدث باسم المصلحة العامة : إنما يتحدث باسم فكرته هو ، سواء

أكانت هذه الفكرة منحرفة أم ليست منحرفة ..

والمصلحة العامة إذن كأساس للأخلاق ، إنما هي : أساس غير مضمون ..

وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلى المصلحة الشخصية ، أو إلى اللذة ، او إلى المنفعة .. وكل هذا وارد الغرب الأوروبي ، أو الغرب الأمريكي ، عندما انحرف هذا الغرب وألحد ...

أما وارد الشرق الاسلامي ، أو بتعبير أدق ، وارد الاسلام الالهي ، فان مقياس الأخلاق فيه إنما هو المبادىء الدينية ، إنما هو آيات القرآن ، وإنما هو الفضائل التي أوحاها الله ، سبحانه وتعالى هذه الفضائل التي حددها القرآن في أسلوب عربي مبين ، وركزها القرآن والسنة على أسس من الايمان قوية ثابتة .

ومنها مثلا :

(إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) النحل/ ٩٠ .

ومنها قوله تعالى :

(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) البقرة/ ١٧٧ .

ومن أجمعها الآيات الجميلة حقا التي تختتم بها سورة الفرقان ، والتي تبدأ بقوله تعالى :

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) الفرقان/ ٦٣ .

ويقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في شمول وتعميم ، كما يروى ابن مردويه بسنده ، عن أبى جعفر الباقر ، قال :

قرأ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

(ولتكن منكن أمة يدعون إلى الخير) .

ثم قال : « الخير اتباع القرآن وسنتي » رواه البيهقي .

ولقد أمرت الآية الكريمة بالدعوة إلى الخير ، ثم أمرت بالمعروف ، والنهى عن المنكر ..

وعن هذا المبدأ الاسلامي الأصيل يقول صاحب الاحياء :

« إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هو القطب الأعظم في الدين ، وهو الهدف الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه وأهمل عمله لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ، وعمت الفتنة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد ، واتسع الخرق ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ، وإن لم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد ، وقد

كان الذي خفنا أن يكون ، إنا لله وإنا اليه راجعون ، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه ، وانمحى بالكلية حقيقتــه ورسمــه ، واستولــت على القلوب مداهنة الخلق ، وانمحت عنها مراقبة الخالق ، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرســال البهائم ، وعز على بســاط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم ، فمــن سعــى في تلافي هذه الفتنة ، وسد هذه الثلمة ، إما متكفلا بعملها ، أو متقلدا لتنفيذها ، مجددا لهــذه السنــة الدائــرة ، ناهضــا بأعبائها ، ومتشمرا في إحيائهــا ، كان مستأثرا من بين الخلق باحياء سنة أفضى الزمــان إلى إماتتهــا ، ومستبدا بقربة تتضــاءل درجــات القرب دون ذروتها » ..

وكما بين الله تعالى المعروف بيانــا شاملا في القرآن الكريم ، وفي السنة النبوية الشريفة ، فانه سبحانه بين المنكر بيانا شافيا أيضا ، ومن أجمع الآيات في بيان المنكر قوله تعالى :

(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالديــن إحسانــا ولا تقتلــوا أولادكم من إملاق نحن نرزقــكم وإياهــم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصــاكم به لعلــكم تذكرون. وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقــون) الانعــام/١٥١ ـ ١٥٣ .

وحينما نكون بصدد المعروف ، أو بصدد المنكر ، فانما نعني بذلك بيان الاسلام في المعروف وبيانه في المنكر ، وذلك أن الغرب له معروف وله منكر ، وقد يختلف معروف الغرب ومنكره عن معروف الاسلام ومنكره ، وكثيرا ما يختلفان في الأخلاق وفي الاقتصاد وفي العقيدة ، وفي مثل هذه الحال فانه يجب علينا إيثار الجو الاسلامــي إيثارا كاملا ، يقول رســول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا الحديث النفيس الحاسم :

« والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » رواه أحمد .

ويقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » متفق عليه .

ويقول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

« اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم » .

وصور رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المجتمع ووجوب الأخذ على يد المفسد فيه ـ حتى لا يكون الهلاك ـ بالصورة الرائعة التالية التي رواها الامام البخاري ، عن النعمان بن بشير ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

« مثل القائم في حدود الله والواقع فيها

كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » .

وروى الترمذي ، عن حذيفة رضي الله عنه ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » ..

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

« أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » .. رواه النسائي وابن ماجة .

ولقد هدد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الأمة الاسلامية ، إذا تهاونت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقال ، صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه أبو داود ، عن مسعود رضي الله عنه :

« إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل ، أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا ، اتق الله ودع ما تصنع : فانه لا حل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال :

(لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون) المائدة/ ٧٨ ــ ٨١

ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصرا : أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم » ..

وبعد : فقد بين سيدنا أبو بكر ، رضى الله عنه ، وجوب الأخذ على يد الظالم : مبينا الأمر في غاية الدقة موضوع آية اشتبه على كثير من الناس تفسيرها ، فعنه رضي الله عنه قال :

« يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية » ..

(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) المائدة/ ١٠٥

وإني سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يقول :

» إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » ..



كل نفس ذائقة الموت

١ – إمكانية الخلود :
أشرنا فيما سبق إلى الحقيقة العلمية التي تقول : « إن المادة لا تفنى ولا تتجدد » بمعنى أن عناصر الجماد منذ خلقها الله ستظل باقية في ملكوته دون نقص أو زيادة ولكنها تأتلف (لتكوين مركبات) او تتفرق (لتعود إلى عناصر منفردة) حسب قوانين طبيعية وكيماوية حاسمة ومضبوطة تماما . وعلى هذا الأساس فهذه العناصر خالدة طوال حياتنا الدنيا .

والأصل كذلك أن المادة الحية أى البروتوبلازم الذي تتكون منها

للاستاذ / احمد حسنين القفل

الأحياء لها هي أيضا إمكانية الخلود . ولكن ما دليل ذلك :

ـ هناك كائنات حية ـ نباتية وحيوانية ـ بسيطة التركيب ، لا تتكاثر لانتاج ذريتها على النمط الذي يتكاثر به الانسان أو الكائنات الحية المعقدة الأخرى .

فالأميبة ـ حيوان من وحيدات الخلية ـ مثلا حينما تكون الظروف من حولها مواتية فان الخلية التي تكونها لا تشيخ أبدا ولا تموت أبدا ذلك لأنها حين تبلغ حجما معينا ـ يتحدد بالنسبة لكل نوع من الأميبات ـ فانها تنقسم الى قسمين أى فردين صغيرين لا يلبث كل منهما أن يبلغ أشده ثم ينقسم ثانية وهكذا دواليك والمعنى أن الفرد ينتج فردين والفردان ينتجان أربعة أفراد وهذه ثمانية ... وهكذا باستمرار .

ومعنى هذا من الوجهة النظرية أن الأميبة لا تموت أبدا بل إنها تواصل الحياة جيلا في إثر جيل وأجيالا بعد أجيال ولكن يلاحظ :

ـ أننا لو وضعنا الأميبة المشار إليها في طبق به كل مستلزماتها من الغذاء وأحطناها بكل الظروف المناسبة فانها تتكاثر على النحو السابق .

ـ لكى تتكاثر الأميبة على النحو السابق يلزم أن تظل هذه الظروف المناسبة قائمة باستمرار . فلو تركناها في الطبق دون تقديم غذاء باستمرار ودون تخليص السائل التي تعيش فيه من مخلفاتها السامة وباستمرار أيضا فانه سيأتي الوقت الذي تلاقي فيه كل الأميبات ـ كل الأجيال ـ حتفها وهلاكها .

ـ أن هذا هو ما يحدث طبيعيا فليست الحياة كلها صفوا بالنسبة لكل كائن حي وما يناسب هذا قد يعوق معيشة هذا وبالتالي يظل قانون الموت والحياة ساري المفعول رغم إمكانية الخلود المشار إليها .

ـ ليست الأميبة وحدها هي التي تسلك هذا السلوك ولكن لها أشباه كثيرة من الحيوانات والنباتات .

ـ إذا كانت الحيوانات ـ والنباتات ـ وحيدة الخلية يمكنها أن تتصرف على النحو السابق فما هو الحال بالنسبة للحيوانات المعقدة أى التي يتكون الفرد فيها من خلايا متشابهة وغير متشابهة بل حتى من أنسجة مختلفة كل نسيج به خلاياه الحية المتميزة ؟ هل لمثل هذه الخلايا إمكانية الخلود أيضا ؟

ـ أجرى أحد العلماء في عام ١٩١٢ (العالم اليكس كاريل) تجربة مثيرة يثبت بها إمكانية خلود الأنسجة . فأخذ قطعة صغيرة من قلب من جنين كتكوت وحاول بكل ما استطاع أن يجري ذلك في ظروف معقمة وحافظ

على هذه القطعة قدر إمكانه حتى لا تتلوث بالميكروبات ووضع قطعة القلب في طبق وأمدها بمحلول غذائي مناسب تحت درجة حرارة مناسبة وداوم على ملاحظتها واضعا نصب عينيه شيئين مهمين :

ـ إمداد القطعة بالغذاء المناسب باستمرار مع المحافظة على الظروف المناسبة .

ـ تغيير محلول الطبق الذي به المخلفات باستمرار أيضا .

ولاحظ أن خلايا القطعة واصلت انقساماتها وظلت تكبر وتنمو تباعا فأخذ يتخلص تباعا من جزء منها ويحافظ على الباقي تحت الظروف المناسبة السابقة . وظلت الخلايا تنقسم وظل هو يتابعها يوما في إثر يوم ، وشهرا بعد شهر واستمر على هذا المنوال ثلاثين عاما أنهى العالم تجربته بعدها بعد أن تأكد أنه كان يمكن أن تستمر سنين طويلة لا يعلم مداها إلا الله . ويستنتج من هذه التجربة :

ـ أن خلايا القلب ـ العضلية . لها إمكانية الخلود أيضا شريطة توفير الغذاء لها وتخليصها من سموم المواد الاخراجية باستمرار .

ـ أن تحفظ هذه الخلايا تحت كل الظروف المواتية من رطوبة وحرارة وضغط .. الخ .

ـ أن هذه التجربة تمت في الأطباق خارج جسم الحيوان تحت الظروف المشار إليها مما لا يمكن توفيره داخل جسم الحيوان (لأسباب سنناقشها بعد) .

وإذا كان ما سبق قد تم بالنسبة لأنسجة القلب فقد قام العلماء بتجارب مماثلة ثبت منها :

ـ أن الأنسجة الأخرى في جسم الحيوان يمكن أن تسير على نفس الطريق شريطة توفير الظروف المناسبة السابقة .

ـ إذا وجدت خلايا مصدرها أنسجة مختلفة (عضلية ... طلائية .. الخ) مختلطة مع بعضها في محلول مغذي في طبق ولكنها مفككة وموزعة في المحلول . فان الخلايا المتشابهة ـ من نسيج واحد ـ تنجذب إلى بعضها وتتجمع ، غالبا لتشابه مكوناتها الكيماوية .

ـ نمو الخلايا في أطباق خارجية يكون اسرع منه في داخل جسم الحيوان . وهذا أمر طبيعي لأن كل الظروف مواتية ومتوفرة للنمو في الأطباق ـ باتباع الشروط السابقة ـ ولا يمكن توفير نظير لها داخل جسم الكائن الحي .

ـ أمكن تحويل خلايا نسيج الى خلايا نسيج آخر قريب منه في تكوينه باستخدام إنزيمات وهرمونات (مبيض خصبة) .

ـ أن الخلايا في الأطباق تتغذى وتتنفس وتخرج كما تفعل الأميبة .

ـ هناك صور من تكاثر الحيوانات تجري على غير المألوف وتدعو للغرابة :

ـ فحيوان الاسفنج مثلا إذا هرست خلاياه فتفرقت آحادا في مياه البحر فانها سرعان ما تنجذب الى بعضها في مجاميع لتكون كل منها حيوانا

جديدا . ماذا عساه يحدث لو تم ذلك باستمرار ؟

ـ يوجد أنواع من الحيوانات إذا قطع جسمها إربا إربا ، لأمكن لكل قطعة نتجت ـ من أمام أو من خلف ـ أن تكون حيوانا جديدا قائما بذاته (وهذا يشبه التكاثر الخضري في النباتات ـ بالعقل أو بالتطعيم .. الخ) ومثال ذلك أنواع العدار (الهيدرا) وأنواع حرة من المفلطحات (التربلاريا) وكل هذا يتم تحت ظروف مناسبة .

ـ بعض الحيوانات إذا شاخت وساءت الظروف حولها سكنت وعادت إلى طفولتها إذ أنها تنطلق شابة من بعد سكون فاذا ساءت الظروف ثانية ارتدت شابة متحوصلة لتعود فتنطلق من جديد وهكذا ومثال ذلك التجربة التالية :

أخذ أحد العلماء مجموعتين متشابهتين من ديدان البلاناريا (ديدان مفلطحة) وهذه الديدان يصل طول الفرد منها إلى نحو سنتيمترين وقسمها إلى مجموعتين :

ـ مجموعة قدم لها الغذاء باستمرار فأخذت تتكاثر تكاثرها المعهود حتى كونت (١٩) جيلا مات منه ما مات وبقي ما بقي على النحو المعهود .

ـ مجموعة حرمها من الغذاء لفترة فوجد أن كل فرد منها يصغر ويصغر كثيرا حتى إذا أشرفت على الهلاك قدم لها غذاء ثانية فنشطت ونمت وعادت ديدانا بالغة من جديد ثم حرمها من الغذاء ثانية فكررت السلوك السابق وهكذا عدة مرات دون أن تتكاثر ودون أن تموت في الوقت الذي ماتت فيه أفراد كثيرة من المجموعة الأولى . ولو استمرت التجربة على المجموعة الثانية وبنفس السلوك لعاشت إلى أمد لا يعلمه إلا الله .

٢ ـ الشيخوخة نذير الموت :

كما لا يتوقف الموت على المرض ، فانه لا يتوقف أيضا على العمر ، فالموت يمكن أن ينشب أظفاره في أى وقت ، لا يتوقف ذلك على نوعية الأسباب .

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره
تنوعت الأسباب والموت واحد

لكن الشيخوخة هي نذير انتهاء الأجل ، وبالتالي حلول الموت ، وما الشيخوخة إلا تغيير في سير العمليات الحيوية ـ الطبيعية والكيماوية ـ في جسم الكائن الحي ، من الأمثل إلى الأسوأ ، أو من الأحسن إلى الأردأ بوجه عام . وتبدأ التغيرات بطيئة بادىء ذي بدء ، ثم تزداد حدتها رويدا رويدا كلما تقدم العمر ، متمثلة في انخفاض القدرة على الأداء في جميع أجهزة الجسم ، ويصاحب ذلك اختلال في وظائف الغدد الجنسية والهرمونات وضعف العضلات وقلة في قدرات أعضاء الحس .

وفي الحالات الطبيعية تدب الشيخوخة تدريجيا فيضعف الانسان بعد قوة وتعرف هذه الحالة علميا « بالشيخوخة الفسيولوجية Physiological aging ولكن مظاهر الشيخوخة قد تأتي مبكرة فتظهر أعراضها في عمر لا ينتظر لها أن تظهر فيه أو لا ينبغي لها أن تظهر إبانه ،

وتعرف هذه علميا « بالشيخوخة المرضية Pathologieal aging .

ومن طريف الأساطير التي تسجل في هذا الصدد ، أن أحد الصالحين اعتاد أن يزوره ملك الموت زيارات « ودية » وعندما توثقت العلاقة بينهما ، رجا الرجل الصالح زائره أن يخبره عن الزيارة المحددة التي سيجيء فيها « قابضا » لروح صاحبه فوعده بأن يرسل إليه رسولا قبل مجيئه قابضا . وبعد فترة بلغ فيها الرجل الصالح أرذل العمر ، جاءه ملك الموت قابضا . فعتب عليه أنه لم يرسل إليه رسولا يخبره بذلك حسب الاتفاق المضروب بينهما . فقال ملك الموت : « لقد أرسلت إليك رسلا عدة لا رسولا واحدا » قال صاحبه « ما جاءني أحد ليخبرني » فقال ملك الموت :

● « ابيض شعرك بعد سواد وهذا رسول »

● « ضعفت بنيتك بعد قوة وهذا رسول »

● « تفرقت أسنانك بعد طول اجتماع وهذا رسول »

● « ضعفت ذاكرتك بعد حدة وهذا رسول » .

● « قصر نظرك بعد طول وهذا رسول »

● « عجزت قدماك عن حملك فاتخذت من نبات الأشجار مساعدا وهذا رسول » .

ثم عقب ملك الموت « أما كفاك هذه الرسل جميعها وغيرها نذيرا للموت يا صاح ؟ »

ولنرجع بعد ذلك إلى موضوعنا ونتساءل بدورنا ، لماذا كل هذه العلامات التي تصاحب الشيخوخة ؟... لماذا تتوقف الجبلة (مادة الحياة) عن النمو ؟... لماذا تهرم الخلايا وتشيخ ، لماذا ... الخ » وأخيرا لماذا نموت ؟

لعل صورا كثيرة من هذه الاسئلة تتبادر إلى ذهن القارئ الكريم . ومن أسف أن الاجابة الشافية او اليقينية عليها علميا ليست مستطاعة ، على الأقل بالنسبة للكثير منها ، لكن المعروف ان نمو الشخص يقف عند حد معين لا يتجاوزه أثناء حياته ، وفي كثير من الحالات يكمن السبب الحقيقي في مدى قدرة الخلايا على التحويل الغذائي (البناء والهدم) ومع ذلك فان هذا السبب لا يكون هو الأساس دائما ولقد فسر العلماء أسباب الشيخوخة التي تجر إلى الموت بنظريات شتى نطرقها فيما يلي :

○ ـ التسمم :

في مزارع الكائنات الدنيا ـ كالأميبة من وحيدات الخلية ـ مثلا ، يمكن للحيوانات ان تعيش وان تعمر طويلا إلى زمن غير محدود ، طالما كان الوسط الذي تعيش فيه مزودا بالغذاء الكافي والمناسب ، وطالما كانت محمية من تجمع نواتجها الاخراجية الناشئة عن عمليات الهدم وهي ما يعبر عنها بالسموم Toxins . فاذا توفرت هذه الشروط في المزرعة فان الحيوانات تصبح قادرة على أن تعيش وأن تنقسم باستمرار اى انها تنمو آحادا وأعدادا في صورة أشبه ما

تكون بالخلود . وان كان ذلك لا يحدث مطلقا في الطبيعة ، فغالبا ما يصاحب كثرة الأعداد قلة الغذاء وتراكم السموم ، وهذه حكمة الله في ايجاد توازن حيوي بين الأنواع في الطبيعة .

ونظرية التسمم هذه كسبب من أسباب الشيخوخة ، يؤيدها أيضا إمكان حفظ أنسجة الحيوانات الأرقى وخلاياها في مزارع تحت ظروف مواتية ولآماد طويلة . ولقد أشرنا سابقا إلى تجربة العالم الذي احتفظ بقطعة من قلب جنين كتكوت في مزرعة ملائمة ولمدة تزيد على الثلاثين عاما ، ولا جدال في أن هذه المدة تفوق بكثير عمر الحيوان الذي ينتمي إليه القلب . على أن قطعة القلب المشار إليها لم تمت عن شيخوخة بعد هذه المدة ولكن العالم انهى تجربته عن عمد لأسباب من أهمها أنه لا يتوقع لها مدى تنتهي فيه ، وكان كل ما يلزم لحفظ نسيج القلب ابان الأعوام الطويلة التي امتدت فيها التجربة هو التجديد المستمر للوسط الذي تعيش فيه ، بحيث يصل الغذاء الكافي والمناسب ، وتزال نواتج الهدم (المواد الاخراجية) اولا بأول فلا تتراكم .

وبناء على ذلك ، ففي الانسان ــ كما في غيره من الحيوانات ــ يعجز الجسم في حالة الشيخوخة عن أن يؤدي بكل أجهزته ما يناط به من عمليات البناء ، كما أن عمليات الهدم تتم أيضا بأجهزة منهكة لا تقوم بوظيفتها على الوجه الأكمل ، ومن هنا تتراكم السموم في الجسم ، ويتأتى عنها الظواهر المرضية التي لا يجدى معها العلاج .

والتي تصبح نذير موت وشيك الوقوع .

واذا المنية انشبت اظفارها
الفيت كل تميمة لا تنفع

○ ـ التغيرات البروتينية :

تقتضي ظروف الكهولة في أحوالها العادية تغيرات خاصة في البروتين الموجود ضمن الجبلة (مادة الحياة) . والمعروف ان البروتين يلعب دورا هاما في الوراثة والنمو الخلوي ، وبالتالي نمو الجسم العام . وحينما يطرأ تغيير على البروتين بشكل أو بآخر ، فان ذلك يؤثر على النمو ، ويتأتى عن ذلك الشيخوخة .. ولما كانت الصور البروتينية Protein configuration والتي يجهلها العلماء ــ لأنها تختلف باختلاف الأفراد كما تختلف البصمات فيهم ــ لما كانت مختلفة فانها هي التي لا شك تحدد مميزات الفرد كما تدخل كعامل لا مناص منه في عمره المكتوب ، او الموروث . ولكن ما سبب التغير الذي يطرأ على البروتين ؟

من الطريف أنه لوحظ ــ وبوساطة تجارب زرع الأنسجة في مزارع أيضا ــ أنه إذا لم يتغير الوسط في المزرعة ــ بتقديم غذاء مناسب والتخلص تباعا من السموم ــ فان سرعة النمو والانقسام تنخفض

وتظهر علامات الكهولة المحددة ، ومنها التغيرات البروتينية المميزة ، فاذا نقلت الخلايا الهرمة عندئذ إلى وسط جديد به كل الظروف المناسبة لها ، فانها ـ وبعد فترة تطول أو تقصر ـ تبدأ في النمو والانقسام مستعيدة مظاهر شبابها ، وتكون صورة البروتين الجديدة مختلفة عن صورته في الخلايا الهرمة .. وقد أخذت أنسجة من حيوانات هرمة وزرعت في مزارع جديدة مناسبة ، فامكنها ان تستعيد شبابها Rejauenatel بتغير صور بروتيناتها . ومن ثم لا تتأتى حالة الهرم عن تجمع السموم فحسب ـ كما اسلفنا ـ بل كذلك عن تغير صور البروتين في الخلايا أيضا وان كان تجمع السموم هو العامل الذي يلعب الدور الرئيسي ، بل هو الذي يؤدي بدوره إلى ظهور عامل تغير البروتين .

والمعروف ان الخلية هي وحدة تكوين جسم الكائن الحي . وهي تبدأ حياتها فتية قادرة بكفاءة عالية على أن تؤدي جميع وظائفها الحيوية ـ وخاصة تكوين الأحماض النووية ـ التي تلبي كل متطلبات الكائن الحي فيها كوحدة ، وبالترابط مع الخلايا الفتية الأخرى مجتمعة ، لكن مرور الزمن يعرض الخلية ـ وكل الخلايا ـ لكثير من الاضطرابات التي تنشأ من تراكم المواد الاخراجية الكيماوية الضارة التي لا تقوى الخلية على التخلص منها وهناك عوامل كثيرة أخرى من أهمها التعرض لتأثير الاشعاعات الكونية .

وتتكاتف هذه العوامل تباعا وبالتدريج حتى يأتي الوقت الذي تتوقف فيه كل العمليات الحيوية او تنهار بعد فترة تطول أو تقصر ، وهنا يتجرع الكائن الحي كأس الموت الذي لا مهرب منه ولا محيص عنه .

ـ والاشعاعات الكونية التي تتأثر بها حيوية الخلايا في أى كائن حي ، أمر لا يمكن تجنبه ، ذلك لأن هذه الاشعاعات هي في واقعها نفايات ذرية تنطلق من النجوم المتناثرة في الكون ، وهي تخترق أجسامنا دون ان نشعر ، ونتعرض لها في كل وقت وحين ، لكن الخلايا الفتية تستطيع ان تتقبل جرعاتها ، فاذا ضعفت قلت قدرتها وتأثرت .

وقد عملت أبحاث كثيرة لمعرفة مدى تأثير الاشعاع Radiation على الخلية وخاصة أثناء انقسامها . وقد لوحظت النتائج الآتية :

٨ يكون الاشعاع قاتلا للخلية إذا زاد عن معدل احتمالها . فقد وجد أن جرعة مقدارها حوالي (١٠٠) رنتجن ـ مقياس ذري ـ تتلف نحوا من جزىء الى خمسة جزيئات من الحامض النووي (د.ت.ا) في خلية الثدييات ـ كالانسان والفأر ـ كما انها قد تغير الحامض النووي الآخر (ر.ن.ا) ولكن الاشعاع يحدث تلفا أشد وضوحا وأعمق أثرا بالصبغيات (أى الكروموزومات) فهذه قد يتكسر بعض أجزائها ، وقد تلتصق بعض أجزائها بالأجزاء الأخرى وتصبح بذلك عاجزة عن الانقسام ، ومن ثم تختل عمليات الانقسام

العادي وتنتج الطفرات (التي قد تؤدي إلى التشوهات في المراحل الجنينية) .

ـ وقد يفسد الاشعاع عدد الصبغيات في الخلية ويكون الخطر جسيما إذا حدث الاشعاع أثناء انقسام الخلية . وحين تختفي الأغشية النووية وتختفي النويات فان جرعات ضئيلة القدر من الاشعاع في هذه الفترة ، تبطئ عملية الانقسام أما الجرعات الكبيرة منه فتوقفه كلية . والخلاصة ان هذه المؤثرات تؤدي إن عاجلا وان آجلا إلى موت الخلية . وسبب توقف الانقسام بالاشعاع لا زال مجهولا وان كان البعض يعزوه إلى تدخله في تكوين الحامض النووي (د.ن.ا) والى إضعاف قدرة الخلية بوجه عام .

ـ يسبب الاشعاع تورم الخلية ، وحدوث خلايا عملاقية ، كما تتأثر به أيضا الأجسام السبحية (اجسام في الخلية) وعمليات الأيض (التحويل الغذائي) عموما .

ـ ولما كان الاشعاع مفسدا لكثير من ألوان النشاط داخل الخلية ، فليس بدعا أن تعوق الجرعات الاشعاعية الكبيرة من حركة الخلية : فالحيوان المنوى مثلا إذا ما عرض لها ، فانه لا يفقد قدرته على الحركة فحسب ، بل يفقد معها قدرته على الاخصاب أيضا . والخلايا المبتلعة مثل كرات الدم البيضاء تعجز عجزا تاما عن مزاولة نشاطها .

ـ ويتدخل الاشعاع كعامل هام في درجة النفاذ الخاصة بغشاء البلازما ، فيفسد دخول الجلوكوز والأحماض الأمينية وغير ذلك من المواد .

ومما سبق يلاحظ أن هناك مستويات خاصة للاشعاع يسمح بالتعرض إليها وهذه تتوقف على طول فترة التعرض لها من جهة وعلى قوة الاشعاع من جهة أخرى . واذا كانت الاشعاعات الكونية لها أثرها الوئيد على أجسام الأحياء فان تلويث الهواء بالانفجارات الذرية التي تجري بين حين وحين ، بل إن التجارب على الأسلحة النووية والقنابل الذرية والهيدروجينية هي عوامل كلها تزيد من أخطار التعرض لها ، وحتمية تأثيرها على الأحياء تأثيرا أشد من الأشعة الكونية . وتخزين المتماكنات (النظائر المشعة) لغرض اجراء التجارب عليها بشكل يجعل اشعاعها محتملا ودون حد الخطر لمن يتعاملون بها بالبحث والدراسة (ويعتبر أقصى مستوى يسمح به هو حوالي ٣ ملليمترو نتجن في الساعة) .

ـ ومما يسير بنا في الطريق إلى الشيخوخة هو تناقص المناعة في الجسم بمرور الزمن وان تعرضه لكل المؤثرات الخارجية والداخلية التي أشرنا إليها سابقا يزيد من تناقص المناعة رويدا رويدا .

ـ وحصيلة العوامل السابقة تؤدي إلى اضطراب في الخلايا وخلل في وظائف الأنسجة والأجهزة قد لا تظهر أعراضها واضحة بادئ ذى بدء ، ولكنها تتزايد ببطء ثم تزداد حدتها يوما بعد يوم . واضطرابات الخلايا والأنسجة والأجهزة يصحبه توليد

هرمونات وانزيمات لا تعمل لصالح جسم صاحبها . بل إن تعاطي بعض العقاقير للعلاج قد يصلح ناحية ويفسد ناحية اخرى او قد يعطي خطأ نتيجة لتشخيص خطأ فيؤدي إلى نتائج وخيمة .

ـ تزايد عملية الهدم على حساب عملية البناء وهبوط نشاط المخ وعجز أعضاء الاخراج عن القيام بمهماتها على الوجه الأكمل ، كل هذا يمهد الطريق السريع إلى الشيخوخة حتى في اعمار مبكرة .

ـ اكتشف وجود مركبات كيماوية تظهر تباعا كلما اقترب الانسان تباعا من شيخوخته وهي مركبات من شأنها إعاقة الخلايا عن تأدية وظائفها كما ينبغي ان تؤدي .

ـ إذا كان الهبوط في الأداء لجميع أجهزة الجسم يزداد وضوحا بتقدم العمر ، فان أمراض القلب والجهاز الدوري والكليتين هي النذر الحقيقية في هذا الصدد .

ـ وقد لوحظ أن هناك ثمة عوامل أخرى تنطبق على بعض الأفراد دون غيرهم .

(●) فالمشروبات الكحولية (الخمر ومشتقاتها) والتدخين والقلق النفساني وكذلك تراكم الهموم وانشغال الناس بأحوالهم الاقتصادية ، كل هذه أمور تسرع لصاحبها إلى الشيخوخة . يقول تعالى :

(إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) المائدة/ ٩٠

(إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) المائدة/ ٩١

(●) السمنة قد تكون عاملا له شأنه في الاسراع إلى الشيخوخة المبكرة ، وغالبا ما يؤدي الاكثار من الطعام إلى السمنة المفرطة والمعروف علميا أنه بعد تجاوز فترة النمو الطبيعي ، فان اى زيادة تكون في صورة دهن مختزن ، وكل كيلوجرام من دهن يكتسبه الجسم يحتاج إلى حوالي ميلين من الشعيرات الدموية . وغالبا ما يصحب السمنة أمراض من أهمها ضعف القلب وتصلب الشرايين وانهاك الكليتين . يقول سبحانه :

(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) الأعراف/ ٣١

واذا كان ما سبق هو سمات الشيخوخة التي هي في الوقت نفسه نذير الموت فلننظر إلى هذه السمات في آى الذكر الحكيم حيث يقول سبحانه :

(والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم بعد علم شيئا إن الله عليم قدير) النحل/ ٧٠ وفي هذا إشارة إلى ضعف الذكاء والذاكرة .

(ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون) يس/ ٦٨ وفي هذا إشارة إلى الضعف بعد القوة

(الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) الروم/ ٥٤ .

توافق الاسلام والطب الحديث في وباء الطاعون

للدكتور محمود ناظم النسيمي

ادعى بعض العلماء الأجانب أن تعاليم الاسلام في النهي عن الخروج من منطقة وباء الطاعون هي السبب في كثرة الاصابة بأوبئته في الأزمنة الغابرة ، وفي تفاقم انتشاره بين الناس . وغفل ذلك العالم عن ثمرات عديدة طيبة جنتها الانسانية من تنفيذ تلك التعاليم في قرون عديدة لم تعرف فيها الجراثيم عوامل الأمراض السارية ولا مدة حضانة أمراضها ولا الحامل لها السليم أو المعافي من أدوائها . وإن النهي عن الخروج ، ذلك النهي الذي تخيله بفهمه مطعنا ، هو دليل على سبق علمي عند العالم المتأمل كما سنرى .

ولقد تساءل كثيرون قديما وحديثا عن معنى ما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام من أنه قال في سبب الطاعون : « وخز أعدائكم من الجن » رواه احمد .

إن تساؤل المثقفين من المسلمين وتهجم المغرضين حدا بي إلى دراسة الأحاديث النبوية الواردة في وباء الطاعون في مصادر إسلامية مختلفة ، ثم إلى انتقاء نماذج منها هي أعلى درجة وأكثر قبولا لدى الأخصائيين بعلم الحديث . ولقد درست تلك النماذج كمجموعة من كلام النبوة لا يمكن أن يكون بينها اختلاف حقيقي ، وقارنتها مع الحقائق الطبية الثابتة اليوم فانتهيت إلى أجوبة شافية لما أثير من شبهات حول الأحاديث النبوية المتعلقة بوباء الطاعون .

إن مجمل المعاني الرئيسية والمفاهيم التي استنبطتها من تلك

الدراسة يمكن أن أصنفها في أربعة مفاهيم :

١ ــ توافق وصفي علامات الطاعون في الطب وفي الأحاديث النبوية .

وأحاديث هذا المفهوم أتت غالبا مع تأكيد الحجر والحكم بأن المتوفى بالطاعون شهيد .

٢ ــ سبق الأسلام في إيجاد الحجر الصحي .

٣ ــ الحكم بأن المتوفى بالطاعون شهيد إذا التزم بواجبات الحجر .

٤ ــ المعنى المجازى المتعين فيما روى من قوله عليه الصلاة والسلام عن الطاعون : « وخز أعدائكم من الجن » إشارة إلى سببه . ومعظم أحاديث هذا المعنى تنص أيضا على أن المتوفي بالطاعون شهيد .

وقبل أن أوضح هذه المفاهيم أحب أن أذكر بأن تعاليم الاسلام جاءت للدين وللدولة ، ومن مهمات الدولة الأخذ بوسائل الطب الوقائي ، فليس من المستغرب أن نجد في تلك التعاليم أنظمة صحية توافق كل زمان وكل قوم أو شعب بدائيين كانوا أم حضاريين .

جاءت تعاليم الاسلام بذلك دون أن تتعرض إلى دقائق الطب والعلوم المختلفة لأن ذلك ليس من مهمات رسل الله تعالى وهو متروك لجهد البشر وأبحاثه وتجاربه وتطور معارفه وعلومه الكونية . ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بتعليم من الله تعالى وبين بعض حقائق العلوم كلها لما أدرك الناس ما يحدثهم به لأن مستوى العلوم الدنيوية لما يبلغ بعد درجات عالية ، ولأن إفهام تلك الحقائق يتطلب عشرات السنين ، بل إن التخصص في علم من العلوم الدنيوية يستهلك عمر الباحث ولا يزال ينال فهما جديدا وتطورا واكتشافا .

وقبل أن أشرع في بيان تلك المفاهيم الأربعة لابد من تقديم معلومات عن سبب الطاعون وطريق سرايته ليستوعب هذا البحث غير الأطباء أيضا .

سبب الطاعون وطريق سرايته :

لقد تمكن العالم السويسرى (يه رسن Yersin) من اكتشاف العامل الجرثومي لهذا الداء في هونغ كونغ في جائحة ١٨٩٤م التي بدأت في الهند الصينية والصين . فسميت عصيات يه رسن أو الباستوره لات الطاعونية .

الطاعون في الأصل مرض حيواني وخيم ، أكثر ما يصيب الجرذان والفأر الوحشية والأهلية . تنتقل الاصابات بينها بواسطة البراغيث وعند إصابة الجرذ بالطاعون تتركه براغيثه بسبب ما يكون فيه من حمى أو بسبب موته ، وتنتقل إلى غيره من الحيوانات السليمة ، فان لم تجد حيوانها المعتاد أو صادفت إنسانا علقت به ولقحته بدائها فتبدأ الجائحة البشرية عندئذ ، وتستمر ما وجدت تلك الحشرات الملوثة فرصة للوصول إلى الانسان السليم .

تحدث العدوى في معظم الحوادث عن طريق خرء البراغيث المفعم

بالعصيات الطاعونية تلقى به على الجلد فتدخل بسبب سحج الجلد بالحك ، أو من موضع وخزة البرغوث نفسها . ومن النادر دخول تلك الجراثيم عن طريق اللدغة مباشرة لأن ذلك لا يكون إلا إذا انسدت معدة البرغوث ، بحيث لا يمكنه أن يستسيغ ما يمتصه من الدم فيعود إلى اللدغة ، ويكون ذلك الدم الرجيع قد تلوث بتلك الجراثيم فتحصل العدوى .

هذا وإن الطاعون الرئوى شديد السراية لأن عدواه لا تحتاج إلى واسطة البراغيث بل تكون مباشرة بانتقال الجراثيم الكثيرة جدا في القشع ، تحملها نفاية المريض التي يلقى بها حوله . ومما يزيد في خطر هذه السراية دخول تلك الجراثيم بسهولة من الأغشية المخاطية التي تصادفها ، حتى من ملتحمة العين والغشاء النخامي في الأنف .

التوافق في وصف العلامات :

أ ـ الوصف الطبي :

ان للطاعون ثلاثة أشكال سريرية تشاهد في وبائه أوجزها بما يلي :

١ ـ الطاعون الدبلي (ويسمى بالطاعون الدملي وبالطاعون الغدى) :

ويتصف بضخامة الغدد اللنفاوية (أي العقد البلغمية) في المغابن كالأرب والأبط أو في الرقبة بحسب موقع التلقح بالجراثيم ، يرافق ذلك شيء من التوعك والحمى ، وله شكلان : سيار (الطاعون الصغير) وشكل وخيم . ثم أن التهاب العقد قد ينتهي بالارتشاف أو بالتقيح والانبثاق .

٢ ـ الطاعون الانتاي الدموى :

يكون ثانويا للطاعون الدبلي أو مستقلا بدون دبل .

٣ ـ الطاعون الرئوى (أو ذات الرئة الطاعونية) :

هو النوع الوخيم والخطر جدا لأنه يصيب جميع أطراف الرئة فيقضي على المصاب في مدة قصيرة ، قد لا تتجاوز اليومين أو الثلاثة .

إن معظم إصابات الطاعون في وبائه تترافق بالتهاب العقد البلغمية وضخامتها ، ولذا فان الذي يلفت الانتباه إلى تشخيص الطاعون سريريا (قديما وحديثا) هو وجود وباء يتصف بضخامة العقد البلغمية والتهابها ، أما التشخيص المخبري فهو من وسائل العصر الحديث .

ب ـ الوصف النبوي :

لقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم علامات الطاعون الغدى (أو الدملي أو الدبلي) التي يستند إليها سريريا في تشخيص وباء الطاعون وتفريقه عن الأوبئة الأخرى

حتى زماننا هذا ، مع أنـه عليـه الصلاة والسلام نبي أمي لم يشهد وباء للطاعون ولم يتلق شيئا من علوم زمانه طبية كانت أم غير طبيـة ، وصدق الله العظيم : **(وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى)** النجم/ ٣ ، ٤

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« لا تفنـى أمتـي إلا بالطعـن والطاعون ، قلت : يا رسول الله ، هذا الطعـن قد عرفنـاه ، فمـا الطاعون ؟ قال : غدة كغدة البعير . المقيم فيها كالشهيد والفـار منهـا كالفار من الزحـف »** رواه احمـد والطبراني .

انتبـه لقولـه عليـه الصـلاة والسلام : « غدة » ولتأكيده وجوب الحجر على أرض وبـاء الطاعـون بقوله : « المقيم فيها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف » وفي رواية عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، عند البزار : « قلت : يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه ، فما الطاعون ؟ قال : يشبه الدمل يخرج في الآباط والمراق ،(هو ما سفل من البطن فما تحته من المواضيع التي يرق جلودها واحدها مرق)وفيه تزكية أعمالهم وهو لكل مسلم شهادة » حديث حسن .

إن انسجام وصفي الطاعون على لسان النبوة وفي الطب الحديث يدل على أن الطاعون المقصود في الأحاديث النبوية هو الطاعون نفسه المعروف في الطب حتى يومنا هذا .

جـ ـ وصف شراح الأحاديث :

أما ما نقله شراح الأحاديث من أقوال في وصف مرض الطاعون فان له قيمة تاريخية . وإضافة إلى نلك فان معظمها ينسجم مع الطب الحديث . وما اختلف منها معه فانما هو لعدم اكتشاف الجراثيم وطرق انتقالهـا والعدوى بها . ولقد اختلف وصفهم للطاعون لاختلاف الشكل السريري للاصابة .

فبما أن التهاب العقد البلغمية في الطاعون قد ينتهي بالارتشاف ، وقد ينتهي بالتقيح والانبثـاق ، وبعـد الانبثاق يظهر تقرح مكانه ، ولـذا وصفه القاضي عياض بأنـه قروح خارجة في الجسم . قال في فتـح البارى : وقـال عيـاض : أصـل الطاعـون القـروح الخارجيـة في الجسد ، والوبـاء عمـوم أمـراض فسميت طاعونا لشبهها به في الهلاك وإلا فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعونا . قال : ويدل على نلك أن وباء الشام الذي في عمواس إنمـا كان طاعونا .

أما الامام النووى فقد وصـف الشكل الوخيم من الطاعون المترافق بتقيح العقد وانبثاق بعضها فقال في كتابه التهنيب : هو بثر وورم مؤلم جدا يخرج مع لهيب ويسود ما هو إليه أو يخضر أو يحمر حمرة شديـدة بنفسجية كدرة ، ويحصل معه خفقان وقـيء ، ويخـرج غالبـا في المراق والآباط .

سبق الاسلام في إيجاب الحجر الصحي :

إن العزل والحجر وسيلتان هامتان للوقاية من سراية الأمراض المعدية والوبائية . ويقصد بالحجر تحديد حرية الانتقال لكل حي تعرض للعدوى بمرض سار ، وحجره مدة من الزمن تعادل أطول حد لحضانة ذلك المرض . فاذا ثبتت سلامته رفع عنه الحجر وإلا عزل لاصابته .

كان فريق من الناس منذ القديم يبتعدون عمن يعلمون أنه مصاب بمرض سار تجنبا للعدوى ، وكذلك كانوا يتخوفون من الدخول إلى بلدة أو قطر فيه وباء . ولكن لم يكن معروفا أنه لا يجوز أن يخرج الانسان السليم من بلدة أو منطقة موبوءة بمرض وبائي ، لأنه لم تكن الجراثيم عوامل الأمراض السارية معروفة ، لا هي ولا مدة حضانة أمراضها ، ولذا لم يكن معروفا أن الخارج السليم ظاهرا ربما كان في دور الحضانة أو في دور النقاهة أو كان ذا مناعة على ذلك الوباء ولكنه من حملة جراثيمه أو من حملة الحشرات الناقلة لجراثيم ذلك الوباء كالبراغيث المصابة بجراثيم الطاعون والقمل الحاملة لجراثيم التيفوس . لم يكن ذلك معروفا ومع ذلك فقد خطط رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة طريق الوقاية وسبيل الحجر الصحي قبل اكتشاف الجراثيم وتعيين مدة حضانة الأمراض السارية والوبائية باثنى عشر قرنا ونيفا . وذلك عندما نهى عن القدوم على منطقة الوباء وعن الخروج منها ، فلا دخول إليها لئلا يتعرض الداخل إلى العدوى ولا خروج منها فرارا خشية أن يكون السليم ظاهرا واسطة لنقل الوباء إلى منطقة أخرى .

روى الامام البخارى في صحيحه عن حبيب بن أبي ثابت قال : سمعت إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص قال : سمعت أسامة بن زيد يحدث سعدا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » فقلت : أنت سمعته يحدث سعدا ولا ينكره ؟ قال : نعم .

وروى الأمام مسلم في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعون ؟ فقال أسامة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بني اسرائيل أو على من كان قبلكم ، فاذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » . كما روى عن عبدالله بن عامر بن ربيعة أن عمر رضي الله عنه خرج إلى الشام فلما جاء سرغ ــ بلدة قرب المدينة بلغه أن الوباء قد وقع بالشام فأخبره عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » رواه البخاري فرجع عمر بن الخطاب من سرغ .

وتذكر كتب الأحاديث الشريفة أن هذا الوباء الذي وقع بالشام في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان طاعونا ودعي بطاعون عمواس ــ قرية بين الرملة وبيت المقدس ــ وحدث في السنة الثامنة عشرة من الهجرة .

ولقد روى البخاري ومسلم تفصيل القصة عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام . قال ابن عباس : فقال عمر : ادع لي المهاجرين الأولين فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم قد خرجنا لأمر ولا نرى أن ترجع عنه ، وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء ، فقال : ارتفعوا عني ، ثم قال : ادع لي الأنصار ، فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم ، فقال ارتفعوا عني ، ثم قال : ادع لي من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان ، فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر في الناس إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه ، فقال أبو عبيدة ابن الجراح : أفرارا من قدر الله ، فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان إحداهما خصيبة والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ، قال : فجاء عبدالرحمن بن عوف وكان متغيبا في بعض حاجته فقال : إن عندي في هذا علما : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » قال : فحمد الله عمر ثم انصرف . ا هـ .

تدل هذه الأحاديث الشريفة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع أساس الحجر الصحي في مكافحة الأوبئة وذلك بما يتلاءم مع حقائق الطب وفن الصحة ومع الامكانيات العملية في زمانه صلى الله عليه وسلم . ثم بعد أن عرفت جراثيم الأمراض السارية ومدة حضانة كل مرض ووسائل تشخيصه وطراز سرايته وانتشار وبائه ، وبعد أن عرفت اللقاحات الواقية من بعض الأمراض وقوة تمنيعها ومدة فائدتها ، بعد أن عرف ذلك كله حددت مدة العزل ومدة الحجر بالنسبة لكل مرض وبائي ، كما حدد من يتناولهم العزل ومن يتناولهم الحجر ونوعيته أما بدون الوسائل العلمية المستحدثة فيجب أن يشمل الحجر عددا من الناس أضخم،ورقعة من الأرض أوسع،كما أشار إلى ذلك رسولنا العظيم في تعاليمه عن الطاعون والأوبئة .

إن الحجر الصحي الاسلامي في

نهيه عن الخروج من منطقة الوباء يعني وقاية المناطق السليمة من امتداد الوباء إليها خشية أن يكون الخارجون من منطقة الوباء سليمين ظاهرا ولكنهم من حملة جراثيم الوباء أو من حملة الحشرات الحاملة لها . ولا يعنى ذلك النهي ترك السليمين عرضة للاصابة ، فان الاسلام يناديهم باتباع قواعد النظافة والطهارة وبالبعد عن المصابين بمرض سار . ولقد أوضحت في الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب تخطيط الاسلام وإرشاد الرسول عليه الصلاة والسلام في الوقاية من الأمراض السارية وذلك ضمن بحث : (إبداع الرسول العربي في فن الصحة والطب الوقائي) .

قد يتساءل إنسان فيقول : بعد أن عرف كل شيء عن الطاعون وأصبحت أصول العزل والحجر مقررة ، فهل يعد هربا من الزحف خروج من تسمح له السلطات الصحية بذلك بناء على قواعد صحية ؟ الجواب : لا : وقديما قال الامام النووي في شرحه لصحيح مسلم : في هذه الأحاديث منع القدوم على بلد الطاعون ومنع الخروج منه فرارا من ذلك . أما الخروج لعارض فلا بأس به . وهذا الذي ذكرناه هو مذهبنا ومذهب الجمهور . قال القاضي : هو قول الأكثرين . ثم قال النووي : قال العلماء وهو قريب المعنى من قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ، فاذا لقيتموه فاصبروا » رواه البخاري . وفي الحديث الاحتراز من المكاره وأسبابها ، وفيه التسليم لقضاء الله عند حلول الآفات والله أعلم ا هـ .

المتوفى بالطاعون شهيد :

يلوذ بالكتمان كثير من المصابين بمرض وبائي ، هم وذووهم ، ويتهربون من إعلام السلطات المسؤولة تهربا من العزل والحجر . ولذا فان الاسلام جعل من المسلم على نفسه محاسبا ورقيبا ، وأراد منه أن يكون مع الأصول الصحية ، فرغبه بالطاعة وحذره من العصيان ، فمنح ثواب المرابط في سبيل الله لمن التزم بالحجر راضيا ولم يخرج من أرض أو منطقة الوباء ، ومنح ثواب الشهادة لمن أصيب فمات ، وجعل عقوبة المتهرب من العزل والحجر كعقوبة الفار من زحف الجهاد المقدس . وذلك واضح في الحديث السابق الوارد في وصف الطاعون حيث يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « غدة كغدة البعير ، المقيم فيها كالشهيد ، والفار منها كالفار من الزحف » ويقول عليه الصلاة والسلام : « وهو لكل مسلم شهادة » .

وأحب أن أذكر بأن مرتبة الشهادة اعطيت في الاسلام في الدرجة الأولى لمن يقتل مجاهدا في سبيل الله تعالى ، وتلك أعلى مراتب الشهادة ، ثم لمن يقتل دفاعا عن عرضه أو ماله ، ثم لمن يقتل ظلما وتعديا عليه ، ثم لمن يموت في حادثة غرق أو حريق أو إصابة بالطاعون . كل ذلك إذا لم يكن قصد

الانتحار وإنهاء الحياة في نيته قبل الموت . فشبهة الاهمال ليصاب فيموت طمعا بالشهادة مرفوضة لدى العاقل .

وستأتي شواهد أخرى من الأحاديث النبوية تدعم مفهوم الشهادة .

معنى « وخز أعدائكم من الجن » :

لقد وردت أحاديث نبوية تفيد أن الطاعون وخز أعدائنا من الجن ، ومن أعلى تلك الأحاديث درجة في الاسناد الحديثان التاليان : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الطاعون شهادة لأمتي ووخز أعدائكم من الجن ، غدة كغدة الابل تخرج في الآباط والمراق من مات فيه مات شهيدا ، ومن أقام فيه كان كالمرابط في سبيل الله ، ومن فر منه كان كالفار من الزحف » رواه الطبراني ، وقال عليه الصلاة والسلام : « فناء أمتي بالطعن والطاعون ، قيل : يا رسول الله ، هذا الطعن قد عرفناه ، فما الطاعون ؟ قال : وخز أعدائكم من الجن وفي كل شهادة » رواه أحمد .

١ ـ إن كلمة الجن في الشرع ، في غير بحث الطاعون ، يراد منها أحد الثقلين المكلفين في مقابلة الانس . قال تعالى : **(وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون)** الذاريات/٥٦ . وقال سبحانه : **(خلق الانسان من صلصال كالفخار . وخلق الجان من مارج من نار . فبأى آلاء ربكما تكذبان)** الرحمن/١٤ ، ١٦ وقال جلت عظمته : **(قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا)** الجن/١ ، ٢ .

وكلمة الجن في عرف العرب تنصرف إلى ذات المخلوقات غير المرئية ذات القدرة والاستطاعة اللتين تفوق ما عند الانسان بنفسه . فالعرف الشرعي واللغوى في كلمة الجن واحدة .

٢ ـ إن المعنى الحقيقي للكلام هو الأصل ، ولا يحاد عنه إلى المعنى المجازى إلا لصارف عقلي أو شرعي أو واقعي . فهل يراد المعنى الحقيقي من كلمة الجن في أحاديث الطاعون أم يراد المعنى المجازى لوجود صارف عن المعنى الحقيقي العرفي والشرعي ؟

٣ ـ أقول والله تعالى أعلم : إن التدقيق في مجموع أحاديث الطاعون ، والمقارنة فيما بينها من جهة وفيما بينها وبين الحقائق الطبية في زماننا من جهة أخرى ، يؤكدان وجود صارف من الواقع عن إرادة المعنى الحقيقي . وأبرهن على وجود ذلك الصارف بما يلي :

● توافق وصفي علامات الطاعون في الحديث النبوي والطب ، كما أوضحت في البحث الأول ، مما يدل على أن الطاعون المراد في كليهما واحد .

لقد ثبت علميا أن سبب الطاعون أو عامله المرضي هو نوع من الجراثيم

العصوية تدعى الباستوره لات الطاعونية أو عصيات يه رسن ، تنقلها براغيث الجرذان والقواضم المصابة بهذا الوباء . ومحال أن يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو مخالف للواقع . وأذكر في هذه المناسبة بأن متن الحديث الذي يخالف الواقع بمعناه الحقيقي والمجازي يكون ضعيفا لأن مخالفة الواقع علة قادحة في صحة نسبة المتن إلى النبي صلى الله عليه وسلم المعصوم عن الخطأ ، ولو صح سند ذلك المتن ، لأن من شروط الحديث الصحيح والحسن كما في كتب مصطلح الحديث (أن لا يشذ وأن لا يعل) .

وبما أن المعنى المجازى في قوله صلى الله عليه وسلم : « وخز أعدائكم من الجن » محتمل ومقبول لغة فهو المتعين فلا حاجة لاعلال ذلك المتن ذى السند الحسن . وفي هذه المناسبة أذكر بأن الحقيقة العلمية الثابتة لن تصطدم بنص شرعي ثابت ، ويؤول الظني منهما ليتفق مع القطعي فان كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتى يثبت العقلي أو ينهار .

وعليه فان المراد من قوله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون : « وخز أعدائكم من الجن » هو المعنى المجازى لا الحقيقي .

● لقد أعطى الحجر الصحي فائدته المرجوة باذن الله تعالى حتى زماننا هذا ، كما أعطت وسائل المكافحة في الطاعون نتائجها الطيبة ، فايجاب الحجر الصحي في الطاعون ، كما ثبت في هدى النبوة ، يدل على أن سبب الطاعون ليس جنيا بالمعنى الحقيقي لكلمة الجن ، لأن الجن ، كما جاء في النقل الشرعي الثابت (والجن مخلوقات مما وراء الطبيعة) : مخلوقات ذات اقتدار على التشكل والاحتجاب عن الأبصار ولها اقتدار كبير على الأعمال العظيمة كقطع المسافات الطويلة في مدة قصيرة قال تعالى : **(إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم)** الأعراف/٢٧ . **(يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات)** سبأ/١٣ . **(قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوى أمين)** النمل/٣٩ . **(وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا)** الجن/٩ .

فكيف يؤدي الحجر على البشر فائدته ـ كما هو الواقع ـ والجن طليقون يستطيعون التنقل حيث شاءوا ؟ وعلى ذلك فان فائدة الحجر المشاهدة تنفي احتمال وجود طاعون سببه الجن وطاعون سببه الجراثيم ، وإلا فأين الطاعون الجني المنشأ في بقاع الأرض ولم تخل من الجن . إن ذلك الاحتمال المردود افترضه بعضهم قديما للتوفيق بين أحاديث الباب . قال صاحب فتح البارى : قال الكلاباذى في معاني الأخبار : يحتمل أن يكون الطاعون على قسمين : قسم يحصل من غلبة بعض الأخلاط من دم

أو صفراء محترقة أو غير ذلك من غير سبب يكون من الجن ، وقسم يكون من وخز الجن . ا هـ .

● ويستأنس من حديث توقف سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه بالصحابة والمسلمين عن دخول الشام في طاعون عمواس ، قبل أن يبلغه حديث الحجر ، على أنه ومن معه من المسلمين لم يكونوا يعتقدون أن سبب الطاعون جن حقيقيون . ولو كان سيدنا عمر ومن معه من كبار الصحابة ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، يعتقدون ذلك لاختار من الصحابة خواصهم ليدخلوا معه الشام ويتفقد أحوال المسلمين فيها ، يقينا منهم بأن الجن والشياطين لا تستطيع إيصال الأذى إليهم وهم صفوة عباد الله تعالى ، قال تعالى : **(إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون)** النحل/ ٩٩ . وكيف يحجم سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه ، ويتهيب الجن وقد خاطبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : « والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك » متفق عليه .

● ويؤيد أن المعنى الحقيقي لكلمة الجن غير واردة في أحاديث الطاعون ، ما قاله أبو موسى الأشعرى رضي الله عنه : « إن هذا الطاعون قد وقع فمن أراد أن يتنزه عنه فليفعل ، واحذروا اثنتين أن يقول قائل : خرج خارج فسلم ، وجلس جالس فأصيب ، فلو كنت خرجت لسلمت كما سلم فلان ، أو لو كنت جلست أصبت كما أصيب فلان » رواه البيهقى .

فاذا كان الطاعون من وخز الجن الذين هم أحد الثقلين فكيف يتقى منه ويتنزه عنه ، وكيف يحجر على منطقة وباء الطاعون مع أن الجن يتنقلون أين شاءوا لا يتناولهم أصول الحجر فلم يبق مجال إلا لاستعمال المعنى المجازى لكلمة الجن في أحاديث الطاعون .

فاذا ثبت لنا وجود الصارف عن إرادة المعنى الحقيقي لقوله صلى الله عليه وسلم : « وخز أعدائكم من الجن » ، كان المعنى المجازى هو المراد لأن كلام النبوة محال أن يتضارب مع الحقائق العلمية الثابتة أو مع الواقع العملي . ولذا فان ما يرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا وجدنا أن ظاهره يتضارب مع الواقع العملي عرفنا أن ذلك التضارب قرينة صارفة عن إرادة المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازى ، وما أكثر المجاز في لغة العرب . فاذا كان اللفظ والأسلوب يحتملان المعنى المجازى أولنا إليه ذلك الحديث الشريف .

● أما المعنى المجازى الذي أرجح فانه حاصل من وجود تشبيه بليغ (حذفت من التشبيه الأداة ووجه الشبه) ، فالمعنى وخز أعدائكم أمثال الجن في الخفاء عن الأنظار . أي إن هناك مخلوقات تدق عن أبصاركم عدوة لكم تسبب لمن تخزه وتؤذيه الطاعون . وصورة التشبيه البليغ هنا بيان المشبه بالمشبه به نحو جرى ماء من لجين (من بيانية) .

فمن هم أعداؤنا الذين يختفون عن أبصارنا كالجن ، ويسببون وباء الطاعون ؟ . لقد مضى دهر طويل وطويل قبل اكتشاف تلك الأعداء التي تبين فيما بعد أنها نوع من الجراثيم العصوية المعروفة بـ (عصيات يه رسن) ، تكون في البدء في الجرذان المطعونة ، ومنها تنقلها البراغيث إلى الانسان . وتختفي تلك البراغيث عن أنظارنا في الشقوق وفي التراب وفي طيات الثياب . فما البراغيث الواخزة للانسان ولا جراثيم الطاعون الداخلة إلى جسمه من الوخزة غالبا إلا أعداء لنا ، منها ما لا نراه بالعين المجردة كالجن ، ومنها ما يختفي .

أما لماذا لم يبين رسول الله صلى الله عليه وسلم السبب الجرثومي للطاعون ؟ بل أشار إلى أن من صفات ذلك السبب هو خفاؤه عن الأبصار كخفاء الجن فذلكم لأنه صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا ما يقول من قبل الخالق العظيم الذي أرسله رحمة للعالمين . ولقد شاءت حكمة الله العظمى وإرادته الغالبة أن يترك للناس التعمق في نظام الكون وحوادث أجزائه ودقائق الطب والعلوم المختلفة وتفهم العلاقات بين الاسباب والمسببات الدنيوية ، وذلك حسب تطور مداركهم وعلومهم ومعارفهم واكتشافاتهم مع مرور الزمن .

تنبيه : لقد رد الحافظ ابن حجر رواية (وخز إخوانكم) حيث قال في فتح البارى : (تنبيه) يقع في الألسنة وهو في النهاية لابن الأثير تبعا لغريب الهروى بلفظ (وخز إخوانكم) ولم أره بلفظ إخوانكم بعد التتبع الطويل البالغ في شيء من طرق الحديث المسندة ، لا في الكتب المشهورة ولا في الأجزاء المنثورة . وقد عزاه بعضهم لمسند أحمد أو الطبراني أو كتاب الطواعين لابن أبي الدنيا ، ولا وجود لذلك في واحد منها والله أعلم . ا هـ . وقد أشار العجلوني في كتابه كشف الخفاء إلى إنكار الحافظ ابن حجر لتلك الرواية . كما نقل المناوي عبارة الحافظ في كتابه فيض القدير ، ثم قال : وأما تسميتهم إخوانا في الحديث فذلك لاعتبار الايمان ، فان الأخوة في الدين لا تستلزم الاتحاد في الجنس ا هـ .

وأخيرا آمل أن أكون قد وفيت البحث حقه في إيضاح أن للاسلام سبقا علميا في إيجاب الحجر الصحي ومنع الخروج من منطقة الوباء قبل قرون عديدة من اكتشاف الجراثيم ومعرفة فائدة الحجر التي هي الحد من انتشار الوباء إلى بلدان ومناطق وأقطار جديدة ، وفي التأكيد بأن الطاعون الوارد في الأحاديث النبوية هو عين المرض الوبائي المعروف في أيامنا هذه بهذا الاسم . وفي البرهان على أن المعنى المجازى في حديث « وخز أعدائكم من الجن » هو المتعين لوجود صوارف عن إرادة المعنى الحقيقي .

وبذلك يتأكد لنا أن الأحاديث النبوية والطب الحديث منسجمان في وباء الطاعون كانسجام باقي الأحاديث القطعية في ثبوتها ودلالتها مع الحقائق العلمية القطعية .

حتمية العودة إلى الإسلام

للأستاذ/محمد لبيب البوهي

حقيقة الحضارة المعاصرة

إذا كانت الحضارة الحقة كما يرى أهل البصيرة والحكمة إنما هى مزيج من الثقافة القائمة على القيم مع التقدم « التكنولوجي » القائم على خير سبل الانتفاع بمادة الوجود مع هيمنة القيم على كل توجيه تكنولوجي .. إذا كانت هذه كما يرى الأخلاقيون هى قوام كل حضارة نافعة فان الحياة الغربية ليست من هذا النوع .. إنها مجرد الاستغراق في الاستمتاع المادي والحسي بكل معطيات الحياة .. ثم يبدو ذلك كله

خلايا مصقولا براقا إلى درجة تغرى الآخرين ــ ونحن في أكثر الأحيان منهم ــ فانه لا غرابة من أجل ذلك إذا كان العصر الحاضر يتسم بالشعور بالحيرة والاضطراب وافتقاد التوازن ... فالانسان ليس حسا مجردا أي ليس مجرد جسد أصم تشبعه وتغنيه متطلباته ، وإنما الجسد هو غلاف لحقيقة الانسان الكامنة في الفطرة التي خلق عليها ــ وهذه الحقيقة لا تجد غذاءها فيما نسميه بالحضارة المعاصرة .

ومن هنا تفتقد الحياة أسباب توازنها .

حقيقة حياة الناس هذه الأيام

إنه رغم مظاهر الحضارة التقنية كما تقدم .. ورغم ما تقدمه هذه الحياة من الاستمتاع الظاهري بالمعطيات الحسية فان التعاسة هى السمة الباطنية الغلابة ولذلك يبدو كثير من الناس ــ في القرب خاصة ــ خالين في ظاهر أمرهم من انعدام السكينة ، ولقد تظن بأكثرهم ــ لما يبدو عليهم من المرح الظاهري .. ووسائل الترويح ــ أنهم ينعمون باستقرار نفسي .. أو بلون من السعادة .. فان الواقع يكذب هذا تماما .. فان الانصراف إلى نشدان المتع الهابطة والاستغراق فيها .. من كأس خمر .. أو مائدة ميسر .. أو لذة بطن أو خلوة في فراش آثم .. كل هذه إرهاصات وعلامات على طريق معاناة الباطن مما يستدعى هروبا من الواقع فالانسان السعيد بحق لا يجد ضرورة للهروب من واقعه الذي يشبعه بحق ويرضيه .. فكل هذه المخدرات الحسية شواهد على الهروب النفسي .. ولا يجد الغرب خاصة ما ينقذه مما يعانيه اللاشعور بغير المزيد من تخدير المشاعر التي تطالبه عبثا بالسعادة الحقة .. وفي وجدانهم أن ما يأتونه في هذا السبيل ليس إثما ولا رجسا .

ما هو الطريق إلى سعادة صحيحة .؟

أنه لأمر بدهي أنه حين يكون المرء سعيدا .. فان واقعه سيكون مرضيا له ولا يجد في نفسه دافعا إلى الهروب الحسي في الملذات الهابطة .. إذ سيكون ما هو فيه من هدوء البال والاستقرار النفسي والتوافق السليم مع كل معنويات الحياة ما يغنيه ... ولا يتم هذا إلا بعوامل تأتي من خارج الحس أي من الباطن المعنوي الملئ بكل مقومات النفس المطمئنة .. وهذه هي مهمة الدين الذي افتقده الغرب فعاقب نفسه بهذا التخبط ويحاول كثير من المسلمين السعي وراء هذا البريق بممارسة ما أخذ الغرب به نفسه من شعائره الحسية فحسب مع خراب الباطن أو خوائه في أكثر الأحيان .. وحين نذكر عدد المسلمين على كوكبنا البئيس بمئات الملايين ــ فعلينا أن نذكر أن هناك مئات الملايين من هؤلاء مجرد أرقام تحت لافتة لا

تحمل معنى كبيرا .. وعلى سبيل المثال فانه في افريقيا « القارة » خمسون وأربعمائة مليونا من البشر منهم ثلاثمائة مليون من المسلمين مجرد أسماء فحسب ـ وحين يفكر اهل العزم والتيسير من إخوانهم في مناطق غنية أن يساعدوهم فانهم قد يفكرون في مجرد بناء مسجد لهم ثم ندعهم يسارعون الى جدرانه في شعائر لا يفقهون منها شيئا ـ وهذا المسجد واجب ... ولكن على أن يكون معه أو قبله أو بعده واجبات أخر .. لأن مجرد الشعائر التي لا يفقهونها لا تعود على هذه المئات من الملايين بتنوير صحيح .. على حين ان التبشير المسيحي في هذه القارة قبل ان يبنى لهم كنيسة يخطط بكل عناية سبلا كي ينفذ بها إلى أعماقهم .. فالمبشرون ليسوا مجرد وعاظ فقط .. بل أطباء واخصائيون يجوسون خلال الأكواخ .. ومعهم رجال يحملون الهدايا .. ويزورون الحقول والبيوت .. وذلك أننا على حين ننشىء لهؤلاء الثلاثمائة مليون بعض المساجد لا نعني كثيرا بما يفعله المبشر المسيحي خارج كنيسته .. ولذلك فان الأهالي يهرعون اليهم طلبا للدواء .. أو المعونة .. أو الرأي .

كيف جاء الابتعاد عن روح التدين ؟

ربما كان هذا الابتعاد في الأعم الأغلب ملموسا واضحا .. فاختفى الجوهر وسط ركام من القشور التي أخذت تعلو وتعلو فوق السطح .. حتى أخفت أو كادت تخفي معالم الحقيقة .. ولعله من الخير ونحن في سبيل محاولة الوصول إلى علاج أن نتذاكر بداية الداء .

لقد بدأت شعوب الأرض التي أدارت ظهرها للجوهر الديني في بدايات القرن التاسع عشر كنتيجة لما جاءت به الاكتشافات المادية من دوافع الى الاستغراق في ماديات الحياة التي أصبحت موضع التنافس لما فيها من رفاهية ومتعة في شئون المعيشة المادية اليومية .. وكان التنافس شديدا غلابا أهملت في سبيله القيم رويدا رويدا حتى أصبح كثيرون لا يكتفون بمجرد إنكارها بل ربما يجدونها معوقة .

ولكن انصافا للحق والواقع علينا ألا ننسى أن الشعوب الاسلامية وإن كانت قد انساقت زمنا ما وراء هذا الاتجاه المادي الذي تسرب إليها تحت إغراءات شتى كالعلمانية التي وجد أنها البديل عن الدين فان هذه الشعوب الاسلامية التي انساقت وراء ذلك في فترات مختلفة لم ينقطع عنها أبدا الخيط الذي يشدها أو يربطها بحقيقتها .. ذلك ان الدين الاسلامي باعتباره دين الفطرة فان هذه الفطرة كامنة دائما أبدا في الأعماق ، كالمصباح الذي ربما يخبو نوره اذا غطته طبقات وقتية من التراب ولعلنا نستطيع أن نرجع الى هذا ما يبدو في هذه الآونة من يقظة ملموسة حتى لقد يمكن أن يقال ان الدين قد اجتاز الفترة الحرجة التي

كانت تهدده ، وأنه بدأ ينشر ظلاله من جديد ربما بأساليب قد تحتاج إلى تعديل .

دراسة أسباب التفكك الماضي لتلافيها

ونظرة إلى الماضي نجد أنه عندما أحكم الاستعمار قبضته على عديد من بلاد الاسلام بسبب التأخر الذي أصاب المسلمين من قبل لأسباب ليس هنا مجال تأويلها .. انتهز الاستعمار فرصة هذا النعاس الذي أصاب هذه الشعوب فراح يستهويها بسبل شتى فتوارت المؤسسات الاسلامية الدستورية والتشريعية وان ظلت الفطرة التي هى من خصائص هذا الدين كامنة كما تقدم تحت الرماد فظلت هذه الفطرة بصورة ما تغذي افعال المسلم اليومية وتربطه بنظم وقواعد من السلوك لم يستطع من كثير منها فكاكا ، ولم يخل الأمر ابدا من دعاة ظلوا دائما يدعون إلى اليقظة وإلى تنبيه المسلمين إلى أن حقيقة وجودهم ومصدر قوتهم ليس في غير دينهم وأن هذا الأمر الفطرى لا يحتاج الى جدل أو تأويل .

بداية اليقظة الاسلامية .

وإنه رغم عشرات السنين من الاستعمار فان الدين الاسلامي ظل يفرض شخصيته على أهله بصورة ما .. فلم يحدث لديهم رغم كل شئ انكار لمبادئه وإن ضعف العمل بها أو تراضى .. فكل مسلم يرى مهما كان بعيدا عن أصول دينه ان الله واحد وأنه هو المقدر والمحرك لحياته .. وأنه هو المهيمن على كونه وملكوته .. وظل هذا التصور قائما لدى المسلمين طوال قرون التأخر فهو مبدأ أصيل في حياة المسلم ويرى بعض فلاسفة الغرب ومنهم « هيجل » ان حقيقة الفطرة الكامنة في أعماق النفس لم تغب حتى عن الانسان الغربي فهو يرى أن الدين مهما اختلفت صوره إنما هو قوة باطنية لا يمكن تحطيمها وإن حدث شئ من التنكر لها لأنه لابد من شئ ــ عند هذا الفيلسوف وغيره ــ يربط كينونة الانسان الفيزيقية بالعالم الخارجي أراد ذلك أو لم يرد ..

أهمية استعراض حقبة من التاريخ الاسلامي

إنه وان كان الغرب قد انساق في محاولة الخلاص عبثا من ارتباط الحياة الظاهرة بمحرك خفي غيبي غير ظاهر له فان هذه الحقيقة لم تغب عن المسلم أبدا حتى في أيام الضعف والتخلف .. فقد ظل هناك ارتباط بقدر ما بين الحياة المادية وبين المعطيات الدينية فلم ينقطع أبدا عن انتظار مدد له في أزماته من السماء فهو في الشدائد خاصة مشدود بما يشبه الالهام إلى مصدر يطلب منه المعونة التي لا يقدر عليها حين تتفرق به الأزمات والمشاكل والسبل ... وهو في حياته الدنيوية يظل تحت

الاحساس بشأن هذه القوة التي يطلب منها المعونة والمدد سوف تلازمه بعد انتقاله وإن حالت مساوىء التوعية والتوجيه والفهم الحقيقي لأصول دينه بينه وبين أنوار هذا الاشراق الداخلي الذي لا ينفصل أبدا عند الشخصية السوية حيث لا يكون هناك انفصال بين حاجيات الانسان وغرائزه والصلة التي تربط كل هذا بجوهر الروح .

عندما تكون هناك عزلة بين واقع الحياة والمنابع الروحية

إذا وجدت هذه العزلة أصبحت النفس فريسة لأهوائها وارتفعت عنها السكينة ولذلك فان توجهات الاسلام تعمل دائما على تقوية هذه الرابطة بحيث تكون الحياة اليومية لبنات لبناء حياة أخرى وبحيث أنه في كل قول أو حركة أو عمل يحس أنها لن تضيع .. بل يرسل بها إلى عالمه الباقي لتكون رصيدا له هناك .. ولكي يكون سلوك المسلم دائما سويا فانه يلزم أن يسير على الدوام في هذا الاتجاه .

ففي كل لحظة من لحظات وجوده يحس أن هناك قوة خفية تشده إلى المطلق الذي لا ينتهي .. أي إلى ما يمنحه الخلود ... وهذا هو ما تفتقده الحياة الغربية وهو سر هروب الأفراد إلى التعويض الحسي الذي من عواقبه عند الانصراف الكامل اليه أن يحدث الاضطراب النفسي لمخالفة ذلك الاتجاه لطبيعة فطرة الانسان ـ أي إنسان ...

كيف بدأ التراجع الديني ؟

حدث ذلك في الغرب عندما بدأ منذ العهد الوسيط يتنازل في ممارساته للحياة جزءا بعد جزء عن خصائصه حتى أصبحت الأوضاع لا تلبي حاجات الانسان إلى الأمن الروحي متناسيا في ذلك أن الدين لا يعادي الحياة المادية بل يأمر بها مع ترشيدها لتكون في أحسن حالاتها فالاسلام من أجل ذلك يعالج كل أسباب العجز .. والعوز .. والخوف .. ليس في حدود سعي الانسان كفرد فحسب فهو لا يترك الانسان وحده لنفسه بل يحيطه بالتكافل الاجتماعي القائم على الاخوة والمودة .. بحيث يكون المجتمع كله مسئولا في توافق ورضا واستجابة عن أفراده مع كفاية الحد اللازم للحياة المادية ومع ارتباطها بالحياة الروحية التي تعتبر مصدرا ومنبعا لها .. ولذلك لا يمكن الاستغناء عن الدين .. لأن الحياة الدنيا موسومة بالنقص .. والدين هو الذي يرسم طرق استكمالها .. ويسد كل ثغرات العجز المتجددة التي تظهر من الممارسات اليومية يوما بعد يوم مما يفرض حتمية الدين وأبديته .

بداية الاتجاه التلقائي للترشيد الاسلامي

من أجل ما سبق فان دعاة

الأخلاق والباحثين في سبل الاصلاح .. يجدون في أنفسهم دافعا إلى دراسة نظم جديدة لصلاحية الحياة .. وربما بدون إدراك منهم محدد وواضح نرى أن النظم التي ينتهون إليها انما تنبع أساسا من الاسلام ، فان هذه النتائج التي ينتهون اليها قد تأتيهم حين يستلهمون فطرتهم لتوحى إليهم في ساعات الصفاء بالاتجاهات التي يدعو إليها الاسلام ، وإن تركها أهله في غفلة منهم اندفاعا وراء التقليد الحضاري للغرب .. وهذه موجة مضت وآن لها أن تنحسر .

عظات من الماضي لابد منها

وفي إبان هذه النهضة أو اليقظة الاسلامية المرجوة لابد من استنباط بعض العظات من التاريخ ــ إذ هو خير معلم لمن يبغى اجتناب أخطاء الماضي .

ذلك ان الاسلام مهما كانت الظروف لن يخلو إلى الأبد ممن يكيد له ويعاديه .. ويشتد هذا العداء عند بوادر كل يقظة ، والعبرة تأتي ربما منذ بداية انهيار دولة الأندلس .. وما تبع ذلك من فتح المجال للتدخل الخارجي بالحروب الصليبية والتتارية والعمل دائما على حصار الاسلام وعزله في كل منطقة عن الأخرى بأساليب شتى ، وإثارة المنازعات الداخلية بين حكام المناطق .. وعلى حين تقوم هذه المنازعات بما خطط لها من استهلاك واستنزاف للقوى حتى لا تتجه الى معاونة المد الاسلامي تنهض في إبان ذلك الجهود التبشيرية التي لم تغفل منذ كانت التجارة العربية تغزو البحر الأبيض والأحمر والمحيط الهندي .. ونحن نذكر ذلك ليس عرضا وإنما للتدليل على أن الحصار للمد الاسلامي لم ولن يكون عقائديا فحسب .

ضرورة تخليص الاسلام من شوائب التخلف

وليس هناك ما هو أنسب لذلك من هذا الوقت فانه متى تم تخليصه من شوائب التخلف فلن يكون هناك عائق أمام الانطلاق المخطط المرسوم وهذا ما يستدعى تطوير الحياة ــ وليس تطوير الدين ــ فهو صالح لكل زمان ومكان ــ والتطوير هو أسلوب التطبيق في هذا الزمان لاعادة بعث ما يشعر الانسانية انه منقذ لها مما تردت فيه ... فالاسلام كما ذكرنا آنفا يحمل في طياته قوة الدفع المستمر وكل ما من شأنه إسعاد الانسان ابتداء من الحياة الشخصية إلى نظام الأسرة .. إلى التكامل والعدل الاجتماعي .. وكل القضايا الاقتصادية السليمة . والسياسية الحكيمة والرشيدة .

معالجة الفراغ الروحى العالمي

والتربة العامة للحياة الأرضية في كل مكان في ظمأ الآن الى هذا الري

والجوع الروحي في مسيس الحاجة إلى هذا الغـــذاء .. والفلاسفـــة الأخلاقيون تكاد أنظارهم تتركز على ما قاله زميلهم فولتير ..

من أن المشرع الاسلامي هو حكيم جاءت حكمته من عقيدة عليا .. ولذلك فقد جاءت مطابقة تماما لنمو وصيانة الذكاء الانساني .. وهـي تتسم بطرائـق سهلـة غايـة في اليسر فاستطاعت أن ترسى في شجاعة وحب وتراحم أصول السعادة حتى بـين زنوج إفريقيا وسكان جزر المحيـط الهندي وحتى الذين دانوا بالمسيحية وانحرفوا عن أصول الحب الـذي جاءت به شريعتهم أصبحوا في أشد الحاجة إلى تطبيق مثل هذه الشرائع العملية التي تنتظم كل مبادىء الحب والتسامح والتعاون وحتى المغفـرة للراجعين عن الاساءات .. ويتم هذا في حماية من التطرف .

هكذا تكلم فولتير ...

وجوب النقد الذاتي لتصحيح خط المسار

وكل الذي ذكرناه لا يعفينا بل لعله يلزمنا إزاء هذه المسئولية التي لا نرى أنه لا منقذ لكل ما تردى فيه العالم إلا بها إلى وقفة لمحاسبة النفس تبدأ من دراسة السلبيات وأسبابها ابتداء من الخرافات التي تعوق طريق العقـل ودراسة العلل التي دعت إلى التوقف أو الجمود أو التراجع .. مع مراجعة مقارنة للوضع الحضاري المعـاصر ومتطلباته .. وأن نمـارس هذا في شجاعة وصراحة ووضوح وإقدام لكل ما سد الطريق أمام أمة أخرجـت لتكون خير الأمم وتسـود بقيمهـا الكيان الروحي للعالم .

ولعله من الخـير أن نبـدأ هذه المراجعة من الرجوع إلى ما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ونعيـد دراسـة النظـم والقواعـد التطبيقية ثم نسـير قدمـا في هذه الدراسات مع تطورات الأحداث جيلا بعد جيل وما نشأ خلال ذلك مما أدخل على هذه الأصـول ممـا ليس من طبيعتها منذ كانت في عهد الخلفاء الراشدين وبذلك نستطيع تنقية المنبع من الشوائب الدخيلة وتـكون هذه الدراسات في خط متواز مع تطورات العصور رويدا رويدا ...

إن تنقية التربة من الطفيليـات والهوام هو واجب حتمي لنفسـح الطريق أمام النمو الطبيعي السليم .

الحذر من مزالق الترف ..

وهذه مشكلة تحتاج إلى عنايـة وتوجيه .. فان بعض الذين يسيل في أيديهم المال حين يكون هناك مع ذلك فراغ روحي يصبح انحرفهم نحو اللذات الحسية يغرى آخرين بالسير على منوالهم حتى يعم من هم دونهم هبوطا إلى القاعدة ، فالترف بمثل هذا الأسلوب هو اتجاه مخرب ومدمر .. وإذا كان هناك سؤال عما يجب عمله لمل‌ء الفراغ فانه يمكن تشجيع اقتناء الهوايات .. والفن الرفيع .. وتنسيق الحدائق والرحلات وانشاء المتاحف

المختلفة .. واقامة مباريات دينية ، وثقافية ورياضية .. وتبادل التعارف مع أبناء الأقطار .. والسياحة في البلاد لنشر أفكار نافعة ..

إن كل شيء نافع .. ومسعد .. ومفيد .. وممتع بحق وشرف هو في متناول الذين يملكون المال والفراغ .. فذلك من نعم الله .. وللتصرف فيها حساب عنده ..

الطريق السليم للعودة إلى مبادئ الدين

إن ذلك الاتجاه لن يتم أبدا بطريقة عشوائية .. أي لن ينام الناس ذات مساء ليستيقظوا فيجدوا الحياة الاسلامية قد فرضت نفسها .. وإنما لابد لكل فعل من فاعل ولكل عمل من إرادة ، ولكل إرادة من عزيمة ودراسة وتخطيط وتنفيذ ومعاناة ومسئولية وصبر .. فاذا كانت خصائص الاسلام وبركاته كامنة فيه فان ذلك يشبه كمون قوة النماء والخير في حبة القمح .. ولكن لابد لكي تؤتى هذه الحبة ثمارها من زارع يزرعها ويسهر عليها ويرعاها .. وهذا هو المطلوب من أهل الاسلام الذين لا يكفيهم مجرد الدعوة إليه وإنما البدء حتى كأفراد بأخذ أنفسهم به طبعا وسلوكا في رضا وقناعة واستمرار .. وهذه مسئولية كل مسلم تدخل في رحاب قوله تعالى **(وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون)** الزخرف/ ٤٤ . فالبداية لذلك يجب أن تكون شخصية على منهج إسلامي متكامل نتواصى به ونخطط له ، ونعمل به قلبا إلى قلب ، وعندئذ سوف يهدينا الله السبيل **(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)** العنكبوت/ ٦٩ .

انتهاز فرصة الاتجاه العالمي المعاصر

ذلك أنه لم يعد هناك من يرمى الاسلام بالتخلف أو الرجعية فالحكماء الدارسون للنظم الضرورية لصيانة الحضارة يشيرون إلى ما في المنهج الاسلامي من غناء لذلك وربما ساعد على هذا ما جعل الله في أيدى العرب في الآونة الأخيرة من مقومات أثبتت وجودهم كقوة فعالة .. وإن شابتها بعض الشوائب العرضية التي لا تعدو كونها كالطفيليات الهشة التي تنبت حول جذوع النبت ولا تتطاول إليه وسرعان ما يمحقها الزوال ..

وعلى هذه الأمة ــ حتى كأفراد ــ أن تدرك أنه ليس المطلوب منها مجرد الاتجاه إلى الشعائر وتقديسها وإنما تنظيم العلاقة التي تعتبر هذه الشعائر رموزا لها .. والعمل على تحويل كل ما هو فكر إسلامي نقي إلى طاقة على جميع المستويات . فيستمد العبد من علاقته بربه قوة يضيفها إلى قوة أخيه .. لتنفيذ حقيقة الاسلام جوهرا .. وروحا .. وسلوكا .. وعقيدة .

بهذا نضمن لهذه الحضارة ولهذا الكوكب الأرضي البئيس غذاء يجدد له أسباب الحياة .

مائدة القارئ

احسن القول

قال تعالى : **(ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين)** .فصلت/ ٣٣ .

يوسف ـ والذئب

لما أتى إخوة يوسف بقميصه ملطخا بالدماء ، وأعطوه لأبيهم يعقوب عليه السلام زاعمين أن الذئب قد أكل يوسف ، أخذ يعقوب عليه السلام القميص ووضعه على وجهه وبكى ، وقال : تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا ، أكل ابني ولم يمزق قميصه !! .

مريض مؤمن

مرض عبدالله بن مسعود فعاده عثمان بن عفان ـ رضي الله عنهما ـ فقال عثمان : ما تشتكى يا عبدالله ؟ قال : ذنوبي . وقال : فما تشتهى ؟

قال : رحمة ربي . قال : ألا آمر لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني ،

قال : ألا آمر لك بعطاء ؟ قال : لاحاجة لي فيه . قال : يكون لبناتك

قال : أتخشى على بناتي الفقر ؟! إنى أمرت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة ، إني سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا .

يارب

قال الشاعر يناجي ربه :

أيارب قد أحسنت عودا وبدأة ... إلى فلم ينهض باحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر إليك وحجة ... فعذرى إقرارى بأن ليس لي عذر

سبقك عكاشة

روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل من أمتى زمرة هم سبعون ألفا ، تضئ وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر » .

قال أبو هريرة : فقام عكاشة بن محصن الأسدى يرفع نمرة عليه – كساء فيه خطوط بيض وسود – فقال : يا رسول الله ! ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : « اللهم اجعله منهم » .

ثم قام رجل من الأنصار فقال يا رسول الله ! ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « سبقك عكاشة » .

الانسان

قال حكيم : الانسان إما أن يكون ناقصا وهو أدنى الدرجات .. وإما أن يكون كاملا في ذاته لا يقدر على تكميل غيره وهم الأولياء . وإما أن يكون كاملا في ذاته قادرا على تكميل غيره وهم الأنبياء . صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .. وهم في الدرجة العالية .

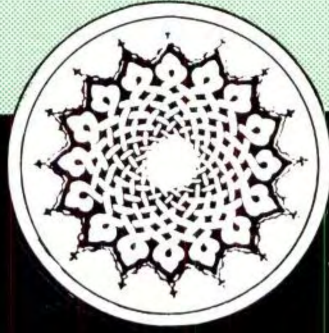
نصيحة

قال والد حكيم ناصحا لأولاده : لا تعادوا أحدا وإن ظننتم أنه لا يضركم ، ولا تزهدوا في صداقة أحد وإن ظننتم أنه لا ينفعكم ، فانكم لا تدرون متى تخافون عداوة العدو ، ولا متى ترجون صداقة الصديق .

عشق .. وإيمان

قيل لعاشق : ما أنت صانع لو ظفرت بمن تحب ، ولا يراكما غير الله ؟

قال : إذا والله لا أجعله أهون الناظرين ، ولكن أصنع معها ما أصنع بحضرة أهلها : حديث طويل ، ولحظ كليل ، وترك ما يسخط الرب ، وينقطع به الحب .



المسلمون بحاجة إلى..

للدكتور : ابراهيم علي ابو الخشب

مهما أحسنا الظن بالمسلمين ـ هنا وهنالك وفي كل بلد ـ فاننا لا نتجاوز الحد ، ولا نزيف الحق ، ولا نبالغ في تصوير الواقع ، اذا قلنا إنهم يعانون من كثير من الأمراض ، ولا بد للمشفق عليهم ، أو المخلص لهم ، من أن يضع أيديهم على مواطن العلة ، ونواحي الضعف ، ليحاولوا جادين ان يتخلصوا منها ، اويقاوموا نزوات طغيانها عليهم ، وتمكنها منهم ، واستفحالها فيهم ، لأن دينهم الذي يدينون به ، ويؤمنون بمبادئه ، لم يكن عقيدة ترتبط كل الارتباط باحكام اواصرهم بالله وبالناس ، بمقدار ما هو منهاج للسلوك السوي الذي يكفل لهم الحياة السعيدة ، والعيش الرغد ، والاطمئنان في الديار ، والحرية في الأوطان ، والتخلص من عبودية الانسان للانسان ، وقد كان في مقدمة ما ابتلوا به من المحن ، فأصابهم بالهزال ، ورماهم بالتشتت ، وجعل اهواءهم متباينة ، واغراضهم متباعدة ، ونفوسهم متنافرة ، أنهم في أوطان تشبه اشلاء القتلى ، أو فلول الجيوش المهزومة ، ليس لها من عناصر القوة ما يمكنها

من ان تقف على قدميها في وجه عدو مغير، أو جبار مسلط، او طامع مستبد، او جائر مغتصب، وفي كثير من الأحايين يتعرض المسلم للاذى، او يصاب بالعدوان، او يسام الخسف، فلا يملك له اخوه النائي، او صاحبه البعيد، سوى دمعة يذرفها، او حسرة يبديها، او أسف يقض مضجعه، وعلماء العمران يجعلون للوطن الواحد الأهمية القصوى في ارتباط الجماعات، ويؤكدون هذا الارتباط باللغة الواحدة، والمصالح المشتركة، لكن الاسلام لم يكن يعرف هذه الحدود، ولا تلك الحواجز، التي تخلق الأوطان، وتفرق بين الناس، وكان عنوانه الذي اتخذ منه الشعار لأهله: **(وإن هذه أمتكم أمة واحدة)** المؤمنون/٥٣ فليس للهندي ان يتوارى في الجنس، ولا لمن يسكن في أمريكا اللاتينية ان يقول انا في العالم الجديد، وكأنما كانت فريضة الجهاد علاجا لهذه التعللات، وسدا لتلك الذرائع، ومن عجيب أمرنا أننا نعرف ذلك كله ولا نجهل منه شيئا، لكن تطبيقه والعمل به هو الداء الوبيل، أو المرض العضال.. وقد كان هذا التعدد في الأوطان وسيلة من وسائل ما نسميه بتعدد المصالح وأشياء أخرى، وأخرى لا حاجة بنا إلى الخوض فيها، ونحن لا نستطيع أن نقول بقطع هذه المصالح ولا بالغائها، ولكننا نقول إن الاسلام في كل أوامره ونواهيه، وتكاليفه التي فرضها علينا، وارشاداته التي رسم لنا بها طريق الحياة، كان يهدف إلى ان يجعل منا أسرة واحدة، تتعاطف بالبر، وتتواصل بالخير، وتترابط بالمعروف، وتشترك في السراء والضراء، ولم تكن فريضة الحج الى بيت الله الحرام هي وحدها: **(ليشهدوا منافع لهم)** الحج/٢٨ وانما كل واحدة من عباداته ومعاملاته لبنة من لبنات البناء، ووسيلة لهذا التعاطف.. ومن القضايا المقررة — في علم أصول الفقه الاسلامي — قولهم « ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » والخطاب هنا — بالطبع — لا نوجهه إلى دهماء الناس وعامتهم، بل نوجهه للخاصة الذين يعرفون بالأدلة التفصيلية الحكم الشرعي في الأشياء من جهة الحلال او الحرام، والأمر بها او النهي عنها، والذي لا يتم الواجب إلا به — في نظرنا — هو اللغة العربية التي نزل بها كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: **(قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون)** الزمر/٢٨ ولا يمكن ان يدعي مدع أنه يفهمه بغير لسانه، وقد فشلت دعاوى ترجماته إلى أبعد حد، ووقع الذين تصدوا لها في كثير من الأخطاء، وبخاصة حينما يصادفون ما يسمى بالكناية أو الاشارة او الرمز او المجاز، في مثل (وقد افضى بعضكم الى بعض) من الآية: **(وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا أتاخذونه بهتانا وإثما مبينا . وكيف تاخذونه وقد**

أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا) النساء/٢٠ ، ٢١ وفي مثل (هن لباس لكم) من الآية : **(أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن)** البقرة/١٨٧ .. ولعلماء البلاغة في الكلام العربي رأى لا بأس من الانتفاع به – في وجهة النظر هذه – وهو أن الكلام له معنى أولى لا يزيد ولا ينقص كالواحد نصف الاثنين ، وكالقضايا البديهية المسلمة ... ومنه قوله تعالى: **(ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم)** النساء/١٢ فانها لا تتعدى السرد لعناوين مسلمة . وقضايا ثابتة ، واحكاما لا تخيل فيها ولا اجتهاد ... وللكلام – كذلك – معنى ثانوي يجيء في ثنايا الاستعارة والكناية والمجاز او التشبيه ، كما في قوله سبحانه : **(وقيل يا أرض أبلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين)** هود/٤٤ فانك

ها هنا تستعين بخيالك الواعي ، وادراكك المتأمل ، وعقلك المتيقظ ، وحواسك الحادة ، وفكرك المتزن ، وتذهب في ذلك كله المذاهب المتنوعة .. وأنت ترى من الفرق ما بين المعنيين ان الثاني لا يمكن ترجمته لأنه يشبه البحر الذي تصطخب أمواجه ، وتترامى مياهه ، ويختلف تياره .. وقد صح أن السيدة عائشة رضي الله تعالى عليها – وقد كثر ذكر النبي صلى الله عليه وسلم للسيدة خديجة واظهاره الرضا والارتياح لما كان بينهما من عيش سعيد – قالت : « أرأيت لو أنك أتيت واديين معشبين احدهما رتع فيه ، والآخر لم يرتع فيه ، في أيهما ترتع بعيرك » وهو من الكنايات الدقيقة التي لا يفهمها الا صاحب البيان العربي ، والذوق العربي ، ولا يستطيع المترجم مهما كانت قدراته ان ينقل هذا الرمز ، ولا تلك الاشارة ، والمترجمون للمعاني الثانوية لا بد لهم من الزيادة او النقصان .

وما دام الأمر كذلك فان المسلمين – الذين ينطقون بالعربية – مقصرون في هذا الواجب الذي لا يتم الواجب الا به وكان عليهم من قبيل تقديم الوسيلة على الغاية أن تكون عنايتهم بدراسة لغة القرآن . والاهتمام بها ، والتفقه فيها ، لأنها من الأمور الضرورية ، الا ان الاستعمار الذي جثم على صدور تلك البلاد ردحا من الزمن كان همه دائما ابدا ان يباعد ما بين المسلمين وبين هذه اللغة اعتقادا منه أنها تخدم هذا الكتاب وتحمي

عرينه ، ولقد حاول ان يفعل ذلك في مصر ـ بلد الأزهر ـ فلما لم يتمكن من بلوغ غايته تلك ، حارب القرآن نفسه ، باغلاق المكاتب التي كانت تقوم على تحفيظه .. ولا تزال هذه البلاد كلها بعد زوال الاستعمار تقاسي من آثار ذلك المرض ، ولعل من تلك الآثار ما كنا نسمعه عن تلك البلاد ـ غير العربية ـ من اتهامها لمثل هذه الدعوات انها دعوة مقنعة لما يسمى بالقومية العربية ، ونحن نبادر ـ من جديد ـ الى القول بأنها دعوة اسلامية خالصة ، ربما ساعدت كثيرا على فهم الحقائق الاسلامية الكثيرة التي يختلف المسلمون فيها ، وقد كانت بلبلة لسانهم ، واختلاف بيانهم ، بعض الأسباب في بعد المسافة ، وتباين الرأى ، وتمكن العصبية ، واقول العصبية لأن الدفاع عن اللغة ، والغيرة عليها ، والتمسك بها ، صارت لا تقل عن العصبية للوطن او الجنس او العرض ... وأود ان أنبه مجمع البحوث الاسلامية الذي يجمع كل عام الصفوة الممتازة من علماء الاسلام من الأقطار المختلفة الى انه لو نجح في اقناع تلك البلاد التي لا تنطق الضاد بهذه الفكرة ، وجعلهم يؤمنون بها ، لما ظل بيت المقدس في ايدي اليهود يدنسون ترابه ، ويلطخون ارضه ، فان الفجوة الواسعة التي نحس بها ، والتي كان من آثارها اننا نقف وحدنا ، هو اختلاف الأوطان واللسان ، لأمة أراد الله لها ان تكون واحدة تجتمع على مائدة الكتاب والسنة وهما المشعلان اللذان قال فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنة رسوله » رواه البخاري .

ولعلنا بهذه الدعوة المخلصة الجادة نلفت النظر إلى ان الثقافات الاسلامية المستنيرة في البلاد العربية الآن أكثر من غيرها من البلاد الأخرى ، وأن اخواننا في تلك البلاد إن كانوا حريصين على الفقه في الدين ، والفهم للشريعة ، فليلحظوا هذين المعنيين ، والحق احق ان يتبع وليس من العيب ـ في قليل ولا كثير ـ أن يعترف الانسان بالفضل لذويه ، وقديما كان مصدر الاشعاع في مكة ثم المدينة ، ولم يكن لهذا كله أثر من الضغينة او الحقد من غيرهما من البلاد التي تأخذ عنهما ، او تقتدي بهما ، وانتقل بعد هذا كله الاشعاع إلى دمشق ، كما انتقل ـ كذلك ـ إلى بغداد وعصفت بها عواصف التتار فلم يجد المسلمون حصنا يلوذون به إلا هذا المسجد الذي بناه جوهر الصقلي ليكون معهدا لنشر علوم الشيعة وثقافتهم ، وكانت القاهرة من قبل ذلك كله تحمل لواء النور والمعرفة منذ تاريخها القديم الى الفتح الاسلامي في عهد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومسجد عمرو ابن العاص ، وأحمد بن طولون عنوان لا زيف فيه ولا ادعاء ، ولا أبالغ في الحديث عن هذا التاريخ حتى

لا أتهم بالتحيز أو الميل لبلدأنا منه ، وان كنت اقصد بهذا إلى القول بان الأقطار الاسلامية ، لم تكن قديما تعيش في عزلة ولا تقاطع وانما كان أهلها على اتصال تام ، وارتباط دائم ، وشعور متبادل ، والدليل على نلك كتب الرحلات التي ألفها العلماء كابن بطوطة وابن خلدون وياقوت الحموي صاحب معجم البلدان ... والذي يقرأ كتاب نفح الطيب وغيره من الكتب يعرف إلى اى مدى كانت الأسفار من الأندلس للمشرق ، ومن المشرق أيضا إلى الأندلس والمغرب ، وتلمذة هؤلاء لهؤلاء ، وأولئك لأولئك ، ولا ضير في نلك ولا غضاضة . ومن هذا نعلم أنهم كانوا متصلين بالبيان واللسان ، والثقافة والمعرفة ، والوجدان والشعور ، والأدب والذوق ، فلم تباعد ما بينهم الأوطان ولا المصالح ، وكان فهمهم للدين ، وعلمهم بالحلال والحرام ، يسير على خط واحد ، ويستقي من معين لا يتناقض ولا يختلف ، وكذلك نرجو ان يعود لنا هذا التاريخ .

★ ★ ★

من العيوب التي يلمسها الخبير بالبلاد الاسلامية ـ على اختلاف أقطارها وأبعادها ـ خلوها من الداعية اللبق ، أو الواعظ المرشد ، أو العالم المتفقه ، وربما توفر العلم الكثير أو الغزير ، إلا أنه لم يكن إلى جانب هذا العلم ثقافة ، وما أظننا نجهل الفرق ما بين الثقافة والعلم ، فانه ليس بلازم أن يقترن كلاهما بالآخر ، أو يوجد حيث يوجد ، لان العلم يفيد الالمام والاحاطة ، والوعي والادراك ، وتقصي المسائل وحفظها ، والثقافة تفيد التقويم والتهذيب ، وهي أقرب إلى الذوق والجمال ، والروعة والحسن،من العلم ، وهي ـ في الأصل ـ كما يقول علماء اللغة مأخوذة من الثقاف وهي العصا المستقيمة تربط بالعود الأخضر الذي لا استقامة فيه حتى إذا ما جف كان على استقامة الثقاف واعتداله لا يحيد عنه ، ولا يتفلت منه ، ولا يكون على غير نسقه ومثاله ، والعالم قد يكون كتابا مكرورا ، أو نسخة معادة ، بخلاف المثقف الذي لا يشبهه إلا هذا الرحيق الحلو في قوله جل جلاله : **(وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)** .. النحل/٦٨ و٦٩ وإذا كان العلم تخصصا في باب من أبواب المعرفة ، أو ناحية من نواحي الاستقصاء ، فأغلب الظن أن الثقافة أعم من نلك كله أو أكثر ، لانها أستاذية عظمى ، ودراية واسعة ، وإحاطة شاملة ، ثم هي مع هذا وهذا تشبه بعد فهم الحقائق ، ومعرفة الأشياء ، ما يسمى بمرحلة تعليل الاحكام ، ويقرب منها ما يطلق عليه رجال المحاماة في ساحة القضاء في مقام الدفاع كلمة ، « روح التشريع » على معنى ما يهدف إليه المشرع من النص أو المادة في القانون ، ويراد

منها ما كان يخصه علماء الفقه الاسلامي باسم « حكمة التشريع » التي يهتدى إليها المكلف بعقله وبصيرته اطمئنانا للحكم ، وإيمانا بأنه يشتمل على جلب المصلحة أو درء المفسدة ، أو يصرح له بها الشارع الحكيم – في بعض الأحايين – إلى جانب النص ، كما في آية الخمر: **(إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة)** المائدة/٩١ وعلى هذا فالثقافة فيما يقصد إليه أهل البصر والرأي دراسات شتى لألوان لا حصر لها من العلوم والمعارف ، ولا نقصد بهذه الدراسات أن نبني بها شخصية الداعية أو المرشد ، أو نكمل بها ذاته ، وإنما نعني أنها تساعده على أداء مهمته التي نصب نفسه لها . ووقف جهده عليها .. وقد كان الامام محمد عبده – رحمة الله عليه – مثالا طيبا لهذا الانسان الذي ننشده ، والعالم الذي نبحث عنه ، ولهذا استطاع أن يجري في ميدان الغرب والشرق مع ساسة محنكين ، وفلاسفة كبار ، كان فيهم الملحد والشاك ، والوجودي والشيوعي ، والنصراني وعابد الوثن ، ومن لسانه العربية ، ومن رطانته البربرية ، ولم يثبت أن أحدا أفحمه ، أو قطع عليه السبيل إلى الحجة الواضحة ، والبرهان الصحيح ، ولا نرتكب الشطط فنرجو أن يكون كل داعية صورة للامام محمد عبده الذي أصبح في التاريخ من أقطاب الفكر ، وأعلام الرأي ، ودهاقين السياسة ، إنما نريد أن نقول : إن العالم الذي كان يحمل « شهادة العالمية » من الأزهر كان لا يحصل عليها إلا بعد رحلة شاقة ، ومسافة طويلة في حساب الزمن ، ودراسة عميقة لعلوم الدين واللغة ، وهناك يصح له أن يتصدر مجالس الفتيا ، ويتصدى لتفسير كتاب الله ، أو يقول للناس هذا حلال وهذا حرام ، وكان في هذه العلوم مصطلح الحديث . والرجال ، والجرح والتعديل وأصول الفقه . والمنطق والمناظرة والجدل . وعلوم العربية التي لا نهاية لها . وما كان له أن يقف على قدميه حتى يأخذ مكانه من « صحن الأزهر » ليقرأ على طلابه بعض العلوم ، ويسأله بعض الغادين والرائحين أسئلة تعنت وإحراج ، فان نجح في مواجهة الجماهير ، واستطاع أن يتخلص من المآزق ، ويتخطى العقبات ، كان هو الرجل الذي يدفع به إلى المهالك ، ويعول عليه في الأزمات ، وإلا كان أولى به أن يعود طالبا لا مطلوبا .. وقد كانت هذه هي شنشنة القدامى من أسلافنا في الالمام والتحصيل ، والعلم والمعرفة ، ولذلك غلبت عليهم طريقة الاستطراد في الدرس وفي التأليف ، ولعل من أمثل الشواهد على ذلك كتاب الكامل للمبرد الذي يبتدئ بالحديث الذي روى عن النبي فيما يمدح به صلى الله عليه وسلم الانصار : « إنكم لتكثرون عند الفزع ، وتقلون عند الطمع » إذ يأخذ في بيان ما في الحديث من المفردات اللغوية مستشهدا ببعض الابيات من

الشعـــر ، وينتقـــل إلى التعريـــــف بالشاعر ، وربما كان في اسمه أو نسبه اشتبـــاه بشاعـــر له اسمـــه وكنيته ، فحمله ذلك كله على تمييز أحدهما عن الآخر ، وقد يذهب إلى نقد البيت أو الأبيات ، وذكر القاعدة النحوية أو الصرفيـــة ، واشتقـــاق الكلمة وحسن اختيارها على سواها ، وهكذا يجد القارئ نفسه في مكتبة واسعة ، يقلب صفحاتها ، ويتنقل في أوراقها ، ويشافه أمة من الناس في جنباتها ، ومن الغريب العجيب أننا نقول لمن يدرس النباتات وتطورها وآفاتهـــا والطريقـــة المثلى في وفـــرة محصولها « أستاذ في الزراعة » مع كونه كان يعيش في محيط محدود من العلم والمعرفة ، ولكننا لا نستطيع أن نقول لمن درس علم الفقه فقـــط أو الحديث فقط أو ما يشبه ذلك إنه فقيه أو محدث ، ومن البديهي أن يكون أكثر عجبا وغرابة ، أن نقول لدارس من علوم النباتات وكفىء أستاذ في الفقه الاسلامي ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما وصلنا إليه الآن حينما رأينا تطفل الواغلين على حديـــث رســـول الله أو الفقـــه الاسلامي الذين يفرضون أنفسهـــم على بعض القضايا والمسائل زاعمين أنهم أهل رأي واجتهاد . . . وكم كان بودي لو أن القانون الـــذي يمنـــع الحلاقين من مزاولة مهنة الطب ، أن يمنع من لم يدرس الشريعة الاسلامية دراسة تؤهله للحديث فيها ، والدفاع عنها ، من أن يقحم نفسه في أهلها ، فيجعل لنفسه الحق أن يلبس مسوح رجالها ليأخذ الناس عنه ، أو يتعلموا منه ، ونحن لا نعرف إنسانا أقحم نفسه هذا الاقحام ثم ملأ الفراغ الذي يتحيزه بعد الأستاذ عباس محمود العقاد من خلال كتابـــه « حقائـــق الاسلام وأباطيل خصومه » وغيره من كتب وبحوث استطاع فيها أن يكون لسان صدق عن الاسلام والمسلمين ، وليس كل باحث ولا كاتب يمكن أن يكون صورة ثانية أو ثالثة لهذا الرجل الذي أجمع المؤرخون له على أنه كان قارئا بمعنى الكلمة فلم يفته كتاب ولا كاتب دون أن يلم به جملة وتفصيلا ، ويعرف ما جاء في ثنايا سطوره حرفا حرفا ، وكلمة كلمة ، وقد كان هو نفسه يحس بتلك الموهبة الخارقة التي رزقه الله بها ، فيقول أنا صورة لا تتكرر ، ولا يجود الزمـــن بمثلهـــا بعد . .

ونحـــن إنمـــا يسوقنـــا إلى هذا الاسترسال في سوء الظن برجل الدين أو الداعية المرشد أننا مخضرمون في دراستنا ـ في الأزهر ـ أدركنا عهده القديم والجديد ، وأننا عرفنا إلى حد ما مدى ما وصل إليه النور والمعرفة في بعض البـــلاد الاسلاميـــة . . وقـــد ساعدنا هذا كله على أن تمتلى نفوسنا بالاسى والأسف ، والالم والحسرة ، لما وصلنا إليه من تخلف وركود ، على الرغم من أن مجالات الدراســـات الاسلامية قد اتسعت هنا وهنالك ، وأصبح في كثير من البلاد العربية والاسلامية جامعات لعلـــوم الديـــن واللغة العربية ، ويتخرج فيها الافواج في نهايـــة كل عام دراسي ، ثم

يتقلدون ـ في الدولة ـ الوظائف والأعمال ، بعد أن كان الأزهر وحده هو مركز الاشعاع لتلك البلاد المترامية في الشرق والغرب ، وهو وضع يجعلنا نلح في السؤال عن السبب المباشر أو غير المباشر في هذا الجهل الذي وسع الفجوة ، وباعد في المسافة ، وصير الدين فيما بيننا غريبا .. وهل يكون ذلك راجعا إلى أن هذا اللون من التعليم قد أصبح من مخلفات العصور ، لا يلتفت الناس إليه ، ولا يهتمون به ، بعد أن صاروا في عصر الكهرباء والبخار وتفتيت الذرة ، وأن رجال الدين ليس لهم إلا أن يعيشوا في التكايا والأديرة . وبخاصة في الوقت التي تمخضت بعض الفلسفات فيه عن أنه مخدر الشعوب .. أم إن ذلك يرجع إلى أن مناهج الدراسة نفسها لا تصنع من الطالب المتخرج هذه الشخصية المرجوة ، والانسان المطلوب ، وسواء صح هذا الظن أو ذاك ، فان علة العلل في بلادنا التي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، أن الداعية المرشد فيها لم يتوفر له من العلم والثقافة ما يؤهله لأن يكون هذا الرجل الذي كان الناس يفهمون فيه أنه المنارة التي تضيء لهم مواضع أقدامهم حتى لا يكون مسيرهم خبطا ، وخطوهم على غير هدى ، وعلينا ان كنا ننشد الاصلاح ، ونسعى الى التقدم ، ونساير ركب الحياة الصحيحة ، أن نعود ـ من جديد ـ إلى فهم ديننا ، والعمل به ، والانتفاع بهديه ، مستعينين بهؤلاء الذين نعدهم من أبنائنا ليكونوا وعاظا مرشدين وأساتذة يحملون راية المربي الأول محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يثني من عزمنا ، أو يفت في عضدنا ، أن الذين يغزون الفضاء ، أو ينزلون على سطح القمر ، لم يصيخو إلى نداء الدين ، أو يتأدبوا بآداب ابن عبد الله ، فان النزوح إلى الدين ، والرجوع إلى الله ، من الأمور الضرورية للانسانية ، وإن تخبطت بها السبل ، أو التوت الطرق ، وقد أصبح الغرب الضال الحائر يبحث عن الوسيلة إلى غذاء الروح ، والايمان بالله ، فلم يجد من يأخذ بيديه إلى بر الأمان والنجاة ، ولو أن لهم هذا الزاد الذي بأيدينا لكان لهم من الاطمئنان والسعادة وراحة البال ما يجعلهم ملوك الدنيا ، وسادة الناس .. فهل يؤمن المسلمون بأن الله سبحانه وتعالى حباهم بما لم يحب به أحدا ، وأنهم لم ينقصهم ليكونوا ملوك الدنيا ، وسادة الناس ، إلا أن يعودوا إلى الانتفاع به ، والدراسة له ، والرجوع إليه ، فان أجدادهم الذين دوخوا التاريخ ، وبسطوا سلطانهم في البسيطة وأذلوا الأكاسرة والقياصرة ، لم يصلو إلا به ، ولم يكن من أعلامهم خالد بن الوليد ، وعبيدة بن الجراح ، وعقبة ابن نافع ، وعمر بن الخطاب ، إلا لأن الايمان يملأ قلوبهم ، والقرآن يدوي في آذانهم ، وكلمة الله عندهم هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، فلنحذ حذوهم ، ولنسر على نهجهم ، ولنرب الأجيال المقبلة على الهدى

الصحيح ، والتهذيب الصادق ، والثقافة النقية ، والعلم النافع ، ليكون لنا إلى جانب مصانع الذخيرة والأسلحة ، جبهة من الأخلاق تتطحم على صخرتها وسائل الدمار والشر . والمسلم دائما أبدا كان سيد الناس ، لا يذل للمحن ، ولا يلين للأحداث .

★ ★ ★

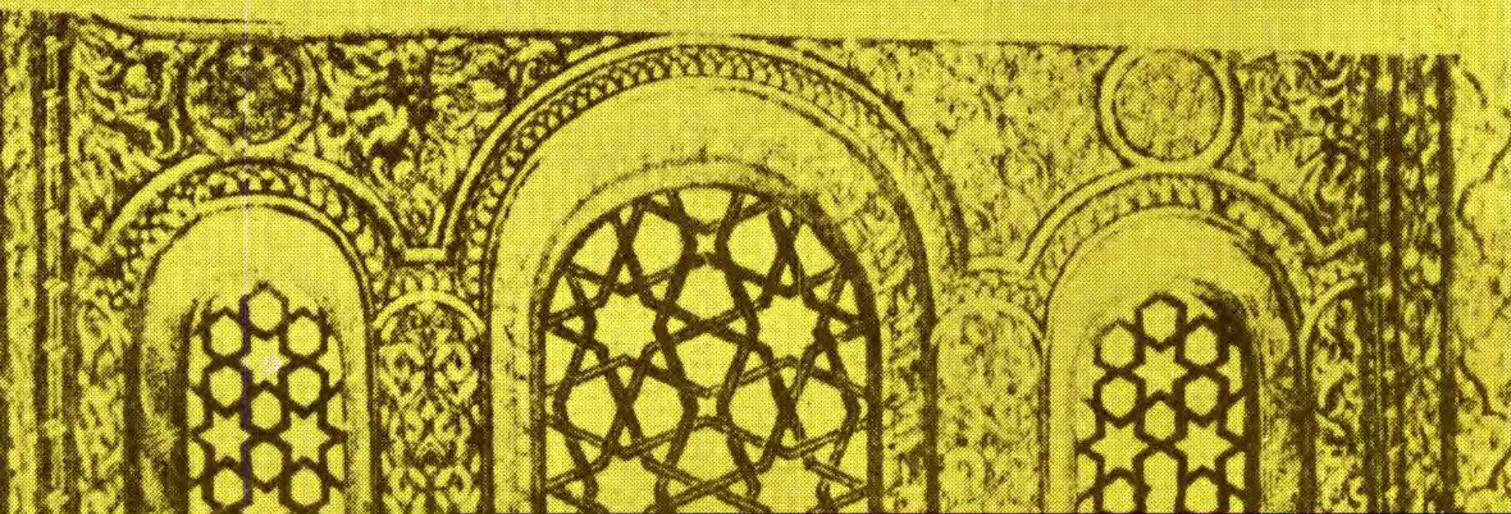
تحولت اليهودية إلى صهيونية عالمية مهمتها السيطرة على رؤوس الأموال ، ومشروعات الانتاج التي تتوقف عليها حياة الشعوب والأفراد ، وقد تجاوزوا ذلك إلى العلم والفلسفة ، والسياسة والأدب ، والعمران والرقي ، والتقدم والحضارة ، فما من مذهب في الاقتصاد والعمران ، أو الفلسفة والأدب ، إلا ووراءه يهودي يحركه ويعلنه ، ويدافع عنه ، وينادي به ، ولا ينكر أحد أن وسائل الدمار والتخريب ، والتهديد بفناء البشرية في أيديهم ، وتحت طائلة نفوذهم ، مع كونهم قلة ضئيلة بالنسبة للطوائف الأخرى ، ومن شأن القلة الشعور بالذلة ، وتلك سنة الحياة ، ولا نجد عصبية هوجاء وراء الشعور بالذلة والقلة ، ونحن لا نشك في هذه العصبية اليهودية أو بعبارة أصح ، الصهيونية ، غير أننا نسأل أنفسنا هل هم يشعرون مع هذه القلة بالذلة ، وفي خناصر ايديهم ذئاب الاستعمار في أمريكا وغيرها من الدول التي تلعب بمصائر الأمم والجماعات ، والشعوب والأفراد ، ولا يعنينا أن نثبت على التحقيق أن فيهم ذلة مع تلك القلة أم لا ، وإنما الذي يعنينا أن نثبته أن الاسلام عزة وكرامة ، وقيادة وسيادة ، وقوة لا تقف في وجهها القوى الجبارة ، ولا الجبروت الظالم ، ولا البطش العاتي ، ولا الشر الأهوج ، لأنه يضع صاحبه دائما أبدا في طليعة الصفوف ، وفي مركز السيطرة ، حيث يتحرر من الأغلال ، ويتمرد على البغي ، ويثور على الأوضاع الباطلة ، ويرسم له الطريق إلى ذلك كله ، اذ يشعره بالعزة التي لا يتطاول اليها جاه الملوك ، ولا سلطان القياصرة : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس**) آل عمران / ١١٠ وإن كانت هذه الخيرية محتاجة إلى كثير من خلال البر والخير . والطاعة والمعروف ، والسلوك والأدب ، وكان أبرزها الأخوة الصادقة التي تربط المؤمن بالمؤمن ، وتصل الانسان بالانسان ، وفي القرآن الكريم تدور هذه الكلمة في أكثر من آية : (**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**) الحجرات / ١٠ وفي حجة الوداع يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « المؤمن أخو المؤمن لا يسلمه ولا يخذله ولا يقتله » .. وربما كانت الأخوة هذه هي الثمرة الأخيرة التي تتخلف عن الصلاة والصوم ، والزكاة والحج ، وغيرها من الفرائض والتكاليف التي لا يرجو الشارع الحكيم من ورائها إلا أن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون ، وهنا يبدو لنا أن نسأل مرة أخرى هل

هنالك أخوة ـ حقا ـ تربط ما بين المسلمين وتتخطى الى هذا الربط أو الرباط تلك الأبعاد والحدود ، والحواجز والسدود ، لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر أمته مغبة ذلك التخاذل والتفكك ، اذ يقول : « توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على القصاع » وكان يرد عليه بعض من يسمعه من صحابته « أمن قلة نحن يا رسول الله » فيقول له : لا « ولكنكم كثرة كغثاء السيل » رواه الترمذي .. وقد صح ما تنبأ به صلى الله عليه وسلم فان نسبة اليهود في العالم كله لا تساوي بالنسبة للمسلمين نصف العشر ، ومع هذا فعند احتلالهم لفلسطين ، واغتصابهم لغيرها من البلاد العربية ، واستباحتهم حرمات ثالث الحرمين قابل المسلمون ذلك كله بالوجوم والذهول واكتفوا بأضعف الايمان ، بل كان فيهم من ساعدهم ولا يزال بكل إمكانياته وموارده ، وربما كان في بعض هذه البلاد صلات « دبلوماسية » قائمة بينهم وبين تل أبيب ، ومع هذا كله فلا نزال نزعم بيننا وبين أنفسنا أننا في معسكر صاحب الاسراء والمعراج ، وهو زعم يشبه زعم عبد الله بن أبى بن سلول الذي كان يتظاهر بأنه مع محمد صلى الله عليه وسلم ، ويخرج معه لحرب المشركين لا ليقاتل ويرفع رايته وإنما ليشيع الوهن والضعف في نفوس من يستطيع أن يؤثر عليهم قائلا : **(لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)** المنافقون/٨ والتاريخ الذي نقلب صفحاته منذ وضعت اليهودية أقدامها في فلسطين الى احراق المسجد كله مخاز تلاحق المسلمين في البلاد العربية وغيرها من البلاد الاسلامية ، وتدل دلالة لا يتسرب اليها الشك أن واحدا من أمرين اثنين قد أصاب المسلمين فحملهم على ذلك الموقف المتخاذل .. استسلام للهوان ورضا بما جرته النكبات والمصائب ، او جهل بهذا الدين الذي يجعل من أهم وشائجه بين المتدينين به « الأخوة » التي كان من أبسط مظاهرها في صفوف المسلمين الأولين الايثار والنجدة والوقوف في وجه العدو المشترك « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » .. وما أظن أن يكون الاستسلام للهوان والرضا بما تجره النكبات والمصائب على هذا الوجه ، من تعاليم الاسلام ، ولا من أخلاق المسلمين : **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)** المنافقون/٨ ولا يبقى بعد من هذين الاحتمالين الا ثانيهما وهو الذي نحاول أن نعالجه لأن المسلمين لا يصح مهما كانت بينهم المسافات والحدود أن يكون فيهم هذا الجمود الوجداني ، أو البرود العاطفي ، الذي تتكرر فيما بين آونة وأخرى من التاريخ مآسيه وأحزانه ، وما مثلهم من خلال هذه الفترات كلها من الزمن الذي صار في خبر كان الا مثل طفل غير رشيد خلف له أسلافه جاها ومجدا وملكا وسلطانا لم يحسن القيام عليها ، ولا التصرف فيها ، ولا الانتفاع بها ، ولم تكن النتيجة

الحتمية التي تترقبــه ، ولا المصير المؤسف الذي ينتظره ، سوى زوالها عنه ، وهروبها منه ، وهذا بعينه هو الذي حصل للمسلمين في الأندلس إذ قامت لهم بها دولة شامخة زهــاء ثمانية قرون في قلب العالم الغربي تنشر فيه النور والمعرفة ، والعدالة والمساواة ، والأمن والطمأنينة ، فلما ثار به حقده وحسده أن يأخذها من أيدي المسلمين ــ هنالك ــ لم يثــر ضمير المسلمــين في المشرق لنجــدة اخوانهم في المغــرب ، أو الوقــوف بجانبهم ، وظلوا يكتفون من المأساة بموقف المتفرج ، وكان هذا التاريخ الأسود مبدأ مقررا للطمع في البلاد الاسلامية والعــدوان على الحقــوق المشروعة للمسلمين ، وأصبح تفرق الكلمة ، واختلاف الهوى ، وتباعد القلــوب ، وتنافــر الطبــاع ، هي الدستور الذي يتحكم في العلاقــات الدولية القائمة فيما بينهم ، ومــن المضحك المبكي في آن واحد أن كل جماعة من هذه الجماعات كلها لا تزال تزعم زعم الفرزدق أنهــا هي حامية حمى الاسلام وغيرها هو الذي يدعى سليمي سفاها .. وأنا لا أسيء الظن بالمسلمين حين أصرح بهــذه الجفوة القائمة ، ولا بتلك القطيعة المتمكنة ، وأرجــو أن يثوبــوا الى رشادهم ، ويحاسبوا أنفسهم حساب من يجعل دينه أشبه بعرضه الذي يدافع عنه ، وماله الذي يقاتل دونه ، هل هذه المواقف التي تسيطر على سلوكهــم ــ الآن ــ من الديــن الصحيح ، والأسلوب ، الذين كان يدعوهم إليه ، ويرغبهم فيه رسولهم الأمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أطلب اليهم من وراء نلك كله إلا أن يكونوا مسلمين بمعنى الكلمة ، وليس بعيب أن يتوب المسلم إلى رشده ، ويتخلص من عيوبــه ، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطــل .. وإذا كانــت صيحــات المصلحين ترتفع ما بين آونة وأخرى بالدعــوة إلى تطهــير عقيدتنــا من الخرافة ، وتنقية تراثنا من الزيف ، فان من أوجب الواجبات أن نعاود الكرة ــ من جديد ــ لفهم هذا الدين الفهم الذي يحقق هذا العنوان الذي يخلعه علينا القرآن الكريم إذ يقول : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس)** آل عمران/١١٠ ويقول : **(وإن هذه أمتكم أمة واحدة)** المؤمنون/٥٢ لأنه لم يكن دين انفراد أو عزلة ، وحاشا لله أن يكون كنلك وهو الذي تتبلور تكاليفه وآدابــه ، وهدايتــه وإرشاداتــه ، فيمــا تسميــه تلك المصطلحــات الحديثــة باسم « الانسانية » زاعمة أنهــا وليــدة ثقافات وفلسفات انتهت إليها عقول الغرب الواعي المفكــر ، وهــي في الأصل الأصيل غير وافدة علينا ، ولا غريبة عنــا ، والقــرآن الكريــم ، وأحاديثه صلى الله عليه وسلم ، فيهما الأمثلة الكثيرة ، والشواهد المتنوعة ، التي تنتهي إلى هذا المعنى النبيل الذي يسمو بالانسان الى أقصى معاني البر والخــير ، والرأفــة والرحمــة ، والاحسان والعــدل ، والحنــان والحب . ولا ينكر أحد على هذا الدين

أن صدره قد انسع لمن كانوا يخالفونه من أهل الكتاب والمشركين إلى درجة أنهم أنسوا به ، واطمأنوا له ، واستراحوا إليه ، وقد كان هذا في كثير من الأحوال يحملهم على الدخول فيه ، والانضواء تحت رايته ، إلا أن هذه الانسانية التي كان ظلها وارفا على المشركين والوثنيين واليهود والنصارى كانت أشد حدبا على المسلمين بما جعلته لهم من وشائج ، ورسمته لهم من معالم ، وأكدته بينهم من روابط ، ووثقته فيهم من عرى ، دونها أسباب النسب والمصاهرة ، واللحم والدم ، ولعل في هذه الآية القضاء الفصل في تلك القضية : **(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين)** التوبة/ ٢٤ .. فان حب الله ورسوله والجهاد في سبيله ــ والله غني عن العالمين ــ لا معنى لها إلا في الوحدة الاسلامية الشاملة ، التي ينبثق عنها قوة الجبهة ، وتكتل الجماعة ، وترابط المؤمنين ترابطا تظهر آثاره في اتخاذ كل ما من شأنه خذلان العدو واندحاره ، حتى لا يتمكن من بسط سلطانه ، ووضع يده على تراب إسلامي ، لأن في ذلك كله حربا لله ورسوله ، وإسكاتا لصوتهما المدوي بالفلاح الذي جاءت به شريعتهما للناس ، ولا يرضى لنفسه بهذا النهج مسلم يزعم لنفسه أنه يحب الله ورسوله والجهاد في سبيله ، مهما كانت الظروف العاطفية التي تحمله على هذا الانحراف ، وتصده عن ذلك القصد ، من ولد يرأمه ، أو أهل يحبهم ، أو عشيرة يأنس بهم ، أو مال يكاثر به ، ولا تعدو مغريات أبناء آدم وبنات حواء بالحرص والشح ، والجبن والخور ، والنكوص والتردد ، والتخاذل والقصور ، والتخلف والهرب ، من أن تكون بسبب واحدة من هذه أو أكثر من واحدة ، والذي يجب على المسلم أن يرجح الكفة التي فيها الله ورسوله ، وإلا كان إيمانه رياء ، وعقيدته شكا ، وإنسانيته هزيلة مريضة .. ولهذا فاننا إذ ننبه الضمير الاسلامي أن يتيقظ إلى أن دينه يؤكد صلته بأخيه المسلم إنما نناديه أن يتنبه إلى الصواب ، ويثوب إلى الرشد ، ويرجع إلى الحق ، ويعود إلى صفوف المسلمين ، لأن الشذوذ عنهم ، والانفراد دونهم ، وعدم الاستجابة لداعي الله فيهم ، مروق وإلحاد ، وضلال وزيغ ، وتعرض لسخط الله وغضبه ، وتفتيت لوحدة هذه الأمة الواحدة التي يريد الله لها أن تكون سيدة لا مسودة ، وعزيزة لا ذليلة ، وقوية لا ضعيفة ، وحرة لا يملكها أحد ، ولا يتحكم في مصيرها أجنبي ، ولا يقيدها ظالم ، شعارها دائما أبدا شعار ذلك الشجاع المسلم أبى فراس الحمداني :

وإنا أناس لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين او القبر



الفنون الاسلامية

وأثرها على الفنون الأوروبيّة

للاستاذ : عبدالغني محمد عبدالله

من المعروف تاريخيا أن الحضارة العربية الاسلامية هي احدى العوامل الهامة للنهضة الأوروبية الحديثة، والتي بدأت في القرن الثالث عشر الميلادي، وقد انتقلت هذه الحضارة إلى أوربا خلال ثلاثة معابر رئيسية، هي **الأندلس، وجزيرة صقلية، والحروب الصليبية**. ولم يقتصر الاتصال بين الشرق الاسلامي والغرب الأوربي على هذه المعابر فقط، إنما كانت هذه المعابر الثلاثة هي أكثر القنوات أثرا في النهضة الحديثة. فقد كان هناك السفر والرحلات، فضلا عن الوساطة التجارية، واستمرار الاتصال مع الاتراك العثمانيين بعد بدء النهضة.



□ القصر الكبير تيطوان بالمغرب وهو من اعمال كبار الفنانين المسلمين .. وهو أسلوب اقبل عليه الغرب الأوربي كثيرا ونقل منه الكثير

الانـــدلس في ظل الحضـــارة الاسلامية :

ازدهرت الحضارة الاسلامية في الأندلس ، وأصبحت قرطبة في القرن العاشر الميلادي أكثر مدن أوربا تحضرا ، وأعلاها مدنية ، وكان عصر ملوك الطوائف فيها باعثا على تعدد مراكز العلم والأدب والفن في شبه جزيرة أيبريا بوجه عام ، وجاء ملوك المرابطين والموحدين ومع استمرار هجرة المسيحيين الى الشمال حيث نقلوا الكثير من عادات المسلمين ، وأزيائهم ، وصناعاتهم ، وفنونهم ،

وكذلك عندما انتهى الحكم الاسلامي في الأندلس في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي بسقوط غرناطة ، بقى كثير من المسلمين تحت حكم المسيحيين ، وصاروا يعملون للملوك والأمراء منهم ، وتعلم منهم غيرهم ، فانتشرت الاساليب الفنية الاسلامية ، وقد عرفت هذه الطائفة المسلمة باسم (المدجنين) وترى أثر العمارة الاسلامية واضحا في كثير من منشآت مدينة « سرقسطة » التي بنيت في عصر المدجنين في القرن السادس عشر الميلادي ، فمعظم هذه



□ من هذه المآذن المنتشرة في شمال افريقيا اقتبس الاوربيون اشكال ابراجهم في سرقسطه

المنشآت مبنية من الطوب ، وفتحاتها كلها معقودة وأبراجها تشبه المآذن في المساجد الأندلسية وشمال افريقيا ، وخاصة مئذنة القيروان بتونس ، هذا بالاضافة الى استعمال الطوب في عمل الزخرفة ، كما استعملت أيضا « المقرنصات » الاسلامية المشهورة .

وعندما امتد نفوذ الأتراك العثمانيين إلى شمال البلقان ، عظم نشاط التجار الأتراك ، وأصبحت « بلغاريا » من أهم الأسواق لتصريف البضائع والتحف الاسلامية ، التركية والايرانية .

وقد شيد البلغاريون كثيرا من العمائر التي تتجلى فيها التأثيرات الاسلامية ، بتصميماتها ، وعقودها النصف دائرية (البرميلية) ، وقبابها ذات الطراز العثماني ، كما استخدم البلغاريون الأحجار ذات اللونين الأبيض والأسود ، في عمل صنجات العقود المعروفة باسم « الأبلق » .

و تجلى تأثير الفنون الاسلامية في فنون الغرب الأوربي وتعدد هذا التأثير في الميادين الفنية المختلفة .

□ الطراز المعماري الاسلامي من المدرسة المغولية العليا مسجد بباكستان والسفلى قصر انجليزي ويربط بينها الاثر الفني الاسلامي في العمارة الانجليزية

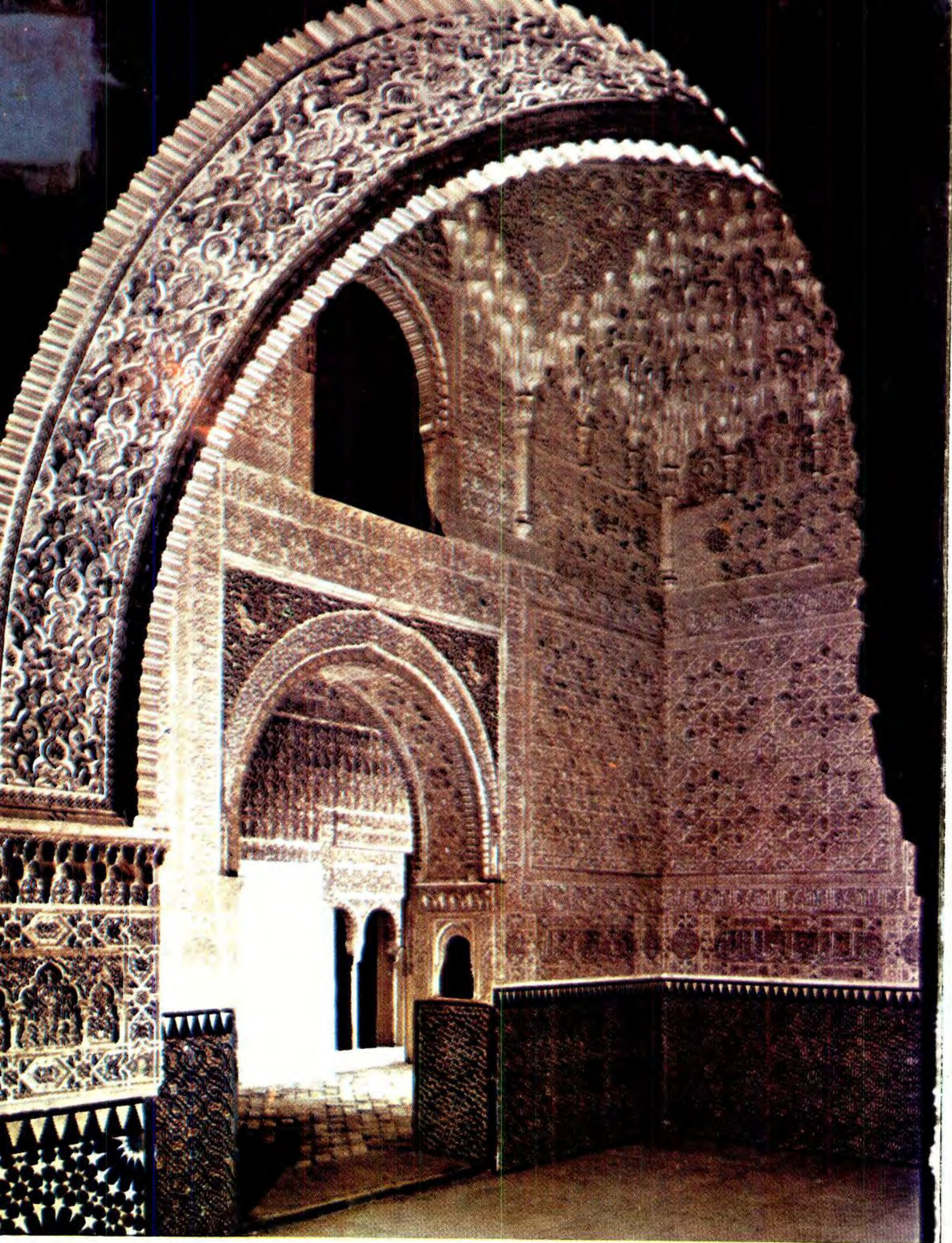


□ مصنوعات جلدية ومعدنية وخشبية ومنسوجات ذات طابع اسلامي كان لها تاثير كبير على الفنون الاوربية

ففي العمارة اقتبس الصليبيون بعض الأساليب المعمارية، وخاصة في العمارة الحربية، من قلاع مصر وسوريا، وأخذوا عن المسلمين المداخل المنكسرة (التي هي على شكل زاوية قائمة، كي لا يتمكن العدو الذي بباب القلعة من رؤية الفناء الداخلي لها .. كما لا يتمكن من الدخول في اندفاعة واحدة ذات اتجاه واحد . بل يجب ان يغير اتجاهه فيفقد اندفاعه، فيعطي فرصة للمدافعين في الدور الثاني من المدخل بصب الزيت المغلي عليه، وقد عرف هذا المدخل في العمارة الاسلامية باسم .. (الباشورة) مثل الباب الرئيسي لقصر الأخيضر بالعراق، فالباب يكتنفه برجان تعلوهما فتحات المراقبة ورمي السهام (المزاغل) وقد تكون هذه الفتحات سفلية للدفاع ايضا ورمي الزيت المغلي او القار (السقاطة) على العدو المهاجم .

كما ظهر أثر الفنون الاسلامية واضحا في بعض البلاد الأوربية، ففي جنوب فرنسا من بلدة « بوي » ترى الطابع الاسلامي في المباني ذات العقود المفصصة، والزخارف المشتقة من الكتابات الكوفية، او المؤلفة من الجدائل والمراوح النخيلية .

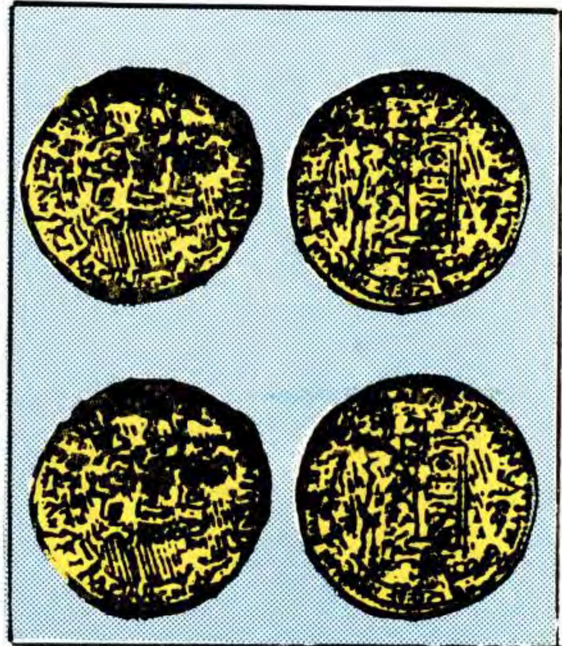
وقد قلد الأوروبيون الكتابة الكوفية في بعض الأحيان . واستخدموها عنصرا من عناصر الزخرفة، وبالأخص على المسكوكات . فان كثيرا من المسكوكات الأوربية وخاصة تلك التي ضربت لملك « مرسية » في القرن الثامن الميلادي عليها كتابات



□ احدى قاعات غرناطة .. الزخرفة .. والأطباق النجمية الكاملة تملأ الحوائط وباطنية العقود ولا مكان للفراغ

كوفية ، فنرى عليها اسم الملك باللغة اللاتينية ، وحول الاسم اللاتيني جملة عربية دينية منقولة من سكة إسلامية ، وهذه الجملة هي (لا اله الا الله لا شريك له) (باسم الله محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق) ولعل بعض هذه المسكوكات استعمل لتسهيل التعامل مع المسلمين ، ولكن لا شك ان بعض هذه الكلمات لم يفقه الغربيون معناها . فنقلوها كزخارف جميلة وقلدهم في ذلك كثيرون بعدهم .

وكان للخزف الاسلامي أثره الواضح في تطوير صناعة الخزف في أوربا ، ولا سيما عن طريق بلاد الاندلس الاسلامية ، والمعروف ان اهل ايطاليا نقلوا صناعة الخزف عن الاندلس الاسلامي في القرن الخامس



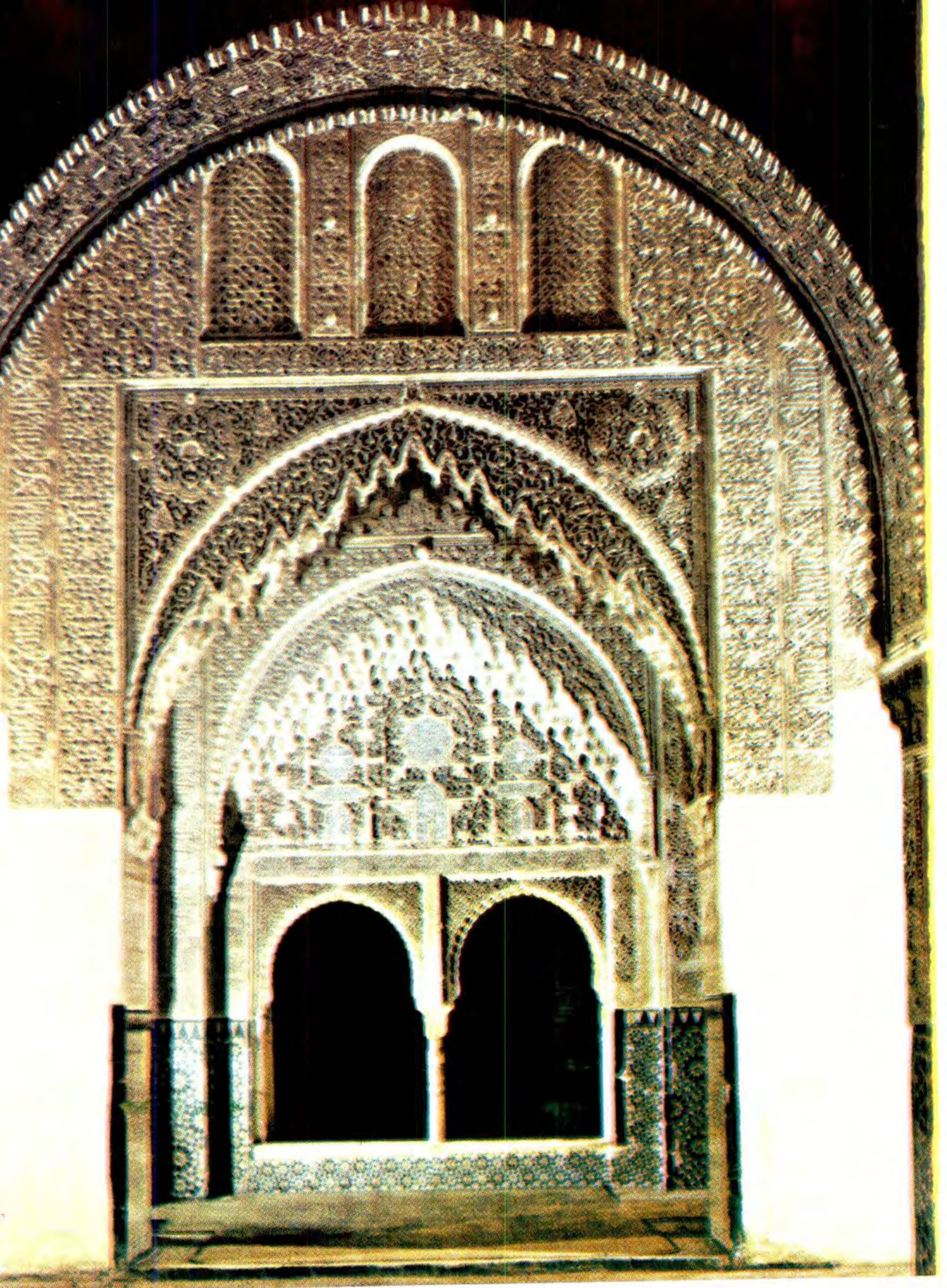
□ عملات اوربية ذات كتابات كوفية عربية

عشر الميلادي ، وكانت مدينة « فلورنسا » واحدة من مراكز هذه الصناعة .

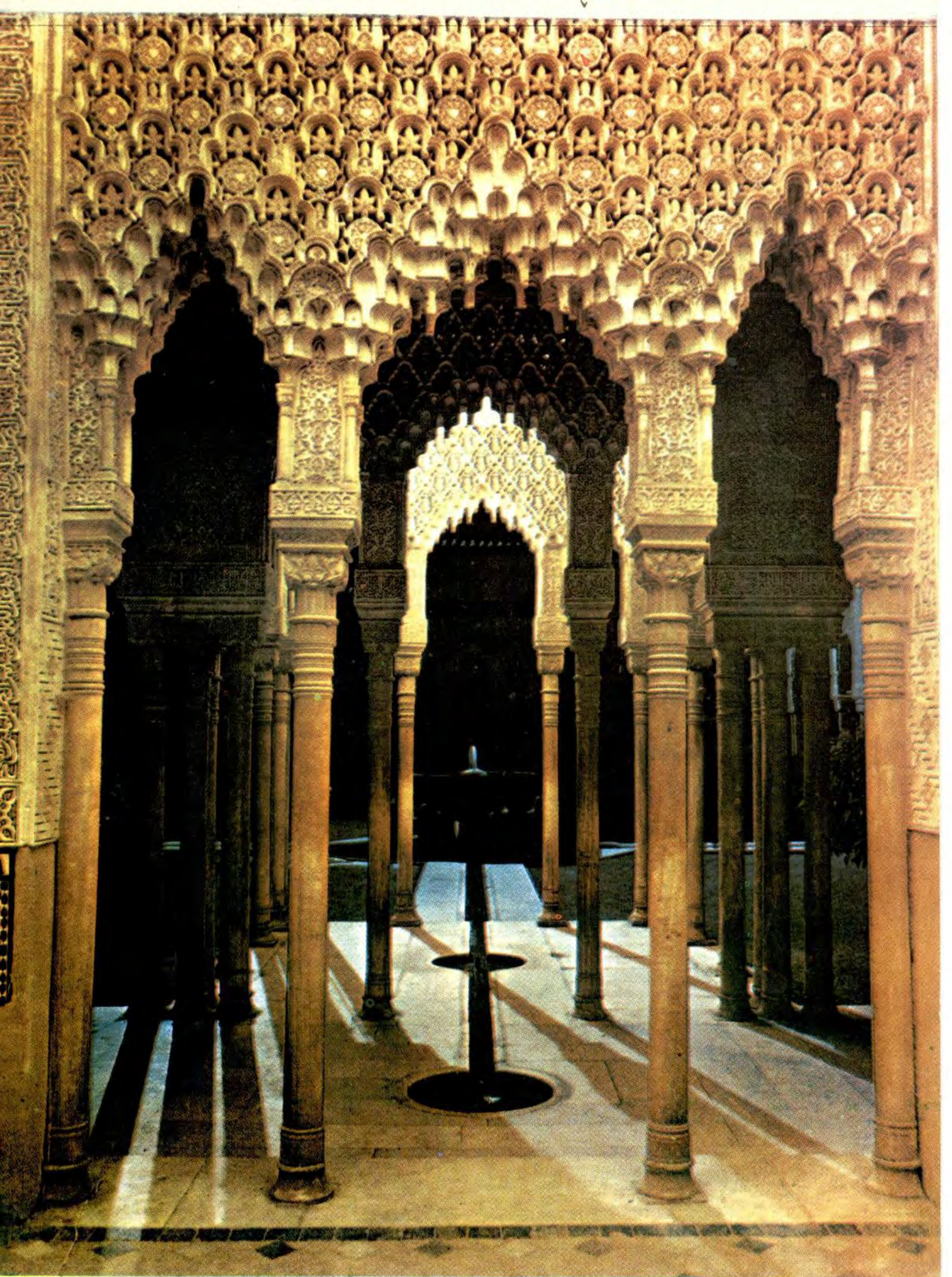
وكانت مدينة البندقية من مراكز صناعة الخزف ايضا ، واشتهر عنها استعمال الزخارف النباتية التي كثيرا ما تكون على شكل ورقة ثلاثية ، (ورقة البرسيم) باللون الأزرق ، على أرضية من الفروع والأغصان ، وتشبه الأواني المصنوعة في مدينة البندقية من حيث الشكل والزخرفة ، أواني قصر الحمراء في غرناطة .

اما المعادن فقد أقبل الاوربيون على اقتناء الأواني المعدنية ذات الزخارف الاسلامية . وتأثر الفنانون الأوربيون كثيرا بالأسلوب الفني الاسلامي في صناعة التحف المعدنية ، والتي زاد الاقبال عليها في أوربا . حتى أنه نشأت في القاهرة وفي دمشق وبغداد وايران محلات وورش خاصة لصناعة التحف المعدنية التي تروق للأوربيين فيقبلون على شرائها ، ونقلها لبلادهم وقد كان لنقل هذه التحف أثر على صناعة المعادن في أوربا ، فقلد الأوربيون الأساليب الفنية على المعادن مثل الحفر الغائر .. والطرق والتكفيت باضافة معدن ثمين كالذهب والفضة . ولم يقتصر اقبال الأوربيين على الحرف والمعادن فحسب ، بل تعدى ذلك الى باقي الفنون .

فعلى الخشب جاءت الزخرفة على نحو اساليب الحفر الاسلامية بالطريقة العميقة ، وهي التي بدأت في



□ قصر الحمراء .. زخرفة اسلامية وفتحات وعقود ولا مكان للفراغ



□ غابة من الاعمدة وعقود ومقرنصات وزخارف كتابية وهندسية ونباتية رائعة من أحد قصور غرناطة

الانتشار مرة اخرى بعد العصر العباسي ، وتم تطعيمه بالعاج والصدف والجلد (ماركترى) وقد اشتهرت « أسبانيا » في عصر المدجنين بصناعة الحشوات الخشبية المخروطة والمجمعة بطريقة التعشيق .

وأهل البندقية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي قلدوا المسلمين في صناعة تجليد الكتب ، ونقل المجلدون في اوربا عنهم هذه الطرق والأساليب الاسلامية . فلا عجب اذا وجدنا الآن في صناعة التجليد الأوربية المختلفة كثيرا من تفاصيل فن التجليد عند المسلمين ، ولا يزال اللسان المعروف في التجليد الاسلامي موجودا في بعض الكتب الأوربية ، أما بعض العناصر الزخرفية فقوامها رسوم نباتية محورة عن الطبيعة ، واستخدم التذهيب في نقش الغلاف والكعب بالزخارف الاسلامية .

أما المنسوجات فقد عمت أوربا في العصور الوسطى المنسوجات الاسلامية ، وأصبحت أكثر أنواع المنسوجات تحمل أسماء شرقية ، أو تنتسب إلى مدن اسلامية فنسمع عن نسيج يعرف باسم (الموسلين) نسبة الى مدينة الموصل (والدمقس) نسبة الى مدينة دمشق ، وكان المسلمون قد أقاموا في صقلية مصانع اسرار النسيج الاسلامي ودقائقه ، ونقلوه الى المدن الايطالية المختلفة ، وحفلت المنسوجات الحريرية الايطالية في القرن الرابع عشر بالزخارف الاسلامية ، حتى أن النساجين الأتراك والايطاليين منذ القرن السادس عشر بدءوا ينافسون بعضهم البعض ، ويقلد كل منهما الآخر ، حتى اصبح من الصعب أحيانا التمييز بين منتجاتهم . وظهرت بعد ذلك في أسواق أوربا أحزمة ذات طرز شرقية بزخارف اسلامية ومن صنع أوربي .

واشتهر الفنانون المسلمون بتكرار الزخارف ووصفه بعض علماء الفنون بأنه تكرار لا نهائي ، والسبب في إفراط الفنون الاسلامية في هذا الميدان هو طبيعة تلك الزخرفة التي تقوم أساسا على تكرار الوحدة الزخرفية لملء الفراغ ، وهي طريقة تميزت بها الفنون الاسلامية ، وتعتبر ركنا هاما من فلسفة هذه الفنون ، ولعل من احسن الأمثلة على ذلك الزخارف الموجودة على الجص المخرم لملء الفتحات والنوافذ في المساجد والقصور ، وقوام هذه الزخرفة عناصر هندسية متكررة ، وقد أخذ الايطاليون بهذا الأسلوب الفني منذ القرن الخامس عشر ، واشتهرت به مدينة البندقية .

وهكذا نجد ان الفنون الاسلامية وهي ميدان هام من ميادين الحضارة الاسلامية ، كان لها أثر عظيم على الفنون الأوربية ، منذ بداية عصر النهضة الحديثة ، إن لم يمتد لأكثر من ذلك زمنيا ، وهو تأثير واضح وجلي ، ولا يزال حتى يومنا هذا شاهدا قويا على مدى قدرة الفنان المسلم على الابداع والابتكار .

ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على السنة الألسن ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

« من لم يكن عنده صدقة فليلعن اليهود فانها صدقة »

موضوع .

قال الشوكاني في الفوائد المجموعة رواه الخطيب عن أبي هريرة وفي إسناده متروكان ، ورواه الخطيب أيضا عن أم المؤمنين السيدة عائشة مرفوعا .

وقال يحيى بن معين هذا كذب باطل لا يحدث به أحد يعقل .

وليس معنى هذا أن في اليهود خيرا : لا .. بل يكفي فيهم قول الله سبحانه : **(لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)** .

وهذا القول بهذه الألفاظ لم يثبت ، وأنكر علماء الحديث وروده بهذا الشكل .

وما دام القرآن الكريم قد لعنهم فهم ملعونون بنص لم يتطرق إليه شك ولم يلحقه تحريف .

« من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » .

موضوع .

قال العقيلي باطل ليس له أصل .

وذكره السيوطي من طرق كلها لا تخلو من كذابين ومجاهيل .

وقال الامام السخاوي في المقاصد الحسنة لا أصل له .

وقال الصغاني : موضوع .

وقد أورده الشوكاني في الفوائد المجموعة وحكم بوضعه .

القدس الشريف

في مؤتمر
وزراء الأوقاف الثاني
بمكة المكرّمة

□ الصهيونية العالمية خطر داهم ، تسعى جاهدة لتهويد المدينة العربية ، وتغيير معالمها الدينية والتاريخية .

□ وحدة المسلمين قوة عظيمة تغير موازين القوى في المنطقة والعالم .

□ مدينة السلام تنشد الأمان الذي عاشته في ظل الاسلام .

□ القدس عربية ، وستعود عربية مسلمة .

في مكة المكرمة أم القرى ، ومهبط الوحي ، بلد بيت الله الحرام ، قبلة المسلمين التي يولون وجوههم شطره ، كما أمرهم بذلك ربهم ، في البلد الأمين الذي اتصلت فيه الأرض بالسماء ، في فجر تاريخنا الأسلامي ، إلى هذا البلد شد الرحال جماعة من المسلمين بأيديهم دفة الأمور الاسلامية في بلادهم ، وأمام أعينهم هدف سام وملء أسماعهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » ولسان حالهم يقول : هل آن الأوان كي تشد الرحال إلى المسجد الأقصى ، قبلة المسلمين الأولى ، ومسرى رسول الله الأعظم ، وثالث الحرمين .

التقى هؤلاء المسلمون يحدوهم الأمل والرجاء ، وتشدهم حاجة ملحة إلى وحدة كلمة المسلمين ، لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ، طال انتظاره ، وزاد الشوق إليه ، وهو تحرير القدس من دنس الشرك والصهيونية الملحدة الحاقدة على الاسلام وأهله ، وعودة الأمان والاطمئنان إلى تلك الربوع الغالية على المسلمين .

ومن المؤكد أن مدينة القدس لم تشهد خلال تاريخها الطويل ، الأمن والاستقرار إلا في ظل العرب والمسلمين ، وكلما تعرضت للغزو ، وزال سلطان المسلمين إلى حين ، أصاب الروع الآمنين فيها ، وتخضبت أرضها بالدماء الغزيرة ، وغرق السلام في بحر التفرقة العنصرية والضياع ، وعم

المنطقة الخطر من كل صوب .
والقدس أو مدينة السلام كانت وما زالت محط أنظار المسلمين ، يهبون لحمايتها إذا ادلهم الأمر ، ولا يغمض لهم جفن حتى يعيدوا السلام إلى أرضها في ظل الاسلام ، الذي عاشوا في ظله طوال قرون متتالية .
وإن وثيقة الأمان التي أعطاها الخليفة عمر بن الخطاب لأهل المدينة ، حين رغب أهلها في تسليمها للخليفة بنفسه ، ظلت هذه الوثيقة دستور الحياة الذي مكث الناس ينعمون به ، تلكم الوثيقة التي تعتبر دليلا حيا على سماحة المسلمين وإنصافهم ، فلقد منحهم الخليفة الأمان على أنفسهم ، وأموالهم ، وكنائسهم ، واشترط الا يسكن المدينة أحد من اليهود .
والتاريخ يحدثنا أن المسلمين حافظوا من جانبهم على حرية العبادة في المدينة المقدسة دون إكراه ، وحققوا العدل بأجلى معانيه والمساواة في أسمى صورها ، لأن دينهم يدعوهم إليه في قول الله سبحانه : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) .
والحقيقة المرة ان المدينة تعرضت بين الحين والاخر لموجات مدمرة ، من غزاة لا هم لهم إلا القتل والتشريد وقيض الله سبحانه من تصدي لتلك الموجات فدحرها ، ورد الغزاة على أعقابهم خاسرين ، وأعاد للمدينة أمنها واطمئنانها .
ثم كانت هذه الهجمة الشرسة من الصهيونية العالمية ، تشد من أزرها وتدعمها قوى الشر من الشرق والغرب ، إذ هؤلاء جميعا يرون في الاسلام خطرا عليهم ، ومن مصلحة الاستعمار بمختلف اشكاله تقوية وجود اليهود ، وبسط سلطانهم لشق العالم العربي الاسلامي .
إن القدس تستصرخ المسلمين الذين يشدون الرحال للمسجد الحرام ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ان يجددوا العزم ، ليشدوا الرحال إلى المسجد الأقصى في مدينة السلام التي يخنقها الاحتلال الصهيوني البغيض .
ومنذ أيام قليلة التقى جمع من المسئولين المسلمين تحت راية الاسلام ، في رحاب بيت الله الحرام ، ليعلنوا من هناك ، ان القدس الشريف يحتاج إلى جهود المسلمين جميعا ، وقد شارك في هذا اللقاء عدد ليس بالقليل من عالمنا الاسلامي الكبير .
وكان للكويت دورها المعهود ، وصوتها المسموع من خلال ممثلها معالي السيد/ يوسف جاسم الحجي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية والوفد المرافق له .
ولقد أدلت بدلوها ووضعت إمكاناتها كعادتها في خدمة القضايا الاسلامية والعربية .
في مؤتمر وزراء الاوقاف الثاني في مكة المكرمة الذي انعقد من ٢١ـ٢٣ من

ربيع الآخر ١٤٠٠هـ الموافق ٨ـ١٠/٣/١٩٨٠م لبحث قضية القدس الشريف تحدث معالي السيد الوزير مبينا عناية المسلمين بالقدس ، مؤكدا حرصهم على استردادها وأنه لا يجوز التخلي ولا التفريط فيها ، حول هذه المعاني قال السيد الوزير :

إن مدينة القدس بفلسطين موضع عناية المسلمين منذ كان الاسراء والمعراج فالمسجد الاقصى مرتبط بالاسلام الى الابد بحكم قول الله تعالى :

(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى » .

وبيت المقدس قبلة المسلمين الأولى فقد أمر الله رسوله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمين بالتوجه نحوها في صلاتهم ، فكان النبي ـ وهو في مكة ـ يصلي اليها والكعبة بين يديه ولما هاجر توجه في صلاته نحوها ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا ثم أمره الله بالتحول نحو الكعبة ومن ثم فهي تتمتع بمركز روحي كبير عند المسلمين في جميع بقاع الارض وقد غرست في صدورهم محبتها كما غرست بها محبة مكة والمدينة المنورة .

والمسلمون يعدون مدينة القدس وما حولها الثغر الذي يمكن للعدو أن ينفذ منه الى مكة والمدينة ولذا ما استقر بهم الامر حتى بادروا الى حماية هذا الثغر كي يدرأوا عن أنفسهم الاخطار .

وليس أدل على أن مدينة القدس تحتل المنزلة الممتازة في قلوب المسلمين من تلك الحروب التي خاضها المسلمون لمدة قرنين من الزمان في سبيل استردادها من الصليبيين الغزاة وقد بذلوا في سبيل ذلك الكثير من التضحيات والجهود والانفس والاموال .. ولا عجب ان يكون هذا حال المسلمين دائما ازاء تلك المدينة،فانها منذ فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب،اصبحت جزءا من ديار الاسلام ، لا يجوز التخلي عنها ولا التفريط فيها ، وفي حالة استيلاء الكفار عليها يجب الجهاد في سبيل الله من اجل استردادها .

ومدينة القدس ـ ملتقى الاديان ومهبط الرسالات ـ وما حولها من الارض المباركة تقع الآن في قبضة اليهود وقد أصبحت هدفا للتهويد ومرتعا لسياسة الاستيطان وتغيير المعالم الدينية والتاريخية مما يحمل العالم الاسلامي مسئولية استخلاصها وما حولهامن براثن المعتدين .

ولنعلم ان قضية القدس وفلسطين قضية اسلامية،وما أخر استرجاعها الى الآن الا اعتبارها قضية عنصرية او اقليمية ، ففي سنة ١٩٤٨م . دخلت سبع دول عربية فلسطين في أولى المعارك مع اليهود باسم العروبة ، فكان نصيبها الفشل والخذلان . واشتركت بضعة آلاف من الفدائيين في المعركة

باسم الاسلام سلاحهم في ايديهم وايمانهم يملأ قلوبهم ، فأثبتوا وجودهم وأذهلوا العدو .

ان قضية القدس وما حولها لا تُحل الا اذا أعد المسلمون أنفسهم لمعركة مصيرية مع العدو المغتصب تستعمل فيها جميع الاسلحة الفكرية والمادية بشرط ان يكون المسلمون على قلب رجل واحد وذلك انما يتأتى بيسر وسهولة حين نعتمد الاسلام ركيزة حياتنا وطريق سلوكنا وحين يكون جهازنا الاعلامي مواكبا للاعداد الصحيح للجهاد والتضحية والتخطيط والتنفيذ .

والشريعة الاسلامية قائمة الى يوم الدين وعامة وشاملة وصالحة للتطبيق في كل زمان ومكان وعلينا ان نجعلها دستور حياتنا ومصدر تصرفاتنا ، فنقنن جميع أحكامها ونأخذ انفسنا بها فاننا بذلك نسير في الاتجاه الصحيح ، نحقق العدل ونقيم العدالة الاجتماعية ، ونطهر الحياة الاقتصادية وننحي عن المجتمع كل وسائل الدنس ، ونؤمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، ونعد الشعوب الاسلامية الاعداد الصحيح ماديا ومعنويا لمجابهة الاعداء واسترداد الحقوق وتمكين أواصر العزة ، في وحدة شاملة ترتكز على عبادة الله وتقواه .. وعلينا ان نقيم مؤسسات علمية مشتركة على أساس تعاليم الاسلام تزودنا بطاقات من العلم والمعرفة وتمكننا من رؤية الحقائق دون تلبيس ، ومن الاهتداء بهذه الحقائق دون انحراف .

وعلينا ان نقيم تنسيقا بين وزارات الشئون الاسلامية والاوقاف في عقد المؤتمرات وجمع المعلومات والدعوة الاسلامية حتى تسير في طريق واحد هو الطريق الذي أمرنا الله باتباعه في قوله تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) .

ويوم ان نقيم الاسلام في مجتمعاتنا ستندحر الافكار الخبيثة ولا تجد لها مجالا لغزو بلادنا لان الاسلام اذ ذاك سيكون فكرا حيا نابضا بالحياة متمثلا في الحكم وفي السلوك يشعر الناس بجديته وعظيم آثاره .. ولن يكون للعلمانية ولا للماسونية أثر أي اثر في المجتمعات الاسلامية ولن تستطيع الشيوعية مهما فعلت ان يكون لها قرار في نفس اي مسلم فان كل هذه الافكار الفاسدة ما وجدت طريقا لبعض النفوس الا في غياب الاسلام عن مسيرة حياة المسلمين .

وعلينا ان ننشر في الشعوب حقيقة امر مدينة القدس وأن قضيتها قضية اسلامية ليست قضية انسانية تتمثل في لاجئين ونازحين يستحقون العطف والاحسان ويستحقون ان يوطنوا في البلاد العربية بعد طردهم من وطنهم - كما حاول اليهود ان يجعلوها .

وليست قضية عنصرية تقتصر على العرب او قضية اقليمية تقتصر على

اهل فلسطين : (كما ينبىء عن ذلك الاسلوب المتخذ حاليا لمعالجتها) وكما يحاول اليهود والمستعمرون ان يجعلوها وانما هي قضية سياسية عسكرية ايمانية يوجهها الايمان بالعقيدة .

على العلماء والمفكرين ان يجدوا في تثقيف الشعوب الاسلامية بالاسلام وان يبصروهم بحقيقة العداء اليهودي والاستعماري حتى لا تكون فريسة للتضليل ، وأن يشخصوا للشعوب بصورة واضحة الحقائق التاريخية عن فلسطين والقدس والحقائق الفكرية عن الدين والحياة وأن يظهروا العدو على حقيقته عدوا للاسلام ينبغي القضاء عليه في كل مكان .

وأخيرا علينا ان ندعو الى الجهاد في سبيل الله على اساس انه الحل الوحيد لانقاذ القدس وفلسطين وكل القضايا الاسلامية في اي مكان من أمكنة الارض .

والله هو الهادي الى سواء السبيل ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز .

وختاما نشكر حكومة المملكة العربية السعودية بقيادة الملك خالد بن عبدالعزيز على استضافتها لهذا المؤتمر في هذا المكان الطيب الطاهر كما نشكر رابطة العالم الاسلامي على جهودها التي نسأل الله لها النجاح

وقد انتهى المؤتمر إلى قرارات وتوصيات من أهمها :

□ اعتبار تحرير المسجد الأقصى ، والمسجد الابراهيمي ، وغيرهما من المقدسات الاسلامية واجبا اسلاميا يقع على عاتق كل مسلم ، في مشارق الأرض ومغاربها ، تبذل في سبيله الأنفس والأموال .
□ طبع نشرات إسلامية في موسم الحج بعدة لغات ، تلفت نظر حجاج بيت الله الحرام إلى قضية القدس وفلسطين .
□ أوصى المؤتمر بانشاء معاهد متخصصة لاعداد الداعية المسلم ، وتخريج الأئمة المثقفين ، وعقد دورات تدريبية لهم ، حتى يتم إعدادهم على المستوى اللائق بهم .
□ التصدي للالحاد الشيوعي ، وجميع المذاهب التي تخالف الاسلام .
□ وضع رقابة على وسائل الاعلام ، وعدم السماح بعرض الأفلام الخليعة ، والتي تتعارض مع الآداب الاسلامية .
□ ضرورة تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية في جميع مرافق الحياة .
□ أوصى المؤتمر بتقديم المساعدات المادية والدعم المالي إلى الشعوب الاسلامية الفقيرة .

والمجلة : ترجو لهذه الجهود المخلصة أن تؤتى ثمارها المرجوة ، للاسلام والمسلمين ، وقضاياهم المصيرية تحت راية الاسلام ، وفي ضوء الهدى المحمدي ، ورسالته العظيمة الخالدة .

إسكان الأسرة الأولى

قال الله تعالى :

(وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) البقرة/٣٥ .

(ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) الأعراف/١٩ .

(فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) طه/١١٧ ـ ١١٩ .

هذه الآيات الكريمة من القرآن الكريم تبين لنا أن الله تعالى ـ بعد أن علم الانسان الأول وكرمه وفضله على سائر خلقه ـ أسكنه فسيح جناته ومعه رفيقة حياته وزوجته ـ حواء ـ ومهد لهما سبل العيش من طعام وشراب وكساء وكل ما تحتاجه الأسرة في حياتها ، وأباح لهما الأكل من حيث شاءا ، وكان كل ذلك في جنة الفردوس ، التي لا يوجد فيها شقاء ولا تعب ، وجعلهما يحصلان على ما يريدان من متع الحياة ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل أدخل في قلوبهما الطمأنينة على مستقبلهما بقوله تعالى : **(إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى)** .

وفي الوقت الذي أباح لهما كل شيء ، وأن يأكلا من حيث شاءا ، نهاهما عن أقل القليل حيث قال الله لهما :

الحلقة الثانية

للدكتور/محمد طموم

(ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) ليكون ذلك اختبارا لهما ، لمعرفة مدى طاعتهما وشكرهما لله ، الذي أنعم عليهما بكل هذه النعم ، من خلق الانسان على أحسن صورة ، وتعليمه وتفضيله على سائر خلقه ، وأمره الملائكة بالسجود له تسليما واعترافا بأفضلية الانسان عليهم ، ثم غضبه على إبليس ، وإظهاره عدو الانسان الأكبر ، وإسكانه مع زوجته الجنة يتمتعان بنعيمها وخيراتها .
ويبين الله لهما أنهما إذا لم يطيعا ولم يبتعدا عن هذه الشجرة ، فسيكون العقاب جزاءهما ، لأنهما من الظالمين لأنفسهما .

صدور أول قانون للانسان

في الآيات القرآنية السابقة نجد ان الله سبحانه وتعالى أباح لآدم وحواء أن يأكلا من حيث شاءا ، وفي الوقت نفسه أمرهما ألا يقربا شجرة معينة ، وقد عينها لهما بالاشارة ، فوجد النهى عن فعل معين ، والنهى أمر بترك فعل .
ورتب الله الجزاء على معصية النهى ، حيث جعلهما من الظالمين ، إن اقتربا من الشجرة المنهى عنها ، ووضح العقوبة التي ستقع عليهما ، وهي الخروج من الجنة ، وحدد لهما مصدر الخطر عليهما ، حيث أشار إلى العدو اللدود لكل واحد منهما على حدة ولهما مجتمعين ، وبين لهما أن هذا العدو سيحاول جاهدا إخراجهما من الجنة كما خرج هو ، ووضح الله لآدم — باعتباره رب الأسرة — ما يترتب على خروجهما من الجنة ، وما ينتظره من شقاء خارج الجنة ، باعتباره المكلف بالسعي وراء الرزق له ولأسرته ، قال الله تعالى : **(فلا يخرجنكما من الجنة)** — بالمثنى — **(فتشقى)** — أنت بالمفرد — .
وفي كل ما ذكر نجد عناصر القاعدة القانونية موجودة ، لأن القواعد القانونية تحدد ما يجوز فعله وما لا يجوز ، وتحدد ما يجب فعله وما لا يجب فعله .
وقد تحقق عنصرا القاعدة القانونية وهما : المحكوم فيه أى الواقعة ، والحكم وهو الجزاء .
يقول الدكتور منصور مصطفى منصور : « أما الظاهرتان اللتان ترتبطان أحداهما بالأخرى ، وتعتبران عنصري القاعدة القانونية ، فالأولى منهما هي : واقعة من الممكن أن تتحقق أو هي متحققة بالفعل .
والثانية هي : حكم القانون في هذه الواقعة ، وهو الذي يرسم صورة للنظام المرغوب فيه ، وجزاء مخالفته .
وفي مقابل مصطلح الحكم نفضل إطلاق مصطلح المحكوم فيه على

الواقعة التي قلنا إنها هي العنصر الأول من عنصري القاعدة ، وهـو المصطلح الذي يستخدمـه علمـاء الأصول في الشريعة الاسلامية » .
واذا قلنا ان القانون مجموعة قواعد ، فهذا يعني أن القاعدة هي : الوحدة التي يتكون منها القانون . أو هي : الوحدة الأولية التي يتـكون منهـا النظام القانوني .
كما نجد خواص القاعدة القانونية متحققة أيضا فهي :
١ ــ تنظيم سلوك الأفراد الخارجي .
٢ ــ مزودة بجزاء .
٣ ــ صادرة من سلطة القهر .
٤ ــ عامة ومجردة ، غير أنه ظهرت نظرية حديثة يرى أنصارها أنه لا حرج في أن يعتبر من قبيل القواعد القانونية لا القواعد العامة المجردة فحسب ، بل أيضا القواعد الفردية البحتة التي تخاطب شخصا أو عدة أشخاص معينين تعيينـا ذاتيـا ، ومؤدي هذه النظرية وجود طائفتين من القواعد القانونية : قواعد قانونيـة موضوعية ، وهي القواعـد العامـة المجردة أو اللاشخصية . وقواعـد قانونية شخصية ، وهـي القواعـد الفردية التـي تخاطـب أشخاصـا معينين بالذات ، ويحتج أنصار هذه النظرية بحجـج نذكر منهـا ، أن خاصية العموم والتجريد في القاعدة القانونية ليست عنصرا أساسيا في جميع القواعد القانونية .
٥ ــ ذات طابع تبادلي ، بحيث يمكن أن يقال إن فكرة الحق وفكرة الواجب ترتبط كلتاهما بالأخـرى ارتباطـا وثيقا ، إلى حد اعتباره فكرة الواجب هي الصورة السلبية للفكرة الأولى وهي فكرة الحق .
مما تقدم يتبين لنا أن عناصر القاعدة القانونية وخصائصها موجـودة في الأمر والنهى والاباحة وتقرير الجزاء عنـد المخالفـة وغـير ذلك ــ ممـا وضحته ــ الصادر من الله تعـالى حاكم الكون إلى آدم وزوجته المكونين لأول أسرة إنسانية .
ولم يكن هذا القانون أول تجربـة للانسان ، وانما سبق صدور هذا القانون تجربة حية عاشها آدم مع الملائكة عندما صدر إليهم أمر من الحاكم جل وعلا ، فأطاعه من أطاع وعصى من عصى ، ووقع الجزاء على من عصى الله ولم ينفذ أمره ، فكان ذلك تعليما آخر للانسان ، ليتعظ بها ولا يقع فيما وقع فيه غيره ، حتى إذا مر بمثل هذه التجربة ومثـل هذه الظروف ، كانت عنده خلفيـة عن طبيعة القانـون ومـا يترتـب على مخالفته ، فلا يكون صدور قانون للانسان مفاجأة له ، او تشريعا لا عهد له به ، أو تنظيما لم يعرفه قبل ذلك .
كل هذا يؤكد أن الأنسان الأول لم يعش في فوضى ، وإنما عاش من بدء خلقته ووجـوده في نظـام وآداب ، تحكمه قواعـد قانونيـة ، وتنظـم حياته ، وحياة الآخرين ــ من بقية مخلوقات الله وعباده ــ أوامر ونواهي وسلوك وآداب .

القانون الـذي رآه آدم وعـاشر تطبيقه على غيره

قال الله تعالى :

(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى وإستكبر وكان من الكافرين) البقرة/ ٣٤ .
(فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين) الحجر/ ٢٩ ـ ٣١
(قال فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين) الحجر/ ٣٤ و ٣٥
(ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين . قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين . قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين) الأعراف / ١١ ـ ١٣
(قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين . ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) الأعراف / ١٨ و ١٩ .

قبل صدور القانون الأول للانسان في الجنة ، نجد آدم قد عاشر قانونا صدر للملائكة ورأى عاقبة مخالفته .

في هذه الآيات الكريمة نجد أن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم تسليما بأفضليته ، فأطاعه جميع الملائكة إلا إبليس ، فقد كفر بأمر الله ورفض تنفيذ الأمر الصادر من الله حاكم الكون ، ثم صدر الجزاء على إبليس لمخالفته تنفيذ الأمر بالسجود ، وكان ذلك الجزاء هو الخروج من الجنة وجعله رجيما وعليه اللعنة إلى يوم القيامة ، ثم بعد ذلك دخوله النار .

ولم يقف القانون الذي صدر للملائكة على الأمر بالسجود ـ وهو محتمل التنفيذ وعدم التنفيذ ـ وعلى صدور الحكم من الحاكم جل وعلا بالجزاء والعقوبة ، بل أضيف إلى ذلك تنفيذ الحكم ، وإيقاع الجزاء على المجرم العاصي الخارج على القانون .

فاذا نظرنا إلى الأمر الصادر من الله للملائكة وتنفيذ الأمر ، وظهور تمرد وعصيان ومخالفة من أحد المأمورين ، وصدور الحكم وتنفيذه ، نجد ان عناصر القاعدة القانونية وخواصها موجودة ومتحققة ، كما هي موجودة ومتحققة في القانون الصادر للأسرة الأولى ، المكونة للمجتمع الانساني .

وعلى المسلمين أن يتدبروا القرآن الكريم ومصادر التشريع الاسلامي ، ليجدوا كنوزا متعددة في كل ما يطلبون ، قال الله تعالى : **(الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)** الزمر/ ١٨ .

الخروج على القانون وأثره

قال الله تعالى :

(فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) الأعراف/ ٢٢ .
(فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما

وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربــه فغــوى) طه/ ١٢١ .

في هذه الآيات الكريمة يبين الله تعالى عصيان آدم وحواء ، وذلك بأكلهما من الشجرة ، فكانــا بهــذا الأكل مخالفين للنهي الذي صدر اليهما من الله تعالى ، بقوله : **(ولا تقربا هذه الشجرة فتكونــا من الظــالمين)** الأعراف/ ١٩ .

ولم يكن لآدم وحواء عذر في مخالفتهما لهذا النهي ، لأن الله تعالى سبق أن حذرهما من عدوهما ووسوسته حيث قال تعالى : **(فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى)** طه / ١١٧ .

كما انه لم يكن هناك ضرورة تبيح لهما هذه المخالفــة ومعصيــة الله تعالى ، بعد أن أباح الله لهما أن يأكلا من كل الثمرات الأخرى الموجودة في الجنة ، بقوله تعالى : **(فــكلا من حيث شئتما)** الأعراف/ ١٩ .

كما أن آدم كان يجب عليه أن يكون أقوى عزيمــة ، وأصلــب عودا من حواء ، فلا يرضـــخ للغوايـــة والوسوسة ، بعد أن ضمن الله له حياة رغدة ، وتعهد له بالمستقبل ، وعدم الخوف منه ، عندما قال له : **(إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى)** طه / ١١٨ و ١١٩ .

ولكن آدم وحواء خالفــا النهــي ، وخرجا عن القانون الذي وضعه الله لهما ، فظهرت عليهما آثار المخالفة بمجرد البدء فيهــا ، قال تعــالى : **(فلما ذاقا الشجرة بدت لهمــا سوءاتهما)** أي بمجرد أن ذاقا ولم يكتمل الأكل بعد ، تحقق الخروج على القانون ، وظهــرت عليهمــا آثــار المعصية ، فبدت لهما سوءاتهمــا ، فلما افتضح أمرهما ، وظهر منهما ما لا يليق ، حاولا ستر العورة بورق شجر الجنة ، ليخفيا آثار الجريمة ، ولكن هيهات لهما ذلك ، لأن محاولة ستر العورة كان علاجا جزئيا ، لأن ستر العورة علاج وقتي ، حيث أنهما أصبحا غير صالحين للبقاء في الجنة ، لأن ثمر هذه الشجرة لا يتناسب مع الحياة في الجنة ، لأن لهذا الثمــر مخلفــات لا بد من خروجهــا من الجسم ، والا أفسدته وأضرت به ، والجنة ليست مكانا للنجاســات ، فكان لا بد من خروجهما من الجنة ، ونزولهما إلى الأرض ، حيــث هي المكان الصالح لطبيعة جسمهمــا ، الذي تغير بغذائه الجديد من ثمر هذه الشجرة وكانت شجرة من أكل منها أحدث ، ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث ، فكان الأمر إليهما بالهبوط من الجنة إلى الأرض لتــكون مستقــرا ومتاعا مؤقتا الى حــين ، لأنهمــا بمخالفتهما ما شرع لهما ، كان سعيا لهذه الحيــاة الجديــدة ، ورفضــا لحياتهما في الجنة ، وذلك بخروجهما عن النظام الذي يجب أن يتبع ، لمن يريد الحياة في الجنة والعيش فيها .

ومن كل ما سبق يتبين ما يأتي :

أن الله تعالى حينما يحــرم علينــا شيئا ، فانما يحرمه لأنه ليس فيه صلاح لنا ولا لأجسامنا ، ولأنه لا

يتناسب مع طبيعتنا الفطرية التي خلقنا عليها .
وأنه حينما يحل لنا شيئا ويبيحه لنا ، فذلك لمصلحتنا ، لأنه يتلاءم مع تكويننا الجسماني الذي هو أعلم به .
كما يبين الله لنا أن معصيته لا بد لها من آثار تظهر علينا وعلى أجسامنا ، وتغير من طبيعتنا ، وتضر بنا وبمستقبلنا .
ويظهر كل ذلك واضحا في تحريم الخمر والزنا والقتل والربا مثلا .
كما نجد أن الله سبحانه وتعالى يشرع لنا ما يتناسب مع البيئة التي نعيش فيها ، فحين يحرم شيئا على الانسان ، فمعنى ذلك التحريم ، أن هذا الشيء لا ينسجم مع البيئة التي يعيش فيها . وحينما يحله ويبيحه لنا ، فذلك دليل على أن هذا الشيء يتلاءم مع هذه البيئة التي نعيش فيها .
ويظهر ذلك واضحا في القمح ، فقد حرمه الله تعالى على آدم وحواء في الجنة ، لأنه لا يتناسب مع الانسان في الجنة ، ولا يتلاءم مع حياته فيها ، وذلك للآثار المترتبة عليه ، التي تتنافى مع طبيعة الحياة في الجنة .
وقد اختلف أهل التأويل في تعيين الشجرة التي نهى الله عنها ، فقيل : هي الكرم ، وقيل : هي السنبلة ، ولما تاب الله على آدم جعلها غذاء لبنيه ، وقيل : هي شجرة التين .
وقد أحله الله لنا في الأرض ، لأنه يتلاءم مع الحياة فيها ، ولا يضر بالانسان في حياته الدنيوية ، بل فيه نفعه ، ولا تتنافى آثاره مع طبيعة الحياة في الدنيا .
وعلى العكس من ذلك في الخمر ، فنجد أن الله تعالى حرمه علينا في الدنيا ، لما يترتب على شربه من آثار ضارة بجسم الانسان والمجتمع ، لا تتلاءم مع طبيعة الحياة الدنيوية ، وما شرع فيها من تكليف .
وقد أباحه لنا في الآخرة ــ مع عدم معرفة حقيقته ــ لأنه لا بد أنه سيكون متلائما للحياة الآخرة ، وغير متناف مع طبيعة الحياة فيها ، وليست له آثار ضارة بالانسان في الجنة .
كما نجد أن الله تعالى أباح لنا العسل في الدنيا والآخرة ، لأنه يتناسب مع طبيعتنا الفطرية التي خلقنا الله عليها ، وليست له آثار ضارة على الانسان في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى : **(مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات)** محمد / ١٥ .

الجنة التي سكن فيها آدم وحواء

اختلف العلماء فيها فقال أبو السعود في تفسيره : والمراد بها دار الثواب لأنها المعهودة .
وقيل : هي جنة بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان ، خلقها الله تعالى امتحانا لآدم عليه السلام ، وحمل الاهباط على النقل منها الى أرض الهند ، كما في قوله تعالى : **(اهبطوا مصرا)** .

وقيل : إنها كانت في السماء السابعة ، بدليل : اهبطوا ، ثم ان الاهباط الأول كان منها الى السماء الدنيا ، والثاني منها الى الأرض . وقيل : الكل ممكن والأدلة النقلية متعارضة ، فوجب التوقف وترك القطع . وقال القرطبي : ولا التفات لما ذهبت إليه المعتزلة والقدرية من أنه لم يكن في جنة الخلد .

التحقيق مع العاصي الخارج عن القانون

قال الله تعالى :

(قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين . قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) الحجر/٣٢ و ٣٣ .

(قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) الأعراف / ١٢ .

(أأسجد لمن خلقت طينا) الاسراء/٦١ .

(وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) الأعراف / ٢٢ و ٢٣ .

في هذه الآيات الكريمة نجد أن الله سبحانه وتعالى ـ وهو الحاكم الذي لا شريك له والذي يتصرف في الكون كيف يشاء ـ لم يحكم على العاصي بمجرد عصيانه وخروجه عن أمره ، وإنما حقق مع الخارج عن طاعته ، وسأله عن سبب عصيانه ومخالفته أمر الله ، وأعطى الفرصة للخارج عن أمره لكي يدافع عن نفسه ويبرر سبب معصيته ، فان لم يجد العاصي سببا مقبولا لخروجه عن أمر الله ، فلا أقل من الاعتراف بالذنب ، والاعتذار عما بدر منه ، والرجوع إلى الله بالتوبة حتى يغفر له ما تقدم من ذنبه .

ومن هذه الآيات يتضح لنا أن الانسان الأول خاض تجربتين ، تجربة التحقيق مع غيره وهو إبليس ، وتجربة التحقيق مع نفسه وزوجه ـ آدم وحواء ـ .

كما نجد أن التحقيق لم يقتصر على آدم وحده ، وإنما اتجه إلى حواء كما اتجه لآدم على السواء ، بدليل استعمال ضمير المثنى ، وذلك لأن الأمر بالسكنى والأكل ، والنهى عن شجرة معينة ، كان موجها اليهما معا ، ولم يتوجه الخطاب لواحد منهما دون الآخر ، وهذا يدل على أن كل فرد من أفراد الأسرة الواحدة مسئول بذاته عن فعله وما يرتكبه من آثام .

والله سبحانهوتعالى يذكر لنا هذا التحقيق والسؤال ، وإتاحة الفرصة للخارج على القانون للدفاع عن نفسه ، وتوضيح وجهة نظره ، والتوبة مع الاعتراف بالذنب ، ليعلمنا ويبين لأصحاب السلطة أن هذا هو الطريق الصحيح لتحقيق العدالة بين الحاكم والمحكوم ، ليطمئن المأمورين بأنهم لن يعاقبوا بدون تحقيق أو النطق بدفاعهم وأقوالهم ، وبذلك

يضع الله لنا آسس الحكم العادل الذي يجب أن يحكم به المسلمون .

الفرق بين معصية آدم ومعصية إبليس

في الآيات السابقة أيضا يبين الله تعالى إجابة إبليس وإجابة الانسان ـ آدم وحواء ـ ومن هذه الاجابة يتضح لنا سبب عصيان كل واحد منهم ، فعصيان إبليس لأمر الله كان سببه رفض أصل الأمر ، وعدم التسليم به ، وعدم الاقتناع بموجبه ، فعصيانه مصادرة لأمر الله ، لأن إبليس لم يسلم بأفضلية الانسان عليه مع تفضيل الله للانسان على سائر مخلوقاته ، وإقناع الملائكة بهذه الأفضلية بالحجة والبرهان .
كما أننا نجد في معارضة إبليس لأصل الأمر وعدم التسليم به تخطيئا للأمر والآمر ، واستكبارا على تنفيذ أمر الله ، وعدم التسليم بأفضلية ما فضله الله ، وكل ذلك هو الكفر بالله تعالى خالق الكون ومنظمه .
ويضاف الى ذلك أن عدم سجود ابليس ـ بعد سجود جميع الملائكة باعتبارهم أفضل مخلوقات الله قبل الانسان ، وتسليمهم بالأمر تسليم من بقية مخلوقات الله ـ يعتبر خروجا عن الجماعة ومخالفة لهم ، وتسفيها لما أجمعوا عليه ، ومعارضة لتصرفهم وطاعتهم لله سبحانه وتعالى .
وكان يمكن أن يتنبه ابليس لسوء تصرفه عندما وجد نفسه وحيدا في المعارضة لا يؤيده أحد من المخلوقات ، ولكن استكباره وكفره حالا دون ذلك فتمادى حتى هلك .
ومن ذلك يتبين أن معصية ابليس لم تكن مخالفة لأمر الله تعالى ، وانما هي مصادرة للأمر ومعارضة له وتمرد عليه استكبارا وكفرا .
أما معصية الانسان ، او نقول معصية الأسرة الأولى ، فهي مخالفة أمر الله ، وعدم تنفيذه ، مع التسليم بأصل الأمر ، وعدم مصادرته ومعارضته ، واعتراف بالخطأ ، وتسليم أمرهما لله ، وطلب العفو والمغفرة والرحمة ، والاعتراف بأنهما سيكونان من الخاسرين ، إن لم يغفر الله لهما ويرحمهما ، ويقبل توبتهما .
وفرق آخر بين المعصيتين ، وهو أن إبليس لم يغرر به أحد من مخلوقات الله ، بل ولم يطاوعه أحد من جنسه أو من مخلوقات الله الأخرى في معصية أمر الله والكفر به .
أما آدم وحواء فقد غرر بهما إبليس ووسوس لهما ، وقوى ذلك بالقسم لهما أنه من الناصحين ، ونسيا أنه عدوهما ، قال الله تعالى :
(فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين او تكونا من الخالدين . وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور) الأعراف / ٢٠ ـ ٢٢ .
(فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) طه / ١٢٠ .
(ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما) طه / ١١٥ .

الإسلام والأسرة

١

اتفقت الهيئات العالمية على اختيار يوم ٢١ مارس يوما للأسرة .. في هذا الوقت يبدأ الربيع ، ويكون الجو لطيفا لا هو بارد ولا هو حار .. وتتفتح الأزهار .. وينشط الحب والتآلف بين جميع الكائنات الحية .. الطير والحيوان والانسان وحتى الحشرات والأسماك .

وقد كان هذا اليوم أول أمره قاصرا على الأم وحدها .. وكان يسمى (عيد الأم) ولكن الناس بالفطرة وجدوا أن الأبوة لها أيضا حقوق ومرحمة على الأبناء فجعلوا هذا اليوم للأسرة كلها . فيلتقي فيه الأبناء مع الآباء والأمهات .. وخاصة اذا كان الأبناء في مكان بعيد فيتبادلون معا مشاعر الود والمحبة .. ويقدمون الهدايا رمزا وتعبيرا .. ويحلون المشاكل القديمة والخلافات السابقة وتصفو القلوب ..

وكم كان بودنا أن يأتي هذا الاحتفال ـ بيوم الأسرة ـ بدافع من ديننا بدلا من أن يأتينا كتقليد من الغرب .. وأن نصدر نحن فكرة الاحتفال بيوم الأسرة بدلا من أن نكون المستوردين لها .. فقد بلغ من تكريم الاسلام للأسرة أن جعلها محور الاصلاح والدعوة والنواة الرئيسية في بناء المجتمع الاسلامي

للدكتور : احمد شوقي الفنجري

المثالي .

حرمة الأسرة في الاسلام :

لقد أحاط الاسلام الأسرة بسياج من الحماية من الدولة .. وصان لبيت الأسرة الحرمة والأمان .. فالاسلام هو أول تنظيم عرفته الانسانية يجعل سلطة الدولة تتوقف عند أبواب البيوت .. فلا يجوز لممثلي الدولة في الاسلام أن يقتحموا بيتا بدون اذن أصحابه واذا قيل لهم ارجعوا أي اذا رفض صاحب البيت دخولهم فعليهم أن يرجعوا .. وخير مثل على ذلك ما حدث للخليفة عمر بن الخطاب حين سمع أن جماعة من الشباب يشربون الخمر في بيت أحدهم فتربص لهم ثم قفز من فوق سور البيت وضبطهم في الفناء وهم يشربون وأراد أن يقيم عليهم الحد .. ولكن صاحب البيت صاح في وجهه قائلا : مكانك يا عمر .. لقد جئنا بواحدة : (أي جئنا بمخالفة واحدة) وجئتنا بثلاث .. أي ارتكبت ثلاث مخالفات) .

أولاها : تجسست علينا والله يقول : **(ولا تجسسوا)** الحجرات / ١٢ والثانية : اقتحمت البيت من السور والله يقول : **(وأتوا البيوت من أبوابها)** البقرة / ١٨٩ والثالثة : دخلت علينا دون اذن منا والله يقول : **(فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم)** النور / ٢٨ .

وهنا تنبه عمر الى خطئه ، فللبيوت حرمتها في الاسلام وتنبه الى أن اجراءات التفتيش والقبض لم تكن قانونية فاعتذر لهم عن خطئه وقال لهم : « هذه بتلك ولا تعودوا لمثلها » .

وقليل من الناس من يعلمون أن الاسلام قد ذهب في صيانته لحرمة الأسرة المسلمة والبيت المسلم الى حد أن جعلهم أعظم عند الله تعالى من حرمة الكعبة الشريفة المقدسة ، فقد وقف الرسول صلى الله عليه وسلم أمام الكعبة يخاطبها ويقول لها : « ما أعظمك وما أعظم حرمتك .. والذي نفس محمد بيده لحرمة المسلم أعظم عند الله من حرمتك .. دمه وماله وعرضه وألا يظن به الا خيرا » رواه الترمذي .

وهكذا يأمرنا الاسلام بحسن الظن بالمسلم وبالأسرة المسلمة الى حد أنه يعتبر أن سوء الظن بهم أعظم جرما عند الله من الاساءة الى الكعبة الشريفة .

وأن بيت المسلم له حرمة على الدولة كحرمة بيت الله الحرام ، فلا يجوز للدولة أن تقتحم حرمة هذا البيت الا في حدود كتاب الله الذي هو دستور الدولة .

تكوين الأسرة واجب على المسلم :

يختلف الاسلام عن سائر الأديان

الأخرى في نظرته الى تكوين الأسرة . فالمسيحية تعتبر الزواج أمرا مكروها وغير مستحب .. وأن المسيحي المثالي هو الذي يهب حياته للدين ويقتدي بالمسيح عليه السلام فلا يتزوج .. فقد جاء في انجيل متى ١٩/١٢ :
(يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم . ويوجد خصيان خصاهم الناس ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات .. من استطاع أن يفعل فليفعل)
وجاء في كورنتوس الأولى ٧ : ١ـ٢ (بولس) :
(حسن للرجل ألا يمس امرأة . ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ولكل واحدة رجلها . وأقول لغير المتزوجين والأرامل أنه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا) .
ان قصارى ما يحققه الزواج أن يعصم الفرد من الخطيئة ، على حين التبتل يروض المرء على أعمال القديس وينلل له السبيل الى منزلة الاشراق ويتيح له أن يأتي بالمعجزات) .
هذه هي نظرة المسيحية الى الزواج والأسرة ، وقد نتج عن ذلك أن تكونت في المسيحية مذاهب تحرم الزواج بتاتا كمذهب (المرسيون) Merciones الذي ظهر منذ القرن الثاني للميلاد .. وحرم على أتباعه الزواج .. بل وحتم على من يدخل فيه أن يطلق زوجته أولا ..
وبعكس ذلك جاء الاسلام فحث على تكوين الأسرة .. واعتبر الزواج فرضا على كل مسلم قادر . ولا يقبل من المسلم الرهبانية أو العزوبية أو التبتل .. لأنه كدين واقعي يعتبر العزوبية سبيلا الى الانحراف والشر وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شراركم عزابكم ، ركعتان من متأهل خير من سبعين ركعة من غير متأهل » رواه ابن عدى عن أبي هريرة .
ويعتبر الاسلام أن من لديه القدرة المالية والصحية على الزواج ، ثم لم يتزوج فقد خالف سنة الله ورسوله .. وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « من قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا » رواه الدارمي .
ويعتبر الاسلام أن الزواج نصف الدين بفضل ما يهيئه للمتزوج من العفاف والاستقامة ، والتفرغ لخدمة الناس وعبادة الله ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :
« من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على نصف دينه ، فليتق الله في الشطر الباقي » رواه الطبراني في الأوسط والحاكم .

الدولة ملتزمة بمعونة طالب الزواج :

وفي مقابل هذا الالتزام فان الدولة في الاسلام ملتزمة بتزويج المسلم أي باعطائه معونة لتكوين الأسرة .. وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ثلاث حق على الله عونهم .. المجاهد في سبيل الله .. والمكاتب الذي يريد الأداء .. والناكح الذي يريد العفاف » رواه احمد عن أبي هريرة .
والدولة في الاسلام ملتزمة باعطاء

المتزوج بيتا مناسبا لاقامة أسرته .. بل من واجبها أيضا أن تعطيه خادما أو معينا لزوجته فقد جاء في الأثر : « من عمل لنا ولم يكن له زوجة فليتخذ زوجة .. ومن لم يكن له بيت فليتخذ بيتا .. ومن لم يكن له خادم فليتخذ خادما .. ومن لم يكن له دابة فليتخذ دابة .. وما زاد على ذلك فهو غلول » .

ومعنى هذا الحديث أن الدولة ملتزمة نحو الأسرة المسلمة بتوفير سبل الحياة الكريمة وقاية للأسرة من الفشل والخلافات والانهيار .. الى حد كفالة من يعين الزوجة في خدمة البيت .. بل هي ملتزمة أيضا بتذليل سبيل المواصلات للأسرة من البيت الى العمل والسوق وهو ما عبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله فليتخذ دابة ..

مسكن الأسرة المسلمة :

ومسكن الأسرة في الاسلام له شروط ومواصفات .. فمن حق الزوجة أن يكون لها منزل مستقل عن أسرة زوجها إذا أرادت .. واذا كانت اقتصاديات الزوج كافية فمن حقها أن تطلب المسكن الفسيح .. وذلك اقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من سعادة ابن آدم ، الزوجة الصالحة ، والمسكن الصالح ، والمركب الصالح » رواه احمد .

ويضع فقهاء الاسلام الحد الأدنى لهذا المسكن الذي يجب على الدولة أن توفره لرعاياها وهو ما يسمى في لغة العصر بالمسكن الشعبي فيقول الامام ابن حزم في كتابه المحلي :

« وفرض الاسلام على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم .. ويجبرهم السلطان على ذلك .. إن لم تقم الزكوات بهم ...ولا في سائر أموال المسلمين .. فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه . ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك .. وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة » .

هذه هي شروط المسكن الشعبي الذي تلتزم به الدولة ليكون مقر الأسرة المسلمة أولها : أن يكون منيعا من تقلبات الطقس و ثانيها:أن لا تجرحه أعين المارة وثالثها : أن يكون فسيحا غير ضيق .

ولو علمنا أن هذا الكلام التشريعي قد كتب في القرن الخامس الهجري لتبين لنا أن المسلمين قد سبقوا أوروبا في تشريعات حماية الأسرة بحوالي ألف عام تقريبا ..

ويصون الاسلام للأسرة المسلمة سرها . ويعتبر ما يدور داخل الأسرة سرا مقدسا لا يجوز لانسان غريب أن يطلع عليه لأي سبب الا باذنهم .

وللمسلم الحق أن يعاقب من يحاول التجسس عليه في بيته أو كشف سره فيقول رسول الله :

« من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم أن يفقأوا عينه » رواه مسلم واحمد

ويقول ايضا : « أيما رجل كشف سترا فادخل بصره قبل أن يؤذن له فقد أتى حدا لا يحل أن يأتيه ولو أن رجلا فقأ عينه لهدرت .. » رواه احمد والترمذي .

العقيدة الإسلامية خير أساس لتكوين خير أمة

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ
(آل عمران)

للشيخ / زكريا ابراهيم الزوكة

لكل نهضة من النهضات فكرة تدور عليها وتتبلور حولها وتتخذ منها زادا لعواطف الأمة . وأساسا لبناء أمجادها .. وكلما كانت الفكرة أقرب إلى خصائص الأمة . والصق بمشاعرها وأنسب لمواريثها كانت النهضة أدنى إلى الصواب . وأقرب إلى النجاح .

هذه الفكرة التي تدور عليها نهضة الأمة قد تكون :

١) القومية التي تربط أصحابها برباط الجنس ، وتجمعهم بوشيجة الدم .. وتقيم علاقاتها مع غيرها من الأمم على أساس من تبادل المنافع . وتقارض المصالح ...

٢) وقد تكون الوطنية التي تتمثل في حب الوطن . والولاء له والتفكير في كل ما يعود بالخير عليه .

٣) وقد تكون علمانية ــ وهذا هو تعبيرهم ــ وهي التي تختفي فيها الأديان . فلا تؤمن إلا بالعلم والأخذ بالحضارة الغربية خيرا كانت أو شرا .

٤) وقد تكون هذه الفكرة اجتماعية . لا يعنيها النظر إلى الجنس أو الوطن . وإنما يعنيها أن يؤمن أصحابها بمذهب اجتماعي معروف يحبون فيه . ويبغضون فيه .. يحبون فيه ولو أبعد الناس إليهم . ويبغضون فيه ولو أقرب الناس إليهم .

٥) وقد تكون الفكرة « دينية » تجمع بين أبناء العقيدة الواحدة . وتجعل من أجناسهم جنسا . ومن أوطانهم وطنا . وتقيم علاقاتها مع تلك الامم المتحدة العقيدة على أساس من الأخوة والتكافل والتجاوب كأنها جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد ..

غير أننا إذا نظرنا إلى أية فكرة من تلك الفكر نجد أنها لا تستطيع وحدها أن تكون أساسا للنهضة . وقواما للأمم الناهضة ... واذا ظفرت بذلك أول الأمر تعسر عليها أن تحتفظ به طويلا وتعتمد عليه إلى مدى بعيد ..

فالشيوعية ــ مثلا ــ كانت تزعم أنها رباط بين الشيوعيين تلغي من أجله روابط الجنس . والوطن . والدين . ثم كشفت لها الأيام أن ذلك أمل عزيز المنال ..... لأن دولا دانت بالشيوعية ــ كمذهب اجتماعي ــ واعتنقته في حرارة واخلاص ومع ذلك لم تستطع ان تتخلى طويلا عن إيمانها بالجنس والوطن كيوغسلافيا والصين الشعبية ...

واكتفت تلك الدول بأن تكون علاقاتها بروسيا علاقة الأولاد بالوالد لا يمنعهم استقلالهم عنه . من أن يتقاسموا الشدة . ولا ينسوا الفضل بينهم ...

ذلك أن ارتباط الفرد بوطنه وقومه شئ مركوز في الطباع متأصل في

الفطـرة . له في كل قلـب نوازع وأحاسيس تذكر به وتهفو إليه . ومن العسير إن لم يكن من المحال أن يتناسى الانسـان نداء الفطـرة . ويتجاهل إلحاح الطبع .... إذاً في وسعنا أن نقول : إن في استطاعة أية أمة أن تتخذ لنهضتها فكرة معينة تلائمها وتناسب طبعها . وترى في اعتناقها أقوم الطرق . وأقربها إلى إدراك الغاية وإصابة الهدف تفعل ذلك وهي مطمئنة إلى أنها لن تبخس بقية الفكر شيئا من حقها . أو تسلبها شيئا من سلطانها .

نقول ذلك تمهيدا بين يدي موضوع نحب ان نجليه للناس .

فقد طال فيه الجدل . وكثر فيه الكلام . وما زال المؤيد والمعـارض كلاهما في موقفه لا يريدان أن يتقاربا ليلتقيا في منتصف الطريق .

هذا الموضوع هو :

مكان الفـكرة الاسلاميـة . في نهضة الأمم التي تنسب للاسلام . هل يجوز لتلك الفكرة أن تتقدم لتكون أساسا للنهضة . أم الواجـب أن تستبعد استبعادا لتحل محلها فكرة أخرى من تلك الفكر التي اعتنقها الغربيون . وفتن بها الشرقيون ؟...

وقبل أن نجيب على هذا السؤال يجب أن نقف قليلا لنبين أن الجدل الذي أثير حول هذا الموضوع لم يأخذ طابع البحث العلمي . ولم يجر على أقيسـة المنطـق الدقيقـة . وانمـا استولت على ازمته العواطف الحادة والأهواء المغرضة والأحقاد الدفينة . وسيطر عليه التقليد الأعمى الذي قد يرى الحق حقا . ولكن يجتنبـه . ويرى الباطل باطلا ولكن يجري وراءه ويتشبث به .

لهذا أحرص على أن يكون جوابي هادئا باسما يعرض أدلته في رفق . ويجادل عنها بالتي هي أحسن .

مما لا شك فيه أن الأمم الاسلامية بعامة . والأمم العربية بخاصة قد تأثرت بالعقيدة الاسلامية تأثرا تغلغل في القلب . وخالـط اللحـم والـدم واصطبغت بصبغة الاسلام ملامحها وتاريخها وأفكارها فأصبحت تعرف بهذا الدين أكثر مما تعرف بغيره . وتتخذ منه شعارا يخفي وراءه كل شعار !!... ولهذا كله أسباب :

١) منها أن تاريخ اعتناقها لهذا الدين قديم عريق تمتد جذوره الى ما يقرب من أربعة عشر قرنا . وانـه لتاريخ عزيز ليس من السهل طرحه ونسيانه . أو تجاهله والتنصل منه ما دامت الايام والاحداث لم تكتشف في سجله غير الصحائف البيض .

٢) أن اعتناق هذه الأمم لهذا الدين كان مصدر عزها وسيادتهـا فمنذ اعتنقته تحـررت من عبـادة العباد . ورفعت رأسها على كل جبار وعرفت في حياتها معرفة عملية معنى الحرية والاخاء والمساواة واصبحت إذا عملت فانما تعمل لنفسها واذا حاربت فانما تحارب لربهـا . واذا عاشت أو ماتت فعيشها ومماتها في سبيل الدعوة الاسلامية التي تحلو بها الحياة وتستساغ بها الشهادة ..

٣) ان هذه العقيدة الاسلامية لا تحمل في طياتها ما يصطدم مع الفطرة

السليمة . والطبائع المستقيمة فكل ما يلائم الطبع ويؤيده العقل له تقدير واعتبار ...

٤) أن أفراد هذه الأمم لم يعرفوا لهم رابطة غير رابطة العقيدة لان البلدان الاسلامية كانت مفتحة الابواب لكل مسلم مهما كان بعيدا يدخلها في سهولة ويسر وثقة واطمئنان ما دام يحمل « جواز » الدخول وهو كلمة « الاسلام » فاذا دخلها فقد دخل على عشيرته وأهله لأن المسلمين عشيرة كل مسلم . وفئته التي يتحيز اليها .. ومن هنا صارت أرض الاسلام « بوتقة » انصهرت فيها كل الأجناس والأوطان وأصبحت وطنا واحدا يرى كل مسلم أن له فيه حقا وعليه له واجبا .. فاذا اردت ان تحرك هؤلاء المواطنين فلن تجد غير الاسلام تحركهم به . وتجمعهم عليه .

٥) أن في وسع هذه الأمم أن تكون كتلة ثالثة بين الكتلتين الشرقية والغربية . وأن تصبح قوة هائلة تستشار في شؤون العالم . وتتحكم في مصير السلم والحرب لأنها تملك البقعة الوسط . والمناخ المعتدل والمواقع الاستراتيجية وحقول البترول الواسعة .. فضلا عن كثرة عددها وتلاصق أوطانها واستغنائها عما عداها ..

ولكن ما هو الرباط المحكم الذي يمسكها ويمنحها القوة والوحدة ويجعلها على قلب رجل واحد ؟

أهو المنافع المتبادلة والمصالح المشتركة كما ينادي بذلك كثير من الساسة والكتاب ؟.. كلا لأن المصالح تتغير بتغير الأحوال والظروف . وتتبدل بتبدل الرجال الذين يمسكون في ايديهم قيادات هذه الأمم ولا بد من شئ ثابت ..

إذا لا مناص من رباط العقيدة التي يحس بها الجاهل والعالم . والرجل والمرأة . والصغير والكبير . والتي لا يعرف المسلمون بعضهم بعضا إلا بها ولا يلتقون إلا عليها . ولا يستثارون إلا بها . ولا يقادون إلا بزمامها .

٦) أن العقيدة الاسلامية سهلة لا تعقيد فيها ولا تركيب ولا ألغاز ولا أسرار ... إنما هي كلمتان : لا إله إلا الله ــ محمد رسول الله ــ يقولهما الرجل صادقا معتقدا ليصبح مسلما يملك في أرض الاسلام ما يملك سائر المسلمين . ويفيد من أخوة الاسلام أكثر مما يفيد من أخوة النسب ويكتسب من الحقوق اكثر مما كان يكتسب : ويرى من تكافؤ الفرص ما يملأ نفسه بالأمل .. يشعر بذلك الفرد . وتشعر به الجماعة .. وشتان بين رجل يعتز ويصول بقوة اخوانه في الجنس فقط . او الوطن فقط .... ورجل آخر يعتز ويصول بهؤلاء جميعا وبآخرين من دونهم يشاركونه في العقيدة وينبثون في كل فج من فجاج ارض الله الواسعة ..

وشتان كذلك بين امة تعتمد على نفسها فقط . وتبيت على حذر من جيرانها .. وأمة اخرى تبيت آمنة مطمئنة لأنها تعتمد على ربها ونفسها وعلى جيرانها ... وهذا من شأنه أن يجعل من تلك العقيدة ركن الامة الاسلامية الشديد الذي تأوى إليه .

الفتاوى

للدكتور
محمد سلام مدكور

○ من السيد طاهر محمد عبدالودود من جمهورية مصر العربية/القرشية/السنطه أرسل يقول :

نذرت إن نجحت في الامتحان أذبح وأعمل حفلا شعبيا فهل يصح أن أدفع النذر للفقراء أو للمساجد .

● النذر طريق من طرق التقرب إلى الله وابتغاء مرضاته ، وهو لا يكون إلا لله سبحانه ولا يكون في معصيته ابدا . ومن نذر على هذا الوجه لزمه الوفاء وقد امتدح الله الموفين بالنذر واعتبرهم من الأبرار ووعدهم بالنعيم الأخروي يقول سبحانه في سورة الانسان : **(إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا . يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا)** وقد روي أبو داود في الحديث المتفق عليه « أوفي بنذرك » .

والسؤال يتضمن جزئيتين : أنه نذر الذبح . وعمل حفل شعبي ، ويبدو كما هو مشاهد في مثل هذا أن الحفل الشعبي يجمع فيه الأصدقاء من قرنائه . فاذا كان فيه لهو غير مشروع ، وتجمع ترتكب فيه بعض المعاصي فانه لا ينبغي إقامته لما روته السيدة عائشة رضي الله عنها من أن رسول الله قال : « لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين »رواه احمد في سنده وأبو داود في سننه لكن الترمذي قال إنه حديث غريب . وروي الجوزجاني باسناده عن عمران بن حصين قال : سمعت رسول الله يقول « النذر نذران فما كان من نذر في طاعة الله فذلك لله وفيه الوفاء . وما كان من نذر في معصية الله فلا وفاء فيه ويكفره ما يكفر اليمين » . أما إذا كان المراد منه إقامة وليمة يقدم فيها ذبيحة يطعمها للفقراء ومن في حكمهم ابتهاجا بنجاحه وشكرا لله على نعمته عليه واعترافا بفضله فهو أمر مشروع وواجب الوفاء .

أما العدول عن الذبح والحفل وتقديم المال الذي ينفق فيهما صدقة على الفقراء أو شراء مصاحف أو تقديمها في بناء جامع فالفقه على أن من نذر أن يذبح وجب عليه الذبح لأنه يتقرب الى الله باهراق دم الذبيحة وإطعام المحتاجين مادام الذبح ميسورا .

لم يؤد صلاة الظهر وفات وقته ودخل المسجد فوجد الامام يصلي بالناس العصر

فقهاء الحنفية يرون لزوم الترتيب بين الفروض الخمسة والوتر أداء وقضاء .

وعلى هذا فانه لو خاف فوت صلاة جماعة حاضرة قبل قضاء الفائتة فان كانت الفوائت التي عليه لم تزد عن صلوات يوم وليلة لزمه أن يبدأ بصلاة الفائتة . أما إذا كانت الفوائت أكثر من ذلك فان الترتيب يسقط عندهم وعليه أن يتبع الامام ويبدأ بصلاة العصر معه .

وينصون على أنه لا يجوز اقتداء المفترض بمن يصلي فرضا آخر لأن المقتدي مشارك للامام فلابد من الاتحاد . وإنما يجوز اقتداء المتنفل بالمفترض لأنه من قبيل بناء الناقص على الكامل ، ولا يجوز عندهم اقتداء المفترض بالمتنفل لأن صلاة المقتدى تنبني على صلاة الامام صحة وفسادا .وبناء الكامل على الناقص لا يجوز .

وعند الحنابلة أن الترتيب أيضا لا يسقط بخشية فوات صلاة الجماعة في ظاهر المذهب فمن كانت عليه فوائت وخشي فوات صلاة الجماعة فان الترتيب لا يسقط وقيل انه يسقط . ونصوا على أنه من حضرته صلاة الظهر مثلا في جماعة وعليه ظهر فائتة فله أن يصلي مع الجماعة ويحتسبها الفائتة . ثم يصلي الحاضرة بعد ذلك .. وبناء على ذلك فان للسائل أن يدخل في الجماعة وينوي صلاة الظهر .. ثم يصلي العصر . وينبغي أن يلاحظ أن الترتيب يسقط عند الحنفية والحنابلة في ضيق الوقت أي لو خشى إن صلى الفائتة ينتهي وقت الصلاة الحاضرة فانه يبدأ بالصلاة الحاضرة خشية أن يفوت وقتها وتصبح الأخرى فائتة ، لكن الامام مالك يرى أن الترتيب واجب في سعة الوقت وضيقه .

أما الشافعية فالترتيب عندهم سنة وليس بواجب وإذا كان ترك صلاة الظهر بدون عذر فيجب عليه قضاء الظهر ولا يقدم عليه شيئا ، وله عندهم أن يتبع الامام الذي يصلي العصر ناويا صلاة الظهر . أما إذا كان ترك الظهر بعذر فالقضاء على التراخي .

ونحن نفضل مراعاة للخلاف أن تبدأ بصلاة الظهر منفردا مراعاة للترتيب ثم تصلي بعد ذلك العصر .

صلاة ركعة واحدة بعد العشاء

يبدو أن السائل يقصد صلاة الوتر ، فانه يسن بعد صلاة العشاء صلاة ركعتين سنة . كما يجب صلاة شئ آخر هو الوتر . ويرى الحنفية أن الوتر واجب لما روى من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « الوتر حق فمن لم يوتر فليس مني » رواه أبو داوود والحاكم وصححه . وهو عندهم ثلاث ركعات بتسليمة واحدة .

وعند المالكية والشافعية والحنابلة تصح صلاة الوتر بركعة واحدة بتشهد وتسليم فاذا كان المسئول عنه هو عدد ركعات صلاة الوتر وهل يصح بركعة واحدة .. فهذا هو الجواب .



مع الشباب

الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط امالها ، وفلذات اكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والاخذ بيدهم الى الطريق الامثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض افكارهم يحدونا الامل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

الاعجاز العلمي للقرآن الكريم

أرسل الينا الأخ علي خليل شقرة من الجامعة الأردنية كلمة للشباب حول الاعجاز العلمي في القرآن الكريم تحدث فيها عن الحقائق العلمية التي وافقت القرآن الكريم لتدل من جديد على أن هذا الكتاب ليس من كلام البشر .

وقد واصل الحديث مدللا على أن الحقائق العلمية هي اليقينية الثابتة ، ودعا الى مراجعة كتب التفسير ودراستها دراسة متأنية فذلك أدعى للوقوف على مكنوناتها .

وكيف أنها ألمحت الى الكثير من الحقائق العلمية ـ ونحن نقدم للشباب مقتطفات من تلك الكلمة :

إن القرآن هو معجزة الاسلام الخالدة الدالة على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولما كانت رسالة الاسلام خاتمة الرسالات ، وللناس كافة في جميع الأزمنة والامكنة ، فان ذلك يقتضي أن يكون القرآن معجزا للناس على اختلاف ثقافاتهم ، ومستوياتهم الفكرية ، وعلى اختلاف زمانهم ومكانهم .

ومن مظاهر اعجاز القرآن الكريم الكثيرة : اعجازه العلمي ، وهذا الوجه من وجوه الاعجاز يتمثل في مطابقة الآيات الكونية ، والحقائق العلمية لما أخبر به القرآن الكريم .

وان اعجاز القرآن الكريم ليس متمثلا فقط في اعجازه الأدبي ، والتاريخي ، والتشريعي ، بل لا بد أن يكون فيه من وجوه الاعجاز ما يناسب مستويات الناس الفكرية في جميع العصور .

وقد أدرك العرب أيام نزول القرآن اعجازه البلاغي لانتشار البلاغة ، والفصاحة بين معظم الناس آنذاك ، واشتهارهم بها ، فاننا نجد معظم الناس في هذه الأيام قد فسد ذوقهم البياني بالاضافة الى واجب تبليغ رسالة الاسلام الى أقوام ليسوا عربا أصلا . فضلا عن أن يفهموا أساليب البيان العربي ، والبلاغة العربية .

واننا لنرى القرآن الكريم قد دعا الناس الى تدبر آياته ، وتفهم معانيه قال تعالى : **(أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)** ٨٢/ النساء . وقال تعالى : **(كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب)** ٢٩ /ص .

ومن هنا فان من واجبنا أن نتدبر القرآن الكريم لندرك اعجازه .

ومطابقة تفسير القرآن الكريم لما جاء به العلم حديثا لا يتعلق بالنظريات العلمية التي هي وجهات نظر قابلة للخطأ والصواب إنما يتعلق بالحقائق العلمية اليقينية الثابتة .

وسأذكر بعض الآيات القرآنية التي طابقت حقائق علمية ثابتة لا يرتقي اليها الشك ودون تأويل أو تطويع .

قال تعالى في معرض اثبات البعث والحساب : **(أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه.بلى قادر بين على أن نسوي بنانه)** ٣ و ٤ / القيامة .

فهنا يقول الحق سبحانه ايظن الانسان اننا لن نستطيع اعادته يوم القيامة بعد ان بلى بل انا نستطيع ان نعيد تسوية بنانه ــ طرف الاصابع ــ واول ما يسأل المرء : ما حكمت اختيار القدرة على تسوية البنان للرد على المنكرين لليوم الآخر ؟ ولماذا جعل تسوية البنان اكثر افحاما لمن ينكر جمع العظام مع ان البنان جزء بسيط من العظام .

وبعد ان تقدم العلم كشف عن ان بنان كل انسان تختلف عن الآخر حتى انه لا يمكن ان نجد اثنين على وجه الارض تتشابه بصمات اصابعهما ، اذاً فهنا تتجلى حكمة اختيار القدرة على تسوية البنان للرد على منكري البعث لان الذي يقدر على اعادة بنان كل شخص له رغم اختلافه من شخص لآخر قادر من باب اولي على اعادة اي جزء من جسم الانسان الذي قد يتشابه معه فيه كثيرون .

وعلى هذا فلا خوف من تفسير بعض آيات القرآن الكريم بالحقائق العلمية الثابتة .



□ متى يتحقق بناء مجتمع اسلامي ؟

جاءتنا من الاستاذ فاروق عبدالعزيز سلام كلمة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلي :

إن الدول الاسلامية ارتضت لنفسها الاسلام دينا وشرعة ومنهجا وسلوكا ..

فما بالنا نجد أن الروح الأجنبية قد سادت وطغت تقاليدها فسيطرت بالاثم والهوى على مجتمعنا .. تنتزعه من إيمانه إلى إلحادهم .. ومن استقامته إلى انحرافهم .

وقد أصبح التميع الحضاري ، والانحلال الأخلاقي ثمرة دانية القطوف ، بينما نحن في غينا سادرون ، تجذبنا دوامة الحياة إلى قاع الرذيلة ، فلا نشعر إلا بوقع الألم على نفوسنا ، وقبل أن نفيق تماما ، تجذبنا الدوامة ، وهكذا .

والسؤال : متى يتحقق فعلا ، وصدقا ، بناء مجتمع إسلامي في صورته المنشودة ، ناسجا قيمنا وأخلاقيات مجتمعنا على منوال الذكر الحكيم وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

من هنا فان التفتت والتجزئة والعدواة والبغضاء والحدود المصطنعة والتقسيم الوهمي لأمة الاسلام والتبعية السياسية والاقتصادية قد حققت لأعداء الاسلام والانسانية أهم أهدافها وجعل من أمة الاسلام شيعا متناحرة .. وأحزابا متنافرة وارتكبت الآثام والمعاصي في غيبة الضمير الاسلامي .

ومن هنا فان دعوة القضاء على الفقر والفاقة وتحقيق التقدم والرفاهية عربيا ليس رهن القضاء على قوى السيطرة والاحتكار والاستعمار ـ فحسب ـ بل بتطبيق منهج الاسلام وشرعه .

وإذا كان النصر يحتم بالضرورة

أن نبدأ بالتنسيق .. وننتهي بالتوحيد فان الامكانيات الروحية والطاقات المؤمنة بالله ورسوله قادرة على تحقيق المعجزات والمستحيل ، خصوصا وأن الأمة العربية حباها الله بامكانيات لو حشدتها وأحسنت تحريكها لأمكنها الدفاع عن قدرها ، وإحراز التقدم المنشود .

ومن هنا فان الخطر على المسلمين لا يأتي من قوة أعدائهم عددا وعدة ولكنه يأتي — بالدرجة الأولى — من تهاون المسلمين في حق دينهم .. وانقيادهم وراء مباهج الحياة الغربية وشهواتهم .

وهي بهذا استطاعت أن تفرض نفسها وتحقق وجودها في مواجهة مرض الارادة العربية وغيبة التنسيق الواحد ونبذ تعاليم الاسلام .

□ كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا .

وجاءتنا هذه الكلمة من الاستاذ احمد شادي نقدم للسادة القراء مقتطفات منها :

لا فكاك ولا مهرب من شهادة الألسنة والأيدي والأرجل وصدق الله العظيم حيث يقول : (**يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون**) النور/٢٤ .

وطالما جادل الجاحدون بالغيب في كيفية شهادة الألسنة والأيدي والأعين والأرجل الخ ..

فهل هناك مبرر في هذا العصر الحديث لبقاء هذا الجدل بعد أن تمت الشهادة في الدنيا على صورة من الصور وفي نطاق ضيق محصور مقصور على الأشخاص حين تحركوا ووقفوا أمام عدسات التصوير التي التقطت مناظرهم والآذان الصناعية التي سجلت أصواتهم . وصل الانسان بعلمه القليل إلى هذه المرحلة فكيف يكون الحال مع العالم الأكبر والقادر الأعظم .

يمكن أن تكون الشهادة في الآخرة باستعراض ما كان يفعله كل فرد كلام لسانه ، وجناية يديه ونظر عينيه ومشى رجليه الخ .

فلا يستطيع إنسان أن يكابر في الأدلة أو يزيف في الوثائق أو يجادل في البراهين .

العلم يقترب بخطوات واسعة من الايمان كلما تقدم الزمن بالانسان .

فهل يقترب الماديون والملحدون والدهريون من الايمان بعد أن ضاق الخناق على مذهبهم ، وإن لم يقتنعوا فليتركوا الوصاية على الأجيال الجديدة لتقترب الفطر السليمة من ربها دون وصاية أحد عليها : (**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد**) فصلت/٥٣ .



□ حول مزاعم المبشرين .

وحول مزاعم المبشرين الكثيرة عن اسماعيل عليه السلام فمرة يدعون ان الذبيح اسحق ومرة يدعون أن القرآن الكريم لم يشر اليه بعد ان حرفوا قول الله سبحانه (ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب)
فقالوا « وجعلنا في ذريتهما النبوة » ليخرجوا اسماعيل وأيضا يتطرقوا بذلك الى سيد الخلق
وردا على هذه المزاعم جاءتنا تلك الكلمة **من الاستاذ سالم البهنساوي**

يقول فيها :

كتب أحد المبشرين مقالا في مجلة « أسرتي » وقعه باسم ويليام خاجيك . ذكر فيه أن المسيح هو الشخص الوحيد الذي لم يخطئ وهو الطريق الوحيد للجنة لأنه من ذرية ابراهيم الذي قال الله فيه في سورة العنكبوت : **(ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب)** العنكبوت /٢٧ .
والكاتب يستشهد بهذه الآية التي حرفها لتفيد أن النبوة والكتاب في ذرية إسحاق ويعقوب وليس فيها ذكر إسماعيل وذريته ومنها محمد رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام وزعم الكاتب أن نبي الاسلام قد أخطأ وانتهى من ذلك أن الطريق إلى الجنة هو الايمان بالمسيح واتباعه فقط .

والجواب الوجيز على هذه المفتريات نركزه فيما يلي :

١ ـ موقف غير المسلم من القرآن :

لقد استشهد هذا الكاتب بآيات تتعلق باستغفار النبي صلى الله عليه وسلم كما استشهد بالآية ٢٧ من سورة العنكبوت بعد أن حرفها بوضع كلمة ذريتهما بدلا من كلمة « ذريته »

الواردة في الآية فنص الآيـة هو : **(وجعلنا في ذريته النبـوة والكتاب)** والمقصود هو نبي اللـه إبراهيم ولكن الكاتب المذكور كتبها وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتـاب ليجعل النبوة قاصرة على ذرية إسحاق ويعقوب ويخرج منها إسماعيل وذريته كما هو واضح من مراجعة الآية .

وهؤلاء الذين يستشهدون بآيات من القرآن الكريم بينما هم لا يؤمنون به ، قد حدد الاسلام سبيلا واضحا لجدالهم فقال تعالى : **(إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون)** سورة المنافقون آية/١ .

فلو كان هؤلاء مؤمنين بالقـرآن الكريم لأخذوا كل ما جاء به وامتنعوا عن تحريف بعض آياته في اللفظ أو المعنى ليخدم أهواءهم .

وماداموا لا يؤمنون بالقرآن كما هو واقع حالهم فلا يقبـل منهـم الاستشهاد ببعض آياته وترك الباقي قال تعـالى : **(أفتؤمنـون ببعض الكتـاب وتكفـرون ببعض)** البقرة/ ٨٥ .

فالقرآن الكريم معجزة تحدى الله بها البشر جميعا لاثبات نبوة ورسالة خاتم النبيين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا يقبل أن يأخـذ هؤلاء جانبا منه ليهدم هذه النبوة وهذه الرسالة وتكذيب الرسول وقـد نشر الكاتب الفرنسي موريس بوكاي كتابا بعنوان الكتب المقدسة في ضوء العلم الحديث تضمن مقارنة بين القـرآن والتوراة والانجيل وانتهـى إلى أن القرآن وحده من عند الله ولا تناقض فيه بينما التوراة والانجيـل قد تم تحريفهما ولهذا فهما متناقضان مع العلوم اليقينية الحديثة .

٢ ـ الطريق إلى الجنة والايمان :

يذكر الكاتب أن الايمان بالمسيح هو الطريق الوحيد للجنة وقد تناسى أن الاسلام قد اعتبر كل من رد رسالة المسيح أو غيره من الرسل كافـرا ومرتدا ويخلد في النار .

أما أن يأخذ الكاتب من القرآن الكريم الآيات التي تفيد استغفـار النبي صلى الله عليه وسلم ليستدل على أن المسيح هو وحده الذي لم يخطيء وبالتالي فالايمان به وحده هو الطريق إلى الجنة . فهذه وسيلة للتأثير على السذج وضعفـاء العقـول لأن القرآن الذي أورد مغفرة الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي أورد أيضا مخالفته للأولى الذي هو محل المغفرة كاعراضه عن الأعمى اعتقادا منه انه جاء للمجادلة كعادته فعاتبه الله بقوله تعالى : **(وما يدريك لعله يزكى)** عبس/٣ .

ومثل قبول النبي صلى الله عليه وسلم الفداء من أسرى غزوة بدر وفي هذا قال الله تعالى : **(ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض)** الانفال/٦٧ .

والقرآن نفسه الذي يستشهد به

هذا الكاتب هو الذي أورد حساب الله للسيد المسيح في قوله تعالى : **(وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله)** المائدة الآية/١١٦ .

والقرآن أيضا هو الذي أورد طلب نبي الله إبراهيم حرمان الكافرين من الرزق في الدنيا بينما أخبرنا الله أن رزقه للجميع في قوله تعالى : **(وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير)** ١٢٦ سورة البقرة .

إن هذه أشياء خلاف الأولى جاءت من الأنبياء في الحالات التي يجتهدون فيها قبل نزول الوحي من الله إليهم بالحكم في هذه الأشياء وهي دليل على بشرية الرسل جميعا ودليل على صدق هؤلاء الرسل حيث لم يكتموا شيئا حتى ما تعلق بمخالفتهم للأولى .

فكيف يأتي هذا الكاتب ليأخذ من القرآن نتيجة أخرى لم ترد فيه ليفرق بين رسل الله ويستشهد بهذا على كفره بالقرآن والنبي ويزعم أن هذا هو الطريق الوحيد للجنة ؟

٣ ـ طبيعة المسيح وعقيدة التثليث :

إن الأناجيل الأربعة التي اعتبرتها الكنيسة مقدسة وسلبت هذه القدسية من باقي الأناجيل . هذه الأربعة تزعم أن الله نزل بهداية الناس في شكل بشر هو السيد المسيح ابن الله . ورسالة يوحنا الأولى في الاصحاح الخامس الآية ٨٢٧ بها « فان الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس ،

وهؤلاء الثلاثة هم واحد » وقد وجدت أناجيل مثل إنجيل برنابا تصحح هذا الذي أدخل على المسيحية فيؤكد أن المسيح نبي الله وليس ابنا له ففيه « إن الله العظيم قد أكرمنا في هذه الأيام بنبيه يسوع المسيح » وفي هذا الانجيل بشارة برسالة محمد ـ فهل يدرك هذا السيد (ويليام) ـ ومن اعتقد هذه العقيدة وهل يعلم أن الاصحاح الأول من رسالة بولس لأهل رومية يشير إلى وجود إنجيل آخر للمسيح كما يشير إنجيل متى إلى هذا في الاصحاح الرابع وهذا الانجيل غير موجود بين الكتب المسيحية المقدسة .





أوضاع المسلمين في الهند :
في تقرير نشرته جريدة القبس الكويتية :

طالب أمين عام اتحاد الطلبة المسلمين في أمريكا وكندا الدكتور محمود رشدان بزيادة الاهتمام بالمسلمين في الهند وبحث أوضاعهم . ودعا المسئولين في وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الكويتية الى بذل مزيد من المساعدات الثقافية والتعليمية والمعنوية والتعرف على أحوالهم عن قرب ، وتقديم ما يمكن من مساعدات لهم .

هذا وكانت لجنة قد شكلها اتحاد الطلبة المسلمين في أمريكا وكندا قد قامت بزيارة إلى بعض المقاطعات الهندية التي يسكنها مسلمون كانوا قد تعرضوا خلال العام الماضي إلى مذبحة على أيدي متعصبين من الطائفة الهندوسية في مدينة « جمشين بود » وقدموا تقريرا تضمن انشاء مؤسسات تعليمية وثقافية واقتصادية تمكن المسلمين هناك من تعليم أبنائهم وتدريبهم لرفع مكانتهم الاجتماعية والسياسية بما يتناسب مع تاريخهم الاسلامي في الهند وسمو رسالة الاسلام التي يجب أن يحملوها صافية في ربوع الهند .

ودعا التقرير إلى تمكين أبناء المسلمين في الهند من التعليم والتدريب على وسائل الاعلام المختلفة وذلك لتغطية واقع قضايا المسلمين هناك وتقديمها بشكل مقبول وجيد للعالم .

هذا وقد قدم التقرير بعض الأرقام الاحصائية عن واقع المسلمين في الهند مؤكدا أنهم يشكلون ١٤ في المائة من مجموع السكان ولكن نصيبهم في المجتمع الهندي أقل من ذلك بكثير .

الدعوة الاسلامية ودور الكويت
في لقاء لجريدة السياسة الكويتية مع الاستاذ ابراهيم كوتى

قام مؤخرا مدير الكلية العربية بالهند بزيارة للكويت بدعوة من وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية .

والجدير بالذكر أنها أول زيارة يقوم بها مسئول من هذه الكلية وقد ذكر أن زيارته للكويت تستهدف التعرف على المسئولين في الوزارة وخلق مناخ يقوي التعاون الاسلامي وقال إن عددا من الموضوعات الهامة ستبحث مع المسئولين من أهمها :

توسيع مبنى مسجد دار السلام التابع للكلية العربية « الصباح » وانشاء ثكنات للطلبة ، واخرى للطالبات ، وتجديد بناء الكلية ، وتوفير الأجهزة الحديثة لها ، وانشاء مبنى للتدريب على الحرف والصناعات والمهن المختلفة .

وقال السيد ابراهيم كوتى مدير الكلية العربية إن الكلية أسست قبل ست سنوات حيث يدرس فيها القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة وعلومها واللغة العربية وآدابها بجانب بعض العلوم الاسلامية الأخرى وبعض العلوم الحديثة .

وقال : إن هذه الكلية تتبع جمعية الصباح الاسلامية والتي يشرف عليها علماء متخصصون .

ومن أهم الأنشطة التي تقوم الكلية بها :

إنقاذ الجيل المسلم من هاوية الجهل والفساد . وتربيتهم تربية اسلامية .

وكان السيد كوتى قد زار قطر والبحرين قبل الكويت وسيقوم بزيارة للسعودية بغرض جمع المساعدات لهذه الكلية .

هذا وقد شكر مدير الكلية العربية المسئولين في وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية على دعوتها له لزيارة الكويت وعلى حسن الضيافة . كما مدح اهتمامهم بالقضايا الاسلامية في العالم .

وقد زودته الوزارة ببعض المراجع الاسلامية والعربية ، والتفسير ، والتاريخ وذلك لتزويد مكتبة الكلية العربية بها .

بطلان دعوى اليهود في أرض المعاد
في بحث نشرته مجلة الدعوة المصرية

أقام رواد الحركة الصهيونية دعوتهم بالمطالبة بأسطورة أرض المعاد على أساسين دينيين .

أولهما : ان ابراهيم وعد بالأرض الواقعة بين الفرات والنيل من ربه .(لنسلك ولاسحاق ويعقوب اعطى هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير الفرات) .

ثانيهما : ان سفر أرميا (التوراة) يقول بعودة اليهود لأرض فلسطين .

« ولو صح هذا الوعد لتمثل في اليهود المنحدرين من صلب يعقوب » .

ولما كانت الحركة الصهيونية قد عجزت عن إثبات النقاء العرقي اليهودي وأقرت باختلاطهم وأخذت بفكرة العرق التكاثري بما أصبح معه هذا الوعد غير وارد على موضوعه وإنعدام أصله .

وحيث أشاح اليهود ولم يصغوا لصوت الرب أو يحفظوا وصيته بل التفتوا عن كل دعاوي الخير فقد انتفى شرط تحقق الوعد لابراهيم وذريته .

وإذا كانت التوراة قد حددت الأرض الموعودة لابراهيم من النيل للفرات وليوشع ابن نون من الصحراء من نهر مصر ومن لبنان الى النهر الكبير « الفرات » وحتى البحر الكبير أمام غروب الشمس يجب أن تكون أراضيكم .

فكيف يستقيم منطق أرض المعاد ؟

إنه التناقض والتزييف .

ويستطرد البحث مؤكدا خرافة أرض المعاد فيقول :

وثمة ملاحظتان هامتان نسوقهما في هذا الصدد .

أولاهما : أن فلسطين حين وفد إليها اليهود كانت تعج بسكانها وحضارتها .
ثانيهما : أن أجداد اليهود لم يكونوا من أصل فلسطيني ومن هنا نلاحظ ــ وقد كشفنا زيف ما أشرنا إليه من خصائص ــ أن الحركة الصهيونية تجد نفسها مدفوعة لتعرية اد عاءاتها تقول بالتشدد واللين في تفسيرها دون الاستقرار على مفهوم واضح بما يشيع البلبلة في فكر العدو وقد توافرت لها الخطة والوسيلة الدعائية اللامحدودة عالميا ، وكأن الأحداث لا تحمل كل يوم ما يؤكد استحالة بقاء ذلك النظام غير المتجانس من القيم ومنطق التعامل السياسي والاخلاقي .

يقول احد قادتهم وايزمان « لو كنت مقتنعا بأن ازدهار شعب اسرائيل ينبع من السلام لقلت كل الاحترام ولكني لن أعدو وراء السلام لمجرد السلام وبكل ثمن بل سأسعى لتحقيق ازدهار شعب اسرائيل بكل صورة وبكل ثمن .

هذه هى حقيقة نواياهم .



رجاء

يرجى من السادة الكتاب مراعاة كتابة مقالاتهم بالآلة الطابعة وترقيم الآيـات وتخريج الأحاديث الواردة بمقالاتهم وذلك لتسهيل عملية مراجعتها ونشرها .. والله الموفق .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	جمادى الآخرة	ابريل	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
			فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الاربعاء	١	١٦	٩ ٤٣	١٠ ٦	٥ ٣٣	٨ ٧	١ ٢٠	٣ ٥٨	٥ ٢١	١١ ٤٨	٣ ٢٢	٦ ١٥	٧ ٣٥
الخميس	٢	١٧	٤١	٤	٣٢	٦	٢٠	٥٧	٢٠	٤٨	٢٢	١٦	٣٦
الجمعة	٣	١٨	٣٩	٢	٣١	٦	٢٠	٥٦	١٩	٤٧	٢٢	١٦	٣٧
السبت	٤	١٩	٣٧	١	٣١	٥	٢١	٥٤	١٨	٤٧	٢٢	١٧	٣٧
الاحد	٥	٢٠	٣٥	١٠ ٥٩	٣٠	٤	٢١	٥٣	١٧	٤٧	٢٢	١٨	٣٧
الاثنين	٦	٢١	٣٤	٥٨	٢٩	٤	٢١	٥٢	١٦	٤٧	٢٢	١٨	٣٩
الثلاثاء	٧	٢٢	٣٢	٥٦	٢٨	٣	٢١	٥١	١٥	٤٧	٢٢	١٩	٤٠
الاربعاء	٨	٢٣	٣٠	٥٥	٢٨	٢	٢٢	٥٠	١٤	٤٦	٢٢	١٩	٤١
الخميس	٩	٢٤	٢٨	٥٣	٢٧	٢	٢٢	٤٨	١٣	٤٦	٢٢	٢٠	٤٢
الجمعة	١٠	٢٥	٢٦	٥١	٢٦	١	٢٢	٤٧	١٢	٤٦	٢١	٢١	٤٢
السبت	١١	٢٦	٢٥	٥٠	٢٥	٠٠	٢٢	٤٦	١١	٤٦	٢١	٢١	٤٣
الاحد	١٢	٢٧	٢٣	٤٨	٢٤	٥٩	٢٢	٤٥	١٠	٤٦	٢١	٢٢	٤٤
الاثنين	١٣	٢٨	٢٢	٤٧	٢٤	٥٩	٢٢	٣ ٤٤	٩	٤٦	٢١	٢٢	٤٥
الثلاثاء	١٤	٢٩	٢٠	٤٥	٢٣	٥٨	٢٢	٤٢	٨	٤٥	٢١	٢٣	٤٦
الاربعاء	١٥	٣٠	١٨	٤٣	٢٢	٥٧	٢٢	٤١	٧	٤٥	٢١	٢٤	٤٧
الخميس	١٦	مايو	١٦	٤٢	٢١	٥٧	٢٣	٤٠	٦	٤٥	٢١	٢٤	٤٧
الجمعة	١٧	٢	١٤	٤٠	٢٠	٥٦	٢٣	٣٩	٥	٤٥	٢١	٢٥	٤٨
السبت	١٨	٣	١٢	٣٩	١٩	٥٥	٢٣	٣٨	٥	٤٥	٢١	٢٦	٤٩
الاحد	١٩	٤	١١	٣٨	١٩	٥٥	٢٤	٣٧	٤	٤٥	٢١	٢٦	٥٠
الاثنين	٢٠	٥	٩	٣٦	١٨	٥٤	٢٤	٣٦	٣	٤٥	٢٠	٢٧	٥١
الثلاثاء	٢١	٦	٨	٣٥	١٨	٥٣	٢٤	٣٥	٢	٤٥	٢٠	٢٧	٥٢
الاربعاء	٢٢	٧	٦	٣٣	١٧	٥٢	٢٥	٣٤	١	٤٥	٢٠	٢٨	٥٣
الخميس	٢٣	٨	٤	٣٢	١٦	٥١	٢٥	٣٣	١	٤٤	٢٠	٢٩	٥٤
الجمعة	٢٤	٩	٣	٣١	١٦	٥١	٢٥	٣٢	٠٠	٤٤	٢٠	٢٩	٥٤
السبت	٢٥	١٠	١	٢٩	١٥	٥٠	٢٥	٣١	٤ ٥٩	٤٤	٢٠	٣٠	٥٥
الأحد	٢٦	١١	٨ ٥٩	٢٧	١٤	٤٩	٢٥	٣٠	٥٨	٤٤	٢٠	٣١	٥٦
الاثنين	٢٧	١٢	٥٨	٢٦	١٣	٤٩	٢٦	٢٩	٥٨	٤٤	٢٠	٣١	٥٧
الثلاثاء	٢٨	١٣	٥٦	٢٥	١٣	٤٨	٢٦	٢٨	٥٧	٤٤	٢٠	٣٢	٥٨
الاربعاء	٢٩	١٤	٥٥	٢٤	١٢	٤٨	٢٦	٢٧	٥٦	٤٤	٢٠	٣٢	٥٩

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ــ الشويخ ــ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا	:	طرابلس ــ الشركة العامة للتوزيع والنشر .
المغرب	:	الدار البيضاء ــ الشركة الشريفة للتوزيع .
تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب : (٤٧٧) الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) الطائف : مكة المكرمة : برحة نصيف / مكتبة جدة المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب:(١٠١١)
البحرين	:	دار الهلال .
قطر	:	دار الثقافة للتوزيع ــ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .
أبو ظبي	:	مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ــ ص.ب:(٣٢٩٩)
دبي	:	مكتبة دبي .
الكويت	:	شركة الخليج لتوزيع الصحف ــ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .



المسجد الجميل بسوات ـ باكستان

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

هدية العدد : براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٨٧ ○ رجب ١٤٠٠ هـ ○ مايو ١٩٨٠ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

قبة الصخرة المشرفة بالقدس

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٨٧ ○ رجب ١٤٠٠ هـ ○ مايو ١٩٨٠ م

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة

الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١



وحي الاسراء والمعراج

من مجموع الروايات في حادث الاسراء والمعراج يتبين أن رسول الله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ترك فراشه في بيت أم هانىء بنت ابي طالب إلى المسجد الحرام . فلما كان في الحجر عند البيت أسرى الله به إلى بيت المقدس بالشام ، وعرج به من بيت المقدس إلى السموات السبع واحدة فواحدة ... الى سدرة المنتهى ... الى حيث سمع صريف الاقلام .

وتلقى عن ربه افتراض خمسين صلاة عليه وعلى أمته ، فما زال يسأل ربه التخفيف حتى جعلها الله خمسا في العمل وخمسين في الثواب . ثم نزل عليه الصلاة والسلام إلى بيت المقدس ومنه إلى مكة في الليلة ذاتها .

وفي صباح ليلة الاسراء والمعراج حدث النبي قومه بالاسراء ، فاستنكروا ذلك وقابلوا قوله بالاستهزاء والسخرية وطلبوا منه وصف بيت المقدس ـ وكان بعضهم قد رآه ـ وأن يحدثهم عن عير لهم قادمة من الشام .

ورغم أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصف لهم بيت المقدس وأعلنوا صدق وصفه ورغم أنه حدثهم عن عيرهم ، وأنها ستقدم يوم كذا مع طلوع شمس ذلك اليوم يقدمها جمل اورق ، ووصلت العير في الوقت الذي حدده يقدمها الجمل الذي وصفه ... رغم هذا كله لم يؤمنوا . بل ارتد بعض من آمن !!

والذين يدركون شيئا من طبيعة القدرة الالهية ، ومن طبيعة النبوة لا يستغربون حادث الاسراء والمعراج ذلك أن حادث الاسراء والمعراج ليس أغرب من الاتصال بالملأ الاعلى والتلقي عن الله ومن ثم كان رد أبي بكر رضي الله عنه ـ على من حدثوه بهذا النبأ مستنكرين أن قال لهم : « إني لأصدقه بأبعد من ذلك . أصدقه بخبر السماء » .

ولقد كانت النقلة العجيبة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى والعروج إلى السموات والعودة إلى مكة في البرهة الوجيزة التي لم يبرد فيها فراش الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ آية بينة تكشف عن

طاقات الانسان الذي كرمه الله وفضله على كثير من خلقه تفضيلا ... وتكشف عن الاستعدادات اللدنية في اشخاص من يختارهم الله لرسالته .

قال تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) . وقال : (ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى) .

ولما كان المسجد الأقصى هو قلب الارض المقدسة التي اسكنها الله بني اسرائيل ثم اخرجها منها ، جاء في التوراة التي أنزلها الله على موسى لتكون هدى لبني اسرائيل إنذار خطير حيث اخبرهم الله بما سيكون منهم من افساد وبما يترتب على افسادهم من تدمير يتكرر كلما تكررت أسبابه طبقا لسنة الله الجارية بوجود العلاقة المباشرة بين مصارع الامم وفشو الفساد فيها . قال تعالى : (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا) وفي كلتا المرتين يسلط الله عليهم من عباده من يقهرهم ويستذلهم : (فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا) .

وتظل هذه العقوبة قائمة عليهم جاثمة على صدورهم حتى إذا رجعوا إلى ربهم وأنابوا ، وحتى إذا طغى الفاتحون وافسدوا في الارض أدال الله للمقهورين من القاهرين ومكن للمستضعفين من المستكبرين (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) .

ولكنهم لم يقدروا نعمة الله عليهم وافسدوا في الارض فبعث الله عليهم في المرة الثانية من عباده من دمرهم تدميرا شاملا (فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) .

وبعد هذا الانتقام بفترة ساق الله لهم رحمته مع الانذار بانهم إن عادوا إلى الافساد والطغيان عاد الله لهم بالعقوبة على أيدي عباد من عباده تنفيذا لوعده : (عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) .

لم يقدروا رحمة الله بهم بعد الانتقام منهم وعادوا للفساد والافساد فسلط الله عليهم من أخرجهم من الجزيرة كلها ثم سلط الله عليهم (هتلر) فلم يعتبروا وعادوا يفسدون في الارض في صورة (اسرائيل) التي استولت على ارض الفلسطينيين وشردتهم واذاقتهم الويلات .

وهم الآن يعيشون في زهو الغرور الذي يصور لهم أنهم مستعلون وباقون إلى الابد ! ! ولكن هيهات ثم هيهات فسوف يسلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب تصديقا لوعده القاطع (وإن عدتم عدنا) ووفاقا لسنته التي لا تتخلف في إهلاك الامم : (وان غدا لناظره قريب) .

إن إيحاء الاسراء والمعراج هو الذي بعث المسلمين الأولين إلى رفع راية الاسلام على بيت المقدس بعد ان رفعوها على المسجد الحرام ، وسيظل هذا الايحاء يملك على المسلمين قلوبهم ومشاعرهم نحو بيت المقدس ، ويدفعهم فرسانا أشداء يذودون عنه وعن الارض التي حوله كلما ثارت عليه قوى البغي والعدوان (ودولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة) .

وإزاء هذا الاعتداء الصارخ (من الصهيونية والصليبية والشيوعية) على الأرض المقدسة وما حولها ، يفرض على المسلمين أن يعودوا إلى الاسلام عودا صحيحا ، فيجعلوه أساس سلوكهم ، ومنبع تصرفاتهم ، وأن يتوحدوا على أساسه ، وأن يكونوا الكتائب الاسلامية التي تستعذب الموت في سبيل الله ، وأن يسلحوها ــ في كل مجال ــ بأحدث وأقوى أسلحة العصر .

وبقيادة مؤمنة ــ تأبى الدنيا الذليلة ، وتعرف سمو الموتة الشريفة ، وتقدر الجهاد في سبيل الله حق قدره ــ تستطيع تلك الكتائب أن تسوم المعتدين العذاب ، وأن تطهر الأرض المقدسة من رجسهم ، وأن تعيدها إلى أهلها في ظل الايمان بالله والعمل بشريعته .

ذلكم هو السبيل الذي رسمه الله وأمر به ، وهو السبيل الذي سلكه المسلمون الأولون ضد أعدائهم في معارك شتى ، ففازوا وانتصروا ، ولا سبيل سواه : **(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .**

وإزاء تكتل الكفر ضد الاسلام في كل مكان ، وعمله على إبادة المسلمين واستلاب حقوقهم ، يتحتم على جميع المسلمين في العالم ــ صيانة لحاضرهم ، وتأمينا لمستقبلهم ــ أن يقابلوا هذا الخطر « بتجمع إسلامي » يقوم على العقيدة والشريعة والوحدة ، وتطهير المجتمع من المنافقين والعملاء ، والنجدة الصادقة لكل جبهة إسلامية تواجه بهذا العدوان ... وإلا كانت الفتنة العارمة والدمار الشامل والفساد العريض ، وصدق الله في قوله : **(والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) .**

نسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



كيف تتكون الاتجاهات والعقائد

للدكتور/ عبدالرحمن محمد عيسوي

تؤثر اتجاهات الفرد وميوله وعقائده وآراؤه تأثيرا كبيرا في حياته وحياة المجتمع الذي يعيش في كنفه . ولذلك تصبح دراسة الاتجاهات والآراء والعقائد ذات أهمية خاصة في فهم سلوك الفرد وتوجيهه الوجهة الصحيحة . فيجدر دراسة كيفية تكوين هذه الاتجاهات ومعرفة العوامل التي تؤثر في تغييرها او تعديلها أو المحافظة عليها وتقويتها . وأول ما يتبادر إلى الذهن هو تحديد مفهوم الاتجاه باعتباره من العوامل التي تهيىء الفرد وتعده للسلوك . وهناك تعاريف متعددة للاتجاه من أكثرها شيوعا انه يمثل الاتجاه نحو أو بُعْدٌ عن موضوع ما ، كمفهوم أو كمعنى من المعاني أو موقف من المواقف والتهيؤ للاستجابة بطريقة معينة مقررة سابقا نحو هذا الموضوع أو الموضوعات المرتبطة به أو نحو المفاهيم أو المواقف . ويؤدي تحليل هذا التعريف إلى أن الاتجاه يتضمن عناصر متعددة ، منها العناصر العقلية المعرفية والادراكية

والانفعالية أو النفسية والدوافع أو الدافعية ، وفوق كل هذا يتضمن عناصر لا شعورية لا يدركها الفرد ولا يفطن إلى وجودها . وذلك باعتبار أن الاتجاه عبارة عن توجيه نحو شيء ما ، ثم الاستعداد للاستجابة نحو هذا الموضوع بطريقة معينة . والدليل على وجود عنصر لا شعوري في الاتجاه أنك قد تقول : « إنني لا أحب هذا الشخص » وإذا ما سئلت فانك تقول : « لاسباب لا أعرفها أو بدون أسباب على الاطلاق » . ومن أمثلة الاتجاهات اتجاهنا نحو القومية العربية أو القومية الاسلامية أو الوحدة العربية والاسلامية ونحو اشتغال المرأة وتحررها ، أو نحو كبار السن أو نحو الصهيونية . أو نحو تحديد النسل أو نحو العلم الحديث ، فاتجاهنا نحو القومية الاسلامية والمسلمين مثلا يتضمن كل ما نشعر به من عواطف نحو الاسلام والمسلمين ، وما نحس به من روابط تربطنا بالتراث الاسلامي وبالأمجاد الاسلامية ، وبأخوتنا المسلمين في شتى مشارق الأرض ومغاربها ، كما يتضمن معارفنا ومعلوماتنا عن مبادىء الاسلام ومثله ، ورسالته وأهدافه وتاريخه ، وأصالته وعراقته في التاريخ ... كما يتضمن مجموعة من الدوافع التي تجعلنا نسلك سلوكا ايجابيا معينا كلما أثير أمامنا موضوع يتعلق بالاسلام والمسلمين ، وقد يتضمن جوانب لا شعورية عندما نقول : إننا نحب ديننا الاسلامي وثقافتنا الاسلامية وحياتنا الاسلامية ، دون أن نبدي سببا لذلك أو دون أن نعرف سببا محددا لذلك الحب ، ومعنى هذا أن حب الاسلام والمسلمين ضارب في أعماق نفوسنا ، ويتجاوز هذا الحب حدود الشعور إلى اللاشعور .

كيف ينمو الاتجـاه :

تنمو الاتجاهات الدائمة من خلال العديد من خبرات التعلم والاكتساب ولقد افترض البورت Alport عدة شروط ينمو الاتجاه خلالها هي :

١ ــ تكامل الاستجابات التي يتعلمها الطفل في أثناء نموه ، فاذا نشأ الطفل في أسرة مؤمنة بالقيم الدينية والخلقية فانه يتعلم منها احترام المعاني الدينية وتقديسها ، وكذلك المثل الخلقية .

٢ ــ عن طريق عملية التفريد أو التمييز أو فصل وعزل الخبرات بعضها عن بعض . ذلك لأن الخبرات لا تتراكم وحسب ، وإنما أيضا تتضح وتتحدد معالمها وتتخذ نمطا أو نموذجا معينا . وعلى ذلك فهناك بعض الاتجاهات التي تصبح أكثر تحديدا وتمايزا بتقدم الفرد في العمر .

٣ ــ تتأثر الاتجاهات ببعض الخبرات الدرامية المفعمة ، فقد تؤدي خبرة واحدة أو موقف واحد الى آثار باقية في عقل الفرد . فاذا حدث أن انقذك من الغرق شخص معين ينتمي الى طائفة لم تكن تحبها ، فان هذا الحادث قد يغير اتجاهك نحو ارباب هذه الطائفة : من الكراهية إلى الحب . والعكس صحيح فاذا

تعرضت لخيانة أو لغش من احد أبناء فئة معينة فقد تغير اتجاهك نحو ابناء الطائفة برمتها .

٤ ـ قد نعتنق الاتجاهات المعدة والجاهزة ، وذلك عن طريق التقليد والمحاكاة لما يدين به الآخرون من اتجاهات وعقائد .

وبعد تكوين الاتجاه ورسوخه يصبح سمة من سمات شخصية الفرد . كذلك فان اتجاهات الفرد تؤثر وتتأثر بالحياة الاجتماعية التي يحياها .

وواضح ان اتجاهنا إزاء موضوع معين قد يكون ايجابيا كالحب أو سلبيا كالكره أو المعارضة . ذلك لان الاتجاه في جوهره تنظيم دائم للعمليات الادراكية والدافعية والانفعالية والتوافقية التي تتركز حول موضوع معين . فاذا ادرك الانسان الاسلام على أنه دين السلام والمحبة والتعاون والاخذ والعطاء والتكامل والتماسك الاجتماعي والاخاء والشورى والرحمة والعدل والنظام والعمل .... وإذا شعر بالسعادة كلما ذكر الاسلام امامه ، وإذا كان يسعى دائما أن يكون على صلة وثيقة بالاسلام وتراثه وكان يسعى دائما لنصرة الاسلام والمسلمين ، فاننا نقول ، بالمفهوم النفسي ، إن لديه اتجاها ايجابيا نحو الاسلام والمسلمين كأخوة وكأصدقاء ومن ثم فهو يعمل على مساعدتهم .

والاتجاه قد يكون نحو شخص معين أو جماعة من الناس أو نحو هيئة أو مؤسسة أو ثقافة أو مذهب أو فلسفة أو دين أو فكرة أو دعوة أو نداء أو شعار . ولذلك لدينا اتجاهات نحو المرأة ونحو المسجد والمذاهب والأحزاب السياسية .. وعلى الرغم من أنه من الممكن نظريا أن يكون لكل منا اتجاه نحو كل موضوع من الموضوعات المحيطة به إلا أنه لا يكون اتجاهات الا للموضوعات ذات المغزى النفسي عنده ، فليس لكل منا اتجاه نحو المؤسسة الكهربية بالمدينة مثلا أو نحو فريق لكرة القدم . فلا بد أن يكون للموضوع أهمية ودلالة نفسية بحيث تتبلور انفعالاتنا نحوه مكونة اتجاها معينا . ومن أجل ذلك فان معرفة اتجاهات الفرد تفيدنا في التنبؤ بسلوكه في المستقبل إزاء الموضوعات التي تدور حولها اتجاهاته .

ومن خصائص الاتجاهات أنها قد تكون سلبية أو إيجابية وقد تكون معتدلة أو متطرفة قوية أو ضعيفة ويختلف المحتوى المعرفي أو الادراكي للاتجاه من فرد إلى آخر . ذلك لآن فكرة كل منا عن القومية العربية مثلا وأساسها العقلي أو المعرفي ليس بالضرورة أن تكون واحدة عند المجتمع . فقد يراها فرد معين على أنها وحدة المشاعر وآخر على أنها وحدة القيم وثالث على أنها وسيلة التقدم والرخاء والقوة . وإن كان الجميع لديهم اتجاهات ايجابية موالية للقومية العربية مثلا . كذلك تختلف الاتجاهات من حيث درجة تمايزها ووضوحها وجلائها وتمركزها وتحديد بنائها وتكوينها ، وقد يكون الاتجاه غامضا خافتا

ضعيفا هش التكوين أو البناء أو التحديد ، فقد يكون الواحد منا اتجاها واضح المعالم قويا نحو القومية الاسلامية أو التراث الاسلامي وإحيائه ، ولكن قد يكون لديه اتجاه خافت وضعيف وغير واضح نحو « العلم » فقد لا يعرف اهداف العلم أو فروعه ولا الفرق بينه وبين الفن ، ولكنه يقف بصورة عامة إلى جانب العلم ويعتبره عملا قيما يستحق التأييد . ويختلف الاتجاه ايضا في درجة انعزاله وانفصاله عن بقية الاتجاهات الأخرى لدى نفس الفرد . فاتجاهنا نحو العلم قد يكون مرتبطا أو منفصلا عن اتجاهنا نحو العمل أو نحو التكنولوجيا أو نحو الدين أو نحو السياسة . فقد يتصل الاتجاه المعين بالاتجاهات الاخرى وقد ينفصل عنها ، وقد يؤثر فيها ويتأثر بها وقد يكون مستقلا . كذلك تختلف الاتجاهات من حيث شدتها أو قوتها وضعفها . فهناك اتجاهات تستمر لفترات طويلة من الزمن على الرغم من وجود عوامل معارضة لها ، وظهور أدلة تناقضها وتعرضها لكثير من الضغوط . وهناك اتجاهات ضعيفة تتغير بسرعة عند تعرضها للضغط . ويصبح الاتجاه قويا كلما زاد شعور الفرد نحوه وكلما زاد تمايز محتوياته المعرفية العقلية وكلما زاد تكامله مع بقية الاتجاهات الاخرى . ويصبح الاتجاه اكثر مقاومة للتغيير كلما كانت قيمه مركزية او اساسية في بناء الشخصية وفي تكوين عقائد الفرد وعقائد جماعته . ويقودنا هذا إلى التساؤل عن أثر الاتجاه في حياة الفرد .

وظائف الاتجاه :

يساعد الاتجاه الفرد على ان يسلك إزاء موضوعات معينة بطريقة ثابتة فيها استمرارية وتنظيم ، كما يساعده على تحقيق الكثير من أهدافه ، والدفاع عن صورة ذاته ، والانسان في سعيه للحصول على معاني الاشياء او دلالتها يكون ازاءها اتجاهات معينة . فالانسان عندما تواجهه الحروب أو الازمات الاقتصادية أو الكوارث ، فانه يكون اتجاها مؤيدا أو معارضا ، فيه تسامح أو تعصب ، ويبحث عن تفسير لظواهر الحرب أو الثورات يقبله ويفهمه . وعن طريق ما يدين به الفرد من اتجاهات يستطيع ان يقوي من شعوره بالامتثال لفئة ما أو لجماعة بشرية معينة ولعقائدها ، وعن طريق الاتجاهات يمتثل الفرد للجماعة ، وبذلك تقبله عضوا فيها ، او تساعده في الحصول على وظيفة معينة . ويفيد الاتجاه في الدفاع عن الذات ، والتخفيف من حدة شعورها بالذنب ، فالشخص الذي يدمن التدخين مثلا ، نجده يشك في كل المعطيات العلمية والطبية التي تقدم ادلة واضحة على الاضرار الجسيمة للتدخين وبذلك يدفع عن نفسه الشعور بالذنب .

ومن الأهمية بمكان أن نبحث في كيفية نمو هذه الاتجاهات وكيفية تطورها .

نمو الاتجاهات

من المعروف أن الاتجاهات مكتسبة أو متعلمة وليست فطرية أو وراثية . ولمعرفة العوامل التي تؤثر في تكوين اتجاه فرد ما لا بد وأن ندرس بيئته الثقافية وعضويته في كثير من الجماعات البشرية ومن أولها جماعة الأسرة ، ثم النادي ثم المدرسة والمسجد أو جماعات العمل ، كما ينبغي أن ندرس سمات شخصيته الاخرى ومكوناتها .

يرى كثير من علماء النفس أن هناك مؤثرات ثقافية كثيرة تشكل وتكون اتجاهات الفرد وتصبغها بطابع معين . من ذلك وجود ارتباطات قوية بين اتجاهات الفرد والمؤسسات الدينية والسياسية والسلالية والاقتصادية التي يعيش في كنفها . فقد يتصف أرباب فئة دينية معينة بالمحافظة بينما يتصف آخرون بالتحرر . ولكن الثقافة المتشابهة لا تنتج بالضرورة اتجاهات متشابهة في مختلف الأفراد . فالمسجد والمدرسة والنادي وجماعة الجيرة والعمل لا تؤدي بالضرورة الى خلق اتجاه واحد في كافة الأفراد . انما البيئة تضع الحدود العامة وتترك المجال واسعا امام الفروق الفردية بين الافراد لكي يختار كل منهم الاتجاه الذي يلائمه . ويتوقف هذا الاختيار على الجماعة البشرية المباشرة أي اسرته وعلى تكوين شخصيته .

ولقد دلت دراسات عديدة على أن الطفل اكتسب على سبيل المثال اتجاهات التعصب بعد المعيشة لفترة معينة مع أسرته التي تدين هي أيضا بالتعصب ضد زنوج امريكا . ذلك لأن الطفل يكتسب عقائد الآباء ويخضع لارشادهم وتوجيههم ولتعاليمهم وحتى لثوابهم وعقابهم . وفي احدى دراسات عالم النفس البورت قرر ٦٩٪ من مجموع طلاب جامعة امريكا أنهم تأثروا في اتجاههم في التعصب بالآباء .

كذلك فان اتجاهات الفرد تتأثر بنوع شخصيته التي تتأثر هي بدورها بنوع تربية الآباء ومعاملتهم للطفل . ولقد وجد أن الشخصية الدكتاتورية المتسلطة تهيىء صاحبها للاتجاه العدواني نحو الأقليات السلالية ، ولخلق اتجاه خلقي جامد جاف .

وهنا نتساءل هل في الامكان تغيير الاتجاهات أو تعديلها أو حذفها كلية وغرس غيرها وهل من الامكان تقويتها ؟

تغيير الاتجاهات

من الممكن تغيير اتجاهات الناس وتعديلها عن طريق وسائل الاقناع المختلفة وعن طريق نقل عضوية الفرد من جماعة إلى أخرى أو تغيير موقف أو مكان الفرد أو عن طريق التعليم والارشاد والتوجيه . ولقد وجد أنه اذا غيرت الجماعة التي ينتمي اليها الفرد اتجاهها فان الفرد يغير اتجاهه أيضا . فقد وجد أن اتجاهات الطالبات الاناث تتغير بمرورهن في سني الدراسة الجامعية المختلفة من الفرق الاولى حتى الفرقة النهائية

وذلك نحو التحرر العقلي ، وذلك عن طريق انتمائهن إلى الجماعات الطلابية التقدمية . فالفرد يتأثر باتجاه الجماعة التي ينضم إليها . وإذا تغير موقف الفرد الاقتصادي وانتقل من الفقر إلى الغنى فان اتجاهاته تتغير أيضا على القليل إزاء النظم الاقتصادية والعكس صحيح إذا أحاطت به ضائقة مالية تغير اتجاهه ليناصر الفقراء .

وقد يتغير اتجاه الفرد نتيجة لصدور بعض التشاريع التي تحتم عليه القيام بسلوك معين ، كأن تلزم جماعة من البيض المعيشة مع جماعة من الزنوج في نفس الحي . فلقد لوحظ أن اتجاه البيض نحو الزنوج أخذ في التحسن أكثر من أولئك الذين ما زالوا يعيشون بعيدين عن الزنوج . كذلك تسهم المعلومات الجديدة التي يكتسبها الفرد في تعديل اتجاهه نحو الموضوع الذي اكتسب حوله مفاهيم ومعلومات وخبرات جديدة عن طريق الاتصال أو الاحتكاك ، وقد يكون هذا التعديل بالسلب أو بالايجاب . ومن هنا تبرز اهمية القدوة الحسنة امام اطفالنا حتى يكتسبوا الاتجاهات المرغوب فيها . كذلك فان الوظائف التي يوضع فيها الفرد قد تؤدي الى تغيير اتجاهه . كذلك فان تغيير موضوع الاتجاه نفسه قد يؤدي إلى تغيير اتجاهنا نحوه . فاذا غير حزب من الاحزاب السياسية فلسفته وبرامجه ربما أصبح أكثر جذبا لاتجاهات الناس عن ذي قبل . وبالمثل الاشخاص فكلما زاد المسلم تعلما وقوة وانسانية كلما زاد إعجاب الناس بالدين الاسلامي . وكذلك كلما زاد تعلم الفرد كلما قل تعصب اصحاب الأعمال ضده ، وكلما زادت فرصته في الحصول على الوظيفة التي يرغبها .

وتلعب المعلومات والحقائق التي يزود بها الفرد دورا رئيسيا في تكوين اتجاهه على شرط أن تشرح له هذه الحقائق شرحا وافيا . ومن مصادر المعرفة : العلماء، والفلاسفة، والمفكرون والكتاب، والمعلمون، والمرشدون، والكتب، والوعاظ، والصحف، والمجلات، والسينما، والتلفزيون، والاذاعة، ورجال السياسة، والاصلاح الاجتماعي، ورجال الاعمال، والاطباء، والمحاماة، والقضاة، والمهندسون، وكافة الخبرات في شتى مجالات العلم والفن والفكر . كل هذه الوسائل تهم في تزويدها بالمعلومات على شرط أن تكون محل ثقتنا ، وكذلك المتاحف والمعارض والمسارح ومواقع العمل أو الآثار نفسها ومظاهر الطبيعة . وتتوقف فاعلية هذه المؤثرات على طريقة عملها وعلى أسلوب العرض وعلى شخصية الخبير نفسه وعلى مقدار ثقتنا في عدم تحيزه . ولقد وجد ان أسلوب الاقناع الذي يثير الخوف في المتعلم لا يؤثر تأثيرا ايجابيا كالأسلوب الذي يوضح فوائد الاتجاه نحو النظافة مثلا دون أن يثير في الفرد الخوف من آثار عدم النظافة على الصحة ، فالخوف قد يؤدي الى نتائج عكسية ،وكراهية مصدر الاقناع ورفض أفكاره ، ويتوقف قبول المعلومات على مدى ذكاء

الفرد نفسه . فالذكاء يساعد على فهمها . ولكنه يساعد أيضا على نقدها .

ولقد دلت بعض البحوث على أن قبول المعلومات يتوقف على بعض سمات شخصية الفرد ، مثل عدم الملاءمة الاجتماعية وقمع العدوان والاكتئاب وذلك لأن هؤلاء الاشخاص الذين ينخفض عندهم الشعور بالاحترام بالذات يخافون اكثر من الرفض الاجتماعي لمخالفتهم لآراء الجماعة وعلى ذلك فهم أكثر استعدادا لقبول الدعاية أو الاعلام .

ومع قبول الاتجاهات للتعديل إلا أنها تقاومه عادة وتحاول أن تحافظ على نفسها .

الدفاع الذاتي عن الاتجاهات

من الوسائل الدفاعية انسحاب الفرد بعيدا عن مصادر الاتجاه الذي لا يرغبه ، فالشخص المعادي للشيوعية يبتعد عن سماع الاذاعات أو قراءة الصحف والكتب وسماع المحاضرات عن الشيوعية وبذلك يسدل الستار بينه وبين المؤثرات المضادة .

ومن العوامل التي تساعد على بقاء الاتجاهات أيضا أن الفرد حتى إذا تعرض لمؤثرات مضادة ولم يستطع أن يسحب نفسه منها ، فانه ينتقي ويختار ما يناسبه من تلك المؤثرات الكثيرة التي تسقط على حواسه . فالمعروف أن عملية الادراك في الفرد عملية انتقائية . بل إن ما يتذكره الفرد أو ما يستطيع أن يحفظه أيضا هو انتقائي فقد يدرك الكثير ، ولكنه يتنكر ما يريد تذكره وما يتفق مع اتجاهاته كذلك فان الاتجاه في حاجة دائمة إلى ما يعززه ويدعمه ويقويه بالمعلومات والحقائق المؤيدة له .

ويعتمد تعليم الاتجاهات على كافة مبادىء التعلم الجيد في المجالات الاخرى حيث يعتمد على مبادىء الادراك العقلي وعلى توفر الدوافع لدى المتعلم وينبغي أن يشبع حاجات الفرد إذا لم تكن هذه الحاجات موجودة فان المعلم عليه ان يخلقها في المتعلم ، وأن يوضح ما استغلق فهمه على المتعلم من مواقف أو حقائق حيث يقدم التفسيرات الملائمة للمواقف الغامضة . كما ينبغي ان تتمشى المعلومات الجديدة التي يريد تلقينها للطفل أو الراشد مع أمهات الثقافة العامة التي يعتنقها . وقد يدعو للشيء ليس بطريقة مباشرة وانما عن طريق اظهار آثاره أو نتائجه الايجابية كالدعوة للانضمام للجيش مثلا ببيان فوائد ذلك على الصحة والعقل والوطن ، ويمكن استخدام الشخصيات اللامعة والبراقة اجتماعيا ، كما يقنع الفرد بان ما يدعو إليه إنما يمثل رأي الأغلبية ، ومن ثم وجب اعتناقه حتى يكون الفرد في انسجام مع بقية المجتمع . كذلك يجب أن يصيغ الباحث ما يدعو إليه في شكل مبسط ومختصر وسهل وأن يعتمد على التكرار غير الممل أي التكرار مع التنوع . وعلى ذلك فلمقاومة الاتجاهات المضادة لا بد من إشباع حاجات الناس .



المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال

روى الامام البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومسجد الأقصى » ورواه أيضا من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ، ومسجد الأقصى ، ومسجدي » .
[صحيح البخاري – كتاب الصلاة – ابواب التطوع – باب الصلاة في مسجد مكة والمدينة] –

تخريج الحديث :
رواه الامام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، ومسجد الحرام ، ومسجد الأقصى » .
ورواه من طريق أخرى بلفظ « تشد الرحال الى ثلاثة مساجد .. »

للدكتور : محمد محمد أبو شهبه

بدون ذكر « لا » و « الا » .

ورواه من طريق ثالثة عن سليمان الأغر أنه سمع أبا هريرة يخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنما يسافر الى ثلاثة مساجد : مسجد الكعبة ، ومسجدي ، ومسجد ايلياء » [صحيح الامام مسلم – كتاب الحج – باب فضل المساجد الثلاثة] .

وأخرج الحديث ايضا الامام ابو داود في سننه – في كتاب الحج .

والامام النسائي في كتاب الصلاة ، فالحديث رواه أربعة من أصحاب الكتب الستة .

« الشرح والبيان »

بالنظر في روايات الحديث الواردة في الصحيحين نجد أن الترتيب جاء في رواية الامام البخاري الأولى ، ورواية الامام مسلم الأولى ، والثالثة على حسب الفضل والمنزلة ، وذلك بذكر المسجد الحرام أولا ، ثم المسجد النبوي ثانيا ، ثم المسجد الأقصى ثالثا ، وجاءت الرواية الثانية في صحيح مسلم بتقديم المشاهد الحاضر وهو المسجد النبوي على المسجدين الآخرين ، وإن كانت « الواو » في اللغة العربية لا تفيد ترتيبا ، وإنما هي لمطلق الجمع والتشريك في الحكم ، وقد جاء الترتيب في رواية البخاري الثانية على حسب التقدم الزمني .

ومن هذه الروايات ايضا يتبين لنا أن معظم الروايات جاءت بطريق الحصر ، اما « بلا » و « إلا » كما في رواية البخاري ورواية مسلم الأولى ، واما بطريق الحصر « بانما » كما في رواية الامام مسلم الثالثة ، وبعضها جاء بغير حصر كما في رواية الامام مسلم الثانية فيكون المعول عليه ما جاءت به معظم الروايات وهو الحصر حملا للمطلق على المقيد .

فان كان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحديث غير مرة فيكون من التفنن في العبارة ، والا فيكون الاختلاف في الحصر وعدمه ، وفي الترتيب من تصرف الرواة لدخوله تحت جواز الرواية بالمعنى ، ومن هذا العرض للروايات ، ومع ملاحظة ان الواو لا تفيد ترتيبا ، نرى أنه لا اختلاف في الحقيقة بين الروايات ، وانها على سواء ، وكفاها الله شر الاختلاف والتناقض .

وهذا من الأمور المهمة التي أحرص عليها غاية الحرص في دراسة السنة ، وهو التوفيق بين الروايات والأحاديث توفيقا قريبا مقبولا .

و « الرحال » جمع رحل ، وهو للبعير كالسرج للفرس ، وهو دون القتب – بفتح القاف والتاء – و « لا » نافية .

وشد الرحال كناية عن السفر ونلك كما في رواية مسلم الثالثة « انما يسافــر ... » وخـــير ما يفسر به الحديث ما جاء في رواية أخرى ، لأن الروايات يفسر بعضها بعضا .

والحديث في هذا التعبير العربي الأصيل خرج مخرج الغالب ، والكثير في العصر الأول من أن أغلـــب الأسفار ، ولاسيما البعيدة ، كانت على الجمال والنياق ، وإلا فيستوى في شد الرحال السفر على الدابة ، أو السفر على قاطرة أو سيــارة ، أو السفر على طائرة ، أو السفر على فلك أو باخرة ، أو المشي على الأقدام ، ونلك بدليل رواية « إنما يسافر .. » وجملة « لا تشد الرحال ... » خبرية لفظا إنشائية معنى ، يعني أنهــا سيقت مساق النفي ، والمراد النهي ، فكأن النبي صلى الله عليه وسلـم قال : « لا تشدوا الرحال الا الى ثلاثة مساجد » واستعمال النفــي وإرادة النهي أسلوب بلاغي استفــاض به القرآن المعجز المبين ، واستفاضت به الأحاديث النبوية التي جاءت من قول النبي صلى الله عليه وسلم ومن أسرار البلاغة في هذا ، الاشـــارة إلى أن النهي امتثل ، فأصبح أمرا واقعا مخبرا عنه وأيضا فالنفس البشرية من طبعها التأني عن الأوامر والنواهي فيكون في نكره بصيغة النفي حمل على الامتثال فلله در كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تشـدوا الرحال ، ولا تسافروا إلى مسجد من المساجد للصلاة فيه ، والعبادة إلا إلى هذه المساجد الثلاثــة المشرفــة في الأرض ، والدليل على أن متعلق النهي عن شد الرحال هي الصلاة ، ما رواه الامام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد تبتغي الصلاة فيه غير المسجد الحرام ، والأقصى ، ومسجدي هذا » وإسنــاده حســن وأيضا فشد الرحال إلى هذه المساجد لن يكون إلا للصلاة ، والتعبـد ، والأصل في المستثنى أن يكون من جنس المستثنى منه .

وبهذا التقدير المأخـوذ من كلام النبوة لا يكون الحديث منافيا ، ولا محرما لشد الرحال لطلب العلـم ، وللجهـــاد ، وللسعـــي في الأرض بالتجارة ، ونحو نلك فهذه أمور أجمع العلماء على مشروعيتها ، بل قد تكون مستحبــة ، بل قد تكون واجبــة ، ودلائل نلك من القرآن والسنة أكثر من أن تحصى .

والمساجد : جمع مسجد ، وهو في اللغة مكان السجود ، ويطلق ويراد به المكان المعد للعبادة ، وهو المراد هنا وكسر الجيم في المسجد أمر سماعي وإلا فالقياس في مثل هذا فتح الجيم ، قال الفراء : « كل ما كان على فعل يفعل مثل دخل يدخل ـ يعني بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع ـ فالمفعل منه بالفتح اسمــا كان أو مصدرا إلا أحرفا ـ يعني كلمات ـ ألزموهــا كسر العـــين من نلك : المسجـــد ، والمطلـــع ، والمشرق ، والمغــرب ، والمسقــط ، والمفــرق ، فجعلوا الكسر علامــة الاســم ...

قال : والفتح في كلها جائز وإن لم نسمعه » [لسان العرب ـ مادة سجد] .

ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم المساجد الثلاثة بقوله : « المسجد الحرام ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومسجد الأقصى » و « المسجد الحرام » إما مجرور على البدلية ، وإما الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، يعني : هي المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ، ومسجد الأقصى .

وهذا الأسلوب أسلوب الاجمال ، ثم التفصيل والبيان ، من الأساليب العربية الأصيلة في التربية والتعليم ، والتثقيف ، لأن ذكر الشيء مجملا مما يجعل النفس تتشوف إلى معرفته ، فاذا جاء البيان تمكن في النفس غاية التمكن ، وإليكم ـ ياقارئي الكرام ـ تعريفا بهذه المساجد الثلاثة :

المسجد الحرام : والمراد به مسجد مكة بلد الله الحرام ، وسمي « حراما » لأن الله سبحانه وتعالى عظمه ، وشرفه ، وحرمه وما حوله من يوم أن خلق السماوات والأرض ، وجعله مثابة للناس ، وأمنا فلا يقتل به عائذ ، ولا يهاج فيه حيوان ، ولا يصاد فيه طير ، ولا تقطع شجره ، ولا يختلى خلاه ـ أي لا يجز ولا يقطع عشبه الذي ينبت من غير استنبات الناس ـ فالحرام أمان للانسان ، والحيوان ، والطير ، بل والجماد وصدق الله تبارك وتعالى حيث قال : **(ومن دخله كان آمنا)** آل عمران/٩٧ . آمنا على نفسه ، وآمنا على عرضه ، وآمنا على ماله ، وهذا هو المكان الوحيد في الأرض الذي جعله الله حرما آمنا من يوم الخليل ابراهيم عليه السلام إلى أن يقوم الناس لرب العالمين ، وأحر بالمسجد الحرام أن يكون حرما آمنا ، وهو وما حوله من مكة ، وماحواليها الى حدود الحرم المعروفة من لدن أبي الأنبياء ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، والتي وضعت عليه النصب من جهاته الأربع ، والنصب هى حجارة نصبت لتكون علامات على حدود الحرم يراها من يقدر الله تبارك وتعالى ان يزور هذه البقاع المقدسة حاجا ، أو معتمرا .

« ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم » وفي رواية للامام مسلم « ومسجدي هذا » وفي رواية « ومسجدي » فان كان الحديث قاله النبي صلى الله عليه وسلم غير مرة فيكون من التفنن في العبارة وهكذا شأن الفصحاء البلغاء ، وإن كان الحديث قاله النبي صلى الله عليه وسلم مرة واحدة فيكون المرجح عندي أن يكون لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم هى رواية « ومسجدي هذا » لما فيه من الاشارة المفيدة للتأكيد من أن ذلك من قول الرسول ويكون ماعداها من قبيل التصرف من الرواة لدخوله تحت جواز الرواية بالمعنى ، ومثل هذا لا يترتب عليه أي ضرر ما من جهة استنباط الحكم أو المعنى ، وايا كان التعبير « مسجدي هذا » أو « مسجدي » أو « مسجد الرسول

صلى الله عليه وسلم » فالحكم لا يختلف .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : « ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم » من التفخيم ، والتكريم لشأن المسجد النبوي ما فيه ، فكأنه قال : والمسجد المنتسب إلى الرسول الذي هو خاتم الأنبياء والمرسلين والذي أخرجكم من الظلمات إلى النور : من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الايمان والتوحيد ، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم ، ومن ظلمات الجاهلية وخرافاتها وضيقها ، إلى نور الاسلام ، وسماحته ، ويسره « ومسجد الأقصى » وفي الرواية الأخرى « ومسجد ايلياء » .

المراد بالمسجد الأقصى هو مسجد بيت المقدس ، و « ايلياء » هى القدس فلا خلاف بين التعبيرين ، ووصف بالأقصى ، لبعد المسافة بينه وبين البيت الحرام الذي هو اول بيت وضع مشرفا في الأرض ، وقيل : لبعده عن الاقذار والخبائث الحسية والمعنوية وليس هذا بالوجه المقبول في تعليل الوصف بالأقصى ، لأن الكعبة البيت الحرام كذلك منزهة عن الأقذار والخبائث ، وصدق الله تبارك وتعالى حيث قال : **(وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود)** البقرة/ ١٢٥ .

والاضافة في قوله : « ومسجد الأقصى من قبيل اضافة الموصوف الى الصفة ، ومثل ذلك في الكتاب المعجز المبين ، قول الله تعالى : **(وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين)** القصص/ ٤٤ .

ما يؤخذ من الحديث من الأحكام والآداب :

هذا الحديث ظاهر الدلالة على فضيلة المساجد الثلاثة على غيرها من المساجد ، وفضيلة شد الرحال إليها ، وتحمل الأسفار ، والمشاق ، والمتاعب في سبيل زيارتها والصلاة فيها ، والتعبد بها ، والمساجد بعامة وان كانت أشرف البقاع في الأرض إلا أن هذه الثلاثة لها من الخصائص والميزات ما ليس لغيرها من المساجد الأخرى ، واليكم بيان هذه الخصائص أن كل مسجد من هذه المساجد الثلاثة قد بناه نبي من الأنبياء والمرسلين .

فالكعبة المشرفة قد بناها ابو الأنبياء وخليل الرحمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام يعاونه ابنه الذبيح اسماعيل عليه الصلاة والسلام قال عز شأنه **(واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم)** البقرة/١٢٧ ـ ١٢٩ .

وقد استجاب الله الدعاء ، فقد تقبل عملهما وبارك فيه غاية البركة ، فكان ما بنياه مثابة للناس وآمنا ، يثوبون إليه من كل أطراف الدنيا ، فيجد فيه الخائف أمنته والمستجير ملاذه ، والمتعبد ما يقضي حاجات نفسه ، والداعي استجابة دعائه وتقبل الله دعاءهما فكانت هذه الأمة المسلمة التي هى من ذريتهما هى الأمة الاسلامية ، وكان النبي المبعوث فيها هو نبي آخر الزمان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، فتلا عليهم القرآن ، وعلمهم الكتاب والحكمة ، وزكاهم بأن أخرجهم من الظلمات إلى النور .

وأما المسجد الأقصى فالذي بناه هو الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويكون الخليل بعد أن بني الكعبة البيت الحرام أمره الله تعالى ببناء بيت المقدس ، وقيل بناه حفيده يعقوب بن اسحاق عليهما الصلاة والسلام .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان بسندهما عن أبي ذر رضي الله عنه قال « قلت يارسول الله ، أي مسجد وضع في الأرض أولا ؟ قال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة ، وأينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد » .

فجائز جدا ان يكون الخليل بعد أن بنى الكعبة بمعاونة ابنه اسماعيل أمره الله بعد أربعين سنة من بناء الكعبة ببناء بيت المقدس ، او يكون ابنه اسحاق ، أو حفيده يعقوب قد قام ببناء بيت المقدس بعد بناء الكعبة بأربعين عاما .

ولا يشكلن على القراء الكرام ما اشتهر من أن باني بيت المقدس هو سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ، لأن سليمان لم يكن بانيا له من الأصل وانما كان مجددا فمثله كمثل من جددوا بناء الكعبة بعد بناء الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام .

وأما المسجد النبوي بالمدينة فبانيه هو خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الغر الميامين ، وهذا أمر ثابت في الأحاديث الصحيحة في الصحيحين وغيرهما من كتب الأحاديث ، والسنن ، والمسانيد ، وهذا أمر نقله الخلف عن السلف حتى بلغ حد التواتر المفيد للقطع واليقين ، وللمسجد النبوي في قلب ونفس وشعور كل مسلم ذكريات ، وذكريات لا يكفي في بيانها مقال ، ولا بضعة مقالات ، وإنما هو أمر يحتاج إلى كتاب برأسه .

وإذا كان المساجد الثلاثة المشرفة بهذه المثابة ، وبهذه المنزلة الكريمة ، ولها ذكريات حبيبة الى قلب كل مسلم ومسلمة فهي جديرة بأن تشد إليها الرحال ، وأن يعكف على العبادة فيها من يشاء ، ففي ساحاتها تسكب العبرات ، وتستجاب الدعوات ، وتتنزل الرحمات ، وتنفح الأعطيات ، وان لله تبارك وتعالى في أيام دهركم لنفحات ، فتعرضوا لها .

حوار جاد حول التقليد والاجتهاد

للشيخ/ محمد الغزالي

أحب للمتحدثين في الاسلام ـ وأنا منهم ـ أن يرزقوا سعة العلم وعمق الفقه ، إن فقر العلم كفقر الدم لا يعين على نشاط ولا يجود معه إنتاج ، وغزارة العلم مع ضحالة الفقه تضليل للسعي وضياع للثمرة ..

وكثيرا ما أستشعر الضيق في مواجهة صنفين من الناس ، صنف حار العاطفة قليل الدراية ، وصنف ظاهر الجحود لأنه لا يدري شيئا ، أو يدري الأمور على نحو بعيد عن الحقيقة .

وعصرنا هذا عصر حضارة ذكية الفكر عارمة الهوى .. وليس يجدى في تقويمها إلا أصحاب بصائر نيرة ، وقلوب عامرة ، لهم من رحابة الاطلاع والأفق ما يسدد حكمهم ويقنع خصمهم .

وقد آلت الينا في هذا العصر مواريث عقلية ونقلية ضخمة ، تمثل جهد آبائنا في خدمة الاسلام وعلومه ، كما أن غيرنا لديه أشياء كثيرة يستريح إليها ولا يتنازل عنها بسهولة ترى هل أحسنا الافادة مما ورثنا ؟ ثم هل عرضناه ـ بعد ـ العرض الذي يهيىء له القبول ؟ رأيي لا ، وبيننا وبين الخدمة الناجحة للاسلام أمد بعيد .

وسأسوق بعض المجادلات التي دارت بيني وبين قوم يشتغلون بالقضايا الفقهية لعل في سوقها ما يكشف الغاية التي أريد ..

حدث في مدينة الاسكندرية أن قتل رجل ولديه ، ويظهر أنه فعل ذلك إسقاطا لنفقتهما ، بعدما طلق

أمهما ! وحكم القضاء الوضعي باعدام الرجل ، وأحال أوراقه إلى المفتي للتصديق .. ورفض المفتي التصديق على الحكم لأن الشريعة تأبى ذلك ، ولكن القضاء الوضعي مضى في طريقه وقتل الأب القاتل .. وثار لغط كثير حول القانون والشريعة في هذه القضية الشاذة .. وقال لي أحد الناس : لماذا تصمت في هذا الموضوع ؟ قلت : إن هواي مع الامام مالك في القصاص من هذا الأب المجرم ! قال : إن المفتي ذكر في اعتراضه الحديث الصحيح عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقتل الوالد بالولد » قلت : هذه هي القاعدة ، والآباء يشقون ليسعد أبناؤهم ، بل قد يموتون في سبيلهم ، فاذا حدث أن غلبت على الوالد نزوة غضب أو ساعة طيش فقتل ابنه ، عوقب بغير القتل ، لأن ما وقع منه لا يتصور ـ غالبا ـ أن يكون تعمد إهلاك ، أو قصدا واعيا لازهاق روح أعز الناس عليه ..

فاذا تبين من التحقيق أن الأب شاذ ، وأنه تعمد ذبح ابنه عن إصرارورويه ، وجب القصاص .

وقاتل ابنيه في قضية الاسكندرية الآنفة استدرجهما ثم حملهما إلى أعماق البحر المتوسط ، بعيدا عن الشاطىء ، ورمى بهما بين الأمواج ، وعاد ليفر من أداء النفقة الواجبة لمطلقته ولهما معها !!

إن الامام مالكا يحكم بالقصاص منه ، ويحمل الحديث على صور القتل العارضة ، التي لا تحمل طابع التعمد والعدوان الدنيء !

قال لي صاحبي : إن غبارا لحق بسمعة الشريعة في هذه القضية ، أما كان ينبغي على المفتي ان يرى رأي مالك في هذا الحدث ؟

قلت : إنه حنفي المذهب ، وله وجهة نظره ، ولكن أبا حنيفة في بعض قضايا القتل رجح ظاهر القرآن على نصوص السنة ، وقضى بقتل المسلم في الكافر إعمالا لقوله تعالى : (**النفس بالنفس**) المائدة/ ٤٥ وحمل الحديث الذي يفيد عدم قتل المسلم بالكافر بأنه يعني كافرا لا عهد له ولا ذمة ولا أمان !! أما من عاش في ذمة المسلمين فلا يهدر دمه ويجب الاقتصاص له !!

وقد كان المفتي قادرا على تقليد مالك أو التمشي مع منطق الأحناف إلى نهاية الطريق وهو منطق يرجح القصاص من الأصل في عدوانه على الفرع ، لأن وجهة نظرهم تقديم ظاهر القرآن على حديث الآحاد ..

والطريف أن الأحناف والمالكية اتفقوا في قضية مسترق النظر ، ورأوا أن ما جاء بها من سنن هو للارهاب والتغليظ وحسب !!

إن بعض الناس قد يضع عينه في ثقب باب مثلا ليطلع على عورات البيت ويستكشف محارمه ، وهذا بلا ريب سلوك دنيء ، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم منه ، وبين ان رب البيت لو فقأ عين هذا المتلصص ما كان عليه من بأس !

وفي ذلك روى أحمد والنسائي عن ابي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال : « من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم ففقئوا عينه فلا ديـة له ولا قصاص » .
وبظاهـر الحديـث أخـذ الحنابلـة والشافعية ، أما أبو حنيفة ومـالك فحملوا الحديث على الترهيب وإشعار سارق النظرات انه يفعل ما يهدر حقه وكرامته ، قالوا : لأن الأخذ بالظاهر يخالف الأصول العامة إذ أن هذا المرء لو اقتحم البيت ، وارتكب جريمة الزنى – وهو بكر – أو ارتكب من المنكر ما دون الزنى وهو متزوج ، ما فقئت عينه شرعا . بل يجلد أو يعزر حسب حالته فكيف يكون المراد فقأ عينه على الحقيقة ، ومم يقتص منه ؟ يمكن تأديبه بعقاب مناسب ، وإذا حدث أن فقأ عينه رب البيت لزمه تعويض عن العاهة التي أحدثها .
والمفهوم من كلام الأحناف والمالكية أن صاحب البيت الذي دافـع عن محارمه يعذر فلا يقتص منه ! ولكنه يؤاخذ فيحكم عليه بغرم مالي !
قال لي محدثي : وماذا تقول أنت في هذا الخلاف ؟ قلت : لم أكون رأيا مكتملا فيه ! ولا أستطيع الآن ترجيح رأي على آخر ! انا قصدت فقـط استعراض وجهات النظر في فقهنا الاسلامي ..
وكان بجانبنا شاب يكاد يتميز من الغيظ ، فعندما وصل الكلام إلى هذه المرحلة صاح يقول : تفاضلون بين أقوال الرجال وسنة رسـول الله ، وتتناولون الأحاديث الصحيحة بهذا الأسلوب السيىء ، ان هذا عمل يكاد ينتهي بأصحابه إلى الكفـر ! هذا تقديم بين يدي الله ورسوله ! هذا ...
قلت للشاب الهائج : على رسلك .. إنك قبل أن تخوض في هذه الأمور باسم السلف يجـب أن تستجمـع خصلتـين مهمتـين ، أدب النفس وحسن الفقه .. ولن نقبل ممن فقد الأدب والفقـه كلامـا في هذه القضايا !!
أما الأدب فأساسه ألا نلتمس للبرآء العيب ، وألا نتشهى إلصاق التهم بالناس ، وإذا غلبنـا سوء الظـن بالاخرين استغفرنا الله للمخطئ كما نستغفر لأنفسنا .. عندما اختلـف الصحابة السائرون الى بني قريظة أيصلون العصر في بني قريظة كما أمرهم الرسول بذلك صراحـة ، أم يرعون حق الوقت ويصلون في الطريق كما فهم غيرهم ، لم يقل الأولـون للآخريـن : خالفتـم أمـر رسـول اللهوكرهتم تنفيذه لأنكم أصحـاب أهواء ولأنكم ... لم يقولوا لاخوانهم كلمة سوء ، ولما بلغ الأمر الرسول صلى الله عليه وسلم لم يلم أحدا أو يخطئه ، ووقف الكل جبهة واحدة ضد اليهود !
إن أدب الاسلام كان صبغة عامة ، ولـو كنـت – والخطـاب للشـاب الهائج – أنت وأمثالك في هذا الميدان لصنعتم مأساة في الطريق ، وربما سفكتم الدم الحرام .. ولندع الكلام عن أدب النفس واللسان لنرى فقه الموضوع الذي يفوت القاصرين .
قال الامـام ابـن تيميـة : « في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه عام الخندق

« لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة ، فأدركتهم صلاة العصر في الطريق ، فقال بعضهم لا نصلي الا في بني قريظة ، وقال بعضهم : لم يرد منا هذا .. وصلوا في الطريق .. فلم يعب الرسول – لما بلغه الخلاف – واحدة من الطائفتين .. »

قال ابن تيمية يشرح فقه القضية : الأولون تمسكوا بعموم الخطاب فجعلوا صورة الفوات داخلة في العموم – يعني أنهم رأوا إضاعة وقت العصر من مفهوم النص النبوي – والآخرون كان معهم من الدليل ما يوجب خروج هذه الصورة عن العموم – إذ المقصود المبادرة إلى اللحاق باليهود قبل أن يتهيئوا للقتال –

وهي مسألة اختلف فيها الفقهاء اختلافا مشهورا : هل يخص العموم بالقياس – أم لا –؟ قال ابن تيمية : ومع هذا فالذين صلوا في الطريق كانوا أصوب فعلا ..!! هكذا يقول كبير العلماء السلفيين في العصور الأخيرة .

ولست هنا أرجح رأيا على رأي ، وإنما يعنيني أن يتأدب ويتفقه من يخوضون في هذه القضايا وأشباهها ثم ليختلفوا نظريا ما شاءوا .

اما أن يتهجم نفر من الطلاب ، أو بعض البوابين والبقالين ، على الأئمة الكبار ، وينالوا من قيمهم الدينية والعلمية فهذا سفه منكور ..

إن جعل أمتنا بلا تاريخ ولا قادة عمل أخرق .. وتقدير الرجال الذين خدموا الثقافة الاسلامية لا يعني نسبة العصمة لأحدهم كما ان نقدهم ليس كلأ مباحا لكل من فك الخط ، أو حفظ جملا من الأحاديث ، أو حتى حفظ ألوفا من السنن .. إن نقد الأئمة لا يتصدى له الا من قارب مستواهم على الأقل .. وكان نقده بيانا للحق كما وقر في نفسه دون أن يجعل الحق حكرا على فهمه هو ، ودون أن يحرم عباد الله الصالحين أجورهم على ما اجتهدوا ، أخطأوا أم أصابوا .

قال محدثي : قد يكون الحق معك بيد أننا ينبغي أن نرفق بمن يرفضون تقليد الائمة ، ويعتمدون على أنفسهم في فقه الكتاب والسنة ..

قلت : إنني لا أتعصب لمذهب معين ! ولكني احترم القيمة العلمية للفقه المذهبي ، وأقدر الرجال الكبار الذين تناقلوه في تاريخنا الثقافي ، وأرد الزعم الغريب بأنه قسيم لفقه السنة وأن كلا الطرفين بعيد عن الآخر . كأن المحدثين ألصق برسول الله وأغير على سنته وكأن الأئمة الأعلام بعداء عن السنة ، يشقون لهم في ميدان المعرفة الدينية مجرى آخر .

هذا غير صحيح ، وربما غاب عن أحدهم أو عن بعضهم حديث ما ، فذاك لا يغض من جملة الحقائق التي قررها ..

ثم إن إنشاء فقه جديد يستمد مباشرة من الكتاب والسنة – كما يقال – جهد لا نعترضه عند من تكتمل ثقافتهم وتنضج ملكاتهم ، وليس لهؤلاء أن يعدوا أفهامهم هي مراد الله ورسوله فانهم قديوافقون أحكاما سبق أن قررها غيرهم من العلماء ،

وقد يقررون أحكاما جديدة لاعصمة لها بداهة كما أنه لا عصمة لأقوال غيرهم ..

وقد رأيت الحصيلة الأخيرة لجهود هؤلاء فوجدت تشكيلة من فقه المذاهب القديمة أساسها التلفيق ، ورأيت أحكاما جديدة يدعى من بلغوها أنها الدين وهي لا تزيد عن أنها آراء لاصحابها يؤجرون عليها إن شاء الله أصابوا أم أخطأوا !

مشكلة هؤلاء أنهم يفهمون في الأثر المروي فهماما ، فاذا خالفهم غيرهم قالوا : خالف الرسول صلى الله عليه وسلم .. لا ، يا قوم إنه خالف فهمكم لمروياته وقد يكون فهمكم شرا مستطيرا على السنة وصاحبها ، والدين ومستقبله ، فمن حق أولى الألباب أن يأخذوا على أيديكم ويحذروا الناس منكم !

قال لي صاحبي : أوضح لنا ما تقول : قلت : ألف بعضهم رسالة يزعم فيها أن شن الحرب على الأعداء يتم دون دعوة إلى الاسلام ، واستند الى فهمه المنكور لحديث البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون ، أي اجتاح أرضهم على غرة ، وأن الدعوة إلى الاسلام كانت في صدر الاسلام ..

ثم ؟ ثم أصبح المسلمون قطاع طريق عند هذا الأحمق الذي يدعي أنه يقرر فقه السلف – أصبحوا يغيرون على أعدائهم هكذا دون نذير .

والحقيقة أنه صلى الله عليه وسلم دعا وتريث وأمل الخير في الناس ، فلما وجدهم جمعوا الجموع لقتاله لم ينتظر حتى يستكملوا عدتهم فأخذهم على غرة !!

وأخذ بعضهم ينشر أن الزكاة لا تؤخذ الا من الحبوب التي تدخر ، قلت له : إن أبا حنيفة يوجبها في الفواكه والموالح والأزهار والشاي والبن ، وكل ما تنتج الأرض من قطن ومطاط وقصب الخ .

قال : السنة ما نقول : وأبو حنيفة في ميدان السنة ليس بشيء !

قلت : السنة أن نترك زارع الشاي يكسب من فدانه ألف جنيه لازكاة فيها ؟ ونأخذ من زارع الشعير الذي لا يكسب من فدانه خمسين جنيها زكاة ؟

قال : نعم هذه السنة .. قلت ساخرا : بدعة أبي حنيفة خير من سنتكم ، إنكم وبال على الاسلام بهذا الأسلوب .

إن أبا حنيفة اعتمد في مذهبه على قرآن محكم .. وربما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الزكاة من الفواكه لأنها في عهده او في أرضه لا تمثل ثروة محترمة ، أما اليوم والحصائل الزراعية مال خطير فما يمكن تركها .. وأبو حنيفة أرعى للسنة منكم ، وأدرى بملابسات الاحكام .

انكم تحفظون مئات الأحاديث دون وعي ، والقليل الذي حفظه ابو حنيفة احسن الاستفادة منه .. هناك رجل يملك مائة بندقية ولا يحسن إصابة الهدف بواحدة منها ، وربما أراد الضرب فقتل بريئا ، أو قتل نفسه .. خير منه من يملك بندقية واحدة يحسن استخدامها ، ذاك مثلكم ومثل أبي

حنيفة الذي تتطاولون عليه ..!
عندما كنت مديرا للمساجد وصيت الخطباء فقلت : اذا رأيتم من دخل المسجد أثناء الخطبة يصلي ركعتي التحية فلا تجلسوه . واذا رأيتموه جلس دون صلاة فلا تنهضوه للصلاة .. قال لي أحدهم : السنة أن يقوم ليصلي ويلفته الامام الى ذلك ! قلت : ذاك ما رآه الامام الشافعي وأحمد في الحديث المروي في هذه القضية .. اما الامام مالك وأبو حنيفة فيقولان يجلس ليسمع الخطبة ولا ينشغل عنها بشيء !

يقول مالك هكذا وجدنا الناس يفعلون في المسجد النبوي ! متوارثين ذلك عن الصحابة والتابعين ، فعملهم أدل على السنة من حديث البدوي الذي صح أن الرسول أمره بالصلاة ، لعل هذا الأمركان ثم نسخ !

وقال أبو حنيفة تلك وقعة حال كان الرجل فقيرا يرتدي أسمالا بالية فاستوقفه الرسول وحث على الصدقة ليستدر العطف عليه ، والأصل أن الخطيب يتحدث ليستمع الجميع اليه لا ليشتغل الداخلون عنه بالصلاة .

قال لي محدثي : إن ظاهر الحديث مع أحمد والشافعي ، قلت : نعم وظاهر الحديث مع السائرين الى قريظة ألا يصلوا في الطريق ! ومع ذلك فان ابن تيمية رجح الصلاة في الطريق ..

ونحن في توصيتنا لعلماء المساجد نرفض التعصب المذهبي ونمنع فتنا سخيفة ، من تابع أبا حنيفة ومالكا فليتبعهما ، ومن تابع الشافعي وأحمد فليتبعهما !

وما زلت أوصي الخطباء بذلك وأرفض الزعم بأن نصف الأئمة خالف السنة الواردة ، قد يكون خالف فهمنا للسنة الواردة وله حقه غير منكور ، وللجميع أجرهم إن شاء الله وأخيرا قلت لمحدثي : إن دقة الفقه لا تتاح لكل مسلم صالح ، إنها هبة يؤتيها الله من شاء ، أرأيت الخلاف الذي نشب بين عمر وبعض الصحابة حول الأقطار المفتوحة ؟ كان هذا البعض يريد تخميسها وفق آية الأنفال ، ولو استجاب عمر له لوقف الفتح الاسلامي وتحول الفاتحون الى إقطاعيين وانهار بناء الاسلام .

لكن عمر رضي الله عنه جعل التخميس الذي نصت عليه الآية في الأمتعة والأسلحة والأغذية وشتى المنقولات المغنومة ، أما الأرض المفتوحة فبقيت لأصحابها ، ووضعت عليها ضرائب معقولة لمصلحة الدولة ..

هذا هو الفقه وإن خالف ظاهر النص .. إننا لا نسمح أن يجيء نفر من الدهماء ليرفع خسيسته على حساب كبار الأئمة وعندما تختفي القمم الفقهية من تاريخنا خلال أربعة عشر قرنا فمن يبرز بعد ذلك ؟

أين الأدب الذي علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخذ به في قوله : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه » ؟

إن المجتهد ـ أخطأ أم أصاب ـ معذور ومأجور ، فلم التطاول والايذاء ؟ ثم من ألزم الجماهير برأي معين لواحد من هؤلاء الأكابر ؟ ليكن أفقنا واسعا وخلقنا أوسع ؟



رسالة النّصرانيّة

هل هي دعوة إلى شعب اليهود أم دعوة عالمية

يزعم النصارى في زماننا المعاصر ان دعوة المسيح عليه السلام كانت دعوة عالمية ، لذلك فهم يرسلون مبشريهم الى مختلف انحاء الأرض لنشر النصرانية ، والهجوم على الديانات المستوطنة في تلك البلاد ، خصوصا الاسلام ، كما قال (غارونر) أحد أولئك المبشرين النصارى : (انه وان كان قد خاب الصليبيون في انتزاع القدس من أيدي المسلمين ليقيموا دولة مسيحية في قلب العالم الاسلامي ، لكن الحروب الصليبية لم تكن لانقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير المسلمين) .

لكن المتتبع لأناجيل النصارى ورسائلهم المقدسة ، وهو ما تعارفوا

للمستشـــار : محمـــد عزت الطهطاوي

على تسميته بالعهد الجديد من الكتاب المقدس:(حتى يتميز عن العهد القديم المتضمن لتوراة اليهود وأسفار أنبيائهم قبل ظهور المسيح عليه السلام) يجد ان دعوة المسيح كانت قاصرة على شعب اليهود ، والذي كان يطلق عليه سابقا شعب اسرائيل ، بل ان البشارة بمجيئه قبل مولده تشير الى أن رعايته ستكون لشعب اسرائيل فقط ، ولنـدلل على ذلك بالشواهد الآتية :

أولا :

ورد بإنجيل متى إصحاح ٢ عدد ٦ قوله المنسوب الى الله : (وأنت يابيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا ـ لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي اسرائيل) .

وورد بانجيل لوقا اصحاح ١ عدد ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ القول المنسوب الى الملك موجها منه الى السيدة مريم ، يبشرها بولادة المسيح ، ويخبرها بأنه يكون على بيت يعقوب ، وهو الذي كان يدعى باسرائيل : (فقال لها الملاك لا تخافي يامريم لانك قد وجدت نعمة عند الله ـ وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسميه يسوع ـ هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب الى الأبد) .

ثانيا :

ولما ابتدأ المسيح في القيام بالدعوة الى الايمان برسالته ، أعلن انها قاصرة على بنى اسرائيل ولا تمتد الى غيرهم ، لذلك نراه يعلن طبقا لما هو وارد عنه في انجيل متى اصحاح ١٥ عدد ٢٤ : (فأجاب وقال لم أرسل الا الى خراف بنى اسرائيل الضالة) .

كما ورد نفس ذلك المعنى في انجيل برنابا اذ يقول : (وقد أقامني الله نبيا على بيت اسرائيل لأجل صحة الضعفاء) انجيل برنابا اصحاح ٥٢ عدد ١٣ .

ولقد نبه المسيح عليه السلام الى مقدار احترامه لشريعة التوراة ، وأنه ما جاء الا ليكملها لا لينقضها ، فتراه يقول كما يحكي عنه انجيل لوقا في الاصحاح ١٥ عدد ١٧ : (ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس) وشبيه بذلك ما هو وارد عنه بانجيل متى في الاصحاح ٥ عدد ١٧ قوله : (لا تظنوا أني جئت لانقض الناموس أو الأنبياء . ماجئت لانقض بل لأكمل)

وقد ذكر انجيل يوحنا في الاصحاح الأول عدد ١١ ان المسيح ما جاء الا الى خاصته ، وما خاصته إلا شعب اليهودية ، انظر اليه في قوله : (إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله) . ولفظ الناموس تعني كتاب التوراة .

ثالثا :

وقد اختار المسيح عليه السلام اثنى عشر شخصا ممن آمنوا برسالته ليكونوا تلاميذه وأحباءه ومساعديه في نشر دعوته وكان اختياره لهم من بين اليهود أنفسهم وينقل ذلك انجيل متى في محاورة بين السيد المسيح وبين احد تلاميذه وهو بطرس بالاصحاح ١٩ عدد ٢٧ ، ٢٨ فتراه يقول : (فأجاب بطرس حينئذ وقال له ها نحن قد تركنا كل شيً وتبعناك فماذا يكون لنا ؟ فقال لهم يسوع : ـ الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد ـ متى جلس ابن الانسان ـ ويقصد المسيح نفسه بذلك ـ على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيا تدينون أسباط اسرائيل الاثنى عشر) .

ففي هذا النص يقول لهم المسيح عليه السلام انهم يدينون أسباط اسرائيل فقط ولم يقل لهم انهم يدينون شعوب الدنيا ـ وفي هذا اشارة إلى أن رسالته ودعوة تلاميذه من بعده قاصرة على شعب اليهود ـ والمنسوب إلى أسباط اسرائيل الاثنى عشر .

رابعا :

أن المسيح عليه السلام عندما أرسل تلاميذه السابق الاشارة اليهم لينشروا دعوته بين اليهود كرر لهم وصيته بأن يقصروا الدعوة على اليهود ـ بل وحذرهم من دخول مدن الامم والشعوب الأخرى ولو كانوا جيرانا لليهود طبقا لما هو وارد عنه في انجيل متى اصحاح ١٠ عدد ٥ ، ٦ في قوله : (وهؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا الى طريق أمم لا تمضوا الى مدينة للسامريين لا تدخلوا ـ بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة) .

خامسا :

أشار المسيح عليه السلام عند قيامه باحدى معجزاته بأنها قاصرة على شعب اليهود دون أن يكون منها شيء للشعوب الأخرى ـ ويذكر ذلك انجيل متى في مناقشة بين امرأة كنعانية وبينه،وذلك بالاصحاح ١٥ من عدد ٢١ الى عدد ٢٨ في قوله : (ثم خرج يسوع من هناك وانصرف الى نواحي صور وصيدا ـ واذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت اليه قائلة ارحمني ياسيد يابن داود ـ ابنتي مجنونة جدا ـ فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا اليه قائلين ـ اصرفها لأنها تصيح وراءنا فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت اسرائيل الضالة فأتت وسجدت له قائلة ياسيد أعنى فأجاب وقال ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب ـ فقالت نعم ياسيد والكلاب أيضا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها ـ حينئذ أجاب يسوع وقال لها يا امرأة عظيم إيمانك ـ ليكن لك كما تريدين ـ فشفيت ابنتها من تلك الساعة) .

سادسا :

وحتى عندما رفضت أورشليم رسالة المسيح ناجاها بحنو بكلام يستفاد منه أن رسالته قاصرة على شعب اليهود الذي كان مستعمرا لمدينة القدس وقتئذ حيث كانت تسمى أورشليم وقد ورد ذلك في انجيل يوحنا بالاصحاح ٢٣ عدد ٣٧ في قوله : (ياأورشليم ياأورشليم ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها ـ كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا) .

سابعا :

وبعد ذهاب المسيح عليه السلام عن هذا العالم يؤكد خليفته بطرس أن يسوع المسيح ما جاء الا لخلاص اليهود وغفران خطاياهم ـ وقد ورد ما يشير إلى ذلك في سفر أعمال المرسل في الاصحاح العاشر عدد ٣٦ قوله : (الكلمة التي أرسلها إلى بني اسرائيل يبشر بالسلام يسوع المسيح) **إذاً كيف تستقيم النصوص السابقة مع ما يقوم به مبشرو النصرانية من الدعوة لعقيدتهم بين الأمم ؟.**

إن جماع ما يحتج به أولئك المبشرون النصارى ما ورد بنهاية انجيل متى في آخر الاصحاح ٢٨ عدد ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ قوله : (فتقدم يسوع وكلمهم قائلا دفع الى كل سلطان في السماء على الأرض ـ فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح والقدس ـ وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيكم به) **والرد على ذلك سهل يسير طبقا للآتي :ـ**

١ ـ ان هذه الوصية خصوصا عبارة (تلمذوا جميع الأمم) لم ترد عنه وقت حياته كلها التي عاشها على الأرض ـ ولم يسمعها منه تلاميذه وحواريوه وقتئذ واذا سلمنا صدورها منه بعد قتله وصلبه (على حد زعمهم) فتكون من قبيل الرؤى والأحلام أو الأوهام ولا يسوغ أن تنبني عليها الشرائع والأحكام مما يدعو الى الشك وعدم الاطمئنان كلية الى تلك العبارات المنسوب صدورها الى السيد المسيح عليه السلام .

٢ ـ تتضمن هذه الفقرات عبارات التثليث وهي اسم الأب والابن والروح القدس فكيف يستقيم ذلك مع أن التثليث وألوهية المسيح لم تتقرر في عقيدة النصرانية الا في نهاية الربع الأول من القرن الرابع الميلادي بموجب قرارات مجمع "نيقية" الذي تم عقده سنة ٣٢٥م بأمر قسطنطين امبراطور الدولة الرومانية أما ألوهية روح القدس فلم تتقرر هى الأخرى الا في مجمع "القسطنطنية" سنة ٣٨١م الأمر الذي يقطع بأن هذه الفقرات مصطنعة ألحقت وأضيفت بعد ذلك إلى الانجيل المذكور خصوصا وأنها تناقض تعاليم المسيح التي ذكرها لتلاميذه وحوارييه حال حياته (قبل صلبه وقتله على حد قولهم) .

٣ ـ ان الأب عبدالأحد داود

الأشورى مطران بلدة "نصيبين" من أعمال العراق في القرن الماضي يقرر في أبحاثه التي ضمنها كتابه :(الانجيل والصليب) أنه لا يتصور أن نبيا عظيما كالمسيح عليه السلام يتكلم بكلام يكذب بعضه بعضا فان من يقول لم أرسل الا لبني اسرائيل فقط لا يقول أنا نور العالم أو يقول اذهبوا وتلمذوا العالم أجمع ـ والعبارات الأولى هى الحرية بالاعتماد عليها وأما المخالفة فهي إلحاقية يجب طيها .

٤ ـ ولقد أقر كتاب النصارى في العصر الحاضر أن الحواريين وتلاميذ المسيح الأول لم يقولوا بعالمية النصرانية وان بولس هو أول من ابتدع القول بتلك العالمية وأفاض في شرحها في رسائله ـ والمطلع على تلك الرسائل يتضح له أنه لم يورد دليلا واحدا ولا كلمة واحدة تنسب الى المسيح تشير الى عالمية النصرانية إنما كان تدليله على هذه العالمية من كلامه هو ومن بنات أفكاره دون أن يبرهن على دعواه بأي دليل لذلك نرى احد كتابهم مثل (دين انج) يقول ان المسيح كان نبيا لمعاصريه من اليهود ـ ولم يحاول قط ان ينشىء فرعا خاصا به من بين هؤلاء المعاصرين أو ينشئ له كنيسة مغايرة لكنائس اليهود أو تعاليمهم .

٥ ـ كما جاء في دائرة المعارف البريطانية أن أسبق حواريى المسيح ظلوا يوجهون اهتمامهم الى جعل النصرانية دينا لليهود وجعل المسيح أحد أنبياء بني اسرائيل الى بني اسرائيل .

القرآن الكريم يأتي بالقول الفصل في رسالة المسيح عليه السلام

ذكر القرآن الكريم في محكم آياته أن رسالة السيد المسيح كانت رسالة خاصة إلى قومه من بنى اسرائيل طبقا للنصوص الآتية :ـ قال تعالى :

١ ـ **(إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين . قالت رب أني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء إذا قضي أمرا فإنما يقول له كن فيكون . ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل . ورسولا إلى بنى إسرائيل)** .آل عمران/ ٤٥ ـ ٤٩ .

فهنا نجد تعبير القرآن الكريم بقوله : **(ورسولا إلى بني إسرائيل)** للايذان بخصوص ـ بعثة المسيح عليه السلام الى بنى اسرائيل فقط وليس للأمم الأخرى .

٢ ـ وقال تعالى فيما يحكيه عن المسيح عليه السلام : **(وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة)** سورة الصف/ ٦ ـ فهذه الآية تؤكد في معناها ما ورد بالآية السابقة من أن رسالة المسيح هى لبني اسرائيل خاصة .

ونخلص مما سبق أنه لا شأن لرسالة المسيح عليه السلام بأي شعب من شعوب الأرض (خلا ــ اليهود) فلا علاقة بينها وبين تلك الأمم لأن رسالته لم تأت الا لبني اسرائيل ولم تخاطب أحدا سواهم لهذا فلم يكن من حق أحد غير اليهود اعتناق تلك الرسالة منذ وقت ظهورها .

الاسلام وحده هو الرسالة العالمية الخالدة

ولما أشرقت على الدنيا شمس الاسلام كان هو العقيدة العامة الى جميع شعوب الأرض قاطبة ، وكانت رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم هى الرسالة العامة ، لا يشاركه فيها أحد سواه ، فرسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى جميع البشر ، مهما اختلفت أقطارهم وتناءت ديارهم .

قال تعالى :

(قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) الاعراف/١٥٨ .

(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) سبأ/٢٨ ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : « كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة » رواه البخاري ومسلم .

ولهذا كتب الرسول صلى الله عليه وسلم الى سائر الملوك والامراء في عهده ــ فقد أرسل الى هرقل امبراطور الروم والى كسرى ملك الفرس والى المقوقس عظيم القبط في مصر ونجاشي الحبشة والى سائر أمراء العرب يدعوهم الى الاسلام .

وكما أن رسالته صلى الله عليه وسلم عامة في المكان فهي أيضا عامة في الزمان لأنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين .. قال تعالى : **(ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما)** الأحزاب/٤٠ .

لذلك فان واجب أولى الأمر في الأمة الاسلامية العمل بجدية واخلاص في تبليغ الدعوة الاسلامية الى جميع شعوب الأرض ، والقيام بأمرها حتى تقوم الساعة ، مهما كانت العقبات ، ودون التفات الى تآمر الأعداء ، فمهما تآمروا فكيدهم ضعيف ، والغلبة دائما للحق ولو بعد حين ، لأن الاسلام دين الحق ، والله هو الحق ، وما كان له أو منه فهو حق ، وذلك تحقيقا لأهداف الاسلام التي أوجزها الصحابي الجليل ربعى ابن عامر عندما تقابل مع يزدجرد القائد الفارسي سائلا له عن سبب مجىء المسلمين بجيوشهم لبلاد الفرس ، فقال له : إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد ، الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام .

قال تعالى : **(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)** الصف/٩ .

الرحمن الرحيم

محمد مؤذنه

« الرحمن الرحيم » اسمان من الأسماء الحسنى لله تبارك وتعالى ، وهما اسمان يذكران الناس بالرحمة ، وقد حدثنا التنزيل المجيد بأن الله جل جلاله كتب على نفسه الرحمة ، وأرسل نبيه رحمة ، وجعل دينه رحمة . والرحمن الرحيم اسمان مشتقان من مادة الرحمة ، والرحمة في الأصل رقة في القلب تستلزم التفضل والاحسان وهذا جائز في حق العباد ، ولكنه محال في حق الله سبحانه ، لأنه جل وعلا لا يشبه الحوادث : « ليس كمثله شيء » . ولذلك يراد بالرحمة في حقه سبحانه إيصال الخير والثواب لمن يشاء من عباده ، ودفع الشر عنهم .

والرحمة تستدعي مرحوما ، ولا مرحوم إلا وهو محتاج ، والرحمة التامة هي إفاضة الخير على المحتاجين ، والرحمة العامة هي التي تتناول المستحق وغير المستحق ، وعمت الدنيا والآخرة ، وتناولت الضرورات والحاجات والمزايا

الخارجة عنها .

وللأصفهاني في « مفردات القرآن » عبارة بصيرة محررة في تعريف الرحمة ، وكيف تطلق على الانسان وعلى الله تعالى ، مبينا الفرق بين الرحمة في حق الناس والرحمة في حق الخالق سبحانه . يقول : « الرحمة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم ، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة ، وتارة في الاحسان المجرد عن الرقة ، نحو رحم الله فلانا . وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلا الاحسان المجرد دون الرقة » .

وعلى هذا روى أن الرحمة من الله إنعام وإفضال ، ومن الآدميين رقة وتعطف ، فالرحمة منطوية على معنيين : الرقة والاحسان ، فركز تعالى في طباع الناس الرقة ، وتفرد بالاحسان ، فصار كما أن لفظ الرحم من الرحمة ، فمعناه الموجود في الناس من المعنى الموجود لله تعالى ، فتناسب معناهما تناسب لفظيهما .

والرحمن والرحيم نحو ندمان ونديم ، ولا يطلق الرحمن إلا على الله تعالى ، من حيث إن معناه لا يصح إلا له ، إذ هو الذي وسع كل شيء رحمة . والرحيم يستعمل في غيره ، وهو الذي كثرت رحمته ، قال تعالى : **(إن الله غفور رحيم)** البقرة / ١٧٣ وقال في صفة النبي صلى الله عليه وسلم : **(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)** التوبة / ١٢٨ وقيل إن الله تعالى هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ، وذلك أن إحسانه في الدنيا يعم المؤمنين والكافرين ، وفي الآخرة يختص بالمؤمنين ، وعلى هذا قال تعالى : **(ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون)** الأعراف / ١٥٦ ، تنبيها أنها في الدنيا عامة للمؤمنين والكافرين ، وفي الآخرة مختصة للمؤمنين .

واسم الرحمن يتضمن ــ كما ذكر ابن القيم ــ معنى هداية الله تعالى لعباده بارسال الرسل اليهم ، وانزال الكتب عليهم ، وهذا أعظم من انزال الغيث وانبات الكلأ واخراج الحب ، فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح ، كما أن الرحمة هي السبب الذي بين الله وعباده ، فالتأليه منهم له ، والربوبية منه لهم ، بها أرسل اليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، وبها هداهم وبها أسكنهم دار ثوابه ، وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم ، فبينهم وبينه سبب العبودية ، وبينه وبينهم سبب الرحمة .

والرحمن هو الاسم الدال على أن الرحمة قائمة بالله سبحانه ، أي هو

ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة ، ولا نظير لها ، وهي صفة تتناول جلائل النعم فالرحمن اسم وصفة ، فالله صاحب الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معايشهم ومصالحهم وعمت المؤمن والكافر ، والصالح والطالح .

وقيل إن الرحمن هو مزيح العلل ، وقيل هو الرحمن بازالة الكروب والعيوب ، وهو الرحيم بانارة القلوب بالغيوب .

والرحمن عند الأكثر أبلغ من لفظ الرحيم ، ولذلك اشتهر في الدعاء يا رحمن الدنيا ، ورحيم الآخرة ، والمعلوم أن رحمته تعالى في الدنيا شاملة للمؤمن والكافر ، والصالح والطالح ، وذلك بايصال الرزق ، وخلق الصحة ، ودفع الأسقام والمصائب ، بخلاف رحمته في الآخرة فانها مختصة بالمؤمنين .

والرحمن اسم خاص لله ، لا يسمى به غيره ، ولا يوصف ، والرحيم يوصف به غير الله فيقال رجل رحيم ، ولا يقال رجال رحمن ، وقد تبجح مسيلمة الكذاب فسمى نفسه « رحمن اليمامة » فما كاد يتسمى بذلك حتى قرع مسامعه نعت « الكذاب » فألزمه الله تعالى هذا النعت ، وإن كان كل كافر كاذبا .

ويقول الغزالي : اسم الرحمن أخص من اسم الرحيم ، ولذلك لا يسمى به غير الله ، والرحيم قد يطلق على غيره ، فالرحمن من هذا الوجه قريب من اسم الله الجاري مجرى العلم ، وإن كان هذا مشتقا من الرحمة قطعا ، ولذلك جمع الله بينهما فقال : **(قل ادعوالله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى)** الاسراء / ١١٠ ويلزم من هذا الوجه ان يفرق بين معنى الاسمين ، وعلى هذا يكون المفهوم من الرحمن نوعا من الرحمة وأبعد من مقدور العباد ، وهو ما يتعلق بالسعادة الأخروية فالرحمن هو العطوف على عباده بالايجاد أولا ، وبالهداية إلى الايمان وأسباب السعادة ثانيا ، والاسعاد في الآخرة ثالثا ، والانعام بالنظر الى وجهه الكريم رابعا .

ويرى الامام محمد عبده أن لفظ الرحمن يدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل وهي افاضة النعم والاحسان ، ولفظ الرحيم يدل على منشأ هذه الرحمة والاحسان ، وعلى أنها من الصفات الثابتة الواجبة ، وبهذا المعنى لا نستغني بأحد الوصفين عن الآخر ، ولا يكون الثاني مؤكدا للأول ، والعربي اذا سمع وصف الله سبحانه بصفة الرحمن وفهم منه أنه المفيض للنعم فعلا ، لا يعتقد منه أن الرحمة من الصفات الواجبة له دائما ، لأن الفعل قد ينقطع إذا لم يكن عن صفة لازمة ثابتة ، وإن كان كثيرا ولكنه عندما يسمع لفظ الرحيم يكمل اعتقاده بوجه يليق بالله تعالى ويرضيه سبحانه ، وهو أن لله صفة ثابتة هي الرحمة التي عنها يكون أثرها ، وإن كانت تلك الصفة على غير مثال صفات المخلوقين ، وبذلك يكون ذكرها بعد

صفة الرحمن كذكر الدليل بعد المدلول ، ليقوم برهانا عليه . ويقول الرازي إن الرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور جنسه من العباد ، والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور جنسه من العباد .

ويذكر ابن القيم في « مدارج السالكين » أن صفات الاحسان والجود واللطف أخص باسم الرحمن ، لأن الرحمن هو الذي وصفه الرحمة ، والرحيم هو الراحم لعباده ، ولذلك يقول القرآن : **(وكان بالمؤمنين رحيما)** الاحزاب / ٤٣ ولم يجيء رحمن بعباده ، ولا رحمن بالمؤمنين ، مع ما في اسم الرحمن ـ الذي هو على وزن فعلان ـ من سعة هذا الوصف ، وثبوت جميع معناه الموصوف به . ألا ترى أنهم يقولون غضبان للممتلىء غضبا ، فبناء فعلان للسعة والشمول ولهذا يقرن استواؤه على العرش بهذا الاسم كثيرا ، كقوله تعالى : **(الرحمن على العرش استوى)** طه / ٥ وقوله : **(ثم استوى على العرش الرحمن)** الفرقان / ٥٩ فاستوى على عرشه باسم الرحمن ، لان العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها ، والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم ، كما قال تعالى : **(ورحمتي وسعت كل شيء)** الاعراف / ١٥٦ فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات ، فلذلك وسعت رحمته كل شيء .

وقد تكرر اسم الرحمن في القرآن أكثر من خمسين مرة ، وهو أكثر اسم من الأسماء الحسنى تكرر في القرآن ، وقد ذكر في سورة مريم اكثر من خمس عشرة مرة ، والرحيم هو المنعم بدقائق النعم ، وقالوا إنه فعيل بمعنى فاعل ، أي راحم ، والرحمة كما عرفنا إنعام من الله تعالى وإفضال ، ونعمه تعالى لا تحصى ، ورحمته لذلك لا تنتهي : **(ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) غافر / ٧ .**

ومعظم ما قيل من الشرح في اسم الرحمن ينطبق أيضا على اسم الرحيم ، إلا بفارق هو أن الرحمن يشمل المؤمن والكافر ، ويعم الخلق أجمعين ، أما الرحيم فيقتصر على المؤمنين : **(وكان بالمؤمنين رحيما)** وقيل بفارق آخر هو أن الرحمن هو المنعم بجلائل النعم ، والرحيم هو المنعم بدقائقها .

وهناك مظاهر كثيرة لرحمة الله تعالى توسع في الحديث عنها الشيخ العقاد في كتابه « الأنوار القدسية » فذكر من رحمته تعالى بنا أنه سخر الماء والهواء ، والنجوم والكواكب ، ويسر لنا السبل ووهب العقل ، وأنبت النبات بأنواعه ، وأخرج المرعى ، وجملنا في الخلقة ، ووهبنا الجوارح ، وتفضل علينا بالدواء لعلاج الداء ، ومكننا من المال الذي نجلب به السعادة إذا استقمنا في استعماله .

وإذا أراد العبد الفوز برضا ربه والتنعم بوصاله ، تحلى بالرحمة ، فعطف على الجائع وأشفق على العاصي ، لأنه يراه يهوى في مهاوى الضلال ، فنصحه ووعظه ، وعطف على المتخاصمين بالصلح

والاصلاح ، ورحـــم الجاهلـــين بالتوجيه والارشاد .

وقد يسأل سائل : كيـف يكون العبد رحيما ؟ ويجيب الغزالي بأن حظ العبد من اسم الرحمن أن يرحم عباد الله تعالى الغافلين ، فيصرفهـم عن طريق الغفلة إلى الله بالوعظ والنصح بطريق اللطف ، دون العنف ، وأن ينظر الى العاصين بعين الرحمة لا بعين الايذاء . أو الازدراء . وأن ينظر الى كل معصية تقع من غيره كأنها تقع في نفسه ، فيجتهد في إزالتهـا قدر طاقته ، إشفاقا على ذلك العاصي أن يتعـرض لغضب الله وسخطـــه ، فيستحق البعد عن جوار ربه . وحظ المؤمن من اسم الرحيم أن لا يترك حاجة لمحتاج إلا ويسدها على قدر استطاعته ، ولا يدع فقيرا يشعر به ويستطيع الوصول اليه إلا ويدفع فقره بماله أو جاهه أو الشفاعة له عند غيره ، فان عجز عن كل ذلك أعانه بالدعاء ، وإظهار الحزن من أجله .

وقد يعترض معترض فيقول إذا كان الله رحيما وهو قادر على رفع كل بلية ، فلماذا ترك بعض عباده في الأذى أو الضرر ؟ ويتولى الغزالي الجواب في كتابه « المقصد الأسنى » فيقول : « الطفل الصغير قد ترق له أمه فتمنعه عن الحجامة ، والأب العاقل يحمله عليها قهرا ، والجاهـل يظـن أن الرحيم هي الأم دون الأب ، والعاقل يعلم أن إيلام الأب إياه بالحجامة من كمال رحمته وعطفه ، وتمام شفقته ، وأن الأم عدوة في صورة صديق وأن الألم القليل إذا كان سببا للذة الكثيرة لم يكن شرا ، بل كان خيرا ، والرحيم يريد الخير للمرحوم لا محالة ، وليس في الوجود شر إلا و في ضمنه خير ، لو رفع ذلك الشر لبطل الخير الذي في ضمنه ، وحصل ببطلانه شر أعظم من الشر الذي يتضمنه . فاليد المتآكلة قطعها شر في الظاهر ، وفي ضمنها خير جزيل وهو سلامة البدن ، ولو ترك قطع اليد لحصل هلاك البدن ، ولكان الشر أعظم .

فان خطر لك نوع من الشر لا ترى تحته خيرا ، أو خطر لك أنه كان تحصيل ذلك الخير ممكنا لا في ضمن الشر ، فاتهم عقلك القاصر في أحد الخاطرين ، أما في قولك : إن هذا الشر لا خير تحته ، فان هذا مما تقصى العقول عن معرفته ، ولعلك فيه مثل الصبي الـذي يرى الحجامـة شرا محضـا ، أو مثل الغبي الذي يرى القتل قصاصا شرا محضا ، لأنـه ينظر إلى خصوص المقتول ، لأنه في حقه شر محض ، ويذهل عن الخير العام الحاصل للناس كافـة ، ولا يدري أن التوصل بالشر الخاص الى الخير العام خير محض ، ولا ينبغي أن يهمله .

أو اتهم عقلك في الخاطر الثاني ، وهو قولك : إن تحصيل ذلك لا في ضمن ذلك الشر ممكن ، فان هذا أيضا دقيق غامض فليس كل محال وممكن مما يدرك إمكانه واستحالته بالبديهة ، ولا بالنظر القريب ، بل ربما عرف ذلك بنظر غامل دقيق يقصر عنه الأكثرون .. فاتهم عقلك في هذين الطرفين ، ولا تشكن أصلا في أنه

أرحم الراحمين ، وأنه سبقت رحمته غضبه » .

هذا وقد ذكر اسم « الرحيم » في القرآن المجيد عشرات المرات ، ويقترن باسم الرحمن كثيرا ، وقد يأتي اسم الرحيم مع غير اسم الرحمن .

يقول القشيري في « لطائف الاشارات » هذه العبارة :

« الرحمن الرحيم » اسمان مشتقان من الرحمة ، والرحمة صفة ازلية ، وهي إرادة النعمة وهما اسمان موضوعان للمبالغة ولافضل بينهما عند أهل التحقيق .

وقيل : الرحمن أشد مبالغة ، وأتم في الافادة ، وغير الحق لا يسمى بالرحمن على الاطلاق ، والرحيم ينعت به غيره وبرحمته عرف العبد أنه الرحمن ، ولولا رحمته لما عرف أحد أنه الرحمن ، وإذا كانت الرحمة إرادة النعمة أو نفس النعمة كما هي عند قوم ، فالنعم في أنفسها مختلفة ، ومراتبها متفاوتة ، فنعمة هي نعمة الأشباح والظواهر ، ونعمة هي نعمة الأرواح والسرائر .

وعلى طريقة من فرق بينهما فالرحمن خاص الاسم عام المعنى ، والرحيم عام الاسم خاص المعنى ، فلأنه الرحمن رزق الجميع ما فيه راحة ظواهرهم ، ولأنه الرحيم وفق المؤمنين لما به حياة سرائرهم ، فالرحمن بما روح ، والرحيم بما لوح ، فالترويح بالمبار ، والتلويح بالأنوار ، والرحمن بكشف تجليه والرحيم بلطف توليه ، والرحمن بما أولى من الايمان ، والرحيم بما اسدى من العرفان ، والرحمن بما أعطى من العرفان والرحيم بما تولى من الغفران بل الرحمن بما ينعم به من الغفران ، والرحيم بما يمن به من الرضوان ، بل الرحمن بما يكتم به والرحيم بما ينعم به من الرؤية والعيان ، بل الرحمن بما يوفق والرحيم بما تحقق ، والتوفيق للمعاملات ، والتحقيق للمواصلات ، فالمعاملات للقاصدين ، والمواصلات للواجدين ، والرحمن بما يصنع لهم ، والرحيم بما يدفع عنهم ، فالصنع بجميل الرعاية ، والدفع بحسن العناية »

وقد صاغ الشيخ أحمد العقاد دعاء لاسم « الرحمن » يقول فيه : « إلهي يا رحمن الوجود ، يا من وسعت كل شيء رحمة وعلما ، ظهرت رحمتك في كل ذرات الوجود والعالم ، فلا نرى شيئا الا ونقرأ من آيات رحمتك ما يجذبنا إليك ، ويطمئن قلوبنا بواسع حنانك » .

وصاغ دعاء لاسم « الرحيم » يقول فيه : إلهي رحمتك بالعوالم دلتنا على وسعة الحنان ، فاطمأنت قلوبنا بأنك الرحيم بجميع الأكوان ، وأنت تحب الرحمة لأنها صفتك ، ونحن المستحقون لها ، لأن عيوبنا كثيرة ، فانشر علينا رحمتك لتكون عيوننا بك قريرة وأوصل أرواحنا بحبيبك الرءوف الرحيم ، ولنستمد من أخلاقه فنكون منه على الصراط المستقيم ، وأن تثبت في قلوبنا خلق الرحمة فانه اكبر نعمة ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

نحو وعي صحي أفضل

ودار الزمان دورته وأضحى المسلمون على مشارف قرن هجري جديد من هجرة رسول الله وخاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه والتابعين . والذي ينظر إلى عالمنا الاسلامي شرقا وغربا يرى بشائر صحوة إسلامية تتمثل في المطالبة بتطبيق منهج الله في مختلف مجالات الحياة . ولئن كانت تلك الصحوة أشبه بيقظة النائم الذي لا يزال في فراشه !!! فانا نسأل الله أن تبلغ غايتها حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . وكم نود أن تكون صحوة المسلمين مقرونة بوعي صحي شامل وأن يكـــون مع النهضة الاسلامية نهضة صحية عامة تشمل صحة النفس وصحة الجسم ، وأساس صحة النفس هو سلامة العقيدة مهما حاول المغالطون أن يحولوا بين الانسان وبين الايمان بخالقه . وقد يعجب البعض إذا تمنينا وعيا ونهضة بصحة الجسم بيد أن تلك العجب سوف يزول بعد الفراغ من قراءة هذا المقال المتواضع . ذلك أن نعمة الصحة من أجل نعم الله على عباده ولا يعرف حلاوتها إلا من ذاق

للدكتور : غريب جمعه

مرارة الأوجاع والأسقام ، أما عن أثرها على نشاط الأفراد والمجتمعات فحدث ولا حرج .

بل لقد كانت جسامة البدن إحدى مؤهلات طالوت لزعامة وقيادة الملأ من بني إسرائيل حينما أخبرهم نبيهم أن الله قد اختاره ملكا عليهم فقالوا بلسان التعصب الوراثي والفكر المادي - شأنهم دائما - كيف يكون ملكا علينا ونحن - تأمل كلمة نحن - أولى بالملك منه وليس لديه مال كثير . يقول الحق تبارك وتعالى : (**وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم**) البقرة/٢٤٧ .

كما كانت قوة البدن إحدى مؤهلات موسى عليه السلام لاختياره أجيرا عند الرجل الصالح الذي زوجه إحدى ابنتيه ، يقول الله عز وجل : (**قالت إحداهما يا أبت استئجره إن خير من استأجرت القوى الأمين**) القصص/٢٦ .

من أجل ذلك كانت عناية الاسلام بالصحة والعافية وبأسباب الحفاظ عليهما والوقاية من الأمراض والأوبئة والاهتمام بالنظافة ، وإليك أيها القارئ الكريم باقة من توجيهات الاسلام في هذا المجال لترى سبقه الذي لا يدانيه سبق ، وعظمته التي لا تبلغها عظمة ، وعسى أن تكون هذه التوجيهات هاديا إلى مزيد من الرعاية الصحية ، وباعثا على المـزيد من النظافة حتى لا يظن أناس أن تراكم الأوساخ على البدن عبادة !! وأن الضعف والتماوت زهادة !! وأن قبح المظهر قربى إلى الله !! وأن تعذيب البدن بالاجهاد باب إلى محبة الله إلى آخر هذه المفاهيم السقيمة والبعيدة عن روح الاسلام .

اولا : مدح الصحة والعافية

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » رواه احمد ومسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه . ويقول أيضا : « يا أيها الناس : إن الناس لم يعطوا في هذه الدنيا خيرا من اليقين والمعافاة فسلوهما الله عز وجل » أخرجه الامام أحمد في مسنده باسناد حسن .

على أن العافية التي يمتدحها رسول الله ويوصى بسؤالها الله عز وجل ليست هى العافية التي تحيل أصحابها إلى قطيع من الثيران البشرية يصارع بعضه بعضا ليصرعه أو يسدد اللكمات إلى وجهه في قوة وعنف . نعم : لتكن رياضة ، ولكن في ظل الاسلام والتحلي بالخلق الكـــريم ، ولتكن عافية ولكن مع استخدامها في طاعة الله ونفع المجتمع .

ثانيا : في مجال الصحة البدنية والنظافة الشخصية

١) يقول الحق تبارك وتعالى : **(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)** الأعراف/٣١ . وتوجهنا هذه الآية الكـــريمة إلى الاعتدال في المأكل والمشرب حتى لا نصاب بمضاعفات كثيرة ليس هنا مجال تفصيلها . وقديما قال « الحارث بن كلدة » الطبيب العربي المشهور : (المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء) (ليس نلك القول حديثا نبويا كما يجرى على ألسنة الكثيرين) .

وقد نفر الرسول صلى الله عليه وسلم من الجشاء أو التكرع بقوله : « كف عنا جشاءك فان أكثركم شبعا في الدنيا أطولكم جوعا يوم القيامة » رواه الترمذي . ولا يعتبر الجشاء ظاهرة صحية لأنه ينتج عن دخول هواء إلى المعدة أو عن تراكم غازات بها نتيجة لعسر الهضم .

ومن العجب أن تبدأ رأس العبادات في الاسلام وهى الصلاة بالوضوء ، حيث يقول الحق تبارك وتعالى : **(يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكـم إلى المـــرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين)** المائدة/٦ . وإذا كان الوضوء يعتبر فترة انتقال بين شواغل الدنيا وبين الاشتغال بالله عز وجل وحده حينما يقف الانسان بين يديه للصلاة حتى يتحقق له الخشوع المطلوب ، فان له فوائد طبية كثيرة كنظافة الفم بالمضمضة المتكررة التي تؤدي إلى الوقاية من أمراض اللثة والأسنان والاستنشاق الذي يعتبر من أهم أسباب الوقاية من الاصابة بالزكام خصوصا إذا كان بماء بارد . أما غسل الوجه واليدين ومسح الأذنين فهو من أهم أسباب وقايتها من الأمراض الجلدية حيث أن كثيرا من الميكروبات وطفيليات بعض الديدان والفطريات يصيب الانسان عن طريق التسلخات الموجودة بالجلد الناتجة عن « الهرش » بسبب عدم النظافة .

وإذا كانت الصلاة لا تصح إلا بوضوء فانها أيضا لا تصح إلا في ثوب ومكـــان طاهرين لنلك كان الرسول يستاء إذا رأى مسلما لا ينظف ثوبه ويقول لأصحابه : « أما يجد هذا ما يغسل به ثوبه » (رواه أبو داود) فعلى الذين يذهبون إلى المساجد لحضور الجمع والجماعات

ألا ينسوا ذلك التوجيه الكريم ولا توجيه القرآن الكريم (**يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد**) الأعراف / ٣١ .

ولم يكتف الاسلام بالوضوء ونظافة الثوب والمكان فقط بل اختص رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أجزاء الجسم بتوجيهات خاصة كما يلي :

٢) خمس من الفطرة :

يوصى الاسلام أبناءه بخمسة أمور يميل إليها الذوق السليم وهى : تقليم الأظافر التي تعتبر مخابئ للميكروبات مهما بالغ الانسان في نظافتها لأنه لا يرى شيئا بعينه المجردة ولو كان في إطالتها خير لنصح الرسول بذلك . فهل يفهم ذلك السيدات اللائي تسبق أظافرهن أيديهن إلى الطعام بصورة تثير التقزز وتفقد الانسان شهيته للطعام . والختان الذي يؤدي إهماله إلى الأضرار الآتية : ١ ـ التهاب الأعضاء التناسلية ٢ ـ التصاق القلفة وتقطع البول ٣ ـ سرطان الأعضاء التناسلية الذي ينتقل إلى الزوجة .

وحلق العانة الذي يؤدي إهماله وكذلك نتف الابط ـ إلى الاصابة بنوع معين من « القمل » يسمى قمل العانة وقد ينتقل باللمس المباشر أو من المراحيض الملوثة به ويحدث لدغه حكة شديدة تزداد بالهرش وحلق الشعر يؤدي إلى إزالته فورا دون علاج ومعروف أن القمل ينقل ميكروبات بعض الأمراض وعلى رأسها « التيفوس » ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خمس من الفطرة : الاستحداد (حلق العانة) والختان وقص الشارب ونتف الابط وتقليم الأظافر » أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي .

٣) غسل اليدين قبل وبعد تناول الطعام :

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « بركة الطعام الوضوء قبله وبعده » رواه أحمد والترمذي .

ولا شك أن غسل اليدين قبل الطعام يمنع كثيرا من الميكروبات من الوصول إلى القناة الهضمية مثل ميكروبات التيفود كما أن غسلهما بعده من ضروريات النظافة . كما يأمر الرسول أن يكون تناول الطعام باليد اليمنى إذ أن اليسرى قد تكون ملوثة بميكروبات أو بويضات بعض الطفيليات نتيجة ملامستها للشرج وقت الاستنجاء . يقول صلى الله عليه وسلم : « يا غلام سم الله وكل بيمينك » رواه البخاري ومسلم .

٤) غسل اليدين بعد اليقظة من النوم :

لا شك أن النائم لا يدري ما حوله ولا يتحكم في حركة يديه وقد يضعها

على مرض في بشرته أو يمس بها عورته لذلك كان من السنة أن يغسلها حينما يستيقظ من نومه ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الاناء حتى يغسلها ثلاثا فانه لا يدرى أين باتت يده » رواه البخاري ومسلم .

٥) غسل اليدين بعد قضاء الحاجة :

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من مس ذكره فليتوضأ » أخرجه الترمذي عن بسرة بنت صفوان رضى الله عنها .

٦) نظافة الفم والأسنان :

من المعروف أن إهمال نظافة الفم والأسنان يؤدي إلى تخمر فضلات الطعام وتكاثر الميكروبات فتنبعث منه رائحة كريهة تؤذي المخالطين للانسان خصوصا إذا كان في مسجد . كما أنها تؤدي إلى التهاب اللثة واللوزتين لذلك يوصى الرسول الكريم باستعمال السواك بصفة عامة ـ وقد ثبت أنه يقوي اللثة ويطيب رائحة الفم ـ إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب » أخرجه النسائي وابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها .

ثم يحدد مناسبات خاصة لاستعماله مثل القيام للصلاة والاستيقاظ من النوم . حيث يقول عليه السلام : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » رواه أحمد في مسنده والدارمى في سننه .

وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك ، أخرجه البخاري ومسلم . وفي رواية عنه : « كنا نؤمر بالسواك إذا قمنا من الليل نشوص أفواهنا بالسواك » أخرجه النسائي .

٧) نظافة الشعر

انتشرت في هذه الأيام ظاهرة إطالة الشعور بصورة منفرة بين الشباب المسلم كما يفعل « الخنافس » ظنا منهم أن ذلك من مظاهر المدنية وما علموا أن ذلك من مظاهر التأخر والبدائية لأن إنسان الكهوف كان أطول منهم شعرا ، وأكثر منهم تحللا وتفلتا من القيم والقيود ، ومع ذلك فهو بدائي قذر . وقد يغيب عن أذهان الكثيرين منهم أن « الخنفسة » فكرة يهودية نشأت حينما عرض على شاشات السينما في أمريكا فيلم « اليهودي التائه » وظهر فيه الممثلون اليهود ومن شابههم في أهدافهم بشعورهم الطويلة وغير ذلك من مظاهر الخنفسة الشاذة ، التي قلدها الشباب هناك دون وعي ثم سرت العدوى إلى عالمنا الاسلامي ، فهل يقبل شبابنا المسلم أن يتشبه باليهود ؟

والمعروف أن إطالة الشعر أكثر من

اللازم تؤدي إلى عدم الاهتمام بنظافته كما ينبغي فتتجمع القاذورات نتيجة إفراز العرق والمـواد الدهنية التي تعوق وظائف الجلد فتضعف بصيلات الشعر ويتساقط وتلتهب فروة الرأس نتيجة الهرش المتكرر . أما نظافة الشعر فانها تؤدي إلى تفتح مسام فروة الرأس وتنشيط الدورة الدموية فيها فيتغذى الشعر ويقوى ولا يتساقط وما أحسن توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم ألا وهو : « من كان له شعر فليكـرمه » رواه أبو داود ، أي يتعهده بنظافته وتمشيطه ودهانه . وعن عطاء بن يسار رحمه الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فدخل رجل ثائر الرأس واللحية فأشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اخرج كأنه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته ففعل ثم رجع فقال صلى الله عليه وسلم : « أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان » رواه مالك ، فهل يقبل أبناء المسلمين أن يكونوا أشباه شياطين ؟

٨) نظافة السبيلين

لا شك أن المـواد المخرجة من السبيلين كالبول والبراز من أقذر وأخطر المواد ، ولذلك كانت نظافتهما أمراً حتمياً على ألا يكون ذلك بتكرار استعمال الورق الخفيف لأنه قد يؤدي إلى التهابات موضعية ولا باستعمال الروث أو العظام وإنما يكـــون بالاستجمار والاستنجاء ، والاستجمار يكون بثلاثة أحجار يقول صلى الله عليه وسلم : « إذا ذهب أحدكم إلى الغائط فليذهب ومعه ثلاثة أحجار يستطيب بهن فانها تجزئ عنه » أخرجه أبو داود والنسائي ، أما الاستنجاء وهو الغسل بالماء فهو أكمل للنظافة ولابد من غسل اليد التي استعملت في الاستنجاء كما أشرنا سابقا . عن معاذة بنت عبدالله العدوية : أن عائشة رضي الله عنها قالت : « مرن أزواجكن أن يستطيبوا بالماء فاني أستحييهم منه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعله » أخرجه الترمذي والنسائي .

ثالثا : في مجال ضبط الانفعالات العصبية والنفسية

لكي تعرف أيها القارئ الكريم عظمة توجيه الاسلام في ذلك المجال يجمل بك أن تعرف أثر الغضب وتوتر الأعصاب على أجهزة الجسم المختلفة . يتأثر ما يسمى « بالهيبوثلامس » (تحت المهاد) في الجزء المتوسط من المـــخ ويرسل إشارات إلى الغدة النخامية والغدة فوق الكلية فتفرز مادة « الأدرينالين » الذي يزيد من سرعة ضربات القلب وارتفاع ضغط الدم وزيادة الدورة الدموية في الأطراف كما لو كان الشخص يتأهب لخوض معركة حامية كما أن توتر الأعصاب المستمر يؤدي إلى اضطرابات في مركز التحكم في الدورة الدموية وبذا يرتفع

ضغط الدم وتتأثر تبعا لذلك شرايين القلب أو شرايين المخ وأعصاب المعدة وتنتهي الحالة بمأساة كالذبحة الصدرية ، وكم سمعنا عن نوبات قلبية تصيب الأشخاص بعد مشادة عنيفة وتودي بحياتهم . وقد يحدث نزيف في المخ أو ازدياد حموضة المعدة . (انظر الرسم) لذلك كان توجيه الله لعباده حتى يرحموا أنفسهم ولا يقتلوها قتلا بطيئا بمثل هذه الانفعالات . يقول تعالى معلما الأمة في شخص رسوله الكريم : **(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)** الأعراف/ ١٩٩ ، روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما نزلت هذه الآية قال : قلت ما هذا يا جبريل ؟ قال : إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك . وما أجمل توجيه النبي في ذلك المجال أيضا : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أوصني . قال : « لا تغضب » فردد مرارا قال لا تغضب رواه البخاري ، وحتى لا يكون هذا التوجيه مجرد كلام نظري يضرب لنا الرسول المثل بنفسه فعن أنس رضى الله عنه قال : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه جبذة شديدة فنظرت الى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال : يا محمد مر لى من مال الله الذي عندك . فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء » متفق عليه ، ويتأسى سلفنا الصالح بالرسول حيث يقول الامام الشافعي رضى الله عنه :

قالوا سكت وقد خوصمت قلت لهم
إن الجواب لباب الشر مفتاح
فالعفو عن جاهل أو أحمق أدب
نعم وفيه لصون العرض إصلاح
إن الأسود لتخشى وهى صامتة
والكلب يحثى ويرمى وهو نباح

رابعا : في مجال مخالطة المريض :

يوصي الاسلام المريض ألا يختلط بأحد إذا كان مرضه معديا وعلى السليم أيضا أن يبتعد عن ذلك المريض الذي يجب أن يعزل في مصحة خاصة ، ويعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك : فقد أخرج الامام مسلم من حديث عمرو بن الشريد الثقفي عن أبيه أنه قال : كان في وفد ثقيف رجل مجزوم فأرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا قد بايعناك فارجع » كما يوصي الاسلام أن تكون زيارة المريض بعد الأيام الثلاثة الأولى من بداية مرضه ويعلق السيد الدكتور محمود ناظم نسيمي على ذلك بقوله : « ولقد تبين في عصرنا الحديث أن الكثير من الأمراض الشائعة كالانفلونزا ونزلات البرد يكون سريانها شديدا في ايام الأولى من الاصابة أي في الدور النزلي وإنه لشطط أن يتعجل الناس عيادة المريض في تلك الأيام الثلاثة من كل مرض دون وجود مبرر لذلك مثل تقديم العون الى المريض وإلى أسرته ودون مراعاة لاعتبارات عديدة مثل ضيق

بيت المريض أو انشغال ذويه في إعداده أو في استشارة الطبيب وجلب الدواء ، أما الأحاديث التي تفيد زيارة المريض في الأيام الأول فتحمل ـ والله أعلم ـ على ظروف خاصة كحاجة المريض إلى معونة الأخرين بسبب فقره أو قلة المساعدين في بيته وغير ذلك » .

ولهذا فان على زوار المرضى بالمستشفيات وفي البيوت ألا يتكاثروا حول المريض تكاثرا يقض مضجعه ويقلق راحته وراحة أهله وراحة العاملين بالمستشفى بسبب تقديم التحايا لهم ، أو بسبب إزالة مخلفاتهم وعليهم أن يختاروا الوقت المناسب للزيارة ولا داعي لحمل الأطعمة التي تتعارض مع حالة المريض حتى لا تزداد سوءا ، صحيح أن من حق المسلم على أخيه المسلم أن يعوده إذا مرض ولكن بأي طريقة وبأي أسلوب يؤدي هذا الحق ؟ هذا هو ما نلفت النظر اليه .

خامسا : في مجال الوقاية من الأوبئة والمحافظة على صحة المجتمع :

١ ـ وقاية الطعام من التلوث :

كثير من الناس يتركون الطعام مكشوفا إما جهلا أو كسلا فاذا نصحتهم بتغطيته منعا للتلوث بالأتربة والميكروبات المختلفة التي تنقلها الحشرات مثل الذباب والصراصير قالوا لك في بلاهة عقلية ، عجيبة : (توكل على الله والشيء الذي من نصيبك يصيبك) ألا فليعلم هؤلاء الناس أن الاسلام لا يعرف تلك البلاهة العقلية بل ويرفض رفضا باتا مثل ذلك القول المتهافت ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غطو الاناء وأوكئوا السقاء فان في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء »(رواه مسلم) وكأنما يرى الرسول بنور النبوة من وراء حجب الغيب أن للأوبئة فصولا معينة وهذا صحيح علميا كما أن بعض الحشرات التي تنقل الميكروبات تنشط بالليل حينما يهجع الناس .. حقا إنه لرسول الله ، وينهي رسول الله عن النفخ في الشراب فقد يكون النافخ حاملا لميكروب مرض معين ينتقل مع النفخ الى ذلك الشراب فيصيب غيره ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ، نهى عن النفخ في الشراب فسأله رجل : القذارة أراها في الاناء فقال : « أهرقها » (رواه الترمذي) ولذلك فان على أصحاب محلات بيع اللحوم والبقالة والمطاعم والفاكهة والخضروات وغيرها أن يستجيبوا لهذه التوجيهات النبوية ، ويغطوا ما يبيعونه للناس باعتبار أن هذه تعليمات الرسول قبل أن تكون تعليمات الدولة وأن لهم الأجر إن فعلوا وعليهم الوزر إن قصروا .

٢ ـ وقاية الشراب :

يرفض الاسلام أن يشرب أكثر من فرد من إناء واحد ، أو يضعوا أفواههم على مصدر الشرب وطالب أن يشرب كل منهم في وعاء خاص به ،

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها ـ « نهى رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يشرب في السقاء لأن ذلك ينتنه » وعن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « نهى عن اختناث الأسقية » واختناثها كسر أفواهها (رواه مسلم) وقد ثبت علميا ان كثيرا من الأمراض ينتقل بواسطة اللعاب والشفتين كالتيفود والدفتريا والانفلونزا .. الخ . وعلى ذلك فان عادة اجتماع فريق من الناس في مجلس واحد للتدخين بوسيلة واحدة يضعها كل منهم على فمه يعتبر من أخطر الوسائل لنقل الأمراض المعدية (وتختلف تسمية تلك الوسيلة من بلد الى بلد فأحيانا يطلق عليها « الجوزة » او « الشيشة » الى آخر الأسماء التي يعرفها المدخنون .

٣ ـ وقاية مصادر المياه :

تختلف مصادر المياه باختلاف الأماكن ، فمنها الترع والأنهار والآبار وأحيانا البحار المالحة التي قد تستخدم مياهها للغسل أو للشرب بطريقة خاصة ، وقد حذر الاسلام من تلويث تلك المصادر بالقاء القاذورات والحيوانات الميتة ، والنجاسات او مخلفات المجاري وحرم التبول والتبرز فيها واعتبر ذلك من أسباب لعنة الله يقول صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الملاعن الثلاث : البراز في الموارد وفي الظل وفي طريق الناس » (رواه أبو داود وابن ماجة) ويقول ايضا : « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم (الراكد) ثم يتوضأ فيه فان عامة الوسواس منه » رواه احمد وابن ماجة والترمذي والنسائي ، وعلى ذلك فاننا باسم الاسلام نطالب اخوتنا من المسلمين الذي يقيمون قريبا من مصادر المياه المختلفة أن لا يبولوا أو يتبرزوا فيها أو قريبا منها حتى لا يصابوا بأوبئة مختلفة أخطرها « البلهارسيا » التي تمتص رحيق العافية من أبدانهم وتحيلهم الى أشباح بسبب تأثيرها الضار على الكبد وغيره من أعضاء الجسم ، وعليهم أن يقضوا حاجتهم في الأرض الجافة ثم يغطوها بالتراب رحمة بأنفسهم وبغيرهم ، وعلى السادة الوعاظ والخطباء في الأرياف أو الأحياء القريبة من مصادر المياه أن يتناولوا هذه الموضوعات في خطبتهم وهم بحمد الله لا يعوزهم أسلوب التناول ، وللدين سلطانه على النفوس الذي لا ينكر ، وعلى وسائل الاعلام المختلفة أن تقدم برامج للثقافة الصحية في صورة مبسطة ومحببة للنفوس بدلا من طوفان الأغاني والمسلسلات الهابطة التي لا تمس مشكلات الناس من قريب أو بعيد خصوصا وقد غزا التلفاز (التلفزيون) القرى بسيئاته وحسناته واقتحم على الناس حجرات نومهم .

٤ ـ نظافة البيوت والشوارع :

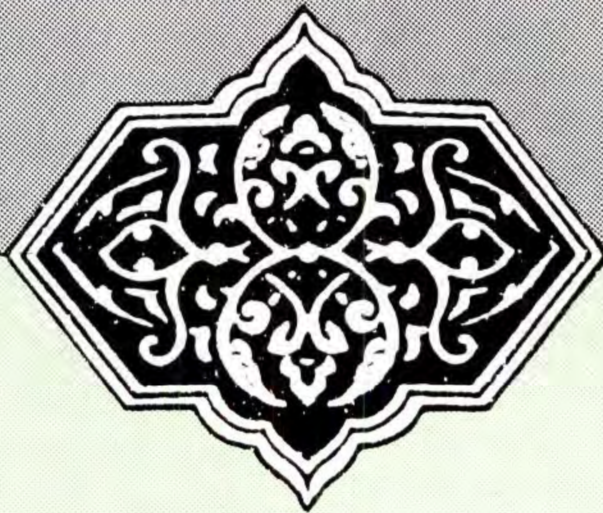
كثير من مدن المسلمين تمتلئ شوارعها بالقاذورات التي تعتبر بيئة خصبة لنمو الحشرات وتكاثرها والتي تشوه جمال المدن بصورة تثير

الأعصاب وعلى العكس من ذلك مدن غير المسلمين ـ مع الأسف ـ ولو علم المسلمون أن دينهم يفرض عليهم نظافة بيوتهم ومدنهم ويعتبر من يتسبب في القذارة مستحقا للعنة الله والملائكة والناس أجمعين لكانت مدنهم من أكثر المدن نظافة وبيوتهم كذلك ، يقول الرسول الكريم : « نظفوا بيوتكم ولا تشبهوا باليهود التي تجمع الأكباء في دورها » رواه مسلم والترمذي ، الأكباء القاذورات ويأمرنا بنظافة الشوارع قائلا : « من سمى الله ورفع حجرا أو عظما أو شجرا من طريق الناس مشى وقدزحزح نفسه من النار » رواه مسلم والنسائي ، ويقول : « من آذى المسلمين في طريقهم وجبت عليه لعنتهم » رواه مسلم ، كما ينهي صلى الله عليه وسلم عن التبول والتبرز في الشوارع فيقول : « اتقوا الملاعن الثلاث : البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل » رواه ابو داوود وابن ماجة ، بل بلغ به الأمر أن ينهي عن البصق على الارض فقد يكون من يبصق مصابا بالسل الذي ينقل الهواء ميكروباته الى الشخص السليم ، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « البصاق على الأرض في المسجد خطيئة وكفارتها ردمها » رواه مسلم .

والآن ايها المتعجب .. أظن عجبك قد زال بعد أن رأيت الاسلام وقد وضع للمسلم من التعاليم ما يجعله نمونجا يحتذي في نظافة نفسه وبيته وبلده وما يحفظ عليه نعمة الصحة ، ترى هل يرتفع أبناء الاسلام إلى مستوى هذه التعاليم مع بداية القرن الجديد ؟ هذا أمل نرجوه ، ولقد انتزعت تعاليم الاسلام شهادة رجل من قوم عدو لنا ـ والفضل ما شهدت به الأعداء ـ ذلك الرجل هو « برناردو شو » حيث يقول في كتابه حيرة الأطباء : « إن الاسلام هو الدين الوحيد بين الأديان السماوية الذي اهتم بالنظافة وجعلها جزءا لا يتجزأ من العبادات وإنه بفضل تعاليم الاسلام حمى الله الشعوب التي اعتنقته من كثير من الأوبئة التي كانت تفتك بأوروبا في العصور الوسطى قبل نهضتها » ... يا ليت قومي يعلمون ..



القدس عربية
ولو كره المعتدون



القدس عربية ..
هذه حقيقة واقعة ومؤكدة ، يشهد بها التاريخ الثابت .
القدس عربية ..
وكل من يحاول الجدال في هذه الحقيقة ، وطمسها فهو مشوه للتاريخ ، مغالط للواقع .
القدس عربية .. بأرضها ، واهلها ، وتاريخها ، وماضيها ، ولعل هذا ما يدفع العرب الى التمسك بهذه الحقيقة الثابتة ، واستنكار محاولات تشطير القدس ، ومحاولات اسرائيل لاغتصاب هذا الجزء العزيز من ارض العروبة بغير حق .
واذا كانت القدس عربية حقا وصدقا ، فما هو ادعاء الصهيونية ، بأن لها حقا في القدس ، وعلام يستند هذا الادعاء ؟

للاستاذ : سعد صادق محمد

للاجابة على هذا السؤال ، ينبغي علينا الرجوع الى تاريخ فلسطين البعيد لأمكان الحصول على إجابة تاريخية واضحة ، وصحيحة مدعمة بالأدلة والبراهين .

لمحة عن فلسطين :

يجمع المؤرخون على أن فلسطين القديمة ، هي وطن الكنعانيين ، وكانت تعرف ببلاد كنعان ، وقد استوطن الكنعانيون هذه البلاد منذ فجر التاريخ ، وقبل ان تعرف باسم « فلسطين » ، وقد لحق بها هذا الاسم بعد أن هاجر اليها قبائل اليونان من جزيرة كريت ، والقبيلة الاولى التي هاجرت الى هذه البلاد تسمي « فلستيا » Philistia فسكنت السهل الساحلي من البلاد ، فسمي السهل الساحلي الذي وقع تحت سيطرتها بـ « فلسطين » ثم امتد هذا الاسم فيما بعد الى كل البلاد في القرن الثاني الميلادي ، وسميت « فلسطين » .
أما القبائل الكنعانية التي استوطنت « فلسطين » قديما ، فقد خرجت من شبه الجزيرة العربية « منبت الأسرة السامية » ، وتروي كتب التاريخ ، أن هناك موجات عربية كانت تقذفها الجزيرة العربية حينا بعد حين ، وكانت هذه الموجات من القبائل تضطر الى الهجرة خارج الجزيرة العربية بسبب البحث عن الكلأ والمرعى ، أو بسبب وقوع الغارات والغزوات ، او بسبب وقوع الحوادث الطبيعية الجارفة ، كالطوفان والقحط ، وغير ذلك من الاسباب التي كانت تجبرهم على الهجرة من الجزيرة العربية .
وكان الكنعانيون يؤلفون الموجة السامية الثانية التي قذفتها الجزيرة العربية حوالي عام ٢٥٠٠ق.م .
فالكنعانيون إذن من أصل عربي ، ويذكر المؤرخون أنهم من العرب البائدة ، ويؤكد هؤلاء المؤرخون ايضا ، أن الكنعانيين ، من القبائل العربية التي استوطنت فلسطين منذ ألفي وخمسمائة عام قبل الميلاد .

غزوتان لأرض كنعان العربية :

وبعد حوالي الف وخمسمائة عام من الحكم الكنعاني لأرض كنعان ، تعرضت هذه الأرض لغزوتين حدثتا في فترتين متقاربتين ، إحداهما من الغرب ، والثانية من الشرق .

اما الغزوة الاولى التي جاءت من الغرب ، فقد قامت بها قبيلة « فلستيا » **Philistia** من جزيرة كريت باليونان ، فاحتلت هذه القبيلة ، السهل الساحلي ، وقد سميت البلاد كلها فيما بعد باسمهم ، وعرفت باسم « فلسطين » .

اما الغزوة الثانية ، فهي غزوة العبرانيين **Hebrews** ويقال إنهم سموا بالعبرانيين ، إما لعبورهم نهر الفرات ، واما لعبورهم نهر الأردن من الشرق ، وقد سموا بعد ذلك بالاسرائيليين نظرا لدعواهم أنهم من ذرية يعقوب المعروف بـ إسرائيل ويعقوب هو حفيد ابراهيم الخليل من ولده اسحاق ، وأطلق عليهم اسم « اليهود » .

والعبرانيون ينسبون الى ابراهيم عليه السلام ، الذي هاجر مع أهله وعشيرته من أور جنوب العراق الى منطقة عرفت فيما بعد باسم « الخليل » نسبة الى ابراهيم عليه السلام . وفي الوادي القريب من مدينة الخليل أخذوا يرعون ماشيتهم ، وتذكر التوراة ، أن أبناء ابراهيم عليه السلام رحلوا الى مصر ، فتكاثروا وتناسلوا فيها ، ولما استعبدهم فرعون ، واستذلهم ، وأهانهم ، وضاقت بهم الحياة في كنف فرعون ، خرجوا بقيادة موسى عليه السلام ، وظلوا يتجولون سنوات عديدة في صحراء التيه التي تفصل بين مصر وفلسطين حيث نزلت في طور سيناء الوصايا العشر .

وقد نشأ خلال إقامة العبرانيين في التيه ما يسمى « بالتاريخ السياسي الوطني لليهود » ، وفي هذه الحقبة وضع رؤساؤهم سلسلة من المبادىء والتعاليم ، وكتب عدد منهم ، أسفار العهد القديم من التوراة » .

وبعد وفاة موسى عليه السلام ، قاد يوشع قافلة الاسرائيليين التائهين ، حتى وصلوا الى « أريحا » في مشارق فلسطين ، فدمروا « أريحا » وقتلوا جميع اهلها .

ولم يمض قرن تقريبا على هذا الحادث ، حتى كان العبرانيون قد تمكنوا من غزو « المرتفعات » في فلسطين ، ومارسوا في اثناء ذلك ضروبا من القسوة والوحشية والابادة ضد اهل فلسطين ، ولكن الاسرائيليين لم يتمكنوا من طرد « الشعب الاصلي لفلسطين » وابادته ، وظلت السهول الساحلية بمدنها المحصنة في ايدي « الكنعانيين » سكانها الأصليين .

ثم كانت المملكة الاسرائيلية التي حكمها « داود » ومن بعده سليمان عليهما السلام ، ويؤكد المؤرخون ان هذه الدولة في عهد سليمان ، كانت دولة رمزية وان السيادة الحقيقية فيها كانت لمصر .

انقسام الاسرائيليين وتشتتهم :

بعد وفاة سليمان عليه السلام ، لم يستطع الاسرائيليون ان يحتفظوا بوحدتهم فقامت بينهم منازعات مستمرة ، وصراعات دائمة ، وانتهى امرهم الى

الانقسام ، فانقسموا الى مملكتين « مملكة إسرائيل » في الشمال « وقامت حول مدينة السامراء شمال نابلس ثم « مملكة يهوذا » في الجنوب ، وقامت حول مدينة « أورشليم » .

والامر الذي نريد ان نلفت النظر اليه ، ان نفوذ هاتين الدولتين « مملكة اسرائيل » و« مملكة يهوذا » لم يشمل كل فلسطين وانما اقتصر على ما حول هاتين الدولتين ، اما الفلسطينيون ، فقد احتفظوا بالسهول والتلال المنخفضة من السهل الساحلي ، والمرتفعات ، ثم لم تلبث هاتان الدولتان ، ان دخلتا في منازعات مستمرة فكانت مملكتهما مسرحا للفوضى والاضطراب والقتال من اجل السيطرة على البلاد وكما قامت بينهما حروب ومنازعات ، قامت ايضا منازعات بين كل دولة من الدولتين ، وبين الكنعانيين تارة ، وبين الفلسطينيين تارة اخرى .. واخبار هذه المنازعات حافلة بها صفحات التوراة .

وفي عام ٧٢٢ق.م حاصر الاشوريون « مملكة اسرائيل » فدخلها « سرجون » ودمر المملكة .

وفي عام ٥٨٦ق.م غزا « بختنصر » ملك بابل ، « مملكة يهوذا » واستولى على « اورشليم » ودمر الهيكل الذي بناه سليمان عليه السلام لليهود ، واعمل القتال فيهم واسر من تبقى منهم ، واخذهم معه الى بابل ، وهذا الغزو هو ما يعرف « بالسبي البابلي » ولم يبق في اورشليم سوى عدد ضئيل من اليهود ، وقد دامت فترة الأسر البابلي لليهود « سبعين عاما » .

وبعد سقوط الامبراطورية البابلية وخضوع فلسطين ، وكل بلاد الشام للحكم الفارسي فكر الملك كوريس ملك فارس في غزو مصر ، والسيطرة عليها ، فرأى ان يستعين بيهود السبى البابلي كمرشدين ، وأدلاء الى مصر اما الارض التي كان يسكنها الاسرائيليون في فلسطين ، قبل السبى البابلي لهم ، فقد اسكنها الأشوريون أسراهم ، وكان الفلسطينيون الذين قدموا من « كريت » ما زالوا ايضا محتفظين بالسهل الساحلي ، والتلال التي وراءه ، وكان قليل من اليهود قد تسلل الى فلسطين ، اثناءالحكم الفارسي لفلسطين ، وهؤلاء المتسللون لم يقبلهم سكان فلسطين من الكنعانيين او الفلسطينيين سكان السواحل ، اما اكثر الاسرائيليين فقد فضلوا الاقامة في بابل ، حيث كانت احوالهم قد استقرت ، وازدهرت اعمالهم ، وحيث اعتادوا اقامة طقوسهم الدينية .

وفي عهد الرومان ، حيث دخل جزء من فلسطين تحت سيطرتهم ـ قام اليهود بثورة ضد الرومان عام ٦٦م ، ونجحوا في الاستيلاء على « اورشليم » فعاقبهم الامبراطور الروماني تينوس بقسوة ، واحرق اورشليم ودمر الهيكل ، وارسل الالوف من اسرى اليهود الى روما .

ثم حدثت ثورة يهود اخرى عام ١٣٢م ، بقيادة باركوبا ولكنها اخمدت ، ودمر الرومان اورشليم ، كما دمروا معبد « جوبيتر » الذي اقيم مكان « هيكل سليمان » وخرج اليهود وتشتتوا في بقاع الارض ، وانبثوا في شمال افريقيا ،

وآسيا ، واوروبا وعاشوا في هذه المجتمعات احقابا طويلة ، لا تربطهم بفلسطين اية صلة من قريب او بعيد ، تاريخية ، او غيرها .
ومما هو جدير بالذكر ان « الحياة العربية » لم تنقطع طوال غزوات العبرانيين أو الفرس ، أو الاغريق ، أو الرومان ، فقد استمر الشعب العربي « الكنعانيون » مستوطنا لبلاده « فلسطين » يتعاقب عليه الغزاة والفاتحون .
ومع أن هذه الغزوات ، قد أثرت الى حد ما في حياة المجتمع الفلسطيني سواء من ناحية تقاليده او من ناحية حضارته ، إلا أن حياة الشعب العربي ـ بكل ما لها من خصائص ومقومات ـ لم تصطبغ بصبغة الفاتحين .
ويؤكد المؤرخون ان فلسطين عندما دخلت في القرن السابع الميلادي في حوزة الحكم العربي الاسلامي ، كانت صبغتها اليهودية ، قد تلاشت تماما منذ زمن بعيد جدا .

سوء سلوك اليهود وانعزالهم .

ثم ظل اليهود يعانون من التشتيت في المجتمعات الأوروبية ، وذلك بسبب سوء اخلاقهم وتصرفاتهم ، حيث اتهموا بمسئوليتهم عن دم المسيح عليه السلام ، وحيث كانوا يعملون في النشاط التجاري والمالي الذي اتخذ شكل الاقراض بالربا ، واستغلالهم لعناصر غير يهودية ، فكان سلوكهم هذا ، مصدر ما كانت تعانيه الطبقات الكادحة من بؤس وفقر ، بسبب إقراضهم هذه الطبقات بالربا ، وإثقالهم لهم بالفوائد المرهقة ، وهذا السلوك الشائن سبب سخط المجتمعات الاوروبية عليهم ، واضطهادهم لهم ، كما تناول هذا السخط والاضطهاد ، مظاهر شتى ففرضت عليهم قيود اجتماعية ، واقتصادية ، وسياسية ، وحرم عليهم امتلاك الاراضي ، ومزاولة الكثير من المهن الحرة ، كما فرض عليهم عدم الاقامة في بعض المدن ، فعزلوا تماما في اقاليم خاصة بهم ، تعرف باسم الجيتو ، وبعض المدن التي كانوا يعيشون فيها كانت تحيط بها اسوار وحوائط عالية ، وكان الدخول والخروج من هذه الأحياء محدودا ، ولم تكن لهم حرية التنقل خارج هذه الاحياء .
والمعروف أن اليهود أقاموا فلسفتهم في ذلك الوقت على ما أصابهم من بطش واضطهاد وتعذيب .

خروج اليهود من حياة العزلة :

ونتيجة للثورة الفرنسية التي نادت بمبادىء الحرية والمساواة والاخاء ، وما ترتب على ذلك من تأكيد لحقوق الانسان ، وظهور معان جديدة للانسانية .. نتيجة لذلك كله ، وجد هناك جو فكري للمناداة بتحرير اليهود ، وانطلاقهم من حياة

العزلة والانطواء « الى حياة التحرر والاندماج » مع المجتمعات التي يعيشون فيها .

وقد كان .. وخرج اليهود من حياة العزلة ، واندمجوا في المجتمعات التي كانوا يعيشون بين ظهرانيها . واصبحوا مواطنين عاديين ، بعد إلغاء القوانين المقيدة لحريتهم ، وبدأت أحوالهم في المجتمعات الاوروبية تتحسن .

ثم بدأ الكتاب الانجليز الدعوة الى استيطان اليهود في فلسطين ، وذلك تحت تأثير حركة الاصلاح الديني في انجلترا ، كما بدأت الدعوة بعد ذلك تنادي بانشاء وطن لليهود في فلسطين ، وقويت هذه الدعوات بعد مناداة « ثيودر هرتزل » ببناء الدولة اليهودية ، ثم أخذت الحركة الصهيونية بعد ذلك في العمل ــ مع اعداء العرب من اجل احتلال فلسطين على نحو ما هو مبين بالمؤلفات التي اهتمت بمشكلة فلسطين .

فلسطين بلد عربي :

ومما تقدم يتضح لنا الآتي :

● أن فلسطين ــ بما فيها القدس ، وغيرها من المدن الفلسطينية ــ بلد عربي ، استوطنها أولا « الكنعانيون » الذين كانوا يؤلفون الموجة السامية الثانية التي قذفتها الجزيرة العربية عام ٢٥٠٠ ق.م . التماسا للمرعى والكلأ ، وهروبا من وقوع الغارات والغزوات او الحوادث الطبيعية .

● أن فلسطين ــ بكل مدنها ــ ظلت محتفظة ، بعروبتها الخالصة إبان غزوات العبرانيين ، أو الفرس ؛، أو الاغريق ، أو الرومان ، إذ ظل الشعب العربي مستوطنا لبلاده ، مستمسكا بعروبته ، حريصا على مقوماته العربية دون أن يتأثر باتجاهات الفاتحين وميولهم . وقومياتهم .

● أن فلسطين لم تكن أرض اليهود في يوم من الايام ، فلم تكن أرض آبائهم ، أو أرض اجدادهم ، ولكنهم قوم غازون لفلسطين ، مغتصبون أراضيها ، مدعون ملكيتها ، طاردون أهلها ، فقد أثبتنا في صدر هذه المقالة ، ان ارض الكنعانيين تعرضت بعد ١٥٠٠ عام من حكمهم الشرعي المستقر ، لغزوتين ، إحداهما : غزوة العبرانيين ــ وهم اليهود الذين جاءوا من الشرق ــ ــ لأنه لم تكن لهم أرض يستقرون بها ، فهم بعد أن خرجوا من مصر ، راحوا يتجولون في حصراء التيه بسيناء ، وظلوا في التيه مدة طويلة ثم رحلوا عنها الى أريحا .

أما الغزوة الثانية : فهي التي جاءت من الغرب ، وقامت بها قبيلة فلستيا من جزيرة كريت باليونان

(للموضوع بقية)

توكل على الله

قال الله تعالى مخاطبا رسوله الكريم : **(يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا . ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا)** . الآيات ٤٥ ـ ٤٨ من سورة الأحزاب .

ما أعددت لمثل هذا ؟

شهد الحسن البصرى جنازة امرأة الفرزدق . فقال للفرزدق : يا أبا فراس ، ما أعددت لهذا المضجع ؟

قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله منذ ثمانين سنة ، فقال له الحسن : هذا العمود فأين الطنب ؟

فقال الفرزدق :

أخاف وراء القبر إن لم يعافنى ... أشد من الموت التهابا وأضيقا
إذا جاءني يوم القيامة قائد ... عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى ... إلى النار مغلول القلادة أزرقا
يقاد إلى نار الجحيم مسربلا ... سرابيل قطران لباسا مخرقا

وسائل دفاع

اقتيد لص إلى محكمة ، وبعد أن وجهت إليه التهمة بسرقة أحد المحلات . جلس في قفص الاتهام ، ثم سأله القاضي : هل عندك ما تدافع به عن نفسك ؟. فأجاب اللص : لا يا سيدى .. فقد جردوني من المسدس والسكين .

مع الجوع .. ومع الشبع

روى الترمذي أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : عرض على ربي أن تكون جبال مكة لي ذهبا . فقلت : لا يارب .. أجوع يوما .. وأشبع يوما .. إن جعت رجوتك ودعوتك ، وإن شبعت حمدتك وشكرتك .

فقير أديب

يحكي أن أعرابيا أتى عليا بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وقال له : إن لي حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك . فان أنت قضيتها حمدت الله ، وشكرتك ، وإن أنت لم تقضها حمدت الله ، وعذرتك . فقال له على : خط حاجتك على الأرض ، فاني أرى الضر عليك ـ وذلك حتى لا يضطره إلى قول ما يؤلم نفسه ـ فكتب الأعرابي على الأرض : إني فقير ..

فقال على لخادمه : ادفع إليه حلتى ـ الفلانية ـ فلما أخذها الأعرابي قال :

كسوتنـــي حلـــة تبلى محاسنها　فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن الثنـــاء ليحيـــى ذكر صاحبه　كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به　فكل عبد سيجـــزى بالـــذى فعلا

فقال على لخادمه : اعطه خمسين دينارا . وقال للأعرابي : أما الحلة فلمسألتك ، وأما الدنانير فلأدبك .

الصديق

قال الشاعر :

إذا ما المرء لم يحفـــظ ثلاثا　فبعــــه ولـــو بكف من رماد
وفـــاء للصديـــق وبـــذل مال　وكتمـــان السرائـــر في الفؤاد

مِنْ ثمراتِ الإيمانِ باللّهِ تعالى

للدكتـــور فؤاد محمـــد محمـــود العارضة

الايمان بالله سبحانه وتعالى يعني الاعتقاد العقلي والقلبي بأن الله تبارك وتعالى هو وحده خالق هذا الكون ، ورب جميع المخلوقات في السموات والأرض ، لا يشاركه في ذلك أحد ، وبأنه لم يلد ولم يولد ، وهذا الايمان هو الأساس الأول الذي بنيت عليه جميع الأديان السماوية ، وهو الركن الأول من أركان الاسلام الخمسة كما هو واضح ومعروف .

والمتأمل المتفكر في كنه الايمان وحقيقته يتبين له أن الايمان بالله تعالى هو مفتاح الخير والسعادة والحياة الكريمة في الدنيا والآخرة ، فهو نور قوي دافئ ينفذ إلى قلب المرء فينيره ، وينبت ما يكمن فيه من بذور الخير والفضيلة ، ويخرج ثمارا طيبة كما تزكو وتنضج ثمار الفاكهة تحت ضوء الشمس وحرارتها .

والايمان بالله تعالى مدخله العقل ، ومسكنه ومستقره القلب ، ومرآته السلوك والعمل ، كما جاء في الأثر : « ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل » .

ويتجلى إيمان المرء بالله سبحانه وتعالى في تقوى الله وطاعته ، والامتثال لأوامره ونواهيه ، قولا وعملا في السر والعلانية .

والايمان بالله شجرة مباركة دائمة الاخضرار والايراق والازهار ، وطيبة الثمار في الدنيا والآخرة ، ولا ثمر أطيب وأنفع من ثمر الايمان بالله ، وثماره في الدنيا الخير والقوة

الرحيمة ، والهدى والحق والجمال والسعادة ، والأخلاق السامية ، والحياة الحرة الكريمة ، وثمره في الدار الآخرة العيشة الراضية في جنان النعيم .

والايمان بالله حقا إذا تمكن من نفس المؤمن ، وضرب بجذوره في أعماق قلبه ، جعل منه شجرة مباركة وارفة الظل طيبة الثمر ، وصيره إنسانا طيبا خيرا لا يقول ولا يفعل إلا خيرا ، ولا يأخذ ولا يعطي إلا طيبا كالنحلة التي لا تأخذ إلا رحيق الزهر ولا تعطي إلا الشهد والعسل .

والايمان بالله يحيى النفوس الميتة كما يحيى الغيث الأرض الميتة ، ويشفي القلوب المريضة كما يشفي الدواء الأجسام العليلة ، ويطهر الصدور من الحقد والغل والحسد ، كما ينظف الماء والصابون الملبس القذر ، فقد قال الله تبارك وتعالى : **(وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا)** الاسراء/٨٢ . والمؤمن بالله حقا تراه يتدفق حيوية ونشاطا وانطلاقا ، ويتقد نخوة وحماسا ، فهو مشحون بفيض من الطاقة الروحية والقوة المعنوية والصحة النفسية ، ويجري في عروقه دم الشباب الحار ، وتسري في جسمه حرارة الرجولة الحقة ، وتطل من عينيه براءة الطفولة ، وبياض قلبها .

والايمان بالله نور للعقول والقلوب ، يضيء لها طريق الحياة ، ويهديها الصراط المستقيم . وبالايمان بالله يرتفع بالمؤمن عن الخوض في وحول الفساد ومستنقعات الرذيلة إلى ربا الشرف والفضيلة ، وينتقل به من حياة الذل والعبودية والسجن إلى حياة العزة والحرية والانطلاق ، فتراه شجاعا جريئا في القول والعمل ، يقول الحق ويجهر بالحقيقة ، ويعترف بالخطأ ويفيض عزة وإباء ومضاء ، يحدوه إلى ذلك قوله تعالى : **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)** المنافقون/٨ . وقوله صلى الله عليه وسلم : « ألا لا يمنعن رجلا مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه » رواه أحمد والحاكم والترمذي . وترى المؤمن بالله حقا سيد نفسه ومالك أمره ، يتحكم بنفسه الأمارة بالسوء ويقودها ، وتعس وذل وصار عبدا لغيره من سادته نفسه واستعبدته .

وترى المؤمنين بالله حقا إخوة متحابين متراحمين متعاطفين كما قال الله عز وجل : **(إنما المؤمنون إخوة)** الحجرات/١٠ . وكما قال رسوله الأمين محمد عليه الصلاة والسلام : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد : إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » رواه مسلم وأحمد . وتراهم رحماء بينهم أشداء على الأعداء عملا بقوله تعالى : **(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)** الفتح/٢٩ . كما تراهم يتعاونون على فعل الخير وإحقاق الحق وإقامة العدل ويتآزرون على دفع الشر وإزهاق الباطل وهدم الظلم مستلهمين قوله

تعالى : **(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)** المائدة/٢ . ويتحلون بالتضحية والايثار كما قال الله تعالى : **(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)** الحشر/٩ .

والمؤمنون يتسابقون إلى ميدان الفداء والاستشهاد مجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله يحفزهم إلى ذلك قوله عز وجل : **(انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)** التوبة/٤١ .

والمؤمنون الصادقون يعتصمون بحبل الله جميعا ولا يتفرقون لأن الاعتصام بحبل الله تعالى خير وقوة وعزة والتفرق شر وضعف وذلة ، يجمعهم ويظلهم قوله جل شأنه : **(وإعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)** آل عمران/١٠٣ . **(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)** الأنفال/٤٦ .

والمؤمن بالله يحب لأخيه ما يحب لنفسه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه الترمذي والنسائي . ونجده من أولى العزم والبأس والارادة الحديدية ، والصبر العظيم والصمود والثبات في ميدان العمل والكفاح والجهاد .

والمؤمن بالله تراه دائما طلق المحيا منشرح الصدر مشرق النفس بنور الأمل والرجاء والتفاؤل ، لا يتسرب إلى نفسه شيء من ظلمة اليأس والقنوط والتشاؤم الذي دفع ومازال يدفع بعض الناس إلى التردي في هاوية الانتحار . وهيهات أن يناله ذلك وهو متوكل على الله ومفوض أمره إليه ، موقنا بأن ما يصيب المرء أحيانا من ضيق أو مكروه إنما هو ابتلاء لاخلاصه واختبار لايمانه ، ومعتقدا أن اليوم ليل ونهار يتعاقبان ، والشتاء المكفهر يعقبه ربيع جميل ، والحياة يسر وعسر ، وشدة ورخاء ، والأيام تنقلب وتدور ولسان حاله يردد قوله تعالى : **(إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)** يوسف/٨٧ . ويقول مع الشاعر العربي :

عسى فرج يأتي به الله إنه
له كل يوم في خليقته أمر

وإذا ما أصابه مكروه ، أو أفلتت منه فرصة ثمينة ، أو وقع في خسارة مالية ، لم يقع تحت وطأة كابوس الحسرة والندم ، يدفع عنه ذلك إيمانه بالقدر خيره وشره ، وأني يكون ذلك وهو متحصن بقوله تعالى : **(قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا)** التوبة/٥١ . **(وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)** البقرة/٢١٦ .

ومعتصم بقوله صلى الله عليه وسلم : « وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان» رواه مسلم .

وبذلك تلفه السكينة وتغشاه الطمأنينة والراحة النفسية .

وفي العسر والفقر لا ينكمش ولا ينضمر ، وفي اليسر والغنى لا ينتفخ ولا يبطر ولا يغتر . والمؤمن بالله يعرف ما لنفسه وعقله وجسمه عليه من حقوق وواجبات ، وما يجب عليه نحو نفسه وربه وأهله ووطنه ، كما أنه يعرف حده فلا يتعداه ، ولا يغدر ولا يغش فيؤمن جانبه ويوثق به فهو ملتزم بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا إيمان لمن لا أمانة له » رواه أحمد . وتراه سمحا طيب النفس ، سليم الصدر ، رحيم القلب ، لطيف المعشر ، صادق الوعد ، كما تراه يستخدم ما يملك من قوة وشجاعة ، وطاقة في الخير والحق والبناء ، ولا يستخدمه في الشر والباطل والهدم .

ويعتدل في إنفاق ماله فلا يكون جافا مقترا ولا منسابا مبذرا ، عملا بقوله سبحانه وتعالى : **(ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا)** الاسراء/ ٢٩ . ويعتبر المال وسيلة للحياة الحرة الكريمة الشريفة ويضحي به في سبيل دينه وشرفه ووطنه ، وإذا ما حاول أحد أن يشتري ضميره بالمال ، ويساومه على شرفه ، انتفض وثار عليه ، قائلا له ما قاله شاعر الرسول حسان بن ثابت :

أصون عرضي بمالي لا أدنسه
لابارك الله بعد العرض في المال
أحتال للمال إن أودى فأكسبه
ولست للعرض إن أودى بمحتال

ويأبى عليه إيمانه إلا أن يحافظ على شرف غيره ، كما يحافظ على شرفه هو .

والايمان بالله سلاح بتار يفل سلاح الحديد والفولاذ ، وإذا ما تسلحت به قلة تغلبت على كثرة كافرة ، وقد تسلح به العرب المسلمون في أيام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وفي عهود خلفائه الراشدين والأمويين والعباسيين ، وقد كانوا قلة مؤمنة فعزوا به وسادوا ، وحطموا أكبر دولتين استعماريتين في ذلك الزمن ألا وهما دولتا الفرس والروم ، فقلة مؤمنة تغلب كثرة كافرة ، كما قال الله تعالى : **(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)** البقرة/ ٢٤٩ .

والايمان بالله يجعل المرء المؤمن يأمر نفسه وغيره بالبر والمعروف وينهي عن الفحشاء والمنكر تلبية لقوله تعالى : **(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف)** آل عمران/ ١٠٤ وإذا ما رأى المؤمن منكرا لم يتقاعس عن تغييره بيده أو بلسانه أو بقلبه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » رواه أحمد . ويدفعه الايمان الصادق إلى المحافظة على المصالح العامة كما يحافظ على مصالحه الخاصة ، وإلى رعاية وطنه وأسرته الكبيرة كما يرعى داره وأسرته الصغيرة .

مِنْ سِمات مجتمع التوحيد

للدكتور : عبدالفتاح محمد محمد سلامة

لمجتمع القرآن الصاعد ملامح وسمات تألقت وازدهت ، عندما استحالت إلى سلوك عملي فذ ، وانعكست قوانين أخلاقية ، ومبادىء حضارية التزم بها ـ في حب واعتزاز ـ أصحاب النبي العظيم محمد عليه صلوات الله وسلامه ، فأصبحت هذه الملامح وتلك السمات علامات بارزة ، وبصمات واضحة في مسيرة أولئكم الأمجاد من عباد الله ، كما أنها غدت قمما شامخة في دنيا المجتمعات ، التي كادت ـ لأفلاسها من القيم ـ تهوى من حالق ، وترتطم بالصخور ..

(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)
الجمعة / ٢

وإذا كان رب العزة ـ تبارك وجل في علاه ـ هو الذي نعت بنفسه مجتمع الايمان في ظلال القرآن .. فمعنى ذلك ومؤداه : أن مشكاته التي تفجر منها ، ربانية في صبغتها ، إلهية في صنعتها ، وأن دوحته التي ينتمي إليها شجرة طيبة :**(أصلها ثابت وفرعها في السماء)**
ابراهيم / ٢٤

واليوم تحلق اليراعة في مجالات

قدسية منيرة ، وهي تتحدث عن جانب من مجتمع التوحيد الذي وصفه الله أصدق وصف وأزكاه عندما قال : **(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا)** الفتح / ٢٩ .

والنص هنا يتحدث عن المعية الاسلامية التي كانت تربط نبينا وزعيمنا محمدا عليه الصلاة والسلام بأصحابه الأفذاذ ، وكيف أنها ذهبت مثلا عاليا في التاريخ البشري كله .. فليس لها في بابها نظير ولا شبيه : **(صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة)** البقرة / ١٣٨ .

ويكفينا هنا أن نقف أمام جزئية من النص تتحدث عن أصحاب محمد ، وهم الغراس اليانع الناضر في مجتمع « **لا إله إلا الله** » وهي قوله تعالى : **(أشداء على الكفار رحماء بينهم)** والأشداء جمع شديد وهو العنيف القاسي الذي لا تلين له عريكة ولا تأخذه هوادة ، وكذلك كان شأن أبناء الاسلام ، الذين رباهم نبيهم الجليل على الاباء وعزة النفس ، وعدم الرضوخ للذل ، أو الخنوع للضعف والرضا بالهوان .. فهم أسود مغاوير ، قادة بهم ، شجعان أقوياء ، لهم عزائم تفل الحديد ، وتذيب جلاميد الصخر ، ولهم إرادات وثابة متحفزة لا تخبو – في سبيل الحق – جذوتها ، ولا تنطفىء شعلتها .. ورحم الله المتنبي حين هتف :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

هم قوم سلاحهم الايمان الصادع ، وزادهم اليقين الراسخ ، فما عرف الضعف يوما طريقه إلى قلوبهم ، ولا تسرب الوهن يوما إلى نفوسهم ، لأنهم اعتزوا بالله فأعزهم ، وتقووا به فقواهم ، واستنصروا به فنصرهم ، فلهم من الخشونة أوفى نصيب ، ومن قوة الشكيمة أكبر جانب .. ونحن نلاحظ أن التعبير هنا « أشداء » بهذه الصورة التي توحي بالمبالغة المستفادة من التشديد ، يضفي على الجو ظلالا من العنف الشديد ، والشدة العنيفة ، التي لا تبض بقطرة واحدة من اللين .. غير أن الذين سيكتوون بهذا الجو ، ويقاسون رهبته ، ويصلون حممه ، ويتعرضون لقذائفه الحامية الملتهبة ، هم أهل الشرك وأرباب الكفر وطواغيت الجاهلية الذين نصبوا من أنفسهم آلهة من دون الله ، جاحدين خالقية الخالق ، ملحدين في آياته ، وقد نصبوا شباكهم وحبائلهم ليصدوا الناس عن دين الله ، ويحولوا بينهم وبين شرعه الكريم .. مع أن الله توعد من يسلكون هذا النهج المعوج بعذاب تنخلع له القلوب ، وتنفطر له النفوس فقال تبارك اسمه :

(إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقي في النار خير أمن يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير . إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز . لا يأتيه

الباطل من بين يديه ولا من خلفه) فصلت / ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

وقال تعالى : **(إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون)** الأنفال / ٣٦

هؤلاء الذين عميت عيونهم عن الحق بعد ما بدا سافرا ، وقلبوا ظهر المجن لرسالة الهدى وقد انبلج صبحها وانبثق فجرها فمحا بنوره جحافل الظلام ، وعسعسات الليل البهيم ، وصموا آذانهم عن صوت السماء الذي يخترق الشغاف من قلوبهم وهم في ذلك كله صرعى الأهواء وضحايا الشيطان ، فضربوا صفحا عن الذكر لما جاءهم ، وما كفاهم هذا المسلك الشائن ، بل صاروا عقبات كأداء تحجب الخير وتسد منافذ النور .. هؤلاء الذين يضمهم لواء الكفر ، وتجمعهم راية الشرك ، ويحكمهم اتجاه واحد هو ضرب الدين في معاقله ، والقضاء عليه في مرابضه .. هم الذين يجب على أبناء التوحيد ألا تأخذهم فيهم لومة لائم وألا تكون هناك هوادة في نزالهم ومجالدتهم حتى تتقلم أظفارهم وتتخضد شوكاتهم ، وواجب على أشبال الايمان ألا يدعوهم حتى يمرغوهم في أوحال الذلة والهوان ليعرفوا ويتيقنوا أن الأمر كما قال أحكم الحاكمين .

(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) المنافقون/ ٨ .

ولقد كان أتباع محمد عليه الصلاة والسلام يؤمنون بهذه القيمة الغالية « مقاومة الكفر وأهله » .. إيمانا لا حد له ، فقاتلوا الكفر على جميع الساحات ، وتعقبوا الشرك في أوكاره ، ولم تنحن لهم هامة ، ولا لانت لهم إرادة وهم يواجهون الأعاصير الهوج ، ويعايشون اشد ساعات المحنة ، فكانوا يستجيبون لله وللرسول إذا دعا داعي الجهاد ، ودوى صوت النفير العام ، وخاضوها معارك ضروسا ، وحروبا ضارية ، ليوقفوا الكفر عند حده ، ويحطموا قلاعه ، وهم في ذلك لا يبالون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم .. ولقد سجل التاريخ لأحدهم في صحائف الفخار والشرف كلمة سار ذكرها في الخافقين ، ولم يبلها كر الجديدين : « لقد شهدت مائة زحف أوزهاءها ، وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم وها أنذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء » .

وظل الرعيل الأول من أبناء التوحيد ، تحركهم هذه القيمة الحضارية ، ويلون سلوكهم هذا المد البطولي الخارق ، مما جعل الكفر يرتاع ، وينكمش في نفسه حتى توارى عن العيون ، وسحبت عليه ذيول النسيان .. وبقيت القوة في مجدها وعلوها ، في أيدي جنود الرحمن الرحيم ، وبذلك صدق وعد الله الذي قطعه على نفسه حين قال : **(هو الذي أرسل رسوله بالهدى**

ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا) الفتح / ٢٨ .

وهناك حقيقة يؤكدها التاريخ ، وتدعمها الحوادث ، وتؤيدها الوقائع وهي أن المسلمين ما هانوا وذلوا ، وما ضعفوا وما استكانوا ، بل ما أفلت الزمام من أيديهم .. إلا بعد أن تخلوا عن هذا المبدأ الشجاع الذي غرسه القرآن في النفوس ، والذي يتمثل في مطاولة الباطل ومغالبة الشرك ، والانضواء تحت راية الله العزيز .. فلما تنكر المسلمون لتعاليم قرآنهم ، وأهملوا عناصر القوة والظفر الكامنة فيه ، وبدأت عيونهم تزيغ ، وأهواؤهم تميل مع كل دخيل ، وأخذت التيارات الرعناء تتراقص أمامهم في بهرجها الكاذب ، وسرابها الخادع ، وكشفت لهم الدنيا عن مفاتنها ومغرياتها ، وجعلت تتبدى لهم في تزاويق ماكرة خبيثة ، تخلب بها ألباب الأغرار ، فتأسر بهذه الفتنة الناعمة نفوسهم ، وتنسيهم الواجبات التي نيطت بهم .. عندما انحدر المسلمون إلى هذا الوضع ، وتدلوا إلى ذاك الدرك ، ونسوا وضعهم الأصيل ومركزهم الخطير ، وأهملوا دورهم الرائد في إصلاح الحياة ، وتوجيه مسيرتها إلى الله ، ثم سال لعابهم وتحلبت أشداقهم أمام هذا اللألأ الخاطف ، فركنوا إلى الدنيا واستحلبوها ، وجعلوها غايتهم ومحور نشاطهم ، فألهبت ظهورهم بسياطها ، وساقتهم سوق الرقيق .. فصرعتهم تحت سنابكها ، ثم أخذوا يتهاوون كالفراش بعد أن أسكرتهم بخمرها ، فراحوا يترنحون ، وفي سبات الغفلة يغطون .. ولا عجب في هذا ولا نكير ، فان من شأن المؤمن أن يجعل الدنيا دوما في يده لا في قلبه ، حتى لا تتسلط عليه فتحيله الى عبد من عبيدها المتهافتين .. جاء في الحديث القدسي عن رب العزة والجلال :

(أوحى ربك إلى الدنيا : يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه) رواه أصحاب السنن ..

وماذا تنتظر أن يحل بالمسلمين بعد أن ساء الحال ، ولانت السبال ، وهان الرجال ، واعتكر المآل ؟؟ لقد أناخت الهزيمة بديارهم ، وحلت في رحابهم ، وأفاقوا من هول الصدمة فاذا بهم يواجهون حقيقة مروعة .. تبدد وضياع ، وتمزق وتشرد ، وجهل وتأخر وانقسامات واحتراب ، وعصبيات هوجاء ، وفرق وطوائف كل منها تكذب الأخرى وتلعنها .. وصدقت نبوءة من لا ينطق عن الهوى سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم :

« ستفترق أمتي على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قيل : من هي يا رسول الله .. قال : ما أنا عليه وأصحابي » .. الترمذي ..

ونظر الأعداء بعيونهم الساهرة إلى هذا القطيع الهائج المائج ، ورأوا هذا الحشد الهزيل وقد تفككت عراه ، وأشرف على حالة هي الاحتضار بعينه ، فاهتبل المجرمون هذه الفرصة ، وانطلقوا ينخرون في عظام هذه الأمة ، ويقوضون دعائمها ،

ويأتون على بنيانها من القواعد ، فاذا بها تصبح لقمة سائغـة ، ونهبـا موزعا ، يتقاسمه الطغاة ، ويعبث به الظالمون .. « وإنما تأكل الذئاب من الغنم القاصية » ..

لقد أصبح المسلمون غربـاء في ديارهم ، مستعبدين في أوطانهـم : أذلـة على الأعـداء ، أعــزة على إخوانهـم .. ذلك لأنهـم رضوا بالهوان ، وقبلـوا الـدون وتعلقـوا بسفساف الأمور .. ومن يهن على نفسه فهو على غيره أشد هوانا :

(ولا تكونـوا كالذيـن نسوا الله فأنساهم أنفسهم) الحشر / ١٩

من يهن يسهل الهوان عليه
مـا لجرح بميـت إيـلام

إن المسلمين في حاجة ماسة الى يقظة شاملة ، تزيح عن كواهلهـم ركام قرون خلـت من التبعيـة والانحلال والتأخـر والجهـل ، ولا بد لهم ـ كذلك ـ من وثبة شامخـة يتعالـون بهـا على الأحـداث ، ويصبغون حياتهم بمقتضاها صبغة جديدة ، يرضاها ربهم ، وتتعانق مع مصحفهم وسنتهم ، ولن يتم لهم ذلك الا إذا ساروا في الدائرة المضيئة التي رسمها لهم مولاهم الذي ينصر من يشاء ، وهي تتمثل في الاعتصام بالله والتمسك بدينه ، واحتقار الكفـر ، ونبذ الشرك ، وعدم اللين مع أعداء الله .. فان لم يعدلوا مسيرتهـم ، ويعيدوا إليهـم زمـام الأحـداث ، وتصبح لهم الزعامة والريادة ، فان الله تعالى لن يبالي بهم ، ولن يعبأ بهذه الكثرة المتهالكة التي هي أشبه ما تكون بغثاء السيل :

(يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقـوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهـدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) المائدة / ٥٤

« لا زلتم منصورين على أعدائكم ما دمتم متمسكين بسنتي فان خرجتم عن سنتي سلط الله عليكم من لا يخافكم ولا يرحمكم حتى تعودوا إلى سنتي » رواه مسلم

هذه ومضات تشع بها آفاق الآية الكريمة : **(أشـداء على الكفـار)** وعندي أن المقصود بلفظ « الكفار » لا ينبغي أن ينصرف الى عبدة الأوثان أو من يجحدون ربوبية الخالق العظيم وحدهم .. بل إن هذه الكلمة يجب أن تشمل هؤلاء وغيرهم من أصنـاف البشر الذين خربت قلوبهم ، ونضب معينها من المعاني النبيلة والقيـم الرفيعة والأخلاقيـات الساميـة .. وبذلك لا يجد الباطل أمامه مجالا يعبث فيه ، فيكر عليه الحق ويتعقب فلوله المهزومة حتى يجهز عليها .

كل هؤلاء يجب أن تطهر منهم مجتمعات التوحيـد ، وتصفـو من براثنهم قوافل الايمان ، حتى تظل المسيرة مرفوعة اللـواء ، مسـددة الخطى ، خفاقة الأعـلام ، وبـذلك يكتمل هيكلها الحضاري ، وتقتعد ذروة المجد المادي والأدبي .. وهذا ما

تحقق لأتباع محمد عليه الصلاة والسلام يوم أن استقاموا على أمر الله ، وتدثروا بشعار الاسلام الخالد :

(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) المنافقون / ٨ ويا لها من كلمة ماجدة قالها الصديق أبو بكر لأحد قواده : « احرص على الموت توهب لك الحياة » فلقد كانت هي ومثيلاتها زادا حيا ، به اندفع المسلمون بكل ثقلهم يدكون صروح البغي ، ويثلون عروش الظلم ، ويبنون للحضارة والمدنية معاقلها الحصينة ، ويؤثلون للنهضة السوية دعائمها الوطيدة ، وركائزها المتينة ..

تلك قاعدة أساسية لنهضة المجتمع المسلم ، في ظلال التوجيه الرباني للمسلمين أن يكونوا في كل ظروفهم وملابساتهم : **(أشداء على الكفار)** ويتابع النص المقدس ذكر صفات وملامح مجتمع الايمان ، فينعت أبناءه بهذه الصفة التي تقطر عذوبة ولطفا : **(رحماء بينهم)** إن القرآن هنا يبدع في رسم الصورة المثلى لأصحاب محمد ، وهي ناحية يقف إزاءها أرباب الأقلام وأبرع المهندسين مأخوذين مبهورين ..

وأنت ألست ترى معي : أن هناك صفتين متنافرتين متضادتين هما : « الشدة والرحمة » ؟ فكيف في جماعة واحدة يلتقيان ، وعلى أي الأوضاع يتواردان ؟؟ إن هناك بعدا بينهما كبعد السماء عن الأرض .. ومع ذلك فان القرآن ببيان الاعجاز وإعجاز البيان ، جمعهما في سياق واحد ، ووصف بهما جماعة واحدة ، ذات مشارب واحدة ، واتجاهات واحدة .. في أسلوب ساحر وتركيب رصين يأخذ بمجامع القلوب ، شأن كتاب الله في استعمالاته البيانية الرائدة ، التي يتتلمذ عليها أقطاب الفصاحة وأئمة البلاغة .

(رحماء بينهم) إي والله !!! نعت جليل ووصف نبيل .. خلعه كتاب الله على أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام وتوج به رءوسهم وجعله جوهرا نقيا صافيا تتفجر منه كل معاني الأخلاق السامية ، والشمائل الرفيعة والقيم الخالدة .. وإن الرحمة في ظلال الشريعة السمحاء لها مفهومها الرحب ، ومدلولها الكبير ، فهي أشعة دافئة يصطلى بها المقرور ، وظلال وارفة يأوى اليها المحرور ، وهي للجماعة بلسمها الشافي ، وروحها الساري ، وإكسيرها الذي يمدها بالحياة ، ويغذيها بالعافية ، وينشر حولها سياجا يحميها من الخطوب ، ويقيلها من عثرات الأيام .

وإذا كان أتباع محمد عليه السلام ، قد استحالوا في نظر أعدائهم إلى ما يشبه الصخور التي لا تجود بقطرة واحدة من ماء ، فانهم في ذات الوقت كانوا يذوبون رقة ولطفا لاخوانهم في الله ومن تربطهم بهم صلة العقيدة ولحمة الدين ، وكان الواحد منهم يحمل بين جوانحه قلبا يقطر لينا ويفيض أريحية ويتضوع سموا ويعبق جلالا وجمالا ..

ولم لا يكون وضعهم هذا ، وقد

كان نبيهم وإمامهم عليه صلوات الله سيد الرحماء ؟ وما بالك بنبي رسول يخاطبه رب العالمين فيقول : **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)** الأنبياء / ١٠٧ :**(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانتفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم)** آل عمران / ١٥٩ :**(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)** التوبة / ١٢٨ .

وما أجل وصف الرسول هنا بأنه **(رءوف رحيم)** وهما من أسماء الله وصفاته ، على أن الرأفة هي الرحمة البالغة ، وكذلك كان الرسول رحمة تدب وتمشى على ظهر الأرض .

وإذا رحمت فأنت أم أو أب
هذان في الدنيا هما الرحماء
والرسول الجليل عليه صلوات الله ، يعلن عن نفسه في بيان عجيب : « إنما أنا رحمة مهداة » الترمذي .
وما فتئ يذكر أتباعه بالرحمة ، فكان يصيح بملء عقيرته : « الراحمون يرحمهم الرحمن .. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » مسلم .
« لا تنزع الرحمة الا من شقي » البيهقي .
« من أحب أن ينسأ له في أجله ويبارك له في رزقه فليصل رحمه » . البخاري .
وما أعجب الرحمة في منهج القرآن العظيم ، إنها تشمل المخلوقات كلها ، حتى الحيوانات العجماوات ، بل حتى الجمادات .. استمع الى نبي الرحمة الماجد :
« دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلا هي أطعمتها وسقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض » ابن ماجة .
« غفر الله لرجل صاحب مكس لأنه سقى كلبا من العطش » أبو داوود .
أرأيت إلى الحشرات السامة التي أمرنا بقتلها ، إننا مطالبون - قرآنيا - أن نطبق معها شعار الرحمة ، فنسرع في الاجهاز عليها ، حتى لا يتضاعف شعورها بالألم .
يقول الرسول المعلم :
« من قتل وزغة - حشرة سامة كالأفعى - من أول ضربة كتب الله له مائة حسنة » البخاري .
حتى المثلة بالسباع المفترسة حرمها الاسلام .. تأكيدا لمبدأ الرحمة :
« إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور » ابن حبان .
ويأتي دور المرافق العامة والأشياء التي يستفيد بها الناس جميعا ، لقد حماها نبي الرحمة من تطاول العابثين ، وتسلط المفسدين :
« من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم ، عبثا وظلما ، صوب الله رأسه في جهنم » متفق عليه .
وبعد فهذه هي الرحمة في القرآن ، وتلك ظلالها التي انسابت فكونت خير المجتمعات .. ولقد قال النبي : « لله أرحم بعبده المؤمن من الأم بولدها » البخاري .

أنت لي الضياء

للاستاذة
روحية القليني

يا رب مهما أظلمت دنياي أنت لي الضياء
وإذا مرضت فأنت يا ربي طبيبي .. والدواء
بيدين ضارعتين أدعوه .. وروح من ولاء
وبدمعة حرى أناجيه ... وقلب من صفاء
وبسجدة طالت مع الايمان في صدق الدعاء
وبكل إيمان وتقوى أرتضى حكم السماء

* * * *

الحب في عيني دمع وابتسامات وضيه
والشكر في قلبي رضاء وابتهالات سخيه
أنا ما اتكلت على سواك أنا بنعمتك الغنيه
فلكم أحلت الشوك في دنياي أزهارا نديه
ويهون كل الصعب يا ربي وأيامي العصيه

* * * *

يا كم أسبح باسمك الغالي بأوقات السحر
أنى ذكرتك يستريح القلب من ضيق وشر
وإذا تكاثرت الهموم علي واشتد الضجر
ادعوك بالقرآن ضارعة فتمحو كل ضر
وتذوب آلامي وتشرق بسمتى ... بك استقر

* * * *

ولكم دعوتك في دياجي الليل والدنيا سكون
لا شئ يشغلني سوى مولاى رب العالمين
وتكاد مسبحتى مع الايمان تنطق بالحنين
أسماؤك الحسنى أرددها بأنوار اليقين
فينير لي دربي ويؤنس وحدتي نور مبين
بك يا الهي قوتي .. بك استظل وأستعين
أنا ما قصدت سواك يا ربي فوحدك لي المعين
إما ذكرتك كل ما ألقاه في الدنيا يهون

جَامِعَةُ دَارِ العُلُومْ

ديوبند - الهند

○ تخرج منها أفواج من العلماء الراسخين في العلم .
○ جامعة شامخة عظيمة مضى من عمرها المديد مائة عام ونيف .
○ قامت سدا منيعا في وجه الدعوات الهدامة المعادية للاسلام .
○ قدمت زادا فكريا وخصوصا في علوم الحديث الشريف .
○ تشارك الكويت بجهد لا يعرف الملل إخوانهم المسلمين هناك وتقدم لهم العون .

منذ أيام انعقد ملتقى للفكر الاسلامي على المستوى العالمي وتم هذا اللقاء في ٣-٥ من شهر جمادي الأولى سنة ١٤٠٠ هـ المصادف ٢١ ـ ٢٣ من شهر مارس ١٩٨٠م في مقر جامعة دار العلوم بديوبند التي تقع في الولاية الشمالية على بعد تسعين ميلا من العاصمة الهندية .

وقد توافد المسلمون من كل مكان ليلمسوا عن قرب نشاط تلك الجامعة التي قدمت للعالم الاسلامي الكثير ، ولكي يشهدوا تجمعا اسلاميا عظيما تجاوز صداه أرجاء المعمورة .

وفود شتى تمثل علماء المسلمين ، وقادة الفكر ، وأيضا وفود تمثل العاملين في الانشطة الاعلامية المختلفة .
وليس غريبا على أمة ارتفعت راية الاسلام فيها خفاقة عالية ، القرون الطويلة ان تكون هذه ثمارها .
إن هذا التجمع دليل حى على سرعة استجابة الشعب الاسلامي لكل نداء باسم الاسلام ، يهرعون اليه ، لأنهم يرجون منه الخير لأنفسهم وأمتهم . فشرارة الايمان تخرج من مكمنها فتشمل بنورها الوضاء القلوب ، وتحيل الجهل إلى معرفة وهداية ، وتضع الأجيال المؤمنة على الطريق السوي .
ويرجع الفضل في انتشار الاسلام في شبه القارة الهندية إلى الدعاة المسلمين من العرب ، والهنود الذين اقتفوا أثرهم وساروا على نهجهم فتفقهوا في العلوم والمعارف الاسلامية ، ثم أصبحت الهند من أهم المراكز الاسلامية في آسيا يقصدها الدارسون الراغبون في تحصيل العلم ، فتخرج هناك فطاحل العلماء الذين أسهموا بجهد وافر في خدمة العلم والدين والثقافة الاسلامية وكانوا خير مثل يحتذى .
وجامعة دار العلوم هي أقدم جامعة في شبه القارة الهندية على الاطلاق فقد أسست منذ أكثر من مائة عام ، وأشرف عليها نخبة من خيرة العلماء وكان من أبرز من دعا إلى إنشائها حجة الاسلام مولانا الشيخ محمد قاسم النانوتوي وتاريخ تلك الجامعة زاخر بالعلماء والباحثين والفقهاء ممن لهم باع طويل في خدمة العلم ، وهؤلاء مكثوا يدعون ، وينشرون الاسلام ، ويعملون على تأصيله في النفوس ، حتى أقاموا منارا عاليا للثقافة الاسلامية ، وتركوا معالم وآثارا في طول البلاد وعرضها ، وأثروا الحياة العامة للمواطنين وخلفوا تراثا علميا قيما ازدانت به المكتبة الاسلامية ، إذ تحتوي مكتبة جامعة دار العلوم على ما يقرب من ١٢٠ ألف كتاب في شتى المعارف والعلوم ، وتحتل الجامعة مساحة شاسعة تضم دارا للقرآن الكريم ، ودارا للتفسير وثالثة للحديث إلى جانب العديد من دور العلم المختلفة ، وتهتم الجامعة بشكل ملموس وخاص بتدوين الحديث على المستوى الشامل رواية ودراية .
من جهة أخرى يحرص المسلمون حرصا شديدا على الاسلام غير ان أروع فصول البطولة والتضحية كان كفاحهم السياسي واحتفاظهم بدينهم بعد فقد سلطانهم الاداري فمسلمو الهند من اكثر الأقليات في العالم تمسكا بدينهم ، وحتى يجعلوا لهذا التمسك قوة تسنده وتشد أزره ، وتقوم سلوكه أقاموا الكثير من المعاهد والمؤسسات الاسلامية والعربية من أهمها وأعرقها جامعة دار العلوم بديوبند التي أسست في أصعب ظروف سياسية واجتماعية للمسلمين في شبه القارة الهندية ، فكانت ركيزتهم العلمية التي مدتهم بالثقافة النقية ، وقد تخرج فيها المحدث الكبير انور شاه الكشميري ، وشيخ الاسلام حسين أحمد المدني ، وشيخ الاسلام شبير أحمد العثمان . ولا غرو،فهم قد أسلموا عن يقين فلا تؤثر فيهم العواصف مهما

كانت عاتية ، ولا عوادي الأيام الظالمة ، ولا تحولهم عن دينهم دعوات الالحاد المارقة .

ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب

وكانت الجامعة حصنا منيعا ذابت امامها شبهات المشككين حول الاسلام كالقديانية والبهائية وغيرهما .
وقد أشاد بالجامعة من زارها من الأساتذة الاجلاء أصحاب الفكر والعلم .
وجامعة تلك خدماتها للاسلام والمسلمين ، وهذا تراثها وتاريخها خير شاهد على مكانتها حرى بنا ان نحتفل بها ، ونذكر الناس بفضلها ، ونرجو أن تظل المنارة العالية والمعهد العتيد الشامخ ، والأمل المرجو للاسلام والمسلمين في وجه الطغاة والمفسدين ، وأصحاب البدع والأهواء لأنها أسست على تقوى من الله ورضوان ، فكانت النبراس الذي يضيء الطريق في ظلمة الجهل الحالك .
ولقد أخذ المسلمون هناك على عاتقهم حراسة أقدس وأثمن ما يعتز به المسلمون في كل مكان ألا وهو الاسلام ، وتحملوا عبء النهوض به وغرس حبه وصيانته في القلوب وسط الأمواج العاتية التي تهب عليهم من كل صوب .
وعلى المسلمين الا ينسوا أخوة لهم في شبه القارة الهندية ، وأن يظلوا دائما محل التقدير والعون حتى يواصلوا المسيرة فقد حملتهم المقادير دورا كبيرا ، لكن عون الله معهم ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .
هذا وللعرب والكويت بصفة خاصة علاقة عميقة الجذور بشبه القارة الهندية زادت وثوقا وتأصلا ومتانة بالاسلام ، وبين الحين والحين تستقبل الكويت الوفود المسلمة من تلك البقاع بهمة لا تعرف الكلل تبارك وتعضد الانشطة الاسلامية المنبعثة من شبه القارة الهندية بما تقدمه من عون مادي وأدبي وقد شاركت الكويت جامعة دار العلوم احتفالها بعيدها المئوي بوفد رسمي من معالي وزير الأوقاف ، والشئون الاسلامية السيد / يوسف جاسم الحجي والأستاذ / عبدالله العقيل مدير الشئون الاسلامية بالوزارة ، والأستاذ فيصل مقهوي مدير مكتب السيد الوزير .
وانطلاقا من معرفة الكويت وتقديرها للدور الذي تلعبه جامعة دار العلوم بديوبند ارسل سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح كلمة ألقاها نيابة عن سموه السيد / يوسف جاسم الحجي وزير الأوقاف جاء فيها :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن سار على هداه .
اخواني ،
يطيب لي في مناسبة الاحتفال المئوي بانشاء الجامعة الاسلامية ـ دار العلوم ديوبند ـ الهند، أن أبعث اليكم ـ باسمي وباسم حكومة الكويت وشعبها ـ بخالص التهنئة ، راجيا للجامعة الموقرة كل تقدم وازدهار .

وان العالم الاسلامي ليذكر بالتقدير وعرفان الجميل ، الجهود الدائبة التي قمتم بها . في تكوين اجيال متتابعة من الشباب والعلماء المختصين في فروع المعرفة الاسلامية ، وما عكفوا عليه من انتاج علمي : نشرا لنفائس المخطوط وتحقيقا وشرحا لكتب التراث ، وتأليفا لجديد تحتاج اليه مسيرة الاسلام ، واستطعتم بهذا ان تعينوا على تجلية العقيدة ورد ما يثار حولها من شبهات وتثبيت الايمان في نفوس متطلعة الى الخير ، فكانت جامعتكم منارا يشع منه الضوء الهادي ، ونهرا فياضا بالخير يستقي منه الظامئون الى الايمان .

ويأتي احتفالكم على موعد مع قرن هجري جديد ، تتسع دائرة الآمال ، وتمتد انظار العالم الاسلامي الى جامعاته حيث أكرم ملتقى بين العلماء والشباب ، وتتكون الاجيال التي تحمل مسؤولية الحاضر وامانة المستقبل ، وتستطيع ـ بعون من الله ـ ان تقابل تحديات الحياة وما اكثر تنوعها مع التقدم الكبير الذي تحققه الانسانية في مسارها العلمي المتفتح .

اخواني ،

ومهما تفتحت آفاق العلم امام الانسان ، فسيظل بحاجة دائمة الى الايمان العميق بالله ، فلا يزيده العلم الا تواضعا ولا يزيده التقدم الا رغبة في الخير . وبغير الايمان يصبح العلم سلاحا باطشا في يدي القوى ، وأداة للسيطرة على الشعوب الاقل علما . ولن تستطيع آمال الانسانية ان تحلق في آفاق مستقبلها الا بجناحين من التقدم العلمي والايمان بالله تعالى .

وكما نود ان تكون جامعاتنا في القرن الهجري الجديد مثابة علم وايمان ، نود ان تكون مثابة اخاء ومحبة . اخاء بين الشباب ، اخاء بين الاجيال . اخاء بين الشعوب . اخاء تمتد فروعه وينتشر ظله الوارف ليسعد فيه الناس وينعموا .

فعلى بركة الله سيروا ايها الاخوة والابناء في الجامعة الاسلامية ـ دار العلوم ديوبند الهند ، والله ادعو ان يؤيدكم بروح من عنده ، وان يوفقكم على طريق الايمان والاخاء والعلم ، انه نعم المولى ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وقد كان لمجلة الوعي الاسلامي لقاء مع الأستاذ عبدالله العقيل مدير الشئون الاسلامية بالوزارة وعضو وفدها الى هذا الاحتفال .

قلنا لسيادته :

مكث المسلمون زهاء ثمانية قرون أصحاب السلطان في شبه القارة الهندية فهل لسيادتكم ان تحدثوا السادة القراء عن تلك الفترة المجيدة من تاريخ المسلمين هناك ؟ فقال :

نعمت الهند منذ الفتح الاسلامي على يد القائد المسلم محمد بن قاسم

الثقافي بأزهى عصورها ، حيث انتشر الاسلام بين سائر الطبقات ، وأخذ وجوده في واقع المجتمع الهندي ، وقامت دور العلم ، وانتشرت الثقافة الاسلامية ، وراج الفكر الاسلامي ونبغ العلماء المتخصصون في سائر مناحي المعرفة وخاصة علوم القرآن والسنة والتوحيد ، حيث تزخر المكتبة الاسلامية بنوادر المؤلفات في هذا المجال ، وفاض هذا الخير على العالم الاسلامي ، ولا زال المسلمون إلى يومنا هذا ينعمون بهذا التراث الاسلامي ، ويستفيدون من هذه الكنوز الاسلامية . ولم يقتصر دور المسلمين على نشر الثقافة الاسلامية ، واحتلال مكان الصدارة في التوجيه الديني ، بل انهم حكموا البلاد حكما اسلاميا طبقت فيه الشريعة الاسلامية وسعد أهل البلاد من المسلمين وغيرهم في ظلال الاسلام ، وتحت راية القرآن الكريم بل إن حكام المسلمين في الهند كان لهم فضل التصدي للقوى الاستعمارية والغزاة الذين أرادوا استعمار البلاد وامتصاص خيراتها ، وكانت لهم مواقف خالدة ومعارك فاصلة دحروا بها قوى البغي والعدوان .

مع محدثي واصلت الكلام وقلت له :

○ دخل الاسلام مبكرا وعم نوره تلك البقعة الطيبة من العالم الاسلامي وأقبل الناس ينتسبون إليه لسمو تعاليمه ، وامتد حتى غطى مساحات كبيرة :

فهل ترى سيادتكم أن المد قد انحسر ؟ فقال :

مرت الهند كما مر غيرها من بلاد العالم الاسلامي بالغفلة عن حقيقة الاسلام ، والتهاون في تكاليف الحكم الاسلامي ، وانشغل بعض هؤلاء الحكام عن الدفاع عن حياض الاسلام والذود عن حماه والجهاد في سبيل الله الى الترف ، والانصراف إلى الفروع والجزئيات مما ترتب عليه انتشار الفرقة وضياع سلطان المسلمين على أيدي المخربين من الداخل والغزاة من الخارج ، فسقطت الهند رغم اتساع مساحتها ، وكثافة سكانها تحت الحكم البريطاني الذي استغل البلاد وسخر العباد ، ولم يلق الانجليز المقاومة الصادقة والتصدي العنيف الا من المجاهدين المسلمين وخاصة العلماء الذين حملوا المصحف والسيف معا لمقاومة الأعداء ، ورويت أرض الهند بدماء آلاف الشهداء من المجاهدين المسلمين ، ومع هذا فلم يستسلم المسلمون ولم يستكينوا للذل بل ظلوا يحملون راية الاسلام ، ويحافظون على تعاليمه وينشرونه بين الناس ، ويبذلون كل طاقاتهم في الحفاظ على ما ورثوه من أسلافهم المسلمين .

ولا شك ان وضع المسلمين اليوم في الهند ليس كوضعهم حين كانت السلطة بيدهم ، والكلمة لهم ، وراية الاسلام هي المرفوعة ، وشريعته هي الحاكمة .

فالمد الاسلامي قد انحسر في مجال السلطة في الحكم ، ولكنه بقي في دور

العلم والجامعات والمعاهد الاسلامية التي تعني بعلوم الاسـلام واللغـة العربية بحيث تخرجت افواج كثيرة من هذه المعاهد واضطلعت بمهمـة الدعوة والارشاد والتعليم والتوجيه .

وقلت للأستاذ العقيل :

تفخر شبه القارة الهندية بتراث هائل في الفقه والتفسير وفي علوم الحديث الذي هو الطابع المميـز لجامعة دار العلوم والذي قدمت من خلاله اعلاما في الفكر والثقافـة الاسلامية تتيـه بهـم ، ويعتـز بعلمهم العالم الاسلامي .

نود ان نلقي الضوء على هذا الدور في إطار معاصرة سيادتكم لهـذا النشاط ؟

فعقب قائلا :

لا يخفى على أحد ، الجهود الضخمة والتراث الهائل في علوم الحديث والفقه والتفسير التي بذلها علماء شبه القارة الهندية ، ولا زالت أسماء الكثير من العلماء والدعاة تملأ سماء الدنيا مثل المبارك فوري والدهلوي ، وصديـق خان وغيرهم من الأفذاذ .

ولا ننسى جهود الجامعات الاسلامية العريقة كدار العلوم في ديوبند وندوة العلماء في لكنو وغيرها من الجامعات الاسلامية التي حفظـت للمسلمـين تراثهم ، وأسهمـت في نشر اللغـة العربية في شبه القارة الهندية حتى بلغ عدد المجلات الصادرة باللغـة العربية اكثر من عشر مجلات .

○ وعن مشاركته في الوفد الذي مثل الكويت برئاسة معالي الوزير ، والدور الذي اضطلعت به الكويت في شبه القارة الهندية قال :

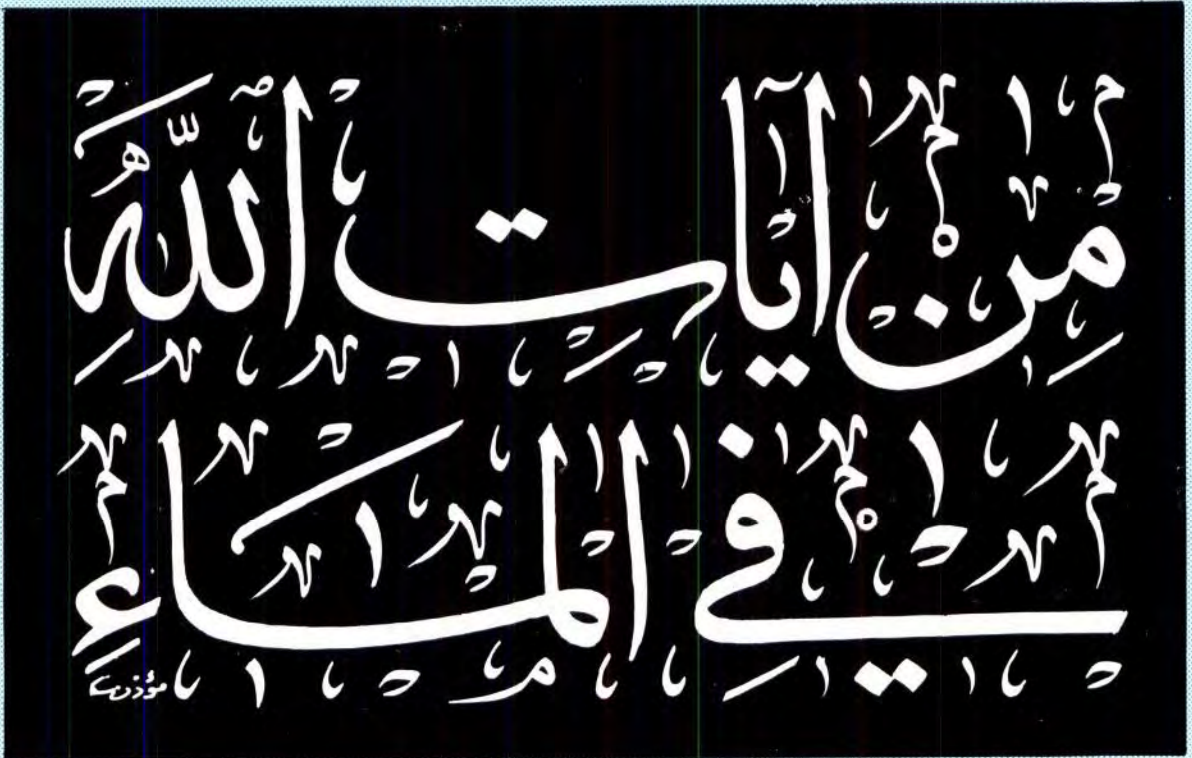
فيما يتعلق بتمثيل الكويت في الاحتفال بالعيد المئوي لجامعـة دار العلـوم بديوبند ، فقد كنت ضمن الوفد الذي رأسه السيد الوزير حيث ألقى كلمة سمو الأمير في الاحتفال .

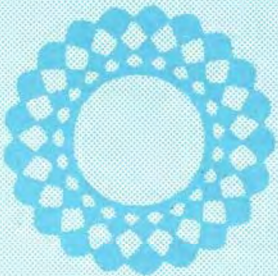
كما أن للوزارة خطتها التي تسير عليها في القيام بمشاركة الهيئـات والمؤسسـات الاسلاميـة ، وتقديـم العون المادي والثقافي لمساعدتها على أداء مهمتها .

وللوزارة اتصالاتها مع جهات كثيرة من خلالها تساهم في تزويدهم بالكتب الاسلامية بمختلف اللغـات ، وكذا بالمنح الدراسية فضلا عن المساهمة في تشييد المساجد وبنـاء المدارس واستقبال الوفود الزائـرة ودراسـة احوالهم والتعـرف على مشكلاتهـم والعمل على مساعدتهم بما يضمن سلامة مسيرتهم انطلاقا من حرص الوزارة على نجاح الدعوة الاسلامية وتحقيق الهدف منها .

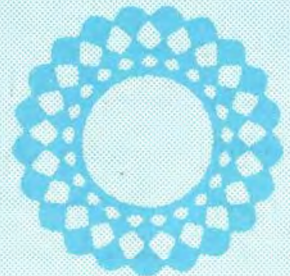
هذا وقد تركت سيادته شاكرا له على هذه المعلومات القيمة التي حملت بين ثناياها الكثـير ممـا يفتقـر اليـه المسلمون من تاريخ الهند الاسلامي راجيا أن يمن الله سبحانه بحفظ قادة الفكر الاسلامي في تلك البقاع حتى يعيدوا مجدا وتراثـا غمـر المشرق والمغرب وتمثل في أعمـق وأدق ما أنتجتـه عقـول وجهـود العلمـاء « كالفتاوى العلمكيرية » فهي من أوثق ما دون في فقه الحنفية بل وهناك الكثير الكثير الذي ما زال يكسو وجه الحياة الهندية الاسلامية .







لست من علماء الكيمياء أو الفيزياء حتى أتناول بالشرح نواحي الاعجاز العلمي فيما يؤديه الماء من أدوار في تغذية النبات وفي عملية النتح ، ومثل ذلك في الانسان والحيوان ، وبيان نسب الماء في أجسام كل ، ودخوله في تكوين الدم واللبن الى آخر ذلك كله من أوجه الاعجاز .



للاستاذ عمر الراكشي

ولكني كمسلم متفكر في ملكوت السماوات والأرض ، متأمل في خلق الله ، أسجل ما أحسسته من آيات الله في المياه ، وذلك من واقع قراءاتي في كتاب العربية الأول ، وتأملاتي في الطبيعة والحياة .

مصدر المياه :

اختص الحق تبارك وتعالى ذاته العلية كبارى' للمياه ومنزل لها باذنه ، بصريح النص القرآني حيث يقول عز من قائل :

○ (**وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا . لنخرج به حبا ونباتا . وجنات الفافا**) النبأ / ١٤ ــ ١٦

ثجاجا : منصبا بكثرة .

○ (**وينزل الغيث**) لقمان / ٣٤

○ (**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير**) الحج / ٦٣ .

○ (**هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون**) النحل / ١٠ ، ١١

(تسيمون : أى تطلقون أنعامكم ترعى فيه)

○ (**أفرأيتم الماء الذي تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون**) الواقعة / ٦٨ ــ ٧٠

○ (**ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد**) ق / ٩

○ (**أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله**) النمل / ٦٠

○ (**ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**) الروم / ٢٤

○ (**ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون**) العنكبوت / ٦٣

تكون الماء في السماء :

من دلائل قدرة الخالق في هذا المجال ما أفصح عنه بقوله تعالى :

○ **(ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء)** النور/٤٣

يزجي : يسوق على مهل . **وركاما** : بعضه فوق بعض . **والودق** : المطر ، **جبال** : السحاب الثقال . **وبرد** : قطع الثلج الصغيرة .

○ **(الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون)** الروم/٤٨ .

بمقدار .. وما أنتم له بخازنين :

الخالق البارئ المصور جلت حكمته حدد نسبة المياه الى نسبة اليابسة على الكوكب الذي نعيش على سطحه على نحو يلطف من جو اليابسة ، ويحفظ في الوقت عينه دورة المياه ، فيحدد نسبة البخر ليتصاعد بخار الماء فيشارك في تكوين السحاب ، ثم ينزل المطر بقدر مقدور ، فيكون أنهارا فتصير الى المحيطات والبحار وهكذا ، فهو سبحانه الذي يحفظ مياه الأنهار والبحار والمحيطات من أن تتناثر في الأجواء هباء ، وهو الذي حدد مقدار الماء الذي فيه كفاية المخلوقات التي تعيش على الماء العذب ، أو تلك التي تحيا في الماء الملح .

ويلفتنا الحق تبارك وتعالى من ناحية أخرى الى عدم استطاعتنا اختزان الماء إلا بالقدر الذي يأذن به ، فلا يملك الانسان أن يحول بين الماء وبين البخر ، ولا بينه وبين التسرب الى باطن الأرض ، فالقادر وحده هو الذي أوجده وهو الذي يستبقيه ، ويحفظ دورته بين الأرض والسماء وبالقدر الذي يشاء ــ وتأمل يا أخي ما تسجله هذه الآيات البينات :

○ **(وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم . وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين)** الحجر/٢١ و ٢٢

○ **(وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون)** المؤمنون/١٨

○ **(قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين)** الملك/٣٠

غورا : ذاهبا في جوف الأرض **ومعين** : أى ظاهرا تراه العيون وهو جار .

○ **(والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون)** الزخرف/١١

○ **(وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا)** الفرقان/٥٣

أى ترك البحرين يجريان أحدهما شديد العذوبة والآخر شديد الملوحة وبينهما حاجز من الأرض ومانع يحول دون اختلاطهما إلا في مصبات

الأنهار .
وصدق شوقي إذ يقول :
والماء تسكبه فيسبك عسجدا
والأرض تغرقها فيحيا المغرق

كل شيء حي :

ما من كائن حي على سطح هذه البسيطة أو في جوفها أو في سمائها أو أعماق مياهها إلا ويدخل في تركيبه الماء على نحو ما ، وانظر إعجاز الخلق من الماء في هذه الآيات :

○ **(أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون)** الأنبياء/ ٣٠

○ **(وبدأ خلق الأنسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين)** السجدة/ ٧ و ٨

وانظر يا أخي الى البحار وما فيها من أحياء في مياه ملحة وهو عالم بأسره زاخر بكل غريب وعجيب :

○ **(وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها)** النحل/ ١٤

وتأمل النبات الذي يسقى بماء واحد في الأرض المتجاورة فيخرج عديدا من الثمار المتفاوتة في الشكل والتكوين والمذاق والرائحة :

○ **(وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)** الرعد/ ٤

مستودع ممات :

وإذا كان الماء سبب حياة ، فهو من عجب وسيلة إغراق ومستودع ممات ، كما أن المطر الذي يحيى الأرض يكون باذن الله مهلكة للمجرمين . فتدبر معي هذه الآيات :

○ **(وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين)** الشعراء/ ١٧٣

○ **(وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين)** الأعراف/ ٨٤

○ **(فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم)** طه/ ٧٨

○ **(فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم)** الذاريات/ ٤٠

○ **(وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم)** الفرقان/ ٣٧

○ **(وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي)** هود/ ٤٤

ولكن ليس كل إغراق موتا فكم في أعماق البحار والمحيطات من أحياء مغرقة تنبض بالحياة بين ثابت ومتحرك وبين نبات وحيوان .

وسيلة للانتقال :

ويقول عز من قائل عن الماء كوسيلة للانتقال .

○ **(والفلك تجرى في البحر بأمره)** الحج/ ٦٥

○ **(فإذا خفت عليه فألقيه في اليم)** القصص/ ٧ **عليه** : أى موسى

عليه السلام

○ **(وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام)** الرحمن / ٢٤

○ **(وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)** النحل / ١٤

○ **(ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام . إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور . أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير)** الشورى / ٣٢ ـ ٣٤

كالأعلام : كالجبال أو القصور
فيظللن رواكد : ثوابت سواكن
يوبقهن : يهلكهن بالغرق .

الماء يكون نارا :

سبحان من سيحول المياه نارا مشتعلة ، فقد عرفنا في دنيانا الماء يطفىء النار ، لكنه وحده جلت قدرته خالق وخارق القانون ، فسوف تشتعل البحار بأمره نارا ، وهي من علامات الساعة وقانا الله أهوالها وأظلنا بظله يوم لا ظل الا ظله .

○ **(وإذا البحار سجرت)** التكوير / ٦ أى وإذا امتلأت نارا

○ **(والبحر المسجور)** الطور / ٦ أى والبحر الممتلىء نارا

الماء في الآخرة :

وعد الحق سبحانه المتقين في الجنة ماء عذبا غير متغير الطعم والرائحة ، وأنهارا من العسل واللبن وخمر الجنة وهي جميعا لذيذة جدا حتى كأنها اللذة نفسها . كما توعد المخلدين في النار بأن يكرهوا على شرب الماء الشديد الحرارة الذي يقطع الأمعاء والاحشاء ، كما وعد المنعمين في الجنات بعيون الماء والأنهار ، وكان وعد ربي مقضيا :

○ **(مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم)** محمد / ١٥

○ **(وظل ممدود . وماء مسكوب)** الواقعة / ٣٠ و ٣١

○ **(إن المتقين في مقام أمين . في جنات وعيون)** الدخان / ٥١ و ٥٢

○ **(إن المتقين في ظلال وعيون)** المرسلات / ٤١

○ **(وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا)** الكهف / ٢٩

خاتمة :

فسبحان من أنزل الماء بقدر من السماء أمطارا .. فحفظه وأجراه فوق سطح الأرض أنهارا .. وادخره في باطنها آبارا .. وصبه من الأنهار واستبقاه محيطات وبحارا .. ثم يشعلها يوم القيامة نارا وأوارا ..



ليس من الحديث النبوي



يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وعي من الدخيل على ألسنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . وسعدنا ان نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

○ (من وافق من أخيه شهوة غفر له) .

موضوع :

رواه العقيلي وقال في إسناده متروك .
وقد رواه البزار والبيهقي والطبراني بلفظ :

(من أطعم أخاه المسلم شهوته حرمه الله على النار) .

كما روى أيضا بلفظ :

(من لذذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف ألف حسنة) .

قال الامام أحمد بن حنبل هذا باطل ، ومحمد بن نعيم أحد رواته كذاب .
وقال السيوطي في اللآلىء هو بهذا الاسناد منكر ، ومن طريق محمد بن عبدالسلام عن عبدالله بن مخلد بن خالد التميمي عن أبيه ، ومحمد بن عبدالسلام كذاب وعبدالله وأبوه لم يوثقا .
ورواه الطبراني من حديث جابر مرفوعا بلفظ :

(من أطعم أخاه خبزا حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه باعده الله من النار سبعة خنادق كل خندق مسيرة خمسمائة عام) .

قال ابن حبان : موضوع .
وقال ابن حجر في اسناده رجاء بن أبي عطاء المعافري .
وهو يروي الموضوعات .
وقال عنه ابن حبان ايضا انه يروي الموضوعات .
واتهمه الحاكم في تاريخه برواية الموضوعات .

إيقاع الجزاء والأحكام على إبليس

قال الله تعالى :

(قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين . قال أنظرنى إلى يوم يبعثون . قال إنك من المنظرين . قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين . قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين) الأعراف/ ١٣ ـ ١٨ .

وقال تعالى :

(قال فاخرج منها فانك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين . قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون . قال فانك من المنظرين . إلى يوم الوقت المعلوم . قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين . قال هذا صراط على مستقيم . إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين . وإن جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم . إن المتقين في جنات وعيون) الحجر/ ٣٤ ـ ٤٥ .

وقال تعالى :

(قال أرأيتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا . قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم

الحلقة الثالثة

للدكتور محمد طموم

جزاؤكم جزاء موفورا . واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا . إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) الاسراء/٦٢ ـ ٦٥ .

الأحكام التي صدرت على الانسان

قال الله تعالى :

(وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) البقرة/٣٦ ـ ٣٩ .

وقال تعالى :

(قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين . قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) الأعراف/٢٤ ـ ٢٥ .

وقال تعالى :

(ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) طه/١٢٢ ـ ١٢٤ .

في هذه الآيات الكريمة يبين الله سبحانه وتعالى للمسلمين الأحكام التي صدرت من الله على الخارجين عن طاعة الله وأوامره ، وإذا نظرنا في هذه الأحكام نجد أن كلا من ابليس والانسان صدر ضده حكمان ، تخللهما رد فعل الحكم الأول على المحكوم عليه ، وانعكاس الحكم الاول على كل منهما ، وبين الله الأقوال التي بدرت من إبليس والانسان بعد الحكم الابتدائي ، وأثر هذه الأقوال واعتبارها عند صدور الحكم الثاني .

وعلى ذلك فالأحكام التي صدرت من الله تعالى ضد العاصين مرت بأكثر من مرحلة واحدة ، وبيان ذلك كالآتي :

حكم ابتدائي ، ما بدر من العصاة بعد الحكم الابتدائي ، الحكم النهائي مع الشمول بالنفاذ .

كما نجد أن العناصر الأساسية في الحكم ملاحظة وموجودة فيما صدر عن الله تعالى ضد إبليس وضد الانسان ، ولذلك كان الفرق واضحا .

الحكم الابتدائي

الحكم على إبليس :

قال تعالى :

(فأهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين) الأعراف/١٣ .

(فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين) الحجر/ ٣٤ ــ ٣٥ .

وقال تعالى :

(واستكبر وكان من الكافرين) البقرة/ ٣٤ .

في هذه الآيات يبين الله لنا الحكم الابتدائي الذي صدر ضد ابليس وهو الخروج من الجنة ومن رحمة الله ، والهبوط والنزول منها صاغرا حقيرا ، لأنه من الكافرين ، وأنه سيكون رجيما من الانسان الذي لم يسلم بأفضليته ، كما سيكون ملعونا من جميع مخلوقات الله ما بقيت الدنيا ، وأن اللعنة ستلحقه دائما إلى يوم القيامة ، وهو يوم الدين ويوم الحساب ، وأنه سيكون من الصاغرين .

وقد قرن الله الحكم بالحيثيات ، حيث قال تعالى : **(فما يكون لك أن تتكبر فيها)** ثم رتب عليه الجزاء ، فقال تعالى بعدها مباشرة : **(فاخرج إنك من الصاغرين)** .

الحكم على آدم وحواء

قال الله تعالى :

(اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) الأعراف/ ٢٤ .

يبين الله سبحانه وتعالى الحكم الابتدائي الذي حكم به على أول أسرة تكونت من الانسان ــ آدم وحواء ــ وهذا الحكم هو الهبوط إلى الأرض لتكون مستقرا ومتاعا فترة من الزمن مؤقتة وليست دائمة ، وستكون هناك عداوة بين بعض الانسان والبعض الآخر ، وعلى ذلك فقد أضيف عدو جديد للانسان ، ولكن هذا العدو سيكون من جنسه ، قال الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) التغابن/ ١٤ .

وقال تعالى في النصارى : **(فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة)** المائدة/١٤ .

وقال تعالى في اليهود : **(وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة)** المائدة/ ٦٤ .

وقال تعالى : **(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الأنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا)** الأنعام/ ١١٢ .

وقال تعالى : **(وقل لعبادي يقولوا التي هى أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للأنسان عدوا مبينا)** الاسراء/ ٥٣ .

ما بدر من العصاة بعد الحكم الابتدائي

ما بدر من إبليس :

قال الله تعالى :

(قال أنظرنى إلى يوم يبعثون . قال إنك من المنظرين . قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم

وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) الأعراف/ ١٤ ـ ١٧ .

وقال تعالى : **(قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون . قال فإنك من المنظرين . إلى يوم الوقت المعلوم . قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين . قال هذا صراط على مستقيم . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين . وإن جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم)** الحجر/ ٣٦ ـ ٤٤ .

في هذه الآيات يبين الله لنا ما حدث بعد الحكم الابتدائي على إبليس .

فهو بعد الحكم عليه ـ بالخروج من الجنة ومن رحمة الله والهبوط منها صاغرا ذليلا ـ لم يرضخ ولم يتعظ ، ولم يرجع عن عصيانه ويتوب إلى الله ، وإنما تمادى في معصيته وكفره وتحديه ، فطلب إبليس من الله تعالى أن يمهله ويبقيه إلى يوم القيامة ، ليثبت لله أن الانسان الذي كرمه عليه وفضله على سائر خلقه لن يعبد الله ولن يطيعه ، وإنما سيكون عاصيا مثله ، ولن يكون شاكرا لله على ما أنعم عليه من نعم كثيرة ، وأنه ـ إبليس ـ لن يألو جهدا ولن يترك وسيلة ، إلا سلكها ليضلل الانسان ، ويزين له المعصية ، وفي الوقت نفسه اعترف أنه لن يتمكن من تغرير كل الناس ، وأنه سيكون عاجزا أمام عباد الله المخلصين ، وهم قلة من ذرية آدم ، أما الكثيرون فسيقدر على إغرائهم ، لانه سيحيطهم من كل جانب ، من بين أيديهم ـ أمامهم ـ ومن خلفهم ، وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، حتى لا تجد أكثر الناس شاكرين لربهم عابدين له ، وإنما سيكون أكثرهم من العاصين ، الخارجين عن شرع الله وقانونه ، المخالفين لأوامره ، والمرتكبين لنواهيه .

وأمام هذا التحدى من إبليس ، وإصراره على الكفر ، وعده الله بالبقاء إلى يوم القيامة ، ومكنه من مشاركة الناس في أموالهم وأولادهم ، ومكنه من الوسائل الكثيرة التي تمكنه من تضليل الانسان الضعيف ، فيصدق وعود الشيطان ، وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ، وينسى أوامر الله ، ويغفل عن طاعته ، ثم حكم الله عليه وعلى من تبعه بدخول جهنم ، حتى ينالوا جزاءهم ، وبئس المصير .

أما عباد الله المخلصون الأقوياء ، المتمسكون بطاعة الله ، المتبعون لشرعه ، والمبتعدون عن معصيته ، والمستعيذون بالله من الشيطان الرجيم ، فسيكون الله نصيرهم ومساعدهم ، ومحصنهم من وسوسة شيطان الانس والجن ، قال الله تعالى في سورة الناس ـ: **(قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذي يوسوس في صدور الناس . من الجنة والناس) .**

ما حدث لآدم

قال الله تعالى

(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) البقرة/ ٣٧ .

وقال تعالى : **(ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى)** طه/ ١٢٢ .

في هذه الآيات يبين الله لنا ما حدث لآدم بعد الحكم الابتدائي عليه . وهو أن الله تعالى علم آدم كيفية التوبة ، فتلقى آدم من ربه كلمات ، فتعلمها آدم وعرفها وحفظها وذكرها ، طالبا من الله المغفرة ، معلنا توبته إلى الله ، معترفا بخطئه عندما فعل ما نهى الله عنه ، راجيا من الله قبول توبته ، ورجوعه إلى طاعة الله ، داعيا الله العلي القدير أن يرفع عنه إثم ما ارتكبه .

فقبل الله دعاءه وتوبته ، فرفع الاثم عنه ، والعقوبة المقررة في الآخرة ، لأن الله تعالى لا يريد لعباده العذاب في الآخرة ، لأنه هو التواب الرحيم ، فيقبل توبة العاصين إذا طلبوا ذلك ، ويفرح لرجوعهم إليه ، ويفتح لهم صفحة جديدة لا يعلق بها آثار ما ارتكبوا .

ولم يقف الأمر عند التوبة فقط ، وإنما هداه إلى ما فيه الخير له وللانسانية من بعده ، وقد اجتباه ربه واختاره ، ليكون معلما لزوجه ولذريته منها ، فيكون نافعا لنفسه ولغيره ، يعلمهم ما تعلم ، ويبلغهم أوامر الله ونواهيه ، ليسعدوا في حياتهم الدنيوية المستقبلة .

وعلى ذلك فيظهر الفرق واضحا بين معصية الانسان الأول ، ومعصية إبليس وكفره ، وقد اتضح ذلك من تصرف كل واحد منهم قبل الحكم الابتدائي وبعده .

الحكم النهائي مع الشمول بالنفاذ

قال الله تعالى :

(قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) البقرة/ ٣٨ ـ ٣٩ .

وقال تعالى : **(قال أرأيتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا . قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان)** الاسراء/ ٦٢ ـ ٦٥ .

في هذه الآيات الكريمة يبين الله تعالى الحكم النهائي على إبليس ، وعلى الأسرة الأولى المكونة من آدم وحواء ، وقد اشتمل الحكم على الانسان ما يأتي :

١ ـ الأمر بالهبوط من الجنة ومن السماء ، والنزول الى الأرض ، ليعيش فيها ويستقر بها ، لعدم إمكانية بقاء الانسان في الجنة ، بعد تغير طبيعته ، نتيجة عصيانه .

واشتمال الحكم النهائي على لفظ : « **اهبطوا** » تأكيد وتأييد للحكم الابتدائي ، الذي اشتمل منطوقه على هذا اللفظ أيضا ، قال

الله تعالى في الحكمين :

(وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا) البقرة/٣٦ ـ ٣٨ .

٢ ـ الأخبار بأن الانسان سيأتي له هدى من عند الله ، وتأكيد هذا الاتيان ، لتطمئن الأسرة الانسانية على مستقبلها في الأرض ، وأن الله تعالى لن يتخلى عنها ، وأن الله سينظم حياة الانسان بتشريع سماوي ، وبقانون من عنده ، قال الله تعالى : **(فإما يأتينكم مني هدى)** البقرة/٣٨ ، طه/١٢٣ .

ويجب علينا أن نتنبه الى المغزى المراد من تكرار هذه الآية في سورتين من القرآن الكريم بنفس الألفاظ والحروف ، ليبين الله تعالى أن التشريع والقانون هو ما كان من عند الله وحده لا شريك له .

٣ ـ توضيح الجزاء الدنيوى والأخروي للطائعين والعاصين والكافرين فنص على الثواب للطائعين ، وأن من اتبع هدى الله وآمن به وسلك طريقه ، فلا خوف عليه ولا حزن يناله ، لأنه لن يضل ولن يشقى ، وستكون عاقبته الجنة . قال الله تعالى : **(إن المتقين في جنات وعيون)** .

وتقرير الثواب للطائعين ، انفرد به التشريع السماوى ، وتميز به عن التشريع الوضعي .

أما من أعرض عن ذكر الله ، فلا يتوقع معيشة رغدة سعيدة ، وإنما سيكون في ضيق وشدة ، ويحشر يوم القيامة أعمى ، لأنه نسى فلم ير آيات الله وبيناته ، ولم يستمع إلى هديه وارشاداته .

أما الذين يكفرون بآيات الله ويكذبون رسله ، ولا يدركون الدلائل على وجوده ووحدانيته ، فسيكون مصيرهم الخلود في النار ، ومصاحبتها دائما ، بحيث لا يفارقونها لحظة من اللحظات التي ستستمر وتطول بلا نهاية لها .

أما الحكم النهائي على إبليس فقد اشتمل على ما يأتي :

١ ـ الأمر بالخروج من الجنة في حالة غير كريمة ، مذءوما مدحورا منهزما ذليلا .

واشتمال الحكم النهائي على لفظ : « **اخرج منها** » تأكيد وتأييد للحكم الابتدائي ، الذي نص في منطوقه على هذا اللفظ في قوله تعالى : **(فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين)** الحجر/٣٤ ـ ٣٥ ، وبلفظ : « **اخرج** » فقط في قوله تعالى : **(فاخرج إنك من الصاغرين)** الاعراف/١٣ .

٢ ـ الأمر بالذهاب والبعد عن رحمة الله ، ليسلك طريق الغواية للانسان ، وهو الطريق الذي اختاره لنفسه ، وطلب من الله تعالى تمكينه منه ، وتيسيره له ، ليحقق ما أراده .

٣ ـ تمكين إبليس وتحقيق أمنيته ، بأن يكون قادرا على تغرير الانسان وتضليله بكل الوسائل ، ومشاركته في

الأموال والأولاد ، وهما زينة الحياة الدنيا ، وأن يعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ، وأن يكون له سلطة على الانسان ، وقوة تأثير عليه ، حتى يوسوس له بالكفر إن قدر ، فان عجز عن ذلك فالوسوسة بمعصية الخالق جل وعلا .

٤ ــ عدم تمكين إبليس من عباد الله المخلصين ، والحكم بأنه ليس له عليهم سلطان .

٥ ــ تقرير الجزاء الأخروى لابليس ولمن تبعه ، وأنهم جميعا سيدخلون جهنم ، لينالوا الجزاء الأوفى ، وأن جهنم ستملأ منهم جميعا ، ولن يدخلها إلا ابليس ومن تبعه وصدقه وكان من الغاوين .

تنفيذ الحكم

كان الحكم النهائي الصادر على الانسان ــ الأسرة الأولى المكونة من الزوجين آدم وحواء ــ وعلى إبليس مشمولا بالنفاذ ، فهبط الجميع إلى الأرض ، لينفذ كل واحد منهم ما وكل إليه من أعمال ، ويؤدي ما التزم به أمام الله العلي القدير ، ويقوم بوظيفته في الحياة الدنيا ، فيعمر الانسان الأرض ، ويعبد الله ، ويكون خليفة الله تعالى في أرضه ، ويقوم إبليس بما اختار لنفسه ، من وسوسة وتضليل وتحريض لضعاف النفوس من البشر ، حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا ، فيجد كل واحد جزاءه على ما فعل في دنياه .

الفرق بين الحكم الابتدائي والحكم النهائي :

إذا نظرنا إلى الحكم الابتدائي الصادر من الله تعالى ، ودققنا النظر في الحكم النهائي نجد فروقا واضحة بينهما ، ومعالم ظاهرة بكل حكم ، تتناسب مع طبيعته وحقيقته ، والمراد منه ، والهدف من وجوده وصدوره ، أذكر منها ما يلي :

١ ــ الحكم الابتدائي العقوبة فيه دنيوية .

أما الحكم النهائي فالعقوبة فيه أخروية ، وقد تكون دنيوية بالاضافة الى العقوبة الأخروية .

٢ ــ الحكم الابتدائي فيه إشارة لبعض الوقائع وما حدث قبل الحكم ، لتوضيح حيثيات الحكم .

أما الحكم النهائي فلا يشير للوقائع ، وإنما يؤيد الحكم الابتدائي ، أو يضيف إليه حكما جديدا .

٣ ــ الحكم الابتدائي فيه تعبير عن الماضي ، والحاضر ، والمستقبل القريب .

أما الحكم النهائي فلا يعبر عن الماضي ، وإنما يعبر عن الحاضر ، والمستقبل القريب ، والمستقبل البعيد .

٤ ــ الحكم الابتدائي لم يكن شاملا للنفاذ .

أما الحكم النهائي فقد كان مشمولا بالنفاذ .

٥ ــ الحكم الابتدائي لم يلحق العاصين بابليس في الجزاء .

أما الحكم النهائي فقد ألحق العاصين والكافرين بابليس في الجزاء والعقوبة .

٦ ــ الحكم الابتدائي على الانسان لم

يقترن بالاخبار بقانون سماوي ينظم حياته في المستقبل .

أما الحكم النهائي فقد اقترن بالاخبار عن تشريع سماوي وهدى من عند الله ، يأتي للانسان لينظم حياته ، ويسعد آخرته .

٧ ـ الحكم الابتدائي على الانسان لم يقترن بتوضيح الثواب والعقاب .

أما الحكم النهائي فقد اقترن بتوضيح الجزاء والثواب لمن اتبع هدى الله ، والعقوبة والويل لمن أعرض عن ذكر الله ، أو كفر به وكذب بآياته .

عناصر الحكم

اذا أمعنا النظر في الحكمين نجد العناصر الآتية واضحة جلية ، وإدراك الفرق بينهما في كل عنصر لا يحتاج إلى عناء ومشقة ، فمثلا :

١ ـ منطوق الحكم :

ففي الحكم على إبليس ، قال تعالى : (**فاهبط منها**) الاعراف/١٣ ، (**اذهب**) الاسراء/٦٣ ، (**فاخرج منها**) الحجر/٣٤ ، (**اخرج منها**) الأعراف/١٨ .

أما في الحكم على آدم وحواء ، قال تعالى : (**اهبطوا**) فقط ، الاعراف/٢٤ .

٢ ـ ما يترتب على الحكم :

بالنسبة لابليس ، قال تعالى : (**فإنك رجيم**) الحجر/٣٤ ، (**إنك من الصاغرين**) الأعراف/١٣ ، (**وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين**) الحجر/٣٥ .

وبالنسبة للأسرة الانسانية ، قال تعالى : (**بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين**) البقرة/٣٦ ، الاعراف/٢٤ .

٣ ـ ملاءمة العقوبة للجرم :

جرم ابليس ، قال تعالى : (**أبى واستكبر وكان من الكافرين**) البقرة/٣٤ ، (**لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون**) الحجر/٣٣ ، (**أأسجد لمن خلقت طينا**) الاسراء/٦١ ، (**أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**) الأعراف/١٢ .

الجزاء : قال تعالى : (**فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين**) الاعراف/١٣ ، (**فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين**) الحجر/٣٤ و ٣٥ ، (**اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا**) الاسراء/٦٣ .

جرم الأسرة الانسانية : قال تعالى : (**فوسوس لهما الشيطان**) الأعراف/٢٠ ، (**وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور**) الأعراف/٢١ و ٢٢ ، (**فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه**) البقرة/٣٦ .

وقال تعالى : (**فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**) الأعراف/٢٢ ، (**فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى**) طه/١٢١ ، (**ولقد**

عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما) طه/١١٥ .
الجزاء ، قال تعالى : **(اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين)** البقرة/٣٦ ، الأعراف/٢٤ .

٤ ـ العقوبة من جنس العمل :

بالنسبة لابليس ، قال تعالى :
(قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) الأعراف/١٢ ، **(واستكبر)** البقرة/٣٤ ، **(قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين)** الأعراف/١٣ .
(قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) الحجر/٣٣ ، **(قال فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين)** الحجر/٣٤ و ٣٥ .
(فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) البقرة/٣٤ ، **(والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)** البقرة/٣٩ .
وبالنسبة لآدم وحواء ، قال تعالى :
(فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما) الأعراف/٢٢ .
(فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) طه/١١٧ ، **(ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . قال اهبطا بعضكم لبعض عدو)** طه/١٢٢ و ١٢٣ ، **(قلنا اهبطوا منها جميعا)** البقرة/٣٨ .

فالله سبحانه وتعالى أخبر الانسان وأعلمه أن إبليس عدو له ولزوجه ، وسيحاول اخراجهما من الجنة ، ولكن آدم نسى ولم يكن له عزم وقوة ، ولذلك كانت العقوبة وجزاء الانسان الهبوط الى الأرض ، وزيادة الاعداء ، بأن استجد للانسان أعداء أخر من بنى جنسه ، بالاضافة الى العدو الأول والأكبر ، وهو ابليس عليه اللعنة .

٥ ـ المقابلة بين الحكمين :

فبالنسبة لابليس ، قال تعالى :
(قال فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين) الحجر/٣٤ و ٣٥ .
وبالنسبة لآدم وحواء ، قال تعالى : **(قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)** البقرة/٣٨ ، **(ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين)** البقرة/٣٦ ، الاعراف/٢٤ .

٦ ـ التجانس في منطوق الحكم :

فبالنسبة لابليس ، قال تعالى :
(فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين) الأعراف/١٣ ، **(فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين)** الحجر/٣٤ و ٣٥ .
وبالنسبة لآدم وحواء ، قال تعالى :: **(اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين)** البقرة/٣٦ ، الاعراف/٢٤ .

المعرض الإسلامي في دولة البحرين

أقامت وزارة العدل والشئون الاسلامية بدولة البحرين الشقيقة معرضا إسلاميا دعت إليه بعض الدول العربية احتفالا بمطلع القرن الخامس عشر الهجري .

وقد مثل الكويت فضيلة الشيخ حسن مراد مناع مبعوث وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت .

وشارك فضيلته في المحاضرات الدينية التي كانت تقام كل يوم ويحضرها جمهور غفير من المثقفين على اختلاف مستوياتهم ووظائفهم . وقد استقبل سمو أمير البحرين باسم الكويت مرحبا به في جناح الكويت شاكرا له اهتمامه وتشجيعه لهذا المعرض الاسلامي وتشريفه بقص الشريط إيذانا بالافتتاح .

وقال فضيلته : لقد اشتركت مع السادة العلماء في البحرين في تنظيم مسابقة قرآنية وكانت تعقد يوميا ، وقد أعطت هذه المسابقة صورة كريمة لاهتمام المسئولين بشئون القرآن الكريم مما حدا بالشباب ان يتجهوا باهتمام شديد حتى ينهلوا من فيض القرآن الكريم فأقبلوا على حفظ كتاب الله والاهتمام بتجويده وفهم معانيه ومن خلال المسابقات التي أقيمت عرضت برنامج دار القرآن الكريم في الكويت ، وخطة الدراسة ، واللائحة التنظيمية المعمول بها هنا مبينا حرص الحكومة الكويتية على مواصلة نجاح هذا النوع من الدراسة .

واستطرد فضيلته قائلا :

لقد استراح القائمون على تحفيظ القرآن الكريم في البحرين لهذا النظام الذي يتميز بطابع فريد يحمي القرآن من الضياع ويعمل على تخريج جيل يحسن التلاوة ، ويتقن حفظ القرآن وفهم علومه .

ومما يحقق هذا الأمل ما يبديه المسؤولون في وزارة العدل والشؤون الاسلامية ـ من عناية ، كما أن هناك هيئات على المستوى الشعبي تتنافس في بث الوعي الاسلامي ، ولها قوة التأثير في نفوس الجماهير كالجمعية الاسلامية ، ونادي الاصلاح .

وخلال الحفل الختامي العام الذي حضره وكيل وزارة العدل والشؤون الاسلامية كما حضره عدد كبير من رواد المعرض ، واولياء الأمور والدارسون والدارسات ، وزعت الجوائز التشجيعية .

وواصل الشيخ حسن مناع حديثه قائلا :

لقد تناولت بيان فضل القرآن الكريم ، وتوجهت برجاء الى كل اسرة وكل هيئة ان تنشىء الشباب والفتيات على حب القرآن الكريم وحفظه ودراسة علومه ، وأن يجعلوا من البحرين صرحا آخر على ضفاف الخليج ، لأن الأمة لن تضع أقدامها على طريق النصر إلا إذا اعتصمت بكتاب الله ، واتخذته دستور عمل ومنهج حياة .

وعن نشاط الكويت في المعرض قال فضيلته :

لقد اشتركت الكويت في المعرض بجناح قسم الى ثلاثة أقسام :

قسم عرض نماذج عن البيئة البدوية ـ السدو ـ وملابس وأدوات الحرب القديمة .

وقسم آخر عرض اللوحات الأثرية والعملات النقدية على اختلاف أنواعها وقام بعرضها والتعريف بها إحدى الموظفات بالمتحف الكويتي .

وقسم ثالث : كان خاصا بعرض نشاط وانتاج إدارة الشؤون الاسلامية بوزارة الأوقاف الكويتية ، وقد اشتمل على لوحات فنية فيها آيات من القرآن الكريم ، وعرض أيضا المخطوطات القديمة ابتداء من القرن الثالث الهجري وقد حازت اعجاب رواد المعرض ولفتت الأنظار إليها .

وكما عرضت نماذج من إنتاج الموسوعة الفقهية وأبحاثها المختلفة .

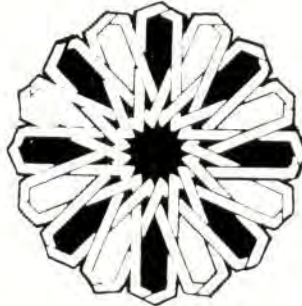
وقدم الجناح مجلدات من الوعي الاسلامي منذ صدورها حتى آخر عدد منها . واطلع الرواد على كتب التراث الاسلامي التي تعنى الوزارة بطبعها ونشرها في جميع البلدان الاسلامية .

وشاهد رواد المعرض بعض الزخارف الاسلامية في أطباق نحاسية وخزفية وآيات قرآنية منقوشة على السجاد .

وأضاف فضيلة الشيخ مناع :
إن سمو أمير البحرين تفضل بزيارة جناح الكويت وأبدى إعجابه بالمخطوطات المعروضة .

وحول ما إذا كان المعرض قد حقق النجاح المرجو له قال :
إن المعرض كان ناجحا نجاحا فاق التصور مما دفع المواطنين إلى المطالبة بتمديد أيامه فترة أخرى .
وقد شاركت بعض الدول العربية بعرض مطبوعاتها وآثارها الاسلامية وما تتميز به كل من هذه الدول في مجال التراث الاسلامي .
وقال : إن أكثر الأجنحة كانت تمثل مؤسسات ووزارات في دولة البحرين كمتحف البحرين ، ووزارة التربية ، ووزارة الاعلام ، ووزارة الصحة ونادي الاصلاح ، والجمعية الاسلامية .
ووزارة العدل والشؤون الاسلامية هناك قد بذلت كل إمكانياتها لانجاح هذا المعرض .

وقال فضيلته : إن دولة البحرين قد أقامت هذا المعرض بمناسبة احتفالها بمطلع القرن الهجري الخامس عشر .
ولقد كان المعرض فرصة للتعريف بالتراث الاسلامي ، واللقاء الفكري في جو اسلامي .
ولعله يكون بداية احتفالات اسلامية تستقبل بها الأمة الاسلامية القرن الخامس عشر الهجري يحدوها الأمل في تحقيق النصر ، وهو قريب باذن الله إذا نصرنا دين الله وسلكنا الطريق على هداه ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز .



الى راغبي الاشتراك
يرجى الرجوع الى الصفحة ١١٥ من المجلة ...



حتى نستعيد بيت المقدس

للشيخ معوض عوض ابراهيم

كان الاسراء من المسجد الحرام بأم القرى مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في بيت القدس ، ومن المسجد الأقصى ابتدأ المعراج ، واليه انتهى النبي صلى الله عليه وسلم عائدا من ملكوت السموات حيث لم يرتفع نبي مرسل ولا ملك مقرب .

وفي ذلك ابراز لطائفة من الحقائق من بينها عظمة المسجد الأقصى ، الذي أضاف إسراء النبي صلى الله عليه وسلم ، اليه ، ومعراجه منه ، حقاً على المسلمين أن يذبوا عن حياضه ، وأن يفتدوه بأموالهم وأبنائهم وأنفسهم من كل شدة تنزل به ، أو خطر يتهدده . وأن يكون معهم في ذلك جنبا الى جنب ، الأوفياء الذين تصدق نسبتهم الى موسى وعيسى عليهما السلام ، والا كان اتباعهم لهؤلاء المرسلين دعوى لا دليل عليها او كلاماً لا ينهض ببرهان .

والقرآن الكريم يقرن في آية واحدة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى ليبقيا على سواء في أعماق المسلمين ، وفي معاقد أبصارهم وفي القمة من اعتبارهم وايثارهم ، وما زال أمر الأقصى يحتل حيزاً في أعماق المسلمين وليس له من ولي ولا نصير بعد الله الا أولئك المسلمون الذين يجدد عهدهم للمسجدين قول الله تعالى :

(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) الاسراء / ١ والآية تفيد هذه الحقائق ومثلها معها ، فاذا كان المسجد

الحرام (**مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات ...**) آل عمران / ٩٦ ـ ٩٧ فان الله تعالى يقول في المسجد الأقصى : (**الذي باركنا حوله**) والكلمة على وجازتها خبر رباني يعني الفضل والخير . فبركة المسجد الأقصى تفيض منه ، وتغمر ما حوله ، ومن حوله ، وهي بركة غلات وثمار واقوات ومناخ طيب ، ولكنها مع هذا كله بركة صلاح وتقوى وإيمان صادق واثق بالله ، إن كانت لا تبدو الآن ، والباطل يستنسر في الارض المقدسة ، ويمد بصره الى ما وراءها ، وتتحلب شفاهه لأكذوبته المريضة البغيضة « ملكك يا اسرائيل من النيل الى الفرات » فانها ستبدد حين نسترجع ديننا ، ويطرح المسلمون ـ وهم دون غيرهم أمل الأقصى ـ هذا التذيل للشرق والغرب ، وارتقاب النصر ممن اعانوا الشر أول الأمر ، وظاهروا على قيامه في أرض النبوات الأولى ، التي صنعت بها أيدي القوم وأهواؤهم ما صنعت، فبعدوا بها عن العهد بها حين كانت ربانية الصدر ، إلهية المنطلق ـ ان عالمية الاسلام وانسانية الدين الخاتم تشهد بها شواهد كثيرة منها أن الأقصى كان قبلة المسلمين منذ فرض الله الصلاة على النبي وامته ليلة الاسراء والمعراج .

ولقد ظل النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون يتجهون في صلاتهم الى المسجد الأقصى حتى شعبان في السنة الثانية من الهجرة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ـ بأمر ربه ـ يتألف بذلك قلوب أهل الكتاب ، لكن يهود كانوا على طبيعتهم في أنهم لم يعرفوا لأحد ودا ، ولا رعوا عهدا ابدا ، وكانت سماحة رسول الله معهم ، ورفقه بهم ، رقما على الماء ، او نفخا في الهواء ، وصدق من قال : « انك لا تجني من الشوك العنب » !

روى الامام احمد أنه لما دخل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس ـ بعد أن بلغه مد الاسلام ، وأكرم الله اهله بالحنيفية السمحة ـ قال عمر لكعب : أين ترى أن أصلي ؟!قال : ان اخذت مني صليت خلف الصخرة ، فكانت القدس كلها بين يديك . فقال له عمر : ضاهيت اليهودية ، ولكني أصلي حيث صلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فتقدم الى القبلة فصلى ، ثم جاء وبسط رداءه ، وكنس الكناسة في ردائه ، وكنس الناس.

والمسجد الأقصى الذي رفع كناسته عمر والمسلمون ، يدنسه يهود ونساؤهم العاريات ، وكلابهم الغاديات على المسجد والرائحات ، ويتوقح رئيس وزرائهم ، فيزعم أن القدس عاصمة اسرائيل وستبقى عاصمتها الى الأبد ، والعيب ليس في الرجل وحده ، ولكنه في أهل الوطن السليب والأقصى الذين يحاولون استرداده بالآمال والأماني دون الايمان بالله والجهاد الحق.

(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) الحج / ٤٠ - ٤١ ولقد بنى عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ببيت المقدس المسجد الأقصى ومسجد الصخرة ، وظل القدس وديعة في اعناق المسلمين يذودون عن مقدساتها الاسلامية وغير الاسلامية ، التي نوه الله بها في قوله : **(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا)** الحج / ٤٠

ورصد المسلمون لهذه المقدسات ما يرصد الكرام لأمانات الأقوام ، فلا عجب أن يقاوموا غزو الصليبية الغربية ، وأن ينتدبوا انفسهم غير وانين ولا مدخرين وسعا للقضاء على غارات التتار ، فلما كان الاستعمار الانجليزي ، مكن بحقده على الاسلام لشذاذ الآفاق في الارض المقدسة وكان خليقا بالنصارى واليهود الذين لم تلوثهم أطماع الصهيونية العالمية الباغية ان يكونوا صفا مع المسلمين في الجهاد من دون فلسطين لتبقى خالصة لأهلها تعلن منائرها ومنابرها « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

ولتتسع - في ظل الاسلام - لأتباع كل دين سماوي ، ممن يولون الاسلام حقه من الاكبار وعرفان الفضل ، فلقد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم ، يهود أول هجرته الى المدينة ما لم يعط أحد مخالفا وهو يقول (لهم مالنا وعليهم ما علينا) / سيرة ابن هشام .

والاسلام يرعى الأخوةالانسانية ، ويوجبها القرآن الكريم ، ويلزم الناس - وان اختلفت عقائدهم وأديانهم السماوية - أن يترابطوا بها بمثل قوله تعالى :

يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) النساء/١

وان كتب السنة ، وهي تتحدث عن الاسراء والمعراج لتجلو الأخوة التي عقدها الله بين جميع انبيائه ورسله حين جمعهم - جلت آلاؤه - مرة في الاسراء ، وأخرى في المعراج للاسهام في الحفاوة بخاتم المرسلين ، ونبي الاسلام الحفي الوفي لرسل الله ورسالاته في نبعها الأصيل .

وهي حقيقة ما كان ينبغي أن تخفى عظتها وعبرتها على الذين يعلنون نسبتهم الى موسى وعيسى عليهما السلام .

والدعاوى ان لم تقيموا عليها
بينات دعاتها أدعياء

ان هؤلاء لن يكونوا صادقين في الانتساب الى الأب الواحد والأم الواحدة والاتباع للمصطفين الاخيار ، حتى يرتفعوا عن الأهواء ، والعصبية العمياء لمواريث ليس معهم

فيها من الله سلطان .

والحق أبلج لا تزيغ سبيله
والحق يعرفه اولو الألباب

ويوم ينتصف القوم من انفسهم ساعة من نهار ، ويكونون مع الاسلام على قلب رجل واحد ، سيفت الله بالمسلمين وبهم في أعضاد الشيوعية الحاقدة ، ومذاهب الكفر ، ودعوات الشر التي تتسربل بأردية الخير بغيا وعدوا ، والخير كله في الاسلام .

ولقد تجلت وحدة المعبود بحق في بيت المقدس حين اثنى المرسلون على ربهم من حول محمد صلى الله عليه وسلم ، وعليهم اجمعين ، وأثنى سيدنا رسول الله على ربه فسبق كل مثن ، وفضل الحامدين جميعا ، بقدر ما فضلت رسالته الرسالات ، وردت العقول التي ضلت والقلوب التي زاغت الى الحقيقة الكبرى حيث يقول تعالى :

(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) الانبياء/ ٢٥

والمنصفون يقدرون فضل الرسالة التي جعلت الايمان بالمرسلين شرطا في تمام الاسلام وهم يقرأون قول الله تعالى –

(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) البقرة/ ٢٨٥

ان مشهد المرسلين من حول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في بيت المقدس يوجب على الذين يديرون اقفيتهم لرسالات انبيائهم ووصاياهم ان يتدبروا الاسلام كتابا وسنة وسلوكا ، فقد تنفع الذكرى ويلتقي هؤلاء مع المؤمنين بحق في رحاب التواصل والتواد ، مستجيبين لقول الله تعالى : **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)** الحجرات / ١٣ ويومئذ يفرح المؤمنون باستخلاص بيت المقدس ، وبسلام يرعاه الاسلام كما فعل منذ تمت به نعمة الله على البشرية بأسرها

إلى كتابنا الأعزاء

تسهيلا لعمليات المراجعة يرجى من السادة كتاب المجلة أن يتكرموا بطبع مقالاتهم على الآلة الطابعة أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات وتخريج الأحاديث .. والله الموفق والمستعان .

ابن تيمية والمغول

١ ـ جنكيزخان يوحد المغول :

في منغوليا جنوب سيبيريا عاشت قبائل بدوية متفرقة تتقاتل على المراعي والمياه ، وتغزو ما حولها من بلدان ، فبنت الصين يوما سورها العظيم ، ليحميها من شر هؤلاء المتوحشين ، ولكن هذا السور على طوله الشاهق ، وامتداده العجيب ، لم يمنع هذه القبائل من غزو الصين ، واحتلال عاصمتها « بكين » ، لما ظهر فيها فتى طويل القامة ، ضخم الجثة ، قوي البنية ، ذو عقل ودهاء ، يسمى « تموجين » ، جمع هذه القبائل ، ووحدها ، وسمى نفسه باسم « جنكيزخان » ، ومعناه امبراطور البشر . وانطلق هذا الطاغية بقومه هؤلاء ، كما تنطلق الريح العاتية بالسحاب الثقال ، فامطر العالم من الصين شرقا حتى بحر الادرياتيك غربا بالبلايا الجسام ، وأغرق بني البشر في بحار من الدماء ، وألقى مدنهم في جحيم من النيران ، وترك الحضارة الاسلامية التي كانت تضيء العالم في صحراء قاحلة من الدمار .

كانت اعداد هؤلاء المغول هائلة ، وشجاعتهم فائقة ، ورجالهم ونساؤهم ذوي خبرة في القتال ، وخيولهم قادرة على تحمل الجوع ، تقتات من نبات الارض ، ولا تكلف أصحابها البحث لها عن الطعام ، لا يبكون على من مات ، ولا يحزنون على ما فات ، ينصرون بالرعب ، فلا يسمع بهم جيش إلا ولى هاربا قبل ان يصلوه ،

للاستاذ : محمد علي العبد

ولا ملك الا قدم المال طائعا قبل ان يحاربوه ، ولكن الجيوش لا ينجيها الهرب ، فهم يصلون الى كل مكان ، والملوك لا تحميهم نلتهم ، فهؤلاء القوم وحوش ديدنهم الولغ في الدماء .

٢ ـ تدمير المدن وذبح البشر :

لما خرج المغول من صحاريهم المجدبة ، وفيافيهم الموحشة ، ووصلوا الى حوض نهر سيحون ، أطلوا على اجمل مدن ، وأرقى صناعة ، وأخصب أرض في العالم في تلك العصور ، فلم تبهرهم تلك الحضارة العظمى ، ولا شاقتهم تلك المناظر التي لا تضاهي ، بل اتخذوا من مقتل بضعة افراد منهم ذريعة لمهاجمة تلك المدن الرائعة ، وذبح الناس دون تمييز ، وليت الاموال التي سلبوا ، والدماء التي سفكوا ، والمدن التى حرقوا ، اوقفتهم ولو مدة يسيرة عن مهاجمة حوض نهر جيحون ، لقد اندفعوا كالاعصار الهائل ، فوصلوا بسرعة عجيبة الى درتي العالم ، بخاري وسمرقند ، اما اهل بخارى فاقتسمهم المغول كاقتسام المتاع ، واصبحت المدينة خاوية على عروشها ، وهكذا دمروا سمرقند وقتلوا سكانها ، ثم عبروا نهر جيحون ، وبدءوا بمدينة جرجانية ، فحاصروها اربعة اشهر ، ثم هدموا السد القائم على نهر جيحون ، فغرقت المدينة بكل من فيها ، ثم انقضوا على اقليم خراسان ، فذبحوا في مدينة « نسا » سبعين ألفا ، أما مدينة « مرو » فهدمت كلها ، وذبح جميع سكانها ما عدا الصناع المهرة ، فتركوا لمعاونة الغزاة في اعمالهم ، وفي مدينة (نيسابور) بنوا ثلاثة اهرامات من رؤوس القتلى ، احداها من رؤوس الاطفال ، والثاني من رؤوس النساء ، والثالث من رؤوس الرجال . أما ملك تلك البلاد الواسعة ، السلطان « محمد خوار زمشاه » فقد ظل يهرب من مكان الى مكان ، وهم يتبعونه ، حتى انتهى به الهرب الى جزيرة صغيرة في بحر قزوين ، وفيها قال حزينا : لم يبق لنا مما ملكناه مكان نقبر فيه . ولما علم بان والدته قد اسرها جنكيزخان مع نسائه ، وان اطفاله الصغار قد قتلوا ، أسلم الروح كمدا ، ولم يجد له اتباعه كفنا يكفنونه به ، فصنعوا له كفنا من قميص واحد منهم .

٣ ـ بطل يحارب المغول :

لما مات السلطان خوار زمشاه حمل ابنه « جلال الدين منكبرتي » راية الجهاد

ضد المغول ، وبدل ان يفر امامهم كما فعل ابوه ، اخذ يهاجمهم ، ففي سنة ٦١٨ هـ تقابل مع طلائع الجيش المغولي في معركة دامت ثلاثة ايام ، فانهزم التتر وقتلهم المسلمون كيف شاءوا ، وجهز جنكيزخان عسكرا كثيفا ، فالتقى بجيش جلال الدين عند مدينة « كابل » فانهزم المغول ثانيا ، وقتل كثير منهم ، وغنم المسلمون ما معهم وكان عظيما ، ولكن واأسفاه !!! جرت الفتنة بين رجال منكبرتي بسبب هذه الغنائم ، فقد غضب أعظم قادته ، وفارق عسكره ، فاستعطفه جلال الدين بكل طريق ، وسار بنفسه اليه ، وذكره الجهاد ، وخوفه من الله تعالى ، وبكى بين يديه ، فلم يرجع ، فانكسر لذلك المسلمون ، وضعفوا ، واضطر جلال الدين حينما ابصر جنكيزخان يقبل عليه بجيوشه ان يرمي امه وزوجته في نهر السند ، وان يعبر النهر الى الهند ، وفي الهند جمع جيشا كبيرا ، وعاد الى خراسان يحارب التتار مرة ، والاسماعيلية مرة اخرى ، وبعض حكام المسلمين مرة ثالثة ، وفي مواطن كثيرة استطاع ان يهزم التتار وان يحمي مدن المسلمين من شرورهم ، ولكن ذلك الاسد الهصور قتل غيلة بيد احد الاكراد ، فهوى ذلك السد المنيع وامتد الفيضان الى بغداد وبلاد الشام . وظل الناس دهرا طويلا لا يصدقون انه مات .

٤ ـ المغول يحرقون بغداد ويقتلون الخليفة :

احس جنكيزخان بان منيته قد قربت ، فعاد قافلا الى منغوليا ، ليدفن في ثراها سنة ٦٢٤ هـ ، ولكن اولاده واحفاده ظلوا يخرجون في موجات متتابعة ، كان اقساها واعظمها هولا تلك التي قادها « هولاكو » حفيد جنكيزخان . الى بغداد وبلاد الشام . كانت الخلافة العباسية بعد خمسة قرون من الزمان قد هرم جذعها ، وتفتتت جذورها ، وقطعت منذ زمن بعيد اطرافها ، ولولا ما لخلفائها من حرمة في نفوس المسلمين ، لنسبهم الى العباس عم رسول الله صلى عليه وسلم ، ولولا ان وجود خليفة امر يحتمه الدين ، لاجتثها احد الحطابين الذين مروا بها من البويهيين والسلاجقة ، فلما اتاها هذا الطاغية الذي لا يؤمن بالاسلام ، كان قطعها والقاؤها في العراء اهون عليه من كل ما لقى قومه في رحلتهم من شرق اسيا الى بغداد ، فما كان لها جيش كالجيوش التي لقيتهم فابادوها ، ولا فيها ابطال كجلال الدين منكبرتي الذي بهرهم بشجاعته ، وهزمهم بمهارته . حطت جموع المغول حول بغداد عام ٦٥٦ هـ وقابلهم الخليفة بالرسل والهدايا ، فلم يلتفتوا الى ذلك كله ، بل طلب « هولاكو » من الخليفة ارسال رجال جيشه اليه ، فلما وصلوا سرادقه امر بقتلهم جميعا ، ثم استدعى الخليفة ، وسأله عن امواله ، وعن مكانها ، فدله عليها ، ثم امر بسجنه ، فلما صاح طالبا الماء والطعام امر هولاكو بان تلقى اليه الجواهر والذهب ، فاحتج المستعصم بان الجواهر لا تؤكل ، فقال له « هولاكو » : اما كان الاجدر بك ان تنفق هذه الاموال في الدفاع عن بلدك ؟ ثم امر بقتله ، والهجوم على بغداد ، فقتل فيها ثمانمائة ألف نسمة ،

ثم اندلعت فيها النيران ، فخربت المدينة . التي كانت منارة الدنيا ، اما الكتب فألقيت في نهر دجلة الذي جرى زمنا وماؤه اسود لكثرة ما اختلط به من حبر ، مما ألقى فيه من كتب .

٥ ـ هولاكو يغزو بلاد الشام :

ان الشام ومصر اللتين وحدهما السلطان الشهيد « نور الدين زنكي » تمزقت اوصالهما بعد وفاة نائبه السلطان المجاهد « صلاح الدين الايوبي » ففي مدن الشام حكام يومئذ من الايوبيين متنابذون ، وفي مصر مماليكهم الذين استبدوا بالسلطان ، فصاروا فيها حاكمين . لهذا فان جموع المغول لم تجد في الشام الا مقاومة ضئيلة ، فالناس في حلب قاتلوا الغزاة فصبوا جام غضبهم عليهم ، فقتلوا الآلاف ، وسبوا النساء ، ونهبوا الاموال ، اما اهل دمشق فقابلوا « هولاكو » بالهدايا والطاعة ، فدخل دمشق دون اراقة دماء ، ما عدا القلعة التي قاومت زمنا ، فاقاموا عليها المجانيق حتى استسلمت ، وسارت جموعهم حتى وصلت غزة . وحينئذ اتى « هولاكو » من الانباء ما شغل باله ، وجعله يعود بمعظم جيشه الى ايران ، فقد بلغه ان اخاه الاكبر قد توفي ، وان اخويه الآخرين يتنازعان ولاية العرش ، كما بلغه ان ابن عمه « بركه خان » الذي اعلن اسلامه ، يعد العدة لمهاجمته من الخلف ، ولهذا لم يترك في بلاد الشام سوى عشرة الاف جندي بقيادة « كتبغا » وعاد مسرعا .

في هذا الوقت استطاع المماليك في مصر ان يتقدموا الى الشام وان يهزموا المغول في « عين جالوت » وان يأسروا « كتبغا » القائد المغولي .

وبهذا النصر الذي احرزه المماليك استطاعوا ان يجمعوا الشام الى مصر تحت حكمهم . ولكن هل توقف المغول بعد « هولاكو » الذي هلك سنة ٦٦٣ هـ عن غزو الشام ، وبعد ان انتشر الاسلام بينهم ؟ ولماذا فشلت غزواتهم المتلاحقة لمدينة دمشق وما حولها من بلدان ؟

٦ ـ ابن تيمية يعد الشعب لقتال المغول :

لو وجد في كل مدينة ـ من نهر سيحون الى نهر دجلة ـ علماء شجعان يحرضون الناس على الجهاد ، ويحثونهم على الاتحاد والوئام ، لما قدر المغول ان يحققوا تلك الانتصارات ، وان يذبحوا الناس كما تذبح الانعام .

كانت المدن التي اجتاحها المغول ملأى بالعلماء الاعلام ، لكنهم كانوا قابعين في مدارسهم ، منكبين على كتبهم ودفاترهم ، لا يعرفون اساليب القتال ، ولا يحسنون استعمال السلاح ، ولذلك ادعى الامراء والحكام ان ليس لهؤلاء شأن في الجهاد ، ولا رأي في سياسة البلاد ، وهذا ما خرج عليه شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية في دمشق ، فكتبه جعلها وسيلة لايقاظ الامة ، وتلاميذه دربهم على قيادة الشعب ، يصحب الجيوش في حروبها ، ويحرر العقول من اوهامها ، فاحبه

الناس وتعلقوا به ، واصبحت كلمته نافذة لدى الحكام والعوام ، وآراؤه مسموعة في كل مكان ، فلما اقبلت موجة جديدة من المغول سنة ٦٩٩ هـ بقيادة « قازان » فخاف الناس وجفلوا من حلب وحماة ، وبلغ كرى الجمل من حماة الى دمشق مائتي درهم ، وزاد الخوف واشتد الفزع ، لما هزم السلطان عند « سلمية » وولى هاربا الى مصر ، واشتد الغلاء ، وهرب جماعة من اعيان دمشق الى مصر ، وبقى البلد شاغرا ليس فيه حاكم ، سوى نائب القلعة ، وكسر المحبوسون الحبس ، وخرجوا ، فنهبوا ما قدروا عليه ، خرج الشيخ ابن تيمية للقاء « قازان » ، فقابله عند بلدة « النبك » وكلمه كلاما فيه شدة ، وعنف ، مما جعل « قازان » يعجب بشجاعته ، فاعطاه فرمانا بالامان لاهل دمشق ، فلما دخل المغول دمشق ارسلوا الى نائب القلعة ليسلمها اليهم ، وارسل اليه الشيخ ابن تيمية يقول له : لو لم يبق في القلعة الا حجر واحد ، فلا تسلمهم ذلك ، واطاع قائد القلعة امر الشيخ ، وظلت القلعة رمز المقاومة ، واقتدت بها جميع قلاع الشام ، وكان في ذلك مصلحة لاهل الشام ، وامر الشيخ الناس بتعليق السلاح في دكاكينهم ، وان يتدربوا على الرمي ، وجعل الفقهاء قدوة للناس ، فقد اخذوا يتدربون على الرمي في المدارس ، ويستعدون لقتال العدو ، ورجع « قازان » إلى العراق ، وقد اعجزته القلعة ، وخرج المحصورون منها للفتك بمن بقى من جيش « قازان » ومعاقبة من تعاونوا معه .

٧ ـ والله إنكم لمنتصرون :

وفي سنة ٧٠٢ هـ قويت الاخبار بعزم التتار على دخول الشام ، فانزعج الناس ، واشتد خوفهم ، وشرعوا في الهرب الى مصر ، والكرك ، والحصون المنيعة ، ووصل التتار الى حمص وبعلبك ، وعاثوا في تلك النواحي ، وتحدث الناس بالاراجيف ، والشيخ ابن تيمية قائم ليله ونهاره يشجع الامراء ، ويقسم لهم قائلا : والله انكم لمنتصرون حتى تحالفوا على لقاء العدو ، واستمر يحلف للأمراء وللناس : انكم هذه المرة لمنصورون ، فيقول له الامراء : قل : ان شاء الله فيقول : ان شاء الله تحقيقا لا تعليقا .

واخيرا اقترب التتار من دمشق ، وخرج الشيخ من المدينة ليلقى السلطان ، ويحرضه على القتال ، فكان قد خرج الى مصر ، وحثه على الخروج ، وقال له : ان اعرضتم عن الشام وحمايته اقمنا له سلطانا يحوطه ويحميه . وسمع ابن تيمية ان السلطان عازم الآن على العودة الى مصر لكثرة التتار ، فخرج يثبته ، فلما رآه الناس يومئذ خارجا ظنوه هاربا ، فصاحوا به : منعتنا من الخروج ، فلما قرب العدو تركتنا ، وهربت ، فلم يرد عليهم ، حتى لقى السلطان يقسم له : والله انكم لمنتصرون ، وما زال بالسلطان حتى عزم على لقاء المغول ، فلما التقى الجمعان ترك ابن تيمية جيش السلطان ، وذهب يحارب تحت لواء اهل الشام ، قائلا : السنة ان يحارب الرجل تحت راية قومه ، نحن من جيش الشام نقف معهم .

وكان الناس صياما ، فكان يطوف على الجنود يحرضهم على ان يفطروا ، ويأكل امام الناس وانتصر المسلمون يومئذ انتصارا عظيما ، وهزم المغول هزيمة لم تصبهم هزيمة مثلها .

٨ ـ ملك المغول والمماليك لا يساوى فلسا :

ابتلى ابن تيمية بحساد لم ينالوا سعيه في العلم ، ولا شأوه في الجهاد ، ولم يعطوا شجاعته في الجهر بالحق ومحاربة الجهل ، فخاصموه ، وعادوه ، وزادهم حقدا ما رأوا من تعلق الناس به ، واجماع القلوب على حبه ، فعقدوا له المناظرات ليثبتوا بطلان بعض فتاويه ، فلم يثبتوا له في هذا الميدان ، وظهر عليهم بقوة حجته ، وسعة علمه ، وخلوص نيته ، فلجئوا الى الحكام الذين امروا بسجنه بعد ان نقلوه من الشام الى مصر ، فلبث في السجن بضع سنين حيث تحول السجن الى مدرسة ، يزدحم فيها الناس ، وصار خلق من المحابيس اذا اطلقوا يختارون الاقامة عنده ، وكثر المترددون اليه ، حتى صار السجن يمتلىء بهم .

وذات يوم ذهب السلطان الذي سجنه ، وحل سلطان جديد محله ، واستدعى الشيخ ابن تيمية ، واكرمه ، وقربه ، وسأله ان يفتي بقتل العلماء الذين اشاروا بسجنه ، واحلوا للسلطان السابق دمه ، فابى هذا الرجل العجيب الذي لم يعرف الحقد قلبه ، ولا حب الانتقام نفسه ، وقال للسلطان : لا اجيز ايذاءهم ، انهم قوم تأولوا فأخطئوا .

وأطلق سراحه ، وسمح له بالرجوع الى الشام بعد سبع سنين وسبع جمع ، ولكنه ما كاد يستقر في بيته حتى سيق الى سجن القلعة بدمشق ، فقال : اني كنت منتظرا ذلك ، ما يصنع اعدائي بي ؟ انا جنتي وبستاني في صدري ، اين رحت فهي معي لا تفارقني ، انا حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، واخراجي من بلدي سياحة . وعكف في سجنه على الكتابة والتأليف ، فمنعوا عنه الكتب والاقلام والاوراق ، فأخذ يكتب على جدران السجن بالفحم ـ

وتوفى في سجنه سنة ٧٢٨ هـ ، فلم يبق في دمشق من يستطيع الاشتراك في جنازته الا فعل ، وخرج الأمراء ، والرؤساء ، والعلماء ، والفقهاء ، والاتراك من الاجناد ، والرجال ، والنساء ، والصبيان ، وكان يوما مشهودا ، سار فيه خمسمائة ألف انسان باكين هذا العالم المجاهد .

وخير ما نذكره عنه في الختام انه لما وشى به الى السلطان المملوكي « الناصر لدين الله » وأحضره بين يديه ، قال له : انني اخبرت انك قد اطاعك الناس وان في نفسك اخذ الملك ، فلم يكترث به ، بل قال له بقلب ثابت ، وصوت عال سمعه من حضر : انا افعل ذلك ؟ والله ان ملكك وملك المغول لا يساوى عندي فلسا . وما أصدق من قال فيه :

ماذا يقول الواصفون له ؟   وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة   هو بيننا أعجوبة الدهر

الفتاوى

للدكتور
محمد سلام مدكور

ما حكم شرب السجاير والدخان

● روي أحمد في مسنده وأبو داود في سننه بسند صحيح عن أم سلمة قالت : نهى عن كل مسكر ومفتر ، والمفتر كل ما يورث الفتور والخدر في الأطراف وقد ذهب بعض العلماء ممن يتشددون في منع التدخين بكل أنواعه ويفتون بحظره الى أن هذا الحديث يتناول بعمومه النهي عن تدخين السجاير بكل أنواعها لأنها تحدث شيئا من الفتور لشاربها . وإن كان الحديث أظهر في التدخين الذي يحدث فتورا في الجسم كالمخدرات .

وأكثر العلماء الذين تعرضوا لحكم تدخين السجاير قالوا : إنه يكون حراما إن كان يحدث ضررا بصحة شاربه وأحس هو بذلك أو كان الضرر خافيا عليه لكن قرر له الأطباء ذلك . وكذلك اذا كان يحتاج الى ثمنه في قوته وقوت من يعول حتى وإن كانت لا تضره من الناحية الصحية .

وأقل درجات خطر شرب السجاير فيما نرى الكراهة إذ في تعاطيها مظنة الاسراف ، ومظنة الضرر البدني وإن لم يكن هذا الضرر متحققا لأنه مضيعة للمال ويترتب على شربه مفاسد كثيرة وإضرار بالصحة ولو على المدى البعيد . وكثيرا ما حرم الاسلام الأشياء لا لعينها وإنما اتقاء لضررها . فحيث كان الضرر كان الحظر . وما عظم ضرره عظمت حرمته ، وما قل ضرره دخل في دائرة الكراهة .

وإذا كان تدخين ما يفتر الجسم منهى عنه بنص الحديث فان ما يعرف بتدخين الحشيشة وما في حكمها يكون حراما بل حكي القرافي وابن تيمية الاجماع على تحريمها ، وأما تدخين ما يسمى بالتباك والمعسل . ونحوهما فهو وإن كان أقل إضرارا بالجسم من السجاير كما يقرر الأطباء فانه مضر به أي ضرر ومفسد للمال أيضا ، وما كان لا نفع فيه ، ويحتمل وقوع الضرر منه ، فالأولى اجتنابه وهذا ما يقضي به العقل السليم .

ومع هذا فمن الحنفية من حرم تدخين التنباك والتبغ ومنهم من أباحه على أساس أن الأصل في الأشياء الاباحة . ورأى بعضهم فيه الكراهة . والمعتمد عند الشافعية أنه مكروه . ومن المالكية من يرى تحريمه ومنهم من يرى اباحته ويرى الحنابلة أنه خلاف الأولى بالنسبة لمن ينشد الكمال في الدين .

والذي ننتهي اليه أنه لابد أن يكون للانسان ادارك ووعي وارادة قوية على ضبط النفس ونهيها عن الهوى . والله الموفق .

من تعذر عليه تأدية صلاة الجمعة في المسجد

صلاة الجمعة تؤدي في المسجد مع الجماعة وهى ركعتان . أما من تعذر عليه صلاة الجمعة فانه يلزمه صلاة الظهر أربع ركعات اتفاقا وينص الحنفية على أن من صلى الظهر في منزله يوم الجمعة ولا عذر له ينبغي أن يكون ذلك بعد فترة تسمح بانتهاء صلاة الجمعة فان صلى المعذور الظهر في منزله قبل صلاة الامام للجمعة جازت صلاته مع الكراهة ، وقال زفر لا يجزئه .

وعند المالكية الأفضل التعجيل إلا إذا كان يرجو زوال العذر فيندب تأخير الظهر . وإذا صلاه جماعة فينبغي إخفاء الجماعة لئلا يتهموا بالرغبة عن الجمعة .

وعند الشافعية قيل إن من لم يرج زوال عذره يستحب له أن يصلي الظهر في أول وقته ليحوز فضيلة المبادرة . وقيل يستحب التأخير حتى تفوت الجمعة لأنه قد ينشط لها ــ وأما من لا عذر له فلا يصح ظهره قبل انتهاءالامام من الصلاة لأن الجمعة هى الفرض الأصلي .

وعند الحنابلة أن من لا تجب عليه الجمعة من أصحاب الأعذار فله أن يصلي الظهر قبل صلاة الامام وإن كان الأفضل التأخير حتى ينتهي الامام خروجا من الخلاف .

وعلى هذا فان الواجب عليك أيها السائل أن تصلي أربع ركعات مادام لك عذر يمنعك من صلاة الجمعة .. والله الهادي والموفق .

قراءة القرآن مرة في اليوم بعد العشاء ..

التعبد بقراءة القرآن أمر مطلوب . وينبغي على القارىء أن يتفهم ما يقرأ ويعمل بحكمه ، وقراءة القرآن مطلوبة في كل صلاة من الصلوات الخمس قبل الركوع في كل ركعة . أما قراءته في غير الصلاة . فهي مطلوبة بقدر ما يتسع له وقت كل فرد وتمكنه قدراته . فأنت مأجور ومثاب على القراءة للقرآن بعد صلاة العشاء . ولا إثم عليك في عدم قراءتك له في غير الصلاة في الأوقات الأخرى .

وقد يكون من المناسب هنا أن ننبه إلى أن قراءة القرآن لها آداب خاصة يجب ملاحظتها : منها أن يكون على طهارة وفي مكان نظيف ، وأن يكون متوجها الى القبلة وأن يستعيذ بالله عند القراءة وأن لا يتكلم أثناء قراءته وأن يستحضر المعنى ما أمكن وأن يقصد بالقراءة وجه الله .



مع الشباب

الشباب هم ذخر الامة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والاخذ بيدهم الى الطريق الامثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الامل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

إن الدين عند الله الاسلام

جاءتنا هذه الرسالة من الأخ محمد عبدالمجيد عبدالقادر ـ مصر يثبت فيها ان الله سبحانه أرسل كل رسله بالاسلام وان اختلفت التسمية والأزمنة ولكنها كلها في جوهرها تدعو الى الاسلام وقد دلل على هذا القول بالآيات القرآنية التي تؤكد هذا المعنى وتنفي غيره من الآراء التي لا تتناسب وجوهر الدعوات السابقة على رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واقرأوا قول الله سبحانه على لسان سيدنا عيسى عليه السلام : **(وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين)** .

تلك شهادة تؤكد بلا ريب ان كل دين سبق دين محمد صلى الله عليه وسلم انما كان الاسلام ولا غيره ومع رسالة الأخ حول هذا المعنى يقول صاحب الرسالة :

الاسلام دين الأنبياء جميعا قال تعالى : **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الأسلام دينا)** سورة المائدة/ ٣ .

وهو الدين الذي ارتضاه لعباده منذ أن بعث الله النبيين والمرسلين الى أن بعث الله خاتم رسله سيدنا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .

فكلهم دعا الى التوحيد الخالص ومحاربة الشرك والكفر والوثنية فالاسلام دين واحد متفق في الأصول وقد يختلف في الشرعة والمنهاج .

قال تعالى : **(وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)** سورة الأحزاب/ ٧ .

في هذه السورة جاء ذكر أولى العزم من الرسل قال تعالى : **(وما أرسلنا من**

قبلك إلا رجالا نوحي إليهم) وقال تعالى : **(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)** .

والاسلام واحد في الأصل وهو التوحيد ولكن : **(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)** فنوح عليه السلام وهو من أولى العزم من الرسل الذي صبر صبرا طويلا على عناد الكافرين والله يقول فيه : **(ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين . ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم . فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين)** هود/ ٢٥ـ٢٧ ، و .. وابراهيم عليه السلام أبو الأنبياء وهو الذي سمانا المسلمين من قبل (ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل) فلا وجه لوصفه بأنه كان يهوديا أو نصرانيا وقد وجد قبل وجود اليهودية والنصرانية قال تعالى : **(ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين)** آل عمران/ ٦٧ ، وقد دعا ابراهيم عليه السلام ربه ان يثبته على الاسلام هو واسماعيل وذريتهما التي ستأتي بعدهما قال تعالى : **(ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم) البقرة/ ١٢٨ .** ويوصي يعقوب بنيه عند الموت بالاسلام قال تعالى : **(ووصي بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)** البقرة/ ١٣٢ .

قال تعالى : **(أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون)** البقرة/ ١٣٣ ، ويوسف عليه السلام يدعو ربه ان يستجيب لدعائه وفيه يقول : **(رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليى في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين)** سورة يوسف/ ١٠١ .

فاذا تعدد الأنبياء فان رسالة الاسلام لا تتعدد ، المسلمون من قوم لوط حفظهم الله وأخرجهم من القرية الفاجرة التي لم يستجب فيها عدد كبير من المسلمين قال تعالى : **(فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)** سورة الذاريات/ ٣٥ و٣٦ ، وموسى عليه السلام يدعو قومه للاسلام قال تعالى : **(وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين)** سورة يونس/ ٨٤ ، ويدعو ربه قائلا : **(ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين)** الأعراف ١٢٦ .

وسليمان عليه السلام يدعو ربه للاسلام فيقول : **(ألا تعلوا علي وائتوني مسلمين . فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين)** وكان قد قال للملأ : **(يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين)** فالاسلام دين الأنبياء .



بأقلام القراء

وفي كل شيء له آية ...

الاستاذ الشيخ (محمود ابرهيم طيرة) الشاعر العالم ، راعه ما رأى من جحود بعض الباحثين ، في شؤون الكون ، وروّاد الفضاء ، وانكارهم لوجود الله تبارك وتعالى ، مع ان المفروض فيهم أن يكونوا أشد الناس إيمانا بالله لتعمقهم في دراسة مظاهر القدرة الالهية في رحاب الكون الواسع ، فجادت قريحته بهذه الأبيات :

جحدتم به ربا ، وأنتم صناعته فأوغلتمو في الظلم ، والكفر غايته
وفي كل شيء آية بعد آية تجلى بها قدر الاله ، وقدرته
وليس كمثل الروح للمرء آية وسر عظيم ، ليس تدرى حقيقته!

★★★★

فكيف يصح القول أن ليس للورى إلَه ، على كل العباد إطاعته ؟!
وأين هو العقل ، الرشيد ، أيا ترى وأين الضمير الحي؟ أين؟ وصحوته
بصائر عمي ، والنفوس مريضة وران على القلب الجحود ضلالته

★★★★

ضلال هو الالحاد ، قد زاغ أهله عن الحق ، تدعوهم اليه شريعته
ويا ويل من ضل الهداية ، ويله فما غير نيران الجحيم نهايته
ومن رام يوما صنعة دون صانع ـ لعمري ـ مخبول، وهذي خرافته

★★★★

ومن عامل الشيطان ، خاب رجاؤه ومن يتجر في الظلم ، بارت تجارته
ومن عامل الرحمن ، طابت حياته وراجت بسوق المؤمنين بضاعته
ومن عاش في دنياه بالجسم وحده تهاوى وما يدري فجمت خسارته



ومن عاش بالقلب السليم ، وبالنهي تسامى الى العليا ، ونارت بصيرته
فيمضي على النهج القويم ومن يسر على منهج التحقيق لم تُطْوَ رَايَتُه
ويحظى من المولى الكريم بحبه ومن يحبب الرحمن تعظم سعادته



ففكر ، تجد مولاك في كل حالة اليه مرد الأمر فيها ، وحكمته
وبادر الى صلح مع الله مخلصا فشر البلايا في الحياة خصومته
وإن تعتصم بالله ، تلق بحصنه أمانا ، وإيمانا ، وتغشاك رحمته

الشجاعة في الاسلام

وتحت هذا العنوان أرسل لنا الشيخ خالد صالح المسفر موضوعا نقتطف منه ما يلي :

الشجاعة من الصفات الكريمة الحميدة التي يجب أن يتحلى بها المؤمنون الأبطال فتخلد ذكراهم على مر العصور والأزمان وليس من الشجاعة التهور والالقاء بالنفس الى التهلكة وانما يجب التروي في الأمور والتبصر في العواقب مع التصرف المطلوب وهذه هي الشجاعة المطلوبة التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » وقد امرنا الدين الاسلامي بالثبات امام العدو حتى لا يعتدي على حرماتنا او يعرض مقدساتنا للهوان حيث يقول الله تبارك وتعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا) .

وقد كان المسلمون الأولون يقتحمون المعارك ويخوضون في ميادين القتال وهم قلة قليلة فانتصروا بايمانهم وشدة ثباتهم وقوة شجاعتهم واقدامهم على أعدائهم باذن الله وأعداؤهم كثرة ... قال تعالى : **(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) .**

وكان لشجاعتهم أثر كبير في الفتوحات الاسلامية التي نشروا فيها الاسلام بالعدل والايمان بالتسامح والاحسان وكم لقى الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه الأولون رضى الله عنهم أجمعين من قريش فصبروا وتحملوا العنت والمشقة والظلم بنفس راضية شجاعة فهذا بلال وعمار وياسر وسميه وصهيب وغيرهم كثير ذاقوا من اهل مكة الذل والعذاب لماذا ؟ لأنهم آمنوا بالله ورسوله واتبعوا نبيهم وخرجوا على قومهم وقد تحملوا ذلك العذاب في سبيل الله سبحانه وتعالى وسبيل العقيدة الاسلامية وهذه تعد شجاعة وكان المسلمون الأولون يكرهون الموت على الفراش .

فهذا خالد بن الوليد سيف الله المسلول وهو من هو في شجاعته وإقدامه وايمانه وجهاده في سبيل نصرة الاسلام والمسلمين يحزن أشد الحزن لوفاته على فراشه فها هو يقول عندما احس بالموت: « لقد شهدت مائة زحف او زهاءها ما بقي في بدني شبر الا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح أو رمية سهم وهأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء » .

وهناك أنواع غير هذه الشجاعة الحربية فمثلا الأطباء الذي يجرون التجارب على أنفسهم ويتعرضون للخطر حتى يعرفوا مكان الداء والضرر ويكتشفوا الدواء اللازم لأي مرض كان ، هؤلاء شجعان قدموا للانسانية خدمات جلى وكثيرة ، رجال الاطفاء الذين يعملون على اخماد الحريق والنيران الملتهبة وينقذون الأموال من الهلاك والدمار هم شجعان ـ ورجال الشرطة الذين يعملون على حفظ الأمن بين الناس وعلى دفع الجرائم قبل وقوعها هؤلاء شجعان ورجال الجندية يخوضون غمار الحرب والمعارك ويقتحمون الاهوال دفاعا عن الوطن والمواطنين فلا يعبؤون بأزيز الرصاص وشظايا القنابل ودويها ولا قصف المدافع حفاظا على وطنهم ومواطنيهم ، هؤلاء شجعان . والذين يتحملون ألوان العذاب وهم ثابتون على إيمانهم ودينهم هم شجعان ، والذين يتحملون النكبات وألوان البلاء في الحياة كالاحزان والفشل في الأمور ويقابلونها بالصبر والثبات وعدم الجزع هم شجعان وللشجاعة اثر كبير في حياة الفرد والمجتمع حيث تتوقف على الشجاعة صيانة الأرواح والأموال بل والممتلكات كما يتوقف عليها حماية الأمة من كل اعتداء خارجي او داخلي ويتوقف على الشجاعة تقدم الانسانية جمعاء وكشف المخترعات وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم الأمثلة بإقدامه وشجاعته في الحروب فلم يفر من معركة،ولم يجبن من قتال وقد حدث ان تخلى الرماة عن مواقفهم في غزوة أحد،وهاجم المشركون جيش المسلمين فاضطربت صفوفهم،وفر كثير منهم،ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يثبت في موقفه كثبوت الجبل الأشم،يضرب أروع الأمثلة لأصحابه وتابعيهم في الشجاعة،حتى تم له النصر بإذن الله وفي غزوة حنين تجمعت القبائل كلها وهاجمت المسلمين ففر كثير منهم ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم ينادي بأعلى صوته الشريف: « أنا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب » ويلزم موقفه حتى يتم له النصر وهكذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى لأصحابه في الشجاعة والاقدام فلم يخش بأس عدو،ولم يفر من موقعة قط بل ان اصحابه رضى الله عنهم اجمعين كانوا اذا اشتدت الحرب واستعر اوارها اقتدوا بالرسول صلى الله عليه وسلم في شجاعته وبطولته .

هذا،وان للشجاعة مكانتها بين الامم والشعوب وقد تبين لنا ان رسولنا صلى الله عليه وسلم قد ضرب لنا اروع الامثلة في الشجاعة والاقدام بل في كل شيء وصدق الله العظيم اذ يقول : **(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) .**



بريد الوعي الإسلامي

احتياط الصحابة في رواية الحديث

تروي كتب الحديث أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا لا يكثرون من رواية الحديث وكان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ينهي أيضا عن الاكثار من الرواية .

نرجو بيان هذا الموقف من الصحابة رضوان الله عليهم وموقف سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

حسين محمد حسين ـ الكويت

من الثابت أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتعلمون من النبي صلى الله عليه وسلم بعض آيات من القرآن الكريم يتفهمون معناها ، ويتعلمون فقهها ، ويطبقون ذلك على أنفسهم ، ثم يحفظون غيرها ، وفي ذلك يقول التابعي الجليل أبو عبدالرحمن السلمي ـ عبدالله بن حبيب بن ربيعة : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان ، وعبدالله بن مسعود ، وغيرهما ، أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل .. قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا .

وقد أخرج الامام البخاري رضي الله عنه ما يفيد أن بعضا من الصحابة كانوا يقيمون عند الرسول صلى الله عليه وسلم فيتعلمون أحكام الاسلام وعباداته ، ثم يعودون إلى أهليهم وقومهم يعلمونهم ويفقهونهم ، وذلك ما رواه البخاري عن مالك ابن الحويرث قال : « أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة فظن أنا اشتقنا أهلنا وسألنا عمن تركنا في أهلنا فأخبرناه وكان رفيقا رحيما فقال : (ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم وصلوا كما رأيتموني أصلي وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم) .

معنى هذا أن الصحابة رضوان الله عليهم كان حرصهم على حفظ القرآن الكريم وفهم معانيه شديدا إذ كانوا يتلقونه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يعلمون أهليهم ما عرفوه من أحكام وهذه سنة من سنن الاسلام .

ولكن يمكن أن يقال : إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يحتاطون خشية

الوقوع في الخطأ وخوفا من أن يتسرب الى السنة المطهرة الكذب أو التحريف ، وهي المصدر التشريعي الثاني للاسلام ففضل بعضهم الاقلال من رواية الحديث ، وذلك مثل ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قال ابن قتيبة : (كان عمر شديد الانكار على من أكثر من الرواية أو أتى بخبر في الحكم لا شاهد له عليه ، وكان يأمرهم بأن يقلوا الرواية يريد بذلك ألا يتسع الناس فيها ويدخلها الشوب ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابي ، وكان كثير من جلة الصحابة وأهل الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي بكر والزبير وأبي عبيدة والعباس بن عبدالمطلب يقلون الرواية عنه بل كان بعضهم لا يكاد يروي شيئا كسعيد بن زيد بن عمر بن نفيل وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة) .

وطوال الخلافة الراشدة التزم بعض الصحابة بمنهج سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم يكثروا من الرواية في ذلك العهد .

وعن عبدالله بن الزبير قال قلت للزبير بن العوام مالي لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أسمع ابن مسعود وفلانا وفلانا . قال أما أني لم أفارقه منذ أسلمت ، ولكني سمعت منه كلمة يقول : « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

وتشدد الصحابة هذا راجع إلى خشيتهم أن يقعوا في الزيادة أو النقصان في الرواية لأن كثرة الرواية في نظر الكثير منهم مظنة الوقوع في الخطأ والكذب .

وكان منهج سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سببا في التروي فيما ينقل من الحديث وصيانته من الشوائب ، وبذلك انصرفوا إلى حفظ القرآن أولا ثم اشتغلوا بالسنة .

أما الذين عرفوا بالاتقان والحفظ الجيد من الصحابة فكانوا يروون السنة بل ، ويكتبونها والأمثلة على ذلك كثيرة وثابتة .

وعليه فلا يجوز أن نفهم أن قلة الرواية من الصحابة كانت زهدا في الحديث النبوي أو تعطيلا له « معاذ الله » فقد ثبت أنهم رضوان الله عليهم تمكنوا من الحديث وحسن تلقيهم له وفهم ما يرشد إليه .

ويقول ابن عبدالبر ان وجه قول عمر رضي الله عنه انما كان لقوم لم يكونوا أحصوا القرآن فخشى عليهم الاشتغال بغيره عنه اذ هو الأصل لكل علم .

ويقول الخطيب البغدادي : « فعل ذلك عمر احتياطا للدين وحسن نظر المسلمين لأنه خاف ان ينكلوا عن الأعمال ، ويتكلوا على ظاهر الأخبار ، وليس حكم جميع الأحاديث على ظاهرها ، ولا كل من سمعها عرف فقهها ، فقد يرد الحديث مجملا ، ويستنبط معناه وتفسيره من غيره .. » .

من هذا يتبين لنا أن الصحابة لم يقلوا الرواية وانما تثبتوا في الأخبار وتأنوا في أدائها ولا يحدثون الا وهم واثقون من صحة قولهم ، وكان هذا المنهج السليم سببا في منع الدخيل الذي يفسد السنة المطهرة .

البيت الحرام في مختلف العصور

أقام سيدنا ابراهيم قواعد البيت الحرام كما ثبت ذلك .
فهل ظل بناء سيدنا ابراهيم على حاله الى يومنا هذا ؟
محمد طه اسماعيل ـ مصر

من المؤكد بنص القرآن الكريم أن سيدنا ابراهيم أقام قواعد البيت الحرام يقول الله سبحانه : **(واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم) .**

ثم تهدمت الكعبة عندما تصدع بنيانها ، ووهنت أحجارها ، وقد انتاب قريش ما انتابها ، وارتاعت من ذلك ، وحارت في أمرها ماذا تفعل ، ولما اجتمع رأيهم على ضرورة اعادة بنائها وقفوا من ذلك وقفة خوف وطال وقوفهم حتى تقدم الوليد ابن المغيرة فاقتلع أول حجر منها ، وهو يقول : اللهم لا ترع لا نريد الا الخير ، فاتبعه الناس .

وقد شارك النبي صلى الله عليه وسلم في نقل الحجارة مشاركا بذلك بني هاشم .

بعد ذلك أقاموا بناء الكعبة بزيادة في الارتفاع عما كانت عليه في بناء سيدنا ابراهيم عليه السلام ، ورفعوا بابها ، وجعلوا لها سقفا ، ولم تكن كذلك ، ثم قصرت بهم النفقة فلم يتموا بناء البيت كما بناه ابراهيم ، بل تركوا مساحة من البيت خارجه .

وفي خلافة عبدالله بن الزبير مالت بعض جدران البيت فأمر بهدمها ، وبناها على أساس ابراهيم مستلهما ذلك من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها فيما رواه البخاري قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس ابراهيم عليه السلام فان قريشا استقصرت بناءه وجعلت له خلفا » .

وظلت الكعبة على بناء ابن الزبير لها حتى استولى الحجاج بن يوسف الثقفي على مكة فأمر بهدمها واعادتها على بناء قريش لها ، وذلك بعد مشورة عبدالملك بن مروان وموافقته .

ثم أراد المهدي الخليفة العباسي ان يعيدها كما نص الحديث الشريف السابق كبناء ابن الزبير لها فأشار الامام مالك رضي الله عنه بعدم فعل ذلك ، وقال للخليفة : اني أكره أن يتخذها الملوك لعبة ، فهذا يرى رأي ابن الزبير ، وهذا يرى رأي عبدالملك بن مروان فيتناولونها بالنقض والبناء فأحجم المهدي ، ولم يفعل شيئا .

هذا وماتزال الكعبة على بناء الحجاج لها كبناء قريش إلى يومنا هذا ، والتزم المسلمون هذا البناء دون تغيير أو تبديل ودون زيادة أو نقصان .



سلاحنا وسلاحهم في تعليق لمجلة الدعوة المصرية

كان سلاح اليهودية الصليبية منذ الحروب الصليبية وحتى اليوم هو الكتاب المقدس بعهديه القديم : « التوراة ـ كتاب اليهود » والجديد : « الأناجيل ـ كتاب النصارى » .

ولقد ظهر في اسرائيل عبر تاريخها ، الصقور والحمائم اي دعاة الحرب ودعاة السلام ، ولكن الاختلاف بين الصقور والحمائم كان اختلافا في الاستراتيجية لا في الهدف ـ فالهدف واحد لا يختلف عليه يهوديان وهو موجود عندهم في التوراة ان يسود « **أبناء الحرة أبناء الجارية** » وحتى استراتيجية الحمائم والصقور موجودة أيضا في التوراة فحيث يكون الجو غير ملائم للحرب تطفو في التوراة ـ استراتيجية الحمائم ، وحيث يكون الجو ملائما للحرب تطفو ـ في التوراة الصقور .

ومثلما كانت (التوراة) موجهة للسلوك اليهودي على هذا النحو ، سواء في (الهدف الموحد) وفي (الاستراتيجية) بشقيها كان الهدف المسيحي واضحا ايضا في القضاء على (البرابرة) والبرابرة ـ عندهم ـ هم كل من لا يعترف بالسيد المسيح إلها ، وعلى رأس هؤلاء البرابرة بطبيعة الحال المسلمون الذين يصرون على أن يجعلوه مجرد بشر رسول .

« أما اعدائي اولئك الذين لم يريدوا ان أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي » (انجيل لوقا : الاصحاح التاسع عشر : ٢٧) أما عن سبب هذا (الذبح المقدس) الذي يشهد به تاريخ المسيحية الطويل فيوضحه بولس الرسول في رسالته إلى أهل غلاطية حيث يقول لهم « فانه مكتوب أنه كان لابراهيم ابنان واحد من الجارية ، والآخر من الحرة » (رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية : صح ٤ : ٢٢ ـ ٣١) انها نفس الاستراتيجية ، ونفس الهدف في العهد الجديد السلاح الذي اعتمد عليه الغرب المسيحي في سيطرته على العالم .

فهل آن لنا أن نستفيد بدروس الماضي القريبة منها والبعيدة كما استفاد بها قطز وصلاح الدين فنعـود ألى قرآننا الكـريم ، نتخذ منه هدفا ، ونشتق منه استراتيجيتنا ، ونجمع القلوب التي تفرقت . أما آن لنا أن نتوقف عن البكاء على ماض ضيعه آباؤنا ونشرع في التخطيط لمستقبل نطمئن به على أبنائنا من بعدنا ،

ويكفينا فخرا أن يكون جيلنا هو الجيل الذي يرد الخطر ، ويؤمن المستقبل ، ولا رد للخطر ، ولا تأمين للمستقبل إلا بالاستفادة من دروس التاريخ ، وبخلق هدف نبيل يعتمد على كتابنا الكريم ، ويكفينا في هدفنا هذا فخرا .. انه هدف يقوم على تحريرنا دون أن نفكر في استعباد غيرنا لأن كتابنا الكريم ليس فيه أبناء حرة وأبناء جارية ..

الوعي الاسلامي :

والله سبحانه وتعالى يقول مؤكدا معنى المساواة في الاسلام بين بني البشر جميعا : (أن اكركم عند الله أتقاكم) هذا هو الميزان الذي يزن أعمال الناس والمقياس الذي عليه يحاسب العباد أمام الله لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود ولا لحر على عبد إلا بالتقوى ألا فليعلم ذلك أولو الألباب .

وفد الجمعية الاسلامية في البحرين
حول الغرض من الزيارة نشرت جريدة السياسة الكويتية هذا الحديث

زار الكويت وفد الجمعية الاسلامية في دولة البحرين الشقيقة برياسة السيد / عبداللطيف محمود آل محمود نائب رئيس الجمعية .

وقد التقى الوفد بوزير الأوقاف والشئون الاسلامية السيد / يوسف جاسم الحجي .

من أهداف الجمعية نشر الوعي الاسلامي ، والعناية بالقرآن الكريم تلاوة وحفظا ودراسة السنة النبوية الشريفة والعمل على تطبيق الشريعة الاسلامية ومكافحة الفساد ـ وجمع المسلمين على كلمة سواء ـ ورفع المستوى العلمي والاجتماعي للمسلمين ـ والقيام بأعمال البر وتشجيعها والدعوة إليها ، بالاضافة إلى المساعدات الاجتماعية للأسر المحتاجة .

وقال رئيس الوفد : **ان لقاءنا بالمسئولين هنا يعتبر الأول من نوعه خارج البحرين حيث ان الجمعية تركز على العمل داخل البحرين .**

وهناك تعاون قائم بين وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت ووزارة العدل والشئون الاسلامية بالبحرين من خلال البعثات التي ترسلها وزارة العدل بالبحرين ونأمل المزيد من هذا التعاون وهناك في البحرين نلقي الدعم المادي والأدبي من المسئولين الذين رحبوا بالفكرة وقدموا لها كل التسهيلات بعد أن عرفوا خطها الاسلامي ، والمستفيدون من الجمعية لا يحصر عددهم كما أن منهج الجمعية يعتمد على الكتاب والسنة كأساس لكل خطواتنا وأعمالنا .

حول الأوضاع التي يعيشها المسلمون في الفلبين
نشرت جريدة القبس الكويتية هذا التقرير

تلقت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية تقريرا بالغ الأهمية عن أوضاع المسلمين في الفلبين يؤكد تواطؤ السلطات الفلبينية مع الجهات المعادية للاسلام ، والتي ترمي إلى الغزو الثقافي والاستيطاني والتبشيري المسيحي ، والذي تطور الآن إلى حرب ابادة ضد المسلمين .

وأشار التقرير الى أن خطة التبشير لم تكن تمس الفلبين وحسب بل شملت كلا من اندونيسيا وماليزيا وتايلاند ، وسنغافورة وأشار إلى أن منظمة الكنائس العالمية عقدت مؤتمرا عاما في مطلع الستينات ، ومن بين القرارات الصادرة عن المؤتمر :

تنصير شعوب جنوب شرقي آسيا (اندونيسيا ، الفلبين ، ماليزيا ، تايلاند ، سنغافورة) في ظرف خمسين سنة ابتداء من مطلع الستينات ومن المخططات والأساليب التي تتخذ لهذا الغرض ، :

انشاء المدارس المسيحية في المناطق الاسلامية بقصد نشر الثقافة الغربية والديانة المسيحية لدى المسلمين .

- انشاء المستشفيات المسيحية ، ودور الأيتام وبناء الكنائس في المناطق الاسلامية ، وطبع كتيبات عن الدين المسيحي باللغات المحلية التي ينطق بها المسلمون وتوزيعها بينهم .
- تشجيع المسيحيات على الزواج من المسلمين .
- تشجيع المسيحيين على الزواج من المسلمات ، وإقامة أندية ومؤسسات ثقافية في المناطق الاسلامية ، وزيادة عدد القائمين بالتبشير المسيحي .

وأوضح التقرير الذي تلقته وزارة الأوقاف : أنه بعد اصدار القرارات المذكورة اثبت أن المجتمع الاسلامي في جنوب شرقي آسيا ، وخاصة في جنوب الفلبين مهدد بالخطر ، وأن هناك خطة مدبرة للقضاء عليه .

وكشفت مصادر الوزارة عن أن الحكومة الفلبينية دأبت منذ توقيع الاتفاق مع جبهة تحرير مورو الاسلامية على الانتهاك المستمر للاتفاق الذي وقع ولم يكشف عن تلك الانتهاكات في حينه نظرا للمساعي التي كانت تبذل بين الطرفين من أجل استمرار الحوار .

الوعي الاسلامي :

ليس غريبا أن تكون هذه أخلاقهم فهم لا يرعون ميثاقا ولا يلتزمون بعهود وواجب المسلمين في كل عصر أن يتنبهوا لما يحيط بهم وما يحاك لهم من مؤامرات ودسائس وما أكثر ذلك .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ــ الشويخ ــ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)

ليبيا : طرابلس ــ الشركة العامة للتوزيع والنشر .

المغرب : الدار البيضاء ــ الشركة الشريفة للتوزيع .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦)
الطائف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جدة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب:(١٠١١)

البحرين : دار الهلال .

قطر : دار الثقافة للتوزيع ــ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ــ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبي : مكتبة دبي .

الكويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ــ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	[illegible]	مايو	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي) فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي) فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الخميس	١	١٥	٨ ٥٣	١٠ ٢٣	٥ ١٢	٨ ٤٧	١ ٢٦	٣ ٢٦	٤ ٥٦	١١ ٤٤	٣ ٢٠	٦ ٣٣	٨ ٠٠
الجمعة	٢	١٦	٥١	٢٢	١١	٤٦	٢٧	٢٥	٥٥	٤٤	٢٠	٣٤	١
السبت	٣	١٧	٥٠	٢١	١١	٤٦	٢٧	٢٥	٥٥	٤٤	٢٠	٣٤	١
الاحد	٤	١٨	٤٩	١٩	١٠	٤٥	٢٧	٢٤	٥٤	٤٤	٢٠	٣٥	٢
الاثنين	٥	١٩	٤٧	١٨	٩	٤٤	٢٧	٢٣	٥٤	٤٤	٢٠	٣٦	٣
الثلاثاء	٦	٢٠	٤٦	١٧	٩	٤٤	٢٨	٢٢	٥٣	٤٤	٢٠	٣٦	٤
الاربعاء	٧	٢١	٤٥	١٦	٨	٤٣	٢٨	٢٢	٥٣	٤٤	٢٠	٣٧	٥
الخميس	٨	٢٢	٤٤	١٥	٨	٤٣	٢٨	٢١	٥٢	٤٥	٢٠	٣٧	٦
الجمعة	٩	٢٣	٤٣	١٤	٧	٤٢	٢٨	٢٠	٥٢	٤٥	٢٠	٣٨	٦
السبت	١٠	٢٤	٤٢	١٣	٧	٤٢	٢٩	١٩	٥١	٤٥	٢٠	٣٨	٧
الاحد	١١	٢٥	٤٠	١٢	٦	٤١	٢٩	١٩	٥١	٤٥	٢٠	٣٩	٨
الاثنين	١٢	٢٦	٣٨	١١	٦	٤٠	٢٩	١٨	٥١	٤٥	٢٠	٤٠	٩
الثلاثاء	١٣	٢٧	٣٧	١٠	٥	٤٠	٣٠	١٨	٥٠	٤٥	٢٠	٤٠	١٠
الاربعاء	١٤	٢٨	٣٦	٩	٥	٣٩	٣٠	١٧	٥٠	٤٥	٢٠	٤١	١٠
الخميس	١٥	٢٩	٣٥	٩	٥	٣٩	٣٠	١٧	٥٠	٤٥	٢٠	٤١	١١
الجمعة	١٦	٣٠	٣٤	٨	٤	٣٨	٣٠	١٦	٤٩	٤٥	٢٠	٤٢	١٢
السبت	١٧	٣١	٣٣	٧	٤	٣٨	٣١	١٦	٤٩	٤٦	٢٠	٤٢	١٢
الاحد	١٨	يونيو	٣٢	٦	٣	٣٧	٣١	١٥	٤٩	٤٦	٢٠	٤٣	١٣
الاثنين	١٩	٢	٣٢	٥	٣	٣٧	٣١	١٥	٤٨	٤٦	٢٠	٤٣	١٤
الثلاثاء	٢٠	٣	٣١	٤	٢	٣٧	٣١	١٥	٤٨	٤٦	٢٠	٤٤	١٥
الاربعاء	٢١	٤	٣٠	٤	٢	٣٦	٣١	١٤	٤٨	٤٦	٢١	٤٤	١٥
الخميس	٢٢	٥	٢٩	٣	٢	٣٦	٣١	١٤	٤٨	٤٦	٢١	٤٥	١٦
الجمعة	٢٣	٦	٢٨	٣	٢	٣٦	٣١	١٤	٤٨	٤٧	٢١	٤٥	١٦
السبت	٢٤	٧	٢٧	٢	١	٣٥	٣١	١٣	٤٨	٤٧	٢١	٤٦	١٧
الاحد	٢٥	٨	٢٧	٢	١	٣٥	٣١	١٣	٤٨	٤٧	٢١	٤٦	١٨
الاثنين	٢٦	٩	٢٦	١	١	٣٥	٣٢	١٣	٤٨	٤٧	٢١	٤٧	١٨
الثلاثاء	٢٧	١٠	٢٦	١	١	٣٤	٣٢	١٣	٤٨	٤٧	٢١	٤٧	١٩
الأربعاء	٢٨	١١	٢٦	١	١	٣٤	٣٢	١٣	٤٨	٤٧	٢١	٤٧	١٩
الخميس	٢٩	١٢	٢٥	٠٠	٠٠	٣٤	٣٢	١٣	٤٨	٤٨	٢٢	٤٨	٢٠
الجمعة	٣٠	١٣	٢٥	٠٠	٠٠	٣٤	٣٢	١٣	٤٨	٤٨	٢٢	٤٨	٢٠

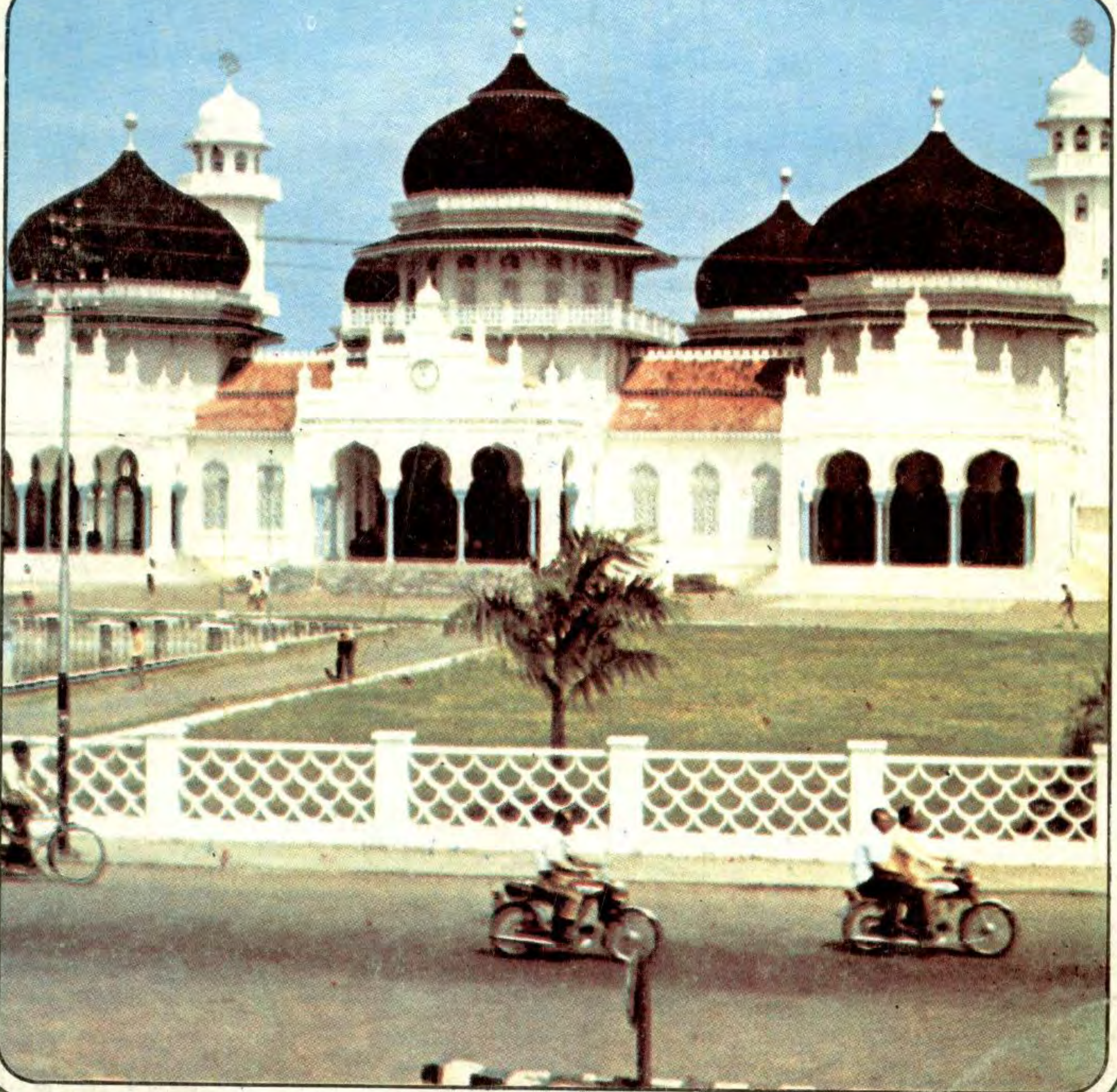
طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

هدية العدد : براعم الايمان

الوعي الاسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٨٨ ○ شعبان ١٤٠٠ هـ ○ يونيو ١٩٨٠ م



اقرأ في هذا العدد

الى راغبي الاشتراك

يرجى الرجوع الى الصفحة ١١٥ من المجلة ...

صورة الغلاف

مسجد بانداكية ـ سومطرا ـ أندونيسيا

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٨٨ ○ شعبان ١٤٠٠ هـ ○ يونيو ١٩٨٠ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة

الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



شهر شعبان وتحويل القبلة إلى المسجد الحرام

وردت الأحاديث الصحيحة بفضل شهر شعبان كله ، وطلب الاكثار فيه من الصوم ، تهيئة لاستقبال شهر رمضان الذي فرض الله على المسلمين صيامه .. ومن ذلك قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد سئل : أي الصوم أفضل بعد رمضان ؟ فقال : « شعبان لتعظيم رمضان » . وتعظيم رمضان يكون بتهيئة النفوس لحسن استقباله ، وعدم التبرم من صومه ، نتيجة التدريب قبله على الصيام في شعبان .

ولهذا كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصوم اكثر ايام شعبان . قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ « ما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان ، وما رأيته في شهر اكثر منه صياما في شعبان » .

وبين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حكمة الاكثار من الصيام في شعبان . فيما ورد عن اسامة بن زيد قال : قلت يارسول الله : لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : « ذلك شهر يغفل

الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم » .

وحرى بالمسلمين ان يقتدوا برسولهم الكريم في صيام أكثر أيام شعبان ، ليعدوا أنفسهم بذلك إعدادا طيبا لتأدية فريضة الصيام في شهر رمضان ، في يسر وطمأنينة ، وحب ورضا ، وحسن احتمال .
أما تخصيص صوم يوم النصف من شعبان على أساس أن له فضيلة على غيره ، فلم يأت به دليل صحيح .

وما جرت به عادة بعض المسلمين من الاحتفال بليلة النصف من شعبان احتفالا دينيا يجتمعون له في المساجد عقب صلاة المغرب ، ويصلون صلاة خاصة يسمونها صلاة ليلة النصف من شعبان ، ثم يقرءون بصوت مرتفع سورة (يس) ثم يبتهلون بدعاء يسمونه دعاء ليلة النصف ، ويكررون ذلك ثلاث مرات ، الأولى بنية طول العمر ، والثانية بنية رفع البلاء ، والثالثة بنية الغنى ـ ابتداع في الدين ولم يصدر فيه أمر ولا ترغيب !! والابتداع في الدين ضلالة ، تنسى الشرائع ، وتلهي عن الهدى . ولذلك حذرنا الرسول منه وأنذرنا عاقبته ، حين قال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .

والدعاء المبتدع في ليلة النصف من شعبان فيه أمران لا يقرهما الدين .

الأمر الأول : طلب الداعين من الله محو ما كتبه في أم الكتاب ، من الشقاوة وتبديلها سعادة ، ومن الحرمان وتبديله عطاء ، ومن الافقار وتبديله غنى . استنادا إلى قول الله تعالى في كتابه الكريم :(**يمح الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**) فان هذا الاستناد باطل ، لأن سياق الآية الكريمة يرشد إلى أن المقصود منها الرد على من أنكر على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن شريعته تغير أحكاما وردت في الشرائع السابقة . فهي تقرر أن محو الشرائع وإثباتها يترتب على مشيئة الله وعلمه بمصلحة عباده ، فهو ـ جل شأنه ـ يمحو من الشرائع السابقة مالا يتفق واستعداد الأمم اللاحقة ، (وعنده أم الكتاب) . والمراد بأم الكتاب : إما العلم الالهي المحيط الذي يبنى عليه المحو والتبديل ، وإما أصول الأديان التي لا تختلف باختلاف الأمم ، ولا ينالها محو ولا تبديل .. فالآية لا علاقة لها بالأحداث الكونية ، كما يريد الدعاء أن يصرفها إلى تلك الأحداث .

أما **الأمر الثاني** : فهو أن الدعاء يصف ليلة النصف من شعبان بأنها الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم !! . والقرآن الكريم بين أن الليلة التي لها هذا الوصف هي الليلة المباركة التي أنزل فيها القرآن الكريم:(**إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين.فيها يفرق كل أمر حكيم**) وهي ليلة القدر المذكورة في قوله تعالى : (**إنا أنزلناه في ليلة القدر**) وشهر تلك الليلة هو شهر رمضان لقوله تعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**) . فالآيات الثلاث متفقة في بيان الزمن الذي بدئ فيه بنزول القرآن الكريم ، وهو ليلة القدر إحدى ليالي شهر رمضان وهي التي يفرق فيها كل أمر حكيم .

وواجب المسلمين أن يلتزموا تعاليم دينهم ، وأن يبتعدوا عن الابتداع فيه ، وعلى من أراد الدعاء في ليلة النصف من شعبان أو غيرها من لياليه أن يتجه منفردا إلى ربه بالأدعية الصحيحة المأثورة ، أو التي لا تتعارض مع كتاب الله وسنته .

نعم ، للمسلمين أن يحتفلوا بليلة النصف من شعبان احتفالا تاريخيا يذكرهم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ـ على ما ذهب إليه أكثر المؤرخين من أن هذا التحويل حدث في تلك الليلة ـ إذ بهذا التحويل تم ربط قلوب المسلمين بأماكن الله المقدسة ، بيت المقدس وما حوله ، والكعبة وما حولها ، وأوحى إليهم هذا الربط أن يحافظوا على تلك الأماكن ، وأن يبذلوا كل تضحية في سبيل تطهيرها من الأصنام والأوثان ، وجعلها تحت سلطان المسلمين .

وقد استجاب الرعيل الأول من المسلمين إلى هذا الايحاء ، فطهروا بيت المقدس كما طهروا الكعبة ، ووضعوا الجميع تحت راية الاسلام .

وجدير بمسلمي اليوم أن يتنبهوا إلى ما تنبه له أسلافهم ، وأن يتجمعوا على الحق كما تجمع من سبقهم لينقذوا بيت المقدس وما حوله من دنس الصهيونية ورجس الاستعمار ، ويرجعوه وما حوله إلى ساحة الايمان ورحاب الاسلام ، وما ذلك على الله بعزيز ، وإذا صح العزم وضح السبيل :(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

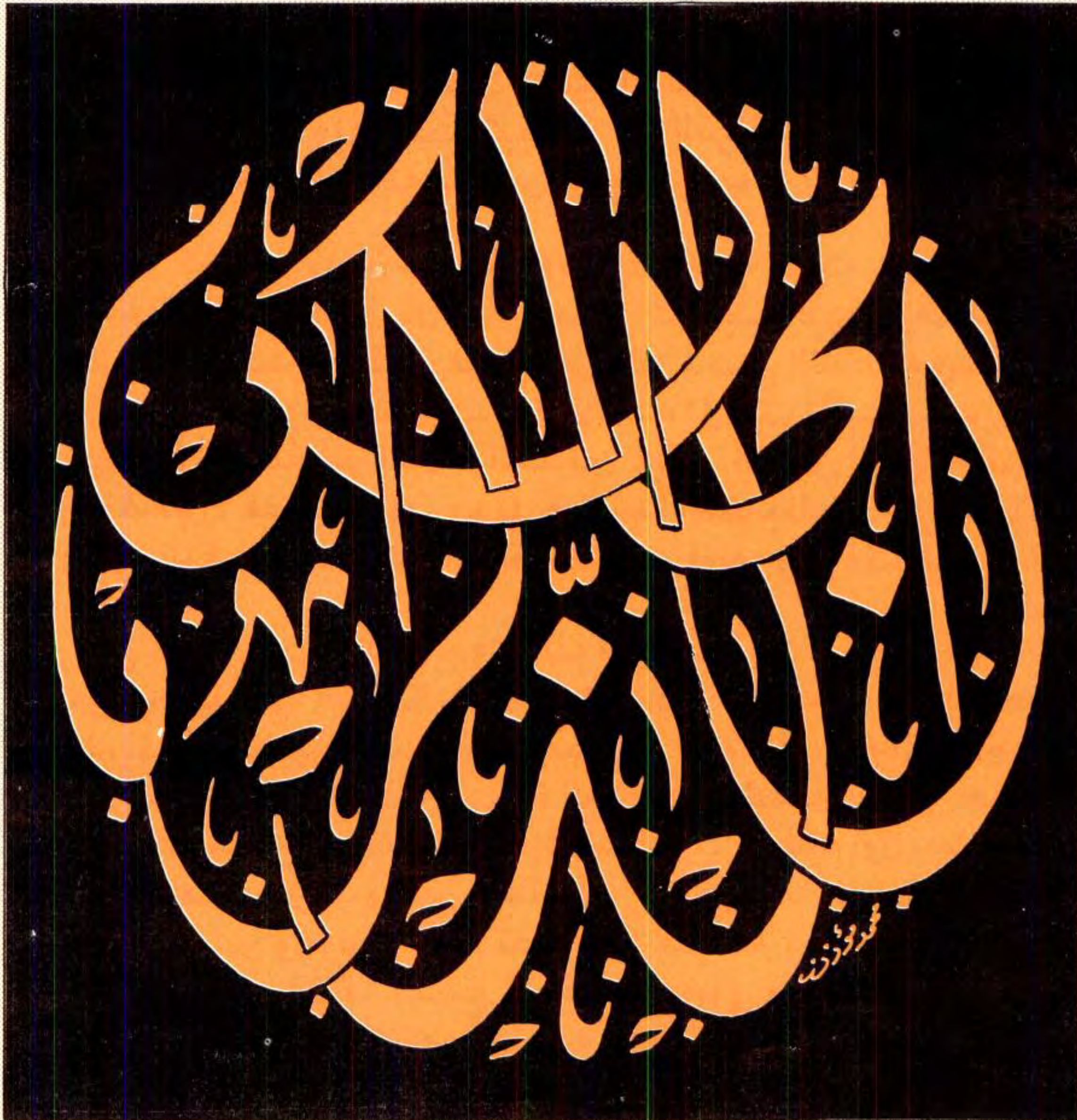
لقد كان تحويل القبلة حادثا عظيما في تاريخ المسلمين ، استخلص القلوب لله ، وجردها من كل ملابسة تاريخية او عنصرية ، وأظهر من يتبع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ايمان وثيق ، ممن ينقلب على عقبيه ، اعتزازا بمشاعره نحو جهة معينة ، فكان تطهيرا للصفوف المؤمنة من الدخل الذي يعوق مسيرتها في الكفاح والجهاد: (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم) .

كما كان إبرازا لشخصية الأمة الاسلامية حيث جعل لها قبلة خاصة تتجه إليها في كل زمان ومكان غير قبلة اليهود والنصارى ، وهي البيت الحرام الذي رغب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في التوجه له ، لطول ما سمع ـ مدة الاتجاه الى بيت المقدس ـ من لجاج اليهود ، واتخاذهم اتجاه المسلمين لبيت المقدس وسيلة للتمويه والتضليل:(قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) .

إن البيت الحرام الذي جعله الله قبلة المسلمين إلى يوم الدين ، هو رمز وحدتهم في العقيدة الحقة والعبادة الصحيحة ، والمعاملة الشريفة ، والمنهج السديد ، ومجابهة الأعداء ، والحفاظ على المقدسات .. فاذا اتخذنا من ليلة النصف من شعبان مذكرا بما أنعم الله به علينا حين أمرنا بالتوجه إلى هذا البيت العظيم أول بيت وضعه الله للناس مباركا وهدى للعالمين ، وتذكرنا ما توحي به القبلة الواحدة ، من وجوب رأب ما تصدع من بنياننا ، وجمع ما تمزق من صفوفنا .. ثم أخذنا نصلح ما فسد ، ونبني ما انهدم ، ونقوم ما اعوج ، كنا أهلا للتذكير والتنبيه ، والتوفيق والتسديد ، وكنا جديرين بنصر الله الذي أعده لمن ينصر دينه ويتبع سبيله:(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز. الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



للشيخ : عبدالجليل عيسى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن لله ملائكة يطوفون في الطرق ، يلتمسون أهل الذكر ، فاذا وجدوا قوما يذكرون الله ، تنادوا : هلموا إلى حاجتكم ، قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم : ما يقول عبادي ؟ قال : يقولون : يسبحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك ، ويمجدونك قال : فيقول : هل رأوني ؟ قال : فيقولون ، لا والله ما رأوك ، قال : فيقول ، وكيف لو رأوني ؟ قال : فيقولون : لو رأوك كانوا أشد عبادة ، وأشد لك تمجيدا ، وأكثر لك تسبيحا ، قال : فيقول : فما يسألوني ؟ قالوا : يسألونك الجنة ، قال : يقول : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا والله يارب ما رأوها ! قال : فيقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها ، كانوا اشد عليها حرصا ، وأشد لها طلبا ، وأعظم فيه رغبة ، قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : من النار ، قال : يقول : فهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يارب ما رأوها ، قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟، قال : يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة ، قال : فيقول : فأشهدكم أني قد غفرت لهم قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة ، قال : هم الجلساء لا يشقى جليسهم) .

رواه البخاري ومسلم .

(إن لله ملائكة) أي زيادة على الحفظة لا وظيفة لهم إلا البحث عن حلقات الذكر (يلتمسون أهل الذكر) وفي رواية مسلم (يتتبعون مجالس الذكر) وقبل السير في شرح الحديث ينبغي الوقوف على حقيقة معنى مجالس الذكر المرادة في الحديث حتى يكون المطلع عليها على بينة من الأمر فلا يقع فيما وقع فيه غيره من كثير ممن جهلوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في ذلك ، فنقول وبالله التوفيق : قال الشاطبي

في كتابه الاعتصام جزء ٣ صفحة ٨١ : وقع سؤال عن قوم يتسمون بالفقراء بزعمهم أنهم سلكوا طريق الصوفية فيجتمعون في بعض الليالي ويأخذون في الذكر الجهورى ، على صوت واحد ثم في الغناء والرقص الى آخر الليل : هل هذا العمل صحيح في الشرع أو لا ؟ فوقع الجواب بأن ذلك كله من البدع المستحدثات المخالفة لطريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقة أصحابه والتابعين لهم باحسان ، ثم قال : إن مجالس الذكر الصحيح هى ما كانت على ما اجتمع عليه السلف الصالح فانهم كانوا يجتمعون لتدريس القرآن فيما بينهم كما جاء في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفت بهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده) رواه مسلم . هذا هو الاجتماع للذكر وليس على صوت واحد ، وإذا اجتمع القوم على التذكر لنعم الله ، أو التذاكر في العلم إن كانوا علماء ، أو كان فيهم عالم فجلس إليه متعلمون ، أو اجتمعوا يذكر بعضهم بعضا بالعمل بطاعة الله ، والبعد عن معصيته وما أشبه ذلك ، مما كان يعمل به الرسول صلى الله عليه وسلم في أصحابه وعمل به الصحابة والتابعون ، فهذه المجالس كلها مجالس ذكر وهى التى جاء فيها من الأجر ما جاء ثم قال : وكان الذى نراه معمولا به في المساجد أن تجتمع الطلبة على معلم يقرئهم القرآن ، أو يعلمهم علما من العلوم الشرعية ، أو تجتمع إليه العامة فيعلمهم أمور دينهم ويذكرهم بأس ربهم ، ويبين لهم سنة نبيهم ليعملوا بها ، ويبين لهم المحدثات التي هى ضلالة ليحذروها فهذه مجالس الذكر على الحقيقة ، وهى التي حرمها الله أهل البدع من هؤلاء الذين زعموا أنهم سلكوا طريق التصوف ، وقل أن تجد فيهم من يحسن قراءة الفاتحة في الصلاة فضلا عن غيرها ، ولا يعرف كيف يستنجى أو يتوضأ ، وكيف يعلمون ذلك وهم قد حرموا مجالس الذكر التي تغشاها الرحمة وتنزل فيها السكينة وتحف بها الملائكة ؟ فبانطماس هذا النور عنهم ضلوا فاقتدوا بجهال أمثالهم ، وأخذوا يقرأون الأحاديث والآيات ، فينزلونها على آرائهم لا على ما قال أهل الحق فيها ، فيخرجون عن الصراط المستقيم ، ويقرأ أحدهم شيئا من القرآن يكون حسن الصوت جيد التلحين تشبه قراءته الغناء المذموم ثم يقولون تعالوا نذكر الله فيرفعون أصواتهم مداولة : طائفة في جهة ، وطائفة في أخرى ، ويزعمون أن هذا من مجالس الذكر المندوب إليها ، وكذبوا ، فانه لو كان حقا لكان السلف أولى بادراكه والعمل به ، وإلا فأين في الكتاب أو في السنة الاجتماع للذكر على صوت واحد جهرا عاليا ؟ وقد قال تعالى : **(واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول)** آية ٢٠٥ من سورة الأعراف ، وقال تعالى :

(ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين) آية ٥٥ من سورة الأعراف ، وقد فسر العلماء المعتدين بالرافعين أصواتهم بالدعاء ، فعن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، انكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم) رواه الشيخان . انتهى ما قاله الشاطبي . ومعنى أربعوا على أنفسكم : ارفقوا بها .

وروى الشيخان أيضا عن أبي هريرة ، في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله (ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه) قال شراح الحديث : رجل ذكر الله بلسانه ، أو بقلبه خاليا من الخلق ، أي في خلوته لأنه أقرب الى الاخلاص ، وأبعد من الرياء ففاضت عيناه من الدمع لرقة قلبه وشدة خوفه .

وقال الغزالي في الاحياء في (بيان ما يدل من ألفاظ العلوم) ص٢٨ :

ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم (لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس أحب الى من أن أعتق أربع رقاب) رواه أبو داود . التفت إلى يزيد الرقاشي وزياد النميرى وقال : لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه ، يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا ، إنما كنا نقعد فنذكر الايمان ، ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ، ونعد نعم الله علينا تفقها . ثم قال : وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة ، فنقل ذلك الى ما ترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه ، وهو القصص والاشعار والشطح والطامات : أما القصص فهى بدعة ، وقد نهى السلف عن الجلوس الى القصاص وقالوا لم يكن ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في زمن العمرين بعده . ثم فسر الشطح بصنفين من الكلام أحدثهما بعض المتصوفة : أحدهما الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله عز وجل ، والآخر كلمات غير مفهومة ، وكثيرا ما تصور من تخبط في العقل ، وحيرة في النفس ، ثم قال : وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح ، وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى أمور باطنة لا يسبق منها الى الأفهام فائدة ، كدأب الباطنية في التأويل وهذا من البدع الشائعة العظيمة الضرر . (انتهى ما قاله الغزالي ملخصا) .

(هلموا) أي تعالوا ، وهو على لغة أهل نجد ، وأما في لغة أهل الحجاز فهو بلفظ الافراد مطلقا للواحد والاثنين والجمع . (فيحفونهم بأجنحتهم) يقال حفه بالشئ اذا لفه به كما يحف الهودج بالثياب ، والباء للتعدية أي جعلوا أجنحتهم حافة ودائرة حولهم ، وقوله (الى السماء) متعلق بيحفونهم على

تضمينها معنى الارتفاع أي يحفونهم مرتفعين الى السماء ، وفي رواية سهيل عند مسلم : (قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا) .

(وهو أعلم منهم) أى من الملائكة بحال الذاكرين ، وفي رواية (بهم) أي بالذاكرين ، وعلى كل فالجملة حالية أو معترضة أتى بها دفعا لتوهم أن السؤال لاستفادة السائل جل وعلا ، ففائدة السؤال هنا مع العلم بالمسئول ـ التعريض بالملائكة . وبقولهم في بنى آدم **(أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)** (قالوا) أى الملائكة (ويمجدونك) بالجيم أي يعظمونك ، وفي حديث أنس عند البزار (ويعظمون آلاءك ، ويتلون كتابك ، ويصلون على نبيك ، ويسألونك لآخرتهم ودنياهم) .

(وأشد لك تمجيدا) زاد أبو ذر (وتحميدا) (يقول فما يسألونى ؟) بحذف احدى النونين تخفيفا ، ولأبي ذر (فيقول فما يسألوننى ؟) بزيادة الفاء واثبات النون .

(فأشهدكم أنى قد غفرت لهم) وفي رواية سهيل عند مسلم زيادة (وأعطيتهم ما سألوا) . (إنما جاء لحاجة) وفي رواية سهيل (يقولون : رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم ، قال : وله قد غفرت) أى غفرت له كما غفرت لهم .

(هم الجلساء) وفي رواية سهيل (هم القوم) وفي (أل) إشعار بالكمال ، أي هم القوم كل القوم ، الكاملون فيما هم فيه من السعادة باجتماعهم على ذكر الله .

وفي الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين ، وفضل الاجتماع على ذلك ، وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله به عليهم إكراما لهم ، ولو لم يشاركهم في أصل الذكر ، وفيه محبة الملائكة للذاكرين من بنى آدم ، واعتناؤهم بهم ، وفيه جواز القسم على الأمر المحقق تأكيدا له وتنويها به ، وفيه الاشارة إلى أن تسبيح الآدميين وتحميدهم أعلى وأشرف من تسبيح الملائكة وتحميدهم ، والسر في ذلك حصوله مع عدم المشاهدة ووجود الصوارف مما سلط عليهم من الشهوات ووساوس الشيطان .

هذا وقد قال الامام النووى : قال القاضي عياض رحمه الله : وذكر الله تعالى ضربان : ذكر بالقلب وذكر باللسان وذكر القلب نوعان : أحدهما وهو أرفع الأذكار وأجلها ، الفكر في عظمة الله وجلاله ، وجبروته وملكوته ، وآياته في سماواته وأرضه ومنه الحديث (خير الذكر الخفى) رواه أحمد في مسنده وابن حبان باسناد صحيح . والمراد به هذا . والثاني ذكره بالقلب عند الأمر والنهى ، فيتمثل ما أمر به ، ويترك ما نهى عنه ، ويقف عما أشكل عليه . وأما ذكر اللسان مجردا ، فهو أضعف الأذكار ولكن فيه فضل عظيم ، كما جاءت به الأحاديث والله أعلم .





للشيخ:سليمان التهامي

ليس شهر شعبان من الأشهر الحرم ، وقد تغير وجهه في الاسلام عما كان عليه في الجاهلية ، فبعد أن كان شهر النهب والسلب في الجاهلية أصبح شهر الخير والعمل الصالح ، وبعد أن كان شهر انشعاب القبائل للشر والعدوان أصبح شهر العبادة والوحدة والاحسان ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختصه بمزيد من عنايته ، فصام أكثر أيامه ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ، وما رؤى في شهر اكثر صياما منه في شعبان » وأحيا ليلة النصف منه لخاصة نفسه في غير اجتماع بأصحابه وبنسائه ، وبين أن لها فضلا كبيرا في أحاديث متعددة .

وظل أسلوب العبادة في شهر شعبان في حياة الرسول وأصحابه قاصرا على صيام أكثر أيامه ، وقيام أكثر لياليه ، واحياء ليلة النصف منه ، حتى جاء التابعون من أهل

الشام وعلى رأسهم خالد بن معدان ، ومكحول ، ولقمان بن عامر ، وقاموا باحيائها جماعة في المسجد ، والاحتفاء بها بلبس أحسن الثياب ، ووضع أطيب الطيب ، واظهار الخشوع الكامل لجلال الله ، ووافقهم على ذلك طائفة من عباد البصرة ، اما علماء الحجاز وفقهاء المدينة فأنكروا ذلك وقالوا ان احياءها بدعة ومنهم عطاء وغيره ، ومع أن علماء الشام هم الذين استحدثوا إحياءها فقد اختلفوا في صفة إحيائها إلى من يقول باحيائها جماعة في المساجد ومنهم خالد بن معدان وأصحابه ومن يقول بكراهة الاجتماع لها على أن يحييها الرجل في بيته بالعبادة والدعاء لخاصة نفسه اتباعا لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن أصحاب هذا الرأى الامام الاوزاعي إمام أهل الشام .

إن ليلة النصف من شعبان لها فضل عظيم ، وقد ذاع هذا الفضل عند أهل العلم وعامة المسلمين فأحيوها متأسين برسول الله صلى الله عليه وسلم متبعين هديه . ومن أمثل الاحاديث التي وردت في ذلك كما ذكر الحافظ بن رجب في (لطائف المعارف) ما اخرجه الامام أحمد والترمذي وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها قالت : « فقدت النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت فاذا هو بالبقيع رافعا رأسه إلى السماء فقال : أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله . فقلت : ظننت أنك أتيت بعض نسائك فقال : إن الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم بني كلب » وما أخرجه ابن ماجة من حديث أبى موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله ليطلع ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » وما أخرجه الامام أحمد من حديث عبد الله ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله ليطلع على خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين مشاحن وقاتل نفس » وما أخرجه البزار والبيهقي عن أبى بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ينزل الله إلى السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل شيء إلا لرجل مشرك أو رجل في قلبه شحناء » قال الحافظ المنذري إسناده لا بأس به .

ومن الآثار التي وردت في فضلها ما رواه نوف البكالي من أن عليا رضي الله عنه خرج ليلة النصف من شعبان ونظر في السماء وقال : إن داوود عليه السلام خرج ليلة النصف وقال : إن هذه لساعة ما دعا الله أحد إلا أجابه ، ولا استغفره أحد إلا غفر له في هذه الليلة ما لم يكن كاهنا أو ساحرا أو جابيا الخ .. ثم قال اللهم رب داوود اغفر لمن دعاك في هذه الليلة ولمن استغفرك فيها » وما ورد عن عطاء بن يسار أنه قال : « ما من ليلة بعد ليلة القدر أفضل من ليلة النصف من شعبان . ينزل الله إلى السماء الدنيا فيغفر لعباده كلهم إلا لمشرك أو

مشاحن أو قاطع رحم الخ » .

على ان ليلة النصف من شعبان تدخل في عموم الليالي التي يستجاب فيها الدعاء ويومها يدخل في عموم الأيام التي يضاعف الثواب فيها على الصيام فقد روى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا اعطاه إياه وذلك كل ليلة » وصيام يومها من جملة الأيام البيض المندوب صيامها من كل شهر ، وكان النبي يصومها ويوصي أصحابه بصيامها .

وقد ذكر العلماء لليلة النصف ما يربو على عشرين اسما ، وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى ، منها انها ليلة التقدير والبراءة والاجابة والحياة والليلة المباركة ، وبيان سر هذه التسميات يحتاج إلى تفصيل لا يحتمله المجال ــ ويكفي أن نوضح سر تسميتها بالليلة المباركة لأن بعض المفسرين قال : بأنها الليلة المباركة حين عرض لقوله تعالى: (**حم . والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة**) الآيات أوائل سورة الدخان .

وقد اختلف في تعيين الليلة المباركة التي ورد ذكرها في قوله تعالى من أوائل سورة الدخان : (**حم والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم**) الدخان ١ ــ ٤ فقال عكرمة المراد بالليلة المباركة هنا ليلة النصف من شعبان .

وقال جمهور العلماء : المراد بالليلة المباركة ليلة القدر وهو الصحيح لأن الله عينها في قوله تعالى : (**إنا أنزلناه في ليلة القدر**) أول سورة القدر وليلة القدر في شهر رمضان .

وكما ثار الخلاف حول هذه الليلة وفضلها ، وهل هي الليلة المباركة أم لا ، ومتى بدىء بإحيائها والاحتفال بها على هذه الصورة المعروفة الآن ، ثار الخلاف حول الدعاء المشهور الذي يدعى به في هذه الليلة وهو : (ياذا المن ولا يمن عليه الخ) لاشتماله على تعبيرات يرى بعض العلماء أنها تمس العقائد والأصول المقررة في الدين كوصفها بأنها ليلة : (**فيها يفرق كل امر حكيم**) الدخان ٤ وأنها ليلة فيها : (**يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**) الرعد/ ٣٩ .

وقد أجمع علماء المسلمين قديما وحديثا على أنه لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء بهذا النص المعروف « ياذا المن ولا يمن عليه ياذا الجلال والاكرام ياذا الطول الخ » ولم يكن من الصحابة اجتماع لاحيائها كما يحدث الآن ، وقد ذكرت آنفا ان عائشة رضي الله عنها لم تكن تعرف هذه الليلة ولا فضلها حتى أعلمها النبي عليه الصلاة والسلام بها ، وكذلك كان شأن الصحابة رضوان الله عليهم .

أما أنها ليلة التقدير وفرق كل أمر حكيم كما ذكرنا في الأحاديث التي سقناها ومنها ما أخرجه الديلمي عن

أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى) وما رواه أبو الضحى عن ابن عباس قال : « ان الله يقضي الا قضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها إلى أربابها في ليلة القدر » ـ فليس المقصود بذلك إنشاء المقادير فذلك أزلي قبل خلق السموات والأرض ولكن المراد إظهار هذه المقادير للملائكة » .

ويدل على ذلك قوله تعالى : (**فيها يفرق كل أمر حكيم**) حيث قال : يفرق ولم يقل يقضي . أو يكتب إشارة إلى ذلك . فالفرق هو التمييز بين الشيئين ، فالآية تشير إلى أن المقادير تفرق ليلة القدر بتوزيعها على الملائكة الموكلين بها أما كتابتها وتقديرها فهو من ليلة النصف من شعبان حسب ما أوضحنا آنفا من أن المراد إظهار المقادير للملائكة لا ابتداء تقديرها .

وأما قضية المحو والاثبات التي عرض لها الدعاء فليس من هدفنا أن نخوض فيها إلا بالقدر الذي يفيد المسلم إذا اتجه في ليلة النصف إلى ربه ضارعا خاشعا ، لاجئا إلى ساحته ، واثقا من كرمه ، عارفا بقدره وقدرته ، راجيا في عفوه ورحمته . يرى ابن عباس رضي الله عنه أن المحو والاثبات جائز إلا في السعادة والشقاوة والآجال فلا محو فيها ولا إثبات ، ويرى جماعة من الصحابة والتابعين أنه عام في الرزق والأجل والسعادة والشقاوة ، ودليلهم عمل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين فيما نقله عنهم الامام الالوسي جزء ١٣ ص ١٥١ عند تفسير قوله تعالى : (**يمحو الله ما يشاء ويثبت**) الرعد / ٣٩ . أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح عنه في دعاء القنوت قوله : (وقني شر ما قضيت) وفيه طلب الحفظ من شر القضاء الازلي ، ولو لم يمكن تغييره ما صح طلبه منه . وفي مسألة التراويح قال لأصحابه المنتظرين له معتذرا : (خشيت أن تفرض عليكم) فانه لا معنى لهذه الخشية لو كان القضاء الازلي لا يقبل التغيير ، ولولا إمكان التغيير ما طلب الدعاء في قوله تعالى : (**ادعوني استجب لكم**) ٦٠ غافر والقول بانه لأظهار العبودية والافتقار الى الله تعالى يأباه النص القرآني وفي قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الحاكم وصححه عن ابن عباس قال : « لا ينفع الحذر من القدر ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر » .

وأما أصحابه فقد أخرج عبد بن حميد عن عمر رضي الله عنه انه قال وهو يطوف بالكعبة : (اللهم إن كنت كتبت على شقوة او ذنبا فامحه واجعله سعادة ومغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب) .

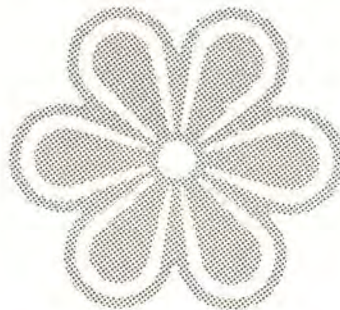
وفي ضوء ما قدمنا يتبين المسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أحيا ليلة النصف على نحو يتسق مع حقائق الدين التي دعا اليها ونادى بها فلم ينبه الى صلاة خاصة بهذه الليلة ، ولادعاء متميز ولا قيام معين بل سار

على طبيعته في العبادة وسهولته في مناجاة ربه وصدقه في الاتجاه إليه، وقد ذكر الغماري في (حسن البيان) أنه لم ترد صلاة معينة في هذه الليلة، قال النووي في المجموع : « صلاة الرغائب اثنتا عشرة ركعة في ليلة اول جمعة من رجب وصلاة مائة ركعة في ليلة النصف من شعبان بدعتان مذمومتان وقال بذلك العز بن عبدالسلام » .

وأجدى على المسلم أن يعتبر ما أثير حول ليلة النصف من شعبان من المسائل الخلافية، وهي موضع تجاذب بين الغالين والمتأولين من أهل العلم وكم فقد الاسلام كثيرا بسبب هذا التجاذب . ذلك أن الغلو حطم وحدة المسلمين وأوهن قوتهم، كما أن البعد عن حقائق الدين أفسد عقائدهم وأحبط أعمالهم فواجب العلماء والدعاة ألا يغرقوا العامة في مثل هذه الخلافات . بل يقدموا لهم حقائق الدين ومفاهيمه في يسر، وواجب العامة أن يقبلوا الحق ممن جاء به مؤتمين بكتاب الله، متبعين سنة رسوله، لا تستهويهم خدع الشيطان ولا تغرهم أماني الباطل .

إن أخطر شيء في دعاء ليلة النصف من شعبان لا يكمن في اعتقاد بعض الداعين أن الله يغير مقاديره ـ فذلك شأن الله وحده ـ بقدر ما يكمن في اعتقاد كثير من أهل الفسق والمعصية، وعبدة المال والشهوات، وحلفاء الشيطان وأعوان الباطل . أن الله سيمحو ما يشاء ويثبت من مقاديرهم بدعائهم وقراءتهم ودخولهم المساجد في ليلة النصف، وهم لم يخلصوا لله نية، ولم يؤدوا له صلاة، ولم يقدموا خيرا لأنفسهم طول عامهم، هيهات هيهات .

وبعد فان ليلة النصف من شعبان من الليالي المباركة لما قدمنا ولما قيل من أن القبلة حولت من بيت المقدس الى الكعبة في صبيحتها فلنحيها بالصلاة والدعاء والذكر وتلاوة القرآن وتطهير النفوس من الشهوات والقلوب من الاحقاد، غير مقيدين بنمط معين في العبادة ولا مؤملين تغييرا لحياتنا لا يتفق مع سنن الله في وجوده وخلقه واصحاب العزائم والصالحات سيغفر لهم كوعد الله، واصحاب الجرائم والموبقات امرهم مفوض إلى الله، والله يقبل توبة كل تائب، ويفتح بابه لكل طالب، ويفيض رحمته على من يشاء من عباده .





للدكتور/محمد لبيب البوهى

هناك حقيقة واضحة وضوح الشمس في الظهيرة .. تلك هى أن شمس الحضارة الغربية في طريقها إلى الغروب .. وتقتضى سنة الله في الأرض أن يرثها دائما عباده الصالحون .. من ذلك ندرك أن هناك ورثة يعدهم القدر ليرثوا البناء الذي يريد أن ينقض ، ويعيدوا إقامته .. **(وتلك الأيام نداولها بين الناس)** آل عمران/ ١٤٠ ..**(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون)** ١٠٥ الأنبياء .. ولعل من أكبر الأدلة على إفلاس الحضارة المعاصرة ما يتردد في كل مكـــان من أن الأمور أصبحت تتطلب إعادة بناء الانسان .. وهو شعار أصبح يتداول حتى في منطقتنا .. والانسان هو صانع الحضارة ومعنى الرغبة في إعادة بنائه أنه انهار معها أو انهارت هى معه فكلاهما ملازم للآخر .

وإنه لمن المقرر بداهة أن كلا من الحضارة وصانعها الانسان إنما يستمدان قوة البقاء والنماء من الجذور المتينة والأسس الصلبة التي يقوم عليها .. وهى القيم .. فاذا ذهبت تلك القيم . أو تلاشت .. أو انحطت لم يعد هناك ما يشد البنيان المرصوص إلى جذوره وأساسه .

ولكن أكثر الذين يفكرون في إعادة بناء الانسان لا يركزون أنظارهم على الأسباب التي أدت إلى هذه العلل – بل ربما كانوا وربما بسلامة نية وعن غير قصد في غياهب من التفكـــير المضلل نراهم يلتمسون الدواء فيما كان بداية من أسباب الداء .. فمن ذلك ما يبدو في زعمهم أنه لا سبيل إلى اعادة بناء الانسان بغير الحياة تحت مظلة الديموقراطية وهو شعار ذو مدلول براق .. وكان يمكن الاكتفاء بهذا العلاج الأبتر .. إذا كانت جعبة البشرية قد افلست من علاج أعظم من هذا الشعار ، وأكثر تفصيلا ، لذلك نجد لزاما أن نشير في عجالة إلى ما تعانيه أكثر الشعوب التي أخذت بأكبر قسط من هذا الشعار .

ماذا حدث تحت مظلة الديموقراطية ؟

إن المتأمل لا يحتاج إلى عناء كثير ليدرك أن الحضارة الغربية الآخذة في الأفول والانهيار إنما حملت أكثر أوزارها تحت ظل الديموقراطية التي ابتدعتها بل لقد نجد أكثر الفساد انتشارا في أكثر المناطق أخذا بهذا الشعار ... حيث نرى آخر المدى من الفساد الأخلاقي .. والتفكـــك الانساني .. والضياع الأسرى .. بل والاضطراب الاقتصادي ..

فتحت شعار الديموقراطية في تلك المناطق المشار إليها آنفا وصل الأمر إلى تقنين الشذوذ الجنسي واعتبار الدعارة حرية اجتماعية وانعدمت كل معاني العيب في الأخلاق والسلوك

الذاتي ، وانتشرت الرشوة حتى بين كبار الوزراء والحكــام .. وبايجاز فان الهدف للحياة هو البحث عن اللذات حيث كانت ، وعلى أي وضع جاءت وبأي ثمن يكــون وانتشرت المبادىء الهدامة وكـــل أساليب التنافس المادي الذي لا يلقي بالا لأي معنى من معاني الاخاء الانساني ، فالذي يملك سيارة واحدة ومنزلا واحدا يتربص بالذي يملك سيارتين ومنزلين ، وهذا الأخير يتربص بمن فوقه وهكذا تسير الأمور في تمزق لا نهاية له .

الفرق بين الحضارة والثقافة والمدنية ..

كثيرا ما يبدو المعنى بين هذه الثلاثة متداخلا بعضه في بعض حتى لقد يظن أنها شىء واحد ، ويأتي الخلط حين تطلق على ما هو حادث في الغرب الآن:اسم الحضارة ..

إننا حين نضع في التقدير روعة المباني الشاهقة ، والاستمتاع الألكتروني بالمبردات والسخانات والطائرات وصواريخ الفضاء ، وما إلى ذلك ، فان ذلك لا يشمل معنى الحضارة كما يجب أن تكــون في وصفها الصحيح ، فنحن نجد هذه الأشياء متوافرة لدى سكان المناطق التي تسمى بالمتخلفة ، بل حتى لنجد كثيرا منها لدى سكــان الأحراش والغابات حيث يستمتعون بالمبردات والسخانات ويركبون الطائرات وما إلى ذلك فهى في متناول كل من ملك مالا للاستحواذ عليها ، وهو ليس متحضرا بالمعنى الذي يجب أن يكون ... إن هذه الأشياء قد تكون ضرورية ولكـــن أهم من الذين يستمتعون بها هم الذين فكروا في ابتكارها ، وهذا الابتكار هو نوع من العلم فالذي يستمتع قد يكون متجردا من العلم ، وأما الذي اخترعها فهو المثقف المفكـــر العارف بأساليبها وطرق صيانتها فالعلم هو أحد أسس الحضارة السليمة ولكنه ليس كل شىء ، فالذي يفكــر تفكــيرا علميا ويبتكر ويخترع إذا كان ذلك في نطاق إنساني أخلاقي بحيث تسير كل خطوة من خطوات العلم تحت مظلة القيم والفضائل والأخلاق ، فهذه هى مقومات الحضارة فالحضارة إذن ليست مجرد الاستمتاع الالكتروني مهما عظم وإنما هى الفضائل والقيم التي تصاحب كل تقدم فني أو ابتكار علمي وهذا كله أو أكثره ليس متوفرا في الحضارة الغربية الآن .. وربما تكون الحضارة الغربية قد بدأت في أول نشأتها على شىء من ذلك . ولكنها افتقدت مقوماتها فأصبحت الآن كبناء زحزح عن أساسه فتهرأ وتصدع ويريد أن ينقض .

بوادر يقظة عامة

وإن ما يتردد حول إعادة بناء الانسان إنما يدل على صحة ما ذكــرناه آنفا . حتى شبابنا الذين فتنوا أو مازال أكثرهم يفتنون بما يرون في الغرب ويمارسونه قد استيقظ

كثير منهم بعد تجربة على علامات أيقنوها من تفسخ الحياة هناك ..، فانه باستثناء نظام العمل الدنيوى الذي كل هدفه اكتساب المـــال والتنافس في الحصول عليه إذ هو السبيل لشراء أكبر قدر من اللذات الحسية على شتى ألوانها وأنواعها .. ومن خصائص هذه اللذائذ الحسية أنها ممتدة الى غير حد فهي لا تشبع ولا ترتوى ، وهذا هو الحافز الحسي الذي يحكـــم عجلة الانتاج القوية فكل يريد المزيد دائما فالذي يملك الفا يريد الفين وبعد الألفين عشرة ثم مائة ألف .. ثم .. ثم .. فهذا الاندفاع المسعور هو الذي قتل المعاني الانسانية ...، ومن مظاهره ما هو دائم ومستمر من أمثال السطو الليلي .. الى تهديد بنوك المال في رائعة النهار .. الى تنظيم العصابات التي تريد المال من أي طريق حتى لقد نشأت فرق للقتل المأجور مما يسمى بالجنود المرتزقة الذين يمتهنون القتل بالثمن لـــن يدفع ...، الى عالم المخدرات الذي أغرق الشباب من الجنسين .. ومهما بدا المسلمون في تخلف حضاري كما يزعم الغرب بمقاييسه فان المفكرين الصادقين أصبحوا يشفقون مما صار قومهم فيه ويرون أن الاتجاه الحتمى الزمنى يسير تلقائيا إذا ما كان لابد من الاصلاح والانقاذ إلى قواعد الاسلام الذي مهما قيل في شأن ذويه فان قواعده الباقية على الزمن لم ينلها فتور ، ولقد صدر كتاب لفيلسوف غربي كبير يقول فيه: إن الحضارة الغربية حين تنفجر من داخلها فان الورثة الحقيقيين هم المسلمون ..

لماذا نجد تخطيطا منظما لحرب الاسلام ؟

والذين يرون أن الاسلام يملك أسباب الانقاذ فانهم بدلا من معاونة أنفسهم بالتعاون الانساني مع أنصاره يتجهون بسبب ما طمس على قلوبهم من الحقد إلى محاربته ووضع الخطط المختلفة لذلك ، ومن ذلك ما نراه من محاولة نشر أمراضهم الاجتماعية في بلاد المسلمين بصور شتى لامتصاص أى جهد خلاق قد يتجه إلى ميراث الاسلام لحضارتهم التي تحتضر ، غير أن القوى الروحية في المناطق الحساسة من العالم الاسلامي أصبحت في انتباه لما يراد بها وبدأت تقوى على مناهضة هذا التحدي رغم العوائق التي توضع في سبيلها من أعداء الاسلام على أن الأمر بالنسبة إلينا ليس هينا بل يقتضي تنظيم الجهود ابتداء من شعور كل فرد بمسئوليته تجاه سلوكـــه الأخلاقي ومسئوليته عن أسرته التي هي نواة المجتمع إلى علاج الأمية علاجا سريعا ومنظما وحاسما ومركزا إلى التربية الدينية القائمة على تنظيم السلوك وإعطاء هذا الاتجاه مزيدا من العناية بترشيد أساليب الدعوة واختيار الدعاة والعمل على إشعار كل أسرة بمسئوليتها عن نظام الاعداد النمطي لبنيها ليشب ورثة المستقبل

مسلحين بكل القيم العملية ليس في مجال العقيدة فحسب بل في حب الفرد وحرصه وأمانته في ترجمة العقائد إلى سلوك ، فان من شب على شئ شاب عليه ، وذلك لا يتأتى إلا بغرس بذور العادات الدينية القويمة منذ النشأة الأولى ، وإلا فان المواعظ الكلامية قلما تجدى بعد تقدم العمر ، وتربية العادات الخلاقة منذ الصغر هى الحماية من الانحراف في الكبر فان كثيرا من الذين يرتشون أو يسرقون أو يزنون يدركون ان ذلك أمر محرم شرعا ولكن ليس بهم بحكم العادة ما يقوى على عصمتهم .

مسئولية الاعلام العربى

وليس الأمر خاصا بالبيت والمدرسة فحسب بل إن الاعلام العربي يتولى كثيرا من المسئولية سواء قبل البيت والمدرسة أو بعدهما ، ولكن من الملاحظ تماما أن أكثر الذين يتولون التوجيه الاعلامي ليسوا على قدر كبير من الاعداد لمهمتهم الخطيرة ، وفاقد الشئ لا يعطيه ، فالذين نفوسهم خواء من الروح الدينية يتخبطون حين يطلب إليهم ذلك بحكم المهنة فحسب .. كما يجب الانتباه إلى الأخطبوط السرطاني الذي يعمل في الخفاء وبأساليب شيطانية شتى إلى اجتذاب شبابنا الذين هم بناة مستقبلنا لابعادهم عن روح الاسلام سواء حين يذهبون للسياحة أو تحت ستار سنوات المنح التعليمية ، ونحن لسنا ضد السياحة أو الدراسة العلمية هناك وإنما يجب تماما تسليح الشاب عقائديا وبقوة عملية راسخة قبل ذلك حتى يكون في منجاة من مخالب المصيدة فلا يتلقى السم في العسل ..

من وسائل أعداء الاسلام في تضليل شبابنا

ولم يعد يخاف على كل ذى بصيرة ما يلجأ إليه أعداء الاسلام من وسائل كثيرة أهمها محاولة تغريب شبابنا عن الانتماء العملي إلى دينهم بحيث يصبح العربي أو الافريقي في وطنه غريبا بروحه عنه وذلك بمحاولة نشر جراثيم أمراضهم الاجتماعية في بلاد المسلمين بصور شتى لامتصاص أي جهد خلاق قد يرفع بلادهم إلى المكانة التي يجب أن يكونوا عليها كصناع للحضارة الانسانية السليمة على مدى الأجيال إلى أن تقوم الساعة .. وهذه رسالة يجب منذ النشأة الأولى إعداد كل مسلم وهو مدرك لمسئوليته عنها .. وأمانته أمام ضميره ووطنه وربه عن حصيلة عمله في هذا السبيل .

أمانة الرسالة والمسئولية عنها

يحاول أعداؤنا دفعنا إلى الاستغراق في الحياة المادية والمتع الاستهلاكية ومن خصائص هذا التوجيه أن يشدنا بعيدا عن عالم المثل والقيم التي لا يكون المسلم مؤمنا بربه ووطنه وقوميته إلا بها .. أضف إلى

نلك السيل الهائل المتدفق من الأفكار المستوردة .. إن أعداء الاسلام يخططون لنلك بكل ذكاء فالتخوفات لديهم تتزايد يوما بعد يوم من تزايد طاقة العالم الاسلامي فهناك إرهاصات تدل على أن الفرصة مواتية للمسلمين للقيام بدور أساسي في توازن الحياة بما أوتوا من طاقات مختلفة .. وليس هذا الصراع بجديد على مدار أجيال التاريخ فانه ما من حضارة قامت ثم شاخت وأصبحت في طريقها إلى الفناء إلا دخلت وهي تلفظ آخر أنفاسها في صراع مع الحضارة التي تتهيأ لكي ترث مسئولية تقويم الحياة بعدها .

إنه من الأهمية بالمكان الأول أن يكون واضحا أن مهمة بناء الانسان العربي لا تغنى أبدا عن أهمية وضع الكيان العربي كله كشعب واحد يؤمن برب واحد ويتجه إلى قبلة واحدة خمس مرات على الأقل كل يوم تذكرة لهم بأن يكونوا جميعا على قلب رجل واحد .. ولو أن كل إنسان أدرك مسئوليته عن نلك لأفسحت هذه الأمة الطريق للخصائص الكامنة في أعماقها لتؤدي رسالتها . نلك أن الذي نزل الذكر ــ سبحانه ــ وتولى حفظه إنما استودع قلوب المخلصين من عباده خصائص ذاتية باطنية ليكونوا أداة على الأرض لأداء هذه الأمانة .. وهذه الفطرة كامنة دائما وقد تحجبها أمور عارضة .. غير أنها متى عاد صاحبها إليها وجدها تلبي نداءه .

وما على المسلم إلا أن يتجه الى ربه بقلب مخلص ليجد كل مقومات الفلاح في انتظاره : **(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)** العنكبوت/ ٦٩ ولن يكـــون الناس وحدهم عندما يعملون بجهدهم بل مع اليقين سيكون معهم ربهم الذي تكفل بنصر المؤمنين ــ وجعل نلك التأييد حقا ، وهو قادر على أن يمدهم بكل أسباب التأييد من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون : **(ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما)** الفتح/ ٤ ، وهذه الفترة العصيبة التي يمر بها عالمنا ليست جديدة ولا فريدة من نوعها ، إنه مهما كان بها من أسباب تدعو إلى الأسى ــ فانه لا يأس مع الايمان ــ فان اليأس مع الايمان كفر . ولقد مرت بنا في الماضي القريب أو البعيد فترات عصيبة كانت أشد مما نعاني الآن وأضل سبيلا ، بل لقد كانت الجاهلية أشد من نلك وأنكى وإن الخصائص التي تم بها البنيان أول مرة هي التي أصبحت وستظل ميسرة لنا ما تمسكنا بالكتاب ، وسنة أستاذ البشرية عليه صلوات الله وسلامه ، إن الطريق دائما مفتوح وما أسهل ما يمكن إزالة عقباته ما خلصت النيات واشتدت العزائم وتوفرت الارادة ..

تلك هى سنة الله في أرضه ولن تتبدل هذه السنة إلى آخر الدهر والليل دائما يعقبه نهار ، وما صلحت به الأمور أول مرة هى الخصائص الخالدة التي يتم بها إعادة البنيان والله وحده ولي التوفيق وهو سبحانه المستعان .

الإسلام والمسلمون في الماضي والحاضر والمستقبل

للأستاذ / عبدالكريم الخطيب

ـ ١ ـ

نحن المسلمين ـ اليوم ـ على موعد بمواجهة القرن الخامس عشر الهجري ، ونخشى أن ينكر وجودنا ، وأن يندب حظه ، حين يرى الاسلام غريبا في أوطانه ، مضيعا بين أهله ، على حين يلتفت إلى الوراء ، فيرى قرونا لبس فيها المسلمون من الاسلام أثواب العزة والمجادة ، وأمسكوا بزمام ركب الحياة الصاعد بالناس إلى مطالع الهدى ، والخير ، والسلام ، والأمان .

ولقد كان المسلمون الأولون موفقين أعظم التوفيق يوم اختاروا مطلع الهجرة النبوية مبدأ لتاريخ الاسلام ، إذ لم تكن سنواته الأولى من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة ، إلا إرهاصا لمطلع

شمس هذا الدين ، حيث خرج الرسول الكريم مهاجرا إلى الله بدين الله ، من مكة إلى المدينة ، وهناك أقام أول مجتمع إسلامي ، ذلك المجتمع الذي قاد ركب الانسانية إلى التوحيد ، وأذن في العالمين بأن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وبهذه الكلمة الطيبة المباركة ، فتح قلوبا غلفا ، وآذانا صما ، ورد إلى الانسانية الضالة اعتبارها ، وأهلها لخلافة الله لها في الأرض ، فأقامت تلك المدنيات والحضارات المزدهرة بالعلوم والفنون ، على أساس من الحق ، والعدل والخير ، وعلى دستور من الاخاء ، والمودة والتراحم ، وذلك ما شهد به للاسلام أعداؤه ، حيث لا تزال الآثار باقية ، وحيث لا تزال علوم الاسلام ومعارفه جامعة العلوم والمعارف ، يتلقى عنها علماء الغرب أصول العلم ، وروائع الفن ، وإن كنا نحن المسلمين في غفلة عن تراثنا هذا ، حيث نسعى إلى الغرب ، ونتتلمذ على علمائه ، ونستورد صناعته ، ونمشي وراء عاداته وتقاليده ، ونحتكم إلى أحكام شرائعه وقوانينه ، حتى لقد صدق فينا قول شاعرنا العربي :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

ـ ٢ ـ

وإذا كان للزمن دورة يتقلب فيها بالناس ، بين ليل ونهار ، وإذا كان للحياة سننها في الناس ، أفرادا وجماعات وأمما ، بين عز وذل ، وصعود وهبوط ، وقوة وضعف .. كما يقول الحق سبحانه : **(وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين)** (آل عمران : ١٤٠ ـ ١٤١) .

نقول إذا كان ذلك كذلك ، جاريا في دورة الزمن ، قائما في سنة الحياة ، فليس يعني هذا أن يستسلم الانسان ـ وبخاصة المؤمن ـ للواقع ، إذا كان هذا الواقع فيه جور على إنسانيته ، أو امتهان لكرامته ، مما لا يرضاه له دينه ، ولا تقبله منه شريعته ، فان المؤمن الحق قوي بقوة الله ، عزيز بعزة الله ، وبايمانه بالله ، والله تعالى يقول : **(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)** (المنافقون : ٨) .. ويقول سبحانه : **(من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)** (فاطر : ١٠) .

ويقول تبارك وتعالى فيمن يلوذون بأهل الكفر والضلال ، عائذين بهم ، طالبين العزة منهم : (**بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا**) (النساء : ١٣٨ ـ ١٣٩) .. والشاعر العربي يقول :

ولا يبيت على ضيم يراد به
إلا الأذلان : عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشج ، فلا يرثى له أحد

ـ ٣ ـ

وحال المسلمين اليوم ـ ونقولها بصدق وإخلاص ـ حال لا يرضى عنها الاسلام منهم ، ولا يرتضيها أهل الايمان والتقوى فيهم .

فالمسلمون اليوم ـ وقد كانوا سادة العالم وأساتذته ، ومصابيح هدايته ـ هم اليوم عالة على من كانوا عالة عليهم بالأمس ، يلتقطون فتات ما يتساقط من موائدهم من علوم وفنون . ومن آداب ، وعادات ، أيا كان وزن هذه الفتاتات ، وأيا كان قدرها : وهى السم الزعاف !! لقد صغرت عند المسلمين اليوم أنفسهم ، وهانت عليهم كرامتهم ، ونسوا الله ، فنسيهم الله ، وأنساهم أنفسهم ، حتى غزاهم المستعمرون ، واحتلوا أوطانهم أزمانا ، وفرضوا عليهم أنظمتهم ، وألزموهم عاداتهم وتقاليدهم ، ثم نفذوا من هذا الى عقيدتهم وشريعتهم ، وحاجوهم في دينهم ، وبأنه لو كان الدين الحق ، لما تخلف ركبهم ، ولما أصبحوا عالة على الأمم التي لا تدين بهذا الدين ، بل وعلى أمم لا تدين بدين أصلا !!

ـ ٤ ـ

إن الذين يشنعون على الاسلام ، ويرمونه بالتهم الظالمة الباطلة ، إنما يأخذون الحجة على ذلك مما عليه المسلمون اليوم من ضعف وتخلف في ماديات الحياة ومعنوياتها على السواء ..

وإذا كان لنا أن نلتمس لهؤلاء الطاعنين على الاسلام ، العذر لما يقولون ، وهم في ذلك بين عدو للاسلام متربص بأهله الدوائر ، أو جاهل أحمق ينظر في المسلمين ، ولا يمتد نظره إلى الاسلام ، ولا إلى جوهر حقائقه ـ فانه لا عذر لنا نحن أبناء الاسلام فيما صار إليه حالنا من هذه المباينة البعيدة ، والخلاف الشديد ، بيننا وبين الاسلام الذي ننتسب إليه ، ونتزيا بزيه !!

إن الدين بأهله !

وعلى أهل الدين ـ أي دين ـ تظهر آثاره ومعطياته ، ومن أهل هذا الدين تعرف آثاره وثماره ، فيقبل الناس عليه ، أو يعرضون عنه ، ويرغبون في أن يكونوا على شاكلة أهل هذا الدين ، أو يعرضون عنهم ، ويفرون من الأخذ بدينهم .

وإنه لمعذور من يريد الدخول في الاسلام ، أن يدين بالاسلام ، وهو

يرى كثيرا من المنتسبين الى الاسلام يعدلون عنه ، ويأخذون طريقا غير طريقه ، في حياتهم المادية والروحية ، وفي منازع سلوكهم أفرادا وجماعات ..

فكم من أبناء الاسلام ، من هاجر بجسده ، وعقله ، وقلبه ، ولسانه ، إلى أوربا وأمريكا ، وعمل جاهدا على أن يكون واحدا من أهل أوربا وأمريكا ، ورأى من العار عليه أن يشك أحد في نسبته إلى أبناء هذه البلاد !!

ولقد عمل الاستعمار جاهدا على أن يمكن لهذا الضلال من نفوس شبابنا وشيوخنا ، بما أذاع فينا بأساليبه الخبيثة ، وعلى ألسنة أبنائه من المبشرين والمستشرقين ، من مفتريات على الاسلام ، وتهجم على شريعته — وإزراء بأهله ، واستخفاف بمكانتهم في الحياة ، وتخليهم عن أي مكان كريم فيها ..

بل ولقد عمل الاستعمار كيدا أكبر من هذا الكيد للاسلام ، فانه حين وضع الاستعمار يده على أوطان المسلمين كلها ، ترك بلدا نصرانيا مثل الحبشة ، دون أن يمد إليه يدا ، حتى يرى المسلمون رأى العين أن دينهم هو السبب في ضعفهم ، واستعمارهم ، وأنهم لو كانوا على دين النصرانية لما كان للاستعمار سبيل إليهم ..

— ٥ —

والحق أن هذا الكيد للاسلام ، ولأهل الاسلام ، ليس وليد هذا العصر ، بل إنه حلقة في سلسلة طويلة من حلقات الكيد لدين الله ، والذين يدينون بهذا الدين .

ذلك أنه منذ قيام الدولة العباسية على يد الفرس بقيادة أبي مسلم الخرساني تحركت في أبناء فارس نوازع العصبية ، والتطلع إلى إعادة مجد الأكاسرة الذاهب ، وفرض عاداتهم وتقاليدهم على الخلفاء العباسيين ، فاصطبغت الأمة الاسلامية بالصبغة الفارسية ، التي دخل منها الشيء الكثير الغريب على شريعة الاسلام ، وكان من ذلك ظهور فرق الزندقة والالحاد ، وشيوخ المتصوفة ، وفرقهم التي غزت مواطن الاسلام في كل مكان .

ولا شك أن ذلك كان له أثره البالغ في إضعاف الأمة الاسلامية ، وتفرقها إلى شيع ومذاهب وطوائف ، كل فريق منها ينازع الفريق الآخر ، ويرميه بالكفر والمروق من الدين ..

ويكفي في هذا التشتيت والتمزق للأمة الاسلامية أن كان المعتزلة يعدون بعشرات الفرق المتنازعة المتجادلة ، وأن كان الخوارج على هذه الشاكلة من التفرق والتنازع والتجادل ، بل والتقاتل ، أما المتصوفة ، فقد اقتطعوا من جسد الأمة الاسلامية أشلاء ، ذهب كل شيخ من شيوخهم بشلو من هذه الأشلاء !!

ولا يقف الأمر عند هذا ، بل لقد اندس في هذه الطوائف وتلك الفرق كل من يريد الكيد للاسلام ، مستترا في طائفة من تلك الطوائف ، منتسبا إلى

أية فرقة من هذه الفرق .. ومن هؤلاء المندسين أصحاب البدع ، وأهل الزندقة والالحاد .

بل وأكثر من هذا ، فان أصحاب المذاهب السنية الأربعة . قد وقع بين أتباعهم خلاف شديد ، وجدل طويل ، كل يريد الانتصار لمذهبه ، حتى لكأنه هو الاسلام ، وما عداه ليس من الاسلام ، وحتى لقد بلغ الأمر في هذا الخلاف ، إلى الحد الذي لا يصلى فيه تابع لمذهب ، وراء إمام من مذهب آخر من المذاهب الثلاثة الأخرى ..

ولقد كان المتعارف بين المسلمين في أول الصراع والجدل بين أتباع المذاهب الأربعة السنية ، أن يذكر المرء مذهبه مضافا إلى نسبه ، فيقال أو يقال عنه : فلان بن فلان ، المالكي ، أو الشافعي ، أو الحنفي ، أو الحنبلي .. وكان إذا أقيمت الصلاة ، اتخذ أصحاب كل مذهب مكانا لهم في المسجد ، يؤمهم فيها إمام من أتباع المذهب ، ولا تزال آثار هذا قائمة في بعض مساجد القاهرة ، مثل مسجد السلطان حسن بالقلعة ، حيث أقيمت فيه أربعة محاريب للصلاة ، وإن كان المسلمون اليوم يصلون خلف إمام واحد ، أيا كان مذهبه ، مع وجود تلك المحاريب !!

ومع هذا ، فان الذي ينظر إلى جماعة المسلمين اليوم ، وهم يؤدون الصلاة ، يجد صورا مختلفة متعددة لهم ، وهم وقوف بين يدي الله في الصلاة ، فهذا يرسل يديه إلى جنبيه ، وذاك يضع يديه مجتمعتين تحت سرته ، وآخر يضعهما على جانب صدره الأيسر ، حتى إن من يطلع عليهم ، ويرى هذا الاختلاف بينهم في هذا الموقف ، ليدخل عليه أنهم ليسوا على دين واحد .

ونسأل : هل كانت صلاة المسلمين خلف رسول الله ، أو خلف خلفائه الراشدين وأتباعهم على مثل هذه الصورة ؟

لا شك أن هذه الصور كان يصلي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تخفيفا على المسلمين ، وإشعارا لهم بما ينبغي أن يكون عليه المصلي من استشعار لجلال الله وعظمته ، وكان المسلمون يتابعون رسول الله في أي صورة يكون عليها في وقوفه بين يدي ربه ، سبحانه وتعالى .

فهل آن الأوان للمسلمين أن يحذوا حذو إمامهم ، وأن يكونوا جميعا على الصورة التي عليها وقوفه بين يدي الله ؟ إن ذلك مما يقوي مشاعر الوحدة والاخوة والالفة بين جماعة المسلمين ، ولا عليهم أن يكون مذهب المصلي منهم على صورة غير هذه الصورة التي يقف فيها إمامه في الصلاة .

— ٦ —

وإذا كانت مذاهب الزندقة والالحاد ، قد ولت دولتها ، ولم يبق في المسلمين إلا بعض آثارها ، وإلا بعض المؤلفات فيها ، مثل « رسائل إخوان الصفا » ـ فانه قد بقي هناك التصوف والمتصوفة ، كما بقي تعلق كثير من المسلمين به ، وتهافتهم

عليه ، كما يتهافت الفراش على النار ، وذلك لما يرى من ظاهر التصوف من صلة وثيقة بالاسلام ، ومن أنه طريق السالكين إلى مرضاة الله ، والقرب من منازل رحمته ورضوانه ، كما يدعى ذلك شيوخ المتصوفة !!

فلقد دخل التصوف على المسلمين ، من باب الزهد ، وهو باب كريم لمن يعرف حدوده ، ويربي نفسه عليه .

فالزهد في الاسلام هو زهد القادر ، المالك لما يزهد فيه ، وليس زهد العاجز المفلس الذي يزهد فيما ليس له امتلاك له ، ولا سبيل للوصول اليه .

والتصوف ، الذي لبس ثوب الزهد ظاهراً . والذي يقوم عليه شيوخ ، وأبدال . وأتباع وتلاميذ ، وتنتظم طرقه ما ينتظم الدول من أحكام ودساتير ، هذا التصوف ، هو الذي جمع تحت جناحيه اعدادا لا حصر لها من العامة ، والجهال والمنحرفين ، الذين يخيل اليهم من شعارات التصوف التي يلبسونها ، ومن صور العبادات والأذكار التي يجتمعون عليها ، أنهم قد أصبحوا على رءوس الناس ، علما وخلقا ، وقربا من الله .

فاذا كان التصوف على طريق الزهد ــ كما يقولون ــ فانه لا يصح أن يكون طريقا عاما ، يقوم عليه رؤساء ، وسدنة ، وتنظمه مراسم وطقوس ، حيث تختلف طاقات الناس وقدراتهم ، حيث يقول الحق سبحانه : **(لا يكلف الله نفساً الا وسعها)** (البقرة : ٢٨٦) ويقول جل شأنه : **(لا يكلف الله نفسا الا ما أتاها)** (الطلاق : ٧)

ومن هنا ، لم يكن التصوف نابعا من شريعة الاسلام ، قائما على طريق دعوته ، وإنما كان مولده ابنا غير شرعي ، نسب إلى الاسلام ، ليكاد به للاسلام ، وليكون دعوة قائمة في المسلمين ، لترك هذه الدنيا ، وإخلاء أيديهم من كل ما يمكن لهم في الأرض ، ويجعل منهم القوة التي لا يطمع فيها عدو ، ولا ينال منها متربص بالاسلام ، وأهله .

ولقد نجح هذا الكيد الذي دخل على المسلمين تحت ستار التصوف ، فاقتطع أعدادا كثيرة من المسلمين ، صرفهم عن العمل ، وألقى بهم في متاهات الفقر والمسكنة ، وعزلهم عن أي موقع من مواقع الحياة ، وكان من هذا أن ضعف المسلمون ، فطمع فيهم أعداؤهم ، واستولوا على أوطانهم ، وأخضعوهم لأحكامهم ، وفرضوا عليهم قوانينهم وأحكام دساتيرهم .

وللمسلم الحق أن يسأل : لماذا يخف ميزان الاسلام عند المسلمين ؟ ولماذا تنحرف بهم الطريق عنه ؟ ولماذا ينزعون ثوبه عنهم ، ويلبسون بدلا منه تلك الاثواب المستعارة المرقعة بمئات الرقع ؟

أفي الاسلام ما يعوق مسيرة الانسان في الحياة ، أو يأخذ على أتباعه الطريق إلى القوة والعزة والسيادة ؟ أفي الاسلام دعوة إلى منكر ، أو أمر بما يجرح المروءة ، أو

يخدش الحياء ؟

أفي الاسلام ما يحمل المتدينين به على أن يكونوا أمساخا في الحياة ، أو دمى متحركة ، يستهزأ بها ويسخر منها ؟

إنه لظلم عظيم أن يفهم الاسلام هذا الفهم ، وإنه لخيانة مهلكة لأنفسنا أن ننزل الاسلام هذا المنزل الدون في حياتنا ، وألا نتخذه تاجا نتوج به رءوسنا ، وقائدا نسير خلفه على الطريق الذي يقودنا إليه !!

وإنه إذا أعيانا النظر في التعرف على حقائق ديننا من كتاب الله ، وسنة رسوله ، وهما بين أيدينا ، ورسولان من رسل الله تعالى إلينا ، فلنقرأ صحف التاريخ عن أمجاد أسلافنا ، الذين رفعهم الاسلام إلى تلك المنازل العالية ، وأقامهم هداة للانسانية ، وبناة للحضارة والمدنية التي يعيش الناس في ظلها اليوم !!

— ٧ —

وها نحن أولاء اليوم في عصر العلم ، الذي تمتحن به حقائق الأشياء ، ويعزل به جيدها وجوهرها ، من زيفها ورديئها ..

إن هذا العصر ، هو الذي يحمل إلى الانسانية كلها ، دعوة مجددة إلى الاسلام ، بما يكشف العلم من حقائقه وبما يستخرج العلم من كنوزه ..

وإن هذا العصر ــ عصر العلم ــ لهو العصر الذي ينتظره الاسلام ، ليتحقق فيه قول الله تعالى : **(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)** (الصف : ٩) .. ويقول سبحانه : **(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)** (التوبة : ٣٢) .

وإنه إذا لم يقم المسلمون اليوم بهذا الأمر الذي تعلو به كلمة الاسلام ، وتشرق بها أنواره على العالمين . فان غير المسلمين سيقومون بهذا الأمر العظيم ، حيث يبشرون به في أقوامهم الذين فضح العلم عندهم ما يدينون به من أديان لا يقبلها العقل ، ولا يأخذ بها الواقع ، وعندئذ يصدق علينا قوله تعالى : **(وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)** (آخر سورة محمد) .

— ٨ —

وها هى ذى طلائع الداعين إلى الاسلام ، من علماء الغرب ومستشرقيه ، الذين لا يدينون بالاسلام ، قد أخذوا يقيمون شهادة الحق للاسلام ، ويكشفون للناس عن حقائقه التي هي النجاة للانسانية ، والخلاص لها مما ارتكست فيه من مادية صارخة ، اغتالت كل عواطف الانسانية ، حتى بين الآباء وأبنائهم ..

ولا نستقصى في هذا المقام تلك المقولات الصريحة الصادقة التي صدرت من أكابر علماء الغرب

وفلاسفته ، وأساتذته .. وحسبنا أن نشير إلى بعض تلك المقولات ، وأن نجتزئ بقطوف منها ، لتكون حافزا للمسلم أن يعرف من دينه ، ما عرفه له غيره ، ممن لا يدينون به .

فهذا الفيلسوف الفرنسي (المسيحي) « أرنست رينان » يقول في كتابه المعروف « تعليقات على تاريخ الأديان » ـ يقول عن القرآن الكريم : « إن القرآن ، هو أساس الاسلام ، وقد احتفظ بكينونته القديمة ، دون أن يعتريه أي تعديل أو تحريف ، وعندما تستمع إلى آياته ، وما فيها من حكمة وفصاحة ، تأخذك رجفة الوله والوجد ، وعندما تتوغل في دراسة روح التشريع المنطوية عليه بعض تلك الآيات الالهية ، لا يسعك إلا أن تعظم هذا الكتاب العلوي ، وتقدسه » .

ثم يقول الفيلسوف « أرنست رينان » :

« ولقد دلتني تجرباتي العلمية والتاريخية ، على أنه لا صحة مطلقا لما أريد إلحاقه من كذب وافتراء ، بالنبي محمد ، كقولهم : إن محمدا كان يميل إلى السيطرة والتسيد ، مع أن محمدا ، كما أثبتت الوثائق التاريخية ، وشهادة أكابر علماء التاريخ ، كان على العكس من ذلك ، بريئا من روح الكبرياء ، متواضعا ، صادقا ، لا يحمل الحقد لأحد ، وكانت طبيعته نبيلة ، وقلبه طاهرا ، وشعوره رقيقا » .

هذه شهادة هذا الفيلسوف الكبير ، يذيعها في العالم كله ، وينادي بها في أمم الغرب ، وكأنه بهذا يدعوهم إلى الاسلام ، وإلى تصحيح نظرتهم إليه .

وهذا شاهد آخر ، من مئات الشهود بين حكماء الغرب وفلاسفته ، وهو الفيلسوف الألماني « عما نويل كانت » (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤) يقول عن الاسلام ، وأثره في قيام أوربا ، وصحوتها من ليلها الطويل في القرون الوسطى ـ يقول :

« لو لم تتضعضع الحضارة الاسلامية ، تحت تأثير عوامل الشقاق بين زعمائها ، وملوكها ، وأمرائها المسيطرين على مقاطعاتها ، وترجع القهقري ، وتفقد على كر الأيام هيبتها وقدرتها ، وتستسلم شعوبها لمخالب الخنوع وروافد الردة ـ لظل الغرب منكمشا في أوكاره الخابية البائسة » .

ثم يعقب على هذا بقوله :

« إنه يصح لنا أن نقول : إن أوربا بعد ما اقتبسته من ثقافة وحضارة ، انحدرت إليها من وراء جبال الأندلس ، وبعد أن اجترعت بنهم غريب ، الترياق الشافي ، لجروح الجهل والانحطاط المسلط علينا ، وبنيت الخصال والمواهب الكثيرة الكريمة التي طبعتها بها الأمم الاسلامية بعد حملاتها الصليبية ، حيث أخذت أوربا تعيد كرتها على الاستاذ المريض ـ أي العرب ـ وهنا تبدل وجه الأرض ، ورأينا تلك العجيبة التي يقف التاريخ أمامها واجما مرتعدا .. ألا وهي أن الضعيف أصبح قويا ، والقوي

أصبح واهنا .. » (**ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) الأنفال/٥٣ .

ونستدعي من فلاسفة الغرب ، شاهدا ثالثا ، هو المستشرق الايطالي « ليبرتيني – يقول هذا المستشرق :

« إنني أكاد أعتبر أقطاب الأندلس ، وجزيرة العرب ، عندما أضاء سنا الحضارة العربية ، بفضل جهاد آبائهم ، والعلم المنتشر في ربوعهم – أنهم كانوا أكبر مجرمى العالم ، لأنهم لم يكتفوا بافناء بعضهم بعضا ، بل تعدوا ذلك إلى وأد ألمع حضارة أوجدها الانسان على ظهر الأرض » .

فأي جناية جناها المسلمون على أنفسهم ، وعلى الانسانية جمعاء ، بهذا العدوان على أنفسهم ، وإطفاء نور حضارتهم ؟

وهذا الفيلسوف المعاصر ، المعروف « برنارد شو » – يقول :

« إنني أعتقد أن رجلا كمحمد ، لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم ، لتم له النجاح في حكمه ، ولقاده إلى الخير ، وحل مشاكله على وجه ، يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة » .

– ٩ –

وبعد ، ونحن في ضوء صبح جديد ، من مطلع القرن الخامس عشر الهجري – فهل لنا أن نصحح وجه مسيرتنا مع الاسلام ؟ وهل نكون أهلا لأداء شهادة الحق له ، بين أبناء هذا العالم المضطرب الذي يتهدده الهلاك في صبح يوم أو مسائه ، بفعل تلك القنابل الهيدروجينية ، والذرية ؟ وهل نؤدي – نحن المسلمين – للاسلام دوره لانقاذ البشرية من هذا البلاء المحيط بها ؟

إن تلك هى رسالة الاسلام ، التي وضعها الله تعالى في يد النبي الكريم بقوله تعالى : (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) (الأنبياء : ١٠٧) ... وتلك هي رسالة أتباع محمد ، الذين أقامهم الله تعالى شهداء على الناس ، كما أقام الرسول شهيدا عليهم ، حيث يقول سبحانه : (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**) (البقرة : ١٤٣) .

وإنه لن يتم للمسلمين هذا إلا إذا تحولوا عما هم عليه من مجافاة لدين الله ، وتهاون بأحكامه ، وآدابه ، وإلا إذا أخذوا بحظهم من العلم والمعرفة على ضوء كتاب الله ، وسنة رسوله ، وإلا بالاقتداء بسيرة سلفهم ، وما كان لهم من دور في رفع راية الاسلام ، ونشر ألويته في آفاق الأرض ، وعندئذ تختفي وجوه تلك المنكرات التي تسلطت عليهم ، واغتالت قوى الحق بينهم ، كما تختفي وجوه أهل الضلال من المتجرين بالدين ، من أصحاب المذاهب المنحرفة ، المشوهة للاسلام ، من قاديانية ، وبهائية ، ومتصوفة ، وغيرها مما زحف على المسلمين بالبدع والخرافات .

الاعجاز اللغوي للقرآن الكريم

للدكتور: عبد الفتاح الفاوى

جمع الله سبحانه وتعالى الوحي والمعجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم بينما فصلهما عند الأنبياء السابقين ليبين أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم آخر النبوات، وشريعته آخر الشرائع. وأن هذه معجزته قائمة لمن بعده حتى لا تكون لهم حجة في عدم اتباعه.

وإعجاز القرآن الكريم يكاد يكون أمرا مسلما به من غير المسلمين ووجوه إعجازه متعددة. فهو معجز بلغته وبلاغته ومعجز بحكمته وشرائعه ومعجز باخباره عن الماضي وتنبؤه بالمستقبل ومعجز باشاراته العلمية ومعجز بوجوه من الاعجاز لم نصل إليها بعد.

والاعجاز اللغوي والبلاغي يكاد يكون - حتى الآن - أشهر وجوه إعجازه وهو الذي تحدى الله سبحانه وتعالى به العرب أرباب الفصاحة وأساطين البيان فعجزوا. بل جعلهم ينطقون - على كفرهم - بقولهم: « إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه » وجعلهم ينطلقون إلى معلقاتهم في جوف الكعبة - تلك القصائد التي كانوا يتيهون بها فخرا لعلو قدمها في الفصاحة والبلاغة - فيقطعونها خجلا أمام بلاغة القرآن وفصاحته.

فيروى أنه عندما نزل قوله تعالى: **(وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا**

سماء أقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقـوم الظالمـين) هود/ ٤٤

أسرع العرب إلى معلقاتهم فأنزلوها .

ولقد نزل القرآن بلغة العرب وبعبارة أدق بلغة قريش . وكان طبيعيا أن ينزل بهذه اللغة لما اختصت به قريش من مزايا جعلت لها السيـادة على العرب وللغتها السيادة على سائـر اللغات . ورسول الله صلى الله عليه وسلـم ـ أيضا ـ قرشي ولـو نزل القرآن بغير ما الفه من اللغة القرشية وما اتصل بها لذهبت كل قبيلة فيه مذهبا من القول ولصار الأمر من العصبية والمشاحنـة والبغضاء إلى حال لا يلتئم عليها أبدا ولو كانت بلاغته مما تميت وتحيى .

ومع أن القرآن نزل بلغة قريش فان ذلك لم يمنع من ورود كلمات من لغات عربية أخرى غير قرشية فيه كقوله تعالى : **(لا يلتكم من اعمالكم)** الحجـرات/ ١٤ فلا يلتكـم بلغـة « عبس » لا ينقصكـم . وقـد عد بعضهم في القرآن أربعين لغة غـير قرشية . وإن كان لا سبيل لتحقيق ذلك لدرس هذه اللغـات وتداخلهـا وتقطع أسباب المقارنة بينها وبين لغة قريش التي مضوا على استعمالها بعد القرآن .

كما أن في القرآن أيضا من غير لغات العرب أكثر من مائة لفظة ترجع إلى لغات الفرس والروم والنبط والحبشة والبربر والسريان والعبران والقبط . ولكن كل هذا وذاك لم يمنع العرب عن فهم القرآن . إذ قد ائتلفت لغته على وجه يستطيع العـرب أن يقـرءوه بلحونهم وان اختلفت وتناقضت مع البقـاء على فصاحتـه وخلـوصه .

وتلك ـ كما يقول الرافعي ـ سياسة لغوية استدرج بها العرب إلى الاجماع على منطق واحد ليكونـوا جماعـة واحدة .

وأسلوب القرآن مباين بنفسه لكل ما عرف من أساليب البلغاء لتناسبـه وتناسقه وتفننه في طرق الاستعمال ، ومراعاته لحال المخاطبـين ، حتـى لنراه إذا خاطب العرب والأعـراب أخرج الكلام مخرج الاشارة والوحى والحذف ، واذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطا ، وهو في الحالين مفهوم على مدى العصور ، فهمه عرب الجاهلية الذين لم يكن لهم إلا الفطرة ، كما فهمه من جاء بعدهم من العلماء والفلاسفـة وأصحـاب الفرق والمذاهب .

وفي القرآن ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائـب ، وليس المـراد بغرابتها أنها شاذة أو نافرة ، فان القرآن منزه عن ذلك وانما اللفظة الغريبة ههنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويـل ، بحيـث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس .

وقد كان ابن عباس رضي الله تعالى عنه يجلس بفناء الكعبة ثم يكتنفه الناس يسألونه عن التفسير لعلمه بكـلام العرب . وروى عن بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أنه قال : ما كنت أعلم معنى كلمة « فاطر » حتى

اختصم إلى أعرابيان في بئر فقال أحدهما إني فطرتها .
هذا وقد صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها وجودة تركيبها كأنها فوق اللغة . فان أحدا من البلغاء قد لا يمتنع عليه فصاحة هذه اللغة متى أرادها ولكنه مهما بلغ لا تقع له مثل ألفاظ القرآن في كلامه وإن اتفقت له نفس الألفاظ بحروفها ومعانيها . لأن للقرآن في استعمال لغته طرائق ووجوها يعجز البشر عن الاتيان بها .
فقد تكون اللفظة مثلا ثقيلة فاذ بالقرآن يستعملها في موضع وسياق فتأتي أخف ما تكون ، وأعذب ما تكون ، خذ مثلا لذلك كلمة « **النذر** » وفيها من الثقل ما لا يخفى، انظر إلى القرآن كيف أتى بها في قوله تعالى : **(ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر)** القمر/ ٣٦ خفيفة سهلة .
وفي القرآن كذلك كلمات طويلة في حروفها ومقاطعها مما يجعلها مستثقلة بطبيعة وضعها أو تركيبها ولكنها خرجت في القرآن مخرجا عذبا كقوله تعالى : **(ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم)** النور / ٥٥ فكلمة « ليستخلفنهم » مكونة من عشرة حروف جاءت هنا من أخصر الألفاظ وأعذبها منطقا وأخفها تركيبا وكذلك كلمة « **فسيكفيكهم** » من قوله تعالى : **(فسيكفيكهم الله)** جاءت مكونة من تسعة حروف لم تر في موضع أعذب أو أخف من موضعها هنا . وقل مثل ذلك في كلمات أخرى .
وفي القرآن لفظة غريبة هي من أعذب ما فيه وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه وهي كلمة « **ضيزي** » من قوله تعالى : **(تلك إذا قسمة ضيزي)** النجم / ٢٢ .
ونرى أيضا من تصرف القرآن وتفننه في استعمال الكلمات إتيانه بالكلمة جمعا وهجر مفردها لما فيه من الثقل فان اضطر إلى استخدام المفرد أتى بمرادف له أخف منه وأعذب . فهو يستعمل مثلا كلمة « **الألباب** » كثيرا ولكنه لم يستعمل « **اللب** » قط لثقله وعندما اضطر إليه استعمل مرادفه وهو « **القلب** » ومثل هذا نجده في لفظة « **الأكواب** »**و** « **الأرجاء** » حيث لم يستعمل مفرد أى منهما لمكان الثقل فيهما .
وقد يجيء الأمر بالعكس فيستعمل المفرد دون جمعه مثل لفظه « **الأرض** » فقد جاءت فيه مفردة ولم تأت مجموعة لثقل الجمع فيها ، وعندما اضطر إلى مجيئها جمعا تصرف في ذلك تصرفا سجد له أساطين البلاغة تقديرا وإعجابا في قوله تعالى : **(الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن)** الطلاق / ١٢ فانظر كيف جاءت « **ومن الأرض مثلهن** » أعذب وألطف من كلمة الأرضين .
ومن الألفاظ التي لم يستعملها القرآن أيضا لثقلها لفظ « **الآجر** » . فعندما احتاج إلى هذه اللفظة طرح لفظها ولفظ مرادفها وهو « القرمد » وأخرج معناها بألطف عبارة وأرقها وأعذبها في قوله تعالى : **(وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري**

فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا) القصص/٣٨ فانظر إلى هذا التعبير : **(فأوقد لي يا هامان على الطين)** أيستطيع عربي مهما بلغ شأنه أن يأتي بمثله .

ومن الاعجاز اللغوي للقرآن أيضا اختياره للكلمات بحيث تلائم المقام الذي تقال فيه ، والغرض الذي سيقت له ، اقرأ إن شئت قوله تعالى : **(الحاقة . ما الحاقة . وما أدراك ما الحاقة)** الحاقة /١-٣ ، وقوله : **(القارعة . ما القارعة . وما ادراك ما القارعة)** القارعة/١ ــ ٣ وانظر كيف جاءت كلمتا الحاقة والقارعة ملائمتين للمقام تمام الملاءمة ومؤديتين للغرض الذي سيقتا له وهو التخويف من يوم القيامة أداء لا يمكن لكلمة أخرى أن تؤديه . لما لهاتين الكلمتين من قوة في الصوت ، وشدة في النطق لا توجد في غيرهما .

بل قد تكون الكلمتان ذات معنى واحد أو معنيين قريبين ولكننا لا نفطن إلى التفرقة بينهما في الاستعمال . فاذا بالقرآن بحسه البلاغي الدقيق يلحظ هذا الفارق ويجعلك تشعر به عند استعماله لهما . كل في موضع خاص . فكلمة « حجرات » و « غرف » نكاد نستعملهما بمعنى واحد في حياتنا العادية وكتاباتنا الأدبية أيضا . ولكن القرآن يفرق بينهما تفرقة تخجل الأديب وتلجم اللبيب عندما نراه يستعمل كلمة غرف في مقام الجنة ونعيم الآخرة ، ويستعمل الحجرات في مقام الدنيا وزهد الحياة عندما يقول : **(لهم غرف من فوقها غرف)** الزمر/٢٠ ويقول :

(إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) الحجرات/٤ .

حجرات الرسول صلى الله عليه وسلم كانت جد متواضعة وغرف الآخرة جد فسيحة ومريحة . فاذا ما رجعنا إلى معنى هاتين الكلمتين وجدنا ذلك الفرق قائما بينهما .

إنها بلاغة القرآن التي جعلت أرباب البلاغة من العرب يصفون محمدا بأنه ساحر ، وما وصفوه بذلك إلا لأنهم رأوا في القرآن من البلاغة ما يفوق قول كل بليغ . وهم وإن صدقوا في الشعور والاحساس بأن في القرآن من البلاغة ما يفوق قدرة كل بليغ إلا أنهم كذبوا أو أخطأوا في النعليل بأنه ما كان كذلك من القول فهو سحر . وكان لزاما عليهم أن يعللوا ذلك بأنه تنزيل من حكيم حميد . لأن محمدا صلى الله عليه وسلم لو كان ساحرا لما استعصى عليه أن يسحرهم كلهم وأن يجعلهم جميعا داخلين تحت تأثيره لأن الساحر لا يخص البعض دون البعض بمعنى أن من قدر على سحر شخص قدر على سحر غيره فلو أن محمدا ساحر كما كانوا يقولون واستطاع أن يسحر بعضا لسحر الباقين أيضا وأراح نفسه من عنادهم . وما هي إلا حقبة بسيطة حتى نطق العرب جميعا بالحقيقة ، واعترفوا باعجاز القرآن ، وكان أشد الناس اعترافا باعجازه أعلاهم قدما في الفصاحة

والبيان لقدرتهم على التعرف على هذه الوجوه في القرآن الكريم . ويروى أن جماعة من الكفار جاءوا إلى « عبد الله ابن المقفع » وهو من هو في الفصاحة والبلاغة وطلبوا منه أن يعارض لهم القرآن الكريم وأن يعطوه في مقابل ذلك مبلغا كبيرا من المال ووافق ابن المقفع على ذلك واستمهلهم ستة أشهر واعتكف طيلة هذه الشهور الستة في مكان منعزل وبعد انقضائها ذهبوا إليه ليروا ماذا فعل فوجدوه قد ملأ الحجرة التي كان معتكفا فيها بالأوراق المقطعة ، واعترف لهم بأنه طيلة هذه الشهور الستة لم يستطع أن يكتب سطرا واحدا في مستوى كتابته العادية ناهيك عن مستوى القرآن وبلاغته .

فالقرآن له من التصرف والتفنن في استعمال الأساليب والكلمات ما يجعله يفوق قدرة البشر . ومن ثم كانت صعوبة ترجمته بل استحالة ترجمته إلى أية لغة أخرى . إن ترجمة القرآن مهما كانت من الدقة والمتانة لا تستطيع أن تنقل كل معانيه ولا جزءا بسيطا منها ، ولا تستطيع بأى حال من الأحوال أن تفي بالغرض لأن القرآن ليس كلمات فقط ، وليس معاني فقط ، وليس أسلوبا فقط ، إنه أكثر من كل هذه المعاني . قل لي بربك بم يترجم المترجم قوله تعالى : (**الحاقة . ما الحاقة**) الحاقة / ١ ، ٢ (**القارعة . ما القارعة**) القارعة / ١ ، ٢ انظر مثلا إذا ترجمت « الحاقة ما الحاقة » بـ

What is the Sure Reality The sure Reality

اى فرق بين العبارتين . وقل مثل ذلك في ترجمة « القارعة ما القارعة » بـ

what is the day of Noise and clamour ?

the day of noise and clamour .

إن المعنى يفتر بعد أن كان قويا في الأسلوب العربي ويبرد بعد أن كان حارا . وإذا ترجمهما بيوم القيامة او يوم الحساب مثلا هل يستطيع أن ينقل هذا الجو الذي تثيره هاتان الكلمتان في أذن القارئ ونفسه .

يتضح من هذا الذي قدمناه ونحوه مما امسكنا عنه لضيق المقام أن لغة القرآن وإن كانت عربية قرشية إلا أنها تنزيل من حكيم حميد . وأن اعجاز القرآن بلغته وأسلوبه أقوى وأوضح من ان ينكره أى مكابر الآن . وأن للقرآن وجوها أخرى من الاعجاز كثيرة وأن كل جيل يستطيع أن يكتشف من وجوه الاعجاز ما لم يكتشفه من سبقه . وأن إعجاز القرآن للعرب إعجاز لغير العرب من باب الأولى . ومن أبسط وأوضح وجوه الاعجاز في القرآن الكريم ذلك الصفاء الروحي والشعور الغريب الذي يحس به كل من يتلو القرآن أو ينصت إليه عربيا كان أو أعجميا مسلما كان أو غير مسلم . إنها حالة عشتها كثيرا وقرأتها عن كثير من المنصفين من غير العرب وغير المسلمين أيضا : (**الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله**) الزمر / ٢٣ . صدق الله العظيم .

الصحافة الإسلامية بين الحاضر والمستقبل

للدكتور : عبد الحليم عويس

نشأة الصحافة الاسلامية

مصطلح « الصحافة الاسلامية » مصطلح حديث الاستعمال ، بالنسبة لنشأة الصحافة في العالم الاسلامي والعربي .

والسبب في ذلك أن نشأة الصحافة في العالم العربي ، وتطورها أيضا ، قد ارتبطا بأمرين :

١ ـ بظروف سياسية يتحكم في مسيرتها الاستعمار الصليبي ، ويستغل فيما يستغل « العملية التربوية » والتثقيفية .. وبالتالي يوجه أدوات الاعلام والتثقيف إلى غاياته التي تنتهي إلى تكريس وجوده ، وإلى إفقاد الأمة الاسلامية ـ والوطن العربي من بينها ـ الشخصية الحضارية والأصالة الذاتية ..

ولما كان الاسلام هو دعامة هذه الشخصية ، فقد كان إبعاده عن مجالات التوجيه ـ ومن بينها بل وعلى رأسها الصحافة ـ أمرا مفروغا منه في التخطيط الاستعماري .

٢ ـ وأيضا فقد أدى هذا إلى أن النهضة الصحافية ، بل النشأة الصحافية ـ قد قامت على أيدي أناس ليسوا من المسلمين في جملتهم .. فهم إما نصاري وإما شيوعيون .. وإما أعضاء في

الجمعيات اليهودية كالخلايا الشيوعية وكالماسونية ، وإن كانوا مسلمين بالاسم وشهادة الميلاد .

ولم يشذ عن هؤلاء من الذين عملوا في الصحافة ـ في مرحلة النشأة ـ إلا قليلون تاهت أصواتهم وسط أصوات الكثرة التي تقف وراءها القوى الاستعمارية بكل عونها المادي والأدبي ، وبكل خبرتها الطويلة في فن الاعلام .

وفي هذه المرحلة ظهرت بواكير العمل الصحافي ممثلة في جهود بعض المخلصين ، على رأسهم الاستاذ « محمد فريد وجدي » الذي أنشأ في عام (١٩٠٧ م) جريدة خاصة به تحمل اسما « إعلاميا » و« شعبيا » هو « الدستور » وكان هو صاحبها ورئيس تحريرها ولا يعاونه على أداء مهمته فيها الا الأستاذ « عباس محمود العقاد » ـ رحمهما الله .

وكانت جريدة الدستور تضع تحت « اسمها » الكبير لافتة صغيرة تبين أنها « لسان حال الجامعة الاسلامية » وقد رفض فريد وجدي ـ رحمه الله ـ أن ينزع هذه اللافتة الصغيرة تحت كل الضغوط والاغراءات ، لدرجة أن « حزب مصر الفتاة » عرض عليه دعما سخيا كان في مسيس الحاجة إليه ، لكنه رفض ، وترك جريدته الحبيبة لديه « الدستور » تعاني أمراض الاحتضار ، دون أن يقبل علاجها بهذا الدواء الخبيث المستورد ، ولم تمض أسابيع ، بعد هذا الوقت ـ حتى كان يبيع كتبه بثمن يضارع ثمن وزنها من الورق ليؤدي مرتبات موظفي الجريدة وعمالها ..!!

وكان هذا حال واحدة من بواكير الصحف التي اتخذت « الخط الاسلامي » سياسة لها ، تسير عليه ، وتدعو اليه .

ولم ييأس المرحوم « محمد فريد وجدي » من « العمل الصحافي الاسلامي » فعمل في مجلة « نور الاسلام » التي تطورت وأصبحت « الأزهر » المعروفة بيننا اليوم ، كما كتب في الأهرام ، وفي الجهاد ، وفي غيرهما .

ونستطيع أن نقول مطمئنين : إن الصحافة في مصر ولبنان كانت أسبق إلى الظهور من الصحافة في غيرها من بلدان العالم العربي . وبالتالي فظهور الصحافة الاسلامية في العالم العربي لا يزيد عمره الحقيقي عن سبعة عقود تقريبا ، أما تطوره وبروزه بوضوح وجلاء ، فلعل عمره لا يزيد عن ربع قرن من الزمان .

مفهوم الصحافة الاسلامية

يرى بعض الكتاب أن « الصحافة الاسلامية » تعني تلك الجريدة أو المجلة أو الدورية التي تضع « شارة الاسلام » اسما لها ، وتلتزم بالخط الاسلامي منهجا وهدفا .

ويرى آخرون ـ وهم كثيرون ـ أن الصحافة الاسلامية هي التي تلتزم بالخط الاسلامي منهجا وهدفا حتى ولو لم تضع شارة الاسلام ، أو تضع كلمة تدور حول معنى إسلامي ، أو هيئة إسلامية .. لأن

العبرة بالمضمون لا بالشكل .

والحقيقة أن هذا ليس جوهر الخلاف ، بل الخلاف الحقيقي الذي نثيره هنا ونريد أن نهتبل هذه الفرصة لتوضيحه ، هو « ماذا نعني بكلمتي صحافة وإسلامية » ؟

ففي المفهوم الغالب أن كلمة « صحافة إسلامية » تعني مجلة أو جريدة أو دورية تدعو إلى الاسلام بأسلوب مباشر تقريري .. وكأنها مجلة « إعلانات » لبضائع معينة .. وهذا المفهوم في الحقيقة يقضي على « أسس الصحافة » كفن ، ويجعلها منبرا خطابيا يلتزم الأسلوب نفسه الذي يلتزمه خطيب المسجد ، مع أنه من الضرورة بمكان أن يكون هناك فروق بين الدعوة إلى القيم وعلاج المشكلات في المسجد .. والدعوة إليها وعلاجها عن طريق الصحافة أو عن طريق أي فن من الفنون .

وتوضيح ذلك أننا لا نغمط المسجد حقه ، ولا نعيب على خطيبه أسلوبه المباشر التقريري الواضح – بل هو أسلوب ضروري ومهم جدا . وكل ما هنالك أن النفس البشرية ، ومثلها العقل الانساني ، كائنان معقدان قد لا يصلح معهما أحيانا الأسلوب التقريري الحاسم ، وقد يحتاجان في كثير من الأحايين إلى أسلوب في العرض وطريقة في الحوار والاقناع غير الطريقة المباشرة أو الطريقة الحاسمة التي تفترض الايمان المطلق والتسليم البديهي .

ففي رأينا أن « الصحافة الاسلامية » ليس شرطا أن تضع « لافتة » تبين خطها الفكري الواضح ، وليس شرطا كذلك أن تقيد نفسها « بأسلوب تقريري » قد يكون منفرا أو إعلاميا ، وليس شرطا – أيضا – أن تلتزم في عملها بشكل معين أو قضايا معينة ... وإنما يجب عليها أن تتوافر فيها الأبجديات والأساسيات التالية :

١ – أن لا تحمل لافتة تتناقض مع أساسية في التصور الاسلامي أو أساسية في الفكر الاسلامي العام .

٢ – أن تلتزم بتدعيم القيم الاسلامية ، وتتعاطف مع قضايا المسلمين ، ولا تنتمي لأعدائهم تصورا أو أهدافا أو انتماء .

٣ – أن تلتزم الشروط الاسلامية في الأعمال الفنية ، فلا تعلي من الشكل على حساب المضمون ، ولا تبيح – بالتالي – الصور العارية ولا « الكذب الصحافي » ولا « الاثارة » دون فائدة ، ولا تعطيل الناس واستغلال أموالهم وأوقاتهم بلا مقابل .

وفي إطار ذلك كله تستطيع أن تتحرك أية جريدة أو مجلة ، دون أية قيود أخرى .. واثقة من أن كل كلمة وضيئة صادقة وكل توجيه سياسي أو اجتماعي يعتمد القصة أو الرسم أو المقالة أو التحليل الاخباري أو التعليق على الأحداث أو ما سوى ذلك هو من باب « الصحافة الاسلامية » ، فالاسلام « صياغة للحياة » وليس « كهنوتا لاهوتيا » أو « ديرا للزاهدين أو الفاشلين » بل هو حضارة كاملة تستوعب كل أنشطة الحياة التي تدعم الخير والمعروف

بمعناهما الكبير الفسيح .

الصحافة الاسلامية المعاصرة

توجد في العالم الاسلامي الآن عشرات الصحف التي تتخذ من « كلمة الاسلام » وما يدور في فلكها – خطا واضحا لها .. وثمة صحف « ذات خط إسلامي » وإن لم تضع كلمة الاسلام عنوانا لها . ومن هذه الصحف المعروفة : « المجتمع ، والبلاغ » في الكويت ، و« الشهاب » في لبنان ، و« أردو دايجست » في باكستان ، و« المعرفة » في تونس ، و« الأصالة » في الجزائر ، و« الجمعية الأسبوعية » في الهند ، وغيرها .

وهناك صحف أخرى تضع كلمة الاسلام شارة لها ، إلا أنها من وجهة النظر الاسلامية الجماهيرية تعبر عن « فئات » أو « نظم » أو اتجاهات سياسية رسمية ..

وهذه الصحف أو المجلات معروفة ، ولسنا في حاجة إلى ذكرها ، كما أن هذه الصحف ليست مناط بحثنا .. فالعبرة – عند دراسة أية ظاهرة – بمضمون الظاهرة حيث يوجد .. وليس بشكلها الذي يزعم البعض أنه يضم ذلك المضمون المفترى عليه !!

وثمة صحف أخرى هي التي تنتظم الساحة الاسلامية أو العربية ، وتحمل كلمة الاسلام راية لها ، وتعمل – مخلصة – على أن تكون صوت الاسلام المدافع عنه ..

ومن هذه الصحف – في مصر : « الدعوة ، والاعتصام ، ولواء الاسلام ، والأزهر ، والهدى النبوي ، والتوحيد ، والاسلام ، ونور الاسلام ... »

– وفي سوريا : « حضارة الاسلام » .

– وفي العراق : « التربية الاسلامية » .

– وفي الجزائر : « الأصالة » .

– وفي لبنان : « الفكر الاسلامي ، والشهاب » وقد توقف صدورهما في الحرب اللبنانية .

– ولا توجد مجلة إسلامية تعبر عن الفلسطينيين .

– وفي المغرب : « الوعد الحق ، والاعتصام المغربية ، والايمان المغربية » .

– وفي الكويت : « المجتمع ، والبلاغ ، والوعي الاسلامي » .

– وفي السعودية : « الدعوة ، والتضامن الاسلامي ، والرابطة الاسلامية ، وأخبار العالم الاسلامي ، والبحوث العلمية » .

– وفي الامارات العربية : « منار الاسلام ، وضياء الاسلام » .

– وفي تونس : « جوهر الاسلام ، والمعرفة » .

– وفي مناطق أخرى من العالم تصدر بعض الصحف ، بعضها يظهر فيه ضعف الامكانات ، مثل « الغرباء » ، وبعضها دوري ، مثل « أضواء الشريعة » ، وبعضها يعبر عن نزعة مذهبية بالغة الضيق ، ولا تكاد تنظر إلى العالم الاسلامي ومشكلاته ، ولا إلى الاسلام نفسه ،

بعين مجردة ، بل بعين طائفية حزبية ضيقة .. ولا حاجة بنا هنا لتتبع مثل هذه المجلات ..

وحسبنا أن نرصد من هذا الحصر ــ الذي قدمناه كنموذج ومثال ــ بعض الظواهر التي تستحق التسجيل ، بالنسبة لواقع الصحافة الاسلامية :

١ ــ أن الصحافة الاسلامية تكاد تكون معدومة في بعض بلدان العالم العربي .

٢ ــ أن هذه الصحافة ــ في مجملها ــ متخلفة .. إعلاميا ــ على الأقل ــ عن الصحافة الأخرى التي لا تضع شارة « الاسلامية » عنوانا لها .

٣ ــ أنه من بين هذه الصحف لا تصدر صحيفة واحدة (يومية) تحمل شعار الاسلام أو منهجه ، وهذا يعني أن « الصحافة الاخبارية » غير موجودة ، إذ أن الجريدة أو المجلة الأسبوعية ، فضلا عن الشهرية ، لا تستطيع إطلاقا ملاحقة الحدث الاخباري في عصر الاذاعة والتلفاز ووكالات الأنباء « والتليفون » و« التلكس » .

٤ ــ أن هذه الصحافة ــ بالتالي ــ صحافة رأي ، تتجه أكثر ما تتجه إلى التلقين المباشر ، المنطلق من الفكر ، أكثر مما تنطلق من الواقع الذي يلتمس العلاج من الفكر ، كما يلتمس الاستهداء بضوئه .

٥ ــ ومن البدهي أن هذه الصحافة لا رابط بينها ، ولا تخطيط يجمعها ، بل لا يوجد تصور عام (إسلامي وعصري) يقود خطواتها .

٦ ــ وهي ــ في أغلبها ــ جهود فردية ، أو صحافة حكومية ملتزمة ، أو تصدر عن جمعيات ..

٧ ــ ولنا أن نتخيل أن تلك الصحف ــ في مجملها ــ قليلة الأعداد ، قليلة التوزيع والانتشار ، قليلة الاسهام في توجيه الرأي العام .. وذلك بالطبع ــ باستثناء صحف تعد على أصابع اليد الواحدة .

مستقبل الصحافة الاسلامية

إن من الصعب أن نطالب هذه الصحف بأن ينتظمها تخطيط واحد ، فذلك مطلب عاطفي لا يقدم جديدا . ومن الصعب كذلك أن نطالب هذه الصحف بأن تكون أكثر عصرية وأكثر فنية وأكثر وعيا بأساليب العمل الصحافي المعاصر . ومن الصعب كذلك أن نقول لهذه الصحف إن العمل الصحافي الحديث يحتاج « لامكانات فنية » وإلى مناخ شوري « ديموقراطي » وإلى « إمكانات مادية » لكي يدخل حلبة السباق على التأثير في الرأي العام واحتوائه .

فعلى الرغم من مشروعية وأهمية كل هذه المطالب إلا أنه ليس من المستساغ أن نطالب بما لا يستطاع ــ في المرحلة الحالية ــ على الأقل .

لكننا ــ إلى جانب ضرورة التنبيه بالحاح شديد على المطالب السابقة ــ نرى في البداية ضرورة تحقق الحد الأدنى من أساسيات العمل في هذه

الصحف العاملة بهدف خدمة القضية الاسلامية ..

وهذا الحد الأدنى يتركز في النقاط التالية ، نتقدم بها كورقة عمل قابلة للقبول والرفض ـ والحوار ـ لكي نصل بهذه الصحافة إلى التقدم المنشود .

أولا : تغيير مفهوم تصورنا لكلمة الاسلامية ، بحيث يتسع هذا التصور ليشمل أكثر من صورة تعبيرية ، ولكي يؤمن بضرورة العمل الاجتماعي والاقتصادي والفكري من خلال المشاركة ، في كل أنشطة الحياة الايجابية والبناءة . وكل ما ينضوي تحت هذا التصور الفسيح يكون عملا اسلاميا سواء حقق غرضه بالمقالة المباشرة أم بالرسم الكاريكاتوري أم بالصورة الطبيعية أم بالقصة أم الرواية المسلسلة أم التحليل الاخباري أم ما سوى ذلك .

ثانيا : العمل على إقناع إحدى الحكومات الاسلامية بانشاء « صحيفة يومية إسلامية تسد الفراغ في « الخبر » الذي تنفرد به وكالات الأنباء اليهودية والصحف اليهودية .. وبدهي أن المطالبة بانشاء وكالة أنباء إسلامية أمر مهم لانجاح مثل هذه الصحيفة ، وغيرها .

ثالثا : العمل على تقديم « البدائل » بحيث لا يكون العمل الصحافي الاسلامي مقصورا على « رفض » ما يقدمه الآخرون والدخول في معارك معهم ، وإنما يتسع ليشمل تقديم البدائل ، وعلى سبيل المثال ، بدلا من أن نكتفي بنقد « السفور » علينا تقديم نماذج « للملابس » متعددة الأذواق تدور كلها في فلك الحفاظ على « الحجاب » ، وبدلا من سب المتندرين ـ بالصورة أو الكلمة ، من بعض الأوضاع الاسلامية نقوم نحن بتقديم « النكتة » بالكلمة أو الصورة من الأوضاع المنحلة والمتفسخة في المجتمع . وهكذا بالبحث والمقالة .. يكون التركيز على تقديم البديل .

رابعا : لابد من النزول إلى الناس ـ صحافيا ـ والتعرف على مشكلاتهم ، ومعرفة احتياجاتهم وميولهم ، ومحاولة صبغتها صبغة إسلامية لجذبهم إلينا ، بدل أن تجذبهم صحف « العمال » أو « الفلاحين » أو « الصحافة العلمانية » أو « الماركسية » الأخرى إلى صفها بدعوى الدفاع عنهم وتبني مشكلاتهم ، وهي أبعد ما تكون عن ذلك كله .

خامسا : الاهتمام بالطفل والمرأة في هذه الصحافة ، إذا أنها تبدو وكأنها لا تكلم إلا الشيوخ ، وإلا قليلا من الشبان المؤمنين أساسا بالفكرة الاسلامية .. فكأنها تكلم نفسها في كثير من الأحايين ..!!



ـ والاقتراحات كثيرة .. لكننا هنا نقدم هذه المقالة ، بداية لدراسة أوسع ولحوار نرجو أن يكون كبيرا .. وهادفا .. وشاملا .

ـ إنها مجرد « ورقة عمل » وكفى ،

نهضة المجتمع الاسلامي

للأستاذ : محمود الكولى

لعل من نافلة القول أن نتحدث عما أصاب المجتمع الاسلامي من العلل وما حاق به من الكوارث والنكبات .. وما حل به من الأمراض والقواصم . صحيح أن المسلمين كثرة في العدد .. ولكنهم ـ كما قال الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم « غثاء كغثاء السيل » (سفينتهم) تكاد تغرق في بحر تتلاطم فيه الأمواج ..

وهم يتنادون من كل مكان ... يطلبون إنقاذ السفينة الغارقة .. يتنادون من فوق منابر المساجد ... وعلى ألسنة الصحف ... وفي الاذاعات وعلى صفحات الكتب ... وفي مؤتمراتهم التي يعقدونها هنا وهناك .. ويجمعون ـ بالقول فقط ـ على أن لا نجاة لهم الا بتطبيق الشريعة الاسلامية .. وإقامة القرآن الكريم وسنة أفضل المرسلين سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه .

ولو تدبر المسلمون أمرهم ، وأدركوا حقيقة موقفهم لأيقنوا أن القرآن الكريم ومعه السنة المطهرة التي تفصل مجمله ، وتوضح أهدافه ، هما طوق النجاة في خضم هذه الحياة ، وكتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو الربوة العالية العاصمة من طوفان الفتن الذي يطوق العالم ويهدده بأفدح الأخطار ومما أُثر عن القرآن الكريم أنه كتاب الله ، فيه خبر ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه

من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : (**إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به**) الجن/١ من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى الى صراط مستقيم) .

فلا عزة للمسلمين الا بالقرآن ، ولن يتحقق نصرهم على أعدائهم الا بالاعتصام بحبل الله والاحتكام الى ما جاء به القرآن الكريم من مبادئ وقيم .

هذه حقيقة أصبحت (مقررة) كما صارت « مكررة » على ألسنة الناس ..

ولكن السؤال الذي اصبح يدور في أذهان الجميع ... هو :

هل نبدأ إقامة القرآن الكريم (بقرار من الحاكم ؟)

أم نبدأ إقامة القرآن الكريم .. من (الفرد المسلم ...)

بحيث تكون مسئولية كل فرد ... أن يقيم القرآن الكريم في نفسه أولا ... ثم في بيته ... وأولاده .. ثم يحاول إقناع من حوله باقامة القرآن .

وبذلك يتحقق القرآن (عمليا) في كل مسلم فردا .. فردا .. وفي أفراد كل أسرة ... حتى يصبح المجتمع إسلاميا يلفظ كل غريب عن الاسلام ؟

انني مع إيماني بالحكمة التي أرسلها الخليفة عثمان رضي الله عنه « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن فانني اؤيد الرأي الثاني وهو ان نبدأ « إقامة القرآن الكريم » من الفرد المسلم نفسه ... وفي أسرته ... ومع من حوله ..

ذلك لأن السيدة عائشة رضي الله عنها حين وصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : « كان خلقه القرآن .. »

فتحقق القرآن في سلوك المسلم هو اساس متين لبدء إقامة القرآن .

ولا يقوم خلق المؤمن بالقرآن إلا إذا حفظه ووعاه أو على الاقل حفظ شيئا منه ، وإلا كان إيمانه (مخربا) حيث قال ابن عباس رضي الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الذي ليس في جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب) .. رواه الترمذي والدارمي .

وأن ينتقل المسلم من الحفظ الى « العمل » بما قرأ ... أو حفظ ... أو سمع .

فلا يكون كالطبل الأجوف ، يهرف بما لا يعرف . فان القرآن الكريم نور الله يقذف الله به في قلبه ، يهديه طريقه ، والله سبحانه وتعالى يقول (**يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا**) النساء/١٧٤ .

* * *

ولا يعني رأيي هذا (براءة الحاكم) من ضرورة (إقامة القرآن والحكم بالقرآن) ولكن إقامة القرآن في

(الأفراد) أولا تهيئ الطريق لحكام الدول الاسلامية لاقامته تشريعا وحكما ... حيث يقول الله تعالى :
(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) المائدة/٤٥ .
(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) المائدة/٤٧ .
(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) المائدة/٤٤ .
وهذه الآيات السابقة تؤكد تأكيدا حاسما على أن القرآن الكريم الذي أنزله الله على قلب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن مقصودا به أن يكون « معجزة » للرسول فحسب .. وإنما أنزله ليكون شرعة للمسلمين ومنهاجا وأن يكون منبع إرشاد ومصدر تشريع وتحكيم ، لأن ما جاء به واجب الاتباع ، قال تعالى :
(اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم) الاعراف/٣
وهذا الاتباع باقامة القرآن في كل شأن من شئون حياتنا .
فمن يقيم القرآن ــ لا يعبد الا الها واحدا لا يخشى غيره ولا يشرك به احدا ... **(قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد .)** سورة الاخلاص .
ومن يقيم القرآن يؤمن أن الملك كله لله وليس هناك في الملك شئ لأحد سواه **(له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى)** سورة طه/٦
ومن يقيم القرآن يعتقد أن مصير كل حي أن يموت ولا يستثنى من ذلك الانبياء والمرسلون **(إنك ميت وإنهم ميتون)** الزمر/٣٠
ومن يقيم القرآن يؤمن أنه سيبعث يوم القيامة ويسأل عما قدمه من عمل في حياته الأولى **(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)** الزلزلة/٧ ، ٨
ومن يقيم القرآن يؤمن بأن الله أتقن صنع الكون وأبدعه وله في هذا الكون أسرار ... يتكشف بعضها للناس بمضي الزمن .
(وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شئ إنه خبير بما تفعلون) النمل/٨٨
ومن يقيم القرآن يرى فيه أنه قد اخرجه من الظلمة الى النور **(كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور)** ابراهيم/١ .
ومن يقيم القرآن يجده فعلا شفاء من كل ما يعانيه الانسان ورحمة .
(وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الاسراء/٨٢
ومن يقيم القرآن يقيم فرائض الله ويأمر أهله بالصلاة والزكاة والصيام والحج ... وفعل الخيرات ..
ومن يقيم القرآن يؤمن بأن الله لم يفرط في كتابه من شئ **(ما فرطنا في الكتاب من شئ)** الأنعام/٣٨ .
ومن يقيم القرآن ويحكم به لا تزعزعه أهواء الناس عما أنزل الله **(فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق)** المائدة/٤٨ .
ومن يقيم القرآن يثبت في مواجهة أعداء الاسلام ويعد لهم ما استطاع

من قوة .. فاذا ما دعى للجهاد في سبيل الله لبى داعي الله موقنا أنه سيحصل على احدى الحسنيين (النصر) أو (الشهادة)**(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)** التوبة/١١١

« **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** » الأنفال/٦٠ .

ومن يقيم القرآن يؤمن بأن المسلمين الى خير ... وأنهم لن يستمروا في حياتهم الحاضرة ... وما هم عليه من ضياع وفرقة ... بل إن ميراث الأرض في النهاية لهم ... إذا هم أقاموا القرآن وعملوا الصالحات : **(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا)** النور/٥٥ .

ومن يقيم القرآن يؤمن بوحدة الأمة في مواجهة الخصوم والأحداث **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)** آل عمران /١٠٣ .

ومن يقيم القرآن يحدد أهدافه العليا في أمور ثلاثة هي جماع الفضائل :
★ الأمر بالمعروف ★ والنهى عن المنكر ★ والايمان بالله .

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران/١١٠

ومن يقيم القرآن ... يحرص على نشر حفظه وتعليمه للصغار والكبار ... قال صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخاري .

ومن يقيم القرآن ... يحرص على دراسة علومه ومقاصده وفهم معانيه وتدبر آياته **(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)** سورة محمد/٢٤ .

ومن يقيم القرآن ... يعرف أن اللغة العربية هي وعاء القرآن الكريم الذي جاء بلسان عربي مبين .. فيحرص عليها حرصه على القرآن الكريم الذي انزل بها **(وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا)** الشورى/٧ .

ولقد كانت وستبقى اللغة العربية رباطا وثيقا قائما بين جميع المسلمين الذين يعتنقون الاسلام حتى من غير الناطقين بالعربية في تلاوة القرآن الكريم .

والذي يقيم القرآن : يخضع كل البحوث العلمية للقرآن الكريم ... لأنها عرضة للخطأ والصواب ... وكم من نظرية علمية ... انقلبت الى ضدها .

فاذا ثبت معارضتها للقرآن الكريم فهي باطلة ... وستصل في مستقبلها الى ما وصل اليه القرآن الكريم . لأن القرآن الكريم **(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)** سورة فصلت/٤٢

ومن يقيم القرآن يعتبر نفسه جنديا من جنود الدعوة الى الله ، له شرفها والفخر بها **(ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين)** فصلت/٣٣

والذي يقيم القرآن مع إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله يؤمن بالغيب والشهادة وأنهما ملك لله تعالى لا ينازعه في ذلك أحد :

(عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) الرعد/٩ .

(إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير) لقمان/٣٤

والذين يقيمون القرآن لا يرون فيه تحريم الاستمتاع (بما أحل الله) من زينة الحياة الدنيا من الرزق الحلال ... والطعام الحلال .. والشراب الحلال ..

(قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الأعراف/٣٢

والذين يقيمون القرآن ... يقيمون الأسرة الصالحة القائمة على الزواج الصحيح :

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم/٢١ .

(فانكحوا ما طاب لكم من النساء) النساء/٣

والذين يقيمون القرآن يحترم بعضهم البعض ولا يسخر أحد منهم من أحد ، فقد يكون خيرا منه عند الله :

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن) الحجرات/١١

والذين يقيمون القرآن يحترمون (الملكية الخاصة) الدينية والدنيوية .. ويعتبرون من قتل دفاعا عن واحدة من هذه الخمس مات شهيدا .

فمن مات دون دمه فهو شهيد ، ومن مات دون ماله فهو شهيد ، ومن مات دون عرضه فهو شهيد .

والذين يقيمون القرآن يخضعون لتطبيق حدود الله في أنفسهم وفي أقرب المقربين إليهم .. وقدوتهم في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رفض الشفاعة في توقيع حد السرقة على (المرأة المخزومية) وقال في حزم وصراحة :

(والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها) ..

وإنما يقوم بناء المجتمع الاسلامي الصحيح على وحدة الجماعة في ظل القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع « وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا أبدا ... كتاب الله وسنتي » .

وإقامة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون باتباعه والاقتداء بكل أقواله وأفعاله **(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)** الأحزاب/٢١ .

وقد تأسى المسلمون في جميع مراحل حياتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ... وكانوا يتحرون أقواله وأفعاله .

والذين يقيمون سنة الرسول صلى الله عليه وسلم يؤمنون أن (المسلم قدوة) و (لا يملك حياته الخاصة) ، وأنه لا انفصال في الاسلام بين الحياة الخاصة والحياة العامة . فالمسلم يتخلق بالاسلام في نفسه .. وهو قدوة حسنة في معترك الحياة حين يخالط الناس ... بعكس ما يراه غير المسلمين من أن « الشخص العام .. يملك حياته الخاصة » ولا يسأله أحد عنها ، فهذا مخالف لقول الله تعالى :

(ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) الأنعام/١٥١

(وذروا ظاهر الاثم وباطنه) الانعام/١٢٠ .

ومنذ وهنت الصلة التي تربط بين المسلمين ودينهم ، فسدت حياتهم .

ووصلت المجتمعات الاسلامية الى ما نحن فيه اليوم .

ولعل من فضل الله تعالى قيام بعض علماء المسلمين بتقنين الشريعة الاسلامية ليبسروا على الحكام المسلمين تطبيقها في بلادهم ، وكان أحدث ما تم من هذا العمل المشكور كتاب تنظيم التجريم والعقاب في الاسلام للمفكر الاسلامي الكبير المستشار علي منصور . والذي قال في مقدمته :

(والشريعة الاسلامية ليست مجرد عبادات تؤدى وطقوسا تقام وإنما هي نظام متكامل الأركان متين الأسس راسخ البنيان شامل لكل أنواع النشاط البشري على مستوى الدول والأفراد والجماعات) .

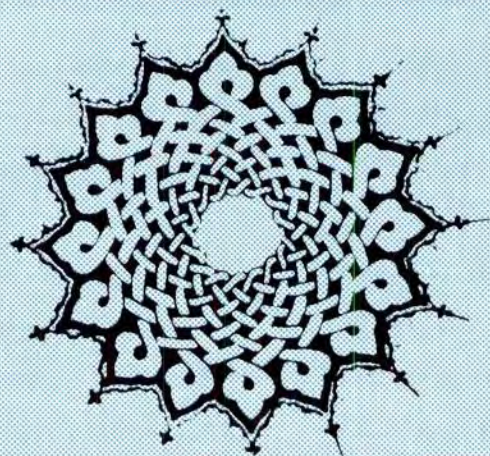
كما قال فضيلة العالم الجليل المفتي الأسبق الامام الشيخ حسنين محمد مخلوف :

(لقد حكم المسلمون في معظم بلادهم بغير ما أنزل الله فكان حالهم ما هو معروف من تخلف في مختلف المجالات العلمية والاقتصادية والتشريعية وفساد تفشي في الذمم والضمائر والأخلاق ، وجرائم شملت الاعتداء على الأنفس والأموال والأمن والنظام . ثم صحت شعوبهم على صيحات المصلحين بالدعوة الى الاعتزاز بشرف الدين والعودة إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم) .

والحقيقة المقررة أن هذا القرآن قد جمع شتات العرب بعد فرقة ... وشرع لهم من العبادات والمعاملات ما أصلح به شأنهم ، ولن يغير الله حال المسلمين اليوم إلا إذا غيروا ما بأنفسهم وأقاموا القرآن والسنة النبوية **(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)** الرعد/١١ .

(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) الأنفال/٢٤ .

أيها المسلمون في كل مكان أقيموا فيكم كتاب الله ... وسنة رسوله ... تصبحوا أعظم قوة في العالم .



المسؤولية الجنائية في الشريعة والقانون الوضعي

للأستاذ : علي عبد اللاه طنطاوي

يقصد بالمسؤولية الجنائية : تحمل الانسان نتائج فعله المحرم الصادر منه والقاصد لمعانيه ونتائجه ، وهي تقوم على ركنين : أحدهما مادي وهو فعل الانسان وما يترتب عليه من آثار ، وركن معنوي : هو القصد من ارتكاب الفعل مع العلم بتحريم الشارع له أو إيجابه أو تركه . وقد يكون هذا القصد عاما : وهو تعمد الجاني إتيان الفعل أو تعمد تركه مع علمه بتحريمه ، أو تجريمه كجريمة الضرب التي يكفي فيها تعمد الفعل مع علمه بتجريمه .

وقد يكون القصد خاصا وهو تعمد ضرر خاص أو نتيجة معينة ، فلا يكتفي لتوقيع عقوبة هذه الجرائم بالافعال المحرمة وإنما يجب أن يتعمد الجاني إثبات الفعل المادي ، قاصدا نتيجة معينة منه : كالقتل ، فان الجاني يتعمد بجانب القصد العام نية إزهاق الروح .

وهناك بعض الجرائم يكون الركن المعنوي فيها : هو إهمال الجاني ، فقد يقع منه الفعل دون تعمد . وقد فرق فقهاء الشريعة بين القصد الجنائي والباعث ، ففي جرائم الحدود والقصاص لا تأثير للباعث سواء بالنسبة لنوع العقوبة أو مقدارها ، فيستوى أن يكون الباعث شريفا أو وضيعا فيتساوى من يقتل انتقاما للثأر ، ومن يقتل لأي سبب آخر ، لأن القاضي في مثل هذه الجرائم مقيد بعقوبات محددة لا يستطيع تجاوزها .

أما بالنسبة للعقوبات التعزيرية ، فالشريعة تركت للقاضي حرية اختيار العقوبة وتقديرها ، ولا شك في أنه في العقوبة التعزيرية سيكون للباعث على الجريمة شأن في اختيار العقوبة ومقدارها .

أساس المسؤولية الجنائية وشروطها :

الفعل والارادة الحرة المختارة ، هما أساس المسؤولية الجنائية ، وشرطاها . كما أن الانسان الحي هو وحده محل المسؤولية الجنائية لأنه وحده المميز المختار ، فالحيوانات لا يمكن أن تكون محلا لهذه المسؤولية

لأنها عديمة التمييز والاختيار ، وكذلك الميت ، لأن الموت يعدم تمييزه واختياره ، ولأن القاعدة في الشريعة الاسلامية ، أن الموت يسقط التكاليف ، واشتراط التمييز والاختيار يستوجب أن يكون الانسان بالغا عاقلا غير مكره ، فلا عقاب على الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق » .. أحمد وابو داوود .. ويقول الله عز وجل : « **وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم** » النور/٥٩ . فنص الآية يعفى الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم مما يوجبه على الرجال ، كما أن الجنون والعته مانعان من موانع المسؤولية في الشريعة الاسلامية ، لأنهما يعدمان سلامة الادراك وصحة التقدير ، وكما هو مبين من نص الحديث الشريف الذي سبقت الاشارة إليه ، أن المجنون شأنه شأن الصبي في عدم تحمل المسؤولية ، فلا يقام عليه الحد إذا سرق ، أو زنى ، أو قذف ، أما الجنايات التي توجب الدية أو القصاص فانه لا يقتص منه ، وإنما تجب عليه الدية فيها ، ذلك أن حقوق العباد لا تقبل السقوط خلافا لحقوق الله سبحانه وتعالى فانها تقبل السقوط في حالة العذر ، هذا فضلا عن أن حقوق المجنون المالية تثبت له ، وبالتالي فان ذمته المالية تكون أهلا لتحمل العقوبات المالية .

وحكم الصغير مميزا أو غير مميز حكم المجنون في العقوبات التي تترتب على أفعاله المحرمة التي تصدر منه ، وإن كان بعض الفقهاء يرى تعزير الصبي المميز ، بالعقوبة المناسبة ، وهذا يعد من قبيل التهذيب والصيانة له ، وذلك خلافا للمجنون والصبي غير المميز اللذين لا يجوز تعزيرهما .

والتمييز يبدأ من السنة السابعة من عمر الصبي وينتهي بالبلوغ ، ومعظم الفقهاء حدد سن البلوغ بخمسة عشر عاما ، وحدده مالك وأبو حنيفة بثماني عشرة سنة ، وحدده بعض أصحاب أبي حنيفة بتسعة عشر عاما .

والاكراه مانع أيضا من موانع المسؤولية الجنائية في الشريعة الاسلامية ، والاكراه هو فعل يفعله الانسان بغيره فيعدم رضاه ويفسد اختياره ، وهو نوعان : إكراه تام يخشى فيه من المكره تلف نفسه كالحبس والضرب وهذا النوع يعدم الرضا ولا يفسد الاختيار .

وقد يكون الاكراه ماديا أي يقع بالفعل ، وقد يكون معنويا أي بالتهديد ، ويشترط فيه أن يكون الشخص المهدد فيه قادرا على تنفيذ تهديده ، وأن يعتقد المكره أن المهدد سينفذ ما هدد به ، وأن يكون الفعل موضع التهديد متلفا للجسم أو جزء منه أو للمال أو بعضه .

وأساس امتناع المسؤولية أو العقاب في الاكراه قوله عز وجل (**إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان**)

النحل/١٠٦ .. وقوله صلى الله عليه وسلم « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ابن حبان والطبراني .. وفيما عدا القتل والاعتداء المهلك ، فان الشريعة تبيح الأفعال المحرمة في حالة الاكراه كالسرقة ، والزنا ، والقذف ، والشرب ، لأنه إذا ارتكب المكره الجريمة لينجو بنفسه من الهلاك فانه في هذه الحالة يكون دافعا لأشد الضررين ، وإذا كان الاكراه لا يجيز القتل أو الاعتداء المهلك فانه يعد عذرا مخففا فلا يقتص من المكره ، وإنما يعذر عند أبى حنيفة ، والراجح في مذهب الشافعي أنه شبهة تدرأ القصاص ، ويكتفي فيه بالدية .

والسكر مانع من موانع المسؤولية في بعض الحالات وقد اختلف الفقهاء في تعريف السكر ، فالجمهور يعتبر الشخص سكرانا إذا كان يغلب عليه الهذيان فلا يعلم ما يقول ، أما الامام أبو حنيفة فقد اشترط في السكران فقدان وعيه كاملا ، فان كان في حالة وعي ولو نسبيا لا يعتبر سكرانا .

وقد اتفق الفقهاء على أنه إذا سكر الجاني اضطرارا أو إكراها : كأن شرب خمرا لشدة عطشه وعدم وجود ماء ، أو إذا سكر لأمر مباح كأن أعطى بنج لاجراء عملية جراحية ، فان أفعاله في هاتين الحالتين غير معاقب عليها ، فلا حد يقام عليه ولا عقوبة توقع به ، ويعفى عنه بالنسبة لحقوق الله تعالى ولا يقتص منه أيضا في حقوق العباد ، ولكن تترتب عليه المغارم المالية ولا خلاف بين الفقهاء في هذه الحالة ولكنهم اختلفوا في حالة تناول السكر باختياره ، ولم تكن هناك ضرورة تدفعه لتناوله ، فالبعض قال : إنه يتحمل في هذه الحالة تبعة جرمه ، شأنه شأن غيره ، ولكن العقاب لا يوقع عليه إلا بعد أن يفيق من سكره ، ذلك أنه لا عذر له في السكر ، كما أن الاثم لا يبرر الاثم ، وقال البعض الآخر : إن عقوبات الحدود والقصاص لا تقام عليه ، لأن فقده وعيه وقت ارتكاب الفعل يوهن من معنى العمد ، وفي هذا شبهة ، وهذه العقوبات تدرأ بالشبهات ولا توجد شبهة أقوى من السكر ، وإن كان البعض قد قال : بجواز تعزيره في هذه الحالة منعا للفساد ، وزجرا للجاني السكير .

ولا خلاف فيما سلف ذكره من معنى المسؤولية وشروطها وموانعها بين الشريعة ، والقوانين الوضعية الحديثة ، ولكن نظرة القوانين الوضعية في هذه الأمور حديثة ، وجاءت بعد قيام الثورة الفرنسية إذ كانت جثث الموتى تعاقب باعتبارها مسؤولة جنائيا ، كما حدث في فرنسا عندما صدر أمر ملكي ينظم العقوبة التي توقع على أنواع من المجرمين بعد إعدامهم ، وبالذات المتهمين بالعيب في الذات الملكية ، والمنتحرين .

كما أن الحيوان والجماد كانا محلا للمسؤولية شأنهما شأن الانسان ، وقد أصدر الملك « فرانسوا الأول » قرارا يسمح للحيوانات التي تقدم للمحاكم بالاستعانة بمحامي يدافع عنها ، وكان الانسان يسأل

عن عمله مكرها ، أو غير مكره ، مميزا ، أو غير مميز ، مدركا له أم غير مدرك ، لأن الأهلية الجنائية لم تظهر في فقه قانون العقوبات إلا حديثا ولعل الرائد في ذلك هو الفقيه الايطالي « مانتسيني » الذي يدعى أنه أول من بين فكرة الأهلية القانونية العقابية ، أما الشريعة الاسلامية فقد عرفت أهلية العقوبة منذ زمن طويل في نظرية تامة موحدة ، لم يصل إليها فقه القانون الحديث ، ويمكن القول بأن « مانتسيني » تلمس بعض أفكاره من الفقه الاسلامي ، وإن لم يصل إلى جذوره .

ومن كل ما تقدم يتبين أن الشريعة الاسلامية سبقت القوانين الوضعية في هذا الشأن ، ولم تكن هذه المبادىء التي يتيه بها بعض فقهاء القانون الوضعي ، إلا نبعا من فيض الشريعة الاسلامية الغراء ، وقبسا من نورها الوضاء .

شخصية المسؤولية الجنائية :

من المبادىء الأساسية في الشريعة الاسلامية شخصية المسؤولية الجنائية ، فلا يسأل شخص إلا على ما ارتكبته يداه ، ولا شأن له بفعل غيره ، خلافا لما كان سائدا قبل الاسلام وبعده في الدول غير الاسلامية ، واستمر حتى الثورة الفرنسية . ومبدأ شخصية المسؤولية الجنائية ثابت من قوله تبارك وتعالى : **(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)** الزلزلة/٧و٨ وقوله عز وجل : **(ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى)** الأنعام/١٦٤ وقوله جل وعلا : **(من يعمل سوءا يجزبه** » النساء/١٢٣ وقوله سبحانه وتعالى : **(من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد)** فصلت/٤٦ .

ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم « لا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه ولا بجريرة أخيه » ابو داوود والنسائي .

ولكن قد يتساءل البعض أليس في تحمل عائلة الجاني الدية معه استثناء من شخصية العقوبة ؟؟!!

والرد على ذلك أن الدية أصلا على الجاني ، وليس على عائلته ، وأن إشراك عائلته في دفعها ليس إلا من قبيل صلة الرحم ، والمواساة والتعاون والتناصر ، وقد قال صاحب الدر المختار : إن التناصر أصل في هذا الباب ، فمتى وجد وجدت العاقلة وإلا فلا ، وحيث لا قبيلة ولا تناصر فالدية في بيت المال ، فان عدم بيت المال أو لم يكن منتظما فالدية في مال الجاني » ..

ويرى بعض العلماء أن سبب تقرير السنة للدية على العاقلة إنما كان إقرارا لنظام عربي اقتضاه ما كان بين القبائل من التناصر والتعاون وليس تشريعا عاما ملزما في جميع الأزمنة والأماكن دون نظر إلى الأحوال والاعتبارات واستدلوا على هذا ، بأنه حينما انتقل التناصر من العشيرة والأسرة إلى أهل الديوان جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الدية على أهل الديوان ، ولذلك فقد

رأوا أن الدية في زمننا هذا لا تكون إلا في مال الجاني ، ذلك أن العشائر قد وهنت ، ورحمة التناصر قد رفعت ، وبيت المال قد انهدم ، ومن ثم فيجب أن تكون في مال الجاني .

هذا هو موقف الشريعة بالنسبة للأشخاص الحقيقيين ، بقي أن نبين موقفها بالنسبة للشخصية المعنوية فلو أن شخصية معنوية وقع من القائمين عليها بعض الجرائم بسبب تأديتهم وظيفتهم فعلى من تطبق عقوبات هذه الجرائم ؟! قال الفقهاء في هذا الشأن إن الجاني هو الذي يعاقب على الفعل الذي صدر منه دون نظر الى عمله لصالح الشخص المعنوي ، وقالوا : إن العقوبات تبنى على التمييز ، وهو منعدم في هذه الشخصيات .

وخلاصة القول في هذا الشأن ، أن التشريع الاسلامي الذي عرف الشخصيات المعنوية كالوقف وبيت المال ، وجعلها أهلا لتملك الحقوق ، والتصرف فيها ، ولكن لم يجعلها أهلا للعقوبة وذلك خلافا لما كان معروفا لدى العالم غير الاسلامي ، منذ أيام الرومان ، وقد صدر سنة ١٦٧٠ م مرسوم في فرنسا يبين الاجراءات التي تتبع في محاكمة المدن والقرى والمقاطعات جنائيا ، ويوضح العقوبات التي يحكم بها عليها ، كالغرامة ، وإزالة المباني ، والحرمان من الامتيازات واستقر على نفس المبدأ القانون الانجليزي حتى الآن حيث تعنى كلمة الشخص فيه الشخص المعنوي والحقيقي ما لم ينص على غير ذلك ، وقد قضى في انجلترا بالمسؤولية الجنائية على إحدى شركات السكك الحديدية بتهمة إهمال توصيل كبارى بين العقارات التي تخترقها خطوطها منذ ١٨٤٢م

وقضى بمثل ذلك في ولاية « ماستشوستشى » بالولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٨٥٢ م ، وحكمت محكمة استئناف نيويورك بادانة شركة بتهمة خيانة الأمانة في سنة ١٨٢٨ م .

وكما سبق البيان ، فان المسؤولية الجنائية في الشريعة الاسلامية واحدة لا تتغير بتغير الأفراد فيتساوى فيها الحاكم والمحكوم ، الغني والفقير ، الرجل والمرأة ، وذلك خلافا للقوانين الوضعية ، التي كانت تفرق بين المرأة والرجل في العقاب .

كما أن الشريعة الاسلامية تعاقب على الأفعال ، ولا تعاقب على ما يدور بخلجات النفوس ، طالما أنها لم تتبلور في عمل مادي ، أو امتناع عن عمل يعاقب عليه ، وذلك خلافا للقوانين الوضعية ، التي كانت تعاقب أيضا على هواجس النفس ، ويروى الفقيه الفرنسي « ارتولان » أنه في عهد الملك « هنري » أصيب أحد أشراف الانجليز بحالة هذيان ، ورأى في حلم أنه يحاول اغتيال الملك ، فلما خف من مرضه وقص حلمه على صديق له ، سارع الصديق ، وأبلغ النائب العام الذي قدم بدوره الشريف إلى المحاكم بتهمة الشروع في اغتيال الملك وحكم عليه بالاعدام ونفذ الحكم فيه .



للدكتور علي جريشه

لسنا بدعا فيما ندعو إليه الناس !
إننا ندعوهم إلى ما دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم .
وندعوهم إلى ما دعاهم إليه من قبله الأنبياء والمرسلون :
(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) الأنبياء/ ٢٥ . فيعلمون من هنا أن :
● لا إله إلا الله أصل هذا الدين وقاعدته ...وأن عبادة الله هي الثمار أو هي البناء ... وكما لا تتصور الثمار بغير أصل أو البناء بغير قاعدة ، فان الأصل الكريم لا يبقى في الأرض بغير ثمار .. كما أن القاعدة القوية لا تؤسس بغير قصد البناء ..**(ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون)** إبراهيم/ ٢٤ ـ ٢٥ .

(١) لا إله إلا الله أصل هذا الدين وقاعدته

○ ولا إله إلا الله تمثل نفيا ثم إثباتا

ـ نفيا يسقط الألوهية عن كل الطواغيت سواء أكانت بشرا أم حجرا ، سواء كانت شعارات أو أنظمة أو قوانين ، أو كانت شجرا أو شمسا أو قمرا أو شيئا مما أعطى وصفا من صفات الألوهية أو عملا من أعمالها ...، وإثباتا يعطي الألوهية بكل أوصافها وسماتها وأفعالها لله رب العالمين .. فلا شخص ولا شيء يخلق أو يرزق أو يدبر ، كما أنه لا شخص ولا شيء يحكم أو يأمر أو يشرع إلا الله أو إلا بأمر من الله .

○ ولا إله إلا الله تمثل قلبا وقالبا :

فالقالب هو ما نعلمه وما نتعلمه حول الربوبية والألوهية ، وحول الأسماء والصفات والأفعال ..
والقلب .. هو النبض .. هو الحياة ... هو حب الله .. ، والخوف من الله ...، والرجاء في الله ...، والتوكل على الله ... يكملها وجل القلب إذا ذكر الله ، وزيادة الايمان إذا تليت آياته ...، ويكملها بعد الشوق إلى الله الشوق إلى جنته ، وبعد الرجاء في الله الأمل في نعيمه ، وبعد الخوف من الله ، خشية عذابه والخوف من ناره ...، ويكملها بعد ذلك ولاية المؤمنين ومحبتهم ، وعداوة

أعداء الله وكراهيتهم ، وكما لا يتصور قلب ينبض بغير جسد أو قالب ..!، فلا قيمة لقالب أو جسد لا ينبض فيه قلب ولا يخفق ..!، ولقد سمي العلماء « القالب » علم القلب .، وسموا النبض أو « القلب » عمل القلب .، وقالوا إن الأول يتساوى فيه المؤمن والكافر ، والبر والفاجر .

أما الثاني فيتميز به المؤمن على الكافر والبر على الفاجر !

○ ولا إله إلا الله بعد ذلك فيها البساطة والوضوح :

بعيدا عن تعقيد أصحاب الأقانيم « الأب ، والابن ، والروح القدس » وبعيدا عن انجراف من نسبوا التعب ، والحزن ، والضعف لله رب العالمين لعنوا بما قالوا ، وتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

وبعيدا عن تفريط الذين اكتفوا بعلم القلب ، دون عمله ، أو بعلمه دون عمل الجوارح ، فقال بعضهم « لا يضر مع الايمان معصية » ، وعطل الآخرون شريعة الله ...

وبعيدا عن إفراط الذين كفروا الناس بالكبيرة أو بما دون ذلك وأيأسوهم من رحمة الله .

تلك نقاط سريعة عن العقيدة .. قاعدة هذا الدين وأصله كل منها تصلح أن تكون بابا أو كتابا .. لكننا أوجزنا لقوم نحسب أنهم تكفيهم الاشارة .

(٢) عبادة الله البناء القائم على أساس العقيدة

قلنا إن العقيدة هي الأصل أو الأساس ، وإن العبادة هى الثمار أو البناء ..

وأول العبادات قبل أن تفرض الصلاة كانت **الأخلاق :**

ففي مكة ، ومن قبل أن تفرض الصلاة ، نزل قول الله تعالى : **(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)** الأنعام من/١٥١ ـ ١٥٣ .

وتتوارد هذه الأوامر الخلقية بين نهي عن الاشراك بالله وإشارة إلى أن هذا صراط الله . وفي مكة كذلك نزل قول الله تعالى : **(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو**

كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا . ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا . وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا . وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا . ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا . إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا . ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا . ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا . وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا . ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا . كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها . ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) الاسراء/٢٣ ـ ٣٩ .

وتأتي كل هذه الأوامر والنواهي « الخلقية » بين أمر ونهي متعلق بالعقيدة يبين أنها ثمار هذه العقيدة لا تنفك عنها !

وفي سورة الفرقان وهى مكية (عدا آيات ثلاثة) تعداد لصفات « عباد الرحمن » ، وصفة العبودية تشريف ، وإضافتها إلى « الرحمن » تشريف آخر .

وهى اثنتا عشرة صفة :

منها سبع « خلقية » ، وثلاث تعبدية ، وواحدة عقدية ، وأخرى تفكرية ، وبذا يبين حجم الأخلاق بالنسبة لصفات « عباد الرحمن » .

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا) « أخلاق »

(واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) « أخلاق »

(والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) « تعبد »

(والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم) « تعبد »

(والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) « أخلاق »

(والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) « عقيدة »

(ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق) « أخلاق »

(ولا يزنون ....) « أخلاق »

(والذين لا يشهدون الزور) « أخلاق »

(وإذا مروا باللغو مروا كراما)
« **أخلاق** »
(والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا)
« **تفكر** »
(والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين)
« **تعبد** »

- وفي سورة « المؤمنون » :
صفات للمؤمنين .. تبدأ بشرط الايمان:(**قد أفلح المؤمنون**)
ثم تثني بصفة تعبدية:(**الذين هم في صلاتهم خاشعون**) .
ثم تثلث بصفة أخلاقية:(**والذين هم عن اللغو معرضون**) .
ثم تذكر صفة تعبدية:(**والذين هم للزكاة فاعلون**) .
ثم تذكر صفة أخلاقية:(**والذين هم لفروجهم حافظون**) .
ثم تذكر صفة أخلاقية:(**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**) .
ثم تذكر صفة تعبدية:(**والذين هم على صلواتهم يحافظون**) .
وهكذا ست صفات .. نصفها تعبدية والنصف الآخر أخلاقي والكل عبادة وصفات للمؤمنين جزاؤها .. **(أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس)** .
وهكذا يمضي القرآن ، يعلمنا الأخلاق ، ويؤصلها في أمته ، وتأتي السنة شارحة ومؤكدة « أثقل ما في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن » .. « رواه احمد » وتتواتر الأحاديث في نفس المعنى ، وتتوج ببيان غاية ابتعاث رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » رواه مالك .

○ ويظهر أثر الأخلاق في انتشار دعوة الاسلام

لقد كان لها أثرها في قارتين تفتحتا للاسلام لما رأى أهلها من أخلاق تجار المسلمين صدقا ، وأمانة ، وعفة ، وحياء ، وكرما ، وشجاعة ، ونخوة ، ومروءة .. فدخلوا في دين الله أفواجا ، ولا يزالون يدافعون حتى اليوم عن إسلامهم في مواجهة هجمات المجرمين .

○ القدوة أقصر طريق لبث الأخلاق الكريمة

والداعية الذي يدعو إلى ما لا يلتزم به يصح فيه قول الله عز وجل : **(لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)** الصف/٢ و ٣ . وقوله تعالى : **(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)** البقرة/ ٤٤ .
والقدوة مع التطبع تؤدي إلى الالتزام بحسن الخلق:« ومن يتصبر يصبره الله ، ومن يتعفف يعفه الله .. » .« ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا » .
والأخلاق تتغذى من العقيدة وتزكو بالتعبد:« من كان يؤمن بالله واليوم

الآخر فليكرم ضيفه .. »،« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »،« إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » . والصيام يورث المراقبة ، والصبر ، وقوة الاحتمال ، ومشاركة الفقراء والمحرومين ، والزكاة تدفع شح الأنفس وتزكيها ، وتورث الجود ، وتحقق التكامل . والحج يدفع الرفث والفسوق والعصيان ، ويعلم فيما يعلم « الأخلاق الجماعية » .. وهكذا .

○ وثاني العبادات هي الشعائر والنسك :

○ وهي عمد هذا الدين .. لا يقوم بغيرها بناؤه

بيد أنه إذا اكتفى الناس منها بالشكل دون الجوهر ، وبالهيكل دون الروح ، فانها تغدو أعمدة جوفاء .. لا تلبث أن تسقط فيسقط معها البناء ، « رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة .. » ، « بني الاسلام على خمس ... » .

وإذا لزم بالنسبة لكل أمر في الدين جوهره مع شكله ، وروحه مع هيكله ، فانه بالنسبة لأمور التعبد يصير الأمر ألزم ـ لأنها لا تصح إلا بالنية ، ومن هنا كان قول الله عز وجل : (**قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون**) المؤمنون/١ ـ ٢ . ومن هنا .. لا يقول الله أكبر ، وفي قلبه شيء أكبر من الله تعالى .. ولا يقول وجهت وجهي إلا وقلبه متوجه إلى الله ومعرض عن غيره ، ولا يقول الحمدلله إلا وقلبه طافح بشكر نعمه عليه .. ولا يقول الرحمن الرحيم إلا وهو يحس رحمة الله في نفسه ومن حوله ، ولا يقول مالك يوم الدين إلا ومشهد يوم القيامة العظيم يمثل أمام ناظريه ، ومعه جبروت الله:« لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار » .

وهكذا يحس المسلم الصلة بالله صلة متبادلة : « فاذا قال : الحمدلله رب العالمين ، قال : حمدنى عبدى . واذا قال : الرحمن الرحيم ، قال : أثنى على عبدى ، فاذا قال مالك يوم الدين ـ قال : مجدني عبدي . فاذا قال : أياك نعبد وإياك نستعين . قال : هذا بيني وبين عبدي . فاذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . قال الله : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » .

ولذا كان الأمر باقامة الصلاة ، وليس بسجرد الصلاة ، ذلك أن إقامة الصلاة معنى يجمع بين حسن الأداء وتمام الخشوع وكذلك الصيام ..

○ وبين الشعائر وسائر الدين نفس الوشائج :

ـ فليس ثمة توحيد .. إذا انتفى مظهره في الشعائر ، فكان ركوع أو سجود أو دعاء لغير الله ، كذلك فتوقير الشعائر وتعظيمها .. من توقير الله وتعظيمه:(**ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب**)

الحج/ ٣٢ .

وللعقيدة أثرها في الشعائر .. إنها تمدها بالروح والحياة . وللشعائر أثرها في العقيدة .. إنها تمدها بالزيادة والنماء . وبين الأخلاق والشعائر تأثير متبادل : فمن كان ذا وفاء ، فهو مع الله أوفى . ومن كان ذا صدق ، فهو مع الله أصدق ، ومن كان ذا أمانة ، حمل الأمانة التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها .

ـ كذلك فان أداء الشعائر ينمي الخلق ويزكيه .

وصدق الله اذ قال : (**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر**) العنكبوت/ ٤٥ . « ومن انتهى عن الفحشاء والمنكر فقد تحقق لديه أساس الخلق فليبن عليه » .

ـ وللشعائر أثرها على المعاملات .

إنها تجعل المسلم أكثر صقلا ، وأكثر لينا ، يخشى الله في الناس أكثر مما يخشى الناس .

فاذا هو لين الجانب ، خفض الجناح .. ويكون سهلا اذا باع ، وسهلا إذا اشترى وسهلا إذا اقتضى .

○ والشعائر ـ بعد ذلك ـ نظافة الظاهر والباطن :

« أرأيتم لو أن بباب أحدكم نهرا يغتسل منه كل يوم خمس مرات أيبقى من درنه شيء ..؟ »

ـ وهي الوسيلة لمن ضلت به الوسائل ، وتقطعت به الأسباب : (**واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين**). البقرة/ ٤٥ . (**استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين**) البقرة/ ١٥٣ . والصبر عمل القلب ، والصلاة عمل الجوارح مرتبطا بعمل القلب ، ومن هنا كان يفزع اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما حزبه أمر ، يستخير الله أو يرجوه ، ولا خاب من استخار ، ولا خاب من وقف ببابه يسأل ويرجو .

ـ وهي الراحة بعد التعب ، والسكينة بعد الوصب ، والطمأنينة بعد القلق .. « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

ـ وفي مرحلة الاحسان (بعد الاسلام والايمان) يتذوق المؤمن بها حلاوة الايمان ، وتكون قمة ما يشتهي الانسان .. « وجعلت قرة عيني في الصلاة » .



ليس من الحديث النبوي



يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لندحض زيفها ، ونكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

« إن الله تعالى أكرم أمتي بالألوية »

موضوع :

قال العقيلي من رواته خالد بن كلاب وهو مجهول ، وحديثه غير محفوظ لا أصل له .

وقال السيوطي في اللآلئ المصنوعة ببطلانه .

وقال : الكناني في تنزيه الشريعة المرفوعة بقول العقيلي واعتبره من الموضوعات .

« من أعان ظالما سلطه الله عليه » .

موضوع :

قال الشوكاني في الفوائد المجموعة في إسناده متهم بالوضع .

وقال السخاوي في المقاصد الحسنة من رواته ابن زكريا العدوي وهو متهم بالوضع ، وقد أورده الديلمي بلا سند عن ابن مسعود وذكره القرطبي في تفسيره دون اسناد ايضا فلم يعزه لصاحب ولا مخرج .

ثم قال السخاوي : لفظه باطل ومعناه صحيح إذ ينسجم معناه مع قول الله سبحانه وتعالى :

« كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير » يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة ، قال : مجاهد يعني أن من اتبع الشيطان وقلده فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير وذلك واقع له في الدنيا حيث الضلال وفي الآخرة يقوده الى عذاب السعير حيث العذاب المؤلم .

وأيد العجلوني في كشف الخفاء القول بوضعه ونقل آراء بعض علماء الحديث حوله .

وقال السيوطي في اللآلئ المصنوعة إنه موضوع .

الأسبانيّون يعترفون بحضارة الإسلام

للدكتور : محمد رجب البيومي

أتى زمن على مؤرخي الأسبان تنكبوا فيه عن الحق ، حيث استجابوا إلى العصبية المغرضة ، فاندفعوا يسجلون تاريخ الاسلام ببلادهم تسجيل من يفتري على الحقائق ليجعل العهد الاسلامي عهد ظلمات وتقهقر وانحدار ، وكم تكبد هؤلاء كل مرهقة ، في طمس الحقائق السافرة ، واخفاء الأدلة الساطعة ، وكم بذلوا من أفانين الاحتيال العقلي ، والتكلف الجدلي ليلبسوا الحق بالباطل ، وقد تجرأ أحدهم فزعم أن أصول الحضارة الاسبانية ترجع إلى اليونان والرومان ، ولا تمت إلى الاسلام بسبب ، وقد قطع عليهم الدكتور أحمد أمين طريق اللجاج حين سألهم في الجزء الثالث من ظهر الاسلام ص ٣٠٩ سؤالا لا يستطيعون التهرب من إجابته الصريحة ، فذكر ان مقارنة أشبيلية وغرناطة وقرطبة وغيرها من مدن الأندلس بحواضر اوربا في عهد الاسلام تثبت تاريخيا ان مدن أسبانيا المسلمة كانت مصدر الاشعاع حينئذ لكل عاصمة اوربية ، فأيهما اذن ترجع إليه جذور التقدم الحضاري ؟ أترجع إلى اليونان والرومان وقد عاشت مدن الدولتين في ظلام دامس ؟ أم ترجع إلى آثر الاسلام وقد أشرق بالنور على ما حوله من الدول فهرعت إلى الأندلس شتى الوفود لتستضيء بحضارة الاسلام ؟ ولماذا لم تتقدم اليونان والرومان على الأندلس حضاريا إذا كانتا مصدر الاشعاع ؟

ولو كان الذين يكتبون تاريخ الأندلس على هذه الصورة المنكرة يجهلون الحقائق السافرة لالتمسنا لهم بعض العذر في أحكامهم المخطئة ، ولكنهم يعرفون معرفة يقينية أن أول مدرسة للترجمة باروبا قد نشأت في طليطلة بالقرن السابع فتحولت بذلك إلى أول مركز ثقافي عام في أوربا جميعها ، وقد ترجمت إذ ذاك

مؤلفات الغزالي والكندي والفارابي واخوان الصفاء وما نقل إلى العربية من مؤلفات أرسطو ، وأخذ يتوافد على مدرسة طليطلة عشاق المعرفة من أبناء الشعوب اللاتينية ، وتوالت القرون على نشاط هذه المدرسة حتى صارت مثلا للاحتذاء فانشئ غيرها على نمطها في اشبيلية وماريوكا وفي مقاطعات أسبانيا المسيحية المجاورة للأندلس ! فهل يعقل أن ينشئ أعداء المسلمين مدارس تحتذى حذو مدرسة اشبيلية دون أن يلمسوا أثرها البعيد في التقدم الثقافي والازدهار الحضاري ؟ أو ان المعقول أن الثقافة الاسلامية قد اجبرتهم على الاذعان لسيطرتها ، فكانت معراجهم الاول للارتقاء ! ومن المضحك أن بعض الذين احتذوا مدارس الأندلس ، وتعلموا العربية ودرسوا القرآن ، لم يشيدوا بفضل أساتذتهم حتى جاء أبناؤهم وأحفادهم فرجعوا بالحق إلى نصابه ، ووضعوا الثقافة الاسلامية موضع الاستاذية بعد أن تخلصوا من رواسب الهوى ، وأذعنوا للمنطق الصريح !

أما كيف اعترف هؤلاء الأحفاد بما أنكره الاجداد ، فان المجلدات العربية من تأليف أساطين الفكر الاسلامي بالأندلس ظلت مجفوة مهملة ، بعد أن أحرق أضعاف أضعافها تعصبا للباطل ، وحقدا على ذوي العقول المستنيرة من كبار المؤلفين ، ظل ما بقى من هذه المؤلفات مهملا في دير (الاسكوريال) حتى شبت به النار فلم تبق غير ألفين من المخطوطات ، وتبدد ما كان يملأ أغوار الدور الاول من الدير في أمكنة رطبة لا يطرق إليها شعاع من شمس فرأت الحكومة الأسبانية ، ان تستقدم حبرا لبنانيا يفقه العربية ليتصفح هذه المخطوطات ، وجاء العلامة مشيل الغريزي ليباشر مهمته ، وصنع فهرسا كبيرا لما بقي من الكتب ، وخص كل مجلد ببعض التعريف ، وكان فيما كتب ما وجه الانظار الى دراسة الآراء الاسلامية في مصدرها الحقيقي ، بعد أن كان مؤرخو الاسبان يكتفون بالروايات النصرانية المغرضة وحدها ، وأكثرها مسرف في الشطط المغرض ، وحينئذ نشطت طائفة من الباحثين كي تقابل بين الآراء المختلفة فتعرض الاقوال النصرانية بازاء الأقوال العربية ، وتستنتج ما تتمخض عنه الموازنة النزيهة من نتائج ، وقد تحمس نفر من المهاجمين ذوي التعصب الأعمى إلى الروايات النصرانية وحدها ، واتهموا من يعارضها بالروايات الاسلامية في دينه واخلاصه ، ومن حسن الحظ ، أن الحق لا يعدم انصاره ، وأن مجال البحث العلمي يكشف ترهات المبطلين ، فتخصص جيل تال في مراجعة المصادر من جديد ، ونطقت البحوث النزيهة بفضل الحضارة الاسلامية ، وبددت اوهاما دونها التعصب ، حتى رأينا من يدعو إلى إحياء التراث العربي وتدريسه بالجامعات الاسبانية ، لا باعتباره يمثل تاريخ فترة مضت ، بل باعتباره فخرا للأسبان إذ كان

أجدادهم المسلمون حملة المشاعل في دياجير القرون السابقة ، وتساءل أحدهم في مرارة ، كيف نعتز بتاريخ اليونان الوثني ولا صلة لنا به ؟ ونهمل تاريخ العرب الزاهر ، وهم أجدادنا ؟ واذا كان لنا أن نشير إلى نفر من هؤلاء المنصفين فاننا نذكر الدوق (باسكوال جايانجوس) أول استاذ جامعي للغة العربية في مدريد ، وتلميذه الأستاذ (فرانشسكو كوديرا) ثم تلميذه الأستاذ (خوليان ريبيرا) ثم العلامة الطائر الصيت الأستاذ (ميجيل آسين بالاتيوس) ومؤلفاتهم جميعا ذات خطر عظيم في دوائر الاستشراق وقد لاقت نقدات كثيرة من مستشرقي الألمان والفرنسيين ، ولكنها ثبتت للنقد ، واستطاعت أن تبدد أراجيف المغرضين عن حضارة الاسلام ، بل جعلت قارئها يشعر أن الأسبان قد خسروا التقدم الحضاري والرقي الثقافي حين ناءوا الاسلام عن تعصب ضرير .

وكأني بالأستاذ (خوليان ريبيرا) وقد عز عليه أن يجد المسلمين من العرب وحدهم كانوا أساتذة الحضارة في موطنه فأراد أن يشارك معهم غيرهم من ذوي موطنه ، فادعى أن عبد الرحمن الداخل كان نصف عربي لأن أمه غير عربية ، وكذلك ابنه هشام كانت أمه غير عربية فلا يحمل غير ربع من نسبة الدم ، وجاء الحكم ابن هشام من أم غير عربية فلا يحمل غير الثمن !! وأخذ يوالي التمثيل ليصل إلى أن العنصر العربي قد ذاب في العنصر الأسباني وأن أمثال المفكرين الكبار كابن رشد وابن حزم وابن زيدون وابن طفيل وابن مسرة هم أسبان لا عرب ! ولو سلمنا جدلا — مع استحالة التسليم — بما قاله الأستاذ لواجهناه بمشكلة جديدة ، هي أن هؤلاء الأسبان — لحما ودما كما يرى — لم يحملوا مشعل الثقافة بالأندلس لكونهم أسبانيين أو عربا ، بل لكونهم مسلمين ، فأساس التقدم في عصور الأندلس لم يرتبط بالعرب لكونهم عربا فحسب ، بل لكونهم مسلمين يفتحون العيون على مثل جديدة في الادراك والوجدان والسلوك وبهذه المثل أصبحت قرطبة في ازدهارها لا تقل شأنا عن بغداد ، فليكن أصحاب الحضارة الأندلسية أسبانيين كما يريد الأستاذ أن يقول ، ولكن الفارق بينهم وبين أجدادهم في عهد القوط والوندال والروم ، أن أمثال ابن رشد وابن مسرة وابن حزم وابن طفيل قد تزعموا الثقافة العالمية تحت راية الاسلام ، ولولا الاسلام لكانوا كمعاصريهم في المدن المتخلفة سواء بسواء .

فاذا تركنا الأستاذ (خليان روبيرا) إلى تلميذه الأستاذ (آسين بلايتوس) فاننا نجده في تحمسه للثقافة الاسلامية بالأندلس قد دأب على نشر المقالات العلمية في صحف أسبانيا ومجلاتها الثقافية داعيا إلى تمجيد أجدادهم المسلمين ذوي الاشعاع الثقافي في عصور الظلمات فكون رأيا عاما ثقافيا يتعاطف مع فكرته حتى استطاع في اوائل سنة

١٩٢٩ أن يستميل جامعة غرناطة إلى نزعته الفكرية ، فأقامت احتفالا علميا كبيرا لذكرى الخلافة الاسلامية بالأندلس لمناسبة مرور ألف عام على إنشائها في عهد عبد الرحمن الناصر ، فكان ذلك أول حادث رسمي من نوعه يؤكد أن الثقافة الأندلسية حقيقة واقعة ، وأن دعوى إنكارها تدل على تعصب لا تعرفه قاعات البحث الجامعي النزيه ، وقد هتف الأستاذ آسين في هذه الاحتفالات بأن أسبانيا بأبنائها المسلمين كانت معلمة أوربا وأستاذة الغرب جميعه ، وقد أوغل فيما بعد في شعاب البحث العلمي ليثبت أن أعظم أثر أدبي تعتز به روما وهو (الكوميديا الالهية) التي ألفها الشاعر الكبير دانتي ، هذا الأثر الأدبي الفذ قد أخذت أصوله من قصة المعراج الاسلامية إذ عربت إلى الأسبانية والفرنسية واللاتينية ، وقد ثبت علميا أن (دانتي) قد قرأ النص اللاتيني ووعاه وكان نواة الكوميديا الالهية ! وقد جاء من بعد الأستاذ آسين من أفرد هذه المسألة ببحث جامعي مستقل نال عليه درجة الدكتوراه في روما ، وانتهى إلى أن قصة الاسراء والمعراج هي ملهمة الشاعر الايطالي الكبير ، كما أنها في الوقت نفسه قد ألهمت أبا العلاء المعري حين كتب قصته الخالدة (رسالة الغفران) .

على أن إعجاب الأسبانيين بحضارة الاسلام في الأندلس قد وجد صداه لدى كثير من مفكري أوربا ، وأذكر أن الكاتب الفرنسي الشهير (كلوت فارير) قد كتب مقالا دامعا يتأسف فيه لهزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء حين انتصر عليهم القائد الهمجي (شارل مارتل) ويرى في هذا الانتصار انتكاسا للحضارة الانسانية وتقهقرا بها الى الوراء ، وقد قال في خاتمة مقاله ما ترجمته :

« يكفي المرء أن يطوف في حدائق الأندلس أو بين الآثار العربية التي لا تزال تأخذ بالأبصار ، مما يبدو من عواصم السحر والخيال ، أشبيلية وغرناطة ، وقرطبة ، وطليطلة ليشاهد والألم آخذ منه ما عسى أن تكون بلادنا الفرنسية لو أنقذها الاسلام العمراني المتسامح ، وخلصها من الأهاويل التي لا أسماء لها » وللشاعر الكاثوليكي العربي الأستاذ شبلي ملاط قصيدة رائعة تنحو هذا المنحى يقول فيها :

مَنْ للزمان بمثل عدل محمد
وحكومةٍ كحكومة الخطاب
لولا تجلدُ (شارل مارتل) حلقتْ
في الغرب فوق أباطحٍ وروابي

فعلى الذين ينكرون أثر الاسلام في رقي الانسانية أن يراجعوا ما سجله الاسبان في الصحف الدورية ومحاضرات الجامعة ، والموسوعات العلمية ، ليروا كيف وجد الحق بيانه على ألسنة المخلصين من غير معتنقيه ! وهؤلاء لن يكونوا ذوي غرض خاص حين يشيدون بدين يدينون بسواه مجاهرين .





للدكتور/احمد شوقي الفنجري

في مقالنا السابق عن الأسرة ذكرنا أن الهيئات العالمية قد اتفقت على اختيار يوم ٢١ مارس يوما للأسرة ..

وقلنا انه كان بودنا لو يأتي هذا الاحتفال بيوم الأسرة بدافع من ديننا بدلا من أن يأتينا كتقليد من الغرب . وأن نصدر نحن فكرة الاحتفال بيوم الأسرة بدلا من أن نكون المستوردين لها ..

ثم شرحنا كيف أن الاسلام قد سبق كل ما عرف من الأديان بل وكل النظم الحديثة في تشريعات بناء الأسرة وصيانتها . وجعل حرمة بيت الأسرة المسلمة كحرمة بيت الله الحرام ..

ونسير مع الاسلام في رعايته للأسرة :

بر الأبوين في الاسلام :

● لقد رفع الاسلام منزلة الأبوين فجعل مكانتهما بعد الله مباشرة فقال تعالى : (**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا**) فذكر حق الوالدين بعد حق الله مباشرة وهذه مكانة لا يعدلها شيء في الدنيا ..

وقد سئل رسول الله : أي العمل أحب الى الله .. فقال صلى الله عليه وسلم : « الصلاة على وقتها قيل : ثم ماذا ؟ قال : بر الوالدين .. قيل ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله »

رواه البخاري ومسلم فجعل بر الوالدين في منزلة أعلى من منزلة الجهاد في سبيل الله ..

● ومن الملاحظ ان الاسلام قد أكثر في تعاليمه من وصية الأبناء بوالديهم ، ولكنه لم يهتم كثيرا بتوصية الآباء على أبنائهم .. وذلك لأن الأبوين بالفطرة والطبيعة لهم حنان وشغف بالأبناء .. أما الأبناء فكثيرا ما تلهيهم الدنيا ومشاكلها عن آبائهم .

● وقد كان علماء المسلمين أول من ابتدع علم رعاية المسنين في الطب وهو المعروف اليوم باسم « طب المسنين » وقد أفرد له الطبيب الاسلامي « ابن سيناء » بابا خاصا من كتابه القانون في الطب . وكان المسلمون أول من خصص في المستشفيات أجنحة خاصة لطب المسنين وأجنحة أخرى لرعايتهم فكان في مستشفيات القاهرة وبغداد وقرطبة أقسام خاصة بالمسنين وقد كتب عليها هذه الآيات : **(إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما)** الاسراء/ ٢٣ ، أو آيات أخرى مثل قوله تعالى : **(الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة)** الروم/ ٥٤ .

وقد أجمع المستشرقون على أن الطب الأوربي لم يعرف علم رعاية المسنين الا بعد المسلمين بسبعة قرون أي سبعمائة عام كاملة . وأن سبب ظهور هذا العلم عند العرب هو تعاليم القرآن وأوامره .

● ويحذر الاسلام الانسان الذي يعق والديه وينذره بأن الله سيسلط عليه أبناءه عند الكبر .. وأن الانسان كما يدين يدان .. وأن الآباء بهذا مسئولون الى حد كبير عن معاملة أولادهما لهما .. فالطفل اذا رأى أمه تهين الخادمة الضعيفة أو رأى الأب يهين الأم ويجرح مشاعرها فانه ينشأ على عدم احترام أبويه إذا أصابهما الضعف والوهن .. وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لا يرحم لا يرحم » رواه البخاري ويقول أيضا : « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم ، وعفوا تعف نساؤكم » رواه الطبراني .

ومن القصص العربي الطريف في هذا المجال أن طفلا صغيرا رأى أباه البخيل يحتفظ بقطعة حصير قديمة بالية .. فأخذ يسأله .. لماذا تحتفظ بهذه الحصيرة البالية يا أبي ؟ فقال له : لكي نجلس عليها جدك اذا زارنا .. فقال له الطفل الساذج : فاحتفظ لي بها يا أبي .. حتى اذا كبرت في السن أجلسك فوقها .. وهكذا فان الجزاء من جنس العمل .. وصدق قول الرسول : « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم » .

● وبر الوالدين في الاسلام لا يقتصر على حياتهما فقط ، ولكنه أيضا يمتد بعد موتهما ، وذلك بالدعاء لهما في الصلاة ، وقضاء ديونهما إن كانت هناك ديون ، والحج عنهما اذا كانا ينويان الحج ولم يستطيعا ، وحسن رعاية أصدقائهما

وأقاربهما ، جاء رجل الى الرسول يسأله : يارسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال نعم : الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، واكرام صديقهما ، رواه أبو داود وابن ماجه .

ويقول الرسول ايضا : « إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه » رواه مسلم .

مكانة خاصة للأم :

● وتحظى الأم بالجانب الأول والأعظم من الرعاية في الاسلام ، لا باعتبارها الجانب الأضعف فقط ، ولكن أهم من هذا لأنها تقوم بالعبء الأكبر من حمل ورضاعة وتربية .. ويذكر القرآن بر الأم فيقول تعالى على لسان نبيه : **(وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا)** مريم / ٣٢ .

ويبين الله في القرآن متاعب الأم فيقول تعالى :
(ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين) لقمان / ١٤

ويقول ايضا : **(ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا)** الأحقاف / ١٥

وجاء رجل الى الرسول يسأله : « يارسول الله .. من أحق الناس بصحبتي ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : ثم أمك قال : ثم من ؟ قال : ثم أمك .. قال : ثم من يارسول الله ؟ قال : ثم أبوك » رواه البخاري ومسلم .

وفي الأثر : « اذا دعتك أمك وأنت تصلي فأجبها واقطع صلاتك . واذا دعاك أبوك وأنت تصلي فلا تجبه حتى تفرغ من الصلاة » .

● ورغم هذه المكانة العظيمة التي جعلها الاسلام للأم . فان الملاحظ ان الاسلام كدين عملي ومنطقي يتبع العقل والمنطق أيضا في معاملة الأبوين .. فهو يأمر المسلم بطاعة أبيه أولا ..

وقد جاء شاب الى الامام مالك يسأله : أمرني أبي ونهتني أمي فماذا أفعل ؟ فقال له : أطع أباك ولا تغضب أمك .

ومعنى ذلك أن الاسلام في الأمور العقلية يأمر باتباع رأي الأب أولا .. وفي الأمور العاطفية يأمر بالتعاطف مع الأم أولا .. وهذه حكمة ما بعدها حكمة ..

وبفضل هذه التعاليم الرائعة التي جاء بها الاسلام في بر الوالدين نجد التاريخ الاسلامي حافلا بقصص رائعة وأمثلة فريدة عن تماسك الأسرة وبر الوالدين .

أمثلة من بر الأبوين في الاسلام :

أوحى الى رسول الله أن في اليمن رجلا اسمه أويس بن عامر يبر أبويه برا عظيما وأن الله قد كافأه على ذلك بأن جعل دعوته مستجابة ، ومرت السنوات وقبض رسول الله .. ثم

جاء بعده أبو بكر ثم تولى عمر الخلافة من بعده وجاءت الوفود يبايعون الخليفة الجديد .. وكان بينهم وفد اليمن .. فسألهم الخليفة عن أويس بن عامر وأعطاهم أوصافه كما ذكرها له الرسول .. فجاءوا به فاحتفى به الخليفة ، وأحسن استقباله ، وطلب منه أن يدعو له ، وأخذ سائر الصحابة يطلبون منه الدعوات الصالحة .. ثم سأله عمر : أين تقصد ؟ فقال له : أقصد الكوفة .. فقال له عمر : أتحب أن أكتب الى واليها أوصيه بك .. فقال الرجل :

يا أمير المؤمنين : إني لا أحب أن أتميز عن الناس .

وهنا عرف الجميع أن الرجل الحسن الخلق مع والديه يكون حسن الخلق مع الناس جميعا .

ومن القصص الطريفة أيضا أن الامام أبا حنيفة كان يجل والدته ، وكانت لا تعلم شيئا عن عمله .. فكانت تطلب منه أن يصحبها الى شيخ آخر لكي تستفتيه .. فقال له الشيخ : أتسألني وأنت أعلم مني ؟ فقال أبو حنيفة : هى أمرتني ولست أعصى لها أمرا .. فقال له : قل لي الرد وأنا أقوله لها .. فأخبره أبو حنيفة بالجواب ... وهكذا ظل الحال بينهما حتى توفيت الأم ..

ومعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نشأ يتيم الأبوين ، فحرم من صغره من عطف الأب والأم .. ولكن عمه أبا طالب قد كفله ، وقد كانت زوجة عمه السيدة فاطمة بنت أسد تحنو عليه وتعامله معاملة الأم ، وكانت هى وأولادها تدافع عنه ضد ايذاء قريش ، ولما هاجر الى المدينة هاجرت أيضا لكي تقف معه وتجاهد معه .. ولما ماتت السيدة فاطمة زوجة عمه بلغ من تقديره لها وحبه أن كفنها في ثوبه ، وحفر قبرها بيده الشريفة .. ثم نزل في القبر ، واضطجع فيه ، لكي يضع فيه من نوره وبركته .. وظل يدعو لها حتى تعجب صحابته وقالوا له : ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعته بفاطمة بنت أسد ؟.. فقال لهم : لم يكن بعد عمي أبي طالب من هو أبر بي منها ..

هذه هى بعض تعاليم الاسلام في الأسرة : تبدأ بالحث على تكوين الأسرة . وحسن اختيار الزوجة .. ثم تقدم للأسرة كل سبل النجاح والاستمرار . ثم تقدم لها سياجا من الحماية والأمان من الدولة .. ثم تضع لها المبادئ والقواعد للتعامل داخل الأسرة : التعامل بين الزوج وزوجه .. وبين الآباء والأبناء . وبين الأبناء والآباء وبين الأسرة كلها والمجتمع .. وبينها وبين الخدم في البيت .

فإلى الذين يحتفلون بعيد الأسرة في شتى أنحاء الدنيا غربا وشرقا وفي هيئة الأمم المتحدة . اليهم نسوق هذا التنظيم والتشريع الاسلامي الرائع الدقيق في بناء الأسرة .

ثم نسألهم بعد ذلك .. هل يمكن أن يكون هذا الفكر البديع من صنع بشر ؟

مائدة القارئ

قدرة الله

قال تعالى : (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا . وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا)
الآية ٥٣ و ٥٤ من سورة الفرقان

الى مدعى العلم

قال مقاتل بن سليمان ، وقد دخلته ابهة العلم : سلوني عما تحت العرش الى أسفل الثرى ؟

فقام اليه رجل فقال : ما نسألك عما تحت العرش ، ولا أسفل الثرى . ولكن نسألك عما كان في الارض ، وذكره الله في كتابه ، أخبرني عن كلب أهل الكهف ، ما كان لونه ؟ فأفحمه .

بمن نقتدي ؟

أراد رجل أن يزوج ابنته فاستشار جاره . فقال له : إن رئيس الفرس كسرى كان يختار المال . ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال . ورئيس العرب كان يختار الحسب . ونبينا محمد كان يختار الدين . فانظر لنفسك بمن تقتدى ؟

دعاء

جاء في الأثر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضي الله عنه : (قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ، ولا يغفر الذنوب الا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم) .

التوكل على الله

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « **لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا** ».

لهذا كان توكلي على الله

سأل رجل حاتم الأصم قائلا : علام بنيت أمرك في التوكل على الله عز وجل ؟

قال : على أربع خصال :

- علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي .
- وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به .
- وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره .
- وعلمت أني لا أخلو من عين الله عز وجل حيث كنت فأنا أستحي منه .

لهذا كان توكلي على الله سبحانه وتعالى .

الكتاب

قال الشاعر :

نعم الأنيس اذا خلوت كتاب ... تلهو به إن خانك الأحباب
لا مفشيا سرا اذا استودعته ... وتفاد منه حكمة وصواب

يسلموا ونسلم

كان ابراهيم النخعي في طريق ، فلقيه الأعمش فانصرف عنه ، فقال له : يا ابراهيم ، إن الناس إذا رأونا قالوا : أعمش وأعور .
قال : وما عليك أن يأثموا ونؤجر ، قال : وما عليك أن يسلموا ونسلم .



سماحة الإسلام

للاستاذ / سعيد زايد

تظهر سماحة الاسلام بشكل واضح في جميع مجالات الحياة ، تظهر في حالة السلم ، وتظهر في حالة الحرب ، وتظهر في معاملة المجتمع المسلم ، وفي معاملة غير المسلمين ، وفي حالة النصر من معاملة للأسرى أو استلام الجزية ، وتظهر في معاملة الرق وفي تعدد الزوجات وفي الطلاق .. وما إلى ذلك من مظاهر الحياة .. ويطول بنا المقام إن عددنا سماحة الاسلام في كل هذه المجالات ، ولكنا سنكتفي فيما يلي بالحديث عن قيم الاسلام الانسانية وسماحته في معاملة غير المسلمين .

إن الاسلام لا يصح بغير إيمان بالأنبياء السابقين وما أنزل عليهم من كتب ، ويتجلى ذلك في قوله تعالى : **(قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)** البقرة/١٣٦ . فالمسلمون يقرون بنبوة موسى وعيسى عليهما السلام ، **ويجلونهما** ، وينزهون نسب عيسى **ويكفرون من ينكر رسالتهما . فليس** في الاسلام تعصب على اليهودية أو **المسيحية ، وليس فيه** اتهام لنبي ، **ولا تهجم على رسول** . وهو لا يحارب اليهودية ولا النصرانية ، ولا يحقد على اليهود ولا على النصارى ، لأنه دين السماحة والتسامح .

وقد دان المسلمون بما علمهم الله تعالى ، أنه قضى ــ لحكمة يعلمها ــ بأن يكون الناس مختلفين في عقائدهم وأهدافهم وقدراتهم العقلية . فالذي يريد الناس على الاتفاق في كل شيء مناهض لقضاء الخالق سبحانه . قال تعالى : **(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين . إلا من رحم بك ولذلك خلقهم)** هود/١١٨ ــ ١١٩ . وقال : **(ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)** يونس/٩٩ .

ودان المسلمون أيضا بأن السعيد هو من شرح الله صدره للاسلام ، فأدرك سره ، وأشرب قلبه حبه ، وإذن فلا سبيل إلى الاكراه على اعتناق الاسلام ولا سبيل لبغض مخالفيه ، لأن أمرهم موكول إلى خالقهم . قال تعالى : **(إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)** القصص/٥٦ .

لهذا أمرهم الله بالدعوة إلى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، **وبالجدل الذي لا يترك فرقة ولا** خصومة . **قال تعالى : (وقل الحق**

من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) الكهف/ ٢٩ ، وقال تعالى : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**) البقرة/٢٥٦ ، وقال : (**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**) العنكبوت/٤٦ .

وقد صدع المسلمون بما أمرهم ربهم به ، فلم يسلكوا ما سلكه غيرهم من رجال الدين الذين كانوا ينادون في أتباعهم أن الله قد أمر بأن يكون البشر كلهم على دين واحد ، فيجب أن تعملوا على توحيد الدين ما وجدتم إلى توحيده سبيلا .

تجلت سماحة الاسلام في معاملة مخالفيه في القول والعمل .

فمن ناحية القول ، حفل القرآن الكريم بدعوة المسلمين إلى التسامح ، فلم يمنع المسلمين من البر بغير المسلمين ، ما داموا في سلم مع المسلمين وحسن صلة . قال تعالى : (**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين**) الممتحنة/٨ .

وأمر الاسلام بالرفق في الدعوة إليه ، وأمر بمناقشة المخالفين بالحسنى ، قال تعالى : (**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**) النحل/١٢٥ ، وقال : (**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون**) العنكبوت/٤٦ .

وبين الله للنبي أنه مكلف أن يبلغ الدعوة ويبشر بالاسلام ، وليس مكلفا أن يحمل الناس عليها بالقوة ، قال تعالى : (**فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر**) الغاشية/٢١ ـ ٢٢ . وقال : (**أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**) يونس/٩٩ . وقال تعالى : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**) البقرة/٢٥٦ . وقال : (**وما أرسلناك عليهم وكيلا**) الاسراء/٥٤ . وقال تعالى : (**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**) آل عمران/٦٤ .

وأمر الله النبي صلى الله عليه وسلم بأن يجير المشرك إذا لجأ إليه واحتمي به ، وهذه سماحة ما بعدها سماحة . قال تعالى : (**وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون**) التوبة/٦ .

وأمر الله المسلمين بأن يفوا بعهودهم لمن عاهدوهم ، سواء أكانوا من أهل الكتاب أم من المشركين . قال تعالى : (**وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا**) الاسراء/٣٤ .

وحض النبي صلى الله عليه وسلم على التسامح ، وحببه الى المسلمين بقوله و فعله . قال عليه الصلاة والسلام : « من ظلم معاهدا أو

انتقصه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئا بغير نفس ، فأنا حجيجه يوم القيامة » رواه الدارمي .

وأمر صلى الله عليه وسلم بألا يجبر أحد من النصارى أو اليهود على ترك دينه ، فقد كتب إلى عامل له في اليمن : « من كان على يهودية أو نصرانية فلا يفتن عنها » .

وأظهر النبي وخلفاؤه وقواد المسلمين سماحة وإنسانية فيما عقدوا من صلح مع البلاد التي فتحوها ، فلم يستبدوا ويملوا شروطهم ، شأن كل منتصر ، يدفعه إلى ذلك انتقام وغرور بالقوة ولكنهم كانوا كراما مع المغلوبين ، فأقروهم على عقائدهم وشعائرهم الدينية ، وأوصوا برعايتهم والمحافظة على أموالهم .

وقد عقد النبي صلى الله عليه وسلم معاهدة مع قبيلة تغلب وصلحا مع نصارى نجران أباح لهم فيها البقاء على نصرانيتهم .

واقتدى به المسلمون من بعده . فقد أوصى الخليفة ابو بكر الصديق قائده أسامة بن زيد لما وجهه إلى الشام ، بالوفاء لمن يعاهدهم ، وبالرحمة في الحرب ، وبالمحافظة على أموال الناس ، ويترك الرهبان أحرارا في ديارهم وصوامعهم ، وقال له : لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بعيرا إلا للاكل ، وإذا مررتم بقوم فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له .

وفي خلافته عاهد خالد بن الوليد اهل الحيرة على ألا تهدم لهم بيعة ولا كنيسة ولا قصر يتحصنون فيه ، وعلى ألا يمنعوا من ضرب نواقيسهم أو إخراج الصلبان في يوم عيدهم . على ألا يعينوا كافرا على مسلم ، ولا يتجسسوا للكفار على المسلمين . ونص في المعاهدة على ان الجزية يعفى منها الشيخ الذي عجز عن العمل ، أو أصابته آفة ، أو كان غنيا فافتقر ، وليس ذلك فحسب ، بل يعال هو وأولاده من بيت مال المسلمين ما أقام بدار الاسلام .

وكان عمر بن الخطاب ـ على شدته مع المسلمين ـ رفيقا بأهل الكتاب ، فقد نصح سعد بن أبي وقاص لما أرسله إلى حرب الفرس بأن يبعد معسكره عن قرى أهل الصلح والذمة ، وبألا يسمح لأحد من أصحابه بدخولها إلا إذا كان على ثقة من دينه وحسن خلقه ، وأوصاه ألا يأخذ من أهلها شيئا لأن لهم حرمة وذمة يجب على المسلمين الوفاء بها ، وحذره من أن تضطره حرب أعدائه إلى ظلم الذين صالحوه .

وقد أعطى عمر أهل إيلياء أمانا على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، وأنهم لا يضطهدون بسبب نصرانيتهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود .

وكذلك كتب ـ رضي الله عنه ـ أمانا مثل هذا لأهل الله وبيت المقدس ، وفي عهده عاهد خالد بن

الوليد أهل دمشق على الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم ، لا يهدم ولا يسكن شيء من دورهم ، إذا أعطوا الجزية . لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء والمؤمنين .
ولم ينس عمر واجبه في رعاية أهل الكتاب في وصيته لخليفته ، وهو يجود بروحه ، لأنه يعلم أنهم بعض شعبه ، فهو مسؤول عنهم ، فقد أوصى خليفته بأن يفي بعهدهم ، وان يقاتل من ورائهم فلا يجعل ديارهم ميدانا للحرب ، وألا يكلفهم فوق طاقتهم .

وهكذا فعل المسلمون مع كل البلاد التي فتحوها ، فقد سلكوا مع أهليها مسلك السماحة .

وحرص فقهاء المسلمين على العناية بأهل الذمة ، وكتبوا في ذلك كثيرا ، فها هو القاضي ابو يوسف يكتب إلى الرشيد ينصحه بقوله : « وينبغي يا أمير المؤمنين ــ أيدك الله ــ أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم ، والتفقد لهم ، حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم ، ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم .

فلم يكن عجبا ان انبهر بسماحة الاسلام وتسامح المسلمين سكان البلاد المفتوحة ، وأن انطلقت ألسنتهم بالثناء على المسلمين ، لأنهم رأوا من المسلمين سموا في الأخلاق ، ونبلا في المعاملة ، وسماحة لم يعهدوها من قبل حينما كان يحكمهم الفرس أو الروم .

ولم يكن عجبا أن وجد المسلمون من هؤلاء السكان عونا في فتوحهم الظافرة .

وقد وضع فقهاء المسلمين دستورا للعهود التي يعقدها الحكام المسلمون مع أهل الذمة لا يتعداه المتعاهدون ، وتدور جميع مواده حول التسامح والروح الانسانية التي يجب ان تتبع مع الذميين .

وسنذكر فيما يلي بعض صور التسامح الفعلي التي تدل على الروح الانسانية التي تسود في الاسلام .

لما فتح محمد صلى الله عليه وسلم مكة قال لقريش : ماذا تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم .. فقال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء ، لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لي ولكم » .

وبالرغم من أن اليهود كانوا قد نكثوا بعهدهم مع المسلمين وحرضوا العرب على غزوهم وانضموا إليهم ، فان النبي منع المسلمين بعد النصر من أن يدخلوا بيتا من بيوت اليهود إلا باذنه ، ومن أن يضربوا نساء اليهود أو يعتدوا على ثمراتهم .

وكان عليه الصلاة والسلام يحضر ولائم أهل الكتاب ويغشى مجالسهم ويواسيهم في مصائبهم ويعاملهم بكل أنواع المعاملات التي يتبادلها المجتمعون في جماعة يحكمها قانون واحد ، فقد كان يقترض منهم نقودا .
ولم يكن ذلك عجزا من أصحابه عن إقراضه ، فان بعضهم كان ثريا ، وكلهم يتلهف على أن يقرض رسول الله ، وإنما كان يفعل ذلك تعليما

للأمة وتثبيتا عمليا لما يدعو إليه من سلام ووئام ، وتدليلا على أن الاسلام لا يقطع علاقات المسلمين مع مواطنيهم من غير دينهم .

وكان عمر بن الخطاب بالشام ، وقد حانت الصلاة وهو في كنيسة القيامة ، فطلب البطريق من عمر أن يصلي بها ، وهم أن يفعل ، ثم اعتذر بأنه يخشى أن يصلي بالكنيسة فيدعي المسلمون فيما بعد أنها مسجد لهم فيأخذوها من النصارى . وكتب للمسلمين كتابا يوصيهم فيه بألا يصلوا على الدرجة التي صلى عليها إلا واحدا واحدا غير مؤذنين للصلاة وغير مجتمعين . وهذه نظرة تدل على بصيرة نفاذة بعيدة المرمى فقد أراد ابن الخطاب ممن يجيئون بعده أن يكونوا سمحاء مثله .

واشتهر عن عمر أنه كان ينصف من يشكو إليه من النصارى واليهود ، فقد علم أن الوليد بن عقبة واليه على بني تغلب النصاري قد توعدهم ، فخشي أن يوقع بهم شرا ، فعزله وولى غيره .

وكذلك كان ابنه عبد الله ، فقد روى عنه أنه قال لغلامه حين كان يسلخ شاة : يا غلام .. إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي ، وقال ذلك مرارا ، فقال له : لم تقول هذا ، فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه .

وكان عثمان بن عفان يعطف على شاعر نصراني هو أبو زبيد .

وقد رحب أقباط مصر بالفتح الاسلامي ، ولقوا من عمرو بن العاص أعظم التسامح ، لأنه أنقذهم من الاضطهاد الديني ، ومن عسف الروم وتنكيلهم بمخالفيهم في المذاهب ، فقد كان بعضهم يعذب ثم يلقى به في اليم ، وقتل منهم نحو مائتي الف في مدينة الاسكندرية بأمر من الامبراطور جستنيان .

ويذكر التاريخ أن اضطهاد جستنيان وخلفائه لأقباط مصر حمل كثيرا منهم على الالتجاء إلى الصحراء للاحتماء بها ، وفرارا من التنكيل ، واضطر عدد كبير إلى إخفاء عقيدتهم الحقيقية . فليس عجيبا أن يرحبوا بعمرو بن العاص ، وليس عجيبا أن يحقق لهم الحرية الدينية التي كانوا يبتغونها .

نعم إن عمرا كفل للأقباط حريتهم الدينية ، ولم يحدث في عهده ولا من بعده ضغط على أحدهم ليرتد عن دينه ، بل إن بعضهم أسلم قبل أن يتم الفتح .

وما زال التاريخ يقص علينا أن عمرا كتب بيده عهدا لهم ـ بعد استيلائه على حصن بابليون بحماية كنيستهم ، ولعن أي مسلم يخرجهم منها . وكتب أمانا للبطريق بنيامين ورده إلى كرسيه بعد أن تغيب عنه ثلاثة عشر عاما ، وأمر باستقباله بالحفاوة عندما جاء إلى الاسكندرية ، ولما لقى عمرا بها خطب أمامه وشكره واقترح عليه عدة أمور تحفظ الكنيسة ، فتقبلها عمرو ، وخوله السلطة التامة على الأقباط ، وعلى شؤون الكنيسة .

عبد الرحمن بن عوف

محمود

الأمين في الأرض والأمين في السماء

ما أشد وأقسى ما تعرضت له الدعوة الاسلامية في مبدأ أمرها ، فمع أنها دعوة إنسانية نزلت في زمن افتقد الانسانية ، وخلا من الرحمة ، وفرغ من الحق في المعاملة ، وندر فيه العدل والانصاف ، والأخذ بيد المظلوم والمغلوب على أمره ، ومع أن العقل يقول إنها نعمة لانقاذ البشرية من ضلالها ، وليس لها الا أن تلاقي بكل التأييد والترحيب ، فقد لاقت هذه الدعوة من المشركين أشد المقاومة أملا في وأدها وهي ما تزال في مهدها .

والتف حول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه رجال عمرت قلوبهم بالايمان الذي خلق منهم قوة صامدة صابرة ، ترد كل عدوان ، وتقف في مواجهة كل من يحاول النيل من هذه الدعوة .

ومن هؤلاء الرجال عبد الرحمن بن عوف ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد المهاجرين الى « الحبشة » ثم الى « المدينة » ، وأحد ثلاثة شهدوا على صلح « الحديبية » ، ووقفوا الى جانب

للاستاذ / محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

المصطفى صلى الله عليه وسلم في جميع غزواته .

نسبه ونشأته

هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى القرشي الزهري . ويكنى أبا محمد نسبة الى اكبر ابنائه محمد بن أم كلثوم بنت ربيعة بن عبد شمس ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد إسلامه عبد الرحمن ، سماه الصادق البار ، لأن اسمه في الجاهلية كان عبد عمرو ، وقيل : عبد الكعبة .

ولد رضوان المولى تبارك وتعالى عليه بعد عام الفيل بعشر سنوات ، ونشأ في بيئة « مكة » التي كانت تمتلىء بحياة الجاهلية ، وعبادة الأوثان ، والغلو في الآثام ، والاستهتار بالفضيلة ، ولكنه على الرغم من ذلك شب عفيفا ، بعيدا عن المآثم التي كانت منتشرة في عهده ، فلم ينغمس في متع الحياة وملاذها ، وقد روى أنه حرم الخمر على نفسه قبل أن يبعث الرسول عليه الصلاة والسلام فلم يقربها .

أوصافه وأخلاقه

كان رضوان الله عليه فارع القامة ، مضىء الوجه ، رقيق البشرة ، أبيض اللون مشربا بحمرة ، أعرج وذلك من اثر اصابته في رجله في موقعة « أحد » ، كريما ، صادقا بارا ، رحيما ، ورعا تقيا ، زاهدا متقشفا مع ثرائه العريض ، متفقها في الدين ، بصيرا بالكتاب والسنة ، سباقا للخير ، مثاليا في كل شيء ، عرف بين الناس بحسن الخلق والصفات الحميدة ، ولقد بلغ من امانته أن ائتمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم على آل بيته ، فكان بارا بهن رحيما عليهن ، يخرج بهن ، ويحج معهن ، وينزل بهن في الشعب الذي ليس له منفذ ، وقد روى أن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قال : « إن الحافظ على أزواجي من بعدي هو الصادق البار » .

إسلامه

أسلم عبد الرحمن بن عوف من قبل أن يتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من دار الأرقم بن أبي الأرقم مركزا للدعوة الى الاسلام سرا ، ومقرا يجتمع فيه المسلمون بعيدا عن أعين القرشيين .

ولقد جاء اسلامه في ليلة كان الظلام قد أسدل فيها استاره على دروب

« مكة » وطرقاتها وبيوتها ، واجتمع الأصدقاء في البيوت يتسامرون ويتبادلون الاحاديث يمضون بها ساعات الليل ، وكان أصحاب أبي بكر يجتمعون في بيته ، ولم يكن اجتماعهم هذه المرة كالمرات السابقة ،

بل كان لأمر خطير وشأن جليل ، لقد فاجأهم أبو بكر بالخبر الذي دعاهم من أجله ، دعاهم الى الايمان بالدين الجديد الذي ظهر بـ « مكة » ، والذي يأمر بترك عبادة الأوثان التي ألفوها وتوارثوها عن آبائهم وأجدادهم ، ونبذ ماهم فيه من شرك وضلال ، وعبادة اله واحد له الخلق والأمر ، وعندما سألوه عن حامل لواء الدعوة هذه ، أجابهم بأنه الصادق الأمين محمد بن عبدالله الذي لم يجربوا عليه كذبا قط .

واستجاب أصحاب أبي بكر واعتنقوا الاسلام ، ودخلوا منذ تلك اللحظة في عهد جديد ، لقد رأت عيونهم النور بعد أن كانوا يعيشون في الظلام ، ودخلوا التاريخ من أوسع أبوابه ، وصعدوا سلم المجد بعد أن كانوا في زوايا النسيان .

وعندما علمت أمه باسلامه حزنت حزنا شديدا وقالت : « والله لا يظلني سقف من الحر والبرد ، وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد ودين محمد ، وتعود الى دين آبائك وأجدادك » ولكنه لم يأبه لتهديدها ووعيدها واستمر في طريقه الذي اتخذه لنفسه .

واستعد المسلمون لتحمل أعباء الرسالة والقيام بتبعاتها ، بعد أن أمضوا فترة التدريب على نشر الدعوة بدار الأرقم بن أبي الأرقم ، وأخذ الاسلام ينتشر ويكثر أتباعه ، حتى بلغ عددهم أربعين مسلما باسلام عمر ابن الخطاب ، ومنذ ذلك اليوم أخذوا يعلنون اسلامهم ويجهرون بدعوتهم ، فازداد أذى « قريش » لهم وللرسول صلى الله عليه وسلم ، فصبروا واحتملوا ، وعبد الرحمن بن عوف يساعدهم ويؤازرهم .

ورأت « قريش » في هذه الدعوة الجديدة خطرا شديدا عليها ، لا سيما وأن الأصنام التي تحيط بالكعبة هي محج العرب ، ومنبع ثروة « مكة » ، فبدأوا في اضطهاد المسلمين أكثر من ذي قبل ، وخاصة المستضعفين والأرقاء لعدم وجود من يحميهم .

وضاقت « قريش » برسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه ذرعا عندما رأتهم يزدادون كل يوم قوة ، لا يثنيهم الأذى عن ايمانهم والتضحية في سبيله ، فسولت لهم نفوسهم الضعيفة التي يستهويها زخرف الحياة الدنيا أن يتخلصوا من الرسول عليه الصلاة والسلام عن طريق إغوائه بمتع الحياة الدنيا ، ظانين أن ذلك مما يرضى مطامح الرسول الكريم ، فبعثوا اليه الرسل يعرضون عليه أمورا ، آملين أن يقبل بعضها فيعطوه أيها شاء ويكف عنهم ، فعرضوا عليه الأموال الطائلة ، وأن يكون سيدا فيهم ، وأن يكون ملكا عليهم ، بيد أن المفاوضات لم تؤد الى نتيجة حاسمة ، فعادت

« قريش » الى سيرتها الأولى في اضطهاد المسلمين ونبيهم .

ولما رأى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أن « قريشا » قد اشتدت في تعذيبها للمسلمين ، واتبعت في ذلك كافة الوسائل ، عز عليه أن يرى أصحابه يتعرضون للازدراء والسخرية حينا ، وللاضطهاد والقسوة في المعاملة حينا آخر ، فأذن لمن يشاء بالهجرة الى « الحبشة » ، بعد أن أصبحت « مكة » غير « مكة » القديمة ، التي كان يجد فيها الانسان الأمن والاستقرار والطمأنينة بين ربوعها ، بل لقد صارت تربة غير صالحة لغرس بذور الدعوة فيها ، فقال لهم حرصا على مصلحتهم ومصلحة الدعوة الاسلامية ومستقبلها : « لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده احد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم مخرجا مما انتم فيه » .

واستجاب المسلمون لتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، وهاجروا الى « الحبشة » على دفعتين ، مضحين بكل مرتخص وغال ، مفارقين وطنهم وأهلهم في سبيل عقيدتهم التي لها يحيون ، وبها يموتون ، وعليها يلقون المولى تبارك وتعالى وهو عنهم راض فينالون سعادة الدارين .

وكان الفوج الأول يتكون من خمسة عشر رجلا وامرأة ، وفي مقدمتهم عثمان بن عفان وزوجته السيدة رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعبد الرحمن بن عوف الذي كانت هجرته هذه سببا في اصابة تجارته بالبوار ، وكان الفوج الثاني مكونا من ثمانين رجلا وامرأة .

ثم عاد عبد الرحمن بن عوف الى « مكة » مع من عاد اليها من المهاجرين ، وظل بها الى أن أذن المولى تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى « المدينة » فهاجر عبد الرحمن اليها .

عبد الرحمن في المدينة

لقد أظهر الأنصار للمهاجرين من كرم الضيافة ما تقبله هؤلاء في أول الأمر مغتبطين ، فأنزلوهم منهم أحسن المنازل ، وكان الأنصاري يقول للمهاجر : هذا مالي فخذ منه ما شئت واترك لي منه ما شئت ، وهذه نخلاتي اختر منها ما شئت واترك منها ما شئت ، وهذه زوجاتي اختر منهن من شئت أطلقها فتتزوجها واترك منهن من شئت ، فكانت هذه أرقى وأعظم أنواع التضحية والحب والاخاء .

وكانت سياسة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في هذه الظروف القاسية سياسة القائد المحنك الرشيد ، فقد عمل على تنظيم صفوف المسلمين وتوكيد وحدتهم ، فربط بينهم برباط قوي متين ، وذلك انه عقد بين الأنصار والمهاجرين تلك الأخوة النادرة المثال ، وجعل لها من الحقوق والواجبات ما لأخوة النسب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى

بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، وكان عبد الرحمن لا يملك في « المدينة » ما يقتات به ، فعرض عليه سعد أن يقتسم ماله بينهما ، ولكن نفس عبد الرحمن الأبية دفعته الى رفض ما عرضه عليه سعد ، فهو يعلم تمام العلم أن خير الناس من يأكل من عمل يده ولا يكون عالة على الناس أعطوه أو منعوه ، فقال لسعد « دلوني على السوق » وابتدأ يدخل ميدان التجارة من جديد ، فأخذ يبيع الزبد والجبن ، واستطاع بما له من مهارة في التجارة ، وحسن معاملته وأمانته في بيعه وشرائه أن يصل الى الثروة في زمن قصير ، وتزوج باحدى نساء « المدينة » ، وظل في تجارته حتى أصبح يملك القوافل التجارية التي تذهب وتجيء .

ولقد كان عبد الرحمن محظوظا في التجارة الى الحد الذي أثار دهشته وعجبه ، فقال : « لقد رأيتني لو رفعت حجرا لوجدت تحته فضة وذهبا » .

ولم تكن التجارة عنده شرها ولا احتكارا ، ولم تكن حرصا على جمع المال ولا شغفا بالثراء ، بل كانت عملا وواجبا يزيدهما النجاح قربا من النفس ومزيدا من السعي ، فطبيعته الجياشة تجد راحتها في العمل الشريف الحلال ، البعيد كل البعد عن الحرام أو ما فيه شبهة .

ولقد اشترك عبد الرحمن في جميع غزوات المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، فشهد المشاهد كلها ، وأصيب في غزوة « أحد » بواحد وعشرين جرحا ، من بينها اصابة كانت في رجله تركت به عاهة مستديمة وهي العرج ، وظل أثر العرج في قدمه الى أن لقى المولى تبارك وتعالى .

عبد الرحمن وعمر

وعندما آلت الخلافة الى عمر بن الخطاب قدر عبد الرحمن بن عوف حق قدره ، لما عرفه من أمانته واخلاصه وحسن بلائه في الجهاد ، فاستخلفه على الحج في السنة التي ولى فيها الخلافة ، واذا عرفنا أن عمر بن الخطاب كان من أشد الخلفاء محافظة على الدين ، وأكثرهم توفيقا في اختيار الرجال ، عرفنا أن اختياره لعبد الرحمن كان يرجع الى ما تحلى به من الفضائل الكريمة والأخلاق القويمة .

وكما كان عبد الرحمن بن عوف في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم يلجأ اليه في الملمات كان مستشار الدولة في عهد الراشدين ، فعندما مرض أبو بكر الصديق ــ رضي الله تعالى عنه ــ مرض الموت كان أكبر همه هو التفكير في مصالح المسلمين ، ومن يكون خليفة عليهم من بعده ، فاستدعى كبار الصحابة وعرض عليهم الأمر ، فتشاوروا ، ولكنهم لم يتفقوا على أحد ، ففوضوا له الأمر في اختيار من يشاء ، فأخذ يستشير الناس ، وكان في مقدمة من استشارهم عبد الرحمن بن عوف .

وكان عبد الرحمن قد أشار على عمر بن الخطاب بتولية سعد بن ابي وقاص قيادة الجيش الذي يريد أن

يوجهه الى « العراق » فأخذ عمر بمشورته ، وكان عمر قد خرج على رأس الجيش بعد ان استخلف علي بن ابي طالب على « المدينة » فلما كان بينه وبين « المدينة » ثلاثة أميال وهو متجه الى « العراق » قال له عبد الرحمن : « اذا كنت ترى القعود عجزا فاجعل عجزها بي وأقم وابعث جندا ، فانه ان يهزم جيشك ليس كهزيمتك ، فأعجب عمر بكلام عبد الرحمن ونفذ ما اشار به .

وخرج عمر يوما مع بعض أصحابه قاصدا « الشام » وبالقرب من « تبوك » لقيه أبو عبيدة بن الجراح في جماعة ممن معه ، فأخبروه بانتشار وباء الطاعون بـ « الشام » فأراد عمر الرجوع الى « المدينة » فأيده البعض وعارضه البعض ، ولما جاء عبد الرحمن بن عوف واستشاروه في هذا الأمر جاء رأيه موافقا لرأي عمر وهو الرأي السديد . وروى لهم حديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في هذا الشأن ، وهو : « اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه ، واذا وقع وانتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه » رواه احمد والنسائي .. وهذا هو المتبع في الحجر الصحي في عصرنا الحاضر .

وعلى لسان عبد الرحمن جاءت الاجابة الصحيحة التي فيها حل لمشكلة المجوس ، عندما سأل عمر الصحابة في كيفية معاملتهم ، فقال عبد الرحمن : « أشهد على رسول الله أنه قال : سنوا بهم سنة أهل الكتاب » رواه مالك في الموطأ .. فنفذ فيهم عمر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه عبد الرحمن وأخذ منهم الجزية .

وكان عبد الرحمن أقرب الناس الى عمر ، فكان يطلب رأيه ويقبل ما يشير به وينفذه ، وذلك لشدة اخلاصه وسداد رأيه ، حتى لقد بلغ بالناس الأمر أنه اذا كانت لهم حاجة عند عمر طلبوا من عبد الرحمن أن يكلمه في شأنها .

وعبد الرحمن هو الذي أشار على عمر بجعل حد الخمر ثمانين جلدة ، وكان يصحب عمر ليلا في حراسة الأعراب النازلين بضاحية « المدينة » وفي تفقد أحوال الرعية ، وعينه حارسا على كنوز « فارس » التي وضعت في المسجد ، واستخلفه في الصلاة بالناس حين طعن وهو يصلي الفجر بالمسجد ، وجعله أحد الستة الذين فوض اليهم أمر اختيار الخليفة من بعده ، وهم الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وهم : عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، على أن يبدي عبد الله رأيه وليس له أن يرشح نفسه للخلافة ، وكان عبد الرحمن بن عوف يختلي بكل منهم على حدة ويسأله عن رأيه ، وبعد مفاوضات ومشاورات استقر الرأي على اختيار عثمان بن عفان خليفة للمسلمين ، وعقب ذلك انصرف عبد الرحمن الى شؤونه الخاصة ، ولم يشترك في الأحداث السياسية التي

وقعت في عهد عثمان ابن عفان .

وهكذا عاش عبد الرحمن بن عوف يمثل التوازن بين الحياة الدنيا والآخرة ، ويأخذ المواقف السليمة بعيدا عن الهوى وتأثير النفس ، ومن هنا لم يدخل في صراعات سياسية ، وعندما كانت الأمور تشتد كان يخرج نفسه من دائرة الصراع ، ثم ينظر للأمور بعد ذلك نظرة موضوعية ، وبسلوكه هذا عاش محبوبا من الجميع .

منزلته وفضله

لقد استطاع عبد الرحمن بن عوف أن يفوز بثقة ورضا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، حتى أنه عليه الصلاة والسلام صلى خلفه وهو في أحد سفراته ركعة من صلاة الصبح ، وولاه إمارة الحملة التي أرسلها الى « دومة الجندل » وودعه بنفسه وعممه بعمامة سوداء ، وأرخى بين كتفيه منها ، ثم قال له : « هكذا فاعتم يابن عوف » .

وعندما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهز جيش العسرة استعدادا لغزوة « تبوك » كان لدى عبد الرحمن ثمانية آلاف دينار ، فتبرع بأربعة آلاف منها لتجهيز الجيش ، فنزل فيه وفي عثمان بن عفان ، وفي الذين بذلوا أموالهم مرضاة لله عز وجل : (**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) ـ ٢٦١ و ٢٦٢ / البقرة ـ وتحقق فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « مانقص مال من صدقة » البخاري ، وقد بارك المولى تبارك وتعالى له في ماله وتجارته .

ثم استمر عطاؤه من أجل تدعيم الدعوة الاسلامية ، ومن أجل الفقراء بصفة خاصة ، ومما يروى في هذا الشأن أن السيدة عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ سألت عن ضجة شغلت « المدينة » فقيل لها : إنها قافلة لعبد الرحمن بن عوف تحمل من كل شيء . فقالت : « أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا » .. ونقل بعض أصحابه مقالة السيدة عائشة اليه ، فتذكر أنه قد سمع من الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الحديث أكثر من مرة ، وبأكثر من صيغة ، فقال : « إني لأرجو أن أدخلها قائما » ، وجعل القافلة وعددها سبعمائة بعير بما عليها هبة للمسلمين .

وقد كان يحب أن يرى نعم الله عز وجل سابغة عليه ، فكان يلبس الحلة بخمسمائة درهم ، وتزوج أنصارية بمهر قدره ثلاثون ألفا .

ولقد شغلت قضية التجارة والعبادة عددا من علماء المسلمين ، من بينهم الذهبي صاحب كتاب « سير أعلام النبلاء » ، وقد أورد في

كتابه قول أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ والذي جاء فيه أنه لما جاء الاسلام جمعت بين التجارة والعبادة فلم يجتمعا ، فتركت التجارة ولزمت العبادة ، فقال الذهبي : « الأفضل جمع الأمرين ، وهذا الذي قاله ـ يعني أبا الدرداء ـ هو طريقة السلف والصوفية ، ولا ريب أن أمزجة الناس تختلف في ذلك ، فبعضهم يقوى على الجمع كالصديق ، وعبد الرحمن بن عوف ، وكما كان ابن المبارك ، وبعضهم يعجز ويقتصر على العبادة ، وبعضهم يقوى في بدايته ثم يعجز وبالعكس ، ولكن لا بد من النضهة بحقوق الزوجة والعيال » .

وقد كان عبد الرحمن بن عوف يخاف المولى تبارك وتعالى رغم جوده وكثرة إنفاقه ، ويخشى من أن يكون قد عجل له ثواب عمله في الحياة الدنيا .

دخل ذات يوم منزله فاغتسل ثم خرج فجلس مع ضيوفه ، وأتوا بصحفة فيها خبز ولحم ، فجعل يبكي ، فلما سئل عن سبب بكائه قال : « مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ، ولا أرانا أخرنا لما هو خير لنا » .

وكان يوما صائما فأتى بطعام فامتنع عن تناوله ، وقال : « قتل مصعب بن عمير وهو خير مني ، فكفن في بردة إن غطى بها رأسه بدت رجلاه وإن غطيت رجلاه بدا رأسه ، وقتل حمزة وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن به ، ثم أعطينا من الدنيا ما أعطينا ، وقد خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت لنا ، ثم أخذ يبكي وترك الطعام » .

وفاته

وفي العام الثاني والثلاثين من الهجرة كان عبد الرحمن بن عوف قد بلغ الخامسة والسبعين من عمره ، فاختاره المولى تبارك وتعالى الى جواره ، ولقد أرادت السيدة عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أن تخصه بشرف لم تخص به سواه ، فعرضت عليه وهو يجود بأنفاسه الأخيرة أن يدفن في حجرتها الى جوار المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وأبي بكر وعمر ، فاستحى أن ترتفع نفسه إلى هذا الجوار ، ولم ينس وهو في لحظاته الأخيرة موعده وعهده مع عثمان بن مظعون ، حيث تواثقا ذات يوم : من يموت بعد الآخر يدفن بجوار صاحبه . وابن مظعون دفن بـ « البقيع » وهو يود أن يدفن الى جواره .

هذا هو عبد الرحمن بن عوف الذي قهر طبائع البشر وتخطاها الى سمو فريد .

هذا هو عبد الرحمن بن عوف أحد الشخصيات العظيمة التي تجل عن الوصف ، ولا يكاد يحصرها العد ، ممن رفعوا لواء الحق والعدل ، وحملوا مشعل النور والهداية للعالمين .

فهل لنا في سيرة هذا الصحابي الجليل مثل نحتذيه ونقتدى به ..؟؟

الأمومة

مؤذن

قالوا : الأمومةُ ، قلنا : نبعُ تحنان
سرُّ الحياةِ ، وذوبُ الخافق الحاني
خص الإلهُ به حواءَ مكرمةً
تُعطي الوجود حياةً ، رَغم نُكران
اسمٌ تقدس في الأديان قاطبةً
وتحت أقدامها ، جناتُ رضوان
لولاكِ يا أمنا ضاعت معالمنا
بل مات آدم منبوذا بأكوان
الطفل يا أمُّ بعضٌ منكِ جسده
ربِّ الوجود كمالا بعد نقصان
أمشاجُه مضغةٌ من نطفة علقت
أضحت عظاما كساها لحمَ إنسان
دبت به الروح نشوى ، جل بارئها
قد صورته يد الباري بإتقان
حُمِّلْتِه زمنا وهْنًا على وَهَن
ينمو وئيدا ، ويُسْقَى نبضَ شريان
أغفى هنيئا قريرَ العين حركه
دفءُ الأمومة في رفق وإحسان

للشاعر : محمود عبد الغفار دياب

تُحصِي الليـــالي ارتقـــابَ الطفـــل ساهرةً
ملهوفـــة الصبـــر من خوف وحرمان
جاء المخـــاض فخاضـــت هول تجربة
قـــد تبـــذل الـــروح فيهـــا رغـــم حسبان
عنايـــة اللـــه مَدت ظلَّ رحمتها
فانقذتهـــا ، وجـــاء الغائـــب الداني
مَد الطبيـــبُ يد البشري بفلذتها
وزف للأهـــل أفراحـــا كَأَلْحَاني
هَدْهَدْتِـــه زمنـــا في المهـــد صابرة
وكم سهـــرت بلا نوم لأجفان
وكم بَكِيـــتِ وعـــينُ الموت ترقبني
وكم تَعبْـــتِ لإسعـــادي وأشجاني
وكم مهـــدت دروبَ الشـــوك من قدمي
وكم رويـــت بدمـــع العـــين بستاني
وكم صبـــرت على جهلي بلا ملل
وكم سقيـــت فؤادي حب أوطاني
وكم شكوتُ لك الدنيـــا وقسوتها
يـــا بلســـم الـــروح ، كم خففـــتِ أحزاني
أوْصَى بك اللـــه خـــيرا رســـل رحمته
والمؤمنـــين ، وأبنـــاءَ الـــورى الفاني
من بر أمـــا جزاه اللـــه جنته
ومـــن أســـاء له زجـــر بنيران
عمـــري فداكِ ، ومنـــك الصفـــح أطلبه
إذا أســـأتُ لروحـــي قبـــل عرفاني
لو كان يُعبـــد بعـــد اللـــه من بشر
لكنـــتِ أنـــتِ صلاتـــي بعـــد إيماني

حكم الله في كتاب الله

● للشريعة الاسلامية مصادر وأدلة يتوصل بالنظر الصحيح فيها إلى إدراك الأحكـام الشرعية . والقرآن الكـريم هو المصدر الأول للتشريع الاسلامي ، وهو كلام الله ـ تبارك وتعالى ـ المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، المكتوب في المصاحف ، المنقول إلينا نقلا متواترا ليكون للناس دستورا يسيرون عليه في عقائدهم وأخلاقهم وقوانينهم وقربة يتعبدون بتلاوته ، وهو أصل الشريعة وعمدة الملة وآية الرسالة ، وضياء العقول ، وربيع القلوب ، ونور البصائر ، وهو الذي جمع أسباب السعادة كلها في الدنيا والآخرة .

● وقد اتفقت كلمة العلماء على أن القرآن الكريم هو الدليل الأول على الأحكام بل ذهب بعضهم إلى أنه هو الأصل الجامع الذي لا دليل سواه ، وأن سائر الأدلة من سنة وإجماع وقياس بيان له وتفريع عنه وراجع إليه فمتى وجد فيه الحكم الذي يبحث عنه فلا يسوغ للباحث ولا للمجتهد أن يبحث عنه في مصدر أو دليل آخر ، وإذا وجد صريح الحكـم في غيره كالسنة أو استنبط بالقياس أو استند إلى المصالح المرسلة فالقرآن دال عليه بمبادئه العامة وقواعده الكلية وروحه العام في التشريع .

ومن الواجب علينا أن نرجع في تشريعنا واستقاء أحكامنا إليه لأنه كلام الله الذي تجب طاعته وتنفيذ أحكامه (**فان تنازعتم في شئ فردوه**

إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) النساء/٥٩ ، واقرأوا قول الله تعالى في سورة آل عمران آية/١٠٣ (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**) وقوله في سورة النساء آية/١٤ (**ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين**) وقوله في سورة المائدة/٤٨ (**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق**) إلى أن قال عز وجل : (**وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**) المائدة/٤٩ ، ٥٠ ثم اتلوا قوله عز وجل في سورة الأنعام : (**أفغير الله أبتغى حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين**) الأنعام/١١٤ وقوله في السورة نفسها : (**وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**) الأنعام/١٥٣ وقوله : (**وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون**) الأنعام/١٥٥ ثم انظروا الى قوله جل شأنه في أول سورة الأعراف : (**المص . كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين . اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون**) الأعراف/١ ـ ٣ ، إذا تلوتم هذه الآيات وما يشبهها وتدبرتم معانيها فلا شك أنكم تجدونها قد تضافرت على إيجاب اتباع القرآن وتنفيذ ما جاء به من وصايا وأحكام تشريعية وأننا إن لم نفعل كنا ممن يحارب الله ويحاده ويخالفه فيما شرعه لتحقيق مصالحنا وتوفير سعادتنا ودرء المفاسد عنا ، وحينئذ يصدق فينا قوله تعالى في سورة المائدة : (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**) المائدة/٤٤ ، وقوله في ختام الآية التالية : (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون**) المائدة/٤٥ ، وقوله عز وجل بعد : (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**) المائدة/٤٧ وقوله جل شأنه في سورة المجادلة : (**إن الذين يحادون الله ورسوله**

كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين) المجادلة/٥ ، وفي مجال عاقبة الحكم بغير ما أنزل الله نقرأ قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « خمس بخمس : ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكـاة إلا حبس عنهم القطر » رواه الطبراني .

● ولقد اشتمل القرآن الكريم على كل ما تحتاج إليه الأمم في جميع العصور مما يكفل لها حياة الأمن والعزة والتمتع بأسباب العدل والمساواة ومقومات السعادة الروحية والجسمانية والمعنوية والحسية في حد وسط مجاف للافراط بعيد عن التفريط ، وهذا هو اللائق بشريعة خالدة ختم بصاحبها ــ عليه الصلاة والسلام ــ عهد النبوات ، وجاء دينه أتم الأديان وأكملها وأوفاها بحاجات البشر .

● وآيات الأحكـام ــ كما يسميها الفقهاء والمفسرون ــ ليست كثيرة في القرآن ، إذ فيه نحو ستة آلاف آية ليس فيها من الأحكام العملية من دينية ومدنية وقضائية وسياسية ما يبلغ عشر آياته ، ورأى بعضهم أنها لا تزيد على مائتين ، وعدها بعضهم خمسمائة ، عرض القرآن فيها لما شرعه ، ولأهمية آيات الأحكام وجدنا كثيرا من العلماء يعني بشرحها وبيان ما استنبطه المجتهدون منها ، ونلمس هذه العناية في بعض كتب التفسير المطولة كالتفسير الكبير للامام فخر الدين الرازي ، والجامع لأحكـــام القرآن للقرطبي ، وروح المعاني للألوسي .

● ونأتي الآن إلى بيان أنواع الأحكام التي اشتمل عليها القرآن :

١ ــ العبادات التي لا تصح إلا بالنية ، وهى التي شرعت لتنظيم رابطة الانسان بخالقه ، وهذه العبادات أقسام : **عبادة بدنية روحية** من صلاة وصوم ، **وعبادة مالية اجتماعية** وهى الزكاة وسائر أنواع الصدقات ، **وعبادة روحية بدنية مالية** كالحج والجهاد والوفاء بالنذور .

٢ ــ المعاملات التي شرعت أحكامها لتنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض ، وإقامة الروابط بين أفراد الأمة وجماعتها على أساس العدل والرحمة والتعاون والمحبة ودفع أسباب الضر والعدوان واجتلاب النفع والخير ، ويدخل في تلك المعاملات المـدنية من بيع وإجارة ورهن ، كما يندرج تحتها ما يعرف في اصطلاح تلك العصر بالأحوال الشخصية وهو ما يختص بالانسان من حين ولادته إلى حين وفاته وقسمة تركته بين ورثته : من زواج وطلاق وعدة وثبوت نسب ، ورضاع ونفقة ووصية وإرث .

٣ ــ العقوبات التي شرعت لحفظ حياة الناس وأعراضهم وأموالهم ــ من أجل ما يرتكب من الجرائم ــ

وهى عقوبات القتل والسرقة وقطع الطريق والزنا والقذف ، وهى المعروفة بالقصاص والحدود .

٤ ـ أحكام وضعت لتحديد علاقة الأمة بالحكومة وبيان حقوق الوالي على الرعية ، وحقوق الرعية على الوالي ، وهى أحكام الشورى والمساواة والعدل وطاعة أولى الأمر فيما تجب فيه الطاعة وهى المعروفة الآن بالأحكام الدستورية .

٥ ـ أحكام شرعت للجهاد ونظام الحرب والقتال وتنظيم علاقة المسلمين بغيرهم من الأمم ، وما يتبع ذلك من حكم الأسرى والفيء والغنائم وهى قريبة الشبه بما يعرف الآن بالقانون الدولي .

● ولكن ترى هل فصل القرآن ما اشتمل عليه من أحكام أم أجملها ؟ أم فصل بعضها وأجمل البعض ؟

إن المتتبع لما جاء في القرآن الكريم من أحكام يجد أنها لا تتجاوز أربعة أقسام .

١ ـ القسم الأول : هو التشريع المجمل الذي لم يبين من أحواله وصفاته إلا القليل ، ومن أمثلة ذلك معظم العبادات من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وطريقة القرآن فيها هى بيان أصولها ومجامعها وتكرار التذكير بها .

والصلاة هى أكثر ما يحث القرآن عليه من العبادات ، لأنها العبادة الروحية العليا والاجتماعية المثلى ، يقول الله تعالى : **(اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون)** العنكبوت/٤٥ ، وقد ذكر الزكاة ، قال تعالى : **(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)** التوبة/١٠٣ . وفي الصوم يقول سبحانه وتعالى : **(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)** البقرة/١٨٣ . وجعل سبحانه الحج عبادة مفروضة في العمر مرة واحدة ، واقرأ قول الله تعالى : **(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا)** آل عمران/٩٧ .

وإذا تتبعنا كل ما جاء من آيات عن العبادات وجدنا أن معظم عبادات الاسلام قد اقتصر القرآن على الحث عليها والاشارة إلى بعض أعمالها وأسرارها ومنافعها ، وكم لها من منافع روحية واجتماعية وصحية ، ولم يذكر من بيان أحوالها وصفة أعمالها إلا القليل ، لأن ذلك يؤخذ من بيان الرسول ويحفظ بالعمل ويفهم بالاقتداء ، وليس في ذكره تزكية للنفس ولا تغذية للايمان .

ـ ومن أمثلة التشريع المجمل في القرآن أيضا المعاملات المدنية وهى العقود التي يتبادل الناس بها منافعهم ، لقد عرض لها القرآن بطريقة إجمالية وقواعد كلية ، وترك تفصيلها للسنة وللمجتهدين من الأمة وذلك فيما عدا كتابة الدين المؤجل انظر في آيات القرآن الكريم تجد أن الله تعالى أمر أمرا عاما بالوفاء بالعقود ، وأنه جلت حكمته قد أباح التجارة ونهى عن أكل أموال الناس

بالباطل .. كما عرض القرآن بصفة عامة للبيع والربا فأحل الأول وحرم الثاني .

٢ ـ القسم الثاني : هو التشريع المبين بعض البيان ، وقد فصلت بعض أحواله تفصيلا ، وترك الباقي للسنة واجتهاد العلماء وأولى الأمر ، ومن أمثلة ذلك الأحكام التي شرعت للجهاد ونظام الحرب والقتال وتنظيم علاقة المسلمين بغيرهم من الأمم . اقرأ في هذا قول الله تعالى : **(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير)** الحج/٣٩ . وقوله تعالى : **(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكــم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولـهم فأولئك هم الظالمــون)** الممتحنة/٨ ، ٩ .

ـ ومن أمثلة هذا القسم أيضا ما شرعه الله تعالى لحفظ الأموال عامة وأموال الأيتام خاصة ونهينا عن إيتاء السفهاء والصغار الذين لم يرشدوا أموالهم .

٣ ـ القسم الثالث : وهو نوع من التشريع قد فصل تفصيلا لم يترك منه إلا قليل لبيان السنة واجتهاد المجتهدين لأنه متصل بأحكام ينبنى عليها درء المفاسد والآثام عن العباد وتحقيق مصالحهم العظمى وتكوين الأمة أفرادا وجماعات بحيث تتوافر لهم أسباب العزة والطمأنينة والأمن والتعاون والقوة ، فليس من شأنها التطور ولا الاختلاف باختلاف الزمن والأمم وذلك كما في الأحكام الآتية :

أولا :ـ العقوبات الدنيوية المعروفة بالقصاص والحدود وهي عقوبات فرضت على أشد الجرائم فتكــا بالأفراد والجماعات وحسبك أنها إزهاق الروح أو التعدى على العرض والمال . وما عداها من الجرائم التي هى أقل شأنا فلم يشأ القرآن أن يقيد أمة الاسلام بجزاء معين أو عقوبة خاصة بل ترك ذلك لأولى الأمر والمجتهدين يقضون فيه على حسب الأحوال والأزمان وهو ما يعرف بالتعزير في الشريعة الاسلامية . وهذه هى الجرائم التي بين القرآن الكريم أحكامها :

أ ـ القتل العمد وجزاؤه القصاص إلا أن يعفو ولى الدم أو يرضى بأخذ الدية ، يقول تعالى في سورة البقرة : **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى)** البقرة/١٧٨ .. ويقول في سورة الاسراء : **(ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا)** الأسراء/٣٣ . اما القتل الخطأ فقد بين حكمه في سورة النساء : **(ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا)** النساء/٩٢ .

ب ـ السرقة : وقد بين الله جزاءها في سورة المــــائدة ، قال تعالى :

(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم) المائدة/ ٣٨ ، ٣٩ .

جـ ـ الحرابة وقطع الطريق : فرض الله جزاءه في سورة المائدة قال : **(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ..)** المائدة/ ٣٣ .

د ـ الزنى : وجزاؤه ـ كما بينه القرآن ـ جلد الزانى مائة جلدة بدون تفصيل ، ولكن السنة وردت برجم الزانى إذا كان محصنا .

هـ ـ قذف المحصنات بالزنى : فرض القرآن على القاذف ثمانين جلدة غير أن القرآن جعل للأزواج إذا رموا زوجاتهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم نظاما خاصا هو الذي يعرف باللعان . اقرأ سورة « النور » . أما الخمر فلم ينص القرآن إلا على تحريمها وأنها رجس ، وقد قسمت المعاصى **ثلاثة أنواع :** نوع فيه الحد ولا كفارة فيه كالسرقة والزنى والقذف ، ونوع فيه الكفارة ولا حد فيه كقربان الصائم زوجته في نهار رمضان ، ونوع لا حد فيه ولا كفارة وإنما فيه التعزير كقبلة الأجنبية والخلوة بها ونحو ذلك .

ثانيا : التداين وما شرعه الله للاستيثاق في العقود والحقوق والأموال . فقد أرشدنا في آية المداينة إلى وسائل هذا الاستيثاق من الكتابة والاستشهاد وأخذ الرهان ، وليس وراءها غاية لمن يطلب الحذر ويتحرى الضمان وكفالة الحقوق في المعاملات . اقرأ قوله تعالى في سورة البقرة : **(يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه)** البقرة/ ٢٨٢ .

ثالثا : الحلال والحرام من الطعام : فصل القرآن ذلك تفصيلا في عدة آيات ، يقول تعالى في سورة البقرة : **(يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم)** البقرة/ ١٧٢ ، ويقول في سورة المائدة/ ٣ **(حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به)** وحرم القرآن من الشراب الخمر . اقرأ سورة « المائدة » .

رابعا : الأيمان : بين القرآن أنواع اليمين ، وما تجب فيه الكفارة منها . يقول تعالى في سورة البقرة : **(ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم)** البقرة/ ٢٢٤ .

خامسا : الزواج : عنى القرآن بالأسرة أعظم عناية وأقامها على دعائم من المودة والرحمة والعدل والاحسان حيث رغب القرآن في الزواج وحث عليه . اقرأ سورة « النور » ، وبين القرآن المحللات والمحرمات من النساء لقرابة أو رضاع أو مصاهرة . اقرأ سورة « النساء » . وقد أحل نساء أهل الكتاب . اقرأ « المائدة » وحرم زواج المسلم بالمشركة والمسلمة بغير المسلم . اقرأ « البقرة » .

سادسا : الطلاق : شرع القرآن نظام الطلاق والفرقة بين الزوجين كما شرع نظام الوحدة والاجتماع بينهما ، لكنه لم يشرعه عبثا ولم يبحه إذا كان فيه بغي وظلم أو وقع بغير سبب يستوجبه أو مصلحة تقتضيه ، ونصوص الكتاب الكريم وقواعده العامة التي تحرم الظلم وتمنع الأذى والضر من أقوى الدلائل على ذلك . اقرأ في هذا سورة « النساء والبقرة » .

سابعا : العدة : مما شرعه القرآن عند حصول الفرقة بين الزوجين أن تعتد المرأة ، وإنما تجب العدة إذا وقعت الفرقة بعد الدخول إلا إذا كانت بسبب الوفاة فانها تجب مطلقا وإن كانت قبل الدخول . اقرأ « البقرة » .

ثامنا : نظام التوريث : شرع القرآن للأرث نظاما عادلا محكما حرم به كثيرا من ضروب الظلم التي كانت شائعة في العرب وغيرهم من الأمم . اقرأ سورة « النساء » .

تاسعا : ما شرعه القرآن للمرأة عند خروجها مما يصونها ويبعد عنها الريبة « اقرأ الأحزاب » .

عاشرا : أخذ القرآن المؤمنين بالآداب العالية التي تحفظ للمرأة مكانتها وتجعلها بنجوة من تلاعب الرجال . اقرأ في سورة « النور » : **(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم)** النور/ ٣٠ .

٤ ــ القسم الرابع : وفي هذا القسم ترى القرآن الكريم وهو ذلك الكتاب الخالد الباقي على وجه الدهر والذي جعل دستورا للمسلمين ما بقيت السماء والأرض يذكر مقاصد كلية ويرشد إلى قواعد عامة تشريعية ليرجع إليها العلماء وأولو الأمر والمجتهدون فيستخلصوا منها أحكامهم ويستنبطوا منها آراءهم فيما لا نص فيه أو ما ليس له حكم صريح في كتاب الله ولا في سنة رسوله عليه الصلاة والسلام وذلك لأن الحوادث والوقائع الجزئية والنوازل الملمة لا يمكن حصرها لتجددها وعدم انقطاعها وحدوثها في كل عصر ، ولأنها قد تختلف أحكامها باختلاف البيئات والأمم ، فكان من عدل هذه الشريعة ورحمة الله أن تركها لمجتهدي هذه الأمة يبحثونها مستهدين بتلك الأصول القرآنية ومستلهمين تلك الروح التشريعية التي تجلت في كتاب الله وسنة رسوله . وأهم المبادئ والمقاصد التي وضعها القرآن والسنة لوجوب مراعاتها في التشريع والفتيا ووضع الأحكام يرجع إلى القواعد الآتية : تحرى الحق الشامل والعدل المطلق ، ــ المساواة في الحقوق والواجبات ، ــ إرادة اليسر ، ــ حفظ المصالح ودرء المفاسد ، ــ مراعاة العرف بشرطه ، ــ لا ضرر ولا ضرار ، ــ الضرورات تبيح المحظورات ، ــ الضرورة تقدر بقدرها ، ــ الحدود تدرأ بالشبهات ، ــ دوران المعاملات على مراعاة الفضائل واجتناب الرذائل ، وهذه القواعد العامة إن دلت على شئ فانما تدل على أن حكم الله صالح لكل زمان ومكان .

مؤتمر الشياطين

بعد نزول القرآن الكريم ونشر النبي محمد لنوره بين العالمين

للاستاذ محمد علم الدين

جن جنون الشيطان منذ أن نزل القرآن ، فدعا إبليس جميع الشياطين الى اجتماع عاجل مفاجىء على غاية من الأهمية ، وقد سبقهم الى مكان الاجتماع وهو هائج مائج ، لا يستقر على حال ، يدب ذات اليمين وذات الشمال ، ينادي بالويل والثبور ، وعظائم الأمور يحثو التراب على رأسه ويلطم خديه بيديه ، في منظر لم يألفه الشياطين من قبل ، ولما اكتمل جمعهم بدأ يقول : الويل لي ولكم ، الطامة الكبرى حلت بى وبكم ، وإن مملكتنا توشك على الأفول والزوال .

قد كان ما قد خفت ان يكونا إنـــا إلى الالـــه راجعونا

بعض الشياطين : ماذا بك ؟ أمات أحد اولادك ؟

إبليس : يا ليت عشرة بل مائة من اخبث ابنائي قد ماتوا ، وما حصل ما حصل .

إذا جاء موسى وألقـى العصا فقد بطـل السحـر والساحر

بعض الشياطين : ما لك تبهم في الكلام ،، أين موسى وقد مضى عهده ، وأين العصا ؟

إبليس : أيها البلهاء .. موسى هذا العهد هو النبي العربي محمد الأمين ، والعصا هي القرآن الكريم ، وكما أبطلت عصا موسى سحر السحرة ، فان القرآن سيبطل مكرنا وكيدنا ، ويفضح أسلحتنا وأساليبنا ، إنه يوقظ العقل ، ومتى استيقظ هذا العقل الجبار فان كل ما بنيناه في قرون في ساعات سينهار .

بعض الشياطين : لقد نزلت من قبله كتب سماوية ، فما نالت منا الا قليلا ، ولقد استطعنا أن نبعد بني آدم عنها ، حتى جاء اليهود فسبقونا وبدلوا كلام الله ..

إبليس : ذاك عهد مضى ، أما القرآن فقد ضمنه الله وأنزل فيه : **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** الحجر / ٩ وانا اعلم جيدا وعد الله ، ولا أمل في تبديل حرف من كلمات الله ، إن هذا القرآن يبدد كل تلبيس ، وفي هذا خراب مملكة إبليس ، وسأوضح لكم بعض خطوطه الرئيسية لتأخذوا الأمر بالجد وتضاعفوا الجهد ، واعلموا أن استخلاص واحد من المسلمين أشق من استهواء الألوف والملايين من غيرهم .

١ ــ لقد كشف من عداوتنا لأبي البشر آدم منذ أن كان في الجنة ، وأننا كشفنا عورة بدنه ، وعورة أخلاقه بعصيانه لربه ، ثم ستر الله جسده وجسد ذريته بالملابس وستر أخلاقهم بملابس التقوى وفهمهم ذلك في آيات من سورة الأعراف حيث يقول :

(يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون . يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) الأعراف / ٢٦ و ٢٧

احد الشياطين : كيف تكون التقوى لباسا ؟

إبليس : ان التقوى والخوف من الله ، ومراقبة الله ، تحول بين المرء ، وبين الكفر والفسوق والعصيان ، وتجعله دائم الصلة بالرحمن ، فالتقوى أحسن لباس للاخلاق تستر عيوبها وتظهر محاسنها .

إبليس ثانيا : وإن أشد ما يغيظني أن القرآن يوقظ العقول التي حشوناها بالجهل والأوهام ويأمر المسلمين بالمحافظة على عقولهم ، ويحرم عليهم الخمر والمخدرات ، وكل ما يؤذي العقل ، مما زيناه لبني آدم .

كما يأمرهم بأن تتجمع عقولهم بالشورى ، ومتى اجتمعت عقولهم ، لم يبق لنا منفذ اليهم .

٢ ــ ولقد أوضح لهم أننا نوسوس لهم ، لنفسد علاقتهم بربهم فينكروه أو يشركوا به أو يتخذوا له وسطاء وشفعاء وكل هذا كفر لا يرضى به الله ونحن الذين نرضاه ونزينه للناس .

٣ ــ وأوضح لهم بأننا نجعلهم أعداء المجتمع ، عندما نحرضهم على العدوان ، على الأنفس والأعراض والأموال ، واننا نزين لهم الشهوات ، وبخاصة التملك من الحرام وشهوة الجنس في الحرام ، وقد بين الله لهم الحلال والحرام ، بكلام لا لبس فيه ولا إبهام وطلب منهم الاكتفاء بالحلال ووعدهم إن فعلوا بالثواب الكبير وقال لهم : **(إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)** الزمر / ١٠ .

٤ ــ ولقد أكثر من ذكر الشيطان وذرية الشيطان واعوان الشيطان في كل مكان من

القرآن حتى لم يبق مسلم لا يعرف أن أعداءه هم الشياطين واليهود ، وكما قال : (**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا**) فاطر /٦ وقال : (**الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا**)البقرة / ٢٦٨ . وقال : (**إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**) المائدة / ٩١ . وقال : (**لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا**) المائدة / ٨٢ .

٥ ــ ولقد جرأهم علينا عندما افهمهم ان كيدنا ضعيف ، وان الحق اقوى منا ، وان احدهم ليستطيع ان يصرفنا بكلمة يقولها : (**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**)

٦ ــ وعرفهم كيف يرتبطون بربهم باستمرار بالصلاة والدعاء ، حتى لا ننفذ اليهم .

٧ ــ ولست ادري كيف سنواصل مهمتنا ، وما نفسده ، يصلحه الاسلام وما نهدمه يبنيه الاسلام .

أحد أعوان إبليس ــ هل جربت تأثير القرآن في المسلمين ؟

إبليس : لقد أتيت لهم عن يمينهم وشمالهم ، ومن امامهم وخلفهم ، فما سمعوا لوساوسى بل كانوا يبرزون لي الآيات تلو الآيات ، وكل آية كالمصباح يضي الظلام :

أ ــ إذا زينت لأحدهم المال الحرام بالسرقة والربا والرشوة ... أبرز لي قول الله : (**قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولى الألباب**) المائدة / ١٠٠ (**كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان**) البقرة / ١٦٨

ب ــ إذا حرضتهم على البخل وشجعتهم على المعصية أبرزوا لي : (**الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا**) البقرة ٢٦٨ .

ج ــ إذا زينت لأحدهم مفاتن المرأة غض بصره وابرز لي : (**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون**) النور / ٣٠

د ــ إذا زينت للمرأة أن تبدي مفاتنها أبرزت لي قول الله تعالى : (**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن**) النور / ٣١

هـ ــ إذا وسوست لهم مشيعا سوء الظن بينهم لتضيع الثقة والتعاون من بينهم أبرزوا لي : (**يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم**) الحجرات / ١٢ .

و ــ إذا زينت لأحدهم الكبر والتعالي والسخرية من الناس ابرز لي :(**لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن**) الحجرات / ١١ ولعمري إذا لم يكن لنا تأثير بالكبر والمال والشهوات واثارة العداوة وسوء الظن فماذا عسى أن يبقى لنا ...؟

ز ــ تصوروا ... أن الله يرحمهم اذا تابوا من المعاصي ويغفر لهم الذنوب جميعا ، أي أن ما نتعب فيه سنين يضيع في لحظة ، يتصل فيها المرء بربه يستغفره فيغفر له ، ما لم تحضره الوفاة ..!!

ح ــ تصوروا .. أنني وأنا في أوج الانتصار ، كنت قد اعددت خطبة في نفسي أقولها لبنى آدم عندما ندخل جميعا النار وتغلق علينا أبوابها شماتة فيهم ، فوجدت هذه الخطبة التي لم أنطق بهاء بنصها في سورة ابراهيم ...!!

أحد الشياطين : كيف كان ذلك وماذا كنت ستقول ؟

إبليس : سأقول لهم : (**إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم**) ابراهيم / ٢٢ هكذا ترجم خطبتي رب العالمين أشيروا علي أيها الأبالسة ، كيف ننجو من هذه الكارثة ؟

الشياطين : وما نفعل إزاء هذا الحشد الهائل من الأسلحة للمؤمنين ، ونحن كما تعلم كيدنا ضعيف وأنت أكثرنا دهاء ومكرا ، سلحنا بما لديك من خبث ودهاء .

إبليس : إنني منذ أن نزل القرآن ورأيت أثره القوي في بني الانسان ، ورأيت أنه حول أشد المشركين وطأة على المسلمين الى رجل اشد الناس وطأة على الكافرين كعمر بن الخطاب الذي كان بمفرده بعد الاسلام يعتبر جيشا من جيوش الرحمن .

من ذلك الوقت وأنا أفكر وأقدر ، وقد هداني فكري الشرير الى الخطوات الآتية :

ــ إن مشكلتنا هي، أن القرآن نور والعقل مصباح، ومتى اتصل النور بالمصباح أضاء لصاحبه وجعله يمشي على الصراط المستقيم ، والحل يكمن فيما يأتي :

أولا : إبعاد النور عن المصباح وذلك بما يأتي :

أ ــ إفهام المسلمين الجدد أن القرآن ألغاز وطلاسم ، وأنه صعب على الأفهام .

ب ــ إفهامهم أن القرآن يكفي أن يكون في المنزل كحجاب ، أو يعلق على الصدر تميمة تمنع الحسد .

ج ــ إفهامهم أنه يكفي أن يقرأ في المآتم وعلى القبور

ثانيا : إلقاء الظلال القاتمة على مفاهيم القرآن مثل :

أ ــ نقل التواضع الى الضعة والمهانة والذلة والرضا بالدون

ب ــ نقل التوكل على الله الى التواكل ، والقعود عن السعي على الرزق لان الرزق مقسوم .

ج ــ نقل الزهد في الدنيا بعد امتلاكها وإنفاق المال في سبيل الله ــ الى الزهد فيها

قبل امتلاكها اعتمادا على أن الدنيا للكفار والآخرة للمسلمين ..

ثالثا : إثارة الخلاف والعصبيات بين المسلمين ليتفرقوا بعدة طرق ..

أ ـ اثارة الخلافات المذهبية والتعصب للمذاهب ، حتى يصير المسلمون شيعا وأحزابا .

ب ـ اثارة العصبية للقوميات التي دخلت الاسلام حتى تتفكك وحدة المسلمين .

ج ـ اثارة التعصب الديني لضرب المسلمين بعضهم ببعض وهم جميعا باليهود .

د ـ الاستعانة بأشد الناس عداوة للمؤمنين وهم اليهود .

رابعا : إفساد العقول السليمة والفطرة السليمة بالمذاهب الهدامة وتيارات الالحاد والتشكيك ونشر التعارض بين العلم والدين ، وإظهار أن الدين كله قيود وحرمان ، وحد من الانطلاق وأنه من أسباب التخلف ، حتى يترك الناس الدين ، ويسيروا في ركب العلم المادي منحلين .

خامسا : زينوا لهم قراءة القرآن بنغمات الأغاني ـ حتى ينسى السامعون المعاني ، ويطربوا للنغمات ، ولا يفهموا معاني الآيات ، ويستخفهم الطرب فيكثرون من الآهات والتكبيرات .

ـ نحن الشياطين يجب أن ننشر الخيال في العالمين ، والفساد والحرب في الشرق والغرب بين الناس أجمعين ، هذه هي مهمتنا ولها نحيا إلى يوم الدين .

ـ لا تنسوا أن قوة المسلمين في فهم القرآن ، وإذا بعدوا عن فهمه صاروا أطوع لنا من البنان .

ـ إن كل ما في القرآن الكريم يعمل ضدنا على خط مستقيم وإن فيه آية واحدة لو عمل بها المسلمون ما كان لنا وجود ..

أحد الشياطين : وما هي هذه الآية ؟

إبليس : هي قول الله تعالى : **(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون . وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم)** النحل / ٩٠ و ٩١ وهل نحن في الأرض الا لنؤدي رسالة الظلم والاساءة والعدوان وقطع الأرحام ونقض العهود وارتكاب الفواحش والمنكرات ..!

وإن الله ـ رحمة بالمسلمين ـ يخوفهم بالنار وما فيها من عذاب أليم بألفاظ مرعبة حتى يبعدوا عنها فلا يقعوا فيها كأن يقول لهم : **(فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم.يصهر به ما في بطونهم والجلود . ولهم مقامع من حديد)** الحج / ١٩ ـ ٢١ .

(إن شجرة الزقوم . طعام الأثيم . كالمهل يغلي في البطون.كغلي الحميم) الدخان / ٤٣ ـ ٤٦

واختتم إبليس المؤتمر بقوله : اشحذوا أسلحتكم ، وابذلوا جهودكم ، وانتشروا في أنحاء الارض . وانشروا فيها الفساد بالطول والعرض ، والى لقاء قريب وأرى فيه مجهودكم وقد فتحت سبل الشر أمامكم .

الفتاوى

للدكتور
محمد سلام مدكور

○ **من السيد حسام الشكيري من السودان عدة أسئلة هي :**

طلب العفو لله ورسوله

المفهوم أن المتكلم يطلب من زميله العفو عنه والتنازل عن حقه قبله بالنسبة لما أصابه من أذى ليغفر الله له إيذاءه لهذا الرجل .. وأنه يتوسل بالرسول عليه السلام .

والوسيلة : هى ما يقرب إلى الله ويوصل العبد إلى رضاه ، والوسيلة بهذا المعنى فرض على كل مسلم وقد أمر الله بها ، بهذا الاعتبار في قوله : **(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) .**

وقد يراد بالتوسل دعاء الرسول وشفاعته في الدنيا وهذا لم ينكره أحد من المسلمين ، وأما شفاعته يوم القيامة فمذهب أهل السنة . وأن الذي ينتفع بشفاعته هم المؤمنون دون أهل الشرك .

وقد جاء في الحديث الذي رواه ابن أبي شيبة والطبراني عن ابن عباس بسند حسن أن الرسول قال : « سلوا الله لي الوسيلة فانه لا يسألها لي عبد في الدنيا إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة » فيض القدير جـ ٤ ــ ص١٠٩

وقد يراد بالتوسل به الاقسام على الله بذاته والسؤال بذاته .. وهذا إذا كان بعد مماته فقد نهى عنه كثير من الفقهاء منهم الحنفية وهو أحد قولين في مذهب كل من الشافعي وأحمد . أما في حياته فهو مشروع لأنه من قبيل الدعاء ومنه حديث الرجل الضرير الذي رواه الترمذي وقال إنه حسن صحيح والذي جاء فيه : « اللهم إني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة . يارسول الله يا محمدا إني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضي » .

فالتوسل به حيا من جنس مسألته ان يدعو لهم وهذا مشروع . أما بعد موته فلم يكن أحد من الصحابة يفعله ، ولا يلزم من جواز ذلك في حياته جوازه بعد مماته . كما يرويه ابن تيمية في كتابه « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » .

وأخيرا فلعل الرجل الذي أراد الاعتذار للآخر وطلب منه العفو إنما يسأله بحق إيمانه بالله ورسوله ، وهذا معنى صحيح ومشروع ، والله أعلم بالمقاصد والنوايا والعبرة بالنية

الأصل في دور السينما أنها تعرض قصة تاريخية أو علمية أو عاطفية مصورة

مرئية فالانسان فيها إذا ما كان موضوع الفيلم المعروض جادا خاليا من اللقطات المثيرة والتي تخدش الحياء والفضيلة ، وإذا كان قصده من دخولها الاستمتاع بالثقافة والمعرفة والتعلم . فانه يضم بهذا معلومات جديدة إلى معلوماته ويستفيد معرفة . والعلم والمعرفة مطلوب شرعا التزود به والحصول عليه بل والسعي إليه .

أما بالنسبة للأفلام الخليعة التي تثير الغريزة الجنسية وتضعف القيم الخلقية وتبعد عن الفضيلة أو تبعد الانسان عن عبادة الله على الوجه الصحيح . وإذا كان دخول السينما يترتب عليه التقصير في أداء العبادة في وقتها بأن كان وقت عرض الفيلم يترتب على تتبعه ضياع وقت أداء الصلاة فانها تكون محظورة من هذه الناحية . فالأصل فيها المشروعية وإنما العبرة بالموضوع المعروض للتفرج عليه ومشاهدته ووقت العرض ، وما يحاط بدخول السينما من اختلاط وما قد يصاحب ذلك من مفاسد . فان كان الموضوع المعروض يعالج مشكلة اجتماعية أو يعرض معلومات تاريخية أو نحو ذلك مما يعود على المشاهدين بالفائدة دون أن يحاط العرض وجو المشاهدة بأي انحراف أو خروج على القيم أو إيذاء للشعور فانه يكون عملا مشروعا ، أما إذا لم يكن كذلك فهو ممنوع ، لما فيه من رذيلة ، أو لما يؤدي إليه من الوقوع فيها ..

سماع الموسيقى ...

الانسان عاطفي بخلقه وطبعه ، والشرائع السماوية لا تقتل في الانسان غرائزه ، ولا تميت فيه عواطفه وإنما مهمتها في هذه الناحية كبح الجماح والحد من الاندفاع الذي يخرج الانسان عن الحد اللائق المشروع والذي يوقعه في الفساد والآثام ويلهيه عن الخلق القويم وتنفيذ أوامر الدين والسير في الطريق المستقيم .

فالشريعة الاسلامية بل والشرائع عامة توجه الانسان في مقتضيات الغريزة والعاطفة الى الحد الوسط الذي يؤمن معه جانب الشر . فاذا مال إنسان الى الاستماع بأنغام الموسيقى أو مال الى تعلمها دون أن يصرفه ذلك عن واجباته الدينية أو يؤدي به الى انحراف ، فانه أمر مشروع يؤدي به الانسان للعاطفة حقها سائرا بها في الطريق السوى . فان الموسيقى في الجو السليم الخالي من الآثام أو الاثارة من شأنها أن ترقق الشعور وترهف الحس .

فالاستماع إلى أنغام الموسيقى على هذا الوجه مباح ومشروع أخذا مما روته السنة من أن الرسول صلوات الله عليه مر على قوم يضربون بالدف ويعزفون الموسيقى ويرددون الأغاني لمناسبة عرس . وكان في صحبته عمر . فلما أراد عمر منعهم قال الرسول صلوات الله عليه : دعهم فان هذا يفرق بين النكاح والسفاح . وقد نقل عن كثير من الصحابة والتابعين وأئمة الفقه أنهم كانوا يسمعون الموسيقى ويحضرون مجالس السماع البريئة البعيدة عن المجون . فالموسيقى لا تحرم لذاتها وباعتبار أنها أنغام وأصوات جميلة وإنما قد يعتريها التحريم بما يصاحبها من صخب وفجور أو باتخاذها وسيلة لشئ من ذلك .



مع الشباب

الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .

ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .

ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

أجهزة الاعلام والأسرة المسلمة

في رسالة للشباب من الأخ احمد عبدالمقصود عجيلة تحدث فيها عن الأضرار التي تلحق الأسرة المسلمة من عدم التزام اجهزة الاعلام بالأخلاق الاسلامية الفاضلة .

مع تلك الرسالة التي يقول فيها :

إن أخطر ما يواجه الأسرة المسلمة اليوم تلك المحاولات الخبيثة التي تعمل بكل طاقتها لهدمها وسلخها وإبعادها عن الطريق المستقيم – وهو طريق الاسلام الحنيف .. وان قادة هذه المحاولات الهدامة يركزون جهدهم على المرأة المسلمة بالذات لأن المرأة نصف المجتمع وعليها قوام الأسرة فالمجتمع يتكون من أسر فاذا تحللت الأسرة تحلل المجتمع كله من أجل ذلك حرص اعداء الاسلام على دفع أفكارهم المسمومة من خلال ما يقدمونه في الاذاعة والتلفاز من المسلسلات الماجنة والأغاني الخليعة والتمثيليات الهزيلة، وآخر تقاليع الأزياء الفاضحة ، وغير ذلك من الدعاوي التي تتعارض مع قيم إسلامنا وعقائدنا الاسلامية الراسخة التي تقوم على حماية العرض والكرامة والفضيلة .

وللأسف الشديد .. من أجل الموضة والتطور فتح الكثيرون أبوابهم للمفاهيم الغربية المزيفة والجري وراء التقليد الأعمى .

يامسلمون انتبهوا ..

إنها مؤامرة صريحة تهدف في النهاية إلى تغيير القيم الاسلامية المتبقية لدى الأسرة والمجتمع وخلق طوابع جديدة من الاباحية والتحلل لا قدر الله ..

وظيفة المرأة

حول عمل المرأة الذي يحفظ عليها كرامتها ويحفظ للأسرة المسلمة تماسكها .

ويحفظ على الجيل الناشئ حسن النمو وسلامة التربية وقوة البدن وتماسك الأخلاق .

حول هذه المعاني كانت الكلمة التي أرسلها الأخ حسن عبدالفتاح كتكت من الأردن للشباب يقول فيها :

قال تعالى : **(وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) .**
أمر الله سبحانه وتعالى المرأة بلزوم بيتها ولا تخرج منه إلا في حالات الضرورة القصوى وفي أضيق الحدود كالجهاد في سبيل الله لاسعاف جرحى المجاهدين وفي حالات قلة عدد الرجال المحاربين فقط .

إن تكوين المرأة الفسيولوجي يحتم عليها لزوم بيتها لادارته وتربية الصغار تربية صحيحة .
وخروج المرأة من بيتها انسلاخ عن مناهج الفطرة ، وفي ذلك يقول "توينبي" المؤرخ والمفكر البريطاني الشهير :
تحت عنوان درس من التاريخ للانسان المعاصر :

لقد فشلت جميع جهودنا لحل مشكلاتنا بوسائل مادية بحتة واصبحت مشروعاتنا الجريئة موضع سخرية ! إننا ندعي أننا خطونا خطوات كبيرة في استخدام الآلات وتوفير الأيدي العاملة ولكن إحدى النتائج الغريبة لهذا التقدم تحميل المرأة فوق طاقتها من العمل وهذا ما لم نشهده من قبل فالزوجات في امريكا لا يستطعن ان ينصرفن إلى أعمال البيت كما يجب .
« إن امرأة اليوم لها عملان : العمل الأول من حيث هي أم وزوجة ، والثاني من حيث هي عاملة في المصانع والادارات ، وقد كانت المرأة الانجليزية تقوم بهذا العمل الثنائي فلم نؤمل الخير من وراء عملها المرهق ، إذ أثبت التاريخ ان عصور الانحطاط هي تلك العصور التي تركت فيها المرأة بيتها » .
وفي القرن الخامس قبل الميلاد حين وصلت اليونان إلى أوج حضارتها كانت المرأة منصرفة إلى عملها في البيت ، وبعد مجيء الاسكندر الكبير وسقوط دولة اليونان كانت هناك حركة نسوية شبيهة بالحركة التي نشهدها اليوم !
لقد نسوا الله (والكلام لتوينبي) حين وضعوا حلولا لمعالجة الامراض الاجتماعية انتهت بالأمم الى علل مستعصية ومآس كبيرة .



بأقلام القراء

جاءنا من الدكتورمحمد احمد العزب مقالة تحت عنوان (الفكر المسلم في مواجهة التحديات) نقتطف منها ما يلي :

حين يواجه الفكر المسلم بنوعية من التحديات المعاصرة ، فانه لا يجفل أمام ذلك ولا يرتعش ـ لأن تاريخ هذا الفكر مليء بأمثال هذه التحديات من جهة ، ولأنه دائما يمتلك الاقتدار البطولي على مواجهة هذه التحديات من جهة أخرى .. فاذا تشوش الحس الديني المعاصر ، فخلط أو خبط ، أو عاند أو تمرد أو شك أو ألحد . فان الاسلام لا يضيق بذلك ولا يرفض منطق الحوار معه ، لأن القيمة النهائية لأي دين صوابي تكمن في اقتداره الموصول على العطاء والتصويب ، وفي قابليته الدائمة لفتح مزيد من النوافذ في مواجهة مزيد من الحوائط ، وإشعاع مزيد من الضوء في مواجهة مزيد من الظلام .

هذه الوضعية الفكرية المسلمة ، هي التي يمكن أن تسلح الانسان المسلم بالاطمئنان اليقيني الباسم ، وهو يستمع الى تساؤلات كثير من مثقفي هذا العصر ، والذين يتعاظمهم في أحيان كثيرة أن يتحدثوا بها . مما قد يجر إلى إحباط نفسي ممزق ، او قنوط عقلي مترع باليباس والالتباس !!

قد يتحدد السؤال باترا وفاجعا إلى هذا الحد : هل الكون مخلوق لذاته ؟ أم أنه مخلوق لله ؟ وإذا كان مخلوقا لله فمن خلق الله ؟

وقد تتحدد الاجابة هادئة وعاقلة بحجم إيمانها العقائدي بصوابية كل ما تؤمن به من مقولات ، على هذا النحو :

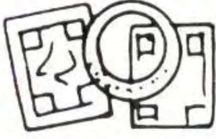
أما أن الكون قد خلق نفسه فذلك محال حتى من الوجهةالافتراضية ، لأن الكون مادة بلا عقل ، فكيف يتأتى لغير العاقل ان يبدع هذا الكون المليء بأحكام النظامات ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون .. لا الأرض تميد من تحت أقدامنا فنهلك ولا السماء تخر على رؤوسنا فنبيد .. لا التربة الخصيبة التي نلقي فيها ببذورنا الحية تخطىء فيصبح العنب فيها وردا ، أو يصبح الصفصاف فيها برتقالا .. ولا الانسان الذي هو كائن حي يصير حيوانا ، ولا الحيوان الذي هو كائن حي يصير انسانا .. أليس في هذا النظام الصارم المحكم ما يؤكد عدم صدوره عن مادة بلا عقل أو عن مجرد سديم بلا تفكير ؟؟ أليس وجودنا نحن (كآدميين) على هذا الكوكب الأرضي ينفي أن تكون المادة هي خالقة هذا الكون ، وهل في استطاعة (غير العاقل) الذي هو المادة أن يخلق (العاقل) الذي هو الانسان ؟؟ إننا أمام حتمية أن

الكون أعجز من أن يخلق ذاته ، وأن المادة أعجز من أن تبدع نفسها ، : ولا بد من عقل كلي شامل يستطيع هذا الخلق ، ويقدر بارادة ذاتية على تصميم هذا الابداع العظيم . وإذا سلمنا بحتمية أن الكون عاجز عن إيجاد نفسه ، وبحتمية أن يكون هناك موجد آخر تتحقق فيه شروط العقل والارادة وحرية التفكير والتدبير .. فلا بد أن يكون هذا الموجود موجودا وجودا ذاتيا منزها عن الضرورة والحدوث لأن أصل الوجود ينبغي أن يكون هو الوجود وليس العدم ، فالعدم قوة سالبة لا تنتج غير العدم ، بمعنى أن الكون لو كان من غير خالق أزلي أبدي لكان عدما قبل أن يوجد ولو كان عدما قبل أن يوجد فكيف وجد ؟ لا بد إذن من قوة وجودية أزلية سابقة لأنه محال ـ حتى من الوجهة العقلية الخالصة ـ أن يكون العدم أصل الوجود .. لأن العدم صفر .. ومجموع الأصفار صفر في النهاية ، وهذا الكون الذي نحياه ليس صفرا ، إنه قوة موجودة وطاقات فاعلة وحلول نعيشه ونراه بالفعل مما يؤكد انه نتيجة وجود سابق عليه وليس نتيجة عدم أو فراغ حتى من الوجهة اللغوية ، لا يمكن أن نتصور وجود مصطلح العدم إلا اذا كان هذا العدم قد أتى على (موجود) فأعدمه ، وإذن فالوجود هنا سابق على العدم .. قد يقال :

إن هذا الدليل نفسه ينقض ذاته بذاته لأن مصطلح الوجود ، هو الآخر لا يمكن أن يتصور وجوده إلا إذا بارح منطقة العدم فوجد .. ولكن هذه المصادرة المنطقية تنسى حقيقة ثابتة ، وهي أن المادة تصير ولا تفنى ، أي أنها موجودة بالضرورة بالنسبة إلينا نحن على الأقل وجودا فعليا قد تعتريه الصيرورة فيستحيل من خلق الى خلق ، ومن هوية الى هوية ، ولكنها كانت على الدوام موجودة منذ كان الكون ، وهذا يؤكد قضية الوجود السابق في وجوده على العدم ، وإن كان هذا الوجود القبلي السابق محكوما كغيره من الوجودات بالصيرورة والتحول ، ليظل وجودا أدنى في وجوده من وجود الخالق الأزلي الذي لا يتحول ولا يتحور ولا يصير ، هذا الوجود الأولى هو وجود الله الواحد .. الواحد الذي هو أصل العدد .. فقبله لا شيء .. وبعده تجيء كل الأشياء ..

الواحد الذي هو قوة عددية إيجابية .. إن الواحد حين يوجد ـ حتى في العملية الحسابية ـ يصبح الناتج عمليات بلا حصر .. الواحد هو الله ، والناتج هو الكون ، والانسان ، والحياة ، وما بعد الحياة .. ولكن الواحد هنا موصوف (بالأحدية) التي لا تقبل الجمع في ذاتها ، وإن كانت تعطي معطيات وجودية مخلوقة لها بلا حدود .

من هنا يتأكد أننا ثمرة وجود إلهي بالضرورة ، وأننا من خلال الحوار العقلي يمكن أن نصل الى يقين رياضي بأن الله موجود لأن أصل الاشياء ينبغي ان يكون وجودا وليس عدما ..



بريد الوعي الإسلامي

تدوين السنة

هل دونت السنة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو دون بعضها أو لم تدون إلا في عهد عمر بن العزيز ؟

حسين محمد حسين ـ الكويت

أولا : السنة هي الأقوال والأفعال والاقرارات من الرسول التي تلقاها الصحابة رضي الله عنهم مع القرآن الكريم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشاركوا في تطبيقها واتباعها حتى نقلوها للمسلمين بيضاء ناصعة نقية من كل شائبة .

والسنة شملت كل أمور المسلمين من عقائد وعبادات ومناسك وبيوع ومعاملات و تفسير للقرآن الكريم .

ولما كان للسنة هذه المكانة عند المسلمين لأنها المصدر الثاني للتشريع كان الصحابة رضي الله عنهم يتسابقون لمجلس الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكيف لا وهم مدرسة سيد الخلق والصفوة من الناس .

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : « كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوما وأنزل يوما فاذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل فعل مثل ذلك » .

ولقد انتشرت السنة والدليل على ذلك أن الصحابة منذ اللحظة الأولى للدعوة يتلقون القرآن الكريم ويتعلمون الأحكام من الرسول صلى الله عليه وسلم وفي بداية الأمر نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء غير القرآن الكريم ، روى ابو سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه » .

وقد علل علماء الحديث هذا النهي عن الكتابة للسنة من الرسول صلى الله عليه وسلم أن الرسول كان يخشى على المسلمين أن ينشغلوا بالسنة عن القرآن الكريم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نكتب الأحاديث فقال « ما هذا الذي تكتبون ؟ قلنا احاديث نسمعها منك قال « كتاب غير كتاب الله أتدرون ؟ ما ضل الأمم قبلكم إلا بما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى » وهذا الحديث يؤكد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على القرآن الكريم وعدم كتابة غيره فان ضلال الأمم السابقة جاء عن هذا الطريق .

فلما حفظ الصحابة القرآن وذاع وانتشر سمح الرسول صلى الله عليه وسلم بالكتابة للسنة ودليلنا على ذلك ما روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال كنت اكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا تكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والرسول صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأوما بأصبعه إلى فيه وقال : « اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق » .

ويقول أبو هريرة رضي الله عنه « ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثا عنه مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب » .

ويروي أبو هريرة رضي الله عنه أنه لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قام الرسول صلى الله عليه وسلم وخطب في الناس فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال يارسول الله اكتبوا لي فقال اكتبوا له » .

كما يروي ابن عباس رضي الله عنهما فيقول لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال:« إيتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده » قال عمر إن النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا فاختلفوا وكثر اللغط قال « قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع » وطبعا كان ما يمليه سنة .

يتضح من ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم أباح الكتابة للسنة بل وأمر بها يؤخذ هذا من تلك الأدلة الصحيحة التي أوردتها كتب السنة التي تثبت أن النهي كان مخافة أن ينشغل المسلمون بغير القرآن الكريم فلما تمكن القرآن من النفوس وحفظه الصحابة ، وأصبح لا يختلط بالسنة زال سبب المنع .

وليس هناك مانع عند العلماء من نسخ السنة بالسنة والقول بأن حديث النهي قد نسخته أحاديث الاباحة أخذ به كثير من العلماء منهم ابن قتيبة الذي فهم من النهي معنيين فقال : « احدهما أن يكون في منسوخ السنة بالسنة كأنه نهى في أول الأمر ان يكتب قوله ثم رأى بعد لما علم أن السنن تكثر وتفوت الحفظ أن تكتب وتقيد » .

وأيضا كان الخوف من أن يكتب القرآن الكريم والحديث في صفحة واحدة لأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتلقون مع القرآن الكريم تأويل الآية ويخشى أن يكتبوا التفسير الذي كانوا يسمعونه فكان النهي خوف عدم الفصل بين القرآن وتفسيره وهو من السنة لأنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويمكن أن يكون النهي ـ كما قال علماء السنة ـ عن الكتابة للذين لا يستطيعون التمييز بين القرآن والسنة ، والاباحة للذين يستطيعون التمييز .

على هذا نستطيع أن نقول : إن النهي في صدر الاسلام لم يكن عاما وأيضا لم تكن الاباحة عامة .

هذا وقد دون في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير بأمره أو علمه دون نهي ، من ذلك ما دون في السنة الأولى للهجرة كتاب نص فيه على حقوق المسلمين المهاجرين والأنصار وأهل يثرب من غير الأنصار واليهود .

وأيضا الصحيفة الصادقة وقد كانت من تدوين عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وتحتوي تلك الصحيفة على ألف حديث ، وصحيفة جابر بن عبدالله الأنصاري ، وكتب عبدالله بن عمر في الحديث كما أكد رواة الحديث ذلك ، وهناك صحف أخرى لعدد من الصحابة الكرام .

ولكن ذلك كان نابعا من حرص الصحابة على السنة بعد أن دون القرآن وحفظ في الصحف والصدور واطمأن المسلمون عليه حتى جاء عصر الخليفة عمر بن عبدالعزيز فكتب بنفسه الحديث وشجع على كتابته واهتم ايضا العلماء في هذا العصر بالسنة وخصوصا بعد ما ظهر الوضع نتيجة الخلافات السياسية والمذهبية .

وكان أن أمر الخليفة عمر بن عبدالعزيز بتدوين السنة وتنقيتها من الدخيل فقد أرسل إلى الآفاق قائلا : « انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه » وإلى علماء المدينة « انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبوه فاني خفت دروس العلم وذهاب أهله » ولكن أمره هذا لم يكن خاصا بل كان لكل الأمصار الاسلامية لحرصه الشديد على السنة رغم قصر مدة خلافته وفي تلك الفترة القليلة من حكمه قدم الكثير على المستوى الرسمي بعد أن كان التدوين على المستوى الفردي من الصحابة الكرام والتابعين بالاضافة إلى أن عمر بن عبدالعزيز كان عالما بالسنة عارفا بها فرضى الله عنه بقدر ما قدم للاسلام والمسلمين .

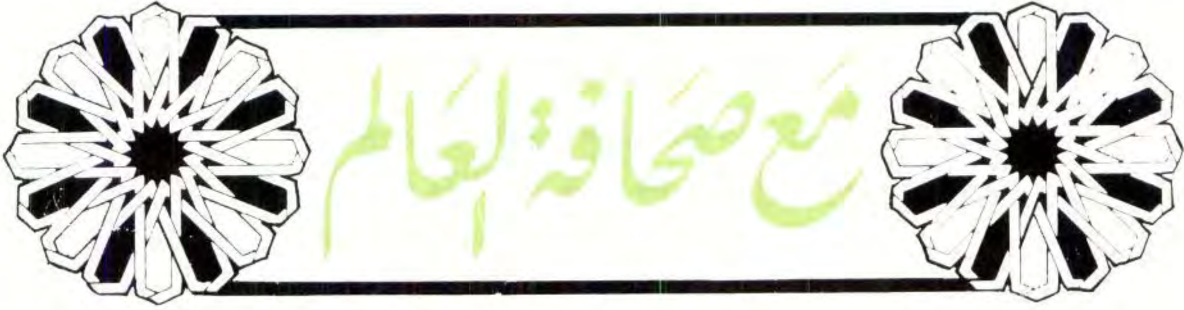
تلك أقوال العلماء حول النهي عن الكتابة للسنة الذي كان في صدر الاسلام خوف الانشغال بغير القرآن الكريم .

وحول الاباحة التي أمر بها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن انتشر القرآن الكريم وكثر حفاظه وكاتبوه وذلك بلا شك هو المعول عليه وانظروا إذا لم تدون السنة فكيف يكون حالنا دون سنة رسولنا الكريم وهي التي أكدت وشرحت ووضحت وفصلت ما جاء في كتاب الله سبحانه ولله در هؤلاء العلماء الذين بذلوا مجهودا فائقا عظيما يستحق منا التقدير والاحترام .

فهل بعد هذا الجهد الجبار في الحفاظ على السنة الشريفة يمكن أن يقال إن السنة لم يسلم طريق الوصول إليها صحيحة بعد أن ثبت من خلال المتابعة والاستقراء عظمة الطريقة التي اتبعت في التسجيل والتدوين للسنة سواء كان ذلك في الصدر الأول للاسلام بالشكل الفردي أم في عصر الخليفة عمر بن عبدالعزيز بشكل رسمي ، وإن الدارس لعلم الاسناد ليرى بشكل لا يرقى إليه شك تلك القدرة الهائلة والاخلاص الفريد في خدمة السنة الشريفة حتى استطاعوا الوصول الى الكثير منها صحيحة ودرأوا عنها الدخيل الباطل ووضعوا قواعد البحث والتدوين والاستنباط بأدق التفاصيل والقواعد أما الجرأة على السنة فلا دافع لها إلا الضلال والانحراف عن الجادة رغم وضوح السبيل وسلامة الوصول إليه .

قال تعالى : **(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)** .





وفد معهد الدراسات الاسلامية بجاوا الوسطى ـ اندونيسيا

لقاء أجرته ادارة الشئون الاسلامية بالوزارة

زار الكويت وفد من مؤسسة معهد الدراسات الاسلامية من جاوا الوسطى في اندونيسيا وقد تكون من الاستاذ احمد علي سنكر رئيس المؤسسة والاستاذ محمد احمد النبهان امين صندوق المؤسسة ، وقد قابل الوفد السيد وزير الاوقاف والشئون الاسلامية وقد كانت هذه الزيارة الثانية للكويت باسم المؤسسة وقد كانت الزيارة الاولى ١٩٧٨م ، وذكر السيد رئيس مؤسسة معهد الدراسات الاسلامية ان الغرض من هذه الزيارة هو مشروع بناء مسجد وانشاء فصول خاصة بروضة الأطفال والمرحلة الابتدائية والمتوسطة ومدارس خاصة بالمرحلة الثانوية وهو مشروع اسلامي لتدعيم الثقافة الاسلامية في اندونيسيا .
وهناك نشاط اسلامي تشرف عليه مؤسسة معهد الدراسات الاسلامية فقد أسست سنة ١٩٧٧م وهدفها انشاء مدارس اسلامية لتخريج الدعاة ونشر الوعي الاسلامي لدى المسلمين والمواطنين في اندونيسيا ، حيث أن المدينة التي تقع فيها المؤسسة يكثر فيها المسيحيون إذ تصل نسبتهم إلى ٣٠٪ بالنسبة لعدد السكان من المسلمين .

ويقول الاستاذ احمد علي سنكر رئيس مؤسسة معهد الدراسات الاسلامية إننا نشكر المسئولين في وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت لاهتمامهم البالغ بالقضايا الاسلامية في العالم بصفة عامة ، وباخوانهم المسلمين في اندونيسيا بصفة خاصة ، فقد شجعونا على مواصلة كفاحنا لاعلاء كلمة الله .

ونود أن نشير أخيرا الى ان معهدنا بحاجة إلى منح دراسية لأبنائه ليتمكنوا من مواصلة دراساتهم في الدول العربية ، كما أن معهدنا بحاجة ماسة إلى الكتب والمراجع الاسلامية وكتب اللغة العربية والتاريخ الاسلامي .

حول التسعير في الاسلام

مجلة البحوث الاسلامية السعودية مجلة جامعة تقدم بجهد عظيم موضوعات مدروسة لتوضيح وبيان رأي الاسلام فيما يجد من مشكلات وتضع أمام القارئ المتعطش للابحاث الاسلامية بحوثا تواكب بها مسيرة المسلم وتعضد قواه التعبدية لما انزل الله لأن الكلمة المقروءة من مراتب الجهاد اذ فيها البحث عن الحقيقة .

والصحافة الاسلامية من أجدى الاسلحة وامضاها في بلوغ هذه الغاية ومجلة البحوث الاسلامية ضمن هذه المسيرة تهتدي بالقرآن الكريم والسنة المطهرة ، يشرف عليها ويساهم في تحريرها علماء أفاضل .

وقد نشرت في عددها الرابع الذي وصلنا مؤخرا بحثا عن التسعير نقتطف منه ما يلي :ـ

إن القول بالتسعير وإلزام التجار بالبيع بثمن المثل عند تجاوزهم الأسعار ـ التي تحقق لهم ربحا معقولا ـ وظهور بوادر الجشع والاستغلال لهو الرأي المختار الذي يجب العمل به والمصير إليه ، وذلك لقوة أدلته وسلامته من الرد ، ولما فيه من تحقيق مصالح الأمة ودفع الضرر عن الناس .

وقد استدل أصحاب هذا الرأي بما يلي :

أولا :

قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أعتق شركا له في عبدٍ وكان له من المال ما يبلغ ثمن العبد قوم عليه قيمة عدل لا وكس ولا شطط ، فأعطى شركاءه حصصهم وعتق عليه العبد » .

ووجه الاستدلال من الحديث أن الشارع لم يعط المالك الحق بأخذ زيادة على القيمة حيث أوجب إخراج الشيء من ملكه بعرض المثل لمصلحة تكميل العتق ، فكيف إذا كانت حاجة الناس إلى تملك الطعام والشراب واللباس وغيره ؟

فهذا الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ـ من تقويم الجميع بقيمة المثل إنما هو التسعير في الحقيقة حيث إنه من جنس سلطة الشريك في انتزاع الشقص المشفوع فيه من يد المشتري بثمنه الذي ابتاعه به لا بزيادة عليه لأجل مصلحة التكميل لواحد فكيف بما هو أعظم ؟

فحاجة المسلمين إلى الطعام والشراب واللباس وغير ذلك من مصلحة عامة ليس الحق فيها لواحد بعينه ، وتقدير الثمن فيها بثمن المثل على من وجب عليه البيع أولى من تقديره لتكميل الحرية الذي وجب على الشريك المعتق ، فلو لم يقدر فيها الثمن لتضرر بطلب الشريك الآخر ما شاء .

فان عموم الناس بحاجة لشراء الطعام واللباس ، فلو أعطي أرباب السلع الحرية في البيع بما يشاءون لكان ما يلحق الناس من الضرر أعظم وأفحش .

ثانيا :

إن القول بالتسعير عند تجاوز التجار ثمن المثل في البيع يحقق مصلحة الأمة بارخاء الأسعار للناس وحمايتهم من جشع التجار واستغلالهم .

وبهذا يكون التسعير مشروعا لما فيه من تحقيق مصلحة الجماعة التي تعتبر دليلا صالحا لبناء الأحكام عليها عند عامة العلماء .

ثالثا :

إن القول بالتسعير فيه سد للذرائع . ومن الثابت أن سد الذرائع من الأدلة المعتبرة في الفقه الاسلامي وأصل من أصوله المعتمدة .

وسد الذرائع هو المنع من بعض المباحات لافضائها إلى مفسدة ، ومن المسلم به أن ما يؤدي إلى الحرام يكون حراما . فترك الحرية للناس في البيع والشراء بأي ثمن دون تسعير هو أمر مباح في الأصل ، ولكنه قد يؤدي إلى الاستغلال والجشع والتحكم في ضروريات الناس ، فيقضي هذا الأصل الشرعي بسد هذا الباب بتقييد التعامل بأسعار محددة .

فان قيل إن التسعير فيه تقييد لحرية التجار في البيع وهذا ضرر بهم ، والضرر منهي عنه شرعا .

نقول : إن الضرر الحاصل من منع التسعير اعظم بكثير من الضرر الناتج من إجبار التجار على البيع بسعر ، ولا شك أن الضرر الأكبر يدفع بالضرر الأصغر .

وهكذا يتضح من كلام العلماء الذين أجازوا التسعير أنهم لم يجيزوه لذاته بل لأنه اجراء وقائي لصد ظلم الظالمين واحتكار المحتكرين .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ــ الشويخ ــ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)

ليبيا : طرابلس ــ الشركة العامة للتوزيع والنشر .

المغرب : الدار البيضاء ــ الشركة الشريفة للتوزيع .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦)
الطائف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جدة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب:(١٠١١)

البحرين : دار الهلال .

قطر : دار الثقافة للتوزيع ــ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ــ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبي : مكتبة دبي .

الكويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ــ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	شعبان	يونيو	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
			فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
السبت	١	١٤	٨ ٢٤	٩ ٥٩	٥ ٠٠	٨ ٣٣	١ ٣٢	٣ ١٣	٤ ٤٨	١١ ٤٨	٣ ٢٢	٦ ٤٩	٨ ٢١
الاحد	٢	١٥	٢٤	٥٩	٠٠	٣٣	٣٢	١٣	٤٨	٤٨	٢٢	٤٩	٢١
الاثنين	٣	١٦	٢٤	٥٩	٠٠	٣٣	٣٢	١٣	٤٨	٤٩	٢٢	٤٩	٢١
الثلاثاء	٤	١٧	٢٤	٥٩	٠٠	٣٣	٣٢	١٣	٤٨	٤٩	٢٣	٤٩	٢٢
الاربعاء	٥	١٨	٢٣	٥٨	٤ ٥٩	٣٣	٣٣	١٣	٤٨	٤٩	٢٣	٥٠	٢٢
الخميس	٦	١٩	٢٣	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣	١٢	٤٩	٤٩	٢٣	٥٠	٢٢
الجمعة	٧	٢٠	٢٣	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣	١٢	٤٩	٤٩	٢٣	٥٠	٢٣
السبت	٨	٢١	٢٣	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣	١٢	٤٩	٥٠	٢٣	٥٠	٢٣
الاحد	٩	٢٢	٢٣	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣	١٤	٤٩	٥٠	٢٤	٥١	٢٣
الاثنين	١٠	٢٣	٢٣	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣	١٤	٤٩	٥٠	٢٤	٥١	٢٣
الثلاثاء	١١	٢٤	٢٣	٥٩	٥ ٠٠	٣٣	٣٣	١٤	٥٠	٥٠	٢٤	٥١	٢٣
الاربعاء	١٢	٢٥	٢٣	٥٩	٠٠	٣٣	٣٣	١٤	٥٠	٥٠	٢٤	٥١	٢٣
الخميس	١٣	٢٦	٢٤	٥٩	٠٠	٣٣	٣٣	١٥	٥٠	٥١	٢٤	٥١	٢٤
الجمعة	١٤	٢٧	٢٤	١٠ ٠٠	٠٠	٣٤	٣٣	١٥	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤
السبت	١٥	٢٨	٢٤	٠٠	٠٠	٣٤	٣٢	١٦	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤
الاحد	١٦	٢٩	٢٥	٠٠	٠٠	٣٤	٣٢	١٦	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤
الاثنين	١٧	٣٠	٢٥	١	١	٣٤	٣٢	١٦	٥١	٥١	٢٥	٥٢	٢٤
الثلاثاء	١٨	يوليو	٢٦	١	١	٣٤	٣٢	١٧	٥٢	٥٢	٢٦	٥٢	٢٣
الاربعاء	١٩	٢	٢٦	١	١	٣٤	٣٢	١٧	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٣
الخميس	٢٠	٣	٢٧	٢	١	٣٥	٣٢	١٨	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٣
الجمعة	٢١	٤	٢٧	٢	١	٣٥	٣٢	١٨	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٣
السبت	٢٢	٥	٢٨	٣	٢	٣٥	٣٢	١٩	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٣
الاحد	٢٣	٦	٢٩	٣	٢	٣٦	٣٢	٢٠	٥٤	٥٣	٢٧	٥١	٢٣
الاثنين	٢٤	٧	٢٩	٣	٢	٣٦	٣١	٢٠	٥٥	٥٣	٢٧	٥١	٢٢
الثلاثاء	٢٥	٨	٣٠	٤	٢	٣٦	٣١	٢١	٥٥	٥٣	٢٧	٥١	٢٢
الاربعاء	٢٦	٩	٣٠	٤	٢	٣٧	٣١	٢١	٥٦	٥٣	٢٧	٥١	٢٢
الخميس	٢٧	١٠	٣١	٥	٣	٣٧	٣١	٢٢	٥٦	٥٣	٢٨	٥١	٢١
الجمعة	٢٨	١١	٣٢	٦	٣	٣٨	٣١	٢٣	٥٦	٥٣	٢٨	٥٠	٢١
السبت	٢٩	١٢	٣٣	٧	٤	٣٨	٣١	٢٣	٥٧	٥٣	٢٨	٥٠	٢١

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –

هدية العدد : براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٨٩ ○ رمضان ١٤٠٠ هـ ○ يوليو ١٩٨٠ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

اقترب موعد الافطار (الغروب في اسطانبول) .

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٨٩ ○ رمضان ١٤٠٠ هـ ○ يوليو ١٩٨٠ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة:

الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



من آثار الصيام

فرض الله تعالى على المسلمين صيام شهر رمضان من كل عام ، ونزل بهذه الفريضة قوله تعالى : **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من أيام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) .**

والصيام له أثر بالغ في تحقيق صحة البدن ، وصحة الروح ، فهو يؤدي الى قوة الصائم المادية وقوته المعنوية ، ويجمع بينهما جمعا منسقا يصل به الصائم إلى أبرك النتائج في بدنه وروحه .

وإذا كان الصيام ملموس الأثر في الناحية الصحية ، حيث يدفع عن بدن الصائم كثيرا من الأمراض ، ويعالج فيه كثيرا من العلل ، ويخلصه من كثير من الرواسب المتخلفة عن طعام احد عشر شهرا ، فهو من الناحية المعنوية يمد الصائم بثلاث قوى لها اكبر الأثر في حياة الأفراد والجماعات .

أولى تلك القوى (الصبر)

فالصائم يصبر ـ طواعية واختيارا ـ على وطأة الجوع والعطش ، وعن كل ما اعتاده في النهار من مطعومات ومشروبات وشهوات .. والصبر الاختياري على ترك ملذات النفس واهوائها وميولها اعظم فائدة من الصبر الذي تحمل عليه الفاقة ، أو يلجئ اليه الحرمان ، أو يبعث عليه الخوف من الناس .. وتعويد المسلمين على الصبر الاختياري في تحمل المشقات ، والاستهانة بالصعاب ، هو الذي جعلهم يصبرون على تبعات الجهاد في سبيل الله ، ويستعذبون الموت في سبيل نصرة دينهم ، والمحافظة على حقوقهم ، وهو الذي هيأ لهم الانتصار في المعارك التي خاضوها في الماضي ضد أعدائهم ، وشقوا بها الطريق للحق والعدل يهيمنان على حياة الناس .

ثانية تلك القوى (الطاعة)

فالصائم انما يمتنع عن طعامه وشرابه ، وعن كل ما يفسد صومه ، امتثالا لأمر الله ، وابتغاء لرضاه ، مهما لاقى في ذلك من مشقة .. فحسبه أنه آمن بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبيا ورسولا ، وعاهد الله في إسلامه ، على السمع والطاعة لأوامره ، في المنشط والمكره ، والعسر واليسر .. حسبه ذلك ليتحمل اعباء الصيام بنفس راضية ، وقلب مطمئن ، ورغبة فيما عند الله من أجر وثواب .

وبهذه الطاعة يستقيم أمر المؤمن على الحق الذي شرعه الله ، ولو كان قبوله شديد الوقع على النفس .. وتاريخ السلف الصالح مليء بالمثل الحية في هذا المجال ، نقتطف منها موقف خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ حين عزله الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عن قيادة جيش المسلمين وهو في أوج انتصاراته .. لقد سلم خالد القيادة لأبي عبيدة بن الجراح الذي

كان يعمل جنديا تحت إمرته ، وانخرط في صف الجنود يقاتل تحت إمرة أبي عبيدة بنفس الروح العالية التي كان يقاتل بها وهو قائد ، ثم يقول قولته المشهورة : (إني إنما أحارب لرب عمر لا لعمر) .

إن صيام رمضان طاعة خالصة لله لا يتصور فيها رياء ، ومن ثم كان ثواب الله على الصيام فوق الثواب الذي منحه على غيره من العبادات . قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ:(كل عمل ابن آدم يضاعف ، الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف إلا الصيام فانه لي وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه من اجلي » .

ثالثة تلك القوى (النظام)

فالصائم في رمضان يأكل بنظام وينام بنظام ، والمجتمع الاسلامي في رمضان مجتمع يتجلى فيه النظام بأروع مظاهره ، امتناع واحد عن المفطرات في النهار ، تحفز واحد للافطار قبيل الغروب ، اجتماع على الافطار عند الغروب ، صلاة واحدة في العشاء والتراويح والفجر .. نظام فريد لا مثيل له في أمة غير الأمة الاسلامية ، وهذا النظام مع كل نظام وضعه الله في سائر العبادات ، وفي العلاقات بين الناس ، يوحي للمسلمين ان يعتمدوا النظام في كل امورهم ، وأن يأخذوا بالتخطيط في جميع شؤونهم .

والأمة التي تتربى على هذه الاخلاق العالية :

الصبر على المشقات والمكاره ، والطاعة لله تعالى في كل ما شرع ، والنظام في شئون حياتها مع اخذها بكل اسباب القوة المادية ، هي امة الطهر والعزة والشرف والكرامة والنهوض والتقدم .
واذا كان الصيام يحقق للصائمين هذه الاخلاق القويمة ، فهو يقيهم من اضدادها .

يقيهم من الجزع الذي تنخلع به النفوس امام الاعداء ، ومن المعصية التي تجلب البلاء والشقاء .. ومن الفوضى التي تدمر الحياة .. وصدق الله تعالى في قوله (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) . وصدق الرسول الكريم في قوله : (الصيام جنة فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه احد او قاتله فليقل اني صائم . اني صائم) .

لقد كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا جاء رمضان احياه بالطاعة والعبادة وتلاوة القرآن وقيام الليل ، وزيادة الجود والعطاء .. فاذا هو مع الله العبد الطائع ، واذا هو مع المسلمين النبي الصائم ، واذا هو مع الفقراء والمساكين الجواد المعطاء ، « حتى لقد وصفه بعض اصحابه أنه كان أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أجود ما يكون في رمضان » .

فلتكن لنا به ــ عليه الصلاة والسلام ــ قدوة لنكون من الراجين لرحمة الله ، الذاكرين لفضله قال تعالى : (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**) .

وعلينا ان نذكر في صيامنا اننا الأمة التي جمع لها دينها بين قوة المادة وقوة الروح ، لتكون في دنياها شديدة البأس على أعدائها ، عظيمة التراحم فيما بينها ، قوية الاستمساك بدينها (**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود**) ولتكون في الآخرة من اهل النعيم عند رب العالمين (**إن المتقين في جنات ونهر . في مقعد صدق عند مليك مقتدر**) .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

التفكير فريضة إسلامية

للدكتور عبدالحليم محمود

يقول الله تعالى :

(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) .

(الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)

(ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار)

(ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنو بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار)

(ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد)

(فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب) آل عمران/ ١٩٠ ـ ١٩٥ .

روى الشيخان ، عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين ، وهى خالته قال : فقلت لأنظرن إلى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ، ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ، ثم قرأ العشر آيات الخواتيم من سورة آل عمران ، ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ فأحسن وضوءه ، ثم قام يصلي ...

قال عبدالله بن عباس :

فقمت ، فصنعت مثل ما صنع ، ثم ذهبت فقمت الى جنبه ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني ففتلها ، فصلى ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم أوتر ، ثم اضطجع حتى جاء المؤذن ، فقام فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم خرج فصلى الصبح ..

ويقول الامام الخازن ، بعد أن روى هذا الحديث :

« وفي رواية فقمت عن يساره فأخذني فجعلني عن يمينه » ..

وفي رواية قال : بت في بيت خالتي ميمونة ، فتحدث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مع أهله ساعة ، ثم رقد ، فلما كان ثلث الليل الأخير ، قعد فنظر إلى السماء فقال :

(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب)

وما من شك في أن في خلق السموات والأرض ، وفي اختلاف الليل والنهار ، مجال عظيم للفكر والتدبر ، فان هذا الكون بما فيه من إتقان في الصنع ، وإبداع في التكوين ، ودقة في التركيب ، يدل بداهة على الصانع ، وأنه عالم ..

وإمساك هذا العالم دليل على الحياة والارادة :

يقول الله تعالى :

(إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا) فاطر/٤١ .

(فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا) الانعام/٩٦

ويقول سبحانه :

(هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) يونس/٦٧

وتأمل قوله تعالى :

(قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) القصص/٧١ ـ ٧٣ .

والآيات التي توجه الانسان إلى العظة والعبرة في الكون كثيرة ، مستفيضة ، منها مثلا :

(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) ق/٦ ـ ١١

ويقول الكندى : فيلسوف

العرب :

« إن في الظواهر والمظاهر التي تبدو للحواس ، لأوضح الدلالة على تدبير مدبر أول :

فان في نظم هذا العالم ، وترتيبه ، وفعل بعضه في بعض ، وانقياد بعضه لبعض ، وتسخير بعضه لبعض ، وإتقان هيئته على الوجه الأصلح في كون كل كائن ، وفساد وثبات كل ثابت وزوال كل زائل : لأعظم دلالة على أتقن تدبير - ومع كل تدبير مدبر - وعلى أحكم حكمة . ومع كل حكمة حكيم ، وذلك أن اقتضاء التدبير للمدبر ، والحكمة للحكيم ، أمر لا يختلف فيه اثنان » ..

وإذا كانت دلائل خلق السماوات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، يدركها أولو العقول المتأملة فان أولى العقول هم هؤلاء الذين لا يفترون عن ذكر الله تعالى : **إنهم يذكرونه قياما وقعودا وعلى جنوبهم .**

ويقول الله تعالى في سورة النساء :

(فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) الآية/ ١٠٣

ولقد وردت الأحاديث الكثيرة في الحث على الذكر ، ومن ذلك ما رواه الامام مسلم بسنده ، عن عائشة رضي الله عنها ، من أنها كانت تقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه يذكر الله على كل أحيانه ...

وعن الذكر نروى ما يلى :

روى البيهقى في الشعب ، من حديث عمر بن الخطاب ..

قال الله عز وجل :

« من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام مسلم بسنده ، عن أبى هريرة :

« ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل ، إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده) ..

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يقول الله : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فان ذكرنى في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرنى في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ..

وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة » .. رواه البخارى ومسلم .

وعن معاذ بن أنس ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

قال الله جل ذكره ..

« لا يذكرنى عبد في نفسه إلا ذكرته في ملأ من ملائكتي ، ولا يذكرني في ملأ إلا ذكرته في الملأ الأعلى » .. رواه الطبرانى

وعن عبدالله بن بسر ، رضى الله عنه ، أن رجلا قال : يا رسول الله ، إن شرائع الاسلام قد كثرت على فأخبرني بشئ أتشبث به قال :

« لا يزال لسانك رطبا من ذكر

الله » .. رواه الترمذى

وعن مالك بن يخامر ، أن معاذ بن جبل ، رضي الله عنه ، قال :

إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن قلت : أى الأعمال أحب إلى الله ؟ قال « أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله » ... رواه الطبرانى .

وعن أبى موسى ، رضى الله عنه ، قال قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« مثل الذي يذكر (الله) ربه والذي لا يذكر الله مثل الحي والميت » .. رواه البخاري ومسلم .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه ، قال :

كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يسير في طريق مكة ، فمر على جبل يقال له جمدان ، فقال : « سيروا ، هذا جمدان ، سبق المفردون » ..

قالوا : وما المفردون يارسول الله ؟

قال : « الذاكرون الله كثيرا » .. رواه مسلم والترمذى

وعن أم أنس ، رضى الله عنها ، قالت : يارسول الله أوصنى ، قال :

« اهجرى المعاصى ، فانها أفضل الهجرة ، وحافظى على الفرائض ، فانها أفضل الجهاد ، وأكثرى من ذكر الله ، فانك لا تأتين الله بشئ أحب اليه من كثرة ذكره » .. رواه الطبرانى

إن أولى الألباب يتفكرون في خلق السموات والأرض بعقولهم وبقلوبهم ، ويجدون صدى ذلك على ألسنتهم قائلين : ربنا ما خلقت هذا الكون البديع باطلا ، سبحانك عن الباطل . ويلجأون اليه تعالى في أن يجنبهم عذاب النار ، فان من يدخل النار مخلدا فيها ، فان الخزى يحيط به .

والخزى فيما يتعلق بدخول النار خاص ـ كما يقول أنس ، وسعيد بن المسيب ، وغيرهما خاص بمن يخلد في النار . ولن يجد الظالمون الذين أشركوا بالله من نصير يجنبهم عذاب جهنم » .

ويتابع أولو الألباب دعاءهم بهذه الكلمات الجميلة الواضحة الوضاءة :

ربنا إننا سمعنا مناديا (**محمد**) ينادي للايمان ، أن آمنوا بربكم ، فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار (في زمرتهم ، والأبرار من خيار الصالحين)

ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك : (الجنة والرضوان)

أما النتيجة فهى :

فاستجاب لهم ـ (معلنا) ـ أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض (في الطاعة والأخوة) ...

فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم ، وأوذوا في سبيلى ، وقاتلوا وقتلوا ، لأكفرن عنهم سيئاتهم ، ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ثوابا من عند الله ، والله عنده حسن الثواب ..



القرآن الكريم يوقظ التفكير بالتمثيل تارة وبالاحتكام إليه تارة

للدكتور : أحمد الحوفي

لم يقتصر القرآن الكريم على تقدير العقل والعلم والفكر والتنويه بأقدار العلماء والسخرية من الجهال ، بل اعتمد في كثير من آياته على التمثيل والتصوير للتدليل على وحدانية الله وعلى قدرته ، كما عقب على كثير من الأحكام بالحض على التفكير في حكمتها .

(١)

فكثيرا ما ضرب الأمثلة للدلالة على أنه الله الواحد الأحد ، القادر ، ولاثبات البعث ، وللكشف عن حقائق يجب الا يشك في صدقها عاقل ، قال تعالى : **(ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون)** الزمر/٢٧ .

وقد جاء بعض هذا التمثيل مقرونا بالحض على التفكير ، أو تقدير العلماء والمفكرين ، أو مصحوبا بالسخرية من الجهال والأغبياء ، وهذا الضرب كثير في كتاب الله .

من هذا قوله تعالى : **(أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون)** البقرة/٢٦٦ .

ففي هذه الآية تمثيل حال من عمل أعمالا طيبة لا يبتغي بها وجه الله ، فصارت عاقبتها وبالا عليه بحال من يمتلك حديقة ذات خصب وماء جار وثمرات ، وقد كبرت سنه ، وله أبناء صغار ضعاف ، فهو في أشد الحاجة إلى حديقته ، ثم حاقت بالحديقة صاعقة أحرقتها .

أرأيتم هذا المثال ؟

إن الله تعالى يضربه ويضرب أشباهه ، ويبين لكم الآيات الدالة على وحدانيته وقدرته ، لعلكم تفكرون لتهتدوا إلى الحق ، ولتؤمنوا به ، وتذعنوا له .

وقوله تعالى : **(ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلادعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون)** البقرة/١٧١ .

فشبه الذين كفروا وهم لا يستجيبون لمن يدعوهم إلى الايمان بالبهائم التي يصيح بها راعيها ويزجرها ، فلا تعي غير تصويته ، ولا تفقه شيئا مما يقوله او يلفظ به ، لان الكفار صم عن الحق الذي يسمعون ، بكم عن الاقرار بما يجب ان يقروا به ، ضلال جهال لا يعقلون .

وقال سبحانه : **(الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار)** ابراهيم/٢٤ ــ ٢٦ .

فصور كلمة الحق طيبة ، وكلمة الباطل خبيثة ، وجعل الأولى مثل الشجرة الحسنة المثمرة المظلة النافعة الراسخة ، تعطى ثمراتها في حينها باذن الله .

اما الثانية فانها كالشجرة القبيحة الكريهة التي استؤصلت من مكانها ، فلا حياة فيها ، ولا رعاية لها ، ولا نفع منها . كذلك التوحيد يعمر القلوب ، ويهدى إلى طاعة الله والى العمل الصالح ، فينال الموحد المطيع ثواب الله في الدنيا وفي الآخرة .

وكذلك الشرك ، فانه باطل وقبيح وليس له خير ولا بقاء . وهكذا يوضح الله الأمثال للناس ، ويشبه لهم المعنويات بالمحسوسات ، ليفهموا ويعلموا ويؤمنوا .

وقال عز وجل : (**مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين**) الجمعة/ ٥ .

وذلكم أن اليهود قرأوا التوراة ، وعلموها ، وكلفهم الله أن يعملوا بها ، ولكنهم لم يعملوا ، فصاروا كالحمار الذي يحمل كتبا ، لا نصيب له منها إلا الجهد والتعب ، وبئس مثلا هؤلاء اليهود الجاحدون للحق ، والله لا يهديهم ، لأنهم عصاة منكرون للحق .

كذلك مثل الله تعالى حال المؤمنين في شكرهم لله ، واعتمادهم عليه ، ومقابلة نعمه بما ينبغي من طاعة وخضوع ، وايمانهم بالبعث والجزاء ، ومثل حال الكفار في نكرانهم فضل الله ، وانكارهم البعث ، وغرورهم بما ملكوا ، واستعانتهم بغير الله ، وندمهم حيث لا يجدى ندم ، مثل هذا كله بأنه كان لكافر حديقتان من اعناب يحيط بهما نخل يجملهما ويحفظهما من الحرارة والتراب ، وبينهما زرع نضير مثمر ، وكانت الحديقتان تجودان بثمرهما موفورا ناضرا لم تنقصا منه شيئا .

وكان بين الحديقتين نهر يجرى ، ولصاحبهما أموال أخرى يثمرها ، فداخله الزهو والغرور بما يمتلك ، فقال لصاحبه المؤمن وهما يتحاوران : انني اوفر منك مالا ، وأكثر أولادا ونصيرا ، ثم دخل إحدى حديقتيه مغرورا ، ومعه صاحبه المؤمن ، فقال له : ما أظن أن هذه الحديقة تزول ابدا ، وما أظن القيامة آتية ، ولو أنها أتت وبعثنا كما تزعم فسأجد هناك نعيما يليق بي خيرا من هذا النعيم .

قال له صاحبه المؤمن : عجبا لك ، لقد كفرت بربك الذي خلقك وسواك ومنحك هذا النعيم ، أما أنا فمؤمن بالله ربي لا أشرك به أحدا . لقد كان عليك أن تقول حينما دخلت حديقتك : هذه من عطاء ربي ، ولست قادرا على حفظها وتثميرها إلا بتوفيقه واذا كنت يا أخي تراني أقل منك مالا وولدا فلعل ربي أن يعطيني خيرا مما أعطاك ، ويسلط على حديقتك ما يمحقها ، فتصير أرضا مجدبة لا ينبت فيها شيء ، أو يجعل ماءها غائرا لا ينبع منه شيء ولا يسقى . ثم تحقق ما ظنه المؤمن ، فان الله تعالى أهلك الحديقتين ، فجعل صاحبهما يقلب كفيه حسرة على ما أنفق في عمارتها ، ويتمنى لو أنه لم يشرك بربه أحدا .

وفي تلك المحنة لم يستطع الكافر ان يحمي ماله ، ولم تقدر عشيرته على حمايته ، لأنه فقد نصرة ربه ، والله تعالى هو الناصر وهو الحافظ ، وهو الذي يجزل الثواب لأوليائه من عباده .

قال تعالى : (**واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا . كلتا الجنتين أتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا . وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا . ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا . قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا . ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا . فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا . أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا . وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا . ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا . هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا**) الكهف/٣٢ ـ ٤٤ .

(٢)

اما المجال الآخر الذي يوقظ فيه القرآن الكريم العقول والتفكير بالتمثيل حينا وبالاحتكام إلى العقول والتفكير حينا آخر ، فهو الأحكام الشرعية .

وذلك أن بعض الأحكام الشرعية جاءت مقرونة بالتفكير ، لأن القرآن الكريم كثيرا ما عقب على الأوامر والنواهي بالدعوة إلى التفكير في أسرارها وفي آثارها وحكمتها ، ليتبين الناس ما فيها من خير لهم ، وليزدادوا يقينا بأن الله تعالى فرضها عليهم وهو العليم بنفوس عباده ، الخبير بما يلائم طباعهم ، المحيط بما يصلحهم ويصلح لهم ، الغني عن طاعتهم ، الذي لا تضره معصيتهم ، فالخير لهم في ان يعملوا ما أمرهم به ، وأن يجتنبوا ما نهاهم عنه عن عقيدة ويقين ، وألا يحتكموا إلى أهوائهم ، لأنها تصرف عن الحق ، وتزين الشر ، ولأنها تتغاير وتتنافر وتتبدل ، ولأنها تشيع في المجتمع البلبلة والاضطراب والفوضى ، فيفقد الوحدة والألفة والانسجام . ثم إن أحكام الأهواء مع هذا كله موقوتة لا دوام لها ، ضعيفة ليس لها من القوة الذاتية والوازع النفسي ما لشرع الله . قال تعالى (**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**) النور/٦٣ .

من الأحكام المقرونة بالدعوة إلى التعقل والتفكير أدب اجتماعي عظيم هو

قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم)** النور/٢٧ و٢٨ .

في هذه الآيات الكريمة أدب اجتماعي رفيع يأمر الله به عباده ، لعلهم يعونه ويتذكرونه ويعقلونه ويعملون به ، لأن فيه خيرا كثيرا لهم .

فلا يصح أن يقتحم أجنبي دارا غير داره قبل أن يستأذن ، ويحيى من فيها ، فان لم يجد بها أحدا فلا يصح له أن يدخل ، وان كان بها أحد ولم يأذن له بالدخول فعليه أن يرجع ، لأن هذا أدب اجتماعي لا بد من مراعاته ، حتى لا يؤذي أحد أحدا بمفاجأة أو اطلاع على ما لا يصح أن يطلع عليه من شؤون غيره وأسراره ودخائله ، وحتى يشعر كل شخص بأنه في مسكنه حر آمن طليق يستريح اذا شاء ، ويتصرف كما يشاء ، ويلبس ما يريد ، ويعمل ما يشتهي ، وينام كما يحب .

ولا شك أنَ الاستئذان تمهيد طيب للقاء الزائر والمزور ، وإعداد للحال النفسية الملائمة للمجالسة والحديث والمؤانسة .

كذلك اباح سبحانه وتعالى الطعام والشراب في أيام الحج ، وأباح للمسلمين أن يلبسوا ملابسهم ويتزينوا في صلاتهم ، لأن بني عامر كانوا في أيام حجهم لا يأكلون من الطعام إلا ما يقيم حياتهم ، ولا يأكلون دسما ، يريدون بذلك أن يعظموا حجهم ، فقال بعض المسلمين : نحن أولى بأن نصنع هذا الصنيع ، فأمرهم الله أن يأكلوا ويشربوا ولا يسرفوا وبأن يلبسوا ثيابهم ويتجملوا في صلاتهم ، لأن الذين يحرمون التجمل وما لذ من طعام وشراب يكذبون على الله .

ووعد الله عباده المؤمنين أن تكون طيبات الدنيا التي يشاركهم فيها الكفار خالصة للمؤمنين يوم القيامة .

وجاء في ختام الآية أنه تعالى يفصل الأحكام لقوم يدركون ويعلمون ان الله تعالى هو الذي يحلل ويحرم ، ومعنى هذا أن التحريم والتحليل الخاضع للأهواء افتراء على الله ، واجتراء على العلم ، ولهذا قال ابن عباس : كل ما شئت ، والبس ما شئت ، ما أخطأتك خصلتان : سرف ومخيلة ، أى حلال لك طعامك ولباسك ما دمت لا تسرف ولا تختال وتتكبر .

قال تعالى : **(يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون)** الاعراف/٣١ و٣٢ .

وعلى هذه الشاكلة احتكم القرآن الكريم إلى العقول والعلوم والأفكار .

فأعز العقل ، واعتز بالعلم ، وقدر الفكر والتفكير ، لأنه الدين الخاتم ، ولأنه الدين الذي كرم الانسان ، وسما به مكانا عليا .

يوم الفرقان

للشيخ محمد الأباصيري خليفة

عندما نادى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بكلمة التوحيد كان ذلك إعلانا عاما بتحرير الانسان من العبودية لغير الله ، وبتحطيم الطواغيت التي تحول بين الناس وبين الدخول في سلطان الله .. لذلك هبت قريش – وهي الطاغوت المتسلط في مكة – تعارض الرسول وتناهض دعوته ، بكل أسلوب من أساليب الكيد والايذاء ، وبكل طريق من طرق الفتنة والاغراء .. وهاجر رسول الله والمؤمنون إلى المدينة – بعد عهد بينه وبين الأنصار على النصرة والمنعة – وهناك أقام دولة الاسلام وكان النبي يعلم أن عين قريش لن تنام عن محاربته ، والقضاء عليه وعلى دولة الاسلام الناشئة ، فاتخذ وسائل الحيطة والحذر كجزء من مقتضيات الحرب والدفاع عن النفس ، ومن هذه الوسائل إرسال البعوث لتكون عيونا على قريش ، فتأتي له بأنباء قوتهم وتحركاتهم ، ولم يكن لرسول الله بد من مناجزة قريش أنقاذا للدعوة من شرها ، وانتصافا من الظلم الذي أوقعته بالمسلمين في مكة ، ووقاية لدار الاسلام من العدوان والغزو .

وفي شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة علم رسول الله – صلى الله عليه

وسلم ــ بعودة أبي سفيان من الشام بتجارة عظيمة لقريش ، فخرج في جماعة من أصحابه لملاقاة التجارة والاستيلاء عليها ، وكان عدد من معه سبعة عشر وثلاثمائة رجل فلما قرب من جهة الصفراء أرسل رجلين من أصحابه إلى بدر ليأتيا له بخبر العير ، فلما كان الغد وصلته الأخبار بأن جيشا كثيفا لقريش هو القريب ، وأن القافلة قد غيرت الطريق ، واتخذت ساحل البحر ونجت .. وهكذا وعلى غير موعد نزل المسلمون ــ بقيادة النبي ــ بضفة الوادي القريبة من المدينة . ونزل جيش المشركين بقيادة أبي جهل بالضفة الأخرى البعيدة عن المدينة ، وبين الفريقين ربوة تفصلهما . أما القافلة فقد مال بها أبو سفيان إلى ساحل البحر أسفل من الجيشين ، ولم يكن كل من الجيشين يعرف موقع الآخر ، وإنما جمعهما الله هكذا لأمر يريده ، حتى لو أن بينهما موعدا على اللقاء ما اجتمعا بمثل هذه الدقة من ناحية المكان والزمان ، وهذا ما يذكر الله به المسلمين ، ليذكروا تدبيره وتقديره : (**إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولوتواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا**) الأنفال / ٤٢ . أما الغاية التي دبر الله لها هذه الظروف ، وقدر لها هذا اللقاء ، فقد أنبأ الله عنها بقوله : (**ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم**) الانفال / ٤٢ .

وهنا تغير الموقف عن الوضع الذي خرج الرسول وأصحابه من أجله فبعد أن كان الأمر ملاقاة تجارة قريش والاستيلاء عليها ــ وذلك أمر سهل المنال ــ أصبح ملاقاة جيش وفير العدد ، كامل العدة ، يتطلب جهادا مريرا وتضحية بالغة ، إذن فلا بد من استشارة المسلمين في أمر لقاء هذا الجيش ، لأن الاتجاه النفسي له وزنه الكبير في معارك القتال نصرا وهزيمة ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأصحابه كما روت كتب السيرة : إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول ، ولا بد من القتال ، وإلا طمعوا فينا ، وغزوا المدينة ، وقد وعدني الله إحدى الطائفتين ــ العير أو النفير ــ وما دامت العير قد نجت فلم يبق إلا النفير . فرأى بعضهم العودة إلى المدينة ما دامت العير التي خرجوا إليها قد فاتتهم وقالوا : إنه لا حاجة لهم بقتال الجيش الزاحف الذي يفوقهم في العدد والعدة ، واستمسكوا برأيهم كراهية في لقاء العدو ، وحكى الله ذلك في قوله : (**كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون . يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون . وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون**) الأنفال / ٥ ــ ٨ .

وليس في موقف الفئة التي كرهت لقاء العدو ما يطعن في ايمانها ، ففي مثل هذه المواقف المفاجئة تنكشف طاقة النفس البشرية أمام الخطر المباشر ، وتظهر

احوالها عند المواجهة ، وربما اهتزت على الرغم من طمأنينة القلب بالايمان ، وحسبها أن تثبت بعد ذلك ، وتطارد التردد ، وتصبر عند اللقاء .
ولما رأى كبار الصحابة تأثر الرسول وغضبه من جدال تلك الفئة في الحق بعد ما تبين ، قام **أبو بكر وعمر** فأعلنا تأييدهما للقتال وأحسنا القول ، ثم قام **المقداد ابن عمرو** وقال في شجاعة فذة ، وحماس متوقد : « امض يا رسول الله لما أمرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك مثل ما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، والذي بعثك بالحق ، لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه » .
وكان لكلمات المقداد أثر بين في نفوس المسلمين ، فلم يعارضه أحد ، وسر الرسول من قوله ودعا له بخير ، ولكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكتف بقول أبي بكر وعمر والمقداد لأنهم من المهاجرين ، وهو يريد رأي الأنصار لأنهم أكثر عددا ، وأقوى جلدا ، وليس في بيعتهم له ـ يوم العقبة ـ أن يشتركوا معه في حرب خارج مدينتهم ، فقال ـ بعد فترة صمت ـ كما روت كتب السيرة اشيروا على أيها الناس ، فقام زعيم الأنصار « **سعد بن معاذ** » وقال : لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال النبي : « أجل » قال سعد : « لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله » .
وتلاقت كلمات **سعد بن معاذ** مع كلمات **المقداد بن عمرو** فأوقدت في نفوس المسلمين الحماس للقتال ، وشحذت قلوبهم بالعزم على الكفاح ، فتخلوا عن الأطماع في الغنيمة ، واتجهوا إلى التضحية والفداء ، وصمموا على سحق الباطل ونصرة الحق .. وإذ ذاك تهلل وجه رسول الله سرورا وأشرق استبشارا ، وقال ـ وهو ينظر إلى سعد بن معاذ ـ كما سجلت كتب السيرة : « سيروا وأبشروا ، فان الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم » . ثم سار بالمسلمين حتى نزل بأدنى ماء من بدر . ونظر المسلمون فوجدوا المشركين بينهم وبين الماء ، فأصابهم حزن عميق لأن الماء مادة الحياة ، والجيش الذي يفقد الماء في الصحراء يفقد أعصابه قبل أن يواجه المعركة ، وتنتابه الهواجس والوساوس ويدخل الشيطان من باب الايمان ليزيد حرج النفوس ووجل القلوب ، قال علي بن طلحة عن ابن عباس قال : نزل النبي صلى الله عليه وسلم ـ حين سار إلى بدر ـ والمشركون بينهم وبين الماء ـ رملة وعصة وأصاب المسلمين ضعف شديد ، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ ، يوسوس بينهم : تزعمون أنكم أولياء الله تعالى وفيكم رسوله ، وقد غلبكم المشركون على الماء ، وأنتم تصلون مجنبين .

فأمطر الله عليهم مطرا شديدا ، فشرب المسلمون وتطهروا وأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، وثبت الرمل حين اصابه المطر ، ومشى الناس عليه والدواب ، فساروا إلى القوم ، ولقد كان ذلك قبل أن ينفذ رسول الله ما أشار به « **الحباب بن المنذر** » من النزول على ماء بدر ، وتعوير ما وراءها من القلب ، وقد ذكر الله هذه الرعاية للمؤمنين في قوله : (**إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام**) « الأنفال / ١١ » .

وكان من تدبير الله ومدده للمسلمين ، أن يرى رسوله الكافرين في منامه قليلا ، فيخبر أصحابه بذلك ، فيستبشروا ويتشجعوا على خوض المعركة (**إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور**) الانفال /٤٣ .

وحينما التقى الجمعان وجها لوجه أرى الله الفريقين ما أغراهم بخوض المعركة ، فالمؤمنون يرون أعداءهم قليلا ، والمشركون يرون المؤمنين قليلا ، وبهذه الرؤية التي رأى كل فريق منهما صاحبه بها تحققت غاية التدبير الألهي ووقع الأمر الذي جرى به قضاؤه (**وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا**) « الأنفال / ٤٤ » .

ولما بذل المسلمون ما في طوقهم ، وغالبوا الهزة الأولى التي أصابت بعضهم ، في مواجهة الخطر الواقعي ، ومضوا في طاعة الله واثقين من نصره ، كان حسبهم هذا لينتهي دورهم ، ويأتي دور الله وتدبيره ، في رعاية المعركة .

استجاب الله لاستغاثة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأمد المؤمنين بألف من الملائكة يتبع بعضهم بعضا : (**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين**) « الأنفال / ٩ » ، وجعل مهمتهم تثبيت قلوب المؤمنين ، والمشاركة في المعركة بضرب أعناق المشركين وأرجلهم وأيديهم .

(**إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب**) « الانفال / ١٢، ١٣ » .

بدأت المعركة بالمبارزة كما كانت عادة العرب في ذلك الحين ، وانتصر المسلمون فيها ، ثم اختلط الفريقان ودارت معركة رهيبة ، وشد المسلمون على عدوهم ، وجعلوا كل همهم البطش بصناديد قريش جزاء ما صنعوه في حق المسلمين المستضعفين من تعذيب ، ولما رأى المشركون تزايد عدد قتلاهم ، وأن الهزيمة الساحقة تحيط بهم من كل ناحية هربوا يجرون أذيال الخيبة والعار ، وخلفوا وراءهم سبعين قتيلا ، وسبعين أسيرا من صناديد الشرك .. **وكان هذا الحدث العظيم في السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة** ، وقد سمي ذلك اليوم (**يوم الفرقان**) .

○ لقد كانت غزوة بدر فرقانا بين الحق الأصيل الذي قامت عليه السموات والأرض ، والباطل الزائف الذي يقيم الفساد في الأرض .

○ وكانت فرقانا بين عهدين في تاريخ الحركة الاسلامية ، عهد الصبر والمصابرة ، والتكتل والانتظار ، وعهد القوة والحركة والنشاط والمبادأة .

○ وكانت فرقانا بين عهدين في تاريخ الانسانية ، فالقيم التي يقوم عليها المجتمع الاسلامي كانت ملكا للمسلمين وحدهم قبل غزوة بدر ، أما منذ غزوة بدر فقد أصبحت ملكا للبشرية كلها ، تأثرت بها في دار الاسلام وفي خارجها .

○ وكانت فرقانا بين نظرتين لعوامل النصر وعوامل الهزيمة ، حين انتصرت العقيدة الصحيحة القوية على الكثرة العددية والعتادية ، فتبين للناس أن أصحاب العقيدة الحقة عليهم أن يخوضوا غمار المعركة مع أهل الباطل ، ولو كانوا أكبر منهم في القوة المادية الظاهرية ، لأنهم يملكون قوة أخرى ترجح كفتهم وتجعل النصر حليفهم .

○ وقد قررت غزوة بدر حقيقة كبرى ، هي أن الحق لا يوجد في واقع الحياة ، وأن الباطل لا يزهق من دنيا الناس إلا بغلبة جنود الحق وظهورهم ، وهزيمة جنود الباطل واندحارهم ، أما مجرد المعرفة للحق والباطل فلا توجد حقا ، ولا تزهق باطلا ، وذلك منهج الاسلام في الحصول على الحقوق وصيانتها ، والحفاظ على القيم ورعايتها .

○ ولقد أعطت غزوة بدر في عالم الواقع أن الناس لعدم علمهم بالغيب يكرهون الشيء وهو خير ، ويحبون الشيء وهو شر .. لقد أراد المسلمون لأنفسهم لقاء تجارة قريش ليغنموا المال دون تضحيات ، وما كان أمرهم ـ لو تم لهم ذلك ـ يعدو أن يكونوا قوما أغاروا على قافلة فغنموها ! وأراد الله لهم أن يكونوا أصحاب فرقان بين الحق والباطل ، بين الحق الذي انتصر رغم قلة العدد ، وضعف العدة ، والباطل المدجج بالسلاح ، المدعوم بكثرة العدد ، فكان أمرهم أمر القلة التي انتصرت على نفسها ، وخاضت المعركة وكفة الباطل راجحة ، فقلبت بايمانها ميزان الظاهر ، فاذا الحق غالب ظافر ، وإذا الباطل كسير مهزوم .

وأخيرا . لقد كانت غزوة بدر تدبيرا من الله تعالى لاعلاء شأن الايمان والمؤمنين ، وخفض كلمة الشرك والمشركين ، وإعلاما واضحا بأن النصر في بدر كان لله وحده ، وأن النصر دائما لا يكون الا منه **(وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم)** « الأنفال / ١٠ » .

وثمن هذا النصر عمل صالح وجهاد صادق **(إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)** « محمد / ٧ » ، **(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور)** « الحج / ٤٠ ، ٤١ » .

العقل والروح معاً على الطريق

في حديث منصرم على صفحات هذه المجلة الغراء الرائدة ، ألوينا عنان اليراعــة الى الحديـث عن الـروح باعتبارهـا من أمـر الله الخالـق المبدع ــ جل ثناؤه ــ بحيث تتأبى على مناهج البحث العلمي ، وتتعالى على أساليب الاستقراء ... فهي لذلك تقتعد مكانا سامقا تنخلع الأعناق دون الوصول إليه ، وتندق الهامات إذا هي حامت حواليه ..

ولقد نظرنا إلى الروح على أنها تمثل تلك اللطيفة النورانية المدركة ، التي تمنح الانسان القدرة على التمييز بين الخبيث والطيب ، وتعطيه المقيـاس الصائب والميزان الحسـاس الـذي



للدكتور عبد الفتاح محمد سلامه

يحتكم إليه عندما تدلهم الأمور ، وتكتنفها حنادس الليل البهيم .. وهي بهذا المفهوم المشرق تلتقي مع العقل الانساني في حبكة ، وتقوم بينهما – دوما – معاقد نسب وشبكة ... فالمسيرة واحدة ، والغايات بينهما متعانقة ، تتمازج كلها لتصب في معين واحد ، هو الطهر والصفاء ، والبر والنقاء ... وذلك هو المفهوم الديني الرشيد ، والمنطلق القرآني العجيب الذي يصدر عنه العقل ، وتقتبس منه الروح في سبحاتهما الجوالة في ملك الله الرحيب .

ولا شك أن الروح – بتلك النظرة الزاكية – عنصر عظيم ... جليل .. مشرق ... مستنير ... شفاف ... رفاف ... لأنه متدل من الديمومة الالهية الماجدة ، ولا شك انه – كذلك – عالم فوق المادة ... فوق هذه النواميس الأرضية ، عالم كله نور ... كله صفاء ... وعلى الرغم من كونها غير مرئية لنا بوسائلنا المحسوسة ، إلا أنها كائنة بآثارها الجارية المتجددة ... ويا لسخف مزاعم الماديين ، وسماجة ترهات الملحدين الذين أنكروا الروح لأنها غير ملموسة لهم وليست خاضعة لتجاربهم المبتورة الشوهاء ، وإن أكبر لطمة توجه إليهم ، يسوقها العلم نفسه .. فان هناك من الماديات ما نحس بآثاره تنعكس على حياتنا ، ومع ذلك ما زال العلم يعجز عن تفسيره عجزا صارخا ... والمثل على ذلك : الكهرباء والأثير ... فاذا ما سألت واحدا من هؤلاء الشامخين بأنوفهم كبرا ، المنتفخة أوداجهم غرورا وحمقا ، الذين يزعمون لأنفسهم تمكنا في العلم ورسوخا في البحث ، وهم في حقيقة أمرهم كما وصفتهم الآية الكريمة : (**يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**) الروم/٧ . إذا ما سألت واحدا من أولئك الأغرار وقلت له : ما حقيقة الأثير ....؟ وما كنه الكهرباء .....؟

فانه لن يحير جوابا .. لأن العلم صاحب القفزات الهائلة والخطوات المديدة ، ما قال كلمته في هذه المجالات المثيرة حتى الآن .. وصدق الحي القيوم العليم : اذ يقول : (**ويخلق ما لا تعلمون**) النحل/٨ (**الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**) الملك/١٤ .

هذا الكائن النوراني الباهر وهو الروح ... قد يعبر القرآن العزيز عنها

بصيغة النفس الانسانية ... فيذكر صفاتها ونعوتها ... فيقول الله تبارك وتعالى : **(وهديناه النجدين)** البلد/ ١٠ ... ويقول:**(ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها)** الشمس/ ٧ ، ٨ ... فالنفس المجردة هي نفس مخيرة تفعل الخير كما تفعل الشر .... تقدر على الخير ... وتقدر على الشر ... حتى تكون أهلا لتقلد أعباء المسئولية المتكاملة ، فتصبح بعد ذلك خليقة بالثواب تفوز به ، او قمينة بالعقاب تتجرع غصصه وتكتوى بمرارته ، وهي في كلتا الحالتين : من حقها أن تأخذ زمام المبادرة ، متى حددت معالم المنهج الذي تبغى السير عليه : **(فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)** الكهف/ ٢٩ .... **(ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة)** الانفال/ ٤٢ .

ومن فضل الله السابغ عليها (اى النفس) : أن وضع بين يديها الوسائل التي تستخدمها وتستعين بها على الخير ... برغم ما قد يكون مغلفا به ــ في بعض الأثناء ــ من قسوة صارمة ، ومرارة بالغة ... إن هي تجردت له ، وتوجهت إليه ، وفي ذات الحين هناك الوسائل إلى الشر شاخصة ماثلة ، وهي في متناول هذه النفس وفي مقدورها أن تسلكها لتصل إلى ما تريد ... علما بأن هذا السبيل تسيل من حواليه الشهوات المعسولة ، وتكتنفه المغريات البراقة ، التي يجري لها اللعاب ، وتتحلب لسحرها الأشداق ، وذلك عندما تتبدى للانسان في هذه التزاويق الخبيثة الماكرة ..

هذه اللطيفة الربانية التي نسميها بالمفهوم الديني الشفاف ، مرة « بالعقل » ، ومرة ثانية « بالقلب » ومرة ثالثة « بالروح » ... هي التي تقدر وتتدبر ، وانت ــ ابن هذا الكوكب الأرضي ــ تستطيع ان تدرك بها الخير والشر ، وان تميز بينهما ... وهذه المنحة الالهية الزكية ، مستعدة ــ بما ذرأه الله فيها من استعداد ، وما بثه الله فيها من طاقات ــ للترقي العلمي والعرفاني الى أقصى الحدود الممكنة ، فليس الانسان ملكا ، كل اتجاهه إلى الخير ، كما أنه ليس شيطانا ، كل اتجاهه إلى الشر ، ولكنه مهيأ بحكمة الله تعالى للاتجاهين .

فالنفس الانسانية واسعة الحدود ، مرنة الطبيعة ، تقبل الخير كما تقبل الشر ..

ومما تجدر ملاحظته .. أنه مع التسامي بالنفس الانسانية في القرآن ذلك الكتاب المقدس ، ومع أن هذه النفس عالمة فاضلة ، مع أنها مشرقة مستنيرة ، فان الانسان لا يذكر غالبا في التنزيل الحكيم إلا ومعه الميل الى الشر ... والانسياق إلى الجهل والظلم ، والاندفاع مع تيارات الخوف الرعناء ، ثم هذا الجزع المتخاذل يكتوى بناره ، ويتجرع غصصه ... قال تعالى : **(إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه**

كان ظلوما جهولا) الاحزاب/٧٢ . **(إن الانسان لربه لكنود)** العاديات/٦ **(والعصر . إن الانسان لفي خسر)** العصر/ ١ ، ٢ **(إن الانسان خلق هلوعا . إذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخير منوعا)** المعارج/١٩ ـ ٢١ .

ويمكن أن يعزى هذا كله .. إلى أن النفس الانسانية حينما احتلت هذا الجسم الترابي ، وذلك الغلاف الطيني ... وهي كائنة بوضعها الرباني .. نسيت وجهلت وتطبعت بطابع الاناء والوعاء الذي نزلت فيه ... وحلت به ... تطبعت بميول المادة وخصائصها ... ليس هذا فحسب ... بل إن الشيطان قد سلط عليها ... وما زال يسيطر عليها ويزين لها ... واذا كانت النفس قد خدعت بالشيطان وهي في أمرها الأول ... فما بالك وقد نزلت إلى وطنها الثاني والى وعائها المادي مع علو الأصل وسمو الخلق ؟..

وقد يتبادر إلى ذهنك هذا السؤال : ما الدواء ؟ وما العلاج ؟ هل تهوى الانسانية أبدا ؟ هل تغوى البشرية على طول الخط ؟ أبدا لن تهوى الانسانية لأن معها عاصما يحرسها من أن تكبو ... **(إن الانسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)** العصر/٢ ، ٣

ولن تغوى البشرية لأن حاميا يأخذ بيدها ويجنبها العثار ، ويحفظها من المزالق .... **(إن الانسان خلق هلوعا . إذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخير منوعا . إلا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون)** المعارج/١٩ ـ ٢٣ .

فالعلاج إذن لهذا الصدأ ، في ذاك المطهر لتلك الأدران ، هناك المدد من النور ، الذي يغشى الانسان في سبحات طهور ، فيجعله ينغمس في بحار الهداية ، ويرشف من كأس الفوز ، عن طريق الجهاد الدائم المستمر الدءوب ... لم يترك الله الانسان سدى ، ولم يخلقه عبثا ، بل أرسل إليه الرسل ومعهم الكتب ، حتى يمكن حفظ الروح على طهرها ، ولكي يدوم إقبال العبد على ربه ، متبتلا إليه عابدا له ، ومن هذا المنطلق يواصل العقل الانساني مسيرته الظافرة في كنف الدين ، وفي رعاية الرسل الأكرمين ، وتحت هذا اللواء الخفاق لواء القرآن الكريم ، الذي يرفد الانسان بمعطيات لا نهاية لها ..

(وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) يوسف/٥٣

(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) العنكبوت/٦٩ .

ومن هنا تظهر لنا حاجة العقل الماسة إلى الدين الخاتم للأديان ، وهو الذي نقله الينا ــ بأمانة ونزاهة ــ أستاذ الرسل وزعيم الأنبياء محمد بن عبد الله عليه أزكى الصلوات وأتم التسليمات ، في الكتاب الذي شرفه الله به وهو الفرقان **(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون**

للعالمين نذيرا) الفرقان/١ .
وذلك بقصد أن يحتفظ العقل بمساره في استقامة واعتدال ، مهما كانت ضراوة الرياح الهوج ، وكيفما بلغت الأنواء في وقعها ونكايتها .
واذا كان سيدنا ومولانا رسول الله عليه الصلاة والسلام ... هو الصورة الحقيقية الحية للمثل الأعلى الانساني ، فان القرآن — وهو الدستور الذي نزل على محمد — هو بلا مراء يحكي الصورة المضيئة للمثل الأعلى الرباني ... ولا بد للعقل أن يأخذ عن هذين المثلين ، ويغترف من معينهما الغزير ، ويكرع من نبعهما الثر الوفير ، ولا مناص له — ليستوى على الجادة — أن يقتبس من هذه الأنوار ، ويعبق نفسه من شذى تلك الأزهار ، ليلج بحر الحقيقة الموار ، وينتظم بشفافيته في زمرة الملائكة الأطهار ، وبذلك يتسنى لابن آدم ان يصير من عباد الله المصطفين الأخيار .
(وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) ص/٤٧ .
ولكى يأخذ الحديث مساره الصحيح ، وتكون له أبعاده المطلوبة ، نرى لزاما علينا أن ندلى بكلمة عن هذين المثلين ... وهما يمثلان الدائرة المضيئة الكاشفة للعقل الانساني ..
فما هو المثل الأعلى الرباني ؟ وما هو المثل الأعلى الانساني ؟
يقول الله تعالى : **(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)** المائدة/١٥ ، ١٦ .
لا بد لمعرفة المثل الأعلى الانساني والمثل الأعلى الرباني ، من ذكر بديهيات عامة نسير على ضوئها ، وهي بديهيات يقبلها ويسلم بها كل عقل ، وهي تتعلق بخصائص المثل الأعلى ..
يجب أن يكون المثل الأعلى الانساني حائزا لأقصى كمال انساني ممكن ، والا فلو كان هناك كمال إنساني يفوقه فليس هو بمثل أعلى ..
كما يجب أن يكون صالحا للاقتداء به في كل زمان ومكان ، فاذا لم يصلح فهذا دليل على نقصه ، اذ يجوز أن تكون علة عدم الصلاحية إنما هي راجعة إلى وجود الأكمل ... ولو لم يكن حائزا لهذه المرتبة الجامعة لما جاز للعلماء أن يبحثوا عنه في القرن العشرين في أوروبا وأمريكا وآسيا .
وأخيرا يجب أن تتصف جميع أقواله وأفعاله وأحواله بأقصى مراتب الكمال الممكن حيث إنه المثل الأعلى للكمال الانساني ..
نطرح بعد ذلك هذا السؤال الهام ولا تحتاج الاجابة عليه إلى مزيد من عناء الفكر ، وكد الخاطر ..
من ذا الذي يحيط علما بكل كمال إنساني ممكن صالح لكل زمان ومكان ؟؟
إن الذي يعلم ذلك يجب أن يحيط علمه

بحقائق البشر جميعا ، وما يليق بكمال كل منهم في كل زمان ومكان ، والا فلو فاته شئ من ذلك فيجوز أن الذي فاته هو الأكمل ... ولا يحيط بذلك إلا من علم ماهية الوجود وحقيقة كل شئ ، ليعلم مواطن الكمال الحقيقي الثابت ، والا لكان كمالا نسبيا تابعا لتعلق المعلومات ، يزيد بزيادتها وينقص بنقصها .

ومن ذا الذي يحيط علمه بماهية الروح والعقل والنفس والمادة وحقيقة كل شئ وعلاقة الحقائق ببعضها ، ويمتد علمه إلى الماضي ويشرف على الحاضر والمستقبل ، ومعنى ذلك أنه لا يغرب عن علمه مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر في الأرض ولا في السماء ، في الدنيا والآخرة ، هذا العلم ليس في طاقة المخلوقات جميعا .

من إله غير الله يعلم هذا في إحاطة وشمول ؟

(وسع ربي كل شئ علما أفلا تتذكرون) الأنعام/٨٠ .

الله سبحانه وتعالى وحده هو الذي يحيط بكل كمال إنساني ممكن إذ أحاط علمه بكل الممكنات وتفاصيلها ، وبالموجودات ومراتبها ، وبالكائنات ومصائرها ، فلا يمكن لبشر ان يتحقق بمرتبة المثل الانساني الآعلى إلا بتعريف من الله .. عز وجل .

وبناء على كل ما ذكرناه ... يجب أن يكون المثل الانساني الأعلى صاحب شريعة جامعة لكل الكمالات الممكنة ..

واذا لم يكن في وسع البشر ولا المخلوقات جميعا حصر الكمالات الانسانية الممكنة ، والاحاطة بها ، لما يقتضيه ذلك من علم لا تطيقه الموجودات ... فقد وجب أن تدور هذه الشريعة حول كتاب إلهي جامع لهذه الكمالات ومحيط بها إحاطة شمول ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة تسعد الخلق أو تشقيهم إلا أحصاها : هذا الكتاب الالهي الفذ هو المعجزة الخالدة الباقية ... ولو اجتمعت المخلوقات برمتها على أن يأتوا بآية من آياته لباءوا بالعجز ، ورجعوا بالخيبة وبوار السعي ..

ويتولى المثل الانساني الأعلى تطبيق هذا الدستور الالهي الجامع ـ الذي أنزله الله عليه ـ وينفذ أحكامه ، فيبينه للناس بأقواله وأفعاله وأوامره ونواهيه ليهتدوا بهديه ويسيروا على ضوئه فيسعدوا في الدنيا والآخرة .

والذي يتلقى عن الله هذا الكتاب الجامع لكل كمال يجب أن يكون هو جامعا لكل كمال بشري ممكن ، ذلك لأن المتلقي لو كان ناقصا لما صلح لقبول هذا الكتاب ولا لبيانه ولا لتبليغه ، ومحال أن يوحي الله بكتاب إلى من لا يفهم ... ولو كان المتلقي ناقصا لبلغه ناقصا وهذا طعن في كمال الكتاب نفسه .. فالذي يتلقى هذا الكتاب الالهي يجب ان يكون متحققا ومتخلقا بجميع ما في هذا الدستور من كمالات ...

فما هي خصائص الكتاب الالهي ؟ أو ما علامات المثل الأعلى الرباني ؟ ذلك موضوعنا الذي سنعالجه في حديث آخر .

المجتمع القرآني
رسالة الاسلام الأولى

للاستاذ : طه محمد كسبه

لعل من المقولات التي أصبحنا نتداولها اليوم دون أن نعقب ، هي أن التاريخ لا يكذب ..

ومن الثابت تاريخيا أن الانسانية عاشت قبيل ظهور الاسلام في فساد شامل ، وأوضاع مضطربة يسودها الظلم ، وتعمها الفوضى ، حيث مرت الانسانية بفترة من أخطر فترات حياتها ، حيث نسيت التعاليم الدينية واحتجب الضمير وراء غشاوات الطمع والاستعلاء ، وانقلب حال الدنيا إلى ظلم مطبق ، وصار الناس بلا دين ينظم حياتهم ، ويصلح من شأنهم ، ويقضي على مفاسدهم ، وعاشت البشرية تعاني من ويلات الاضطرابات الاجتماعية ، ووطأة الصراع المادي الممقوت ، وانقسم الناس الى طبقات حاكمة وأخرى محكومة ، وبرزت قيم جديدة في التعامل بين الناس تقوم على الجنسية والعنصرية والمذهبية وحيث الحاكم قاهر ، والمحكوم مقهور ، حتى ضجت السماء من مفاسد الأرض وكان لا بد من ثورة إصلاح كبرى تعيد للانسانية ما خسرته ، وترشدها إلى الطريق السوى ، بحيث لا يستطيع أن يقف في وجهها بشر .

وجاء الاسلام ، بظهوره ، ليصحح تلك الأوضاع ، ويرد إلى الانسانية السعادة والاستقرار ، فكان أن رفع عنها أسرها وحطم أغلالها ، وأظلها بتعاليم العدالة

والمساواة والكرامة ، فجاء زاخرا بعناصر القوة ، مليئا بأحاسيس الحياة يرشد الحائرين ويهدي الضالين إلى سواء السبيل :

(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) المائدة/ ١٥ و١٦ .

ولقد أخذت الدعوة الاسلامية على عاتقها عبء حماية المستضعفين ، وعملت على إقرار حقهم في الحياة العادلة ، وهداية البشر إلى طريق العدل الاجتماعي والارتباط الروحي والفكري والوجداني ، حتى يعيش الانسان يومه وغده في أمن وسلام ، حين حملت للناس أكرم ما في الحياة من مبادىء ، وأسمى ما تصبو إليه الانسانية من مثل أذابت الفوارق ، وحاربت الطغيان ، وقضت على آفة التفاخر بالأحساب والأنساب والأموال والثروات ، وأعلنت الوحدة والمساواة بين كل البشر .

ولقد كان أول ما هدف إليه القرآن الكريم ــ لسان حال الدعوة الاسلامية ــ هو إقامة المجتمع القرآني الشامل الذي تحدث عنه وافاض ، وجاء ذكره في مواضع عدة ، بحيث جاء هذا الحديث شاملا يحيط بجوانب هذه المسألة إحاطة أعجزت الدارسين والمهتمين بدراسة المجتمعات الانسانية ، ذلك أن الاسلام كان حريصا على إقامة مجتمع جديد تكون الكلمة العليا فيه لله ولكتابه الكريم ، وتوجيهات نبيه العظيم عليه الصلاة والسلام .

ولقد عمل الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، والمسلمون قدر طاقتهم على تنفيذ أوامر السماء نحو تأسيس هذا المجتمع القرآني الناشيء ، في المدينة المنورة بعد الهجرة ، وبعد انتقالهم إلى دار الأمان والسلام ، ليبدأ عمله في إقامة المجتمع الذي نادى به القرآن الكريم على مدى ثلاثة وعشرين عاما .

وفي مواجهة مجتمع الجاهلية كان على القرآن الكريم ، وعلى الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام ، وعلى المسلمين كذلك أن يجدوا السعي نحو إقامة هذا المجتمع الجديد الذي يوفر لهم الأمن والاستقرار والسعادة في الدنيا والآخرة ولقد دخل الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وصحابته في معارك طاحنة في سبيل إقامة هذا المجتمع الاسلامي ، ومن هنا نستطيع أن نقول :

١) إن هذه الرسالة الاسلامية الجديدة قد خط لها الله سبحانه وتعالى خطوطا ثابتة تبدأ بالايمان الذي هو ركيزة الاسلام الأولى ، إيمان بالله وحده ، وافراده بالتقديس ، ذلك ان الايمان هو الشعلة التي تضيء للمؤمن ظلمة حياته وتحمله على أن يكون عزيزا لا يرضى بالهوان ، قويا يأنف من الجور والطغيان ومن الاتيان بصغائر الامور :

(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ

بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) آل عمران/ ٦٤ .

٢) كما استطاع القرآن الكريم أن يغرس في المؤمنين به الاحساس بانهم كرماء على الله بتفضيله لهم على كثير ممن خلق ، وذلك لأن استشعار المؤمن لهذا المعنى النبيل يدفعه إلى المطالبة بحقه في الحياة على مستوى التكريم الذي لقيه من الله سبحانه وتعالى ، فكل ما في السماء وكل ما على الأرض مسخر من أجل خدمة الانسان الذي هو أكرم مخلوقات الله جميعا :

(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) الاسراء/ ٧٠ .

٣) كما فرض فيهم ـ كذلك ـ الاحساس بانهم إخوة فلا يحق لأحد أن يتعالى على أخيه ، ولا أن يبغي مؤمن على مؤمن ، فكلهم من آدم ، وآدم من تراب ومعيار التفاضل بينهم هو التقوى والعمل الصالح :

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات/ ١٣ .

٤) وفي مجال التطبيق العملي لرسالة السماء كان للقرآن الكريم مواقفه التي تحسب له حيث لا استثناء لأحد على حساب العدالة والحق ، كما أن لا خصوصيات لأحد على حساب المجموع مهما كان هذا الأحد ، ذلك أن الجنة لأولئك الذين يعملون وفق رسالة السماء والذين لا يخالفون أمر الله :

(ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجزبه ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) النساء/ ١٢٣ و١٢٤ .

٥) ولذا .. فقد جاء القرآن الكريم يعلن ان هذه الدعوة الاسلامية لا تحتمي بجنس أو تقتدى بعنصر أو عصبية قبلية ، أو مذهبية كما ادعى اليهود والنصارى وزعموا ، لكنها رسالة السماء لأهل الأرض جميعهم :

(وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) البقرة/ ١١١ .

٦) وخطا الاسلام خطوات واسعة وسارت الدعوة في طريقها ، وأصبح المسلمون مهيئين لاستقبال المزيد من تعاليم السماء ، وكان أن نزل الوحي لهذا المجتمع الجديد بالمزيد من التشريعات الاجتماعية بهدف تحقيق العدالة الاجتماعية التي يسعى إليها بشكل يسع الناس أجمعين بحيث لا اعتبار لجنس أو مذهب أو عنصر ، فالناس في عدل الله سواء وهم على سطح الأرض إخوان متحابون متعاونون :

(إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم

لعلكم تذكرون) النحل/ ٩٠ .

٧) وتأسيسا على ما سبق فان هذه الرسالة الوليدة قد جاءت لترفع من شأن المستضعفين في الأرض واستجابة من السماء لآلامهم في الخلاص من ظلم أبناء الأرض فجاءت لتؤكد على إنسانيتهم وإنصافهم ، ولتعلى من أقدارهم مؤسسة بذلك مجتمع البر والتقوى والعدالة والمساواة :

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) الكهف/ ٢٨ .

٨) ولقد كان على هذا المجتمع الجديد الذي تأسس على هذه القواعد المتينة والراسخة أن يتصدى للمتاجرين بالاديان والناس ، والمقامرين بأقدارهم كما كان لزاما على القرآن الكريم مواجهة جيوب المنتهزين من تجار الرجعية الدينية الذين شوهوا وجه الحق ، يفضحهم ويكشف زيفهم :

(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون . وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون . بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) البقرة/ ٧٩ ـ ٨٢ .

وبهذا الشكل ، وعلى هذا النمط تأسس المجتمع الاسلامي الذي دعا إليه القرآن الكريم ، بوحيه الذي نزل على رسولنا الكريم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، وأقام بنيانه وأقيمت قواعده وتأسست لبناته على أسس متينة ، هذا .. المجتمع الاسلامي الذي كان شغل الرسول الكريم الشاغل ، ولقد استبانت هذه الملامح بقيام المجتمع القرآني في المدينة وفي كل الامصار والبلاد التي تم فتحها على أيدي الفاتحين العظام من ابناء الاسلام .

لقد قام في الجزيرة العربية ، وفي كل أرجاء العالم الاسلامي الذي شيده الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وصحابته الأبرار الأفذاذ مجتمع قرآني بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان ودلالات .

أ ـ هذا المجتمع تسوده المساواة حيث لا تفرقة أو عصبية ، أو أي شكل من أشكال التمييز العنصري **(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)** النساء/١ .

ب ـ وهو مجتمع ليس فيه مكان لحقد أو حسد ، مجتمع تظلله المحبة والاخاء : **(قل أعوذ برب الفلق .**

من شر ما خلق . ومن شر غاسق إذا وقب . ومن شر النفاثات في العقد . ومن شر حاسد إذا حسد) سورة الفلق .

جـ ـ مجتمع دليله التعاون وسبيله التناصح ، يعمل أفراده بروح الفريق شعارهم التضحية والايثار : **(والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)** الحشر/ ٩ .

د ـ مجتمع ينهي أصحابه عن لمز بعضهم البعض احتقارا واستصغارا لهم ولشأنهم سخرية وهزؤا (**(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)** الحجرات /١١ .

هـ ـ مجتمع ينهي أبناءه عن التجسس والظن ويحول بينهم وبين الغيبة والنميمة : **(يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم)** الحجرات/ ١٢ .

و ـ مجتمع لا يكذب ولا ينشد إلا الصدق : **(فنجعل لعنة الله على الكاذبين)** آل عمران/ ٦١ **(هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم)** المائدة/ ١١٩ و **(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)** التوبة / ١١٩ .

ز ـ مجتمع شعاره العدل ووسيلته إلى ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب المظالم : **(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا)** النساء/ ٥٨ .

وعلى هذا تأسس المجتمع القرآني ، بوحي من رسالة السماء ، وبفعل الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وعلى سواعد صحابته الأبرار من المهاجرين والأنصار ، والفاتحين لديار الظلم والشرك والوثنية .. مجتمع يسوده الحب والاخاء ، والتعاون والمساواة ، يظلله العدل والسماحة .. مجتمع قرآني عظيم .. وحتى يحقق إرادة الله .. في بعث أمة إسلامية مجيدة تؤمن بالله وتوحده ، تؤمن بقرآنه ورسالته ، وتوقر رسوله الكريم وتؤمن بنبوته .. مجتمع قرآني فريد .

المجتمع القرآني ودعوى صراع الطبقات

لعلنا نستطيع أن نتبين بشيء من الموضوعية ، والدراسة المتأنية ، والنظرة المتأملة ، ومن خلال الاستقراء الموضوعي ، والتحليل

السليم لمكونات ودعائم وسمات هذا المجتمع الاسلامي الذي بشر به القرآن الكريم، وعمل على إقامته وقام رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام وصحابته بتشييد بنيانه، نجد أن القرآن الكريم بدعوته – وتبشيره – قد سعى إلى إيجاد مجتمع قرآني أخوي متحاب، لا مكان فيه لايثار طبقة على طبقة، ولا فئة على فئة، ولا طائفة على أختها، ذلك أن الدين الذي آخى بين المهاجرين والانصار، والذي آخى بين المسلمين في كل بقاع الأرض والذي وضع أصول الحكم والاقتصاد والسياسة والاجتماع لهذا المجتمع الجديد، قد استطاع أن يوجد تلك الامة الاسلامية الواحدة، وان يوجد ذلك المجتمع الاسلامي الواحد الذي هو كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

هذا المجتمع الاسلامي الذي تأسس بوحي السماء، وبتوجيه الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام، قد عمل على إرساء قواعد العدالة والتكافل الاجتماعي محققا بذلك عدالة اجتماعية فريدة لم تسبقه أية نظرية أو فلسفة.

والمتتبع لروح الاسلام في تشريعاته ونظمه المالية يرى أنه قد سار فيها على هدى فكرته الانسانية الشاملة وهي ملاحظة الفرد وتحقيق مصلحة الجماعة، ووقف بين ذلك قواما لايضار الفرد ولا الجماعة، وانه قد اعتمد في ارساء قواعد العدالة الاجتماعية على ركنين اساسيين هما التشريع والتوجيه، وهما معا قوام النظام المالي كما انهما قوام كل سياسة في الاسلام.

ان الاسلام حين حاول تحقيق هذه «الاجتماعية» لم يشأ ان يكون التشريع وحده هو الذي يكفلها بل وجه الى التشريع قوة الضمير بعد تهذيبه، وذلك ليرتفع بهذه العدالة عن ان تكون عدالة اقتصادية محدودة بل عدالة انسانية شاملة ثم هتف بهذا الضمير ان يتسامى فوق التكاليف المشروعة ما استطاع الى ذلك سبيلا، واقام الاسلام عليه رقيبا من خشية الله وصور له هذه الرقابة في صورة مؤثرة رائعة، **(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)** الانبياء/٤٧ ٧

(مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم اينما كانوا) المجادلة/٧.

انه من الممكن ان تصبح الحياة والمجتمعات صالحة اذا نفذت التكاليف المشروعة في الاسلام، لكنها تكون دون الكمال الذي يهدف اليه هذا الدين القيم ما لم تتم بما يوجه اليه الضمير البشري من ارتفاع وتسامح، والتوجيه الوجداني في الاسلام هو القوة المكملة للتكليف التشريعي ثم هو الكفيل بتنفيذ هذا التكليف عن طواعية واقبال ويمنح الحياة قيمتها الانسانية الكريمة

المتسامية عن القيود .
ولعل الزكاة التي فرضها الاسلام والتي هي احد اركانه الاساسية مثال طيب ودليل لا يقبل الجدل على ما نقول ، وهذا على عكس ما قال به الماركسيون وادعوه باطلا وبهتانا من ان الاسلام قد شهد صراعا طبقيا اخذ في طريقه كل شيء .
ذلك ان مبدأ التكافل الاجتماعي الذي ارسى الاسلام قواعده قد الغى كلية كل اسباب ومقومات نشأة صراع طبقي من اي نوع ، كما ان الاسلام قد حافظ وكان حريصا كل الحرص على حسن تطبيق المبدأ الذي استنه والذي به استطاع ان يحافظ على بناء المجتمع الاسلامي حيث يتم التغيير والتقدم من الداخل في اطار من الحب والمودة والسلام الاجتماعي الذي كفل لهذا المجتمع تقدمية الحركة وسرعتها الى الامام .
ان هذا التكافل الاجتماعي ، والسلام الاجتماعي الذي ترسخ في بناء هذا المجتمع الاسلامي قد حالا دون وجود هذا الصراع الطبقي الذي يحاول دعاة الماركسية ان يثيروها الآن بدمويتهم المقيتة ، وبافكارهم السامة ، وعقيدتهم المادية المشبوهة .
ولقد اخطأ الماركسيون والشيوعيون العرب وغيرهم في تفسير التاريخ الاسلامي ، كما انهم لم يستوعبوا بعد مضمون وجوهر الرسالة الاسلامية ذلك ان هذا الصراع الذي ثار بين المسلمين بعضهم البعض والذي اتخذه الماركسيون دليلا على صحة دعواهم انما كان صراعا ذا طابع سياسي ولم يكن صراعا طبقيا ، تغلبت بموجبه طبقة على اخرى ، او فئة على اختها .
والخطأ الذي وقع فيه الشيوعيون في وطننا العربي والاسلامي ، انهم قد نظروا الى التاريخ الاسلامي بنصف عين ، ذلك انهم لم يقرأوا التاريخ الاسلامي كله ، كما انهم لم يقرأوا التاريخ البشري كله ، وكل الذي فعلوه انهم ساروا على نهج امامهم ماركس ، حين تخير احداثا بعينها في تاريخ البشر واطلقها على التاريخ كله ، فقد كانوا يقرأون ما كان يعينهم – ويتفق مع اصول نظريتهم الاولى – على استخراج افكارهم واحكامهم وآرائهم ، فكان ما يثير انتباههم ويلفت انظارهم ، منظر تلك الدماء التي تسيل من صفحات التاريخ ، ولم يكن ينفذ الى انوفهم سوى رائحة الدم ، يسيرون وراءها ويدللون عليها ، ويتتبعون خيوطها ، ويستخرجون منها احكاما ومبادىء وافكارا واستنتاجات يطلقونها على التاريخ كله ، على وجه العموم ، او التاريخ الاسلامي خاصة ، مثلما فعل ماركس حين اعتمد في استنباط نظريته عن التاريخ على بعض مراحل التاريخ دون الاخرى والتركيز على بعض احداثه دون اطلاقه ومن هنا تسقط دعوى اطلاق الصراع الطبقي وحتميته على المجتمع الاسلامي ذلك ان الاسلام لم يكن اساسا من افراز النظام الطبقي في قريش ولم يكن الاسلام ايضا دينا رجعيا يحفظ

للظالمين والمستغلين اموالهم وامتيازاتهم كما انه لم يكن مخدرا للفقراء والمحتاجين والمعدمين ، يجعلهم في حالة تبدل دائم ورضى بفقرهم وعجزهم ، كما دعا الى العمل والحركة والسعي على الرزق ، ومجاهدة النفس والمشركين والمستغلين ، وكان بحق ثورة ضد اعداء السماء والانسان .

وكون الاسلام ثورة متجددة لا يعني انه جاء نتيجة انقلاب عسكري او سياسي قام به مجموعة من الافراد الذين يطلقون على انفسهم ثوارا ، او مجموعة من العسكر ، كما لا يعني ذلك انه جاء نتيجة انقلاب مناظر في نظام الانتاج وعلاقاته المتشابكة في قريش ، وانما جاء كظاهرة فوقية مستقلة عن البيئة فقد جاء الاسلام من البداية مقررا للمساواة في الفرص وضمان حق الكفاية لكل المواطنين ، وتحقيق التوازن الاقتصادي بين الفرد والمجتمع وجاء بمبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة ومبدأ الاقتصاد الحر الموجه ، وجاء بكل ذلك في الجزيرة العربية في وقت لم تكن ظروف الانتاج وعلاقاته تدعو اليه بحيث يمكن ان نقول : ان ما حدث كان انبثاقا من واقع اقتصادي ، وتحدي بذلك منطق الماركسيين التاريخي وحساباتهم المادية التي تحتم انبثاق كل انقلاب سياسي من انقلاب مناظر في نظام الانتاج وعلاقاته .

وعليه فان الصراع الذي ثار بين المسلمين – والذي يتخذه **الماركسيون** حجة ودليلا على صحة نظريتهم – انما كان من اجل الحكم ، وكان صراعا سياسيا لا طبقيا ولا يقره الاسلام بحال من الاحوال ، فهو خارج عن منهج الاسلام وبعيد عن روحه السمحة ، ويبقى الاسلام بجوهره السامي الذي يشع رياح الاخوة والمصالحة بين المسلمين والذي يقرر في صراحة : « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل احدهما صاحبه فالقاتل والمقتول في النار » قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول . قال : إنه كان حريصا على قتل صاحبه » . رواه احمد والبيهقي والنسفي ويقول الله تعالى : **(إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم)** الحجرات/١٠ .

ومن هنا فان دعوى صراع الطبقات الاسلامي والذي يحاول اليوم دعاة الماركسية واصحاب التفكير الالحادي إلصاقه بالاسلام ، وصولا الى تفريغ الدين الاسلامي من محتواه الروحي ومضمونه العقائدي إنما هي محاولة رخيصة لن تجدى ولن يكون مآلها إلا الفشل والبوار .

والى هؤلاء اوجه دعوتي إلى ان يقرأوا ويعيدوا قراءة التاريخ الاسلامي كله ، وان يفهموا جيدا ما يقرأون شرط ان يزيحوا تلك الغشاوة الماركسية التي على اعينهم حتى يستطيعوا ان يقرأوا جيدا وان يفهموا جيدا ما يقرأون ، وحتى لا يعودوا ليتهموا الاسلام ويلصقوا به عيوبهم وعيوب نظريتهم وفكرهم المادي الملحد الذي يخرب النفوس ويفسد الحياة على ارضنا الطيبة .

دور الأسرة في بناء المجتمع

ما الأمة إلا مجموعة من الأسر ، تترابط فيما بينها بمبادئ وأعراف وتقاليد .. يتفاوت أثرها بين الأمم تبعا لتفاوتها في درجات الثقافة والمعرفة .. وكلما كان الأساس قويا كلما كان ذلك أدعى لتماسك البناء .. وكلما كانت الأسرة قائمة على الأسس الصحيحة ، كلما كان المجتمع قويا .. والأسرة إحدى دعائم المجتمع الانساني ، والأمة مجموعة من الأسر ، والأسرة أساس قوي لتماسك بناء المجتمع وإقامة صرح الانسانية . والزواج عماد الأسرة ، به تنشأ وتتكون ، وفي ظله تقوم الأسرة بدورها في الحياة ، حيث تتفرع أواصر القرابة وتمتد ...

ومن هنا ندرك أهمية الزواج في بناء الأسرة ، وأهمية الأسرة في الاسلام ، والله سبحانه وتعالى يذكر الانسانية برباط الأسرة ليكون ذلك داعيا إلى مراعاة الحقوق والواجبات والآداب والاخلاص والصدق .. يقول تعالى في الآية الأولى من سورة النساء :ـ

(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها

للأستاذ/ أحمد عبدالرحيم السايح

زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) .

فالله سبحانه وتعالى - يأمر بالتقوى في هذه الآية مرتين - كما ترى - يفيد الأول أن نكر الخلق على هذه الصورة يدل على قدرة باهرة ونعم سابغة تستوجب الشكر والطاعة والخشية والتقوى لهذا القادر العظيم ونلك المنعم الكريم . ويفيد الثاني أن المراد هو الأمر بتقوى خاصة تنطق بحفظ ما بينهم من صلات اجتماعية وحقوق إنسانية فلا يقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، ولا يفسدوا في الأرض ، وليتقوا من وصل بينهم حيث جعلهم من نفس واحدة ...

وهذه المعاني تبرز في وضوح دور الأسرة في حياة المجتمع الانساني ، ولهذا اهتم الاسلام ببناء الأسرة ووضع لها من الركائز ما يضمن حسن مسيرتها .. وكان الزواج في الاسلام بابا من أبواب السعادة والنجاح ، والطريق الأمثل لذوى الفطرة السليمة ... وإحدى آيات الله الكونية والانسانية ، تدعو إلى التفكر والتأمل الباعث إلى الحكمة والاهتمام بالزواج .. قال تعالى في سورة الروم الآية/٢١ :

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

فهذه الآية الكريمة تضمنت في أعماقها آيات كبرى وكلها تشير إلى فيض الحكمة الالهية .

وقد تلمس الغايات من الزواج كثير من علماء النفس وعلماء الاجتماع ، لكن ما قررته آية سورة الروم منذ أربعة عشر قرنا فاق كل تلمس ، وتحدى كل فكر فالآية الكريمة قررت غايات الزواج كي يظل الفكر الاسلامي معتمدا على الأصيل الثابت ، فلا يتأثر بالفكر المستورد المجانب لكل فضيلة ، وحتى لا تجرفه التيارات المريضة والتي تراكم عليها عفن الجاهلية والانحطاط ..

والمرأة والرجل محتاجان إلى تفهم آيات القرآن الكريم ، والتأمل في كنوز الاسلام التي تغرس في النفوس السمو والنبل ، وتصقل الأفئدة بالتربية الصحيحة .. وإن آية سورة الروم وما فيها من آيات لتدل فيما تدل على أن الانسانية مهما بلغ بها التقدم العلمي والرقي الفكري ، فهي في أشد الحاجات إلى الايمان بغايات الزواج في الاسلام ... وسوف نسير مع غايات الزواج - كما توحي بنلك آية سورة الروم غاية غاية لندرك سمو

التشريع الاسلامي ، ونتبين الطريق السليم .

أولا :

قال تعالى :

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا ....) والأزواج جمع زوج ، والمراد به في الآية « المرأة » بقرينة عودة الضمير إليها مؤنثا في قوله تعالى: **(لتسكنوا إليها)** ومعنى هذا أن المرأة من الرجل وأن الرجل من المرأة وأنهما من جنس واحد ، وطبيعة واحدة ، هى الطبيعة الانسانية وأنه سبحانه خلق من هذا الجنس زوج المرأة ، كما خلق منه زوج الرجل ، ليسكن إليها وتسكن إليه .. ومادامت المرأة والرجل من معدن واحد ... فخصائصهما ، وما به إنسانيتهما ، واحدة ، وليس أحدهما أدخل في باب الانسانية من الآخر .. ولن يكون شيء من الذكورة أو الأنوثة شافعا أو رافعا لأحدهما ، ومانعا أو خافضا للآخر في مجالات العمل والتكاليف وما يتبعها من ثواب وعقاب .

قال تعالى في سورة النحل الآية/٩٧ :

(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .

وقال تعالى في سورة آل عمران الآية/١٩٥ :

(فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض)

ومن حكمة الله أنه جعل المرأة من الرجل ، والرجل من المرأة وأنهما في الانسانية سواء ، فالمرأة ليست من جنس مرذول ... والمرأة ليست دون الرجل في الانسانية .. والمرأة ليست مخلوقا مطرودا من رحمة الله ، والمرأة ليست وعاء للانتاج البشري . والمرأة ليست شرا لابد منه ووسوسة جبلية وآفة مرغوبا فيها كما زعم الأوروبيون ، إنما هى في الاسلام نصف المجتمع لها إنسانيتها وفاعليتها وأثرها وتأثيرها .. ولهذا السبب كان الرابط بين الزوجين هو الميثاق .. قال تعالى في سورة النساء الآية/٢١ :

(وأخذن منكم ميثاقا غليظا)

والميثاق هو العهد المؤكد الذي يربط الزوج وزوجته .

والآية القرآنية :

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) .

تشير ضمنيا إلى أن هذا الميثاق إحدى آيات الله الفطرية .. جاء في المنار أن هذه آية من آيات الفطرة الالهية هى أقوى ما تعتمد عليه المرأة في ترك أبويها وإخوتها وسائر أهلها والرضا بالاتصال برجل غريب عنها تساهمه السراء والضراء ... فمن آيات الله تعالى في هذا الانسان ، أن تقبل المرأة الانفصال من أهلها للاتصال بالغريب ، تكون زوجا له ، ويكون زوجا لها ، وتسكن إليه ويكون بينهما من المودة والرحمة أقوى من كل ما يكون بين ذوى

القربى ، فالمرأة لا تقدم على الزوجية وترضى أن تترك أنصارها وأحباءها لأجل زوجها إلا وهي واثقة بأن تكون صلتها به أقوى من كل صلة وعيشتها معه أهنأ من كل عيشة .. وهذا ميثاق فطري من أغلظ المواثيق وأشدها إحكاما وإنما يفقه هذا المعنى الانسان الذي يحس إحساس الانسان .

ثانيا :

والسكون في الآية الكريمة : **(لتسكنوا إليها)** من أروع الأساليب البلاغية التي تفي بالمقصود في عبارة موجزة مركزة .. والسكون أعم من أن يكون قاصرا على .. السكون الجنسي ، فهو يشمل سكون النفس وارتياحها واطمئنانها ، وسكون الجسد بالركون إلى شريك الحياة ، وسكون الروح للعبادة والسمو في ملكوت الله . وسكون الاقتصاد بالتعاون المثمر في بناء الأسرة . قال صاحب المنار : « أرشد الله البشرية إلى أن للحياة الزوجية ثلاثة أركان وقد جمعت هذه الأركان في قوله تعالى :

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) .

فالركن الأول : السكون النفسي الجنسي ، وهذا الركن خاص بالزوجين . وهو تعبير بليغ عن شعور الشوق واللذة والحب الذي يجده كل منهما باتصالهما ، والملابسة بافضاء أحدهما إلى الآخر ، وبه يزول أعظم اضطراب فطري في القلب والعقل .

والركن الثاني : المودة أي المحبة التي يظهر أثرها في التعامل والتعاون وهو مشترك بين الزوجين وأسرة كل منهما . والركن الثالث : الرحمة التي لا تكمل للانسان إلا بعواطف الأمومة والأبوة ورحمتهما لأولادهما ، فيكون لكل البشر أو الأحياء حظ من هذه الرحمة الكاملة » ...

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه كان يقول : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله » .. رواه ابن ماجه

ومن هذا المنطق الاسلامي ندرك أن الزوج والزوجة في حاجة إلى الرباط النفسي أكثر من حاجتهما إلى رباط الجسد . وفي حاجة إلى السكينة الروحية حيث يجد كل منهما في الآخر ، نعم الراعي والرفيق ، مهما تقدمت بهما السن أو خفت فيهما نداءات الجنس ، وحالت دونهما موانع الطبيعة . ولا شك أن الزواج بما فيه من سكينة النفس وارتياح القلب ، معين على العفة ، والحصانة الخلقية ...

روى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج ،

فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » ...

فالسكون النفسي ، والسمو الروحي والارتياح القلبي ، والاطمئنان النظري والاحساس بالأمن والأمان ، والشعور بالسعادة ، والتعاون المثمر ، وتبادل المشورة والاستقرار . كل ذلك تضمه عبارة (**لتسكنوا إليها**) وعودة الضمير إلى مؤنث في (**إليها**) يشعر بحاجة الرجل إلى هذا السكون الوارف الظلال ، ويوحي بأهمية الزوجة في الحياة ومجيء عبارة (**لتسكنوا**) مرتبطة بواو الجماعة الدالة على الذكور يشير إلى دور الرجال في السعي إلى هذا السكون الذي هو من لوازم الحياة روى الامام أحمد والترمذي عن ثوبان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ، ولسانا ذاكرا ، وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته » .

وبهذا العمل البناء يكتسب الرجل كمالا أدبيا ، وسموا أخلاقيا ، وفضائل تعلى من قدره ..

ثالثا :

والمودة تشير إليها الآية بقوله تعالى : (**وجعل بينكم مودة**) والمودة المحبة وهى أمر يعم الزوجين وأسرتيهما وتبدو هذه الظاهرة كما يقول صاحب منهاج السنة : في أن الزوج لا يتعامل فقط مع زوجته ، وإنما مع أسرتها كذلك ، وتنشأ بينه وبينها صلات وعلاقات ودية .. أو هكذا ينبغي أن يكون ..

ولعل المتأمل يدرك أن المودة تتحقق بين الزوج وزوجته وأسرتيهما في حالة البناء وتعمير البيت لأن كلمة (**بينكم**) تفيد الاقتران ، والاقتران مدعاة للحب الصادق والمودة الصافية كما أن الفعل الماضي (**جعل**) في (**وجعل بينكم مودة**) يفيد أن المودة قد تنشأ من التعامل القائم بين الزوجين ، وهذا دافع لأن يحرص كل من الزوجين على ما هو أحسن وافضل . ولعل القارئ يدرك معي خطأ أولئك المخرفين الذين ينادون باختلاط الفتى والفتاة ، بعيدا عن العيون ليتم الانصهار في بوتقة الحب « كما يقولون » . إن الحب الذي يقوم بين الفتى والفتاة قبل الزواج بناء على الاختلاط ، حب فاشل . والذين يقيمون الزواج على هذا الأساس مخطئون إلى حد كبير ، وليس معنى هذا أن لا تقوم مودة ومحبة قبل الزواج . ولكن ليس من الضروري أن لا يتم الاقتران إلا اذا كان قائما على تبادل كلمات الحب ، والتي كثيرا ما تتم في حالة هيجان عاطفي وبعيد عن الرقابة . وكثيرا ما يكون الحب قبل الزواج قائما على دوافع غريزية ألهبها الاحساس بالحاجة . وكثيرا ما يكون للمظاهر المصطنعة أثر فعال في تأجيج نيرانه . وعندما يتم الاقتران تنكشف الحقائق . فيتوارى الحب بعيدا وتنشأ أمور أخرى . أما الحب الذي تفاعل بين الزوجين في بيت الزوجية فهو حب قائم على الرؤية الصحيحة ولهذا كان أية من آيات الله يمتد حتى

يشمل أسرتين ، باسطا رقعة التعاون والتآزر ليعم ما يتصل بالأسرتين من أقارب وأرحام وأصدقاء ...

رابعا :

قال تعالى : **(وجعل بينكم مودة ورحمة)** والرحمة من الرحم . والرحمة الرقة والتعاطف ، والرقة والتعاطف ينشآن بعد المودة والمحبة ، ولهذا كان قوله تعالى : **(وجعل بينكم مودة ورحمة)** إعجازا إلهيا ، في أسلوب مركز ، يوقظ أحاسيس من كان له قلب . والرحمة التي جعلها الله تنشأ بالزواج ، وتتم في بيت الزوجية وتنمو وتزداد بالثمرات التي أينعت من بنين وبنات . والرحمة التي تشمل التراحم والتعاطف والحدب . الرحمة بكل هذه المعاني تستكن في نفوس الوالدين نحو الأولاد ، وتمتد إلى أقارب الأبناء من جهة الزوج والزوجة . ثم أقارب الأقارب ، وهكذا إلى أن تغدو هذه العواطف أساس التعامل في المجتمع الانساني .. وتبدو أصول التربية واضحة في هذا الأصل ، فغراس الرحمة الذي نبت في ظلال زوجين وترعرع في بيت قائم على المودة هذا الغرس الطاهر سلوك تربوى يحس ويمس ويبصر ويسمع ويتذوق وعلى هذا فالبيت عامل بيئي رئيسي يتلقى الطفل فيه أحسن المشاعر وينطبع بالطابع الذي يؤثر فيه ... والرحمة بين الزوجين مدرسة تربوية متكاملة لصقل الانسان ، وتحليته بالفضائل ومكارم الأخلاق ، وإلباسه حلى الأدب لينشأ الانسان وقد عود على الرحمة والرفق والحنان . ومن لم يتدرب في البيت على هذا التعامل فليس أهلا لأن يكون إنسانا . ولقد رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل الحسن بن علي فقال : إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم . فقال عليه الصلاة والسلام : « إن من لا يرحم لا يرحم » والحديث جاء في صحيح البخاري ومسلم والترمذي ومسند أحمد . ودخل أحد الولاة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فرآه يقبل طفلا . فكأنما كان أمرا غريبا على بصره ثقيلا على نفسه لأنه لا يمارسه ، فأظهر دهشته واستغرابه ، فلم يلبث عمر أن عزله عن الولاية ...

وهكذا تتجلى لنا الحكمة من الزواج في غايات نبيلة ، ترسمها آية واحدة من آيات الله ، وختمت الآية بقوله تعالى : **(لعلهم يتفكرون)** لأن الفكر كما يقول الفيروزابادى — « يؤدي إلى الوقوف على المعاني التي خلقت لها من التجانس وسكون كل واحد منهما إلى الآخر » .

وقد أفلح أولئك المفكرون الذين ارتضوا الثقافة الاسلامية لتكون لهم زادا ، وسلوكا ونظاما ، يهدي إلى الرشاد وطريق الحق .

إن غايات الزواج في الاسلام مطلب حسن يعمل له أصحاب العقول العاقلة ، والقلوب الواعية ، وستظل آية سورة الروم منبعا أصيلا لا ينضب له معين ، يفيض بالعطاء والسعادة .

الصوم ومنهج التغيير

كم للصوم من حكم عالية .. وثمرات غالية مهما حاول الباحثون أن يأتوا عليها أو يستوعبوها فانهم عاجزون .. وتلك مزية واضحة في تكاليف السماء ينتهي الزمن ولا تنتهي عجائبها ، وتنقضي الأيام ولا تفنى أسرارها وغرائبها .. وكأنما القدر العالي يضع هذه العبادات أمام العقل الانساني لتستجيش خواطره وأفكاره ، وتستثير فيه حوافز التأمل ودوافع التقصى ، فيبدع في استنباط الحكم ، واستبطان الدخائل واستخراج الكنوز والأسرار وهي ماتزال غضة جديدة تمنح العقل في سخاء ، وتعطي المجتمع في وفاء ، وتمضي على امتداد الزمن الرحب مصدر خير وبركة ، وهكذا الدين جهد متجدد على امتداد الزمن .. وعلى طريق البشر يزيد الحياة نماء وخصوبة مادامت عقول الباحثين خصبة متحركة مع قضايا الحياة .. فلا غرابة إذن أن تتكرر الكتابة عن الصوم ورمضان والقرآن في مطلع كل رمضان .. لأنها الينابيع الغزار التي

للاستاذ توفيق محمد سبع

تلهم الحكمة والبيان ، وسر ذلك كما قدمنا انها تشريعات إلهية .. تتجاوب مع الفطرة وتلبي حاجة العقل والقلب والوجدان ، وتحقق التوازن بين المطالب المادية والروحية للانسان ، كما تحرر البشر من عبودية المال والشهوة والحياة وكل ما سوى الله .. وتجعله قادرا على الحسم والتغيير في كل وقت وما أوسع هذه المجالات وما أخصبها لعلماء النفس والاجتماع والأدب والتشريع ـ وكم من باحث تناول الصوم وتحدث عن فلسفته وأفاض في اسراره فأبدع في ذلك ما شاء الله له أن يبدع .. ولكن رغم ذلك كله تبقى حكمة الصوم العليا قادرة على العطاء أكثر وأكثر كلما ارتقى العقل وتطور الفهم وتهيأت أسباب الثقافة والعلم (**وما كان عطاء ربك محظورا**) الاسراء/ ٢٠ .

وإذا كان للصوم تأثير قوي على جميع القوى الانسانية البانية من ارادة وضمير وخلق ـ وكان له كذلك أروع الآثار في بناء الفضائل الانسانية من حلم وصبر وتواضع وكرم .. فان له أثرا اعظم واعظم في امداد الطاقة الانسانية بالحوافز القادرة على التغيير .. ليظل المؤمن دائم التمرد على الأوضاع السيئة من حوله حتى تنتصر ارادته على الشر .. وتنجح في بناء مجتمع أنقى وأنظف .. إن للصوم أثرا عمليا ومثمرا في امداد المسلم بهذه الطاقة القادرة على احداث التغيير الى الأفضل ، وتدريبه عمليا على هذا المبدأ ، وذلك باخضاعه لأسلوب صارم في الالتزام بكل ما يفرضه هذا الالتزام من مشقات وتكاليف .. ليربي ارادته الحرة القادرة التي تستطيع ان تجهر بكلمة « لا » أو « نعم » في مواقف الحياة الرهيبة دون خوف أو تردد أو جبن .. بل إن الصوم يحدث من التغيير في حياة الصائم ما يحقق التوازن بين المادة والروح في كيانه ، طول العام وعلى امتداد الزمن ذلك أن الاسلام دين الطبيعة البشرية ، تجد في رحابه السمح متنفسها الطلق وتحقق عواطفها وغرائزها تحقيقا متوازنا دون كبت او اعنات ، ودون حيف أو ظلم ، واذا كانت هناك نحل ترى في تعذيب الجسم مقصدا يطلب ، وترى في محاربة المناعم والطيبات هدفا

يقصد فان الاسلام قد حارب ذلك كله فأعطى للروح حقها ومنح الجسد حقه واتاح بالصوم للمطالب الروحية ان تتعايش مع المطالب المادية في كيان المسلم تعايشا سلميا لا تبغى احداهما على الأخرى والله سبحانه وتعالى يقول : **(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)** القصص/٧٧ .

ويقول سبحانه : **(قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)** الاعراف/٣٢ . فلا قهر في الاسلام ولا كبت وانما تحقيق التوازن الدقيق بين مطالب الجسد وأشواق الروح .

ومن ثم كان الصوم من بين عبادات الاسلام اكثر تحقيقا لهذه الغاية .. لكن كيف يتم ذلك ؟ إن الانسان يظل طيلة العام يخضم ويقضم وينزو مسترسلا مع المطالب المادية .. منبعثا عن الأهداف الحيوانية .. فاذا جاء رمضان فرض عليه نظاما جديدا تسود فيه الروح ، ويتوهج معدنها الأصيل ، ويتألق جوهرها الصافي .. وبذلك يحدث التغيير في حياة الصائم ، من حياة حيوانية حظ الجسد فيها أعظم الى حياة متوازنة حظ الروح فيها اكرم ..

نعم .. اذا جاء رمضان واجه الصائم تجربة قاسية تنزعه من مسلكه المادي نزعا قويا ، بل تختطفه منه اختطافا لتضعه امام المنهج الجديد الذي يلغى من وجوده كل المطالب المادية نهارا ليمارس اشواق الروح لتزدهر وتتألق .. فاذا انقضى رمضان فان المسلم في رحلة الثلاثين يوما ـ أو قل في مدرسة الثلاثين يوما ـ يكون قد تمرس بهذه التجربة ومرن عليها ، فاذا دخل في شوال وأوغل في شهور العام فانه لن يغرق في شهوات النفس ومطالب الجسد ، وانما يلائم بين مطالب جسده وأشواق روحه ملاءمة حازمة ـ لأنه قد تزود من الصوم بالدرس الكبير الذي يجعله قادرا على احداث هذا التغيير ، حتى اذا حدثته نفسه يوما ان يجور في القصد ، وينطلق مع الشهوات ، جاء رمضان الجديد ليضعه وجها لوجه امام التجربة عينها ـ تلك التجربة التي تورثه القدرة على قهر مطالب الجسد لتنطلق الروح وتسمو ـ ومن ثم فانه يأخذ دفعة جديدة تصاحبه طول العام .. وترافقه في رحلة الأحد عشر شهرا .. وهذه ثمرة واحدة من ثمرات التغيير التي يحدثها الصوم ..

وهناك مناهج اخرى للتغيير يفرضها الصوم على الصائم ، تهيئه للسيادة على نفسه ، والاستعلاء فوق شهواتها .. بل للترفع على جميع المغريات من حوله .. وهي بذلك ترشحه للسيادة الحقيقية ، لأن من استطاع ان يخضع نفسه ، استطاع لا محالة ان يخضع كل شيء لارادته ، لأن عزيمته قد انصهرت في تجربة الصوم انصهارا اكسبها متانة وصلابة ، تقاوم بها المغريات .. وتترفع على الشهوات ، وتتحرر من

المطالب الهابطة ، وترتبط بالأهداف السامية النبيلة .. وما من شك في أن للسيادة تكاليف .. ومن قعد عن تحمل المشاق ودفع التكاليف فليس جديرا بالسيادة ... والصوم من اعظم تكاليف السيادة .. لأن الصائم يكابد في صومه من المتاعب والآلام والله به عليم .. الصائمون يدفعون هذه الضريبة عن رضى وغبطة ، لأنهم امام التزام صادق مع الله رب العالمين ..

أما اولئك الهابطون الذين لا يقوون على الصوم فهم العبيد كل العبيد ، والأذلاء أحط الأذلاء والأرقاء أخس الأرقاء عجزوا عن قهر انفسهم وزم شهواتها فصاروا عبيدا أذلاء ولله درالشاعر القائل :

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والاكرام قتال

وكم في الصوم من تغيير مقصود للمألوف من العادات والتقاليد !! وذلك كله لكي يكتسب الصائم الطاقة التي تمكنه من احداث التغيير في الحياة كلها ـ ليهيئ المناخ الصالح للعقيدة كي تتنفس في أجواء نظيفة وبيئات صالحة .

وكأنما يتدرج الصائم من القدرة على احداث التغيير في نفسه على القدرة على احداث التغييرات الكبرى في الحياة .. وهي تغييرات تتم في نطاق الايمان وتكتسح المعوقات من طريقه وتكون قادرة على قهر الظلم اينما وجد ، وعلى الوقوف في وجه التحديات كيفما كانت ليحق الله الحق بكلماته ولو كره الكافرون !

ولنا ان نتساءل : ما هذا التغيير الشامل في حياة الصائم ؟

والجواب ببساطة : أن الحياة العادية تنقلب في رمضان رأسا على عقب .. أي ان الصوم يحدث فيها ذلك الانقلاب الخطير ـ لأن الفرد المسلم في غير رمضان يتناول فطوره صباحا ، وغداءه ظهرا ، وعشاءه ليلا .. يحتسى الشاي او القهوة كلما وجد من نفسه ميلا لذلك .. وهو ينام غالبا بعد العشاء ليستيقظ في الصباح ، وهو يؤدي كذلك الصلوات الخمس في أوقاتها المحددة ، ويلبي دوافع الغريزة الجنسية كلما دعت الحاجة .

يظل يمرح في هذا النعيم .. حتى إذا أقبل رمضان ـ شهر الصيام كان ذلك إيذانا بتغيير عام وشامل في حياة الصائمين .. عليهم ان يتقبلوه نفسيا ووجدانيا .. انه يضعهم امام تجربة الالتزام الشاق ، فهم يمسكون عن الطعام والشراب والمعاني الجنسية طول النهار ، إيمانا واحتسابا لله .. عليهم كذلك ان يكفوا عن مشتهيات النفس من احتساء الشاي او القهوة او ما اليهما مهما تطلعت نفوسهم ، وقد يسيل لعاب احدهم أو يتحلب ريقه او تذهب نفسه وراء جرعة من ماء ، أو رشفة من شاي او قهوة فلا يملك إلا أن يعرض عنه ويزهد فيه لأنه امام التزام قهري تفرضه السماء على الأرض ، عليه ان يجعل فطوره وقت الغروب ، وان يحذف وجبة العشاء ، مستعيضا عنها بوجبة السحور قبيل الفجر ، كما أن على الصائم ان يحدث

التغيير في أسلوب سهره ونومه ، لأنه مطالب بصلاة القيام جماعة .. وبسماع دروس العلم ، وبتلاوة القرآن والتفقه في الدين ، عليه بعد صلاة الفجر ان يهجع في فراشه طلبا للراحة ليستيقظ بعد ذلك لاستئناف العمل .

فأي تغيير هذا ؟ إنه الانقلاب الخطير في الحياة العادية يتبعه التغيير النفسي امام هذا السلوك الجديد .. إن هذا التغيير الشامل في حياة الصائمين يدربهم على تقبل الأوضاع الجديدة في الحياة كالفقر بعد الغنى أو الضعف بعد القوة .. او العجز بعد القدرة .. او فقد المال والولد والمتاع بعد الاستمتاع بها .. كما انه ينمي ارادتهم ويكسبها المرونة والصمود ، والتمرد على كل ظلم يراد بها .. أو هوان يلحقها .. أو ضيم يتهددها .. وانه لتغيير يقود الحياة الى الأفضل وينبع من داخل النفس ومن معين التقوى والايمان .. وبذلك يكون عميقا اصيلا ، وبهذا التصور يتحقق التغيير النفسي .. الذي يصبح منطلقا لكل تغيير اجتماعي يقود الى الأفضل .. وبذلك أيضا تتحرر النفس من داخلها .. ومن تحرر من الداخل لا يمكن أن يستعبد أو يستذل من الخارج .. لأنه يصبح سيدا لنفسه لا تستذله عادة ، ولا تأسره شهوة ، ولا تقهره لقمة خبز ، ولا يتهاوى أمام المغريات .. ومثل هذا الشخص يستطيع أن يصمد في المواقف الصعبة .. ويجهر بكلمة الحق .. ويحدث الآثار العظيمة في الحياة ..

فأي تربية نفسية يقود إليها الصوم ؟ إن هذه الثمرة من ثمرات الصوم جديرة ان تكون مطمح نفوس المربين .. حتى تتهيأ الناشئة من شباب الاسلام لحمل الأعباء وتخطى العقبات واكتساح المعوقات .. وويل لمن استعبدته نفسه !!

ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في الانتفاع بهذه الثمرة من ثمرات الصوم .. حين صمد أمام المغريات وثبت أمام التحديات ولم تستطع الدنيا بكل سحرها وإغرائها أن تستذل نفسه أو تستعبد قلبه .. وكثيرا ما كان يدعو فيقول : « اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا » بل إنه صلى الله عليه وسلم عندما عرضت عليه الدنيا بكل نعيمها ومباهجها صاح بكل الرفض : « لا يارب .. أجوع يوما فأصبر ، وأشبع فأشكر » .

وهكذا : امتزج الشكر بالصبر في وجدان الرسول فكان من امتزاجهما على هذا النحو أرقى أساليب السلوك .. بل أسمى مبادئ التحرر .. وتعلم منه أصحابه كيف يمزجون الصبر بالشكر .. وعاشوا سادة انفسهم .. فصاروا سادة الدنيا بأسرها ..

إن الحرية الحقيقية إنما تنبع من هذا المعين .. وتكمن في هذا المنهج ، لأن الصوم إذا كان قادرا على احداث هذا التغيير داخل كيان الفرد المؤمن فانه يحرر ارادته من كل الضغوط المادية والمعنوية ويجعله سيدا للعالم

كله وليس عبدا فقط الا للـه رب العالمين .. أما عبيد الشهوات الذين سقطوا في امتحان الصيام فهم أجدر ان يسقطوا في معارك الحياة .. انهم عبيد انفسهم فكيف يكونون سادة في الحياة ؟ هذا هو الصوم في بعض اسراره الكبرى يحدث التغيير في نفس المؤمن وفي أسلوب حياته ، فيهيئه بذلك للعزة والكرامة ، ويجعله أشم الأنف عالي القامة عزيز النفس لا يرضى الدنية في دين أو دنيا ، وبهذا يصبح التغيير النفسي وسيلة للتغيير الشامل في الحياة .

وقد ربط القرآن بين صلاح النفس .. وبين صلاح المجتمع .. وجعل وسيلته تكمن في التغيير النفسي فقال عز من قائل : « **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** » الرعد/١١ .

وإذا كان الصوم كما قدمنا من أقوى العوامل على احداث التغيير النفسي .. فما أحرى أن نتخذه منهاجا لهذا التحول العظيم .. وما أجدر أن يغير المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم ــ وإن فرصتهم الكريمة في إحداث هذا التغيير والانتفاع بثمراته إنما تكمن في الصوم ــ فليكن رمضان محررا لنفوسنا من الوهن .. محركا لعزائمنا الى الجد .. حافزا لنا على التغيير الذي يقود حياتنا الى الأفضل ... وهذه المعاني التي يحدثها الصوم في حياتنا يجب ان تستمر أبدا على طريق الرسول الكريم .. لتصبح طاقة تصاحب المسلم مادام على قيد الحياة فتصبح متحفزة ضد الهوان والشر والسوء وكل الأوضاع المهينة والسيئة .

وبهذا تصبح رسالة المؤمن هي الرفض المطلق للمنكر .. في أي شكل من اشكاله او اية صورة من صوره وهذا الرفض يتدرج وفق قدرة المؤمن وظروف مجتمعه ايجابيا بحيث يقف من الفساد دائما موقف التصدي والرفض لا موقفا سلبيا عقيما ..

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » وهذا التفاوت في التصدي للفساد الذي يحدده مولانا رسول الله يخضع لقوة الارادة عند المؤمن او ضعفها .. كما يخضع للظروف التي يمارس فيها التغيير ويتدرج مع ذلك صعودا وهبوطا .. والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .. بل ان المؤمن القوي هو قدر الله الذي يحارب به الشر والفساد في هذا الوجود ..

ولقد قال الفيلسوف المسلم اقبال : « المسلم الضعيف يتعلل بالأقدار في مواجهة الفساد .. والمؤمن القوي هو قدر الله الذي ينسف به الشر من هذا الوجود » .

ألا ما أعمق آثار الصوم في نفوس الصائمين .. وما أروعها في دنيا الناس .. فلنتخذ منه منهجا أصيلا في التغيير النفسي والاجتماعي حتى يغير الله ما بنا .



حول ترجمة
معاني القرآن الكريم
دراسة مقارنة لثمان ترجمات باللغة الانجليزية

للدكتور احمد ابراهيم مهنا

في العقد الثالث من هذا القرن دار نقاش حاد بين جماعتين من علماء المسلمين حول ما سمي بـ « ترجمة القرآن الكريم » من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى ، ومايزال رنين هذا الخلاف له صدى إلى يومنا هذا ، ومايزال يدرس في بعض دور العلم حتى هذه الساعة .

وكشأن كثير من الخلافات التي تملأ كتبنا ، لاح في الأفق ــ بعد أن هدأت المعركة وخفت حدة الانفعالات ــ من يقول : إن الخلاف لفظي ، لأن محل النزاع لم يحرر من أول الأمر ، فالفريق الذي منع الترجمة وحكم بتحريمها ظن أن الترجمة للفظ الكريم ، وهو كلام الله عز وجل ، ولا خلاف في أن ذلك فوق مستوى البشر ، والفريق الذي أجاز ودافع قال : إن الترجمة للمعنى لا للفظ بناء على أن الترجمة اللفظية كلمة بكلمة من لغة إلى أخرى لأي تعبير كان من غير الممكن ، ولا تزيد الترجمة في الواقع عن محاولة لأداء المعنى المراد باللغة الأخرى إلى من لا يفهم لغة النص المترجم ، وليس هناك من يمنع ذلك إذا ترتب عليه نفع للمسلمين ، وأثير في هذا المجال ما ورد من أن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه أجاز ترجمة الفاتحة إلى اللغة الفارسية .

ولا أريد إثارة هذا الخلاف من جديد ، ولا ترجيح رأي على الآخر ، فالخلاف يجدي ويثمر إذا كان ما يدور الجدل حوله ما يزال فكرة ، وظهورها أو عدم ظهورها يترتب على ما يرجح من رأي ، وليس الأمر الذي نحن بصدده من هذا القبيل ، فليس من المبالغة أن يقال : ما من لغة مكتوبة اليوم ، إلا وبها ترجمة للقرآن الكريم ، ومن هنا لم تعد القضية « هل نجيز الترجمة أو نمنعها » إذ ليس في الامكان منعها ، فقد غمرت الأسواق بالترجمات ، وزاد عددها عما كان متخيلا ، والسؤال الذي يوجه إلى الأزهر في أيامنا هذه لا يدور حول جواز الترجمة أو منعها ، وإنما الذي يحدث ــ من حين لآخر ــ أن يتلقى الأزهر من بعض المسلمين ترجمة ، مطبوعة للقرآن رجاء الفحص والأفادة عما إذا كانت الترجمة صحيحة أو غير صحيحة ، وقد يسأل : أي التراجم الموجودة في السوق في لغة معينة أصح من غيرها وتنصحون بها ، وأصارحكم القول بأن الاجابة على أي من هذين السؤالين بما يطمئن النفس كثيرا ما تكون عسيرة ، وذلك في اللغات التي يوجد عندنا من يعرفها ، لأن الأمر يتطلب فاحصا يجيد العربية واللغة المترجم إليها ، وعنده من الثقافة الاسلامية الأصيلة ، ما يمكنه من الحكم على ما تؤديه

الترجمة من معنى يتفق مع المعايير الاسلامية الصحيحة في اللغة التي ترجم النص بها وأعتقد أنكم تتفقون معي في أننا جد فقراء في هذا المجال .

أما بالنسبة للغات التي لا تدرس في الجامعات الاسلامية ، وأولها الأزهر فان العسر في الاجابة على السؤال المطلوب ينقلب إلى استحالة ، ومازلت أذكر ترجمتين وردتا للأزهر حين كنت مديرا للبحوث الاسلامية « بالمجمع » إحداهما باللغة اليابانية ، والثانية باللغة الأمهرية ، واستحال علينا أن نجد من يعطينا الجواب وأغلب الظن أن الأمر مايزال كذلك إلى يومنا هذا .

هذه المواقف التي تتراوح بين الاستحالة والعسر في أمر حيوي بالنسبة لنا كدعاة للاسلام ، وقد مارستها ونقت مرارتها زمنا ليس بالقصير في عملي الرسمي ، مضموما إليها ما عانيت من متاعب مع كثير من المسلمين وغير المسلمين في البلاد الأجنبية التي عشت فيها وعملت بها ــ وخاصة بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وكندا ــ بسبب تعدد الترجمات لكتاب الله الكريم ، كل ذلك كان سببا في وضوح الرؤية واستكشاف الأخطار التي يتعرض لها كثير من الراغبين في فهم الاسلام ممن لا يعرفون لغة القرآن الكريم ، وقد دفعني ذلك إلى جمع عدد من الترجمات في اللغة الانجليزية ، ورضت نفسي على أن أقارن بينها بغية الوصول إلى أقربها مما نحب أن يكون في متناول الباحثين والدارسين فننصح به ، وحاولت جهدي أن تكون هذه الترجمات في مجموعها ممثلة للاتجاهات المختلفة قدر الامكان ، وحصلت على الترجمات الآتية ، وأصحابها هم :

١ ــ ج . م . ردول ــ وهو قسيس من رجال الكنيسة في القرن التاسع عشر .

٢ ــ ب ــ ج . داوود ــ وهو مجهول الهوية بالنسبة إلي ولكن عمله يؤكد أنه غير مسلم .

٣ ــ محمد مرماديوك بكتهول ــ وهو رجل انجليزي عاش في الهند (حيدر أباد) فترة طويلة ، وأسلم ، وتسمى الاسم المذكور .

٤ ــ أرتر . ج . أربرى ــ وهو من المستشرقين المعتدلين وشغل كثيرا من المناصب العلمية في جامعات انجلترا ، وتوفي قريبا وهو بجامعة كمبردج .

٥ ــ عبدالله يوسف علي ــ وهو هندي مسلم ، ويفضل كثير من المسلمين كتابه على غيره .

٦ ــ مولانا محمد علي ــ وهو من أتباع « مرزا غلام أحمد » القادياني وانشق على جماعة القاديانيين بعد موت زعيمهم ، وقال : إنه مجدد ولم يكن نبيا وكون ما يسمى بجماعة الأحمدية بلاهور .

٧ ــ مالك غلام فريد وهو قادياني متطرف .

٨ ــ محمد ظفر الله خان وهو أيضا قادياني متطرف .

وسوف أقدم تعريفا موجزا لكل من هذه الترجمات لتكوين فكرة عنها وتقويمها .

1-THE KORAN, TRANSLATION FROM THE ARABIC
BY: THE Rev. J.M. RODWELL

وأولها كتاب القسيس « رودول » وقد ظهرت هذه الترجمة لأول مرة في عام ١٨٦١م بعنوان : « القرآن » : ترجمة من اللغة العربية وتكرر طبعها ، والنسخة التي رجعت إليها طبعت في مارس سنة ١٩١١م ، وواضح أن صاحبها كان من رجال الكنيسة المسيحية ، وقدم لهذه الطبعة القسيس مرجليوث (Margelouth) وكان أيضا من رجال الكنيسة .

والقارئ للترجمة يحس أن « رودول » حاول أن تكون حرفية قدر طاقته ولكن الخطر يكمن فيما كتبه مرجليوث في تقديمه للكتاب ، وفي المقدمة التي كتبها نفس المترجم وفي تعليقاته على بعض الآيات ، فمرجليوث يقول : « إن القرآن يمثل مكانة مرموقة بين الكتب الدينية في العالم ، وبالرغم من أنه أحدث الكتب في هذا المجال فان أثره الواضح في جمهور كبير من الناس لا يمكن أن ينكر .. وأن السر في هذه القوة لهذا الكتاب تكمن ـ بالطبع ـ في العقل الذي أصدره .. والحديث عن القرآن ـ في الواقع ـ هو نفس الحديث عن محمد ، ومحاولة المرء تقييم الكتاب من الناحية الدينية هي محاولة في نفس الوقت لتكوين فكرة عن النبي نفسه ، وأنه من الصعب أن توجد حالة كهذه نلمس فيها التماثل الكامل بين العمل الأدبي وبين عقل الانسان الذي أنتجه » .

إن التقدير الصحيح لأي نظام يرتكز على التفكير الديني ينبغي ان يعتمد على مقاييس ثلاثة :

١ ـ ما يشتمل عليه هذا النظام من الحقيقة .
٢ ـ المستوى الخلقي الذي يطالب معتنقيه باتباعه .
٣ ـ المصدر الذي نشأ عنه .

وبالنسبة للأمر الأول ، هناك اتجاه واضح متزايد بين الدارسين للتاريخ الديني أن محمدا يمكن أن يعتبر من الناحية الخلقية نبيا لبعض الحقائق .

وتبعا للمقياس الثاني ، فان القصور الواضح في تعاليم القرآن الخلقية كافية في الحكم إذا كان الأساس في المقارنة هو ما عندنا من تعاليم خلقية رفيعة ، أما اذا قورن بين القرآن وبين ما كان عليه العرب أو أي نوع من أنواع الوثنية فان الحكم يكون في صالح القرآن .

وبخصوص المقياس الثالث (وهو الأصل الذي استمد منه القرآن) فيندر أن يوجد رأيان الآن ، حيث أن المقارنة بين القرآن ومصادره اليهودية والنصرانية في وقت وجوده قد تمت ، وقد وجد أن هذه المصادر بجانب بعض الأساطير والقصص العربية كانت مصادره الوحيدة ، فالمادة مستعارة في غالبها وإن كان التأليف من صنع النبي نفسه ، والمعلومات التي استقاها عن اليهودية والنصرانية كانت عن مصادر سقيمة مشوهة مشكوك في صحتها وهي ـ مع القصص العربي ـ استوعبها أولا عقله المتحمس ثم خرجت في ثوب جديد توافق أفكاره بالنسبة للحياة ومتطلباتها ، ولتؤدي غرضين معا : أولهما تشجيع أتباعه والثاني بث الرعب في قلوب أعدائه » .

هذا ما نجده في تقديم مرجليوث للكتاب .

أما عن مقدمة المترجم ، فاننا نجده يتعرض للجمع الأول للقرآن الكريم في عهد سيدنا أبي بكر الصديق ، وللجمع الثاني في عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، ويعيد ما يتردد في أوساط من على شاكلته من أنه :

ـ يبدو أن زيدا وزملاءه لم يرتبوا ما وقع تحت أيديهم طبقا لأي قاعدة سوى أن وضعوا السور الطويلة والمعروفة جيدا أولا بعد الفاتحة مباشرة ، وحتى هذه الطريقة ـ مع خطئها وبعدها عن الطرق العلمية ـ لم تتبع باتقان .

ـ إن كل شيء يتصل بالترتيب الزمني لم يعط أي اعتبار ، فالسور التي نزلت في العهد المدني الأخير وضعت غالبا قبل السور التي نزلت في العهد المكي الأول ، والسور القصيرة التي في آخر المصحف هي أجزاء القرآن الأولى ، بينما نجد آيات من القرآن المكي منبثة في السور المدنية ، نجد آيات نزلت بالمدينة موزعة هنا وهناك في السور المكية ..

ثم يعرض « رودول » إلى ما سبق أن تحدث عنه مرجليوث فيما يختص بالمصادر التي استقى محمد منها مواد قرآنه ـ كما يزعمون ـ فيقول في ص ٨ :

والمصادر التي استقى محمد منها مواد قرآنه ـ بجانب الأجزاء الشعرية التي من صنيعه هو ـ قصص زمانه وبلده ، والأحاديث اليهودية المأخوذة من التلموذ أو التي حرفت لتناسب غرضه والقصص المسيحي السائد في جزيرة العرب وجنوب سوريا »

ولم يكتف « رودول » بما سود به صفحاته من أن القرآن من تأليف النبي ، وإنما كرره في بعض تعليقاته على الترجمة عل الفكرة تثبت عند القارىء عن طريق التكرار ، فمثلا نجده عندما ترجم الآية الكريمة :

(ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل)

الحديد / ٢٧ »

يعلق فيقول :

« لا ينبغي أن نفهم من كلمة الأنجيل هنا ذلك الكتاب الحقيقي للعهد الجديد أو أي جزء من أجزائه ، وإنما المراد هنا الوحي الذي أوحى إلى عيسى من الله ، والذي يمكن أن يكون محمد قد تخيل أنه كتب بعد عيسى بنفس الطريقة التي كتب بها قرآنه »

وكل ما قاله « رودول » بالنسبة لجمع القرآن وترتيب سوره ـ وجعله أساسا للترتيب الزمني في كتابه ـ ليس جديدا علينا ، ولن أحاول مناقشته من الناحية العلمية في هذا الموقف ، وإنما يهمني أن أرد عليه من نفس كلامه في مقدمته التي نحن بصددها ، فهو يقول :

« صحيح أن الكيفية التي خطها « زيد » لنفسه من جمع ونسخ مواده ببساطة كما وقعت له دون أي محاولة من جهته لتغيير شكلها أو تتابعها ، ودون محاولة لزيادة ما يربط بين الآيات أو يملأ بين الشقين ، أو دون محاولة إخفاء تفاصيل

الطبيعة المعيبة لنبي الاسلام (؟) كل ذلك يبرهن على أمانته التامة كمؤلف جامع ، وعلى احترامه الكامل للنص المقدس ، والى درجة معينة يضمن الصحة والثبوت للكتاب كله » أ ـ هـ

فها هو بنفسه يقر بأمانة « زيد » التامة وباحترامه الكامل للنص المقدس ، وهذا في نظر كل منصف لم يعمه التعصب الحاقد ، كاف في هدم كل ما قال وادعى ،

كذلك لن اناقش « رودول ومرجليوث » في ادعائهما أن الرسول الكريم قد استقى القرآن من الأحاديث اليهودية والنصرانية ، وانما سأكتفي ـ في هذا المقام ـ بالرد عليهما من نفس حديثه ، فهو يقول في ص ١٠ .

« إننا لا نملك دليلا على أن محمدا استطاع أن يحصل على كتب المسيحية المقدسة ، ولو أنه من المحتمل أن أجزاء من العهد القديم أو من العهد الجديد وصلت إليه عن طريق خديجة وورقة ، او بعض المكيين المسيحيين الذي يملكون نسخا من الكتاب المقدس ، إنه لا يوجد في القرآن كله نص مأخوذ من الكتاب المقدس سوى الآية ١٠٥ من السورة ٢١ وهي **(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون)** « الانبياء / ١٠٥ » .

ثم يقول في ص ١١ :

« ويجب أن نتذكر تماما أننا لا نملك دليلا على وجود ترجمة عربية للعهد القديم أو العهد الجديد قبل وقت محمد ... وأن اقدم ترجمة عربية للعهد القديم وصل علمنا إليها قد تمت في سنة ٩٠٠ م وأقدم ترجمة عربية للعهد الجديد تلك التي طبعت بواسطة اربنيس (ERRENIUS) في سنة ١٦١٦ م »

وقد يحلو لبعض الناس أن يتهمنا نحن المسلمين بمهاجمة الأشخاص الذين يخالفوننا في الرأي ، وقد يحلو لبعض آخر أن يخدع في هؤلاء باسم البحث العلمي ، مبعدا أن يكون لهم هدف آخر ، ولهؤلاء جميعا أسجل هنا ما خطه رودول بنفسه في كتابه الذي نتحدث عنه الآن في الحاشية رقم ٢ ص ١٤ إذ يقول :

« إن الطريقة التي ينبغي أن يتبناها رجل التبشير المسيحي في الجدل مع المحمديين لا تكون بمهاجمة الاسلام كجملة أغاليط وأخطاء ، ولكن عليه أن يبرز أن الاسلام يحتوي على أجزاء متفرقة وغير مترابطة من الحقيقة ، وأنه يعتمد على المسيحية واليهودية المفهومتين فهما جزئيا ، وخاصة الأخيرة (أي اليهودية) دون إبراز لقيمة اليهودية ومثاليتها ، ومع التركيز على أن المسيحية هي الناموس الأخير » .

وما أظن أننا بحاجة إلى من يشرح لنا المنهج الذي ارتضاه رودول ومن على شاكلته في بيان أوضح مما سطره هو بنفسه ، ولا نتجنى عليهم إذا قلنا : إنه ليس المنهج العلمي في شيء ، وليس منهج الذي يبحث عن الحقيقة لذاتها ، ولكنه منهج المتعصبين الحاقدين .

2-THE KORAN A NEW TRANSLATION
BY N.J. DAWOOD

وطبع هذا الكتاب لأول مرة في بريطانيا سنة ١٩٥٦ ، والنسخة التي اتحدث

عنها هنا نشرت في سلسلة « THE PENJUIN CLASSICS » وقد أشرت سابقا إلى أن هوية « داود » هذا مجهولة بالنسبة إلي ، وان كان قوله يدل على أنه غير مسلم ، يقول في المقدمة :

« إن القرآن عند المسلمين كلام الله أوحى به إلى النبي محمد بواسطة الملك جبريل ... وأن محمدا سافر في شبابه مع قوافل التجارة من مكة إلى سوريا ، وفي سن الخامسة والعشرين تزوج بخديجة بنت خويلد ... ووقع تحت تأثير التعاليم اليهودية والنصرانية » .

وبعد أن يقرر هذا وأن النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه قد وقع تحت تأثير التعاليم اليهودية والمسيحية نجده في آخر المقدمة يقول : « إنه لم يلمس القضايا المختلف عليها ، والمتنازع فيها ، مثل طبيعة نبوة محمد ، ومصادره الدينية ... »

وللقارىء أن يصدر حكمه على هذا التناقض أو يبحث عن الدافع إليه ، ويبين لنا « داود » السبب وراء قيامه بهذا العمل فيقول :

« وفي إعداد هذه الترجمة الجديدة قصدت أن اقدم للقارىء نسخة من القرآن بالانجليزية المعاصرة ، فان الترجمات السابقة قد فشلت في صياغة المعنى وإبراز عظمة البيان في النص الأصلي بسبب التزام أصحابها بالترجمة الحرفية للمصطلحات العربية ، وينبغي أن ندرك أن القرآن يحتوي على كثير من المصطلحات التي إن لم تكن غامضة بالكلية فهي قابلة لأكثر من معنى ، وقد بذلت مجهودا جبارا لأبراز هذه المصطلحات الغامضة حيث وجدت ، وأمددت القارىء بهوامش تفسيرية تفاديا لقلب النص إلى تفسير بدلا من ترجمة ، واستعنت في ذلك بالزمخشري والبيضاوي والجلالين » .

ونجده يناقش ترتيب سور القرآن في المصحف المتداول ولا يرتضيه لأنه لا يتفق مع ترتيب النزول ، وقد سبقه غيره إلى ذلك ومنهم « رودول » كما أشرنا من قبل ، ولكنه لم يفعل كما فعل رودول ، ولم يرتب السور في كتابه تبعا للنزول ، وإنما رتبه ترتيبا لا هو بالمتعارف عليه والمعتمد عند المسلمين ، ولا هو بما يقتضيه ترتيب النزول ويبين ما فعل فقال :

« إنه بدأ بالسور الأكثر شاعرية(Poctical Revelation) وانتهى بالسور الأطول والأكثر موضوعية في الغالب :

وقد يجد أصحاب فكرة الترتيب الزمني من يشايعهم ممن لا دراية لهم بعلوم القرآن الكريم ، ولكن أن ينفرد إنسان ما بترتيب خاص لا يتفق مع المصحف المعترف به ، ولا يتفق مع ترتيب النزول ، فهذا ما لا يمكن قبوله ، لأنه يؤدي إلى الفوضى وعدم الانضباط ، وذلك مع رفض ما في تعبيره من « السور الأكثر شاعرية » رفضا قاطعا .

3- THE KORAN INTERPRETED
BY: Arthur j. Arberry

والأستاذ « أربزي » من رجال التعليم في جامعات بريطانيا إلى أن مات منذ سنوات وقد طبعت ترجمته للقرآن الكريم في بريطانيا لأول مرة في

سنة ١٩٥٥ ، والنسخة التي اتحدث عنها هنا من مطبوعات جامعة أكسفورد University Press . LONDON , Oxford

وبها مقدمة للمترجم مؤرخة في يولية ١٩٦٢ ويقول فيها :

« ولما كان القرآن الكريم في نظر المسلمين هو كلام الله ، فان المحافظين منهم يرون أن ترجمته غير ممكنة » ويوافقهم هو نفسه في ذلك لأنه يرى أن ذلك شأن جميع الأعمال العظيمة ، ومن هنا سمى عمله تفسيرا للقرآن وليس ترجمة للنص .

وما دام صاحب العمل يقر بأنه لم يحاول ترجمة القرآن ، ولكنه فسره فهو معرض ـ بلا شك ـ إلى الخطأ في فهم بعض الآيات أو اختيار بعض الآراء المرجوحة ... الخ ما يتعرض له أي مفسر لكتاب الله الكريم ، وإذا ضممنا إلى هذا أن الرجل لم يكن مسلما وقد يكون لهذا أثر على تفكيره إزاء القرآن لا شعوريا ، فان من واجبنا أن نلزم جانب الحذر في تقييمه دون دراسة فاحصة شاملة .

4— THE MEANING OF THE GLORIOUS KORAN
BY: Mohammad Marmaduke Pickthall

ومحمد مرماديوك بكتهول ـ كما قلنا سابقا ـ كان انجليزيا مسيحيا عاش في الهند (حيدر أباد) فترة طويلة واعتنق الاسلام هناك ، وقد ظهرت أول طبعات كتابه في سنة ١٩٣٠ ويقول في كلمته التي صدر بها عمله :

إن هذه أول ترجمة للقرآن بالانجليزية يقوم بها إنجليزي مسلم »

والقرآن ـ في رأيه ـ لا يمكن أن يترجم ، وما قام به من عمل عبارة عن محاولة يقدم فيها معاني القرآن ، ولا يمكن أن يستغني به عن القرآن في لغته العربية وما قصد إلى ذلك قط .

ونحن لا نعرف مدى إلمام الرجل باللغة العربية ، كما لا نعرف مدى ثقافته الاسلامية اللازمة لمثل ما قام به من عمل ، ومن هنا لا بد من دراسته دراسة شاملة ، وخاصة أن هناك من الدارسين المسلمين من هاجمه بعنف ، وكتب بشأنه إلى المؤسسات الاسلامية ، ومنها الأزهر ورابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة .

5— THE HOLY QURAN
Text, Translation and Commentary
By: Abdullah Yusuf Ali

« وعبدالله يوسف علي هندي مسلم ، ومقدمة الطبعة الأولى لكتابه مؤرخة ١٤ ابريل سنة ١٩٣٤ م ـ ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٥٢ هـ ، ويقول موجها حديثه للقارىء :

« إن الذي أود أن أقدمه إليك إنما هو تفسير باللغة الانجليزية جنبا إلى جنب مع النص العربي ، ولن يكون ذلك عن طريق إبدال الكلمة العربية بما يقابلها في الانجليزية ، وإنما باعطاء أحسن التفسيرات التي يمكنني أن أقدمها في معناها الكامل الذي استطعت أن أفهمه من النص العربي (ص ٤)

وفي ترجمة النص لم أعبر عن رأي شخصي لي ، وانما اتبعت في ذلك المفسرين

المعترف بهم ، وعند ما أجد خلافا بينهم أختار من أقوالهم ما يبدو لي رجحانه ... وفي اختيار كلمة انجليزية مقابل الكلمة العربية من الضروري أن يستخدم المترجم تفكيره وعلمه في الترجيح بين البدائل ، وبالتالي يكون معبرا عن رأي معين وقد يكون ذلك عن غير قصد ، وهذا مما لا يمكن تفاديه ، (ص ٥) .

ويعلل ضرورة الترجمة للكتاب الكريم فيقول :

« إن أمل كل مسلم مثقف أن يقرأ القرآن في لغته العربية ، وأن يسمع النص بصوت عربي ، وأود أن يكون أمل كل مسلم ومسلمة كذلك أن يفهم القرآن إما باللغة العربية ، وإما بلغته القومية ، وإما بأي لغة أخرى من اللغات المتقدمة التي يستطيع فهمها ، ومن هنا كانت الحاجة إلى ترجمة جيدة صحيحة » (ص ١٤) .

ثم يقول : ولانتشار اللغة الانجليزية في العالم فان كثيرا من الناس المهتمين بالاسلام سيحصلون على أفكارهم عنه من الترجمة الانجليزية للقرآن ، وإنه لشيء طيب أن يحاول المسلمون الذين تؤهلهم ثقافتهم تقديم انطباعاتهم العقلية والروحية إلى الآخرين ... »

وهذه الترجمة هي التي ارتضاها كثير من المسلمين ، وعمل البعض منهم على نشرها على نطاق واسع ، ومن هؤلاء السيد خليل الرواف من رجال المملكة السعودية فقدْ طبعها على نفقته في سنة ١٩٤٦ ، وقد يكون من أسباب هذا الرضا :

١ ــ أنها ترجمة قام بها عالم مسلم يعرف العربيةوالانجليزية .

٢ ــ وأنها خالية من الانحرافات التي نجدها في تراجم أخرى كهذه التي قام بها قاديانيون وسنتحدث عن بعض تراجمهم إن شاء الله .

٣ ــ وأن عليها تعليقات خلت منها التراجم التي سبق أن عرضنا لها ، وهذه التعليقات قد تعين القارىء على فهم النص بطريقة صحيحة .

وهذه الترجمة ــ رغم انتشارها ــ فيها كثير مما يؤخذ على صاحبها ، فمثلا :

أ ــ في ترجمته للآية الأولى من سورة البقرة « كتبها هكذا A. L. M. وبذلك يعطينا الحروف الانجليزية الموازية ــ في رأيه ــ للحروف العربية فحسب .

ولو أنه فعل ذلك في جميع المقطعات في سور القرآن لعذرناه ، ولكننا نجد ذلك في السور التي بدأت ب الم ، الر ، المر فقط . أما ما عداها فنجده يعطينا النطق العربي بالحروف اللاتينية ، ففي الأعراف نجد الآية الأولى هكذا :

AIIf? LAM, MIM, SAD

وفي مريم

KAF, HA, YA, AIN, SAD

وهكذا في كل ما بدأ ب حم أو طس او طسم ، وكذلك في ص ، ق ، ن ولا يظهر لهذه التفرقة سبب ولم يعلل هو لذلك .

ب ــ بعد أن ترجم قول الله تبارك وتعالى في « سورة الانبياء : الآية / ٦٩ » .

(قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم) .

نجده يقول في تعليقه عليها (رقم ٢٧٢٥) ـ بعد كلام طويل ـ :
or the incident may be only allegorical ومعنى ذلك أنه يجوز أن يكون الكلام عن إلقاء خليل الله ابراهيم في النار وإكرام ربه له وعدم تأثيرها فيه بأمره تعالى من قبيل القصص الرمزي الذي يقصد منه تقوية الناحية الروحية وتعزيز المعنى الأخلاقي دون أن يكون لتفاصيل القصة نصيب من الوجود الحقيقي . وهذا جد خطير ...

جـ ـ في بعض تعليقاته على قصص القرآن يورد من التعبيرات ما يوهم أن تكون من قبيل الأمثال ، وأقل ما يوصف به ذلك أنه يوقع القارىء في حيرة واضطراب ، ومن ذلك ما نجده في تعليقه على قصة البقرة التي أمر الله قوم موسى بذبحها حيث يقول : ... This story or Parable of the heifer هذه القصة أو المثل المتعلق بالبقرة ... الخ »

وهذا الترديد بين أن يكون الحديث عن البقرة قصة أو مثلا يلقي ظلا من الغموض على مراده ، فاذا وجدنا أنه في نفس التعليق يقول :
the lesson of the heifer Parable is Plain « إن الدرس المستفاد من مثل البقرة واضح » ...

رجح جانب التعبير بأن الحديث من قبيل المثل ، وفي اصطلاح القرآن الكريم الفرق واضح بين القصة والمثل .

6— THE HOLY QURAN
Arabic Text, Translation and commentary
By : Maulana Muahmmad Ali.

وقد ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩١٨ والنسخة التي لدينا من الطبعة الرابعة وصدرت سنة ١٩٥١ .

7— THE HOLY QURAN
With English Translation and commenatry
Edited by : Malik Ghulam Farid

وظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٦٩ ونسختنا منها .

8— THE KORAN, Arabic Text and English Translation
By : Muhammad Zafruallah Khan.

وطبع لأول مرة في ١٩٧١ .

وهذه الكتب الثلاثة لها اتجاه مشترك ، فأصحابها جميعا من أتباع « مرزا غلام احمد القادياني » ويسمونه جميعا « المسيح الموعود » .

وهم لا يخفون انتسابهم اليه ، بل يفخرون به وتبدو رنة الاعتزاز في حديثهم عنه ، كمثال لذلك ما يقوله « مالك غلام فريد » في مقدمة كتابه من أنه يحس بفضل الله عليه أن أتيحت له فرص كثيرة جلس فيها عند قدمي خليفة المسيح الثاني ، ولسنوات سمع من أحاديثه ومحاضراته حول الموضوعات الدينية والمواعظ والدروس المفيدة إلى حد بعيد حول القرآن .

ولجماعة القاديانيين نشاط واسع في أوربا وآسيا وافريقيا ، ومطبوعاتهم كثيرة ومتنوعة ويبدو أن مصادر تمويلهم غنية وسخية ، وهم يركزون في دعايتهم

لأنفسهم ومعتقداتهم على إيهام الناس أنهم اشد اهتماما من غيرهم بخدمة الاسلام ونشر كتاب الله عن طريق الترجمة والشرح ، ولعل نشاطهم يتضح أكثر إذا عرفنا أن هناك كتبا أخرى لهذه الجماعة تعالج شرح القرآن على طريقتهم بجانب الكتب التي نتحدث عنها الآن ، يقول « مالك غلام فريد » عن كتابه :

« إنه مختصر لكتاب التفسير الانجليزي للقرآن الكريم الذي كتب مقدمته حضرة الراحل « مرزا بشير الدين محمد احمد » الخليفة الثاني للمسيح الموعود ، والذي طبع في سنة ١٩٦٣ في ثلاثة أجزاء كبار ... ومن حسن الحظ أنه في الوقت الذي مر بين ظهور الكتاب المذكور ومحاولة هذا المختصر ظهر شرح متقن لمعاني القرآن لحضرة الراحل خليفة المسيح الثاني في كتاب « التفسير الصغير » وقد حاولت جهدي الانتفاع ــ في عملي هذا ــ بكل ما يمكن أن يكون مهما في التفسير الصغير ...

وخطورة هؤلاء على الاسلام في نشاطهم هذا تتمثل في أنهم يعطون صورة براقة عن حبهم لكتاب الله وأنهم يقدسونه ، وفي الوقت ذاته يستخدمون آياته في ترويج مفترياتهم وفي نشر معتقداتهم بتفسيرها بما لا يتفق مع مقتضيات اللغة تارة ، وبما يخالف ما أجمع المسلمون عليه تارة أخرى .

وقد رأيت أن يكون حديثي عن كتبهم الثلاثة المذكورة سابقا موحدا ، ولن أحاول هنا تقديم دراسة شاملة لهذه الكتب ، فليس هذا مجال ذلك العمل ، وسأكتفي بعرض أمثلة مما تحويه كنماذج لما فيها بحيث تعطي صورة واضحة للقارىء عن معتقدات أصحابها .

ولا بد من أن أوضح هنا أن الأسلوب الذي اتبعه كل من « محمد علي » و « مالك غلام فريد » يكاد يكون متشابها في أن النص العربي يقابله ترجمته ، ثم هناك تعليقات تشرح ما جاء في الترجمة والتقارب واضح بين الاثنين ...

أما محمد ظفر الله خان فلم يكتب تعليقات على ترجمته ، واكتفي بمقدمة وضع فيها كثيرا من معتقداته ومعتقدات جماعته ، وكلما أسعفته الفرصة في الترجمة وضع زيادات تعبر عن رأيه ثم استخدم بيان محتويات كتابه (الفهرس) في توضيح الكثير مما لم تسعفه ترجمة النص من دسه فيه ، ويضع ذلك في كلمات قليلة نجد شرحها وتفصيلها عند صاحبيه في تعليقاتهما ، وبمقارنة ما جاء في مقدمته وما عبر عنه في محتويات الكتاب بما نجده في تعليقات زميليه ، تبدو الصورة واضحة تماما ، وأنهم جميعا مجندون لهدف واحد .

وإذا عرفنا أن « محمد ظفر الله خان » كان وزيرا للخارجية في باكستان ــ الدولة الاسلامية الحديثة ــ وكان رئيسا لوفدها في الأمم المتحدة لفترة طويلة ، ثم رئيسا للجمعية العامة في إحدى دوراتها ، وخرج منها ليكون أحد قضاة محكمة العدل الدولية ، إذا عرفنا ذلك أدركنا إلى أي حد يمكن أن يصل تأثيره إلى من لا يعرف حقيقة الاسلام وتعاليمه من غير المسلمين ، ومن هنا فهو في نظري أخطر الجميع على الاطلاق ، ولذلك سيكون حديثنا عن بعض ما يشترك فيه الثلاثة مبنيا

على ما جاء في ترجمته أو بيان محتويات كتابه ، مع إتمام الصورة في كل موضوع من نصوص التعليقات عند صاحبيه .

ولنبدأ بما يتصل برأيهم في زعيمهم وكيف حرفوا معاني القرآن وكلماته للوصول إلى ما يهدفون :

يسجل « محمد ظفر الله خان » في فهرس كتابه ص ٦٥٥ تحت « خاتم الأنبياء » أن : « باب النبوة لم يغلق » ويحيل القارىء على الآيات ٣٩ من سورة البقرة ، والآية ٣٥ من سورة غافر ، والآية ٨ من سورة الجن .

وأن « النبي محمدا » ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كخاتم النبيين معناه أنه الرسول الأعظم وليس المعنى أنه آخرهم « ويحيل القارىء هنا إلى الآية ٤١ من سورة الأحزاب .

ويلاحظ ان ارقام الآيات القرآنية في كتاب محمد علي وكتاب مالك غلام فريد تزيد عددا واحدا في كل آية عن ارقام الآيات في المصحف ـ ما عدا سورة التوبة ـ لانهما اعتبرا البسملة اية من كل سورة واعطيت رقم ١ ، ولهذا فالآيات المذكورة هنا ارقامها في المصحف : ٣٨ في البقرة ، ٣٤ غافر ، ٧ في الجن ، ٤٠ في الاحزاب وهكذا في كل الارقام في كتابيهما ..

وبالرجوع إلى الآية الأولى نجدها قول الله تبارك وتعالى :

(قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) البقرة / ٣٨ .

ويتبين وجه استدلاله بهذه الآية على ما يقول ويدعى من أن « باب النبوة لم يغلق » من تعليق « محمد علي » عليها إذ يقول : إنها تقرر قانونا عاما وهو « أن الوحي الالهي سيمنح للانسانية كلها ، وأن الأنبياء سيظهرون في كل مكان من وقت إلى وقت .. »

وإذا كان تعبير « محمد علي » ليس صريحا فيما عبر عنه « محمد ظفر الله خان » فقد أفصح صاحبهما مالك غلام فريد عن عقيدتهم في ذلك ، عندما علق على قول الله تبارك وتعالى في سورة الأعراف ، الآية / ٣٥ » :

(يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يقول مالك غلام فريد :

« هنا نقطة هامة تستحق ملاحظة خاصة ، وهي أنه ـ كما في بعض آيات سبقت .. (مثل الآيات ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٣ من سورة الاعراف) ـ وكلها تبدأ بالنداء « يا بني آدم » الخطاب في التعبير « يا بني آدم » موجه إلى كل من كان في زمن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم وإلى الأجيال التي ستولد بعده لا إلى هؤلاء الذين عاشوا في الماضي البعيد ووجدوا مباشرة بعد آدم .

والآية الثانية التي أشار اليها « محمد ظفر الله خان » هي قول الحق تبارك وتعالى في سورة غافر : الآية / ٣٤ » :

(ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) .

ويعلق « مالك غلام فريد » تحت رقم ٢٦٠٥ على هذا القول الكريم فيقول :

« جاء الانبياء من الناس منذ القدم ، ولكن الناس درجوا على أن يرفضوا كل نبي جديد ويعارضوه ، وعند ما يموت يقول هؤلاء الذين آمنوا به واتبعوه : لن يأتي نبي بعده وأن باب الوحي قد أغلق إلى الأبد » .

وبضميمة هذا إلى ما نقلناه عنه في تعليقه على آية الأعراف ، يتضح لنا وجه الاستدلال عند محمد ظفر الله خان بآية غافر على دعواه الباطلة : من « أن باب النبوة لم يغلق » .. والآية الثالثة هي قول الله عز وجل في « سورة الجن : الآية /٧ » :

(وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله احدا)

ولا أدري كيف يستقيم له الاستدلال بها على أن باب النبوة مفتوح ، ولم أجد لصاحبيه أي تعليق عليها ، ولعل ذلك لما يبدو من بعد الشقة بين منطوقها وما يريده محمد ظفر الله خان . وأما آية الأحزاب (رقم ٤٠) وهي قول الله تبارك وتعالى :

(ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما) ..

فانها وان أخذت بخناقهم ، فقد أجهد « مالك غلام فريد » نفسه في تحليل كلمة « خاتم » ثم ينتهي إلى القول بأن التعبير « خاتم النبيين » يمكن أن يفسر بمعان أربعة :

١ ــ أنه ليس هناك من يعتبر نبيا حقيقة ما لم تعتمد نبوته من النبي المعظم ، فكل نبوات الأنبياء السابقين لا بد وأن تؤكد ويشهد لها من النبي العظيم ، وكذلك ليس هناك من يصل إلى درجة النبوة بعده إلا إذا كان من أتباعه .

٢ ــ ان النبي العظيم كان أعظم وأكرم وأكمل الأنبياء جميعا ، وكان أيضا مصدر زينتهم .

٣ ــ أن النبي العظيم كان آخر الأنبياء الذين جاءوا بشريعةوقانون .

٤ ــ أن النبي العظيم كان آخر الأنبياء فقط على معنى أن جميع الصفات المميزة للأنبياء نجد كمالها النهائي والتعبير عنها فيه هو .

ويقول بعد ذلك : « وفوق هذا فان القرآن قد تحدث بوضوح عن مجيء أنبياءبعد النبي العظيم ، ويذكر الآية التي سبق أن تحدثنا عنها ، وهي قول الله سبحانه في سورة الأعراف :

(يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي) الآية/ ٣٥ .

وقد بلغت الجرأة والجسارة على الحق بمحمد ظفر الله خان إلى حد يجعله يترجم قول الله سبحانه في « سورة الجمعة : آية رقم ٢،٣ » :

(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.واخرين منهم لما

يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) هكذا

"He it is who has raised among the unlettered people and aamong others from among them who have not yet joined them, a Messenger from among themselves who recites unto them.His signs, and purifies them, and fosters their welfare, and teach them the Book and wisdom, though before this they had been in manifest error."

وترجمة ذلك :

هو الذي بعث في الأميين وفي آخرين لما يلحقوا بهم رسولا منهم ..الخ .

وهذا معناه أن البعث في الأسلام حدث مرتين ، الأولى في زمن النبي صلوات الله وسلامه عليه ، والثانية بعد زمنه في قوم لما يلحقوا بهم ، وهو ما صرح به في مقدمته ص ٥٢ وهذا ولا شك تدليس واضح وكذب صريح على كتاب الله ، إذ خلط الآيتين ببعضهما ليصل إلى ما يهدف إليه من أن إرسال الرسول حدث في الأميين في زمنه ، وحدث كذلك في هؤلاء الذين لما يلحقوا بهم .

ويشرح « مالك غلام فريد » ما يعنيه صاحبه حين يعلق على الآية الكريمة فيقول :

« إن رسالة النبي الكريم لا تختص بمن كانوا في زمنه ، وإنما هي دائمة إلى نهاية الزمن ، أو أن الآية تعني أن النبي الكريم سيبعث مرة أخرى في قوم لم يوجدوا في زمنه ، والاشارة هنا إلى البعثة الثانية للنبي نفسه في شخص « المسيح الموعود » في الأيام المقبلة » ..

ومما يغرق في الغرابة ما نجده في تعليق مالك غلام فريد على قول الله تعالى في « سورة الجمعة » الآية ٦ » :

(قل يأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) حيث يقول :

« إن المسيح الموعود سيتحدى هؤلاء الذين يقال عنهم علماء المسلمين والذين سيرفضون دعوته وسيدعوهم إلى المباهلة .. »

ولا أدري كيف يؤخذ ما عبر عنه من النص الكريم إلا إذا ألغى الانسان عقله . وإذا عرفنا أنه ترجم **(يأيها الذين هادوا)** ترجمة صحيحة وصرح بأن المقصود بهم اليهود ، تبين لنا مقدار خروجه عن الأدب في إطلاق ذلك الوصف على علماء المسلمين الذين رفضوا دعوة زعيمه .

وإذا كان القوم يطلقون على زعيمهم « المسيح الموعود » فلا بد وأن يكون للمسيح عليه السلام مكان خاص في فلسفتهم ، وهذا واضح في كل ما كتبوا وعلقوا على الآيات التي تتحدث عنه عليه السلام منذ بشر الملائكة أمه به إلى أن انتهت حياته على هذه الأرض .

فاذا بدأنا بما يتصل بالبتول « مريم » نجد في محتويات كتاب « محمد ظفر الله خان » تحت اسمها الكريم :

« زيارة الملك لها في صورة إنسان كان رؤيا » ويحيل على قول الله تبارك وتعالى في « سورة مريم : الآية ١٧ » .

(فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا)..

وبالرجوع إلى مالك غلام فريد نجده يقول في تعليقه على هذه الآية :

« إن التعبير يفيد أن البشرى الالهية بولادة ولد عظيم لم تبلغ لمريم في صوت أمكنها سماعه من متكلم ، وإنما كان ذلك في صورة رؤيا منامية أو تخيل في اليقظة » .

ثم يأتي « محمد علي » فيشرح ما قاله صاحبه بطريقة توهم القارىء الذي لا دراية له بالثقافة الاسلامية إنه يقدم الدليل على رأيه فيقول :

« هذا يبين أن مجيء الروح لها كان في رؤيا وأن ما تبودل من حديث بينهما كان كذلك ، وكلمة « تمثل » التي استعملت هنا تؤيد ما نقول ، لأن معنى « تمثل » اتخذ شبه شيء آخر ، وهذا يكون في الرؤيا فقط ، وبجانب ذلك فان الروح أو الملك يظهر للمصطفين من العباد في الرؤيا فحسب ، والملائكة لا ترى بالبصر » .

وواضح أن استدلال الرجل لا يستقيم له ، فكون « تمثل » تقتضي اتخاذ شبه شيء آخر قد تحقق فعلا ، فقد اتخذ الملك شبه بشر سوى ، وكون الملك لا يظهر للمصطفين الا في رؤيا غير مسلم ، ففي السنة الصحيحة ما يدل على أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه رأى جبريل عليه السلام في صورته الملائكية ، واطلاق القول بأن الملائكة لا ترى بالبصر يرده ما ورد في كتب السنة الصحيحة من أن جبريل عليه السلام تمثل برجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر .. الخ ورآه الصحابة وسمعوه يسأل الرسول الكريم عن الاسلام والايمان ـ والاحسان ..

هذا فيما يتعلق بعقيدة القوم في البشرى بالمسيح عليه السلام .. فاذا جئنا الى قول الحق تبارك وتعالى في « سورة آل عمران / ٤٥ ـ ٤٧ » :

(إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين . قالت رب أني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك)

نجد التعليق رقم ٤٢٤ من محمد علي يقول :

انه مما يسترعى الانتباه أن القرآن لم يذكر زوج مريم قط وهذه الظروف تحمل شبها قويا بتلك التي تتصل بميلاد موسى ، فهناك أيضا لا نجد ذكرا لوالد موسى أصلا ، فكون القرآن لم يذكر والد عيسى لا يكفي في نفي ان يكون له أب ..

ثم نجد في التعليق رقم ٤٢٧ علي قول الله تبارك وتعالى :

(قالت رب أني يكون لي ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك)

وفيه يقول :

إن زواج مريم كان مبرما وربما لم تخبر بذلك قبل أن جاءها النبأ بأن سيكون لها ولد ، ومن هنا قالت : ولم يمسسني بشر ، وكان الجواب : هو كذلك والولد سيولد والله سيتولى ايجاد الظروف اللازمة ، والفاظ الآية لا تفيد ان الطفل سيحمل به بطريق غير عادي لأنه من المؤكد أن مريم ولدت غير عيسى ولم يقل أحد : إنهم جاءوا إلى الحياة بطريق غير عادي .. ومعنى هذا أن كل ما في الأمر هو بشارتها بأن سيكون لها ولد ، وذلك من باب النبوءة » ..

ويقول في تعليقه رقم ١٥٣٧ على الآية الكريمة في سورة مريم / الآية ٢١ » :

(ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا)

انها حملت به بالطريق العادي الذي تحمل كل النساء بأطفالها عن طريقه »

وان المرء لتأخذه الحيرة من أقطاره أمام هذا التحريف المتعمد لكتاب الله ومحاولة شرح الكلمات بما لا يسيغه منطق ولا عقل ولا علم ، والا فكيف يستساغ ان تقول مريم :

(رب أني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر) آل عمران / ٤٧ اذا كان الأمر مجرد بشارة بأنها سيولد لها ولد بالطريق العادي ؟ وكيف يفهم قولها حين جاءها المخاض : **(يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا)** مريم /٢٣ وعلى اي وجه يكون معنى قول قومها لها حين جاءتهم تحمل وليدها **(يا مريم لقد جئت شيئا فريا . يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا)** مريم / ٢٧ ، ٢٨ ؟ بأي منطق يفهم هذا كله إذا كان الأمر عاديا وليس فيه خروج على المألوف ..

إن القارىء لتعليقات هذا الرجل على النصوص القرآنية ليحس بالمعاناة التي تحملها في سبيل التخلص من المآزق التي وضع نفسه فيها الواحد تلو الآخر عندما تنكب الطريق وانحرف عن الصواب إنه يحاول أن يصور الأمر على أن مريم حملت بابنها عن طريق زواجها ككل امرأة تحمل وليدا ؛ فاذا قال القرآن الكريم :

(فحملته فانتبذت به مكانا قصيا) « مريم/ ٢٢ » فمعناه عنده ان مريم كانت في سفر الى مكان بعيد واذا عبر القرآن عما كانت تعانيه مريم البتول من موقفها كفتاة عذراء تلد وليدا وتقول : **(ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا)** « مريم/ ٢٣ » فقولها هذا ــ في نظره ــ تعبير عن الآلام التي تعرض لها كل امرأة تلد .

واذا قال القرآن : **(فأتت به قومها تحمله)** « مريم/ ٢٧ » فمعنى ذلك عنده ان عيسى عليه السلام وقد بلغ مبلغ الشباب أتت به أمه قومها وهو راكب حمارا .

ويعاني الرجل ما يعاني في شرح استنتاج ما ترجمه هو صحيحا من النص فيخفق ، ولكن صاحبه « محمد ظفر الله خان » لم يستح ان يضع هذا الذي يرياه في صلب الترجمة للنص فيقول :

« انها صحبته الى قومها بينما كان راكبا » .

واذا أخبر القرآن ان قومها عندما رأوها تحمل وليدا وهم يعرفون انها لم تتزوج بعد قالوا لها :

(يامريم لقد جئت شيئا فريا . ياأخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا) « مريم/٢٧ ، ٢٨ » .

فتفسير ذلك عنده أن مريم جاءتهم بولد ادعى فوق ما يعرف لشيوخ بني اسرائيل وهذه جريمتها ..

ولما لم يستطع ان يجد تخريجا لقولهم : **(وما كانت أمك بغيا) .. بحيث يتلاءم مع ما يقول سكت عنه ، ولم يعلق عليه بشئ** ، ويقيني ان ما ملأ به صفحات كتابه من تعليقات في هذا الأمر لا يساوي ما كتب به من مداد ..

وعودا إلى « محمد ظفر الله خان » فيما يتعلق بالمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام نجده يقول في بيان محتويات كتابه تحت كلمة « عيسى » ..

« ان عيسى وضع على الصليب ، ولكنه لم يمت عليه ، بل أصابه الأغماء الشديد ، وأنزل وهو في هذه الحالة » ، ويحيل القارئ إلى آيتين :

الأولى قول الله تبارك وتعالى في « سورة البقرة : الآية/٧٢ » :

(وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون) والثانية قوله تعالى في « سورة النساء : الآية/١٥٧ » :

(وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) ..

وبالرجوع الى « مالك غلام فريد » نجده يعلق على الآية الأولى فيقول :

« ... إن اليهود عملوا على قتل عيسى على الصليب ولكنهم فشلوا ، إذ بعد أن وضعوه على الصليب فعلا أنزل حيا ، وإن كان شبيها بالميت » .

ويقول في تعليقه على الآية الثانية :

« ما صلبوه تعني أنه لم يمت على الصليب ... والآية لا تنفي الحقيقة وأن عيسى وضع على الصليب ودق جسده فيه ، وإنما تنفي أنه مات على الصليب . ومعنى « شبه لهم » أن اليهود شبه لهم أن عيسى مات على الصليب ... »

ويقرر « محمد علي » في تعليقاته نفس الشئ . ويتضح من كلامه أنه يقول بذلك لأن الانجيل يقرر أن عيسى وضع على الصليب ، ومن هنا كان الصلب الذي نفاه القرآن ـ في رأيه ـ هو الموت على الصليب وليس تثبيت جسده عليه بالمسامير ، وهذا عنده من باب التوفيق بين القرآن والانجيل ، وهو شئ لا يستحق مجرد النظر اليه .

واتجاه القوم في معجزات الأنبياء عليهم السلام إلى انكارها ، وتأويل كل ما يتصل بذلك من آيات :

فاحياء عيسى عليه السلام للموتى تعبير مجازى عن قدرته على هداية الضالين من الناس ولا شئ وراء ذلك » .

والمراد بالجبال والطير في قول الله تبارك وتعالى : **(وسخرنا مع داود الجبال**

يسبحن والطير) « الأنبياء/ ٧٩ » هم خيار الناس من الصالحين .

وهدهد سليمان الذي تحدث القرآن عنه انما هو قائد قواته . وهكذا ..

وقد يبلغ بهم الأمر إلى إنكار الحقائق التي ينطق بها القرآن ، كما نجد في تعليق محمد علي عند قول الله تبارك وتعالى في سورة الأنبياء :

(قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين) « الأنبياء/ ٦٨ » .

(قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم) « الأنبياء/ ٦٩ » ، إذ يقول :

« إن القرآن لم يصرح في أي آية من آياته بأن ابراهيم قد ألقى في النار » ..

ولا أدري كيف يفهم إذن قول الله سبحانه وتعالى : **(قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم)** اذا لم يكن ابراهيم في النار فعلا ..

ولعل وضوح النص في ذلك هو الذي حمل زميله « محمد ظفر الله خان » على أن يصيخ للحق فيسجله في صلب ترجمته للآية فيقول :ـ

"When they cast Him. into the fire we commanded it:
Be cool and a means of safety for Abraham.

وترجمة ذلك :

عندما ألقوه في النار قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم ..

ولكنه يتمادى في المكابرة فيقول :

« إن القرآن يقرر في الآية الرابعة والعشرين من سورة العنكبوت أن الله أنقذ إبراهيم من النار ، ولكنه لم يبين لنا ما إذا كان هذا الانقاذ قبل إلقائه في النار أو بعد إلقائه فيها » .

والآية المقصودة هي قول الحق تبارك وتعالى :

(فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار) « العنكبوت/ ٢٤ » . وغريب جدا أن يكون هذا النص محتملا لأن يكون إبراهيم قد ألقى في النار أو لم يلق فيها ، إذ بضميمة هذه الآية إلى آية سورة الأنبياء التي تصرح بكيفية إنجاء الله له من النار لا يكون لقول هذا المكابر أرض يقف عليها .

وبالرغم من ذلك كله نراه يركب رأسه ويدعي أن قول الله عز وجل :

(ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) « الأنبياء/ ٧١ » . يقرر أن النجاة من النار كانت عن طريق الهجرة إلى أرض أخرى ، وتلك مغالطة فاضحة فليس هناك من ينكر أن هجرته عليه السلام كانت نجاة له ، ولكن ليس من النار ، وإنما من كيد قومه وإيذائهم له الذي لم يتوقف ، وكان ذلك بعد أن أنجاه الله من النار بالكيفية التي وضحها الله في كتابه في صراحة ووضوح ..

وبعد : فهذه جولة قصيرة في كتب يقرؤها الناس على أنها القرآن وشرح آياته ، بعضها لغير مسلمين وأمرهم واضح ، والحذر مما يقولون يكاد يكون من طبيعة المسلم ، والبعض الآخر مؤلفوها مسلمون في نظر كثير من القراء ، ويروجون

لأفكار جماعة انحرفت عن الطريق السوى ، ولهم نشاط واسع في قارات الأرض باسم الاسلام والعمل على نشره ، وهذا يوجب علينا أن نتصدى لهذا الخطر بنفس السلاح الذي يستخدمونه في الكيد للاسلام ، وهو سلاح العلم والمقارنة والعرض الواضح لكشف ما في كتبهم من أباطيل ..

وأنا على علم بأن كثيرا من علمائنا الأفاضل في كثير من أقطار الاسلام كتبوا ضد القاديانية وحذروا منها وكشفوا بعض أباطيلها كما فعلوا ضد غيرها من جماعات المنحرفين ، إلا أن ما قاموا به كان يتجه إلى دحض دعوى زعماء هذه الجماعات للنبوة ، وإلى تكفيرهم وتكفير من يتبعهم ونعلم جميعا أن البرلمان الباكستاني أصدر في العام الماضي قرارا واضحا بتكفير طائفة القاديانية ..

كل ذلك أعلمه ، ولكنني لا أعلم أن هناك من حاول دراسة شاملة لكتبهم وكشف ما فيها من تحريف للنصوص ومغالطات في العرض وظلم للألفاظ بتحميلها من المعاني مالا صلة لها به ..

وقد يكون هناك من الأفراد من يستطيع القيام بهذا العمل على نطاق ما ، ولكني أعتقد أن إنجاز ذلك باسم الأزهر سيكون له من الأثر ما لن يكون لعمل الفرد ..

ولهذا اقترح :ـ

١ ـ أن يتبنى مجمع البحوث الاسلامية ـ ممثلا للأزهر ـ العمل على دراسة الترجمات المختلفة في اللغة الانجليزية أولا لانتشارها اكثر من غيرها في بلاد العالم تمهيدا لاصدار ترجمة شاملة تجمع محاسن الموجود ، وتستبعد الأخطاء ، وتكمل النقص وتعرض للقراء معاني القرآن الكريم في اسلوب واضح صحيح ، مع تصديرها بمقدمة وافية تبين للقارىء ما في الترجمات الموجودة من مآخذ دعت إلى إصدار ترجمة جديدة .

٢ ـ أن يجند لهذا العمل كل من له دراية كافية بالثقافة الاسلامية بحيث يستطيع ان يميز الصحيح من الخطأ ، وما له سند مما لا سند له من التعاليم الاسلامية وله من معرفة اللغة الانجليزية ما يمكنه من فهم المراد للكاتب فهما صحيحا والرد عليه في أسلوب واضح سليم .

٣ ـ ألا يستقل أي فرد من مجموعة العمل بأي جزء من أجزائه ، بل يكون العمل جماعيا بمعنى أن كل ما يقوم به كل فرد يعرض بالتفصيل على جماعة العمل متكاملة ، ولا يعتبر نهائيا إلا إذا أقره الجميع ..

أسأل الله لنا جميعا الهداية والتوفيق ..

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا ..



ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الاحاديث التي تدور على السنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

« أبشر يا أبا بكر الذي وضأك للصلاة جبريل ، والذي مندلك ميكائيل ، والذي مسك ركبتي حتى لحقت الصلاة إسرافيل »

موضوع .

قال : السيوطي في اللآلىء المصنوعة إنه موضوع .

فمن رواته محمد بن زياد الميموني وهو كذاب .

وقال : الذهبي في ميزان الاعتدال إن سبب الوضع ، والآفة التي جعلته منكرا جعفر بن أبي عثمان الطيالسي فانه يأتي بالأخبار المنكرة .

وقال : الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة إن هذا القول كذب .

وقد روى نحو هذا لعلي بن أبي طالب وفيه زيادة على النص السابق ذكر السطل والمنديل وكل هذه الأقوال كاذبة موضوعة .

(إذا كان يوم القيامة دعا الله عبدا من عبيده فيقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله) .

موضوع .

قال الشوكاني في الفوائد المجموعة انه منكر .

ورواه ابن حبان عن ابن عمر مرفوعا ، وقال لا أصل له .

وروى الخطيب مثله باسناد فيه منكر الحديث .

وقال صاحب اللسان : ان النسائي استنكر الحديث .

ومن رواته محمد بن العباس المعروف بابن النحوي ، وهو متأخر لا يعبأ به .



في



خلال شهر رمضان المبارك انزل الله القرآن الكريم .. يقول سبحانه وتعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**) البقـرة/ ١٨٥ . ويقول سبحانه وتعالى كذلك :(**إنـا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر**) سورة القدر .

أول ما بديء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي « الرؤيا الصالحـة » فكان عليـه الصـلاة

للاستاذ/محمود زيدان السفاريني

والسلام لا يرى في نومه رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح . ثم بدأ عليه الصلاة والسلام يخلو بنفسه في غار حراء ، فيتعبد ويعود لأهله ، ثم يرجع للغار للتعبد ، وهكذا ..

وفي ذات يوم نزل عليه جبريل عليه السلام في غار حراء وقال له : اقرأ !! فقال له عليه الصلاة والسلام : ما أنا بقارئ ، فأخذه جبريل وغطه حتى بلغ منه الجهد وأرسله ، وقال له : اقرأ ، فقال : ما أنا بقارئ . فغطه الثانية وأرسله ، وقال له : اقرأ ، قال : ما أنا بقارئ . فغطه الثالثة ، وقال له : **(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم)** العلق/١ ـ ٣ . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة رضي الله عنها فقال لها : زملوني ، زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، وأعلم خديجة بما حدث معه . فقالت له خديجة : كلا . والله لن يخذلك الله أبدا ، لأنك تصل الرحم ، وتقري الضيف ، وتساعد الملهوف والمظلوم وانطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل ، وهو ابن عمها ، وهو شيخ ضرير ، كان قد تنصر في الجاهلية ، وهو يكتب من الانجيل بالعبرانية ، وقالت له : ياابن عمي اسمع من محمد ما يقول . فقال له : أسمعني ما عندك . فأعلمه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بكل الذي جرى معه في غار حراء . فقال له ورقة : هذا الناموس نفسه الذي انزل الله على موسى عليه السلام . ليتني أحيا لحين يخرجك قومك من بلدك .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أومخرجي هم ؟ قال : نعم ، لأنه لم يأت رجل ابدا بمثل ما جئت به إلا عاداه قومه وأخرجوه من أرضهم . وإن أدركني يومك ذاك لأنصرنك نصرا مؤزرا ..

ولقد سمى القرآن الليلة التي نزل فيها القرآن « ليلة القدر » أي ليلة الرفعة والشرف ، ووصفها بأنها ليلة مباركة إذ يقول تعالى : **(إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين . رحمة من ربك إنه هو السميع العليم)** الدخان/٣ ـ ٦ .

ومادام القرآن الكريم قد أنزل في ليلة القدر ، وأنه سبحانه قد أنزله في شهر رمضان المبارك ، فانه يتعين أن تكون ليلة القدر في شهر رمضان . ولكن السؤال هو : أية ليلة هي في شهر رمضان ؟

والقرآن الكريم لم يحدد ليلة القدر بأي ليلة ، وأن الرسول العظيم هو الآخر لم يحددها تحديدا تاما ، وإنما حددها على وجه التقريب عندما قال : « تحروا ليلة القدر في السبع الأواخر » رواه مسلم وابو داود . ومعنى التحري أي الطلب بجد في

العبادة . ثم يقرب الرسول الأمر اكثر من ذلك فيقول : « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان » رواه احمد والترمذي . ولقد شاهدها كثير من الصحابة في السبع الأواخر من رمضان .

وحددها كثير من الصحابة أمثال ابن عباس ، وابي بن كعب بأنها ليلة السابع والعشرين . وقال بعض الصحابة كابن مسعود وزر بن حبيش : إنها في رمضان ، وإنها في العشر الأواخر ، وإنها بالذات ليلة سبع وعشرين .

والمحاولات في سبيل تحديد ليلة القدر مثيرة وطريفة : منها مثلا ما قاله بعضهم من أن عدد كلمات سورة القدر ثلاثون كلمة كعدد أيام رمضان وكلمة « هي » التي تشير إلى ليلة القدر في قوله تعالى في السورة نفسها « سلام هي » هذه الكلمة تمام سبعة وعشرين . هذه محاولة . ومحاولة أخرى هي : ان حروف ليلة القدر تسعة حروف ، وقد ذكرت ليلة القدر في السورة ثلاث مرات ، وثلاثة في تسعة تساوي سبعا وعشرين . أما الشيخ أحمد زروق - رضي الله عنه - فانه يقول فيها : إنها لا تفارق ليلة جمعة من أوتار آخر الشهر . وقد روى مثل ذلك أيضا ابن العربي . هذه كلها محاولات ، أما الثابت اليقين فهو أن القرآن لم يعينها تعيينا تاما ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحددها بوضوح . ولقد قال أسلافنا رضي الله عنهم : أخفى الاله عز وجل أمورا في أمور لحكم . ليلة القدر في الليالي لتحيى جميعها . وساعة الاجابة في الجمعة ليدعو الناس في جميعها . والصلاة الوسطى في الصلوات ليحافظ عليها كلها . والاسم الأعظم بين اسمائه ليدعى بالجميع . ورضاه في طاعته ليحرص العبد على جميع الطاعات . وغضبه في معاصيه لينزجر عن الكل . والولي في المؤمنين ليحسن الظن بكل منهم . ومجيء الساعة في الأوقات للخوف منها دائما . وأجل الانسان عنه ليكون دائما على أهبة .

وعلى هذا فيحصل ثوابها لمن قامها ، ولولم يعلمها . نعم ان العالم بها أكمل ولكن هذا هو الأظهر .

أما فضائلها فانها كثيرة جدا ، ففيها نزل القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان . ومعنى ذلك ان رسالة رحمة نزلت على العالمين ويقول سبحانه وتعالى : (**حم . والكتاب المبين . انا انزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمرا من عندنا انا كنا مرسلين . رحمة من ربك انه هو السميع العليم**) الدخان/١-٦ ثم إنه تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم .

ومن أجل ذلك كانت خيرا من الف شهر . والألف شهر هي ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر ، وهذه المدة عادة هي عمر الانسان . إذا فهي خير من عمر الانسان كله . من عمر كل انسان ، من عمره في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل . اي خلاصة القول انها خير من الدهر ومن

فضل الله سبحانه وتعالى على المسلمين ان من قامها ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه . وفي فضلها تروى الاحاديث التالية : عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : « أتاكم شهر رمضان ، شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب السماء ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه مردة الشياطين ، لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم » رواه النسائي والبيهقي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر ما تقدم من ذنبه » رواه البخاري .

وقال رسول الله ﷺ : « إن ليلة القدر هي في شهر رمضان في العشر الأواخر ، ليلة إحدى وعشرين ، او ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ، أو تسع وعشرين ، أو آخر ليلة من رمضان . من قامها غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه احمد .

وقال أيضا : « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا ، غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه احمد . « ومن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » حديث صحيح رواه البخاري وغيره .

وأحسن ما يدعى به في تلك الليلة العفو والعافية . ومن القراءة آية الكرسي إذ ورد أنها أفضل آية في القرآن . وكأواخر سورة البقرة وسورة إذا زلزلت وسورة الاخلاص وسورة يس . ويطلب الاكثار من الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل وانواع الذكر ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . ويدعو بما يحب لنفسه ولأحبابه أحياء وأمواتا .

ويتصدق بما يتيسر له . ويحفظ جوارحه عن المعاصي . ويكفي في قيامها صلاة العشاء والصبح في جماعة . وورد من صلى المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ بحظ وافر من ليلة القدر . وورد من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام شطر الليل . فاذا صلى الصبح في جماعة فكانما قام شطره الآخر .

وقد ورد : « من قال لا إله الا الله الحليم الكريم . سبحان الله رب العالمين . رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ثلاث مرات كان كمن أدرك ليلة القدر .

والسؤال هو : هل هي حقا ليلة تفتح فيها أبواب السماء لاجابة الدعاء ؟

والجواب هو : نعم ولا شك في نلك . إنها ليلة تفتح فيها أبواب السموات لاجابة الدعاء للموعودين ..

والموعودون هم الذين استجابوا لربهم سبحانه وتعالى ، فاستجاب لهم . هم الذين استقاموا كما أمروا . هم الذين أسلموا أمورهم اليه ، فتكفل بهم .

إن هؤلاء إذا سألوا الله أعطاهم . وإذا استعاذوا به أعاذهم ورب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره ..

مائدة القارئ

حب الهي

هذا هو الطريق الى نيل محبة الله .. قال تعالى : (**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم**) الآية ٣١ من سورة آل عمران .

مظهر حسن .. وجهل عريض

قال الأصمعي : رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن ، وعليه ثياب فاخرة ، وحوله حاشية وهرج ، فأردت أن أختبر عقله ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، فقلت : ما كنية الشيخ ؟ فقال : أبو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين . قال الأصمعي : فضحكت من قلة عقله ، وكثرة جهله .

موعظة

أراد غلام أن يعظ الخليفة عمر بن عبدالعزيز ـ خامس الخلفاء الراشدين ـ ومضرب المثل في العدل والنزاهة .

فقال : يا أمير المؤمنين إن أناسا غرهم حلم الله ، وثناء الناس عليهم ، فلا تكن ممن يغره حلم الله ، وثناء الناس عليه ، فتزل قدمك ، وتكون من الذين قال الله فيهم : (**لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم**) .

فالتفت عمر الى من حوله وتمثل قول الشاعر :

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
فان كبير القوم لا علم عنده ... صغير اذا التفت عليه المحافل

ما أعددت للساعة ؟

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : يارسول الله متى الساعة ؟ قال : « وما أعددت للساعة » ؟ قال : حب الله ورسوله . قال : « فانك مع من أحببت » .

الناس ثلاثة

قال علي ــ كرم الله وجهه ــ . الناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل النجاة ، وهمج رعاع : اتباع كل ناعق ، مع كل ريح يميلون ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا الى ركن وثيق .

حسن استعطاف

قال الشاعر مستعطفا صاحبه :

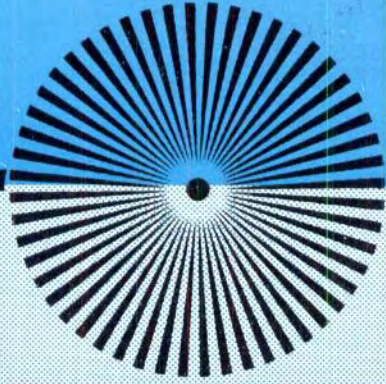
فهبني مسيئا كالذى قلــت ظالما ... فعفوا جميلا كي يكون لك الفضل
فان لم أكن للعفو عنــدك للذى ... أتيــت به أهــلا فأنــت له أهل

هذا هو العالم

لا يكون العالم عالما حتى تكون فيه ثلاث خصال : لا يحتقر من دونه ، ولا يحسد من فوقه ، ولا يأخذ على العلم ثمنا .

أبلغ الناس

سأل معاوية عمرو بن العاص : من أبلغ الناس ؟
قال : أقلهم لفظا ، وأسهلهم معنى ، وأحسنهم بديهة .



شهر الصيام

محمود وزن

هل هو شهر قوائم للطعام

من حسنات شهر رمضان ، انه فترة زمنية تكثر فيها العبادات ، وتتردد التسبيحات ، وتسمو الروحانيات ، وتكبح الشهوات ، وباختصار فهو شهر صفاء للنفوس ، وتطهير للقلوب ، وتعاطف بين الناس ، ورحمة وخير ومودة وغير ذلك من المعاني المجردة السامية ، التي لا توزن بمعايير مادية .

ولقد كانت هذه المفاهيم أو المعايير هي نبراس السلف الصالح الذي تعود جذوره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى من تبعه من الصحابة والخلفاء الراشدين والتابعين .. لكن يبدو أن حكمة الصيام قد بدأت تبهت في عقول معظم الناس (إلا من رحم ربي) .. فما أصبحوا يعرفون من الصيام إلا قشوره ، أما

للدكتور عبدالمحسن صالح

جوهره ، فقد خفيت عليهم حكمته .

لكن .. ما الذي يدعونا حقا إلى مثل هذا القول الذي قد لا يجد هوى عند كثير من المسلمين ، وقد يعتبرون نلك تهجما ليس له ما يبرره ؟

الواقع أن بعض ما يجرى من استعدادات واضحة لاستقبال هذا الشهر الكريم ، قد لا يدل على أننا مقبلون على شهر صوم بالمعنى الذي وقر في العقول التي تتدبر الحكمة العظيمة الكامنة في هذا الشهر الكريم .. فهو شهر الانضباط الديني والنفسي والبطني (من البطون) ، ليعمق في الانسان جذور الايمان ، عن طريق كبح شهوات ، يراقب الناس فيها ربهم ، وفي الوقت ذاته يراقبون أجهزتهم الحية التي ظلت تشتغل بغير هوادة طوال عام كامل ، وأن لها أن تأخذ « هدنة » مؤقتة تريحها من عناء متواصل .. وهدنتها الذهبية تكمن في شهر رمضان .. شهر الصيام .. لا شهر قوائم طويلة عريضة ، مما لذ وطاب ، من أصناف الطعام .

فهل نحن نصوم حقا الصيام الأمثل ؟

قبل ان نجيب على هذا التساؤل ، وجب علينا ان نلقي نظرة فاحصة على ما تنشره أجهزة الاعلام من استعدادات تموينية هائلة ، وما يطرح في الأسواق من سلع غذائية متباينة ، سلع لا تظهر الا بقدوم شهر الصيام ، وكأنما نحن مقبلون على مسابقة حقيقية لاتخام البطون بقوائم الطعام .. والدليل على نلك يأتينا من ميزانية الدول ، أو جيوب الأفراد ، فما يصرف على الطعام والشراب في شهر رمضان ، يفوق مثيله في أي شهر آخر .. ربما بضعفين أو ثلاثة .. والغريب أن هذا يحدث في شهر مبارك من سماته عدم الاسراف في مال وطعام وشراب ، ترى .. هل كان السلف الصالح يفعل مثلما نفعل الآن ؟

سؤال متروك لك ، لتجيب عليه بحكمة تنبع من العقول .. لا من البطون ، وحكمة العقول تأتينا من الحديث الشريف الذي قدمه لنا الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبايجاز يغني عن كل بيان « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » رواه الترمذي .

وأنا رجل علم في المقام الأول ، وكغيري من العلماء التجريبيين ، نضع نصب أعيننا أن كل شيء خلقه الله ، إنما يتبع سننا لا تبديل فيها ولا تحوير ، وهذه نعرفها عن طريق القوانين ، وغالبا ما نعبر عنها بالمعادلات ، والمعادلة تعني الاتزان .. أي لا تبذير ولا تقتير ــ بل « خير الأمور الوسط » ــ على حد قول

الحديث الشريف ، أو على حد تعبير القرآن الكريم **(ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط)** الاسراء/ ٢٩ .

وسلوكنا مع ألوان الطعام ، عندما يحل شهر الصيام ، يوضح أننا نسرف فيه كما ونوعا ، وميزانيات الدول والجيوب خير شاهدة على ما نقول ، ولا أحد أيضا يستطيع أن ينكر ذلك .. فنحن نأكل في شهر رمضان أكثر مما نأكل في أي شهر آخر ، وهذه مفارقة تستحق وقفة تأمل وتدبر .

إن الصلاة والصيام وغيرهما من أركان الاسلام ، هي شريعة هداية وتقويم ، وإصلاح للنفس والبدن .. ونحن لا ننكر أننا في هذا الشهر المبارك نعطي بعض هذه الشرائع حقها ، فمعظم المسلمين يرتلون آيات القرآن الكريم ، ويتدارسون الأحاديث ، ويقرأون كتب السيرة العطرة ، ويقيمون الندوات الدينية التي ترفرف عليها روح الاسلام وتعاليمه السمحة .. وكل هذا « غذاء » للروح والعقل ، وكلما ازددت من هذا الغذاء ، وجدت فيه نهما لا تشبع النفس منه أبدا ، وعندئذ قد تدعو الله دعاء مستحبا ، مرددا تلك الآية الكريمة **(وقل رب زدني علما)** طه/ ١١٤ . ذلك أن عقولنا تستطيع أن « تهضم » أكداسا من فوق أكداس من العلم النافع ، وبه تتسع المدارك ، وتسمو المعارف ، وتتفتح العقول على المزيد ، دون أن تصيبها تخمة أو عسر أو ما شابه ذلك .. **(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)** الزمر/ ٩ .

لكن الأمر يختلف مع البطون .. إذ لها طاقة محدودة ، ولو زادت الأمور عن حدودها المرسومة ، لكانت النتيجة الحتمية لذلك توعكا وعسرا وضيقا ، وفي هذا جاء القول المأثور : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإن أكلنا لا نشبع » مترجما عن هذا المعنى : وهذه سنة محمودة كانت تطبق في رمضان ، أو في أي شهر آخر من شهور العام .

وحكمة الصيام أيضا تتركز في كبح شهوات النفس ، بجوار شهوات البطن والفرج ، لكن المهم في الموضوع هنا ، أن هذا الشهر هو سباق حقيقي ، لالتهام ما لذ وطاب ، من أنواع الطعام والشراب .. فما أن يؤذن المؤذن لصلاة المغرب ، أو عندما ينطلق مدفع الافطار ، تجد الموائد عامرة بالطعام ، وتبدأ عشرات الملايين من الأفواه الجائعة ، في ملء البطون الخاوية ، بشهوة عارمة ، فيها فرحة غامرة ، بعد حرمان طالت ساعاته ، وهذا أمر مكروه من عدة وجوه .. إذ فيه تنتفي الحكمة الكامنة في الصيام ، أي الاسراف من حيث يحق الاعتدال ، **(إنه لا يحب المسرفين)** الانعام/ ١٤١ . **(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)** الاعراف/ ٣١ . وهو من الوجهة الصحية غير مستحب ، لأن المعدة الخاوية يجب أن تؤخذ بالحسنى — نعني ألا تحشر بالطعام حشرا — وإلا كان ذلك عليها وعلى صاحبها وبالا ، فعمليات الهضم الميسرة ، والاستفادة بالطعام المهضوم ، تتطلب اعتدالا ، ذلك أن للجسم الحي معاييره وموازينه ، وهو لا يستفيد من كل ما نأكل ، بل يأخذ فقط ما هو في حاجة فعلية إليه ، والباقي يطرد

من الأمعاء طردا ، وربما ينقلب ذلك إلى مغص وإسهال ، وهما علامتا إنذار للذي أكل ، فأسرف ، فاسترخى ، واستكان في مكانه ، وكأنما هو كتلة حية تتنفس ، دون أن تستطيع ممارسة النشاط الجسماني العادي ، فلقد ثقلت بطنه ، وتقطعت أنفاسه ، وزادت دقات قلبه ، لتجابه الأزمة الطارئة التي انحشرت في جوفه ، دون أن يدري ، أو يدري .. لست أدري ..

والواقع أننا لسنا مبالغين ، في تقديم هذه الصورة ، التي يمارسها معظم الصائمين ، في هذا الشهر الكريم ، فالأرقام خير دليل على ما نقول ، ولقد كنا نود أن نطرح هنا الكثير من عناوين الصحف عن الاستعدادات الغذائية الهائلة التي تمون بطون الصائمين ، إذ كان من المفروض ان يكون العكس صحيحا ، أي أن يقوم أئمة المسلمين بترشيد الناس عن حكمة الصيام من الوجهة الدينية والروحية ، وأن يتقدم الأطباء بتوجيه النصائح نحو المستحب وغير المستحب في محاولة لاقناع الصائمين بالاعتدال لا الاسراف ، في طعام ثقيل على البطون الجائعة .. ومن الجدير بالذكر هنا أن نسبة لا بأس بها من الصائمين ، تزيد أوزانهم بعد انقضاء هذا الشهر العظيم الذي جاء ليعلم الناس أن الصيام نظام (أو ريجيم) حياة أمثل ، لأنه يخفف العبء عن أجهزة الجسم وأعضائه ، لا أن يزيدها تعبا ونصبا وإجهادا ، إذ لو عاد الناس إلى جادة الصواب ، لاكتفوا من الطعام بما يقيم أودهم ، وفي هذا تأهيل وتكيف على حياة معتدلة في الأعباء المادية والجسدية والصحية ، وتنظيم مثالي للالتزام بمواعيد صارمة لتناول الطعام والشراب ، وما نظن أن هناك ما هو أفضل من تدريب على ذلك إلا شهر رمضان الكريم ، إذ نلتزم فيه بأحكام لا تلاعب فيها ولا تفريط .. إنما التفريط الوحيد يتمثل في فتح الباب على مصراعيه ، لنلقي في الجوف بما نريد ، ولنشبع شهوة فيها من السيئات أكثر مما فيها من حسنات .

هناك مثل انجليزي يقول : « الفئران النحيفة تدفن الفئران السمينة » — والمغزى في هذا المثل لا يخفى على لبيب ، ذلك أن الذي يأكل كثيرا ، غالبا ما يموت أولا ، لأن الطعام الزائد يؤدي إلى سمنة قد تكون مفرطة ، وللسمنة أعباؤها على أنسجة الجسم ومرافقه الأساسية ، وفي هذا المجال ، لا تختلف الفئران عن الطيور والقطط والانسان ، لان أسس الحياة واحدة بين المخلوقات .

التجارب التي قام بها العلماء على الحيوان تؤكد هذه الحقيقة ، كما أن الاحصائيات الطبية التي جمعها الباحثون لسنوات طويلة ، وعلى قطاعات كبيرة من السكان ، تشير إلى أن السمان من البشر يعمرون أقل من النحاف .. ذلك أن الطعام الزائد عن الحاجة (في الصيام أو في غيره) يؤدي إلى تكوين دهون تترسب في جميع أجزاء الجسم بنسب متفاوتة ، ولهذه أمراضها الكثيرة ، فهي تزيد نسبة الكوليسترول في الدم ، فيترسب على الشرايين ، ويؤدي إلى تصلبها ، أو ضيقها ، فيتبع ذلك نقص كفاءة الدورة الدموية ، وقد يساعد على حدوث الجلطات ، أضف

إلى ذلك آن السمنة تؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم ، وإضعاف كفاءة الكلى ، وظهور مرض السكر (من بين كل خمسة سمان يمرض أربعة منهم بالسكر) ، وضعف الذاكرة .. الخ .

وإلى هنا يمسك العلماء بورق وأقلام ، ويقدرون كل شيء بالحساب والأرقام ، فزيادة كيلوجرام واحد من الدهون يحتاج إلى شعيرات دموية قد تصل أطوالها إلى أكثر من ثلاثة كيلومترات ، وأربعة كيلوجرامات تتطلب شعيرات تصل إلى ١٢ ألف متر ، وهذه بلاشك تزيد من أعباء القلب والشرايين ، ولهذا يقولون ، إن عمر المرء مقدر بعمر شرايينه .. وقلبه أيضا .

وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : « إياكم والبطنة ، فانها ثقل في الحياة ونتن في الممات » .

وفي كتاب « إحياء علوم الدين للغزالي » يجيء ما نصه : « من آداب الطعام آلا يمد الانسان يده للطعام إلا وهو جائع ، ثم ينبغي أن يرفع اليد قبل الشبع ، ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب » .

فهل نحن على هدى هذه الحكم سائرون .. خاصة فيما يتعلق بشهر ميمون .. هو شهر صيام ، لا شهر ولائم لأصناف الطعام ؟

لقد وقع في يدنا كتاب علمي طبي بعنوان « الصيام .. الغذاء الأمثل » .. وهو من تأليف « دكتور آلان كوت » الحائز على درجة الدكتوراه في التغذية ، وفي أول فصل من فصول الكتاب يتساءل : لماذا الصوم ؟.. وما هي مميزاته ؟

وعلى هذا التساؤل يضع ٢٧ إجابة مقتضبة ، نذكر منها : إن الصوم يباعد بينك وبين العادات غير المستحبة ، ويقلل البدانة ، ويشعرك بأنك أكفأ ذهنيا وجسديا ، ويريح أجهزتك من عناء الطعام في غير أوقات الصيام ، ويخفف التوتر ، ويدعو إلى الهدوء والطمأنينة ، ويساعد الجسم على مداواة نفسه بنفسه ، ويجعلك تنام أهدأ ، ويشحذ حواسك ، ويقوي إرادتك ، ويمنحك صفاء روحيا ، ويداوي بعض الامراض (منها مثلا ارتفاع ضغط الدم) ، ويشعرك بأنك قد أصبحت أصغر سنا ، أو أكثر شبابا ، ويجعلك متعاطفا مع الجائعين والمحرومين ، وينظم عمليات الهضم ، ويقوي صلتك بربك ، ويجعلك سباقا لخدمة الناس وإجابة حاجاتهم .. الخ .

والواقع أن الاجابة الأخيرة التي ذكرها الطبيب الانجليزي هامة جدا في حياتنا ، إذ من الملاحظ أن بعض الدول الاسلامية تخفف عن الصائمين ساعات العمل المقررة ، لكنهم – مع ذلك – يتخذون من الصيام وسيلة للتراخي في العمل ، ثم ما يتبع ذلك من تعطيل مصالح الناس ، بحجة أن الصيام لا يستلزم جهدا ذهنيا أو بدنيا ، بل يحتاج إلى راحة هي أقرب إلى الكسل منها إلى العمل ... أضف إلى ذلك ضياع عشرات الملايين من ساعات العمل دون فائدة تذكر ،

ويحضرنا هنا هذا القول المأثور : « إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملا فليتقنه » ... فأين نحن من هذا التوجيه العظيم .

والله سبحانه وتعالى غني عن عبادة فيها تعطيل لحاجات الناس ، ذلك أن الدين القويم ، والعبادة الحقة ، والصيام الأمثل ، هو عمل في المقام الأول ، ذلك أن « خير الناس ، أنفعهم للناس » .

هذه إذن ملاحظة تستحق منا وقفة نراجع فيها النفس ، لعل الصيام يجعلنا « سباقين لخدمة الناس وإجابة حاجاتهم » ـ على حد قول الطبيب الانجليزي .

نعود لنقول : إن للصوم جانبين أساسيين : أحدهما يتناول العقيدة ، والآخر يختص بالجسد والصحة والمرض ، والحديث عن العقيدة له علماء أجلاء لهم فيه طول وباع ، ولهذا فعلينا أن نركز هنا حديثنا عن الصوم من الجهة البيولوجية ، أي فيما يختص بأحكامه في الأجسام الحية ، وكيف تهيء نفسها لهذا النظام من نظم الحياة .

فالناس يصومون من قديم الزمن ، ومع أن صومهم يختلف باختلاف الملل ، إلا أن الجوهر فيه واحد ، أي صيانة « للروح » والبدن ، ومراقبة الله في السر والعلن ، وهذا ما أشار إليه الله في كتابه المبين : **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)** « البقرة / ١٨٣ » .

قلنا : إن الصيام ـ من الوجهة البيولوجية ـ مفيد للبدن عامة ، والجهاز الهضمي خاصة ، والغريب هنا أن الأمر لا يقتصر على الانسان ، بل قد نراه أيضا في الحيوان ، فعندما يمرض ، يمتنع عن الطعام ، وعندما يبرأ ، يعود إليه ، وهو في هذا لا يستشير طبيبا ، ولا يتعاطى دواء .

أي كأنما الطعام هو « المفتاح » التقليدي لباب الصحة والمرض ، ونصيحة الأطباء في بعض الحالات المرضية تركز على الاقلال من الطعام ، أو ربما الامتناع عنه لفترة ، فمن حكمة الله أن لأجسامنا مخزونا قد يكفيها الأيام الطوال ، فهناك حالات ثبت أنها امتنعت عن الطعام لفترات قد تصل إلى شهر أو يزيد (كما هو الحال في الاضراب عن الطعام) ... ونحن ـ بطبيعة الحال ـ لا ندعو لذلك ، بل ننصح نصيحة حسنة ، فمن استجاب ، كانت استجابته متمشية مع آيات ربه ، واحاديث رسوله (أي لا إسراف ولا بطنة) ، ومن أشاح بوجهه ، فلا يلومن إلا نفسه .

لهذا ، فان الافطار بعد الساعات المقررة من الصيام ، يجب أن يتميز بالاعتدال التام ، والخير كل الخير في الاقلال من الطعام ، لأن ذلك يعني إعطاء الجسم « إجازة » استجمام من الأعباء والمخلفات الضارة الناتجة عن هضم الطعام ، إذ كلما زاد « العيار » زادت المخلفات ، وانطلقت جزئيات كيميائية غير مرغوب فيها ، ولا تجد الأمعاء مفرا من امتصاصها ، فتدخل إلى دمائنا ، وتتوجه إلى خلايانا ، وتنحشر في جزيئاتها الأساسية ، وكأنما هي تغلها عن أداء

رسالتها ... صحيح أن هذه العملية بطيئة ، لكن إعطها عمرا طويلا ، تعطيك مزيدا من القيود والاغلال الكيميائية ، فتسرع بالجسم إلى وهن وشيخوخة ، لكن نتيجتها أسرع عند الشرهين ، وأبطأ عند الآكلين بحساب ومقدار .

والصيام عند المسلمين وأهل الكتاب شريعة الله ، وفيه صلاح الدين والدنيا ، وهو عند غير هؤلاء شريعة تقويم وحياة ... بمعنى أن بعض الناس يتخذونه وسيلة لكبح الرغبات الجسدية في طعام وشراب ، بغية الاستفادة منه صحيا وجسميا ، فها هو « ميشيل انجلو » المعمر الكهل ذو الحيوية الفياضة يجيب أحد المتسائلين عن سر حيويته رغم تقدم سنه ، فيقول : « إنني أعيد ما أتمتع به في شيخوختي إلى ممارسة رياضة الصوم من حين لآخر ، فمن كل عام أصوم شهرا ، ومن كل شهر أصوم أسبوعا ، ومن كل أسبوع أصوم يوما ... ثم إنني في أيامي العادية لا أتناول غير وجبتين ، وإن اكلت لا أشبع (لاحظ أنه هنا يطبق حديث الرسول الكريم دون أن يدري) .

ويأتي « بول براج » الحائز على درجة الدكتوراه في فلسفة العلوم ، ودرجة دكتور في العلوم ومؤلف كتاب « **معجزة الصيام** » فيتحدث من خبرته الشخصية عن المكاسب العظيمة التي استفادها من الصوم ، ويضيف : أنه لا يصوم وحده ، بل إن عائلته تشاركه الصيام ، ويقول : « في كل أسبوع امتنع عن الطعام ٢٤ أو ربما ٣٦ ساعة ، ولم اتخلف عن هذه المكرمة مرة واحدة ، وبالاضافة إلى ذلك ، فأنا أصوم ما بين ٧ ـ ١٠ أيام ، أربع مرات في كل عام ، وطوال هذه السنين التي عشتها (كان عمره وقتئذ ٨٥ عاما) كنت ملتزما بهذا البرنامج الذي أضفي على صحة وحيوية جعلاني « كالدينامو » الحي ، فالذي أنجزه في يوم واحد ، قد لا ينجزه غيري في أيام خمسة ... ثم إنني أشعر بحدة في البصر ، و « بنافورة » من الحيوية ، وبتوقد في الذهن ... ثم إن الصيام ـ في رأيي الشخصي ـ هو الوسيلة الفعالة لتخليص الجسم من أعبائه وسمومه وقيوده » .

هكذا ينطلق دكتور « بول براج » في الاسهاب في فوائد الصيام ، وكأنما هو يطبق في حياته تعاليم القرآن والسنة ، في عدم الاسراف ، في طعام وشراب ، حتى ولو جاءه الطعام بعد طول صيام .

فهل نطبق ما طبقه السلف الصالح ، أو نقتدي بما ذكره « انجلو اوبراج » أو غيرهما من الآلاف التي تصوم عن الطعام الصوم الأمثل ، ثم لا تحشر بطونها بالطعام حشرا ؟

لسنا في الواقع في حل من الاجابة على هذا السؤال ، إلا بعد أن نراجع أنفسنا ، لنعرف إن كنا من المسرفين أو المعتدلين ... وإلى هنا لا نجد مناصا من العودة إلى ذكر الآية الكريمة : **(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)** « الاعراف / ٣١ » وفي هذا الكفاية لقوم يتدبرون ويفقهون ... وكل عام وأنتم طيبون .

قراءة في فكر غامض
وشبهات التوحيد بين الأديان

للأستاذ سالم البهنساوي

إن المقال المنشور في مجلة العربي بعدد رجب ١٤٠٠هـ يونيو ١٩٨٠ م بعنوان (الله ليس منحازا لأحد) للأستاذ فهمي هويدي .
قد تضمن أمورا تحتاج إلى إيضاح ، منعا من اللبس والغموض .

وأهم هذه الأمور :

الأمر الأول : قوله : **(ثمة آيات قرآنية أخرى من رب الناس ، تطل على كل الناس ، من منظور أكثر اتساعا وشمولا ، وتعطى قيمة العدل عند الله سبحانه ، أبعادا وأفاقا بغير حدود ، والآيات الثلاث هي : الآية ٦٢ لسورة البقرة ، و٦٩ من سورة المائدة ، والآية ١٧ بالحج)** وكلها تدور حول معنى واحد ، ولذا نذكر إحداها وهي آية البقرة ، قال الله تعالى : **(إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم)** .

والأمر الثاني : هو قوله : **(والآيتان الأوليان تسويان بين الجميع أمام الله سبحانه ، وتشترطان فقط الايمان بالله ، والعمل الصالح ؛ ليثاب الخيرون عما فعلوا ، وليطمئن الجميع إلى عدالة الله ، ولموازين القسط يوم القيامة)** .

والأمر الثالث : قوله : (ولا بد أن نلاحظ أن الصابئين ذكروا في هاتين الآيتين وهم ليسوا من أصحاب الأديان السماوية على أي حال ، وان قيل أنهم يؤمنون بالله وبعض الأنبياء ، وحتى هؤلاء من عمل منهم صالحا فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

والسؤال الذي يتبادر الى ذهن من يقرأ هذه العبارة هو :

هل معنى هذا أن اليهود الذين كذبوا نبي الله عيسى يعدون ممن آمن بالله وعمل صالحا ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟

كما أن اليهود والنصارى الذين كذبوا خاتم النبيين وأعرضوا عن القرآن الكريم . هل يعدون ممن آمن بالله وعمل صالحا ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ .

الأمر الرابع : لقد نقل المقال عن « الشيخ محمد عبده » أن عماد الفلاح ، ووسيلة الفوز بخيري الدنيا والآخرة إنما هو صدق الايمان بالله تعالى .

ونقل عن أالشيخ محمد رشيد رضا » ان حكم الله العادل في الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين أن لهم أجرهم المعلوم بوعد الله على لسان رسولهم ولا خوف عليهم من عذاب الله . **فهل اورد الشيخان** فيما كتبا من تفسير أن اليهود والنصارى الذين كذبوا النبي والقرآن ناجون من عذاب الله ولا خوف عليهم في الآخرة ؟

الأمر الخامس : أورد المقال عنهما ، وعن « الشيخ دراز » ان الاسلام المقصود في قول الله تعالى : **(ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)** آل عمران الآية ٨٥ . إن الاسلام المقصود في هذه الآية هو الايمان بالله ، وإسلام القلب له ، والايمان بالآخرة ، والعمل الصالح مع الاخلاص .

وكيف يصح هذا الاستنتاج ، وقد قال الله تعالى في هؤلاء : **(ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون)** المائدة / الآية ٨٠ ، ٨١ .

ونوضح ان قول الله هذا عن اليهود والنصارى والصابئين مسبوق بآيات صريحة في القرآن في كفر اليهود والنصارى لأنهم لم يقيموا حكم القرآن . وحرفوا التوراة والأنجيل ، كما أشركوا مع الله غيره من البشر . قال الله تعالى : **(قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين . إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)** « المائدة / ٦٨ ، ٦٩ » **(لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم)** « المائدة / ٧٢ » . **(لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم)** المائدة / ٧٣ .

ومن أجل ذلك فان حكم القرآن في اليهود والنصارى والصابئين ــ وهو أنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون إنما ينصرف إلى أتباع كل رسول من هذه الفئات قبل إرسال الرسول التالي له ، فهؤلاء مؤمنون مسلمون كما ينصرف هذا أيضا على من آمن منهم بالقرآن ، فقد خاطب القرآن اليهود والنصارى في عهد نزول القرآن بقوله تعالى : **(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته)** (الحديد / ٢٨) .

ثم كيف يصح استنتاج وصف هؤلاء بالاسلام والزعم بأنهم مسلمون ناجون من

عذاب الله ، والله تعالى يقول : **(وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أونصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)** « البقرة / ١١١ ، ١١٢ » .

إن الآيات الثلاث بشأن اليهود والنصارى والصابئين والذين آمنوا ، لا تفيد إسلام من آمن برسول واحد ثم أنكر غيره فمثلا آية سورة الحج نصها : **(إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد** « الحج / آية ١٧ » .

قال الشيخ الطوسى في تفسيره البيان جزء ٧ صفحة (٢٦٧) فأقسم تعالى : (إن الذين آمنوا بالله ، وصدقوا بوحدانيته ، وصدقوا أنبياءه (والذين هادوا) يعني اليهود (والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) مع الله غيره (إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) أدخل « **إن** » على الخبر تأكيدا له كما يقول القائل : (ان زيدا إن الخير عنده لكثير) .. ومعنى قوله : **(يفصل بينهم)** يعني أن الله يفصل بين الخصوم في الدين يوم القيامة ، بما يضطر إلى العلم بصحة الصحيح ، ويبيض وجه المحق ، ويسود وجه المبطل ، والفصل هو التمييز بين الحق والباطل ، وإظهار أحدهما على الآخر .

وقوله : **(إن الله على كل شيء شهيد)** أي عالم بما كان من شأنه أن يشاهد ، فالله تعالى يعلمه قبل أن يكون لأنه علام الغيوب .. (هـ) .

أما قوله تعالى : **(إن الذين هادوا)** .. الآية ٦٢ من سورة البقرة ، فقد نقل الطوسى ، كما نقل الامام القرطبي في تفسيره « الجامع لأحكام القرآن » ونقل ابن كثير في « تفسير القرآن العظيم » أن من آمن من هؤلاء برسالة محمد ، وعمل صالحا ، فهو من أهل الجنة ، وقوله : **(ان الذين آمنوا)** أي صدقوا بمحمد ، **(والذين هادوا)** اي آمنوا بموسى ، وصاروا يهودا **(والنصارى)** جمع نصراني أي من آمن بعيسى ، وقوله (**من آمن**) أي صدق برسالة نبيه ثم صدق بمن جاء بعده من الرسل ، هو مقتضى الايمان ، وفيه نزل قوله تعالى : **(آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله)** البقرة / ٢٨٥ .

يؤكد هذا ما ورد عن أسباب نزول هذه الآيات ، قال السدى : آية : **(إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى)** نزلت في اصحاب سلمان الفارسي الذي كان يحدث النبي صلى الله عليه وسلم إذ ذكر أصحابه وأخبره خبرهم ، فقال : كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك ، ويشهدون أنك ستبعث نبيا ، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم ؛ قال له نبي الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان « هم من أهل النار » فاشتد ذلك على سلمان فأنزل الله هذه الآية ، فكان إيمان اليهود أن من تمسك بالتوراة حتى جاء عيسى ، فلم يدع سنة موسى ، ولم يتبع عيسى ، كان

هالكا ، وايمان النصارى ان من تمسك بالانجيل منهم كان مؤمنا مقبولا حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم فلم يتبعه ، ويدع ما كان عليه كان هالكا (تفسير القرآن العظيم لابن كثير جزء «١» صفحة « ١٠٤ » .

وكيف يستساغ فهم ورود الصابئين في هذه الآية على أنهم ليسوا من أصحاب الأديان السماوية ، والآية تقول عنهم وعن اليهود والنصارى **(من آمن بالله واليوم الآخر)** فالوصف بالايمان يتنافى مع الفهم سالف الذكر ، وقد أورد ابن كثير عن الحسن قال : أخبر زياد ان الصابئين يتجهون إلى القبلة ، ويصلون الخمس ، وقال وهب ابن منبه : هم الذين يعرفون الله وحده ، وليست لهم شريعة ، ولم يحدثوا كفراً (صفحة ١٠٤) ومعاجم اللغة تفيد ان الصابئين هم من تركوا دينهم ، وآمنوا بالدين الجديد . ثم ماذا يقول المفسرون والمجتهدون في قول الله تعالى : **(وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أني يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون)** التوبة / ٣٠ ، ٣١ . وفي قوله تعالى : **(ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية)** « البينة / ٦ » .

هذه بعض الآيات التي وردت في القرآن الكريم عن الرسالات وعن اليهود والنصارى ، وهي تؤكد أن الايمان بالله تعالى يقتضي الايمان بجميع رسله ، فلا نفرق بين احد منهم ، ومن ثم فقد كفر اليهود الذين أنكروا الانجيل ، والقرآن ، كما كفرالنصارى الذين أنكروا القرآن ، وكما يكفر المسلم الذي ينكر ما ورد في القرآن عن موسى وعيسى وعن اليهود والنصارى أو غيرهم .

لقد نزل القرآن الكريم ليفسر بعضه بعضا ، ولا يكذب بعضه بعضا ، فقد قال الله تعالى عن اليهود **(أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون)** البقرة / ٨٥ .

ولقد روى أحمد وابن ماجة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : **(سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوما يتدارؤون في القرآن – اي يختصمون في فهمه – فقال :** « انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض ، فما علمتم به فاعملوا به ، وما جهلتم به فردوه الى عالمه » .

وأخيرا فقد ختم المقال كلماته بأن قيمة الاشارات التي أوردها أنها (تعكس مدى الحذر الذي ينبغي أن يتحلى به الدعاة ، وهم يستخدمون كلمات الشرك والكفر والايمان ، كما أنها تعكس مدى سماحة التصور الاسلامي الحق في التعامل مع الآخرين ، وقبل هذا وذلك فان هذه الاشارات تعبر عن مدى رحابة أبواب

السماء ، واتساعها لكل بادرة خير ، وتلمس الأعذار للآخرين ، ليس فقط من أصحاب الأديان السماوية ، بل أيضا من الذين يبقون على شركهم ، لان رسالة الاسلام لم تبلغهم على الاطلاق ، أو بلغتهم على غير وجهها الصحيح ، او حتى بلغتهم على وجهها الصحيح ، ولم يكونوا من أهل النظر) . ولكن لنا وقفة موضوعية لا تنطوي على أدنى ريبة في الغرض النبيل الذي عالج به الأستاذ فهمي هويدي مسألة الغلو في الدعوة إلى الله في عدة مقالات بعنوان : « قراءة في فكر رافض » فحسبنا ان الله قال : (**استغفر لهم اولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم**) التوبة / ٨٠ ولا جدال في ان الدعوة الى الاسلام تتطلب الحكمة التي أمرنا الله بها فليست مهمة الدعاة حمل ثياب من الكفر والشرك وتوزيعها على الناس ، فقد حث الاسلام على احترام مشاعر الآخرين ليستجيبوا إلى النداء ، اولنحول دون اتخاذهم أسلوب الدس والسباب ، قال الله تعالى : (**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم**) الأنعام / ١٠٨ .

ولكن التزام الحذر وتجنب إيذاء الآخرين في مشاعرهم ، لا ينبغي أن يتجاوز هذا الحد ، بما يؤدي الى استثماره ليصبح تكذيبا صريحا أو ضمنيا للأحكام الواردة في القرآن الكريم ، بشأن المشركين واليهود والنصارى ، وما رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : (والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي ارسلت به إلا كان من أصحاب النار) .

والتزام الحذر بهذه الصورة يمكن ان يستغله اصحاب الدين العالمي الموحد المتضمن أن اليهود والنصارى يؤمنون كالمسلمين بتوحيد الله وإخلاص العمل له ، ولكن عن طريق شرائع متعددة وكلها صحيحة ! ، مع أن هذه الشرائع تصرح أن عيسى ابن الله وأن عزيرا ابن الله وان الله ثالث ثلاثة وأن اليهود شعب الله المختار ، وأن نبي الله سليمان قد كفر ، وأن نبي الله لوط اسكرته ابنته فزنا بها وغير ذلك من الأباطيل ، وأخيرا ، فان وصف اليهود والنصارى بالايمان والعمل الصالح ، من شأنه ان يبيح تزويج بنات المسلمين لهم وإباحة الزواج من المشركات .
وهذا كله محرم بصريح نص القرآن الكريم ، قال تعالى :

(ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم اولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) البقرة / ٢٢١ .

أما انتفاع الكافر بالخير الذي يقدمه في الدنيا فأمر قد صرحت به المصادر الاسلامية ولكنها جعلت ذلك في الدنيا فقط او سببا في تخفيف عذاب الآخرة لأن الله تعالى يقول : (**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**) .

ادعاءات اليهود في القرن التاسع عشر

للاستاذ/سعد صادق محمد

اولا : الوعد الالهي لأسباط إبراهيم بأرض الميعاد :

استندت الصهيونية منذ نشأتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على ادعاءين من أجل المطالبة بفلسطين ، وانتزاعها من أيدي أصحابها العرب ، وهذان الادعاءان هما .

اولا : الوعد الالهي لأسباط ابراهيم بأرض الميعاد ، اذ وعد الله نبيه ابراهيم عليه السلام منذ ٤ آلاف سنة بأرض فلسطين ، من النيل الى الفرات ، كما جاء في سفر التكوين « إلى نسلك أعطى هذه الارض من نهر مصر « النيل » الى النهر الكبير « نهر الفرات » فاتخذت من هذا سندا لها ، ونسجت حوله التفسيرات الملتوية ، والاساطير الواسعة ، مدعية أن « نسل ابراهيم وأسباطه » هم المعتنقون للديانة اليهودية ، وأن هذا يعطي لها الحق في تنفيذ مخططها العدواني في احتلال فلسطين وطرد اهلها منها .

ونستطيع ان نفند هذا الادعاء ، فنقول : إن اليهود مخطئون حين يدعون أنهم وحدهم نسل ابراهيم ، إذ ان كلمة « نسل » تشمل العرب ايضا ، لانهم من ذرية ابراهيم عن طريق ابنه إسماعيل من زوجته هاجر ، كما تشمل اليهود وهم من ذرية ابراهيم عن طريق ابنه اسحاق من زوجته سارة .

والشيء الذي نريد ان نلفت النظر اليه ، انه عندما جرى هذا الوعد من الله لنبيه ابراهيم لم يكن اسماعيل « ابو العرب » او اسحاق « ابو اليهود » قد ولدا ،فهذا الوعد ــ اذن ــ لم يشمل بالضرورة سلالة إسحاق فقط ، بل يشمل ايضا سلالة اسماعيل وهم « العرب » لأن كلتا السلالتين من ذرية ابراهيم .

بل انه يمكن القول ، ان الوعد يشمل ــ بالضرورة ــ العرب قبل اليهود ، لأن اسماعيل هو الذي كان موجودا قبل إسحاق .

وقد دحض مشاهير العلماء والباحثين السند الديني الذي يدعيه اليهود باتخاذ فلسطين وطنا لهم ، والى القارىء الكريم نسوق رأى أحد هؤلاء الباحثين وهو الفريد جيوم **Alfred guilloume** فقد اوضح الفريد ضلال التصور القائل بأن « الوعد الالهي » قد اعطى لليهود فقط ، اذ ان عبارة « نسل ابراهيم » تشمل دون شك « العرب » لأنهم من ذرية ابراهيم عن طريق ابنه اسماعيل ، من زوجته هاجر ، كما تشمل اليهود الذين هم من ذرية ابراهيم عن طريق ابنه اسحاق من زوجته سارة .

زد على ذلك أن هذا الوعد قد قطعه الله لنسل ابراهيم قبل مولد إسحاق ويعقوب ، ومن جهة اخرى فليس من المعقول القول بأن اليهودي لا بد أن يكون من نسل ابراهيم ، ذلك أن كثيرا من اليهود في التاريخ القديم والحديث كانوا يتحولون الى اليهودية من عنصر آخر .

ويضيف جيوم : أن الاشوريين حين ازاحوا سكان السامرة ، وأزاح البابليون سكان يهوذا ، رأى الانبياء الاسرائيليون في هذه النكبات تحقيقا للعدالة الالهية على شعب عاص متمرد على الناموس .

ثانيا : حق اليهود التاريخي في فلسطين :

تدعى الصهيونية بأن لليهود « حقا تاريخيا » و« علاقة تاريخية » بفلسطين ، اذ كان لهم فيها دولة ، ازدهرت في عهد داود وابنه سليمان .

وهذا الزعم يتضح فيه البطلان والكذب من الوجوه الاتية :

١ ـ ان الصهيونية تناست أن « مملكة داود وسليمان » لم تدم الا ثلاثة وسبعين عاما .

٢ ـ ان مملكتي يهوذا واسرائيل اللتين ورثتا مملكة سليمان ، لم تشمل كل فلسطين ، بل اقتصرت على « السامرة واورشليم » .

٣ ـ ان دور « مملكتي يهوذا واسرائيل » في التاريخ السياسي ، كان محدودا إذ اندمجت ، « اسرائيل » في الامبراطورية الأشورية عام ٧٢٢ق.م ، وسقطت « يهوذا » في يد البابليين عام ٨٥٦ ق.م .

٤ ـ أن الصهيونية تناست ان فلسطين عربية منذ أربعة عشر قرنا ، وان اليهود غادروها للمرة الاخيرة منذ ألفي عام ، ومنذ ذلك التاريخ لم يبق لليهود فيها أية صلة سياسية ، أو علاقة تاريخية ، أو وضع قانوني ، وأن فلسطين أصبحت منذ ذلك الزمن البعيد ـ بسكانها ، وآثارها ؛ وحوادثها ، وتاريخها ، للذين تملكوها ، واحتفظوا بها ، وحافظوا عليها ، وهم « العرب » .

٥ ـ وغنى عن البيان ان « العلاقة التاريخية » المزعومة للاسرائيليين مع فلسطين ، كانت في أحسن الاحوال علاقة قصيرة منقطعة غير مستقرة بدأت واندثرت منذ وقت طويل ، وهي في الاصل لا تقوم على شيء أفضل من حق الاحتلال الناشيء عن الغزو ، والاغتصاب الناتج عن العدوان والظلم والبغي .

واذا كان هذا « الاحتلال المؤقت » يعطي لليهود حقا تاريخيا في العودة الى فلسطين فحينئذ يحق للعرب أن يطالبوا بجميع الاقطار والاقاليم التي خضعت لسلطانهم قديما .. فيحق لهم امتلاك اسبانيا التي انشأوا فيها دولة زاهرة ناضرة ذات شأن ، طوال ثمانية قرون ، تشع منها المعارف والعلوم الانسانية ، وتنبعث منها أصل الحضارات والرقي .

ويحق كذلك للاتراك ، ان يطالبوا بامتلاك البلقان حتى أبواب فينا التي وقفوا عندها يوما ما .. واذا حدث هذا ، فان فيه رجوعا الى الفوضى والاضطراب ،

والنزاع باطار لا يقبله منطق ، ولا يؤيده قانون .

المعارضة ضد الحركة الصهيونية :

وهناك أمر نسجله هنا احقاقا للحق ، فالواقع ان الحركة الصهيونية لم تكن تعبيرا كاملا عن كافة اتجاهات اليهود ، فمنذ أن ظهرت الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر ، كحركة سياسية عنصرية استعمارية ، وحتى حصولها على تصريح بلفور عام ١٩١٧ ، وجدت من بين اليهود معارضة قوية لها ، وقد برزت المعارضة الصهيونية من عدة اتجاهات :

اولا : الاشتراكيون اليهود الذين اعتبروا الحركة الصهيونية حركة برجوازية رجعية ،

ثانيا : المتدينون اليهود الذين رأوا أن اليهود « دين وليست دولة » وان فكرة عودة اليهود الى فلسطين ، ليست سوى عقيدة دينية قائمة على وعد الله ، بمعنى أنها مسألة إلهية تقع بفعل السماء لا الارض ، ولذلك ، فان أية محاولة بشرية للعودة الى الارض تعتبر من الأمور التي يحرمها الدين .

وأمام مؤتمر الصلح صرح ثيودور راينـاس عضو المجمع العلمي الفرنسي ، بأن : « اليهود ليسوا أمة ، والقول بانهم يشكلون أمة ، هو قول هراء ، بل ان السواد الاعظم منهم ، لا يريدون ان يكونوا أمة البتة » .

والبحث العلمي الموضوعي المجرد ، يدحض الأسطورة الصهيونية القائلة : بأن يهود اليوم يعتبرون أحفادا للعبرانيين الذين غزوا فلسطين يوما ، ثم تشتتوا ، يقول العالم الانثروبولوجي « هاري شابيرو **Shopiro** » ان اليهود ليسوا أسرة ولا قبيلة ، ولا امة بالمعنى الدقيق للكلمة .

وينفي جوان كوماس **Comas** ـ استاذ الأنثروبولوجيا بجامعة مكسيكو الوطنية ـ وجود أمة يهودية ، أو عرق يهودي ، فيقول « ان الحقيقة الأنثروبولوجية » هي « ان اليهود من الوجهة العرقية مختلفو العرق ، ولا أساس للادعاء بوجود عرق يهودي ، ويكفي للبرهنة على ذلك ، أن نقارن بين يهودي من روتردام « هولندا » ببشرته المصطبغة بالحمرة ؛ وقوامه الممتلىء ، وبين يهودي من سالونيك « اليونان » بعينيه اللامعتين ووجهه الشاحب وقوامه النحيل » .

ويقول ربلى في كتابه « اجناس أوروبا » ان تسعة اعشار يهود العالم يختلفون عن سلالة اجدادهم ! اختلافا واسعا ليس له نظير ، وان الزعم بأن اليهود جنس نقى حديث خرافة » .

ويؤكد هذا ايضا كتاب : في مواجهة اسرائيل حيث يقول « .. وكان اعتناق المسيحية ظاهرة عادية ومتكررة بين اليهود في اوروبا ، ومنذ عصر السبى ـ الأسر ـ في بابل ؛ وإبان انتشار اليهود في مختلف البلاد عبر العصور ، كثرت حالات زواج من غير يهودية ، الأمر الذي تجيزه الشريعة الموسوية . **وكانت كثرة الترحال بين العراق وفلسطين ومصر مصدرا آخر لذلك التمازج البشري الذي ينفي**

أسطورة العرق اليهودي النقي ، والدليل على ذلك أن العبرانيين الذين نراهم على النقوش المصرية ، يختلفون عن العبرانيين الذين تصورهم الآثار البابليـة المعاصرة .. » .

ولا حاجة بنا الى القول ، بأن اليهود دين وليست قومية « شأنها شأن الاديان السماوية ، كالمسيحية والاسلام ، كما ان دعوى القومية اليهودية لا تستند الى أي أساس فيهود العالم في القرن التاسع عشر كانوا يفتقدون الى كافة مقومات القومية المتعارف عليها :

١ ـ فلا يوجد بينهم تاريخ مشترك ، او تراث حضاري مشترك .

٢ ـ ولا تجمعهم لغة واحدة مشتركة ، بل كانوا يتحدثون في غالبية الاحوال لغات البلاد التي عاشوا على ارضها باستثناء فريق من يهود الراين الأوسط ، وروسيا وبولندة ، الذين كانت لهم لغة متميزة هي « اليديش »**Yiddish** او الجوديش دويتش »**Judisch-Deutech**فهذه كانت لغة ادب وثقافة اما العبرية ، فكانت لغة ميتة منذ الفي عام الى ان عملت الصهيونية على إحيائها في اسرائيل .

٣ ـ وتختلف عاداتهم وتقاليدهم وفقا للمجتمعات التي نزحوا اليها .

٤ ـ ولم يعيشوا كمجموعة فوق أرض واحدة فترات طويلة ، بل هاجروا الى ارجاء المعمورة المختلفة منذ وقت مبكر ، يرجع الى بدايات التاريخ اليهودي .

٥ ـ ولم يكن يربطهم في القرن التاسع عشر ، سوى الشعور بالتضامن الذي خلفته ذكريات الاضطهاد خلال قرون متعاقبة .

حقائق جديدة عن عرب فلسطين

بقي هنا أمر يجب الا يفوتنا الحديث عنه ، ونحن نأتي الى نهاية ختام هذا المقال . فان بعض الذين كتبوا عن المشكلة الفلسطينية يرجعون ضياع فلسطين الى تصرفات العرب « الفلسطينيين » فيرون ان اليهود عندما بدأوا في العمل لاحتلال فلسطين كانوا يعرضون أموالا مضاعفة مغرية لشراء الارض من عرب فلسطين ولكن التاريخ الذي جاء بعد ذلك يروى لنا كلاما يختلف عما يقوله هؤلاء الكتاب . نشرت مجلة النيوزويك الاميركية في عددها الصادر في ٦/١١/١٩٧٩ تحليلا عن استقالة موشيه ديان في صفحة ونصف ، وافردت نصف صفحة لافشاء سر لم يكن العالم الغربي يدري عنه شيئا .. كتبت النيوزويك تقول تحت عنوان « طرد العرب » :

على امتداد سنوات ، كان أمرا يقينيا ان الفلسطينيين العرب هجروا أرضهم سنة ١٩٤٨ بسبب الرعب ، او طاعة لأوامر قادتهم العرب ، ثم كشف كتاب المذكرات الجديدة لاسحاق رابين عن حقيقة ما حدث ، كان رابين ضابطا مقاتلا في السادسة والعشرين من عمره أثناء حرب سنة ١٩٤٨ ، ويصرح رابين : أن رئيس الوزراء في ذلك الوقت دافيد بن جوريون أمره أن يطرد ٥٠ الف عربي مدني بالقوة من مدينتين قرب تل أبيب هما « اللد والرملة » .

ويحكى رابين في مذكراته التي نشرت في النيوزويك ، اللقاء الاستراتيجي الذي تم بين قائده المباشر إيجال آلون ، وبن جوريون : .. كانت المشكلة هي ماذا يفعلون بالسكان الفلسطينيين الذين يعيشون في اللد والرملة ، ويحكى رابين ان ايجال آلون كرر السؤال نفسه على بن جوريون ، ورد بن جوريون بإشارة تعني : اطردوهم .

ويمضي رابين في مذكراته فيقول : ان سكان اللود ــ وهي الاسم الحديث الذي حل محل اللد والرملة ــ رفضوا الجلاء طواعية ، ولم يكن ثمة بد من استخدام القوة ، وهكذا اجلي الفلسطينيون عن المدينتين بالقوة ، ولكن ايجال آلون كذب رواية رابين في جزئية منها وقال : ان الفلسطينيين خرجوا مرعوبين بعد ان أمرتهم قيادتهم العربية بذلك .

ويقول رابين : إن كثيرا من جنوده المثاليين الصغار رفضوا أمر طرد العرب بالقوة ، وان بعض الرفاق امتنع عن الاشتراك في العملية ، ولهذا اضطر الجيش الاسرائيلي إلى عمل دعاية نشيطة ــ بعد العملية ــ أي عملية الطرد ــ لازالة المرارة التي علقت في نفوس العساكر ، وتبرير مثل هذه العملية رغم قسوتها ووحشيتها .

فهذه شهادة حق ، شهد بها اثنان من المسئولين في اسرائيل في تلك الفترة المشئومة ، ذكرا فيها الصورة الحقيقية لما حدث عام ١٩٤٨ وهي ان العرب في تلك الفترة ــ لم يفرطوا في أراضيهم بفلسطين ولم يبيعوها بأثمان مضاعفة لليهود ــ كما أشيع واستقر في الأذهان في ذلك الوقت ــ بل ان العرب قد أجبروا على ترك أراضيهم وديارهم ، إما بالقوة القهرية ، وإما بدافع الرعب الـذي بثـه الاسرائيليون فيهم كما يقرر إيجال آلون .

بل ان الشيء اللافت للنظر في مذكرات رابين هو قوله : ان سكان اللود وهو الاسم الحديث لبلدتي اللد والرملة ــ رفضوا الجلاء طواعية ، وهذا يفند القول : بأن عرب فلسطين باعوا أراضيهم لليهود .

التاريخ يعيد نفسه :

واليوم .. يعيد التاريخ نفسه ، فاسرائيل تعيد اليوم أسلوب القهر والارهاب والقوة الذي استعملته عام ١٩٤٨ مع سكان فلسطين ، اذ تطرد السلطات الاسرائيلية المحتلة كثيرا من الفلسطينيين وتعمل على إبعادهم من الضفة الغربية بسبب تعاطفهم مع المقاومة الفلسطينية وكأن كفاح شعب فلسطين المحتلة من أجل استعادة بلاده ، يعد عملا إجراميا في نظر الصهيونية الباغية ، وذنبا يؤدي بصاحبه الى السجن والطرد .

والغريب كذلك ــ ان يأتي الاعتقال والطرد في الوقت الذي ما تزال فيه القضية الفلسطينية لم تصل الى حل عادل ، بسبب تعنت اسرائيل ، الامر الذي يدل دلالة واضحة على ان اسرائيل قوم لا أمان لهم ، ولا عهد ، ولا نية عندهم في السلام ..

وَنَبلوكُم بالشَّرِّ والخَيرِ فِتْنَة

للدكتور/محمد منسى السيد سالم

الفتنة في معناها اللغوي تعني التحول ، وكما يقول اللغويون : فتن الذهب ، أى صهر معدنه بالنار ، حتى ينقيه من الشوائب ، ويصير ذهبا خالصا لامعا ، واستعمالها في القرآن والسنة قريب من هذا المعنى فهو يعنى : امتحان الانسان وابتلاؤه لجلاء معدنه ، وتنقيته من الشوائب ، فالانسان يولد على الفطرة المؤمنة ، ثم تطرأ عليه التغييرات والتأثيرات من الأبوين ، والتقاليد الاجتماعية ، والأفكار السائدة .. فتنحرف به عن جادة الفطرة الى المعتقدات الزائفة ، والأفكار الضالة ، والتقاليد الخاطئة ، وكان من رحمة الله أن أرسل رسله دعاة هداة ، وأنزل كتبه نورا مبينا ، يرشد الحائرين ، ويعظ الطاغين ، حتى يرجع الناس إلى الفطرة الصافية ، التي خلقوا عليها ، وهي إسلام الوجه لله وحده ..

وتمضي الأيام ، ويهمل الانسان دين ربه ، فيفتنه الله بالمصيبة تصيبه في نفسه ، أو ماله ، أو أهله ، وولده ، ليجلو عنه هذا الطغيان والاستغناء عن ربه ، فيحس بضعفه ، وحاجته إلى ربه ، ويرجع إلى مقامه من ربه عبدا فقيرا ، لا يملك لنفسه شيئا .. إن هذه الفتنة هي عملية سلخ للغشاء الذي يبعد الانسان عن الله ، ومحاولة لطرح أردية الكبر الزائفة ، والوصول إلى أعماق الانسان الحقيقية ، حيث الاسلام لله ، والخضوع له . ويصل الانسان إلى ربه ويعرف له حقوقه .. ولكن الرحلة في طريق الوصول إلى الله رحلة طويلة شاقة ، يقابل المؤمن فيها ألوانا شتى من الابتلاء ، فاذا نجح واجتاز عقبة ، قابلته عقبة أشد ، وهكذا حتى تبين درجة إيمانه ، وقدرته على التحمل من أجلها .

والذي لا تواجهه فتنة يجب أن يشك في إيمانه .

● والفتنة تكون بالشر والخير:

(ونبلوكم بالشر والخير فتنة) الأنبياء/ ٣٥

● وبالمال والولد:

(إنما أموالكم وأولادكم فتنة) التغابن/ ١٥

● والفتنة تكون من بعض الناس لبعض ، ناس يفضلهم الله فيحسدهم آخرون: (**وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا**) الأنعام / ٥٣ (**وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون**) الفرقان / ٢٠

● والفتنة تكون من الشيطان ، يأمر بالفاحشة ، وينزع لباس الفضيلة: (**يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما**) الأعراف / ٢٧

● والفتنة للأمم كما هي للأفراد: (**ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون**) الدخان/١٧

● وهي تعم ولا تخص: (**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**) الأنفال / ٢٥

ولهذا فان الأمة التي لا تنكر المنكر ، ولا تأمر بالمعروف ، جديرة بالابتلاء الشديد ، حتى تعرف أنها قد تواطأت على عصيان الله ، فتستحق أن يعمها الله بالعذاب .

● والجهاد للمؤمن باب كبير من أبواب الابتلاء والفتنة ، والمؤمن الصابر ينجح في الامتحان ، فيستشهد ، أو ينتظر ، غير مبدل أو منقلب :

(**ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا**) التوبة / ٤٩

فهؤلاء ينكولهم عن الجهاد بحجة أنهم يخافون من التحول عن دينهم قد تحولوا فعلا عن الدين ، لعدم اشتراكهم في الجهاد بدون عذر .. وأيا كانت الفتنة التي يخافون من التعرض لها ، فهم باعتذارهم عن الجهاد مع رسول الله سقطوا في الفتنة ، وتبين معدنهم الزائف على حقيقته .

● والجهاد يبين صدق المؤمن: (**الٓمٓ . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**) العنكبوت / ١ ـ ٣ (**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون**) الحجرات / ١٥

○ **والايذاء حتى الموت من شدة الايذاء والتعذيب من أكبر الفتن ، كما حدث لأصحاب الأخدود:** (**قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود**) البروج / ٤ ـ ٧ (**إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق**) البروج / ١٠

● والفتنة بمعنى التحول عن الدين والرجوع إلى الكفر ، قال عنها القرآن: (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله**) البقرة / ١٩٣ (**والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا**) البقرة / ٢١٧ (**والفتنة أشد من القتل**) البقرة / ١٩١

● والهزيمة في المعارك فتنة ، وقد يريد المنافقون فتنة المسلمين بإيقاعهم في الاحراج والهزيمة ، قال عنهم القرآن : (**يبغونكم الفتنة**) التوبة / ٤٧ :(**لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون**) التوبة / ٤٨

● وقد يفتن الله عباده بالغيب ، فوعده بأشياء في الغيب فتنة :(**وإن أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون**) الأنبياء / ١٠٩ وقوله تعالى : (**وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين**) الأنبياء / ١١١ (**وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا**) المدثر/ ٣١ (**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس**) الاسراء / ٦٠

فهذه أشياء في الغيب أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بحدوثها فتنة لهم ، مثل عدد أصحاب النار التسعة عشر ، ورؤية الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الاسراء والمعراج .

● وعن الولاء للكفار يقول الله تعالى : (**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**) الأنفال / ٧٣ إن الولاء للكافرين ، نصر للكفر على الاسلام ، وهذا من أكبر الفتن التي تصيب المؤمنين .

● والصلاة يجوز قصرها إذا خاف المسافر المسلم فتنة كافر :
(**وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا**) النساء / ١٠١

● ومتاع الحياة الدنيا فتنة للإنس والجن :(**ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى**) طه / ١٣١
(**وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا . لنفتنهم فيه**) الجن / ١٦ و١٧

● ومن الأدعية التي جاء بها القرآن على لسان سيدنا ابراهيم عليه السلام (**ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا**) الممتحنة / ٥ . يدعو ربه أن ينجيه من فتنة الكافرين حتى لا يحولونه عن دينه هو وذريته .

● وفي حوار بين الناجين والهالكين يوم القيامة (**ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم**) الحديد / ١٤ . وضعتم أنفسكم في الفتنة فوقعتم فيها . وحينما ذهب موسى ــ عليه السلام ــ لميقات ربه قال الله تعالى : (**فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري**) طه / ٨٥ فتنهم الله بالسامري الذي أخرج لهم عجلا جسدا من ذهب له خوار فعبدوه وفتنوا عن إله موسى عز وجل ونبههم هارون: (**ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن**) طه/ ٩٠

● والانسان قد يصيبه الضر فيدعو الله فيبدله نعمة ثم ينسى الانسان فيشرك بالمنعم وتلك النعمة فتنة:(**فإذا مس الانسان ضر دعانا ثم إذا**

خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة) الزمر/ ٤٩

● والشيطان لا يكف عن الفتنة حتى مع الأنبياء والمرسلين بمحاولته إلقاء الأماني والوعود ولكن الله ينسخ هذه الأماني ويعصم آياته من دخل الشيطان ، هذه الأماني يفتن الله بها قلوب المرضى ويثبت قلوب المؤمنين بآياته المحكمات :(**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد . وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم)** الحج / ٥٢ ـ ٥٤

نعم ، الشيطان يحاول أن يمد جسرا بين الايمان والكفر ، بالتصورات الخاطئة ، والوعود الكاذبة التي ربما تستخفها النفوس ، وتميل إليها بعض الأمزجة ، ولكن الله العليم الحكيم يبين الحق بالطريق الذي يرسمه . ولو لم يكن مألوفا لنا ، ولو لم تبن لنا حكمته العاجلة .. المؤمنون يعرفون أنه الحق فتخبت له قلوبهم ، والمنافقون ومرضى القلوب يتشككون لأنهم يتبعون أهواءهم ولا يتبعون الحق ، فيفتنهم الله ، وتزل أقدامهم عن الطريق المستقيم .

● ونتيجة الفتنة سيبصرها المفتونون في الدنيا والآخرة :(**فستبصر ويبصرون . بأيكم المفتون)** القلم/ ٥ و٦

● والانسان بازاء الفتنة يتخذ موقفا : إما ان ينكرها ويتجاوزها بايمانه ، وإما يشربها ويسقط فيها ، كما حدث بذلك رسول الله :(صلى الله عليه وسلم) « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا ، فأيما قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأيما قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تكون على قلبين ، على أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مرباد ، لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا وذلك هو الران الذي قال فيه الله سبحانه وتعالى :(**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)** المطففين/ ١٤ رواه مسلم .

● إن الفتنة اختبار إلهي يجريه الله على عباده حينما يغتال الشيطان فطرتهم ، ويضلهم ويمنيهم ، هذا الاختبار يستدعي به الله ما ادخره في فطرة عباده من يقين بالله ومعرفة به ، تذكرة للغافل ونداء للمعرض وتثبيتا من إيمان المؤمنين ، وجلاء للصدق في هذا الايمان ، وزيادة فيه ، ورفعا لدرجة صاحبه ، وهو من سنن الله التي ناط بها خلق الانسان ، والفتنة ضروب شتى : تبدأ باهتزاز في حياة الانسان لكي يلقي عن نفسه الغشاوة ، وتستمر في الزيادة حتى تصل إلى انقسام الأمة شيعا متنافرة متقاتلة ، حتى تصل إلى الكفر بالله والخروج من الدين ، نجانا الله منها وثبت قلوبنا على الحق .

من الشعر الديني ..

رمضان شهر النور والانتصار

للاستاذ: عبد الغني أحمد ناجي

الشهرُ عاد بموكب الأنوارِ   عوْدَ الحبيب إلى رُبَا الأزهارِ
والخيرُ يهتفُ للضّيَاءِ وشهرهِ   رمضانُ عاد إلى دُنَا الأبرارِ
أكرِمْ بشهرٍ للنفوس حياتَها   فصيامُه كم فيه من أسرارِ
وهب الأنامَ تناسقًا وتَوَحُّدًا   في موعدِ الإمساكِ والإفطارِ
قد عوّدَ القلبَ الشحيحَ على الندى   فتدفق الإحسانُ كالأنهارِ
وَصَفَتْ نفوسُ الناس مثل ملائكٍ   أنْعِمْ بهم في موكب الأطهارِ
رمضانُ أوصدَ للشياطينِ الكُوَي   قد سُلسِلت في شهر الاستغفارِ
من ثَمَّ كان الصومُ خيرَ وقايةٍ   لشبابنا من هوة الفُجارِ
مَنْ كان لا يَسْطاع عبءَ زواجِهِ   فصيامُهُ حصنٌ من الأضرارِ
والصومُ أنجعُ بلسّمٍ لجُسُومِنا   « صوموا تصحوا » قالة المختارِ
في موكب الأيام شهرُ صيامنا   بالفضل خُص على مَدَى الأعمارِ
آياتُ دستورِ الحياةِ تنزلتْ   في ليلةٍ مرفوعةِ الأقدارِ
وتميز الشهرِ الكريم بانه   شهر الصمود ، ووقفة الأحرارِ
لا ينكرُ التاريخُ يومَ صمودِنا   والحقُ منتصرٌ على الكفارِ
في يوم بدرٍ عندما نصرَ الالهُ   جنودَهُ ، والشركُ لاذَ بعارِ
نصرَ الألهُ جنودَهُ بجنودِهِ   مَلَكٌ بجانبِ مسلمٍ مغوارِ
« الله أكبرٌ » كالصواعق في الوغَى   أنعِمْ بها من صيحةٍ وشعارِ
من يومها والكفرُ ينْدُبُ حظهُ   حتى سعَى في ذلةٍ وصَغارِ
يوم افتتاحِ المسلمين لمكةٍ   كي يغرسوا التوحيدَ في الأفكارِ
في شهرِ نصرِ الحقِّ أدعُو ربّنَا   نَصْرَ العروبةِ فوقَ خط النارِ
أدعُوهُ للعَرَبِ الأُباةِ تجمعاً   يمحو الخلاف ، وخُبْثَ الاستعمارِ
فاقبلْ إلهي توبتي وضَراعتِي   واغفرْ بشهرِ صيامِنَا أَوْزَارِي

مع الكتاب العظيم
منهج نهضة في سطرين

للأستاذ/محمود عبد اللطيف فايد

□ **أضواء من سورة قريش :**

سورة قريش من قصار سور القرآن الكريم ، مكية ، سطران بعد البسملة ، نزلت بعد سورة التين ، تحتوى على أربع آيات ، وهي لا تعدو خمسا وعشرين كلمة ، وقد سعدنا جميعا بحفظها في طفولتنا المبكرة ، وحينما نفكر في معانيها ومراميها ، ونحلل شعاعها سنجد فيها معينا ثرا يفيض ولا يغيض ، وستنهض دليلا على عظمة القرآن الكريم ، وروعة القرآن العظيم ، بايجازها وإعجازها ، وما تفيضه على قلب المؤمن من نسمات حانية ، ولمسات تشرح الصدر .

□ **صلتها بما قبلها :**

سورة قريش مرتبطة بسابقتها (سورة الفيل) أوثق ارتباط ، فقد هزم الله (أبرهة) وجنوده المعتدين بأعجب سلاح جوي: **(وأرسل عليهم طيرا أبابيل ○ ترميهم بحجارة من سجيل ○ فجعلهم كعصف مأكول)** / الآيات من ٣ ــ ٥ س. الفيل . في هذا النسق نلمح رباطا قويا بين النصر والألفة ، فالألفة من أسباب النصر ، ودواعي الظفر وعلينا أن نحسن توفير الأسباب ، والباقي

على الله ، فما دامت قريش تتمتع بالايلاف ، وتنأى عن الشقاق والخلاف فلا عجب إذا تأهلت لقيادة مجتمع شبه الجزيرة العربية القديم إذ كانت تبذل جهودها في خدمة حجيج البيت الذين يفدون إليه من كل فج عميق ، فيجدون كرم الضيافة ، وحسن الرعاية والحماية في كنف قريش التي انطلقت قوافلها في العمل لتحقيق الأمل حاملة التجارة ، خادمة مصالح قريش ومن جاورها ، ومحققة منافع لمن يحيون بالشام واليمن ، فسعادة قريش بالألفة بما تقتضي من تكافل وتضامن ، وتناصر وتعاون ، وثراؤها بالتجارة نعمتان جديرتان بشكر رب العالمين ، رب البيت الذي تحيا على خدمته ، وتنعم بجواره ورعايته قريش ، وما أجدر قريشا ومن معها بعبادة الله الذي حفظ عليهم حياتهم ، ويسر لهم رزقهم ، وهم يحيون في واد غير ذي زرع عند بيت الله الحرام : **(أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون)** / الآية ٦٧ س العنكبوت . وكيف لا تلهج ألسنة القرشيين بالثناء ، وتفيض قلوبهم بالبشر والرضا عن المنعم العظيم جل فضله الذي أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف .

□ حاجات الناس البدنية والروحية هي شغل الحكومات :

والآن نمضي لنرى ما إذا كانت السورة منعزلة عن الحياة أم واضعة للخطة ، ومشيرة إلى الغاية السعيدة للمجتمع المسلم ، الحي الناهض ؟ هل يشغل حكامنا أكثر من توفير متطلباتنا الجسمية ؟ وأهمها الطعام ، وضمان استقرارنا ، وأمننا في يومنا وغدنا (وهو آهم مطالبنا الروحية) حتى نكون من السعداء الذين وصفهم الله بقوله : **(الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)** آية ٨٢ س الأنعام ، فالأمن قرين الايمان ، والهداية معراج الفوز بالرعاية .

□ إزالة المتناقضات هدف التنظيمات والحكومات :

ومما تهتم به الحكومات الاسلامية ، وتنظيماتنا وجماعاتنا الرشيدة إزالة متناقضاتنا والتوفيق بين مصالحنا التي قد تتعارض ، ونحن في ظلال عقيدتنا ـ عقيدة التوحيد ـ واصلون إلى غايتنا ما دمنا نؤمن بأن أمتنا واحدة في اليسر والعسر ، في السراء والضراء : **(إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)** ٩٢ س الأنبياء ، والوحدة ذروة الايلاف ، ولا يشقى الأمة ويذهب ريحها مثل النزاع والاختلاف :**(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)** آية ٤٦ س. الأنفال .

□ الايمان صمام الأمان ، والعمل الصالح ثمرة الايمان :

إن الايمان هو الدافع إلى العبادة

الصحيحة ، وحادي العمل الطيب ، الايمان في الحقيقة صمام الأمان ، وأساس الاطمئنان ، ولله در شاعر الاسلام الكبير محمد إقبال إذ يقول :

إذا الايمان ضاع فلا أمان
ولا دنيا لمن لم يحى دينا
ومن رام الحياة بغير دين
فقد جعل الفناء لها قرينا

إن تعبيد الطرق ، وتوفير وسائل النقل ، ونشاطنا الزراعي والصناعي ومدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا بما تقدمه من ثقافات وعلوم ، ونشاطنا العسكري في التدريب والتسليح ، والتوجيه المعنوي ، مرتبط بتوفير حاجات الأجسام إلى الطعام ، وحاجات النفوس إلى الأمن ، بل إن علاقاتنا الدولية تهدف إلى تقوية صلاتنا ، ودعم علاقاتنا بمن يساعدوننا ونساعدهم على توفير هذين المطلبين : مطلب الجسم من طعام وشراب ، وملبس ، وطب ، ومطلب الروح من علوم وفنون بعد توفير الدرع الواقي المتمثل في الجيش العصري المؤمن المدرب على الأسلحة الحديثة ، وما يظاهره من كتائب المقاومة الشعبية والدفاع المدني .

□ سعادة المجتمع المؤمن :

ولك أن تتصور ـ يا أخي القارىء ـ مدى سعادة المجتمع الذي يهتدي بكلمات الله ، فيحيا في ألفة واضعا نصب عينيه قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم : « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه البخاري ، هذا المجتمع يعرف اختلاف الرأي ولكنه لا يعرف القطيعة !! هذا المجتمع الذي يعرف القادرون وولاة الأمر فيه حق العامل في العمل بدون إذلال أو استغلال غير مشروع كما يعرف فيه العامل واجبه المتمثل في أداء عمله بأمانة وإخلاص في أي ميدان من ميادين العمل الشريف .

إن ذلك المجتمع السعيد يؤدي عمله باتقان ، وقد أعد أحسن الوسائل للنجاح في حياته بالألفة والعمل فلا عجب أن يحيا في بركات السماء والأرض ، ويصل إلى أحسن الغايات متخلصا من الجوع ، بريئا من الخوف ، مثل هذا المجتمع بهجة العصر ، وعدة النصر .

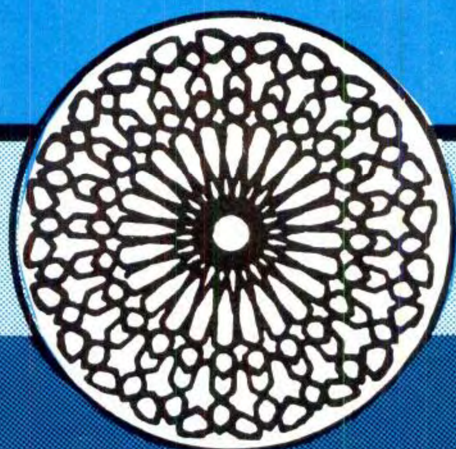
ويا كتابنا العظيم : كم نخسر بالبعد عنك ، وكم نكسب بالقرب منك ، يا نبع الهداية ، ومصدر الاشعاع !! كم فيك من دروس وكنوز لمن يقرأ بإمعان ، ويحيا بعقله وقلبه مع آياتك المضيئة ساعاته الهنيئة :

بسم الله الرحمن الرحيم

(لإيلاف قريش ○ إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ○ فليعبدوا رب هذا البيت ○ الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) .

وطوبى لمن وعى قول الله عز وجل :

(الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله) يونس/٦٣ ـ و ٦٤ . صدق الله العظيم .



رمضان

شهر التصفية الروحية

١٠٠

للدكتور : عبدالله عبدالقادر الحسيني

إن المسلمين في جميع مختلف بقاع الأرض يحتفلون بقدوم شهر رمضان ، ويعلنون ابتهاجهم بهذا الشهر العظيم ، وحق لهم أن يحتفلوا ويبتهجوا لأنه شهر حافل بالخيرات ، مغمور بالبركات فهو ركن من أركان الاسلام الخمسة ، ودعامة من دعائم الدين التي يقوم عليها ، ولم يكن الله عابثا وقت أن جعله ركنا من أركان دينه القويم ، تنزه الله عن العبث ، فهو حكيم جلت حكمته ، لا يفرض فرضا ولا يقدر امرا ، إلا وله حكمة سامية ، وسر عجيب ، يدركه العقل الرشيد ، ويقدره من سمت أفكاره ، ورسخ إيمانه ، واستنار عقله .

وها هو الصوم وسره ، وشهر رمضان وفضله ، فالصوم كف النفس عن شهوتي البطن والفرج ، وإذا ما كف الانسان نفسه عن هاتين الشهوتين ، كان ملكا وعبدا لله مخلصا ، واستحق شرف العبودية التي يعنيها الله في قوله تعالى : (**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا**) الاسراء /٦٥

إله هذا شأنه يغار على عبده هذه الغيرة ، فوق نعمه المتتالية ظاهرها وباطنها (**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**) ابراهيم /٣٤ ومن هذه النعم فرضه الفرائض ، التي يعود نفعها على العباد خاصة ، فالصوم من طبعه يحول بين المرء وبين امتلاء المعدة التي هي علة العلل ، وقد قال طبيب العرب حارث بن كلدة : إن المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء ،وقال بعض الحكماء : « الدواء الذي لا داء معه ألا تأكل الطعام حتى تشتهيه ، وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه » .

ومن غير شك أن في حفظ الجسوم حفظا لكيان الأمم والشعوب ، وهناك فائدة أخرى تنجم عن الجوع ، وهي : المحبة والوئام بين الناس ، بل وبين العبد وربه ، فان الانسان عندما يشعر بألم الجوع وشدة الظمأ يحصل له الذلة والانكسار ، وعندئذ يشعر بحاجته لمولاه ، فيتواضع لبارئه الذي خلقه وسواه ، ويطرح رداء الكبر والعظمة ، فانهما من صفات الله جل جلاله وحده ، حيث يقول : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني فيهما قصمته ولا أبالي » رواه مسلم وأبو داود عن ابي هريرة بلفظ « الكبرياء » ردائي إلى آخره .. ألقيته في النار » .

وإذا ما ترك العبد هذا لمولاه شعر بأنه محتاج لسواه ، ليعطف على الناس ويتودد إليهم وأحس من الجوع ولوعته بحاجة الفقير الى الطعام ، فكان الناس وقتئذ إخوانا متحابين ، وكانوا كما قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير . قيل ليوسف الصديق عليه السلام : «لم تجوع وأنت على خزائن الأرض حفيظ ؟ قال : أخاف أن اشبع فأنسى الجائع » فالجوع يدفع صاحبه إلى البر والاحسان وشهر رمضان هو الموسم لمن أراد الربح العظيم .

فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل عليه السلام ، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ ـ يعرض عليه النبي صلي الله عليه وآله وسلم القرآن ، فاذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة « رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس .

أضف إلى هذا أن الاستمرار في النعمة قد ينسى الانسان مصدر هذه النعمة ، فاذا ما انقطعت عنه وتذوق ألم الجوع في القر ، وشدة الظمأ في الحر ، عندئذ يذكر النعمة فيقابلها بالشكر ، ويخلق في نفسه الوازع الذي يحييه في الطاعات ، ويحول بينه وبين المنكرات ، والصوم هو الوسيلة العظمى في تربية ملكة الصبر واحتمال المكاره والصبر ملاك الفضائل .

لاستسهلن الصعب أو ادرك المنى
فما انقادت الآمال إلا لصابر

فهو السلاح الذي يكافح به الانسان ، ويجاهد حتى يظفر بمناه في دنياه وأخراه ، وقد قيل : « الصبر نصف الايمان » رواه ابو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الايمان عن ابن مسعود .. ووصى به القرآن الكريم في التنزيل أكثر من سبعين مرة ، وحسبك من ذلك ، قوله تعالى في شأنه (**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**) الزمر / ١٠ .

والصوم يعودك الحلم وسعة الصدر ، فالرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول فيما رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة : « الصوم فيه كجنة أحدكم من القتال » واذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب ، فان سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرء صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر وإذا لقي ربه فرح بصومه .

ومن حق الصائم أن يكف جوارحه عن جميع الآثام ، حتى يكون صومه مقبولا ، فيغض البصر عما حرمه الله ويكف اللسان عن الغيبة ، والكذب والخصومة والفحش والجفاء ، وما الى ذلك ، ويكف

السمع عن الاصغاء الى ما هو محرم . وقال الامام البيضاوي : ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش بل ما يتبعه من كسر الشهوات ، وتطويع النفس الأمارة بالسوء فاذا لم يحصل له ذلك لا ينظر الله نظر قبول إليه ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري واحمد هذا مجاز عن عدم القبول ، فنفى السبب وأراد المسبب ، لانه بتركه الطعام والشراب قد اتى بجسم الصوم وبفعله المحرم قد أذهب روحه ، والصوم بلا روح غير مقبول كجسم بلا روح ، فهو غير موجود والغاية من العبادات روحها ، انظر الى قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)** البقرة /١٨٣ فالغاية من فرضية الصوم هي تقوى الله لا مجرد ترك الأكل والشرب ، وقال عليه الصلاة والسلام : « الصيام جنة » رواه البخاري اي وقاية للجسم والروح من العلل والشرور .

وقد اختار الله تعالى هذا الشهر المبارك للصوم ، مع أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، لأنه عند الله طيب مبارك ، فقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شهر رمضان ، ونزل عليه جبريل عليه السلام وهو يتعبد في غار حراء في هذا الشهر . فهو في شهر مبارك حيث ابتدئت فيه دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى الخلق لاتباع الحق ، وظهر نور الاسلام في طول البلاد وعرضها . وفيه نزل القرآن الكريم الذي طمس معالم الباطل ورفع لواء الحق : **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)** البقرة / ١٨٥ . وأيضا نزلت فيه الكتب المقدسة . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه ابن زنجوية وابن خالويه عن الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والطبراني عن واثلة « نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لأربع مضت منه ، والانجيل لثلاث عشرة منه والقرآن لأربع وعشرين » .

وفي هذا الشهر ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر قال الله تعالى : **(ليلة القدر خير من الف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر)** القدر / ٣ ـ ٥ .

فهو شهر عظيم عند الله ، وجدير بخلق الله ان يعظموا ما عظمه الله ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ..

الأحاديث التي تروى في نزول عيسى وظهور المسيخ الدجال وهزم اليهود

جاء في صحيح البخاري في كتاب ذكر الأنبياء . بخصوص نزول عيسى ابن مريم فيما رواه اسحق بن ابراهيم عن يعقوب بن ابراهيم عن أبي صالح عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله في حديث طويل : « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا .. » .

وروى الامام أحمد قال : حدثنا عفان . حدثنا همام أنبأنا قتادة عن عبدالرحمن عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن نبي بيني وبينه . وإنه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه . رجل مربوع الى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل . فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس الى الاسلام . ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الاسلام . ويهلك الله في زمانه المسيخ الدجال . ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الابل والنمار مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة . ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون » ورواه غيره بعدة طرق .

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله قال : « لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج اليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فاذا تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم . فيقول المسلمون : لا والله لا نخلى بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم » .. الحديث .

وروى ابن ماجه في سننه بسنده عن أبي أمامة الباهلي قال : خطبنا رسول الله فقال : لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم عليه السلام أعظم من فتنة الدجال . وإن الله لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال . وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر

الأمم وهو خارج فيكم لا محالة .. الحديث
وقد عرض الحافظ ابن كثير جملة أحاديث حول نزول عيسى وظهور المسيخ الدجال والقضاء على الكفر وهزيمة اليهود وقال : فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله من رواية أبي هريرة وابن مسعود وعثمان بن أبي العاص ، وأبي أمامة ، والنواس بن سمعان ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، ومجمع بن جارية ، وأبي شريحة ، وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهم .
وهذه أمور غيبية لا مجال لتحكيم العقل فيها ، وإنما ترجع معرفتها إلى النقل . وهو مطرد كما رأيت ومتواتر المعنى ...

الممتنع عن أداء الزكاه

الزكاة أحد أركان الاسلام وأساس من أسسه . وهي عبادة مالية محضة بها يخرج الموسر جزءا يسيرا من ماله ليعاون به الفقير ومن في حكمه ويطيب بها نفسه ويمنع تولد الحقد فيها يقول الله تعالى : **(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) .**
وقد حث الاسلام على أداء الزكاة والمحافظة على صرفها في مصارفها . وقد أجمع المسلمون على أن من أنكر فرضية الزكاة وسائر أركان الاسلام الخمسة : « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » كان خارجا عن ربقة الاسلام ولا تجرى عليه أحكامه ولا يعد من أهله وأخذ حكم المرتد مادام جاحدا لفرضيته منكرا لها .
وقد حدث في عهد أبي بكر رضي الله عنه وبعد انتقال الرسول عليه الصلاة والسلام الى الرفيق الأعلى أن امتنع بعض الناس عن أداء الزكاة وأنكروا فرضيتها عليهم بعد وفاة الرسول وفرقوا بين الصلاة والزكاة . فأمر الخليفة أبو بكر بمقاتلتهم . فلما اعترض عمر وقال : كيف تقاتلهم وقد قال رسول الله : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فاذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » رواه الستة عن أبي هريرة . فقال أبو بكر : ألم يقل إلا بحقها ؟ فمن حقها إيتاء الزكاة كما أن من حقها إقامة الصلاة . فقال عمر : إن ذلك والله هو الحق وإنه لخير .
وأما من يعتقد بفرضيتها ويؤمن بوجوبها لكنه يمتنع عن أدائها تقصيرا فهو عاص ، ويعتبر مرتكبا كبيرة من الكبائر يستحق عليها الجزاء الأخروي الذي توعد الله به أرباب الكبائر وينبغي على الحاكم تعزيره وأن يأخذها منه قهرا عنه ، لكنه بذلك لا يكون خارجا على الاسلام فتقام عليه جميع أحكامه في مسائل الأحوال الشخصية وسائر معاملاته وتصرفاته .



مع الشباب

الشباب هم ذخر الامة ، ومحط امالها ، وفلذات اكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والاخذ بيدهم الى الطريق الامثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض افكارهم يحدونا الامل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

طوبى لمن تلبس الحجاب

وتلك كلمة للشباب من مها عبيد محمد بريك تؤكد شخصيتهم المسلمة في إطار الاسلام وتعاليمه السامية المتكاملة نقدمها بين يديهم لتكون الباعث على سلوك الشباب المسلك اللائق بهم وخير هدى لفتياتنا :

في كل أزمان التحول العظيم التي تحياها الامم كانت المرأة تقف شاهدة على عصرها تراقب وتشارك وتسجل وقد امتلأ تاريخ التحولات بالنماذج النسائية العظيمة التي رفعت يدها في وجه الظلم والحزن والقهر ـ وانتمت إلى الاصالة والحقيقة والثورة ..

ورغم شراسة حملات الغزو الفكري التي يقودها الاستعمار ويصفق لها تلامذته الذين يحتلون مكاتب الادارة في صحفنا ويقفون خلف مكبرات الاذاعة وشاشات السينما والتلفزيون .

رغم ذلك كله إلا أن ظاهرة الحجاب الذي بدا يكسو أرضنا الطيبة ليس إلا رمزا لشخصية هذا الجيل الذي نفض عن نفسه غبار التفتت والانفصام والازدواجية واختار العودة إلى الله ... والحجاب ليس شكلا نتعبده كما يتوهم البعض ولكنه مسألة شخصية واكتشاف للذات بعد طول سقوط وضياع في مجاهل التغريب للعين .

ولقد فرض علينا الاستعمار ملابسه وجاء لنا ببيوت أزيائه كي يستعبد نساءنا وفتياتنا ـ وكي نلهو بعيدا عن قضايانا الحيوية ولهذا كان الحجاب اسلاميا وقضية وطنية في غاية الأهمية أيضا إنه رفض لروح الاستعمار ومخططاته ـ إنه رمز لوعينا بطبيعة الصراع ورمز لاصرارنا على مواجهة التحدي ورمز لرفضنا نهب ثروات بلادنا في العبث بمقدساتنا

نعم هكذا الحجاب وهكذا يجب أن يكون ... انحياز واع ومقدس إلى معسكر الاصالة والحرية والعدل،انحياز إلى معسكر « محمد بن عبدالله » صلى الله عليه وسلم ـ واتباعه الكرام ونبذ لمعسكر الطاغوت وأوليائه .

واخيرا يا اختي المسلمة اقرئي معي هذه الآيات من سورة الاحزاب :

« يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلا بيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً »

فضل طلب العلم

يحث الاسلام على طلب العلم ويدعو الرسول صلى الله عليه وسلم اليه حول هذه المعاني جاءتنا رسالة من الاستاذ عبد العال محمد علي الأسواني ـ الكويت يقول فيها :

جاء في الأثر : تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس في الوحدة ، والصاحب في الخلوة .

والذي اكد هذا المعنى عند المسلم أن القرآن الكريم في كثير آياته الكريمة دعا إلى طلبه وحث عليه فمثلا قول الله سبحانه « وقل ربي زدني علما » والرسول صلى الله عليه وسلم يقول محببا في العلم وداعيا إلى الحرص عليه حتى لا يقبض العلم بقبض العلماء يروى عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » رواه مسلم

ولا شك أن الباحث عن العلم له أجر عظيم فان لم يكن له إلا تخليص الناس من الشرور والموبقات لكفى واقرأوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم حول هذا المعنى فعن انس بن مالك رضي الله عنه قال :

ألا أحدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم أحد بعدي سمعه منه « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ، ويفشو الزنا ويشرب الخمر ، ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد » رواه مسلم .

فالتزموا يا شباب الاسلام واعملوا بما توحي به الآية الكريمة حتى نكون مثل خير وجيل هدى يقول الله سبحانه:« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ».

فكل يوم يمر عليكم دون أن تتزودوا بالعلم يوم كئيب فزينوه بالعلم وأزيلوا منه الملل بالعلم .



أمُّ اللغات

تحت هذا العنوان جاءت تلك الأبيات لتعبر عن لغتنا العربية التي كانت وما تزال لسان حالنا والمشعل في طريق نهضتنا مهما قلاها اهلها فهي لغة القرآن ، والقرآن معجزة الرسول الخالدة ودستور الاسلام والقصيدة تنعى علينا انصرافنا وتحولنا فهل من عودة
يقول الأستاذ سيد خليل ابراهيم :

ناحت بلابلها بصوت مفزع ... في حسرة وتألم وتوجع
لهفى على الفصحى تعيش غريبة ... مدفوعة نحو المصير المفجع
لما قلاها أهلها وتباعدوا ... عن حسنها برطانة وتصنع
ضاعت بلاغتها وغاض معينها ... واحسرتا لبيانها المتقطع
عصفت بها ريح التغرب فانزوت ... وتراجعت في خيبة المتطلع
ولقد رموها بالجمود جهالة ... وهي السخية بالعطاء المترع
ام اللغات يفيض من سلسالها ... عذب الرحيق لراغب متطلع
واختارها رب العباد لفضلها ... والوحي فيها عبقري المطلع
نضب المحيط وذاك زعم باطل ... يا ويحهم أكرم بفيض المنبع
فلكم نرى في كل يوم طعنة ... في صدرها من جاهل متنطع
ولكم رأينا لفظة عجمية !! ... دخلت لواديها بغير ترجع
فتأوه القاموس يندب أمه ... واغرورقت صفحاته بمدامع
فسلوا الطيور بأيكها ما بالها ؟ ... تبكي على الفصحى بلحن مفزع
يا إخوتي عودوا إليها إنها ... نسب العروبة للكريم الأرفع
تيهوا بها فوق المجرة وافخروا ... فهي الفخار لكل نجم ألمعي
يا إخوتي : إني بذلت نصيحتي ... وتمزقت كبدى وفاضت أدمعي

ظاهرة الالحاد

وأرسل الدكتور عبد القادر حسن كلمة حول الالحاد وأضراره الفاتكة على الشباب وخاصة المثقف نقتطف منها ما يلي :

إن العالم الاسلامي بأسره يشكو من ظاهرة خطرة ، وهي أن شبابنا المثقف ثقافة علمية هم أقرب إلى الالحاد ، بينما القلة المؤمنة تميل إلى إهمال الشعائر الدينية والعبادات .

وقد يكون هذا عجيبا ، فالاسلام نور يهدي إلى الحق والخير ، والعلم أيضا نور يهدي إلى الحق والخير ، فلماذا تقترن ظاهرة الالحاد وإهمال العبادات بالعلم ؟ وما أسباب الفشل في علاج هذه الظاهرة ؟

إن الاسلام لا يعادي العلم ، بل إن مزية الاسلام الكبرى أنه جعل العقل حكما عندما نتجادل في معركة الشك واليقين ، سواء بيننا وبين أنفسنا ، أو بيننا وبين غيرنا من الملحدين ، فكثير من الآيات القرآنية تختم بقوله تعالى : **(أفلا تعقلون)** البقرة / ٧٦ وقوله تعالى : **(لعلكم تتفكرون)** البقرة / ٢١٩ فليس في الاسلام ـ إذن ـ إيمان يتناقض مع العقل ، ولا خرافات تتضارب مع العلم ،

والاسلام لا يتعارض بحال مع الحقائق العلمية التي بلغت مرتبة اليقين ، وقطع نهائيا بصحتها ، أما الآراء العلمية التي تبزغ حقبة من الزمن ثم تخبو إلى الأبد ، لما فيها من قصور علمي ، ولم يقم الدليل القاطع على صحتها ، بل يحتمل أن تظهر أدلة جديدة تنفي صحتها وتحكم ببطلانها فلا تقاس بمقاييس الاسلام .

فعلى الشباب حينئذ ألا يبنوا آراءهم وجدلهم في إنكار القضايا الدينية على أساس آراء علمية خاطئة أو ناقصة يظنونها حقائق علمية ، ثم يتضح لهم بعد ذلك أن الأساس الذي بنوا عليه جدلهم هو أساس باطل ، ولما ظهر الحق هوى البناء من قواعده .

وبعض شبابنا المثقف ينظر بعين الشك والريبة إلى المعجزات التي أيد الله بها رسله ، وتحدثت عنها الكتب السماوية ، لأنها لا تخضع للتفسيرات العلمية ، ولا تساير النواميس الكونية ، فالرأي فيها واضح ، والاجابة حاضرة ، وهي أن المعجزات خرق للعادة ، وخرق لقوانين الطبيعة ، والمعجزات وإن كانت مستحيلة في العادة ، إلا أنها غير مستحيلة عقلا ، لأن الله الذي خلق النواميس الكونية ، هو وحده القادر على خرقها ، والتفسير العلمي للمعجزات يفقد المعجزة معناها ، وإن أخضعناها للتفسير العلمي صارت شيئا مألوفا ، ولم تدخل في عداد المعجزات .



بريد الوعي الاسلامي

ألوان من الثقافة والعلوم لا بد منها

نشرت مجلة الوعي الاسلامي في عدد سابق « فن زخرفة الأخشاب عند المسلمين » .
الم يكن من الأفضل أن تستغل هذه الصفحات من ورق مجلتنا في تفسير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .
وأود ذلك حتى تكون المجلة اكثر انتشارا لتخدم الدعوة الاسلامية .
عبدالعزيز علي محمود رمضان ــ مصر

نؤكد للأخ السائل ان المجلة تنشر هذه الموضوعات المتنوعة لتكون محل الدرس والتحليل من ذوي الخبرة والدراية بتلك العلوم الانسانية فليس الفن عندنا كما كان عند قدماء المصريين واليونانيين فهم كانوا يتخذونه وسيلة لخدمة دينهم ومعتقداتهم لذلك نحت المصريون التماثيل لتهدي الروح الى الجسد لاعتقادهم بعودة الروح .
وتخيل اليونانيون الاله على صورة انسان فنحتوا أيضا التماثيل لتعبر عن آلهتهم .
وحرمت اليهودية ثم المسيحية صنع التماثيل ونحتها قبل أن تنحرف العقيدة عندهم .
ثم جاء الاسلام فتأثر بالفنون التي وجدها في البلاد المفتوحة ولكن لم تستخدم في شرح العقائد كما فعلت المسيحية فيما بعد ولم ينكرها مطلقا كما فعلت اليهودية ولكنه أخذ منها ما يخدم حياة المسلم وترك ما عدا ذلك بل إنه حرم التماثيل .
وتلك التي نشرنا بحثا حولها من الجوانب الهامة في تاريخنا برع فيه المسلمون ، ونبغوا وهناك أيضا فن العمارة الذي يحكي بروز المسلمين وجهدهم الكبير .
والمجلة تهتم بكل ألوان الثقافة والمعرفة يبدو ذلك من خلال الأبواب الكثيرة الزاخرة وذلك هدف تحرص عليه الوعي الاسلامي وترعاه طوال مسيرتها الرائدة في عالم الصحافة الاسلامية لخدمة الدعوة الاسلامية على خير وجه وبدقة لم تتجاوزها ، ولم تحد عنها وستكون كذلك بعون الله في مستقبل أيامها .
وان نظرة الى موضوع « فن زخرفة الأخشاب عند المسلمين » نجد أنه لم يذكر شيئا غير مفيد ، فقد ركز على أن هذا الفن وكثيرا غيره كان من الفنون التي تميز بشكل اسلامي فالمسلمون في تلك العصور المتقدمة لم يتركوا علما إلا وضربوا فيه بسهم وافر وآثارهم تدل على ذلك وسار على نهجهم أمم كثيرة محاكية ومقلدة أليس

ذلك يستحق التقدير وأيضا التوضيح وخصوصا لجيلنا الذي أصبح عالة على غيره في كل شيء مهما دق وصغر حجمه .

من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه

(ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

هل الايمان بالله سبحانه وتعالى دون الايمان بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم كما يعتقد أنصار الأديان الأخرى هو المفهوم من هذه الآية الكريمة ، والعمل الصالح من الذين هادوا والنصارى والصابئين ـ في زعمهم ـ عمل يستحق من الله الأجر العظيم والله سبحانه يقول :

(ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) .

محمد حامد حسن ـ استراليا

مفهوم هذه الآية الكريمة يعتبر من المعلوم من الدين بالضرورة اذ لا بد من الايمان بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم فهو خاتم النبيين ، ورسالته إلى البشر كافة على اختلاف مللهم ونحلهم ومعتقداتهم ، لا فرق في ذلك بين جنس وجنس ، ومعتقد ومعتقد ، ومن لم يؤمن بما جاء به الرسول اجمالا وتفصيلا فهو ضال قد تنكب الطريق ، وحاد عن الحق ، وبعد عن الجادة فاليهود والنصارى والصابئون الذين آمنوا بالاسلام هم الموعودون في الآية الكريمة مع المسلمين بالأجر عند ربهم ونفى الخوف والحزن عنهم

والواضح من الآية الكريمة أن الذين آمنوا هم المسلمون الذين صدقوا الرسول فيما جاءبه ، وأذعنوا لله خاضعين عن اقتناع ويقين ، تاركين ما كانوا عليه من معتقداتهم مقرين بأن الاسلام هو غاية كل عابد وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الصادق المحدث عن الله سبحانه الذى لا ينطق عن الهوى ،

اما اليهود الذين ظلوا على يهوديتهم بعد ظهور الاسلام والصابئون الذين ظلوا على صابئتهم والنصارى الذين رفضوا الايمان بالاسلام ، هؤلاء جميعا لا تشملهم الآية الكريمة بل هم كفار وقد ذكر الله تعالى أمرهم في كتابه الكريم في قوله :

(ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)

فالآية واضحة الدلالة في أن الله لا يقبل من هؤلاء جميعا الا الاسلام فأيا كان الدين ، وأيا كان المنحى والمعتقد فالسائرون في ظله ليسوا على شيء ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « لا يسمع بي احد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من أصحاب النار » وعلى هذا فكل من لا يؤمن بالرسول وبما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . لا يقبله الله ، ولا يسمى صاحبه مسلما ، والأجر العظيم الذي وعد الله به لا يكون إلا للمؤمنين بالاسلام « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين »

صندوق التضامن الاسلامي

يغمر المعمورة زحف هائل من الحضارة المواجهة لحضارتنا ولما كانت حضارة الاسلام قد قامت على اسس متينة فان العودة لبناء حضارة اسلامية يستلزم ان تكون على قواعد من الدين صلحت عليها حال الامة سلفا .

لذلك نرى العالم الاسلامي تشده صحوة في السنوات الاخيرة من خلال المؤتمرات الاسلامية على مستوى القادة والمفكرين ويتم اللقاء في انحاء متفرقة في عالمنا الاسلامي .

وهذا امر طبيعي فان الظروف والملابسات والمعاملات والمشكلات التي جدت ولم تكن تطفو على السطح قبل ذلك تتطلب تكاتف الهمم وتلاقي الايدي وتعاضد القوى وتأكيد الأخوة الاسلامية التي دعا اليها الاسلام وبنى عليها أول دعائم دولته والمؤتمرات الاسلامية التي شهدت حركة دائبة من المسلمين تمخضت عن نتائج على مستوى العالم كله تدعو وتنادي بالوحدة الاسلامية ووضع مصلحة المسلمين في المركز الأول من الأهمية ولقد قرأنا عن هذه النتائج الكثير ومن بينها صندوق التضامن الاسلامي الذي أنشيء بقرار من مؤتمر القمة الاسلامي بلاهور الذي عقد بالباكستان سنة ١٩٧٤م ، وأقر قانونه الأساسي في مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامي بماليزيا سنة ١٩٧٤م .

وكان للمجلة لقاء مع الاستاذ يوسف العوضي المدير المالي بوزارة الاوقاف وعضو اللجنة الاسلامية والثقافية للصندوق الذي قال : ان الغرض من هذا الصندوق العمل على تحقيق كل ما من شأنه رفع مستوى المسلمين في العالم ، والمحافظة على عقيدتهم ودعم نضالهم وجهادهم في جميع المجالات والتخفيف من اثر الكوارث والمحن .

وينص القانون الاساسي على المساعدات والمعونات للبلدان والأقليات والجاليات الاسلامية لرفع المستوى الديني والثقافي والاجتماعي .

والمساهمة في بناء المساجد والمستشفيات والمدارس ، ونشر تعاليم الديـن الاسلامي وتمويل الجامعات الاسلامية ودعم نشاط الشباب المسلم ، وتنظيم الدورات الدراسية في قضايا التشريع والقانون والادارة والثقافة .

ويتكون المجلس الدائم من الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي وثلاثة عشر عضوا من الدول الاعضاء ينتخبون كل سنتين من قبل وزراء خارجية المؤتمر . ومهمة هذا المجلس التخطيط والاعداد للبرامج والسهر على تنفيذها ويشكل من : السعودية ، الكويت ، الامارات العربية ، السودان ، ليبيا ، العراق ، فلسطين ، الباكستان ، اندونيسيا ، بنجلاديش ، تشاد ، الكمرون ، مالي .

وقد عقد آخر مؤتمر بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية وسيعقد المؤتمر القادم بعد تشكيل المجلس من قبل مؤتمر وزراء الخارجية بجدة في نوفمبر ١٩٨٠

قام الصندوق بتمويل جامعة النيجر ، وجامعة اوغندا ، ومعهد الدراسات الاسلامية بالجابون ، وساعد على انشاء بعض المدارس في جامبيا وساهم في تمويل المساجد في غينيا ، والسنغال ، والجابون ، والنيجر ، وأوغندا ، وتشاد ، وجزر المحيط الهادي ، والنرويج ، وفنلندا ، والسويد ، والنمسا ، وايطاليا ، والدانمارك ، وساعد في بناء المدارس في كل من سوريا ، والجابون ، وغانا وسويسرا ، ومن اهدافه العمل على التنسيق مع المنظمات التي لها اهداف مماثلة ومساعدة المراكز الاسلامية في المانيا ويوغوسلافيا والبرازيل وتنزانيا وكل المراكز الاسلامية في العالم على نشر رسالتها .

وقد منح الصندوق مساعدات منذ تأسيسه لدول غير اعضاء .

وقال الاستاذ / يوسف العوضي : لقد شارك في اعمال المؤتمر الحادي عشر لوزراء الخارجية الاسلامية ٣٩ دولة ومنظمة التحرير الفلسطينية وبحثت بالمؤتمر موضوعات هامة تشغل العالم الاسلامي كله تتناول بالبحث والتحليل العديد مما يعيشه المسلمون وما يعانونه من مشكلات

وقد تبرعت كل من الدول الآتية للميزانية الجديدة للصندوق بتلك المبالغ ، السعودية ١٠ مليون دولارا ، الكويت ٢ مليون ، قطر مليون ، العراق مليون ، باكستان ٤٠ الفا ، النيجر ٧٥ الفا ، تركيا ٢٠ الفا ، السنغال ٤٠ الفا ، قبرص ٢٠٠ الف ، عمان ٥٠ الفا ، تونس ١٠٠٠٠٠ الف .

واتخذ المؤتمر قرارات هامة بشأن المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة واقر النظام الاساسي للمركز العالي للتعليم الاسلامي وصادق على ميزانية العام الاول ووافق على النظام الاسلامي للجنة الدولية للتراث الاسلامي وكذلك الموافقة من حيث المبدأ على مشروع الاتفاقية الخاصة بانشاء اللجنة الاسلامية للهلال الدولي .

واتخذ قرارا حول اعتماد بيان" اسلام اباد" كوثيقة لتطبيق ما جاء بها في مجال الشريعة الاسلامية ، وقرر مجلس الوزراء الموافقة على الجدول الزمني بشأن البرنامج الدولي لحلول القرن الخامس عشر الهجري .

واوصى المؤتمر بتكوين لجنة افتاء من علماء المسلمين لبحث امكانية تحديد الاعياد وبدء شهر رمضان والاخذ به في البلاد التي تتقارب فيها المطالع ، والنظر في اصدار تقويم موحد للسنة الهجرية تشترك في اعداده لجنة من علماء الفلك والشريعة ، واوصى بتكوين لجنة للنظر في مشروع تعليم اللغة العربية والثقافة الاسلامية وتدعيم ذلك على المستوى العالمي .

الوعي الاسلامي :

اشارت اجهزة الاعلام التي غطت وقائع المؤتمر الى اقتراح تقدم به الرئيس الباكستاني ضياء الحق نادى فيه بتبني فكرة « الدفاع الجماعي وامن العالم

الاسلامي » وقال انه لا يقصد بالدفاع الجماعي ان توضع كل القوات المسلحة في الدول الاسلامية تحت قيادة عليا واحدة ولكن أن تعبىء هذه البلاد كل مواردها البشرية والمعدنية والزراعية والصناعية لمصلحة التقدم الجماعي لشعوب الدول الاسلامية .

وما احوجنا حقا الى مثل هذه الدعوة العظيمة والسهر على ابرازها الى حيز الوجود فالعالم الاسلامي غني بكل الثروات التي تجعله ـ لو استغلت ـ أعز أمم الأرض قاطبة ونعود سيرتنا الاولى فهل يلقي هذا الاقتراح نصيبه من العناية فنحن امة واحدة « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ليته يكون .

مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية

عقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية في اسلام اباد بالباكستان في رجب ١٤٠٠هـ الموافق مايو ١٩٨٠م ومثل الكويت في هذا المؤتمر سعادة الشيخ صباح الاحمد الجابر الصباح نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية وقد طالب في كلمة الكويت التي القاها في المؤتمر ، الدول الاسلامية بالسعي للخروج بوجهة نظر موضوعية وموحدة تجاه تلك القضايا المطروحة امام المؤتمر الحادي عشر وقال انه يتوجب على المؤتمر ان يرتقي باجراءاته وقراراته حيال قضية فلسطين ، والقضية الاسلامية الكبرى الى مستوى الادراك الجماعي لشعوب الامة الاسلامية .

وطالب بان تدعم الدول الاسلامية وبكل الوسائل دول المواجهة العربية التي تتحمل العبء الاعظم من تبعات المواجهة الاسلامية المشتركة للعدو الصهيوني فلن تستطيع الامة الاسلامية ان تواجه ايا من هذه التحديات ما لم نقف جميعا لمواجهتها .

وقال ان التدخل السوفياتي في افغانستان يمثل غمامة قاتمة في العلاقات مع الدول الاسلامية واذا ما رغب الاتحاد السوفياتي في ازالة تلك الغمامة فما عليه الا ان يبادر للاستجابة الى نداء الدول الاسلامية والمجتمع الدولي بالانسحاب من افغانستان حتى يتمكن شعبها المسلم من تقرير مستقبله السياسي بمحض ارادته وبدون اي تدخل اجنبي .

وبعد عودته الى ارض الوطن قال سيادته ان قضية فلسطين حظيت بالاهتمام الاول في المؤتمر كما كانت القدس محورا لعدد من القرارات العملية والاعلامية ، واشار الى ان البحث تناول الوضع في افغانستان وغيرها من القضايا ذات الاهتمام المشترك بين الدول الاسلامية ، واذا كان لي من تعليق فهو ان علينا جميعا مسئولية الالتزام بما يتخذ من قرارات والعمل على تنفيذها حتى يكون لجهودنا في هذا المؤتمر او غيره المعنى الحقيقي الذي ننشده جميعا والمتمثل في ترجمة مفهوم التضامن الاسلامي .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ــ الشويخ ــ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)

ليبيا : طرابلس ــ الشركة العامة للتوزيع والنشر .

المغرب : الدار البيضاء ــ الشركة الشريفة للتوزيع .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦)
الطائف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جدة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب:(١٠١١)

البحرين : دار الهلال .

قطر : دار الثقافة للتوزيع ــ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ــ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبي : مكتبة دبي .

الكويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ــ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	رمضان	يوليو	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
			فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الأحد	١	١٣	٨ ٣٤	١٠ ٧	٥ ٤	٨ ٣٨	١ ٣٠	٣ ٢٤	٥٧	١١٥٤	٣ ٢٨	٦ ٥٠	٨ ٢٠
الاثنين	٢	١٤	٣٥	٨	٤	٣٩	٣٠	٢٥	٥٨	٥٤	٢٨	٤٩	٢٠
الثلاثاء	٣	١٥	٣٦	٩	٥	٣٩	٣٠	٢٦	٥٨	٥٤	٢٨	٤٩	١٩
الأربعاء	٤	١٦	٣٧	١٠	٥	٤٠	٣٠	٢٦	٥٩	٥٤	٢٩	٤٩	١٩
الخميس	٥	١٧	٣٩	١١	٦	٤٠	٣٠	٢٧	٥٩	٥٤	٢٩	٤٨	١٨
الجمعة	٦	١٨	٤٠	١٢	٦	٤١	٢٩	٢٨	٥ ٠٠	٥٤	٢٩	٤٨	١٧
السبت	٧	١٩	٤١	١٣	٧	٤١	٢٩	٢٩	١	٥٤	٢٩	٤٨	١٧
الأحد	٨	٢٠	٤٢	١٤	٧	٤٢	٢٩	٢٩	١	٥٤	٢٩	٤٧	١٦
الاثنين	٩	٢١	٤٣	١٥	٨	٤٢	٢٩	٣٠	٢	٥٤	٢٩	٤٧	١٥
الثلاثاء	١٠	٢٢	٤٥	١٦	٨	٤٣	٢٩	٣١	٢	٥٤	٢٩	٤٦	١٤
الأربعاء	١١	٢٣	٤٦	١٧	٩	٤٤	٢٨	٣٢	٣	٥٤	٣٠	٤٦	١٣
الخميس	١٢	٢٤	٤٧	١٨	٩	٤٥	٢٨	٣٣	٣	٥٤	٣٠	٤٥	١٣
الجمعة	١٣	٢٥	٤٨	١٩	١٠	٤٥	٢٨	٣٣	٤	٥٤	٣٠	٤٥	١٢
السبت	١٤	٢٦	٥٠	٢١	١١	٤٦	٢٨	٣٤	٥	٥٤	٣٠	٤٤	١٢
الأحد	١٥	٢٧	٥٢	٢٢	١١	٤٧	٢٧	٣٥	٥	٥٤	٣٠	٤٣	١١
الاثنين	١٦	٢٨	٥٣	٢٣	١٢	٤٧	٢٧	٣٦	٦	٥٤	٣٠	٤٣	١٠
الثلاثاء	١٧	٢٩	٥٥	٢٤	١٢	٤٨	٢٦	٣٧	٦	٥٤	٣٠	٤٢	٩
الأربعاء	١٨	٣٠	٥٦	٢٥	١٣	٤٨	٢٦	٣٨	٧	٥٤	٣٠	٤٢	٨
الخميس	١٩	٣١	٥٧	٢٦	١٣	٤٩	٢٦	٣٨	٧	٥٤	٣٠	٤١	٧
الجمعة	٢٠	أغسطس	٥٩	٢٨	١٤	٥٠	٢٦	٣٩	٨	٥٤	٣٠	٤٠	٦
السبت	٢١	٢	٩ ١	٣٠	١٥	٥١	٢٦	٤٠	٩	٥٤	٣٠	٣٩	٥
الأحد	٢٢	٣	٢	٣١	١٦	٥١	٢٥	٤١	٩	٥٤	٣٠	٣٩	٤
الاثنين	٢٣	٤	٤	٣٢	١٦	٥٢	٢٥	٤٢	١٠	٥٤	٣٠	٣٨	٣
الثلاثاء	٢٤	٥	٦	٣٣	١٧	٥٣	٢٥	٤٣	١٠	٥٤	٣٠	٣٧	٢
الأربعاء	٢٥	٦	٧	٣٥	١٨	٥٤	٢٥	٤٣	١١	٥٤	٣٠	٣٦	١
الخميس	٢٦	٧	٩	٣٧	١٩	٥٤	٢٥	٤٤	١٢	٥٤	٢٩	٣٥	٠٠
الجمعة	٢٧	٨	١٠	٣٨	١٩	٥٥	٢٤	٤٥	١٢	٥٤	٢٩	٣٥	٥٩
السبت	٢٨	٩	١٢	٣٩	٢٠	٥٥	٢٤	٤٦	١٣	٥٤	٢٩	٣٤	٥٨
الأحد	٢٩	١٠	١٤	٤٠	٢٠	٥٦	٢٤	٤٧	١٣	٥٤	٢٩	٣٣	٥٧
الاثنين	٣٠	١١	١٦	٤٢	٢١	٥٧	٢٤	٤٨	١٤	٥٣	٢٩	٣٢	٥٦

طباعة مؤسسة دار السياسة - الكويت -

هدية العدد : براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٩٠ ○ شوال ١٤٠٠ هـ ○ اغسطس ١٩٨٠ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

مسجد الدولة بمدينة كوتا كينا بالو
ـ ولاية صباح ـ ماليزيا

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٩٠ ○ شوال ١٤٠٠ هـ ○ اغسطس ١٩٨٠ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصـدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة

الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمـن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



أعياد الاسلام

اتخاذ الأعياد أمر فطر عليه الانسان منذ عرف الاجتماع .. ولما هاجر رسول الله إلى المدينة وجد الأنصار يلعبون ويمرحون في يومين ، ورثوا عن آبائهم وأجدادهم اتخاذهما عيدين . فقال لهم : قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما : يوم الفطر ويوم الأضحى .. وهما يومان ارتبط بهما من أركان الاسلام ما جعلهما موضع الاكبار والاجلال . فعيد الفطر يتلو أداء ركن الصيام في شهر رمضان فهو أول يوم من شوال . وعيد الأضحى يكون يوم العاشر من ذي الحجة وهو اليوم التالي للوقوف بعرفة .

وقد بني الاسلام العيد على معاني المجد والقوة ، فجعل له صلاة جامعة ، يفتتح المسلمون بها يومهم ، ويتخذونها أساسا لعيدهم كي لا ينحرفوا بعيدا عن مرضاة الله ، وجعل له خطبة تذكر بمعانيه ، وتظهر ما يجب ان يكون عليه من شكر المنعم جل شأنه والخضوع لأوامره .

ولم يفت الاسلام وقد بنى العيد على معاني المجد والقوة ، أن ينظر إلى الجانب المادي في الانسان ، فيعطيه في يوم عيده الحق في التمتع باللهو المباح ، والغناء الحسن قضاء لحق الطبيعة البشرية ، في ترويض البدن والترويح عن النفس . وذلك من شعائر الدين التي شرعها الله في يوم العيد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ، ودخل أبو بكر فانتهرني وقال : مزمارة الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « دعهما » فلما غفل غمزتهما فخرجتا . وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب فاما سألت النبي وإما قال : « تشتهين تنظرين » ؟ فقلت : نعم . فأقامني وراءه ، خدي على خده ، وهو يقول : دونكم يا بني أرفدة (يعني الحبشة) حتى اذا مللت قال : (حسبك)؟ قلت : نعم . قال : فاذهبي . وورد عن

عائشة انه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : « لتعلم يهود المدينة أن في ديننا فسحة وأني بعثت بحنيفية سمحة » .

والعيد في الاسلام يجدد الصلة الاجتماعية بين المسلمين ، على أقوى معاني الحب والوفاء والتعاون والاخاء ، يتراحم فيه الأقرباء ويتواصل الاصدقاء ويتناسى أصحاب الاحن والخصومات أضغانهم فيجتمعون بعد افتراق ، ويتصافحون بعد انقباض ، ويذكرون بالبذل والعطاء حق الفقراء والمساكين ، لتشمل الفرحة بالعيد كل بيت .

والعيد يربط بين المسلمين في كل أقطار الأرض برباط فكري وروحي ، ولذلك كانت الفرحة فيه تمتزج لدى المؤمنين ، بالاهتمام البالغ بما يجري في الوطن الاسلامي الكبير من أحداث ونكبات ، وقمة الاهتمام ، هي التماسك ، والتعاون في الدفاع عن الأوطان والمعاونة الصادقة لجموع من المسلمين شتتها الظلم والطغيان ، فاذا هي في يوم العيد تشرق بالدمع ، وتكتوي بالنار ، وتفقد طعم الأمن والاستقرار .

العيد يذكرنا بأوطاننا الجريحة التي تئن تحت أقدام الغزاة المتوحشين ، ويذكرنا بشعوبنا التي يعمل التعصب الممقوت من الالحاد والصليبية والصهيونية على إبادتها .. وتذكير العيد في هذا السبيل دعوة الى الجهاد والتضحية بالنفس والمال ، لمساندة المكافحين حتى ينتصروا على الظلم والطغيان .

العيد الاسلامي لا يكون إلا لمن انتصر في ميدان الفضيلة ، وقد جعل الله عيد الفطر من كل عام ميقاتا لمنح جوائز الصائمين القائمين في رمضان ، وقد سماه النبي يوم الجائزة قال رسول الله : صلى الله عليه وسلم : اذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا : اغدوا يا معشر المسلمين الى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد امرتم بقيام الليل فقمتم ، وامرتم بصيام النهار فصمتم ، فاقبضوا جوائزكم فاذا صلوا نادي مناد : ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين الى رحالكم فهو يوم الجائزة » . رواه الطبراني في الكبير من رواية جابر الجعفي .

من الواجب على المسلمين ان يحفظوا حرمة العيد من العبث ، وان يعلموا أنه يوم يذكر بالحب في الله والتعاون في رضاه ، ويجدد العزم على الكفاح في سبيل الحق ، والجهاد في سبيل الاسلام والتآخي على طريق الايمان . فانهم بذلك يفيدون من العيد الفائدة التي شرع لتحقيقها ويكونون اهلا لما منحهم الله من فضل وما من به عليهم من نعم .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

نظرات قرآنية

الأمر بالمعروف

للدكتور/محمد رجب البيومي

(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهـون عن المنكر وأولئك هم المفلحـون) آل عمران/ ١٠٤

أوسع المفسرون كتاب الله عز وجل شرحا وتفسيرا ، فما تركوا ـ على ممر العصور ـ آية كريمة دون أن يفيضوا في تحليلها ، وأن يذكروا كل احتمال في تأويلها ، وقد تتعدد الآراء في الآية الواحدة ، إذ يفتح الله على مفسر بغير ما يفتح به على مفسر آخر من التأويل ، ولكل دليله الناهض ، وتبريره المرجح ، وهذا من تيسير الله للذكر ، إذ هيأ من يشرحه على شتى احتمالاته ، وسبيلنا اليوم إذا أردنا أن نفسر آية كريمة أن نذكر ما قيل في شرحها من وجوه ، وأن نختار ما نميل إليه من التوجيه ، بأدلة توجب هذا الاختيار ، على الا نغفل رأي المخالف بل نذكره دون تجريح أو تشهير ، لأن طلب الحقيقة في ذاتها يدعو إلى الجدال العاقل والمناقشة بالتي هي أحسن .

وقد قرأت قريبا تفسيرا لقول الله عز وجل : **(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)** فوجدت صاحبه ينقل أحد الرأيين في الآية ، وينسبه للامام الزمخشري ويذكر أدلته الظاهرة في تأييده ، ثم يذكر الرأي الآخر لائما منددا محقرا ، ويذكر أصحابه بالتجريح مع أنهم أئمة فضلاء ، وقد خالف الكاتب وجه الحق في موضعين : **الأول :** أنه حين نسب رأيه للزمخشري أوهم القارئ أن

صاحب الكشاف لم يذكر غيره ، مع أن الزمخشري ذكر الرأيين معا ولم يرجح أحدهما على الآخر إلا بما يستشفه صاحب الذوق الفني من خلال السطور ، وهو استشفاف ذاتي لا يعدم من يستشف سواه لانطباع آخر ، لأن العبارة غير حاسمة ، **والموضع الثاني** : أنه حين خالف رأي غيره لم يذكر دليله ثم يكر عليه بالتوهين ، بل اكتفى بالخطابية السيالة في عبارات إن جازت في خطابة العامة فلا تجوز في مجال الكتابة التحليلية ، والدرس البصير ، وهأنذا أناقش الرأي لاصاحبه ، ومن عادتي أن أغفل اسمه حين ألجأ إلى تخطئته ، كيلا يتوهم أحد أننا نقصد التخطئة لنكشف صاحبها ، مع أننا جميعا طلاب حقيقة دون نزاع !

لقد تعرض الزمخشري لقول الله عز وجل : **(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)** فقال رحمه الله :

(ولتكن منكم أمة) من للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ، ولأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر ، وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته ، وكيف يباشره فان الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر ، وقد يغلظ في موضع اللين ، ويلين في موضع الغلظ ، وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تماديا ، أو على ، من الانكار عليه عبث ، كالانكار على أصحاب المآصر ، والجلادين ، وأضرابهم ، وقيل : **من للتبيين** بمعنى وكونوا أمة تأمرون كقوله تعالى : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس)** آل عمران/١١٠ .

هذا ما قاله الزمخشري بنصه ، فقد ذكر الرأيين معا ، ثم أتى بعد ذلك بأمثلة ورد عليها ، فدل على أنه لا يرجح أحد الرأين على الآخر ، ولكن الكاتب الفاضل قد أغفل رأيه الثاني ومضى في تجريح قائليه وكأنهم ليسوا أئمة من كبار المفسرين بل كأنهم طلبة يتخبطون مبتدئين ، مع أنهم أشبعوا رأيهم تأييدا وتدليلا وجاءوا بما يشفى صدور الباحثين ، ونستطيع أن نقدم خلاصة للباب ما قالوه في هذه النقاط .

أولا : قال الله تبارك وتعالى في سورة العصر : **(والعصر . إن الانسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)** سورة العصر ، فجعل التواصي بالحق وهو الأمر بالمعروف سبيل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جميعا ، ولم ينص على فريق دون فريق .

ثانيا : قال تعالى : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** فجعل الخطاب للمؤمنين جميعا ، ولم ينص على فريق دون فريق ، وانن فقد كانوا خير أمة لأنهم جميعا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله .

ثالثا : قال الله تبارك وتعالى متحدثا

عن بني إسرائيل : **(لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)** المائدة/٧٨ و٧٩ .

فحقت عليهم اللعنة – وهي عقوبة شديدة حاصلها الطرد من رحمة الله والبعد عن غفرانه ، اذ كانوا يرون المنكر ذائعا شائعا ثم لا يتناهون عما يفعلون من المناكر فلعنوا على لسان داود وعلي لسان عيسى ابن مريم ، وقد روى أبو داود عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أول ما دخل النقص على بني اسرائيل ، أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول له : ياهذا ، اتق الله ، ولا تصنع الشر ، فانه لا يحل لك ، ثم يلقاه في غد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله أو شريبه أو قعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم تلا رسول الله قول الله عز وجل : **(لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)** وكان رسول الله متكئا فجلس ثم قال : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد المسئ ولتأطرنه على الحق أطرا ، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض أو ليلعنكم كما لعنهم » .

ومع هذه الآيات وأمثالها طائفة من الأحاديث الصحيحة مثل ما روى البخاري عن النعمان بن بشر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

أ – « مثل القائم على حدود الله ، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأخذ كل واحد منهم نصيبا ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء يمرون به على الذين في أعلاها فتأذوا ، فقال الذين في أسفلها : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فأخذ أحدهم فأسا ، فجعل ينقر أسفل السفينة ، فأتوه ، فقالوا : مالك قال : تأذيتم بي ، ولابد لي من الماء ، فان أخذوا على يديه ومنعوه أنجوه ، ونجوا أنفسهم ، وان تركوه هلك وهلكوا » .

ب – روى مسلم وغيره من أصحاب السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى منكم منكرا ، فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » .

جـ – روى أصحاب السنن عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال في خطبة خطبها : أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية ، وتؤولونها على خلاف تأويلها : **(ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)** المائدة/١٠٥ . واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من قوم عملوا بالمعاصي ، وفيهم من يقدر على أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » .

هذه ثلاث آيات ، وهذه ثلاثة أحاديث ، وللآيات والأحاديث نظائر

كثيرة يضيق المجال عن سردها وفيها مقنع أي مقنع لمن يجعلون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمرا عاما ، فهم ليسوا بأدعياء في العلم كما حاول الكاتب أن يصمهم في استعلاء لا داعي له .

ولنا أن نكر على ما قاله الزمخشري خاصا بالرأي المخالف فنقول :

إن قول صاحب الكشاف انه لا يصلح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا من علم المعروف والمنكر وكيف يرتب الأمر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر ! هذا القول يدل على أننا نريد من كل مسلم أن يلي الفتوى أو القضاء أو الحسبة ! حتى نشترط هذه الاشتراطات ، ولكن المسألة لا تخرج عن الأمور العامة التي يعرفها كل مسلم ، فالحلال بين والحرام بين ، وكل مسلم يعرف أن الله أمره بواجبات عليه أداؤها ، ونهاه عن محرمات عليه اجتنابها ، هذه الواجبات المسلمة ، وتلك المحرمات المشتهرة هي مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل انسان ، وإذا كان على كل مسلم أن يعلم ما أحل الله وما حرم في أمور دنياه فقد وجب النهي عن المنكر والأمر بالمعروف .

ولنا أن نشير إلى ما فهمه بعض السذج من حديث « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه » حيث فهم ان الانكار القلبي لدى غير المستطيع في الحالة الثالثة هو الاكتفاء بالسكوت الظاهري ، ولكن المراد غير ذلك إذ على المنكر بقلبه ان يشيح عن مجالس العصاة ، وأن يظهر الضيق النفسي لمن يحادثونه عن مخازيهم ، فاذا أجمع الناس على مقاطعتهم ، ونظروا فوجدوا السخط الصامت ، والغضب النافر أدركوا ما وراء الصمت من استنكار ، وعلموا أن عدم الاستطاعة وحدها من الأشياء التي حالت دون المجابهة ، واذ ذاك يضطرون الى ارضاء المجتمع ، إذ لا حياة سعيدة لهم بدونه ، أما لو كان معنى الانكار القلبي مجرد الصمت مع المخالطة والمعاشرة والمهاشة والترحيب فلا قيمة اذن له ، وهذا بعض ما يفهم من قول الله عز وجل : **(وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين)** ٦٨/الانعام .

هذا لباب ما يمكن أن أوجزه في هذا النطاق ، ولعل الذين يكلفون باستعراض وجهات خاصة من شتى الجهات المختلفة في تفسير الآية الواحدة أن يعلموا أن القارىء ذو حق صريح في أن يستكمل معرفته التامة لما يطالع من المسائل ، وأنه لا يجوز أن نكتم شيئا ونظهر شيئا آخر ، وكلنا طلاب حقيقة ، فلا علينا إذا كان ما نخالفه من الرأي يجد تأييده عند غيرنا ، بل علينا أن نساعد على جلاء الحقيقة بالنظر إلى شتى الزوايا المتقابلات .



لغة المخلوقات

للدكتور/احمد شوقي ابراهيم

اللغة وسيلة الاتصال بأى صورة من الصور بين الأفراد في مجتمعهم . ولا يحيط بعدد اللغات وأنواعها في المخلوقات كلها إلا الله تعالى ، وعلى قدر ما أوتينا من علم قليل ، وعلى حدود تصوراتنا على ضوء الحقائق العلمية الحديثة نستطيع أن نقول : إن كل نوع من المخلوقات له

لغته الخاصة .

والشفرة الوراثية ــ وهي تدخل في هذه اللغات ــ توجد داخل خلايا المخلوقات الحية جميعا .. ويطول الحديث عنها .. ويطول الشرح فيها .. ولا يهتم بذلك إلا المتخصصون .. ويكفي أن نعلم أنها نظام بالغ الدقة والاحكام بدرجة تدهش العقل الانساني .. من شأنه نقل الصفات الوراثية من جيل إلى جيل ... وبذلك يحتفظ كل نوع من الخلق بصفاته الثابتة دائما ..

فأصل النوع في المخلوقات ثابت مع تنوع في الوظيفة وتطور في الشكل الخارجي .. فلا تبديل ولا تغيير في أنواع الخلق .. ولا اختلاف ولا تفاوت في خلق الله تعالى .. مصداق قوله تعالى في سورة الملك/٣ : **(الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت)** وقوله تعالى في سورة الروم/٣٠ : **(فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله)** .

وقوله تعالى في سورة فاطر/٤٣ :**(فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)** .

وبواسطة لغة الشفرة الوراثية .. نشأ كل نوع من الخلق من أصل واحد .. ومن نفس واحدة .. تلك حقيقة جهلها علماء التطور في القرن الماضي .. وأعرضوا عنها وعارضوها .. معتمدين فيما زعموه على مشاهدات ونظريات دون أى حقيقة علمية .. ودون أى دليل علمي أكيد .. وقد خطأتهم الحقائق العلمية الحديثة في علم الوراثة ، وأكدت أن ما جاء به القرآن منذ أربعة عشر قرنا كان صدقا وحقا .. ونقرأ في سورة الانعام/٩٨ قوله تعالى :**(وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون)**

وعلى ضوء الحقائق العلمية في زمننا الحاضر نعلم أن لكل نوع من الخلق لغات خصه خالقه بها لتكون وسيلة للاتصال بأفراد مجتمعه .

ونعلم أن اللغات متعددة الأشكال والأنواع .. وهذه آية من آيات الله تعالى في خلقه .. واللغة في النوع الواحد تتنوع أيضا .. فلكل نوع من المخلوقات لغات شتى .. واختلاف الالوان واللغات في النوع الواحد آية من آيات الله في خلقه مصداق قوله تعالى في سورة الروم/٢٢ : **(ومن آياته خلق السماوات والأرض**

واختلاف ألسنتكم وألوانكم) .

وقد أكدت الدراسات العلمية حديثا أن لكل من الحيوانات والطيور والحشرات والأسماك وغيرها .. لغة مميزة لكل أمة من أممها .. مثل لغات البشر تماما .. فالله تعالى أنطق كل خلق من مخلوقاته كما في قوله تعالى في سورة فصلت / ٢١ : **(وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء)** .

وتعتمد لغات المخلوقات على اختلافها .. على طرق متعددة .. فهي إما عن طريق الكلمة كما في الانسان .. أو بطريق الحركة والصوت كما في الانسان وغيره من المخلوقات .. أو على الرائحة المميزة او اللمس أو الضوء أو اللون أو على وسائل أخرى لا يعلمها إلا الخالق تبارك وتعالى .

وكثير من الطيور والحيوانات كالخيل والكلاب وغيرها تتفاهم عن طريق الصوت والحركة .. ولغة النحل هي بطريق الرقص الدائري الاهتزازي في نظام معين .. ولكل رقصة دلالة ومعنى .. وللنمل لغة تعتمد على الحركة وعلى وسائل أخرى لا يعلمها إلا الله تعالى .

وكثير من الحيوانات والطيور والأسماك تصدر أصواتا ذات طبقة واحدة تتفاهم بها مع بعضها البعض .. وهي أشبه بلغة قرع الطبول عند بعض القبائل البدائية .

ولم يكن الانسان يعلم عن لغات الطير والحشرات والحيوانات شيئا إلا في العصر الحديث .. بل كان القدامى ينكرون وجودها .. ولكن القرآن ذكر هذه الحقيقة العلمية قبل أن يعرفها البشر بقرون عديدة .. وذلك على لسان سليمان في سورة النمل / ١٦ في قوله تعالى :

(وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء) .

وفي سياق الحديث عن سليمان في سورة النمل / ٢٠ يقول تبارك وتعالى :

(وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) .

وعلى لسان الهدهد تقول الآية الكريمة في سورة النمل / ٢٢ :

(فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين) .

أما لغة النمل فلم تعرف لنا إلا حديثا ... ولكن القرآن بين لنا هذه الحقيقة في الحديث عن سليمان في سورة النمل/١٨ ، ١٩ في قوله تعالى : **(قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فتبسم ضاحكا من قولها)** .

والجن أيضا له لغة خاصة به .. لكل أمة من أممه لغة .. مثله مثل الانسان والمخلوقات الأخرى .. ونقرأ في أول سورة الجن قوله تعالى :

(قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدي إلى الرشد فآمنا به) .

ونحن لا نحيط بأنواع اللغات وأعدادها في مخلوقات الله .. وهو سبحانه وحده الذي يحيط بكل ذلك

علمـا .. كقولـه تعـالى في سورة الأعراف/٨٩ : **(وسع ربنـا كل شيء علما)** .. وفي سورة طه/٩٨ يقول تعالى : **(إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما)** وفي سورة الطلاق/١٢ يقول تبارك وتعالى :

(الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمـر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) .

فالله وحده هو الذي يعلم لغات مخلوقاته .. فهو الذي خلقها .. فهو رب العالمين .. وقد جاء ذلك في القرآن متضمنا أن هذه اللغات في المخلوقات جميعا هي تسبيح لله سبحانه وذلك في سورة الاسراء/٤٤ في قوله تعالى :

(تسبـح لـه السمـوات السبـع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهـون تسبيحهم) .

وهكذا بين لنـا القـرآن لغـات المخلوقات قبل أن تكتشفها علومنا في حدودنا الضيقة ، وبين لنا أيضـا هدفها وهو التسبيح لله تعالى ..

وقد يدعى بعض العلماء أنه رأي أو سمـع بعض هذه اللغـات بالآلات الحديثـة في بعض الحيوانـات أو الحشرات أو الأسماك .. وأنه درس العديد من لغات الطيور وغيرها .. ولكن إذا سألناه هل تفهم لهذه اللغات معنى كاملا .. لقال : لا .. إنني لا افهم معنى لكل ما أرى وأسمع من هذه اللغات لذلك تقول الآية الكريمة :

(ولكن لا تفقهون تسبيحهم) .

ولما كانت الكهارب تطوف حول النواة في الذرة كما تطوف الكواكب حول الشـمس .. وكمـا تطـوف الشموس حول المجرة .. وكما تطوف المجرات حول مركز الكون .. وكما يطـوف الحجيـج حول الكعبـة المشرفة .. فالطواف لغة : التسبيح لله تعالى .. فالكون كله يسبح بحمد خالقه تبارك وتعالى كقوله تعـالى :

(تسبح لـه السمـاوات السبـع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده) .

ولما كانت كل مادة في الكون مكونة من ذرات تنبض بالتسبيح لخالقها تعالى فالكون كله إذن في حركة دائمة في تسبيح وحمد وسجود لله عز وجل فكل حبة رمل .. وكل حصـاة .. وشجرة .. وكل إنسـان وحيـوان وحشرة وكل جبل ونهر .. بل وكل قطرة ماء .. كلها تتجه لله تعـالى سجودا وتسبيحا إنها حقيقة كبيرة استطاعت علومنا الحديثة أن تعيننا على فهمها .. وقد جاء ذكرهـا في القرآن في سورة الحج/١٨ في قوله تعالى :

(ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس) .

تلك هي اللغات في مخلوقات الله .. بينها القرآن وبين آهدافها وبين حدود علم البشر لها وفهمه المحدود لها .. وذلك قبل أن يعرف العلم البشري شيئا عن كل ذلك بقرون وقرون .



حرص الإسلام على تكوين الشخصية الاستقلالية وحمايته لها

للاستاذ السعيد الشرباصي

يهدف الاسلام الحنيف الى إيجاد الانسان الكامل من جميع الأبعاد وفي كل الاتجاهات ، والناظر إلى الدعوة الاسلامية نظرة مجردة فاحصة يشعر بحرصها البالغ على تكوين الشخصية وتنمية الذات المستقلة قبل أن تتحمل هذه الدعوة ، وقبل أن تتلقى أصولها ومبادئها . وهي بذلك تدرك من البداية أنه لا فائدة من الانسان المتحلل ، الذي يكون تبعا لغيره ، ونيلا لسواه .

ولهذا كان أول توجيه صدر عن الوحي إلى الرسول الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) العلق / ١ ــ ٥ .

والقراءة هي مفتاح الثقافة ، والثقافة هي ثمرة العلم ، وبالعلم والمعرفة والثقافة تتكون الشخصية الانسانية وتتحدد صفاتها ، وتتعمق أهدافها .

وبعد أن يعطي الاسلام الانسان المفتاح إلى المعرفة وهو القراءة ، يدفعه بقوة نحو العلم ويوقظ حواسه إلى النظر ، وينبه ضميره الى اليقظة ، ويحرك فكره إلى التأمل والتدبر .

ثم ينتقل به من مرحلة القراءة ومرحلة العلم ومرحلة التدبر والتأمل الى مرحلة التجرد . ولهذا يدعوه إلى التفكير البعيد عن المألوف والموروث ، ولا يجعل سبيل فكره ماضيا في طريق المحاكاة وخطة التقليد لما كان عليه الأولون أو لما تلقاه عن الآباء والأجداد ، أو لما تعارف عليه الناس وآمنوا به وألفوه وقد عاب القرآن الحكيم على الأمم السابقة ما وقعوا فيه من هذا البلاء . وأشار إلى ذلك في غير موضع . ومن ذلك قوله في حق أتباع شعيب عليه الصلاة والسلام الذين ناقشوا رسولهم على أساس نظرية متابعة الآباء فقالوا له .

(**أصلاتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء**) هود / ٨٧ كما استنكر القرآن نظرية الاستمرار التي جادل قوم هود نبيهم عليها فقالوا له :

(**وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين**) هود / ٥٣ .

ومن العلم الأصيل ومن النظر البصير ومن التجرد الصادق تتكون الشخصية المستعدة للوصول إلى الحقيقة وللسير نحو الهدف ، لأن العلم هو القائد المرشد ، والتجرد هو الضمان للوصول ، وبدون هذه

العناصر الأساسية الثلاثة لا حقيقة ولا وصـــول إلى حق ـ وبتوجيــــا الاسلام للانسان إلى هذه النقـــاط يكون الاسلام أدى واجبه نحو حرية البحث وحرية التفكير وصدق الرؤية وصحة النتائج .

ولكننا نحني الرءوس احترامـــا وإجلالا لهذه الدعوة لأنها لم تقف بالانسان عند هذا الحد ، ولم تكتف بهذه المبادئ .. بل إنهـــا لتـــذكره بالاستقلال الذاتي في كل اتجـــاه ، وتهزه في عنف وقوة ليكون شخصا قائما بنفسه لا يصدر تفكيره إلا من رأسه ولا يأتي فعله الا من عقله فلا يكون تبعا لعظيم أو لكبير أو لحقير أو لصغير ، ولا يكون إمعة لمجتمع أو لبيئة ولا لجماعة أو لحالة .. وإنما يكون جبهة مستقلة وفي ذلك يقول رسول الاسلام العظيم محمد عليه الصلاة والسلام ..

« لا يكن أحدكم إمعة يقول : إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تحسنوا . البخاري

ثـــم يمضي الاســـلام في صنـــع الشخصيـــة الاستقلاليـــة للانســـان فينقلهـــا من الايجـــاب إلى الدفـــع والمقاومة فيقر مبدأ جديدا لحمايـــة الاستقلال الذاتي للانسان حيث يقول الرسول عليه الصلاة والسلام ـ « لا طاعة لمن لم يطع الله » رواه احمد فليس لقوة في الأرض أن تفرض عليك الدخول معها في معصيـــة ، سواء بالتعاون معها او بالمشاركة لها فيما ترتكب من انحراف عن جادة الحق وسواء السبيل ، وليس من حقك أن تضعف أمامها فتنساق لندائها أو لتهديدها أو لاغرائها فتقع فيما لا يصح أو لا يرضى عنه الله ، بل عليك بعد اتخاذ نهج مستقل لحياتك يقوم على الحق والعدل والانصاف أن تقف مدافعا عنه ، وألا تستجيب لأية قوة تحـــاول الاعتـــداء على شخصيتـــك وكيانك ، وقد تكون نظرة الاسلام إلى الخطأ الذي يرتكبه الأنسان رغبة أو ثورة أو انحرافا أو ضلالا أرحـــم وأشفق من نظرته الى الشخص الذي يرتكبه استجابة لنداء خارجي من عظيم أو كبير أو من رئيس أو قوي .

ويصل الاسلام الى قمة الاستقلال الذاتي للانسان حينمـــا يصـــل إلى ساعة الاحتكام على دعوته بالذات فلا يمليها على الانسان ولا يفرضها ، وإنما يعطي الضمان العريض لحرية الانسان فيقرر الاســـلام بصراحـــة كاملة :

(لا إكراه في الدين) البقرة /٢٥٦
(لـــكم دينـــكم ولي ديـــن) الكافرون /٦ .

وإذا كان الداعون للمسيحية أو لغيرهـــا من معتقـــدات مذهبيـــة أو سياسية يلجأون إلى اتخاذ وسائل خفية لنشر ما يدعون إليه ، مثـــل اصطياد اليتامى وإيوائهم في الملاجئ التي ينشئونها ، أو اصطياد الاطفال الذيـــن لا مكان لهـــم في المدارس ليدخلوهم إلى مدارسهم التي تنفق عليها الدول التـــي تساعـــد هؤلاء المبشرين بسخاء ، أو تلجأ إلى افتتاح

المستشفيات لاصطياد المرضى الذين لا يجدون الطعام ولا العلاج ، ثم يجدون في هذه الوسائل الطريقة الملتوية لنشر دعواتهم عن طريق الخداع والاغراء وبالخفاء أو بالسلطة والمال ، فان الاسلام لم يفعل ذلك أبدا . ولكنه دائما وفي جميع العصور كتاب منشور ، ودعوة مفتوحة وإخاء صادق مبذول يقدم للانسانية في كل مكان ، فاذا بها تتدافع نحوه مؤمنة ملبية ومستجيبة بلا تحايل وبدون إغراء أو خداع .. شاعرة بأن ما تفعله إنما تفعله عن طواعية ورضاء وقبول ، وبكامل حريتها ، واستقلال شخصيتها .

ولهذا لا يحس المسلم عندما يدخل إلى الاسلام أنه خدع أو أنه وقع تحت تأثير ، وإنما يحس أنه تقدم راغبا وأنه كسب به ولم يخسر شيئا من ذاته ولا كيانه ، بل أضاف إلى خصائصه عقيدة صافية ، وإشراقا نفسيا أصيلا ، وأخوة صادقة .

ويصل الاسلام في حماية الشخصية الانسانية إلى مستوى رفيع لا يدانيه تشريع ولا يماثله قانون . وإنه ليحرم العدوان بالفكر على الغير ، فيحرم اقتحام منزله وجميع اختصاصاته المستورة كما يحرم التشهير به ، ولهذا يحرم الاسلام الظن السيء ، ويحرم التجسس ويحرم الغيبة وفي ذلك يقول القرآن الكريم :

(يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا) الحجرات / ١٢

ويقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ، وكونوا عباد الله إخوانا » رواه البخاري .

وبذلك حمى الاسلام « السيرة الشخصية » للانسان ، فهو لا يعاقب على الجرائم المستورة التي لم يبد صاحبها صفحته للمجتمع : وقد ورد في هذا الشأن قوله عليه الصلاة والسلام : « أيها الناس من أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله ، ومن أبدى صفحته أقمنا عليه الحد » الموطأ . لقد أقر الاسلام من مئات السنين ـ والعالم يغمره الظلام والعدوان والجور والاستبداد ـ ما تدعيه الحضارة المعاصرة وتفاخر به مما يسمونه « بالحقوق الشخصية » للانسان ، وذلك امتداد لاستقلال الشخصية والحفاظ عليها .

وبهذه المبادئ الواضحة والأصيلة يضع الاسلام الضمانات الصحيحة والصادقة لاستقلال الذات الانسانية ، وحماية اختصاصاتها ، محققا الغاية التي يهدف إليها من تكريم الانسان وإعزازه . وصدق الله العظيم : **(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)** الاسراء / ٧٠ . وكما كرم الاسلام الانسان وحمى شخصيته واستقلالها فقد منح العقل قدره ، وأعطاه منزلته .



مع إنجيل برنابا

الدين كله لله ودين الله واحد **(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب)** الشوري/١٣

نؤمن بصحف ابراهيم ، وبالزبور الذي أنزل على داود ، وبالتوراة الذي أنزل على موسى ، وبالانجيل الذي أنزل على عيسى ابن مريم . ويتداول النصارى اليوم أربعة أناجيل يؤمنون بها هي أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا . وليس بين هذه الاناجيل جميعا الانجيل الذي ذكر القرآن أنه أنزل على عيسى ابن مريم عليه السلام ، فهي جميعا منسوب كتابتها الى تلاميذ المسيح يروون فيها سيرته ومواعظه من مولده الى حكاية صلبه ثم رفعه ، فاذا أردنا قياسها على ما عند المسلمين فهي لا تقاس على القرآن الكريم وإنما تقاس على كتب السيرة .

هذه الأناجيل الأربعة وإن اتفقت مع القرآن الكريم في وجود الخالق وفي الأمر بمكارم الأخلاق والنهي عن المنكر ، وفي تقرير الايمان بالبعث والدينونة والجزاء وهي أصوليات جوهرية ، فقد اختلفت معه في أساسيات ذات أهمية بالغة .

للاستاذ أحمد عادل كمال

١ ــ تنص هذه الأناجيل أن المسيح عليه السلام قد صلب ، وينفي القرآن الكريم ذلك نفيا باتا بقوله : **(وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم)** النساء/١٥٧ .

٢ ــ وتغفل الأناجيل التبشير بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في حين ينكر القرآن الكريم على لسان المسيح عليه السلام : **(ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد)** الصف/٦

٣ ــ وتفسح الأناجيل القول بألوهية المسيح بصورة أو بأخرى مثل قولها : إنه ابن الله ، خلافا لما يؤكده القرآن في إصرار **(قل هو الله احد الله الصمد . لم يلد ولم يولد.ولم يكن له كفوا احد)** الاخلاص/ ١ ــ ٤ .

وهذه نقاط ليست قليلة الأهمية في العقيدة ، فان صلب المسيح يتصل عند المسيحيين بعقيدة الخلاص ، وهي أن المسيح بصفته الآلهية قد جاء الى الارض ليتعذب بهذا الصلب فيمسح عن البشر الخطيئة الأولى الموروثة بعصيان آدم ربه في الجنة ، والقرآن الكريم يقرر أن لا تزر وازرة وزر أخرى . وإغفال البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم تسلم الى عدم إيمان النصارى برسالة الاسلام .

هذه النقاط يتفق إنجيل برنابا فيها مع عقائد المسلمين . ولكن إنجيل برنابا ــ ولذات السبب ــ غير معترف به لدى المسيحيين اليوم ومنذ أصدر البابا جلاسيوس الأول الذي اعتلى كرسي البابوية عام ٤٩٢ م أمرا بالكتب المنهى عن مطالعتها ومن بينها إنجيل برنابا ، ومنذ ذلك الامر اعتبر انجيل برنابا كتابا مصادرا لا يحل للنصاري اقتناؤه أو مطالعته . واذا كان ذلك الانجيل شائعا في عصر جلاسيوس فلا ريب أن ذلك الشيوع بدأ يتقلص ، ولابد أن من كان عنده نسخة منه من المسيحيين المطيعين لأمر الكنيسة قد بدأوا يتخلصون منه ومن لعنة اقتنائه باحراقه أو بأي وسيلة أخرى حتى انقرض واندثر . الى أن كان راهب لاتيني يدعى « فرامينو » مقرب الى البابا سكتس الخامس الذي عاش في أواخر القرن السادس عشر . دخل الراهب مع البابا مكتبته ، وغفا البابا بعض الوقت وأراد الراهب مرينو أن يمضي الوقت بالمطالعة في كتب المكتبة حتى يستيقظ البابا فكان أول كتاب وضع يده عليه هو نسخة باللغة الايطالية من إنجيل برنابا . كان الراهب قد اطلع سابقا على رسائل لايرينابوس منها رسالة يندد فيها بالقديس بولس

الرسول ويسند هدا التنديد الى إنجيل برنابا ، فمنذ نلك الحين كان الراهب شغوفا بالعثـور على هذا الانجيـل المندثر ، فلما وجده في مكتبة البابا سكتس الخامس طار من الفرح وخبأه في ثيابه ، فلمـا استيقـظ البابـا استأذ نه الراهب وانصرف بضالته المنشودة ثم راح يطالعه في نهم ، واعتنق الاسلام على الأثر .

وقد كتب الراهب فرا مرينو قصـة عثوره على الانجيل هذه ودون نلك في مقدمة النسخة الاسبانيـة لانجيـل برنابا على ما نكر المستشرق سايل في مقدمته لترجمة القرآن الكريم . وكان دكتور هلم من بلـدة هدلي باقليـم همبشير قد أقرض هذه النسخة الى المستشرق المشهور سايل ثم تناولها بعده دكتور منكهوس عضو كلية الملكة في اكسفورد فترجمها الى الانجليزية ثم سلم الأصل والترجمة معـا الى د. هوايت عام ١٧٨٤ ثم اختفت بعد نلك فلا أحد يعرف أين ذهبت . الا أن معاداة الكنيسة لهذا الانجيل قد يقوم مبررا لعودة اختفاء أي نسخة قديمة منه . وقد جاء في صفة هذه النسخة أنها قديمة الى درجة طمست آثارها ودرست رسومها . ولقد نكر دكتور هوايت هذه النسخة واستشهد ببعض عباراتها في محاضرة ألقاها على بعض الطلبة . ويؤخذ مما علق به سايل على هذه النسخة الاسبانية أنه مدون في صدرها أنها مترجمة عن الايطالية بقلم مسلم أورغاني اسمه « مصطفى العرندي » ومصدرة بمقدمة ينكر فيها الراهب فرا مرينو قصة اكتشافـه النسخة الايطاليـة . هذه نسخـة إسبانية ظهرت ثم اختفت .

أما النسخة القديمة الوحيدة المعروفة حاليا فهي نسخة إيطالية في مكتبة بلاط فيينا تعتبر من أنفس النخائر والآثار التاريخية وتقع في مائتـين وخمس وعشرين صحيفة سميـكة ، عثر عليها عام ١٧٠٩ كريمر تولند احد مستشاري ملك بروسيا ، كان يقيم في امستردام فأخذها من مكتبة أحد مشاهير ووجهاء المدينـة ــ لم يفصـح عن شخصيتـه ــ وكان صاحبها قد اقرضها له ، ثم أهداها عام ١٧١٣ الى البرنس « ايوجـين سافوي » ثم انتقلت ضمن سائـر مكتبة البرنس الى مكتبة البلاط الملكي بفيينا حيث ما زالت .

وبهامش هذه النسخـة الايطاليـة تعليقات عربية ، يقول سيف اللـه احمد فاضل محقق الطبعة العربية .. بعضها صحيح العبارة محكم الوضع لعب فيه قلم الناسخ كل ملعب من مسخ وتصحيف ، والبعض الاخـر سقيم التركيب من أصله لا تكاد تفقه لبعضه معنى إلا بكد الذهن ولا تفقه لبعضه معنى بالمرة ..

ولقد انتهى الخبراء الثقات النيـن فحصوا النسخة أن ناسخهـا من أهالي البندقية في القرن السادس عشر أو أوائل السابع عشر أو حوالي عام ١٥٧٥ ، ويرجح انـه أخذهـا عن نسخة طسكانية ، وهذا ما انتهى اليه لوندال ولوراراغ بعد أن رجعا الى أعظـم الثقـات الايطاليـين الأخصائيين ، وأن من المحتمل أن

يكون ناسخ هذه النسخة هو الراهب فرامرينو ذاته ، ومهما كان الأمر فهي بقلم رجل له المام عجيب بالتوراة اللاتينية ضليع في الزبور ، معرفته بالاسفار المسيحية تفوق كثيراً اطلاعه على الكتب الاسلامية ، وعلى ذلك فقد رجح هؤلاء الخبراء ان ناسخها مرتد عن النصرانية .

هذا وقد زعم بعضهم ان انجيل برنابا مترجم عن اصل عربي ، قال دكتور هوايت عام ١٧٨٤ إن الأصل العربي لانجيل برنابا لا يزال موجودا في الشرق ! ومن الواضح أنه زعم أريد به التشويش على عقليات النصارى لصرفهم عن النظر في إنجيل برنابا بعين الجد . وقبل ذلك بنصف قرن قال المستشرق سايل « إن عند المسلمين إنجيلا عربياً ينسبونه الى القديس برنابا ، وفيه يروي تاريخ يسوع المسيح على أسلوب يباين كل المباينة الأناجيل الصحيحة وينطبق على التقاليد التى جرى عليها محمد في قرآنه » . وغنى عن الذكر أنه لم يعثر قط على أي نسخة عربية قديمة لانجيل برنابا ولا أشار اليه أحد قط في كتابات المسلمين السابقة . وقد دحض مرجليوث شبهة وجود أصل عربي لهذا الانجيل .

ويدلى خليل سعادة مترجم انجيل برنابا من الانجليزية الى العربية ـ ١٩٠٨ ـ بدلوه في هذه المشكلة التي بدت لهم غاية في التعقيد فيقول : الذي أذهب اليه أن الكاتب يهودي أندلسي اعتنق الدين الاسلامي بعد تنصره واطلاعه على أناجيل النصارى ، وعندي أن هذا الحل هو الأقرب الى الصواب من غيره ، لأنك إذا أعملت النظر في هذا الانجيل وجدت لكاتبه الماماً عجيباً بأسفار العهد القديم لا تكاد تجد له مثيلا بين طوائف النصارى إلا في أفراد قليلين من الأخصائيين الذين جعلوا حياتهم وقفاً على الدين كالمفسرين حتى ليندر أن يكون بين هؤلاء أيضاً من له المام بالتوراة يقرب من المام كاتب إنجيل برنابا . والمعروف أن كثيرين من يهود الأندلس كانوا يتضلعون من العربية ولقد نبغ بينهم من كان له في الأدب والشعر القدح المعلى فيكون مثلهم في الاطلاع على القرآن والأحاديث النبوية مثل العرب أنفسهم .. ثم عاد يقول : وسواء كان كاتب الانجيل يهودي الأصل أو نصرانيه فمما لا شبهة فيه أنه كان مسلماً .. (أ.هـ)

والثقات مجمعون على أن هذه النسخة من إنجيل برنابا كتبت في القرون الوسطى .

ومن حيث أن إنجيل برنابا يتفق أكثر من أي كتاب مسيحي مع معتقدات المسلمين فان المسلم يكون ميالا بطبيعة الحال الى إثبات صحته . ومن حيث أنه في هذا يناقض الكتب المسيحية الأخرى فان المسيحي يكون ميالا بطبيعة الحال الى إثبات زيفه وعدم صحته . ومع ذلك فان كثيراً من هؤلاء الآخرين لا يذهبون الى حد القول بافتعال شخص ما في القرون الوسطى لانجيل برنابا ، فان مصادرة البابا جلاسيوي لهذا الانجيل وقعت في القرن الخامس

الميلادي بما يعني وجود هذا الانجيل قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم بزمن طويل ، غير أن بعض المتحمسين يذهبون الى القول ببطلان مصادرة البابا للانجيل والى القول بأنه أيضا قول مزور .

ولقد أجمع مؤرخو النصرانية أنه كانت هناك أناجيل كثيرة في القرون الأولى للمسيحية ، اصطفى رجال الكنيسة منها الأناجيل الأربعة ورفضوا ما عداها وتابعت القرون التالية سابقتها على نلك من غير بحث وأعتبرت الأناجيل الأخرى كتبا مصادرة حتى أن الباحث لا يجد اليوم منها شيئا يمكن الرجوع اليه للاطمئنان إلا أن الكنيسة حين اختارت ما اختارت ، ورفضت ما رفضت كانت مصيبة في قرارها على نحو ما حدث عند المسلمين في عملية تصحيح الحديث .

فحين كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناقل بالرواية والاسناد دس فيه الاسرائيليون والكذابون ما شاءوا ، فوضع أئمة الحديث قواعد الجرح والتعديل واصول توثيق الحديث أو تضعيفه ، ثم راحوا يعرضون كل حديث رواية ودراية على هذه الفرازة . وبعد نلك ما زلنا حتى يومنا هذا نجد كتب الصحاح والكتب التي جمعت الصحيح وغيره وكتب الضعيف ، بل ونجد وبكل فخر كتبا أفردت للأحاديث الموضوعة لم يصادرها أحد .. ما زالت كتب هذا التراث جميعه بين أيدينا وبوسع من شاء أن يبحث فيه وينظر، مثل هذا غير قائم عند النصارى ، وإنما كتب كانت مقدسة تمت مصادرتها منذ خمسة عشر قرناً لا يدري أحد منهم اليوم ماذا كان فيها ولا لماذا صودرت . هي صورة من الحجر على الفكر فرضتها الكنيسة في عصر قديم على الأجيال المتعاقبة .

وبرنابا هو أحد الحواريين من أنصار المسيح عليه السلام ، ويذهب في مقدمته الى أن بولس قد انفرد بتعليم مخالف لما تلقاه الحواريون عن المسيح ، وأن تعاليمه هي التي انتشرت وغلبت وسادت المعتقدات المسيحية . وتذهب دائرة المعارف الفرنسية وغيرها الى أن انجيل مرقس وانجيل يوحنا من وضع بولس .

ويشير الشيخ محمد رشيد رضا الى أمر يستنكره الباحثون المسيحيون في انجيل برنابا وهو تصريحه باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم على اساس استبعاد كتابته قبل الاسلام اذ أن المعهود في البشارات أن تكون بالاشارات والكنايات . الا أن ما يستنكره هؤلاء منصوص عليه صراحة في القرآن **(ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد)** ويجيب الشيخ رشيد بأنه من الجائز أن نكر اسم « **محمد** » ترجمة وأنه ربما جاء في الأصل المترجم عنه بلفظ يفيد معناه ، وأن مثل هذا التساهل في الترجمة معهود عند المسيحيين . ولقد جاء نكر لفظ « **محمد** » في الترجمة العربية أو صفة « رسول الله » مرات عديدة قد تصل الى خمس عشرة مرة .

وأكثر محتويات كتاب برنابا ينطبق

على الأناجيل الأربعة وبعضها يطابق بعضها بالنص . واسلوبه هو بلا ريب أسلوب الأناجيل الأخرى . وهو كتاب شيق ممتع أبلغ في الموعظة ـ من وجهة نظرنا ـ من الأناجيل الأخرى وهو عالي المواعظ والحكم والآداب والتعاليم ، وكثير من فقراته يكاد يكون ترجمة لآيات قرآنية أو أحاديث نبوية . وهو يبدأ سطوره بكفر من قال إن المسيح ابن الله والرافضين الختان . ثم يبدأ فصله الأول ببشرى جبريل الى العذراء مريم بولادة المسيح ثم يستطرد قاصا تاريخ المسيح وعزم هيرودوس الحاكم الروماني في فلسطين قتل جميع المواليد وهروب يوسف ومريم بالمسيح الى مصر حتى مات هيرودس فعاد الى اليهودية ليحاج أحبار اليهود وهو ابن اثنتى عشرة سنة ويتلقى الانجيل على جبل الزيتون . ويستمر فيروي مواعظ غاية في الحكمة والبلاغة تهز النفوس هزاً ، ويأمر بالزهد ، وينهى عن الاقبال على الدنيا ، وأن كل ما يحبه الانسان ويترك لأجله كل شيء سواه فهو إلهه ، وهكذا فان صنم الزاني هو الزانية وصنم الطماع الفضة والذهب وأن الشرك أعظم خطيئة ، وأن ماء البحر كله لا يغسل من يحب الآثام بقلبه .

وانجيل برنابا يؤكد على سنة الختان فهو يقرر أن ختان المسيح حدث بعد أن تم ثمانية أيام ، ويقرر نجاسة غير أهل الختان ، وأن الكلب أفضل من رجل غير مختون ، وأن الله أمر ابراهيم بالختان ، وأن أول ختان فعله آدم وحافظ عليه في أولاده .

ويتحدث الكتاب كثيرا عن معجزات المسيح مثل إبراء البرص وإحياء الموتى باذن الله وتحويل الماء الى خمر وتهدئة البحر الهائج . ويؤكد بصورة قاطعة بشرية المسيح « ليكن ملعونا كل من يدرج في اقوالي أني ابن الله » « إني بريء من كل ما قد قلتم لأني إنسان مولود من إمرأة فانية بشرية وعرضة لحكم الله مكابد شقاء الأكل والمنام وشقاء البرد والحر كسائر البشر » .

أما حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن مثل قوله « سيأتي بعد بهاء كل الأنبياء الأطهار فيشرق نوراً » « جاء الأنبياء كلهم إلا رسول الله الذي سيأتي بعدي لأن الله يريد نلك حتى أهيىء طريقه » . قالوا له : لماذا تبشر بتعليم جديد وتجعل نفسك أعظم شأناً من مسيا ؟ قال المسيح « لست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه لأني لست أهلا أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذي تسمونه مسيا الذي خلق قبلي وسيأتي بعدي وسيأتي بكلام الحق ولا يكون لدينه نهاية » .. « .... فيحمل خلاصا ورحمة لأمم الأرض النين يقبلون تعليمه وسيأتي بقوة على الظالمين ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزي الشيطان لأنه هكذا وعد الله ابراهيم .. صدقوني لأني أقول لكم الحق ، إن العهد صنع باسماعيل لا باسحق » « ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه الى العالم ، صدقوني اني رأيته وقدمت له الاحترام كما رآه كل

نبي .. ولما رأيته امتلأت عزاء قائلا : يا محمد ليكن الله معك ، وليجعلني أهلا أن أحل سير حذائك » . « فاني قد أتيت لأهيىء الطريق لرسول الله الذي سيأتي بخلاص العالم ولكن احذروا أن تغشوا لأنه سيأتي أنبياء كذبة كثيرون ، يأخذون كلامي ، وينجسون إنجيلي .. إنه لا يأتي في زمنكم بل يأتي بعدكم بعدة سنين حينما يبطل إنجيلي ولا يكاد يوجد ثلاثون مؤمنا في ذلك الوقت يرحم الله العالم فيرسل رسوله الذي تستقر على رأسه غمامة بيضاء ، يعرفه أحد مختاري الله وهو سيظهره للعالم . وسيأتي بقوة عظيمة على الفجار ويبيد عبادة الأصنام من العالم .. » « .. الذي سيأتي من الجنوب بقوة وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام ، وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر ، وسيأتي برحمة الله خلاص الذين يؤمنون به ، وسيكون من يؤمن بكلامه مباركا » .

اجاب التلاميذ : يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه الذي سيأتي الى العالم ؟ أجاب يسوع بابتهاج قلب : « إنه محمد رسول الله ، ومتى جاء الى العالم فسيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر بالرحمة الغزيرة التي يأتي بها كما يجعل المطر الأرض تعطي ثمراً بعد انقطاع المطر زمناً طويلا ، فهو غمامة بيضاء ملأى برحمة الله وهي رحمة ينثرها الله رذاذا على المؤمنين كالغيث » .

وأخيرا يحكي إنجيل برنابا رفع المسيح دون أن يصلب فيقول : فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب ، فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله الى الأبد .. ودخل يهوذا بعنف الى الغرفة التي أصعد منها يسوع ، وكان التلاميذ كلهم نياما فأتى اليه بأمر عجيب فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبها بيسوع ، حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع . أما هو فبعد أن ايقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم ، لذلك تعجبنا وأجبنا : أنت يا سيد هو معلمنا ، أنسيتنا الآن ؟ أما هو فقال مبتسما : هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفوا يهوذا الاسخريوطي ! وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا لأنه كان شبيها بيسوع من كل وجه .. فأخذ الجنود يهوذا وأوثقوه ساخرين منه لأنه أنكر – وهو صادق – انه هو يسوع .

إن هذا الكتاب جدير بالبحث والتدقيق والتحري ، ولا نعلم جهة من هيئات البحث العلمي عند المسلمين قد عنيت بالاطلاع على النسخة الأصل الوحيدة المحفوظة في مكتبة بلاط فيينا وفحصها وتصويرها وترجمتها الى العربية مباشرة . إننا ندعو هيئاتنا الى القيام بهذا الجهد المتواضع . أين جهد المسلمين تجاه كتاب له هذه الأهمية لتبين وجه الحق والصواب بشأنه . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

الشريعة الاسلامية والتطور

للأستاذ/ابراهيم النعمة

نصوص القرآن الحكيم ومتواتر السنة قطعية الثبوت لا شك في ذلك، لكن هذه النصوص بعضها ظني الدلالة فيختلف فيه الفقهاء في استنباط الأحكام منها، مراعين في ذلك روح الشريعة وأساليب اللغة والمنطق السليم. وهذا الاختلاف في فهم النصوص يؤدي إلى نتائج متعددة تبعا لتعدد أساليب كل واحد من الفقهاء، وتغير الظروف الاجتماعية، وتطور المقاييس الفكرية، ويكون لكل رأي من هذه الآراء وجاهته ومكانته، يختار كل شعب أو جماعة ما يصلح لها منها !

وإذا نظرنا إلى الأحكام العملية ـ غير العبادات وما في حكمها ـ وجدنا أن الشارع الحكيم لم يتعرض لها في القرآن ولا في السنة بالتفصيل، بل رسم خطوطا عريضة لها، لأن هذه الأحكام تختلف باختلاف الزمان والمكان، فيأخذ كل مجتمع ما يلائمه مع ملاحظة الاطار العام لتلك الأحكام وعدم الخروج عليها. فمبدأ الشورى في الاسلام يؤدي إلى تعدد الآراء بعد التداول، وهذه الآراء مختلفة لاختلاف عقول الناس، وهذا التعدد في الرأي يؤدي الى المرونة في التشريع، ذلك أن الأمة تأخذ في كل عصر ما يناسبها من آراء فقد « اكتفت الشريعة بتقرير الشورى كمبدأ عام، وتركت لأولياء الأمور أن يضعوا القواعد اللازمة لتنفيذه، تبعا لاختلاف الأمكنة والجماعات والأوقات فمبدأ الشورى مقرر بنصين ظاهر منهما انهما عامان مرنان إلى آخر حدود العموم والمرونة، بحيث لا يمكن أن يحتاج الأمر إلى تعديلهما أو تبديلهما »

وهذا المبدأ ـ مبدأ الشورى ـ الذي جاء به الاسلام عندمبعث سيدنا محمد رسول الله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ لم يعرفه العالم الغربي الا بعد فترة طويلة، فقد عرف القانون الانكليزي هذا المبدأ في القرن السابع

عشر ، وقانون الولايات المتحدة الاميركية بعد منتصف القرن الثامن عشر ، وأحكام الاجارات ــ مثلا ــ قد افرد لها القانون العراقي مائة وعشرين مادة عدا التعديلات الأخيرة . أما القرآن فلم يذكر من أحكامها الا ثلاثة :

الأول : الاباحة : **(وإن اردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف)** البقرة/ ٢٣٣ .

الثاني : ايجاب الأجرة : **(فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف)** الطلاق/ ٦ .

الثالث : إباحة أن يكون عمل الأجير مهر زواجه : **(إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج)** القصص/ ٢٧ .

وهكذا بقية الأحكام في القانون الدستوري والعقوبات والاقتصاد .. الخ وفوق نلك فان « النصوص التشريعية التي وردت ، في القرآن ليست دلالتها مقصورة على الأحكام التي تفهم من ألفاظها وعباراتها ، بل يستدل بها ــ أيضا ــ على أحكام تفهم من روحها ومعقولها ، لذا قسمت دلالة النص الى دلالة بمنطوقه ، ودلالة بمفهومه .

وقسمت دلالته بمنطوقه إلى دلالة عبارته ، ودلالة إشارته . وقسمت دلالته بمفهومه الى دلالته على حكم المفهوم الموافق ، ودلالته على حكم المفهوم المخالف .

وبهذه الطرق المتعددة من طرق دلالة النصوص توصل المجتهدون من النص الواحد إلى عدة أحكام ، فنراهم يقررون : أن عبارة النص يؤخذ منها كذا ، وإشارته يؤخذ منها كذا ، ومفهومه الموافق حكمه كذا ، ومفهومه المخالف حكمه كذا ، وفي المآل يكون النص هو ينبوع هذه الأحكام ، وهو دال عليها وحجة فيها .

وهكذا وجد المجتهدون في تنوع طرق دلالة النصوص نوافذ إلى التشريع في كثير من الوقائع . وهذا بلا ريب ناحية من نواحي خصوبة النصوص ومرونتها .

أما النصوص القطعية الثبوت والدلالة التي لا تختلف فيها الأفهام ولا تتعدد الآراء ، فانها قليلة جدا إذا قيست بالنصوص الأخرى التي يأخذ منها المسلمون في كل العصور والأمكنة ما يلائمهم !

وكل من يلقي نظرة فاحصة على الفقه الاسلامي ، يتبين له أن قبول شريعة الاسلام للتطور أمر ظاهر . يتجلى نلك في مرونة مصادر التشريع الاسلامي كلها ، كالكتاب والسنة والاجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع والعرف .

١ ــ القرآن الكريم ·

القرآن هو الأصل الأول في التشريع الاسلامي ، وقد جاءت أحكامه الدستورية ومعاملاته المدنية مجملة من غير أن تفصل الكيفيات الا قليلا .

وهذا الاجمال قد فصله الفقهاء ،

وتعددت آراؤهم فيه ، نظرا لاختلاف البيئات والأزمان واختلاف المدارك والأفهام تطبيقا في حدود النص ! وهكذا يحقق الاتساع في فهم النصوص فائدة عظمى ليأخذ كل مجتمع ما يوافقه وتتحقق به مصلحته .. فالقرآن الحكيم نص على الشورى من غير أن يعين شكلا خاصا لها ، سواء أكان نظاما جمهوريا ، أم نظام خلافة ، أم غير ذلك شرط أن يجتنب فيه الاستبداد !

٢ ــ السنة :

السنة هي ما نقل عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة وهي التي تبين مجمل القرآن ، وتوضح مشكله ، وتقيد مطلقه ، وتؤسس أحكاما جديدة فهي تلي الكتاب في مصادر التشريع ، وهي ضرورية جدا لفهم القرآن !

٣ ــ الاجماع :

وبالاجماع تحل القضايا المستجدة ، وتعطي لها الأحكام ، ويدرك المتأمل في الاجماع أنه من أخصب مصادر التشريع ، لأنه يفي بحاجة الأمة في كل زمان ومكان .

يقول الدكتور عبدالرزاق السنهوري :

« إن هناك مصدرا معترفا به من مصادر الشريعة هو الاجماع لم تدرك حتى اليوم خصوبة ومقدار ما يستطيع أن يواتي به هذه الشريعة من عوامل التطوير والاجماع ــ كمصدر للفقه الاسلامي ــ كان في أول أمره مقصورا على عرف اهل المدينة ، ثم تطورت فكرة الاجماع فجاوزت هذا النطاق الضيق إلى ما أجمع عليه الفقهاء في عصور الصحابة والتابعين وتابعيهم ، ثم اتسعت الفكرة فأصبحت هي إجماع الفقهاء في أي عصر وفي أي بلد ... » .

ولم يكن المقصود بالاجماع إجماع علماء المسلمين ــ كلهم ــ فان الأمر لو كان كذلك لاستشار كل واحد من الخلفاء أو غيرهم جميع علماء الصحابة والتابعين ، ولم يقع شيء من ذلك ، فقد كان سيدنا عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ يقول حين تعرض له قضية من القضايا لم يجد لها حكما في كتاب الله ولا في سنة رسوله : ادعوا لي زيدا وعليا !

٤ ــ القياس :

وهو باب واسع جدا من أبواب شريعتنا الخالدة ، وقد أعطى حلولا لما يستجد من أحداث اكثر مما أعطته المصادر الأخرى اذ هو ميدان البحث الفسيح في مصالح الناس .

على أن تلك الأحكام التي ثبتت بالقياس تصبح بعد ذلك أصولا يصح أن يقاس عليها غيرها مما يشابهها في العلل ، وهكذا إلى ما لا نهاية !

٥ ــ الاستحسان :

وهو العدول بالمسألة عن حكم نظائرها إلى حكم آخر لوجه أقوى يقتضي هذا العدول ، ذلك أن بعض الأقيسة قد تفوت على الناس بعض

المصالح ، فيأتي الأصولي ويحقق ما يرى فيه المصلحة ، ولو كانت لا تتفق مع ما يقتضيه القياس أو القاعدة العامة ، وذلك كالسلم ، إذ المعقود عليه معدوم ، ولكن أجيز ذلك لحاجة الناس إليه ، وقد كان القياس الجلي على عدم جوازه ، وكذلك توريث الزوجة التي طلقها زوجها في مرض موته . وهذا خلاف القاعدة الكلية التي تقضي بأن انقطاع الصلة بين المتوفى والوارث قبل الوفاة يمنع الميراث .

٦ ــ المصالح المرسلة :

وهي كل مصلحة لم يرد من نصوص التشريع ما يدل على اعتبارها أو إلغائها ، لكنها توافق روح الشريعة العام : كوضع سيدنا عمر لنظام الخراج ونظام الدواوين ، وكالحجر على المصابين بالأمراض المعدية ومنعهم من ملامسة الناس ، يقول ابن قيم الجوزية :

« فان الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه ، وظله في أرضه وحكمته الدالة عليه ، وعلى صدق رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أتم دلالة وأصدقها » .

ومن الأمثلة التي يوردها الأصوليون في المصالح المرسلة أن بيت المال لوخلا عما يسد حاجة المسلمين ، فان للامام أن يأخذ من أموال الاغنياء ما يسد بها حاجة المسلمين إلى أن تأتي الأموال الى بيت مال المسلمين ويكون فيها ما يكفيهم ، ولا تستقرض الدولة من الأغنياء إلا إذا كانت لها أموال أو حاصلات سوف تأتيها .

على أن بعض الفقهاء مثل الامام نجم الدين الطوخي ذهب الى اكثر من ذلك حين قرر أن المصلحة إذا تعارضت مع النص والاجماع وجب تقديم رعاية المصلحة بطريق التخصيص والبيان ، وهذا أبلغ وأوسع من المصالح المرسلة التي قال بها الامام مالك ــ رضي الله عنه ــ .

٧ ــ سد الذرائع :

مؤدى هذا المصدر أن وسيلة المحرم محرمة ، والأصل في اعتبارها هو النظر إلى ما سيؤول اليه الفعل في النهاية ، فان كانت مصلحة كانت مطلوبة ، وإن كانت ستؤول الى مفسدة صارت محرمة !

ومن أمثلة سد الذرائع عدم قتل الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ لعبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق كيلا يقول الناس : إن محمدا يقتل أصحابه !

وكذلك النهي عن قطع الأيدي في الغزو كي لا يفر المحدود إلى الأعداء ، وعدم قبول المقرض الهدية من المدين لئلا يؤخر الدين بسبب الهدية !

٨ ـ **العرف :**

من الثابت ان القانون هو ثمرة العرف ، ففي كل مجتمع يدرج الناس على أعراف ثم تستقر ، ويصبح الناس ملزمين في الأخذ بها ، وعند تشريع نظام للحكم تصبح هذه العادات نواة لقانون يتطور مع الزمن ثم ينضج .

فالعرف إذن هو ما ألفه الناس وساروا عليه في حياتهم ، سواء كان فعلا أم قولا دون أن يصادم نصا ! وذلك كالبيع بالتعاطي من غير صيغة لفظية وكتقسيم المهر الى معجل ومؤجل . ويعتبر العرف مصدرا خصبا من مصادر التشريع الاسلامي !

وتزيد أهمية العرف إذا علمنا ان الفقهاء خصصوا العموم به ، وأنه يخصص الحديث ، وأن القياس يترك من أجله ، فمن باب اولى تترك أقوال الفقهاء من أجله ، لأن العرف قد يختلف اختلافا كثيرا أو قليلا عما كان في عصر الأئمة الأربعة الى عصرنا هذا ، قال ابن عابدين في رسالة (نشر العرف) :

« إن كثيرا من الاحكام يبنيها المجتهد على ما كان في زمانه فتختلف باختلاف الزمان لتغير عرف اهله أو لحدوث ضرورة أو لفساد أهل الزمان بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه للزم منه المشقة والضرر بالناس ، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ، ودفع الضرر والفساد ، لأجل بقاء النظام على أحسن إحكام .

ولهذا نرى فقهاء المذهب خالفوا ما نص عليه المجتهد في مواضع كثيرة ، بناها على ما كان في زمنه لعلمهم بأنه لو كان في زمنهم لقال بما قالوا به أخذا من قواعد مذهبه » .

وهذه هي الحقيقة عينها ، فان المجتهدين ـ رضي الله عنهم ـ اجتهدوا في زمنهم وفي بيئتهم التي عاشوا فيها ، فوضعوا حلولا لما استجد من حوادث في تلك المجتمعات ، ولو عاش هؤلاء الفقهاء انفسهم في قرننا العشرين لغيروا وبدلوا في بعض تلك الاجتهادات التي افرغوا وسعهم فيها ـ في غير العبادات ـ كالشؤون الادارية والجنائية والدولية !

فليس في مجتمعات الدنيا قضايا تستجد الا ولها أحكام في الشريعة الاسلامية تحتاج الى الفقهاء الأكفاء الذين يحسنون استنباط أحكام منها ، وتكييف تلك الاحكام وفق شريعة الله رب العالمين !

يقول الاستاذان عبدالرزاق السنهوري ، وحشمت ابو ستيت في كتابهما (أصول القانون) :

«إن النصوص التشريعية قد حوت كل القواعد القانونية ولم تفرط فيها من شيء فليس أمام الفقيه إلا أن يستعرض هذه النصوص ويفسرها نصا نصا .. فاذا أعجزه استخلاص قاعدة منها ، فليس الذنب في هذا على التشريع ، فانه حتما يتضمن كل القواعد القانونية ، وإنما العيب عيب الفقيه الذي لم يوفق إلى استخلاص القاعدة من النصوص » .

الأزهر يضع أول مشروع

الشيخ عبدالحليم محمود يختتم حياته بمراجعته واجراء تعديلات عليه

طرح المشروع للمناقشة أمام مؤتمر علماء المسلمين القادم

« الوعي الاسلامي » تنفرد بنشر بعض مواد المشروع :ـ

للاستاذ/محمد نعيم عكاشة

دستور اسلامي في العالم

مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر فرغ من إعداد وصياغة مشروع أول دستور اسلامى في العالـم ، وذلك تنفيذا لتوصية علماء المسلمـين في مؤتمر المجمع السابـق .. المشروع الجديد يتضمن ١٤٢ مادة مستمدة من مختلف المذاهب والآراء الفقهية ، ويغطـى كافـة النواحـى الدينيـة والاجتماعية والتشريعية والاقتصادية بجانب مجانسته للنظم المعمول بها في كل دولة ، هذا وقد تقرر طرح المشروع للمناقشة أمام مؤتمر علماء المسلمين التاسع المزمع عقـده بالقاهـرة في ديسمبر القادم ، لابداء الرأى فيه واقراره في صورته النهائية ، على ان يوضع بعد ذلك تحت تصرف الدول الاسلاميـة التـى ترغـب العمـل بمقتضاه ..

وقد شاءت ارادة الله وقدره ان يراجع الشيخ عبدالحليم محمـود ، قبل مماته مواد الدستور واجـراء بعض التعديلات الجوهرية عليه ومنها على سبيل المثال : التأكيد على طلب العلم باعتباره فريضة ، والتعليـم واجب الدولة وفقا للقانون ، والتربية الدينية منهج اساسى في جميع مراحل التعليم ، والاهتمام بكيـان الأسرة وتنشئة افرادها على القيم والاخلاق ، وكفالة الدولة في حمايـة الأمومـة ورعاية الطفولة وتهيئـة الوسائـل المحققة لذلك ..

وأجاز المشروع في بابه الأول تعدد الدول في الامة الاسلاميـة وتنـوع أشكال الحكم فيها ، وكذلك اتحاد دولة مع دولة اخرى او اكثر في الشكل الذى يتفـق عليـه .. وفي الأصـل فالمسلمون أمة واحدة ..

وتنفـرد « الوعـى الاسلامـى » بتقديم بعض مواد هذا المشروع في لمحات سريعة ..

○ **فبالنسبـة لأسس المجتمـع**

الاسلامى .. نص المشروع على ان التعاون والتكافل أساس المجتمع ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض ويأثم من يقصر فيه مع القدرة عليه .. وان حماية الاسرة واجب الدولة بالتشجيع على الزواج وتيسير أسبابه المادية بالاسكان والمعونات المكنة وتكريم الحياة الزوجية وتهيئة الوسائل الموجبة للارتباط الأسرى .. والعناية بسلامة الأمة وصحة الافراد .. وتوفير الخدمات الطبية المجانية للمواطنين من وقائية وعلاجية وخلافه ..

كما فرض المشروع التزام الدولة بتعليم المسلمين الفرائض والسيرة النبوية وحفظ القرآن الكريم في سنوات التعليم المدرسى ، وانشاء معاهد خاصة بالقرآن لتحفيظه للعامة ، واعتبار اللغة العربية اللغة الرسمية والتاريخ الهجرى واجب ذكره في المكاتبات الرسمية .. وحظر التبرج واصدار القرارات لصيانة الشعور العام من الابتذال وفقا لأحكام التربية الاسلامية .. والولاية العامة منوطة بمصلحة الرعية وخاصة حماية الدين والعقل والنفس والمال والعرض ..

○ **وبالنسبة للاقتصاد الاسلامى ..** نص المشروع على أن يقوم الاقتصاد على مبادئ الشريعة الاسلامية بما يكفل الكرامة الانسانية والعدالة الاجتماعية ويوجب السعى في الحياة بالفكر والعمل وتحرى الكسب الحلال ، وحرية التجارة والصناعة والزراعة مكفولة في حدود الشريعة الاسلامية ، ومقاومة الاحتكار وعدم تدخل الدولة في الاسعار الا لضرورة .. وتشجيع الدولة على تعمير الصحراء وتوسيع رقعة الأرض المنزرعة ، وتحريم التعامل بالربا اخذا وعطاء .. وجواز الوقف على الخيرات بموجب قانون ينظمه من جميع النواحى .

○ **وبالنسبة للحقوق والحريات الفردية ..** نص المشروع على ان العدل والمساواة أساس الحكم وحقوق الدفاع والتقاضى مكفولة ، ولا يجوز المساس بها ويتعين اقامة مدافع عن كل متهم في جرائم الحدود وفي القتل .. وللمساكن والمراسلات والخصوصيات حرمة ، والتجسس محظور ، ويحدد القانون ما يرد على هذه الحرمة من قيود تمارسها الدولة في جرائم الخيانة العظمى أو الخطر الداهم ولا تكون تلك الممارسة الا باذن قضائى .. وحق التنقل داخل البلاد وخارجها مباح ولا يمنع من السفر الى الخارج الا بحكم قضائى تبين اسبابه ، ولا يجوز نفى المواطنين ولا الزامهم البقاء في مكان دون آخر ، وتعذيب الاشخاص جريمة .. ولا تسقط الجريمة أو العقوبة طول حياة من يرتكبها ، ويلتزم فاعلها أو الشريك فيها بالمسئولية عنها في ماله ، فان كان بمساعدة موظف او بموافقته او بالسكوت عنها فهو شريك في الجريمة جنائيا ومسئول مدنيا وتسأل معه الحكومة بالتضامن .

وحق العمل والكسب والتملك مكفول ولا يجوز المساس به الا بمقتضى أحكام الشريعة الاسلامية ـ كما للمرأة حق العمل في حدود تلك الشريعة .. وتكفل الدولة حرية الملك وحقوق الملكية وحرمتها ولا تجوز المصادرة العامة بأية اداة كانت أما المصادرة الخاصة فلا تكون الا بحكم قضائي ، ولا تنزع ملكية احد الا للمصلحة العامة ومقابل تعويض كامل وفقا لاحكام القانون المنظم لذلك .. وانشاء الصحف مباح والصحافة حرة في حدود احكام الشريعة الاسلامية .. كما ان ممارسة الحقوق تكون وفقا لمقاصد الشريعة .

○ **وفصل الباب الخامس من المشروع حدود الامام وواجباته ، وهى في ايجاز :**
يكون للدولة إمام وتجب الطاعة له وان خولف في الرأى .. ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا للامام في أمر مقطوع بمخالفته للشريعة .. وتتم البيعة العامة للامام تحت اشراف القضاء وتكون بالاغلبية المطلوبة لاصوات المشتركين في البيعة .. ويشترط للمرشح لرئاسة الدولة : الاسلام والذكورة والبلوغ والعقل والصلاح والعلم بأحكام الشريعة الاسلامية .. والامام قدوة للرعية في العدل والاحسان والعمل الصالح وهو يشارك غيره من أئمة المسلمين كل ما يهم الجماعة الاسلامية ، وله الحق في العفو عن الجرائم فيما عدا الحدود والخيانة العظمى ..

○ **وبالنسبة للقضاء ..** نص المشروع على ان يحكم القضاة بالعدل وفقا لاحكام الشريعة الاسلامية ، وبالسواء بين الناس ولا يجوز تمييز احد او فئة وتكفل الدولة استقلال القضاء والمساس باستقلاله جريمة ، ويشترط في جرائم الحدود ان يحضر المتهم المحاكمة او يختار عنه محاميا فان لم يفعل تعينه الدولة له .. وتوقيع عقوبات الحدود الشرعية في جرائم الزنا والقذف والسرقة والحرابة وشرب الخمر والردة .. وانشاء محكمة دستورية عليا تختص بالفصل في مدى مطابقة القوانين واللوائح لأحكام الشريعة الاسلامية واحكام هذا الدستور ويحدد القانون اختصاصاتها الاخرى .

وكذلك انشاء ديوان للمظالم يحدد القانون تشكيله واختصاصاته ومرتبات اعضائه .

○ **وبالنسبة للمجلس النيابى ..** ينص المشروع على ان يتولى سن القوانين ويقر السياسة العامة للدولة والخطة العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والميزانية العامة للدولة ، كما يمارس الرقابة على أعمال السلطة التنفيذية وذلك كله بما يتفق مع أحكام الشريعة الاسلامية ..
ويقسم عضو المجلس النيابى امام المجلس قبل ان يباشر عمله هذا اليمين :ـ

« أقسم بالله العظيم على طاعة الله ورسوله وان احافظ مخلصا على سلامة الوطن وترابه وعلى النظام الدستورى وان أرعى مصالح الأمة واحترم الدستور والقانون وان أنصر احكام الشريعة الاسلامية وذلك كله في صدق وشرف وايمان »..

ولا يجوز لعضو المجلس النيابى أثناء مدة عضويته ان يشترى أو يستأجر شيئا من أموال الدولة أو يؤجرها أو يبيعها شيئا من أمواله أو أن يقايضها عليه ، أو أن يبرم مع الدولة عقدا بوصفه ملتزما أو موردا او مقاولا .

وانشاء الضرائب العامة وتعديلها أو الغائها لا يكون الا بقانون ، ولا يعفى أحد من أدائها الا في الاحوال المبينة بالقانون ، وينظم القانون القواعد الاساسية لجباية الاموال العامة واجراءات صرفها ..

○ **وبالنسبة للحكومة ..** نص المشروع على ان الحكومة هى الهيئة التنفيذية والادارية العليا للدولة وتتكون الحكومة من رئيس الوزراء ونوابه والوزراء ونوابهم . ويشرف رئيس مجلس الوزراء على أعمال الحكومة .. والوزير هو الرئيس الادارى الاعلى لوزارته ويتولى رسم سياسة الوزارة في حدود السياسة العامة للدولة ويقوم بتنفيذها .. ولا يجوز للوزير اثناء توليه منصبه ان يزاول مهنة حرة او عملا تجاريا أو ماليا أو صناعيا أو أن يشترى أو يستأجر شيئا من أموال الدولة او أن يؤجرها أو يبيعها شيئا من أمواله أو أن يقايضها عليه .. وان يوقف كل من يتهم من الوزراء عن عمله حتى يفصل في أمره بالمحاكمة .

○ **وبالنسبة للاحكام الانتقالية ..** أجاز المشروع ما سبق صدوره من أحكام في ظل القوانين واللوائح القديمة كما أجاز الالغاء أو التعديل وفقا للقواعد والاجراءات المقررة في هذا الدستور .. وحدد المشروع العمل بالدستور من تاريخ اعلان موافقة الأمة عليه في استفتاء عام .

○ **المشروع ثمرة جهود مضنية .. ودعاء الى الله**

إن مشروع الدستور الجديد كان ثمرة جهود مضنية استمرت عاما كاملا وساهم الدكتور عبدالحليم محمود ، بنفسه في وضع لمساته الأخيرة .. وهكذا اختتم الشيخ الجليل حياته بانجاز أكبر عمل اسلامى ظل يراود الكثيرين أمدا طويلا ، ولكن بعزيمة الشيخ وبفضل لجان مجمع البحوث الاسلامية العلمية والفقهية تم اعداد المشروع .. وكان آخر أمنيات الشيخ في حياته الخروج بالمشروع الى حيث النور والمطارحة بالرأى .. رحم الله الدكتور عبدالحليم رحمة واسعة .. ودعاؤنا الى الله ان يقيض للأزهر الشريف شيخا جديدا يكون خير خلف لخير سلف ، فيكمل ما بدأه الشيخ عبدالحليم ويحقق ما كان يرجوه للأزهر من نهضة وتقدم وازدهار .

الاسلام دعوة دين وعلم

إقامة الصلاة

للأستاذ عبدالرزاق نوفل

حرص الاسلام عند دعوة أهله الى الصلاة أن يستخدم لها نصا التزم به ولم يغيره .. واستمر عليه ولم يبدله .. ذلك هو إقامة الصلاة .. فعندما أمر الله سبحانه وتعالى نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقد قال له بنص ما جاء في القرآن الكريم :

(أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) الاسراء /٧٨

ولما طالبه بدعوة عباده للصلاة فقد قال له بالنص الشريف :

(قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال) ابراهيم / ٣١ .

ولما ذكر القرآن الكريم الذين استجابوا لربهم فاستحقوا الأجر والثواب ذكرهم بأنهم الذين أقاموا الصلاة في مثل النص الكريم :

(الذين يقيمون الصلاة ويؤتون

الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) لقمان / ٤

بل علمنا أن خير ما ندعو به هو ان نكون ممن يقيمون الصلاة فقد كانت هذه من أدعية سيدنا ابراهيم صلى الله عليه وسلم إذ تقول فيها آيات القرآن الكريم وعنها :

(رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء) ابراهيم / ٤٠ .

وهكذا في مختلف الآيات القرآنية التي تدعو الناس للصلاة .. نجد النص على إقامة الصلاة وعندما تحدث آخر النبيين وخاتم المرسلين سيدنا محمد ابن عبدالله الصادق الامين صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والمسلمين فقد قال :

« بني الاسلام على خمس .

شهادة ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وإقام الصلاة ..

وايتاء الزكاة ..

وحج البيت ..

وصوم رمضان » رواه احمد والبيهقي والترمذي والنسائي .

وذلك ليقرر أن الصلاة هي الركن الثاني للاسلام أو هي الركن الأول بعد شهادة الحق والعدل والصدق ، فلقد اورد لها النص واللفظ الذي ذكره القرآن الكريم وهو اقام الصلاة .. ولم يقل الصلاة فقط .. وهذه ظاهريا قد تكفي أو اداء الصلاة وهذه لفظيا قد تعني المراد اذا لا شك أنه أمر مقصود .. ولهدف منشود — أن يحرص الاسلام بمصدريه القرآن والسنة على ذكر الصلاة بهذا النص وهذا اللفظ حتى يتحقق منها وفيها ما تهدف اليه الاقامة .. واذا كان ذلك انما يشير ضمنا الى وجود وحدانية المصدر .. الذي أنزل القرآن العظيم .. وأرسل الرسول الكريم — لا اله إلا الله الواحد الاحد .. وبذلك فقد وجب على كل مسلم من الخاصة وغيرهم .. من العلماء والفقهاء ومن هم دونهم .. بل من العامة والكافة .. ان يتفكروا في حالهم ويتدبروا في امرهم .. ويتأملوا كيف هي صلاتهم هل يقيمونها حقا .. وصدقا .. قولا .. وعملا .. وحتى يهتدي الانسان الى ذلك ، لا بد له أولا .. ان يعرف ما هي الاقامة .. ووسائل الحرص عليها .. واغراضها والطريق اليها ..

إن الصلاة هي الصلة بين العبد وربه .. فيها يقف الانسان بين يدي ربه يمجده ويستغفره ويدعوه ويستنصره فهي عملية ايجابية وحركة سلوكية يتجه بها الانسان الى الله يناجيه ويتحدث اليه .. والله دائما معه يراه ويسمع له .. فلا بد إذن ان يحس الانسان احساسا قويا وعميقا أن الصلة قد قامت فعلا بينه وبين ربه وبقيام هذه الصلة فقد شعر وأيقن أنه في رحمته وبين يدي حضرته فيمتلىء قلبه بكل الخضوع وعندها يؤدي حركات الصلاة .. من ركوعه وسجوده .. وقيامه وقعوده .. بكل الخشوع فيصبح بذلك من المؤمنين المفلحين .. الذين قال عنهم الله سبحانه وتعالى :

(قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون) المؤمنون /١و٢ .

وهكذا لا بد للعبد من إقامة الصلة بينه وبين ربه .. حتى يقيم الصلاة .. فلا يقف لها إلا إذا استشعر إقامتها .. ورحم الله اسلافنا من الصالحين .. حينما كانت تتغير ملامحهم .. وتتبدل أحوالهم .. إذا ما قاموا للاستعداد للصلاة .. فقد روى أن سيدنا سعد بن أبي وقاص الاسمر اللون .. القوي البنية .. مفتول العضلات .. حاد الصوت وقائد المعارك وبطل الغزوات كان اذا قام للوضوء .. اصفر لونه واضطرب حاله .. فسأله بعضهم يوماعما يعتريه .. فقال الا تدرون لمن استعد للمقابلة ـ وبذلك فان اقامة الصلاة لا بد لها من قيام صلة بين العبد وربه .. فيها وبها وعليها يؤدي صلاته .. وإقامة الصلاة كذلك .. تستهدف تحقيق ما تهدف اليه الصلاة .. فمتى تحقق للمصلي الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه اهداف الصلاة فقد اقامها .. وما أكثر ما تحققه الصلاة لهم ان الله جل شأنه يتولى امرهم ويوجه الذين آمنوا لذلك فيكونون عونا لهم .. وهؤلاء هم حزب الله .. وان حزب الله هم الغالبون . اليس الله سبحانه وتعالى هو القائل :

(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) المائدة /٥٥ ، ٥٦ .

ولقد وضعت الصلاة اخيرا موضع الدراسة العلمية بعد ان انتهى الزمن الذي كان يقال فيه ان الأمور التعبدية لا تناقش وهاجم فيه اعداء الاسلام وخصوم الاديان الصلاة بما لم يستوعبوه منها .. وبما لم يتفهموه فيها فاظهرت الدراسات الحديثة بعض فضل الصلاة على الانسان بجزأيه الجسد والنفس ، فان من أهم ماتعني به اساليب التربية الحديثة وما ينصح به علم الصحة الوقائية .. التمرينات الرياضية التي اصبحت تمارس وتؤدي في اوقات مخصصة لها شأنها شأن باقي المواد والعلوم في المدارس والمعاهد بل وفي كل التجمعات . في القرية والمدينة .. بل وتقاس مدنية الدول بعدد النوادي الرياضية ، التي تضمها وأعداد الافراد الذين تضمهم فقد اوضح علم الصحة ان التمرينات الرياضية هي الأساس في بناء الجسم السليم الذي لا بد منه لوجود العقل السليم وإن في اداء الصلاة خمس مرات كل يوم خير وسيلة لجني فوائد التمرينات الرياضية .. فأوقاتها انسب الاوقات التي يوصي فيها بأداء التمارين .. فقبل شروق الشمس حيث الجو النقي وحيث الجسم ما زال في كسل النوم .. وفي الظهيرة حيث قد حل بالجسم تعب العمل وفي العصر حيث قارب يوم العمل ان ينتهي واسرع الى الجسم الكسل والتعب وفي الغروب حيث ينتهي العمل ويبدأ الانسان يستعد لراحة الليل .. وفي العشاء

حيث يختم الانسان يومه ، هذه هي انسب الاوقات التي لا بد للانسان فيها من أداء التمارين الرياضية لتعويض الجسم عما فقده .. وازالة ما به من كسل وخمول وتجديد الدورة الدموية وتنشيط التنفس . اما حركاتها فقد وضعت كذلك موضع الدراسة العلمية .. فعرف ان القيام والقعود عدة مرات في كل صلاة خير وسيلة لتنشيط الدورة الدموية التي تنشط كافة الاجهزة ولذلك تعتبر الصلاة منشطة للهضم .. فاتحة للشهية .. ونرى ان اوقاتها تتناسب وهذه الحكمة تناسبا تاما .. ففي الصباح المبكر وقبل الافطار وفي الظهيرة وقبل الغداء فانها تفتح الشهية تماما وفي العصر حيث الهضم قد بدأ .. وفي الغروب حيث الانسان بين وجبتي الغداء والعشاء وفي العشاء حيث يكون الهضم قد بدأ .. فانها تساعد تماما على الهضم ولا يعلم قدر فوائد الصلاة في الهضم الا من اقام صلاة التراويح في شهر رمضان حيث تزيد حركات القيام والقعود في عدد كبير من الركعات .. واوضح العلم الصحي ان الركوع والقيام منه يقوي عضلات الظهر والمعدة ويزيل ما قد يتكون على جدار المعدة من دهون وشحوم اما السجود فانه يقوي عضلات الفخذين والساقين ويساعد على وصول الدم الى اطراف الجسم كما انه يقوي جدار المعدة وينبه حركات الامعاء .. والسجود ايضا وقاية من مرض تمدد المعدة بما يسببه من تقلصات عضلاتها وتحريك الحجاب الحاجز .. وتعتبر الصلاة افضل رياضة بدنية على الاطلاق يستفيد منها الجسم اذ انها تحرك الاطراف وتصل حركاتها الى كافة العضلات والمفاصل والعظام وقد اثبت الطب الحديث ان الصلاة تعمل على خفض ضغط الدم العالي وان مرضى الضغط العالي لو حافظوا على اقامة الصلاة .. على مهل وتؤدة لاستفادوا فائدة محققة .. كما ان اقامة الصلاة قبل الاكل يعتبر عاملا هاما في وقاية الانسان من امراض المعدة لا سيما قرحة المعدة اذ ينصح الاطباء دائما كل انسان بالا يتناول طعامه وهو مجهد أو مرهق أو متوتر الأعصاب .. بل لا بد من فترة هدوء وراحة تسبق الطعام وان الصلاة لخير ما ينفع الانسان في نلك .. اذ ان فائدتها على الجهاز العصبي قد امكن قياسه وتحديده فهي تزيل اي اضطراب وتقي من التوتر بل انها من اهم العلاجات للارق الناتج عن التوتر العصبي .

اما فائدة الصلاة للانسان من الناحية النفسية فانها اكثر من ان تحصى واعم من ان تذكر .. ففي الصلاة يتذكر الانسان ربه وان بيده سبحانه وتعالي الامر كله ، وان الانسان في الحياة لا يكافح وحده . وان للعالم خالقا بصيرا حاكما عادلا فاذا شعر الانسان بظلم أوقعه عليه ظالم .. او جار على حقه جائر فوض امره الى من يقوم الوجود كله بامره .. واذا حزبه امر او ضاقت به الحياة في زحمتها لجأ الى الله .. هذا الاحساس

يحيط بالانسان الذي يقيم الصلاة طوال يومه ـ فلا يجعل للقلق اي سبيل إليه .. فالانسان في الصباح المبكر بدأ يومه بحمد الله وشكره والتوكل عليه والتوجه اليه .. وما أفضل صباح يوم المصلي .. وفي الظهيرة تحقق الربح .. او لاحت الخسارة فلا بد من وقفة بين يدي الله .. حمدا وشكرا للربح .. ودعاء ورجاء لدفع الخسارة .. وكذلك الامر في العصر .. اما في المغرب ـ فقد انتهى اليوم العملي ولجأ الانسان الى ربه ـ يتحدث اليه ويناجيه بكل ما كان له .. وما صار اليه .. وفي العشاء ، بينما هو يتجه الى النوم .. يريد ان يتحلل من كل مشاكله .. ويودع كل مشاغله ، ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين سبحانه وتعالى .. ويسلم الانسان جنبه الى الله بعد ان أسلم وجهه وصلاته اليه .. والصلاة دعاء وتسبيح .. واستغفار وتوبة .. فما من ذنب ارتكبه الانسان ، وكل انسان لا بد ان يذنب .. وما من خطأ كان من العبد .. وكل العباد يخطئون .. الا وجاءت الصلاة فيها الاستغفار من الذنب . والتوبة عن الخطأ فيتحلل الانسان من عذاب النفس بذنبها .. ويتحرر العبد من قلق الروح على خطأ صاحبها وبذلك لا يصيبه القلق .. ولا تعتريه امراض النفس .. ان الصلاة عملية سلوكية ايجابية فيها تصفو النفس وترتاح الروح .. وتنفك كل عقدها .. وتتحلل من كل اثامها .. والحديث عن فضل الصلاة من الناحية الطبية والنفسية والروحية لا يصل الى نهايته اطلاقا فكل دراسة جديدة ـ تحمل اليها العديد من افضال الصلاة .

وفضل الصلاة لا يشمل المصلي وحده الذي يحس بما للصلاة من اثر في كافة نواحيه .. بل يتعداه الى المجتمع فقد حرص الاسلام على الدعوة الى الصلاة الجامعة في كل اوقاتها .. ثم فرضها فرضا مرة كل أسبوع .. حتى يجتمع اهل الحي جميعا ممن لا تسعفهم ظروفهم في صلاة الجماعة اليومية وما ذلك الا دفعا الى ايجاد الالفة والمحبة بين المسلمين .. والنظر في امر الناس عامة ، فمن تأخر عن الصلاة فلقد وجب على زملائه السؤال عنه .. والاطمئنان عليه والصلاة سبيل خلق المجتمع المتكافل المترابط المتحاب .. الذي لا يتبرم غنيهم بفقيرهم ولا يتكبر كبيرهم على صغيرهم بل الجميع في صفوف متراصة متصافة يتقدمهم امامهم للصلاة ، وقد يكون اقلهم جاها وأرخصهم رداء وافقرهم حالا وكم كانت هذه الصورة للصلاة الجامعة جميلة عند كل من يراها من غير المسلمين لاول مرة .. وكم كانت سببا لدراسة الاسلام ،، وإسلام كثير من مختلف الديانات والشعوب فلنتأمل ولنتدبر .. ولنفكر .. ولنستمع .. ونستجب .. فقد قال الله وهو اصدق القائلين :

(واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون)
النور / ٥٦

من أجل هذا لعن اليهود

للاستاذ : محفوظ أمين غريب

إن من يقرأ سورة البقرة يعتقد بلا ادنى ريب ، أن اليهود قوم جحود .. والجحود ــ كما يفسره المعجم العربي ــ هو الانكار مع العلم ، فلقد جحد اليهود نعم الله تعالى ، وكذبوا بآلائه التي أخرجتهم من ظلمات الباطل إلى نور الحق المبين ، وأنجتهم من سوء عذاب سامهم إياه أعداؤهم .

وقد تجسدت تلك النعم في معجزات وخيرات عاينها اليهود ، ونعموا بآثارها الطيبة ، ولكنهم ــ رغم ذلك ــ جحدوها **جحودا لم يأت بمثله قوم من قبلهم ، أو من بعدهم ..**

ونرى دلائل ذلك الجحود حين نقرأ في سورة البقرة عن نعم غامرة ، جحدها اليهود وكذبوا بها ، وهم يعلمون سوء فعلهم . لقد نجاهم الله تعالى من آل فرعون الذين ساموهم سوء العذاب ، فذبحوا ابناءهم ، واستحيوا نساءهم ففلق الله تعالى لهم البحر حتى ظهرت لهم الأرض اليابسة ، فمشوا عليها ، وبذلك نجوا من آل فرعون الذين تتبعوهم يريدون الفتك بهم ، ورأوا بأعينهم آل فرعون وهم يغرقون ، ثم انعم الله عليهم بأن واعد موسى أن يعطيه التوراة بعد اربعين ليلة ، وفيها هدى لهم ورحمة . ولكنهم جحدوا تلك النعم ، فاتخذوا العجل إلها حين ذهب موسى للقاء ربه . ورغم ذلك الجحود عفا الله عنهم ، لعلهم يشكرون : **(وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم . وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل**

فرعون وأنتم تنظرون . وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون) البقرة / ٤٩ ــ ٥٢ .

وانزل الله تعالى ــ من أجل اليهود وهدايتهم ــ كتابا على موسى وآتاه السلطان الذي يفرق به بين الحق والباطل ، ونصحهم موسى فأخلص لهم النصح ، وذكرهم بظلمهم حين اتخذوا العجل إلها ، وذكرهم ايضا بفضل الله عليهم حين تاب عليهم ، ولكنهم جحدوا ، فأعلنوا لموسى انهم لن يؤمنوا له إلا بعد ان يروا الله جهارا ، فلما تطلعوا يريدون رؤية الله سبحانه اخذتهم صاعقة من السماء وهم ينظرون ، ثم بعث الله تعالى اولئك الذين أرادوا رؤيته بعد أن احرقتهم الصاعقة ، وتفضل الله عليهم بعد ذلك بالمن « إفراز حلو المذاق تفرزه بعض الأشجار » وبالسلوى « الطائر المعروف بالسماني » ليقيهم الهلاك جوعا في بيئة مجدبة ، ولكنهم جحدوا أيضا كل هذه النعم : **(وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون . وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم . وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون . وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)** البقرة / ٥٣ ــ ٥٧ .

ويذكر الله تعالى اليهود بما تفضل عليهم بعد خروجهم من تيه وضياع في صحراء سيناء ، إذ أمرهم بدخول بيت المقدس وهم ساجدون ، يسألون الله أن يحط عنهم ذنوبهم ، ويغفر لهم عنادهم ، ووعدهم سبحانه بالمكافأة وحسن الجزاء ، إن فعلوا ما امرهم به ، ولكنهم لم يستغفروا ربهم ، بل انهمكوا في الشهوات . ولما عطشوا في التيه تفضل الله عليهم بتكليف موسى ان يضرب بعصاه حجرا فتفجرت منه عيون بقدر عدد قبائلهم ، لكل قبيلة عين خاصة يأخذون منها حاجتهم ، ولا يشاركهم فيها غيرهم . ولكن اليهود ــ بعد كل هذه النعم ــ اعلنوا السأم مما هم فيه من نعم ، بل طلبوا من موسى ان يطلب لهم من ربه أن يرزقهم مما تنبت الأرض من بقل وقثاء وثوم وعدس وبصل . وتعجب موسى من استعاضتهم الأردأ بالأحسن من الطعام ، فهذا يدل على عدم ثباتهم على الحق ، وهم يعلمون أنه حق : **(وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون . وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين . وإذ قلتم يا موسى لن نصبر**

على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) البقرة / ٥٨ ـ ٦١ .

وتمضي آيات الذكر الحكيم في سورة البقرة تذكر اليهود بآلاء الله حين أخذ عليهم العهد أن يعملوا بما تأمر به التوراة ، وهددهم سبحانه بمعجزة رفع الجبل فوق رؤوسهم ، ولكنهم ـ رغم هذا ـ أعرضوا وعاندوا ، ولولا فضل الله عليهم لباءوا ـ جزاء إعراضهم وعنادهم بخسران مبين . وأمرهم الله تعالى أن يتفرغوا يوم السبت للعبادة ولكنهم احتالوا ، فاستباحوا الصيد في يوم السبت فاستحقوا أن يمسخهم الله قردة منبوذين ، ليكونوا عبرة لمعاصريهم وللأجيال من بعدهم : **(وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون . ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين . ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين . فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين)** البقرة / ٦٣ ـ ٦٦ .

ويبلغ اليهود في جحود نعم الله مدى بعيدا في قصة البقرة ، ذلك ان رجلا منهم قتل رجلا ، وبادر القاتل بالشكوى لموسى ، فبحث موسى عن القاتل ، فلم يهتد إليه ، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة ، فجادلوا موسى جدالا منشودا متسائلين عن لون البقرة وشكلها وسنها ، وكلما شددوا شدد الله عليهم ، حتى صارت نادرة ، فتعبوا في الحصول عليها ، وبعد جهد جهيد حصلوا على بقرة لا مسنة ولا فتية ، صفراء خالصة الصفرة ليست بصعبة ، تهيج الغبار إذا تحركت ، تسقي الزرع ، سليمة من العيوب ، في جلدها قطعة لونها يخالف لونه . وهذه الصفات إنما طلبها الله تعالى نتيجة لطول لجاجهم وتشددهم . وقد حصلوا على بقرة تتوافر فيها هذه الصفات بضعف ثمن مثلها ، وذبحوها بعد ان قاربوا أن لا يفعلوا ما أمروا به . وارشدهم الله أن يضربوا جثة القتيل ببعض اعضاء تلك البقرة ، فعاد إلى الحياة وأخبرهم عن قاتله ، وفي هذه القصة آية من الله لعلهم يعقلون ، ولكن قلوبهم ـ رغم هذه المعجزة البينة ـ قست حتى صارت كأنها الحجارة او أشد : **(وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون . قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث**

مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون . وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون . ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون) البقرة / ٦٧ ــ ٧٤ .

على أن اليهود يبلغون قمة الجحود حين يزيفون أعظم ما يعتز به كل ذى قلب سليم ، حين يزيفون العقيدة مبررين سوء فعلهم بعذر أقبح من الذنب ، وهو ان قلوبهم مغلقة لا تصلح لادراك العقيدة الصحيحة البعيدة عن الزيف ، فلقد أنزل الله تعالى على موسى التوراة ، وأرسل من بعده رسلا إلى أمم كثيرة حتى جاء دور عيسى ابن مريم ، فآتاه الله الآيات الواضحات ، وشد أزره بجبريل . ولكن اليهود استكبروا عن اتباع اولئك الرسل ، لأنهم لم يجيئوا بما يوافق هواهم ، فكذبوا فريقا من الرسل ، وقتلوا الفريق الآخر ، ولما انتهت الرسالة إلى محمد صلى الله عليه وسلم ودعاهم للايمان ، قالوا : إن قلوبنا مغلقة لا تصلح لادراك ما تقول ، فرد الله عليهم دعواهم ، واكد لهم ان قلوبهم ليست مغلقة ، ولكن الله أبعدهم عن قبول الخير بسبب كفرهم ، فقليلا ما يؤمنون بحقيقة ، ومصداق ذلك انه جاءهم القرآن من عند الله مصدقا للتوراة التي معهم وموافقا لها ، وكانوا من قبل نزوله يطلبون النصر على اعدائهم بحرمة النبي المنتظر ، الذي كانوا يتوقعون مبعثه ويمنون انفسهم بالمبادرة إلى اتباعه ، فلما جاءهم « محمد » وفيه العلامات التي عرفوها من كتبهم ، قابلوه بالكفر به وجحود النعمة العظمى التي جاء بها ، نعمة العقيدة الصحيحة البعيدة عن الزيف ، وبذلك استحقوا اللعنة التي وصم الله بها الكافرين : **(ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون . وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون . ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)** البقرة / ٨٧ ــ ٨٩ .

هكذا استحق اليهود اللعنة ، لأنهم جحدوا آلاء الله ونعمه ، وجعلوا اصابعهم في آذانهم حين ناداهم الحق تعالى مذكرا ومحذرا : **(يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون . ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون)** البقرة / ٤٠ ــ ٤٢ .

أين الإسلام يا أمة الإسلام

محمود دن

نعـم أيـن الاسـلام في أرض الاسلام ؟ بل أين المسلمون في بلاد المسلمين ؟

مهلا أخي القارىء لا تلمني ـ أعلم أنك تستنكر هذا السؤال خاصة وأننا شرقيون نتعصب للفكرة أكثر مما نعمل بها على عكس الغربيين فانهم يعملون بالفكرة أكثـر ممـا يتعصبون لها ـ كأني بك تقـول : الاسلام بخير وهو موجود في آسيا وافريقية وأوربا وأمريكا ، وكأني بك تقول إن عدد المسلمـين يربـو على ستمائة مليون نسمة .

أقول بكل أسى ومرارة : إنني لا اسأل عن المسلمين عددا ـ فمـاذا أغنت الكثرة المفككة الهزيلة أمام قلة اليهود المتماسكة القوية ؟ ألم ينتزع اليهود أرض العرب ؟ ألم يدوسـوا

للاستاذ/ سيد عطا محمد

مقدسات الاسلام ؟ ألم ينتهكوا حرمة بيت المقدس ويحرقوا المسجد الأقصى ؟ والمسلمون يتفرجون !! حقا لقد أصبحنا كثرة ولكنها كغثاء السيل – لا غناء فيه ولا وزن له ولا قيمة – لا أسأل عن الاسلام دولا تنتمي إليه بشهادات الميلاد – ولكنني أبحث عن الاسلام دينا له أخلاقه الحسنة ، ومثله العليا تجرى في دماء أبنائه ، وتعمر قلوبهم ، وتجرى على الأرض : مروءة ، وشهامة ، ونجدة ، وصدقا ، ووفاء ، وأمانة – فاذا وجدنا ذلك فقد وجدنا الاسلام ، ووجدنا المسلمين الذين يعتد بهم ويحسب حسابهم – لهم كيانهم ووزنهم ، يستحقون بجدارة أن يباهى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمم يوم القيامة – قوة في الشخصية ، وترابطا بين الأفراد والأسر ، وتكافلا وتضامنا في المجتمع – ترى المؤمنين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الأعضاء بالسهر ، والحمى – إذا جرح مسلم في المغرب عصرت له القلوب ألما وحسرة في المشرق . فلا بعد الديار يفصل بين أفكارهم ، ولا حواجز الحدود المصطنعة تشغل بعضهم عن بعض : **(إنما المؤمنون إخوة)** الحجرات/ ١٠ وطنهم العقيدة ، وقوميتهم الاسلام .

نعم : أسأل عن المسلمين دولا إسلامية ، تجمعها العقيدة الواحدة ، عقيدة الاسلام ، وتوحد بينها روحه في السياسة ، والاقتصاد ، والتقاليد ، والعادات – دولا إسلامية تؤلف حزبا واحدا ، هو حزب الله ، الحزب الغالب ، فلا تنقطع أنفاسنا ونحن نلهث وراء المعسكر الشرقي تارة ، ونلقى بأنفسنا في أحضان المعسكر الغربي تارة أخرى – لتكن دول الاسلام هي الأمة الوسطى : **(وكذلك جعلناكم أمة وسطا)** البقرة/١٤٣ ، هي قصبة الميزان بين الكتلتين ، تقوم المعوج ، وتصلح الفاسد ، وتعلى كلمة الحق تبارك وتعالى ، وتحارب الطاغوت ، وتحقق على الأرض العبودية لله – والحاكمية لله – وعندئذ تتحدد وتتميز شخصية الأمة المسلمة كما يتحدد ويتميز عدوها المشترك ، فعدوها حينذاك هو عدو الانسانية ، وعدو الخير ، وعدو الاسلام على الأرض الذي يحارب الاسلام ، ويتصدى لتعاليمه ، أو يضطهد أبناءه حيثما كانوا .

واعتقد أنك الآن تسأل معي : أين الاسلام بين من غلب الكذب على حديثهم ، والغش في معاملاتهم ، فلم يلتزموا بعهد ،،ولم يفوا بوعد ، فضاعت بينهم الحقوق ، ووسد الأمر إلى غير أهله ، وشاع التسيب في إداراتنا ، كما أصبح الطريق الى المناصب الكبيرة يقوم على الملق والنفاق ، والتدليس والخداع ، حتى فسدت الطباع ، وانحطت الأخلاق ، وامتلأت قلوب الناس حقدا وحسدا وطفحت بالعداوة ، وبات كل واحد يتربص بأخيه شرا ، وانصرفنا عن واجباتنا ، وأهملنا في أعمالنا ، فقل إنتاجنا ، وعجز دخلنا عن سداد حاجاتنا ، وأصبح الجهل ، والفقر ، والمرض من نصيبنا ، إذا استثنينا قلة منا — وبدلا من أن نرد الأسباب إلى مسبباتها ونعرف الداء لنتعرف على الدواء ، أصبحنا نسمع الكثير من شبابنا الذين هالهم ما رأوا عليه شعوبهم ، وما رأوا عليه شعوب الكتلتين الشرقية والغربية فحسبوا كما صور لهم فلاسفة الالحاد الذين كثيرا ما يرددون « الدين أفيون الشعوب » ولقد عشت هذه التجربة المرة بنفسي فحينما كنت معارا بالصومال سألني طالب مسلم قال يا أستاذ : هل الاسلام سبب تأخر المسلمين ؟ فقلت له : ولماذا ؟ قال : لأنني أرى بلاد الاسلام متأخرة متواكلة تعمها الفوضى ، ويسودها الجهل — قلت له : ليس هذا صحيحا ، ولكن العكس هو الصحيح ، فما تأخر المسلمون إلا لأنهم تركوا الاسلام وابتعدوا عنه .. فريق استهوته المدنية الزائفة وبهرجها الخلاب ، وفتنهم كل جديد براق ، وتنكروا لمبادئهم وتقاليدهم ، وخرجوا على دينهم ونسبوا إليه الضعف والتقصير — كبر إثما أن ينكر الانسان أصله وينتسب لغير أبيه — وفريق آخر ابتدع في دين الله ما ليس منه ، وجعل للدين ظاهرا وباطنا ، وشرعا وحقيقة ، وقسموا المسلمين شيعا وأحزابا ، وجعل كل فريق همه أن يستقطب الأتباع ويحارب غيره من أصحاب الطرق الأخرى ، وينالهم بألسنة حداد ، فزادوا المسلمين فرقة وزادوهم ضعفا باسم الاسلام المفترى عليه ، وباسم التصوف المظلوم — فالتصوف الحق (زهد في الدنيا واقبال على الآخرة) فلا يتكالب المتصوف على الدنيا فيجمع الحلال والحرام ، لا يبالي من أين جاء . والمتصوف مصلح اجتماعي يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة قال الطالب الصومالي : لقد عرفت الاسلام وعرفت أعداء الاسلام من أبنائه — لقد عرفت أعداءه الذين يريدون أن يشوهوا صفحته البيضاء ، ثم هز رأسه وهو يقول مؤكدا : الآن عرفت موطن الداء ، وعرفت الدواء — فليت الذين خدعهم الجديد بزخرفه قد وصلوا إلى الحقيقة ، وعرفوا أن الاسلام هو أصل تلك الحضارات ومنبعها — ليتهم يرجعون إلى حضارة الاسلام الرائدة ، وليت الفريق الآخر من المغالين في التصوف عرفوا حقيقة

التصوف ، فذكروا الله في أعمالهم ، وأخلصوا فيها ، واتقنوها ، وليتهم ذكروا الله في أمتهم فعرفوا حقها عليهم ، وضحوا في سبيل كرامتها ، وليتهم ذكروا الله في دينهم فتركوا الغلو ، والتزموا الوسط في أمورهم — وخير الأمور أوسطها — وسيد الخلق صلى الله عليه وسلم يقول عنه صحابته : « ما خير رسول الله بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما » رواه البخاري ليتهم اتخذوا التصوف غذاء لأرواحهم وقلوبهم ، فجعلوا الدنيا كما أرادها الحق تبارك وتعالى دار عمل وجهاد ، توصل إلى دار النعيم والرضوان في الآخرة ، وقد كان أقطاب التصوف أعلاما في العلم والجهاد — جاهدوا الجهل فنشروا العلم ، وجاهدوا أعداء الدين فحملوا السلاح وقادوا المجاهدين في معارك الاسلام مع الباطل ، كأمثال الامام الغزالي والسيد أحمد البدوي ، مرة اخرى — أين الاسلام بين دول نسيت رسالتها ، فانقسمت على نفسها ولا تكاد ترى بين دول الاسلام الا الخلافات التي وصلت إلى سفك الدماء وازهاق الأرواح . فلحساب من يا ترى يقتتل المسلمون في اليمن وهم أخوة أشقاء ، ولحساب من يقتتل المسلمون في صحراء المغرب — أمن أجل الاسلام يقتتلون ؟ أم من أجل تنفيذ مخططات الالحاد والاستعمار ؟ أم من أجل الاسلام تشارك فئة مسلمة في دك معاقل الثورة الاسلامية في اريتريا تساند بذلك حكومة الحبشة التي تركت الاسلام وتركت المسيحية ، واختارت الشيوعية إلها ودينا ، إنه مخطط خبيث يستهدف تقسيم الأمة الاسلامية إلى فرق واحزاب متنافرة يفتك بعضها ببعض ويضعف بعضها بعضا ، حتى تصبح لقمة سائغة سهلة البلع تلتهمها الشيوعية متى أرادت .

أين تقف دولنا المتنازعة المنشغلة بقضاياها الداخلية بين التكتلات الكبرى — فالشيوعية العالمية تتجمع تحت زعامة الحزب الشيوعي السوفيتي ، والعالم المسيحي تجمعه زعامة دينية في دولة الفاتيكان التي تربط دولها بسفراء يمثلونها فيها ، حتى اليهود لهم تجمع عالمي تحت اسم الصهيونية العالمية ، فلماذا لا يكون للمسلمين زعامة دينية تجمعهم ، ومجلس أعلى إسلامي يرعى شئونهم ، ويحل مشاكلهم ، ويوحد سياستهم ، وعندئذ فقط يوجد الاسلام ويوجد المسلمون — فعودوا أيها المسلمون إلى دينكم ومبادئه ، ووحدوا صفوفكم ، واجمعوا كلمتكم ، قال تعالى : **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)** آل عمران/١٠٣ .

والله من وراء القصد ، وهو سبحانه الهادي والموفق إلى سواء السبيل .

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخل على السنة ، لندحض زيفها ، ونكشف القناع عن سقيمها . وسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

« من ترك درهما من حرام اعتقه الله من النار ومن ترك درهما من شبهة اعطاه الله ثواب نبي من الانبياء ومن ترك الكذب لا تكتب عليه خطيئة ايام حياته ودخل الجنة بغير حساب »

موضوع :

من رواته محمد بن سعيد البورقي

قال الخطيب : ان البورقي سبب وضعه وقال الحاكم انه كان يضع على الثقات من رواة الحديث ما لا يحصى وفي الأمالي قال الحاكم : ان هذا القول منكر لم نكتبه من حديث مسعر بن كرام عن حماد بن ابي سليمان الا بهذا الاسناد . وقال السيوطي في اللآلىء المصنوعة : بوضعه ونقل القول بوضعه مؤكدا صحة الاقوال التي وردت حول هذا النص .

« إنما سمي الدرهم لانه دارهم وإنما سمي الدينار لانه دارنار »

موضوع :

قال ابن حبان : موضوع آنه وضعه عبدالله بن ابي علاج وقال السيوطي : ان هذا القول موضوع ونقل قول : ابن حبان في اللآلىء المصنوعة .

القرآن الكريم في المانيا

محمد مؤذن

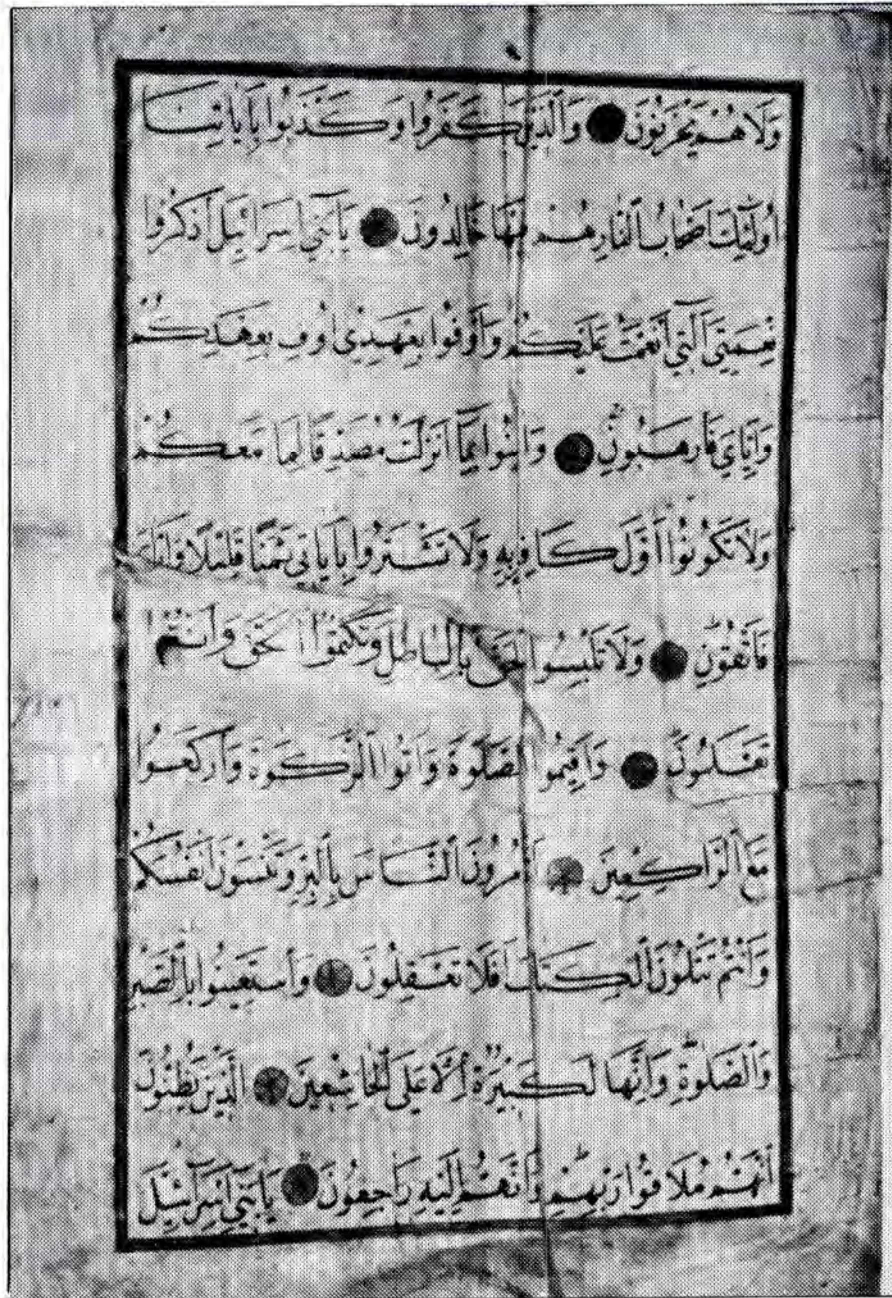
للأستاذ : عبدالمقصود محمد حبيب

في كتاب كان قد صدر في قطر منذ سنوات ، باللغتين العربية والانجليزية ، بعنوان (لماذا أسلمنا) جاء الحديث عن ٤٢ شخصية من مختلف دول العالم ، منهم رجال سياسة ، وعلم ، ورجال أعمال ، وفكر وأدب ، وكتاب مصلحين وعلماء اجتماع .. وعند القراءة في هذه الشخصيات الـ ٤٢ نجد أن منهم عددا من الألمان .

وقد كان السبب في اعتناقهم الاسلام كما ذكروا : هو اتصالهم بالاسلام في أصوله القرآن والسنة ، وأنهم اقتنعوا بأحقية الاسلام بالاعتناق على غيره من الأديان ، نظرا لما اتسمت به العقيدة الاسلامية من أصالة وصراحة ، يقبلها العقل السليم ، إلى جانب بساطة شعائره ، وشمول تعاليمه ، التي تتناول كل نواحي الحياة الانسانية .. تلك الحياة التي تعقدت كلما توغل الانسان في متاهات الحضارة المادية ، دون رادع من دين أو خلق ، يكبح من جماح شهواته وملذاته .

اقتنع هؤلاء .. فاختاروا عقيدة الاسلام فكرا ويقينا .. واختاروا شعائر الاسلام ، وكلها تجمع في بساطتها ويسرها بين إصلاح النفس وإصلاح المجتمع .. واختاروا شريعة الاسلام لأنها هى وحدها التي تستطيع أن تنتظم الانسانية على صعيد واحد ، بدون تمييز ولا تحيز ، ولا غبن من جهة على جهة ، حتى مع اختلاف العقائد .. وهى التي يتم عن طريقها ما ينشده الجميع من خير للبشرية .

والقرآن الكريم وهو المصدر الأول للدين الاسلامي .. له تاريخ طويل في تواجده في أوروبا بشكل عام ، وفي ألمانيا بشكل خاص .. فتوجد في

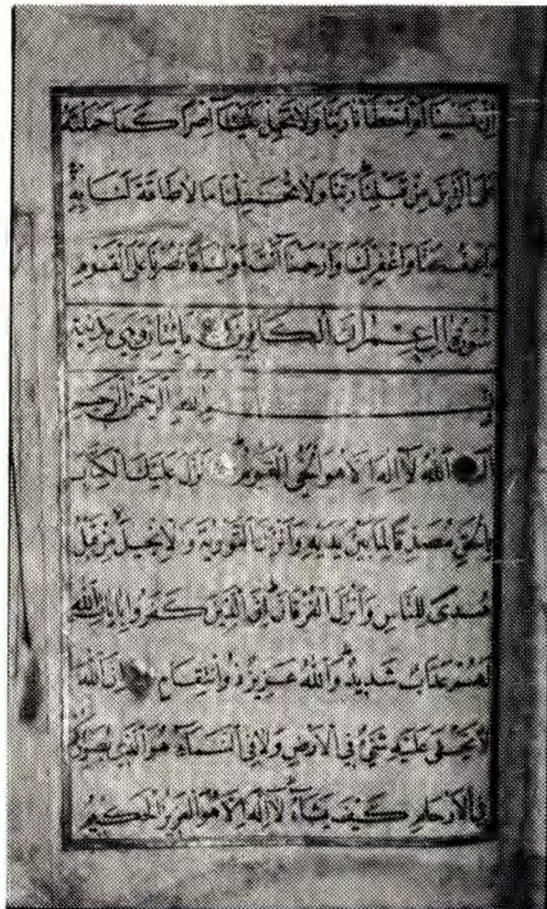

ولا هم يحزنون ● والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ● يا بني إسرائيل اذكروا
نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم
وإياي فارهبون ● وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم
ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي
فاتقون ● ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم
تعلمون ● وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا
مع الراكعين ● أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم
وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ● واستعينوا بالصبر
والصلوة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ● الذين يظنون
أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون ● يا بني إسرائيل

ألمانيا نسخ قديمة جدا من المصحف الشريف ، ثم دراسات عديدة في تفسيره وتوضيح معانيه .. فيوجد مثلا في مكتبة جامعة « توبنجن » أقدم مخطوط لكتاب فضائل القرآن الكريم ، من تأليف « أبي عبدالقاسم ابن سلام » وهو مخطوط يرجع إلى عام ٥٦١ هجرية ، ويوجد المصحف المطبوع في ألمانيا عام ١٦٩٤ ميلادية باشراف الاستاذ هنكلمان ، وهو محفوظ في المكتبة الجامعية بمدينة « هامبورج » في شمال ألمانيا تحت رقم ١٥٤٦ ، كما توجد عدة مصاحف في « مكتبة ميونيخ » يرجع تاريخ كتابتها الى اكثر من ستة قرون حيث كتب أحدها لمكتبة أمير من أمراء المغرب سنة ٧٠٥ هجرية .

ولقد سمعت أنه كان يوجد في مدينة

« ميونيخ » متحف خاص بالقرآن الكريم ، وقد ساهمت في انشائه الجامعة والحكومة ، وجمع به كل ما كتب عن القرآن الكريم ، كما صورت آلاف النسخ المخطوطة من المصحف الشريف ابتداء مما كتب في القرن الأول الهجري إلى تاريخ انشاء هذا المتحف .. ولقد ذهب هذا المتحف للأسف مع ما خسرته أوربا في الحرب العالمية الثانية .

ولا يقتصر الأمر على وجود نسخ متعددة من المصحف الشريف .. بل يهتم المستشرقون وأقسام الدراسات الشرقية والعربية واكاديميات العلوم الاسلامية بالبحث في القرآن ، وترجمته ، وتحليله ، والكتابة فيه بتوسع علمي واضح ودقيق .. وهناك



من المستشرقين من كرس حياته العلمية كلها في مجالين من مجالات الثقافة العربية والاسلامية ، هما الأدب الشعبي العربي ، والدراسات القرآنية .. مثل الدكتور « رودي باريت » الذي توجت جهوده العلمية الطويلة في القرآن بصدور عمله الكبير ذى الشعبتين ، ونعني بهما الترجمة الالمانية للقرآن ثم الدراسة التحليلية للنص القرآني في ذلك العمل الذي قام به ، وصار المرجع الاساسي لكل الدارسين الألمان والاجانب ايضا في هذا المجال .

ونجد مثلا في العقدين الأخيرين الدكتور « يوسف كورت سول فرانك » يكتب اطروحته للدكتوراه عام ١٩٦٢ بعنوان (آثار الصيغ القانونية العربية القديمة في القرآن الكريم) ثم دكتورة « ريناتى تينس » تكتب أطروحة الدكتوراه في عام ١٩٦٣ بعنوان (الجملة الشرطية والتعبير الشرطي في القرآن) ثم اليونورا هوبيتنر في عام ١٩٦٦ في بحث عن (تلميحات القرآن عن الحضارة المادية عند العرب القدماء) وفي عام ١٩٦٨ يكتب « فريد رون موللر » اطروحة بعنوان (دراسات حول النثر المقفى في القرآن) .

ومن هنا ، يلاحظ المرء اهتماما بنسخ المصحف الشريف سواء عند المسلمين الألمان أو المستشرقين منهم والباحثين في الاسلام ، وكتابه الأول .. بل إن عددا من المسلمين الألمان يغارون على المصحف الشريف ويبذلون كل ما يستطيعون لحمايته

وحفظه .. لأنهم يعرفونه حق المعرفة وتمتلئ قلوبهم بحبه .. فهم لم يعتنقوا الاسلام بواقع الميلاد كما يسجل في سجلات النفوس (المواليد) ولكنهم اعتنقوه بعد دراسات ومقارنات وصلت بهم إلى أن الاسلام وكتابه الأول هما هدية الله الى البشرية لانقاذها من التردي في الضلال والضياع : (**ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**) البقرة/٢ ـ ٥ .

لذلك قد لا نجد غرابة في أن يغار مسلم ألماني ، من أجل نسخة نادرة من المصحف الشريف . في حوزة مواطن ألماني ، ويحيق بها الخطر .. ودفعه إلى هذا الشعور ما رآه محدقا بهذه النسخة التي يحوزها انسان لا يعرف شيئا عن القيمة المعنوية التي لا تقدر ، ولا يمكن لانسان أن يقدرها حق قدرها .. فدفعته الغيرة إلى الكتابة لعدد من كبار شخصيات المسلمين ، حتى يبادروا إلى إنقاذ هذه النسخة مما تتعرض له .. من تمزيق وبيع للهواة الذين يحبون جمع التحف ، والانتيكات ، حتى تدر على صاحب العملية مالا كثيرا .

هذا هو **الالماني المسلم الدكتور زايد المهدي رايشارد ..** ويحضرني قول أحد الكتاب العرب للتعريف بالدكتور زايد يقول : (ذات مرة منذ سنوات كنت في زيارة للامارات العربية المتحدة ، في « أبو ظبي » ، وصادفت هناك يومئذ الصديق الدكتور « رايشارد » وكان يومئذ قد اقتنع تماما بعد دراسات وقراءات ومراجعات ـ قال لي : إنها استغرقته أكثر من ١٥ سنة ـ أن يقرر اتخاذ الاسلام دينا .. ثم أسلم في ذلك الوقت ، وكانت بدايته كانسان مسلم بعد ثبات الرأي ، من خلال الاطلاعات والمقارنات .. فوقف أمام الشيخ زايد وقال : إنني أشهدك أيها الحاكم العربي المسلم أنني أشهر اليوم على العالم ـ إسلامي ـ .. أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله .. ومنذ ذلك اليوم أصبح اسمه زايد المهدي رايشارد) .

ومنذ ذلك التاريخ وهو يعتبر نفسه داعية للاسلام .. يدافع عنه ، ويدعو الناس اليه ، ويحرص على الاطلاع على كل ما يدور في ألمانيا حول الاسلام .. وفي أوائل هذا العام وقع على تقرير مفصل للباحث المسلم الدكتور **عبدالجواد فلاتوري** أحد أساتذة جامعة كولونيا (الاكاديمية العلمية للدراسات الاسلامية) عن نسخة نادرة من المصحف الشريف وما تتعرض له من أخطار لا يقدرها من هى في حوزته .. فلما قرأ هذا التقرير المفصل عن هذه النسخة النادرة كتب لعدد من رجالات المسلمين منهم العقيد **معمر القذافي** والامير **سلمان بن عبدالعزيز آل سعود** أمير الرياض .

وقال في خطابه للأمير سلمان بن عبدالعزيز : **لقد علمت أنه يوجد في ألمانيا نسخة من القرآن الكريم ، في حوزة شخص ألماني عادي ، وهذه النسخة كما يبدو أثمن نسخة من نوعها ، فانها تعود في قدمها الى اكثر من ٣٠٠ سنة مضت ، وهي مكتوبة على ورق البردى ، وتحتوي على ٧٨٢ صفحة ، أي ٣٩١ ورقة ، ومدون عليها أن تاريخ الانتهاء من كتابتها هو ليلة القدر عام ١٠٩٩ هجرية ، أي ما يعادل ١٦٨٨/٧/٢٦م ، وطول كل صفحة منها ٧٠ سنتيمترا وعرضها ٥٠ سنتيمترا وهي ثقيلة الوزن للغاية حتى انها تحتاج إلى شخصين من أجل حملها ..** هذا ، ولقد كتب عن هذه النسخة بعد الاطلاع عليها ، ودراستها ، والتحقق منها أحد اساتذة جامعة كولونيا **هو الاستاذ المسلم عبدالجواد فلاتوري** تقريرا من ٢٠ صفحة ، يقول فيه : (إن هذه النسخة من المصحف هي تحفة حضارية فريدة من نوعها ، في كافة أنحاء العالم الاسلامي ، إننا هنا أمام تحفة تاريخية نادرة ، تمثل أرفع إنجازات التاريخ الاسلامي الفنية ، وأعظمها ، إذا ما شاهدها المسلم المؤمن شعر بالفخر والاعتزاز) .

ويستطرد الدكتور **زايد المهدي** في رسالته الى سمو الامير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود قائلا : « **هذا ، ولقد أصبت بصدمة عميقة ، عندما سمعت أن حائز هذه النسخة من المصحف الشريف ينوي ـ لأغراض تجارية ـ بيع صفحاتها بصورة متفرقة ، بغية تحقيق المزيد من الكسب المادي** » .

وعلى هذا الخطر يعلق الدكتور فلاتوري قائلا : **باعتبار أن القيمة الأدبية والفنية للنسخة تكمن في مجموعها ، فان محاولة فرط النسخة ، وتوزيع صفحاتها ، يعني في المفهوم الحضاري جريمة حضارية ، وفي المفهوم الديني طعنا في العقيدة الاسلامية .**

ويقول الدكتور زايد في رسالته إلى الأمير سلمان : « هذا ، وباعتبار أن المغفور له جلالة الملك فيصل كان قد طلب الى خلال المرتين اللتين اجتمعت فيهما إلى جلالته أن أكون يقظا كلما شعرت بأن التراث الاسلامي مهدد بخطر ، شعرت بأنه من واجبي أن أطلع سموكم فورا على هذا الأمر ، إلا أنه لابد لي من الاشارة الى ان السرعة هي عامل أساسي هنا لأن حائز المصحف الشريف عازم على الاسراع في بيعه .. لذلك اقترح على سموكم أن تكلفوا بالموضوع من له خبرة بطرفكم في هذه المجالات ».

المجلة :

لكوننا لم نقف بعد ، على ما آل اليه أمر هذا الموضوع الهام دينياً وحضارياً ، فاننا نهيب بالجهات الاسلامية الرسمية أن تهب مسرعة لانقاذ هذا الاثر الفريد (المتمثل في مخطوط لكتاب الله الكريم) من الضياع والاتلاف ، وحسبهم أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

علي حزام

إمام مسلمي ليفربول في ذكراه السادسة

للدكتور كاظم الجوادي

في السادس والعشرين من آب (اغسطس) عام ١٩٧٤ ، انتقل إلى جوار ربه الحاج « علي حزام » ، إمام مسلمي مدينة « ليفربول » في انكلترا ، عن عمر ناهز السبعين ، فهدأ ذلك الانسان الذي لم يعرف الهدوء ، وارتاح ذلك الجسم الضعيف العليل الذي ما أقعده ضعف ولا علة ، عن العمل في سبيل الله .

لم يكن علي حزام من علماء الدين المتخصصين ، بل كان من أهل الدين ، خرج من اليمن مهاجراً في سن مبكرة عن طريق عدن أيام كانت في حكم بريطانيا ، وكان الناس في تلك الأيام يخرجون من اليمن إلى انكلترا عن طريق عدن ابتغاء العمل هناك ، وارسال المعونة المالية إلى أهليهم في اليمن . وكانت جموع هؤلاء المهاجرين تصل إلى الموانيء فتنزل هناك ، وتكاد تتعلق بها فتعمل في البحر في أعمال مختلفة ، كلها من الاعمال غير الفنية ، لانعدام الخبرة والمران لديها .

واستقر من هؤلاء نفر كثير في ميناء « كارديف » على المحيط الاطلسي . وقد تميز كثيرون من هؤلاء المهاجرين بالتمسك بدينهم ، والالتزام بالطريقة الصوفية العلوية المعروفة في اليمن ، وهي طريقة تنسب إلى رجل من الصالحين اسمه علي ، وليس فيها من المغالاة في العقيدة ، أو الاحتفالات شيء ، وانما هي طريقة ملتزمة بالشريعة ، ولا سيما المذهب الشافعي ، وفيها بعض الوظائف من الأنكار التي لا تتجاوز قراءة القرآن ، والتسابيح ، والأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكنها تفرض على أتباعها العمل بما يعرفون ، وتعليم ما يعرفون من امور دينهم مهما كان ضئيلا . ومن بين أوامر هذه الطريقة الالتزام بالجماعة ، ونبذ الفرقة ، وايجاد زاوية للعبادة .

وقد أسس في « كارديف » مسجد ، لا زاوية ، لكثرة الذين وفدوا على تلك المدينة من أبناء اليمن بصفة خاصة ، ومن الصوماليين أيضا . وقد سموا المسجد مسجد نور الاسلام العلوي ، واقيمت فيه الصلوات وصلاة الجمعة ، وصار ملتقى ومجمعا للمسلمين هناك . ثم أقيم مسجد آخر ، ولكنهم أسموه زاوية .

خرج علي حزام من كارديف ، ليستقر في مدينة أخرى ، فساقه الله إلى مدينة « ليفربول » فحل بها ، واشترى له دارا قديمة متواضعة ، وخصص في هذه الدار التي اشتراها غرفة جعلها زاوية للمسلمين ، وجعل على باب داره هذه لوحة كتب عليها (الزاوية الاسلامية العلوية ـ لا إله إلا الله محمد رسول الله) ولما كانت الحرب العالمية الثانية ، واشتد قصف الألمان بريطانيا ، وتعرضت « ليفربول » لأشد محاولات التدمير الألمانية ، كانت الزاوية الاسلامية العلوية ملاذا للمسلمين الذين كانوا مثل غيرهم من الناس ، يحسون بالحاجة إلى التقرب من الله في الأزمات ، وعند الخوف ، ولولا هذه الزاوية التي كانت تزدحم بالمصلين حتى في الممرات ، على صغرها ، لعصفت بنفوسهم العواصف .

ثم رأى علي حزام رحمه الله أن أطفال المسلمين محتاجون إلى تعليم ديني ، فجعل الغرفة التي كانت تحت الطابق الأرضي في داره هذه صفا دراسيا ، لم يلبث أن امتلأ بالكراسي والمناضد ، تماما كما في صفوف المدارس عادة . وكان أطفال المسلمين يأتون في عطلة نهاية الأسبوع ليتلقوا دروس القرآن والدين ، ومبادىء العربية وتبع ذلك تخصيص غرفة اخرى بجانب غرفة المصلي لاجتماعات المسلمين في مناسبات أفراحهم وتعازيهم وغير ذلك .

ثم فكر في بناء مسجد للمسلمين ، يكون مكان عبادتهم ، ومركز اجتماعهم ، والقطب الذي يجمع شملهم ، ولما كان يعرف ضعف حال إخوته المسلمين هناك ، فقد تشاور مع بعضهم ، واتصلوا بالمركز الثقافي الاسلامي في لندن ، وبالسفارتين السعودية والكويتية في لندن ، للحصول على ما يحتاجون إليه من مال لهذا المشروع ، فاقترح عليه بعضهم أن تؤسس من مسلمي « ليفربول » جمعية تنهض بالمشروع ، وتقوم بجمع المال محليا ، ومن الدول الاسلامية . فبادر إلى تنفيذ ما نصح به ، وقامت جمعية مسلمي ليفربول وانتخب علي حزام رئيسا لها ،

وكانت حملة جمع التبرعات محلياً ، ومن الدول الاسلامية ، ووضعت خرائط المسجد التفصيلية ، وأقيمت الأسس كلها ، وانتهى المال الذي كان قد جمع ، وتلكأ الناس والذين كانوا قد وعدوا بالمساعدة في تقديم المال عاجلا .

وتوقف بناء المسجد واخفقت جهوده في الحصول على المال اللازم من الناس ومن الدول الاسلامية عدة سنوات ، وأصيب علي حزام لشدة تأثره بمرض في قلبه ، وكانت النوبات تأتيه بين حين وآخر ، قاسية شديدة ، ولكنه لم ينقطع عن العمل حتى جاء الفرج ، وتبرع تجار كويتيون من أهل الصلاح بنفقات إكمال قاعة الصلاة ، وغرفة الامام ، ومرافق الوضوء ، وحمام غسل الموتـى . فاستؤنف العمل فوق الأسس عام ١٩٧١ ، ولكن بتصميم جديد استحدث فيه طابق ثان يشتمل على صفوف لتدريس اطفال المسلمين وقاعة للمحاضرات وشقة للامام وحمام غسل الموتى ، ولكن التجار الكويتيين لم يتبرعوا بتكاليف الطابق الثاني هذا .

ولقد اقيمت أول صلاة في المسجد في عيد الاضحى من عام ١٣٩٣ هـ قبل أن يتم وذلك لتشجيع المصلين على التبرع ولأخذ صور لارسالها إلى السفارات الاسلامية لحث دولها على التبرع لاتمام الطابق الثاني . وقبل أن يتم الصبغ انتقل الحاج علي حزام إلى جوار ربه عصر اليوم السادس والعشرين من آب (اغسطس) عام ١٩٧٤ ، وكانت جنازته اول جنازة خرجت من المسجد .

ولقد تبرعت المملكة العربية السعودية باتمام الطابق الثاني وتم البناء الآن ولكن بلا منارة ، ويا ليت احدى الدول الاسلامية تتبرع بانشاء المنارة لاضفاء مظهر المسجد عليه وهو عنصر عاطفي مهم لا سيما لأطفال المسلمين هناك .

لم يكن انشاء المسجد العمل الوحيد الذي قام به علي حزام رحمه الله عملا بما تعلمه من معلميه ، بل كان شعلة من النشاط الاجتماعي الاسلامي . لقد استحصل موافقة الحكومة المحلية لمدينة ليفربول على انشاء مقبرة اسلامية .

وكان يدافع عن مقبرة المسلمين حتى لقد دفن فيها رجل من السيخ الهنود خطأ ، فظل في مراجعة والحاح لدى الحكومة المحلية حتى استحصل الموافقة على اخراجه ودفنه في مقبرة أخرى . وبذل جهداً مضنياً من أجل أن ينقل إلى مقبرة المسلمين مسلماً ملايوياً دفنته امرأته الانكليزية المسيحية في مقبرة عائلتها . وراجع من أجل ذلك الحكومة المحلية ونائبة ليفربول في مجلس العموم ووزارة الداخلية البريطانية ، ولكن القرار الأخير ، كان أن الزوجة هي صاحبة الحق في الموافقة على هذا . ولم يتمكن من اقناع الزوجة بذلك فقد أصرت على أن يبقى في مقبرة عائلتها . وقد كان ذلك حافزاً للتأكيد على المسلمين المتزوجين من انكليزيات أن يكتبوا في الوصية أن يدفنوا في مقبرة المسلمين بالشعائر الاسلامية .

وقد كان يشرف على إبرام عقود الزواج الاسلامية بالصورة الشرعية بعد أن يتم تسجيل الزواج لدى الحكومة (وفقاً للقوانين البريطانية) ، كما كان يقبل إسلام غير المسلمين ، ويصدر لهم الشهادات بذلك موقعة باسمه وختمه .

وكان اسمه وهاتفه مسجلين في المستشفيات والسجون ، وينادي عليه كل مسلم يدخل المستشفى أو السجن كلما احتاج مساعدة دينية أو دنيوية . وكان يزور المستشفيات والسجون في ليفربول بين حين وآخر ، لتفقد المسلمين فيها .

وكانت الجمعيات والمدارس والكنائس الانكليزية في ليفربول كلما احتاجت الى محاضر يعرف اعضاءها بالاسلام تتصل به ، فيختار من ابناء المسلمين هناك رجلا ذا علم بالاسلام ، وطلاقة في اللغة الانكليزية لالقاء المحاضرات المطلوبة .

أما الذبح الاسلامي الشرعي في ليفربول فقد تقدم ـ رحمه الله بعد الحرب العالمية الثانية بطلب الى الحكومة المحلية في ليفربول للسماح بالذبح الاسلامي في مجزرة المدينة ، فرفض طلبه بحجة ان مسلمي ليفربول يأكلون اللحم الموجود في السوق منذ سنين ، وليس لهذا الطلب اساس ديني اسلامي .

فذهب علي حزام الى المسؤولين يحمل اليهم بطاقات التموين الخاصة باللحم التي صرفت له طيلة سنوات الحرب الست من عام ١٩٣٩ الى ١٩٤٥ لم يستعمل اية واحدة منها . فما ان ابرزها حتى ذهل المسؤولون ، لأن الناس كانوا أيام الحرب يتهالكون على لقمة اضافية ينالونها ، فكيف به لم يستعمل بطاقة واحدة من بطاقات اللحم ، فصدرت على اثر ذلك الموافقة على الذبح الاسلامي ، وظهر في ليفربول قصابون من اليمن والسودان والملايو والباكستان يعلنون على واجهات محلاتهم انهم (قصابون مسلمون) او لديهم (لحم حلال اسلامي) .

ولا يمكن ان ينسى المسلمون في ليفربول جهود الحاج علي حزام رحمه الله في اصلاح ذات البين . فقد كان يبحث عن المسلمين الذين يسمع ان خلافا وقع بينهم ، ووصل امرهم الى المحاكم ، وكان كلما ذهب الى احد الخصوم امتلأ الخصم خجلا ، وراح يسعى لاظهار العذر الذي دفعه الى هذا العمل السيء ، ألا وهو رفع الخصومة الى القضاء الانكليزي . لقد كان المسلمون جميعا ، على شدة انغماس بعضهم في الموبقات ، يدركون أن الحاج علي حزام كان غيورا عليهم ، يربأ بهم ان يفضحوا انفسهم امام الآخرين .

وكان مسلمو ليفربول يشعرون أنه وجهتهم بين الناس ، فاذا زارت المدينة شخصية عربية أو اسلامية ، كان عليه ان يزورها او ان يدعوها الى وليمة في بيته ، وإذا ذهب وفد من مسلمي ليفربول الى لندن لأمر ما ، فلابد ان يكون هو على رأسه ، واذا اقيم احتفال اسلامي في أي مدينة في بريطانيا ، فهو على رأس ممثلي ليفربول ، او الممثل الوحيد ان لم يذهب معه أحد . وما كان يكلف المسلمين شيئا من نفقات ذلك كله إلا في بعض الحالات الاستثنائية وحين اشتد ضيق اموره المادية في السنتين الاخيرتين في حياته ، ولكنه ظل حتى وفاته لا يتقاضى راتبا من الجمعية ولا من المسلمين ، ولا أي جهة اخرى على امامته المسلمين ، او رئاسته جمعيتهم .

ولم يكن لجمعية مسلمي ليفربول هاتف ، وانما كان هاتف مسكنه هاتف الجمعية لأمور الجمعية ولأمور المسلمين الشخصية باعتباره امامهم ، وما كان

يتقاضى شيئا من أجور الهاتف عن النداءات البعيدة التي كثيرا ما كان يضطر الى القيام بها . وكان رقم هاتفه ملاذا للكثيرين .

وكانت ليلة رمضان وليلة العيد ليلتين مجهدتين للحاج علي حزام رحمه الله ، فقد كان يقف عند جهاز الهاتف ساعات طويلة يخبر المسلمين الذين لديهم اجهزة هاتف بحلول الشهر الكريم ، او العيد ، ويطلب اليهم أن يخبروا من يعرفون . وكانت طائفة من نداءاته الهاتفية إلى خارج ليفربول أيضا .

ولما كانت الزاوية لا تتسع للمسلمين الذين يأتون في العيد للصلاة فقد كان يستأجر كل عيد باسم جمعية مسلمي ليفربول وعلى نفقتها قاعة واسعة من القاعات الميسورة في المدينة . وكانت ليلة العيد ليلة سهر حتى الفجر في بيت الحاج علي حزام لاعداد الطعام لمئات المصلين .

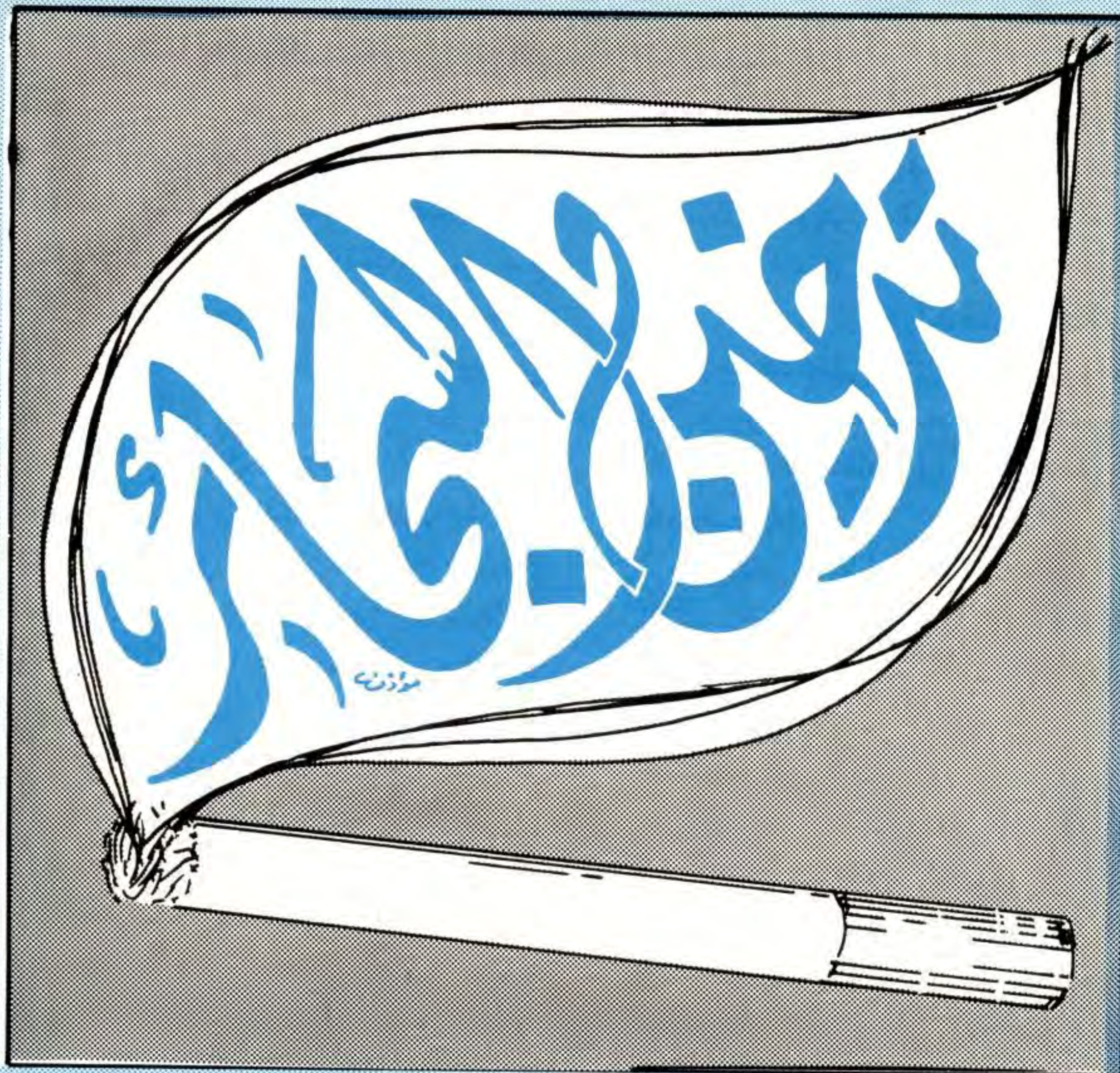
كان علي حزام خفيف الظل مرحا محبا للنكتة مضيافا مفتوح اليد مسارعا في الخيرات يكلف نفسه في الانفاق في سبيل الله فوق طاقته ليكون قدوة للآخرين . وكان متواضعا يأتيه ضعفاء الحال كما يأتيه العصاة والمذنبون فلا يخشى هؤلاء منه شموخا عليهم ، ولا يخاف أولئك منه احتقارا لهم لعصيانهم وكثرة آثامهم .

وكان مما ألزم به نفسه في معاملة المسلمين أن يرعاهم ماديا ما استطاع ، فكانوا يودعون ودائعهم عنده ، ويلجأون اليه عند الحاجة ، ليقترضوا منه ، فكان يقترض من أجلهم ثم يقرضهم ما يحتاجون . ولم يكن يأخذ منهم سندا بما يقرضهم ، وحين اعترضت عليه لأن ذلك يخالف التوجيه القرآني ، قال : إن هؤلاء الناس جهال بسطاء ولا يفهمون من ذلك إلا أني أئتمنهم .

ولما مات اكتشفت زوجته أنه كان مدينا بمبالغ كثيرة لم تكن تعلم بها ، فاضطرت إلى مفاتحة ابنته بشأن بيع دار كان قد وهبها إياها ، فبيعت الدار لتسديد ديون كان أغنى الناس عنها لولا ما ألزم به نفسه من انفاق على أمور المسلمين ، ولولا ضياع كثير من أمواله التي اقرضها للمحتاجين ، وسكت عنها صيانة للرابطة المعنوية التي كان يمثلها بين المسلمين في ليفربول .

وبعد : فهذه شخصية انسان أم المسلمين وقام بأمور دينهم ورعاهم وهو لم يتخرج في جامعة ، ولم يحمل شهادة عليا في العلوم الدينية ، وانما عرف الله فأكثر من ترديد قوله تعالى : **(قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون)** الانعام/٩١ ، وكان ذكر الله عنده عملا دائبا للاسلام والمسلمين منذ الصباح حتى منتصف الليل ، بل حتى ينشق الفجر أحيانا ، وكان أمله أن يبني للمسلمين في ليفربول مسجدا يجمع شملهم وقد بناه ، وقدمه هدية لمسلمي ليفربول أودعها روحه كلها فسقط جسدا باردا لا روح فيه . فحملته إلى مثواه في مقبرة ليفربول الاسلامية ايد طالما اتكأت عليه في الملمات ، وطالما حرص على أن تصل مثواها يوما ما نظيفة طاهرة تشهد ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

رحم الله علي حزام وغفر له ، وبنى له بيتا في الجنة ، ورعى مسجده في ليفربول ورعى الذين حملوا الأمانة بعده ورعوا المسجد والمسلمين في تلك الغربة .



للاستاذ ضياء الحاج حسين

ان السجائر هي أكثر وسائل التدخين انتشارا وأفدحها خطرا على الصحة إذ أنها تهيىء للاصابة بسرطان الرئة والحنجرة ولاسيما اذا طالت مدة استعمالها .

وتختلف كمية النيكوتين الموجودة في السيجارة باختلاف طول السيجارة وحجمها ونوع تبغها . فالسجائر الرفيعة الطويلة تنتج عنها كمية من النوكتين أقل من السجائر القصيرة والغليظة ، وكذلك فان نصف السيجارة الأخير يحتوي كمية من النيكوتين أكبر من نصفها الأمامي . ولهذا فان النصف الأخير للسيجارة أكثر ضررا من نصفها الامامي .

والمصفاة (الفلتر) الموضوعة في مؤخرة السيجارة يخفف قليلا من ضررها وذلك بايقافه لمقدار يسير من

موادها الضارة .

وان استهلاك السجائر في العالم آخذ بالازدياد بمرور الزمن .

والتدخين يعكس خطورته على المجتمع وحياة الانسان نظرا لأن زيادته في الاستهلاك تتناسب مع ازدياد الأمراض التي يسببها التدخين (كالسرطان – التهاب شعبي مزمن .. الخ) .

وهذا يجعل الحكومات أمام مسئولية خطيرة تهدد مجتمعها إذا هي تمادت في إيثار الارباح التي تجنيها من وراء صناعة السجائر (أو تجارتها) على صحة مجتمعها وسلامة أفراده .

وان تعاطى التبغ ، تدخينا كان أو مضغا (علكا) أو استعاطا (على شكل سعوط) هو عادة رديئة . هذه حقيقة يسلم بها حتى متعاطو التبغ أنفسهم ، اذ من شأن ذلك تنبيه أعصاب معينة وبطريقة مشوشة ، وجعل دقات القلب غير منتظمة الايقاع فيتعرض مدخنو السجائر لخطر الموت المبكر نتيجة تعرضهم لأمراض الرئة والقصبات والقلب المختلفة .

إن الشخص المدمن البالغ من العمر ثلاثين عاما والذي يدخن خمس عشرة سيجارة في اليوم يكون مستوى عمره أقل من الشخص الذي لا يدخن . ومما يؤكد ارتباط العمر بالتدخين وجود علاقة وثيقة بين زيادة عدد ضحايا أمراض الدورة الدموية والقلب – والزيادة الواضحة في عدد المدخنين .

ومن هنا ارتفعت صيحات عديدة تحذر من خطر الدخان (السيجارة) .

وفي نفس الوقت زادت شركات الدخان من إنتاجها مع إحاطته بوسائل الترغيب الشديدة – وأصبح من المألوف أن نسمع عبارة خادعة مثل : أنقى أنواع الدخان ، فالواقع أنه لا توجد حتى الآن سيجارة واحدة بلا ضرر . وأصبح من الضروري الامتناع عن التدخين حتى يمكن أن نتجنب مضاره .

ويعتقد معظم الأطباء أن عدد الأشخاص الذين يموتون كل عام نتيجة الادمان على التدخين يفوق بكثير عدد الذين يموتون نتيجة ادمانهم على الحشيش أو الهيروين .

والسبب الرئيسي في ذلك يعود إلى أن النيكوتين يمهد الطريق إلى دخول مجموعات كبيرة من العناصر التي تولد السرطان والسموم والملوثات الخطيرة الأخرى إلى الجسم ، ففي الولايات المتحدة وحدها ذكرت التقارير أن حوالي ٣٦٠ ألف وفاة معروفة تحدث كل عام بسبب النيكوتين أي بمعدل ألف وفاة يوميا .

ويقول الأطباء إن عدد ضحايا التدخين يفوق بحوالي سبعة أضعاف عدد ضحايا حوادث السير طوال السنة ونتيجة للنشرات الصحية التي وزعتها الدوائر الصحية في الولايات المتحدة الامريكية والتي شرحت بها الاخطار الكامنة وراء التدخين ، فقد تدنى مستوى التدخين في الولايات المتحدة الامريكية بعد سنة ١٩٤٦م .

ولكن التدخين مازال يعتبر المشكلة

الصحية الرئيسية في أكثر بلدان العالم العربي .

كيماوية التدخين :-

المعروف أن دخان السجائر يحتوي على آثار من مادة القطران وبالرغم من تسرب جزء كبير من مركبات الدخان إلى الهواء الطلق حين تدخينه ، إلا أن كل نفس يسحب من السيجارة أثناء تدخينها يزيد في تركيز المادة القطرانية وتكثيفها في الجزء غير المحروق ومن ثم تتسرب مادة القطران السامة إلى داخل جسم المدخن كلما تصاعد ازدياد حرق السيجارة ونفثها .

وكما هو معلوم فان المدخن العادي لا ينزعج من تدخين السيجارة بقدر انزعاج مدخن الغليون أو السيجار مما يجعله مدمنا على تدخين السيجارة التي يسهل إشعالها في أية فرصة أو كما يقال ان تدخين الغليون أو لفافة السيجار أقل خطورة من تدخين السيجارة علما بأن ذلك ليس صحيحا تقريبا وذلك لأن كل أنواع التدخين في الضرر سواء .

تقسم مركبات الدخان المنبعث من السيجارة بالنسبة لأهميتها من الناحية الطبية إلى أربعة أقسام :-

١) المواد المحدثة للسرطانات :-

وهي عبارة عن المادة المسماة « البانزبايزن » الموجودة في القطران وهي تستطيع التسرب أثناء التدخين إلى أعماق الرئتين رغم وجود الموانع التي يزعم بأنها موقفة للقطران مثل (الفلتر) أو ما يوضع في الغليون والسيكار من حواجز إذ أن هذه الحواجز توقف فقط مادة القطران وتسمح للبانزبايزين بالمرور ، وهو المادة المسببة للسرطانات وخاصة منها سرطان الرئة .

يعطي كل جرام من التبغ بعد احتراقه مقدار ٤٠ ملغ من المواد القطرانية ، ولقد قام عدد من العلماء بتجارب على المواد القطرانية المستخرجة من الدخان للتبغ فقاموا بدهن جلود الفئران بهذه المواد عدة مرات فكانت النتيجة تشكل سرطانات على جلود الفئران مكان وضع هذه المواد .

٢) المواد المثيرة أو المخرشة :-

وهي التي تحدث السعال وتضيق الشعب القصبية بعد كل سحبة من الدخان كما أنها تحد من وظيفة الأهداب الموجودة في القصبات التنفسية ونحن نعرف ما للأهداب من وظيفة في تنقية الهواء الداخل أو بالأحرى الأكسجين الداخل إلى الرئتين . كما تعمل هذه المواد على اثارة مفرزات القصبات المخاطية وتسبب السعال الرطب .

النيكوتين :-

هي مادة شبه قلوية ضارة جدا بالجسم وتعتبر المادة الأساسية

السامة في التبغ ، وتختلف نسبتها فيه بين زهيدة (١ ـ ٣٪) ومتوسطة ١٢٪ حسب نوع التبغ وطريقة زراعته وعلى العموم فان هذه النسبة هي في دخان السجائر أكبر منها في دخان التبغ والسجائر يحوي كل ١,٠غ من التبغ ٢٠ ملغ من النيكوتين الشديد الخطورة إذ يودي حقن نقطة واحدة في الدم للموت الفوري ، ولذلك فان جميع الصيدليات والمختبرات في العالم تصنف النيكوتين مع مجموعة السموم الخطرة على الحياة ، على حين لا يدرك المدخنون المدمنون هذا الأمر .

وقد يسبب الادمان على التدخين بما فيه من نيكوتين الادمان على الكحول والهيروئين . كما يعتبر النيكوتين من المواد الضارة بالجهاز العصبي لما له من تأثير ضار على الأعصاب ويؤثر أيضا بصورة سلبية وغير مباشرة على الدورة الدموية عن طريق اثارة افرازات الكاتيكو لامين الذي يزيد في شدة ضربات القلب ويعمل على إسراعه وعلى تضييق الأوعية ورفع معدل الضغط الشرياني ، هذا بالاضافة إلى ازدياد تركيز إفرازات الحموضة الدسمة في الدم والصفيحات الدموية والحد من افرازات البيكربونات في غدة البنكرياس .

الغازات السامة :ـ

نعد في طليعة هذه الغازات غاز أول أكسيد الكربون : وهو غاز سام ينبعث مع غازات احتراق التبغ وتبلغ نسبته في هذا الدخان حوالي ألف مرة أكثر من النسبة المقبولة في الهواء الصالح للاستنشاق أو المعتبر هواء غير ملوث ، تتراوح نسبة هذا الغاز في دخان التبغ (١ ـ ١٤٪) بينما تتراوح نسبته في دخان قاطرة السكك الحديدية (٣,٦٪) وفي دخان السيارة (٣,٥ ـ ٧٪) وفي غاز البوتوغاز (٤ ـ ٦٪) .

وهذا الغاز سام ومميت لأنه يدخل إلى الدم ويتحد مع الكريات الحمر فيمنعها من حمل الأوكسجين من الرئتين إلى أعضاء الجسم فيموت المتسمم به بسبب نقص الاكسجين بدمه .

غاز حمض هيدروجين السيانيد :ـ

وهو سم زعاف موجود في دخان السيجارة بتركيزات تبلغ حوالي ألف وستمائة جزء (١٦٠٠) جزء من مليون مقابل عشرة اجزاء من مليون وهو المستوى المأمون الذي تسمح به الصناعات كمعدل سليم لانتاجها .

٣) بالاضافة إلى الغازين السابقين هناك غاز ثالث موجود في غاز السيجارة **وهو كبرتيد الهيدروجين** ولقد ثبت أن معدل كربوكسي هيموغلوبين في الاشخاص الذين يدخنون علبة واحدة يوميا هو ٥٪ يقابل هذه النسبة ما يقل عن ١٪ في الاشخاص غير المدخنين . وهناك غازات أخرى موجودة في دخان السيجارة مثل البريدين ـ وغاز الامونياك (النشادر) وغاز تسيان هيدريك وغيرها من الغازات الأخرى السامة .

أوراق السجائر :ـ

تصنع الأوراق التي تلف بها السجائر من الخرق أو ألياف الذرة أو الكتان أو القنب ـ وبعض المدخنين يصابون بالقرف من رائحة هذه الأوراق عند حرقها بالرغم من تعطيرها بالعطور المختلفة وينسب إلى هذه الأوراق بعض التأثيرات السامة ، لكن لم يثبت بعد ، ما يدل على إمكانية إحداثها للسرطان أو تداخلها في إحداثه ، **والآن جاء الحديث عن الأمراض الناتجة عن التدخين :**

١ ـ التدخين وسرطان الرئة :

إن الجهاز التنفسي من أوثق أعضاء الجسم علاقة بالتدخين ، فمساحة الرئتين السطحية تبلغ حوالي سبعين ياردة مربعة أي ما يربو على مساحة ملعب تنس ولا يدانيها في ذلك أي عضو آخر من أعضاء الجسم فهذه المساحة الشاسعة تكون في تعرض مستمر لكل مؤشرات الوسط المحيط بالجسم بما يحتويه من مواد عالقة بالهواء طوال الأربعة والعشرين ساعة التي يحتويها اليوم بمعدل يصل إلى خمسة وعشرين ألف مرة هي متوسط عدد مرات التنفس باليوم الواحد ومن هنا كانت العلاقة بين وسائل الدفاع الداخلية للجسم مرتبطة أشد الارتباط بهذا المنفاخ الدائم الحركة والذي لا يتوقف عن الحركة إلا بعد أن يحين الأجل المحتوم .

ودخان السيجارة هو جرعة مركزة من أشد المواد الكيميائية فتكا وشرا بهذا العضو الحيوي . فقد ثبت إحصائيا وبطريقة لا تدع مجالا للشك العلاقة الوثيقة بين التدخين وبين أمراض التنفس والتي أهمها النزلات الشعبية المزمنة ومرض انتفاخ الرئة وهو مرض يشكو المصاب به من ضيق نفس ، ومن اتساع حجم الصدر ـ كما انه لا يستطيع القيام بأي جهد ، وسبب هذا الداء نقص مرونة الرئة بالاضافة إلى المرض غير القابل للشفاء وهو يؤدي إلى الوفاة على المدى الطويل .

وقد تأكد ذلك من التغيرات الباثولوجية في حيوانات المخبر المتعرضة لجرعات محسوبة من دخان السيجارة وظهرت هذه التغيرات في مراحلها المتدرجة حسب وقت التعرض ومدى تركيز الجرعة المعطاة .

ففي المراحل الأولى من التدخين تبدأ عملية تهيج مستمر للغشاء المخاطي المبطن للجهاز التنفسي ، مع كل نفس سيجارة مما يؤدي لزيادة افراز السائل المخاطي الذي يتراكم على سطح الشعيبات ويستتبعه تغير كيميائي في تركيب هذا السائل مما يجعله يفقد ارتباطه بحركة الشعيبات الهدبية المنتشرة على هذا السطح فتفقد حيويتها ثم تقلع من اماكنها لتعطي الفرصة لهذا المخاط لكي يتزايد ويتراكم ويقفل الشعيبات الهوائية .

ونفخت فيه من روحي

الانسان الأول آدم وهو المخلوق الذي أبرز الله إرادته ودلائل قدرته في كيانه . ليس من الملائكة . ولا من الجن ، ولا من العوالم الأخرى التي عرفت آنذاك ، وإنما هو كائن زود بطاقات تؤهله للاطلاع بالمهمة ، والنهوض بالمسؤولية التي خلق لها ، يبتلى بالغرائز ، وتصطرع في داخله الانفعالات والدوافع ، ويمنح العلوم والمعارف ، ويضرب في فجاج الأرض اذ من ترابها يخلق ، وعلى ظهرها يعيش ويرزق وفي بطنها يدفن ، ومنها يبعث ، وله اليوم الآخر . وله ينصب الميزان ويضرب الصراط ومن أجله خلقت الجنة والنار ومجال عمله ومحك اختباره في دنياه ، والعوالم كلها مخلوقة من أجله . وملائكة الله يقومون بأمره ليل نهار وعمره على وجه الأرض يقاس بدورة الفلك وأفول الشمس وبزوغ القمر . خليفة عن الله في أرضه بأمره ويسجل ذلك في آخر كتبه ، تنزيلا على خاتم رسله فيقول جل شأنه : **(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون)** البقرة/ ٣٠ ، فالملائكة عرفوا الله بملكوته شهودا تسبيحا بحمده وتقديسا وتنفيذا لأوامره ليل نهار لا يفترون . وآخرون عرفوه بملكه وقهره وحيا أو إلهاما سواء في ذلك النجم

للأستاذ : عبد الفتاح شهاب

والشجر والجبل والمدر . والفيل والنمل كل قد علم صلاته وتسبيحه والهم وظيفته مع الكائنات من حوله وجماع ذلك كله دليله قوله تعالى : **(أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون . ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون . يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون)** سورة النحل/٤٨ ــ ٥٠ . وقوله تعالى : **(وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا)** الاسراء/٤٤ . أما آدم وذريته فقد استخلفهم الله في الأرض عنه وجعل لهم السمع والبصر والفؤاد لينفذوا بها من مخلوقاته اليه استدلالا عليه أو جذبا إليه . وبذلك تكمل الارادات ، وتتناسق في ركب الحياة الدنيا المخلوقات ، وتصطرع فيها القوى ليصل بها الى أجلها المقدر لها ، وليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة". ومن أجل ذلك زود الله آدم بعد خلقه بالعلوم والمعارف التي تساعده على فهم الأرض وما فيها وفي ذلك يقول الله تعالى : **(وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)** البقرة ٣١ ــ ٣٣ .

وما أبلغ قول العلي القدير في شأن آدم أبي البشر : **(فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)**٢٩/الحجر .

إن هذا تكريم للانسان أي تكريم ، وسمو بمكانته إلى آفاق عليا ، فهو بهذه النفخة من روح الله التي سرت في كيانه فمنحته الحياة العالية الكاملة ، قد أصبح خلقا متفردا بصفات تؤهله لخلافة الله في الأرض وقد شاءت الارادة العليا أن تسلم زمام الأرض لهذا الكائن الجديد الذي وفد عليها ليغمرها بالخير ، ويعمرها بالاصلاح والتجديد ، وقد استطاع الانسان بهذه النفخة المباركة من روح الله ، وبهذه النفخة العلوية التي لابسته ، أن يكتشف ما في الحياة من نواميس وأسرار ، وأن يفجر طاقاتها الكامنة ، ويكتشف كنوزها المذخورة ، وبذلك استطاع أن يحقق مشيئة الله ، في قيادة الحياة

وأن يقوم بالمسؤولية الضخمة التي ناطها الله به ، ووكلها اليه .. ثم كان أن علم الله آدم الأسماء كلها ، ودخل مع الملائكة في امتحان ، ورجحت فيه كفته فقد وهبه الله من العلوم والمعارف ما رفعه على الملائكة الذين لا حاجة لهم إلى هذه العلوم التي لا تتصل بوظائفهم فهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وأما آدم فهو مخلوق من طين ، والصلة بينه وبين الأرض وثيقة ، فهو منها وإليها يعود فلا يستطيع كائن غيره أن يدير شؤونها لأنها أمه وهو ابنها ، وهو أقدر على معرفة خصائصها والاحاطة بأسرارها ، والغوص في أعماقها ..

وعندما صدر الأمر الالهي للملائكة بالسجود لآدم تكريما له ، واعترافا بفضله، سجود تعظيم وتحية ، لا سجود عبودية وألوهية خرج إبليس عن صف الطاعة لأمر الله ، وأظهر عداوته لآدم وذريته حسدا له وتكبرا عليه فطرده الحق تبارك وتعالى من فسيح رحمته ، وذلك جزاء المتكبرين .

ويشرف الله آدم فينزله هو وزوجه ضيفين في رحاب جنته ويبيح لهما ما لذ وطاب فيها ويبتليهما بشجرة يمنعهما الأكل منها تربية لعزيمتهما وإيقاظا للغرائز المركبة فيهما ومعالجة للدوافع وتعديلها وفي ذلك يقول الله تعالى : **(وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)** البقرة/٣٥ ويركن آدم الى النعيم هو وزوجه وينسى في غمرة حرصه على الخلود ما طلب منه من البعد عن الأكل من الشجرة فيأكلان منها فتمتلئ المعدة وتشتغل الأمعاء وتبدو السوأتان لتؤديا وظيفتهما ، فيدركهما الندم ، ويلفهما الخجل ، ويسترانهما بورق الشجر ، وينبعث من قلبهما اعتراف بالخطأ والتوبة والدعاء فيتقبل الله التوبة ، ويزود آدم وذريته في ظهره بالتحذير من إبليس وجنوده . ويأخذ عليهم العهد في رسله وفي ذلك يقول الله تعالى : **(فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم .. قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)** البقرة/٣٦ ـ ٣٩ وقضى الأمر وهبط آدم الى دنيا العناء والفتنة مزودا بمعارف وغرائز ، ورضوان من الله بينما إبليس طرد مذموما مدحورا . ومن هذا التاريخ لا يدخر جهدا في إظهار عداوته للبشرية وصدها عن طريق الهدى والرشاد . ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين ليفضحوا مكائد الشيطان ويقووا في الانسان لمسة الرحمن ، فان هلك أحد بعد ذلك فلا يلومن الا نفسه وفي ذلك يقول الله تعالى:**(رسلا مبشرين**

ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) النساء/ ١٦٥ ولقد سجل الله هذا الحفل الكريم لآدم وما وقع فيه من أحداث في سور متعددة في القرآن بأساليب متنوعة ليشد انتباه الانســـان دائمـــا إلى رسالتـــــه في الأرض ، ويحذره من أعدائه فيها وما يجب عليه في مدة أجله عليها ليكون قدومه على الله عيدا . لذلك نجد كل آية ، فيها ذكر لهذا الحفل أو الاشارة إليه تركز على ناحية خاصة فيه ففي أطوار خلقة آدم تشير آيات من سورة الحجر ، وفي أصل إبليس تشير آية الكهف ، وإلى حرص آدم وضعــف عزيمته تشير آيات في آخر سورة طه ، وإلى تفاخر إبليس تشير آيات من سورة ص ، وإلى توجيه أولاد آدم إلى عدوهم ليأخذوا منه الحذر ترد الآيات من سورة الأعراف إذ هي ختـــام الآيات يقول الله تعالى: **(يا بني آدم قد أنزلنا عليــكم لباســا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خـــير ذلك من آيـــات الله لعلهــم يذكرون . يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويــكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيــث لا ترونهــم إنـــا جعلنـــا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون)** الأعراف/ ٢٦ و ٢٧ .

أرأيت أيها القارئ الكريم من أنت وما يريده الله ويرضاه لك ..

قد رشحوك لأمر إن فطنت له
فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

إن دعوة الخير والسلام في كيان الانسان من الرحمن ، ونوازع الشر من الشيطان فهل تعود البشرية الى كلمة سواء من ربها الذي أعلى قدرها في الملأ الأعلى ، واخزى عدوها يوم خلـــق أصلهـــا آدم وجعلـــه يومـــا مشهودا ، وانحنت الملائكة بأمر الله تكريما له . إلى الكلمة التي ما تزال تتجاوب أصداؤها في العوالم ؟؟

إنها آية الله : **(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)** آل عمران/ ٦٤ .

إلا أن الانسانية ما دامت بعيدة عن منابع سعادتها منفصلة عن هداية ربها فلن تسعدها مادة طاغية ، ولا ملهيات فاسدة ، ولا أعياد فارغة ولن تنسيهـــا ما يغلي في ضميرهـــا من خصومات وأحقاد لربها ولمن حولها من جيرانها : **(أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبـــون ولا هم يذكرون)** التوبة/ ١٢٦ .

إلا أن الأحفال أياما تكن إنما هي وقفات بأصحابها تجدد لهم العهد ، وتنير لهم طريق الرشد ، وتشدهم عن مسالك الشيطان والأهواء ، وتستل من قلوبهم السخائـــم والبغضـــاء ، وتعود بالأنسان الى المسلك الرشيد الآمن فيلقى على الأرض محبة وسلاما وينشر بين الناس السعادة والرخاء .



كتاب الشهر

الاقتصاد الإسلامي

تأليف : د. محمد شوقي الفنجري
عرض وتحليل : محمد عبدالله السمان

المؤلف هو الدكتور محمد شوقي الفنجري ، المستشار بمجلس الدولة المصري ، وأستاذ الاقتصاد الاسلامي المنتدب بجامعتي الازهر والرياض ، وهو من خيرة المفكرين الاسلاميين المعنيين بالدراسات الاقتصادية الاسلامية ، قدم في هذا الجانب الكثير من جهده الفكري وتذكر له المكتبة الاسلامية كتابه « المدخل الى الأقتصاد الاسلامي » .

● والدراسة التي بين أيدينا دراسة موضوعية في الاقتصاد الاسلامي ، وهي سلسلة متصلة الحلقات ، بدأها المؤلف بحلقتين ، الحلقة الاولى تقع في اكثر من مائة صفحة من القطع الكبير ، وموضوعها : « ذاتية السياسة الاقتصادية الاسلامية وأهمية الاقتصاد الاسلامي » وقد شارك المؤلف بهذا الموضوع في مؤتمر علماء المسلمين السابع ، الذي انعقد في القاهرة بالازهر سنة ١٩٧٢م ، والذي كان ضمن توصياته : الدعوة إلى تدريس مادة الاقتصاد الاسلامي في الجامعات والمعاهد العلمية في الدول الاسلامية ، أما الحلقة الثانية فموضوعها : « الاسلام والمشكلة الاقتصادية » وقد شارك به المؤلف أيضا في مؤتمر علماء المسلمين الذي انعقد بالقاهرة سنة ١٩٧٧ ، وهناك حلقتان أخريان سوف تصدران قريبا – إن شاء الله – عن الاسلام والتأمين ، ثم المذهب الاقتصادي في الاسلام .

● الحلقة الاولى من الدراسة التي بين أيدينا « ذاتية السياسة الاقتصادية الاسلامية ، وأهمية

الاقتصاد الاسلامي » ذات فصلين رئيسيين كما يبدو من العنوان ، الاول عن الذاتية ، والآخر عن الاهمية ، وفي مجال الذاتية للسياسة الاقتصادية ، عرض المؤلف للجمع بين الثبات والتطور ، والجمع بين المصلحتين : الخاصة والعامة ـ أي خاصة التوفيق والموازنة بين المصالح المتضاربة ـ والجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية ، وهذه هي الخصائص الرئيسية التي يمكن رد السياسة الاقتصادية في الاسلام اليها ، وحول الخاصة الاولى : الجمع بين الثبات والتطور ، اشار المؤلف الى بعض القضايا ، منها : أن الاقتصاد الاسلامي ، إلهي من حيث المذهب ، ووضعي من حيث النظام . وأن المذهب الاقتصادي الاسلامي لا يرتبط بمرحلة تاريخية معينة ، ولا يقتصر على صورة تطبيقية معينة ، وحول الخاصة الثانية : الجمع بين المصلحتين الخاصة والعامة ، أو خاصة التوفيق بين المصالح المتضاربة ، أثار المؤلف أيضا بعض القضايا : مناط الاقتصاد الاسلامي هو المصلحة ـ التوفيق بين مصلحتي الفرد والجماعة في حالة التعارض ـ في حالة عدم امكان التوفيق بين المصلحتين ، تقدم المصلحة العامة على الخاصة أي على مصلحة الفرد ، وحول الخاصة الثالثة والأخيرة : الجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية .. أثار المؤلف بعض القضايا : الطابع الايماني والروحي للنشاط الاقتصادي ـ ازدواج الرقابة وشمولها ، مقارنة بين النظم الوضعية والاسلامية .

والفصل الثاني من الحلقة الاولى ، عن أهمية الاقتصاد الاسلامي ، وهذا الفص تضمن ثلاثة مطالب : أهمية اسات الاقتصادية ، ودور صاد الاسلامي ، ثم تدريس مادة الاقتصاد الاسلامي ، وحول المطلب الثاني : دور الاقتصاد الاسلامي ، اشار المؤلف إلى أهمية هذا الدور بالنسبة لمعركة القضاء على التخلف ، وبالنسبة للعالم الاسلامي ـ حيث إن الاقتصاد الاسلامي هو المنهج الاقتصادي الذي تتوافر له التجارب لدى الشعوب المسلمة ، والفاعلية وقوة التنفيذ ، والذي يحقق لجماهير العالم الاسلامي الوحدة والانسجام ، ثم دور الاقتصاد الاسلامي بالنسبة للعالم اجمع ، وحول المطلب الثالث والاخير : تدريس مادة الاقتصاد الاسلامي ، اشار المؤلف الى حداثة مادة الاقتصاد الاسلامي ، بالرغم من انه قديم قدم الاسلام ، كما اشار إلى إغفال تدريس مادة الاقتصاد الاسلامي ، واغفال تطبيق الاقتصاد الاسلامي وسببه .. والحق ان قضية الاغفال تدريسا وتطبيقا ، مردها إلى وقوع العالم الاسلامي تحت سيطرة الاستعمار الغربي الصليبي ، والذي يثير الأسى أن الدول المسلمة بعد رحيل هذا الاستعمار لاتزال تتقدم خطوة وتتأخر خطوات بالنسبة لهذه

القضية ، ولن يعذرها الله إذا هي لم ترد للاقتصاد الاسلامي اعتباره تدريسا وتطبيقا .

● والحلقة الثانية من هذه الدراسة التي بين أيدينا : الاسلام والمشكلة الاقتصادية .. وتقع أيضا في أكثر من مائة صفحة من القطع الكبير ، وهي تتضمن ثلاثة مطالب : ماهية المشكلة الاقتصادية – الاسلام والعامل المادي – ثم تشخيص الاسلام للمشكلة الاقتصادية وموقفه منها ، ثم رد المؤلف بعد ذلك على شبهتين لدحضهما أولاهما : إقرار الاسلام للطبقية ، والأخرى عدم اعتراف الاسلام بالاثرياء .

يرى المؤلف : أن موضوع المشكلة الاقتصادية وعلاجها ، هو موضوع الاقتصاد كله ، وبحكم المتغيرات الدولية ، وتشابك المصالح وارتباط الدول ببعضها ، أصبح موضوع المشكلة الاقتصادية يثير جوانب جديدة ، لم تكن مطروقة من قبل ، أهمها : ظاهرة الانفجار السكاني في الدول النامية ، وظاهرة تسابق دول العالم أجمع في التسلح والانفاق العسكري مما أثر على معدلات التنمية ، وكذلك ظاهرة حمى الاستهلاك التي تسود عالم اليوم ، ثم ظاهرة تفاقم الفجوة بين الدول المتقدمة والدول النامية ، وما يستتبع ذلك من اضطراب وعدم استقرار .

ويرى المؤلف أن المشكلة الاقتصادية هي مشكلة الفقر ، وان مشكلة الفقر قديمة وان اشتدت وطأتها متأخرا ، وان هذه المشكلة لا تتمثل – كما تصور البعض – في ظاهرة الجوع والحرمان او العجز عن اشباع الحاجات الأساسية للمعيشة ، وإنما تتمثل في عدم بلوغ المستوى اللائق للمعيشة بحسب ما هو سائد في المجتمع ، مما يختلف باختلاف الزمان والمكان ، وهو ما أدركه الاسلام بفكره الاقتصادي منذ ١٤ قرنا ، وعبر عنه باصطلاح : حد الكفاية ، وهذا الاصطلاح – وإن لم يرد صراحة في نص من القرآن أو السنة – إلا أنه يستفاد من روح هذه النصوص ، وقد ورد صراحة في تعبيرات أئمة الاسلام ، يقول عمر : إذا أعطيتم فأغنوا .. ويقول علي : إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم .. ويقول الماوردي في الاحكام السلطانية : « ... فيدفع إلى الفقير والمسكين ما يخرج به من اسم الفقر والمسكنة إلى أدنى مراتب الغنى » كما يقول : تقدير العطاء معتبر بالكفاية ، ويقول الشاطبي في الموافقات : الكفاية تختلف باختلاف الساعات والأحوال .

وحول المطلب الثاني من هذه الحلقة : الاسلام والعامل المادي .. يشير المؤلف إلى أن الاسلام – منذ ظهوره – أدرك أن الانسان في حياته الدنيا يتأثر بأمرين رئيسيين : عقيدته الدينية ، ثم شؤونه الاقتصادية ، ومن هنا كان اهتمام الاسلام بالعامل المادي ، فلم يهون من شأنه مثلا ، كالمذاهب الروحية والمتصوفة ، ولم يغال فيه ، كالمذاهب المادية

والابيقورية ، وإنما وضعه حيث يجب أن يوضع عاملا مؤثرا ضمن عوامل أخرى ، فلم يهون الاسلام من شأن العامل المادي ، ولم يغال في شأنه ، فالاسلام دين ودنيا .

وحول المطلب الثالث والأخير : تشخيص الاسلام للمشكلة الاقتصادية وموقفه منها .. أشار المؤلف إلى أن للاسلام تشخيصا معينا لسبب المشكلة الاقتصادية يختلف عن التشخيص الرأسمالي بل ، والاشتراكي ، فالاسلام لم يعتبر المشكلة الاقتصادية هي قلة الموارد كما تصورتها الرأسمالية ، ولا كما تصورتها الماركسية هي مشكلة التناقض بين قوى الانتاج وعلاقات التوزيع ، لكن الاسلام يرد هذه المشكلة الى الانسان نفسه ، وقصور سلوكه ، سواء من حيث الانتاج أو من حيث الاستهلاك ، مما لا علاقة له بالطبيعة ـ كرؤية الرأسمالية ـ ولا بأشكال الانتاج ـ كرؤية الماركسية ـ أما من حيث العلاج فيرى المؤلف : ان مشكلة الفقر في نظر الاسلام هي مشكلة ظلم الانسان بسوء توزيع الثروة ، إلى جانب كفرانه بالنعمة باهماله استثمار الطبيعة وموقفه السلبي منها ، وقد عالج الاسلام كفران النعمة بما وضعه للانتاج والاستهلاك من أحكام ، كما كفل محو الظلم بما وضعه للتوزيع من تعاليم ، وكان له موقفه مما يميزه عن سائر المذاهب والنظم الاقتصادية الوضعية .

● ودفع المؤلف الشبهة القائلة باقرار الاسلام للطبقية ، بأن الاسلام ضد الطبقية ، لأن التفاوت في الثروة والدخول المسموح به في الاسلام ، ليس مطلقا ، وإنما هو تفاوت منضبط بالقدر الذي يحض على العمل ، ويحقق التكامل لا التناقض ، والتعاون لا الصراع ، بالاضافة إلى أن المجتمع الاسلامي يكفل لكل مواطن حد الكفاية ، ولا يسمح باستئثار أقلية بخيرات المجتمع ، ويلزم أولى الأمر دائما بالتدخل لاعادة التوزيع ، عند افتقاد التوازن .

● وبعد ـ فنحن ـ والحق يقال أمام دراسة جيدة في الفكر الاقتصادي الاسلامي ، راعى فيها المؤلف الايجاز غير المخل بابراز مميزات هذا الفكر ، بالاضافة الى مراعاة المؤلف للموضوعية المجردة ، من العاطفة ، والحق ان المكتبة الاسلامية ما تزال فقيرة إلى مثل هذه الدراسات الاقتصادية الاسلامية ، وإذا كان الجيل السابق من طلبة العلم قد حرم من مثل هذه الدراسات لهيمنة المناهج الغربية على جامعاتنا ، فان في الوقت متسعا للجيل المعاصر في الجامعات ان يتخرج متحررا من هذه الهيمنة ، وان لدى التراث الاسلامي في الاقتصاد ثروة لها قدرها ، وعلى عواتق الاساتذة المتخصصين تقع مسؤوليات جسام في أن يروضوا هذه الثروة ، ويصوغوها في قوالب حديثة يسهل على الشباب المسلم هضمها ، وبهذه الدراسة الجيدة التي بين ايدينا نعتبر المؤلف قد أدى واجبه ، مما يحمد عليه .

مائدة القارئ

قلب سليم

كان من دعاء ابراهيم عليه السلام ما قصه القرآن الكريم في سورة الشعراء :

(رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين . واجعل لي لسان صدق في الآخرين . واجعلني من ورثة جنة النعيم . واغفر لأبي إنه كان من الضالين . ولا تخزني يوم يبعثون . يوم لا ينفع مال ولا بنون . إلا من أتى الله بقلب سليم) .

ونحن من وراء أبي الأنبياء نقول : اللهم آمين .. واجعلنا ممن يلقاك بقلب سليم .

الأيدي ثلاث

يمكن تقسيم الناس وموقفهم من المعروف إلى ثلاثة أقسام :

قسم أصحابه : أصحاب يد بيضاء .. واليد البيضاء : هي الابتداء بالمعروف .

وقسم أصحابه : أصحاب يد خضراء .. واليد الخضراء : هي المكافأة على المعروف .

وقسم أصحابه : أصحاب يد سوداء .. واليد السوداء : هي المن بالمعروف .

دعـــاء

وقف أعرابي ماسكا بحلقة باب الكعبة وهو يقول : عبدك ببابك . ذهبت أيامه .وبقيت آثامه ، وانقطعت شهواته ، وبقيت تبعاته ، فارض عنه ، فان لم ترض عنه فاعف عنه ، فقد يعفو المولى عن عبده وهو عنه غير راض .

المجتمع الاسلامي

المجتمع الاسلامي كما أراد له الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون هو مجتمع الأخوة والحب في الله .. يقول صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ، لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره ـ أو قال لأخيه ـ ما يحب لنفسه » . رواه مسلم .

خير الخليطين

قال الشاعر :

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا ... إن بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من أرضاك ظاهره ... وقد أجلك من يعصيك مستترا
خير الخليطين من أغضى لصاحبه ... ولو أراد انتصارا منه لانتصرا

هذا هو البر

قال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ شارحا أمر البر : البر أمرهين ، ووجه طلق ، ولسان لين .

وعاء العلم

قال حكيم : كل وعاء يضيق بما يوضع فيه إلا وعاء العلم فانه يتسع .

متى عيدكم ؟

سئل أحد الصالحين : متى عيدكم ؟ فقال : يوم لا نعصى الله فذلك عيدنا .. يوم يتحقق نصر الله للمؤمنين فهذا عيدنا .. يوم نعود إلى رحاب الله فنصلح من شأننا .. وليس العيد لمن لبس الملابس الفاخرة ، إنما العيد لمن أمن عذاب الآخرة .

التدابير الاحترازيّة والتشريع العقابي الاسلامي

محمد مؤذن



للدكتور/ أحمد علي المجدوب

على الرغم من أن اصطلاح « التدابير الاحترازية Mesures de Surete » يعتبر اصطلاحا حديثا جدا يرتبط في نشأته بنشأة الأفكار الجديدة عن الوظيفة الاصلاحية والتقويمية للعقوبة ، مما قد يبرر دهشة البعض من الربط بين هذه التدابير والتشريع العقابي الاسلامي ، إلا أن الحقيقة الثابتة فيما تركه لنا السلف من تراث تؤكد انهم عرفوا إلى جانب العقوبات التقليدية كالرجم والقطع والجلد والحبس ، نوعا أخر من الاجراءات ، ذات طبيعة ذاتية تميزها عن العقوبات ، وشروط التطبيق لها تختلف كل الاختلاف عن الشروط العادية التي يتحتم توفرها لتوقيع الجزاءات الجنائية ، يمكن أن نطلق عليها وصف التدابير الوقائية أو الاحترازية باعتبار أن وظيفتها الوقاية من جرم يوشك أن يقع ، والتحرز ضد انحراف يكاد يكتمل ، دون ان يقترن ذلك بغرض آخر كالردع او الزجر أو الانتقام ، أوحتى الاصلاح أو التقويم .

لذلك تختلف التدابير الاحترازية في مفهوم الفقه الاسلامي عنها في مفهوم الفقه الغربي ومن يشايعه من الشراح المسلمين ، فهي عند الآخرين تشمل إلى جانب الغرض الوقائي أو الاحترازي غرضا آخر هو الغرض الاصلاحي ، مما جعل البعض يطلق عليها أحيانا وصف التدابير الاصلاحية دون أن يفطنوا إلى أن الاصلاح ليس هو الغاية الوحيدة لهذه التدابير ، بل وليس الغاية الأساسية ، وحتى مع افتراض ازدواج الوظيفة التي تقوم بها التدابير ، وتعدد الأغراض المستهدفة منها ، فان تخصيصها باحدى الوظيفتين ، أي الاصلاح دون الوظيفة الأخرى وهي الوقاية أو الاحتراز ينفي عن الأوصاف كل أهمية ، فيستوى أن توصف بأنها إصلاحية أو وقائية أو احترازية ، بينما العكس هو الصحيح ، فالواقع أن التطابق بين الوصف والوظيفة على جانب كبير من الأهمية ، فضلا عن أنه من البدهيات التي لا يختلف بشأنها اثنان ، لأن الوصف يجب حتى يحقق غرضه ويبلغ غايته أن يكون جامعا لكل ما في الموصوف من خصائص ، مانعا من دخول غيره فيه . ووصف التدابير بأنها إصلاحية ، إذا تجاوزنا واعتبرناه شاملا لكل خصائصها أو جامعا لكل شروطها ، فانه لا يعتبر مانعا من دخول غيرها فيه كبعض العقوبات مثلا ، فالحبس لا يتجرد من معنى الاصلاح ، ولا يخلو من صفة التقويم ، بالرغم من أنه ليس مما

ينطبق عليه وصف التدابير .

كذلك تخرج بعض التدابير التي يعتبرها علماء العقاب الغربيين من نطاق هذا الوصف ، أي الاصلاح ، لأن طبيعتها تقصر عن تحقيقه ، مثال ذلك مراقبة الشرطة التي اعتبرها البعض تدبيرا وليست عقوبة ، وهي كما هو معروف لا تتضمن أي معنى للاصلاح أو التقويم ، وإنما مجرد إجراء يراد به جعل الجاني تحت اعين الشرطة للحيلولة بينه وبين ارتكاب الجرائم ، ودون أن يقترن ذلك بأي نشاط يهدف إلى أصلاحه أو تقويمه .

لذلك فان اصطلاح التدابير الاصلاحية هو اصطلاح عام يشمل إلى جانب التدابير Mesures بعض العقوبات Peines التي تكون ذات طبيعة تمكن من إصلاح الجناة ، كعقوبة الحبس وبعض العقوبات الأخرى ومعظم التدابير كالايداع في مستشفى أو في مصح علاجي ، أو في مستعمرة زراعية أو مؤسسة للعمل أو في إصلاحية ، بل إن الفقيه الايطالي « انريكو فيري » ذهب ، حين عهد إليه بوضع مشروع قانون العقوبات الايطالي سنة ١٩٢١ إلى اعتبار كل العقوبات من قبيل التدابير الوقائية مفسرا الوقاية على أنها لا تقتصر على ما قد يوحي به سلوك الشخص ، أو تنم عنه ظروفه من احتمال انحرافه وارتكابه الجريمة لأول مرة ، وإنما تشمل أيضا الوقاية من عود الشخص الذي أجرم من قبل إلى ارتكاب جريمة أخرى ، وهو كما نرى خلط بين إجراءين مختلفين تماما سواء من حيث طبيعتهما الذاتية أو من حيث شروط تطبيقهما ، فالوقاية يقصد بها توقي وقوع الجرم أو التحرز منه ، أي أنها سابقة على الجريمة ، في حين أن العقوبة لاحقة عليها ، لذلك تخرج العقوبات من نطاق التدابير حتى ولو كانت تحقق الاصلاح وتبقى التفرقة بينهما قائمة ، حتى ولو كانت وظيفتهما في الظاهر واحدة ، وهي الاصلاح ، فانهما في الواقع مختلفان ، فبينما تهدف التدابير إلى إصلاح شخص لم يصبح مجرما بعد ، فان العقوبات تهدف إلى إصلاح شخص أجرم فعلا ، ومن هنا كان الاهتمام بما يسمى « الحالة الخطرة » كمعيار يستعان به لمعرفة مدى ملاءمة تطبيق التدابير الاحترازية أو الوقائية على شخص ما .

ولقد أدركت الشريعة الاسلامية هذه الحقيقة منذ ما يقرب من أربعة عشر قرنا ففرقت بين وضعين ، أحدهما : هو الوضع الذي يقدم فيه الشخص على ارتكاب الجريمة ، فيخرج على القانون غير عابىء ، بما يسببه خروجه من أخطار أو ما يلحقه من أضرار بالحقوق التي كفلتها الشريعة ، وثانيهما : هو الوضع الذي يكون فيه سلوك الفرد أو ظروفه منطويا على احتمالات انحرافه عن الطريق القويم وخروجه على أحكام الشريعة . وفرقت بالتالي بين رد الفعل الاجتماعي في الحالتين فجعلته عقوبة محددة سواء كانت حدا أو تعزيرا في الحالة الأولى ، في حين جعلته تدبيرا

ليست له طبيعة الجزاء ، في الحالة الثانية ، لأنها لا تواجه إجراما حقيقيا وإنما تواجه مظاهر إجرامية مبكرة ، تهدف إلى الحيلولة دون نموها واكتمالها لتصبح إجراما كاملا .

وهو تطور في السياسة العقابية أملته الشريعة الاسلامية التي تتضمن مبدأ أساسيا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمقصود المنكر بكافة صوره وكل درجاته ، حتى تسود الطمأنينة وينتشر الأمن ويتفشى الحب والاخاء والمودة بين الناس .

ولم يكن يفوت الشريعة وهي تميز بين الجرائم سواء بحسب شدة الضرر المترتب عليها أو درجة الخطر التي تتضمنها أو بحسب القصد المتوفر لدى مرتكبها أو بحسب الحقوق التي وقعت اعتداء عليها الخ .. أن تميز بين حالتي الاجرام الكامل والاجرام الناقص الذي تكشف عنه أحوال الشخص أو ظروفه فتقرر للحالة الأولى عقابا يتفاوت شدة وضعفا بحسب نوع الجرم ودرجته ، وتقرر للحالة الثانية تدبيرا يتلاءم مع ما توحي به حالة الشخص من خطر أو ما يسمى في الاصطلاح الحديث « الحالة الخطرة » .

ولقد تميزت التدابير في التشريع الجنائي الاسلامي عن العقوبات سواء من حيث طبيعتها الذاتية أو من حيث شروط تطبيقها ، فبينما تهدف العقوبة إلى تكفير المجرم عن جرمه وإصلاحه فضلا عن هدف الردع بنوعيه العام والخاص فان التدابير تهدف إلى الحيلولة دون ارتكاب الشخص للجريمة أو تشجيعه أو تحريضه لغيره على ارتكاب الجريمة أما من حيث اختلاف شروط تطبيق التدابير عن شروط تطبيق العقوبات ، فانها تبدو في اشتراط وقوع جريمة كاملة الأركان حتى تطبق العقوبة على المسئول عنها ، بينما يكفي قيام حالة الخطورة حتى يطبق على الشخص تدبير من التدابير التي تكفل الوقاية من اجرامه .

لذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بكسر دنان الخمر وشق ظروفها حتى يحول دون ارتكاب المسلمين لجريمة شرب الخمر ، وأمر عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب بحرق المكان الذي يباع فيه الخمر لنفس السبب والاجراءان من التدابير الوقائية ذات الطبيعة المالية التي تقوم على إتلاف مال للحيلولة دون وقوع جرائم ، وهو شبيه بالتدبير الوقائي الذي يتم بغلق المحل أو سحب الترخيص ، وإن كان أشد منه أثرا وفاعلية لأنه يقضي على المال مصدر الخطورة بشكل تام .

ومن التدابير الوقائية التي استحدثها الاسلام ، الابعاد والمنع من الاقامة . فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بنفي بعض المخنثين من المدينة ، كذلك نفى عمر بن الخطاب شابين بعد أن عرف أن حسنهما من شأنه أن يعرضهما ويعرض النساء للوقوع في المحظور أي الجريمة ، فقد روى أنه بينما كان عمر يقوم بجولته الليلية إذا به يسمع امرأة تنشد :

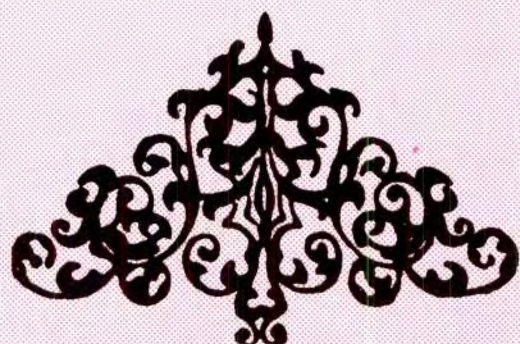
هل من سبيل إلى خمر فأشربها
أو من سبيل إلى نصر بن حجاج ؟
فلما أصبح سأل عن المدعو نصر بن حجاج فعرف أنه من بني سليم ، فأرسل في طلبه ، فجاء ، فاذا شعر رأسه من أحسن ما رأى عمر ، ووجهه من أصبح ما شاهد ، فأمره أن يقص شعره ، ففعل ، فخرجت جبهته ، فاذا به يزداد حسنا ، فأمره عمر أن يعتم ففعل فازداد حسنا فقال عمر : لا والذي نفسي بيده لا تجامعني بأرض أنا بها . وأمر له بما يصلحه ونفاه إلى البصرة .
وقد قال الفتى لعمر : وما ذنبي يا أمير المؤمنين ؟ فقال له : لا ذنب لك وإنما الذنب لي حيث لا أطهر دار الهجرة منك .
وهكذا ترى أن عمر بن الخطاب لم يعتبر الفتى مذنبا وإنما اعتبره مصدر خطورة على النساء وعلى نفسه لأنه بحسنه سوف يفسدهن ، وباعجابهن به سوف يفسدنه فرأى أن يتخذ حياله تدبيرا وقائيا أو احترازيا يحول دون استفحال ضرره وزيادة خطره .
وقد اتخذ عمر تدبيرا مماثلا ضد ابن عم نصر هذا ويدعى « أبو ذئب » فنفاه إلى البصرة أيضا .
ومما يدل على أن الفقهاء المسلمين أدركوا طبيعة هذا التدبير وغيره ، التي تختلف بشكل واضح عن طبيعة العقوبة سواء كانت حدا أو تعزيرا ما قاله السرخسي في مبسوطه (الجزء التاسع صفحة ٤٥) أن عمر فعل ذلك بطريق المصلحة ، لا بطريق الحد أو العقاب فالجمال لا يوجب النفي ، ولكن فعل ذلك للمصلحة وهو نفس الأساس ـ الذي يقوم عليه نظام التدابير الاحترازية الحديث،الذي يهدف الى مصلحة الجماعة بوقايتها من جرم محتمل وخطر متوقع ، ومصلحة الفرد بالحيلولة دون صيرورته مجرما وقد فعل عمر ما فعله ليحمي المجتمع ، وليحمي الشابين في آن واحد .
كذلك فان ما فعله الشابان لا يعد جريمة ولا يتضمن سلوكا يعد جريمة وإلا لأوقع عمر عليهما عقوبة تتلاءم مع جرمهما ، كما فعل مع المدعو « جعدة » وهو من بني سليم أيضا واشتهر مثل قريبيه بالحسن المفرط ، حين بلغه أنه ينتهز فرصة وجود الرجال في ميادين القتال ويدخل على النسوة اللائي غاب عنهن أزواجهن ، فلما جيء له به جلده مائة جلدة وهو مربوط ، ونهاه أن يدخل على امرأة غاب عنها زوجها ، فكان عقابه له في هذه الحالة على سبيل التعزير لا على سبيل التدبير لأنه فعل ما يعد معصية ، بعكس قريبيه اللذين سلف الحديث عنهما .
كذلك إذا عرف عن شخص أنه فاسق يأوى إليه أهل الفسق والخمر ، دون أن يكون قد أتى جرما يعاقب عليه ، فانه يمنع من الاقامة في بيته كتدبير وقائي ، له هدف مزدوج ، فهو من ناحية يحول دون مضي الشخص في غيه ، واستمراره في خطئه ، مما قد يؤدي به إلى أن يصبح مجرما ، ومن ناحية أخرى يحول دون محاكاة جيرانه له وتقليدهم لما يفعل

سواء دون أن يتصلوا به أو باتصالهم به بعد أن لم يجدوا لما يفعله من فسق رد فعل لدى ولاة الأمور الذين لم يروا في سلوكه جرما مما تعاقب عليه الشريعة سواء بحد أم بتعزير ، فقد سئل مالك عن فاسق يأوى إليه أهل الفسق والخمر ، ما يصنع به ؟ قال : يخرج من منزله وتكرى عليه الدار والبيوت ، فلا تباع لعله يتوب فيرجع إلى منزله ، وقال ابن القاسم إنه ينصح مرة أو مرتين أو ثلاثا . فان لم ينته أخرج من الدار وأكريت عليه .

ومن التدابير الوقائية أو الاحترازية التي قال بها الفقهاء المسلمون افساد ثياب المرأة بحبر ونحوه إذا كانت لا تستر جسدها كأن تكون قصيرة أو شفافة لا تخفي ما تحتها ، وذلك منعا لها من إفساد الرجال من ناحية ، ووقاية لها من أن تتعرض للغواية بسبب سلوكها غير الصائب .

ومن التدابير الاحترازية الأخرى التي استحدثها المسلمون الوضع تحت المراقبة ، والتشهير بالشخص في بعض الأحوال التي يوحي فيها مسلكه باحتمال إجرامه ، إذا كان التشهير لا يسيء إليه ، وذلك كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم حين شكى له احد صحابته مما يلقاه من عدوان جاره عليه بما يخرج عما أمرت به الشريعة من الترابط والتواد والتراحم ، فنصحه الرسول أن يحاول إصلاح ما اعوج من جاره وأن يعالج نفس هذا الجار بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ، ولكن الجار الشرير مضى في غيه واستمرأ عدوانه ، فعاد الصحابي يشكوه للرسول الذي أمره أن يعمد إلى متاعه فيخرجه من بيته ويضعه في الطريق العام ، ونفذ الشاكي ما أشار به الرسول ، فلما مر الناس به وكانوا يعلمون عنه كل ما هو طيب وسار ، سألوه عما حل به وجعله يترك بيته على هذه الصورة ، أخبرهم بأمر جاره السيء واعتدائه المستمر عليه فأخذوا يلعنونه . فلما تناهت لعناتهم إلى سمعه خشي نبذهم له وغضبهم منه وضيقهم به فبادر إلى جاره الطيب يسترضيه ويرجوه أن يعود إلى داره واعدا إياه ومتعهدا له بألا يعود إلى سلوكه السيىء .

وهناك غير ذلك الكثير من التدابير الوقائية او الاحترازية التي استحدثتها الشريعة الاسلامية ، مما لا يتسع المقام لسرده في هذه العجالة التي قصدنا بها الرد على قصار النظر وأدعياء العلم من المستشرقين وأتباعهم من المستغربين المسلمين الذين زعموا أن الشريعة الاسلامية لم تتضمن من النظام العقابي سوى بضع عقوبات بدنية قاسية تطبق على من يرتكبون إحدى الجرائم المسماة حدودا وأن النظام العقابي كما نعرفه الآن هو من ابتكار الغرب وإبداعه ، فاذا كان ذلك صحيحا ، وهو قطعا ليس كذلك فبماذا يفسرون هذه التفرقة الفريدة بين حالتي الاجرام الناقص أو الاجرام في طور النمو وبين الاجرام الكامل .. لا أعتقد أن لديهم إجابة اللهم إلا إذا كان الصمت العاجزهو الاجابة .



نظرة عامة

في الربا والفائدة والبنك

للدكتور/رفيق المصري

كثر اهتمام المسلمين ، فقهاء وقانونيين واقتصاديين ، في الآونة الاخيرة بموضوع الاقتصاد الاسلامي عموما والربا والمصارف خصوصا ، وقد رافقت هذا الاهتمام محاولات كثيرة لاقامة نظام اقتصادي شرعي للبنوك الاسلامية المنشودة ، ثم تجسدت هذه المحاولات في افتتاح «البنك الاسلامي للتنمية في جدة» وبنوك اسلامية اخرى في كل من دبي ومصر .. شجعت على مزيد من البحوث النظرية والمحاولات العملية في بلدان اخرى كتركيا وليبيا والاردن .

وقد اطلعنا على جل ما كتب في هذا الموضوع ، ولكنه على كثرته نسبيا يبقى غير كاف ، ويفسح المجال لمزيد من الابداع والتطوير والتنقيح والتهذيب .

وهكذا لم نجد حتى الان مؤلفا كاملا لنظرية متكاملة حول «الربا» بحيث تمتد اتماماً للبحث الى الفائدة ، والايجار ، والغبن الفاحش ، والبيع بالنسيئة ، وبيع السلم ، وبيع الغرر ، والمضاربة ، وما الى ذلك مما يتطلبه البحث وتحديده في صورة نظرية منسجمة مدعمة بالادلة من النصوص ومن العلم والعقل .

وهناك من خلط بين مفهومي الربا والربح ، او بين الربا والغبن الفاحش . يقول احد المؤلفين المعاصرين : « ان الاسلام يطلق كلمة «ربا» على كل ربح يتجاوز ثلث ثمن التكلفة » . وهذا كما هو واضح تعريف للغبن الفاحش على رأي بعض المذاهب وليس تعريفاً للربا . ومع ذلك فان مفهوم الغبن يحتاج ايضاحه الى بحث مستقل .

ويقول مؤلف اخر : « طبقا للاسلام ، كل ربح يتحقق من مبادلة السلع او النقود بصورة مستقلة عن فروق السلع ومستوى كل منها انما هو مرادف للربا » وهذا كما لا يخفى هو خلط بين مفهومي الربا والربح الفاحش .

وذهب بعضهم الى ان الربا لم يعد يعني اليوم فائدة القرض معتدلة او مفرطة بلا تمييز . بل يعني حصراً : المعدلات المرتفعة من هذه الفائدة ، كما يعني ايضا الربح الذي يستأثر به اصحاب رؤوس الاموال في المشروعات الحديثة .

ونحن نقول : ان الاسلام عندما حرم الربا بشكل قاطع ، ما قل منه او كثر ، لم يفعل نفس الشيء بالنسبة للربح . نعم ، ان ارتفاع الربح الى حد فاحش ومفرط يدينه الاسلام ، لكن لا على اساس انه ربا ، بل لانه يدخل تحت محرمات اخرى ، كالاحتكار والتلاعب بالاسعار والغش والدعاية الكاذبة والغبن الفاحش وما الى ذلك من محرمات .

ما هو مفهوم الربا اذن ؟

نرى ان هذا المفهوم يرتبط في الاسلام بمفهوم القرض وليس بالقروض النقدية فقط بل بالعينية ايضا وهو لايتأثر بمقدار الفائدة في القرض « او المنفعة » قليلة كانت او كثيرة وان كانت كثرتها اكبر اثما . كما لايهتم بالتمييز بين قروض الاستهلاك وقروض الانتاج ولا بحالة المقرض اذا كان غنيا او فقيرا .

بل ان الربا بنوعيه « الفضل والنسيئة » في الاسلام نرى انه يرتبط بطبيعة الاشياء المتبادلة اذا كانت من الاموال الربوية « الربويات » وفي رأينا ان علة الربويات ثنائية : الضروريات والقابلية للادخار (او التخزين او الحفظ) .
من حيث مقارنة البدلين :
١ ـ فاذا كان البدلان (الشيئان المتبادلان) متماثلين (الذهب بالذهب ، القمح بالقمح ... الخ) فمن الممكن تأجيل احد البدلين (حالة قرض). أما عدم التساوي بينهما فامر غير ممكن لانه ربا جلي وصريح .
٢ ـ واذا كان الشيئان المتبادلان شبه متماثلين كأن يختلفا فقط بدرجة الجودة دون الجنس (تمرجيد بتمر رديء) فان عدم التساوي ممكن أما التأجيل فهو محرم . ونحن في هذه الحالة أمام مقايضة troc بل أمام بيع يشبه القرض (حالة وسط بين القرض والبيع) والفاصل الزمني بين تسليم البدلين يمكن ان يخفي منفعة للمقرض كأن يجتمع قرض بلا فائدة وبيع مؤجل والاجل لصالح المقرض .
٣ ـ اما اذا كان البدلان مختلفين (الذهب بالقمح ..) فلا قيد ولا شرط من حيث التساوي في الكم او الحلول والتأجيل لاننا هنا امام بيع جائز ، والربح فيه مشروع بنص الكتاب .
ومن هذا المنطلق يبدو ان معيارنا الاساسي في الربا المحرم ليس هو عنصر الزمن وبالتالي لا نميل الى تعريف الربا بانه « الزيادة في مقابل الاجل » بل نرى انه الزيادة في تبادل الاشياء المثلية او شبه المثلية وهذه الزيادة تكون في الكم او النوع او الاجل . هذا التعريف يشمل نوعي الربا : الفضل والنسيئة .
وانما تحليل طبيعة البدلين من حيث تماثلهما او اختلافهما والبيع هو اختلاف البدلين والقرض هو تماثل البدلين وبينهما بيع يشبه القرض او قرض يشبه البيع وقد بينا ذلك في القواعد الثلاث المتقدمة .
وعلى هذا الاساس وفي هذا الضوء نستطيع ان نقول بجواز البيع بالنسيئة مع ارتفاع السعر ـ فالبيع بالنسيئة ليس هو قرضا محضا بل هو بيع وان كان يتضمن معنى القرض (بيع ـ قرض) ـ في مقابل الاجل وجواز بيع السلم .

ما هي الفائدة ؟

ان لفظ الفائدة interest أو interet انما استعمل بشكل فيه مكر ودهاء . استعمل في معنى الربا ، ولكن في لفظ محبب ، وذلك لتقديم جرعة الربا في قالب مستساغ ، ولعزل الناس عن النصوص التي تحرم الربا !!
ودافع البعض عن الفائدة بأنها ليست من الربا ، بل هي مصاريف ، أو عمولات ، أو رسوم ، أو غرامات ، كل ذلك لأكل الربا تحت أسماء أخرى لا تثير نفس القلق في أذهان المتمسكين بالنصوص الدينية .
والحق ان كلمة الفائدة بحد ذاتها لا تعني الربا أبدا ، وان حملوها وأرهقوها بمعناه . فلولا الفادئة « أو المصلحة أو المنفعة » لما أقدم أحد على مشروع . حتى

الزهاد والمتصوفة لا يمكنهم أن لا يعبأوا بالفائدة « أو الثواب » عند الله في الآخرة ، على أن عدد الزهاد والمتصوفة قليل ، ويبقى أكثر الناس تحركهم وتدفعهم الفائدة أو المصلحة أو المنفعة .

ونميز بين نوعين من الفائدة في مجال بحثنا عن الربا والقروض . فهناك فائدة مسبقة وفائدة ملحقة وهذا التمييز يعتبر طريقة جديدة في عرض موضوع الربا . وقد توصلنا اليه نتيجة شعورنا بأن الطرح حسب الطرق التقليدية لا يزيل الغشاوات عن عيون الكثير من الناس الذين يفكرون ان الاسلام بمجرد تحريمه للربا يغدو القرض مجانيا ، ثم ترتبط فكرة القرض المجاني هذه بمحاولات بعض المفكرين من أمثال « برودون » هذا مع أن القرض هو من حيث المبدأ مجاني في حالات الاستهلاك باعتباره عقد معونة وارفاق « احسان » ، أما في حالات الانتاج فالتمويل يكون بالمشاركة . وهذه المشاركة « الامل بالربح » تعتبر « فائدة » مشروعة بنظر الاسلام .

وهناك آخرون يظنون ان الاسلام يحرم أية فائدة أو أي ربح على رأس المال ، كما هو الحال في النظرة الشيوعية . ويذهبون الى حد أن رأس المال ليس له أي حق في المكافأة أو الربح حتى في ظل الشركات .

فلهذا وذاك آثرنا اتباع هذا المنهج من حيث استعمال كلمة « فائدة » وتقسيمها الى « فائدة مسبقة » محرمة و « فائدة ملحقة » مشروعة . وهذا مفيد في نظرنا لرفع اللبس وتوضيح الفكرة في عصرنا الحاضر ، بشكل مناسب للاراء والنظريات والمناهج والتيارات السائدة . ، والاولى هي التي حرمها الاسلام ، واما الثانية فهي ربح جائز ومشروع . فالاسلام اذن لم يحرم الفائدة ، اية فائدة ، بل حدد كلا من الفائدة المحرمة فسماها ربا ، والفائدة المشروعة فسماها ربحا .

وعلى هذا يجب ان يرد الى هذه الكلمة « فائدة » معناها الصحيح . وان تسمية المصارف الاسلامية المقترحة بنوكا بلا فائدة انما هي تسمية غير مضبوطة ولا دقيقة . وان نترجم كلمة « ربا » الواردة في القرآن والحديث بتعبير interet بالفرنسية او interest بالانجليزية ، هذا غير موفق ايضا ، بل يجب ترجمتها بـ usure او usury او تركها ، وهذا الأحوط والأفضل بلا ترجمة riba ، على اعتبار انها مصطلح فقهي اسلامي ، على القارىء ان يعرفه ويحفظه كما هو ، وعلى الكاتب والمتحدث ان يتجنب اللبس في استخدام المصطلحات الخاصة بكل دين او نظام .

النقد الرئيسي للنظريات الغربية

لقد استطاعت النظريات الغربية ان تبرر اقتطاع فائدة ما نظير تقديم المال الى الغير ، ولكنها لم تبرر اقتطاع فائدة بعينها : اعني ما اسميته « الفائدة المسبقة » Interet ex ante والحق ان تبرير الفائدة بشكل عام ليس صعبا ، وما كان يستدعي كل هذه الجهود التي بذلها اصحاب النظريات ، ما لم يكن غرضهم

التكثيف بقصد التمويه والتعمية .
ونحن نرى ان اصحاب هذه النظريات كانوا يفترضون عمدا او جهلا ان خصومهم يحرمون اية فائدة نظير المال ، فاذا قلنا لهم اننا لا نحرم كل فائدة ، بل نحرم فائدة « هي فائدة القرض » ونحلل اخرى « هي فائدة القراض » فما عساهم يفعلون بنظرياتهم ؟ !
ان بين من يحرم الفائدة اطلاقا « كالماركسيين » ، وبين من يحلل الفائدة اطلاقا « كالرأسماليين » يوجد"موقع وسط"« الاسلام » ، يحرم فائدة ويحلل اخرى .
هذا الموقع الوسط انما يتمثل باباحة ما اسميناه « الفائدة الملحقة او المنتظرة ex post .

فعلينا ان نفهم اذن انه لا يمكن القول بتحريم الفائدة كل فائدة ، لان الفائدة اساس هام في تقويم المشروعات .

يقول الاقتصادي الفرنسي المعروف « ريمون بار » ، رئيس وزراء فرنسا الحالي :
« ان ندرة رأس المال تقتضي ان نراعي ونحترم فعالية استخدامه في المجالات البديلة ، وينبغي على المسؤولين ان يبحثوا عن الاستخدام الامثل للموارد في عمليات الاستثمار ، وان يختاروا بين مختلف البدائل والمعادلات الفنية عند دراسة وتقويم المشروعات الاستثمارية . وهنا لا بد من ضابط ومعيار يفيدنا اثناء عملية الاختيار هذه . ومعدل الفائدة يلعب هذا الدور المطلوب . فاذا انكرناه فلا بد من بديل » .

وها نحن نقدم له البديل . فبدلا من معدل الفائدة المسبقة نقترح معدل الفائدة اللاحقة ، او بعبارة اخرى بدلا من معدل الفائدة نستخدم مؤشرا اخر اصح وادق ، الا وهو **معدل الربح المحتمل** ، او ما اسماه الاقتصادي الكبير « بفرك » بـ « معدل الفائدة الاصلي » Originaire .

تحذير

يرى بعض المفكرين الاقتصاديين أن « الفائدة لا يجب الغاؤها أصلا ، فهي امر ضروري لا يستغنى عنه ، وكل ما نستطيع فعله إزاءها بنجاح ، إنما هو إبطال معدلها (أي جعله صفرا) وإن حذف الفائدة وابطال معدلها هما أمران مختلفان تمام الاختلاف ، وفي حين أن الأول غير ممكن فان الثاني لا يمكن استبعاده من مجال الامكانات والاحتمالات » .
ويقترح هؤلاء لهذا الغرض فكرة « النقد الذائب » MONN Monnaie Circulante Qui sefonde .
ونرى أن لهذا الاقتراح أضرارا ومحاذير تستدعي الاعراض عنه والأخذ بنظام « الفائدة المنتظرة » .

فائدة التمييز بين قروض الاستهلاك وقروض الانتاج

قرض الاستهلاك : علاقة بين غني ومحتاج ، وهي علاقة إحسان والفائدة هنا هي في ثواب الله المنتظر وربما تتعدى ذلك الى إعفاء المقرض من دفع الزكاة على دينه كما ذكر الدكتور يوسف القرضاوي في « فقه الزكاة » .

قرض الانتاج : كيف نتصور رجلا فقيرا أو متوسط الحال يقنع بأن يقدم إلى من هو أغنى منه (منتج كبير) مالا بلا فائدة ، أية فائدة ؟!

ربما يفعل ذلك تحت وطأة الاكراه والقوة أو الحيلة والدهاء سواء كان أصل ذلك في سياسة الدولة أم في تصرف الفرد . وهذه هي حال صغار المولين (المدخرين والمساهمين) فهؤلاء لا بد أن يطلبوا فائدة ما ، وإلا لزاد الأغنياء غنى والفقراء فقرا .

ونحن نرى أن حرمان هؤلاء من الفائدة إنما هو ظلم لا يقل عن الظلم المترتب على طلب الفائدة في حالة قرض الاستهلاك . إلا أن الفائدة على التمويل الانتاجي لا يمكن أن تكون « فائدة مسبقة » بل « فائدة ملحقة » أي بتعبير آخر « فائدة قراض » لا « فائدة قرض » .

محذور الفائدة الثابتة في عصر التضخم

إن الفائدة « الثابتة والمسبقة » لا شك أنها تعود بالضرر على المولين الصغار في عصر التضخم ، لأنها تؤول إلى فائدة معدومة أو تصبح سالبة . لأن نظام الفوائد الثابتة يمكن المتمولين من أن يعكسوا عبء الفوائد المدفوعة من قبلهم على المستهلكين في صورة ارتفاع في الأسعار . فعبئها إذن غير ثابت ، بل يمكن تحويله ورده على الضعفاء ، والمشاهدة خير دليل ! فكثيرا ما يكون معدل التضخم وارتفاع الأسعار أعلى من معدل الفائدة الممنوحة .

لذلك فان مصلحة هؤلاء الصغار هي في البحث عن نموذج آخر للفائدة . لذلك نقول منادين : يا صغار المدخرين (من المسلمين وغير المسلمين) اتحدوا وتجمعوا في شركات تديرونها بينكم ، وفتشوا عن المصارف الاسلامية الخالية من الربا تنشئونها وتشجعونها وتستثمرون فيها فائض اموالكم » .

الملامح العامة لنظرية الاسلام في الفائدة

إننا نستطيع أن نقول ، خلافا لما قرأناه وسمعناه ممن بحث في هذا الموضوع :

● إنه من وجهة نظر المقرض ، يعترف الاسلام في رأينا :

ـ لرأس المال المقرض بأنه عمل غير مباشر أو عمل متراكم .

ـ للادخار بأنه تضحية بدرجة أو بأخرى أو هو تقتير أو تنازل عن الاستهلاك أو صيام وامتناع أو تأجيل وانتظار .

ـ للانسان بأن لديه أحيانا تفضيلا للسلع الحاضرة ، أو للجاهزية والسيولة .

● وإنه من وجهة نظر المقترض ، يمكن النظر إلى رأس المال المقترض على أنه

منتج ونافع .

إلا أنه من جهة أخرى يجب الاعتراف أيضا بأن الرغبة في الربح والتعلق بالثروة ، والخوف من المستقبل أو الاحتياط له ، كل هذا يدفع للادخار والاستثمار ، حتى في حال غياب الفائدة وعدم وجودها .

وعلى هذا فليس من الصواب أن نهاجم كل ما جاءت به هذه النظريات بأي ثمن . هناك نظريات « خاطئة » بالكلية (مثل نظرية الأخطار ونظرية التثمير ونظرية الزمن) وهناك نظريات « ناقصة » .

لكن نقول هنا إن النظرية التي تريد إباحة الفائدة بادعاء مشابهتها للايجار نظرية غير صحيحة ، لأن رأس المال القابل للايجار هو غير رأس المال القابل للقرض ، فالأول رأس مال مثلي ، والثاني رأس مال قيمي .

وعموما فان الاسلام يميز بين الأنواع المختلفة لرأس المال ، ويعطي أجرا مناسبا لكل نوع حسب طبيعته .

لكن يمكننا القول إن كل هذه العوامل والعناصر والنظريات إنما تلقي الضوء على الفهم الصحيح لنظرية الاسلام ، بل هي تدمغ باطل الغرب وتؤيد حق الاسلام .

أقول إن هذه النظريات تبرر اعتبار القرض الاستهلاكي كعمل بر وإحسان (عقد معونة وإرفاق) وهذا القرض بطبيعته إما أن يكون عمل خير وإحسان ، عندما يكون مجانيا وبلا مقابل ، أو عمل بغي وظلم عندما يكون ربويا . أي أن القرض في الاسلام من شأنه أن يكون قرضا زكويا لا قرضا ربويا .

فمن أجل تأمين الحاجات الحيوية للمجتمع ، فان الأفراد بتعاونهم وتضامنهم والدولة بالضمان والمساعدات الاجتماعية يجب عليهم وعليها التحرك معا وبتناسق . فهذا واجب خاص وعام ، يؤجر ويثاب فاعله عند الله ، فمن يعطي الفقراء ويساعد المحتاجين إنما يقرض الله قرضا حسنا ، بل يمكن أن يثاب هؤلاء عند الدولة أيضا في حدود الاعفاء من الزكاة والضريبة على الديون .

ومن جهة أخرى إن كل هذه النظريات تبرر مكافأة رأس المال المقدم للانتاج . إلا أن المكافأة هنا لا يمكن أن تكون في شكل « فائدة مسبقة » لأن هذا مؤذ وغير ملائم ، إذ بالنسبة لصغار المدخرين تصير هذه الفائدة وهمية (صورية ومعدومة صفرا) أو سالبة ، أما بالنسبة لكبار أصحاب رؤوس الأموال فانها ، أي الفائدة ، تشكل وسيلة لتراكم الثروات ، ووسيلة لسيطرة وتعزيز طغيان رأس المال .

مشكلة الفائدة مشكلة معقدة :

وأخيرا لا يجب الاستهانة بهذه المشكلة ، فهي لا شك مشكلة معقدة من حيث آثارها وتطبيقاتها وقياسها ونكتفي بذكر مثالين :

١ ـ الأول ما قاله الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يبين لنا ما الربا ، فدعوا الربا والريبة » . ولا شك أنه

كان يقصد الصعوبة في الحكم على بعض العمليات وتحليلها .
٢ ـ والثاني ما عبر عنه كثير من الاقتصاديين . يقول « موريس آليه » مثلا : إن كبار مفكري الاقتصاد من أمثال « بوهم بفرك » و« ارفنغ فيشر » و« جون مينارد كينز » قد جهدوا منذ أكثر من قرنين في حل مشكلة الفائدة ، ولكن على الرغم من تنوع الطرق المستخدمة ، فاننا نلاحظ أن القلق ما زال يخيم في الأذهان وأن أية نظرية لم تفرض نفسها بعد بصورة نهائية . وإن الصعوبات التي تثيرها هذه المشكلة لا تزال بازدياد كلما تعمقنا في التحليل .
والواقع أن مشكلة الفائدة تعد بلا ريب أكثر المشكلات وعورة في علم الاقتصاد ، ولا تزال بحاجة إلى دراسات مستفيضة ، وعلى حلها الكامل والملائم يتوقف فهم الاقتصاد بمجمله ومعرفة التدابير العملية الواجب اتخاذها في كل سياسة عقلانية » .

ونحن نقول إن الصراع بين نظريات الفائدة الغربية صراع محتوم ، ولا مخلص ولا منجا منه إلا بتصحيح المنطلق والأخذ بالحل الاسلامي ، والرجوع إلى تعاليم السماء والبحث عن تطبيقاتها . ونرجو أن يكون البنك الاسلامي الصورة الصحيحة للتطبيق المنشود .

البنك الاسلامي :

يقول الاقتصادي « إلياس غناجة » في كتابه « تمويل التنمية » باريس (١٩٦٩) « إن المفتاح الرئيسي لتكوين رأس المال يكمن في اختيار بنية مثلي لمؤسسات مالية تتناسب مع الحاجات والظروف المحلية لكل بلد ، لأنه لا توجد آليات (ميكانزمات) اقتصادية أو مالية لها قيمة مثالية أو كمال مطلق مهما كانت القوانين التي ترتكز عليها عظيمة .
فلا بد إذن من تكييف البنوك القائمة مع متطلبات البيئة الاسلامية .
والبنك الاسلامي بنك يتصرف أصالة في حدود رأس ماله ووكالة (مأجورة) في حدود ودائعه . وتتلخص عملياته في جمع فائض الأموال ، أي الادخارات ، وفي المساعدات المالية والفنية والخدمات . ويمكن للبنك أن يتوسط ويساعد في إنشاء ودعم شركات إسلامية .
وهو بنك تنمية ذو صفة مختلطة في البدء ، ويمكن ان يقوم بنشاطات تجارية محضة ، كالبيع بالنسيئة (يشتري نقدا ويبيع بالنسيئة) لمن يريد دعمهم في حدود أغراضه . كما يعمل على الاستفادة من بيوع السلم (او السلف) فيعطي المال على منتجات مستقبلة .
وإن دور بنوك التنمية ، ولا سيما في أميركا اللاتينية (البيرو) يسلط بعض الضوء على تجارب مفيدة يمكن الاستئناس بها ، فيما يتعلق بنشاط البنك التجاري . وعندها تلزمه مخازن ومستودعات . وهو بهذه الصفة تاجر سلع وخدمات لا تاجر نقود .



والتربية مدى الحياة

للاستاذ/علي القاضي

تمهيد :

في بداية الحياة البشرية لم يكن الناس في حاجة الى مدارس ليعلموا فيها أبناءهم لأن الحياة كانت بسيطة وسهلة وليس فيها شيء من التعقيد — وكانت الأجيال تتعلم عن طريق الممارسة العملية ثم بدأت الحياة تتسع وتتنوع مطالبها وأصبح لابد من تخصيص أماكن للتعليم — ومعلمين يقومون بتعليم الأطفال ما يحتاجون اليه في حياتهم الحاضرة والمستقبلة — وكان هذا التعليم كافيا لحاجات الفرد كما كان كافيا لحاجات المجتمع في الوقت نفسه ...

وتقدم العلم وتنوعت الحاجات المطلوبة وازدادت سنوات الدراسة وبدأت التخصصات الدقيقة تظهر كما بدأت الدراسات العليا تنتشر لتتمم هذه الجوانب ثم توسعت وتنوعت ولا تزال تتوسع وتتنوع الى ما لانهاية .

ولكن التعليم المحدد — مع ذلك — لم يعد كافيا في العصر الحديث ذلك لأن المطبعة الحديثة أخذت تمدنا بالكتب المتنوعة السريعة الطبع السهلة الانتشار كما تمدنا بالصحف والمجلات التي لا حصر لها ثم تطورت وسائل التقنية الحديثة المتمثلة في المذياع والتلفاز والمسجلات والحاسبات والعقول الالكترونية وغيرها — وقد أصبح العالم وكأنه جزيرة صغيرة وقد أدى هذا الى سلسلة من التغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية والتقنية والعلمية . وأصبح العالم كله وكأنه جزيرة صغيرة،ما يعرف في جهة منه يعرف في بقية جهاته في نفس الوقت ..

ومن هنا فان كل مجتمع غدا يحتاج الى نظام تعليمي لابقاء التوازن بينه وبين الانسان الذي يمثله — والمجتمع يتغير شكله ويقفز أحيانا قفزات واسعة طبقا لظروفه الخاصة وتمشيا مع غيره من المجتمعات .

كما أن التصنيع الحديث والتطور السريع فيه يحتاج الى هذا النوع من التعليم حتى يمكن ان يستفيد المجتمع من هذا التصنيع الفائدة المرجوة — ثم إن الانتاج الزراعي يحتاج إلى مضاعفة قدراته الانتاجية بحيث تشمل الناحية الرأسية في زيادة غلات الفدان بالوسائل المختلفة كما تشمل الناحية الأفقية في زيادة الرقعة الزراعية باستصلاح أكبر قدر من الأراضي الصالحة للزراعة .

ومن زاوية أخرى فان عمر الانسان زاد بفضل العناية الطبية حتى تضاعف في بعض البلاد فأصبح الفرد يعيش فترات أطول ويعمل فترات أطول وأطول .

والى جانب هذا كله الزيادة الهائلة في السكان والأيديولوجيات المتصارعة وتلوث الماء والهواء وغير ذلك من العوامل الكثيرة التي تحدث آثارها في المجتمع وفي كل المجتمعات .

كل هذا أصبح يتطلب أن يستمر تعليم الفرد طوال حياته وأن يتنوع ليكون شاملا حتى يغطي كل ظروف

المجتمع وأن يكون متاحا لكل فرد بوسيلة أو بأخرى حتى يمكن للفرد ان يؤدي واجبه وللمجتمع أن ينهض وأن يستمر تقدمه .

وفي ضوء هذا التطور التقني السريع ـ والتحكم الآلي في الصناعة ـ كان لابد من إعادة النظر في النظم التربوية سواء أكان ذلك في المحتوى أم في الطرق أم في الاتجاه العام ـ وأصبح من أهم وظائف المدرسة الحديثة أن تعلم الطالب كيف يستطيع استخراج المعلومات من العقل الألكتروني الذي يتميز بالسرعة والدقة وبذلك يوفر له الوقت والجهد .

وقد أدرك المعنيون بالتربية أن التعليم المحدد الذي ينتهي بانتهاء سنى الدراسة لا يفي بحاجات المجتمع المتطور لأنه يجعل الانسان عاجزا عن مسايرة التغيرات السريعة التي تحدث ـ وقد وجد أنه لابد من أن يحل محله تعليم يستمر مدى الحياة ـ وهذا يحتاج الى ايجاد التناسق الرأسي بين النظام المدرسي ومؤسسات تعليم الكبار ـ وكذلك ينبغي أن ينظر التعليم نظرة شاملة لمشكلات الحياة في واقعها الملموس ـ وان يستهدف تزويد الدارسين بالاتجاهات والقدرات التي تعينهم على حل المشكلات التي تظهر في المجتمع ـ وهذا ما يعرف بالتكامل الأفقي للتعليم ـ وعبارة التربية والتعليم مدى الحياة تشير الى خطة شاملة هادفة الى اعادة منهج التربية وتطوير الجهد التربوي الكامل خارج التربية .

أسس التربية مدى الحياة :

التربية مدى الحياة تقوم على أسس تكييف المناهج الدراسية في مختلف مراحل التعليم بحيث تكون الطالب التكوين الملائم وتزوده بالمهارات والقدرات التي تساعده على أن يكون معلم نفسه بعد الحياة المدرسية .. وبحيث تجعله باحثا عن الثقافة والتعليم بما يتلاءم والعصر الذي يعيش فيه ـ والبيئة التي يحيا فيها حتى لا يمسى متخلفا والعالم حوله ينبض بالتقدم الحضاري والرقي التقني الذي يتميز به عصر انتشار العلم والتقنية ـ وهى تراعى طبيعته وتتمشى معها في نطاق قدراتها وتحاول أن تدفع الفرد الى تحقيق ذاته وتنمية طاقاته الى أقصى درجة ممكنة ـ ثم إنها تهدف الى نمو الفرد بصورة مستمرة فهي عملية يتطور فيها الفرد ليكون صالحا للعمل في مجتمعه طوال حياته .. وهي تمتد حيثما يكون نشاط الفرد وميدان عمله ـ كما أنها تشمل مختلف مواقف حياته في العمل وفي الأسرة وفي المجتمع الخاص والمجتمع العام على السواء ـ والى جانب هذا فانها تترك الباب مفتوحا امام المتعلم للاستفادة من كل الوسائل التربوية التي تتاح له في أي وقت وفي أي مكان .

وهى تدعو الى الملاحظة المستمرة والتأمل الواعي واتباع الأسلوب العلمي في كل عمل يقوم به الانسان ـ وإذا كان على انسان الغد أن يتعامل مع تغير أكثر سرعة من التغير الذي يعيشه انسان الحاضر فان هدف

التعليم الرئيسي لابد وأن يحرص على انماء قدرة الانسان على معالجة المشكلات الجديدة والتغلب عليها، وقدرته على سرعة الحركة وعلى الاقتصاد في الجهد المبذول للتغلب على المعدل السريع للتغير .. وان يتعلم الانسان كيف يمكنه القيام بعمل افتراضات احتمالية تتكرر في المستقبل .

ولأهمية التربية مدى الحياة في نمو الفرد وفي تقدم المجتمع فان العملية التربوية تعتبر مسئولية المجتمع كله ـ بكل طاقاته ـ بكل أجهزته ـ بكل افراده ـ والى جانب ذلك فانها تعتبر كل فرد معلما ومتعلما في نفس الوقت ـ وهذا جديد على التربية الحديثة ـ وإن كان ليس بجديد على التربية الاسلامية كما أنها تؤكد العلاقة بين التعليم والعمل .

وهى الى جانب ذلك تعول على أهمية البحوث العلمية التي تعمق فهم جوانب التربية وفهم الظواهر السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تساعد على احداث التغير والتحول المطلوب في النظم التعليمية .

ولكي يتم هذا بالطريق الأمثل فانه يتطلب رسوخ الباعث الدائم المتجدد للدراسة لأفراد المجتمع بحيث يكون لديهم دوافع قوية متجددة مستمرة حتى يقبلوا على التعليم مادامت الحياة .

وهذا يتطلب تحقيق التكامل بين التعليم المدرسي وتعليم الكبار في مفهوم واحد ـ وتحقيق تكامل التعليم المتصل بكل جوانب الحياة الهامة .. وتعميم هذا اللون من التعليم الذي يحقق التكامل بين جميع قطاعات المجتمع ـ واعادة تحديد دور كل من التعليم المدرسي وغير المدرسي حتى يلاحق ذلك ركب التطورات السريعة التي يتحتم على أفراد المجتمع اللحاق بها ـ وكيفية استخدام نتائج التقنية التي تحاول المجتمعات جاهدة في الأخذ بها .

ومع التربية المستمرة يتغير مفهوم النجاح والرسوب لأن الشخص الذي قد يرسب في فترة معينة أو في مرحلة معينة من مراحل عمره سوف تتاح له فرص اخرى للنجاح بقية عمره ولن يستسلم لليأس فالهدف الرئيسي هو زيادة الفرص التي يختبر الفرد فيها قدراته وامكاناته وهى كثيرة ومتنوعة وتمتد معه بامتداد حياته وذلك يقتضي مواصلته للتعليم مدى الحياة .

أبعاد التربية مدى الحياة :

للتربية مدى الحياة بعدان :ـ

بعد رأسي : ويتمثل في امتداد التربية بحيث تشمل حاجات الانسان طوال حياته .

وبعد أفقي : ويتمثل في امتداد شمولها بحيث تشمل مجالات النشاط الانساني من القيام بالأدوار الخاصة بالفرد إلى الأدوار الاجتماعية والمهنية المختلفة ـ إلى جانب طريقة شغل أوقات الفراغ فيما يعود على الفرد وعلى المجتمع بالفائدة المرجوة .

وهى تهتم بشخصية الفرد من

النواحي الجسمية والعقلية والنفسية والعاطفية وغيرها ـ كما أنها تقوم على أساس نظرة شاملة يتكامل فيها النشاط التعليمي في ارتباطه بنمو الشخصية وتتكامل فيها التربية مع الثقافة ـ والتعليم المدرسي مع التعليم غير المدرسي والتعليم المهني مع التعليم العام وهكذا ، ولذلك فانه ينبغي ان تحدد عناصر الثقافة وطريقة الحياة بجوانبها المادية وغير المادية .

كما أن التربية مدى الحياة تقوم على أساس النظرية العضوية التفاعلية بين العقل والشخصية والمعرفة ـ وتؤكد الدور الوظيفي لهذه المعرفة في تنمية روح البحث والرغبة المستمرة في التعليم وتنمية الفكر التقدمي الواعي ـ والقدرة على الابتكار والابداع .

لذلك كان لابد من ارساء دعائم التعليم الطويل المدى ـ بحيث يستطيع افراد المجتمع النهوض بالأعباء المتعددة المطلوبة للاسهام في التخطيط الاجتماعي المتنوع من ناحية ولتأمين المزايا الأولى وتحقيقها للفرد والجماعة من ناحية اخرى .

فالمجتمع مسئول عن توفير الخدمات التي يحتاج إليها الناس مثل الغذاء والصحة والمأوى وذلك لجميع أفراد المجتمع من كل سن ومن كل طبقة ـ ولابد للمجتمع من تحقيق هذه الأشياء أثناء حياتهم .

من هنا فان التعليم الذي يستمر مدى الحياة ينبغي ان نعمل فيه على تقنين التطوير والتحديث تقنينا علميا بحيث يتضمن تغيير بنية التعليم ـ وبذلك يشترك الوالدان وأفراد الأسرة ومؤسسات المجتمع بشكل أو بآخر في تحمل بعض مسئوليات التعليم ـ وفي المناهج الدراسية يمكن ان ندرس المواد التي تفيد التلميذ ـ والتي تحقق التوازن بين جوانب الفرد من ناحية وإلى التنويع الذي يحفظ للمجتمع ملامحه وللثقافة عموميتها من ناحية أخرى ـ يقول العالم الامريكي « هربرت جريجورى » (لن يكون رجل الغد الأمي هو الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ـ ولكن سيكون الانسان الذي لم يتعلم كيف يتعلم) .

والانسان مكمل لنظام شامل بل انه يستطيع من خلاله أن يؤثر في تطوره وأن يتحكم في سيرته بما يتخذه من قرارات ـ وبما يقوم عليه من تنفيذ لهذه القرارات .

ولما كان لكل فرد في المجتمع الحق في الاسهام في اتخاذ هذه القرارات لانها تتصل به وبحاجاته ـ فلابد وأن ينال كل فرد حظا من المعرفة التي تمكنه من ممارسة هذا الحق بالطريقة السليمة التي تجعله يحصل على حقوقه ـ وفي الوقت نفسه تجعله يؤدي ما عليه من واجبات حتى ينهض المجتمع نهوضا سليما .

والذين فاتهم قطار التعليم لهم الحق في أن يلحقوا به عن طريق تعليم الكبار والتعليم المنظم الذي يمكنهم من اكتساب المهارات والقيم التي تجعلهم يستطيعون معالجة قضايا العالم المتغير والتعبير عن مشكلاتهم الخاصة في اطار اهداف المجتمع .

الاسلام والتربية مدى الحياة :

الاسلام منذ البداية يرى أن التعليم مدى الحياة هو الأساس للتعليم في المجتمع الاسلامي على امتداد العصور ، ويظهر ذلك من قول الرسول الكريم : « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » فالاسلام يطلب من كل مسلم أن يكون طالب علم مدى حياته من يوم أن يولد الى أن ينتقل الى جوار ربه ، فباب العلم واسع ، وأوجهه كثيرة ، ومكتشفاته مستمرة .. والاسلام بهذا سبق كل الحضارات في اعتبار العلم ضرورة من ضرورات الحياة يحتاج اليها الانسان من المهد الى اللحد كالماء والهواء والغذاء ـ وهذا المعنى لم تدركه المجتمعات الانسانية إلا حديثا .

والمدارس ما هي إلا وسائل لاعطاء القدر الضروري من التعليم المنظم ـ واكساب التلاميذ الاتجاهات والقيم التي تمكنهم من أن يستمروا في تعلمهم مدى الحياة .

والمسلم حين يقرأ الآية الكريمة : **(وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)** الاسراء/ ٨٥ ، فانه يدرك أن الاسلام يطلب منه الاستزادة من العلم طوال حياته حتى يدرك أكبر قدر ممكن من التعليم الذي يفيده في حياته ويمكنه من تحقيق رسالته على الأرض باعتباره خليفة لله فيها يقوم بعمارتها وفق تعاليم الاسلام وينشر بين ربوعها الأمن والعدالة والمحبة والاطمئنان .

والقرآن الكريم الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه لم ينزله مرة واحدة بل أنزله خلال ثلاثة وعشرين عاما ، وكانت أول آية نزلت على رسوله الكريم : **(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق)** العلق/ ١و٢ ـ وآخر آية نزلت قبيل وفاة النبي وهي : **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)** المائدة/ ٣ . وهذا هو الذي جعل المشركين يعترضون على ذلك بقولهم : **(وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا)** الفرقان/ ٣٢ . ومعنى تثبيت الفؤاد : القدرة على وعى ما حواه من لفظ ومعنى وذلك ان المسلمين في حاجة الى العلم طوال حياتهم .

ووصايا الرسول الجامعة لم تكن الا قبيل وفاته وكانت في حجة الوداع وبذلك اعطاهم القدرة على الفهم والتدبر والاتجاهات والقيم ـ وذلك كله يمكنهم من أداء رسالتهم في هذه الحياة .. وقد حث النبي صلوات الله وسلامه عليه على مداومة طلب العلم ـ وجعل العلماء هم ورثة الأنبياء واذا كان الأنبياء لم يورثوا مالا فانهم قد ورثوا العلم وحظ العلم أكبر من حظ المال يقول الرسول الكريم : « العلماء ورثة الأنبياء ـ وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر » رواه الترمذي ـ وجعل القرآن خشية الله الكاملة من اختصاص العلماء : **(إنما يخشى الله من**

عباده العلماء) فاطر/٢٨ وحث النبي الكريم على طلب العلم لأنه يوصل الى الجنة يقول النبي الكريم : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة » رواه مسلم وقال عليه السلام : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » رواه الترمذي والاسلام بذلك يعطي المتعلم مكانه الصحيح في الاسلام فهو في سبيل الله حتى يرجع ـ والله سبحانه وتعالى يكرمه ويعطيه الجزاء الأوفى والملائكة تضع أجنحتها إكبارا له وإعظاما لحقه .

وقد جعل الاسلام العلم النافع من الأشياء التي يستمر فيها ثواب الانسان حتى بعد موته يقول الرسول الكريم : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم .

دور العلم في حياة المسلم :

والتربية مدى الحياة تدعو إلى الملاحظة والتأمل الواعي واتباع الأسلوب العلمي وفي ذلك يقول الله تعالى : **(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب)** آل عمران/ ١٩٠ ـ ولذلك فان الله تعالى يأمرنا بالنظر في السموات والأرض لنرى ما فيها : **(قل انظروا ما ذا في السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)** يونس/ ١٠١ . كما طلب رب العزة من المسلم ان يطلب من ربه ان يزيده في العلم : **(وقل رب زدني علما)** طه/ ١١٤ وما دام المسلم يطلب من ربه أن يزيده علما فهو يطلب منه أن يزيده من العلم النافع الذي يساعده على أداء رسالته في هذه الحياة ـ والذي يهدف إلى مصلحة الفرد وإلى مصلحة المجتمع الاسلامي بل والمجتمع الانساني كله ـ والذي يتولى تعليم الناس ذلك هو في رحمة الله تعالى وكل ما في الكون ومن فيه يدعو له يقول الرسول الكريم : « ان الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمى الناس الخير » رواه الترمذي وهو هنا يعطينا اهمية المعلم واهمية اتجاهاته في هذه الحياة لأداء رسالته بحيث تكون للبناء لا للهدم ، ولجلب الناس للخير لا لإفساد حياتهم .

والعلم يزيد المسلمين من صلتهم بالله ـ والمسلم يصل من تفكيره وعمله الى قوانين ونظريات وتطبيقات تساعده على أداء رسالته في عمارة الأرض وهو يمشى في مناكبها ويأكل من رزق الله ، فالعلم فريضة يؤديها المسلم كما يؤدي الصلاة والزكاة ـ وإذا كان الاسلام يرى أن العلم فريضة وعبادة فان معنى ذلك أن المسلم لابد وأن يستخدمه في ما يحقق هدفه في هذه الحياة ولابد وأن يكون ذلك في اطار الكتاب والسنة حتى يحمي نفسه ويحمي المجتمع من شطحات العلم او انحرافات تطبيقه يقول النبي الكريم : « تركت فيكم

أمرين ما لو تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله تعالى وسنتى » رواه احمد والطبراني وابن ماجه .

خاتمة :

الاسلام يوجد الدوافع للتعلم حتى يحرص المسلم الحرص الكامل عليه يقول الله تعالى : **(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)** المجادلة/١١ ويقول : **(هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب)** الزمر/٩ .

وقد أدرك المسلمون أن الاسلام يفرض عليهم أن يطلبوا العلم طوال حياتهم فأخذوا يفعلون ذلك ويحثون على طلبه دائما ويقول بعضهم لبعض « كن عالما أو متعلما ولا تكن الثالثة » ويقول علي ابن أبي طالب : « كل يوم لا أزداد فيه علما فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم » وفي الأثر « منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال » .. وقيل لحكيم : ما حد التعلم ؟ قال : حد الحياة وقال ابن المبارك « ما يزال المرء عالما ما طلب العلم فان ظن أنه قد علم فقد جهل » وقال رجل لأبي عمرو بن العلاء : متى يحسن بالمرء أن يتعلم ؟ : قال : ما دامت الحياة يحسن أن يتعلم . وروى عن البيروني المتوفى عام ٤٤٠هـ والذي اشتهر بالرياضة والفلك والتاريخ حين حضرته الوفاة ودار الحديث بين بعض عواده عن مسألة في الميراث طلب البيروني إيضاحها فقال له الزائر : تسأل عن هذه القضية وأنت في مرضك فقال البيروني : لأن أذهب إلى الله وأنا أعرفها خير من أن أذهب وأنا أجهلها وما أن خرج العواد حتى سمعوا البكاء عليه .

والتعليم مدى الحياة يتطلب أن يعرف المسلم ما يفيد الناس وما يساعده على أداء رسالته وفي الأثر : « تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة » .

وهكذا استطاع المسلمون أن يحققوا رسالتهم في هذه الحياة بالأسلوب الذي رسمه لهم الاسلام بالعلم الذي يحرر البشرية من عبادة العباد وينقلهم الى عبادة الله ويجعلهم يعملون للخير ويسعون للخير ويعيشون من أجل الخير فيحسون بالأمن والسعادة والطمأنينة التي تفتقدها الانسانية في العصر الحديث وتبحث عنها في غير مظانها ولذلك فهي تعيش في ضياع .

وحبذا لو حمل المسلمون الراية من جديد اذن لعادوا بالانسانية الى حضارتها الأولى الكاملة التي تيسر العدل والطمأنينة فيهدأ الناس ويحسون بالسعادة التي افتقدوها وتعود اليهم صحتهم الجسمية والنفسية والعقلية والوجدانية وصدق الله العظيم اذ يقول : **(الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)** الأنعام/٨٢ .

العقل والحقيقة

عند محيي الدين بن عربي

إذا كان الانسان هو هدف المعرفة وموضوعها وتجسيدها ، فان الطريقة العلمية في التفكير ، وهي الطريقة المسيطرة على هذا العصر ، طريقة قاصرة ، تعجز عن الوفاء بتطلعات الانسان ، وعن إشباع فطرته ، وعن الرد على تساؤلاته التي تشده شدا إلى ضرورة تبين مكانه من الكون ، وعلة وجوده ، وغاية منتهاه . فالطريقة العلمية ليس هذا حقلها ، وما ينبغي له أن يكون . فهي ترى أن الفكر انعكاس الواقع ، وأن المعرفة نتاج مادي للملاحظة والتجربة والاستنتاج ، والانسان بجوهره وبأبعاد حقيقته ، ليس مادة فيرضخ للمختبر ، ولا هو جوعة جسد فيكون إشباعه المادي منتهى الآمال .

لسنا ، بهذا الذي نذهب إليه ،

للأستاذ : أمين شنار

نرفض الطريقة العلمية مطلقا ، إنما نحن نردها إلى مجالها الذي وجدت من أجله ، في ميادين العلم والتكنولوجيا ، فنلتزمه ولا نتعداه ، وهو مجال حيوي بلا ريب ، لكنه ليس كل شيء ، ولا هو أشد الأشياء إلحاحا وأهمية وخطرا .

وإذا كانت الطريقة الفلسفية المثالية في التفكير ، قد ألقت بمقاليدها إلى هذه الطريقة العلمية بعد أن بهرت كشوف العلم العقول ، فليس ذلك حكما على العقل بالافلاس ، ولا إذنا للعلم بأن يلتهم كل ماضي الانسان ، أو أن يحجر على حاضره ، أو أن يرتهن مستقبله ، وإنما هو إعلان عن فشل طرائق عقلية بعينها في الاستجابة للطموح الانساني ، وتحقيق العلاقة المتوخاة بين الوجود والانسان ، وهو ، في الوقت نفسه ، محاولة جديدة من محاولات العقل ، منح فيها العلم ، وهو أحد أدواته ، فرصة التجربة في أن يقود الحياة ..

أما وقد ارتطمت القيادة الجديدة بما ارتطمت به سابقتها في الفكر الأوروبي العالمي من جدران مسدودة ، وطحن القلق الانساني الوجودي في ظلالها العالم بأربعة أركانه ، وألقت به تجاربه العاثرة في غمار حربين عالميتين ثم أوقفته مترنحا على شفير الهاوية ، أما وقد حدث ذلك ، فقد بات لزاما على العقل أن يمارس من جديد سلطانه في الاختيار ، وفي تلمس الطريق . ولن يضيره أن يقف ، وأن يلتفت إلى وراء ، وأن ينقب في مسارب مسيرته الطويلة عبر التاريخ ، بل لا بد له من ذلك ، فليس أمامه إلا الهاوية إذا هو لم يهتد إلى طريق آخر يكون فيه الأمل ، وبه الوصول .

والاسلام ـ بقيادته الفكرية ـ منهج متميز من مناهج المعرفة التي تطرح نفسها لكل من يستعرض رحلة الفكر عبر العصور . وهو ـ عند المؤمنين به ـ بديل موضوعي لمعاناة العصر . وهو ـ عند عديد من الدارسين ـ ذخيرة مرصودة ، ومناط أمل ، وليس تراثا استوفى غاياته ، وحقق أغراضه ومضى ، فما إلى عود إليه من سبيل .

ومركز الدائرة في الاسلام عقيدته . هي قاعدته الفكرية ، وهي أساس نظرته الشاملة للكون والانسان والحياة . فهو لا يحيا لا فكرا ولا عبادة ولا ضابط سلوك ، ولا مصدر تشريع . إلا بحياة هذه العقيدة ، أولا ، وقبل كل شيء .

وإذا ما أردنا أن نتقدم بهذا الاسلام رسالة لهذا العصر ، فان علينا أن نفعل ذلك من خلال معاناة عميقة شاملة لفكر العصر ، وينابيع

هذا الفكر في شعاب الماضي ، ثم علينا أن نعرف كيف نتوجه إلى عقيدة الاسلام ، وبماذا نتوجه ، لكي نعتقدها فكرا ، ونخاطب بها ــ من بعد ــ عقل العصر وفكره .

هل نتوجه إلى الاسلام وعقيدته ، بالفطرة ، وقد كادت معالمها تمحي تحت التجارب الباهظة ؟ أم نحمل هذه العقيدة فلسفة مثالية مجردة فنسلبها خاصيتها المتميزة في التجسد العملي المتحرك ؟.

أم الاسلام نهج آخر غير هذا كله ، له طريقته الخاصة في التفكير ، كما له عقيدته المتميزة . وكل محاولة لفهمه واعتناقه وتطبيقه بغير طريقته تلك ، تكون مجرد إطلالة عليه من خارج ، لا صدورا تلقائيا واعيا عنه من داخل ؟؟.

إن أولى الخطوات على طريق الوعي المعاصر على الاسلام ، هي دراسة في دائرة الضوء التي تلقيها اللحظة الحضارية المعاصرة ، وإزاحة هذا الركام الثقيل الذي كدسه عليه آلاف الدارسين من قدماء ومحدثين ، للنفاذ إلى حقيقته ، من مصادره ، وبطريقته ، بعيون مفتوحة على كل التيارات ، لكي يكون هذا النفاذ إليه ، وبعثه ، واستئناف التفكير على هديه ، نفاذا معاصرا مبررا تفضي إليه ، بالضرورة ، رحلة الفكر الانساني ، عبر متاهاته ، وخيبته ، ومطامحه التي لم تتحقق .

إن دراسة المنهاج الفكري للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربي ، تصلح نافذة ، يشرق منها الفكر الاسلامي على عصرنا : متجددا ، متألقا ، واضحا في ينابيعه ومسالكه ومراميه .

ولد الشيخ الأكبر في السابع عشر من رمضان سنة (٥٦٠) للهجرة ، في مدينة « مرسيه » بالأندلس وتلقى القرآن الكريم ، والحديث ، والفقه ، عن عدد كبير من العلماء ، وعمل موقعا لبعض ملوك المغرب ، ثم تصوف ، وساح في الأرض ، ثم خرج إلى الناس بكتبه التي يتجاوز عددها الأربعمائة كتاب ، ومن أهمها موسوعته الشهيرة « الفتوحات المكية » وقد طبعت حديثا في أربعة مجلدات ضخمة يزيد عدد صفحاتها من القطع الكبير على الألفين ، وجاء في « نفح الطيب » عن ابن عربي أنه « غلب عليه التوحيد علما وخلقا وحالا » . وقد تنقل بين الأندلس والمغرب ومصر والحجاز والعراق ، ثم استقر بالشام ثلاثين سنة ، وتوفي فيها سنة (٦٣٨) للهجرة ، ودفن في سفح « قاسيون » بدمشق .

وليس ابن عربي نتاج أسلافه من المتصوفة ، ولا هو محصلة عصره الذي ازدهرت فيه فلسفات ابن رشد ، وابن طفيل ، إنما هو أقرب إلى أن يوصف بأنه نسيج وحده ، نهجا وطريقة تفكير وتعبير . وهو بذلك شهادة لا ترد بأن الرجل قد يصنع عصره ، وعصورا كثيرة بعده .

إلا أن ما يؤخذ عادة على ابن عربي هو وعورة كتبه ، وازدحامها بالاشارات الغامضة ، وقد برر هو ذلك بخشيته من أن يسيء فهمها من لا

قبل له بتذوقها ، فجعل وعورتها سياجا لها ، فلا يصل إليها إلا من أخذ نفسه أخذا صارما جاهدا بدراستها ، وتوسل إلى فهمها بسلوك طريق القوم ، وتذوق مشاربهم ومنازعهم وأساليبهم في التصور وفي التعبير .

والعلوم ـ عند ابن عربي ـ تحمل دلالة واحدة هي توحيد الخالق عز وجل ، لأن « مراد الحق تعالى من عباده في جميع ما خلق ، وأنزل من العلوم ، هو أن يجمعهم عليه . ومن أتعب نفسه في جمع العلوم من غير أن ينظر في دلالتها على الحق تعالى فاته المقصود الأعظم ، وحجب » .

ويقوم منهاج « ابن عربي » ابتداء على التفريق الصارم بين مفهوم الاقرار بوجود الخالق ، وتوحيده . فالاقرار بوجوده ،أداته الحس والعقل ، وهو مركوز في الفطرة لا تتحول عنه ، أما التوحيد فطريقه التقرب إلى الله بالعمل والطاعات والنوافل والسلوك .

« فمن أراد الدخول إلى فهم كلام ربه ، فليقدم بين يديه شرعه ، ويقول لعقله : أنت عبد مثلي ، فكيف أترك ما نسبه الحق تعالى إلى نفسه لعجزك عن تعقله ، مع أنك قاصر عن معرفة ربك .. ولو ألزمت نفسك بالانصاف للزمت حكم الايمان والتلقي ، وجعلت النظر والاستدلال في غيره مما لم يرد عن ربك .

وهذا لا يعني إنكار الحواس التي هي أداة العقل في أحكامه . فالحواس ، عند ابن عربي ، لا تخطىء ، لأن إدراكها للأشياء إدراك ذاتي ، ولولاها لما ثبت القياس ، ولكن العقل وهو الحاكم عليها وبها هو الذي يخطىء . فالعقل لا علم عنده ابتداء إلا بالضروريات التي فطر عليها ، وفكره مقلد لخياله ، وخياله مقلد لحواسه ، والعقول محدودة من حيث فكرها ، لا من حيث قابليتها للتلقي ، وهي تتلقى ، إذا اهتدت ، عن الله عز وجل ، فيضا عنه ، وتوفيقا منه .

والله سبحانه أمرنا بالعلم بوحدانيته في ألوهيته ، لا بالاقرار بوجوده فحسب . واذا كان الفكر يهتدي الى وجود الحق ، بأدلته العقلية ، فان العلم بالوحدانية يتم عن طريق آخر هو « الرياضات والمجاهدات وقطع العلائق والجلوس مع الله بتقديس القلب عن شوائب الأفكار » . فمتعلق الأفكار هو الأكوان فحسب ، والطريق إلى الله منه ومن توفيقه عز وجل أقرب إليه من الطريق من فكر الانسان .

والعلم ليس تصور المعلوم فانه ما كل معلوم يتصور : « فان التصور للعالم إنما هو من كونه متخيلا والصورة للمعلوم لا تكون إلا إذا أمسكها الخيال ، وثم معلومات لا يمسكها خيال أصلا ، فلا يمكن أن يهتدى إليها العقل بأدواته العادية القاصرة من حس وخيال » .

من هنا ، يقسم ابن عربي العلوم إلى ثلاثة أنواع : علوم العقل ، وهي كل علم يحصل لك ضرورة أو عقب نظر في دليل ، بشرط العثور على وجه

ذلك الدليل وشبهه من جنسه في عالم الفكر الذي يجمع ويختص بهذا النوع من العلوم ، والثاني : علوم الأحوال ، ولا سبيل إليها إلا الذوق ، فلا يقدر عاقل أن يجدها ولا أن يقيم على معرفتها دليلا ، كالعلم بحلاوة العسل لا يعلمه إلا من يذوقه . والثالث : هو علم الأسرار ، وهو فوق العقل ، ولا يكون إلا لنبي أو ولي ، ومصدره الوحي للأول ، والالهام للثاني ، وتحكم في الالهام وفي علم الأحوال ، الشريعة على كل حال .

والعلم الحقيقي يقتضي العمل « فمن قال إن العلم يوجد بغير عمل ، فدعواه باطلة . وليس شيء من العلم التصوري مكتسبا بالنظر الفكري » ، إنما المكتسب هو مصطلحات الألفاظ . أما المعاني فهي مركوزة في النفس ، ثم تنكشف للعقل مع الأناة حالا بعد حال » .

وهكذا ، فان الانسان يهتدي بعلوم العقل إلى وجود خالقه ، ويعترف بالرسالة وبالكتاب ، وبالنظر في أدلة الحواس ، كما أنه بعلوم العقل يعرف الأشياء المادية ويسخرها لمصلحته .

وهو بعلوم الأحوال الذوقية الناتجة عن العمل والكشف عما هو مركوز في النفس يعرف الوحدانية ، ويؤمن بالألوهية ، ويسلم لها وجهه وحياته ، ويبلغ مقام « الاحسان » .

الحقيقة عند « ابن عربي » لا تنال بالنظر الفكري ، ولا بضرورات العقول ، وإنما بنور ينداح في القلب بواسطة اتباع الكتاب والسنة ، فتدرك الأمور يقينا ، لا ظنا .

والعلم بالله سبق إلى كل نفس في الأخذ الميثاقي ، حين أشهد الله الناس على أنفسهم . قال تعالى : « **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون . وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون**) الأعراف / ١٧٢ ــ ١٧٤ . تلك هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها : العلم بوجود الرب الخالق . ولله الحجة البالغة . « فلما عمرت الأرواح بالأجسام الطبيعية في الدنيا فارقها العلم بتوحيد الله ، ثم أحيا الله بعض النفوس بتوحيده ، وأحياها كلها بالعلم بوجوده ، إذ كان من الضرورات العلم بوجود الله». أما التوحيد فهو « عين اليقين » الذي تعطيه المكاشفة والشهود . و « حق اليقين » هو ما يستقر في القلب .

« فاذا أشعرت قلبك ذكر الله دائما ، في كل حال ، فلا بد أن يستنير قلبك بنور الذكر ، ويجتمع لك نور الشرع مع نور التوفيق والهداية ، وتصل إلى مقام العبودية الخالصة لله عز وجل » . ومثل الداخل الى ذلك الجناب العالي معتزا بفكره . مثل من يدخل بسراج موقد ، ومثل الذي يدخل بعبوديته مثل من يدخل بفتيلة لا ضوء فيها ، أما الأول : فينطفىء نوره ،

وأما الثاني : فيشتعل ، ويعود الأول مظلما ، ويعود الثاني بنور يستضاء به » . أما أولئك الذين يحسبون أنهم بعقولهم وبأسبابهم يصلون ، ففيهم قال تعالى : **(وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)** يوسف/١٠٦ فالمراد بالايمان في هذه الآية هو الايمان بالوجود لا بالتوحيد ، اذ لو كان المراد التوحيد لم يقل:**(إلا وهم مشركون)** مع ثبوت الايمان .

وليست منزلة « الاحسان » عند ابن عربي إلا شرطا لازما لهذا الايمان بالتوحيد : « فالاسلام والايمان مقدمتا الاحسان ، والايمان له التقدم ، والاسلام تال وإلا لم يقبل . والايمان تصديق فلا يكون إلا عن مشاهدة الخبر في التخيل ، فلا بد من الاحسان الذي هو « أن تعبد الله كأنك تراه » . والاسلام انقياد ، والانقياد لا يكون إلا عن « انقاد طوعا » ، وليس ذلك الا عن « أحس » بأن الحق آخذ بناصيته فان لم يحس فما انقاد إلا كرها . والاحسان أن ترى أنه يراك على المشاهدة . فالايمان إذن « برزخ بين الاسلام والاحسان ، له من الاسلام ما يطلبه عالم الاجسام ، وله من الاحسان ما يشهد به المحسن ، فمن آمن فقد أسلم وأحسن » .

وطريق الاحسان هو التلقي عن الشريعة والعمل بها ، والتلقي عن الروح المصفى المتصل بالله عز وجل بالاكثار من ذكر الله وتلاوة كلامه ، لازالة الران عن القلب ، وبالاخلاص في العمل ، فان « من أعظم المكر بالعبد أن يرزق العلم الذي يطلب العمل ويحرم العمل به ، أو يرزق العمل الذي يطلب الاخلاص ويحرم الاخلاص فيه » .

وإنما قال الله تعالى في الحديث القدسي في حق الذاكر المتقرب بالنوافل : « كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به .. الخ » .

وذكر الصور المحسوسة دون القوى المفكرة كالخيال والحفظ والتصور والعقل ، لأن هذه مفتقرة إلى الحواس ، والحق تعالى لا يتنزل منزلة من يفتقر إلى المخلوقات ، بخلاف الحواس من سمع وبصر .. الخ .. فانها مفتقرة إلى الله وحده لا إلى سواه ، فتنزل الله تعالى لمن هو مفتقر إليه وحده ، لا يشرك به أحد .

ولا بد أن يلتقي نور الشرع مع نور التوفيق الالهي والامداد والهداية . فالشريعة لب العقل ، والحقيقة لب الشريعة . العقل يحفظ الشريعة ويرد على منكريها ، والشريعة تحفظ الحقيقة وبها تبقى وتؤثر . ولا بد للسالك طريق الشرع من هذين النورين : « فلو وجد نور البصيرة دون نور الشرع ، لما عرف العبد كيف يسلك لأنه في طريق مجهولة لا يعرف ما فيها ولا أين تنتهي به ، كما أن السائر في هذا الطريق يحتاج إلى أن يحفظ سراجه من الأهواء أن تطفئه بهبوبها ، فانه إن هبت عليه « ريح زعزع » أطفأت سراجه ، وأذهبت نوره ، والريح الزعزع كل ريح تؤثر في نور توحيده وإيمانه .. «فوالله لقد خلقنا لأمر عظيم » .

الشِّعرُ في خِدمةِ الدِّين

للأستاذ ـ احمد حسن القضاة

للذود عنك فقد وقفتُ نشيدي   يا خيرَ دينٍ جاء بالتوحيدِ
يا شعرُ لا تهتف بغير ندائه   إنـي لأربأُ أن (يذل) قصيدي
إني أعيذك أن تحيا ـ بلا هدفٍ ـ   للمدح والتشبيب والترديدِ
ودع التغني بالحسان لآبقٍ   لا يرعوي متخاذلٍ رعديدِ
والعَنْ دعاةَ الخمر وانبذْهُم فهم   رأسُ البلاء وعاملُ التشريدِ
واصْلتْ حسامَكَ للهيجا فما رَغُمت   أنفُ الطغاةِ بغيرِ السيفِ والصِّيدِ
ما ضاعتِ القدسُ إلا من تخاذُلِهم   والاستكانةِ بين (الكأسِ) و(الغيدِ)
فالدِّينُ إن قلتُ أعني كلَّ عزتنا   والنورَ والحقَّ والاقبالَ للجودِ
وليس يصدُقُ من للدين يُلبِسُه   ثوبَ (الجمود) بلا سعيٍ و(تجديدِ)
سَلِ القُرونَ ، سَلِ التاريخَ من زمنٍ   ما أحدثَ الدينُ من مجدٍ وتخليدِ
سَلِ (العروبةَ) من أعلى مدامكها   بينَ الأنَام وعاشتْ في (زغاريدِ) ؟
هَذِي (الحضارةُ) مَنْ أرسَى قواعدَهَا   بيْن الشعوب وسَلْهَا قلْ لها : عودِي ؟!
أَيجحدُ (الغربُ) طِبَّ (الشيخِ) في زمنٍ   كان التطبُّبُ (تدجيلَ) التقاليدِ ؟
إن الزمانَ الذي (أوروبَّةُ) الْتَزَمتْ   تدريسَها (القانونَ) غيرُ بعيدِ
أَوْ يجهلُ الطبُّ ما (الرازي) وصنعتُهُ   وما تضمن (حاويهِ) بتحديدِ ؟
وفي المعارف أصنافٌ معددةٌ   كانتْ قرائحَ أعلامٍ صناديدِ
لا شيءَ مثلُكَ يا إسلامُ يُوصِلُنَا   بَرَّ الأمَانِ بلاَ قَيْدٍ وتقييدِ
آمنْتَ بالله يَهدينَا برحمتِهِ   ونَسألُ اللهَ عَوْنَاً غيرَ محدودِ

رأي في زكاة العقارات والمصانع وسهام الشركات

للاستاذ : محمد عزة دروزة

سألني بعض الناس عن هذه الأمور المستجدة بعد صدر الاسلام وعهد التشريع القرآني والنبوي ، ولم اطلع على رأي شاف واف في ذلك ، وقد عن لي رأي ذكرته للسائلين ، ورأيت أن أبسطه على صفحات الوعي الاسلامي ، وأرجو أن يكون فيه صواب وشفاء أو يكون وسيلة للوصول إلى ذلك .

١ ـ معلوم أن زكاة المال السائل (النقد) وعروض التجارة تجب على ما يبقى في يد صاحبه من رأس مال وربح في آخر كل سنة ، بمعدل ٢,٥٪ إذا بلغ الباقي النصاب الأدنى المحدد في الآثار النبوية .

٢ ـ ومعلوم أن زكاة غلة الأرض تجب على ما يحصده صاحبها منها ، حين حصادها ، دون انتظار لآخر السنة ، ودون اعتبار لما يبقى أو لا يبقى منها في يد صاحبها:(**وآتوا حقه يوم حصاده**) الأنعام/١٤١ . بمعدل العشر للأرض التي تروى بماء المطر ، أي أربعة أضعاف زكاة المال السائل ، وينقص هذا إلى النصف في حالة ري الأرض بماء مكلف منفق عليه ، أي كأن الفرق هو نفقات الكلفة والتعب ، وأن الأصل هو الأضعاف الأربعة ، وإذا نقصت غلة الأرض عن الحد الأدنى المعين في الآثار النبوية سقطت عنه الزكاة .

٣ ـ والحكمة المتبادرة من ذلك أن المال السائل حر قابل للتنمية والمضاعفة بحسب الجهد والظروف ، فتكون نسبة ٢,٥٪ مجزية في حالة النمو والمضاعفة ، كما أن هذه النسبة تجب على ما يبقى في يد صاحب المال من رأس مال ، ولو لم ينم ، بل ولو نقص عما كان عليه قبل ، بالخسارة ، أو نفقات المعيشة ، فيكون في

تخفيف النسبة عدل ومراعاة حال ، وذلك خلافا للأرض فثمنها قد يكون كبيرا يساوي مئات الآلاف بل والملايين ، ولكنه رأس مال مجمد غير قابل للتنمية الحرة كالمال السائل ، ولم يوجب الشرع عليها زكاة ، فاقتضت حكمة التشريع أن تكون الزكاة على غلتها ، وأن تكون أربعة أضعاف ما يجب على المال السائل ، على النحو الذي ذكرناه في الفقرة الثانية .

٤ ــ والرأي الذي عن لي هو قياس العقارات المعدة للأجرة ، والمصانع الكبيرة ، وسهام الشركات الكبرى بالأرض . وأداء زكاتها حسب زكاة الأرض .

أ ــ فالعقارات ذات ثمن كبير ، ولكنه مجمد ، وغير سائل ، وغير قابل للتنمية الحرة ، فيكون من المعقول أن تكون زكاتها على ريعها أولا ، وحين الحصول على هذا الريع ثانيا ، ودون انتظار لآخر السنة ، ودون اعتبار لما يبقى ، وما لا يبقى ، في يد صاحبها من الريع ثالثا ، ونصف العشر رابعا . لأنها معرضة للاستهلاك ، وتحتاج إلى نفقات صيانة دائمة ، وإذا تعطلت ولم تؤجر سقطت عنها الزكاة ، والآثار ذكرت حدا أدنى لما يجب على غلة الأرض من زكاة ، بحيث لو نقصت الغلة عن هذا الحد لا تجب عليها زكاة ، ويكون هذا شأن أجرة العقارات ، فاذا كانت أقل من الحد الأدنى لا تجب عليها زكاة ، ويتبادر لنا أن يكون هذا الحد الأدنى بالنسبة لها ، هو النصاب الذي يوجب الزكاة على المال السائل في الآثار النبوية ، لأن ريع العقارات مال سائل ، وليس غلة عينية ، ومع ذلك يمكن أيضا أن يحسب قيمة النصاب الأدنى الذي تجب به الزكاة على غلة الأرض ، ويقدر ريع العقار بحسبها ، فاذا كانت قيمة الريع أقل من قيمة هذا النصاب ، سقط عنه الزكاة .

ب ــ وفي صدد المصانع الكبيرة نقول : إن بعضهم يستند إلى الآثار والأقوال الفقهية القديمة باستثناء أدوات الصنعة من الزكاة ، فيستثنى المصانع من الزكاة . وهذا قياس غير سليم . فالاستثناء كان لأدوات الصنعة القديمة القليلة الزهيدة . وجهد ريعها هو للصانع الذي يعمل بها ، وتمثل نولا يعمل عليه صاحبه مباشرة ، أو نجارا أو حدادا أو خياطا يعمل بأدوات صنعته القليلة ، في حين أن من مصانع اليوم والأجهزة الصناعية ما تبلغ قيمته مئات الآلاف ، بل والملايين ، وجهد الريع هو لها ، وليس لمالكها الذي ليس هو صاحب صنعة مباشرة شخصيا لصنعته ، على الأعم الأغلب ، بل وقد لا يفهم من الصنعة شيئا ، والمشتغلون فيها عمال يتقاضون أجورهم منه ، سواء أربح المصنع أم خسر ، وهذا ما يجعل من المتبادر أنها هي الأخرى يجب أن تقاس بالأرض المجمد ثمنها مهما عظم أولا ، وبالأرض المروية بكلفة وتعب ، وتكون زكاتها نصف العشر ثانيا لأنها معرضة للتلف والاستهلاك وفي حاجة دائمة للصيانة والتجديد ، وتجب زكاة ريعها الصافي بعد أداء جميع الأكلاف بما في ذلك أجور العمال ، وأكلاف الصيانة ، بقطع النظر عن نفقات صاحبها المعيشية ، وبدون انتظار حول عام عليها ، بحيث تدفع حال ما يتم الحساب ، ويصرف الريع الصافي ، والزكاة على المال السائل كما يتبادر لنا وما فوقه ، بحيث إذا نقص الريع عن هذا النصاب سقطت عنه الزكاة ، كما

تسقط عنه إذا خسر المصنع ، ولم يورد إيرادا في سنة من السنين ، شأنه شأن الأرض إذا لم تغل في سنة من السنين ، وإذا كانت غلتها أقل من النصاب المعين عليها الزكاة في الآثار ، ويجوز أن يحسب نصاب ريع المصنع الذي تجب عليه الزكاة بحساب قيمة نصاب غلة الأرض التي تجب عليها الزكاة ايضا .

جـ ـ وسهام الشركات لا يعود منها إلا ريع . وثمنها بالنسبة لمالكها سواء أكانت زراعية أو تجارية أو صناعية مجمد . والقائمون عليها يوزعون على المساهمين الريع ، فيكون شأنها شأن الأرض كذلك ، وتقاس عليها فيما يتبادر لنا ، وتكون زكاتها مع الريع إذا بلغ النصاب الأدنى المعين للغلة الواجب عليه الزكاة ، أو أكثر ، وتؤدي وقت استلام الريع دون انتظار لآخر السنة ، ودون اعتبار لما قد يكون صاحبها في حاجة إليه من نفقة ينفقها على نفسه ، كما هو شأن زكاة الغلة . وإذا كانت قيمة الريع أقل من النصاب فلا زكاة عليه . ويصح أن يعتبر النصاب كنصاب المال السائل أو بحسبه بقيمة نصاب الغلة . ومن عادة الشركات أن تقتطع من الأرباح مقادير احتياطية للاستهلاكات والطوارئ ، وتوزع الريع على المساهمين بعد ذلك ، فتكون زكاة ريع السهام والحالة هذه عشرا قياسا على الأرض المروية بماء المطر .

د ـ هذا . واعتبار قيمة العقارات المعدة للأجرة ، والمصانع ، وسهام الشركات مالا سائلا كما سمعت بعضهم يقوله ، وإيجاب زكاتها كزكاة المال السائل ، غير سليم ، وغير عادل . ويتضح ذلك لو قلنا : إن عقارا قيمته مائة ألف ، فالزكاة الواجبة عليها ككمال سائل هي (٢٥٠٠) في حين أن أجرة العقار قد لا تزيد على نفس المبلغ . ولو قلنا إن إنسانا يملك عشرين سهما قيمتها عشرة آلاف فيجب عليها ككمال سائل (٢٥٠) في حين أن ما يوزع من الريع على أحسن تقدير (٥ أو ٧٪) من القيمة ، أي نفس المقدار أو يزيد قليلا . ولو قلنا : إن قيمة المصنع مليون كان زكاته ككمال سائل هي (٢٥٠٠٠) في حين أن قصارى ما يكون ربح المصنع الصافي بعد كل النفقات والصيانة والاستهلاك لا يزيد عن ٥ أو ٧٪ أي (٥٠٠٠٠) او (٧٠٠٠٠) وتكون نسبة الزكاة نصف الربح أو ثلثه . وقد يقال : إن الأرض مجمدة طبيعيا ، وليس من صنع الانسان ، في حين أن الانسان هو الذي يجمد ماله في العقار أو السهام أو المصنع ، ويستطيع أن لا يفعل ، فتكون له فرصة تنمية رأس ماله . ولكن الناس ليسوا سواء فكثير منهم لا يحسنون العمل التجاري الحر ، ويرون في توظيف مدخراتهم في عقار أو سهام أو مصنع أضمن لهم الايراد ثابت . وليس في ذلك حرج ديني ولا أخلاقي .

وإني أرجو من أولي العلم والفقه من المسلمين أن ينعموا النظر على هذا الرأي الذي بسطته ، والذي موضوعه من المواضيع التي يكثر السؤال عنها ، فان كان صوابا أيدوه ، وإن كان لهم تعليق أو تعقيب أو رأي آخر أبدوه ، فلعل ذلك يؤدي إلى إقرار رأي شاف واف سائغ في هذا الموضوع .

والحمدلله رب العالمين .



مع الشباب

الشباب هم ذخر الامة ، ومحط امالها ، وفلذات اكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الامثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض افكارهم يحدونا الامل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

قم للمعلم وفه التبجيلا

ارسل الاخ حلمي السيد محمود ابو حسن ـ مصر ـ رسالة ضمنها توجيها للشباب المسلم حرصا منه ان ينشأ الجيل عارفا قدر استاذه الذي يقدم غذاء عقله وهو خير زاد يهتدي به في حالك الظلمات على طريق السلامة والمعرفة ، اذ كيف يليق ان يقف التلميذ من استاذه هذا الموقف الشائن الذي تحاول اجهزة الاعلام ان تسمم به أفكار طالبي العلم .
نقدم للشباب فقرات من تلك الرسالة .

منذ سنوات عرضت ولا تزال تعرض على شاشة التليفزيون مسرحية « مدرسة المشاغبين » .
وإني لأعجب كيف يذاع ذلك ولا يدري المسئولون عقباه انها عواقب غير محمودة إذ إبراز تلك الصورة للمدرس امام تلامذته يدعو الى التمرد اعني تمرد الشباب المتعلم في مراحل العلم المختلفة على اساتذتهم مع ان الاستاذ المعلم له فضل كبير وهو كبير وهو الاساس في كل خير يعود على البلاد كنتيجة لاي بحث في اي مجال من مجالات المعرفة يقول احمد شوقي :

قم للمعلم وفه التبجيلا ... كاد المعلم ان يكون رسولا

والقرآن حجة على الملحد وتبيان للموحد ، وحاكم يرجع اليه العالم والجاهل ،

وهذا هو صوت التربية في القرآن الكريم يضع اسسها السليمة ويؤكد على حسن الرابطة بين الاستاذ والتلميذيقول الله تعالى حكاية عن قصة سيدنا موسى وسيدنا الخضر عليهما السلام:« فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمنا من لدنا علما.قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا.قال إنك لن تستطيع معي صبرا . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا . قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا . قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا » .

هذه آيات من كتاب الله تحكي لنا ما دار بين التلميذ وهو نبي مرسل سيدنا موسى عليه السلام واستاذ وهو عبد من عباد الله آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما لا يعرفه سيدنا موسى عليه السلام . حقا ان القرآن بحر زاخر فيه العظة والعبرة وفيه الهدى والخير ويتجلى الادب في سيدنا موسى عليه السلام اذ لم يستنكف ان يكون تلميذا للخضر بل طلب منه في ادب ان يقبله تلميذا مصاحبا له: « هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا » .

وهنا يرد عليه الخضر عليه السلام فهو يعرف انه رسول علمه الله أمور الدين ، والأنبياء لا يجهلون ما يتعلق بدينهم الذي جاءوا به أممهم وإنما يطلب علما علمه الله للخضر لا يستطيع موسى الصبر عليه:(قال إنك لن تستطيع معي صبرا) ان موسى عليه السلام لا يصبر على ترك الانكار اذا رأى ما يخالف الشرع :(وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) ولكن سيدنا موسى عليه السلام ذكر انه سيبذل جهده ان يكون تلميذا لا يعترض وذلك ان شاء الله:(قال ستجدني إن شاء الله صابرا) وسيكون مطيعا وذاك شأن التلميذ مع استاذه:(ولا أعصى لك أمرا) لم يطق موسى عليه السلام أن يصبر كثيرا ثم سكت ثم نبأه الخضر عليه السلام بما لم يستطع عليه صبرا .

أيها الشباب

هذا قليل من كثير من فيض القرآن الكريم يجب علينا أن نفهمه وأن نلتف حول كتاب ربنا نتدارسه ونتدبر معانيه ونعمل به حتى نعيش عيشة السعداء في الدنيا والآخرة .

وعلى الشباب الذي يتعلم ان يعرف لمعلميه قدرهم وأن يكون مؤدبا معهم ومما يروى للامام الشافعي رضي الله عنه :

أخـــي لن تنـــال العـلـــم الا بستـة
سأنبيـــك عـــن تفصـــيلهـــا ببيـــان
ذكـــاء وحـــرص واجتهـــاد وبلغـــة
وصـــحبـة اســـتـاذ وطـول زمـــان

لا قومية في الاسلام

ارسل الينا الاستاذ فايز ابو شيخة بالكويت كلمة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلي :

بعث الله محمدا عليه الصلاة والسلام برسالة الحق لتنير من حولها الارض ، وتصلح احوال الناس ، وتبدل عاداتهم وتقاليدهم ، وتنقلهم من ظلام دامس مخيف فيه الظلم والقتل ، والشر الى نور الحق والهدى والصلاح ، تحت راية القرآن الكريم ، ووفق سنته صلى الله عليه وسلم .

فالتقت من حوله جموع اراد الله لها الخير ، وتماسكت القلوب وتعاهدت على الخير ، ونبذ عبادة الاوثان ، وطرح الشر تلك كانت رسالة الاسلام وما زالت تحمي الناس من البغي والعدوان على ارض ومال الله .

لكن بعد هذا تنكب الناس الطريق السوي ، وبعدوا عن الجادة فباءوا بالخسران المبين ، وصدق قول الله فيهم :

« قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

اخذوا يوزعون المبادىء فضلوا وأضلوا وساعد على ذلك اهمال في تنشئة الاجيال وفق منهج القرآن الكريم والسنة المطهرة فبسبب هذا الاهمال والبعد عن الحق، تاهوا في خضم الحياة الحافلة بالمفاسد والمغريات ، وشدتهم حضارة ساقطة وافدة لا تمت لمجتمعهم المسلم بصلة .

وكان تنبيه الله سبحانه من مثل هؤلاء حين قال :« ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » فرقوا المسلمين وباعدوا بينهم فكثرت القوميات التي كانت من قبل لا تعرف الا الاسلام مهما اختلف اللون والجنس والعرق فالكردية والتركية والباكستانية والعربية قوميات أذابها الاسلام وصهر ابناءها وجمع الكل على كلمة سواء فالكل مسلم .

فلما تعمق ابناء تلك القوميات بحثا عن اصلهم كلما ابتعدنا عن الاسلام ، وتفرق شملنا وتخللت صفوفنا الأفكار الهدامة والمبادىء الغريبة علينا ، ففقدنا ثقتنا

بانفسنا وارتفعت رحمة الله ، يقول الله سبحانه:« أفأ من أهل القرى أن يأتيهم بأسنابياتاوهم نائمون . أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون . أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون» أيها المسلمون : إن المنهج واضح لا يحتاج إلى بحث أو تنقيب وليس فيه خفاء ولا التواء . والله سبحانه يقول : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين »
وقول الله سبحانه:« وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » فحتى تستحقوا نصر الله وتأييده كونوا مع الله واطرحوا القومية جانبا فتلك صفات بغيضة لا يتصف بها المسلمون .

الحج المبرور

يعتقد كثير من الحجاج الذين يجهلون حكمة الحج ولا يدركون غايته ولا يتدبرون هدفه ــ أنه مجرد رحلات . ووقوف على عرفات . وطواف حول البيت الحرام وسعي ورمي جمرات وتمتع بآثار ومشاهدات .
ناسين أن الهدف الأسمى الذي لأجله شرع الحج انما هو اتجاه القلوب إلى الله ، وابتغاء رضاه . والتضحية في سبيله بكل شيء سواه . وتوحيد صفوف المسلمين وجمع قلوبهم حول غاية واحدة . هي إعلاء كلمة الله وأن تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .
وحول هذا المعنى جاءتنا الأبيات التالية من الشيخ عبدالرحمن البرغوتي :

يامن تظن الحج نيل شهادة ... لا تخدعنك نية الاحرام
فالى التمسك بالفرائض اولا ... قبل الدخول بنية الاحرام
أتريد نعتا دون صدق عبادة ؟ ... رغم العناء وشدة الآلام
إن لم تغير ماضيا بفضائل ... لا خير في حج بدون تمام
فالحج حج القلب قبل جوارح ... يامن تظن الحج بالاجسام
قل لي بربك أي دين: تدعى ... غير الصلاة بدون أي دوام
فالنية السوداء نحو قرابة ... والطبع والأخلاق كالألغام
والنفس للأهواء عادت عبدة ... والعين قد مالت لكل حرام
تبغي المظاهر دون أي حقيقة ... حتى تنال الحمد من أعوام
ما سر حجك إن رجعت كسابق ... وأبيت إلا الوصل للأنعام
فاعمل بوحي الله بعد مناسك ... تنر العدو يتيه في آلام
والوحدة الكبرى على تلك الربى ... ذاك السبيل لعزة الأقوام



صفات المؤمنين

يسأل الاخ علي حامد من الامارات العربية عن معنى الكلمات التي وردت في الآية الكريمة « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين »

نقول للاخ علي : هذه الكلمات صفات المؤمنين فهم الذين تابوا وأنابوا الى الله وعقدوا العزم على أن يقذفوا أنفسهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله لأن الله سبحانه يقول « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون .. » فالتائبون : العائدون الى الله المتوجهون اليه العاملون بما امر الله المنتهون عن ما نهى الله فالتوبة ندم وتوجه الى الله وكف عن المعصية .

العابدون : المقرون لله بالعبودية المؤكدون ذلك بالعمل والقول والطاعة .

الحامدون : الذين يشكرون الله على السراء والضراء فما كان الله ليبتلي المؤمن الا لخير اراده له خفى على عبده ولهذا يكون الحمد لله في السراء والضراء فلا يحمد على مكروه الا الله سبحانه .

السائحون : هم المجاهدون في سبيل الله او هم المهاجرون او هم طالبو العلم أو هم الصائمون او هم المتفكرون في خلق الله ,

الراكعون الساجدون : الذين يركعون ويسجدون ويبدون وكأن الركوع والسجود صفة مميزة لهم فهم يقيمون الصلاة في خشوع العارف وايمان المقر .

الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر : الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر في ظل شريعة الله في مجتمع مسلم بدين الله ولا يدين لسواه فهم يوجهون المسلمين ويتناولون الانحرافات والاخطاء بالعلاج وفق منهج الله سبحانه وفي اطار شريعته .

الحافظون لحدود الله : هم القائمون على حدود الله يرعون تنفيذها في انفسهم اولا ثم يطالبون الناس بهذا ويقاومون من يضيع دين الله فمتى كان هؤلاء محافظين على حدود الله انصاع لهم الناس .

اذ ليست الحياة مرتعا للهدوء والضياع انما الحياة تكليف وعبادة وجهاد واعلاء

لكلمة الله عندها تكون الحياة غرس الاخرة يتحلى فيها المؤمن باخلاق فاضلة وسيرة حميدة .
تلك هي صفات المؤمن الذي عرف ربه فعرف نفسه وجاهدها وسلك بها طريق الخير والمرحمة فنال رضى الله والجنة واستحق ان يوصف بتلك الصفات التي وصف الله بها المؤمنين .

الظلم ظلمات يوم القيامة

خرجنا الى الحياة فوجدنا امرنا موكول لرجل من اهلنا فضيع مالنا واهدر حقوقنا فماذا نعمل نحوه ولا نملك ضده اي شيء يرد لنا حقوقنا .

ع.م. واخوته ــ العراق

لن يضيعكم الله سبحانه الذي حذر آكلي اموال اليتامى بشدة وطلب منهم الرحمة وحسن الرعاية لمن هم تحت يدهم يرعونهم لانهم ضعاف لا راحم لهم ولا ناصر ودعاهم الى التقوى فيهم فلعل الله سبحانه يهيء لصغارهم من يتقي الله ويرحمهم من بعدهم وتصبروا بقول الله سبحانه :« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » ولا تنسوا ان الله سبحانه قال محذرا ومخوفا هؤلاء الذين باعوا دينهم ونكثوا عهودهم وخانوا مواثيقهم في رعايتهم لليتامى يقول الله فيهم :« إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » .
ولقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن أكل مال اليتيم واعتبره من الموبقات.
يروى الامام البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال : « الشرك بالله والسحر . وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » .
واني ازف اليكم البشرى بان الله سبحانه لن يترككم فاستعينوا بالله واصبروا فان الله للظالم بالمرصاد حتى اذا اخذه لم يفلته الا ترون وصف الله سبحانه لآكلي اموال اليتامى بالباطل فهم يأكلون في بطونهم نارا ومصيرهم النار وكأن النار تحرق بطونهم ان هذه الاوصاف العنيفة حرى بها ان تؤثر في نفوس المسلمين فتشيع فيها الخوف والخشية والتقوى ورعاية اموال اليتامى واذا لم تؤثر فالنار مثوى لهم والرعاية من الله لكم فتحصنوا بحصنه المتين وعيشوا في حفظه ولن يصيبكم الا ما كتب الله لكم .

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
اللجنة الـــوطنية للاحتفال بدخول القرن الخامس عشر الهجري

يسر اللجنة الوطنية للاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري أن تعلن للجمهور الكريم عن إقامة مسابقة عامة للتأليف المسرحي على النحو التالي :

أولا : موضوع المسابقة

إن مناسبة دخول القرن الخامس عشر الهجري هي التي حددت موضوع هذه المسابقة ، وعلى ذلك فان من الممكن الكتابة باستلهام القيم الاسلامية والتراث الاسلامي واستيحاء الانجازات الكبرى التي حققها الاسلام عبر تاريخه منذ فجر الدعوة الاسلامية حتى يومنا الحاضر .

حول النقاط التالية :

١ ــ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية

٢ ــ المجتمع الاسلامي (الفرد ، الأسرة ، العلاقات الاجتماعية)

٣ ــ القضايا الانسانية الكبرى من منظور إسلامي

٤ ــ السير الشخصية للاعلام المسلمين من القادة والمصلحين والمفكرين ورجال العلم والأدب والثقافة .

وذلك مع التأكيد على ضرورة التلاحم والترابط بين المسلمين في البلد الواحد وبين الشعوب الاسلامية في مختلف الدول ، من أجل تنمية الشعور بعظمة الاسلام وقدرته على السير قدما في طريق الحضارة والتقدم .

ثانيا : الشروط العامة

١ ــ يحق للأفراد العرب أو الناطقين باللغة العربية من المسلمين المقيمين في الكويت الاشتراك في هذه المسابقة العامة للتأليف المسرحي .

٢ ـ لا يجوز للمشترك أن يتقدم لهذه المسابقة بأكثر من عملين مسرحيين
٣ ـ يبدأ التقدم لهذه المسابقة بمجرد نشر هذا الاعلان وآخر موعد لقبول النصوص سيكون في نهاية شهر ربيع الأول من عام ١٤٠١ هـ ـ وما يقابله من شهر (فبراير ١٩٨١ م) .
٤ ـ يكتب المشترك اسمه الثلاثي وعنوانه واضحا على ورقة مستقلة يودعها المظروف الذي يحوي النص المسرحي ، ولن يلتفت للنصوص التي تحوي اسم المؤلف أو ما يشير اليه .

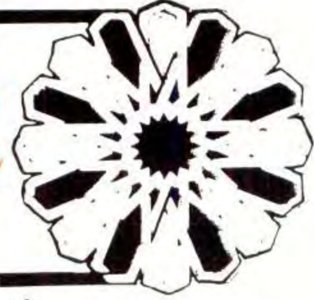
ثالثا : الشروط الخاصة

١ ـ أن تكون المسرحية من فصلين فما فوقه ، وأن لا يقل حجمها عن خمسين صفحة فولسكاب من الورق المسطر (الكتابة على كل سطر) .
٢ ـ أن تكون باللغة العربية الفصحى خالية من الأخطاء الاملائية والنحوية .
٣ ـ أن تكتب بخط واضح من ثلاث نسخ .
٤ ـ المسرحيات التي تتقدم للمسابقة لا ترد الى أصحابها .
٥ ـ يحق للمجلس الوطني طباعة المسرحيات الفائزة بالاتفاق مع أصحابها .

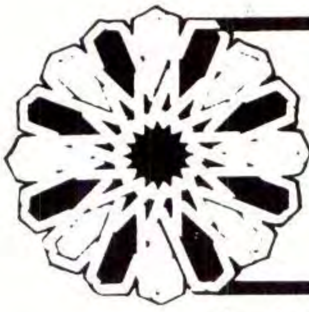
رابعا : الجوائز

١ ـ الفائز الأول : يمنح جائزة مقدارها ٣٠٠٠ د.ك
٢ ـ الفائز الثاني : يمنح جائزة مقدارها ٢٠٠٠ د.ك
٣ ـ الفائز الثالث : يمنح جائزة مقدارها ١٥٠٠ د.ك
٤ ـ الفائز الرابع : يمنح جائزة مقدارها ١٠٠٠ د.ك
٥ ـ الفائز الخامس : يمنح جائزة مقدارها ٧٥٠ د.ك

ترسل النصوص الى العنوان التالي بواسطة البريد فقط :
« المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب. (٢٣٩٩٦) الكويت
ويكتب على المظروف (مسابقة التاليف المسرحي ـ القرن الخامس عشر الهجري) » .



مع صحافة العالم



برنامج ديني حافل
بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

دأبت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على الاهتمام بالمناسبات الدينية وهي كعادتها تستقبل شهر رمضان كل عام ببرنامج شامل حافل بخيرة الوعاظ والدعاة .

وخلال الشهر الكريم عقدت الندوات وألقيت الدروس والمحاضرات التي احتوت على أهمية الشهر الكريم وبيان فضله وقد شارك في تلك الندوات اطباء وأدباء وأساتذة من الجامعة .

ومن ناحية أخرى فتحت المساجد أبوابها طوال الليل كما أنه تم التنسيق بين الوزارة وأجهزة الاعلام لبث برامج دينية خلال التليفزيون والاذاعة .

ومع حرص الوزارة على اقامة الندوات الدينية والمحاضرات طول العام فانها تكثر من الدروس خلال شهر رمضان المعظم لأن ذلك يتمشى مع حاجة المسلم الصائم الذي يحتاج الى المزيد من الاحاديث الدينية التي تتناسب مع روحانية الشهر وتراعي الوزارة ان تكون الاحاديث موزعة على عدد من المساجد .

وقد حددت الوزارة مساجد للنساء لسماع القرآن الكريم وتيسير الاستماع للمحاضرات والندوات الدينية لهن . وقد خرج الموسم الديني على أحسن وجه كما خططت له الوزارة وأدى ثمرته المرجوة منه .

وقد استقبلت الوزارة في هذا الموسم مجموعة من كبار الوعاظ في العالم الاسلامي في مقدمتهم الشيخ بسيوني رسلان المدير العام للوعظ بالأزهر سابقا والأستاذ بجامعة محمد بن سعود بالرياض والشيخ محمد حسن المطراوي امام وخطيب مسجد السيدة زينب رضي الله عنها بالقاهرة والدكتور يوسف العالم الاستاذ بجامعة الخرطوم بالسودان . والاستاذ محمد الشاذلي الأستاذ بجامعة الزيتونه بتونس والشيخ عبدالمعز عبدالستار المشرف العام على العلوم الدينية والعربية بدولة قطر .

كما استقبلت كبار القراء من مصر : الشيخ محمود علي البنا والشيخ ابراهيم عبد الفتاح الشعشاعي .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ــ الشويخ ــ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)

ليبيا : طرابلس ــ الشركة العامة للتوزيع والنشر .

المغرب : الدار البيضاء ــ الشركة الشريفة للتوزيع .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦)
الطائف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جدة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب:(١٠١١)

البحرين : دار الهلال .

قطر : دار الثقافة للتوزيع ــ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .

ابو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ــ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبي : مكتبة دبي .

الكويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ــ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	شوال	أغسطس	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
			فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الثلاثاء	١	١٢	٩ ١٧	١١ ٤٣	٥ ٢٢	٨ ٥٨	١ ٢٤	٣ ٤٨	٥ ١٤	١١ ٥٣	٣ ٢٩	٦ ٣١	٧ ٥٥
الاربعاء	٢	١٣	١٩	٤٥	٢٣	٥٨	٢٤	٤٩	١٥	٥٣	٢٨	٣٠	٥٤
الخميس	٣	١٤	٢١	٤٧	٢٤	٥٩	٢٤	٥٠	١٦	٥٣	٢٨	٢٩	٥٣
الجمعة	٤	١٥	٢٣	٤٨	٢٤	٩ ٠٠	٢٣	٥١	١٦	٥٣	٢٨	٢٨	٥١
السبت	٥	١٦	٢٥	٥٠	٢٥	١	٢٣	٥٢	١٧	٥٢	٢٨	٢٧	٥٠
الاحد	٦	١٧	٢٦	٥١	٢٦	١	٢٣	٥٢	١٧	٥٢	٢٧	٢٦	٤٩
الاثنين	٧	١٨	٢٨	٥٣	٢٧	٢	٢٣	٥٣	١٨	٥٢	٢٧	٢٥	٤٨
الثلاثاء	٨	١٩	٣٠	٥٤	٢٧	٣	٢٣	٥٤	١٨	٥٢	٢٧	٢٤	٤٧
الاربعاء	٩	٢٠	٣٢	٥٦	٢٨	٤	٢٢	٥٥	١٩	٥١	٢٧	٢٣	٤٥
الخميس	١٠	٢١	٣٤	٥٧	٢٩	٤	٢٢	٥٦	١٩	٥١	٢٦	٢٢	٤٤
الجمعة	١١	٢٢	٣٥	٥٩	٣٠	٥	٢٢	٥٦	٢٠	٥١	٢٦	٢١	٤٣
السبت	١٢	٢٣	٣٧	١	٣١	٥	٢٢	٥٧	٢١	٥١	٢٥	٢٠	٤٢
الاحد	١٣	٢٤	٣٩	٢	٣١	٦	٢٢	٥٨	٢١	٥٠	٢٥	١٩	٤٠
الاثنين	١٤	٢٥	٤١	٤	٣٢	٧	٢١	٥٩	٢٢	٥٠	٢٥	١٨	٣٩
الثلاثاء	١٥	٢٦	٤٢	٥	٣٣	٧	٢١	٥٩	٢٢	٥٠	٢٤	١٧	٣٨
الاربعاء	١٦	٢٧	٤٤	٧	٣٤	٨	٢٠	٤ ٠٠	٢٣	٥٠	٢٤	١٦	٣٦
الخميس	١٧	٢٨	٤٦	٨	٣٤	٨	٢٠	١	٢٣	٤٩	٢٣	١٥	٣٥
الجمعة	١٨	٢٩	٤٨	١٠	٣٥	٩	٢٠	١	٢٤	٤٩	٢٣	١٤	٣٤
السبت	١٩	٣٠	٥٠	١٢	٣٦	١٠	٢٠	٢	٢٤	٤٩	٢٣	١٢	٣٣
الاحد	٢٠	٣١	٥٢	١٤	٣٧	١١	٢٠	٣	٢٥	٤٨	٢٢	١١	٣١
الاثنين	٢١	سبتمبر	٥٤	١٥	٣٨	١٢	٢٠	٤	٢٥	٤٨	٢٢	١٠	٣٠
الثلاثاء	٢٢	٢	٥٥	١٧	٣٩	١٢	٢٠	٤	٢٦	٤٨	٢١	٩	٢٩
الاربعاء	٢٣	٣	٥٧	١٨	٣٩	١٣	١٩	٥	٢٦	٤٧	٢٠	٨	٢٧
الخميس	٢٤	٤	٥٩	٢٠	٤٠	١٣	١٩	٦	٢٧	٤٧	٢٠	٧	٢٦
الجمعة	٢٥	٥	١٠ ١	٢٢	٤١	١٤	١٩	٦	٢٧	٤٧	١٩	٥	٢٥
السبت	٢٦	٦	٢	٢٤	٤٢	١٥	١٩	٧	٢٨	٤٦	١٩	٤	٢٣
الاحد	٢٧	٧	٥	٢٦	٤٣	١٥	١٩	٨	٢٩	٤٦	١٨	٣	٢٢
الاثنين	٢٨	٨	٦	٢٧	٤٤	١٦	١٩	٨	٢٩	٤٦	١٨	٢	٢١
الثلاثاء	٢٩	٩	٨	٢٩	٤٥	١٦	١٨	٩	٣٠	٤٥	١٧	١	١٩

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

هدية العدد: براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٩١ ○ ذو القعدة ١٤٠٠ هـ ○ سبتمبر ١٩٨٠ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

منظر عام لتجمع الحجاج في عرفات .

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٩١ ○ ذو القعدة ١٤٠٠ هـ ○ سبتمبر ١٩٨٠ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة

الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



الحج المبرور

الحج هو قصد (مكة) في أشهر معلومات هي : (شوال وذو القعدة وذو الحجة) لأداء الطواف حول الكعبة ، والسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة ، وسائر المناسك ، ابتغاء وجه الله تعالى .

وقد فرضه الله تعالى مرة واحدة في العمر على كل مسلم بالغ عاقل يستطيع السبيل اليه ، ودليل فرضيته قول الله تعالى : (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا ، فقال الأقرع ابن حابس : أفي كل عام يا رسول الله ؟ فقال : لو قلت نعم لوجبت وما استطعتم . الحج مرة فمن زاد فتطوع » وهو ركن من أركان الاسلام الخمسة ، وقد كان آخرها نزولا .. فشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فرضت من يوم التبليغ الأول في مكة ، والصلاة فرضت ليلة الاسراء والمعراج قبل الهجرة ، والصوم ومقدار الزكاة من كل نوع من أنواع المال فرضا في السنة الثانية من الهجرة ، أما الحج فقد فرض في السنة السادسة من الهجرة ــ على رأي جمهور العلماء ــ

وقد جاءت فرضيته والمسلمون في شوق بالغ الى دخول مكة رافعين راية الاسلام ففرحوا بفرضية الحج فرحا شديدا ، واعتبروها بشارة من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بقرب يوم النصر على الأعداء ، وتطهير البيت الحرام وما حوله من الأوثان والأصنام وجعله خالصا لكلمة التوحيد وحدها .

وهو واجب على التراخي ، ولكن يستحب تعجيله والمبادرة به متى استطاع المكلف أداءه لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (من أراد الحج فليعجل فانه قد يمرض المريض ، وتضل الراحلة ، وتكون الحاجة) .

والحج ينتج ثمرته الطيبة ويعطي عطاءه الكريم ، اذا كان حجا مبرورا ، والحج المبرور هو الذي لا يخالطه اثم ولا معصية ويقترن باطعام الطعام وطيب الكلام والتزود من فعل الخيرات ، لقول الله تعالى : (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب) وقد بين الحسن - رضي الله عنه - « ان علامة الحج المبرور أن يرجع الحاج زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة » .

وهو من أفضل الأعمال عند الله تعالى لما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم جهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور) .

وقد جعله الله جهاد من لا يقدرون على مشقات الجهاد في سبيل الله . فقد ورد عن الحسن بن علي : ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يعتذر من عدم استطاعته الجهاد قائلا : اني جبان . واني ضعيف فقال النبي صلى الله عليه وسلم له : هلم الى جهاد لا شوكة فيه : ألحج .

والعمرة هي زيارة الكعبة والطواف حولها ، والسعي بين الصفا والمروة ، ثم الحلق او التقصير ، وهي عند جمهور الفقهاء سنة وعند بعضهم واجب ، والراجح سنيتها لحديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن العمرة أواجب هي ؟ قال : « لا » وجمهور العلماء على جواز ادائها في جميع أيام السنة . والبعض يرى كراهتها في خمسة أيام : يوم عرفة ، ويوم النحر ، وأيام التشريق الثلاثة ، وأفضل أوقاتها - شهر رمضان ! لما بينه النبي صلى الله عليه وسلم من أن أداءها في رمضان يعدل ثواب حجة متطوع بها بقوله : « عمرة في رمضان تعدل حجة » .

ويجوز للمعتمر ان يعتمر في أشهر الحج من غير أن يحج . كما يجوز له الاعتمار قبل أن يحج لما روى البخاري عن عكرمة بن خالد قال : « سألت عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن العمرة قبل الحج فقال : لا بأس على أحد أن يعتمر قبل الحج ، فقد اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يحج » .

وقد جاءت مشروعية العمرة في قول الله جل شأنه : (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن

يطوف بهما) وفي قوله تعالى : (وأتموا الحج والعمرة لله) .

والذي يريد العمرة ان كان خارج مواقيت الحج يجب عليه الاحرام بها من الميقات لما رواه البخاري ان زيد ابن جبير أتى عبدالله بن عمر فسأله من أين يجوز أن أعتمر ؟ قال : فرضها رسول الله لأهل نجد (قرنا) ولأهل المدينة (ذا الحليفة) ولأهل الشام (الجحفة) .. وان كان داخل المواقيت فميقاته في العمرة الحل ولو كان بالحرم لحديث البخاري عن جابر – رضي الله عنه – أن عائشة – رضي الله عنها حاضت ، فنسكت المناسك كلها غير أنها لم تطف بالبيت فلما طهرت وطافت قالت : يا رسول الله أتنطلقون بحج وعمرة وأنطلق بالحج ؟ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالرحمن بن أبي بكر أن يخرج معها الى التنعيم ، فاعتمرت بعد الحج في ذي الحجة) .

والحج المبرور والعمرة المبرورة يكفران الذنوب ، وينفيان الفقر ويحققان إجابة الدعاء والاستغفار . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .. وقال : « تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة » وقال : الحجاج والعمار وفد الله ان دعوه أجابهم ، وان استغفروه غفر لهم) وروى ابن جريج باسناد حسن عن جابر – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (هذا البيت دعامة الاسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله ان قبضه أن يدخله الجنة ، وان رده رده بأجر وغنيمة) .

وجدير بالمسلمين أن يحققوا الفائدة من الحج وأن يدركوا أنه مؤتمر اسلامي يأتي اليه المسلمون : من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ومن أهم المنافع أنه يعطيهم الفرصة في كل عام أن يتدارسوا – في ظلال الطاعة لله وذكريات الأماكن المقدسة ، وصفاء النفوس والأرواح – شئونهم ، ويديروا أمورهم ويصححوا مواقفهم على ضوء الأحداث والتجارب ، وأن يتوحدوا على كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – فلا تتشعب بهم الأهواء الضالة المضلة ، ولا تتفرق بهم السبل عن صراط الله المستقيم وفي ذلك عزهم ، ومجدهم وقوتهم وانتصارهم على نفوسهم وعلى أعدائهم .

ونسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري

خصائص التفسير والتأويل والبيان في الكتاب والسنة

للأستاذ : محمد العفيفي

١ ـ مقدمة لحقيقة التفسير والتأويل والبيان
٢ ـ التفسير وخصائصه في القرآن والسنة
٣ ـ التأويل وخصائصه في القرآن والسنة
٤ ـ البيان وخصائصه في القرآن والسنة

١ ـ التفسير وخصائصه في القرآن والسنة

ظهر لنا فيما سبق من قبل أن التفسير ، والتركيب ، حقيقتان مترابطتان ، لا تنفصلان أبدا . ذلك أن التفسير ، في حقيقته الشاملة ، قد جعله الله بيانا ، للمعاني المشتركة التي تكثر حتى لا يستطيع البشر أن يردوا كل معنى منها الى وجهه الخاص به من وجوه الحقيقة .

والله تعالى غني عن ذلك ، وإنما هو يفسر الحقيقة لعباده ، رحمة منه بهم ، وعونا لهم على فهم وجوهها ، التي لا يستطيعون الاحاطة بها ، فهم بحاجة إلى أن يعرفوها ، في معان كثيرة ، ليستعينوا بذلك على التغلب على ما فيهم من الميل إلى النسيان ، أو العصيان ، أو الركون إلى الكذب وأهله والنفور من الصدق وأهله .

يقول الله تعالى :

(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا .

وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا .

ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا)

(٣١ ـ ٣٣) الفرقان

وهذه الآيات الثلاث جاءت في سورة الفرقان مبينة ما سبق كله ، وأكثر منه مما لا نحيط بعلمه .

ولكننا ننظر فنجد هذه الآيات تدلنا في المقام الأول على ارتباط التفسير بالتركيب ، الذي يصل عقولنا بالحكم النهائي الثابت ، لكل وجه من وجوه

الحقيقة ، ولا يقدر على التفسير الذي يتحقق به ذلك إلا الله وحده .

لذلك فقد جعل الله سبيلنا إلى هذا التفسير ، هو الوحي الالهي ، من قرآن وسنة ، ننظر في تركيب كل منهما ، وننظر في ترابط مقاصدهما الواحدة ، ونحن نعيش في صميم التركيب الكوني الذي أحيانا الله في رحابه .

ولننظر كيف ذكر الله رسوله في هذه الآيات الثلاث مرات كثيرة حيث قال : **(وكذلك جعلنا لكل نبي)** وحيث قال : **(لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة)** وحيث قال : **(كذلك لنثبت به فؤادك)** وحيث قال : **(ولا يأتونك بمثل)** وحيث قال : **(إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا)** ..

فهذا كله من دلائل ارتباط القرآن بالسنة من حيث التفسير بمعناه الذي لا ينفصل عنه التركيب ، ومواكبة علاقات المعرفة الانسانية ، بالحقيقة في جملتها وتفصيلها .

ولما كان العقل البشري لا يعرف الكل إلا من طريق النظر في أجزائه المرتبطة به ، فقد جعل الله التفرق الشكلي ، طريقا إلى ارتباط المعنى العام الذي تتصل به وجوه كثيرة من وجوه العلم الدالة على التفسير .

ويبدأ هذا المعنى من أول سورة الفرقان التي أودع الله فيها كل أسرار التفسير من أولها إلى آخرها سواء كان هذا التفسير خاصا بالوحي أو خاصا بالخلق .

يقول الله تعالى :

(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) الفرقان/ ١

وفي هذه الآية ربط واضح بين القرآن والسنة ، ولكنه ربط يقوم على المقاصد ، لا على التكوين الشكلي .

فقوله تعالى : **(تبارك الذي نزل الفرقان)** يبين لنا أن القرآن بتركيبه ومقاصده ، متنوع المباني والمعاني ، والتراكيب ، والمواضع ، فهو الفرقان الذي يفرق بين كل ما هو حق وما هو باطل ، بما يناسب استطاعة البشر ، وهي أنهم ينظرون في الأجزاء ، المتفرقة في أشكالها ، المترابطة معانيها ومقاصدها في عقولهم وأفكارهم .

أما قوله تعالى : **(على عبده ليكون للعالمين نذيرا)** فهو متضمن الاشارة إلى السنة التي هي تطبيق للقرآن في جملته وتفصيله ، على سائر أعمال الرسول وأقواله ، التي صدقت بها السنة قوله تعالى : **(ليكون للعالمين نذيرا)** .

ومما يدل على وجوه أخرى من هذه الحقيقة قوله تعالى :

(وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) الاسراء/ ١٠٦ .

أى بينا فيه الأحكام وفصلناه وقيل فرقناه أي أنزلناه مفرقا .

وفي هذا دليل جديد على أن ترتيب الرسول لآيات القرآن ، بعد أن نزلت مفرقة ، إنما هو من أعظم أعمال التفسير والبيان ، الذي قام به الرسول صلى الله عليه وسلم ، لآيات القرآن وسوره ، وقد تم ذلك بوحي من

الله تعالى ، وهداية من الله ، ولذلك حرم الرسول التفسير بالرأي حيث يقول :

« من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » رواه الترمذي

وكذلك فان قوله تعالى : **(ونزلناه تنزيلا)** أي جعل الله في هذا التفرق الشكلي حيث نزلت آيات القرآن منجمة ، طريقا إلى ارتباط المعاني القرآنية ، وارتباط كل وجه منها بما يتفق معه ، فاذا القرآن كله في جملته وتفصيله ، نور واحد ، وحقيقة جامعة ، ولكنه كثير المعالم ، بعيد الآفاق .

وعلى ذلك نقيس ارتباط السنة بالقرآن ، حيث تفرقا شكلا ، ليرتبطا مضمونا وغاية وحقيقة .

وكلام البشر ، الخارج عن كلام النبوة ، لا يدخل في هذا المعنى ، لأن مصادره مختلفة باختلاف أحوال البشر بين الصواب أو الخطأ ، والصدق أو الكذب ، والظلم أو العدل ، والثبات على الرأي أو التردد فيه .

أما كلام النبوة فهو وحي من الله كما يقول سبحانه :

(والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى) النجم/ ١ ـ ٤

وهذه الآيات تحتوى على وجوه كثيرة تبين لنا أن السنة وحي من الله ، وأن معاني القرآن ، ومعاني السنة ، لا يحيط بها في جملتها الحصر .

٢ ـ التأويل وخصائصه في القرآن والسنة

يبين لنا القرآن معنى آخر مرتبطا بالتفسير ، في حالة التلقي الذي نتلقاه من القرآن والسنة . وهذا المعنى هو التأويل .

والتأويل له في القرآن وظائف كثيرة ، لا نستطيع أن نحيط بها ، فحسبنا هنا أن ننظر في هذين الموضعين ، من مواضع التأويل في الآيات والسور .

يقول الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) النساء/ ٥٩

١ ـ وقد جاء هنا ذكر الطاعة لله ولرسوله . وفي هذا ربط وتركيب بين القرآن والسنة في المصدر الواحد وهو الوحي الالهي ، ثم في الغاية وهي وجوب الطاعة لله ورسوله حيث يقول الله تعالى : **(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)** .

٢ ـ كما ذكر الله طاعة العلماء بكل مكان وزمان ، فان اختلفوا وتنازعوا في شيء فمرده إلى القرآن والسنة ، ومن ذلك قوله تعالى : **(فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)** .

٣ ـ كما ذكر الله الايمان بالله واليوم الآخر ، حيث قال : **(إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)**. فأما الايمان بالله ففيه النجاة الدائمة من

كل ضلال ، وأما الايمان باليوم الآخر ، ففيه بيان الحركة المتواصلة ، والتجدد الدائب في احوال البشر ، مما يقتضي ان نعلم ان القرآن والسنة ، لن يسبقهما أي ابتداع للشرائع والأحكام ، التي يحاول البشر أن يجيئوا بها من عند انفسهم وليس لهم أي حق في ذلك ، كما بينت لنا هذه الآية تفصيلا .

ثم يقول الله تعالى في موضع قرآني آخر :

(وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا) الاسراء/٣٥ .

وقد جاء بهذه الآية الربط بين التأويل وبين سائر امور الاقتصاد بكل مكان وزمان ، حيث عين الكيل والوزن ومنهما كل وسائل ضبط البيع والشراء ، وعليهما تدور سائر المعاملات الاقتصادية .

والقرآن والسنة ، قد جعل الله فيهما ـ معا ـ كل ما نحتاج إليه في ذلك .

ومن أراد أن ينظر إلى أهمية الربط بين التفسير والتركيب ، فليتأمل كيف جاءت هذه الجملة القرآنية : **(ذلك خير وأحسن تأويلا)** بموضعيها من سورة النساء ثم من سورة الاسراء ، وكيف أدى ذلك إلى تنويع المقاصد بكل من الموضعين كما رأينا ، ثم ربط الغاية منهما بوظائف التأويل .

وتأتي السنة ، فتواصل هذا التركيب ، حيث تضع لنا وظائف التأويل ، في صيغة عملية تطبيقية ، وذلك حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، في دعائه لابن عباس :

« اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » رواه البخاري .

فقد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بأن دعا له بالفقه في الدين ، وهو أمر يقتضي أن يرتبط فهمه بالقرآن والسنة والأحكام على كثرتها ، مما يدل على فهمه للتركيب بين الأجزاء ورد كل جزء منها إلى أصله .

ثم جاء بعد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (وعلمه التأويل) أى التفسير التطبيقي المتحرك الذي يرد كل أمر خاص ، إلى موضعه بين القضايا العامة التي تشمله وتحيط به .

ومن أهم خصائص التأويل في حدود العلم البشري ، أنه يقوم على الايمان والتذكر كما يقول الله تعالى :

(فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب) . آل عمران/٧ .

وقد سبق تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم لمعنى هذه الآية ، التي تدلنا على عجز عقولنا البشرية عن الاحاطة بكل وجوه الحقيقة ، وإنما سبيلنا إلى فهمها لابد أن يجتمع له أصلان . هما الايمان والعمل كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (فما علمتم منه فقولوا وما جهلتم فردوه الى عالمه) رواه احمد .

فالقرآن نور عظيم لا يحيط أحد منا بكل حقيقته ، وإنما حسبنا أن أيسر هذا النور ، تنكشف به كل الظلمات ، ويظهر به كل اليقين وقد جاء ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى :

(الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد) ابراهيم/١ .

وهذه الآية بها من وجوه العلم ، مالا نحيط به ولكن حسبنا ان تتعلق هممنا بأيسر قدر من نورها العظيم ، وبذلك يتبدد كل ظلام ، ويظهر الحق على كل ما عداه .

٣ ـ البيان وخصائصه في القرآن والسنة

ومن المعاني الكبرى ، لارتباط التفسير بالتركيب ، أن ترتيب آيات القرآن قد جعله الله قائما على الوحي الالهي ، الذي تؤديه السنة العملية للرسول صلى الله عليه وسلم .

ويظهر لنا ذلك في بعض وجوهه الهامة ، حيث ننظر في عدد من المواضع الدالة على البيان ، في القرآن الكريم .

فقد افتتحت الكلمات الدالة على البيان ، في أول موضع من مواضعها ، بسور القرآن ، بقوله تعالى :

(وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يؤمنون . إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) (١١٨ ـ ١١٩) البقرة

فتعلل الكافرين بأنهم يريدون أن يروا الله ، مردود عليه بأن الله شاء أن يبعث خاتم رسله للناس كافة .

وتعللهم بأنهم يريدون أن تأتيهم آية ، مردود عليه بأن الله شاء أن تأتيهم الآيات كثيرة ، لأنهم لا يستطيعون أن يدركوا مقاصد الوحي إلا بآيات كثيرة ، تتحرك معها عقولهم من جزئية إلى أخرى ، ثم تكون السنة هي التي تبين لهم ذلك كله ، في التطبيق العملي .

وهذا كله واضح في الآيتين السابقتين من سورة البقرة . فترتيب الرسول لآيات القرآن وسوره ، هو الذي يجعلنا نجد كلمة **(بينا)** في موضعها ، الثاني من سورة آل عمران ، بقوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا) .**

وتستمر الآية الى قوله تعالى : **(قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون)** آل عمران/١١٨ .

وننظر فنجد أنفسنا قد علمنا في الموضع السابق الدال على البيان في سورة البقرة أن البيان في مصدره الحق ، إنما هو من الله تعالى وحده ، وأنه هو الذي جعل السنة مرتبطة بالقرآن ، بيانا وعملا وتطبيقا .

أما الجديد هنا فهو التحذير من كل منافق عليم اللسان ، يحاول أن يفرق بين القرآن والسنة . والدليل على ذلك

أن الآيات في هذا الموضع من سورة آل عمران تتوالى حتى نجد قوله تعالى : **(وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون)** آل عمران/١٣٢ ، ونستمر في القراءة حتى نصل إلى سورة الحديد ، فنجد فيها قوله تعالى : **(اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون)** الحديد/١٧ .

وننظر في هذه الآية فنجدها تربط البيان بآيات الله الكونية بعد ما سبق من ربط البيان بآيات الله القرآنية ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وهذا كله من دلائل ارتباط التفسير بالتركيب ، ومن أهم وجوه ذلك ، هذه الحركة الدائبة التجدد ، التي تزيدنا علما ، كلما ازددنا تلاوة للقرآن ، كما شاء الله تعالى أن يرتبه هذا الترتيب ، رسوله صلى الله عليه وسلم ، بهدى من الوحي الالهي .

ولنتأمل كيف جاءت الآيات بسورة البقرة تبين لنا مصدر البيان وهو الله تعالى .

ثم جاءت الآيات بسورة آل عمران تبين لنا كيف نحافظ على المجتمع الاسلامي متماسكا بكتاب الله وسنة رسوله .

ثم جاءت الآية السابقة بسورة الحديد تبين لنا ان الله جعل آياته الكونية ذات حظ خاص بها من البيان ، وهل القرآن والسنة ، وقد جاءا بالبيان النابع من الوحي الالهي إلا ونحن نعيش في صميم آيات الله الكونية .

فدل ذلك على أننا نحن البشر ، إنما تتصل معرفتنا ووجودنا ، بتفسير لآياته البينات ، على كتاب الله ، وسنة رسوله ، وآيات الله الكونية ، التي يتجلى لنا فيها دائما الصدق التام في كل ما جاء به الوحي الالهي من قرآن وسنة ، فمهما نكتشف من حقائق العلم ، فقد سبقنا إليها الوحي إجمالا وتفصيلا .

وواضح ـ مع ذلك ـ أن لكل من القرآن والسنة والآيات الكونية تركيبه الشكلي الخاص به ، والذي يبين لنا كيف نطلب البيان والتفسير دائما من الله تعالى ، وبما يسر الله به لنا من وسائلنا المتفقة مع قدرتنا على البحث والتدبر ، في كل ما نحتاج الى تفسيره من أمور الدنيا والآخرة .

هكذا جاء ذكر البيان في القرآن بمواضعه الكثيرة ، وصيغه المتنوعة ، دالا على ارتباط التفسير بالتركيب . وهذا مما يدلنا على أن السنة في جملتها وتفصيلها ، هي بيان للقرآن في جملته وتفصيله .

يقول الله تعالى :

(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) النحل/٤٤

وتأتي هذه الآية جامعة لكل أصول النظر الى فترات التاريخ وما فيها من دلائل الهداية الالهية بالقرآن والسنة .

وذلك لأن الله يقول : **(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) .**

والذكر يتم به الربط بين القرآن

والسنة ، وبين التفكر في ما مضى وما حضر وما سيكون في المستقبل من أحوال الحياة الانسانية . لذلك جاءت الآية السابقة بين آيات خاصة بالرسل السابقين .

فهذه كلها أمور معنوية ، ترتبط في بيانها وتفسيرها بالقرآن والسنة .

أما الأمور المادية ، فقد جاء ذكرها بالموضع الثاني لقوله تعالى : (**لتبين**) وقد جاء في هذه الآية من سورة النحل أيضا :

(وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) النحل/ ٦٤ .

والاختلاف يبدأ من إعجاب كل ذي رأي برأيه ، وهو أمر مادي في المقام الأول لأنه يعود إلى العصبية ، على مستوى الأفراد أو الجماعات .

ويؤكد ذلك أن الآيات اتصلت بعد ذلك فبينت أمورا مادية كثيرة ، منها إنزال الله للماء ، ومنها تيسيره الغذاء للناس ، حتى جاء ذكر النحل وكيف يخرج من بطونها العسل .

ولنتأمل كيف تستقطب الكلمات الدالة على إنزال الله لآياته بكل صيغها ومواضعها ، ما يخص آيات الله القرآنية ، وآياته الكونية ، وفي ذلك خير بيان لارتباط التفسير بالتركيب ، سواء كان هذا التركيب خاصا بالوحي من قرآن وسنة ، أو كان خاصا بآيات الله الكونية .

والسنة تضع لنا هذه المعالم القرآنية ، في أسلوب عملي جامع ، ييسر للناس على اختلاف حظوظهم من العلم ، أن يدركوا التطبيق العملي للبيان .

ومن الأحاديث التي تحقق هذه الغاية قوله صلى الله عليه وسلم :

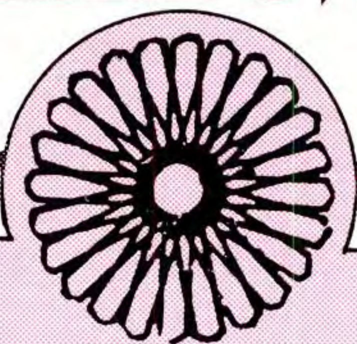
« الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه . ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام ، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه . ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » رواه البخاري ومسلم .

وهذا الحديث من جوامع كلم الرسول صلى الله عليه وسلم ، التي توضح لنا التطبيق العملي الذي يتم به للناس جميعا ، بكل مكان وزمان ، التفسير والبيان ، لسائر أحوالهم الخاصة بدينهم ودنياهم .

وقد جاءت بهذا الحديث كلمة (متشابهات) في قوله : (وبينهما أمور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس) فربط الرسول صلى الله عليه وسلم ، بين التشابه وبين الظنون التي يؤثرها أكثر الناس ، على الدليل الشرعي الذي جاء به القرآن والسنة وانعقد عليه إجماع الأمة .

وجاء بهذا الحديث الربط بين الدين والدنيا حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم (فقد استبرأ لدينه وعرضه) ووجوه العلم في الحديث كثيرة ، وكلها يؤكد لنا ارتباط التفسير بالتركيب ، وارتباط السنة بالقرآن .

الإسلام قضايا بين الثبات والتجديد



للاستاذ/توفيق محمد سبع

الاسلام في إطاره الشامل جهد متجدد ومستمر يزيد الحياة خيرا — ويمنح الانسانية تقدما ويحطم القيود التي تعتاق مسيرة البشر نحو غد أكثر تفاؤلا وإشراقا .. نلك أن هذا الدين يستطيع أن يتقدم بالحياة بما لا يمس جوهره وأصوله الثابتة ، إذ أن هناك أساسين واضحين ينبغي التنبه إليهما والحفاظ عليهما حتى يمضيا في خطين متوازيين لا يطغي أحدهما على الآخر .. **الأساس الأول :** الأصالة المتمثلة في شريعة هذا الدين .. تلك الأصالة التي تحفظ عليه شخصيته .. وتجعل له طابعا متميزا **والأساس الثاني :** هو التجدد الذي يتفاعل دائما مع الحاضر محاولا أن يربطه بروح الشريعة متجها به نحو مستقبل كريم للبشرية ..

ومعنى نلك أن نفرق دائما بين الشريعة والفقه فلا نخلط بينهما في تفكير أو تعبير .. لأن الشريعة هى وحي الله الخالد ... الذي تستقى منه الأحكام .. وتستمد القوانين والدساتير الملائمة لروح العصر .. والمطابقة لمصالح البشر ..

وهذا الاستمداد عملية عقلية

صرفة ... أي أن على العقل البشري أن يمضي مع تيار الأحداث المعاصرة مستهديا بالقرآن والسنة .. مجتهدا ما وسعه الاجتهاد لأن القرآن ليس موسوعة قانونية فيها كل الأحكام والقوانين .. بل إنه يتعرض للخطوط العامة وأمهات المسائل تاركا للعقل البشري أن يستمد منها ويقيس عليها ويستنير بها .. ليجد الحلول الملائمة للمشكلات الحاضرة .. ولقد نما الفقه الاسلامي وازدهر في رحاب الشريعة واستمد ما ينفع الناس ، ويثرى روح التجديد .. وكان فقها دقيق الصياغة واسع الآفاق .. فسيح المجال قابلا للنماء تمده شريعة ثابتة وتتحرك به في الاتجاه السديد .. وفي الاطار الملائم دون أن يتجاوز تلك الشريعة أو يخرج عليها .. كما تحدد الشطآن القوية حركة التيار المائي بين جوانبها كيلا ينساب انسيابا فوضويا .. فيتبدد بين الصخور والرمال . ولدينا شريعة كاملة تغطي احتياجات الناس من المهد إلى اللحد .. بل إنها تضع الأحكام للجنين وللحمل وللطفولة وللمرأة وللرجل وللخنثى .. ولدينا في تشريعنا المتطور أحكام للانسان الراشد منذ يقوم من نومه إلى أن يؤويه الفراش .. وهي أحكام تستوعب كل حاجاته وضروراته .. إذا مشى فبنظام ، وإن أكل أو شرب فله آداب وأحكام ، وإذا سعى أو عمل ففي إطار .. وإن ناقش أو جادل فبقوانين .. وإذا استبرأ أو اغتسل فله أسلوب .. ونتحدى أن يوجد تشريع مستوعب لكل أمور الحياة كما يوجد في تشريعنا ، وهناك في كتب الفقه مسائل فرضية لتغطية ما يجيء به الزمان ..

ولقد استطاع فقه الامام مالك رضي الله عنه بهذه الخاصية الفريدة أن يثرى القانون العالمي كله ، وقانون فرنسا بالذات .. عندما اتصل الفرنسيون بالمدارس الفقهية في الأندلس وغيرها فنقلوا مجموعة من الأحكام الفقهية إلى لغاتهم ، ولم تكن أوربا يومذاك على نظام محكم أو قوانين منظمة ، **حتى إذا كان** عهد نابليون في مصر ترجم أشهر كتب الفقه المالكي إلى الفرنسية لشدة إعجابه بضبطه ودقة صياغته – ومن أوائل هذه الكتب كتاب خليل الذي يعتبر نواة القانون المدني الفرنسي – والذي جاء بعد الترجمة صورة مطابقة تماما لفقه المالكية ، يقول « سيديو » المفكر الفرنسي : « والمذهب المالكي هو الذي يستوقف نظرنا على الخصوص لما لنا من صلات بعرب افريقيا – ولقد عهدت الحكومة الفرنسية إلى دكتور « بيرون » في أن يترجم إلى اللغة الفرنسية كتاب المختصر في الفقه **للخليل بن إسحاق بن يعقوب** المتوفي سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة بعد الألف من الميلاد .. » .

ولقد رشح الفقه الاسلامي ليكون قانونا عالميا .. لما فيه من شمول ودقة .. ولما له من عراقة وشخصية **يقول الدكتور فرج السنهوري** في بحث نشرته له الجامعة العربية متحدثا عن هذا المعنى : « الفقه

الاسلامي فقه محض لا تقل عراقته في ذلك عن عراقة القانون الروماني ، لا يقل عنه في دقة المنطق ، ولا في متانة الصياغة ، ولا في قابلية التطور ، وهو مثل صالح لأن يكون قانونا عالميا ، بل كان بالفعل قانونا عالميا يوم امتدت دولة الاسلام من أقاصى البلاد الآسيوية إلى المحيط الأطلسي » .

ثم استطرد يقول : « ويجب الاهتمام باحياء الفقه الاسلامي وفتح باب الاجتهاد فيه ، وإن ذلك وحده كفيل بأن ينشيء قانونا عالميا يكون مستمدا من الفقه الاسلامي مسايرا لروح العصر **ولقد أتاح لي** اطلاعي على نصوص الفقه الاسلامي سواء أكانت مقننة – أم كانت معروضة عرضا فقهيا في أمهات الكتب وفي مختلف المذاهب أن ألحظ مكانة هذا الفقه وحظه من الأصالة والابداع وما يكمن فيه من حيوية وقابلية للتطور » .

وأقول : إن مقارنة الفقه الاسلامي بالفقه الروماني في العراقة والأصالة مقارنة لا أستحسنها فأين يقع الفقه الروماني بحجمه الضيق ومساحته المحدودة ... وأخطائه الكثيرة واستناده في جملته وتفصيله إلى العقل الذي يخطيء ويصيب .. أين يقع هذا الفقه من فقه واسع المساحة مستوعب المقاصد .. تمده شريعة ثابتة .. وتحفظه من التسيب والشرود .. وتضفي عليه قداسة السماء ؟!.. وهذا عتب موجه لكل من يحلو لهم هذه المقارنة .

وإذا كنا ندعو بحرارة إلى فتح باب الاجتهاد وتوسيع مجاله لملاحقة ما يجد من قضايا العصر .. كما اجتهد الماضون في قضايا عصورهم – فاننا نؤكد هنا أن يظل الاجتهاد في إطار الهيئات العلمية .. والمجامع الفقهية .. وألا يصبح فرديا يخضع لضغوط الحكام ، وشهوات المستغلين .. وحين يزدهر الاجتهاد على هذا النحو .. فسوف نظفر بالأحكام التي تهدي الحيارى إلى الحق ، وتربطهم بالشريعة ، وترعى جانب التجدد .. الذي يعصم من التقوقع والجمود .. فيطرد سير الحياة .. ويمضي ركبها المبارك على صراط الله . وتظل المدنية الاسلامية معبرة عن طابع التحرك والتوثب وملاحقة الأحداث الكبيرة .

ومن العجيب أن يصدر كلام رائع في هذا المقام عن رجل أوربي فرنسي هو المستشرق المعروف (رينان) فيقول : « وما يدرينا بأن يعود العقل الاسلامي الولود والكثير المواهب إلى إبداع مدنية أروع من زميلتها الأوربية .. بل ما يدرينا ما عساه أن يصبح بعد قليل مصير المدنية الأوربية الحالية **التي هى وليدة التمدن** الاسلامي القديم في خصائصها العليا » .

ما مغزى هذا الكلام ؟ إن الرجل يذرف الدمع على مأساة التحجر العقلي التي منى بها الفكر الاسلامي في عصور التخلف ويمنى نفسه بأن يعود لهذا العقل طابعه المميز في التجديد والازدهار حتى ينقذ العالم من قوانين

الفساد والظلم ، التي تتمثل في مدنية الغرب .. تلك المدنية التي إستمدت حضارتها العليا من حضارة الاسلام .. وهذا التفتح في العقلية الاسلامية .. وتلك المرونة في الفقه الاسلامي جعلت هذا المستشرق بالذات يقف من حضارة الاسلام موقف الحقد في موطن آخر حيث يقول : « ما دخلت مسجدا قط إلا تملكني نوع من الحقد على أني لم أكن مسلما » !!

وإنها لتصريحات تحمل الحقيقة في كثير من الأحيان .. على حين أنها تحمل الحقد في أعماقها ضد هذا الدين وأهله .. ومن خلال هذين التصريحين يعتبر « رينان » مزدوج الشخصية .

ولقد نرى الحرارة والاخلاص في كتابة الفيلسوف المسلم « **إقبال** » حيث يقول : « الرأي عندي أن تفسر أصول المبادئ التشريعية تفسيرا جديدا على هدى أحداث العصر وفي ضوء تجاربه ـ وإن حكم القرآن على الوجود بأنه خلق يزداد ويترقى بالتدريج يجعل لكل **جيل الحق في أن يهتدي** بما ورثه من آثار أسلافه **من غير أن يعوقه** ذلك عن مشكلاته » .

ويقول العلامة المودودى : « من من المسلمين يستطيع أن يجحد فضل الأئمة الفقهاء والمتكلمين والمفسرين والمحدثين رحمهم الله ؟ ولكنهم على أي حال كانوا بشرا وكانوا يملكون من اكتساب وسائل العلم ما هو حاصل لعامة بني آدم ولم يكن يأتيهم الوحي وإنما كانوا يستعملون عقلهم وبصيرتهم ليسبروا غور كتاب الله وسنة رسوله .. واجتهادهم هذا عون لنا ونور يسعى بين أيدينا .. لنعمل كما عملوا .. ولا يمكن أن يكون اجتهادهم قانونا أبديا وقاعدة حتمية » .

إن لنا عقولا تستطيع في ضوء المصادر العليا للتشريع أن تهتدي إلى الأحكام .. وبخاصة فيما يجد من مشكلات ليظل لهذا الدين طابعه المميز من الأصالة الممثلة لعنصر الثبات في شريعته .. ومن التجدد الممثل لعنصر المرونة في فقهه .. أي **أن الشريعة** كمصدر أصيل للفقه لا تتغير ولا تتبدل لأنها وحي الله .. الذي يعطي الأحكام العامة تاركا للبشرية أن تكيف سلوكها في هذا الاطار بما تهتدي إليه من أحكام .. وهذا التكيف مع الحياة .. والتجدد مع الأحداث **هو الفقه** الذي هو صياغة قانونية محضة .. وعمل عقلي صرف ..

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها .. تلك هي شريعة الله في نمائها وتطورها ليست جمودا رجعيا .. ولا فكرا فوضويا .. وإنما هى تجدد في إطار الكتاب والسنة .. يحفظ على الحياة جلالها .. ويصون كرامتها ومجدها .. ويوفر أمنها وسكينتها .. وتجد فيه البشرية حياة كريمة ، لا فرق بين دين ودين ، أو بين ملة وملة ، فهل آن أن يتحمس الحكام المسلمون لتطبيق شريعة الله كمنهج شامل للحياة ؟ ذلك ما نرجوه .. وما هو على الله بعزيز .

من سمات مجتمع التوحيد

(١)

الصحبة المؤمنة

للدكتور/عبد الفتاح محمد محمد سلامة

لا يسع الانسان الحصيف (اذا هو طوف بالآفاق القرآنية المتراحبة ، وتكشفت له عن جوانبها الشفافة الباهرة ، التي تحكي اتساق الكون في بهائه وجماله) الا ان يهتف عن بصيرة واعية بأن هذه الافاق إلهية في صبغتها ، ربانية في تكوينها ، علوية في مدلولها ، متسامية في غاياتها ... فهي كما وصفها رب العزة في قوله تعالى :

(وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين) الشعراء / ١٩٢ _ ١٩٣ _ ١٩٤

أجل : فقد نزل القرآن ليعيد صياغة الكون والحياة من جديد ، ويبني الانسان المستخلف على ظهر هذه البسيطة بطريقة فذة ، وبأسلوب رباني فريد ... وذلك ليتيح للبشرية ان ترى المصحف يصب في نهر الحياة ، وترى الحياة وهي تستقي من نبع الله ، وترقب المصحف والحياة معا يتعانقان في حفاوة وجلال :

(صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) البقرة / ١٣٨ .

ومجتمع الايمان في عهد محمد النبي : احدى روائع القرآن الماجد ، التي نفح بها الكون ، وعطر بسيرتها فم الحياة ، فاذا رمنا الحديث عن هذا المجتمع من مجتمعات البشر ، فكأننا نكلف انفسنا اقتلاع جبل « أفرست » .... الذي يقال انه اكبر جبال الدنيا ، أو نبغي استنزال الثريا من مكانها الرفيع ... وما بالك بأمة يتحدث عنها ربها في بيان عجيب فيقول :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس) آل عمران / ١١٠ .

هي أمة في مجتمع ، ومجتمع في أمة ، انصهر في بوتقة الايمان فاصبح يمثل خير قطعة تفطر عنها قلب الطبيعة ، او كما وصف ابناءه اديب الاسلام : « مصطفى صادق الرافعي » فقال :

« لقد دارت الأرض في تاريخها ثلاث مرات ، فمرة دارت حول نفسها ، ومرة دارت حول الشمس ، ومرة دارت حول اصحاب محمد بن عبدالله » ... واذا كان القرآن يصف مجتمع محمد بن عبدالله فيقول :

(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الفتح / ٢٩

فان تحليق اليراعة سيكون هذه المرة في الآفاق التي يدور فيها الشق الأول من الآية والتي يبرز فيها مدى التلاحم بين القائد وجنوده .

(محمد رسول الله والذين معه) ... والحديث هنا عن أنبل وأعظم وأسمى شخصية سمع بها الزمن ، فوقف خاشعا لجلالها وبهائها وكمالها ... انه محمد العظيم ، الذي جاء الى الحياة فأعطى ولم يأخذ ، انه الذي رعى قضية الانسان ، وزكى سيادة العقل ، انه صاحب القلب الكبير ، والعقل البصير ، انه الانسان

النبيل الذي لم تند عنه شاردة من آمال الانسانية وآلامها ، الا لباها ، انه الانسان الرحيم المتواضع الذي يجلس كما يجلس العبد ، ويأكل كما يأكل العبد ، والذي يصيح بين اصحابه : « اذا رأيتموني فلا تقوموا كما يفعل الاعاجم يعظم بعضهم بعضا » البخاري . والذي قال لرجل هاله وقاره وجلاله فارتاع وداخله الخوف : « هون عليك فاني لست بملك ، وانما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة » . مسلم .

إنه الانسان العزيز الذي كان يخاطب ملوك الأرض ، وهو في الوقت ذاته يستمع في حفاوة ورضا لأعرابي جاف جلف يجذبه من ردائه حتى يؤثر في عنقه ويصيح به : « اعدل يا محمد فليس المال مالك ولا مال ابيك » .

إنه الانسان الذي تعاظم على الحوادث ، وتسامى فوق النكبات ، وتعالى على المحن ، ووقف معتزا بالله العزيز ، حتى بهر الدنيا شأنه ، وأسر الوجود خلقه ... والا فقل لي بربك : ماذا تقول في انسان وصفه الذي يعلم السر واخفى فقال : **(وإنك لعلى خلق عظيم)**القلم / ٤ **(محمد رسول الله)** أجل !! انه رسول الله .. واذا اجتمع محمد الانسان مع محمد الرسول .. فقد تناهى الأمر عظمة وجلالا :

كأنــــه وهـــــو فرد من جلالته ... في عسكر حـين تلقـاه وفي حشم
دع ما ادعته النصـــارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
فمبلـــغ العلـــم فيـــه انـــه بشر ... وأنـــه خـــير خلـــق اللـــه كلهم

والنص الكريم هنا يخلع عليه هذه الصفة العالية الجليلة ، ويدثره بتلك المنقبة الغالية ، ويضفي على مقامه المنيف هالة الرسالة الخالدة ، انه رسول الله ومبعوث العناية الالهية للأخذ بيد البشر على طريق الله ، فكان صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته عليه نموذجا فريدا شامخا في سلوكه ، دعا الى ربه كما لم يدع أحد ، وحارب كما لم يحارب احد ، وعبد كما لم يعبد احد ، حتى تورمت قدماه من قيام الليل ومن كثرة تهجده ، وعندما سئل : يا رسول الله هون على نفسك فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ... أجاب سائله تلك الاجابة الباهرة : « أفلا أكون عبدا شكورا » مسلم والبخاري

إنه الرسول الذي حمل أمانة التبليغ في اخلاص وتجرد ، وفي عزيمة ما عرفت الضعف ، وارادة لم يتطرق اليها الوهن ، بل انه ليقف أمام عمه أبي طالب في اعتداد وكبرياء ، أعزل إلا من الايمان ، وحيدا الا من اليقين ، يتحدى باطل القوم ، ويعلن رغم انوف الجميع انه ماض في طريقه حتى النهاية .

« والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو اهلك دونه » سيرة ابن هشام .

ويمضي الرجل العظيم في سبيله غير هياب ولا وجل ، يصدع بدعوته ، ويناطح

بها رؤوس الشرك وارباب الكفر ، فاندكت بقوته صروح الطغيان ، وتقوضت بحرارة ايمانه معاقل الظلم ، وتهدمت بسواعده عروش البغى ، وفتح الله به قلوبا غلفا ، وآذانا صما ، وأعينا عميا ، وأقام ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأول مرة في تاريخ البشرية ، دولة التوحيد على دعائم متينة من الايمان والأخوة النادرة ، التي ذهبت مثلا عاليا في التاريخ الانساني كله ، واصبحت انشودة معطرة يسمعها الدهر ، ويتشنف بها الزمن ، ويعزفها على قيثارته لحنا ابديا آسرا يهز الوجدان ، ويرقي الشعور ، ويملك نواصي الأفئدة ... انها الأخوة التي اصبح فيها المهاجر أخا للانصاري يرث كل منهما صاحبه ، بدون ان يكون بينهما نسب من دم ، أو وشيجة من قرابة أو رابطة من مصاهرة ... اللهم الا صلة الاسلام ، ومودة الايمان التي عبر عنها الصديق عليه سحائب الرحمة والرضوان ... عندما قال :
« ان مودة الاسلام اعظم من مودة القرابة » ... والتي نوه بها الشاعر الخنذيذ عندما أرسل هذا البيت :

أبـــى الاســـلام لا أب لي سواه   إذا افتخـــروا بقيس أو تميم

هذه المعجزات كلها ، وما منها الا ما هو باهر وعجيب ، قام بتحقيقها استاذ الدنيا ، ومعلم الحياة محمد رسول الله ، في صبر وثبات ، وايمان راسخ ، وعزم صادق يفل الحديد ، ويذيب جلاميد الصخر ، وما كادت تلكم المعجزات تلامس الفطر السليمة بين اتباع محمد ، حتى احدثت فيها تغييرا جذريا ، فاذا هي تتمخض عن احداث هائلة ، ومواقف صادعة ، وسيرة مشرفة ، وانحنت لها هامة الوجود ، وخشعت لها جوارح الزمن ، فلقد فنيت هذه الفطر القويمة في سبيل العقيدة ، وراحت تبين للناس نوعا من عظمة الايمان ، استعلى على الطبائع الانسانية ...

فلقد شوهد أبو عبيدة عامر بن الجراح ، وهو يدفع في اقفية المبطلين ، يوم « بدر » ... يوم تحزب الباطل ، وتحالف انصاره ـ شوهد ابو عبيدة يكشف بسيفه سواد المشركين ، وهم يحذونه ويجانبونه ، الا رجلا واحدا كان يتصدى لأبي عبيدة ! ! ـ وأبو عبيدة يصدف عنه ... فلما برم به ، والرجل لا يزال ملحا في مواجهته ، استوحى ابو عبيدة يقينه ، واهوى بسيفه ، فشج رأس هذا المتصدى له ... اتعلم ايها القارىء العزيز : من المقتول ؟ ؟ انه عدو الله ... انه والد أبي عبيدة ... يالله ... ما اعز العقائد وما اعلى الحق ... فيا لعزيمة المؤمنين ... ويالجلال الايمان ...

ولد يقتل الشرك في شخص ابيه ، وينتزع وشيجة القرابة ، ابقاء على وشيجة القربة ... للدين وللعقيدة ...

إنها ـ والله ـ لمحنة المعتقدين ، واختبار المستيقنين ، وانه لصنع حري بأن

يقدره الوحي الالهي حق قدره ، ولقد سجل الكتاب المحفوظ الخالد ، هذه العظمة المؤمنة ، فقال عز من قائل :

(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) المجادلة / ٢٢

والذي قام بهذا التحول الخطير في النفوس انما هو سيدنا ومولانا رسول الله ... وهو بهذه المرشحات الشخصية ، وتلك المواهب الربانية التي غمره بها رب العالمين ، صار مؤهلا لأن يحمل لواء الدعوة العالمية الخاتمة الخالدة ، التي ما عرف التاريخ ابر ولا اقدس ولا انبل منها ... بل انه قمين بأن يكون زعيم الرسل وامير الانبياء ، وواسطة العقد ، والدرة اليتيمة التي لن تظفر بمثلها بين ابرز القادة والمصلحين ، مهما اضناك البحث ، وانصبك التنقيب ... ومن هنا كانت كلمة الله لمحمد اولا ، واصطفاؤه له سابقا ، وكان الميثاق الالهي الذي تعهد الله به ، والزم به الانبياء أنفسهم ، أن يؤمنوا بمحمد ، ويعترفوا بنبوته حتى تدرج اسماؤهم في سجلات المصطفين من عباد الله الأخيار :

ويبلور القرآن هذا التكريم السابغ لمحمد بن عبدالله فيقول :

(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) آل عمران / ٨١ .

ويقول الرسول الأمين متحدثا عن نفسه بنعمة ربه :

« كنت عند الله نبيا وان آدم لمجدل في طينته » رواه مسلم .

ونضر الله وجه الامام البوصيري ، حيث هتف في همزيته العصماء بهذه الأبيات مادحا خير الورى محمدا :

كيف ترقى رقيك الأنبياء ... يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك في علاك وقد ... حال سنا منك دونهم وسناء
انما مثلوا صفاتك للنا ... س كما مثل النجوم الماء

(والذين معه) هنا يتحدث الذكر الحكيم عن الجماعة التي رباها مولانا رسول الله ، والسياق هنا يجري سلسالا كالماء العذب ، شأن القرآن الكريم كله في أساليبه الساحرة . فالحديث عن القائد اولا ، وابرازه في اطاره الانساني المهيب ، حتى تتعلق به النفوس ، وتتوجه اليه الأنظار ، فهو رأس الأمر وعموده وذروة سنامه ، ثم يليه الحديث عن اتباعه وجنوده ، الذين تخرجوا في مدرسته الشامخة الرائدة **(والذين معه)** بالله ما أسمى هذا التعبير وما ابهى نضرته !!! ولكن كيف ذلك ؟؟

إن اصحاب محمد كانوا خير ثلة انبثق عنها فجر الزمان ، بل هم قدر الله

الغالب الذي غير به العالم ، وكتب به للانسانية ميلادا جديدا ، ولقد كانوا يمثلون للحياة عافيتها ، وللدنيا شمسها ، وللبشرية سعادتها وامنها ... وان المعجزة لتبدو جلية واضحة في هذا التحول الرهيب الذي احدثه محمد نبينا ، في نفوس باض فيها الكفر وافرخ ، وقلوب كأنها الحجارة صلادة وقسوة ، وهمم قعساء الا عن التعطش للدماء ، حتى صدق عليهم قول القائل :

لا يسألـون أخاهـم حـين يندبهم   في النائبـات على ما قال برهانا

ولكن سرعان ما مسهم محمد الرسول ، بعصاه السحرية فحول مواتهم الى حياة متحركة متطورة ، وبدلهم خلقا آخر ، فاصبح الواحد منهم يحمل بين حناياه عقيدة ماضية اشد رسوخا من الأطواد الراسيات ، وقلبا جسورا يحمل كلمة الله ، ويقتحم بها المخاطر والصعاب لينشرها في الخافقين ، لا يبالي اوقع على الموت ام وقع الموت عليه ، فهو يرسلها صيحة مدوية عبر الزمان ، تتخطى الحدود ، وتجتاز السدود ، وتبلغ بقوتها وزمجرتها عنان السماء :

ولست أبـالي حـين أقتـل مسلما   على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الالـه وإن يشأ   يبـارك على أوصـال شلـو ممزع

ومن ثم ، فان عصابة التوحيد ، غدا أفرادها في حلبة الميدان ، قادة أشاوس ، وزعماء أماثل ... وصار حداة الابل ورعاة الغنم ، حكام شعوب وساسة امم ... حتى انجب التاريخ منهم من كانت ترتعد فرائص الملوك لذكره مهابة واجلالا من أمثال ابن الاسلام البار عمر بن الخطاب وحفيده العظيم عمر بن عبد العزيز ، ومن كان يتحدى السحابة الجون في اديم السماء فيقول لها :

« أيتها السحابة أمطري حيث شئت فلا بد ان يصلني خراجك » ...

هؤلاء هم اصحاب محمد الغر الأماجد ، الذين كانوا يذوبون شوقا اليه ، ويتلهفون على رؤيته ، وان سعادة غامرة تسري في أوصال الواحد منهم اذا اكتحلت عيناه بنظرة الى محيا النبي العظيم ، حتى ان احدهم وهو « ثوبان » خادم الرسول الجليل ، ينحل جسمه ويصفر لونه ، ويعتريه الهم ، ويبصره النبي الكريم ، كاسف البال ، فيسأله : ما لي اراك مهموما ؟ ويجيبه ثوبان : اتذكر مكانك في الجنة يوم القيامة ، واني سأكون في درجة اقل من درجتك فاخاف الا اراك فيعتريني ما ترى » .

حينئذ تنزل آيات بينات من القرآن تفصل في القضية ، ويا لها من قضية :

(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله

وكفى بالله عليما » النساء / ٦٩ و٧٠
ومع تحرقهم شوقا اليه ـ صلوات الله وسلامه عليه وآله ـ فلم يكن الواحد منهم يستطيع ان يحد النظر اليه تعظيما له ومهابة منه . لأن نور النبوة وجلال الرسالة يخلعان على النبي العظيم حللا من الوقار والبهاء والجلال ، فمن جالسه مرة هابه ، ومن رآه بداهة عرفه . ونحب أن نلفت النظر هنا الى ان التعبير (**والذين معه**) بلغ من الدقة اقصى مدى ، فليس المقصود بالمعية هنا ، المعية المكانية فحسب ، كلا ، فالمعية هنا تشمل المعية المكانية والروحية أو الأدبية معا ، فهما متلا زمان في سلوك اصحاب محمد ، فهم لم يكونوا معه جسما ومكانا فقط ، والا كانوا بعيدين عن مفهوم الصحبة الأصيلة وملتزماتها ، وهذا ما لم يرب محمد اتباعه عليه .

فالمقصود ، أنهم كانوا معه قلبا وقالبا ، جسما وروحا ، مشاعر وسلوكا ، بواعث واهدافا ، فكرا وعقلا ، صبغة واتجاها ، فلقد شكلهم محمد الجليل تشكيلا خطيرا سداه الايمان ولحمته الاسلام ، فاصبحوا يتبادرون اليه ، ويفدونه بالمهج والأرواح ، ويتعرضون للمخاطر دونه حبا وايثارا ، وتضحية وفدائية منقطعة النظير .

ويرحم الله أحدهم عندما سئل وهو مصلوب في سبيل عقيدته : « أتحب ان يكون محمد هنا في مكانك تضرب عنقه وانت سالم في بيتك ؟ » فأجاب الصحابي النابه الجليل نضر الله وجهه : « والله ما احب ان أكون في مكاني هذا ، ومحمد في مكانه تصيبه شوكة فتؤذيه » .

وهذه الاجابة الملهمة : جعلت رأسا من رؤوس الكفر يصدع بهذه الحقيقة فيقول : « والله يا معشر قريش : لقد ذهبت الى كسرى وقيصر وهرقل فما رأيت احدا يحب احدا، كما يحب اصحاب محمد محمدا ... » ...

انه الايمان الذي يفجر في القلوب اصدق العواطف وانبل المشاعر ، وازكى الأحاسيس . فلله الفضل والمنة . ولقد عرف الرسول الأمين لأصحابه ـ اعلام الهدى ومصابيح الظلام ـ قدرهم ، ورفع منزلتهم ، وحلق بها في سماء الكمال ، فقال : « اذا ذكر اصحابي فأمسكوا » رواه الطبراني

وبهذه الروح الطيبة والتلاحم الكبير بين القائد وجنوده ، امكن لمحمد بن عبدالله ان يكون مجتمعا اصبح فيما بعد ـ وبكل المقاييس الاجتماعية ـ معجزة المجتمعات العالمية كلها على اختلاف القرون وتوالي الاحقاب .

ومن هنا فان هناك كلمة نوجهها الى أبناء الاسلام حكاما ومحكومين ، رعاة ورعية : يجب ان تزول الفوارق ، وتذوب الحواجز التي تفصل بين الراعي ورعيته ، والقائد وجنوده ، والرئيس ومرؤوسيه حتى يصبحوا كما قال الرسول الحبيب : « كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » . رواه البخاري وغيره .

وان بدعة الانفصال بين الحاكم والمحكوم ، ليس لها في القرآن ظل ، ولا في

الاسلام وجود . وان امانة الحكم في شريعة الكتاب العزيز لمن اخطر الأمانات ، وأعظم المسئوليات ، لأنها تتمثل في خدمة المسلمين ورعاية مصالحهم ، فمن وفى لها ، فهو احق بها ، ومن خان فيها ، باء بغضب من الله ، ووجب على الجماهير الاسلامية الزاحفة ان تقدم له النصح اولا فان لم يرعو ، قلمت اظافره ، وخضدت شوكته ... وقديما قال الشاعر :

إذا الملك الجبــار صعــر خده مشينــا اليــه بالسيــوف نعاتبه

ورحم الله ابا بكر الصديق عندما اعلن في أول خطبة له إثر توليه الخلافة : « أيها الناس ! ! اني وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينوني وان اسأت فقوموني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم » .

إن فلسفة الحكم في ديننا الخالد العظيم تتمثل في هذا الالتحام الكبير بين الأمة وقائدها ، والنصح لها ، والتفاني في حل مشاكلها ، والسهر على راحتها ، وقدس الله روح عمر بن الخطاب عندما خاطب اصحابه ذات يوم فقال :

« من وجد في اعوجاجا فليقومه »

فنهض رجل وقال : « والله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » فقال عمر : « الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوم اعوجاج عمر بالسيف » .

هذه قيم مشعة ، ومبادىء عالية ، ودساتير جامعة تنهض بها الأمم ، وتسعد بها الشعوب ، ويكتمل بها بنيان الحضارة . وهي كلها مأخوذة ومقتبسة من وحي التعبير القرآني المجيد :(**والذين معه**) .

أرأيت !!! كم تحمل هذه الكلمة الفذة العملاقة:(**معه**) من طاقات خلاقة وشحنات مبدعة ؟ ؟ وكيف عاش الرعيل الأول من ابناء الاسلام في ظلالها يستمدون منها مقومات الفلاح ، وعناصر الفوز والنجاح ؟؟ .

ان العالم الاسلامي سيظل مفكك العرى ، واهن القوى ، لا حول له ولا طول ، يحطمه التأخر ، ويقضي عليه التخلف ، الا اذا توجه بكليته الى تعاليم القرآن ، وعاش في ظلال حضارته الربانية ، واستلهم الرشد واستقامة القصد ، من مدرسته الرائدة التي ربت جيلا ، وكونت مجتمعا ، وخلقت شعبا ، فاق النجوم في مداراتها ، وجاوز الكواكب في ابراجها رفعة وعلوا .

وليصغ مجتمع الاسلام الى صوت البشير النذير يتحدث اليه من ضمير الغيب :

« يوشك ان تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها ... قال قائل : أو من قلة نحن يومئذ ؟ قال : لا بل انتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب اعدائكم المهابة منكم ، وليرزقنكم الله الوهن .. قيل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » رواه ابو داود .

وفق الله المسلمين لسيادة الدنيا وعزة الدين .

حق المساواة بين الناس

للدكتور/وهبه الزحيلي

ان الحملة الحضارية الانسانية الشاملة التي اقترنت بالاسلام اقتضت اقرار كل المبادىء الخلقية الاصيلة ونبذ كل مظاهر التخلف والتعثر والرجعية والتفرقة الظالمة بين ابناء البشر دون اعتماد على ميزان معقول او حساب صحيح للنتائج .

ومن الأصول الحضارية للاسلام ومنهجه الديمقراطي في الحياة السياسية والاجتماعية اعلانه مبدأ المساواة التامة دون تمييز بين الناس بسبب الجنس أو العرق ، او اللون او النسب ، والحسب ، أو الدين ، أو المنصب والجاه وسلطة الحكم ، أو السن ، أو الغنى والمال أو المحبة والبغض وذلك تجاوبا مع نزعة الاسلام العالمية وعموم رسالته للبشرية واعتبار تنظيماته وشرائعه رحمة للعالمين .

ومن أهم مظاهر المساواة اجمالا ثلاثة أمور :

١ ـ **المساواة في القيم الانسانية المشتركة :** أي لا تفاضل في الاجناس (فالجنس الآرى والحامي والسامي كلها سواء) ولا تفاضل في الألوان (فالأبيض والاسود والأحمر والأصفر على حد سواء) ، ولا تمييز في الانساب والاحساب (فالشريف والوضيع لهما حقوق متساوية) وبذلك الغي الاسلام نظام الطبقات وحارب العنصرية البغيضة ، والعصبية الكاذبة الحمقاء واهدر نظام الاسر الراقية والألقاب الفارغة وسوى بين دماء الناس ، فليس هناك دم أزرق نبيل وآخر عادي من دماء العامة .

٢ ـ **المساواة امام القانون والقضاء وفي تكافؤ الفرص :** يعني أن الناس جميعا متساوون في التكاليف والالتزامات العامة والحقوق وفي نطاق الجريمة والعقاب وفي مبدأ تكافؤ الفرص بالنسبة للعمل والتوظف ونحو ذلك .

٣ ـ **المساواة في جزاء العمل :** فمادام الاشخاص متكافئين في العمل ، فهم يستحقون اجرا متساويا دون تمييز أو محاباة لأحد على حساب الآخرين . وعليه فلا يصح أن ينخفض أجر انسان ، لأنه اسود مثلا ، ويعطي آخر اجرا أعلى ، لكونه أبيض أو منحدرا من سلالة رفيعة النسب عريقة المجد ، أو لقرابة ونحو ذلك . فالناس جميعا متساوون في الأجور ، متفاوتون بقدر ما ينجزونه من أعمال ، أو يظهرونه من كفاية وإبداع وإنتاج .

الكرامة الانسانية أو الوحدة الانسانية :

وفي سبيل اقرار مبدأ المساواة في مظاهره الثلاثة السابقة نظريا وعمليا نادى

الاسلام بوحدة السلالة البشرية ، وأن البشر أبيضهم وأسودهم من أب واحد وأم واحدة وهم سواء في مبدأ الكرامة الانسانية ، فلا ينبغي أن يترفع انسان على آخر أو يستعبد انسان غيره بسبب اللون ، أو الحسب ، أو القوة أو الغنى أو الفكر والمواهب والفضائل أو الجماعة الخاصة ، قال الله تعالى في قرآنه الكريم : **(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)** النساء/١ .

ويعلن القرآن مبدأ تكريم الجنس البشري عامة في قوله سبحانه : **(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)** الاسراء/٧٠ . فهذا النص الصريح يدل على أن التكريم العام شامل لكل انسان ، وكرامته ملازمة لانسانيته ، والانسان اخ للانسان أحب أم كره ، والانسانية مكرمة سواء في السلم أم في الحرب فالصراع على المصالح الخاصة ، وبالتالي إراقة الدماء واستباحة الأنفس يجب ألا يكون سببا لتلويث كرامة الانسان ، فلا تمثيل ولا تقتيل بدون حق ، ولا تشويه ولا تجويع ولا اظماء ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « اياكم والمثلة » رواه أحمد « اذا قتلتم فاحسنوا القتلة » رواه أحمد .

وكرامة بني آدم تقضي عدم التفريق في المعاملة بين طبقة وطبقة ، ولا بين جنس وجنس ، ولا بين فقير وغني ، أو قوي وضعيف ، لان الاسلام يجعل الناس جميعا سواء ، ومرجعهم إلى أصل واحد ، العدل يعمهم ، والرحمة تشملهم ، والخير والسعادة حق كل فرد منهم . قال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع : « يا أيها الناس ، ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لاسود على أحمر الا بالتقوى ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » رواه البيهقي في سننه عن جابر « الناس مستوون كأسنان المشط ، ليس لأحد على احد فضل الا بتقوى الله » رواه الديلمي عن انس .

ولقد كان إعلان الاسلام لمبدأ الوحدة الانسانية ــ وحدة الاصل والمنشأ ــ سبيلا لتقرير مبدأ المساواة بين الأخوة في الحقوق الفطرية الطبيعية وللرد على اليهود الذين جعلوا رحمة الله حكرا على شعبهم ، وان الاله اله بني اسرائيل وحدهم ، ولا يحق لأي شعب آخر الايمان به أو الانتماء إليه .

أما الاسلام فمبدؤه ان الله تعالى إله العالمين :**(الحمدلله رب العالمين)** الفاتحة/٢ : **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)** الانبياء/١٠٧:**(قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء)** الانعام/١٦٤ .

ثم إن مبدأ الكرامة الانسانية يقضي بتحرير الانسان ، وتوفير كل أسباب العزة والكرامة والشرف له ، عملا بتكريم الله له ، وإزالة كل عوامل التفرقة بين ابناء البشرية بسبب الجنس واللون وغير ذلك من العوامل الآتية ، لأن الكرامة هي

الأحساس المعنوي بشخصية الانسان ، والانسان هو أساس كل القيم والحضارات التي تقوم على الخير والسلام والعدل والاخاء والحرية ولن يؤمن بالحرية من لا يؤمن بالانسان وكرامة الانسان ، فأي انسان يولد بالفطرة يولد حرا متساويا في الحق والكرامة مع سائر الناس .

١ ـ الجنس :

عرفنا أن الاسلام لا يميز بين الأجناس والأعراق فليس هناك جنس أو شعب هو بنشأته وعنصره ودمه أفضل من غيره ، وإنما الناس جميعا إخوة في النسب ، ووحدة في الأصل والمنشأ . قال تعالى : **(ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)** الحجرات/١٣ . فمهمة الشعوب في العالم هي التعارف والتعاون والتآلف ، لا التناكر والتفاخر والتزاحم غير الشريف ، ولا تفاضل إلا بالايمان الصحيح والتقوى والعمل الصالح البناء ، فبالعمل والانتاج وبالنفع العام للانسانية يفضل الشخص غيره .

وبهذا هدم الاسلام صرح العصبية القاتلة والقبلية أو العنصرية البغيضة ، وحارب كل أشكال التمييز العنصري وازال كل ألوان الفوارق الطبقية عملا بمبدأ المساواة الانسانية العامة . وسبب محاربة الاسلام لفكرة الطبقية والعنصرية : هو أنها تكون عادة سبيلا للظلم والتحكم والطغيان ، وغمط الحقوق ، والانحراف عن جادة الحياة المستقيمة ، والسلوك الرشيد ، والعدالة لذا قال نبي الاسلام : « ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » حديث حسن رواه ابو داود عن جبير بن مطعم « من قتل تحت راية حمية يدعو لعصبية او ينصر عصبية ، فقتلته جاهلية » رواه مسلم والنسائي بسند صحيح .

وإذا كانت الدول الحديثة قد اعلنت مبدأ حقوق الانسان عام ١٧٨٩م وقررت الأمم المتحدة اعتبار عام ١٩٧١ كله لمكافحة ومحاربة التمييز العنصري بكل اشكاله ، فان ذلك ما يزال امرا نظريا لا عمليا ، فمازال الرجل الأبيض يستذل الأسود في قلب اوروبا ، وماتزال امريكا زعيمة العالم الحر وبريطانيا تؤيدان مبدأ التفرقة العنصرية الذي يشجبه العالم كله والضمير الانساني والشرائع السماوية ، سواء في قلب امريكا ضد الزنوج ام في قارة افريقيا متمثلا ذلك في دولة جنوب افريقيا ، والمستعمرات البرتغالية ضد الملونين .

وعلى أساس هذه النظرة العنصرية قامت في الشرق العربي دولة اسرائيل العنصرية التي تمثل احط صور المفهوم العنصري ضد الشعب العربي الذي تضطهده اجهزة الحكم الاسرائيلي ، فتمنع حقوق الانسان وتمارس ضد السكان الشرعيين الاصليين كل انواع القتل والسجن والتعذيب والتشريد والطرد ومصادرة الممتلكات الخاصة والعبث باوقاف المسلمين واحراق المسجد الأقصى .

وبمثل ذلك تفعل دول اثيوبيا بقيادة الامبراطور هيلاسلاسي سابقا وحاليا بقيادة اليساريين ضد العرب المسلمين في الحبشة وارتيريا حيث القتل والهدم الكامل للقرى والمدن والابادة الجماعية للسكان .

٢ ـ اللون :

كذلك لا تمييز بين الناس بسبب اختلاف اللون ، فهذا من اثر البيئة الجغرافية او الأصل البشري قال تعالى : **(ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين)** الروم/٢٢ . **(ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور)** فاطر/٢٨ .

وقد فطن الاسلام الى مشكلة اللون في بادئ الأمر ، فقرر مبدأ المساواة التامة بين الأبيض والأسود ، حدث مرة أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع أبا ذر الغفاري يعير صحابيا بأمه ، ويدعوه : ياابن السوداء فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا ، وقال مستنكرا : طف الصاع ، طف الصاع ، طف الصاع (اي تجاوز الأمر حده) ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى او بعمل صالح ، فما كان من أبي ذر الا ان وضع خده على التراب وقال لصاحبه : دس بقدمك على رأسي ، لما استشعر من تعديه عليه .

وفي عبارة اخرى لهذه القصة ان رجلا قال : لقيت أبا ذر بالربذة (مكان قرب المدينة) وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك فقال : اني ساببت رجلا ، فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : يا ابا ذر اعيرته بأمه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية ، اخوانكم خولكم (اي اعوانكم وحشمكم) جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم » . رواه مسلم وقد شاهد عمر رضي الله عنه قوما في مكة يأكلون ، والخدم يقفون لهم ، فغضب وقال للسادة : « ما بال قوم يستأثرون على خدامهم ؟ » وأمر بالخدم فأكلوا مع السادة في جفان ـ أي آنية واحدة . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم مؤكدا نبذ التمييز بالألوان : « أنا أخو كل تقي ، ولو كان عبدا حبشيا ، وبريء من كل شقي ، ولو كان شريفا قرشيا » « سلمان منا أهل البيت » رواه الطبراني والحاكم.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لوليته » أي الخلافة وقد تولى فعلا كثير من الموالي المسلمين قيادة الجيوش وامارة المدن . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الله يرفع بهذا الكتاب ـ أي القرآن ـ أقواما ويضع به آخرين » رواه مسلم .

فأين هذه المحاربة للعصبية القبلية والعنصرية في نطاق الاسلام مما تفعله الحضارة الحديثة التي تبيح للامريكان افناء عنصر الهنود الحمر بطريقة تدريجية

منظمة ، او القيام بتخصيص مدارس ومطاعم وناقلات خاصة ومقاهي وغير ذلك للزنوج الملونين بل تحرمهم من ابسط الحقوق المدنية والسياسية ، وتسن لهم القوانين الخاصة ، وتحول دون انتفاعهم بمظاهر المدنية الجديدة كالكهرباء والطرق والمرافق العامة المنظمة والمساكن الصحية والمشافي اللائقة ، ولا تمنحهم الاجور العادلة . ويتم مثل ذلك في حكومة جنوب افريقيا التي تجاهر بالقوانين العنصرية ضد الملونين ؟

٣ ـ الدين :

لم يفرق الاسلام بين الناس في النظرة الانسانية بسبب العقيدة أو الدين ، فاذا لم يكن هناك حرب ولا عدوان فلا فرق بين مسلم وغير مسلم في مظاهر المساواة الثلاثة السابقة : (**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**) الممتحنة/ ٨ و ٩ .

ويمنح الاسلام حقوقا مساوية للمشركين المعاهدين عند الاعتداء على الدماء فيوجب نفس الدية والكفارة الواجبتين بقتل المؤمن خطأ : (**ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة**) النساء/ ٩٢ .

وهذا نقيض ما تفعله بعض الدول الحديثة في الشرق او الغرب او في افريقيا من تعمد افناء المسلمين وتشريدهم في الافاق .

كما انه ليس في الاسلام ما يعرف بطبقة رجال الدين الذين يتمتعون بامتيازات معينة او لا يخضعون للقانون .

٤ ـ النسب :

ان من اصول الاسلام الثابتة قطعا الا تأثير للنسب في مركز الانسان ، وفي المفاضلة بين الناس ، قال الله تعالى : (**فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون**) المؤمنون/ ١٠١ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياصفية بنت عبدالمطلب ، يافاطمة بنت محمد يابني عبدالمطلب : اني لا املك لكم من الله شيئا ، سلوني من مالي ما شئتم » رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها وفي عبارة اخرى مماثلة : « يامعشر قريش لا اغني عنكم من الله شيئا ، يابني عبد مناف لا اغني عنكم من الله شيئا ، ياعباس بن عبدالمطلب لا اغني عنك من الله شيئا ، وياصفية عمة رسول الله لا اغني عنك من الله شيئا » رواه

البخاري ومسلم .

وفي نداء آخر من الرسول موجه لقومه وأقاربه : « يابني كعب بن لؤي ، انقذوا انفسكم من النار ، يابني عبدمناف ، انقذوا انفسكم من النار ، يابني هاشم انقذوا انفسكم من النار ، يابني عبدالمطلب ، انقذوا انفسكم من النار ، يافاطمة بنت محمد ، انقذي نفسك من النار ، فاني لا املك لك من الله شيئا » رواه البخاري في الأدب المفرد عن ابي هريرة أي ان قرابة الرسول عليه الصلاة والسلام لا تفيد احدا شيئا ولا تكون سبيلاً للمفاضلة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم محددا الغاء دور النسب في الأعمال بصفة نهائية : « ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » رواه مسلم عن ابي هريرة .

وبذلك تقرر في الأذهان الا نفع لغير العمل ، قال عمر بن الخطاب : « والله لئن جاءت الاعاجم ــ غير العرب ــ بالأعمال ، وجئنا بغير عمل ، فهم اولى بمحمد منا يوم القيامة ، فان من قصر به عمله لم يسرع به نسبه » وفي كتاب عمر الى سعد بن ابي وقاص : « ان الله ليس بينه وبين احد نسب الا بطاعته ، والناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء » .

٥ ــ الحسب (ما تعده من مفاخر آبائك ، او المال ، او الدين ، او الكرم ، او الشرف في الفعل ، او الفعال الصالح ، او الشرف الثابت في الاباء) :

ان الاعتماد على الحسب امر موهوم ايضا ، فصاحب الحسب الشريف لا ميزة له على غيره ، في تطبيق احكام الشريعة ، ففي عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقعت حادثة سرقة من امرأة قرشية ذات حسب ونسب ، واسمها فاطمة المخزومية ، فاتي اهلها اسامة بن زيد ، فكلموه ، فكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيها ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ياأسامة لا أراك تشفع في حد من حدود الله عز وجل ، ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا ، فقال : انما هلك من كان قبلكم بأنه اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف (الضعف هنا : الصغار في المجتمع) قطعوه ، والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ، فقطع يد المخزومية » رواه احمد ومسلم والنسائي .

وفي فاتحة التاريخ الاسلامي واقعة اخرى مشهورة وهي : لما اسلم جبلة بن الايهم الغساني ، وكان من ملوك آل جفنة كتب الى عمر رضي الله عنه يستأذنه في القدوم عليه ، فاذن له عمر ، فخرج اليه في خمسمائة من اهل بيته ، وأمر جبلة مائتي رجل من اصحابه ، فلبسوا السلاح والحرير ، وركبوا الخيول معقودة اذنابها ، والبسوها قلائد الذهب والفضة ، ولبس جبلة تاجه ، فلما انتهى الى عمر رحب به والطفه وادنى مجلسه ، ثم أراد عمر الحج فخرج معه جبلة . فبينا هو يطوف بالبيت ، وكان مشهورا بالموسم ، اذ وطئ ازاره رجل من بني فزارة ، فانحل ، فرفع جبلة يده ، فهشم أنف الفزاري فاستعدى عليه عمر رضوان الله عليه ، فبعث الى جبلة ، فأتاه ، فقال : ما هذا ؟ قال : نعم ياامير المؤمنين ، انه

تعمد حل ازاري ، ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف ، فقال له عمر : قد اقررت فاما ان ترضي الرجل ، واما ان اقيده (القود : القصاص أي العقاب بالمثل) منك . قال جبلة : وماذا تصنع بي ؟ قال : آمر بهشم انفك كما فعلت ، قال : وكيف ذاك ياامير المؤمنين وهو سوقة وانا ملك ؟ قال : ان الاسلام جمعك واياه ، فلست تفضله بشيء الا بالتقى والعافية قال جبلة : قد ظننت ياامير المؤمنين اني اكون في الاسلام اعز مني في الجاهلية . قال عمر : دع عنك هذا ، فانك ان لم ترض الرجل اقدته منك . قال : اذاً أتنصر ، قال : ان تنصرت ضربت عنقك ، لانك قد اسلمت فان ارتددت قتلتك . ثم استمهل جبلة الى الغد ، وفي جنح الظلام فر مع خمسمائة رجل من قومه الى بلاد الروم ، فدخل الى هرقل ، فتنصر وقومه » (انظر تمام القصة في سيرة عمر بن الخطاب للاستاذ علي الطنطاوي واخيه ناجي : ١/ ٣٦٠ ، الطبعة الأولى) .

فهذا تطبيق عملي حاسم لمبدأ المساواة في العقوبات ، حيث لا مجاملة ولا محاباة ، ولا استثناء قل ان نجد نظيره في تاريخ الأمم .

٦ ـ المنصب والجاه وسلطان الحكم :

سوى الاسلام بين الحاكم والمحكومين ، والولاة والرعية امام القانون والقضاء فلم يجعل لصاحب المنصب او الولاية اي امتياز على غيره في تطبيق احكام الشريعة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم قبيل انتقاله الى الرفيق الاعلى : الا من كنت جلدت له ظهرا ، فهذا ظهري فليستقد (اي فليقتص) ومن كنت شتمت له عرضا ، فهذا عرضي فليستقد منه (رواه الفضل بن عباس ، الكامل لابن الاثير : ٢/ ١٥٤) .

وكان الخلفاء الراشدون بعد النبي صلى الله عليه وسلم يعلنون في أول خطبة سياسية لهم : « اني وليت عليكم ولست بخيركم ، فان احسنت فاعينوني وان اسأت فقوموني ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم » .

فليست ذات الحاكم مقدسة او مصونة وانما هو وغيره سواء . كذلك ليس في الاسلام امتيازات خاصة بالاسرة الحاكمة او ما يسمى بطبقة الاشراف .

فهذا عمر بن الخطاب يقيم عقوبة الحد على ولده عبدالرحمن عندما شرب شرابا مسكرا ، وكتب الى واليه عمرو بن العاص يهدده بالعزل ويؤنبه حينما بلغه انه جامل ابن عمر في اقامة حد السكر عليه » (سيرة عمر بن الخطاب ، المرجع السابق : ١/ ٢١٨ وما بعدها) .

وقدم رجل قبطي من اهل مصر شكوى الى امير المؤمنين عمر فقال : اجري عمرو بن العاص بمصر الخيل ، فأقبلت فرسي ، فلما رآها الناس ، قام محمد بن عمرو (والي مصر) فقال : فرسي ورب الكعبة ، فلما دنا مني عرفته فقلت : فرسي

ورب الكعبة ، فقام الي يضربني بالسوط ويقول : خذها وانا ابن الاكرمين ، وبلغ ذلك عمرا أباه فخشي ان آتيك ، فحبسني في السجن فانفلت منه ، وها قد اتيتك . فلم يزد عمر الخليفة على ان قال له : اجلس ثم كتب الى عمرو ، اذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل معك بابنك محمد ، وقال للمصري : اقم حتى يأتيك .

وفي وسط جمع كبير من الناس بعد ان قدم عمرو وابنه ، قال عمر للمصري : دونك الدرة فاضرب بها ابن الاكرمين ، فضربه حتى اثخنه ، وعمر يقول : اضرب ابن الاكرمين ثم قال : اجلها على صلعة عمرو : فوالله ما ضربك الا بفضل سلطانه قال : يا امير المؤمنين قد ضربت من ضربني .

ثم قال الخليفة عمر : ايا عمرو متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟ فجعل يعتذر ويقول : اني لم اشعر بهذا (سيرة عمر بن الخطاب ، المرجع السابق : ١/٢٣٩ وما بعدها) .

وشكا يهودي علي بن ابي طالب في خصومة ، فاحضرهما عمر ، وقال عمر لعلي : قف ياأبا الحسين بجانب خصمك ، فتأثر علي فقال له عمر : اكرهت يا علي ان تقف الى جانب خصمك ؟ فقال : لا يا امير المؤمنين ولكني رأيتك لم تسو بيني وبينه ، اذ عظمتني بالتكنية ولم تكنه .

وجمع عمر عماله (أي ولاته) في موسم الحج ، ثم قام فقال : « أيها الناس ، اني والله لم ابعث اليكم عمالي ليضربوا ابشاركم ، ولا ليأخذوا اموالكم ولكن ابعثهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم فمن فعل به سوي ذلك فليرفعه الي ، فوالذي نفسي بيده لأقصنه منه (المرجع السابق : ١/٢٢٦) .

٧ ـ الغنى والمال :

لا فرق في الاسلام بين غني وفقير ، وانما الأغنياء والفقراء سواء امام الشرع ، فلا القاب ولا امتيازات للاغنياء ، ولا احتكارات ولا استغلال ولا استعباد ولا اقطاع لشريف ، وانما التقدير للعمل والكفاية قال تعالى : (**وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون**) سبأ / ٣٧ : (**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا**) الكهف / ٢٨ . (**يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا**) النساء / ١٣٥ .

وكان عمر بن الخطاب يرى اولا المفاضلة في العطاء من بيت المال ، ثم لما رأى المال قد كثر رجع الى رأي ابي بكر آخرا في التسوية بين الناس في القسمة ، وقال :

لئن عشت الى قابل ، لألحقن آخر الناس باولهم حتى يكونوا في العطاء سواء فتوفي رحمه الله قبل ذلك » (سيرة عمر ، المرجع السابق : ١/ ٢٦٥ ، ٢٧١) .

ولم يقسم عمر الاراضي المفتوحة في العراق والشام ومصر بين الغانمين الفاتحين حتى لا يأتي الذين بعدهم فلا يجدون شيئا لهم (الخراج لابي يوسف : ص ٢٨ ـ ٣١) .

قال ابو بكر الصديق في اول خطبة له بعد استخلافه ، « الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ان شاء الله والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله » .

٨ ـ الشهرة والسمعة

ان الشهرة او السمعة الادبية عن الشخص في العلم او الدين او الخلق لا تجعل له ميزة عن غيره في استحقاق جزاء فعل ارتكبه او باعفائه من التزام واجب مفروض عليه فهو وغيره من الناس العاديين او المغمورين او الجاهلين سواء امام حكم الشرع وفي المثول امام القضاء ، واما اشادة القرآن الكريم بالعلم في قوله تعالى : **(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)** الزمر / ٩ ، فالقصد منها تعظيم قدر العلماء المستقيمين وانهم يستحقون جزاء أوفى .

٩ ـ العمر او السن :

الناس كبارا وصغارا بالغين سواء امام الحق وفي مجال التنافس الشريف وفي الولايات وادارة الاعمال ، فقد ولي النبي صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد الشاب قيادة الجيش وفيه ابو بكر وعمر وغيرهما من كبار الصحابة . واما تقديم الاكبر سنا فهو فقط في مجال المجاملات الادبية كالدخول والخروج والتوقير والاحترام والاطعام والمساعدة ونحو ذلك ، قال غلام لامير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز : اصلح الله امير المؤمنين انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فاذا منح الله عبدا لسانا لافظا ، وقلبا حافظا فقد استحق الكلام ، وعرف فضله من سمع خطابه . ولو ان الامر يا امير المؤمنين بالسن ، لكان في الامة من هو احق بمجلسك هذا منك . فقال : صدقت قل ما بدا لك .

١٠ ـ نوع الحرفة :

ليس في الاسلام حرفة او مهنة مبتذلة واخرى شريفة ، ويقدس كل صاحب عمل لعمله ، ولا يؤثر ذلك على مركزه الحقوقي اطلاقا فكل عمل ضروري للامة ، ولا بد من تقدير ذوي الحرف لما في ذلك من عود النفع على الاخرين ، فقد ذكرنا سابقا ان

عمر بن الخطاب مر يوما بمكة فرأى الخدم وقوفا لا يأكلون مع سادتهم ، فغضب وقال لسادتهم مستنكرا صنيعهم : « القوم يستأثرون على خدامهم ؟ ثم يدعو الخدم للاكل مع السادة في اناء واحد . وقال الله سبحانه : **(أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون)** الزخرف / ٣٢ ، اي ليسخر بعضهم بعضا في الاعمال لاحتياج كل واحد من البشر الى غيره .

١١ ـ المحبة والبغض :

ان عاطفة المحبة او الكراهية ينبغي الا تؤثر في ميزان العدالة والحق والمساواة ، قال الله تعالى : **(يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله)** اي كونوا قوامين بالحق لله عز وجل لا لأجل الناس والسمعة **(شهداء بالقسط)** أي وكونوا شهداء بالعدل لا بالجور **(ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا)** اي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم ، بل استعملوا العدل في كل أحد صديقا كان او عدوا **(اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون)** المائدة / ٨ .

ومن الوقائع العملية للتغلب على عاطفة البغض ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرجل : اني لا أحبك فقال : أتنقصني شيئا من حقي ؟ قال : لا . قال : فما يفرح بالحب بعد هذا الا النساء .

وخلاصة القول : ان الاسلام كان شعاره منذ بدء امره هو اقرار واحترام حقوق الانسان بشكل كامل ، فهو الشريعة الفريدة بين الشرائع التي ضمنت توفير ذلك الاحترام من الناحية التطبيقية العملية وذلك يعني،انه لم تقتصر على مجرد اعلان ما يسمى مجددا بحقوق الانسان،ولا سيما احترام مفاهيم الكرامة الانسانية والحرية والعدالة والاخاء والمساواة ، وانما كان القضاء الاسلامي مثلا رائعا في تنفيذ وتطبيق تلك المفاهيم ، حتى ان اعمال المسلمين اصطبغت بهذا اللون الاخاذ من المساواة المادية والمعنوية في عباداتهم واعرافهم وتقاليدهم وتعاليمهم واحكامهم القضائية حتى مع غير المسلمين .

ومرجع تحقيق المساواة هو السلطة فالحكومة الاسلامية منوط باختصاصها لا باختصاص الافراد تحقيق المساواة نظريا وعمليا . وما على السلطات الحكومية القائمة الان الا ان تحذو حذو الاسلام في هدم الطبقية ونبذ التفرقة العنصرية وإزالة كل الفوارق التي تتنافى مع كرامة الانسان والشعور بالمعنى الانساني الصحيح ، وبذلك يسقط امتياز النسب او المال او ارستقراطية المواهب والفضائل او اي ارستقراطية اخرى تقوم على الفكر او التجمع او العنصرية القومية او الدينية او الايدلوجية : « **والله يقول الحق وهو يهدي السبيل** » .

لسنا بغاة

للدكتور علي جريشة

لكي نبحث هذا الموضوع يتحتم علينا ان نعرف اولا :
– ما هو البغي ؟
– ومتى يكون الخروج على الامام بغيا ؟
– وما هي آراء الفقهاء والرأي الراجح فيها ؟
وهو ما نحاوله بإذن الله في الكلمات التي تلي .

تعريف البغي :

البغي لغة التجاوز .
واصطلاحا الخروج على الأمام الحق بغير حق ..!
فإذا لم يكن الامام حقا ، أو كان الخروج عليه بحق .. ما كان بغيا .
فلننظر متى يكون الامام حقا ؟

ومتى يكون الخروج عليه بغير حق ؟

الامام الحق

الامام الحق هو الامام ... الذي تتوافر له شروط الامامة وتتوافر لحكمه الشرعية .

● ـ **وشروط الامامة** : ذكرها الفقهاء في ابحاث السياسة الشرعيـة وفي مقدمتها :

الاسلام والذكورة والعدالة والقرشية والعلم الذي رفعه البعض الى حد القدرة على الاجتهاد ... الخ .

وليس المجال مجال سرد اختلاف الفقهاء في هذه الشروط واتفاقهم على بعضها لكنا نكتفي بالقول بان مجمل هذه الشروط وجماعها ان يلي امر المسلمين اقدرهم على تصريف امورهم وفقا لشريعة الله بالحكمة والعدل والرفق ..

وعملية الاختيار للامام ـ التي يقوم بها اهل العقد والحل ـ ويعطي المسلمون من بعدهم البيعة له ، عملية الاختيار هذه أمانة ، وأمانة كبيرة ، إنه مقام إشهاد لله سبحانه .. بل أشد الوان الاشهاد واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال فيمن يولي امر المسلمين احدا وفيهم من هو خير منه .. فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » واذا كان الكاتبون يصرفون هذا الحديث الى الولايات الدنيا دون الامامة العظمى فإننا نراه كذلك منطبقا على الامامة العظمى من باب اولى لان الاختيار لها اخطر من الاختيار للولايات الدنيا بالنسبة لما يلي من مهام ولان الولايات الدنيا يمكن التغيير فيها والتبديل بالالتجاء الى الامام الاعظم ، اما الامامة العظمى فان تغييرها ليس سهلا وانه لاتوجد جهة دنيوية اعلى من الامام يلجأ اليها ومن ثم كانت مسئولية الاختيار ـ الواقعة على اهل الحل والعقد اولا ـ مسئولية عظمى وكان الغش فيها خيانة لله ولرسوله ولجماعة المؤمنين .

اما شرعية الحكم فتتوافر ان توافر له ركنان :

اولهما : إقامة شريعة الله :

ولا تكون مقامة حتى تتوافر شروط ثلاثة :

أ ـ ان يرد الشرع الى الله ابتداء .

لقوله سبحانه : (**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك**) الشورى / ١٣ وقوله : (**ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**) الأعراف / ٥٤ ، وقوله : (**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**) الشورى / ٢١ فدل ذلك ان الشرع هو خالص حق الله وأن من نازعه فيه فقد وقع في الشرك والعياذ بالله .

ب ـ أن تكون شريعة الله هي العليا .

ولاشيء معها ينازعها العلو . ولاشيء فوقها يعلو عليها .. وهو مأخوذ من قول الله سبحانه وتعالى : (**يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**) الحجرات / ١ ـ اي لا يكن لكم قول ، ولا شرع ، ولا رأي فوق أمر الله ورسوله .

وقوله سبحانه : **(يأيها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي)** الحجرات / ٢ دل على انه يحرم رفع صوت فوق صوت النبي كما يحرم رفع رأي او قول فوق قول النبي ــ وهو قول الامام ابن القيم وغيره من الفاقهين ــ ومن ثم فلا ينبغي لحكم ان يزعم لنفسه الشرعية اذا كان يجعل مع شريعة الله شرائع اخرى (كما كان الحال على عهد التتار اذ جعلوا مع الشريعة الاسلامية شرائع اخرى ، فأفتى العلماء بكفر من يرضي بذلك).

ومن باب اولى لايزعم حكم لنفسه الشرعية ، اذا فقد الحياء وجعل فوق شريعة الله شرائع اخرى (كما هو الحال فيمن يجعلون الشريعة الاسلامية مصدرا احتياطيا بعد التشريع الوضعي والعرف !!).

جـ ــ ان تطبق شريعة الله كاملة غير مجزأة .

في مجالاتها جميعا التي اشرنا اليها (العقيدة ، والاخلاق ، والشعائر ، والمعاملات).

فان نحيت ــ عن عمد ــ عن اي مجال من هذه المجالات ، فانه كتنحيتها جميعا يسقط عن الحكم القائم كل شرعية ..

لان رفض بعض الشريعة كرفضها كلها .

وصمه القرآن : بالكفر ، والجاهلية ، والفتنة ، ومحادة الله ورسوله ومن ثم فان تنحية حكم الشريعة عن النظام السياسي ، او النظام الاقتصادي ، او النظام الاجتماعي يسقط عن الحكم القائم وصف الشرعية !

ثانيهما : رضى المسلمين :

والمهم هو جوهر الرضى ، وليس شكله ، لان الاسلام لم ينزل قالبا خاصا يصب فيه الرضى .

لكن الرضى لازم :

لأن العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، لون من المعاملة ، والاصل في المعاملات الرضى ، أخذا من قوله تعالى : **(لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم)** النساء / ٢٩ ، يؤكد ذلك ان اسم هذه العلاقة هو البيعة وهو اشتقاق من البيع ، والبيع احد العقود الذي يقوم الرضى ركنا اصيلا فيها !

لأن ذلك فعل الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة حرصوا عليه ومن ثم جرت سنة منه ومن الخلفاء .

فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هم ان يقيم دولة الاسلام في المدينة ببيعة العقبة الاولى والثانية وحرص عليها كلما ادلهم خطب من الخطوب كما حدث في بيعة الرضوان حين تأخر عثمان وظن الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون ان الكفار قتلوه !

وحرص عليه الصحابة .. فلم يكونوا يكتفون بترشيح اهل الحل والعقد لهم

وبيعتهم اياهم ، ولكنهم كانوا يشترطون البيعة كذلك من سائر المسلمين .
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس لمستكره يمين » .
دل ذلك على ان الاكراه يبطل اليمين وبالتالي يبطل البيعة لانها كاليمين ومن ثم فان البيعة لاتصح الا مع الرضى او ان الرضى هو حقيقة البيعة التي تدل عليه .
لقول الله سبحانه : **(اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم)** النساء / ٥٩ .
فدل لفظ منكم على انه يلزم ان يكونوا من المؤمنين كما دل على انه يلزم ان يكون ذلك برضى المؤمنين لانهم لايكونون منهم بغير رضى منهم .
لقول عمر بن الخطاب : « فمن بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فانه لابيعة له ولا الذي بايعه ».
وهو ما اكده عمر بن عبد العزيز حين خلع نفسه من الامارة وردها الى المسلمين ليختاروا لانفسهم لانه ولى على بناء على ترشيح سلفه قائلا : « يا ايها الناس قد ابتليت بهذا الامر من غير رضا مني ولا مشورة من المسلمين واني قد خلعت ما في اعناقكم من بيعة فاختاروا لانفسكم ».

بهذين الركنين :

اقامة شريعة الله .
وتوافر رضى المسلمين ..
تقوم للنظام الشرعية ويصبح واجبا طاعته ونصرته ويعد الخروج عليه – بغير حق – بغيا يستوجب حد الحرابة .
اما ان تخلف الركنان او احدهما فان النظام تسقط عنه الشرعية ويعد القائم عليه باغيا ومن ثم فلا يعد اي خروج عليه بغيا ... وان كان في الامر تفصيل وشروط .

متى يكون الخروج حقا :

في الفقه اراء ثلاثة :
١ – **رأى اهل السيف : الخروج حق .** ولو كان لظلم وقع على فرد .
وقد اشتهر الخوارج بهذا الرأي لكن الامام ابن حزم ينسبه الى الائمة الثلاثة (عدا احمد) وينسبه الى شريك وداود ، والى الصحابة من الطرفين : على ومعاوية . ودليل هذا الرأي :
– قوله تعالى : **(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)** المائدة /٢ والسكوت على باطل او ظلم تعاون على الاثم والعدوان منهى عنه .
– قوله تعالى : **(فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله)** الحجرات /٩ .
فقد امر الله بقتال الفئة الباغية اي الظالمة حتى تعود الى الحق .
– قوله صلى الله عليه وسلم : « **من رأى منكم منكرا فليغيره ...** » الحديث رواه مسلم .

فقد امر بتغيير المنكر ايا كانت درجته ، واعلى درجات التغيير وافضلها التغيير باليد . ويؤكد احاديث النهي عن الطاعة في معصية .

ــ قوله عليه الصلاة والسلام : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، والمقتول دون دينه شهيد ، والمقتول دون مظلمة شهيد » رواه مسلم .

دل ذلك على منزلة من يدافع عن ماله ، او دينه ، او حقه فيقتل ، ومن ثم دل على شرعية القتال دون المال او الدين ، والحق ..

ويرى ابن حزم ان الاحاديث السابقة ناسخة لاحاديث اهل الصبر ولانها جاءت بشريعة زائدة .

ــ رأى اهل الصبر : الخروج ليس حقا :

وهو رأي غالبية فقهاء اهل السنة وسندهم في ذلك :

١ ــ امر الله بطاعة اولي الامر بعد امره بطاعة الله ورسوله وبالرد الى الله والرسول عند التنازع (**يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول**) النساء / ٥٩ .

ــ قوله عليه الصلاة والسلام : « ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، فمن تشرف لها تستشرفه فمن وجد ملجأ او معاذا فليعذ به » رواه البخاري .

ــ قوله عليه الصلاة والسلام « من رأى من اميره شيئا يكرهه فليصبر فانه من فارق الجماعة شبرا فمات مات ميتة جاهلية » رواه البخاري .

ــ قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه عبادة بن الصامت « دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه ، فقال فيما أخذ علينا ان بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وألا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان » رواه البخاري والأحاديث في المعنى كثيرة .

ــ فعل الصحابة : فان عثمان أبى أن ينخلع من الخلافة ، ولقي الله شهيدا وهو صائم يتلو القرآن ، واعتزل عدد غير قليل من الصحابة فتنة الخروج على علي ، كما فعلوا في خروج الحسين رضي الله عن الجميع .

ــ تجنب الفتنة ، لما يؤدي اليه الخروج من قسم لوحدة الأمة ، وتهديد لأمن الدولة يدفع بالضرر الأصغر وهؤلاء جميعا يرون وجوب الصبر ، ويحرمون الخروج .

● **رأي وسط** : لا يرون وجوب الخروج ولا تحريمه ،

وانما يرون جواز الخروج ، وجواز الصبر ،

ودليلهم في ذلك فعل بعض الصحابة الذين لم يشاركوا في الخروج ، ولم ينكروا على من خرجوا ، فدل مسلكهم على الجواز والاباحة دون الوجوب او التحريم .

● **ما نراه في هذا الخلاف :**

ــ لا نرى رأي ابن حزم في القول بنسخ احاديث الخروج لأحاديث الصبر ، لأن النسخ لا يصار إليه مع عدم امكان التوفيق ، والتوفيق ممكن بإذن الله . ولا نرى

الصبر على الاطلاق ، كما لا نرى الخروج على الاطلاق .
ونقول بعون الله تفصيلا لذلك .
ــ إن الكثيرين ــ ممن كتبوا حديثا ــ لم يفهموا القضية على وجهها الصحيح إن الذين رأوا الصبر يتحدثون عن نظام يقيم حكم الله ، وتقع منه بعض التجاوزات او بلغة العصر بعض السلبيات ، ومن ثم فهم لا يرون التضحية بنظام شرعي يقيم حكم الله من اجل بعض الأمور التي قد تكون فردية ، والتي يمكن تصحيحها بسبيل آخر غير تعريض وحدة الأمة وأمنها للأخطار !

وهم حين يتحدثون عن طاعة ولي الأمر ، يتحدثون عن طاعة ولي الأمر الذي يقيم شريعة الله بكل جوانبها وبمعناها الشامل لكل انشطة الحياة ، ذلك انهم يفهمون كما فهم السلف الصالح ، وكما ذكر المفسرون ، ان الطاعة الواردة في الآية الكريمة لم تجعل لأولى الأمر حق الطاعة استقلالا لأنها حين ذكرت لفظ الطاعة ذكرته مع الله والرسول ، ولم تذكره مع اولى الأمر ، فدلت هذه الاشارة الى ان طاعة الله وطاعة الرسول ــ باتباع القرآن والسنة ــ كلاهما يجب استقلالا ، ودل اسقاط لفظ الطاعة بالنسبة لأولي الأمر على ان طاعتهم لا تجب استقلالا ، وإنما تجب استمدادا من طاعة الله والرسول ، وتقيدا بطاعة الله والرسول ومن ثم ــ ومن الآية نفسها ــ إذا لم يكن اولو الأمر مطيعين لله والرسول ــ بعدم تطبيق الكتاب والسنة ــ فلا طاعة لهم ، وقد تأكد هذا المعنى بأحاديث كثيرة .
ــ إن الصبر المقصود في احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو الصبر مع الانكار بالقلب ، والاعتزال للمنكر وأصحابه ، وبالقول تعريفا ثم تعنيفا ، وباسقاط حقوق الحاكم في الطاعة والنصرة .. كل ذلك بتدرج .. حتى نصل إلى إسقاط الحاكم نفسه إن لم يكن في اسقاطه فتنة ، كأن يتم بوسائل دستورية حديثة مثل ما حدث للرئيس الأمريكي نيكسون عندما اتهم بالتستر على بعض المتهمين من انصاره ومحاولة حمايتهم فيما سمي بفضيحة « ووترجيت » .

لذلك نرى بعون الله :

أولا : وجوب الصبر مع النظام الشرعي

لأن الحفاظ على نظام يقيم شريعة الله حفاظ على الدين نفسه ، وهو يقف من الضرورات في المقام الأول .

كذلك فان الحفاظ على وحدة الأمة المسلمة ــ وهي التي توجد في نظام شرعي ــ حفاظ على إحدى الضرورات كذلك .

والحفاظ على سلامة الدولة الاسلامية ــ وهي التي تقيم هذا النظام الشرعي ــ حفاظ على احدى الضرورات كذلك .

فهذه الضرورات الثلاثة توجب الصبر أخذا بالآيات والأحاديث التي في المعنى ، والتي سبق الاشارة اليها .

ثانيا : وجوب الخروج على الكفر البواح

لكن إذا كان النظام يعدل عن شريعة الله ، او يعدل بشريعة الله ، فهذا هو

الكفر البواح الذي يوجب الخروج ، والذي عنته كل النصوص السابقة ، لكن يلزم للخروج شروط :

أ ــ توافر الكفر البواح

الذي عندنا فيه من الله برهان ، وليس مجرد المعصية او التجاوز في حالات فردية كما قلنا .

ب ــ استنفاد الطرق

من جهاد القلب مع الاعتزال ، الى جهاد الكلمة بمراحلها ، الى اسقاط حقوق الحاكم ، الى محاولة اسقاط الحاكم نفسه .

ذلك ان الخروج على الحكم اقامة للشرعية وتصحيحا لها .. ضرورة ، ولا يصار الى هذه الضرورة الا بعد استنفاد وسائل ادنى منها ، تماما كما لا يصار الى بتر عضو من جسد الانسان إلا بعد استنفاد وسائل ادنى من ذلك .

جـ ــ ان تتوافر القدرة

أن تتوافر لدى الخارجين القدرة على التغيير . وهذه يؤخذ فيها بالسنن الكونية أخذا بأمر الله (**وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة**) الانفال/ ٦٠ ثم يكون التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب .

وهذا الشرط وإن أهمله الكثيرون .

إلا أننا نجده في كتابات القدماء ، وإن اختلفوا حول معيار القدرة ، فقال البعض أن يتوافر عدد مثل عدد من قاتلوا في بدر ، لأن الله أنزل عليهم النصر وقال البعض الآخر إذا كان عدد الخارجين نصف عدد من سيخرج عليهم ، ولعله اخذا من قوله تعالى (**الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين**) الأنفال/٦٦

وعلى العموم فمعيار القدرة معيار موضوعي نسبي تبعا لظروف وملابسات كل حالة لكن المهم ان يقوم التقدير على اساس سليم ، وليس على اساس من خيال او هوى او حماس .

ثالثا : كيفية الخروج :

كما لا ينبغي ان يستعمل مبضع الجراح أي أحد ..

فلا ينبغي ان يقرر الخروج كذلك أي أحد .. لما يترتب عليه من آثار تحتاج الموازنة بين الأضرار ، كما تحتاج من قبلها الموازنة بين الضرورات ، ومن ثم فقد وجب ان يكون تقرير الخروج بيد اولي الحل والعقد .

وهم الذين وضعت الأمة الاسلامية فيهم ثقتها ليمثلوا ارادتها ، وهو وضع طبيعي ان يكون من عقد ابتداء بيده ان يحل انتهاء ، فيكون اليهم « قيادة الأمة » في هذا الظرف العصيب .

فاذا تم القضاء على « الكفر البواح » وجب ان تغمد السيوف ويعود الهدوء الى الأمة دفعا لأي خطر خارجي ، ومنعا من ان تتشعب الفتن ، وتتفرق الأمة .

الحج
مؤتمر المسلمين الأكبر

حج هذا العام .. هو آخر حجة نودع بها قرنا من التاريخ الهجري ، ونستقبل قرنا جديدا ، والحج هو مؤتمر المسلمين الأكبر .. الذي لا يكبره مؤتمر آخر .. تتوافد إليه ملايين المسلمين من شتى بقاع الأرض ، شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا ، ألسنتهم مختلفة ، ولغاتهم متباينة ، وأجناسهم وألوانهم متعددة .. ولكن يجمعهم شيء واحد هو الاسلام ، وإسلام الوجه لله جلت

للاستاذ : عبدالمقصود محمد حبيب

قدرته يضمهم الايمان بالله وبرسوله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام في بوتقة واحدة .. يوجههم إلى طريق واحد .. يلبون بلسان واحد .. ويتضرعون بقلب واحد ، إلى إله واحد .. كل منهم ألقى عن كاهله بعيدا بعيدا كل ما يحمله من توجه سياسي ، وما يعيشه من نظام اقتصادي .. ووقف في رحاب النبوة ، في بيت الله العتيق ، وعلى عرفات .. شامخا بايمانه قويا بعقيدته .. فترى هؤلاء الملايين إنسانا واحدا .. فكرا وعملا ، وتوجها وملبسا ، وأملا .. لا تستطيع أن تميز ما إذا كان هذا ألمانيا وذاك إنجليزيا أو روسيا أو عربيا .. ولا تستطيع أن تستخرج من بينهم في وقفاتهم تلك أيهم الغني وأيهم الفقير ، أيهم الأمير وأيهم الخفير .. كلهم عبدلله .. بكل معنى كلمة العبودية لوجهه تعالى .

وها هو مؤتمر هذا العام .. أهل علينا .. وتطلعت إليه نفوس كثيرة ، واشرأبت إلى نيل الوقوف فيه أفئدة عديدة ، ولم يمكنها من ذلك عدم الاستطاعة .. ولكن قلوبهم به وبمن فيه معلقة .. فهل يشرق هذا المؤتمر الكبير على القرن الهجري الخامس عشر .. بالوحدة الشاملة بين البلاد العربية والاسلامية تحت لواء دين الله الحق .. بعد أن لعبت الأهواء والاغراءات المادية والسياسية والدنيوية في تفتيت هذه الوحدة ، وتعميق الانقسامات فيما بين أعضاء الأسرة الواحدة .. إنه ديننا الحنيف الذي يقول كتابه الكريم وهو الفرقان فيما يقول : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس)** آل عمران/١١٠ ، **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)** آل عمران/١٠٣ ، وفي الحديث النبوي « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه النسائي والترمذي .

هو ديننا الحنيف ـ الاسلام ـ الذي شرع لنا هذا المؤتمر .. لا لمجرد التجمع فيه ، ولكن لشحذ الهمة ، واعتبار الموعظة ، والاستزادة من قوته قوة .. إنه مؤتمر الحج الذي نعود فيه إلى الله ، ونرجع من لقائه في هذه الأرض المطهرة ، إلى لقائه في كل ما نأتي وما ندع ، نسير على هديه ، ونلتزم طريقه ، ونهتدي صراطه المستقيم .. يغفر لنا سبحانه وتعالى إذا استغفرنا .. ويستجيب لنا إذا دعونا .. ويثمر عملنا بفضله إذا صدقنا النية والطريق ..

ولقد قال عليه الصلاة والسلام : « الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم ، وان استغفروه غفر لهم » رواه النسائي « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » رواه البخاري .

« إن هذا البيت دعامة من دعائم

الاسلام ، فمن حج هذا البيت أو اعتمر فهو ضامن على الله ، فان مات أدخله الجنة ، وإن رده إلى أهله رده بأجر وغنيمة » رواه الطبراني ، « من أراد الحج فليتعجل فانه قد يمرض المريض وتضل الضالة ، وتعرض الحاجة » رواه احمد وابن ماجة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « معشر الناس : أتاني جبريل عليه السلام فأقرأني السلام ، وقال إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات وأهل المشعر الحرام وضمن عنهم التبعات » .

فقام عمر بن الخطاب وقال : يارسول الله أهذا لنا خاصة ؟

فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « هذا لكم ومن أتى بعدكم إلى يوم القيامة » فقال عمر رضي الله عنه : كثر خير الله وطاب رواه أبو داود.

وفي الأشهر الحرم يبادر المسلمون إلى الجهات المسئولة تأهبا لأداء دعوة الله إلى حج بيته الحرام ، ويتوافدون من كل فج عميق على مكة المكرمة ، وقد غمرهم فيض من السعادة لا يداني ، وضاءت نفوسهم بالرضا والحبور ، واطمأنت أفئدتهم لنسمات الشوق تداعبها .. الشوق العذب إلى اللقاء بأسعد لحظات العمر حين يصلون ليشهدوا الكعبة الشريفة حيث قبلة المسلمين في شتى بقاع العالم من شرقه وغربه وشماله وجنوبه .. وليروا مدارج رسول البشرية كلها .. وليروا أول بقعة ترددت فيها صيحة الحق من أجل حياة كريمة ، وقلب نظيف ، وإيمان مضيء برب قوي قدير وسلام يعم الدنيا كلها ، على أساس من المحبة والتقاء القلوب .. في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، لتنقذ العالم كله من ضلال الوثنية والانحراف ، وتدعو إلى توحيد الله ، وإلى مكارم الأخلاق وإلى العدل والاحسان ، وإلى إزالة كل ما أدخلته الوثنية على حياة البشر ..

وهنا تتمثل وحدتهم ، ويبدو تآلفهم ، وقد أصبحوا جميعا في صعيد واحد ، في رحاب خاتم الرسل وأكرم الانبياء ، وفي رحاب أول بيت وضع للناس أمنا ومثابة ، وليحظوا بما كتب الله لهم: **(إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا)** آل عمران /٩٦ و ٩٧ .

وهناك حيث تقف الآلاف الزاخرة من الحجيج وملء نفوسهم القناعة ، وملء ضمائرهم الخشوع ، وقد نضوا عن أجسادهم ما تعودوا عليه من ثياب ، وما ارتاحوا له من مظاهر زينة وتجمل ، يقفون جميعا وقد تساووا فيما بينهم ، أولهم مثل آخرهم ، لا يعرف فيهم فقير ولا غني ، بل الجميع على قدم المساواة أمام وجه الله . متجردين من صنعة الدنيا وألوانها ومظاهر طبقاتها وتفاوتها .. عائدين بما هم فيه من مظهر الاحرام إلى وحدة المظهر ، يحاكون بها وحدة العقيدة والايمان ، ولا يكون أمام بصائرهم إلا الذي

أضاء بفضله رحاب بصائرهم ، فتشملهم عظمته ، وتظلهم رحمته ، ويكون شعارهم الدائم ، وكلماتهم الصاعدة من أعماق القلوب هذا النشيد الالهي الذي يعبرون به عن وضعهم أمام جلال الله ، رب السماء والأرض وما بينهما .. يتجهون إليه بكل جارحة من جوارحهم ، يشكون إليه ضعفهم وقلة حيلتهم ، ويطلبون منه العون والقبول في ساحة رضاه وغفرانه « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » في أصوات خاشعة ضارعة ملتمسة الى خالق الوجود .. وهي من توحدها .. صوت واحد ..

مظهر ما أجمله من مظاهر الوحدة الشاملة ، حيث يجتمع هذا الجمع الحاشد من جنسيات مختلفة ، ووطنيات كثيرة ، وبلاد متباعدة الحدود ، بينها فواصل جغرافية كبيرة وبعيدة .. وتراث حضاري مختلف ، يجتمعون هنا على أمر واحد .. يقصدون بيتا من أكرم بيوت الله ، فيتعارفون ، ويتعاونون ، ويفكرون فيما فيه صلاح أمرهم ، واعتدال أحوالهم ، وكلهم جمع بينهم الخضوع لله رب العالمين ، وهم يحسون بالأخوة في الله تربط بينهم ، وبالمحبة تقدمهم الى بعضهم ، فالعربي أخ للهندي ، والباكستاني ، والأفغاني أخ للصيني ، وأخ للاندونيسي والروسي والاميريكي والأوروبي .. جمعتهم وجهة واحدة ، وهدف في القلوب كلها واحد ..

تجشموا الطريق ليصلوا إليه ، تاركين وراءهم أموالهم ، وأولادهم ، وأقرباءهم ، وبلدانهم ، ملتمسين الرضا الرباني .. معتقدين في رسوخ أن الله وحده هو العظيم ، وأنه وحده هو الكبير ، وأنه وحده دون الحول والسلطان في الدنيا والآخرة ، وأن دينه دين الوحدة والجماعة في شعائره ونظمه التي رسمها للحياة .

نعم .. إن الحج وقفة وطواف .. وقفة هي الضراعة الذليلة أمام الصمدية العزيزة ، وطواف هو طواف المحب الدائم .. وقفة وطواف .. وقفة الجندية القوية المضحية في عرفات ، وطواف العهد والميثاق ببيت الله الحرام .. وقفة وطواف هما نهاية المراحل للعبد المؤمن في سلوكه إلى مولاه المهيمن ، هما حقيقة الركن الخامس والأخير من أركان الاسلام وهو الحج .. « بنى الاسلام على خمس شهادة ألا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله . وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » رواه احمد والبيهقي .

(ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) لقمان / ٢٢ .

وللحج أسرار كريمة ، ومعان إنسانية مشرقة ، تكمن خلف مظاهره .. وقد تحدث عنها فضيلة المرحوم الشيخ محمود شلتوت فقال :
إن الحج لم يشرع لمجرد ذكر الله ، ولا لمجرد طواف المسلم منفردا ببدنه حول بيت الله ، ولا لمجرد وجوده واكتحال عينه بالمشاهد المقدسة ، وإنما شرع

لذلك وأعم منه .. شرع ليكون السبيل لجمع المتفرق ، ولم المشتت ، وتقابل الآراء بالآراء ، ثم ليعود المجتمعون وقد حملوا مسئولياتهم المشتركة ، وأخذ كل منهم نصيبه منها ، ويعمل مع أهله ومواطنيه على تحقيقها ، والقيام بواجبها في حفظ إنسانيتهم ، ورسم طريق سعادتهم وليتكون من جميعهم أمة واحدة ، هي الأمة المثالية الفاضلة التي أعلى الله شأنها ، ورفع ذكرها في كتابه الكريم **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** آل عمران / ١١٠ .

وقد اختار الله لهذا الاجتماع العظيم ، ولتلك الرحلة الربانية الكريمة ، أماكن الذكريات المقدسة ، ومهابط الرحمة الالهية ، من عهد ابراهيم الخليل إلى عهد حفيده خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله ، لتعرف الانسانية وحدتها ، وتعرف أن دعاة الايمان سائرون في طريق واحد ، وعلى منهج واحد .. هو طريق الله . وتفهما لهذه الأسرار الكامنة .. يجب أن تتغير نظرتنا إلى الحج يجب ألا يصبح الذهاب إلى الكعبة تذكرة لدخول الجنة بعد عمر مديد ، أو محاولة سانجة لشراء الغفران بعد حياة حافلة .. يجب ان تكون للحج قوة سياسية ضخمة ، ويجب أن تهرع صحافة العالم إلى متابعة أنبائه ، لا بوصفه مراسم وتقاليد ، وإنما بوصفه مؤتمرا سياسيا دوريا يجتمع فيه كل قادة الدول الاسلامية ، ورجال الرأي فيها ، وعلماؤها في كافة أنحاء المعرفة ، وكتابها ، وملوك الصناعة فيها ، وتجارها ، وشبابها ، ليضعوا في هذا البرلمان الاسلامي العالمي خطوطا عريضة لسياسة بلادهم ، وتعاونها معا ، حتى يحين موعد اجتماعهم من جديد بعد عام ..

لقد كانت بلاد الاسلام كلها كأنها بلاد واحدة ، فلا فواصل تفصل بينها أبدا ، ولا قيود ، ولا سدود ، ولم يجرؤ واحد على إقامتها .. وكانت الصلات وخاصة بين العلماء والقواد على تمام قوتها وجمال ثمرتها .. مهما كان من تباعد الديار .. والفضل الأعظم في هذا التقارب ، وهذا الاتصال يعود إلى الحج دون مراء .. وسيبقى للحج خلوده .. ولرسالته إشراقها .. ولمنافعه آثارها إلى يوم الدين .. فهو فرض من فروض الدين الاسلامي الذي هو دين الحياة ، ودين الايجابية الفعالة لاقامة حياة قوية بالوحدة وبالعدالة وبالحرية ، وبالمحبة وبالسلام .. فلماذا لا نستجيب لدعوة الايجابية النابعة من هذا الفرض ، ويكون هذا المؤتمر الكبير خطوة عظيمة يخطوها الحجيج كل عام في سبيل الانتصار لقضية الوحدة الشاملة ، واسترداد الأرض السليبة ، وتحرير المقدسات المغتصبة ، وردم وهاد الفرقة بين ابناء امة واحدة حتى تسمو كما كانت ، وتقود كما كانت ، وتشع على العالم أمنا وحماية ، وحرية وعدالة انسانية كما كانت ..

لحظات في رحاب

الخليفة الثاني

عمر بن الخطاب

محمد مؤذن

للاستاذ : محمد الخضري عبد الحميد

في كتاب ضخم وفريد ، اثار ـ بصدوره حديثا ، بالولايات المتحدة الأمريكية ـ اهتماما بالغا .. لم يك غريبا أن يختار مؤلفه ـ د. ميكل هارث ـ شخصية الرسول الكريم (محمد) صلوات الله وسلامه عليه : الشخصية الأولى ، رقم (١) في سلسلة الترتيب من حيث الأهمية وقوة التأثير في التاريخ الانساني بكافة . الكتاب عنوانه (المائة) ، وشخصياته هم : أهم مائة إنسان في طول التاريخ وعرضه تأثيرا في حياة الانسانية إجمالا ، و ـ نكرر ـ ليس بالمستغرب البتة ، فضلا على انه : البديهي الذي لا جدل عليه ولا مناقشة ، ان يكون (محمد) هو الأول والأهم .. إلا ان القارىء العالمي بالتأكيد توقف طويلا عند إيراد شخصية (عمر بن الخطاب) ضمن أولئك (المائة) الذين استخلصهم المؤلف من بين زحام الرواد والعباقرة وشوامخ الرجال على امتداد تاريخ الانسانية بوجه الاجمال .

وفي الحق أن شخصية (عمر) : واحدة من أبرز تلك الصروح الأخلاقية الشاهقة الفريدة ، التي أنضجتها مدرسة النبي العظيم (محمد بن عبد الله) عليه الصلاة والسلام .. وما أحوج شبابنا العربي عامة ، وشباب الاسلام على الخصوص ، إلى تأمل وتدبر ما يصدر عن تلك الصروح الفارهة الباهرة ، من شعاعات هادية ومضيئة أبدا .. فلقد يجيء ـ بعد التأمل والتدبر ـ : الارتواء .. فالاقتداء .. و : « إنما الأمم الأخلاق ما بقيت » فان هموا ارتووا ، واقتدوا .. سادوا .. وارتقوا ..

اشتهر « عمر » بالعدل .. واشتهر العدل به .. فهو (أبو العدل) ـ كما وصفه الأديب العربي عباس محمود العقاد ـ وانه ليعلم كم هو قوى .. تدفعه إلى تلك المراقي السامقة من القوة : غيرة شديدة للحق ، وللعدل .. ومن ثم فانه لم يكن عجيباً أن يقول للناس ـ هكذا مباشرة ، وفي بساطة ، وبلا تزويق ـ في أول خطبة يلقيها عليهم ، بعد أن تمت البيعة له :

ـ أيها الناس .. إنكم قد ابتليتم بي .. وابتليت بكم !

قول جامع حاسم ، ثري المعاني ، في إيجاز بليغ دونه كل إطناب . في هاته الكلمات القصار : يعني (عمر بن الخطاب) أنه ، في إقرار العدل وإحقاق الحق .. لن يرحم أحدا حتى نفسه .. لن يهدأ ولن يفتر .. لا هوادة ولا مهادنة أمام أي حيف أو جور .. فما أثقل التبعة على الطرفين حقا .. على الناس .. وعليه !!

لكنه ، على الرغم من تلك الشدة في موطن الشدة .. لم يكن قاسيا على طول الخط ، ولا شديدا عنيفا دائما وفي كل شيء .. فان في حياته المضيئة جوانب يبدو (عمر) فيها : رقيقا كل الرقة ، بسيطا متناهيا في البساطة .. فلم يكن أبغض إليه ـ مثلا ـ من التكلف والمتكلفين . إنه يزدري المتعالين بغير مبرر ، ويعطيهم بنفسه ـ ومن ذات نفسه ـ : (مثالا مضادا) ، يصغرهم به ، يضغطهم إلى أحجامهم الطبيعية ، و .. وتعلو بساطته وتسمو على تكلفهم المفتعل .. فيضطرون إلى التراجع عن استعلائهم مرغمين .. ويعودون ـ صاغرين ـ : طبيعيين . (عاديين) ! .. يحدث أن يتأخر عن الصلاة .. حتى إذا جلس على المنبر ، يرى أنه لا بأس مطلقا من الاعتذار للناس ، بالعذر الحقيقي :

ـ لقد أخرني قميصي ...!!

أجل !. لم يجف قميصه ، الذي كان غسله ، فانتظر حتى يجف .. و .. وجاء ليصلي وليؤم القوم ، فـ ... فلماذا اصطناع أعذار أنيقة ، يتكلف فيها التعالي بما ليس حقيقيا ؟!.. ولا ينقص هذا شيئا من مهابة واحترام الناس له . العكس هو الذي يحدث : مزيد من حب وإجلال وإعجاب لعمر ...

كان (عمر) قبل أن يشرح الله قلبه بالاسلام : من عتاة المناوئين للنبي .. وكدأبه حينما يقتنع أخيرا ، بأن ههنا (حقا) ساطعا ، فيعتنقه بكل ما أوتى من قوة ، وأن هناك (باطلا) بينا ، فلا يتردد في أن يلفظه بحدة لفظا ، بل وينقلب عليه تواً ، بذات القوة والعنفوان .. ما أن يضيء نور الاسلام فؤاده ، حتى ينطلق

صاعدا في معارج الترقي .. فيصبح (عمر) الذي أعز الله الاسلام به حقا ..

ومن أقواله حول قصة إسلامه ، ما يعطي توكيدا عمليا على نوعية رد الفعل في تلك النفس الكبيرة القوية .. « لما أسلمت تلك الليلة .. تذكرت أى أهل مكة أشد لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عداوة ، حتى آتيه ، وأخبره أني قد أسلمت .. قلت : (أبو جهل) . فأقبلت حين أصبحت ، حتى ضربت على بابه .. فخرج إلي أبو جهل فقال : (مرحبا واهلا بابن أختي ، ما جاء بك) ؟. قلت : (جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله ، وبرسوله محمد ، وصدقت بما جاء به) !.

كان قد جاء الحق ، وزهق الباطل .. فلا مهادنة إذن ، ولا أدنى مصانعة مع باطل ، مهما يكن ذلك الباطل هاما أو مصدر خطر .

كان لـ (عمر) هيبة خاصة .. حتى أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم كان يوقره ، ويحرص على أن يحفظ له تلك المهابة .. وفي ذلك تروى أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .. أنها طبخت حريرة ، ودعت (سودة) أن تأكل معها ، فأبت .. فعزمت عليها لتأكلن أو لتلطخن وجهها . فلم تأكل برغم ذلك . فوضعت عائشة يدها في الحريرة ، ولطختها بها .. والنبي حاضر يضحك ، بمعهود سماحته ولطفه ، وليقينه بأن لكل وقت مناخه ودواعيه .. لكنه ـ عليه أزكى السلام ـ وحتى في وقت (صفاء عائلي) وأثناء (مرح منزلي) كذاك : لا ينسى ـ وهو منشىء وامام مدرسة الحق والعدل ـ مقتضيات الحق والعدل ، هاهنا أيضا .. فيضع الحريرة في يد (سودة) ويقول لها مشيرا إلى عائشة ، التي كانت البادئة : ـ (لطخي أنت وجهها) !. بالطبع . واحدة بواحدة ، ولا تفضيل أو تجاوز لاحداهما على الأخرى . ففعلت . و .. عندئذ مر (عمر) .. فناداه النبي : (يا عبد الله) .. ثم انثنى جانبا ، يقول على عجل للاثنتين معا : (قوما فاغسلا وجيهكما) .. وتختتم عائشة روايتها بهذا التوكيد : « فما زلت أهاب عمر ، لهيبة رسول الله إياه .. » .

ومن مظاهر الهيبة التي اختص بها عمر بن الخطاب بأكثر وأظهر من سواه .. أن الصبيان الصغار ، وهم يلعبون .. كانوا ـ حال أن يهل على الطريق (عمر) ـ سرعان ما يفرون عن طريقه جميعا .. .. لكنه ، ككل رجل قوي ، يحب الانسان الشجاع ، الذكي ، وان كان حدثا صغيرا .. فلما مر ذات يوم ، وفر الصبيان من أمامه إلا واحدا ، ثبت مكانه لا يتزحزح .. راقه أن يرى ذلك الذي لم يفعل كما فعل أقرانه .. فتقدم (عمر) منه هاشا باسما راضيا ، يسأله في وداعة ولطف : (مالك لم تفر معهم) ؟.. فأجاب الصبي بهدوء وثقة ـ وكان عبد الله بن الزبير ـ : (لم أجرم فأخافك .. ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك) !.. ويعجب عمر بهذه الاجابة .. وتسعده ثقة الفتى بنفسه .. ويتنبأ بأن سيكون له شأن . وقد كان .

.. ولأنه نصير الحق والعدل .. عدو الخيلاء والزهو .. فان مهابته لم تكن تصدر عن أبهة سلطة أو سموق منصب ، وانما كانت تنبع وتشع من نفاسة وثراء

شخصيته ذاتها .. شخصية تزخر أعماقها بنفائس من كنوز خلقه ، فيكون الاشعاع الساطع من داخله ، المنعكس بتلقائية على كل من يلقاه : موحيا بما هو في أعطاف ذلك الاهاب الشامخ من محتوى .. فلا يكون من (المتلقى) إلا : مشاعر الاجلال ، وصادق التوقير ، دونما حاجة إلى تفسير .. ولننظر بتمعن إلى ابن الخطاب جالسا في صحن المسجد ، تأهبا لتأدية صلاة جامعة ..و .. لنرقبه ـ هو فحسب ـ حين يدخل إلى المسجد رجل رفيع المكانة ذائع الصيت فاقع الشهرة كـ (خالد بن الوليد) .. ابتداء ماذا يمنع شخصا كخالد أن يلتمس لزينته شيئا من زينة خاصة ، وهو (البطل) المقدام ، ذو الانجازات الباهرة الخارقة ؟؟.. عند الكل : لا ضير ، لا جناح ، لا أقل مأخذ !.. لكن : أعند (عمر) يستوى الأمر ؟؟.. ندقق ونركز لنلحظ كيف أن ما عند عمر شىء جد مختلف !.. يصوب نظرة (عمرية) إلى الداخل للمسجد ، فيراه وقد تأنق في لبوسه ، وزاد على الأناقة بأن أسبل على ثيابه قباء ، وغرز في عمامته أسهما !!.. وبكل بساطة وقبل أن يأخذ خالد راحته في القعدة بين صفوف الناس ، يقف عمر ، ويتمشى إليه ، و .. يتصرف !!. و .. ولا يدهش الناس ولا يذهلون وهم يرون عمر وقد وقف على رأس (خالد) الذي هو قائد وفاتح .. ثم يميل عليه ، ثم يبدأ ينتزع من عمامة رأسه وأغطية جسمه كل تلك (الزوائد) من الأشياء ، تباعا ثم يحطمها ويلقي بها جانبا .. ثم يكر إلى مكان قعوده راجعا !. انتهت (اللقطة) ، والى هنا ولا أحد يدهش ، ولا اى شخص يصدر عنه أقل ملمح من تعجب ، وذلك كله طبيعي واعتيادي في محضر (عمر) ولكن !.. ولكن ماذا بالنسبة للقائد المغوار الذي شهدت له ساحات الحروب وأقرت لبسالته كافة الأصقاع ؟. ما رد الفعل عند (خالد بن الوليد) الذي حدث له ـ على يدي عمر ـ ذلك كله ، على مرأى ومسمع من بني قومه ؟.. لا شىء . مطلقا وثباتا . يطرق خالد في صمت ، يسكت تماما وقد أدرك على التو أنه ـ بالتأكيد ـ أخطأ بالتزين بتلك الأشياء ، ويترك يدي عمر تنتزعان وتحطمان وتبعثران ، وهو صامت ، ساكن ، لا يريم !.. لم يرفع إليه عينا . لم يدع فاه يخرج حرفا . ولولا وجود هيبة حقيقية لشخص (عمر) .. لقد كان يمكن لخالد أن يعترض أو يحتج ولو قليلا .. حتى ولو بمجرد (كلمة امتعاض) أو حتى (همهمة استياء) مثلا !!

وما أكثر المأثورات (العمرية) الشهيرة جدا ، الباقية ـ وضاءة ـ أبدا .. كحمله الدقيق على ظهره .. تحت جنح الليل .. إلى حيث تقبع امرأة لم تجد ما تطعم به صغارها .. وبقائه معها ، حتى طبخت لهم وهو يساعدها .. ولم يغادرها حتى شبع ونام اطفالها .. ومثل استقدامه بعض الولاة الذين حادوا عن طريق النزاهة المطلقة التي رسمها لهم ، ثم اقتسامه ـ على رءوس الأشهاد ـ أموالهم .. الأموال التي جلبتها (الوظيفة) إليهم ، ولم تجلبها مواهب شخصية كامنة في (حضراتهم) !!.. ما أكثر الأمثلة في ذلك .. وكلها ناطقة بمدى القوة الهائلة والفريدة التي مضى بها (عمر) : ناشرا عدله بين الناس .. واثقا أنه

المسئول ـ شخصيا ـ عن طمأنينة وأمن كل فرد .. وهو بالمنطق الذي يجابه به الآخرين حينما يخطئون : يجابه ، كذلك ، بنيه ، وأهل بيته ، إذا حدث من اى منهم نفس الشيء .. إنه يحمل بعنف على ابنته (حفصة) زوج الرسول ، ويحذرها بشدة من التمادي في التدلل ، أو من مسايرة صاحبتها ـ عائشة ـ فيقول لها عبارة : نستشف من ورائها كم هو شديد التواضع حقا :

ـ « أين أنت من عائشة .. وأين أبوك ، من أبيها » ؟!

وفي موقف آخر .. يدرك عمر أن ابنته كانت سببا في غضب الرسول .. فيذهب مزمجرا يصيح بأعلى صوته ، على باب الخزانة التي اعتكف فيها النبي وعلى عتبتها يقوم غلامه (رباح) لا يسمح لأحد بالدخول عليه :

ـ يا رباح .. استأذن لي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فاني أظنه ظن أني جئت من أجل حفصة .. والله لئن أمرني بضرب عنقها لأضربن عنقها .

بذلك القول الصادق أعطى عمر : توكيدا آخر ، معلنا ، بأنه لا يحابي أحدا ، وان كان : ابنته .

ومع ذلك ، وبالرغم من كل ما بذل من ذات روحه العالية .. عطاء ، وجهدا ، وبذلا .. هل كان (عمر) راضيا قريرا ، مطمئنا إلى أنه يؤدي الواجب خير أداء ، وأنه ليس في الامكان أفضل مما كان ؟.. كلا !. فانه تارة يبكي إذا تصادف ورأى أحدا حرم ثمار عدالته ، فيروح يردد في تبكيت : (أهلكت نفسك يا عمر) .. وتارة أخرى ينفرد بنفسه في الطرقات ، فيأخذ تلك النفس الكبيرة ـ التي تعب في مرادها الجسم ـ ويختلى بها هناك بعيدا عن الأعين والآذان ، في (حصة) توبيخ ومعاتبة ، وينبري يصليها محاسبة ، ومناظرة .. يمعن في مقارعتها وايلامها ، والتحرش بها ، وتحديها ، وانذارها .. ثم يستدير عائدا ليخاطب نفسه ككل ، متفكها ، متوعدا ، فيها مس ذاته ، موجها إلى كل شخصيته هذا الخطاب : « بخ بخ يا ابن الخطاب . أصبحت أميرا للمؤمنين » !. اي : ها قد صار لك الأمر .. فأرنا ماذا أنت فاعل ـ يا عمر ـ هل أنت ، يا ترى ، أهل لحمل التبعة ، أم ماذا ؟!

وفي القليل النادر (قد !) يبدو راضيا ، شيئا ما ، عما يبذله من أجل الخير العام .. فاذا حدث واهتزت الأرض ، كما في قصة الزلزال .. لا يتمالك أن يضرب الأرض بالدرة ، وهو يقول لها مخاطبا ، كما اعتاد أن يخاطب أشياء كثيرة :

ـ (اسكتي . ألم أعدل عليك) ؟؟

إنه جريا على عادته في مخاطبة عديد من الأشياء .. مثلما خاطب الأرض متسائلا : لماذا هي تهتز ؟.. لماذا التململ والاهتزاز ، والعدل من فوقها قائم ومنشور .. يحدث أن يخاطب مرة : البطن ـ بطنه ! ـ حينما لم يكن يطعمها سوى (الزيت) ، بعد أن حرم على نفسه السمن لأنه شح حتى لم يجده الناس .. فكانت بطن (عمر) تقرقر .. فيميل متسمعا إلى قرقراتها ، ثم يهتف عاليا

موجها تعليقه لها :

ــ « قرقري ، أو لا تقرقري .. فلا والله ، حتى يجد الناس » ..!!

ومن سلسلة مخاطباته الفريدة تلك .. حدث أنه خاطب (النهر) !.. بل وحرر إليه ــ إلى نهر النيل !ــ رسالة ، حافلة بالأسئلة .. بعث بها إليه على ملأ من القوم .. وجعل شهود واقعة (تصدير الرسالة) ينتظرون من (المرسل إليه !) الرد والاجابة !.. فقد كان من عادة المصريين قديما : أن يلقوا في كل عام إلى جوف ماء النيل : فتاة جميلة ، مزينة بالملابس الملونة الزاهية ، والحلى النفيسة ، تتضوع أعطافها بأريج أندر وأغلى العطور والطيوب .. كانوا يسمونها (عروس النيل) ، وكانت تهدى ــ سنويا ــ إلى النهر ، قربانا وزلفى ، كي يظل يجري ويفيض ويستمر عطاؤه موصولا بالغرين والماء الوفير .. واستمر ذلك (الاجراء) الجاهلي قائما حتى كان الفتح الاسلامي لمصر .. وآذنت مناسبة إلقاء عروس النيل ككل عام .. ولم يستسغ (والي مصر) هذا التقليد ، فأوقف تلك الاجراءات حتى يرد الرد من أمير المؤمنين عمر ، وكان قد رفع إليه تقريرا ضافيا بفحوى تلك المسألة ، وفي نهايته طلب الافادة عاجلا ــ وعاجلا جاء الرد من عمر يأمر الوالي ــ ابتداء ــ بايقاف المهزلة ، حتى تنجلي ، أمام كل الناس : الحقيقة .. ومع الافادة جاءت رسالة من (عمر) موجهة صيغتها إلى (النهر) ، وطلب إلى ابن العاص أن يلقي بها أمام الجموع الحاشدة إلى النهر ذاته . تقول الرسالة :

ــ « من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .. إلى نيل مصر .. أما بعد .. فان كنت تجري من قبلك ، فلا تجر !. وان كان الواحد القهار يجريك .. فنسأله أن يجريك » !

وألقيت الرسالة ، بعد أن قرئت علانية ، إلى النيل .. وترقب كل الناس ، في فضول عارم (إجابة) النهر .. فكان جوابه ، بطبيعة الحال ، أن ظل يجري ، كمعهود شأنه ، بل وفاض منسوبه عن أى عام سبق ، بلا ضحايا من عذارى بريئات .. وأفاق الغافلون وسحقت بساطة الحقيقة : ظلامات الجهالة .. ومنذ ذلك الحين انتهت الخرافة .

ولأنه (عمر الفاروق) ، الذي فرق بين الحق والباطل ، لا يختلطان ، ولو فصلت بينهما شعرة .. فان هذه الغيرة الشديدة على الحق .. قد تجعل بعض أعماله وأقواله تبدو كما لو كان بها شيء من الحدة غير المألوفة .. لكن سريرته جياشة بالرقة واللطف ، حافلة بفيوض البر والحدب ، واللين أيضا .. في عام المجاعة ، رأى عمر بثاقب نظرته ، وعمق درايته بـــ (روح) القانون فضلا على نصوصه : أن يتجاوز عن تطبيق الحد على السارق ، مراعاة لقسوة الظروف .. وفي مشهد آخر نراه يطل على (منظر) يحتدم فيه عويل النساء وبكاؤهن بشكل عنيف مثير ، و .. تأمل المنظر ، ومضى لحال سبيله ، دون تعقيب أو تعليق !.. فلما سئل باستغراب لماذا لم ينههن عن ذلك ، وهو الذي كان ينهي عن تلك

الأفعال .. وكانت الجنازة لوفاة (خالد بن الوليد) .. قال مجيبا :

ــ « دعهن يبكين على أبي سليمان ، ما لم يكن نقع أو لقلقة .. على مثله تبكي البواكي » .

.. واذا كان الصحاب يشهدون لامرىء بالخلق الحسن .. فالفضل ــ لامراء ــ ما شهدت به الأعداء .. وحتى ألد الأعداء يشهدون لــ (عمر) بالصدق في القول .. وهذا حوار دار في مشهد حزين ، من مشاهد النكسة التي ألمت بالمسلمين في غزوة أحد .. فقد كان المشركون الموتورون ، مزدهين سعداء بنصر عارض لم يتكرر قط .. أشاعوا أن النبي قد قتل في المعركة ، و .. سر كثيرا لذلك النبأ (أبو سفيان بن حرب) ، وأراد أن يتأكد ، فانطلق متلهفا تجاه المعسكر الآخر ، حتى أشرف على الجبل ، ويشرئب بعنقه من فوق جواده وهو يهتف متشفيا : هل ما انيع ــ يا قوم ــ عن وفاة محمد في المعركة صحيح ؟!.. ويكلف النبي واحدا من ثقاته بالوقوف للرد على المتسائل ، حتى يكون لنفي الخبر وتكذيبه وقعه الصحيح .. وكان المنتدب لهذه المهمة هو (عمر بن الخطاب) .. ففعل عمر ، وكذب في حسم الاشاعة التي روجها (ابن قمئة) .. وكان سؤال ابى سفيان هكذا :

ــ أنشدك الله يا عمر .. أقتلنا محمدا . وهكذا كان جواب عمر :

ــ اللهم لا .. وانه ليسمع كلامك الآن .

عند ذاك لا يسع الرجل ــ وهو العدو ، المتشكك ــ وقد سمع النفي والتكذيب من (فم عمر) إلا أن يصدق على الفور ، وبلا نقاش .. والا أن يكون تعليقه على هذا النحو :

ــ أنت عندي أصدق من ابن قمئة ، وأبر .

إنه (عمر) الذي أجمع على اختياره الصحابة ، عندما اشتد الوجع بأبى بكر ، فقال عثمان بن عفان معلقا على الاختيار :

ــ « إن عمر سريرته خير من علانيته .. وليس فينا مثله » . وانه (عمر) الذي ــ كما قال عبد الله بن مسعود :

ــ « كان إسلامه فتحا .. وكانت هجرته نصرا .. وكانت إمارته رحمة » .





حقوق الانسان

في ظلال التربية الإسلامية

تمهيد :

في العاشر من شهر ديسمبر عام ١٩٤٨ صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة ما يسمى بالاعلان العالمي لحقوق الانسان ، وقد جاء فيه : إن للناس – باعتبارهم آدميين – حقوقاً ، يجب على الجميع احترامها ، ومن هذه الحقوق : حق الحرية ، وحق المساواة ، وحق الملكية .

ولكن هل هذا هو أول إعلان لحقوق الانسان ؟ قد يكون هذا بالنسبة للمجتمع العالمي ، اما بالنسبة لبعض المجتمعات فقد سبق شيء من هذا .



للاستاذ علي القاضي

فمنذ قرنين كتب « هيجل » مؤلفه الشهير « فلسفة التاريخ » وتحدث فيه عن حقوق الانسان ، وكان يقصد بذلك حقوق الانسان في المجتمع الأوروبي فقط ، وفي ١٦ من يوليه عام ١٧٨٩ خلال الثورة الفرنسية أعلنت حقوق الانسان عن الجمعية الوطنية الفرنسية ، وقد فهمت أيضا على أساس أنه الانسان الغربي فقط ، ومن هنا ، فقد استمر الاستعمار الغربي يستغل الدول في العالم كله غير مراع إلا حقوق الانسان الغربي فقط ، وكأنه من طينة أخرى غير بقية الشعوب .

وحتى الاعلان الذي جاء عن طريق الجمعية العمومية للأمم المتحدة عام ١٩٤٨ تم بعد تقسيم فلسطين ، وإعطاء جزء من أرضها إلى الصهيونية العالمية لانشاء دولة لهم على حساب غيرهم ، وعلى أرض ليست لهم ، وكأن المطلوب هو حقوق الانسان اليهودي ومن هنا فقد كان من المقبول ــ حسب هذا المفهوم ــ تشريد الفلسطينيين خارج وطنهم .

والولايات المتحدة الأميركية ــ أبرز اعضاء الأمم المتحدة ــ لم تعلن رسميا إلغاء التفرقة العنصرية ومنح الزنجي حق الانتخاب إلا منذ عشر سنوات تقريبا ، ومع هذا ، فان الاعلان تم من الناحية النظرية اما من الناحية التطبيقية فلا زال "عشرون مليون زنجي أميركي" يعانون من العنصرية الرسمية والشعبية داخل الولايات المتحدة نفسها في جميع المجالات ، ومن ذلك أنه لا يمكن للزنجي أن يرتقي فوق مساعد الحاكم في الولاية ، وليس للزنوج سوى ست عشرة وظيفة سياسية ، مع أن عددهم أكثر من عشرين مليونا فهي إذن حقوق للانسان الأبيض فقط .

وحتى الدراسات العليا والجامعية في الولايات المتحدة الأميركية غير محايدة ، فهي تبرز غير البيض بأنهم قانعون بالأوضاع التي هم عليها ، ذلك لأنهم وضعوهم في إطار خاص ثم جاءوا لهم بمقاييس خاصة قرءوا نتائجها بالاسلوب الذي يريدون .

وقد أقرت هيئة الأمم المتحدة ـ التي أعلنت حقوق الانسان ـ كثيرا من المظالم التي تتعارض مع هذا الاعلان ، الى جانب أن الدول الكبرى فيها احتفظت لنفسها بحق الفيتو ـ الاعتراض ـ ضد اي قرار لا يوافق مصالحها ، أو ترى أي دولة من هذه الدول الكبرى أنه لا يوافق مصالحها ، وليس هذا من العدل في شيء ، وليس من حقوق الانسان في شيء ، اللهم إلا إذا كان المقصود به عدل الدول الكبرى وحقوق الدول الكبرى .

وقد مارست الدول الكبرى أبشع أنواع الافتئات على حقوق الانسان ، ومن ذلك ما فعلته فرنسا في الجزائر منذ عدة سنوات حتى أصبحت معروفة في العالم كله بأنها وطن المليون شهيد ومن تلك أيضا ما فعلته اميركا في فيتنام ، وروسيا في المجر وتشيكوسلوفاكيا ، وانجلترا في افريقيا ضد الشعوب الملونة وضد العالم الاسلامي ، فالقتلى بالملايين والمشوهون كذلك ، الى جانب الجوع والعرى والاضطهاد الذي ينتشر هنا وهناك ، وما تفعله الآن روسيا وكوبا والحبشة في أريتريا حتى اصبح هناك آلاف من المسلمين في العراء يعانون من الشتاء القارس والجوع والعرى وقد قصفت البوارج السوفياتية سواحل أرتريا ، وشقت الطرق أمام القوات السوفياتية والكوبية والاثيوبية لأخضاع هذا الشعب الفقير المناضل من أجل حريته .

مشكلة قديمة :

وحقوق الانسان مشكلة قديمة ، إذ أن مجتمعا ما من المجتمعات في قديم التاريخ لم يعط الانسان حقوقه ، بل إن التفرقة والظلم والاستغلال كانت هي الأساليب الشائعة .. فالمجتمع الاغريقي قديما كان يتكون من المواطنين والأجانب والعبيد .. والعبيد هم الطبقة المستغلة ولم يكن عددهم قليلا بل إن عددهم كان يزيد عشرين ضعفا على عدد السادة ، وكانت أعمال العمال كلها يدوية قاسية فهم للخدمة فقط ، والديمقراطية الاغريقية كانت للاحرار فقط .

فاذا ما انتقلنا إلى الدولة الرومانية وجدنا المناصب العليا قاصرة على النبلاء ، وارتبط التعليم بالنظام الطبقي ، فالتعليم العالي للنبلاء وحدهم ، والقانون الروماني المشهور بالعدالة ، فرق بين السادة والعبيد .

والديانة اليهودية ديانة عنصرية قومية لا تتصف بالشمول ، وهي ذات تطلعات وتنبؤات يريدون تطبيقها بحذافيرها إن أمكنهم بالتعاون مع كل من يؤمن بالتوراة .

والمسيحية جاءت بالمحبة ، ولكنها تركت ما لقيصر لقيصر ، ولكن قيصر حاربها ، ولم يترك لمثلها أن تجني ثمارها بل إنه في كثير من الاحيان شوه رسالتها ، وما أكثر ما قاست الانسانية من انتصار المسيحية على أيدي محاكم التفتيش التي انتشرت فترات طويلة في بلاد كثيرة .. وحتى حرية الرأي لم تعرفها

المسيحية ، فالكنيسة على مدى التاريخ ، تمنع الناس من ابداء آرائهم ، وكانت تحاسبهم على ذلك أشد الحساب ، بل إنها استعملت كل وسائل التعذيب حتى القتل في شمال اوروبا لتدخل أهلها في المسيحية ، ولا زال الناس يتحدثون عن محاكم التفتيش وما صنعته في أوروبا ، وفي الأندلس لتنصير المسلمين ، بل ولا زال المسيحيون يقومون بهذا العمل في تنصير المسلمين في اندونيسيا وفي الفلبين وغيرها ، مستخدمين كل أنواع الترغيب والترهيب مع ان المسلمين على مدى التاريخ أنقذوا المسيحيين من الظلم الواقع عليهم في كل البلاد التي فتحها المسلمون ، وحين دخل المسلمون القدس تركوا للنصارى كل شيء ، وكتب عمر بن الخطاب لهم أمانا وعهدا ، وأبى أن يصلي في كنيستهم حتى لا يطمع فيها أحد من المسلمين ، وعامل المسلمون المسيحيين معاملة كريمة متبعين قول الله تعالى : **(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)** الممتحنة ـ ٨ ـ وأهل الكتاب ـ لهم معاملة كمعاملة المسلمين تماما ، وغير أهل الكتاب لهم هذه المعاملة أيضا ، اللهم إلا في شيئين : نكاح نسائهم وأكل ذبائحهم ، والمذاهب الحديثة في المجتمعات المختلفة تسير على النهج القديم في التفريق بين الانسان والانسان في الحقوق المختلفة .

فالماركسية أغرقت العالم في بحر من القهر الاستبدادي وما تبعه من تعذيب وقتل وغسيل للمخ في البلاد الشيوعية نفسها ، ثم انتقلت إلى البلاد الأخرى فاغرقتها في بحر من الدماء ، وأشاعت فيها الفوضى ، ورأينا الدماء التي تسيل في شرق آسيا وأفريقية بفعل الماركسية ، فهي تمنع حرية الكلمة ، وحرية الرأي وحرية التفكير وحرية المعتقد ، ولقد أعلنت الشيوعية في روسيا وعدد المسلمين هناك خمسون مليونا وما زالت بهم في التعذيب والتنكيل والتغريب حتى وصل عددهم الى عشرين مليونا ، وقد أصبحوا أغرابا عن كل معاني الحرية .. والشيوعية ـ دائما ـ تستخدم كل الأساليب ضد حرية الانسان ، فالتجسس أسلوب أساسي عندهم في كل مجالات حياتهم ، وما أكثر الكتب التي ألفت في ذلك وما أكثر المعتقلات التي فتحت ، ولا تكاد أي مجموعة في دولة شيوعية أو أي دولة تجد فرصة للمطالبة بالحرية إلا وطالبت بها ، وإن كانت هذه المطالبة لا تأتي بنتيجة ، ولعل آخر هذه المطالبات ، ما حدث في ٦ من يناير عام ١٩٧٩ إذ ظهر ملصق جديد في بكين ـ ولعلها أكثر البلاد ملصقات ـ يقولون عنه : إنه أدى إلى حدوث دوي هائل لدى الأوساط الدبلوماسية ، ولدى المراقبين السياسيين ، وقد أعدته جماعة أطلقت على نفسها اسم (عصبة حقوق الانسان الصينية) طالبت فيه لأول مرة ، وبشكل قوي وملح ، وعلمي ، باطلاق حرية التعبير والافراج عن المعتقلين الذين تعرضوا للسجن بسبب ممارستهم لحرية التعبير ، وإلغاء أجهزة البوليس السري بالصين .

وطالبت الجماعة في الملصق الذي ظهر على حائط الديمقراطية في بكين ،

واستلفت نظر جموع كثيرة من أبناء الشعب الصيني ، وبعض الأجانب ، بنقل جثمان الزعيم الراحل ماوتسي تونج من ضريحه المقام في قلب بكين ، وتحويل الضريح الى قاعة تذكارية .. وأكد الملصق ان الصين قد مرت بفترة تختلط فيها المضحكات بالمبكيات من خلال عشر سنوات منذ بدء الثورة الثقافية .

والاسلام حرم أساليب التجسس وما يتبعه والقرآن الكريم يقول : **(ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا)** وشبه هذا بمن يأكل لحم اخيه ميتا **(أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا)** الحجرات / ١٢ وأموال الناس ودماؤهم نهب مشاع في الدول الشيوعية بينما هي حرام في المجتمع الاسلامي وفي خطبة حجة الوداع يقول النبي عليه الصلاة والسلام : « **إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا** » رواه البخاري

والوجودية :

والوجودية تنادي باطلا بدعوى الارادة والحرية ، وهي تريد جرف الانسان إلى غابة من الحرية المطلقة غير الملتزمة بأي اطار أخلاقي مثالي ، غابة تسودها الفوضى وتظهر انعكاساتها السلبية على كيان الأسرة وعلى علاقات الناس بعضهم ببعض ، وعلاقة الناس بالدولة ، ولقد كان حصاد ذلك موجات الهيبز المتحللة التي تسود أوروبا .

البرا جماتية :

وهي فلسفة تؤله الفرد على حساب المجموع ، وتضع معايير للتقدم والنجاح ، ولا تلقى بالا لعذاب المجتمع في سبيل صعود الفرد ، حتى تصل بالنظام الاقتصادي الرأسمالي إلى مرحلة الاحتكار والاستبداد والقهر المستتر تحت أردية الحرية ، ونتائج هذا ما نشاهده من مظاهر التفسخ الاجتماعي التي تظهر دلائلها الآن في أميركا وتدفع بالمئات إلى الانتحار الجماعي .

التحليلية أو الوضعية المنطقية :

هذه النظرية تسود الآن شمال غرب أوروبا ، وهي فلسفة أغرقت نفسها في التحليلات اللغوية ، وكبلت العقل البشري بقيود الجزئيات على حساب النظرة الشاملة التي تستوعب الحلول واسعة المدى لمشكلات الانسان .

ولو سألنا أنفسنا : لماذا قامت الحرب العالمية الثانية ؟ لوجدنا أن السبب الأساسي هو دعوى النازية الفاشية التي كانت ترى أن الألمان من عنصر خاص يفضل الأمم ويجب أن يسود عليها بالقهر ، إن لم يكن بالرضا .

أوليس من العجيب أن تستمر مسألة المساواة بين أفراد البشرية موضع أخذ ورد وعدم اقتناع حتى الآن ، ولقد نشرت اليونسكو عام ١٩٥٢ بيانا قام بإعداده

جماعة من علماء الوراثة والأجناس الذين لهم شهرتهم على المستوى العالمي ، وقد جاء فيه :

١ ـ أن الجنس البشري جنس واحد ينتمي إلى أصل واحد مشترك .

٢ ـ أن الفروق الطبيعية بين الجماعات البشرية ترجع إلى تنوعات في كل من الوراثة والبيئة .

٣ ـ أنه لا يوجد دليل على وجود أجناس نقية ، فعمليات التهجين في الجنس البشري ما زالت مستمرة منذ وقت طويل جدا .

٤ ـ أن تكافؤ الفرص أمام القانون لا تقوم إطلاقا كمبادىء اخلاقية على فكرة أن البشر متساوون في المواهب .

وبعد أكثر من خمسة وعشرين عاما ، وفي عام ١٩٧٨ نظمت « اليونسكو » مع « جامعة الزقازيق » ندوة عن حقوق الانسان وقد أصدرت عدة توصيات ، تتلخص في :

١ ـ تغيير السلطات الاستثنائية التي تمنحها كثير من الدساتير للحكومات في حالات الطوارىء والظروف غير العادية .

٢ ـ إدخال دراسة حقوق الانسان في كافة المستويات التعليمية .

٣ ـ أن تشمل المناهج تاريخ حقوق الانسان ، والفلسفة التي تقوم عليها ، وأوجه القصور فيها .

٤ ـ إعلان المساواة بين العامل العربي والعامل الأوروبي في الحقـوق ، والمرتبات ، والتأمينات ، والحريات . ومع هذا فلا زال بعض الناس في العالم المتحضر ينشرون مفاهيم مؤداها أن هناك أجناسا متميزة على أجناس اخرى .

وإسرائيل نفسها قامت بتأييد دول العالم المتحضر كله ، وقد قامت على أساس عنصري ، فاسرائيل تعلن على العالم كله أنها عنصر متميز بالذكاء والعلم والحضارة ، كما تعلن أن العرب عنصر معوق للحضارة ، كالزنوج تماما ، وأنها ستقضي عليهم وتريح العالم من شرهم ، وهي تتبع القول بالعمل وتحاول تنفيذ هذه الأفكار وهي مؤيدة من الدول الشرقية والدول الغربية على السواء .

إن كل المذاهب الحديثة تدعو إلى سلام الانسان مع الانسان ، وحتى الان لم تستطع تحقيق هذه الدعوة ، ولا زالت المؤتمرات تنعقد ولا زالت التوصيات تصدر ، ومن ذلك المؤتمر الذي نظمته الأمانة العامة للمؤتمر الاسلامي في يونيه عام ١٩٧٨ بالنيجر ، ثم ندوة تدريس حقوق الانسان التي عقدت بالقاهرة في الفترة من ١٤ ـ ١٦ من شهر ديسمبر عام ١٩٧٨ ، وقد قامت بتنظيمها جامعة الزقازيق بالتعاون مع اليونسكو .

ولعل آخر هذه الجهود ما نشرته مجلة « نيو تايمز » من أن منظمة دولية جديدة بدأت في شهر يناير عام ١٩٧٩ بمجموعة من الأطباء الدانمركيين ، والتي اتسع نطاقها بعد تشكيل منظمة تحمل نفس الهدف من فريق من الاطباء ببوسطن .

ويقول الدكتور « مايكل نيلسون » رئيس هذه المنظمة التي تشكلت في بوسطن : إن منظمتنا قد تشكلت كرد فعل لزيادة استخدام عدد من الدول للتعذيب كوسيلة لمعاقبة خصومها ، وبدرجة جعلت التعذيب يصل إلى صورة وبائية .. وتقوم هذه المنظمة بعمل دراسات حول الآثار النفسية والجسدية للتعذيب على من يتعرض له .

وفي رأي الدكتور نيلسون أن هناك بعض الآثار التي يصعب على الأطباء الذين يقومون بهذه الدراسات تحديدها مثل ـ الكوابيس التي تقتحم أحلام هؤلاء الأشخاص اثناء نومهم والحروق داخل الأماكن الحساسة من الجسم ، ولكن الأطباء سيحاولون حصر الآثار الناجمة عن التعذيب عندما يقومون بدراساتهم على أول مجموعة من ضحايا التعذيب، تضم ٢٥ شخصا معظمهم من أميركا اللاتينية . ويقول الدكتور نيلسون . ان الهدف النهائي من هذه الدراسات هو وضع الملامح البشعة لبعض الحكومات التي تمارس التعذيب أمام أنظار المنظمات القومية والدولية ، حتى تشكل قوة ضغط قادرة على وقف تعذيب الانسان في كل مكان ..

وهكذا تبدو الصورة في نهاية القرن العشرين قاتمة إلى درجة محيرة ، فبينما يجمع العالم كله من الناحية النظرية على المساواة بين الناس ووجوب العدل ، وما إلى ذلك من حقوق الانسان ، إلا أن التطبيق يسير في اتجاه آخر بعيد كل البعد عن المساواة والحرية والعدالة ، بينما الاسلام حين يرعى حقوق الانسان يرعى أولا حقوق الضعفاء يقول الرسول الكريم : « ابغوني الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم » رواه مسلم وأحمد بل إنه يطلب الدفاع عنهم ، والقتال في سبيل حمايتهم قال تعالى : **(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها)** النساء / ٧٥ ، ويحذر الرسول الكريم من أن يقف أحد المسلمين موقفا يضرب فيه رجل ظلما ، بأن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدافعوا عنه ، كما روى الطبراني ، كما يحذر من الظلم بصفة عامة ، فيقول الرسول الكريم : « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » رواه مسلم ، وينذر القرآن الكريم الظالمين بانه لن يكون لهم يوم القيامة حميم ، ولا شفيع يطاع ، وينادي الرسول الكريم بأعلى صوته يوم حجة الوداع قائلا : « ألا إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ثم يقول : ألاهل بلغت فيقولون : نعم ، فيقول : فليبلغ الشاهد منكم الغائب » رواه البخاري .

وإذا كانت المذاهب المختلفة تدعو إلى سلام الانسان مع الانسان ، فان الاسلام يدعو الى سلام الانسان مع الوجود كله ، سلام الانسان مع الانسان وسلام الانسان مع الحيوان ، وسلام الانسان مع النبات ، وسلام الانسان مع الجماد ، لأن كل هذه الأشياء مخلوقة لله ، والانسان خلقه الله ـ سبحانه

وتعالى ـ ليكون خليفة له في الأرض ، وقد سخر له الارض وما عليها ، ومن هنا وجدنا الحقوق ليست قاصرة على الانسان ، وإذا كانت الدول المتحضرة في العصر الحديث تحاول أن تثبت حقوق الانسان ، فان الاسلام قد فرغ من هذا كله منذ أربعة عشر قرنا ، وزاد عليه كثيرا ، ومن هنا وجدنا الرسول الكريم يقول : « في كل ذات كبد حرى اجر » رواه احمد وابن ماجة وما حديث المرأة التي عذبت هرة لها فحبستها عنا ببعيد ، وكذلك حديث الرجل الذي سقى الكلب من البئر حين وجده عطشان فغفر الله له .

بل إن الاباحة في ذبح الحيوانات إنما هي مرهونة بمصلحة الانسان ، فالاسلام يمنع من عقر حيوان إلا للأكل ، ومن هنا كان النحر باسم الله تعالى الذي أباح لنا هذا الذبح للأكل ، ولذلك كان جعل الطائر هدفا للعب أو للتسلية غير جائز على الاطلاق .

والاسلام يحرم على المسلم أن يطأ بقدمه كسرة خبز ، أو ما يؤكل مما يفيد الانسان أو غيره ، من مخلوقات الله تعالى ، لأن في ذلك امتهانا للقمة التي حماها الله ، فاحترام النعمة والمحافظة عليها سببه حاجة مخلوق من مخلوقات الله تعالى من ناحية ، وتقدير لجهد عامل من ناحية أخرى ، وإلى جانب ذلك فيه ابتعاد عن الاسراف ومنع للفساد .

ولو قارنا هذا بما يحدث في أميركا مثلا لوجدنا البون شاسعا ومن ذلك ما ذكرته الاحصاءات الأميركية ، إلى أن ما يلقى بالقمامة في عام واحد بالولايات المتحدة يكفي العالم الثالث الجائع لمدة عام كامل .

وحتى الجماد في الاسلام له حقوق ، ذلك لأن الاسلام دين البناء وعمارة الارض ونشر المعاني والقيم الالهية فيها ، وقد سمي النبي صلوات الله عليه عمامته « السحاب » تكريما لها .. ولكنهم في الغرب يهدمون ، ومن ذلك أنهم حين يريدون أظهار الفرح في عيد الميلاد مثلا ، فانهم يحطمون الزجاجات والكئوس .

الاسلام يبني ، والحضارات الحديثة تهدم ، وتلك هي الخلفية الثقافية لكل ما يقومون به في هذه الحياة .

وإذا كانت الحضارات الحديثة تفتقر الى العدالة ، فان الاسلام يطلب الرحمة ، لا العدالة فقط لجميع المخلوقات في هذه الحياة ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، والرسول صلوات الله عليه يطلب من المسلمين جميعا أن يرحموا من في الأرض حتى يرحمهم من في السماء .

الاسلام وحقوق الانسان :

منذ أربعة عشر قرنا أعلن الاسلام حقوق الانسان كاملة ، والاسلام حين يعلن هذه الحقوق فانما يعلنها باسلوبه الخاص ثم يطبقها التطبيق السليم ، ذلك لأن هذا الاعلام صادر من رب الناس جميعا وهو أدرى بهم وبما يصلح لهم لأنه خالقهم ، ثم إنه ليس بينه وبين أحد منهم صلة إلا العمل الصالح والمسلمون حين

يطبقون هذا فانما يبدءون بتطبيقه من داخل النفس أولا لأنهم يتقربون به إلى الله تعالى ، وهو أعلم بما يسرون وما يعلنون .. أما الاعلانات العالمية أو غيرها فان الذين يقومون بها هم ناس لهم خلفياتهم الثقافية والحضارية التي ينطلقون منها ، ولهم نظرات خاصة ومصالح لا يستطيعون أن يتفلتوا منها ، وهم إن استطاعوا أن ينطلقوا أحيانا انطلاقا سليما من الناحية النظرية فان هذا الانطلاق لا يلبث ان ينحرف في التطبيق بما تقتضيه مصالحهم الخاصة أو على الأقل يتعثرون في تطبيقه تعثرا طويلا ، بحيث لا يظهر لهم تطبيق سليم على امتداد التاريخ في كافة المجتمعات .

وحقوق الانسان كلها في الاسلام تبدأ من وحدانية الله تعالى ، الذي خلق البشر جميعا ، وكرمهم وفضلهم على جميع مخلوقاته ، ورسم لهم المنهج الذي يسيرون عليه لتحقيق رسالتهم في هذه الحياة وطلب منهم ان يطيعوا الله ورسوله وأولى الأمر منهم في الحدود التي رسمها الاسلام .. وكان هذا هو الاعلان الأول لتخليص البشرية مما ران على الأنظار من سلطات الكهنوت ، والوساطة بين الله وخلقه ، ومن صفات القداسة التي ادعاها الملوك والرؤساء ، ومن انحطاط العقل وترديه في الاعتقاد بألوهية حجر أو بقر أو نجم أو شمس أو غير ذلك ، فنادى الناس جميعا : (**يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة**) النساء/١

ومحمد الرسول صلوات الله وسلامه عليه طلب من أصحابه ألا يعاملوه معاملة خاصة ، قد تتحول في يوم من الأيام إلى لون من ألوان التقديس ، فيقول : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فانما أنا عبدالله ، ورسوله ، فقولوا عبدالله ورسوله » رواه الدارمي ويبين الرسول الكريم لهم أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، ولا يملك موتا ولا حياة ولا نشورا ، وأنه لا يعلم الغيب ولو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير ، وما مسه السوء ، إن هو إلا نذير وبشير للناس جميعا ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .. فأساس التفاضل في الاسلام العمل الصالح ، لا الغنى ، ولا المواطنة ولا الحسب والنسب ، ولا غير ذلك من معاني الجاهلية ، وإن كانت الدول الاسلامية في العصر الحاضر متأثرة بالمفاهيم القومية البعيدة عن الاسلام إلى حد كبير وهو جزء من الثقافة وجزء من الحضارة المستوردة .. وكل إنسان مسئول عن عمله ، وكل نفس بما كسبت رهينة ، ولا تزر وازرة وزر اخرى ، وهكذا يجد المسلم نفسه في ظلال الاسلام ، وحتى النبي عليه الصلاة والسلام حين طمع في أن يؤمن بعض أشراف قريش فتستفيد الدعوة منهم ، ولم يلتفت إلى عبدالله ابن أم مكتوم عاتبه رب العزة على هذا عتابا قاسيا بقوله : (**عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى**) عبس /١ ــ ١٠ وكان بعد ذلك يلقاه مرحبا به ويقول : « أهلا بمن عاتبني فيه ربي » وطلب رب العزة من النبي عليه الصلاة والسلام ان يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى

يريدون وجهه:(**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا**) الكهف /٢٨ .

حرية العقيدة :

والاسلام يعلن حرية العقيدة للناس جميعا فيقول في كتابه الكريم : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**) البقرة / ٢٥٦ ويبين مهمة رسوله الكريم في قوله : (**إن أنت إلا نذير**) فاطر / ٢٣ ويطلب من رسوله ألا يحزن على الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم:(**يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم**) المائدة /٤١ ويعاتب نبيه الكريم لشدة حرصه على إيمان الناس حتى يكاد يهلك نفسه ، فيقول له : (**فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا**) الكهف/٦ ، ثم يقول بعد ذلك : (**وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**) الكهف /٢٩ وفي النهاية طلب منه أن يعلن للناس جميعا أنه بشر مثلهم يوحي إليه : (**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**) الكهف / ١١٠ .

وهو يدعو إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادل قومه بالتي هي أحسن ، فيقول : (**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**) النحل /١٢٥ .

والاسلام مع المجتمعات الأخرى دعا إلى الحوار الهادىء السلمي الذي يحفظ لكل إنسان حقه في المناقشة ، وابداء وجهة النظر ، وقد طلب البدء بنقاط الاتفاق لأنها تسهل مهمة الحوار بين الأطراف الأخرى:(**قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**) آل عمران / ٦٤
والاسلام طلب من كل داعية أن يكون هادىء الطبع ، لين العريكة ، وفي ذلك يقول الله تعالى لنبيه : (**ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك**) آل عمران / ١٥٩ . ويطلب منه ان يعفو عن أخطائهم ، وأن يستغفر لهم ، وقد حرم الاسلام القتال من أجل الاكراه في الدين ضمانا لحرية الاعتقاد ، ولكنه أعلن الجهاد من أجل حرية كلمة الخير والحق ، وهذا ما لم تفعله أي دولة من الدول ، او منظمة من المنظمات وحتى على مستوى الأسرة لكل فرد فيها حرية العقيدة ، ومما يدل على ذلك أن رجلا من الأنصار ، من بني سالم بن عوف ، وكان له ابنان قد تنصرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قدما إلى المدينة في نفر من النصارى فلزمهما

ابوهما وقال لهما : لا أدعكما حتى تسلما فاختصموا إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال الرجل : يا رسول الله أيدخل بعضى النار وأنا انظر ؟ فنزلت الآية الكريمة : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**) البقرة / ٢٥٦ ، والاسلام يهتف : (**قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل**) يونس / ١٠٨ ، والاسلام أقام الحرية على دعامتين : الدعامة الأولى حرية التفكير والدعامة الثانية حرية الرأي ، فأما حرية التفكير فان الاسلام يحث عليها ويطالب بها وذلك بأن يسير الناس في الأرض وينظروا ما فيها ثم يفكروا في مخلوقات الله وفي دلائل عظمته ، فقد يكون هذا سببا في إيمانهم ، فيقول : (**ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون**) الروم / ٢٠ كما يقول : (**أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم**) الأعراف / ١٨٥ كما يقول : (**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت**) الغاشية / ١٧ ــ ٢٠ ، وقد نعى على الذين يتمسكون بما وجدوا عليه آباءهم وقالوا : (**إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم**) الزخرف / ٢٣ و ٢٤ .

وأما حرية الرأي فتظهر في أن يقول كل إنسان رأيه في حرية تامة ، ويظهر هذا في التشاور ، وفي الخطابة ، وفي أجهزة الدعاية والاعلام ، وما إلى ذلك .

وفي معركة بدر قال الحباب بن المنذر : يا رسول الله أرأيت هذا المنزل ؟ أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة فقال عليه الصلاة والسلام : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال الحباب رأيه بصراحة : فان هذا ليس بمنزل ، هكذا يقول الحباب في منتهى الوضوح لرسول الله : إن هذا ليس بمنزل ويقول رأيه ، ويأخذ به النبي عليه الصلاة والسلام ، ويغير في أماكن المعركة بما قال الحباب/سيرة ابن هشام .

ومن ذلك ما قالته امرأة لعمر بن الخطاب حين أراد ان يحدد مهور النساء .. كيف تفعل ذلك والله يقول : (**وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا**) النساء / ٢٠ ، فلا يملك عمر إلا ان يقول : أصابت امرأة واخطأ عمر .

بل إن رجلا من عامة المسلمين يقول لعمر بن الخطاب والله لا نسمع ولا نطيع ، وذلك حين يقول عمر : ايها الناس اسمعوا وأطيعوا ويسأل عمر عن السبب فيعرف أن عمر يلبس لباسا طويلا هو رجل طويل لا يكفيه نصيبه الذي أخذه ، وحين يطمئن الرجل إلى أن امير المؤمنين أخذ جلباب ابنه عبدالله فأضافه إلى لباسه يقول الرجل : أما الآن فاننا نسمع ونطيع .

والاسلام يطلب ان يقول المسلم كلمة الحق في اي موطن ويجعل افضل الجهاد أن

يقول الرجل كلمة الحق عند سلطان جائر ، يخشى منه على نفسه ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » رواه ابو داود ، وذلك يدل على مدى اهمية كلمة الحق في كل وقت وفي كل زمان .
ولكن الاسلام ــ مع ذلك ــ يطلب أن تكون كلمة الحق في إطارها السليم الذي يبني ولا يهدم ، والذي يخدم المجتمع الاسلامي بل والمجتمع الانساني كله ، يقول الله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم**) الأحزاب / ٧٠ و ٧١ وأن يكون الرأي في لفظ حسن وأعصاب هادئة ، لان المسلم ليس بالسباب ولا اللعان ولا الفاحش البذئ.
والمؤمنون الذين يرضى الله عنهم من صفاتهم أنهم يقولون قولا طيبا ، قال تعالى : (**وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد**) الحج / ٢٤ .
وحرية الرأي في النهاية لها آثار كثيرة ، فهي تؤثر في كيان الفرد ، كما تؤثر في كيان المجتمع فبها يثق الفرد في نفسه ، ويثق أفراد المجتمع بعضهم ببعض ، كما يثق الحاكم في الأمة وتثق الأمة في الحاكم ، ويسعى الجميع للبناء ، البناء السليم المتكامل .

المساواة :

والمساواة بين الناس جميعا مشكلة حارت البرية فيها ، ولكن الاسلام حلها في سهولة ويسر وذلك حين خاطب الناس جميعا ، وبين لهم انهم من أب واحد وأم واحدة وإذا كان قد جعلهم شعوبا وقبائل ، فذلك ليتعارفوا لا ليطغي بعضهم على بعض ، ولا ليستعبد بعضهم بعضا ، وهذا يقتضي المساواة التامة في الحقوق والواجبات بين أفراد البشرية : (**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**) الحجرات / ١٣ .
وفي فتح مكة نادى النبي صلى الله عليه وسلم قريشا ، مذكرا لهم بنعمة الله عليهم ، إذ أبعد عنهم التفاخر بأحساب الجاهلية فقال : « إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالاباء » رواه الترمذي .
وقد اصبح الناس في الاسلام نوعان : نوع بر تقي فهو كريم على الله،ونوع فاجر شقي فهو هين على الله ، وكان مما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : « أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله اتقاكم » رواه البخاري .
وقد وعى المسلمون الدرس جيدا ، وطبقوه رائعا في جميع مجالات الحياة ، وحين قال أبو ذر لرجل : يا ابن السوداء ؟ وقال له النبي الكريم : « طف الصاع طف الصاع ، ليس لاحد فضل على أحد الا بالدين أو عمل صالح » رواه احمد.أدرك أبو ذر ما وقع فيه من خطأ وسارع بالاعتذار الصادر من القلب حتى إنه قال للرجل : ضع قدمك على خدي ، يريد أن يكفر بذلك عن خطئه .

والشعائر الاسلامية كلها تعمق هذه المعاني في نفوس المسلمين جميعا فصلاة الجماعة والصيام والحج كلها تعمل عملها في تعميق المساواة بين أفراد المجتمع الاسلامي .
وفي الولايات المتحدة الأميركية لا تزال الفروق قائمة بين المواطنين على أساس اللون والجنس وهي قمة الديمقراطية والحضارة في العصر الحديث ، فصاحب البشرة البيضاء أسمى منزلة ، وأعلى قدرا ، من صاحب البشرة السوداء ، ولا مساواة بين الاثنين أمام القانون ولا في التمتع بالحقوق ، وإن كان الاثنان يحملان الجنسية الأميركية ، والقانون يحمي هذا التمايز ويقره ، بل إن بعض الولايات الأميركية تنص دساتيرها على أن النكاح من شخص أبيض وآخر زنجي يعتبر نكاحا باطلا ، وتنص على أن كل من يطبع أو ينشر أو يوزع ما فيه حث للجمهور أو مجرد اقتراح في هذا السبيل يعتبر عمله جريمة يعاقب عليها القانون بغرامة لا تتجاوز خمسمائة دولار ، أو بالسجن مدة لا تتجاوز ستة أشهر ، أو بهاتين العقوبتين .
وبلغت المساواة ذروتها حين يقول الرسول الكريم : « سلمان منا أهل البيت » رواه الحاكم ولا يجد عمر بن الخطاب ما يمنعه من أن يقول : « ابو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا » وهو يقصد بلالا كما يقول حين حضرته الوفاة :"لو كان سالم مولى أبي حذيفة لاستخلفته » وقد أنتجت هذه المساواة الاطمئنان والمحبة التي سادت المجتمع الاسلامي فاصبح المسلم يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، كما أصبح التكافل بين أفراد المجتمع الاسلامي كاملا من جميع النواحي .

العدل :
العدل بكل جوانبه أساسي في الاسلام ، العدل واجب بالنسبة للفرد مع نفسه ، وفي ذلك يقول الله تعالى : **(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)** القصص / ٧٧ ، ويقول الرسول الكريم لأحد الصحابة : « إن لبدنك عليك حقا » رواه البخاري ، كما أن العدل حق بالنسبة للمسلم على المسلم ذلك لأن « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » رواه البخاري ، كما أنه حق بالنسبة للناس جميعا ، والله سبحانه وتعالى يقول : **(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي)** النحل / ٩٠ .
والعدل في الاسلام واجب على كل فرد ، وواجب على الجماعة ، والله سبحانه وتعالى يأمر بذلك : **(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)** النساء / ٥٨ ، كما أنه سبحانه وتعالى يخاطب المؤمنين جميعا أن يكونوا قوامين لله شهداء ، بالقسط ، تحت أي ظرف من الظروف ، ولو كان مع أناس يكرهونهم ، فالعدل لله سبحانه وتعالى : **(يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا**

تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) المائدة / ٨ .

والعدالة الاسلامية لا تعرف العواطف ، فحتى لو كان الخصم قريبا أو صاحبا ، او والدا ، أو غنيا أو فقيرا ، فالقاضي أو الشاهد لا شأن له بذلك ، والله أولى بالجميع:(**يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا**) النساء / ١٣٥ .

ويعرض الرسول الكريم مشهدا من مشاهد يوم القيامة ، يبين مدى خسارة الظالم في الدنيا ، فيقول لأصحابه : أتدرون من المفلس ؟ فيقولون على حسب فهمهم : المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار ، فيصحح النبي عليه الصلاة والسلام هذا المفهوم بقوله : « المفلس من أمتي من يأتي بصلاة وصيام وزكاة .. ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وضرب هذا ، وسفك دم هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فاذا فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه ، ثم طرح في النار » رواه مسلم ، ولذلك فان النبي الكريم كان يقول « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلل منه اليوم ، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » رواه البخاري ، وقد وعي المسلمون هذه المعاني جيدا ، ولذلك فانهم حين قال لهم النبي عليه الصلاة والسلام : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » قالوا : « يا رسول الله ننصره مظلوما ، فكيف ننصره ظالما ؟ » مع أن هذا المعنى قبل الاسلام كان لا يثير سؤالا لأن معناه كان واضحا ومطبقا عندهم فقال النبي عليه الصلاة والسلام : « أن تحجزه عن الظلم فان ذلك نصره » رواه البخاري والترمذي واحمد .

فالعدالة اذن من أسس المجتمع الاسلامي ، ولقد طبقت هذه المعاني تطبيقا رائعا شهد له الأعداء والأصدقاء على السواء .

ويسير المسلمون على هذا النهج رافعين راية العدالة المطلقة ، ولقد تعجب من ذلك جعد بن هبيرة فقال لعلي بن أبي طالب : يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من أهله وماله ، والآخر لو استطاع أن يذبحك لذبحك ، فتقضي لهذا على هذا ، فلهزه علي رضي الله عنه وقال : ان هذا شيء لو كان لي لفعلت ولكن إنما ذلك شيء لله .

وحين جاء يهودي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب يختصمان في درع الى شريح القاضي ، ولم يكن عند أمير المؤمنين بينة ولا شهود فحكم القاضي لليهودي فقال اليهودي : هذه أحكام الأنبياء ثم اعترف بان هذه الدرع لأمير المؤمنين سقطت منه فأخذها ، وأسلم اليهودي فوهبها له علي بن أبي طالب .

خاتمة :

ترى لماذا نجح الاسلام في إعطاء كل فرد في المجتمع حقوقه الانسانية كاملة ، بينما فشلت المجتمعات كلها قديمها وحديثها ، في تحقيق هذه المبادىء على مستوى عام ؟

سؤال صعب ولكن لا بد من الاجابة عليه .. لعل السبب في ذلك أنه أولا أوامر صادرة من الله سبحانه وتعالى لا وصايا ، أوامر تشريعية مقررة بنصوص تشريعية لضمان تنفيذها بقوة الضمير النابع من داخل المسلم امتثالا لأوامر الله أولا ، وبقوة القانون الاسلامي ثانيا ، وقد جعل الاسلام تقدير العقوبة لرجال السلطة والقضاء كلما انتهكت هذه الحقوق ، وهو ما لم يصل إليه نص من نصوص الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، ولا نصوص الميثاق الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للانسان فهي لا تخرج عن كونها توصيات أدبية .

وقبل هذا كله فالمسلم يعلم أن له رسالة في هذه الحياة وهي تحقيق خلافة الله في الأرض ، وهي خلافة قائمة على أساس التساوى الكامل بين الناس جميعا ، وفي الوقت نفسه خلافة ليس فيها وساطة بين العبد وربه تحت أي ظرف:**(وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)** البقرة / ١٨٦ ، خلافة ملتزمة بمبادىء شريعة الله التي تحقق المصلحة العامة للناس جميعا ، والقانون وحده لا يصل الى كل إنسان ولا يمكن أن ينفذ إلا في ظروف خاصة ، ومن هنا فقد كان الاحسان أساسيا في الاسلام ومعناه أن يعبد المسلم ربه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فان الله يراه كما ورد في الحديث الشريف الذي رواه البخاري .. ومن هنا أطلق الاسلام على الدعوة الاسلامية تعبيرا دقيقا يدل على مدى ملاءمة الاسلام للمجتمعات فقد أطلق على دعوته : الدعوة إلى الحياة .. الحياة الحرة الكريمة ، الحياة التي يحقق فيها المسلم رسالته على هذه الأرض يقول الله تعالى : **(يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)** الانفال / ٢٤ .

فقد اعتبر الاسلام حل تلك المشكلات الانسانية الحيوية ملازما لدعوة الله في الأرض والايمان بالله رب العالمين ، وقد تنبهت إلى ذلك الدكتورة « لورا فاجليري » فقالت في كتابها تفسير الاسلام : (تحررت الروح من التعصب ، وتحررت إرادة الانسان من الروابط التي طالما ربطتها بارادة الاخرين) .

والاحساس بالتفوق العقائدي عند المسلم هو سر بقاء الأمة الاسلامية وعصمتها من الفناء رغم وقوعها تحت النفوذ الساحق لخصمها الشرس الذي يملك من وسائل التغريب بل والافناء والتدمير ما لم يتح لمنتصر على طول العصور .

ولن يعطي الانسان حقوقه في هذا العالم الممزق إلا إذا اتبع شريعة الاسلام ، وطبق تعاليمها ، حينئذ يتغير وجه المجتمع ، ويحس كل فرد من أفراد الانسانية انه قد ولد من جديد ، وعاش حياة ملؤها السعادة والاطمئنان .

المحصرون في الحج أو العمرة

للدكتور محمد محمد الشرقاوي

وهؤلاء هم الذين نزل فيهم قوله تعالى : (**فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله**) البقرة/ ١٩٦ وفيهم أيضا ورد الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (قد أحصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق وجامع نساءه ونحر هديه .. حتى اعتمر عاما قابلا) والترتيب هنا بين الحلق والجماع والنحر غير مراد للراوي والواو العاطفة بين هذه الأمور الثلاثة لمطلق الجمع فلا تقتضي ترتيبا ولا تعقيبا .. بدليل حديث المسور بن مخرمة في البخاري : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر قبل أن يحلق وأمر أصحابه بذلك) وهذه الرواية تحكى فعله صلى الله عليه وسلم في عمرة الحديبية ، وهي التي أحصره فيها الأعداء ومنعوه عن دخول مكة هو وأصحابه ظلما وبدون وجه حق .. وفي هذا الموضوع المطروح للبحث جاء أيضا حديث عائشة رضي الله عنها المتفق عليه قالت : (دخل النبي صلى الله عليه وسلم على ضباعة بنت الزبير ابن عبدالمطلب فقالت : يا رسول الله .. إني أريد الحج وأنا شاكية (أى عرضة للمرض) فقال النبي

صلى الله عليــه وسلــم : حجــــي واشترطـــــي : أن محلى حيـــث حبستني) أى خذي شرطا على ربك وقت إيقاع الاحرام بأنه لو أصابك مرض مانع من اتمام النسك كان من حقــك في أى مكان أن تتحلى من الاحرام مجانا وبدون هدى يجب علي تقديمه للخروج من الاحرام .. وهذا منتهى اليسر لمن حضره مرض أو غيره حيث يكفيه أن ينوي بقلبه التحلل في نفس المكان الذي أحصر فيه بعد يأسه من الخلاص ، وظنه بفوات النسك في موعده المناسب .. وبه أخذ أحمد بن حنبل رضي الله عنه .

ومما ورد في هذا الموضوع كذلك حديث عكرمــة عن الحجــاج بن عمــرو الأنصاري رضي الله عنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابــل) رواه الخمســة وحسنـــه الترمذي . إلا أن أكثر العلماء لم يتقبلوا رواية عكرمة هذه .. فتكون محاور هذا الموضوع التي يدور حولها البحث هي الثلاثة الأحاديث الأول .. لأنها في الصحيح ، وفي خصـــوص الاحصار .. فضلا عما تدل عليــه الآية الكريمة السابقة عليها .. فالآية تنص على أن من أحصر أى منع بعد الاحرام من إتمام ما أحرم من أجله من حج أو عمرة أو هما معا بأى سبب من الموانع يستوي في ذلك العــدو والمرض والخوف وموت المحرم المرافق للمرأة أو الزوج ، وفقدان نفقة أو ضلال عن الطريق .. عملا باطلاق كلمة الاحصار .. إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقرر علماء أصــول الفقــه ، وإحصــار الرسول صلى الله عليه وسلم الذي وقع عام الحديبية في السنة السادسة من الهجرة وإن كان سببه تصدي الأعداء بالقوة المسلحة .. إلا أنه يعتبر واحدا من مفاهيم الاحصار وليس هو كل ما يدل على الاحصار .. ولذا لا يتقيد به النص القرآني العام .. أقول : إن من أحصر وغلــب على ظنــه طول الاحصـــار بحيــث يفـــوت منـــه المقصود .. ويلحقه الضيق والحرج لو بقي مقيدا باحرامه فانه يتحلل من هذا الاحرام بذبح ما تيسر من الهدى وأقله شاة ، وأنه لا يحلق رأســه ليخرج بذلك الحلق من احرامه إلا بعد ان يبلغ الهدى مكان حله ويذبح في الحرم .. هذا هو منطوق الآية بحسب ظاهرها .. إلا أن نظرة الفقهاء لهذه الآية الكريمة مع ما احتف بها من الأحاديث السالفة الــذكر جعلتهــم يخرجون على الناس بآراء شتى : —

أولها وهو من أيسرها ما ذهب إليه مالك رحمه الله تعالى من أنه لا دليل في لفظ الآية على الوجوب وأقل ما تفيده هو الندب للذبح ويستدل على ذلك بأن الرسول صلى الله عليه وسلم وإن كان قد نحر هديه في الحديبية قبل أن يحل لكن صحابته لم يكن معهم جميعا هدى .. ولم يأمرهم به ولا ببدله من إطعام أو صيام ، ولم يعلم أنه أمرهم بقضاء شئ .. أو العــودة بشئ .. والذي حدث أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعدما ذبح هديه وتحلل ورجع في العام السادس الهجري الى المدينة

عاد في العام السابع معتمرا عمرة أخرى قد تكون قضاء عن السابقة ، وقد تكون مبتدأة ، وقد علمنا من تواطؤ الأحاديث أنه عاد معه بعض الصحابة .

وتخلف عنه البعض بلا ضرورة داعية .. أو سبب ملجئ الى التخلف .. فلو لزمهم قضاء أو غيره لأمرهم به ، ولا يلزم بالضرورة أن تكون العمرة الثانية قضاء عن الأولى ، وان سميت عمرة القضاء لأنه يحتمل أنها سميت بذلك كما سميت بعمرة القضية للمقاضاة التي وقعت بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، ولا دليل في سوق الهدى على الوجوب لأنه صلى الله عليه وسلم ساقه من المدينة متنفلا به قبل أن يقع الاحصار ، وهو المعنى في قوله تعالى : **(والهدى معكوفا أن يبلغ محله)** الفتح / ٢٥ فالآية ليس فيها دليل على الوجوب بل فيها دليل على الوقوع المحتمل للوجوب أو الندب ، فيثبت الأقل منهما وهو الندب .. أخرج مالك في موطئه بلاغا : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حل هو وأصحابه بالحديبية ، فنحروا الهدى وحلقوا رءوسهم وحلوا من كل شئ قبل أن يطوفوا بالبيت وقبل أن يصل إليه الهدى) .. وقد حمل مالك الآية الكريمة على حال من ساق الهدى معه قبل وقوع الاحصار له كما وقع للرسول .. وأنه إن تيسر إرساله إلى الحرم لذبحه هناك وجب عليه إرساله .. وإن لم يتيسر .. ذبحه حيث وقع الاحصار في أى زمان أو مكان .. وهكذا ينتهي المذهب المالكي في الاحصار إلى ما يأتي :

(١) الاحصار كما يكون بالعدو يكون بغيره .

(٢) التحلل يكون بمجرد النية القلبية ما دام الاحصار ظلما أو على الرغم منه .

فمتى نوى الخروج من الاحرام في حال إحصاره صار حلالا .. فلا يحرم عليه شئ مما كان يحرم على المحرم .

(٣) الحلق في هذه الحال سنة وليس بواجب .

(٤) الهدى وذبحه وإرساله إلى الحرم ليس بواجب في الاحصار في حال عدم سوقه معه .

(٥) من ساق معه هديا قبل وقوع الاحصار وجب عليه إرساله إلى الحرم ليذبح فيه ثم يتحلل ... وهذا إن تيسر إرساله .. فان لم يتيسر ذبحه حيث كان وفي أى زمان .

(٦) يحمل قوله تعالى : **(فان أحصرتم فما استيسر من الهدى)** على حال سوق الهدى فقط .

(٧) في كل الأحوال يجب عليه القضاء من قابل وجوبا في الحج .. وندبا في العمرة وعليه هدى لفوات الحج يؤخره إلى سنة القضاء .

والحكمة المستوحاة من هذا التحلل المبكر هو رفع الحرج المتوقع من استدامة الاحرام لأجل غير مسمى .

أما الحنفية فقد رأوا أن الاحصار شامل لكل الموانع من عدو أو مرض أو خوف أو نحوه عملا بعموم كلمة الاحصار .. إلا أنهم يوجبون إرسال

الهدى وأقله الشاة إلى الحرم لتذبح في أى جزء منه ويواعد من يرسل الهدى معه على زمان معين لايقاع الذبح فيه بحيث لا يحل المحرم قبل هذا الوقت .. وبحيث لو حل وظهر فيما بعد أن الهدى لم يذبح في وقته المعين وجب عليه الجزاء ، ويرون في هذا الارتباط في الآية الكريمة بين الاحصار وبين ما استيسر من الهدى أسلوبا من أساليب الوجوب التي تميزت بها أساليب القرآن الكريم مثل قوله تعالى : **(فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر)** البقرة / ١٨٤ أى يجب عليه قضاء عدة .. وهذا محل إجماع .. ويستدلون لذلك بما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حين منعه الكفار حيث ذبح هديه أولا ثم تحلل ثانيا وأمر أصحابه الذين كانوا معه بذلك والأمر دليل الوجوب عند الاطلاق .. وأما ما سكت عنه ولم يبين بعد ذلك من أنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر بعض الصحابة بشئ .. فهو أمر لا دليل عليه إذ السكوت عن الحكم لا يفيد حكما .. ويرون كذلك أن ثمن الهدى يقوم مقامه في حال فقدانه وحينئذ يشتري به الهدى ليذبح في الحرم في الوقت المحدد للذبح حتى يتسنى إيقاع التحلل بعد الذبح لا قبله ، وأما الحلق عندهم فليس بشرط وإن كان حسنا لأن التحلل هنا بالذبح ما دام لم يدرك مكة بعد انقضاء يوم عرفة الى فجر العاشر .. أما لو أدرك مكة بعد انقضاء يوم عرفة فانه حينئذ لا يتحلل بالذبح بل بالعمرة وهذه العمرة لا تجزئ عن عمرة الاسلام بل هي عمرة التحلل .. ثم إن كان مفردا بالحج في حال الذبح فعليه من قابل حجة وعمرة .. وان كان مفردا بالعمرة فعليه وجوبا عمرة مكانها فقط ، وان كان قارنا بعث بهديين : أحدهما عن التحلل من إحرام الحج والآخر عن التحلل من إحرام العمرة ، وعليه من قابل حجة وعمرة للقضاء وعمرة الاسلام ، وأبو حنيفة لا يرى التقيد بزمان مخصوص في ذبيحة التحلل من الاحصار لأنه يشبه دم العقوبة ولهذا لا يجوز الأكل منه وذلك لأن الآية الكريمة حددت المكان دون الزمان فان أكل منه تصدق بقيمة ما أكل .. حتى إذا لم يجد هديا ولا ثمن الهدى يبقى محرما أبدا حتى يجده فيتحلل به .. أو يبقى محرما إلى ان يفوت الحج بفوات موعده فيتحلل بأعمال العمرة .. فان استمر الاحصار حتى بعد فوات موعد الحج ، ولم يستطع الوصول إلى مكة ليتحلل بأعمال العمرة فعلى رأى أبى حنيفة المتقدم يبقى محرما أبدا .. ولكن أبا يوسف صاحب أبى حنيفة يرى أن يقوم الهدى طعاما ويتصدق على كل مسكين بنصف صاع .. ويجوز التصدق بها جميعا لواحد .. أو يصوم مكان كل مسكين يوما فيتحلل بذلك .. وقد رواه أبو يوسف عن عطاء وقال في الأمالي : وهذا أحب إلي وإلينا أيضا .. وفي حال الاحصار كما اسلفنا لا يجوز التحلل بأعمال العمرة إلا بعد فوات يوم عرفة إلى فجر

العاشر وهو موعد حصول الحج .

.. أما الشافعي رحمه الله تعالى .. فيجعل من قصة الحديبية تفسيرا وتقييدا للآية الكريمة ويرى أنه لا إحصار إلا بعدو .. وأما المرض فان اشترطه كما جاء في حديث ضباعة بنت الزبير وقال حين إحرامه (محلى حيث حبسني المرض) كان محصرا بالمرض والا فلا ، والحبس لحق من الحقوق التي لا يستطيع أداءها حالا ، ونفاد النفقة وإضلال الطريق من الاحصار كذلك والتحلل عنده بشيئين : الذبح والحلق معا بنية التحلل .. ولكن مفاهيم اللغة العربية لا تساعد الشافعي في حصره الاحصار في العدو فقط .. لأنها أعم من ذلك ، والشريعة جاءت على وفاق اللغة في مفاهيمها ، ومدلول لفظ الاحصار يتناول المرض باجماع أهل اللغة كما نقله الفراء والكسائي والأخفش وأبو عبيدة وابن السكيت والعتبى وغيرهم وقال أبو جعفر النحاس : على ذلك جميع أهل اللغة واستدلوا بقول ابن ميادة :

وما هجر ليلى أن تكون تباعدت
عليك ولا أن أحصرتك شفوك

فهو يدل على عموم مفهوم الاحصار .. لا على اختصاصه بالعدو فحسب ويدل لذلك قوله تعالى : **(للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله)** البقرة/٢٧٣ والمراد الذي منعهم العدو أو الذين منعهم تعلم القرآن .. أو شدة الحاجة والجهد عن الضرب في الأرض للتكسب وهم أهل الصفة .

وبعد ..

فقد ظهر من هذه الدراسة العجلى في موضوع الاحصار وهو من العوارض التي يقل أو يندر حدوثها .. أن اليسر والتخفيف إنما هو في اتباع مذهب مالك رحمه الله تعالى وهو إمام دار الهجرة الذي كان يتتبع أعمال أهل المدينة ويتخذ من ذلك دليل الترجيح عند الموازنة ويتلخص في أن من أحصر أى منع من إتمام حجه أو عمرته أو هما معا بعد الشروع فعلا في الاحرام لذلك ... سواء كان منعه لعدو أو لمرض أو لخوف .. أو لأى سبب من الأسباب القاهرة فما عليه إلا أن ينوي بقلبه الخروج من الاحرام وحينئذ يصير حلالا أى غير مقيد بالاحرام السابق ويحل له كل شئ كان محرما عليه في إحرامه من حلق وطيب وجماع ولبس مخيط وغير ذلك وإن أحب ان يضيف إلى ذلك سنة .. فليحلق .. هذا إذا لم يكن قد ساق معه هديا .. فان ساقه وجب عليه ألا يتحلل إلا بعد أن يرسل هديه إلى الحرم ليذبح هناك في أى وقت شاء إن تيسر له إرساله .. فان لم يتيسر ذبحه حيث أحصر وحل بعد الذبح ، ويحمل قوله تعالى : **(فان أحصرتم فما استيسر من الهدى)** على من ساق الهدى .. وعليه القضاء من قابل وجوبا في الحج واستنانا في العمرة ، وعليه هدى لفوات الحج يؤخره إلى سنة القضاء ، ومع ندرة هذا الموضوع أو قلته فانه مما يصعب فهمه لذلك أحببت أن أجلى غوامضه ، وأذلل صعابه والله الهادي إلى سواء السبيل .

مائدة القارئ

قدرة الله .. وعفوه

ركب ابراهيم بن أدهم سفينة ، فهاجت الريح ، وكثر الموج ، وبكى الناس ، وأيقنوا الهلاك من هول ما رأوا ونزل بهم ، وكان ابراهيم نائما ، فاستوى جالسا ، وقال : أريتنا قدرتك فأرنا عفوك ، فذهب الريح ، وسكن البحر .

التحرر من الشيطان

إنه لا سلطان للشيطان على المؤمنين المتوكلين على ربهم ، وإنما سلطانه على اتباعه من الذين استحبوا العمى على الهدى . وضلوا عن الحق ..
قال تعالى : (**فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون**)
الآيات ٩٨ و٩٩ و١٠٠ من سورة النحل .

الناس .. والغني .. والفقير

كان العباس ــ رضي الله عنه ــ يقول :
الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس ، وهو عندهم أعذب من الماء ، وأرفع من السماء ، وأحلى من الشهد ، وأذكى من الورد ، خطؤه صواب ، وسيئاته حسنات ، وقوله مقبول ، يرفع مجلسه ولا يمل حديثه .
والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب ، وأثقل من الرصاص ، لا يسلم عليه ان قدم ، ولا يسأل عنه ان غاب ، ان حضر ازدروه ، وان غاب شتموه ، وان غضب صفعوه ، مصافحته تنقض الوضوء ، وقراءته تقطع الصلاة .

الفأل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (لا طيرة وخيرها الفأل) . قيل : يارسول الله وما الفأل ؟ قال : (الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم) .

رواه مسلم .

فضل الله

قال الشاعر :

إلهي لك الحمد الذي أنت أهله ... على نعم ما كنت قط لها أهلا
إذا ازددت تقصيرا تزدني تفضلا ... كأني بالتقصير أستوجب الفضلا

رجل سمين

قال أعرابي يمازح رجلا سمينا : أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك .

ضياع .. فاحذره

سئل حكيم : ما أضيع الأشياء ؟ فقال : مطر الجود في أرض سبخة لا يجف ثراها . ولا ينبت مرعاها . وسراج يوقد في الشمس ، وصنيعة تسدى الى من لا يشكرها .

برأس المال

سرق رجل قميصا ، وأعطاه لابنه ليبيعه في السوق ، فسرق القميص منه ، وعاد الولد الى أبيه ، فقال الأب : بكم بعت القميص يابني ؟ فقال : برأس المال .

أدلة

القناعة دليل الأمانة ، والأمانة دليل الشكر ، والشكر دليل الزيادة ، والزيادة دليل بقاء النعمة ، والحياء دليل الخير كله .

كتاب الشهر



للدكتور .. طه حسين
عرض وتلخيص
حمدي متولي مصطفى صالح

الكتاب الأول : أبو بكر الصديق

واجهت أبا بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أربع محن : الشك في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .. والردة ومنع الزكاة .. والتنبؤ .. ثم الغارة المتوقعة من نصارى الشام ..

وقد تغلب عليها الخليفة الأول في خلافته القصيرة (سنتين وبضعة أشهر) .

وقد بايع المسلمون أبا بكر يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة ، لما يعرفونه له من فضل : فهو أول من أسلم من الرجال ، وهو صاحب النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته ، وهو من اختاره النبي صلى الله عليه وسلم ليصلي بالناس حين ثقل عليه المرض .. (ولم يعرف قط أن أبا بكر قال أو صنع شيئا ، يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلم إلى ان مات (الرسول) ، ذلك إلى إيثاره المسلمين على نفسه ، وانفاق ماله في معونتهم) .. (وقد آثره النبي صلى الله عليه وسلم بحبه حتى كان أحب الرجال إليه ..) .

[والمهم أن أحدا لم يخالف على أبى بكر ، لا من بني هاشم ، ولا من غيرهم ، وكل ما يقال غير هذا ، إنما تكلفه المتكلفون بآخرة ، حين افترق المسلمون شيعا وأحزابا] .

(والواقع أن القرآن لم يشرع نظاما لاختيار الخلفاء ، وأن السنة كذلك لم تشر إلى هذا النظام ، وانما تعود المسلمون نظام البيعة أيام النبي صلى الله عليه وسلم حين كانوا يبايعون على الاسلام بمكة قبل الهجرة ، وحين بايعه نقباء الأنصار ، على أن يؤووه وينصروه ، ويسمعوا له ويطيعوا ، وحين كانوا يبايعونه على مثل ذلك في المدينة ، فاستقر في نفوس المسلمين من أجل هذا ، أن الخلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم يجري أمرها مجرى سلطان النبي في حياته ، أى تقوم على المبايعة) .

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم يوحى إليه ، فقد كان التحلل من بيعته معناه ، النكث للعهد مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع الله عز وجل ..

(.. اما بيعة الناس للخلفاء ، فهي عقد بينهم وبين هؤلاء الخلفاء ، لا يجوز لخليفة أن ينقضه .. ولا يجوز لأحد من الرعية أن ينقضه أيضا ، لأن الله يأمر بالوفاء بالعهد في غير موضع من القرآن ، فيقول مثلا في سورة الاسراء : **(وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا)** الاسراء/٣٤ .. فان نكث الخليفة عهده فانحرف عن الكتاب والسنة ، فلا طاعة له على رعيته ، ومن حقها أن تطالبه بالوفاء بالعهد ، فان لم يستقم

فلهم أن يبرأوا منه ، وأن يلتمسوا لهم خليفة غيره ، واذا بغى بعض الرعية فنقض عهده ، وجب على الخليفة أن يراجعه في ذلك ، والا قاتله ، حتى يفيء إلى أمر الله) .

(وليس بد من أن تتم البيعة بين الخليفة والممثلين للمسلمين ، من أعلام الأمة وقادتها ، حتى حين يرضي الخليفة القائم لرجل من بعده ، كائناً ما يكون هذا الرجل) .

(فلم يكن استخلاف أبى بكر لعمر إلا ترشيحا له ، ولم يكن ما انتهى إليه أمر الشورى من اختيار عثمان إلا ترشيحا له أيضا ، وكلا الرجلين لم يستطع أن يقوم بشيء من أمور المسلمين ، إلا بعد أن تمت البيعة بينه وبينهم) .

(فالبيعة إذن هي الركن الأساسي للخلافة ، ومن أجل هذا كره المسلمون في صدر الاسلام أن تنتقل الخلافة من الآباء إلى الأبناء بالميراث ، على نحو ما كان الأكاسرة يصنعون) .

......

وكان مما أعلنه أبو بكر إلى المسلمين بعد البيعة ، أنه متبع وليس بمبتدع ، ولذلك كان أول ما صنعه هو إنفاذ جيش أسامة إلى الشام ، حيث أمر رسول الله أن يمضي ، وبعد عودته سالما غانما ، أنفذ أبو بكر أحد عشر قائدا لحرب المرتدين ، ومانعي الزكاة ، منهم خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، ذلك أن الجزيرة العربية كانت قد كفرت كلها ، إلا أفرادا من المسلمين ، ظلوا على دينهم ، ولكن الله أتاح للمسلمين النصر في وقت قصير .

(كل ذلك في هدوء أي هدوء كأن أبا بكر لم تعرض له محنة ، ولم تنتقض عليه العرب ، فقد أظهر أبو بكر في هذه المحنة أخص صفتين امتاز بهما ، وهما الاطمئنان إلى ما وعد الله في غير تردد ، أو تعرض للشك أو الوهن ، والثبات في حزم وعزم لما يلم به من المكروه ، حتى ينفذ منه ، ويمضي في أمر الله ألى أن يبلغ النصر) .

وقد كانت استهانة العرب المرتدين بالمسلمين عامة ، وبأبى بكر خاصة ، سببا في خروج أبى بكر عما عرف عنه من لين الجانب ، ورقة القلب ، وايثار الرفق على العنف ، إلى شيء كثير من العنف ، والشدة مع المرتدين .

......

وكان ثمة خلاف بين موقف الشيخين : أبى بكر وعمر ، بازاء خالد بن الوليد ، وقد أبلى بلاء حسنا في حروب الردة ، واستخلص العراق من أيدي الفرس ، ولكن كان به شيء كثير من العنف ، والاسراف في القتل ، كما كان محبا للتزوج ، وبه عجب وخيلاء .

(.. فقد نظر أبو بكر إلى أن خالدا رجل حرب ، والى أنه أبرع قواده ، والى ان الاسراع إلى عزل القواد أثناء الحرب مضيعة لمصلحة المسلمين ، ويوشك أن يوهن عزائمهم ، وان يفسد عليهم أمرهم بازاء العدو) .

ولكن عمر (.. كان يريد أن يكون

القواد حراصا أشد الحرص على العدل والنصفة ، وأبعد عن السرف والجور .. وكان أمر الدين ومثله العليا آثر عنده من أمر الحرب ، وما يكون فيها من انتصار أو هزيمة .. وما يكون فيها وفي أعقابها من إخافة للناس ، وترهيب لهم) .

(.. ومن هنا أصر أبو بكر على الانتفاع بقوة خالد ، وعلى ملاحظته ، يكفكفه إذا تجاوز القصد في الحرب ، ويعنفه إذا تجاوز القصد في أمر من أمور نفسه ..) .

.. في حين رأى عمر أن يعزل خالدا ، فلما أبى عليه ذلك أبو بكر سمع وأطاع ، حتى أتيح له في خلافته هو أن يعزله وأن يبعده عن الحرب حتى أدركه الموت ، وقد جاء عزل خالد ، وكان فور وفاة أبى بكر ــ وهو في الشام ، وقد تم له النصر على الروم ، وجعلت الامارة لأبى عبيدة .

......

ولم تتصل خلافة أبى بكر إلا سنتين وأشهرا ، كانت كلها خلافة حرب في الجزيرة العربية ، والعراق والشام ..

(.. ولا نعرف لأبى بكر شيئا امتاز به عن عمر ، في سياسة المسلمين الداخلية ، إلا أمرين اثنين .. أحدهما : أن الفيء كان يأتيه بعد انتصار قواده في حروب الردة ، وبعد انتصار خالد في العراق ..) .

وكان أبو بكر لا يفرق في القسمة بين السابقين إلى الاسلام ، والمجاهدين مع الرسول وغيرهم ، وقد خالف عمر هذا المذهب .

وثانيهما : أن أبا بكر بخلاف عمر ..

(.. لم يرم الفرس والروم في العراق والشام ، إلا بمن ثبت على إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يمنع العائدين من ردتهم إلى الاسلام ، من المشاركة في الفتح عقوبة لهم من جهة ، واشفاقا منهم من جهة أخرى) .

......

وأمر آخر لم يقبل عليه أبو بكر ــ عن مشورة عمر ــ إلا بعد تردد ، وهو جمع القرآن ..

وقد كلف بذلك زيد بن ثابت ، وكان يكتب الوحي للرسول بالمدينة ، فاجتمع بذلك أول مصحف كتب فيه القرآن ، وقد ظل هذا المصحف عند الشيخين ــ أو عند عمر وحده ، ثم عند حفصة أم المؤمنين ، حتى طلبه منها عثمان ، واعتمد عليه في نسخ المصحف الامام ، الذي أرسله إلى الأمصار .

وكان القصد من جمع القرآن ، هو حفظ نصوصه من أن تذهب بموت الذين يحفظونها في صدورهم ، أو يحتفظوا بها مكتوبة ، أما المصحف الامام فقد أريد به جمع الناس على قراءة لا يختلفون فيها .

......

وتوفى أبو بكر رحمه الله يوم الاثنين ، لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة ، وكانت سنه ثلاثا وستين سنة ، وقد استوفى بها سن رسول الله صلى الله

عليه وسلم .

وفي مرض وفاته ، أدى أبو بكر للاسلام والمسلمين أجل خدمة ، أداها رجل بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي استخلافه عمر بن الخطاب .

....

الكتاب الثاني .. عمر بن الخطاب

(ليس عجيبا أن يقول ابن مسعود فيما تحدث عنه الرواة : « كان إسلام عمر فتحا ، وهجرته نصرا ، وامارته رحمة » .. وكلمة ابن مسعود هذه على اختصارها ، هي أدق وصف يختصر حياة عمر منذ أسلم إلى أن توفى ، فقد كان إسلامه فتحا حقا ، لأنه أتاح للمسلمين أن يعلنوا دينهم ، وأن يصلوا أمام الملأ من قريش وهم آمنون ، وكانت هجرته نصرا ، فقد كان أنصح أعوان النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة لله ورسوله والمسلمين ، وأغلظ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على اليهود ، والمنافقين ، وكانت إمارته رحمة ، فقد أتاح للمسلمين أثناء خلافته لونا من الحياة ، ما زالت الأمم المتحضرة الآن في الغرب مقصرة عن بلوغه ، على شدة ما تجتهد وتجاهد في سبيله ، وما زال المسلمون في هذه الأيام يرون هذا اللون من الحياة ، التي أتاحها عمر للناس حلما ، ولا يدرون متى يصبح حقيقة ، على ما أتيح لهم ، وما يتاح لهم ، في كل يوم من الوسائل ، التي تعينهم على تيسير الحياة .. ولم يكن عمر يملك من هذه الوسائل شيئا) .

......

وقد أسلم عمر في السنة السادسة من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان سنه ستا وعشرين سنة .

وكثيرا ما نزل الوحي مطابقا لرأى عمر : في تحريم الخمر ، والحجاب ، وعدم الصلاة على المنافقين الفاسقين ، ورفض الفداء ، وقتل الأسرى ، وفي حرمة بيت النبي صلى الله عليه وسلم .

أما مراجعته لأبى بكر في خلافته ، فقد أثبتت التجربة في غير قليل من الحالات صواب رأيه .

......

وفي خلافته البالغة عشر سنين وأشهرا ، تم فتح العراق ، وبلاد « كسرى يزدجرد » إلا أقلها بقيادة سعد بن أبى وقاص ، وتم فتح الشام بقيادة عبيدة بن الجراح ، وأمر عليها معاوية بن أبى سفيان ، وعقد بنفسه الصلح مع بيت المقدس ، كما فتحت مصر وبرقة بقيادة عمرو بن العاص .

وكان عمر أول من دعى أمير المؤمنين ، وأول من اتخذ عام الهجرة بدءا للتاريخ الاسلامي .

وكان يتلقى ـ أكثر جدا مما يتوقع ـ أخماس الغنائم ، وخراج أرض المعاهدين ، وجزية المغلوبين ممن لم يسلموا ، وأشار عليه الوليد ابن هشام بن المغيرة بالرأى الصواب وهو ألا يقسم المال على الناس لغير غرض معروف ، وانما لتجنيد الجنود .. ولذلك كلف من كتب الناس على قبائلهم ، ثم يدخر ما يفيض بعد

عطاء الجند ، وعطاء أسرهم ببيت المال ، ليكون عدة للأحداث .

......

وبخلاف أبى بكر – كما سبق القول – فقد فرق عمر بين الناس في العطاء ، على أساس اختلافهم في السن ، وفي درجة القرابة للنبي ، والقرب منه ، والسبق إلى الاسلام ، والمشاركة في الغزوات ، والانتماء إلى المهاجرين ، أو الأنصار ، وقد بلغ بالعطاء اللقيط والطفل منذ ولادته ، دون انتظار فطامه .

(.. ونظام العطاء هذا كما فرضه عمر جديد من جميع نواحيه ، لا نعرف أن أمة من الأمم التي سبقت إلى الحضارة عرفته ، أو عرفت شيئا قريبا منه ، وما أظن أن الحضارة الحديثة وفقت إليه .. وكل ما وصلت إليه الحضارة الحديثة في بعض البلاد ، ووصلت إليه بأخرة ، هو التأمين الاجتماعي الذي تؤخذ نفقاته من الناس ، لترد عليهم بعد ذلك) .

(.. على أن سياسة عمر هذه ، لم تتصل بعد وفاته ، إلا شطرا من حياة عثمان ، ثم عدل عن هذا النظام ، حين أنكر الناس على عثمان كثرة ما يعطي لبعض الناس) .

وبذلك قصر العطاء على الجند والشيوخ ، من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان عمر يفرض العطاء للأطفال ، لأنه كان يرى ذلك حقا لهم ، وليس لتشجيع الناس على الاكثار من الولد ، كما تفعل بعض الدول الحديثة ، حين يقل بها عدد المواليد ، وتتعرض للنقصان ، وكان عمر يقول : « لئن زاد المال لأعدنه لهم عدا ، فان أعياني لأكيلنه لهم كيلا ، فان أعياني لأحسونه لهم بغير حساب » .

وفي عام الرمادة حيث اشتد الجدب تسعة أشهر ، كان يكثر من القول : « نطعم ما وجدنا الطعام ، فاذا لم نجد أدخلنا على كل أهل بيت عدتهم ، فشاركوهم في طعامهم فانهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم » .

......

وبلغت رعاية عمر لشئون الدين جملة على أن : [يبتكر أشياء لم يكن للمسلمين بها عهد أيام النبي صلى الله عليه وسلم ولا أيام أبى بكر ، فهو الذي سن صلاة التراويح ، وهو من جعل حد شرب الخمر ثمانين جلدة ، بمشورة من علي بن أبى طالب ، ويكفي لكي ندلل على أن عمر لم يكن يخاف في الله لومة لائم ، أنه أقام الحد على ابنه عبد الرحمن الأوسط لشربه الخمر ، حتى مات فلم يظهر حزنا عليه] .

وقد أنشأ نظام القضاء ، وعممه في الأمصار ، كما عمم ما كان قائما منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم من إرسال المعلمين إلى الأمصار ، ليقرئوا الناس القرآن ، ويعلموهم شرائع دينهم .

(وكان عمر أول من أخذ الدرة يؤدب بها الناس ، إن جاروا عن القصد قليلا ، أو كثيرا ، لا يفرق في ذلك بين كبار الصحابة ، وغيرهم من الناس) .

(وقد هم عمر أن يكتب السنة ، فاستخار الله في ذلك شهرا ، ثم عدل عنه وقال : « ذكرت قوما كتبوا كتابا ، فاقبلوا عليه ، ونسوا كتاب الله » .. واذا دل هذا على شيء ، فانما يدل بنحو خاص ، على تردد عمر في رواية الحديث ، فكيف بكتابة ما حفظ و ، وما حفظ الناس من حديث انبي ، وكل هذا يصور احتياط عمر للدين ، وشدة حرصه على ألا يعرضه لشيء من الشك ، أو الخطأ) .

......

(وكان يختار لولاية الأمصار أولى القوة والكفاية ، وان كانوا من الذين أسلموا بأخرة ، ويترك الأكابر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) خوفا من ان يفتتنوا ، أو يفتنوا الناس ، كما كان يمنعهم ، ويمنع قريشا من الخروج إلى الأمصار للسبب نفسه ، وكان لا يولي عاملا إلا كتب ماله قبل أن يذهب إلى مصره ، فاذا عاد معزولا حاسبه ، فان وجد في ماله زيادة غير مقبولة ، قاسمه ماله .

......

وذات صباح من سنة ثلاث وعشرين ، وهو يسوى الصفوف للصلاة ، طعنه « أبو لؤلؤة » وهو عبد عجمي ، فجعل عمر أمر الخلافة شورى بين هؤلاء الستة : علي ، عثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وأمرهم أن يختاروا أحدهم ، وأن يحضرهم ابنه عبد الله وابن عمه سعيد ابن زيد بن عمرو ، على ألا يكون لهما في الأمر شيء ، وأمر ابنه عبد الله أن يضمنه في دينه لبيت المال ، فلم يمض الأسبوع على دفنه حتى أدى عبد الله الدين إلى عثمان .

وبوفاته ختم أروع فصل في تاريخ الاسلام والمسلمين ، منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى آخر الدهر ..

(ولم يكن عمر يعرف قانونا ، إلا القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، ولم تكن له شرطة يستعين بها على حفظ الأمن والنظام ، ولكنه ساس المسلمين على نحو جعلهم جميعا شرطة له في المدينة ، وشرطة لولاته في الأمصار) .

وقد ثار عبيد الله بن عمر لقتل والده ، وأسرع فقتل الهرمزان ، وكان ملكا من ملوك الفرس ، أو كبيرا من كبرائهم ، وجفينة وكان مسيحيا ، وصبية لأبى لؤلؤة كانت تزعم أنها مسلمة ، وقد عفا عثمان عن عبيد الله ، وأدى دية الرجلين والصبية ، فأنكر الناس ذلك ، وكان من أسباب الفرقة بين المسلمين .

وتوفي رحمه الله يوم الخميس ، وكانت طعنته الاربعاء .

(وقد أمر بالقصد في كفنه ، وأمر بألا يجعل في حنوطه مسك ، فدل ذلك على أن الشهداء إنما يدفنون على هيئتهم ساعة يقتلون ، إذا استشهدوا في ميدان القتال ، فأما إذا استشهد المسلم لأن عاديا أثيما عدا عليه فقتله ، فانما يجهز كما يجهز غيره من الموتى ، فيغسل ، ويكفن ، ويصلى عليه ، وكذلك كانت حياة عمر وموته مصدر نفع للمسلمين) .

ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الاحاديث التي تدور على السنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

« افترض الله تعالى علي وعلى امتي الصوم ثلاثين يوما ، وافترض على سائر الأمم أقل وأكثر ، وذلك أن آدم لما أكل من الشجرة بقي في جوفه مقدار ثلاثين يوما ، فلما تاب الله عليه أمره بصيام ثلاثين يوما بلياليهن ، وافترض علي وعلى امتي بالنهار وما نأكل بالليل بفضل من الله تعالى » .

موضوع :

من رواته موسى بن نصر البغدادي قال الخطيب عنه انه غير ثقة . حدث عن الثوري ومالك وحماد احاديث منكرة .

ورواه السيوطي في اللآلىء المصنوعة واعتبره موضوعا .

« اذا غاب الهلال قبل الشفق فهو لليلة ، واذا غاب بعد الشفق فهو لليلتين » .

موضوع :

قال ابن حبان لا أصل له وحماد بن الوليد أحد رواته يسرق الحديث :

ورواه الوليد بن سلمة عن عبيد الله بن عمر وهو ايضا يسرق الحديث

ورواه رشدين بن سعد عن يونس بن يزيد عن نافع ورشدين متروك الحديث

ورواه السيوطي في اللآلىء المصنوعة في الاحاديث الموضوعة ، واعتبره موضوعا .

حج المرأة المسلمة

للدكتور زيدان عبدالباقي

الحج هو قصد مكة لاداء عبادة الطواف والسعي والوقوف بعرفة وسائر المناسك استجابة لأمر الله تعالى : **(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)** « سورة الحج /٢٧ » والحج هو احد اركان الاسلام الخمسة لقوله تعالى : **(إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين)** « آل عمران /٩٦ ـ ٩٧ » .

والحج واجب على المرأة وجوبه على الرجل سواء بسواء ، اذا استوفت [illegible] وهي : الاسلام ، [illegible] ، العقل ، الحرية ، الاستطاعة . ويزاد عليها بالنسبة للمرأة ان يصحبها محرم والمقصود « بالمحرم » هنا شخص ذكر ممن حرم عليه نكاحها ـ اي الزواج منها ـ على التأبيد بسبب مباح لحرمتها . فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يخلون رجل بامرأة الا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة الا مع ذي محرم » فقام رجل وقال : يارسول الله : إن امرأتي خرجت حاجة ، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « انطلق فحج مع امرأتك » رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم .

ذلك أن الزوج ليس ملزما بالحج مع زوجته ، اذا كان قد سبق له الحج باعتبار الحج من الفرائض التي [illegible]

مرة واحدة ، وأكثر من ذلك تعتبر على سبيل التطوع . ومن هنا جاءت فكرة « المحرم » وكذلك المرأة الارملة او غير المتزوجة او المطلقة .

ومن المشهور عند الشافعية ــ كما قال الحافظ ــ اشتراط الـزوج او المحرم او النسوة الثقات ، حيث قيل : إنه « تكفي امرأة واحدة ثقة » وفي قول نقله الكرابيسي وصححه في المهذب « تسافر وحدهـا إذا كان الطريق آمنا » وهذا كله في الواجب من حج وعمرة ، وفي سبل السلام . وقال جماعة من الائمة « يجوز للعجوز السفر من غير محرم » على انه إذا خالفت المرأة وحجت دون ان يكون معها زوج او محرم صح حجها طبقا لرأي ابن تيمية « إنه يصح الحج من المرأة بغير محرم ، ومن غير المستطيع » على اعتبار ان المعصية إن وقعت فهي في الطريق وليس في نفس المقصود .

ويشترط الاسـلام على المرأة أن تستأذن زوجها في الخروج الى الحج الفرض ، فان أذن لها خرجت . وإن تعنت معها ولم يأذن لها ، يبيح لها الاسلام أن تخرج بغير إذنه ، لأنه ليس للرجل منع امرأته من حج الفريضة ، لأنها عبادة وجبت عليها ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . ولهما ان تعجل به لتبرىء ذمتها ، كما ان لها ان تصلي اول الوقت ، وليس له منعها . ويلحق به الحج المنذور ، لانه واجب عليها كحجة الاسلام . وللرجل فله في حالة حج التطوع حق منعه طبقا لرواية الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ في امرأة كان لها زوج ولها مال ، فلا يأذن لهـا بالحج ــ قال « ليس لها أن تنطلق إلا باذن زوجها » فقد أجمع العلماء على أن الحج لا يتكرر ، وانه لا يجب في العمر إلا مرة واحدة ، إلا أن ينذره المرء فيجب الوفاء بالنذر ، ومازاد فهو تطوع .

المرأة والجهاد في الحج :

هذا والحج من الفرائض الدينية المصحوبة بالمشاق البدنية . ولذلك يوصف بانه نوع من الجهاد ، فعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ، ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني جبـان ، وإنـي ضعيف ، فقال : « هلم الى جهاد لا شوكة فيه : الحج » رواه عبد الرازق والطبراني ورواته ثقات . وعن ابي هريرة ــ ايضا ــ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « جهاد الكبير ، والصغـير ، والضعيـف ، والمـرأة الحـج والعمـرة » رواه النسائـي باسناد حسن .

بيد ان الاسلام يبيح للمرأة إذا كانت متقدمة في السن أو مريضة ــ شأنها شأن الرجل ــ ان تنيب عنها . رجلا او امـــرأة ــ إذا كانـــت قادرة اقتصاديا ــ ليحج بدلا منها . ففي الحديث دليل على أن المرأة يجوز لها ان تحج عن الرجل والمرأة ، والرجل يجوز له ان يحج عن الرجل والمرأة ، ولم يأت نص يخالف ذلك . وإذا عوفيت من مرضها بعد ان حج عنها

نائبها او نائبتها ، فان الفرض يسقط ولا تلزمها الا عادة . وليس للمرأة ان تنيب عنها من تشاء ليحج بدلا منها ، وانما يشترط فيمن يحج عن غيره ان يكون قد سبق له الحج عن نفسه ، لما رواه ابن عباس رضي الله عنهما : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : « لبيك عن شبرمة » فقال : « أحججت عن نفسك » قال : لا ، قال « فحج عن نفسك ، ثم حج عن شبرمة » رواه ابو داود وابن ماجة .

المرأة وآداب الحج :

قبل الاحرام يلزم الاسلام المرأة بالنظافة بمختلف اركانها وهي : تقليم الأظافر وحلق الابط والعانة والوضوء او الاغتسال وهو افضل ، وتسريح شعر الرأس غير انها إذا كانت حائضا أونفساء لا يجوز لها أن تطوف بالبيت حتى تطهر ، وإنما يجوز لها أن تغتسل ، وان يكون الغسل بنية الاحرام ، ثم تحرم وتقضي مختلف المناسك . والاغتسال ايضا يكون من اجل تغيير الرداء والازار ، ويجوز فيه استخدام الصابون ولو كانت له رائحة . فعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن النفساء والحائض تغتسل ، وتحرم وتقضي المناسك كلها ، غير انها لا تطوف بالبيت حتى تطهر » رواه احمد وابو داود ، والترمذي وحسنه . وإذا أحرمت فانه لا يجوز لها تقليم الاظافر أو إزالة الشعر بالحلق أو القص أو بأية طريقة ، سواء أكان شعر الرأس أو غيره ، لقوله تعالى : **(ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله)** « البقرة/١٩٦» ويجوز إزالة الشعر عند التأذي من بقائه ، وفيه الفدية ، إلا في إزالة شعر العين إذا تأذت وهي محرمة ، فانه لا فدية فيه لقوله تعالى : **(فمن كان منكم مريضا او به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك)** البقرة/١٩٦ هذا وإذا طافت المرأة وهي حائض أو نفساء أو جنبا أو كانت قد اشتركت مع زوجها في جماع بعد الوقوف بعرفة وقبل الحلق ، فانه تجب عليها « البدنة » أي ذبح جمل ، وتوزيع لحمه على الفقراء ، ومن لم تجد فعليها ذبح سبع شياه ، لقوله تعالى : **(والبدن** – اي الابل – **جعلناها لكم من شعائر** – اعمال الحج – **الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع** – اي السائل – **والمعتر** – اي الذي يتعرض لاكل اللحم – **كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون . لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)** « الحج /٣٦ ، ٣٧»

وليس للمرأة في الحج أن تستخدم المكياج الثقيل أو الخفيف ، وانما يجوز لها استخدام مياه الكولونيا أو ما أشبه ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كنا نخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ، فتنضح جباهنا بالمسك عند

الاحرام ، فاذا عرقت إحدانا ، سال على وجهها ، فيراه النبي عليه الصلاة والسلام ، فلا ينهانا » رواه احمد وابو داود .

ومن جهة اخرى يكره للمرأة الخضاب بالحناء ، حال الاحرام إلا إذا كانت معتدة من وفاة ، فيحرم عليها ذلك ، كما يحرم عليها الخضاب إذا كان نقشا ولو لم تكن معتدة . فقد قال الاحناف والمالكية « لا يجوز للمحرم ان يختضب بالحناء في اي جزء من البدن سواء أكان رجلا أم امرأة ، لانه طيب ، والمحرم ممنوع من التطيب » .

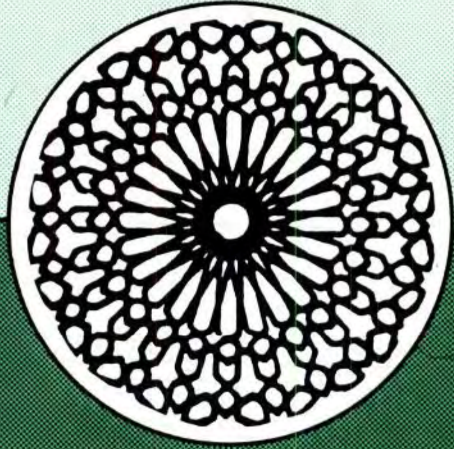
ومن المحظور على المرأة والرجل : الجماع ودواعيه ، كالتقبيل ، واللمس بشهوة ، واقتراف المعاصي التي تخرج المرء عن طاعة الله . وكذلك مخاصمة الرفاق والخدم وغيرهم ، لقوله تعالى : **(فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج)** « البقرة/١٩٧»

اما من كان له عذر واحتاج الى ارتكاب محظور من محظورات الاحرام هذه ، غير الوطء ، كحلق الشعر أو لبس المخيط ، اتقاء لحر أو برد ونحو ذلك ، لزمه ان يذبح شاة أو يطعم ستة مساكين ، كل مسكين نصف صاع ، أو يصوم ثلاثة ايام ، وهو مخير بين هذه الامور الثلاثة ، مع مراعاة انه لا يبطل الحج أو العمرة بارتكاب شيء من هذه المحظورات سوى الجماع قبل الوقوف بعرفة .

وإذا كان الاسلام يوجب على الرجل حلق شعره بالموسى أو تقصيره عند دخوله الى المسجد الحرام ، لقوله تعالى : **(لقد صدق الله رسوله الرءيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون)** « الفتح / ٢٧» فانه يجيز للمرأة ان تدخل المسجد الحرام دون حلق شعرها ، وإنما بتقصير فقط ، فقد روى ابو داود وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس على النساء حلق ، وإنما على النساء التقصير » حسنه الحافظ . والطريقة ان تجمع المرأة شعرها الى مقدم رأسها ، ثم تأخذ منه نصف سنتيمتر تقريبا ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « المرأة إذا أرادت أن تقصر ، جمعت شعرها الى مقدم رأسها ثم أخذت منه أنملة » وقيل لا حد لما تأخذه المرأة من شعرها . وقالت الشافعية أقل ما يجزىء ثلاث شعرات .

واخيرا يبيح الاسلام للنساء التعجيل بطواف الافاضة يوم النحر إذا كن يخفن مبادرة الحيض ، فقد كانت عائشة تأمر النساء بتعجيل الافاضة يوم النحر مخافة الحيض . وقال عطاء : « إذا خافت المرأة الحيضة فلتزر البيت ، قبل ان ترمى الجمرات ، وقبل أن تذبح » .

وإذا كان آخر النسك الطواف بالبيت ، فاننا نرجو من الله لكل من كتب لها الحج هذا العام ألا ترفث ولا تفسق ولا تجادل حتى تعود من ذنوبها كيوم ولدتها أمها .



الحقيقة المحمدية والمغالون فيها

للاستاذ/ عبد الكريم الخطيب

(١)

في كل مجتمع من المجتمعات الدينية السماوية ، وغير السماوية ، يكون هناك عادة فريق يسلكون طريق المغالاة والتطرف في معتقدهم الديني ، حتى ليبلغ بهم ذلك الى مجاوزة هذا المعتقد ، والخروج عن مقرراته واحكامه ، على حين يكون فريق آخر من المنتسبين الى هذا الدين ، قد بلغ بهم التقصير فيه ، والمجافاة له الى حد الانسلاخ منه ، والتحلل من كل احكامه ومبادئه . وبين هذين الفريقين ـ المغالين والمقصرين ـ يوجد فريق ثالث قائم على الطريق الوسط بين الغلو والتقصير ، وهذا الفريق هو وحده الذي تتمثل فيه حقائق الدين ، وترى فيه آثاره ، سواء اكان هذا الدين حقا أم باطلا ، اذ ان في هؤلاء الملتزمين لحدود دينهم تنكشف حقائق هذا الدين ، فيقبل عليه من يقبل ، ويعرض عنه من يعرض ، على بينة منه ، ومعرفة به : (**ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة**) سورة الانفال / ٤٢ .

(٢)

ولما كان الغلو في الدين بخاصة ، اشد خطرا ، واعظم بلاء على المغالين ، من اهل التفريط والتقصير فيه ، اذ غالبا لا يكون للمغالين سبيل الى استعادة توازنهم بعد هذا الشرود والجموح ، على خلاف المقصرين الذين يمكن ان ينشطوا من خمولهم ، وان يستيقظوا من غفلتهم ـ لما كان ذلك كذلك من أمر الغلو ، فقد جاءت آيات القرآن الكريم محذرة أهل الغلو من الاسترسال مع غلوهم الذي لا يلبث بهم طويلا حتى يلقي بهم من حالق ، شأنهم في هذا شأن من يحاول ان يتسلق جبلا ، وعر المسالك ، عالي القمم ، وهيهات له ان يسلم من الهوى الى القاع جثة هامدة ! !

يقول الله تعالى في أتباع المسيح الذين غلوا في شخصه ، فألبسوه ثوب البنوة لله ، او الألوهية مع الله : (**يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا**) سورة النساء / ١٧١ و ١٧٣ . ويقول سبحانه ، في الفريقين من اهل الكتاب ، اليهود والنصارى : (**قل يا أهل الكتاب لا**

تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) سورة المائدة / ٧٧ .

وفي الحديث الصحيح عن جابر بن عبدالله قال : كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فخط خطا ، وخط خطوطا عن يمينه ، وخطوطا عن يساره ، ثم وضع يده على الخط الأوسط ، فقال : هذه سبيل الله جل وعلا ، ثم تلا قوله تعالى : **(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)** ثم اشار الى الخطوط التي على يمين هذا الخط وعلى يساره وقال : ما من خط من هذه الخطوط الا وعلى رأسه شيطان يدعو اليه » .

وعن بريدة ، قال : خرجت ذات يوم امشي ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي ، فاخذ بيدي فانطلقنا ، فاذا رجل يصلي ، يطيل الركوع والسجود ، فقال صلى الله عليه وسلم : اترى هذا يرائي ؟ فقلت : الله ورسوله اعلم ... فأرسل يده ، وطبق بين يديه ثلاث مرات ، يرفع يديه ، ويضربهما ، ويقول في كل مرة : عليكم هديا قاصدا ، فانه من يشاد هذا الدين يغلبه » .

(٣)

ومع تحذير الاسلام من هذا الغلو في العبادات ، وفي الاشخاص ومع ما كشف عنه من مغبة هذا الغلو ، ودمغ اهله بالكفر ، كما يقول تعالى فيما كان من اليهود والنصارى من مغالاة في بعض الاشخاص : **(وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أني يؤفكون)** سورة التوبة / ٣٠ ـ مع هذا التحذير ، فان بعض من دخلوا في الاسلام ، وقعوا في هذا المحذور ... اذ قد دخل في الاسلام اقوام من الاعاجم ، الذين كانوا يؤلهون الاكاسرة والقياصرة فادخلوا على الاسلام بعض تلك الموروثات الباطلة ، وهم يحسبون انهم بهذا انما يمدون الاسلام بما يحبب لأقوامهم الدخول فيه ، حين يرون قرب الاسلام منهم ، والتقاءه من قريب مع معتقداتهم .

واذا كان هؤلاء الذين صوروا الاسلام على تلك الصورة المموهة بالاباطيل ـ قد فعلوا هذا عن حسن نية ، وسوء فهم ، فانهم اعداء للاسلام ، في صورة اصدقاء وهذا هو البلاء العظيم ، والشر المستطير ، الذي يدخل اصحابه فيمن دخلوا في قوله تعالى : **(أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون)** سورة فاطر : ٨ .

اذا كان هذا شأن المغالين في الاسلام عن حسن نية نابعة من جهل وغباء ، فان هناك فريقا من هؤلاء المغالين قد دخلوا على الاسلام بهذه المغالاة ، عن قصد الكيد لدين الله ، والنيل من امة الاسلام ، والوقوف في سبيل تقدمها وارتقائها في مدارج

العزة والقوة وتملكها زمام القيادة للعالم كله .

وما ظهور فرق المعتزلة ، والمتصوفة ، وجماعة اخوان الصفا ، وغيرهم ممن اشاعوا الفرقة والبلبلة والاضطراب في الفكر الاسلامي ، وادخلوا الاوهام والوساوس في قلوب كثير من المسلمين – ما هذا كله وكثير غيره ، الا كان السبب الأول في تلك النكسة التي زلزلت اركان الأمة الاسلامية ، واشاعت الفرقة والانقسام بين ابنائها ، والتي القت على جماعة المسلمين روحا خبيثة من الاستكانة ، والاستسلام والهزيمة امام ضربات الحياة ، حتى ارتدوا على ادبارهم ، وزايلوا مكان الصدارة الذي كان لهم ، دون ان يجدوا لذلك وخزة الم ، او مشاعر ضيق وهم ، وحتى لقد صدق فيهم قول الشاعر :

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت ايلام

(٤)

ولقد لعب التصوف والمتصوفة دورا خطيرا في التسلط على عقول المسلمين وقلوبهم ، بما اذاعوه في المجتمع الاسلامي من التعلق باوهام الزهد ، والانخلاع من متاع الحياة ، والهروب من ميدان العمل ، والفرار الى الخلوات في الزوايا ، والكهوف ، والمغارات ، وذلك كي لا يفتنوا بالدنيا التي تشغلهم عن ذكر الله ، والوصول الى مقام الولاية ، ذلك المقام الذي لا يناله من امسك بيده بشيء من اشياء الحياة الدنيا ! !

هكذا دخل التصوف على المسلمين من باب الدين ، والمغالاة فيه ، في تلك الفترة الحرجة التي ماجت فيها الامة الاسلامية بتيارات الفتن ، والخلافات المذهبية والطائفية ، والعقائدية ، منذ اواخر القرن الثاني للهجرة وما بعده .

ولقد وجد التصوف الطريق ممهدا لاستجابة كثير من العامة واشباه العامة ، كما يدعو اليه شيوخه ، واقطابه ، في زحمة الفتن ، وتكاثف دخانها ، من انه لا نجاة من هذا البلاء الا بارتداء ثوب التصوف ، والانخلاع جملة من كل شيء من حطام هذه الدنيا ...

وهكذا صور دعاة التصوف للناس انهم على ظهر سفينة توشك ان تغرق ، وان من اراد النجاة فليلق بكل امتعته ، ثم ليلق بنفسه في الماء عاريا ، وحسبه ان يسلم بنفسه ، ولا عليه ان هلك كل ما معه من متاع ! ولا شك ان هذا داء ، يراد به الاستشفاء من داء ، فيضيف الى الداء داء ، وهيهات ان يرجى من وراء ذلك شفاء ! !

(٥)

ويكفي أن نسوق هنا مقولة من مقولات المتصوفة التي دخلوا بها الى عقول المسلمين ، ومكنوا لها في قلوب كل من اتصلوا بالتصوف من قريب ، او من بعيد ، حتى اصبحت تلك المقولة عقيدة تزاحم عقيدة الاسلام ، وتحل مكانها عند كثير من المسلمين .

وتلك المقولة ، تتصل برسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وتغـالي في شخصه ، حتى تكاد تخرجـه من العالـم البشري ، الى عالـم الملأ الاعلى ، ليكون الها مع الله ، او ربا ثانيا يشارك الله في سلطانـه ... فهناك عنـد المتصوفـة ما يعـرف « بالحقيقة المحمدية » ! !

ويستجلـب المتصوفـة للحقيقـة المحمدية مقولات كثيرة من عندهم ، يدخلونها مدخل الاحاديث المنسوبة كذبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينسجون من خيوطها رقعا مهلهلة ، يلبسونها النبي الكريـم ، حتى يغيب شخصه من عالم البشر ، ثم لا يرى فيه المسلم من خلال تلك الرقع الا ما يرى الرائي سرابا يلمع في الصحراء ، فيحسبه ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ! !

(٦)

ومن مقولات المتصوفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قال : « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ، وكنت نبيا ، ولا آدم ولا الطين » ثم يأخذون من هذا القول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو اول ما خلق اللـه ، وان منـه كانـت سائـر المخلوقات ! !

ثم انهم يؤيدون زعمهم هذا بحديث آخر ينسبونه الى الرسول الكريم ، وهذا الحديث : « كنت جوهـرة في العرش ، فقال الله كوني محمدا ، ومن تلك الجوهرة خلق الله اللوح ، والقلم ، والكرسي ، ثم السموات ، والأرض وما فيهما » .

ولا شك ان هذه المقولات تدعي لمحمد بن عبدالله ما ليس له ، وتجعله من عالم آخر غير عالمه الذي ولد فيه ، كما يولد سائر ابناء آدم ثم يجتبيه ربه رسولا الى الناس ، مبلغا رسالات ربه ، كما اجتبى الرسل والانبياء من قبله .

(٧)

وانه لكي يحرس الله تعالى رسوله من هذه المفتريات التي تنتزعه من عالم البشر ، وتقطع الطريق على الذين يذهبون مذهب المغالاة فيه ، وانتزاع صورته الكريمة التي عرفها الناس له ، وتعاملوا بها معه ، وتمثلوا فيها صورة الانسان العظيم الذي تهفو اليه القلوب ، وتتعلق به الآمال في التأسي به ، والسير وراء خطواته .

ولو ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان من عالم غير عالـم البشر ، لما رأى الناس فيه المثـل الكامل للانسان ، في نبله ، وسمو اخلاقه ، وعلو مكانته ، الامر الذي يدعو الى تعلق النفوس به ، ونزوع الهمم الى تمثله ، والاقتداء به ، لينال كل انسان الحظ المقدور له من صفاته وكمالاته ... والناس انمـا تنـزع نفوسهم ، وتتعلق آمالهم ، باهـل المجادة والعظمة من الناس ... حيث الشبه قريـب بينهـم وبـين هؤلاء الناس ...

وليس من شأن الناس ابدا ، ولا من منازع نفوسهم ان يتطلعوا الى مشابهة اي عالم من عوالم المخلوقات الأخرى غير عالمهم البشري ... فما

تصور انسان ان يكون أسدا مفترسا ذا انياب ومخالب ، ولا فيلا يحطم الشجر بانيابه ، ولا طائرا يطير بذراعيه ، ولا ملكا ، ولا شيطانا ، ولا غير ذلك مما يخرج به عن طبيعة الانسان ! !

والناس ـ كما خلقهم الله تعالى ـ انماط مختلفة ، ودرجات متفاوتة ، بين القوة والضعف ، وعلو الهمة وفتورها ، ووقدة العقل وخموده ... ومع هذا فكلهم في مسلاخ الانسان ، وفي صورته ... ومن هنا يقع التنافس بينهم ، كي يلحق الفقير بالغني ، والضعيف بالقوي ، والجاهل بالعالم ، ومن لا جاه له بأن يكون ذا جاه . وهكذا لأن الانسان في تلك الحال انما ينظر الى انسان مثله ، داخل العالم الانساني .

ولو كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم على صورة غير بشرية ، لما كان له سبيل الى الالتقاء بالناس ، ولنفر الناس منه ، فزعا وخوفا ، او استهزاء واستصغارا ...

ولهذا كان كل رسول بعثه الله تعالى ، واحدا من ابناء قومه ، ولد فيهم ، ونشأ بين ابنائهم لا ينكرون منه شيئا ، حتى اذا اختاره الله لرسالته كان من قومه الحسد له ، والخلاف عليه ، كما يقول تعالى في ثمود قوم صالح ـ عليه السلام ـ **(كذبت ثمود بالنذر . فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذن لفي ضلال وسعر . أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر)** سورة القمر : ٢٣ ـ ٢٥ ويقول سبحانه على لسان مشركي مكة ، وما يقترحون من ان ينزل الله عليهم ملكا ، ليبلغهم رسالته : **(وقالوا لولا أنزل عليه ملك)** فيسفه الله تعالى مقترحهم هذا ، فيقول سبحانه : **(ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون)** . سورة الانعام / ٨ و ٩ .

(٨)

وقد جاء القرآن قاطعا طرق الكذب والافتراء على رسول الله ، من أدعياء الولاية والقطبية والتصرف في هذا الوجود ، كما يخيلون للناس من زور وبهتان ، وذلك حين يبالغون في شخص رسول الله ، ويخرجونه من دائرة البشرية ، حتى يكون الها مع الله ... فلا عجب اذن ان يكون هؤلاء الاولياء والاقطاب ـ وان كانوا في صورة البشر ـ اصحاب تصريف غير محدود فيما هو لله تعالى وحده ! !

لقد اخذ القرآن كل طريق على اولئك الذين يتخذون من الكذب على رسول الله ، ستارا يدارون به كذبهم وافتراءهم على الناس . بدعوى انهم يقتدون برسول الله ، ويغرفون من امداد بحره ! !

وفي هذا يقول الله تعالى عن رسوله الكريم : **(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على أعقابكم)** سورة آل عمران : ١٤٤ ويقول سبحانه **(قل إنما أنا بشر مثلكم)** الكهف : ١١٠ ويقول جل شأنه : **(وما جعلنا**

لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) سورة الانبياء : ٣٤ .

واكثر من هذا فان الله نعى رسوله الكريم ، وهو حي بين اصحابه ليتأكد لهم انه يجري عليه من سنن الله ما يجري على البشر جميعا ، فقال تعالى : **(إنك ميت وإنهم ميتون . ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون)** سورة الزمر : ٣٠ و ٣١ .

وهذا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يدع فرصة سانحة دون ان يذكر اصحابه فيها بانه بشر مثلهم ، حتى لا يدخل عليهم شيء من مشاعر الحب لشخصه ، والسمو بذاته ، يذهلهم عن الحقيقة ، التي يجب ان يؤمنوا بها ، وهي انه ــ صلى الله عليه وسلم ــ من عالم البشر ، وان كان على رأس البشرية كلها .

ففي البخاري ومسلم ، عن ابن مسعود قال : صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر خمسا ، فلما اخبر بذلك بعدما سلم ، سجد سجدتين للسهو ، ثم قال : « انما انا بشر مثلكم ، انسى كما تنسون ، فاذا نسيت فذكروني » . وما هذا النسيان الا لتقرير بشرية الرسول .

وفي الصحيحين ايضا عن ام المؤمنين ، ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انما انا بشر ، وانه يأتيني الخصم ، فلعل بعضهم يكون ابلغ من بعض ، فاحسب انه صادق ، فاقضي له ، فمن قضيت له بحق مسلم ، فانما هي قطعة من النار فليحملها او يذرها » .

وفي صحيح مسلم : « انه ليغان على قلبي ، واني لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة » .

(٩)

فماذا يقول القرآن الكريم اصرح واوضح من هذا القول ، في الكشف عن ذات النبي ، وانه بشر ، لم تزايله بشريته ابدا ، ولم ينسلخ عنها في اي حال من احواله ؟

ثم ماذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه ، كي يدفع عن ذاته الكريمة هذا الغلو المنكر الذي يفتريه المفترون ، ويتخرص به المتخرصون ماذا يقول اكثر من قوله : « انا عبد آكل كما يأكل العبد » حتى يمسك هؤلاء المغالون فيه على طريق الحق الذي لا عوج فيه ؟

وها هو ذا ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ يجيء اليه رجل من اعراب البادية ، فاذا اطلع عليه من جلال النبوة وعظمة النبي ، ما يبهره ، ويملأ كيانه رعشة حتى يتفصد عرقه ، ويكاد يغيب عن وعيه ــ فيقول له ــ صلى الله عليه وسلم ــ في حدب ورفق : « هون عليك ، فانما انا ابن امرأة من قريش ، كانت تأكل القديد »

ان النبي ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ انما تكون له منزلته العالية ، ومقامه الكريم ، الذي يعلو به فوق كل مقام للمخلوقات جميعها ، من حيث انه بشر مخلوق من طين ، ثم يرتفع بهذا الطين الى حيث تخدمه الملائكة

ليلة ان اسرى به الى الملأ الاعلى والى ان بلغ سدرة المنتهى التي عندها يقف جبريل رفيق رحلته ويتقدم محمد !!

وما كان امر الله تعالى للملائكة ان يسجدوا لآدم ، الا لما اراهم اللـــه سبحانه من هذا المخلوق من الطين ما عجزوا عنه ، وكانوا يحسبون انهم اعلى منه مقاما ، واكثر علما ...

(١٠)

اذن فعلينا نحن المسلمين ، ان نقف في وجه هذه المفتريات ، وتلك الضلالات التي يلقي بها المتصوفة ومن يكيدون للاسلام ، في ساحـــة النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث ينخدع بها العوام ، وتغشاهم منها سكرة تذهب بعقولهم ، اذ كان ذلك الذي يسمعونه تمجيدا للنبي ، ورفعا لقدره ، وليس أحب اليهم ، ولا اسعد لقلوبهم من الذهاب في هذا الى ابعد غاية ، ولو بلغ ذلك بالنبي مقـــام الألوهية مع الله ـ فذلك طريق سلكه من قبل علماء اهل الكتاب من اليهود والنصارى في تمجيد اليهود لعزير ، وفي تمجيد النصـــارى للمسيـــح ، وادعاء الالوهية لهما ، ووصلهمـــا بنسب البنوة لله ! ! وقـــد تبعهـــم اتباعهم في هذا الضلال .

وانا لنخشى اذا طال الزمن بنا ، دون ان نتصدى لهذا الافك الـــذي يخرج من افواه المتصوفة ، ويسجل في كتبهم عن رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ان نصبح يوما وقد سرت فينا تلك السموم ، وانتقلت من العامة الى الخاصة ، واذا بنا ـ لا قدر الله ـ على هذا الطريق الضال الذي سلكه اهل الكتاب من قبلنا حين اقاموا بعض انبيائهم مقام الله عند المؤمنين بالله ، فنسوا الله وعبدوا بعض عباد الله .. وقد حذرنا الله تعالى من ان نصير الى هذا المصير المشئوم ، فقال سبحانه **(ولا تكونوا كالذيـــن نســـوا اللـــه فانساهـــم انفسهم اولئك هم الفاسقـــون)** سورة الحشر / ١٩ .

هذا ، والذي يضاعـــف من هذا الخطر ، ويعمل على نشر هذا البلاء ، هو ما قد يقع في نفوس بعض اهل العلـــم من المسلمـــين من حرج في التصدي لهذا الغلو المؤدي الى الكفر في ذات النبي ، حيث يرون ان ذلك من علامات الحب الشديد لرسول الله . وان هذا الحب هو الذي حملهم على هذه المغالاة ... وهذا شأن المحبين الذين يحرقهـــم الوجـــد ، ويذهـــب بعقولهم الحب ، فاذا صحـــوا من سكرة الحب عدوا ما قالوه فيمـــن يحبون ضربا من المجاز لا حقيقة له ؟

وهذا لا شك تلبيس من تلبيسات الشيطان ، ومدخل من مداخله الى الضلال ، والكفر ...

فهل آن لنا ان نتنبه الى هذا البلاء ، وأن نحصن أنفسنا منه ؟ وإلا نفعل فاننا نكون عند قول الشاعر :

امرتهمـــو امـــري بمنعـــرج اللوى
فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد

واذ ذاك ، فلا مفر ولا نجاة . والعياذ بالله .

ماذا يريد

كان يصحو كل يومٍ راكبًا مَتْنَ البُكور
يحملُ الفأسَ ويسعَى جاهدًا مثلَ الطيور
همُّه مُذ كان في الأ حياء تفتيتُ الصخور
في شقاءٍ لا يساوى ما يلاقي من أجور
وعناءٍ ليس يُجدى غير تقصيم الظهور
فانثنى يومًا كليلاً مثل سُكان القبور
يتمنى لو تَرَاءَى مثلَ أصحاب القصور
« آهِ لو كنتُ غنياً ترتخي حولي الستور !!
من دِمَقْسٍ وحريرٍ في ثناياها السرور »
فأجاب الله سُؤلاً وهو مَنَّانٌ غفور
أنزلَ اللهُ ملاكاً قال ما يَشفى الصدور :
فَلْيكن ما تبتغيه أيها الراجي الجسور !!

★ ★ ★

وتولى البؤسُ عنه وارتدى ثوبَ الثراء
وأتى الدهرُ إليه في حَريرٍ وفراء
واستراحَ البالُ حتى راح في دنيا الرخاء
فَرَأَى يوماً مليكاً في جلالٍ وبهاء
ورأى الموكبَ يسعَى في جمالٍ وازدهاء
تسطعُ الفرسانُ فيه من أمامٍ وَوراء
والمليك الفخم يرنو مثلَ بدرٍ في السماء

الإنسان

للشاعر/محمود محمد بكر هلال

فوقه قبةُ ظِلٍّ ولها التبر طلاء
مُذ رآها راحَ يدعو ويوالي في الرجاء
ليتني مَلْكاً وهذا موكبي يا ربُّ جاء
ليس للشمس إليه من سبيلٍ في الفضاء
سَمِعَ اللهُ فأوحى لك عبدي ما تشاء !!
ولتكن مَلْكاً عظيماً في احتفالٍ واحتفاء

★ ★ ★

لكن الشمسُ تبدَّتْ شُعلةً عند المدار
قوةً يَصلَى لظاها كل من في الشمس سار
قد بنت في الأفْق عرشاً شع من نور ونار
فَغَلَى الحقدُ بقلبٍ جاش بالحقد وثار
فتمنى لو تراءى مثل شمسٍ في النهار
فغدا في الحال شمساً أشرقتْ في كل دار
تُحرق العُشبَ وتُصْلِي كلَّ حيٍّ بالأُوار
والملُوكُ الصِّيدُ تَعْنُو لسناها في اصطبار !!

★ ★ ★

غيرَ أن الجَوَّ أبْدَى في ذُرا الكَوْن ضَبَابَه
يَخنق الشمس ويُلقي فوق مَسْراها حِجَابَه
فتَمَنَّتْ عند هذا لو غدت فوراً سَحَابَه
قيل : يا شمس فَكُوني غَيْمَةً ترضِي رِغَابَه

تَحبِس الضـــوءَ وتُخفِي في ثناياهـــا ألتهابه
ثم صارت قطراتٍ تغلـــبُ البحـــرَ انسيابه
وعَـــلا الماءُ وأمسىَ انهُـــرًا تُزجِـــي عُبَابَه
لم يَدَع زرعـــًا بأرضٍ لا ولـــم يَتـــرُك تُرَابَه
يَتـــرك الأشجـــارَ صرعىَ في رضـــاءٍ واستجابه
غـــيرَ ان الصخـــرَ أبْدَى عنـــد مَجْـــراه صَلاَبَه
أوقَـــفَ التيـــارَ حتى سَدَّ بالاحجـــارِ بَابَه !!

★ ★ ★

فَتَنَـــزَّى الماءُ غيظاً من عنيـــدٍ عاق سيره
بدَّلَ القـــوةَ ضعفاً أكســـبَ الأمـــواجَ حَيْرَه
فتمنـــتْ لو تبدتْ عنـد مجـرى الماء صَخْره !!
لا تُبـــالي أيَّ ماءٍ تدفـــعُ الأمـــواجُ نَهْرَه
لا . ولاَ تخشى لهيباً أو ترى يومـــًا مَضَره
ليس للدهـــر عليها من سبيـــلٍ فهـــي حره !!

★ ★ ★

واستجـــابَ اللهُ للأموا جِ والماءُ اسْتَقَرَّا
فاستحالـــت مُذ دعته في الفضـــاء الرحـــب صخرَا
وأتـــى الفـــلاحُ يَسْعَى حامـــلاً للفـــأس ظُهْرَا
ثم أهْـــوَى فوق هذي الصخـــرةِ الصمـــاءِ كِسْرَا
فأحسَّـــتْ انَّ تلك الفأ سِ بالتعظيـــم أحْرَى
والـــذي أهْـــوَى عليها دونَـــه في القـــدر كِسْرى !!
بل هو الدنيـــا جميعاً فاق كل الخلـــق قَدْرَا
فتَمَنَـــتْ لو تَبَدَّتْ ذلك الانســـان دَهْرَا
يَحْطِـــمُ الصخـــرَ ويَذرُو رملَـــه في الجـــو ذَرَّا
وأجـــاب الله للصخـ رةِ ما تبغيـــه فَوْرَا
وتبـــدَّى الصخـــرُ إنسـ ـانـــًا وَهَـــي حظـــا وأجرا
يحمـــلُ الفـــأسَ ويَلقَي في اكتســـاب العيش عُسرًا
يَحْطِـــمُ الصخـــرَ ويُعطيَ من ضئيـــل الأجـــر نَذْرًا
مهنـــةٌ شَقَّـــتْ وعيشٌ صارَ بالآلام مُرَّا
انـــهُ الانســـانُ لا يُر ضِيـــهِ مُلْكُ الـــكون طُرَّا
فَارْضَ بالمقـــدار تَسعدْ بالرضـــا دنيـــا وأخرى
لَســـتَ تدري رُب شرٍّ كان للانســـانِ خيرًا
وشَقـــاءٍ كانَ نُعمَى واعتســـارٍ صار يُسْرَا !!

★ ★ ★

قصة..

حبيبة

للدكتور عبدالحي الفرماوي

... ودخلت حبيبة بيت أبيها ، ثم أجهشت بالبكاء ، والتف حولها كل من بالدار والجميع يتساءلون :

ما الذي حدث لها ؟ ويلحون عليها في معرفة سبب بكائها ، ولكنها تزداد بكاء .

وتقول الأم : دعوها حتى تستريح ، وتناولها قدحا من شراب ساخن أعدته لها فور دخولها البيت .

وتتناول حبيبة من أمها القدح ، ويخيم الصمت على الجميع وهم يرقبونها وهي تحتسي مشروبها .

والكل يضرب الأخماس في الأسداس عما عساه أن يكون قد حدث لها .

فالأم : قد انصرفت بذهنها إلى ذلك اليوم البعيد الذي أقبل عليها فيه زوجها « زيد بن خارجة » وهو يتهلل بشرا وفرحا ويخبرهم برغبة هذا الفتى الخزرجي

الثري ـ سعد بن الربيع ـ في الزواج من ابنتهما حبيبة ، وتفرح الأم فرحا شديدا ، فهذا الفتى هو من أغنى أغنياء المدينة ، وسوف يكفل لابنتها حياة هنيئة ويحقق لها كل ما تصبو إليه .

وتسترجع الذكريات عن شهامته ورجولته التي كان يعرفها عنه كل من يعرفه ...

إذن فهو العريس المطلوب ، وهو الرجل المرغوب ، ثم تتذكر : كم أنفق وينفق على ابنتها دون بخل ، وكيف يعاشرها بكل معروف .

وتنتبه من خواطرها : وتنظر إلى ابنتها وهي تحتسى المشروب الذي أعدته لها ، ثم ترتجف فجأة وهي تفتش في أفكارها عما يكون سبب بكاء ابنتها ـ ترتجف فجأة ـ حين يخطر على بالها : أن يكون سعد قد طلق ابنتها فتقوم واقفة وكأنها تنفض عن نفسها هذا الخاطر السيئ ، وهي تقول لابنتها : أكملي شرب القدح حتى أصب لك غيره .

أما الأب : فيعود بذاكرته إلى تلك الليلة التي يعلمها كل المسلمين ، والتي بايع فيها جماعة الأنصار الرسول صلى الله عليه وسلم عند العقبة ، والتي تم فيها اختيار الاثنى عشر نقيبا وكان منهم ، « سعد بن الربيع » ، زوج ابنته هذه .

وتذكر المرات العديدة التي كان يزور فيها ابنته ويوصيها بزوجها خيرا ، لما يعلم من مكانته عند رسول الله ، ولما يعلم من طبع ابنته الذي فيه بعض الحدة .

ثم سرح مع خواطره كأنه يقول : ياويلي إن كانت ابنتي قد أغضبت نقيب رسول الله صلى الله عليه وسلم !!

وكان باقي أفراد الأسرة يسرحون في خواطرهم كذلك ، يلفهم الصمت ، ويجمعهم الترقب ، ويخيم عليهم القلق ، وتشدهم الرغبة لمعرفة سر حضور حبيبة في هذه اللحظة من بيت زوجها ، على هذا النحو الباكي .

والتفت إليها الجميع : حين اخترق سكون هذا الصمت الثقيل قولها :

ياأبت !!

فأجاب الأب بلهفة وحنان :

نعم يابنتي ...!!

قالت حبيبة :

أنا لن أعود إلى سعد ، وارجو أن لا تعيدوني إليه .

وتراقص القلق على وجوه الجميع ، وتزاحمت الأسئلة الحيرى على ألسنتهم ، التي انفكت عقدتها حينما نطقت حبيبة مقالتها هذه .

ونطق الجميع في صوت واحد :

لماذا ؟؟

ما الذي حدث ؟؟

وسبقت الأم الجميع في لهفتها ، إذ قالت في مرارة مفعمة باليأس .

أحدث طلاق يابنتي ؟

فأجابت ابنتها : لا ياأماه .
وانفرجت أسارير الأم ، وكأن كابوسا قد انزاح عن صدرها .
وهنا قال الأب :
إذا فهي العادة ، لعلك ازددت حدة على زوجك ، وارتفعت بينكما درجة النزاع ، وأحسبك لم تتحكمي في أعصابك ، وتتمالكي هدوءك ، مما أدى بك إلى الخطأ في حق زوجك كعادتك .
وقبل أن تجيب الابنة على أبيها ، أو ترفع إليه عينيها ، قالت الأم لزوجها :
مالك أيها الرجل ، دائما تتهمها ـ حتى قبل أن تعرف ماذا حدث ـ بأنها هي المخطئة ؟؟
ثم أضافت تدافع عن ابنتها قائلة :
إن ابنتي لا تخطىء ، وإذا ما أخطأت يكون هو الذي دفعها إلى ذلك .
وهنا ينبري زيد قائلا لزوجته :
اسمعي أيتها الأم العاقلة : إن صلاح البنت في حياتها الزوجية ، وفسادها كذلك ينبع من موقف أمها بجوارها في هذه اللحظات ، ثم أنت تعرفين جيدا أن ابنتك كثيرة الشجار مع زوجها ، دائمة النشوز عليه ، وخلق النكد في أوقات صفائه .
ثم يعود لهدوئه وتكتسي نبراته لهجة وقورة ، يشع منها الصدق ، ويفوح منها أريج الطهارة النبوية ويقول :
يقول الحبيب المصطفى : « ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم : العبد الآبق حتى يرجع ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وإمام قوم وهم له كارهون » رواه الترمذي .
ثم يتجه إلى ابنته ويقول : ولا أحب ياابنتي أن يكون زوجك عليك دائما ساخطا .
« إن المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كاره لعنها كل ملك في السماء ، وكل شيء مرت عليه غير الجن والانس حتى ترجع » رواه الطبراني في الأوسط .
وهنا تنهمر الدموع من عيني الأم ، ثم تخفض برأسها إلى الأرض ، وتقول :
ياويلي : إن كانت ابنتي قد فعلت ما يغضب زوجها ويغضب الله ورسوله !!!
وهنا ترد حبيبة ، قائلة :
لا ياأماه ، لم أفعل ما يغضب الله ورسوله .
ويرد الجميع : ماذا فعلت إذا ؟
وهنا أجهشت حبيبة بالبكاء مرة ثانية ، وقالت :
إن سعدا قد لطمني على وجهي .!!!
وعلت الدهشة وجوه الجميع .
وقالت الأم لزوجها :

ها ... قد صدق قولي يازيد ؟؟
إن ابنتي قد ضربها زوجها ، وأنت تدافع عنه ؟ أخبرني ماذا تفعل الآن ؟
وهنا استغرق زيد في التفكير ، إذ أنه لم يكن يخطر بباله أن يحدث هذا ، ولكنه الآن حدث .
فماذا يفعل ؟
وما هو السبب الذي دفع بسعد زوجها إلى هذا ؟
أيأخذها معه إلى بيت زوجها ويعيدها إليه مرة ثانية ؟
أم يحجزها عن العودة إليه حتى يحضر سعد إليها ؟
أيطلب من زوجها طلاقها بسبب ذلك ؟
أم يتركها دون طلاق ويعاود زوجها ضربها ؟
ماذا يفعل ؟
ليهدئ من روع ابنته ؟
ويطمئن الأم القلقة ؟
ويضمن في نفس الوقت سعادة ابنته ؟
أسئلة حيرى ، ودوامة تضيق وتتسع ، وتعود لتضيق وتتسع .
ويفيق من هذه الحيرة ، ويخرج من هذه الدوامة بقرار أراح الجميع ، وأنقذهم من هذه البلبلة .
ويقول :
سوف أذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشكو إليه سعدا .
ثم يتجه إلى حبيبة ، ويقول لها :
قومي معي إلى النبي عليه الصلاة والسلام .
وترتدي حبيبة عباءتها ، وتخرج ، وتسير خلف والدها ، حيث المرشد ، والموجه والناصح الذي لا يترك أحد من المسلمين مشورته ، ولا يستغنى احدهم عن توجيهاته ولا يخالفون جميعا نصائحه .
ويتقدم زيد من مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ، ويحكي له ما حدث ، ويختم كلامه بقوله :
« وهكذا أفرشته كريمتي فلطمها »
ويطرق النبي عليه الصلاة والسلام لحظة صامتا مفكرا ، وهو يبحث عن حل ، حتى يجد في القصاص الحل لهذه المشكلة .
وزيد وحبيبة : صامتان في خشوع ورهبة ، ولهفة لما سيقول .
ويخرجهم عليه الصلاة والسلام من لهفتهم ، وقلقهم ، وحيرتهم ، حينما يتجه إلى زيد ويقول له :
يازيد :
فيجيب زيد والسعادة تملأ جوانبه ــ حيث حظى بشرف خطابه عليه الصلاة والسلام ــ قائلا :

نعم يارسول الله .
فيقول عليه الصلاة والسلام :
لتقتص ابنتك من زوجها .
ولا يناقش زيد ، ولا تناقش حبيبة ، ويخرج زيد ، وتخرج معه حبيبة ، مطرقين ، صامتين ، حائرين .
الأب : لا يتصور كيف تقتص ابنته من زوجها على هذا النحو ، وتدوم الحياة بينهما هنية بعد ذلك !!
وحبيبة لا تتصور ـ وان كانت تحتد كثيرا على زوجها ـ ان ترفع يدها لتلطمه ، فهو زوجها وهو حبيبها .
لقد أتيا منذ قليل إلى النبي صلى الله عليه وسلم هروبا من الحيرة ، ولقد خرجا الآن تلفهما ـ اكثر من ذى قبل ـ نفس الحيرة . ولكنها فتوى الرسول صلى الله عليه وسلم !!
وجرجرا أرجلهما في تثاقل وذهول ، وخرجا .
وحينئذ ..!!
نزل القرآن !!
لينقذهما من هذه الحيرة وهذه البلبلة .
إذ نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الآية الكريمة:(**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا**) .
وهنا ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم على زيد وابنته ، ويتلو عليهما ما نزل لهما من السماء .
ثم يقول :
أردنا أمرا ، وأراد الله غيره ، وما أراده الله خيرا .
وهنا تنزاح هذه الغمة ، وتحل هذه المشكلة ، وتستريح النفوس ، وتهدأ القلوب ويعود الأب وابنته الى البيت ، وتعلم أمها بما حدث فتقول : آمنا بالله ورسوله وأطعنا .
وتقبل على ابنتها وتقول لها :
لقد تذكرت الآن قول عائشة رضي الله عنها :
« يامعشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن ، تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها » .
قومي يا ابنتي واذهبي لزوجك ، واستغفريه وأحسني عشرته .
ويذهب الجميع مع حبيبة الى بيت سعد بن الربيع ، وهم فرحون بما نزل فيهم من القرآن ، وسعداء بعودة البهجة إلى هذا البيت .



مع الشباب

الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط امالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .

ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .

ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

دعوة هدامة باسم الاصلاح

ارسل الينا الاستاذ جابر محمد حسن كلمة يحذر فيها الجيل من نشوة التقليد وخطر الانقياد وراء كل دعوة ذات بريق جذاب تلبس ثوب الاصلاح وتخفي اسلحتها الفتاكة بالمجتمع المسلم من هذه الكلمة المختارة نقتطف منها ما يلى :

برزت الى حيز الوجود في الاونة الاخيرة فكرة بناء مجمع للاديان في سيناء المقدسة يشمل معبدا لليهود ، وكاتدرائية للمسيحيين جنبا الى جنب مع مسجد للمسلمين .
واذا عدنا الى كتاب الله عز وجل نجده يقول : **(إن الدين عند الله الإسلام)** آل عمران / ١٩ ، ومعنى اقامة مجمع للاديان الثلاثة جنبا الى جنب ، انه لا فرق بينها ، الا ان الواقع يقول غير ذلك حيث ان اليهود ليسوا على شيء ، بعد ان حرفوا التوراة التي انزلها الله على موسى عليه السلام ، وتناولتها ايدي العبث والتحريف ، ومن هذا المنطلق فكل اليهود بلا استثناء يعلمون علم اليقين انهم على ضلال ، ولذا فانهم يعيثون في الارض فسادا ، ويحاولون بشتى الطرق إبعاد المسلمين عن دينهم ، كما فعلوا مع المسيحيين الذين اصبحوا ايضا على لا شيء ، بعد ان نجحت محاولات اليهود معهم ، فاخرجوهم عن الجادة ، وابعدوهم عن رسالة المسيح ، واصبحت كنائسهم اماكن اجتماع للترفيه والتسلية واقامة الحفلات ، بل زاد الامر الى ان اصبحت ترتكب فيها الفاحشة جهارا ، كل هذا بجانب افتقادهم لعقيدة التوحيد التي يتمتع بها المسلمون ، وايضا حرف الانجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام ، بل انقسم ايضا الى عدة اناجيل لكل منها اسلوبه الخاص ، وآراؤه التي يختلف فيها عن غيره . اما اذا نظرنا الى القرآن الكريم ، دستور المسلمين ، وكتابهم الخالد ، نجد أن الحق تبارك وتعالى قد تعهد بحفظه وصيانته فقال تعالى : **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)**

وهذه حقيقة لا جدال فيها أن القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي لم ولن تناله أيدي البشر بالتحريف إلى يوم القيامة .
وفي هذا الأمر الذي يدعو اليه دعاة وحدة الأديان مخالفة صريحة لما جاء في الكتاب والسنة . وإذا نظرنا الى قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إن الاسلام يجب ما قبله » رواه احمد نجد أن هذا القول الشريف بجانب دلالته على المناسبة التي قيل فيها ، انه ايضا يعطينا صورة واضحة لشمولية الاسلام ، وأن الاسلام بتعاليمه وأحكامه قد غطى ومحا أي أثر لأي دين قبله حيث انه الدين الكامل الذي يلائم الفطرة الانسانية ، في كل زمان وفي كل مكان .
والحق تبارك وتعالى يقول : (**ما فرطنا في الكتاب من شيء**) الانعام /٣٨
وعلى هذا فالاسلام دين البشرية الأوحد ، لا يحتاج ان يكون على قدم المساواة مع يهودية ضالة ، او صليبية عابثة منحرفة .
واذا عدنا الى التاريخ نجده يعيد نفسه ، فهذه الفكرة (فكرة وحدة الاديان) قد نادى بها من قبل البهائيون ، حيث دعوا الى ذلك بغرض صهر الاسلام في بوتقة الاممية الضالة والفكر البشري الوثني المادي .
واذا نظرنا الى دعوة البهائية الى وحدة الأديان ، نجد انها تستمد مفاهيمها من التورات والتلمود ، مما يدل على اتصالها الوثيق باليهود ولذا وجدت البهائية قبولا وترحيبا لدى اليهود الذين ايدوها بكل ما أوتوا من قوة ، وعملوا على نشر افكارها ومبادئها بين ابناء العالم الاسلامي .
وقد اسقط بهاء الله مؤسس البهائية فريضة الجهاد ، حرصا على مصالح اليهود الذين ايدوه ، ووقفوا بجانبه في سبيل نشر دعوته ، وكذلك حال البهائيين الجدد .
وأخيرا ، فان البهائية تدعو الى مهاجمة اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم ، وتنادي بما يسمونه اللغة النوراء ، وكذلك حال البهائيين الجدد الذين يتشدقون بصعوبة اللغة العربية فنرى دعاة العامية ينادون باحلال العامية مكان الفصحى كلغةللتعبير وذلك كمحاولة خبيثة لابعاد المسلمين عن لغة القرآن وبالتالي انسلاخهم من الاسلام بعد ان يعجزوا عن فهم العقيدة الاسلامية فهما صحيحا قائما على فهم تعاليم القرآن الكريم والسنة .
والحقيقة التي ننتهي اليها في هذا المقال ، ان المسلمين في غفلة لا يدرون ما يدبره لهم اعداء الاسلام في الخفاء .
واقول لدعاة البهائية واذناب الملحدين والكفار : انكم تحرثون في البحر فالنهضة الاسلامية بدت بوادرها ، والمارد الاسلامي هب من سباته ، والدعوة الاسلامية تقوم على قدم وساق لاعلاء كلمة الله ، وكشف أباطيل خصومه ، مسترشدين بقوله تعالى عن أعدائه :
(**يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون**) الصف ٨ و ٩ .



آية الكرسي

تحت هذا العنوان جاءت تلك الكلمة من الاستاذ احمد البدوي محمد أنور ـ المعادي القاهرة نقتطف منها ما يلي :

آية الكرسي هي الآية رقم « ٢٥٥ » من سورة البقرة وتنقسم الى اربعة اقسام كل قسم منها يشتمل على اثبات ونفي وسأتحدث عن كل منها بايجاز شديد .

١ ـ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم .

٢ ـ له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه

٣ ـ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء

٤ ـ وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم .

القسم الاول : الله لا إله إلا هو الحي القيوم .. وهذا هو الاثبات حيث ان الله عز وجل يثبت لذاته المقدسة الالوهية والحياة والقيومية ... فلفظ [الله] علم على الذات المقدسة لا يتسمى به مخلوق ايا كان شأنه وقد ارادت امرأة يهودية ان تتحدى الله في اسمه وكانت حاملا فلما وضعت قالت لها القابلة : ماذا تسمين طفلك ؟ قالت : اسميه الله وما كادت تنطق بهذا الاسم حتى نزلت صاعقة من السماء اخترقت سقف حجرتها واحرقته في حجرها .

[الحي] الذي لم يسبق بعدم ولا يلحقه موت . فكل ما سوى الله ميت هكذا عبر القرآن الكريم في قوله تعالى : « انك ميت وانهم ميتون » . ولم يكن صلى الله عليه وسلم قد مات وانما كتب عليه الموت وكل من كتب عليه الموت فهو ميت . اما من مات فعلا يعتبر ميتا يقول جل شأنه : « أو من كان ميتا فأحييناه » فنحن اموات لان الموت كتب علينا اذن لا حياة لنا الا من ربنا . اما الله عز وجل فهو حي بذاته لم تسبق حياته بعدم ولا يلحقه موت .

[القيوم] الذي هو قائم على الخلق جميعا وعلى الكون كله قائم على كل نفس بما كسبت مطلع على الضمائر .

ـ لا تأخذه سنة ولا نوم : ينفي ربنا سبحانه كل ما يتنافى مع هاتين الصفتين الحي القيوم فقال : لا تأخذه سنة ولا نوم ، لأن السنة هي مقدم النوم والنوم هو الاستغراق في المنام . وقد مر على خاطر موسى عليه السلام [اينام ربنا] وعلم الله

ما دار بخاطره فأرقه ثلاثة ايام لم ينم فيها ثم اوحى اليه ان يمسك زجاجتين مملوءتين بالماء ثم قال له : يا موسى احترس فغلبه النوم فسقطت الزجاجتان على الارض وانتبه موسى فزعا فاذا به يسمع قول الله سبحانه : أرأيت يا موسى لو نمت لانطبقت السماء على الارض ، وصدق الله ، ان الله يمسك السموات والأرض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده ان الله عز وجل القائم على هذا الكون كله المقدر لكل حركاته وسكناته لا يمكن ابدا ان تأخذه سنة ولا نوم . والا لاختل نظام الكون .

القسم الثاني : له ما في السموات وما في الارض يثبت عز وجل ملكيته المطلقة لكل ما في السموات وما في الارض . وفي موضع آخر : « لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير » فليس لاحد من خلقه ايا كان شأنه ملكية أو تصرفا أو تعديلا أو تغييرا أو حتى شفاعة في ملكه تعالى ولهذا نفى أن يكون لأحد من خلقه شيء من هذا فقال : من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه »

وهذا هو النفي في القسم الثاني حيث نفى عز وجل حتى الشفاعة في هذا الملك الا باذنه .

القسم الثالث : يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم وصفة العلم لله عز وجل معناها : انكشاف جميع الموجودات انشكافا تاما دون سبق خفاء او جهل ... فعلم الاحاطة والشمول لله وحده ثم نفى ان يحيط احد من خلقه بشئ من علمه إلا بما شاء هو سبحانه فقال : ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وهذا هو الجزء الثاني من القسم الثالث وهو النفي .

القسم الرابع : وسع كرسيه السموات والارض أي وسع سلطانه ووسعت هيمنته السموات والارض وما بينهما وما وراء ذلك من عوالم لا نستطيع ان ندركها فان ملك الله اوسع من ان يتحدد بالسموات والارض وقد بين ذلك رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وهو يرفع رأسه بعد الركوع كان يقول سمع الله لمن حمده ، ربنا لك الحمد حمدا دائما طيبا طاهرا مباركا فيه ملء السموات والارض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد . والجنة والنار موجودتان فعلا وليستا في السموات والارض . اذن هناك مكونات اخرى علوية لا نستطيع ان ندركها لأن عظمة الله تستلزم ان يكون ملكه عظيما .

ثم ينفي رب العزة سبحانه ما يتنافى مع هذه العظمة فيقول : ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم . أي لا يعجزه ولا يصعب عليه حفظهما وهو العلي العظيم .



بريد الوعي الإسلامي

اختلاف القراءة في المجلس الواحد لا يجوز

نسمع بعض القراء يقرأون آيات من القرآن الكريم بل بعض كلمات منه بأكثر من طريقة في آن واحد فهل هذا ورد .
وهل كان ذلك يتم في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم .

عامر عبد الفتاح علي ـ مصر

قراءة القرآن الكريم عبادة وقربة الى الله سبحانه ولا شك انها من أجل العبادات اذ خير ما يتقرب به العبد الى الله سبحانه هو القرآن الكريم ويجب الوقوف في العبادات عند الحد الذي دعا اليه القرآن الكريم مصداق ذلك قول الله سبحانه : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم خير من تعلم واقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » .

وذلك يقتضي الأخذ بما كانوا عليه ولم يكن هذا الجمع الذي يقوم به القراء الآن موجودا في الصدر الأول وعلى هذا فجميع القراءات قسمان :

الأول : ما يكون في حال التلقي والأخذ مشافهة من العلماء وذلك للطلاب فيقرأ الآية بكل طرقها ثم يعيدها برواية اخرى .

والثاني : ما يتم في المحافل والاجتماعات الجماهيرية فان القارىء يقرأ في الجلسة الواحدة عدة روايات وكلا القسمين لم يكن موجودا لا في العهد النبوي ولا عهد الخلفاء الراشدين ولا في العصور اللاحقة له .

وقد اتفقت آراء وأقوال علماء القراءات في مختلف العصور على ان يتلقى الطالب على استاذه القرآن الكريم كله برواية [illegible]

برواية اخرى وهكذا حتى يستكمل جميع الروايات ، وايضا كانت القراءة في المحافل ثم جاء العصر الخامس الهجري والذي حفل بعلماء لهم باع طويل في هذا الفن فأحدثوا جمع الروايات في الختمة الواحدة تيسيرا على الطالب وتمكينا له من التحصيل وسرعة الاستفادة .

وحول هذا المعنى يقول السيوطي في الاتقان :

« الذي كان عليه السلف الصالح اخذ كل ختمة برواية لا يجمعون رواية الى غيرها الى اثناء المائة الخامسة فظهر جمع القراءات في الختمة الواحدة واستقر عليه العمل » .

وقال العلامة الدمياطي في كتابه « اتحاف فضلاء البشر وكان السلف لا يجمعون رواية الى أخرى وانما ظهر جمع القراءات في الختمة الواحدة أثناء المائة الخامسة في عصر احد ائمة القراءات « ابو عمرو عثمان بن سعيد الداني » واستمر الى هذه الازمان » .

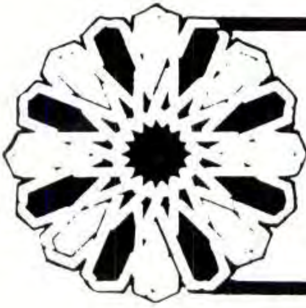
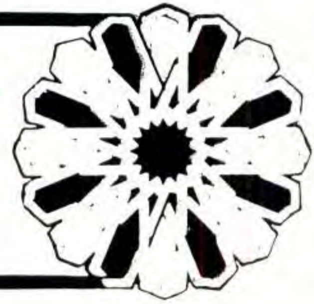
وقال العلامة المحقق ابن الجزري في كتابه « النشر في القراءات العشر » .

وكانوا يقرأون على الشيخ الواحد العدة من الروايات والكثير من القراءات كل ختمة برواية لا يجمعون رواية الى غيرها وهذا الذي كان عليه الصدر الاول ومن بعدهم إلى أثناء المائة الخامسة أي في عصر الداني وابن شيطا والأهوازي والهزلي ومن بعدهم فمن نلك الوقت ظهر جمع القراءات في الختمة الواحدة واستمر الى زماننا وكان بعض الأئمة يكره نلك من حيث أنه لم تكن عادة السلف الصالح عليه ولكن الذي استقر عليه العمل هو الأخذ به والتقرير عليه وتلقيه بالقبول وانما دعاهم الى نلك فتور الهمم وقصد سرعة التلقي والانفراد » .

وعلى هذا يتبين أن الجمع في المحافل لا ينبغي ان يكون ولا يجوز السكوت عليه لأنه منكر ، ولأن هذا الجمع تكرار لا يليق فهو يمنع السامع من متابعة المعاني القرآنية وتدبرها فيحرمه من عبادة جاء من اجلها . ويدفعه الى التفكير في متابعة الروايات المختلفة التي تطرق سمعه وتشغل فكره .

وان أسوأ الجمع ما يتم في كلمة واحدة اشتملت على عدة روايات ويظل القارىء يردد هذه الكلمة حتى يأتي على كل الروايات في نفس واحد ولا ريب أن هذا الجمع مخل بنظم القرآن الكريم وحسن تناسقه ومفسد لما يلازم القرآن من جمال اللفظ وحسن التعبير وإنه من حسن الايمان وسلامة الالتزام والحرص على كتاب الله ، اخراجه للناس بصوت حسن فيه الخشوع لله حتى يثمر في نفس السامع ثمرته الموجوة ، وليس من الدين في شيء ما يتم في المحافل اليوم ، فسوء الأداء دوافعه ايهام الناس أن عنده روايات أكثر من غيره مدعاة لصرف الناس عن حسن التدبر ، ومضيعة للوقت في غير ما يرضي الله .

وقصارى القول أنه يجب على من يتصدى لقراءة القرآن الكريم للناس أن يقرأ لراو واحد في الجلسة الواحدة وذلك كما يرى علماء القراءات وكما سار عليه العلماء من بعدهم .

مع صحافة العالم

القدس المغتصب

انتشرت أنباء مفادها اغتصاب القدس الشريف وتهديد المسجد الاقصى قبلة المسلمين الاولى ومسرى الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم وتناقلت الأنباء عزم اليهود على ذلك غير مبالين ولا وجلين ، والمسلمون في الجانب الآخر ينتظرون متى تعود للمسلمين هيبتهم وقوتهم ويستردون القدس السليب .

وعن مجلة الاسراء الاردنية ننقل تلك الفقرات :

في قرار يكشف بوضوح تام طبيعة الكيان الصهيوني القائمة على اجتثاث الشعب الفلسطيني من وطنه ، وتهويد كل بقعة في فلسطين المحتلة ، قالت اسرائيل انها « اقرت قانونا يعلن ان مدينة القدس ستبقى موحدة تحت السيادة الاسرائيلية ومقرا لمؤسساتها الوطنية » .

وجاء توقيت اعلان هذا القرار الاسرائيلي عشية ذكرى « ١٥ ايار » الذي وقعت فيه النكبة الفلسطينية الاولى ، وتشريد العرب الفلسطينيين من اوطانهم وديارهم وارضهم وقيام الكيان الاسرائيلي على العدوان والتوسع .

وقد وافق الكنيست الاسرائيلي على القانون باغلبية كبيرة ويتضمن القانون الاسرائيلي ثلاثة بنود على النحو التالي .

– القدس عاصمة اسرائيل

– سلامة ووحدة منطقة القدس التي يتم تعريفها بعد قرار الضم ليست موضوع نقاش .

– يجب ان يقيم (رئيس الدولة) والكنيست والحكومة والمحكمة العليا في القدس .

واشارت (فرانس بريس) الى ان اغلبية الكنيست وافقت على هذه البنود . وان حزب العمال اراد ان يضيف بندا رابعا هو « ان تضمن اسرائيل حرية الدخول للاماكن المقدسة في المدينة للمؤمنين من جميع الاديان » .

ويمنع القانون الحكومة الاسرائيلية من « التنازل عن السيادة على اي جزء من القدس « في اية مفاوضات وسيكون عليها ان تغير القانون لكي تستطيع تغيير موقفها من القدس .

وقال ناطق فلسطيني رسمي في دمشق ان القرار الاسرائيلي يهدف الى اخراج الشعب الفلسطيني من وطنه .

وقال مسؤول الاعلام الفلسطيني الموحد في تعليق على القرار

الاسرائيلي : ان هذا القرار يأتي ليكشف بشكل واضح تماما طبيعة الدولة الصهيونية القائمة على اجتثاث الشعب الفلسطيني من وطنه وتهويد كل بقعة في فلسطين المحتلة .

الاسلام هو المنتصر دائما

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الضياء التي تصدر عن وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدبي مقالا عن الاسلام ومدى صلاحيته لكل عصر ويؤكد كاتبه أن الاسلام هو المنتصر دائما في كل عصر على الرغم مما يتعرض له من التعصب البغيض من رجال الفكر الغربي نقتطف منه ما يلي :

ان الاسلام على الرغم من كل حقد وكل تعصب اعمى مذموم لهو دين العالم بالامس ، واليوم ، وغدا ، باذن الله .

والاسلام في شموخه وانتصاراته وزحفه الى الأمام دائما هو الظافر المؤزر في معركة الحرب الخفية والمعلنة على الاسلام ، وهو الخالد أبدا لأنه دين الانسانية جمعاء .

وفي مطلع القرن الخامس عشر الهجري سوف يكون العقل البشري مؤهلا في كل مكان لفهم روح الاسلام وشريعته السمحاء بلا تعصب ولا حقد ولا كراهية . وسوف ينشأ مع هذا الفهم الجديد علاقات وثيقة تربط الفكر العالمي بالاسلام ، وتدعم الصلة بين العقل الانساني وشريعة القرآن دعما قويا .

ان الاسلام هو الدين الوحيد الصالح لكل زمان ومكان ، والمؤهل دائما وأبدا ليكون دين البشرية جمعاء ، لأنه دين العقل ، ودين الفطرة الانسانية ، ودين التقدم والرخاء والثقافة والحضارة ، ودين السعادة للناس جميعا ، فلا دين يستطيع ان يسعدوا به كما يستطيعون أن يسعدوا بالاسلام أولا وأخيرا .

لقد حافظ الاسلام على حقوق الانسان دائما ، أيا كان لون هذا الانسان وجنسه ، ودافع عن الضعفاء والمظلومين والمضطهدين دفاعا نبيلا كريما رائعا وحمى حقوق الطبقات الكادحة الفقيرة عن عسف وجور الأقوياء والأغنياء وجاءت شرائعه وأحكامه نموذجا رفيعا للتشريع الهادف العظيم الموجه نحو خدمة البشرية جمعاء ونحو الرقي بها واسعادها وتقدمها .

لقد اضطر أفذاذ المفكرين في العالم الى انصاف الاسلام ، والتنويه بمآثره على الحياة والناس ، وبفضائله التي لا تتناهى والتي يغرسها في قلب المسلم عقيدة قوية متجددة بتجدد الحياة .

والاسلام في سموه وجلاله ، وعظمة مبادئه ، ونبل مقاصده ، وسماحة ويسر احكامه ، وفي تلاؤمه مع الفطرة الانسانية هو دين العالم جميعا في كل وقت وكل زمان وكل مكان ولسوف ينتصر الاسلام دائما وأبدا على خصومه الناقمين عليه ،

والمحاربين له والمتآمرين على شعوبه وأممه ، والذين يعملون من أجـل تصفيته في العالم كما يزعمون .

وهـم مدفوعـون في ذلك بروح موروثة ، تؤمن ان الاسلام خطـر عليهم ، ولا خطر عليهم من الاسلام لو كانوا يفقهون .

ليت الاديـان جميعـا تتصـافق وتتصافح مع الاسلام ، لأنه هو الذي يحميها في الشدائد وينقذها من الهوة السحيقة التي تتردى فيها ، ويتردى معها فيها العالم كله .

والويـل للعالـم ان لم يستعـن بالاسلام من اجل اسعاد الشعوب والانسانية .

نواقيس الخطر تدق

تحت هذا العنوان كتبت مجلة الدعوة المصرية تقول :

من المستفيد اكثر ؟؟

واذا بحثنا عن المستفيد الاكبر من البترول نجده الدول الغربية ... ففي هولنده على سبيل المثال أكبر معامل التكرير في العالم وهي تملكها شركات متعددة الجنسية تقوم بتكرير البترول وبيعه بأضعاف سعره للعالم كله ... فلمـاذا اذن التجنـي على البـلاد العربية ....؟

لا شك اننا نشارك في ما يلقى علينا من لوم ....؟

ان برميل البترول الذي تبيعه دول الاوبك بسعر من ١٩ ـ ٢٢ دولارا اليوم يستخرج منه بعد التكرير مواد تباع بما لا يقل عن مائة دولار ان لم يكن ازيد .

لماذا لا تتجه هذه الفوائض لتنمية التكرير في موانىء عربية كجدة أو الكويت او الاسكندرية أو الحديدة أو غيرها حتى يكون لنا من البترول أكبر عائد ممكن بدلا من بيعه نفطا خاما بخمس ثمنه ...؟

لماذا لا تتجه هذه الفوائض لتنمية هذه الدول المتخلفة والعربية منهـا بوجه خاص كالسودان التي تتسع فيها الاراضي الزارعيـة الصالحـة للزراعة فتغني المنطقة بالحبوب لا سيمـا القمـح والحبـوب الزيتيـة والاعلاف الحيوانية .

وكاليمن لاستصلاح واستـزراع اراضيها واقامة صناعات بها حتى نقيهـا شر التـردي في براثـن الشيوعية ...

وغيرهمـا كثـير .... فنحتفـظ بأموالنا لانفسنا وننمي روابط الاخاء بين شعوبنا وننجو بثرواتنا بدلا من بقائها مهددة في دول الغرب بالتجميد أو التحويل الى سندات على الحكومات الغربية فتخرج من سلطاننا ونصبح عاجزيـن تمامـا عن التحـكم في مصيرهـا .... دعـك من تخفيض الدولار وارتفـاع الذهـب اللذيـن استهلكا من فوائض البترول البلايين التي لا تحصى من الدولارات ...

ارجو ....

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامـر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ـ الشويخ ـ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهـذا بيان بالمتعهـدين :

مصـــر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجـلاء .

السودان : الخرطـوم ـ دار التوزيـع ـ ص.ب (٣٥٨)

ليبيـــا : طرابلس ـ الشركة العامـة للتوزيـع والنشر .

المغـرب : الدار البيضـاء ـ الشركـة الشريفة للتوزيـع .

تونـس : الشركـة التونسـية للتوزيـع .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جـدة : مكتبـة مكـة ـ ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافيـة ـ ص.ب : (٧٦)
الطائـف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جـدة
المدينة المنـورة : مكتبـة ومطبعـة ضـياء .

مسـقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب:(١٠١١)

البحريـن : دار الهلال .

قطـــر : دار الثقافة للتوزيع ـ الدوحـة ص.ب. ٣٢٣ .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ـ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبـــي : مكتبة دبـي .

الكويـت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ـ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ مـن الأعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ذو القعدة	سبتمبر	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
			فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الاربعاء	١	١٠	١٠ ١٠	١١ ٣١	٥ ٤٦	٩ ١٧	١ ١٨	٤ ١٠	٥ ٣٠	١١ ٤٥	٣ ١٦	٥ ٥٩	٧ ١٨
الخميس	٢	١١	١٢	٣٣	٤٧	١٨	١٨	١٠	٣١	٤٥	١٦	٥٨	١٧
الجمعة	٣	١٢	١٤	٣٤	٤٧	١٨	١٨	١١	٣١	٤٤	١٥	٥٧	١٥
السبت	٤	١٣	١٦	٣٦	٤٨	١٩	١٨	١٢	٣٢	٤٤	١٥	٥٦	١٤
الاحد	٥	١٤	١٨	٣٨	٤٩	١٩	١٨	١٢	٣٢	٤٤	١٤	٥٥	١٣
الاثنين	٦	١٥	٢٠	٤٠	٥٠	٢٠	١٨	١٣	٣٣	٤٣	١٣	٥٣	١٢
الثلاثاء	٧	١٦	٢١	٤١	٥١	٢١	١٨	١٣	٣٣	٤٣	١٣	٥٢	١٠
الاربعاء	٨	١٧	٢٣	٤٣	٥٢	٢١	١٨	١٤	٣٤	٤٣	١٢	٥١	٩
الخميس	٩	١٨	٢٤	٤٥	٥٣	٢٢	١٨	١٥	٣٤	٤٢	١١	٥٠	٧
الجمعة	١٠	١٩	٢٦	٤٧	٥٤	٢٢	١٨	١٥	٣٥	٤٢	١١	٤٨	٦
السبت	١١	٢٠	٢٨	٤٨	٥٤	٢٣	١٨	١٦	٣٥	٤٢	١٠	٤٧	٥
الاحد	١٢	٢١	٣٠	٥٠	٥٥	٢٣	١٧	١٦	٣٦	٤١	٩	٤٦	٣
الاثنين	١٣	٢٢	٣٢	٥٢	٥٦	٢٤	١٧	١٧	٣٦	٤١	٨	٤٥	٢
الثلاثاء	١٤	٢٣	٣٤	٥٤	٥٧	٢٤	١٧	١٨	٣٧	٤١	٨	٤٣	١
الاربعاء	١٥	٢٤	٣٦	٥٥	٥٨	٢٥	١٧	١٨	٣٧	٤٠	٧	٤٢	٠٠
الخميس	١٦	٢٥	٣٨	٥٧	٥٩	٢٥	١٧	١٩	٣٨	٤٠	٦	٤١	٦ ٥٨
الجمعة	١٧	٢٦	٤٠	٥٨	٥٩	٢٦	١٧	١٩	٣٨	٤٠	٥	٤٠	٥٧
السبت	١٨	٢٧	٤١	١٢ ٠٠	٦ ٠٠	٢٦	١٧	٢٠	٣٩	٣٩	٥	٣٩	٥٦
الاحد	١٩	٢٨	٤٣	٢	١	٢٧	١٧	٢٠	٣٩	٣٩	٤	٣٧	٥٥
الاثنين	٢٠	٢٩	٤٥	٤	٢	٢٧	١٧	٢١	٤٠	٣٩	٣	٣٦	٥٣
الثلاثاء	٢١	٣٠	٤٧	٦	٣	٢٧	١٧	٢٢	٤١	٣٨	٢	٣٥	٥٢
الاربعاء	٢٢	اكتوبر	٤٨	٧	٤	٢٨	١٧	٢٢	٤١	٣٨	٢	٣٤	٥١
الخميس	٢٣	٢	٥٠	٩	٥	٢٨	١٧	٢٣	٤٢	٣٨	١	٣٣	٥٠
الجمعة	٢٤	٣	٥٢	١١	٦	٢٩	١٧	٢٣	٤٢	٣٧	٠٠	٣١	٤٩
السبت	٢٥	٤	٥٤	١٣	٧	٢٩	١٧	٢٤	٤٣	٣٧	٢ ٥٩	٣٠	٤٧
الاحد	٢٦	٥	٥٥	١٤	٧	٣٠	١٧	٢٤	٤٣	٣٧	٥٩	٢٩	٤٦
الاثنين	٢٧	٦	٥٧	١٦	٨	٣٠	١٧	٢٥	٤٤	٣٦	٥٨	٢٨	٤٥
الثلاثاء	٢٨	٧	٥٩	١٧	٩	٣٠	١٧	٢٦	٤٤	٣٦	٥٧	٢٧	٤٤
الاربعاء	٢٩	٨	١١ ٠٠	١٩	١٠	٣١	١٧	٢٦	٤٥	٣٦	٥٦	٢٦	٤٣
الخميس	٣٠	٩	٢	٢١	١١	٣١	١٧	٢٧	٤٦	٣٥	٥٥	٢٤	٤٢

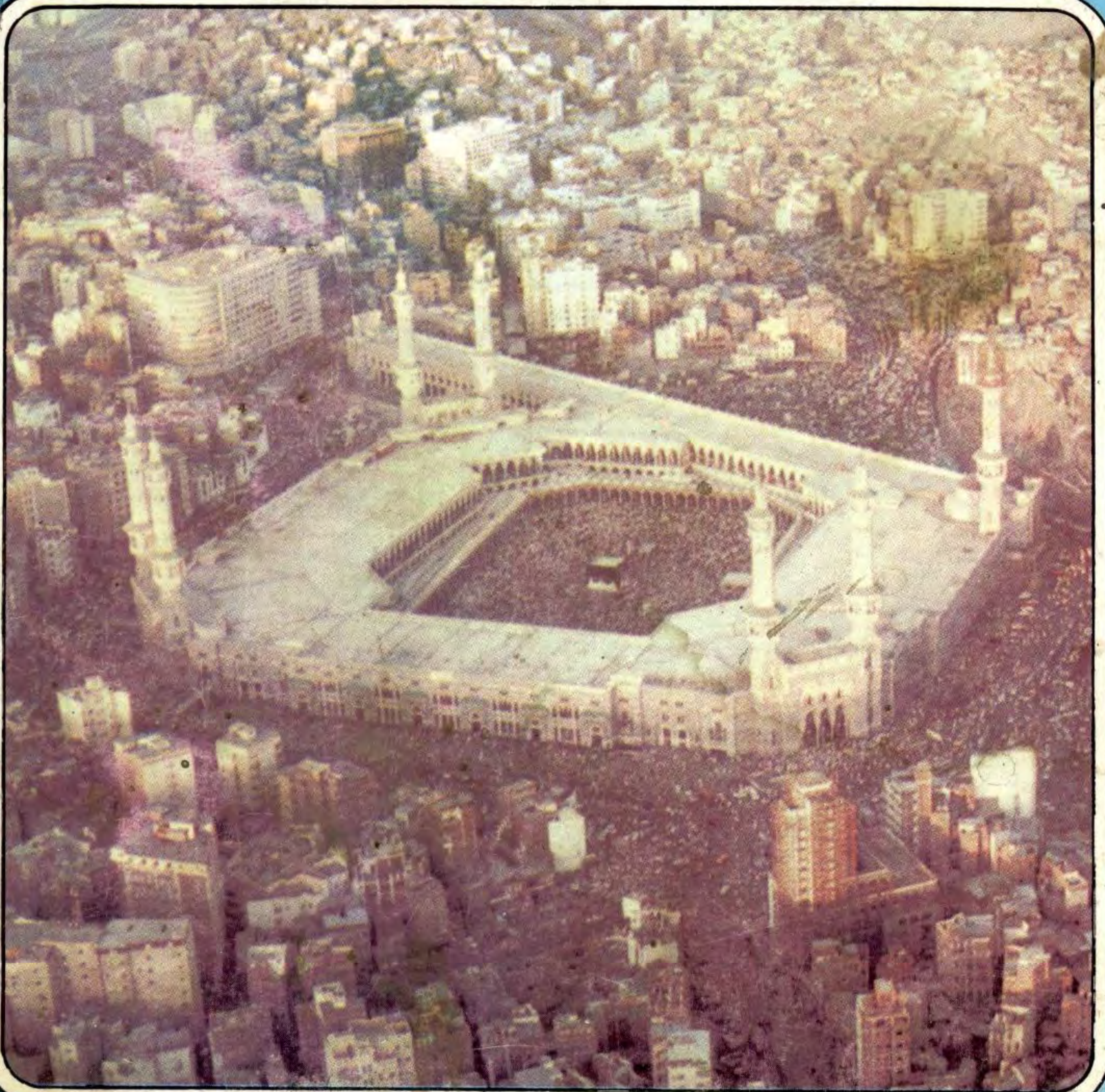
طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –

هدية العدد : براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة عشرة ○ العدد ١٩٢ ○ ذو الحجة ١٤٠٠ هـ ○ اكتوبر ١٩٨٠ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

منظر جوي فريد للحرم المكي الشريف

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السادسة عشرة

العدد ١٩٢ ○ ذو الحجة ١٤٠٠ هـ ○ اكتوبر ١٩٨٠ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة

الوعي الإسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



الحج عرفة

الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم ، كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر مناديا ينادي : « الحج عرفة » وجمهور العلماء على أن وقت الوقوف يبتدىء من زوال اليوم التاسع من ذي الحجة الى طلوع فجر اليوم العاشر ، وانه يكفي الوقوف في أي جزء من هذا الوقت ليلا أو نهارا ، الا أنه ان وقف بالنهار وجب عليه مد الوقوف الى ما بعد الغروب ، وان وقف بالليل لم يجب عليه شيء ، ومعنى الوقوف الحضور في أي جزء من عرفة ، راكبا أو ماشيا ، قاعدا أو مضطجعا ، نائما أو يقظان ، طاهرا أم غير طاهر ، ما عدا بطن عرفة (وهو واد يقع في الجهة الغربية من عرفة) فان الوقوف به لا يجزىء .

ويوم عرفة له فضل عظيم عند الله تعالى ، بينه فيما رواه ابن حبان عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذي الحجة ، فقال رجل : هن أفضل من عدتهن جهادا في سبيل الله ؟ قال : هن أفضل من عدتهن جهادا في سبيل الله . وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ، ينزل الله تبارك وتعالى الى السماء الدنيا ، فيباهي بأهل الارض أهل السماء فيقول : أنظروا الى عبادي ، جاءوني شعثا غبرا ، ضاحين ، جاءوا من كل فج عميق ، يرجون رحمتي ولم يروا عذابي ، فلم ير يوم أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة » .. وبينه أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله : « وقف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفات ، وقد كادت الشمس أن تثوب . فقال : يا بلال : أنصت لي الناس . فقام بلال فقال : أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنصت الناس . فقال : معشر الناس ، أتاني جبريل عليه السلام آنفا ، فأقرأني من ربي السلام وقال : ان الله عز وجل غفر لأهل عرفات ، وأهل المشعر الحرام ، وضمن عنهم التبعات » .

فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا رسول الله هذا لنا خاصة ؟ قال : هذا لكم ولمن أتى من بعدكم الى يوم القيامة فقال عمر رضي الله عنه :

كثر خير الله وطاب .

ويوم عرفة يوم يذل فيه الشيطان ويدحر ، ويعمه الغيظ بسبب ما يشمل الله به حجاج بيته من غفران ورحمة . روى الحاكم عن أبي الدرداء رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما رؤي الشيطان يوما هو فيه أصغر ، ولا أدحر ، ولا أغيظ منه في يوم عرفة .. وما ذاك الا لما رأى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام ، الا ما رأى من يوم بدر . قيل : وما رأى يوم بدر يا رسول الله ؟ قال : أما انه رأى جبريل يزع الملائكة .. أي يقودهم في ضرب المشركين .

ومن آداب الوقوف بعرفة المحافظة على الطهارة الكاملة ، واستقبال القبلة ، والاكثار من الذكر والاستغفار ، والدعاء لنفسه ولغيره بما شاء من أمور الدين والدنيا ، مع خشية الله ، وحضور القلب ، ورفع اليدين .

روى أحمد والترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » .

والنبي – صلى الله عليه وسلم – نهى عن صوم يوم عرفة لمن بعرفة ، ورغب في صومه لمن لم يكن حاجا .

وتسن الافاضة من عرفة بعد غروب الشمس بالسكينة رفقا بالناس لما روى الشيخان أن النبي صلى الله عليه وسلم – أفاض من عرفة بالسكينة ، وضم اليه زمام ناقته ، حتى ان رأسها ليصيب طرف رحله وهو يقول : « أيها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالابضاع – أي الاسراع – » .

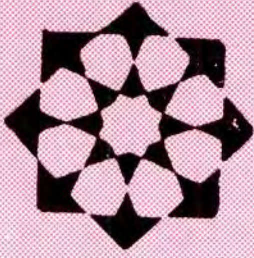
ويستحب الذكر والتلبية أثناء الافاضة من عرفة ، فقد روى أبو داود عن أشعث بن سليم عن أبيه قال : أقبلت مع ابن عمر رضي الله عنهما من عرفات الى مزدلفة ، فلم يكن يفتر من التكبير والتهليل حتى آتينا المزدلفة » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفتر عن التلبية حتى يرمي جمرة العقبة .

نسأل الله أن يوفق المسلمين الى اغتنام الخير والرحمة والمغفرة بحج بيته العظيم حجا خالصا لوجهه الكريم ، خاليا من الرفث والفسوق ، والجدال ، ليخرجوا من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم اتباعا لقول الحق تبارك وتعالى : « **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الالباب** » . وقول النبي صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ..

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



خلود القرآن

للاستاذ حسن منصور

على مدى اربعة عشر قرنا لم يكن للامة الاسلامية ملاذ يحمي بقاءها وتحقق به وجودها غير هذا القرآن ، هذا الكتاب النافذ على ضمير الأمة بسلطانه ـ الموحد لشملها بلوائه على تنائي الديار ـ وتباعد العصور وتفاوت الأجيال واختلاف الاجناس والألوان .

إنه اعجب كتاب ، عرفته الانسانية بين جميع الكتب السماوية والبشرية فهو كتاب ثبت بنصه اربعة عشر قرنا لم يطرأ عليه تغيير ـ فلم يحذف منه حرف ـ ولم يضف اليه حرف ـ وبقي يقرأ ويكتب ويدرس ويناقش بنصه الأصلي رغم ترجمته الى كل لغات الأرض فلم يصبه ما اصاب الكتب الاخرى مثل الانجيل والتوراة عند ترجمتهما من عبث الايادي والطامعين بهما .

يقول العلامة الشيخ الفاضل ابن عاشور في محاضرته الخامسة من المحاضرات المغربيات : « فالقرآن هو الذي وصف نفسه بأنه معجز ، وهو الذي

تحدى الناس ودعاهم الى معارضته حتى يكون عجزهم عن المعارضة برهانا على صدق النبي ـ صلى الله عليه وسلم فيما يدعي وامانته فيما يبلغ ـ فقد كان النبي يتحداهم به ويتلوه على رؤوسهم ، وكان يتطاول عليهم بانهم عجزوا عن معارضته رغم أميته ومعرفتهم بالاديان القديمة ، وكانت آيات القرآن العظيم تستخلص من ذلك العجز حجة قائمة وبرهانا قاطعا على ان القرآن ليس من كلام محمد وانما هو من كلام الله ، ويقول في موضوع آخر : « وقد مضت حياة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتلو القرآن والناس يتلونه بين يديه والمعارضون له منكبون عليه طمعا في امكان معارضته او تعلقا بنقضه ، ولكنه كلام الله تعالى الذي صدر عن ذاته العلية مباشرة بالحرف الذي يعبر عن المعنى التي اصدرها على صيغتها تلك مرادا بها الاعجاز الى يوم البعث والنشور » وصدق الله اذ يقول : **(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)** الحجر / ٩ فهو معجزة نبوة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المبعوث بختام الاديان ، وهو كتاب العقيدة الاسلامية فجميع المذاهب الفقهية تتعدد والأصل واحد ، والفرق الاسلامية تختلف ولكنها تحتكم دائما الى فهمها لكتاب الاسلام وتستدل بنصوص آياته ، فالسنة النبوية ـ والقياس ـ والاجماع كلها مأخوذة من القرآن الكريم ومستمدة منه ـ فهو الأصل الأول للتشريع ، وهو الرباط المقدس للأمة الاسلامية على تنائي المكان من اقصى الشرق الى اقصى الغرب في عقيدتها وروحها ومزاجها وتفكيرها .

وعلى تباعد الزمن من عصر غار حراء مهبط الوحي الى عصر القمر الذي نعيش فيه تتفاوت الأجيال في موقفها من التدين وفهمها لهذا الدين الخاتم ، ولكنها كلها ترجع الى القرآن وتحتكم اليه ، ويبقى هو ثابتا لا يتغير ولا تتعلق به شبهة ولا يمسه ادنى تبديل او تحريف يقول الله تعالى :

(وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) المائدة / ٤٨

حفظ القرآن

منذ فجر الاسلام بدأ توثيق القرآن يتلوه المصطفى صلى الله عليه وسلم على صحابته ويقرأونه عليه ، ويكتبه كتاب منهم على ما تيسر من مواد الكتابة باشراف الرسول وبتوجيهه ، لأنه كان هناك تنبه شديد الى ما لحق التوراة من تزييف من قبل اليهود ، وكذلك ما لحق الانجيل من اختلاف الطوائف المسيحية عليه نصا

وفهما وتأويلا .

وبما ان القرآن هو الكتاب الخاتم للرسالات الدينية ، المصدق لما سبقه من كتبها ، والمستصفي لما فيها من جوهر الدين ، فرضت الحاجة الى ضرورة توثيق نصه لتجد فيه البشرية الكلمة الأخيرة للدين ــ آمنة من شبهة اي تحريف ، فلم يكتف المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن يحفظه الصحابة في صدورهم بل ندب لكتابته عددا من كتابهم ــ وكان هو الذي يحدد موضع كل آية من سورتها بتوجيه الوحي .وتوفي الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن كله محفوظ في صدور الصحابة ومدون على ما تيسر من الرقاع والعسب والواح الاكتاف ورقاق الحجارة وان لم يجمعه كتاب واحد .

أول جمع للقرآن

وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه كانت اول عملية جمع للقرآن من صحفه المتفرقة لأنه في حروب الردة استشهد عدد كبير من الصحابة حفظة القرآن فقد أورد البخاري في كتاب فضائل القرآن ــ ان يوم اليمامة استشهد فيه نحو ٤٥٥ صحابيا ــ وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي سعى لهذا الجمع حيث تحدث فيه الى خليفة رسول الله أبي بكر فتردد رضي الله عنه تحرجا من ان يفعل شيئا لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم . فلم يزل عمر يراجعه في الامر حتى شرح الله صدره لذلك ــ وتمت عملية الجمع والعهد بالمصطفى ما يزال قريبا ــ وندب لها زيد بن ثابت أحد كتاب الوحي للرسول واكبر حفاظ القرآن الثقاة ــ وامر كل من لديه شيء من الصحف والرقاع ان يقدمها الى زيد فبلغ من حرصه وتحرجه ان كان لا يكتفي بمراجعة ما يتلقى من صحف القرآن على حفظه له بل بالغ في الاحتياط فلم يقبل من احد آية الا ان يأتي بشاهدين على انها كتبت بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم .

خطر اللهجات على القرآن

كان المسلمون من قبائل العرب قد اذن لهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في قراءة القرآن على عدة وجوه تعرف في المصطلح القرآني بالاحرف السبعة يختلف فيها منطوق الفاظ من القرآن دون معانيها ودلالتها ــ تبعا لاختلاف لهجات العرب او لغاتهم على وجه التيسير لهم بالقراءة على ما تطوع به السنتهم ، كان يقرأ بعضهم قوله تعالى : (**كلما أضاء لهم مشوا فيه**) ــ البقرة / ٢٠ ويقرأها آخرون (**سعوا فيه**) أو (**مضوا فيه**) كما نقله الزركشي والسيوطي .

ولم يكن اختلاف الأحرف السبعة في كلمات القرآن يثير اي قلق او شبهة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وخليفتيه ابي بكر وعمر حيث كان المسلمون العرب يعلمون علم اليقين ان الأمر فيه لا يعدو اختلاف لهجات القبائل في هذا اللفظ او ذاك للمعنى الواحد لكن بوادر القلق لاحت بعد ان خرج العرب من جزيرتهم يحملون لواء الاسلام ففتحوا مصر والشام والعراق قبل ان يمضي ربع قرن على الهجرة ، وخالطوا شعوبها التي وجدت في سماحة الاسلام ويسره واقراره حرية التدين ملاذا من وطأة الفرس وضغط الرومان .

توحيد القرآءات

عندئذ خيف على الاسلام ان تسمع هذه الشعوب الطارئة على العربية قراءة المسلمين العرب للقرآن فيظنوا انهم يختلفون فيه باختلاف هذه الأحرف المباح لهم قراءته بها .

ثم اشتد القلق حين خرج مسلمو الشام والعراق مع كتائب الفاتحين الى ما وراء النهر وقد كان هؤلاء وهؤلاء تلقوا القرآن من صحابة تختلف قبائلهم فحدث ان اهل الشام خطأوا اهل العراق ـ وكذلك خطأ العراقيون اهل الشام على مرآى ومسمع من شعوب البلاد التي امتدت اليها راية الاسلام .

فقد روي البخاري في صحيحه ان الصحابي ابن اليماني خرج مع جند الشام والعراق في فتح ارمينية واذربيجان ـ فأفزعه اختلافهم على قراءة القرآن ـ فلما رجع قدم على الخليفة عثمان فقال له : ادرك الأمة قبل ان يختلفوا على القرآن اختلاف اليهود والنصارى وتتابعت النذر باصداء هذا الاختلاف ووقعه فكان ان استقر الرأي على ضرورة حسمه .

فأرسل عثمان الى ام المؤمنين حفصة رضي الله عنها يستأذنها في ان تخرج اليه المصحف المجموع المودع لديها لينسخ منه نسخا ثم يعيده اليها .

وندب لذلك اربعة من الصحابة برئاسة زيد بن ثابت لكتابة المصحف بلغته القرشية التي قرأه بها المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم في العرضة الأخيرة للقرآن ـ فلما فرغوا من كتابة المصحف الامام نسخت منه اربع نسخ على المشهور بقيت احداها بالمدينة وارسلت الثلاثة الى كل من الكوفة والبصرة ـ والشام ـ مع الامر بأن يحرق ما عداها من المصاحف باقرار الصحابة ومشورتهم حيث قضت بذلك الضرورة وهي تعدد اللهجات في الاقطار التي دخلها الاسلام وسوغ هذا الاجراء تفادي الخطر من اختلاف المسلمين على قراءته وقد زللت الحاجة التي سوغت التيسير حيث الف العرب لغة النبي القرشي لسان الدين والدولة .

وقد نقل الزركشي في كتابه ـ البرهان في علوم القرآن ـ ما روى عن الامام علي

رضي الله عنه حيث قال :
رحم الله ابا بكر ــ هو اول من جمع المصحف بين اللوحين ولم يحتج الصحابة في أيامه وأيام عمر الى جمعه على وجه ما جمعه عثمان لأنه لم يحدث في أيامهما من الخلاف ما حدث في زمن عثمان ، ولقد وفق لأمر عظيم ، رفع الاختلاف وجمع الكلمة . وأراح الأمة .

القراءات السبعة وعلم القراءات

وبالمصحف الامام لم يعد هناك أي خلاف الا في طريقة القراءة للمصحف الواحد من حيث المسلك الصوتي وكيفية الاداء لما يحتمله رسم الكلمة وهذه ايضا لم تترك بغير ضابط بل عرفت الامصار الاسلامية من ذلك الزمن المبكر ائمة من جيل التابعين يرجع اليهم الناس في اقراء القرآن كما تلقوه من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان الناس على رأس المائة الثانية للهجرة على قراءة أبي عمرو بن العلاء ــ بالبصرة ــ وحمزة وعاصم بالكوفة وابن عامر بالشام وابن كثير بمكة ونافع بالمدينة كلهم ممن اشتهرت امامتهم وطال عمرهم في الاقراء وارتحل الناس اليهم من البلدان ــ وعلى رأس المائة الثالثة اقتصر ابو بكر بن مجاهد شيخ القراء في بغداد المتوفي سنة ٣٢٤ هـ على القراءات السبع المشهورة المنقولة عن الأئمة السبعة وهم :

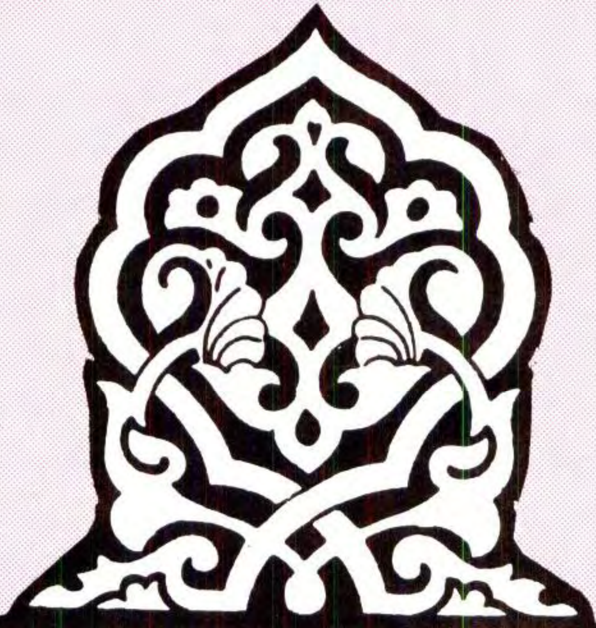
١) عبدالله بن كثير المكي مولي القرشيين التابعي المتوفي بمكة ١٢٠ هـ
٢) نافع بن عبد الرحمن بن ابي نعيم المدني المتوفي بالمدينة عام ١٦٩ هـ
٣) عبدالله بن عامر بن يزيد اليحصبي قاطن دمشق من كبار التابعين توفي حوالي عام ١١٥ هـ
٤) ابو بكر بن علاء البصري المتوفي عام ١٥٤ هـ
٥) عاصم بن ابي النجود ابو بكر الاسدي الكوفي المتوفي بها عام ١٢٨ هـ
٦) حمزة بن حبيب الزيات الكوفي المتوفي عام ١٥٦ هـ
٧) ابو علي حمزة الكساني الكوفي مولى ابي اسد

والسبب في اشتهار هؤلاء السبعة دون غيرهم انه لما كثر قراء القرآن نظر الناس في كل مصر الى امام مشهور بالفقه والأمانة وحسن الدين وكمال العلم قد طال عمره منقطعا الى الاقراء واجمع اهل المصر على عدالته وتنقلت القراءات السبع المتفق عليها عبر الزمن بالتواتر متصلة الاسناد طبقة عن طبقة الى القراء السبعة الأئمة .

ومهما تختلف هذه القراءات في طريق الاداء فانها تلتقي جميعا في اتصال

اسنادها وموافقتها للغة العرب والتزامها رسم المصحف العثماني .
وتتابعت اجيال المحققين على خدمة القراءات وصنفت كتب في نقط المصاحف وفي ضوابط الوقف وسائر قواعد التجويد على القراءات السبع التي يقرأ بها القرآن اليوم في سائر البلاد الاسلامية وكان لمراكز الاشعاع العلمي بشمالنا الافريقي كجامع الزيتونة بتونس وجمعية العلماء بالجزائر وجامعة القروين بفاس اليد البيضاء والمنة العظمى في المحافظة على تسلسل حفظ القرآن رواية ود راية من لدن بثه ونشره بعاصمة الاسلام الأولى بالمغرب العربي مدينة القيروان اثر الفتح الاسلامي على يد العبادلة السبعة الى يوم الناس هذا ثم ان النظام الزيتوني القديم كان يتبنى شعبة القراءات الى جانب الشعب العلمية الاخرى يتخرج فيها كل سنة ثلة من العالمين به والقائمين بهذا العلم قراءة ودراية وهو ما يسمى بعلم التجويد على النحو الذي قرأه به الأئمة السبعة بالاسناد المتصل الى الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث ضبطت قراءته بالتواتر بالتلقي المباشر عن ائمة القراء الذين كانت تزخر بهم الزيتونة متصلة الاسناد الى النبي صلى الله عليه وسلم وتختم دراسة المتخرجين منهم بشهادتي التطويع او العالمية في القراءات .

وبهذا التوثيق الذي لا يعرف التاريخ له مثيلا لم يكن هناك اي مجال لتحريف نصه بل سدت كل الذرائع التي يحتمل ان يصل اليه منها اي تغيير او تبديل نصا ورسما وقراءة ، وتجويدا فهو بحق اعجب كتاب عرفته الانسانية لا يشبهه في صفاته وخصائصه وتأثيره على الذين يؤمنون به اي كتاب آخر ــ يقول الرافعي رحمه الله في وصف القرآن : الفاظ اذ اشتدت فامواج البحار الزاخرة واذاهي لانت فانفاس الحياة الآخرة تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها وتصف الآخرة فمنها جنتها وضرامها معان ترويك من ماء البيان ورقة تستروح منها نسيم الجنان ونورا تبصر به في مرآة الايمان وجه الامان وتمثل للمذنب حقيقة الانسانية حتى يظن انه صنف آخر من الانسان .
وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الاترجة ريحها طيب وطعمها طيب » رواه احمد ، وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن ــ اي الحافظ له باتقان ــ مع السفرة الكرام ــ رواه البيهقي ــ اي الملائكة المقربين ــ وعن سيدنا عثمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخاري والترمذي وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الذي ليس في جوفه ــ اي قلبه ــ شيء من القرآن كالبيت الخرب » رواه احمد والترمذي والحاكم وصدق الله اذ يقول : (**كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد**) . ابراهيم / ١ .



الفصحى

من شعائر الإسلام

محمد مؤذن

للشيخ احمد حسن الباقوري

كتبت إلي ـ حفظك الله ـ تسألني عن سندي في تصويب كلمة « تقييم » التي يراها بعض المتأدبين خطأ في الدلالة على قيمة الأمر من الأمور ، أو السلعة من السلع ، أو الشيء من الأشياء ، بدلا من كلمة « تقويم » التي هي الأصل المستخدم في هذا الباب .

وقد تلقيت كتابك الكريم بيد قادرة فضلك ، شاكرة لك حسن ظنك بي في تصويب خطأ ، أو تخطئة صواب في لغتنا العربية الشريفة .

ولقد كان من يمن كتابك الي ، أنه ذكرني بالجزء الأول من « خصائص ابن جنى » الذي كنا نطالع فيه المسألة ، التي يدور كتابك الكريم حولها ، ونحن آنئذ في مكتبة معهد الدراسات الاسلامية ، وقد كنت أنسيت الجزء الأول ، فأخذه أحد الذين يأخذون ما لا يملكون ، ثم ينسون أو يذكرون ما أخذوا ، إلا أن تطلب إليهم أن يردوا إليك ما أنساكه الشيطان الرجيم .

ولعل من الحق على أن أذكر الأخ المفضال بما كنا قد تناقشنا فيه ، حول النطق الصحيح باسم مؤلف الكتاب ، وأن اسمه هو « جنى » ـ بالجيم الأعجمية لا بالجيم العربية ـ حتى تكون الكلمة مأخوذة في اللسان الأعجمي ، من كلمة 'gennius' بمعنى فاضل أو نبيل أو عبقري أو نابغة ، إلى غير ذلك ، مما تدل عليه الكلمة في اللغة الأعجمية الأوروبية .

هذا ، ولعل الأخ المفضال لايزال يذكر أن علماء العربية ، يطيب لهم أن ينطقوا هذا الاسم ، منسوبا إلى الجن ، فهو جيم عربية ، منقوطة بواحدة من تحت ، ثم نون مشددة ثم ياء النسب العربية ، وهذا النطق خطأ لفظي ، وإن كان يسوغه ـ لو كان للخطأ أن يسوغ ـ أن العرب ، تنسب الشيء العجيب النابغ العبقري إلى « عبقر » التي يزعمون أنها علم على وادي يسكنه الجن .

أما السند لصحة النطق باسم مؤلف كتاب « الخصائص » فان في شرح العلامة الدماميني لكتاب « المغنى » هذا السند الموثوق ، وفيه يقول الامام العلامة ـ رحمه الله ـ وإعراب « جنى » على الحكاية لحالها في العجمة ، فلا تعامل في الاعراب معاملة الكلمات العربية ، وذلك أنها لو ذهب بها هذا المذهب ، لعوملت معاملة الأسماء المنقوصة ، فقيل « ابن جن » فتضيع عندئذ صورة العلم ، ويلتبس الأمر بالجن ، فمن ثم ، أبقيت كما هي ، حفاظا على صورتها ، ويراجع في ذلك الجزء الأول من كتاب « الخصائص » صفحة (٩) طبع دار الكتب المصرية .

هذا ، وأما ما تفضلت بسؤالي عنه من تصويب كلمة « تقييم » مع الفرق بينها وبين كلمة « تقويم » فان كلمة « تقييم » بمعنى معرفة القيمة ـ هي في مبلغ علمي ، صواب مظلوم ، وأذكر أنني كنت قد نشرت تصويب

هذه الكلمة بهذا العنوان في جريدة الأخبار المصرية ، وقبل أن أنكـر السند ووجهة النظر ، التي استندت إليها في هذا التصويب ، أبادر إلى القول بأن كلتا الكلمتين : « تقييم » و « تقويم » مردودة في أصلها إلى « الواو » في الفعل « قام ، يقوم » .

تقول العرب : قوم الرجل العود واقامه ، فقام واستقام . وتقول : بكـم قام عليك هذا المتاع ؟، كما تقول : قام بعيرك مائة دينار ، وقام البعيران ثمنا واحدا . فالواو ــ كما ترى ــ أصل في هذا البناء من لغتنا العربية الشريفة ، بغير فرق بين التقويم بمعنى تعديل العوج ، وبين التقويم بمعنى طلب القيمة للسلعة .

غير أنك مستطيع أن ترى فرقا في الاستعمال ، يسوغ لك كلمة « التقييم » بمعنى الطلب لقيمة الشيء .

وخلاصة القول في نلك ، راجع إلى ما ذكره العلامة ابن جنى ، في الجزء الأول من كتابه « الخصائص » صفحة (٣٤٧) طبع دار الكتب المصرية . فقد قال ــ رحمه الله ــ « باب في تدريج اللغة » :

ونلك أن يشبه شيء شيئا من موضع ، فيمضى حكمه على حكـم الأول ، ثم يرقى منه إلى غيره .

فمن نلك قولهم : « جالس الحسن أو ابن سيرين » . ولو أن المـأمور بمجالسة أحدهما جالسهما جميعا ، لكان مصيبا مطيعا غير مخالف ، وإن كانت « أو » إنما هى ــ في أصل وضعها ــ لأحد الشيئين .

وإنما جاز نلك في هذا الموضع ، لا لشيء رجع إلى نفس « أو » ، بل لقرينة انضمت من جهة المعنى إلى « أو » . ونلك لأنه قد عرف ، أنه إنما رغب في مجالسة الحسن لما لمجالسه في نلك من الحظ ، وهذه الحال موجودة في مجالسة ابن سيرين أيضا ، وكأنه قال : « جالس هذا الضرب من الناس » . وعلى نلك جرى النهي في هذا الطرز من القول ، في قول الله ــ سبحانه ــ : **(ولا تطع منهم آثما أو كفورا)** الانسان / ٢٤ ، وكـــأنه قال ــ والله أعلم ــ : لا تطع هذا الضرب من الناس . ثم إنه لما رأى « أو » في هذا المـوضوع قد جرت مجرى « الواو » ، تدرج من نلك إلى غيره ، فأجراها مجرى « الواو » ، في موضع عار من هذه القرينة ، التي سوغته استعمال « أو » في معنى « الواو » .. إلى آخر هذا الباب .

وقد مضى الشيخ ــ رضوان الله عليه ــ يقول : « ومن التدريج في اللغة ، قولهم ــ للمطر الدائم في سكون ــ : « ديمة » و « ديم » في المفرد والجمع ، ثم تجاوزوا نلك لما كثر وشاع ، إلى أن قالوا : « ديمت السماء ، ودومت » .

فأما « دومت السماء » ، فعلى القياس . وأما « ديمت السماء » ، فلاستمرار القلب في « ديمة وديم » ، وقد أنشد اللغويون شاهدا لهذا :ــ

هو الجواد ابن الجواد ابن سبل
إن دوموا جاد ، وإن جاد وبل

وهذا البيت في وصف فرس . وسبل ، فرس نجيبة في العرب . ولهذه

الفرس ذكر في « أنساب الخيل » لابن الكلبي .

قال الامام العلامة ابن جنى : « وجماع هذا الباب ، غلبة « الياء » على « الواو » ، لخفتها ، فهم لا يزالون ، تسببا إليها ، ونجشا عنها ، واستثارة لها ، وتقربا ما استطاعوا منها .

ومصداق هذا الذي قرره العلامة ابن جنى ، ما رواه عن العرب الأقحاح ، العلامة اللغوي الجليل أبو القاسم ، محمود ، بن عمر ، جار الله الزمخشري ، حيث قال ــ رحمه الله ورضى عنه ــ في كتابه « أساس البلاغة » : « دام الشيء دوما ودواما ، ولا أفعله مادام الأمر هكذا . وأدام الله عزك . وأنا أستديم الله نعمتك . ودام على الأمر فلان ، وداوم عليه . وظل دوم : دائم . قال حاجب بن زرارة في يوم جبلة :ــ

شتان هذا والعناق والنوم
والمشرب البارد في الظل الدوم

وهم يقولون : دام المطر أياما . ومطرتهم السماء ، بديمة وديم ، وديمت وأدامت . وشرب القوم المــدامة ، والمــدام . وإنما سميت كذلك ، لأن شربها يدام أياما دون سائر الأشربة . ويقولون : قطع السفر ديمومة وياميم ، وهي الأرض التي يدوم بعدها .

والأصل ، من الدوام ، كالكينونة من الكون .

ولست ترتاب ــ رحمك الله ــ في أن التأمل الدقيق في هذه النصوص ، واردة على الأخلاف من فصحاء الأسلاف ، تؤذن بتصويب كلمة « تقييم » ، مرادا بها طلب قيمة الشيء . ولكي تفرق بين هذه الصيغة وبين صيغة « التقويم » ، مرادا بها التعديل من عوج ، لا أراك تضيق صدرا باستخدام الكلمتين في معنيين مختلفين ، مع التزام « الواو » حينما تريد تعديل العوج ، وإيثار الياء عليها ، حينما تريد تقدير القيمة .

وثمت كلمة ثانية ، يستعملها الناس في عصرنا على أنها صواب ، وهي عريقة في الخطأ ، وهي كلمة « العشرينات » و « الثلاثينات » و « الاربعينات » ، وما إلى ذلك من سائر العقود .

ووجه الخطأ في هذا الاستعمال ، أن هذه الكلمات ، جموع لعشرينة ، وثلاثينة وأربعينة ، وليست هذه الكلمات في متن اللغة ، إذ كانت لا معنى لها .

والصواب في الاستعمال ، أن يقول القائل : « هذا حدث في العشرينيات ، والثلاثينيات ، والأربعينيات » ، بمعنى أنه حدث في السنوات المنسوبة الى العشرين والثلاثين والأربعين وما إليها .

فالكلمة يجب أن تكون مستعملة على طريق ياء النسبة ، وحذف الياء هذه ، خطأ عريق في باب الخطأ ، الذي يكاد يهبط إلى منزلة الخطيئة ، لأن الفصحى من شعائر الاسلام ، ولأن الحرص على العربية ، حرص على لغة القرآن ، والله ــ تعالى ــ من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل .

قصة الحياة بعد الموت



أهمية الدراسة الروحية في الزمن المادي

لعل هذا الزمن الذي نعيش فيه من أكثر الأزمان مناسبة لنقوم برحلة إشراقية في عالم الروح ، مهتدين في هذه الرحلة بآيات الله سبحانه ، وما ورد في الأحاديث الصحاح ، نلك لأن روح كل إنسان هي مصدر حياته ، والاحساس بها مركوز في اعماق الفطرة البشرية ، وهي نفخة من روح الله نتوارثها عبر الأجيال عن أبينا آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة

(فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) الحجر / ٢٩ .

من اجل نلك يستمد الانسان اليقين حين تتفتح روحه لأنوار الله — ومن أجل نلك كانت الدراسة الروحية السليمة معينة على نلك المنهاج القويم .. والدراسة الروحية المستأنية لازمة في هذا الزمن ليس من أجل زيادة الايمان فحسب أو لتنقية النفس وإنما كذلك لتبديد ما انتشر من خرافات عن استحضار الأرواح

للأستاذ / محمد لبيب البوهي

وانتشار مئات الجمعيات في الشرق والغرب والتخبط الذي يتلقفه كثير من الناس كأنه حقائق لشدة الظمأ إلى معرفة ما يأتيهم من تدجيل عن ذلك العالم المجهول ..

ولقد كتبنا في مقال سبق بمجلة الوعي الغراء نبذة عن الحياة الأخرى وما جاء في آيات الله وأحاديث الرسول عن ذلك ونرجو في هذه المحاولة أن نضيف شيئا ما إلى ما تقدم ..

على هامش الحياة بعد الموت

لكي نزداد اقتناعا بعالم الروح نحرص في هذه العجالة على أن نسوق اليك أقوال بعض كبار العلماء والأئمة ، يقول الامام السيوطي رضي الله عنه : لا ريب في أن الروح ستكون في عليين في السماء ، وأن لها بالبدن اتصالا متصورا بحيث تدرك .. وتسمع .. وتصلى .. وتقرأ .. ولها سرعة الانتقال الفوري كلمح البصر مما يقتضي عروجها من القبر إلى السماء في أدنى اللحظات ، وشاهد ذلك عروج النائم ، فقد علمنا جميعا أن روح النائم تصعد السبع الطباق وتسجد لله عند العرش ثم ترد الى جسده في غير زمن .. وقد لا يتذكر النائم جولات روحه في عالمها بعد صحوه .

ويقول الامام محمد عبده : « إن العمر القصير ليس هو منتهى ما للانسان في الوجود ، بل الانسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن البدن ، ثم يكون حيا باقيا في طور آخر وإن لم يدرك كنهه » .

ويقول الاستاذ الجليل المفتي الشيخ حسنين مخلوف في مؤلف لسيادته : « عالم الروح يختلف عن عالم المادة اختلافا كثيرا في أحواله وأفكاره .. فالروح يبعثها الله في الجسد وهو جنين .. » إلى أن قال : « وعندما تفارق الروح الجسد في الوقت المقدر أزلا تنقطع علائقها به .. وينتهي هيكل البدن ويسمى عندئذ ميتا » ثم قال : لكن الروح تظل في البرزخ لقوله تعالى : **(ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون)** المؤمنون / ١٠٠ . والبرزخ هو ما بين الحياة الدنيا والحياة الأخرى .. وتبقى الروح حية مدركة تسمع وتبصر وتسبح وتجول في ملكوت الله تعالى حيث أراد .. وقد تتصل بالأرواح الأخرى وتناجيها ..

صورة عن القيامة من آيات الله

تدل الايات على ان القيامة ستقوم ويكون هناك أقوام لم يموتوا بعد وما زالوا أحياء لان الايات تشير الى انهم قد يكونون في شأن لهم بعيدا عن بيوتهم ، فلا يستطيعون الرجوع اليها ، ولا يجدون فرصة ليوصوا أهلهم ، توهما منهم أن أهلهم

سيظلون أحياء من بعدهم ، وذلك في قول الحق تعالى : **(ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون . فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون)** يس / ٤٩ ، ٥٠

كيف يمكن تقريب معنى النفخ في الصور

قال تعالى :(**ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون)** الزمر / ٦٨ .

ان هذه النفخة في الصور على أثرها تموج البحار .. وتتساقط الكواكب ، وتشتعل الشمس وتتهاوى النجوم ، وتنسف الجبال وتتطاير كالعهن المنفوش .

إنه يمكن تصور النفخ في الصور كانفجار مئات الملايين من القنابل النووية التي دمرت قنبلة واحدة منها فقط – وهي من صنع الانسان – مدينة هيروشيما في اليابان باكملها في لحظات .

ومن هذه النفخة في الصور .. تكون القوة الانفجارية الرهيبة التي لا توصف اذ الحقيقة اكثر واعظم فما ذكرناه مجرد تقريب للمعنى على صورة ما وعلى اثر هذا يصعق من في السموات ومن في الأرض .. ومن هذه الآيات ندرك كذلك ان الزلزلة أو الصعقة ستشمل السموات والأرض ، أي أن القيامة لن تشمل الأرض وحدها ، بل سوف تشمل في ذات الوقت من في السموات .

هل في السموات مخلوقات تسكنها ؟

ما زال العلم ورواد الفضاء يبحثون عن ذلك ، ولكن هذه الآيات فيها دلالة قاطعة على وجود مخلوقات في السموات ، لأنهم سيصعقون معنا يوم القيامة ، وفي ذات اللحظات التي يصعق فيها أهل الأرض فتشملهم القيامة جميعا .

من هم الذين لا يموتون عندما ينفخ في الصور اول مرة ؟

إذ يصيب الموت كل من في السموات ومن في الأرض فان الآية تقول : **(الا من شاء الله)** .. وقد جاء أنهم جبريل .. وميكائيل .. وإسرافيل ، وملك الموت .

وقد يكون تأخير هؤلاء لانهم سيقومون باذن ربهم بمهمة النهاية الكونية ثم يؤمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل – ثم روح ميكائيل . ثم روح اسرافيل .. ثم يأمر الله ملك الموت فيموت هو نفسه .. ثم يحيى الله إسرافيل (نافخ الصور) فيأمره تعالى ان ينفخ النفخة الثانية فذلك قوله تعالى : **(ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون)** أي ينظرون بعد ذلك إلى البعث .. ويقول يومئذ الذين كانوا في شك من البعث : **(يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)** ٥٢ / يس .

مصير الشياطين والمردة :

ان الشياطين والمردة لن تفر من هول ذلك اليوم العصيب ، فسوف تقبل

منكسة الرؤوس ذليلة بعد عتو وتمرد في الدنيا ، لقد جاءت مذعنة خاشعة من هول ما صارت إليه ومن هيبة العرض يقول تعالى : **(فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا)** ٦٨/ مريم .

ان التأمل العميق في هذه الكلمات يفتح آفاقا من الفهم ، لان الكلمات اشارات تنبثق منها أغوار المعاني بقدر الفهم والتأمل .

أرض المحشر ليست هي أرض الدنيا

اذ نجد مصداق ذلك في قول الحق سبحانه : **(يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات)** وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد » رواه البخاري ومسلم ، أي أرض ناصعة البياض ، ليس فيها اي علامة من شجر .. او بناء .. أوتراب .. وفي الحديث : « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد الجمهم العرق ، وبلغ شحوم الآذان » وكانت السيدة سودة زوج النبي حاضرة هذا الحديث فتعجبت وقالت : يا رسول الله .. وا سوأتاه ـ حفاة عراة ينظر بعضنا الى بعض ؟ فقال : « شغل الناس (لكل امرىء يومئذ شأن يغنيه) ٣٧ / عبس ، رواه الطبراني .

وعن اصناف الناس يوم الحشر يقول المصطفى العظيم : « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف : صنفا مشاة ، وصنفا ـ كبانا ، وصنفا على وجوههم » قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم ، قال : إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم . رواه الترمذي انه الهوان لمن يستحقه وقد يكابر أحد المكابرين فيقول : وكيف يكون مشي الانسان على وجهه ؟ وهنا نذكره بأمر الحية التي تزحف على بطنها بغير أرجل ولا أقدام ..

من صور يوم القيامة

الأمر هناك يختلف تماما ونحن نستشف بعض ذلك تصويرا وتقديرا الى حد ما يختلف باختلاف التأمل والتخيل المستمد من الاشارات والآيات ، اننا نتصور أن يأتي الناس يومئذ أفواجا بعد أفواج كالفراش المبثوث بما لا حصر له ولا تتسع الأرقام مهما بلغت ان تعطى بيانا عن حقيقة هؤلاء الخلائق الذين كانت الارض قد طوتهم في جوفها منذ خلقت الى أن تقوم الساعة وسيكون هناك خليط عجيب هائل يزحم بعضه بعضا .. فأناس من القرون الأولى إلى جوار آخرين عاشوا بعدهم بآلاف الأجيال والقرون والكل عريان .. مكشوف .. مبهوت في خوف من نتائج الحشر .. الا من رحم ربك .. على حين تدنو الشمس المتهاوية من الرؤوس ونيرانها وأحجارها تتناثر .. وإن عشر معشار طاقتها وهي فوق الرؤوس لكافية لاهلاك الخلائق أجمعين :

ولكن الأمر الالهي قد صدر بأنه لا موت بعد اليوم سوف يتمنى أكثر الجمع يومئذ لو يصبحون ترابا .. أو يهلكون ولكن الأمر الالهي قد صدر بأنه لا موت بعد اليوم .

لكن هناك أقوام سوف يعصمهم الله من هذا كله ، إنهم أولئك الذين سيكونون في ظله سبحانه .. يوم لا ظل الا ظله .. أولئك الذين عصمتهم حسنات ما قدمت أيديهم فأطفأت عنهم نيران هول اليوم المنتظر .

من فضل الله على الناس

وبعد .. فان مما يعصم من هول اليوم الموعود أن يتذكر كل امرىء في دنياه ما كان وما هو كائن من فضل الله على الناس ..

لقد أنعم سبحانه علينا بنعمتي الوجود والايمان .. وبسط الأرض لنمشي في مناكبها ونأكل من طيبات رزقه .. وملأ القلوب نورا .. ورسم الطريق بعد الحياة الطيبة في دنيا الناس الى جنة عرضها السموات والأرض .. ثم تفضل سبحانه بأن جعل مجرد أعمالنا الموقوتة في أيام الحياة الدنيا مجرد رمز وجواز مرور الى سعادة الخلود .. فليس للخلود في النعيم ثمن معادل ، وإنما ذلك بفضل الله ورحمته .

روى أن زاهدا عبدالله سبعين عاما عبادة كاملة صحيحة .. وكان سعيدا كل السعادة بتوفيق الله له في ذلك ، وكان يكثر من دعائه إلى الله ألا يحرمه أجر إخلاصه في عبادته .. فرأى في المنام أن الحق سبحانه يوحي اليه ـ أتريد أن نكافئك على قدر اخلاصك في عبادتنا ؟ قال الرجل : اجل يا ربي إذا كنت قبلتها .. فأوحى الله تعالى : لو كافأتك على قدر عملك الذي اخلصت خلاله سبعين عاما لأدخلتك الجنة سبعين عاما مثلها ثم أخرجتك ..

فلنذكر دائما ان اعمالنا مجرد رمز وجواز مرور وفي الحديث الشريف « سددوا وقاربوا وابشروا فانه لن يدخل أحدا الجنة عمله » رواه البخاري ومسلم وقال سفيان رضي الله عنه : ان النجاة من النار بعفو الله .. ودخول الجنة برحمته ـ واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال ،

الذين يخفف عنهم هول يوم الحساب

في الحديث الشريف لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن طول ذلك اليوم قال :

« والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة » رواه احمد يقول الله سبحانه : **(إن الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون)** الأنبياء / ١٠١ أي الذين كانوا موفقين للأعمال التي تجلب لهم السعادة في الآخرة حين عملوا بها في الدنيا هم في بعد عن كل ما يلاقيه الأشقياء من أهوال القيامة .

بل منهم من يسرع به إلى الجنة بغير حساب ، فيكونون في الجنات آمنين لا يحسون ما يحسه سواهم من ألوان العذاب في البعث .. والانتظار ..

والسؤال **(وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون)** ١٠٢ / الأنبياء لأن نعيم الآخرة غير محدود بزمن .. إنه الدوام المطلق إلى غير نهاية **(لا يحزنهم الفزع الأكبر)** ١٠٣/ الأنبياء ، دليل من القرآن الكريم على ما يكون من فزع في ذلك اليوم كما قال تعالى : **(ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض)** ٨٧ / النمل

عندما تكون الدنيا مزرعة الآخرة

كان الامام ابن تيمية رضي الله عنه يقول : (« ان في الدنيا جنة من لم يذقها لم يدخل جنة الآخرة) .

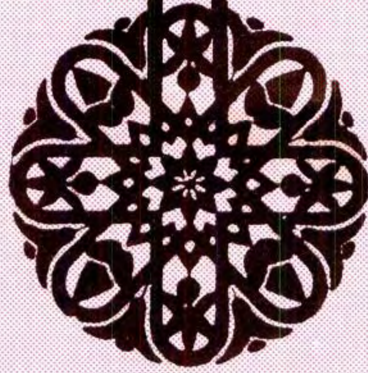
وهذا قول له حلاوة في القلوب .. ولا يدرك الا بالذوق .. ففي الدنيا جنة الايمان – ومن ثماره السكينة .. والرضا .. والتوكل .. والتفويض .. والتفكر في بديع صنع الله ، وكلها اشياء مما يسعد النفس ويشرح الصدر .. ومنها كنوز الأنوار التي تتفجر في قلب المؤمن في كل حركاته وسكناته في دنياه التي جعلها الله مزرعة لآخرته ، فتذوق في حياته نعيما جعل بعض الذين تذوقوه يقولون ، نحن في لذة لو درى بها الملوك لحسدونا عليها .

انها أفراح الأرواح .. حتى من قبل أن تفارق الأبدان .. وحين تضع يدك في يد الله لن تحزن ولن تخاف .. وستجد الراحة بعد لذة العبادة في كل شيء ، ستسعدك تغريدة عصفور .. وخرير ماء جدول وحفيف ورق شجر .. وسوف تشارك الكائنات في تسبيحها الدائم المطلق لبديع السموات والأرض .. وسوف تعمل في حياتك وتكد وتجتهد ولكن بغير هم أو قلق أو اضطراب نفسي : لأنك ترى الله في كل شيء .. وقبل كل شيء ، وبعد كل شيء .

وبعد : فان نعيم الخلود يستحق كل ما نبذله من جهد منذ الان وفي حديث رواه كليب بن حرب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اطلبوا الجنة جهدكم ، واهربوا من النار جهدكم ، فان الجنة لا ينام طالبها وان النار لا ينام هاربها » رواه الطبراني .

والانسان ضعيف بنفسه قوي بربه .. والشيطان للانسان الغافل بالمرصاد ، يتربص به ، ويبحث عن ثغرة ينفذ منها ، فلا عاصم منه الا الله لاننا بانفسنا لا نقدر على الشيطان ، ولذلك لم يطلب منا الحق سبحانه ان نستعيذ من الشيطان بالملائكة او بالعلم او بالاجتهاد وانما امرنا أن تكون الاستعاذة به وحده سبحانه .

وأبوابه تعالى على مصراعيها مفتحة لمن يتجه إليها ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار : يا رب إن عبدك فلانا استجار مني فأجره ، ولا سأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة : يا رب إن عبدك فلانا سألني فادخله الجنة » رواه ابو يعلي على شرط البخاري ومسلم



البنوك الإسلامية

ودورها في المجتمع الإسلامي

للاستاذ مجدي عبدالفتاح سليمان

أحمد الله تبارك وتعالى على تلك الصحوة الاسلامية المباركـــة التي ظهرت في السنوات الأخيرة نحو البنوك الاسلامية التي تقوم بكافة الأعمال والخدمات المصرفية ، وفقا لأحكام الشريعة الاسلامية ، مبتعدة كل البعد عن المعاملات الربوية لما في الربا من ظلم واستغلال ، وفي هذا اصلاح للمجتمع الاسلامي ، لأن الربا يفسد كيان الجماعة البشرية بما يبثه من روح الشره والطمع والأثرة » .

وقد اتخذت خطوات إيجابية وفعالة حيث قد تم انشاء بعض البنوك الاسلامية ، وباشرت الأعمال المصرفية طبقا لأحكـــام الشريعة الاسلامية ، وأصبح عددها سبعة بنوك هي :

● البنك الاسلامي للتنمية السعودي ـ بنك دبي الاسلامي ـ بنك التمويل الكويتي ـ بنك فيصل الاسلامي السوداني ـ بنك فيصل الاسلامي المصري ـ بنك ناصر الاجتماعي المصري ـ البنك الاسلامي الاردني للتمويل والاستثمار .

ونجحت تجربة البنوك الاسلامية ، رغم ان فترة وجودها قصيرة نسبيا ، وحققت معدلات من التعامل تتفق مع أعلى مقاييس النجاح الذي أحرزته بنوك ربوية عريقة ، اتصل نشاطها طوال قرون بأكملها .

ولما كانت الارقام خير مصداق لأي قول ، فلنقدم بعضا منها بما حققه بنك ناصر الاجتماعي المصري عام ١٩٧٨ ، ففيما يتعلق بالايرادات الجارية بلغت ٥١,١ مليون جنيه مصري مقابل ٤٦,٨ مليون جنيه مصري كانت مستهدفة ، ٤٦,٢ مليون جنيه محققة فعلا في عام ١٩٧٧ ، وقد اسفرت نتائج أعمال البنك عن السنة المالية ١٩٧٨ عن تحقيق فائض قابل للتوزيع قدره (١٢) مليون جنيه وذلك مقابل مستهدف قدره (٢,٤) مليون جنيه ومقابل فعلي السنة المالية السابقة ويبلـــغ (٣) ملايين جنيه ، بحيث تحققت زيادة قدرها (٩,٦) ملايين جنيه مصري .

ولبيان دور البنوك الاسلامية في المجتمع الاسلامي ينبغي ان نلقي الضوء على الأسس والخصائص التي تقوم عليها البنوك الاسلامية ، وأولى هذه الخصائص :

أ) عدم التعامل بالفائدة :

قال تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن**

كنتم مؤمنين) فلقد حرم الاسلام الربا لما في الربا من ظلم واستغلال وهو ظلم لأن عقد القرض الربوي يضمن للدائن زيادة في رأس ماله دون تحمل أية خسارة ، ويحصل فوق كل ذلك على الفائدة ، وكلما كان الطرف المـــدين ضعيفا أي مضطرا كلما استطاع الطرف الدائن ان يحصل على زيادة اكبر ، ومما لا شك فيه ان التعامل بالفائدة يؤدي الى تكوين طبقة تملك رؤوس الأموال ، وتتيح لها هذه الملكية التحكم في الطبقات الأخرى مما يؤدي الى الصراع داخل طبقات المجتمع .

ب) المشاركـــة في رأس مال المشروعات المنتجة :

ومعنى المشاركة هو المساهمة في رأس مال المشروع الانتاجي بما يترتب عليه أن يصبح البنك شريكـــا في ملكية المشروع ، وشريكا في إدارته وتسييره والاشراف عليه ، وشريكا في كل ما ينتج من ربح أو خسارة بالنسبة المتفق عليها .

ج) توجيه الجهد نحو التنمية عن طريق الاستثمارات :

ينطلق البنك الاسلامي من تصور الاسلام ومنهجه الخاص في الحياة ، وهو لا يقر التعامل بالفائدة ، لذلك فان البنك الاسلامي يقوم بالاستثمار المباشر عن طريق توظيف الأموال التجارية في مشروعات تدر عليه عائدا وايضا عمليات الاستثمار بالمشاركة في المشروعات ..

د) ايجاد التوازن بين العمل ورأس المال :

وربط التنمية الاقتصادية بالتنمية الاجتماعية .

فكما أن الاسلام يحترم حق الملكية فانه كذلك يدعو إلى العمل الشريف المنتج ، وبهذا يقوم التوازن بين العمل ورأس المال حتى لا يطغى عنصر على آخر ، فيصبح العمل مصدرا للكسب بجانب رأس المال ، والبنك الاسلامي هو بنك مالي واقتصادي ولا يربط بين التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية فحسب ، بل إنه يعتبر التنمية الاجتماعية أساسا لا تؤتى التنمية الاقتصادية ثمارها الا بمراعاته ، ويضع مصلحة الجماعة الأساس الاول من كل انواع النشاط .

هـ) جمع الزكاة :

يقوم البنك الاسلامي بجمع الزكاة وإنفاقها في مصارفها الشرعية وسيلتزم البنك الاسلامي بأداء الزكاة المفروضة شرعا على رأس ماله حتى يطهره ويقوم بتوزيعها في مصارفها الشرعية تحت إشراف فضيلة شيخ الأزهر ووزير الاوقاف وهيئة الرقابة الشرعية ولما كانت الزكاة جزءا هاما من السياسة المالية في المجتمع وجزءا من التنظيم الاقتصادي في الاسلام ، فان البنك الاسلامي يقوم باحياء فريضة الزكاة ويجمعها في صندوق مستقل خاص بذلك ، يطلق عليه حساب الزكاة والخدمة الاجتماعية ، وغني عن البيان أن الزكـــاة تعتبر قاعدة المجتمع المتكـــامل المتضامن

الذي لا يحتاج الى ضمانات النظام الربوي في أي جانب من جوانب حياته ، فللزكـاة وظيفة اقتصادية واجتماعية ، وإن الفهم الصحيح للزكاة ليس هو مجرد سد جوعة الفقير أو إقالة عثرته بدريهمات ، وإنما وظيفتها الحقيقية تمكين الفقير من إغناء نفسه بنفسه ، بحيث يكون له مصدر دخل ثابت يغنيه عن طلب المساعدة من غيره ، ولو كان هذا الغير هو الدولة ، فمن كان من أهل الاحتراف أو الاتجار أعطى من صندوق الزكاة ما يمكنه من مزاولة مهنته أوتجارته ، بحيث يعود عليه من وراء ذلك دخل يكفيه بل يتم كفايته وكفاية أسرته بانتظام ، ويقول الامام النووي في المجموع قالوا : فان كان عادته الاحتراف أعطى ما يشترى به حرفته ، أو آلات حرفته قلت قيمة ذلك أم كثرت ويكون قدره بحيث يحصل له من ربحه ما يفي بكفايته غالبا تقريبا ، ويختلف ذلك باختلاف الحرف والبلاد والازمان والاشخاص ، ومما لا شك فيه أن سهم الغارمين وهو من مصارف الزكـاة يمتد ليشمل الذين ركبتهم ديون لا يقدرون على الوفاء بها ، سواء كانت من أجل الاستهلاك أم من اجل الانتاج الذي قد يصاب بكساد السلعة أو بمنافسة غير متكافئة ، أو غير ذلك ، كما تشمل من أقرض مدينا ليعينه على مصلحة مشروعة أو عمل من أعمال الانتاج والتنمية التي تنفع المجتمع ثم عجز المدين عن سداد هذا الدين .

ولقد رخصت المذاهب الاسلامية إذا كثرت موارد الزكـاة واتسعت حصيلتها أن تنشأ من اموالها مصانع او تصلح او تشتري أراض للزراعة او تبني عقارات للانتفاع بها أو تنشأ مؤسسات تجارية او نحو ذلك من المشروعات وتمليكها للفقراء او كلها أو بعضها لتدر عليهم دخلا دوريا يقوم بكفايتهم كفاية كاملة .

ولا عجب لقيام البنك الاسلامي بذلك لأن البنك الاسلامي جزء من كل في المجتمع وليس شيئا منعزلا عن المجتمع ، وأن هذا الجزء يتحمل مسئوليته بحكـم مخالطته المستمرة للناس ، وما يقوم به من وظائف أساسية تعمل على تهيئة المناخ لايجاد المجتمع الاسلامي المتكافل المتضامن في السراء والضراء .

ومما لا شك فيه ، أن للنشاط المصرفي الاسلامي أهدافا بناءة في دفع عجلة التنمية الاقتصادية فليس للنشاط المصرفي الاسلامي نفع مادي ولا يستهدفه كفاية في حد ذاته ، وانما كوسيلة لغاية اكبر وهدف أسمى هو إعمار الأرض ، والمساهمة في حل مشاكـل المجتمع الاسلامي ، ومشاكـل التنمية وتهيئة الأرض للعيش الانساني امتثالا لامر الله تعالى ، وتحقيقا لخلافته في أرضه إيمانا بأن الانسان سوف يقف بين يدي خالقه ليسأل عن هذه الخلافة وما قدم لها .

وأما إن كان النفع المادي هو الهدف فسوف تكـون الأنانية والاحتكـار والاستئثار بخيرات الدنيا ومنعها عن

الاخرين ، كما يحدث في النظم الاقتصادية المعاصرة وهو ما يؤدي الى الحروب والدمار ، وأما في الحالة الثانية حيث يكون إعمار الأرض هو الهدف فان المنافسة والأنانية والاحتكار سوف تتحول الى تفاهم وتعاون بين الدول والشعوب الاسلامية لاعمار الارض واستغلال ثرواتها على أحسن وجه لصالح البشرية جميعا .

وتبرز أهمية البنوك الاسلامية من خلال دورها الفعال في النشاط الاقتصادي والاجتماعي والذي يتحدد في إطار الشريعة الاسلامية .

دور البنوك الاسلامية في النشاط الاقتصادي

تقوم البنوك الاسلامية بكافة الأعمال والخدمات المصرفية وأيضا استثمار الأموال في مشروعات البنيان الاقتصادي والاجتماعي فهي تقبل الودائع في حسابات جارية أو لآجال محددة والتحويلات الداخلية والخارجية ، وتقوم بتحصيل الشيكـــات والكمبيالات وفتح الاعتمادات المستندية بنوعيها التصدير والاستيراد ، وكافة عمليات الصرف الأجنبي ، وإصدار خطابات الضمان وحفظ الأوراق المالية وتأجير الخزائن وتقديم المعلومات لمن يطلبها وأيضا قبول الاكتتاب من أسهم الشركات وحفظ الصكوك وخدمتها ، ولا شبهة من حرمة في قيام البنوك الاسلامية بهذه الخدمات طالما أن الأجر عنها مقابل عمل فعلي تقوم به تلك البنوك لصالح عملائها .

وتقوم البنوك الاسلامية بالمشاركة في رأس مال المشروعات المنتجة فيصبح البنك شريكا في ملكية المشروع وشريكا في إدارته وتسييره والاشراف عليه ، وشريكا في كل ما ينتج من ربح أو خسارة بالنسبة المتفق عليها . وفي نظام المشاركة تتحقق مزايا عديدة بالنسبة للفرد والمجتمع الاسلامي .

وأهم المزايا :

١ ـ ان مشاركة البنك الاسلامي للمستثمرين في نشاطهم الانتاجي مدعاة لان يجند البنك خبرته الفنية في البحث عن افضل مجالات الاستثمار ، أو البحث عن أرشد الأساليب ، وبذلك يتعاون رأس المال وخبرة العمل في تنمية الاقتصاد القومي . فالمصرف حينما يشارك بخبرته وعلمه يحفظ ثروة المجتمع من التعرض لاي تبديد نتيجة عدم توافر الخبرة لدى المستثمر وفي هذا الأسلوب ضمان لنجاح المشروعات ، وأيضا أداء لحق واجب للمجتمع الاسلامي ومزاوجة بين العلم والجهد .

٢ ـ صاحب المال الذي يودع ماله في البنك الاسلامي يوظف أمواله على أساس شركة المضاربة سوف يحصل على الربح العادل الذي يتكافأ مع الدور الذي أداه ماله في التنمية الاقتصادية وفي ذلك تشجيع للمسلمين على ايداع أموالهم لدى المصرف الاسلامي ودوام استثمارها بواسطته

كما أن فيه ربطا للمسلمين بعملية تكوين رأس المال (الاضافات الرأسمالية او القيمة المضافة) كركن أساسي في تدعيم اقتصاديات المجتمع الاسلامي ، وعلاوة على ذلك فان المسلمين الذين كانوا يجدون حرجا في ايداع أموالهم لدى البنوك الربوية فيكتنزونها أو ينفقونها انفاقا غير رشيد ، هؤلاء سيفتح نظام المضاربة لهم الباب الذي يزيل عن نفوسهم الحرج فينتفعون وينتفع المجتمع الاسلامي .

٣ ـ **عدم اعتماد البنك الاسلامي على الأعمال الربوية** الفرق بين سعر الفائدة الدائنة والمدينة ، سوف يؤدي الى تجنيد المصرف لكل طاقاته وإمكانياته الفنية في استخدام الأموال التي لديه ، وذلك عن طريق الاستثمارات المباشرة أو بالمشاركة ، والتي هي ركيزة أساسية في عملية التنمية .

٤ ـ **في أخذ البنوك الاسلامية بمبدأ المشاركة** تمكين للمصرف بوصفه جهازا اقتصاديا مسئولا عن سلامة الاقتصاد بالمجتمع الاسلامي من القدرة على التكيف والتلاؤم المستمر مع التغييرات الهيكلية للاقتصاد القومي بطريقة عضوية . كما يصبح كل من المصرف والمستثمرين المسلمين قادرين على مواجهة الأزمات بصلابة وعدم التأثر بها .

٥ ـ **في المشاركة عدالة في توزيع** العائد بما يسهم في عدم تركيز الثروة البشرية الانتاجية من ناحية أخرى .

والأمر الذي لا شك فيه أن **البنوك الاسلامية يمكن ان تلعب** دورا أساسيا في تحقيق التنمية الاقتصادية داخل المجتمع الاسلامي ، فاذا كانت التنمية الاقتصادية في أي دولة من الدول إنما تتم وفقا لخطة مدروسة إلا أنه من المسلم به لدى الاقتصاديين عامة أنه لا يكفي لنجاح التنمية الاقتصادية إعداد الخطة أو متابعة تنفيذها ، ولا حتى سيطرة الدولة على القطاعات الأساسية للاقتصاد القومي ، وإنما الأمر الأساسي الذي لا غنى عنه هو مشاركة جميع أفراد المجتمع الاسلامي في تحقيق التنمية بأداء كل منهم العمل المكلف به على اكمل وجه ، وابتعاده عن أي انحراف أو استغلال .

والبنوك الاسلامية ستخلق الرغبة والأمل في الأفراد والجماعات ، والثقة بالنفس ، والتعاون الشامل الذي يحقق الخير للجميع ، وذلك عن طريق نشر الوعي المصرفي الاسلامي في إطار الشريعة الاسلامية ، حيث تتجمع الأموال ويقبل الأفراد على الادخار الذي يرضى الله ورسوله ، وبذلك تستثمر هذه الأموال في المشروعات الهامة لخطة التنمية ، ولا يفوتنا أن البنوك الاسلامية ستعطى دفعة قوية لعمليات التجارة الداخلية والخارجية ، وبهذا ستقف البنوك الاسلامية موقفا قويا ، يدعم كافة قطاعات النشاط الاقتصادي حيث تزدهر الصناعة ، ويزيد الانتاج ، وتنشط التجارة ، ويعم الرخاء على كافة افراد المجتمع الاسلامي .

نموذج لمنهج النقد الديني العام لدى مفكري الاسلام

للدكتور عبد الحليم عويس

منهج متفرد

منهج النقد الديني العام القائم على وضع خريطة تفصيلية لعقائد العالم ، وعلى وضع موازين نقدية عامة ، تنتظم كل العقائد ، وتطبق عليها جميعها ـ هو منهج إسلامي ، تفردت به الحضارة الاسلامية .. لأنها ـ اولا ـ حضارة مثلها الأعلى هو « **الحق** » وحده حيثما كان مصدره ، ولأنها ـ ثانيا ـ حضارة « **سمحة** » يمكنها أن تقول لأعدائها كما قال القرآن : **(وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)** سبأ / ٢٤ ... ولأنها ـ ثالثا ـ حضارة تثق في نفسها ولا تخشى عواصف الحوار ، ولا مغالطات العقول ، لأنه في دينها أيضا **(فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)** الرعد/١٧ .

وبالتالي ، لم يكن ثمة مناخ ديني ملائم لظهور منهج مقارنة الأديان ، أو منهج النقد الديني العام ، إلا في الاسلام .

وقد حفل تراثنا الفكري بنماذج متعددة قعدت لهذا المنهج ، وقد اشتهر من بين علماء هذا المنهج : الشهرستاني ، وابن حزم ، وابن تيمية ، والبيروني ، وقبل هؤلاء جميعا ، المسبحي والنوبختي .

ونركز في هذا المقال على نموذج واحد من هذه النماذج التي أثرت الفكر البشري كله ، وهو منهج النقد الديني العام لدى ابى محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم (٤٥٦) صاحب كتاب « الفصل في الملل والأهواء والنحل » .

خريطة العقائد في القرن

الخامس

يوضح ابن حزم السبب الذي حدا به الى الكتابة في هذا الباب من المعرفة بأن الذين كتبوا قبله « بعضهم أطال وهجر واستعمل الأغاليط والشغب، وبعضهم حذف وقصر وقلل وأضرب عن كثير من الحجج القوية لأصحاب العقائد فكان في ذلك غير منصف لنفسه وهو ظالم لخصمه لم يوفه حق اعتراضه » فضلا عن أن الفريقين قد تعمدا التعقيد، والتحليق على المعاني من بعد، حتى صار ينسى آخر كلامهم اوله، أو كأنهم يريدون بهذا التحليق ستر فساد ما عندهم.

فمنهج ابن حزم الذي يحاول السير عليه ــ إذن ــ هو منهج علمي منصف برئ من الاستطراد والاخلال والتعقيد، يعتمد على إيراد البراهين المنتجة من المقدمات الحسية أو الراجعة الى الحس من قرب أو من بعد، على حسب قيام البراهين التي لا تخون أصلا.

وقد اعتمد منهج ابن حزم على تدرج عقلي، وعلى نظرة شاملة للملل والنحل التي استطاع أن يصل الى معرفتها وتحقيق القول في مبادئها. وبالتالي فقد قسم الفرق الموجودة في العالم كله ــ غير الاسلام ــ إلى ست فرق هي:

١ ــ مبطلو الحقائق (السوفسطائية).

٢ ــ مثبتو الحقائق، مع عدم الاعتراف بالخالق والزعم بأزلية العالم (الفلاسفة الملحدون).

٣ ــ مثبتو الحقائق مع القول بأزلية الله والعالم معا (الفلاسفة الكفرة).

٤ ــ مثبتو الحقائق مع القول بان للكون مدبرين كثيرين (الزرادشتيون والمانيون ومعددو الآلهة).

٥ ــ مثبتو الحقائق مع القول بأن للكون خالقا واحدا وإنكار النبوات (البراهمة).

٦ ــ مثبتو الحقائق، مع الاعتراف بالخالق والايمان ببعض الأنبياء فقط (اليهود ومبتكرو التثليث من النصارى والصابئة).

ومن هذه الأقوال تتفرع آراء هي منتجة منها.

٧ ــ ثم يأتي الاسلام بعد ذلك، ويثبت ابن حزم من خلال البراهين العقلية والسرد التاريخي انه العقيدة الايجابية الوحيدة الحقة، وبرسالته نسخ الله ما أوحى به من قبل إلى الأنبياء.

قواعد النقد الديني للعقائد

وفي دراسة ابن حزم المستفيضة لهذه الملل والنحل ــ نراه يطبق عليها جميعا منهجا واحدا يعتمد على الفهم الظاهري ــ لدلالة اللغة، وعدم الاعتراف بالتأويل، بل انه يعتبر اللجوء إلى التأويل نوعا من التضليل والخداع، كما ان ابن حزم يطبق عليها كلها أحكامه العامة وقواعده النقدية بلا استثناء بينها، وكثيرا ما يلجأ إلى حصر الظواهر فيها مجتمعة، وذلك مثل جمعه للآراء الضالة التي قال بها أصحاب الفرق

والمذاهب المختلفة في موضوع الأركان الأساسية للعقيدة القويمة تحت أبواب خمسة هي :
١ ـ التوحيد (الله)
٢ ـ القدر (الجبر والاختيار)
٣ ـ الايمان (العقيدة)
٤ ـ الوعد والوعيد (الحياة الأخرى)
٥ ـ الامامة

ومن قواعده العامة في نقد الأديان أن « كل كتاب دون فيه الكذب فهو باطل موضوع ليس من عند الله عز وجل ، فظهر من فساد دين المجوس كالذي ظهر من فساد دين اليهود والنصارى سواء بسواء » .

ومن قواعده عدم الاعتراف بالكثرة « فالحق حق صدقه الناس او كذبوه والباطل باطل صدقه الناس او كذبوه ولا يزيد الحق درجة في أنه حق إطباق الناس كلهم على تصديقه .

ومن قواعده التركيز على العقائد في مناقشة الملل والنحل على السواء ، لانه ليس في الاشتغال بالأحكام الشرعية شئ يوجبه العقل أو يمنعه ، بل كلها من الممكن ، فاذا قامت البراهين الضرورية على قبول الأمر بها ووجوب طاعته وجب قبول كل ما أتى به كائنا ما كان من الأعمال .

ومن قواعده في نقد الكتب المقدسة أن كل كتاب وشريعة مقصورين على رجال من أهلها ، وكانا محظورين على من سواهما فالتبديل والتحريف مضمون فيهما .

ومن قواعده احترام الأساليب الجدلية في المنطق ، بل إنه من أجل هذا قد وضع كتابه التقريب لحد المنطق ، وهذه الأساليب هي الاعتراف ببداهة الحس وبداهة العقل ، والمقدمات الصالحة المعقولة .

وأما عرض ابن حزم لآراء الخصوم ومناقشتهم ، فان الكتاب حافل بهذا ، ومن هنا اعتبر تاريخا نقديا للملل والنحل ، وهذه في الحقيقة ميزة منهج ابن حزم الكبرى .

منهجان للنقد الديني

إن المؤرخين المحدثين للأديان يحددون منهج دراسة « مقارنة الأديان » بطريقين :

١ ـ الطريق الأول أن تكون المباحث الكبرى بالأديان هي عناوين الكتب ، كأن نكتب كتابا عن الله ، وندرس به مختلف الاتجاهات عن الاله ، ونكتب كتابا آخر عن « النبوة » ، وثالثا عن « التشريع » .. وهكذا .

ولهذا الطريق سلبياته الكثيرة ، الناشئة من ضرورة تفكك الموضوعات ، وصعوبات عدم تشابه الموضوعات في الأديان ، وضرورة دراسة الأديان قبل المقارنة الجزئية ، وهو عمل صعب .

٢ ـ والطريق الثاني هو أن يخصص كتاب لكل دين ، تدرس فيه مباحثه العقائدية والتشريعية مشفوعة بالمقارنة كلما وجد لها مجال ، وهذا الطريق هو الذي يسير عليه أغلب الكتاب ، لأن من شأنه أن لا يوقع في مآخذ الطريق الأول ، كما انه يوفر

قدرا كبيرا من النظرة الشمولية ...

وهذا الطريق الثاني هو الذي سار عليه ابن حزم ، منذ أكثر من تسعة قرون . بحيث إننا نجد موضوعات (الفصل) فيما يتصل بالأديان تتسلسل (موضوعيا) على النحو التالي :

أ ـ تعريف بالملل ومبادئها ، ويشمل :

١ ـ الفرقة الأولى ـ المبطلة للحقائق وبراهينهم وبيان فسادها .

٢ ـ الكلام عن النصارى وفرقهم .

٣ ـ الكلام على منكري النبوة والملائكة .

٤ ـ الكلام على منكري الشرائع .

٥ ـ الكلام على اليهود ومنكري التثليث من النصارى وغيرهم .

ب ـ دراسة للكتب المقدسة من واقعها : التوراة ، والأناجيل الأربعة . والقرآن وميزة « النقل » عند الأمة الاسلامية ، واعتراضات الملحدين على الاسلام .

جـ ـ دراسة النحل والفرق الاسلامية وبيان خروج أكثرها عن الاسلام بناء على عرض مبادئها على الأصول الاسلامية الاعتقادية . فالخلاف في صفات الله ، وفي إعجاز القرآن وإلهيته ، والقضاء والقدر والغيبيات .

د ـ دراسة حياة الأنبياء وبيان الصحيح من تاريخهم ، ودفع شبهات التوراة والأناجيل عنهم .

هـ ذكر الفرق الاسلامية كالشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة وغيرهم .

و ـ الكلام في قضايا عامة من وجهة نظر إسلامية كالجن ووسوسة الشيطان والرؤيا والنجوم والكواكب والحركة والسكون والتولد والطفرة والانسان والجواهر والأعراض والجسم والنفس وغيرها .

فالمنهج الموضوعي ، الذي يدرس كل عقيدة دراسة متكاملة ، مقارنا بينها وبين غيرها كلما وجب ذلك ـ هو المنهج الذي سار عليه ابن حزم .

وجدير بالذكر أن الاسلام ، ويدخل فيه الفرق التي انتسبت إليه بحق وبغير حق ، قد أخذ حيزا كبيرا من كتاب الفصل . كما ان ابن حزم بوثيقة (الفصل) هذه قد قدم دفاعا ممتازا عن « الأنبياء في التاريخ » ، وعرض لتاريخ كل منهم ، في إنصاف وإكبار يليقان بشخصياتهم العالية .

وهذا المنهج المتكامل الموضوعي الذي التزمه ابن حزم هو الذي حدا (بأسين بلاسيوث) ان يقول « إننا لا نجد بين أيدينا وثيقة هي اغنى ولا أجدر بالثقة من كتاب « الفصل في الملل والأهواء والنحل » لابن حزم ، تمكننا من تتبع سير تيار الثقافة الذي لم يتوقف ابدا خلال العصور الوسطى فيما يتصل بتاريخ الآراء والمذاهب » .

والحق أنه على الرغم من صدق ما يقوله (بلاسيوث) عن « الفصل » فان الفكر الاسلامي صاحب الفضل الأول في ابتداع علم مقارنة الأديان ، حافل بالنماذج الخصبة الثرية .. وما كتاب « الفصل » الا مجرد نموذج من النماذج .

وضع المرأة في الاسلام

محمد موذن

للاستاذ محمد ابراهيم عامر

كانت المرأة قبل الاسلام منحطة الكرامة ، فهي في نظر البعض ليست بانسان ، وفي نظر الآخرين ليست في طهر الحيوان ، وهانت على قومها بنتا واختا وزوجة وأما .

وجاء الاسلام ليغير الصورة بالتمام ، فرفعها من ضعة ، وأمنها من خوف ، وأحياها من موت ، بل وأوجدها من عدم وأعطاها فوق ما كانت تحلم أو تتصور ، ورد إليها كل حق ضاع ، بعد ان كانت من سقط المتاع .

لقد حسم نزاع العالم ولجاجه بشأن حقيقتها ، بما قرره في قضيتها ، بكل الحسم والحزم ، اذ قرر انها والرجل من اصل واحد فلا تميز ولا تحيز ، ولا تفاخر ولا تناحر : **(يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)** الحجرات/١٣ . **(يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها)** النساء/١ .

وبذا قرر الخالق عز وجل أن المرأة والرجل من أصل واحد في الخلقة ، وبذا تغيرت النظرة كلية إليها ، وأحست هي المساواة بالرجل بما اعطاها الاسلام الذي أزال عنها كل عار ورفع عنها كل غبار ومنحها من حقوق ، ومنع عنها من عقوق .

لقد قبح القرآن نظرة الجاهلية إلى المرأة ، وحرم كل تقليد فاسد ، وضيق على

الرق كل رافد ، ورفع المرأة مكانا عليا ، وكرمها وعظمها ولم تك شيئًا، ونورد فيما يلي بعض ما أعطى الاسلام للمرأة على سبيل المثال لا الحصر ...
ليقف عند حدودهم كل الحاقدين على الاسلام ، والمارقين عنه ، والجاهلين به والعادين عليه ، والمخدوعين عن نوره ببريق كاذب .. **(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)** ق/٣٧ .

١ ـ وأد البنات :

وقد كانت تلك الجريمة الانسانية النكراء سمة المجتمع الجاهلي كله خشية عار أو إملاق ، وجاء الاسلام فحرمها وجرمها ، وأوعد فاعليها بسوء المصير ، قال تعالى : **(وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون)** النحل/٥٨ ، ٥٩ . وقال عز وجل : **(وإذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت)** التكوير/٨ ، ٩ فكتب بذلك للأنثى الحياة .. بل اعز حياة .

٢ ـ الزواج من امرأة الأب :

لقد كان الابن في الجاهلية مع ما يرثه عن أبيه من المال والمتاع والدابة كان يرث عنه زوجته التي هي في مقام أمه وكان له حق التصرف فيها كمتاع كما كان له ان يعضلها عن الزواج وله في الوقت ذاته ان يتزوجها هو ، وجاء الاسلام فحرم ذلك الزواج وسماه زواج المقت حيث قال القرآن : **(ولا تنكحوا ما نكح أباؤكم من النساء إلا ما قد سلف)** النساء/٢٢ .

٣ ـ الاتجار بأعراض الجواري :

ووقف بعض العرب من جواريهم وقفة مخزية ، وقفوها ضد طبيعة الأشياء ، فالأنثى التي هي مظنة الانزلاق والأغراء وإيقاع الرجال في حبائل جريمة الزنا تمتنع وتتحصن في وقت يكرهها وليها الرجل ـ الذي هو بطبيعته مصدر الغيرة والحفاظ ـ على البغاء طمعا في مال فهو يتجر في عرضها لمتاع دنيا وينزل القرآن ممجدا موقف هؤلاء الجواري مندداً بموقف أوليائهن هؤلاء في وقت واحد حيث يقول : **(ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا)** النور/٣٣ ، وليس النهي عن الاكراه مقصورا على إرادة التحصن من الأنثى كما هو ظاهر أسلوب الشرط وإنما المقصود من الأسلوب إذ جاء على هذا النحو تسجيل ما كان عليه القوم ، فتيات تمتنعن ورجال يكرهونهن لقاء مال أو عرض زائل .

٤ ـ منع المرأة من الميراث :

لقد ظلت عادة منع المرأة من الميراث حتى جاء الاسلام ، بل عرفنا قبلا أنها كانت تورث عند بعض الأمم كما يورث المتاع والماشية ، وجاء الاسلام وذهبت امرأة سعد بن الربيع الى النبي عليه الصلاة والسلام فقالت : يارسول الله : هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل ابوهما شهيدا معك في يوم احد فأخذ عمهما ماله ولم يدع لهما شيئا ، وهما لا تتزوجان إلا ولهما مال . فقال عليه الصلاة والسلام : « يقضي الله في ذلك » . فنزلت آية الميراث (**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**) **فأرسل رسول الله إلى عمهما فقال أعط ابنتي سعد الثلثين وامهما الثمن وما بقي فهو لك** « **فكان هذا أول ميراث في الاسلام . ومع ان توريث البنت كان ثورة عارمة ضد النفوس البشرية التي ورثت منع البنت من الميراث فان الاسلام قد قرره في قوة فأنصف بذلك المرأة انصافا لم يكن معروفا ولا مألوفا .**

وإذا كان مثيرو الغبار المرضى بمعاداة الاسلام يلقون بسؤالهم الخبيث ولماذا كان نصيب الأنثى نصف نصيب الذكر ولم تسو به ؟ فأهون من سؤالهم الجواب أن الأنثى تأخذ نصف الرجل وقد أعفاها الاسلام من كل الأعباء بينما ألقاها كلها عليه ، فهي إن أخذت خمسين فانها تدخرها لأنها ليست ملزمة بالانفاق قط ، وهو إن أخذ مائة فانه ينفقها عليها وعلى أولادها والأنثى منذ الطفولة في كنف رجل ينفق عليها هو الأب وبزواجها تدخل في كنف رجل ينفق عليها هو الزوج .

٥ ـ الرق :

جاء الاسلام ونظام الرق دعامة من دعائم الحياة الاقتصادية ، وتعتمد عليه في معظم دول العالم جميع فروع الانتاج ، إذ كان بمثابة بخار الآلة الاقتصادية في تلك العصور ، والاسلام الذي كان من بين أسسه التدرج في التشريع لم يغفل حين نظر باشمئزاز إلى وجود ظاهرة الرق بين البشر ما يترتب على منعه طفرة واحدة وإنما عالجه علاج حكيم خبير .

لقد أقره الاسلام بادئ ذى بدء لكن في صورة تؤدي هي نفسها إلى القضاء عليه بالتدريج دون احداث أدنى هزة في المجتمع الانساني بل ودون أن يشعر أحد بتغيير في مجرى الحياة ، وسلك في سبيل ذلك مسلكين :ـ

أحدهما : تضييق روافد الرق التي كانت تمد الرق وتغذيه وقد كانت هذه الروافد كثيرة أهمها ثمانية فألغاها جميعها ما عدا رافدين اثنين فقط هما : أ ـ رق الوراثة ب ـ رق الحرب .

ثانيهما : توسيع المنافذ التي تؤدي إلى العتق والتحرر بالكفارات وغيرها . وبذا قضى على الرق في أقصر وقت وعاد الناس جميعهم أحرارا كيوم ولدتهم أمهاتهم .

واذا علمنا أن أغلب الرقيق كان من الأناث حينها فاننا ندرك قدر ما قدم

الاسلام لها في مجال التحرر الانساني .

ويكفي أن نعلم من اهتمام القرآن بالمرأة أنه عرض لشئونها باسهاب في اكثر من عشر سور فيه منها سورة البقرة والمائدة والنور والأحزاب والمجادلة والممتحنة والتحريم ، وعرض لها في سورتين عرفت احداهما بسورة النساء الكبرى وهي سورة النساء وعرفت الثانية بسورة النساء الصغرى وهي سورة الطلاق .

لقد جعل الاسلام المرأة شريكة الرجل وجعل كليهما لباس الآخر **(هن لباس لكم وأنتم لباس لهن)** البقرة/١٨٧ ، وجعلها للرجل سكنا ، وفي سبيل نظرة الاسلام لوحدة الانسان سوى بين الرجل والمرأة في الجوانب الروحية والمادية ، كلاهما له روح .. وكلاهما يعبد الله .. كلاهما يملك من الحياة ماشاء الله له أن يمتلك .

ولقد أشار إلى الوحدة الانسانية نبي الانسانية في خطبة الوداع حينما قرر فيها وحدة الأصل الانساني حيث قال : « أيها الناس إن ربكم واحد وأن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب » .

كما سوى الاسلام بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات وضمن لكل منهما الحرية الطبيعية بغض النظر عن جنسه ، وساوى بينهما في التكاليف الدينية والواجبات الدنيوية فالجميع سواء في التكليف والمسئولية والأوامر والنواهي وفي الحدود والتعزير في الحساب والعقاب وفي الوعد والوعيد وفي التوبة والأعذار وغير ذلك مما ورد تفصيله في القرآن والسنة ، ففي القرآن **(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة)** النحل/٩٧ . **(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)** الاحزاب/٣٦ .

(للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) النساء/٣٢ .

(الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) النور/٢ .

(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله) المائدة/٣٨ .

ومسئولية المرأة الدينية لا تقل عن مسئولية أخيها الرجل ، وكل مسئول عن عمله هو بقطع النظر عن عمل زوجه ووضعه ، ثم إنها مسئولة مسئولية خاصة فيما يختص بنفسها وبيتها وعبادتها ومسئولة مسئولية عامة فيما يختص بالاحسان في العمل والدعوة إلى الفضيلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس ذلك قاصرا أمره على الرجل فقط فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض .

كما ساوى الاسلام بين المرأة والرجل أمام القانون وفي الوظائف العامة والعطاء والضرائب والجهاد في حالة التعبئة العامة أو الزحف العام .

وساوى كذلك بينهما في القصاص فتقتل المرأة بالرجل والرجل بالمرأة **(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس)** المائدة/٤٥ ، **(يأايها الذين آمنوا كتب**

عليكم القصاص في القتلى) البقرة/١٧٨ ، ووصف الايمان مشترك بين الذكر والأنثى باتفاق علماء التشريع ، وعليه يشمل الخطاب الذكر والأنثى .

٦ ـ قوامة الرجل على المرأة :

لقد قرر القرآن المماثلة بين الزوجين في الحقوق والواجبات كقاعدة ، وفيها قرر على الرجل مسئولية الهيمنة والقوامة وجعله المكلف بحق المرأة فيما يصل بها إلى الخير ويدفع بها عن الشر فقال : **(وللرجال عليهن درجة)** البقرة/٢٢٨ .

وهذه الدرجة ليست درجة السلطان أو القهر ، وإنما هي درجة الرياضة البيتية الناشئة عن عهد الزوجية وضرورة الاجتماع وهي درجة القوامة التي تزيد في مسئوليته عن مسئوليتها فهي ترجع في شأنها وشأن أبنائها إليه .

وقد ذكر الله العلة في القوامة له إذ قال : **(بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)** النساء/٣٤ .

وهذا ليس تفضيل جنس على جنس ، وإنما هو تفضيل بحكم الخلقة والطبيعة والاستعداد وكل ميسر لما خلق له ، وحكم القرآن بتفضيل الرجل على المرأة هو الحكم المبين من تاريخ بني آدم منذ كانوا قبل نشوء الحضارات والشرائع العامة وبعد نشوئها فطبيعة الرجل وفطرته في ممارسة الحياة وعقله وقوته وحمايته تختلف عن طبيعة الأنثى التي فطرت على الضعف حملا وارضاعا وحضانة وحيضا ونفاسا ورقة وانفعالا وتنزلا إلى مدارج الطفولة التي تعالجها .

والرجل حامي المرأة زوجا بعد أن كان حاميها أبا واخا ، ثم هو أبو الأولاد وإليه ينتسبون وهو المسئول عن نفقتهم جميعا وهو صاحب المسكن وعليه إعداده فكان طبيعيا أن تكون له القوامة .

وبالاختصار فان ذلك ليس نظرية تناقش ولكنه واقع مقرر .

وإذا كان الاسلام قد قرر قيام البيت على أساس من العدل والمساواة والشورى بين الزوجين والتعاطف والحب والمودة والرحمة كما كفل للزوجة الحرية الكاملة في مالها وفي رأيها وكمال شخصيتها وفي حرية دينها ولم يجعل للزوج حق التدخل في ذلك كله ، فلا تمتد هيمنته وقوامته إلى شيء من ذلك فماذا يخيف المتطيرين والجاهلين بأصول الدين من قوله تبارك وتعالى : **(الرجال قوامون على النساء)** النساء/٣٤ ، وإني لأستأذن هؤلاء فأسألهم : ألم تفهموا شيئا من قوله تعالى : **(وليس الذكر كالأنثى)** آل عمران/٣٦ .

إن الرجل قد انعقدت له بحكم الفطرة والواقع رئاسة البيت بحقه ، كما انعقدت له رياسة الحرب والجيش بحقه ، وانعقدت له زعامة الأصلاح الاجتماعي والانقلابات التاريخية ورياسة الدولة العليا بحقه ، وذلك كله هو الثمرة الطبيعية لما تجمع فيه من مواريث الخبرة وسعة التجارب ومواهب الكفاح والقوة ، والتمرس بشئون المجتمع على مدى القرون والأجيال .

على أن المتأمل بالفطرة المجردة ولو من النساء أنفسهن يرى في قوامة الرجل رحمة بها وصيانة لها وإشفاقا عليها من الخالق الحكيم الخبير فهل من مدكر ؟

حقوق المرأة في الاسلام

يمكن أن نحصر حديثنا عن حقوق المرأة في الاسلام في عناصر ثلاثة :ـ
أ ـ حقوق المرأة العامة ب ـ الحقوق السياسية للمرأة ج ـ حقوق المرأة الخاصة بالأسرة .

أ ـ حقوق المرأة العامة :

١ ـ الخلافة :

لا يجوز باتفاق الفقهاء أن تقلد المرأة منصب الخلافة أي رئاسة الدولة لأن هذا المنصب يتضمن اختصاصات دينية وسلطات سياسية تخرج عن قدرتها ، كما لا يجوز ان تولي الادارة على البلاد ولا على الجهاد ولا ولاية المظالم أو الحسبة لأن من بين شروط من يتقلدها أن يكون رجلا .

٢ ـ القضاء :

ذهب مالك والشافعي وابن حنبل الى عدم جواز تولي المرأة القضاء لنقص النساء عن رتب الولايات .

وذهب أبو حنيفة وأصحابه الى جواز قضاء المرأة فيما تصح فيه شهادتها فيصح قضاؤها عندهم في كل شيء ما عدا الحقوق والقصاص .

٣ ـ الشهادة :

وقد شدد الشارع على الشاهد في تأديتها ، ونهاه عن كتمانها حتى قال الفقهاء بفرضيتها إلا في الحدود لما ورد من الأمر فيها بالستر .

ولقد نص القرآن على أن المرأة كالرجل في شهادات اللعان ، أما شهادة الزنا فلابد فيه من أربعة رجال ولا تسمح فيه شهادة المرأة ، قال تعالى : **(واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم)** النساء/ ١٥ .

وقد قال الفقهاء : بقبول شهادة المرأة وحدها في القضايا التي لم تجر العادة باطلاع الرجل على موضوعاتها كالولادة والبكارة وعيوب النساء في المواضع الباطنة .

أما في الحقوق الأخرى كالبيع والنكاح والوكالة والوصية والأجارة والهبة والطلاق والقتل الذي لا قصاص فيه وسائر المعاملات المالية فتقبل فيها شهادة المرأة .

ونصاب الشهادة في كل ذلك رجلان أو رجل وامرأتان : **(أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى)** البقرة/ ٢٨٢ .

وليس في ذلك انتقاص للمرأة او تمييز للرجل ، وانما هو وضع الأمور في نصابها ، وحكم عادل صادر عن درس لنفسية المرأة وخلقها وطبيعة مركزها في المجتمع بحيث تصان من أن تتبذل وتهان .

ب ــ الحقوق السياسية للمرأة :

ومن هذه الحقوق حق المرأة في تولي الوظائف العامة ، وحقها في الانتخاب بأن تكون في مجلس الأمة أو الشعب أو غيره من المجالس ، أو أن تكون ناخبة . ففي ما يتعلق بتولي المرأة منصب الخلافة فقد اتفق العلماء كما قلنا ــ على عدم الجواز ، أما فيما يتعلق بمساواة المرأة للرجل بالحقوق السياسية فقد اختلفوا الى رأيين : رأي يبيح ذلك لها ، ولأصحابه أدلتهم من الكتاب والسنة والاجماع ، ورأي يمنع ذلك ولأصحابه أدلتهم من الكتاب والسنة والاجماع أيضا ، وليس لأي منهما دليل قطعي ، ومن هنا كان الاجتهاد في ذلك الموضوع على مر العصور لكن أمورا جديرة بالنظر لابد من وضعها تحت أبصارنا وبصائرنا قبل إصدار الحكم ومنها :ــ

١ ــ أن الرجل والمرأة شريكان يكمل أحدهما الآخر في الأسرة والمجتمع ، والعلاقة بينهما هي التعاون والتكامل لا التكرار والتماثل .

٢ ــ أن المساواة الشاملة الكاملة بين النوعين ليست ممكنة لاختلاف خصائص كل نوع وقدراته وكفاياته ، وليست في صالح المجتمع نفسه ذلك الذي يحتاج إلى وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، والله يقول : **(ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وأسألوا الله من فضله)** النساء/ ٣٢ .

ويجب أن تكون هذه المساواة مرتبطة بمقدار التساوي بين الرجل والمرأة في الصفات الأنسانية المشتركة .

٣ ــ ان المرأة أولى من الرجل وأكثر تحقيقا لخير المجتمع في مزاولة بعض الأعمال العامة ، ومن ذلك اشتغالها طبيبة ، ثم ممرضة نسوية ، أو قابلة أو مدرسة في جامعة نسوية ، أو ضابطة في الشرطة النسوية ، أو اختصاصية اجتماعية في المحيط النسائي .

٤ ــ أن بعض الأعمال لم تهيأ لها المرأة جسميا ونفسيا ، ومن ذلك اشتغالها محاربة في الجيش أو ضابطة عامة في الشرطة او حارسة ليلية ، وان بعض الأعمال

لا تنبغي لها كوظائف السكرتارية الخاصة للرؤساء من الرجال .
٥ ــ ان الشريعة لم تحرم على المرأة الخروج من بيتها لشئون دينها ودنياها بل طالبتها بالخروج لعبادتها من صلاة وحج ، ولمعاملاتها وأعمال مجتمعها التي تتعين أو تصلح لها ، وقد اشترك بعض الصحابيات مع رسول الله في الغزوات كأم عمارة في غزوة احد وام سليم في غزوة حنين وأمية بنت قيس في غزوة خيبر .
٦ ــ ان التقاء الرجل والمرأة في ميادين العمل التقاء عاديا غير متكلف لا يحرمه الاسلام وإنما يحرم الخلوة وما تجر إليه من ريبة وفساد تحت ستار العمل .
٧ ــ ان عمل المرأة في الخارج يجب ألا يكون على حساب زوجيتها وأمومتها ، وألا تسيء استعمال حقها في العمل ، لأن كل الحقوق في الاسلام ــ للرجال والنساء ــ منحة من الشارع منوطة بالمصلحة ، وليست للهوى والعبث .
٨ ــ أن الاعتماد على دور الحضانة والمربيات والخادمات في تربية الأولاد اعتمادا مطلقا يؤدي إلى مفاسد محققة للجيل الصاعد قادة المستقبل وأباء الغد وامهاته . وقد ثبت أن أطفال المحاضن تختل شخصيتهم وتتفكك ولا تنمو فيهم مشاعر الحب والتعاون .
٩ ــ أن زي المرأة وما يتصل به من تبرج وتكلف في إبراز المفاتن وإثارة الغرائز وما وصل إليه الأمر في ذلك من قلب الأوضاع بحيث أصبحت المرأة لا تتزين لزوجها داخل بيت الزوجية إنما تتزين للمجتمع ، وتقضي في ذلك أوقاتا ضائعة على أسرتها ومجتمعها ، هذا التبرج مسألة اخرى منفصلة عن عمل المرأة فهو امر يعم المرأة العاملة وغير العاملة ثم إن بعضا من السيدات العاملات قد تحلين بزينة الأدب والحياء ولو نسبيا على أن مسألة الزي يجب أن يتدخل فيها الحاكم صيانة للفضيلة والاخلاق ومبادىء الدين .
وبعد :

فان الاسلام يكفل حق العمل للمرأة بشرط عدم الاخلال بواجباتها الأساسية ، فاذا ما تعارضا قدم الأهم على المهم ، والأهم هو واجباتها الأساسية من حيث كونها أما تهب الحياة للنشء الجديد ، فلا يجوز لها أن تعمل خارج البيت على حساب واجباتها نحو الأسرة وإلا كانت بذلك تسيء استعمال حقها في العمل فيجب حينئذ منعها منه .

فالاسلام إذن سوى بين المرأة والرجل في حق العمل فأباح لها ان تضطلع بالوظائف التي تحسن أداءها ولا تنافي طبيعتها ، ولم يقيد هذا الحق إلا بما يحفظ للمرأة كرامتها ، ويصونها عن التبذل ، وينأى بها عن كل ما يتنافى مع الخلق الكريم ، فلا يؤدي عملها الى وقوع ضرر خلقي أو اجتماعي ولا يعوقها عن اداء واجباتها الأخرى نحو زوجها وأولادها وبيتها ، أو يكلفها مالا طاقة لها به . فلم يحل الاسلام بين المرأة ومباشرة حقوقها السياسية بل انها تستطيع ان تلعب دورا هاما في نشر الثقافة واسداء الخير أو المشاركة في الخدمة العامة مع المحافظة على ما ذكرنا .

الولاية الخاصة :

الولاية على النفس : تعرف بأنها المحافظة على نفس العاجز والضعيف ووقايته من المهالك ، وهي واجبة لأنه يهلك بدونها .

فالمحافظة على النفس تتمثل في أمرين : أ ـ في التربية والحفظ . ب ـ في التزويج وسنرجئ حديثنا عنهما حتى حديثنا عن حقوق المرأة الخاصة بالأسرة فيما بعد .

الولاية على المال : وتعرف بأنها سلطة التصرف في المال ، وهي نوعان قاصرة ومتعدية .

فالقاصرة : سلطة المرء على مال نفسه وهي ثابتة لكل من له أهلية الأداء كاملة ، وهو البالغ العاقل الرشيد من الذكور والأناث ، فله أن يتصرف في مال نفسه ما لم يتعلق بمحل العقد حق لغيره .

والولاية المتعدية : هي سلطة المرء على مال غيره وهي نوعان :ـ
أ ـ سلطة أصلية : وهي التي تثبت باثبات الشرع من غير حاجة إلى مثبت من البشر ، ولا يملك صاحبها عزل نفسه منها ، لأنها لم تثبت بارادته ، وتنحصر في ولاية الأب والجد على مال ولديهما القاصر .

ب ـ سلطة نيابية : وهي التي يستمدها صاحبها من شخص آخر كالوصي الذي يستمد ولايته من الأب أو الجد أو من القاضي ، والوكيل الذي يستمد ولايته من موكله ، والامام الذي يستمد ولايته من الأمة التي بايعته .

وفي الشريعة الاسلامية ليست الذكورة شرطا في الوصي بل يجوز الايصاء إلى المرأة كما يجوز إلى الرجل .

وأم القاصر أشفق عليه وأرحم به من أي من ذوى الأرحام ، فالوصاية لها طالما ثبتت أهليتها وكفاءتها واقتدارها على القيام بشأنه بالصورة التي ينبغي أن تكون .

نظارة الوقف :

أعطت الشريعة الاسلامية للمرأة الحق في أن تكون ناظرة للوقف ، تديره كما تدير أعمالها العقارية والمنقولة ، وقد جعل عمر بن الخطاب ولاية وقفه لابنته حفصة رضي الله عنها مدة حياتها ومن بعدها إلى ذوى الرأي من آل عمر .

الوكالة :

وهي نيابة الانسان عن غيره في شئون نفسه حال حياة المنيب باختيار من ذلك الغير .

ويصح توكيل المرأة في جميع المعاملات المالية ، والخصومات القضائية بلا خلاف في هذا ، اما في الزواج أو الطلاق ففيه خلاف .

والمرأة في حقوق العقد حكمها كحكم الرجل سواء بسواء .

التحكيم :

وهو تولية الخصمين حكما يحكم بينهما ، والتحكيم جائز بالكتاب والسنة والاجماع ويشترط في الحكم ان يكون صالحا للقضاء ، وعلى هذا يصح ان تكون المرأة حكما .

التعليم :

من مظاهر تكريم الاسلام للمرأة أنه سوى بينها وبين الرجل في حق التعليم والتثقيف ، وأتاح لها أن تحصل على ما تشاء من فروع العلم والحكمة والمعرفة في مراحلها المتعددة .

وقد كان الاسلام حاسما إذ أوجب عليها كالرجل معرفة العقائد والعبادات والحلال والحرام في المأكول والمشروب وسائر التصرفات وكذلك كل ما يمكنها من القيام برسالتها الملقاة على عاتقها نحو زوجها وأولادها بخاصة ونحو المجتمع الاسلامي بعامة ، وان تفهم ذلك كله بعيدا عن البدع والخرافات والشعوذة ولا يوجد بين المرأة والرجل فارق ديني في التكليف وأهليته سوى أن التكليف يلحقها قبل ان يلحق الرجل وذلك لوصولها بطبيعتها الى مناط التكليف ــ وهو البلوغ ــ قبل الرجل .

واذا كان الاسلام قد رفع عن المرأة بعض التكاليف كصلاة الجمعة والجهاد فليس لأنها غير أهل لذلك ، ولكن تخفيفا : عنها وترخيصا وبعدا لها عن مزاحمة الرجال . وتفريغا لها لخدمة البيت والاشراف عليه .

ولقد حث الرسول عليه الصلاة والسلام النساء على طلب العلم فقال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

ولم يفرق الاسلام في مجال التعليم والتهذيب بين الحرة والأمة ، وقد نافست المرأة الرجل وزاحمته في ميدان العلم والمعرفة على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام . وهو القائل عن عائشة : « **خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء** » .

وهكذا احتلت المرأة في الاسلام في مجال العلم مكانا مرموقا وبدا الاسلام شامخا بين جميع الأديان السماوية الأخرى والقوانين الوضعية في مساواة المرأة للرجل مساواة تامة في حق التهذيب والتعليم وتكريمها تكريما لم تصل اليه بعد أرقى المدنيات في القرن العشرين بعد أربعة عشر قرنا من الاسلام .

الافتاء :

وهو الاخبار بالحكم الشرعي لا على سبيل الالزام ، وبهذا يفرق بين المفتي والقاضي ، إذ القاضي له ولاية الالزام بالحكم الشرعي ، ويصح إفتاء المرأة بالاجماع لأنه ليس من باب الولاية في شيء .

ومن شهيرات المفتيات بعد عائشة من أمهات المؤمنين ، وكرام الصحابيات السيدات الجليلات : ام سلمة ، حفصة ، صفية ، فاطمة بنت رسول الله واسماء بنت أبي بكر ، ليلى بنت قائف ، وأم الدرداء الكبرى ...

رواية الحديث :

وهي نقله عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أو نقله عمن نقله عنه وهكذا وقد اشترط أئمة الحديث في الراوي أربعة شروط هي :

العقل ، والضبط ، والعدالة ، والاسلام ، فاذا توافرت هذه الشروط الأربعة في انسان قبلت روايته ولو كان امرأة .

لقد لحق رسول الله بربه ولم تتجاوز عائشة التاسعة عشرة من عمرها على أنها ملأت أرجاء الأرض علما فهي في رواية الحديث نسيج وحدها ولم يكن من بين أصحاب رسول الله من كان اروى منها ومن ابي هريرة ، على أنها كانت أدق منه وأوثق .

وقد عقد محمد بن سعد جزءا من كتاب « الطبقات الكبيرة » لراويات الحديث من النساء أتى فيه على نيف وسبعمائة امرأة روين عن رسول الله وعن الثقات من أصحابه ، وروى عنهن أعلام الدين وأئمة المسلمين .

وهل تجد موطنا أوثق ، ومرتقى أسمق ، ومنزلة أوثق ، من أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو العلم الأشم الذي لا يدانيه أحد في علمه وحكمته وقربه من رسول الله وقرابته ، يتلقى الحديث على مولاة لرسول الله كانت تقوم على خدمته ، وهي « ميمونة بنت سعد » .



ما يجب أن يعرف المسلمون عن «ماركس»



للاستاذ/عمر الراكشى

قبل أن نعرض للمقدمات التي أفضت بنا الى عنوان هذه المقالة ، نذكر القارئ الكريم في عجالة سريعة بمذهب « كارل ماركس » وموقفه بايجاز شديد من الاسلام .

الشيوعية والاسلام :

كلمة الشيوعية ترجمة عربية لمذهب « كارل ماركس » في حالة التطبيق ، لأنه يزعم أن مذهبه ينتهى إلى إباحة كل شئ على الشيوع أو بالمشاع ، ولكن أصحاب المذهب يسمونه بالمادية التاريخية أو المادية الثنائية الحوارية تمييزا له عن جميع مذاهب الاجتماع والفلسفة ، وعنوانه هذا هو خلاصة كافية لقواعده التي يقوم عليها : وهى الايمان بالمادة دون غيرها وانكار لكل ما عداها من عالم الغيب أو عالم الروح .

والشيوعية قد تصبر على المسيحية

وتهادنها الى حين ، ولكنها لا تطيق الصبر على الاسلام ، فالمسيحية دين الشطر الأكبر من الروسيين وغيرهم من الشعـوب الأوروبيـــة ، ولأن المسيحية من جهة أخرى تدع شؤون الدولة للدولـة ولا تتعـرض للنظـم الاجتماعية ، أما الاسلام فهو نظام اجتماعي له منهجه في علاج المسائل التي تتصدى لها الشيوعية ، فهـو يواجه مشكلة الفقر بحلوله المتعددة ولا يقصر مواجهتهـا على فرض الزكاة ، فينـكر الاسراف والتـرف والاحتكار ويأبى ان تكون الأموال « دولة بين الأغنياء ». ولا يصدق عليه قولهم إنه أفيون الشعوب لأنه يأمر المسلم ألا ينسى نصيبه من الدنيا ، ويحثه على دفع المظالم ومنع الشرور ، ويعلم المسلم أن يقدس الحريـة ، ويثور على المذلـة والاستعبـاد فلا يتسنى للحاكم الأجنبي أن يخضعه لغير معتقده أو يسومه الهوان في امور الدنيا والدين .

لهذا وصفوه في دائرة المعـارف الشيوعيـة بالرجعيـة وتأييـد الاستغلال ، وحاربوه بكل وسيلة من وسائلهـم الظاهـرة والخفيـة ، لاضعاف سلطانه الروحي وتشتيت المسلمين وتمزيق كل وحدة تجمعهم ، وهدم معالمهم الدينية .

ولا يبغض الشيوعيون بين أمم الشرق الأسيوي نفوذا روحيا او فكريا أخطر عليهم من نفوذ الاسلام ، وعدة أبنائه تناهز في القـارة الآسيويـة ثلاثمائة مليون ، وهى حرب حياة أو موت ، ولكن الاسلام عاش ، وماتت عداوات كثيرة ناصبته الحروب منذ مئات السنين ، وسـيعيش ألـوف السنين والشيوعية وأمثالها في خبر كان .

موقف « ماركس » وحواريـوه من العائلة والوطن والدين :

العائلة والوطن والديـن أقـوى الدعائم التي قام عليها بناء الحضارة الانسانية . واننا لو نزعنا من تاريخ الانسان هذه الدعائم لما بقـى من الانسان المتحضر أثر ، ولعاد مرة أخرى الى الهمجية والوحشية .

ومن تعاسة الهدامين الداعين إلى الفوضى والفساد أنهم يهدمون كل دعامة من هذه الدعائم ، ويزعمون أن الخير كل الخير في نقضها ومحـو آثارها وإعلان العداء للماضى بأسره ، وإقامة العلاقة الانسانية وكل علاقة غيرها على أساس واحد ، هو أساس الفلوس وتوزيع الفلوس .

وعيب العائلة في رأي دعاة الهدم والفوضى أنها تحرض الآباء والأمهات على توريث الأبناء والبنات .

ويقول دعاة الهدم والفوضى : إن الوطن للغنى وحده ، وأنه لا وطن للفقير ويقولون : إن الغرض من قوة الوطن هو حماية الدولة التي يسيطر عليها الأغنياء .

ويقولون عن الأديان إنها أفيون الشعوب ، وأن الناس يقبلون على الدين لأنه يخدرهم ويلهيهم عن شقاء الحياة .

وهذا القول الهراء عن الدين هو آخر وصف يمكن أن ينطبق عليه ، وأول وصف ينطبق على مذهب ماركس بجميع معانيه .

فالشعور بالمسؤولية والمسكرات نقيضان ، وما من دين إلا وهو يوقظ في نفس المتدين شعورا حاضرا بالمسؤولية في السر والعلانية ، ويجعله على حذر من مقارفة الذنوب بينه وبين ضميره ، ويوحي إلى الفقراء والأغنياء على السواء أنهم لن يستحقوا أجر السماء بغير عمل وغير جزاء .

وأن المسكر حقا هو مذهب ماركس من جميع نواحيه لأنه يرفع عن الضمير شعوره بالمسؤولية ويغريه بالتطاول على ذوي الأقدار والعظماء ، ويلقي بالمسؤوليات كلها على المجتمع ، ويعلن للعجزة وذوي الجرائم والآثام أنهم ضحاياه المظلومون .

إن الماركسية ــ إذن ــ لهي أفيون الشعوب بغير مراء كما يقرر عباس محمود العقاد ، فكلما بحثت عن سبب صالح لشيوع المسكرات في بيئة من البيئات ، فاعلم أنه سبب صالح كذلك لشيوع المذاهب الهدامة ، ولتفسير هذه الشهوات التي تلخصها اول الأعراض التي تبدو على السكران : إسقاط للتبعة وخلع للحياء ، واستمراء للتطاول والبذاء على كل محسود وإن لم يكن من الأغنياء .

إن تعجلهم إلى هدم نظام العائلة ، ودك قواعد الوطن ، وتدنيس حرمات الدين لم يكن منبعثا من قوة الحجة بل من سهولة الهدم والتخريب على بعض الطبائع المبتلاة بالمسخ والتشويه ، ونتنبأ مع العقاد بزوال هذه الغاشية وتحطم معاول الهدم في أيدي ذويها ، فليس للهدامين حظ من النجاح الدائم مادام للانسانية بناء قائم وأجل ممدود .

كان كاذبا مع نفسه فكان قدوة غير صالحة :

نحن نعرف الكثير عن الدعاة إلى المذاهب إذا عرفنا كيف كانوا يطبقون كلامهم على أنفسهم ، ونتبين الفرق بين الجدير منهم بالثقة ، والجدير منهم بالشك والريبة إذا عرفنا مدى أمانتهم في تطبيق المذهب الذي يدعون إليه .

وعلى هذه القاعدة نعرض لسيرة « كارل ماركس » الذي تنسب إليه الشيوعية فتسمى بالماركسية في بعض الأحيان .

هذا الرجل يبني مذهبه كله على أساس واحد هو « أن من لا يعمل لا يأكل » وبهذا المبدأ أراد في ظاهر دعواه أن يبطل استغلال العاطلين للعاملين .

فاذا رجعنا الى سيرته في حياته ، فماذا نرى من دلائل الأمانة في تطبيق هذا المبدأ الذي أراد أن يكون فيه قدوة للمقتدين ؟

يرى العقاد ــ وهو الباحث المدقق ــ من خلاصة الحقائق المستمدة من حياة « ماركس »، أن

الناس جميعا لو جروا على طريقته لماتوا جوعا ، وأنه لو عاش بما كسبه من عمله لما عاش أكثر من سنة واحدة على أبعد احتمال .

وفي خطاب من خطابات أبيه المحفوظة يقول له : « لسوء الحظ أراك تؤيد بسلوكك رأيي الذى كونته عنك ، وهو أنك على ما فيك من خصال حسنة أناني تغلب الأنانية على جميع صفاتك ».

وإنما كتب أبوه إليه ما كتب لأنه كان لا ينتهي من طلب المال وإنفاقه في غير جدوى ، وكان يثقل على أبيه بالطلب مع علمه باتساع أسرته وفيها ثمانية أبناء يحتاجون إلى التربية والتعليم . فلما مات أبوه لبث عالة على أمه وإخوته إلى الرابعة والعشرين من عمره ، وأنذروه بقطع المعونة عنه إذا لم يبحث عن مورد رزق لنفسه .

في تلك الآونة كانت تصدر في بلاد الريـن صحيفة تسمى « رنيش جازيت » وكانت تتطرف في دعوتها إلى الاشتراكية ، فأنذرتها الحكومة بالاغلاق إذا هى لم تعدل عن خطتها ، وتخرج منها الكاتب الـ[illegible] من سياستها ، وكان شابا من أصحاب « ماركس » يدعى « روتنبرج »، فلما سئل ماركس عن رأيه أشار باخراج ذلك الكاتب ، ورضى أن يحل محله على خطة جديدة تنحى على الاشتراكية والاشتراكيين ، واعداد الجريدة التي كتب فيها تلك الحملات محفوظة إلى اليوم .

ثم أغلقت الجريدة بعد شهور فذهب ماركس إلى باريس يعلن الدعوة الى الاشتراكية التي كان ينحى عليها ، وظل يعيش من معونة كان يتلقاها من بعض أصهاره في هولندة حتى انقطع هذا المورد فألقى عبئه كله على أصحابه ومريديه .

لم يكن مشغولا بالدعوة :

وقد يخطر لأحد أن الرجل كان يترك طلب الرزق لأنه كان مشغولا بالدعوة إلى مذهبه سواء كان مخلصا له أو متهما في إخلاصه ، ولكن الرجل كان لا يطيق العمل لطلب الرزق ولا لنشر الدعوة ، ففي هذه الأثناء أشفق عليه بعض رفقائه فأقنعوا « لسكى » بالاتفاق معه على تأليف كتاب في موضوع الاقتصاد وعلاقته بالسياسة ، وهو الموضوع الذي تدور عليه دعوته الشيوعية ، فتم الاتفاق في سنة ١٨٤٤ وقبض ماركس من ثمن الكتاب ألفا وخمسمائة فرنك ، ومضت أربع عشرة سنة ولم يظهر الكتاب . وحلت سنة ١٨٥٨ فاذا به يتفق مرة أخرى مع ناشر آخر هو « دنكر » على تأليف الكتاب ، فانقضت السنون ولم يظهر الكتاب الموعود .

ثم ضاقت بالرجل موارد الرزق لكسله وإخلافه لوعوده واتفاقاته ، وكان قد انتقل إلى العاصمة الانجليزية ، وسعى بعض عارفيه لتدبير عمل له يواظب عليه ، فاتفق مع صحيفة « نيويورك تربيون » على مقال اسبوعي أو مقالين يرسلهما

إليها ويؤجر على كل مقال بعشرين شلنا ، فلم ينشط لكتابة هذه الرسائل واعتمد على زميله « انجيلز » ليكتبها باسمه ويساعده مع ذلك بمعونة من عنده .

كتاب رأس المال :

ويعتبر كتاب « رأس المال » إنجيل الشيوعية المقدس عند أتباعها ، وكان من المعقول أن يفرغ نبي الشيوعية لاتمام إنجيله الذي تقوم عليه دعوته ، ولكن الرجل لم يقترب من صفحات إنجيله إلا تحت ضغط شديد من الحاجة العاجلة الملحة . ومن حسن حظه أن استقل زميله انجيلز بتجارة أبيه واستطاع أن يخصص لماركس معاشا سنويا دائما حتى طوى النبي كتابه المقدس طي الأبد . وتركه ناقصا كما بقي حتى الآن .

هذا هو الامام الذي خرج للناس ليبشرهم بقداسة العمل ويبغضهم في المتبطلين الذين يعيشون عالة على غيرهم ، وأن ماركس لو عومل بالشريعة التي أراد ان يفرضها على الناس لهلك جوعا . والعجب العجاب في أمر هذا الرجل الذي استباح الأجر بغير عمل أنه خشي من منافسة أستاذه الزعيم « باكونين »، وبحث عن سبب للتشهير به وتجريحه ، وحمل المؤتمر الاشتراكي على فصله ، لأنه اتفق مع ناشر في روسيا على ترجمة كتاب ولم ينجز الترجمة . ونص الحملة موجود في سجلات المؤتمر .

ولم يسلم أحد من أساتذته وزملائه منه من تهمة شائنة أو وصف بغيض ، باستثناء « فردريك انجيلز » الذي كان ماركس محتاجا إلى معونته المالية مدى الحياة ، ومع ذلك نقرأ في إحدى رسائل انجيلز إليه كيف وصفه بجمود العاطفة والأنانية ونقص المروءة والشعور .

من سرد تلك الحقائق عن زعيم الشيوعية ، وكلها مستمدة من سجلات الحركة الشيوعية التي دونها دعاتها وأنصارها ، نستبين أن من كان لا يعميه غرض ولا هوى فلا صعوبة عليه في فهم الرجل على حقيقته التي لا تحتمل المغالطة والخداع . فهو مثل في التطفل ، ومثل في طوية الشر والجحود ، ومن كان كذلك لا يقتدي به في شريعة العمل ولا تفيض نفسه بخير صحيح لمن يجهلهم من بني آدم وحواء . وقد كان أقربهم إليه يلقون منه الشر في موضع الخير ولا يجدون فيه موضعا للثقة والاقتداء .

خاتمة :

من العرض المسرود ، أردنا أن نسلط الأضواء على زاوية من حياة « ماركس » لعلها تغمض على الكثيرين من المسلمين ، ليعرفوا أي نوع من البشر كان « ماركس »، وأي صنف من الآدميين كان حواريوه ، وان العقل الذي لديه شيء من العلم والفهم لا يحتاج بعد ذلك إلى شرح طويل ليعلم أن نظرة ماركس وتلامذته إلى أطوار الانسانية نظرة باطلة ، وأن حكمهم على المستقبل القريب أو البعيد حكم مردود منقوض .

من حديث الحج في القرآن

الأيام المعدودات والأيام المعلومات

في حديث القرآن الكريم عن الحج جاء الامر بذكر الله تعالى في ايام معدودات في قوله تعالى : (**واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون**) البقرة /٢٠٣

كذلك ورد الحديث عن ايام معلومات وذكر اسم الله فيها في قوله تعالى: (**ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير**) الحج/٢٨

فما هي هذه الايام ، وهل المعدودات هي نفسها المعلومات ، او ان المراد بهذه غير المراد بتلك ، وماذا فيها من مناسك الحج ؟

إن ما روى من آثار وأراء في بيان المقصود بهذه الايام يدور – بوجه عام – في نطاق ما يلي :

اولا : الايام المعدودات هي ايام التشريق الثلاثة التي تبدأ بعد يوم النحر .

ثانيا : الايام المعدودات اربعة ايام ، يوم النحر وثلاثة بعده ، وينفي الامام القرطبي ان يكون يوم النحر من هذه الايام ، لاجماع الناس انه لا ينفر احد يوم النفر ، وهو ثاني يوم النحر ، ولو كان يوم النحر في المعدودات لساغ ان ينفر من شاء متعجلا يوم النفر ، لانه قد أخذ يومين من المعدودات .

ثالثا : الايام المعلومات هي ايام

النحر ، وهي ثلاثة ، يوم الاضحى ويومان بعده ، وروى عن نافع عن ابن عمر ان الايام المعدودات والايام المعلومات يجمعها اربعة ايام ، يوم النحر وثلاثة ايام بعده ، فيوم النحر معلوم غير معدود ، واليومان بعده معلومان معدودان والرابع معدود لا معلوم .

رابعا : الايام المعلومات هي العشر من اول ذي الحجة واخرها يوم النحر .

والذي عليه جمهور الفقهاء ان المعدودات هي ايام التشريق الثلاثة والمعلومات هي العشر من اول ذي الحجة .

ورأى الجمهور في تفسير الايام المعدودات ، انها ايام التشريق الثلاثة ، وهي ايام منى ، او ايام رمي الجمار وذبح الهدى هو الرأي الصحيح ، فحديث الاية يرخص للحاج النفر في يومين او التأخر الى اليوم الثالث ، دون اثم في التعجيل او التأخير ، وهذا لا يكون الا في رمي الجمار ايام التشريق ، وقد روى ان ناسا من اهل نجد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة ، فسألوه عن الحج ، فامر مناديا ينادي : الحج عرفة ، فمن جاء ليلة جمع (وهي المزدلفة) قبل طلوع الفجر ، فقد ادرك ، ايام منى ثلاثة ، فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ، ومن تأخر فلا اثم عليه (رواه الخمسة)

أما رأي الجمهور في تفسير الايام المعلومات ففيه نظر ، فالاية تصف الايام بانها معلومات ، وهذا يعني ان تلك الايام كانت معروفة لدى العرب قبل الاسلام ، فهي من ثم ايام الحج كلها وليست العشر من اول ذي الحجة فحسب ، ويرجح هذا ان الاية وردت في سياق عدة آيات تتحدث عن البيت الحرام وبنائه ، وتطهيره للطائفين والقائمين والركع السجود ، وعن اعلام الناس بفريضة الحج ، والغاية منها او حكمتها ، وعن بعض مناسك تلك الفريضة كالطواف والهدى ووجوب تعظيم شعائر الله وحرماته ، وهذا يؤذن بان الايام المعلومات هي ايام الحج جميعها ، ثم ان اشهر الحج وصفت بما وصفت به هذه الايام فهي معلومات **(الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج)** البقرة/١٩٧ ، ولذا لا يكون شهود المنافع وذكر اسم الله واداء المناسك مقصورا على العشر من اول ذي الحجة ، وينسحب مدلول الايام المعلومات في الاية على كل ايام الحج او اشهره ، ولا يمنع من هذا مانع لغوي ، او اثر صريح ـ لا يحتمل الاخذ والرد ـ يقصر هذه الايام على

ما ذهب اليه جمهور العلماء .
وما دامت الايام المعدودات هي ايام التشريق فان الامر بذكر الله فيها فسر بالتكبير في ادبار الصلـوات ، وعند ذبح الهـدى ، وعنـد رمـي الجمار ، وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكبر بمنى تلك الايام ، وعلى فراشه وفي فسطاطه وفي ممشاه في تلك الايام جميعا / رواه البخاري ، وهذا الاثر يدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكبر الله في هذه الايام ليس فقط عقب الصلوات وعند ذبح القرابين او رمي الجمار ، وانما كان يكبر وهو يسير في الطرقات ، وهو يأوى الى راحته او فراشه ، فهو الذكر المتصل لله في ايام منى ، وهذا يتلاءم مع دلالة الامر ، وشمولهـا بكل الـوان الطاعـة والعبادة ، وعدم قصرها على بعض الحالات ، والى هذه الدلالة العامة ذهب بعض العلماء ، فالمراد بالذكر في الآية لديهم التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد .
ان الأولى أن يظل الأمر بالذكر في الآية عاما يشمل التكبير وغيره من ضروب القربـات والطاعـات ، وأن يكون التكبير خاصة صورة من صور الـذكر المؤكدة ، والمطلوبـة في تلك الايـام ، ولا سيمـا في إدبـار الصلوات ، وعند ذبح الهدى وعند رمي الجمار .
والذي لا خلاف عليه أن الحجيج هم المخاطبون بالأمـر بالـذكر في الآية ، بيد ان أعـلام الصحابـة والتابعين وفقهاء الأمصار يذهبون الى أن على كل مسلم ــ غير حاج ــ رجلا أو امرأة أن يكبر عقب الصلـوات تكبيرا ظاهرا في هذه الأيام ، وكأنهم بهذا لا يرون قصر الامر بالذكر على حجاج بيـت الله ، وان مشـاركة المسلمين كافة لاخوانهم الذين أموا البيت الحرام للطاعـة والنسـك في التكبير ، هو رمز لوحـدة الامـة ، وتنكير بمناط عزتها وقوتهـا ، فلا يعتصمـون بغـير حبـل الله ، ولا يتفرقون ولا يتنازعـون ، حتـى لا يفشلوا وتذهب ريحهم .
وتتحدث الآية بعد الأمر بذكر الله في أيام معدودات عن نفي الاثم على من تعجل في يومين ورمى فيهما الجمار ، وعلى من تأخر فأقام بمنـى أيـام التشريق الثلاثة ، ورمى في كل يوم الجمرات ، وفي هذا تيسير ورحمة ، واتاحة الفرصة لحجاج بيت الله لكي يطوفوا طواف الوداع دون مزاحمة وضغط على الحرم المكي .
ان الحجاج بعد طوافهم طواف الافاضة في يوم النحر ، وتحللهـم التحلل الاكبر يعودون الى منى للاقامة بها يومين أو ثلاثة بعد يوم النحر ، ولا يجوز البيتوتة بغير منـى في أيـام التشريق الا لمن كان له عذر ، أو يتولى شأنا من شؤون الحجيـج ، فقـد رخص لمن كان يتولى السقاية من آل العباس في المبيت بمكة .
وفي أيام منى ترمى الجمرات ، وهي لمن تعجل وارتحل في يومين ، أو لمن مكث هذه الايام جميعها ثلاث جمرات ..
الجمرة الأولى أو الصغرى ، وهي

التي تلي مسجد الخيف ، وتلي عرفة على يمين الجادة .

الجمرة الثانية أو الوسطى ، وهي تقع شمال الصغرى وتبعد عنها بنحو « ١٥٥ » مترا .

الجمـرة الثالثـة أو الكبـرى ، وتسمى جمرة العقبة ، وهـي أولى الجمرات من جهة مكة ، وتقـع في مدخل منى ، وتبعد عن الوسطى بنحو ١٥٥ مترا .

والسنة في الرمي أن يبدأ الحاج بالجمرة الاولى ، ومثنيا بالوسطـى ومنتهيا بجمرة العقبة ، وهذا الترتيب واجب لدى بعض الفقهاء ، ويكون الرمـي بعـد الـزوال كل يوم الى الغروب ، واجاز بعض العلماء الرمي قبل الزوال ، ويجزيء بعد الغروب وان كان مكروها ، وترمى كل جمرة بسبع حصيات وأن يتأكد الحاج أو يغلب على ظنه أنه أصاب الجمرة ، وأن يدعو ربه دعاء طويلا بين كل جمرتين ، ويجوز لمن كان به عذر من مرض أو شيخوخة أن يوكل عنه من يرمي بأمره .

ويشترط في الحصى الطهارة ، وأن يكون حجمه مناسبا ، ويمكن التقاطه من أي مكان دون مرمى الجمرات ، وما يعتقده بعض الحجيج من وجوب أخذ الحصى من المزدلفة غير صحيح ، وانما هو مستحب فحسب .

ورمي الجمار واجب بالاجماع ، وقد نقل أنه سنة عند المالكية ، وحكى عنهم أن رمي جمرة العقبة ركن يبطل الحـج بتـركه ، ورجـح الامـام الشوكانى أن الرمي واجـب ، لأن أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم بيان لمجمل واجب ، وهو قوله تعالى : « **ولله على الناس حج البيت** » آل عمران/٩٧ وقولـه صلى الله عليـه وسلم : « خذوا عني مناسـككم » رواه النسائي وأحمد .

واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بـين للمسلمـين مناسـك الحج ، وأمرهم بأخذها عنه فانه عليه الصلاة والسلام قد أقام بمنى أيام التشريق الثلاثة بلياليها ، ورمى في كل يوم الجمرات الثلاث ، وقد خطب المسلمين في اليوم الثانـي من هذه الايام وهو يوم الرؤوس (سمي بهذا لانهم كانوا يأكلـون فيـه رؤوس الاضاحـي) وكان ممـا قالـه في خطبته : أتدرون أي يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا أوسط أيام التشريق ، هل تدرون أي بلد هذا ، قالوا : الله ورسوله أعلم . قال هذا المشعر الحـرام وان دمـاءكم وأموالكم وأعراضكم عليـكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا ، حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم واني لا أدري لعلي لا القاكم بعد هذا ، ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم ، الا هل بلغت » . رواه البخاري .

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن سورة النصر أنزلـت وسـط أيـام التشريق ، وعرف صلى الله عليه وسلم أنه الوداع فركب القصواء ووقف عند العقبة واجتمع النـاس فخطبهـم ، فسمي الناس هذه الحجة « حجـة الوداع » .

وما فعله الرسول صلى الله عليه

وسلم في المبيت بمنى أيام التشريق كلها هو الافضل ، لأنــه الأصــل ويكون له التخيير في التعجل في يومين أو التأخر الى اليوم الثالث رخصة ؟ تيسيرا ورحمة ، فمن شاء أخذ بها ، ومن شاء لم يأخذ ، وجاء نفي الاثم اشارة الى الاباحة ورفع الحرج في هذا التخيير ، ولعله كما ذكر الرازي ورد لدفع شبهة قد تخطر ببال قوم من أن من لم يجر على موجب هذه الرخصة فانه يأثم ، فكلا الأمرين لا اثم فيهما التعجيل أو التأخير .

والآية مع هذا لم تبح تلك الرخصة الا لمن اتقى ، ففضل الله لا يناله الا من كان اهلا له ، اولئـك الذيـن يخشون ربهم في كل حال ، فمن اتقى خالقه فانه لا يفعل الا ما يحبه ويأمر به ، ويحرص ابلغ الحرص على ان يكون حجه طيبا ، بعيدا عن الرفث والفسوق والمماراة ، لان الله طيب ولا يقبل من الاعمال الا ما كان طيبا ، ومن ثم لا يتعجل في يومين جريا وراء عرض فان ، او هروبا من اداء بعض المناسك ، وانما يفعـل هذا وهــو يستشعر رحمة الله وفضله السابغ عليه ، فيزداد خشية وتقى ، ويصبح الأخذ بالرخصه في ذاته طاعة ، لان الله يحب ان تؤتى رخصه ، كما يحب ان تؤتى عزائمه .

على ان في هذا القيد او الشرط تنبيها لحجاج البيت الحرام الى الغاية من العبادة ، وهي تقوى الله حق تقاته ، وبــذلك تكون تلك الرحلــة المباركة الى الارض المقدسة فرصة العمر للتطهر من الذنوب والآثام ، والتــزود بزاد التقــوى المتجــددة ، والخشيــة الموصولــة ، والطاعـــة الخالصة .

وجاء ختام الآية أمرا بالتقوى ، وتأكيدا لهذا الأمر بتذكير الناس بيوم الحشر (والحشر اسم يقع على ابتداء الخروج من الاجـداث الى انتهـاء الموقف) والايمان بهذا اليوم وما فيه من ذهول وفزع وحســاب وثــواب وعقاب يمنع المسلم من ان يكون حيث نهاه ربه ، ويدفعه دائما الى ان يكون حيث امره ، ومن هنا كان الايمان بالغيب ــ وهذا اليوم بعضه ــ الصفة الاولى التي وصف الله بها المتقين في صدر سورة البقرة .

والحديث عن ايام التشريق ورمي الجمار فيها يقتضي الحديث عن حكمة هذا الرمي ، والكلام في بيان هذه الحكمة اجتهاد ، وان كانت هناك بعض الاثار التي ترجع هذه الحكمة الى احياء سنة سيدنا ابراهيم عليه السلام في رجم ابليس في هذا الموضع الذي ترمى فيه الجمار حين عرض له وهو يؤدي فريضة الحج او يسعى بولده اسماعيـل لذبحــه ، يحــاول فتنته ، واثارة الشكوك في وجدانــه ويقينه ، وما يمكن قوله هو ان هذا الرمي رمز مقت واحتقــار لعوامـل الشر ، ونزعــات النفس الامـــارة بالسوء ، فكأنه في جوهره اظهــار العبودية للــه ، والامتثــال لأمــره سبحانه .

اما الذبح في ايام التشريق فان العلماء متفقون على جواز النحر في اليوم الاول والثاني منهما . بيد أنهم

يختلفون في اليوم الثالث ، فبعضهم يرى انه لا يدخل في ايام النحر ، فهي لديهم ثلاثة ، تبدأ بيوم الاضحى ، وتنتهي باليوم الثاني من ايام التشريق ، وبعضهم يذهب الى ان اليوم الثالث داخل في ايام النحر ، لأنها كما يرون أربعة وليست ثلاثة ، وهذا الذبح في هذه الأيام في غير هدى الكفارات والنذر لأنه لا يتقيد بوقت ، كما ان هدى التمتع يجوز ان يقدم ذبحه على الوقوف بعرفه بعد الاحرام بالحج ، او قبله بعد التحلل من العمرة .

ويذبح الهدى في اي مكان من الحرم ، وان كان الاولى بالنسبة للحاج ان يذبح بمنى وللمعتمر ان يذبح عند المروة ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان منى كلها منحر ، وكل فجاج مكة طريق ومنحر . ويستحب ان تنحر الابل وهي قائمة معقولة اليد اليسرى ، لقوله تعالى : **فاذكروا اسم الله عليها صواف** اي قياما على ثلاث ، اما سوى الابل فتذبح مضطجعة . وهذا الهدى الذي يذبحه الحاج يقوم مقام الأضحية من غيره . اما الايام المعلومات ــ وقد رجحت انها ايام الحج جميعها ــ فقد وردت في آية تتحدث عن الغاية من فريضة الحج وبعض انعم الله على عباده وحق الفقراء ونحوهم فيما يذبح من بهيمة الانعام .

وغاية الحج او حكمته كما نصت الآية تنحصر في امرين :

أ ــ شهود المنافع .

ب ــ ذكر اسم الله في ايام معلومات .

وشهود المنافع بمعنى حضورها كشهود شهر رمضان ، وهو يعني المشاركة الايجابية فيها ، وان الحج لا يكون كاملا ومقبولا اذا فرط المسلم الذي قصد البيت للنسك والطاعة في شهود المنافع ، ولم يهتم بأمر المسلمين .

وقد وردت المنافع في الآية مطلقة فتشمل كل منفعة دنيوية او اخروية ، وهذا يفرض على المسلمين ان يكون لقاؤهم السنوي في رحاب الكعبة مؤتمرا جامعا يؤكد صلات الاخوة والمودة والتعاون والتناصر ، وتحقيق معنى الوحدة الاسلامية في صورة عملية جادة ، حتى تظل الأمة كالبنيان المرصوص ، كلها يد على من سواها ، ويسعى بذمتها ادناها ، فان لم يحقق هذا اللقاء المقدس منافع للمسلمين فقد رسالته وغايته ، وباءت الأمة به بخسران مبين .

ولا اشك في ان الحج اليوم ــ على كثرة الذين يؤمون البيت ــ لا يكفل ما أومأت اليه الآية الكريمة من منافع ، وان طرفا مما يتعرض له المسلمون في كل مكان في العصر الحاضر من فتن ومحن مرده الى ان العبادات ــ وفي مقدمتها الحج ــ اصبحت تمثل مظهرا شكليا لا روح له والمسؤولية جسيمة ، يسأل عنها الجميع ، وان كان اهل الرأي والعلم ، والقيادة والحكم اول من سيسأل عن هذا يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وجاء ذكر اسم الله في ايام معلومات تاليا لشهود المنافع ، واذا

كانت الواو كما يقول النحاة لا تقتضي ترتيبا ولا تعقيبا فان ذكر المنافع اولا يوحي بمدى اهميتها واثرها في حياة المسلمين ، فضلا عن ان العمل من اجلها في ظل البيت الحرام هو في الحقيقة ذكر لله ، فمفهوم العبادة في الاسلام ينسحب على كل عمل يقوم به المسلم وان بدا في نظره دنيويا محضا كالعلاقة الخاصة بين الرجل وزوجه ما دامت تحكمه مشاعر الخوف من الله ، والتوجه اليه بهذا العمل .

وذكر اسم الله ليس ترديدا باللسان دون ان يكون هذا الذكر ترجمة لما استقر في الوجدان من تقديس للحق تبارك وتعالى ، وحمد له وشكر على ما اعطى .

وذهب بعض المفسرين الى ان الذكر هنا كناية عن الذبح والنحر ، وان هذا التعبير يدل على ان الذبح لا يقبل الا اذا ذكر اسم الله عليه ، ويصبح معنى الاية على هذا الرأي ليشهدوا منافع لهم ويذبحو او ينحروا ما رزقوا من بهيمة الانعام ذاكرين الله عليها .

ولكن من المفسرين من يرى غير ذلك ، ويذهب الى ان ذكر اسم الله في الاية ليس مقصورا على الذبح او النحر ، وانما يتجاوزه الى كل الوان الطاعات القولية والفعلية ، وارجح هذا الرأي ، لانه من جهة يتلاءم مع ترجيح معنى الايام المعلومات بأيام الحج جميعها ، ومن جهة اخرى يأخذ بالدلالة العامة للذكر وهي اولى من الدلالة الخاصة .

يقول الامام الجصاص : على ما رزقهم من بهيمة الانعام .. لا دلالة فيه على ان المراد النحر لاحتماله ان يريد لما رزقهم من بهيمة الانعام ، كقوله : **(ولتكبروا الله على ما هداكم)** البقرة / ١٨٥ ويقول القاسمي في محاسن التأويل جـ ١٢ ص١٩ : لايبعد ان تكون « على » تعليلية والمعنى ليذكروا اسم الله وحده في تلك الايام بحمده وشكره وتسبيحه ، لاجل مارزقهم من تلك البهم ، فانه هو الرزاق لها وحده ، والمتفضل عليهم بها ، ولو شاء لحظرها عليهم ولجعلها اوابد متوحشة وقد امتن عليهم بها في غير موضع من تنزيله الكريم كقوله سبحانه : **(او لم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون)** يس / ٧١ ، ٧٢ .

ويقول ايضا معللا النص على بهيمة الانعام (وهي البقر والابل والمعز والضأن) في هذا المقام دون سواها من نعم الله : والسر في افراد هذه النعمة والتذكير بها دون غيرها من نعمه واياديه ان بها حياة العرب وقوام معاشهم اذ منها طعامهم وشرابهم ولباسهم واثاثهم وخباؤهم وركوبهم وجمالهم فلولا تفضله تعالى بتذليلها لهم لما قامت لهم قائمة لان ارضهم ليست بذات زرع وما هم باهل صناعة مشهورة ولا جزيرتهم متحضرة متمدنة ومن كانوا كذلك فيجدر بهم ان يذكروا المتفضل عليهم بما يبقيهم ، ويشكروه ويعرفوا له حقه من عبادته وحده وتعظيم حرماته

وشعائره فالاعتبار بها من ذلك موجب للاستكانة لرازقها والخضوع له والخشية منه نظير الآية ـ على ما ظهر لنا ـ قوله تعالى : (**فليعبدوا رب هذا البيت . الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف**) قريش / ٣، ٤ هذا اولا ، وثانيا قد يقال : انما افردت ليتبع بما هو البر الاعظم والخير الاجزل وهو مواساة البؤساء بها فان ذلك من اجل ما يرضيه تعالى ويثيب عليه وتأمر الآية بعد هذا اصحاب الهدى بالاكل من هداياهم وهو امر محمول على الندب وهذا فيما يتطوع به المسلم من هدي وكما يجوز الاكل من هدي التطوع يجوز الاهداء .

اما الواجب من الهدي كالنذر او ما كان كفارة عن فعل محظور في الاحرام والحرم او جبرا عن نقص يقع في بعض المناسك التي تجبر بالدم فلا يجوز الاكل منه .

وبعد الامر بالاكل ـ على سبيل الندب ـ من الهدى يأتي الامر ـ وهو على سبيل الوجوب ـ باطعام البائس الفقير والبائس من اشتدت حاجته ووصفه بالفقير وهو من لاشيء له في بعض معاني الفقر اشارة الى وطأة ما يقاسيه من ضنك العيش وانه في امس الحاجة الى الاطعام وانه يجب ان يصل اليه حقه المشروع دون حيف او ابطاء .

ولم تحدد الآية مقدار ما يؤكل او يطعم غير ان المسلم الذي تحكمه مبادىء عقيدته وله في رسول الله أسوة حسنة يسارع الى البذل والانفاق في ايثار ويجود بخير ما لديه دون اذى وقد جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه نحر مائة من الابل في حجته وامر عليا كرم الله وجهه ان يتصدق بلحومها وجلودها وجلالها وهو كساء تلبسه الدابة لتصان به كما امره ان يأخذ من كل بدنة بضعة اي قطعة من اللحم لاعداد الطعام الذي اكل منه الرسول صلى الله عليه وسلم (زاد المعاد جـ ١ ص٣٠٢) .

وموضوع الهدى وما يراق من دماء في منى وسائر فجاج مكة في كل موسم من مواسم الحج في عصرنا مازال ينتظر الحل والعلاج الحاسم فحرام ان تطمر مئات الاطنان من اللحوم والجلود دون ان ينتفع المسلمون بها وقد يسر الله لنا وسائل الانتفاع فلماذا التردد او الاحجام عن اجتهاد يحقق مصلحة ويرفع حرجا ويحول دون ان تقدم نعمة الله طعمة للثرى وهناك من المسلمين من يفتك بهم الجوع والحرمان .

وبعد فهذه كلمة عامة عن الايام المعدودات والمعلومات التي جعلها الله ظرفا زمنيا لطاعة وعبادة تعبر اصدق تعبير عن وحدة الامة وانها كالجسد الواحد وما احوج المسلمين في عصر لايقيم لموازين الفضيلة والعدالة وزنا ذا بال ان تكون أيام الحج تذكرة بما فرضه الله عليهم من التناحر والتراحم والتعاون على البر والتقوى حتى يكونوا بحق خير امة اخرجت للناس لها العزة والقيادة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعلي كلمة الله في الأرض .



للدكتور : محمود ناظم نسيمي

يقصد بالمعالجة الروحية منذ القدم ، تطمين المريض ورفع معنوياته ، والايحاء اليه بان مرضه سيسير عاجلا في طريق الشفاء .

والغالب في وسائلها ان تكون غير عقارات ، وقد تكون عقارات يراد بها الايحاء بانها دواء لعلة المريض ، عندما يكون علاجها الناجع مفقودا ، او غير مكتشف .

ولقد حرم الاسلام على اتباعه الاستعانة بالجن والشياطين ، وحرم السحر والكهانة والعرافة وتصديق اصحابها فيما يخبرون ، كما حرم تعليق الودع والخرز وما شابه بقصد وقائي او علاجي .

عن صفية بنت ابي عبيد رحمها الله عن بعض ازواج رسول الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة اربعين يوما » رواه مسلم .

وعن عقبة بن عامر الجهني قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من يعلق تميمة فلا اتم الله له ، ومن يعلق ودعة فلا ودع الله له » رواه احمد وابو يعلي والطبراني .

اما الرقي ـ وهي تشكل القسم الاعظم من المعالجة الروحية عند العرب ـ فقد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عنها كلها في باديء الامر ، ثم اذن ببعضها مما ليس فيه شرك . وكان هذا النهي لاعتبارات ثلاثة هي :

١ ـ لأن معظمها يحتوي على عبارات شرك كالاستعانة بالاصنام ، او يحتوي كلمات غير مفهومة المعني يخشى ان تكون منقولة عن لغات اخرى ومعناها كفر او شرك .

٢ ـ لاعتقاد كثير من العرب ان تأثيرها حاصل بطبعها دون اذن من الله تعالى ، كما كانت الجاهلية تزعمه في اشياء سببية كثيرة .

٣ ـ لمبالغة العرب في استعمال الرقي كمبالغتهم في استعمال الكي ، فاستعملوهما دون استطباب لتوهم انهما قد يفيدان ، ولذا قال النبي عليه الصلاة والسلام : « من اكتوى او استرقى فقد بريء من التوكل » رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح .

فتجنب المسلمون رقي الجاهلية كلها استجابة لرسولهم صلى الله عليه وسلم ، ثم مع المناسبات التي تستدعي معالجة روحية ، كأن يكون المرض نفسيا او مفقود الدواء ، كان الرسول عليه الصلاة والسلام يطلب عرض رقية ذلك المرض عليه ، فان لم يجد فيها ما يتنافى مع عقيدة التوحيد الخالص وروح الاسلام اقرها واذن بها .

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : « نهى رسول الله عن الرقي فجاء آل عمرو بن حزم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، انه كانت عندنا رقي نرقى بها من العقرب وانك نهيت عن الرقي ، قال : فعرضوها عليه ، فقال : ما ارى بأسا ، من استطاع منكم ان ينفع اخاه فلينفعه » . رواه مسلم .

وعن عوف بن مالك الاشجعي رضي الله عنه قال : « كنا نرقى في الجاهلية فقلنا : يا رسول الله ، كيف ترى في ذلك ، فقال : أعرضوا علي رقاكم ، لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك » . رواه مسلم وابو داود .

وجاء في الاحاديث الصحيحة انه عليه الصلاة والسلام ، رخص واذن في الرقي من العين واللدغات السامة والنملة وألم الاذن . [انظر كتاب الطب في صحيح البخاري وصحيح مسلم] .

وسنرى في بحث (وقائع من المعالجة الروحية في فجر الاسلام) ان الاسلام

اباح رقي اسلامية اضحت بديلا عن رقي الجاهلية .
واستنادا الى مجموع الاحاديث الواردة في الرقي ، والى مفاهيم تعاليم الاسلام العامة ، اجمع علماء المسلمين على جواز الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط : ان تكون بكلام الله تعالى او باسمائه وصفاته ، وباللسان العربي او بما يعرف معناه من غيره ، وان يعتقد ان الرقية لا تؤثر بذاتها بل بارادة الله تعالى . [انظر فتح الباري لشرح البخاري في باب الرقي بالقرآن والمعوذات] .

وقائع من المعالجة الروحية بالرقى والدعاء في فجر الاسلام

تتألف الرقى الاسلامية في فجر الاسلام من بعض آيات القرآن الكريم ، أو من سوره القصيرة ، ومن بعض الأدعية المتوجهة إلى الله بأسمائه وصفاته ، المستعينة والمستعيذة به وحده الراجية منه تعالى .
وبعد دراستي للآثار الواردة في الرقى الاسلامية ومناسبات استعمالها ، أمكنني أن أصنف مجالات استعمالها في ثلاثة :
ـ المجال الأول في الأمراض النفسية .
ـ المجال الثاني في الأمراض الجسمية التي لم يكتشف لها دواء أو لم يتوفر .
ـ المجال الثالث مع استعمال الأدوية المادية في أمراض جسمية .
ولا يعني هذا التصنيف أن لكل مجال رقى خاصة به ، فان معظم الرقى الاسلامية عامة يمكن استعمالها في المجالات الثلاثة . ولقد قصدت من هذا التصنيف إظهار الوقائع ودواعي استعمال الرقى ، في الأمراض المختلفة .

١ ـ المجال الأول في الأمراض النفسية :

تعتبر الأمراض النفسية المجال الأول والأكبر لتطبيقات المعالجة النفسانية قديما وحديثا ، حيث يجنى منها أحسن النتائج ، وخاصة في العصور السابقة المتوسطة والقديمة ، حيث كانت الأدوية المعروفة المهدئة والمنومة لا تكفي في معالجة جميع أنواعها .
أما الأعراض والأمراض النفسية التي استعملت فيها الرقى في فجر الاسلام فهي : المخاوف الليلية ، والأرق ، والاصابة بالعين أو التوهم بالاصابة بها ، ومظهر العته .

أ ـ معالجة المخاوف والفزع في النوم :

قد يكون الفزع في النوم نادر الحدوث لمنام موحش ، وقد يتكرر دالا على عدم الراحة النفسية . إما لشعور بالذنب أو خوف من عداوة الآخرين ، أو لاصابة

بالقلق النفسي ، فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في هذا المجال دعاء يكسب طمأنينة نفسية بالاستعاذة بالله تعالى . فقال : « إذا فزع أحدكم في النوم فليقل : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ، فانها لن تضره » فكان عبدالله بن عمرو يلقنها من بلغ من ولده ، ومن لم يبلغ منهم كتبها في صك ثم علقها في عنقه . رواه الترمذي وأبو داود .

ب ـ معالجة الأرق :

يشاهد الأرق في حالات كثيرة : منها ما يرافق الأرق بداية ، أو سير بعض الأمراض البدنية ، ومنها ما ينشأ عن انشغال الذهن بمتطلبات الأعمال اليومية وهمومها وانفعالاتها ، أو ينشأ عن مخاوف ، ومنها ما يحدث في الوهن العصبي وفي الشواشات العصبية (أو العصابات) وبدء العلل العقلية .

إن تحويل الذهن عما يشغل ساحته من التفكير بالمكدرات · إلى التفكير بعظمة خالق السموات والأرض ، والاستعانة به ، والاستجارة به من كل شر ، إن ذلك يكسب المصاب بالأرق الملتجئ إلى الله اطمئنانا وهدوءا نفسيا ، يساعده على النوم ودفع الأرق . « سنن الترمذي ، الحديث رقم ٣٥١٨ » .

جـ ـ معالجة الاصابة بالعين :

إن الانسان الذي يبالغ في اعتقاده بالسحر أو بالاصابة بالعين ويتخوف منهما كثيرا ، إنه في ظروف خاصة قد يتوهم أنه قد وقع تحت تأثير أحدهما فيؤدي توهمه إلى مرض نفسي ، أو وظيفي ، فتكون معالجته بالوسائط الروحية لتوحي إليه بأن سحره قد فك ، وأن إصابته بالعين في طريق الزوال .

إن ذلك الانسان المكثر في تخوفه من السحر ، أو الاصابة بالعين ، قد ينسب مرضه الطارئ من أي نوع إلى الاصابة بأحدهما . وهنا تكون المعالجة الروحية مفيدة في عزل العنصر النفسي ، وإبعاد أعراضه التي تشوش الصفحة السريرية للمرض .

إن المعالجة الروحية في المثالين السابقين ، يقرها العلمانيون من علماء النفس ، كما يقرها علماء المسلمين ، على أن هؤلاء يعتقدون استنادا إلى نصوص صحيحة ثابتة بوجود أذى حقيقي لبعض أنواع السحر ، والاصابة بالعين ، تكون معالجته بالوسائط الروحية ، بالأدعية والتعاويذ والرقى الاسلامية . ومع ذلك فانهم يقررون أن الاسلام لا يرضى للمسلم أن يترك نفسه فريسة للمخاوف أو الأوهام ، بعد أن قواه معنويا بالفأل الحسن ، والثقة بالله تعالى ، والتوكل عليه ، والايمان بقدره ، وبعد أن سلحه بأذكار ربانية ، وتعوذات إسلامية هي

أدوية روحية وقائية وعلاجية ، تجاه السحر والعين ايضا .

عن أنس رضي الله عنه قال : « رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقية من العين والحمة والنملة » رواه مسلم في كتاب الطب ..

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذتان ، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما » رواه الترمذي وابن ماجة والنسائي .

ولقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم الاصول الاخلاقية والاجتماعية عندما يرى الانسان شيئا يعجبه فقال لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف : « علام يقتل احدكم أخاه ألا بركت » (الموطأ) ، أي قلت : اللهم بارك عليه . ففي قول ذلك دفع لخواطر الحسد وتنبيه لطلب الفضل من الله تعالى ، ودفع لتوهم صاحب الشيء المعجب به أنه حسد أو أصيب بالعين .

٢ ــ المجال الثاني للرقى الاسلامية :

لدى الاصابة بمرض جسمي أخفق دواؤه أو لم يتوفر أو لم يكتشف .

أ ــ معالجة اللدغ بالرقية :

لم يكن المصل المضاد للسم مكتشفا في ذلك الزمن ، ولم يكن الترياق المعروف المخفف لشدة الاصابة متوفرا دائما ، وخاصة في الأرياف والبوادي ، ولذا كان الكثير من حوادث اللدغات تعالج معالجة روحية بالرقى منذ الجاهلية . خاصة وان الملدوغ ينتابه هلع وقلق حول مصيره .

ولقد اخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قصة رقية الصحابي للديغ بفاتحة الكتاب فكأنما نشط من عقال . وفي بعض الروايات ان الراقي هو ابو سعيد نفسه .

ب ــ معالجة ألم مزمن بالرقية :

إن الطبيب لا يألو جهدا في تسكين ألم مريضه ريثما يتم شفاؤه من مرضه الأصلي المسبب للألم ، بل ولو تعذر هذا الشفاء . كما أنه يطمئن مريضه لأن المخاوف الناتجة عن الألم قد تسبب زيادة في التشنجات المسببة للألم ، وقد تؤدي الى اضطراب نفسي . ومن الآلام ما هي عصابات نفسية ناتجة عن الارهاق والقلق ، فالراحة والمعالجة الروحية كفيلان بازالتها .

لقد روى مسلم حديث تعليم الرسول عليه الصلاة والسلام الرقية الذاتية في مكافحة الألم لعثمان بن ابي العاص الثقفي الطائفي رضي الله عنه ، فعنه أنه

شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده منذ أسلم ، فقال له : « ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل : باسم الله ثلاث مرات ، وقل سبع مرات : أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر ، وعند الموطأ : « بعزة الله وقدرته من شر ما أجد » قال : فقلت ذلك فأذهب الله ما كان بي ، فلم أزل آمر بها أهلي وغيرهم ، ولم ترد روايات تحدد موضع الألم أو المرض المسبب .

جـ ـ معالجة بالرقية لحالة تحتمل أن تكون إغماء أو سباتا أو صرعا حقيقيا أو هستريائيا :

يشير الطب الحديث الى ان الهستريا قد تتظاهر بنوب تشابه الاغماء أو السبات أو الصرع ويحاول المهستر أن يتظاهر بفقد الوعي فيها ، ولكن الأطباء يمكنهم ان يفرقوا نوبات الهستريا هذه عن الأمراض الحقيقية بقوة الملاحظة ، وبالتفتيش عن بعض العلامات . وهناك من يتظاهر غيظا وكيدا او احتيالا بفقدان الوعي او بنوبة شبه صرعية .

لقد روى البخاري ومسلم حادثة صرع حقيقي شكت المصابة به مرضها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن حينئذ دواء ناجح معروف لابعاد نوبات الصرع ، فلم يصف لها شيئا لا دواء ماديا ولا رقية فاكتفت بدعائه لها ان لا تتكشف في نوبة الصرع .

٣ ـ المجال الثالث للرقى الاسلامية :

مع استعمال الأدوية المادية لامراض جسمية . والغاية من الرقية حينئذ هي بعث الأمل والطمأنينة في المريض ، وتحريك إيمانه واتكاله على الله تعالى في نجاح الدواء المادي ، فتقوى معنوياته ويزداد أمله في بلوغ العافية ، وخاصة عندما يرقيه من يعتقد بصلاحه أو يثق بأهليته للرقى .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة المؤمنين في الجمع بين الدواء المادي والدواء الروحي ، دون إهمال للأدوية المادية . وإليكم نماذج من هذا الجمع من فعله عليه الصلاة والسلام ، وفعل صحابته رضوان الله عليهم أجمعين .

أ ـ معالجة لدغة العقرب بالرقية والملح معا :

عن علي عليه السلام قال : (لدغت النبي صلى الله عليه وسلم عقرب وهو يصلي فلما فرغ قال : (لعن الله العقرب لا تدع مصليا ولا غيره . ثم دعا بماء وملح فجعل يمسح عليها ويقرأ : قل يا ايها الكافرون ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل

أعوذ برب الناس) رواه الطبراني واسناده حسن .

ولقد وجدت في « القانون » لابن سينا في بحث الملح (من أبحاث الأدوية المفردة في الجزء الأول) قوله : « يضمد به مع بزر الكتان للسع العقرب ، وفي الملح قوة جاذبة محللة » . فالحديث السابق يدل على أن معرفة العرب لفائدة الملح في لدغة العقرب سابقة لعصر الترجمة .

ب ـ تداوي الرسول عليه الصلاة والسلام في مرضه بالأدوية المادية والقرآن :

لقد كان ذلك حتى في مرض وفاته عليه الصلاة والسلام . ولما اشتد وجعه كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تقرأ عليه بالمعوذات وتمسح عليه بيمينه رجاء بركتها . قال عروة بن الزبير لعائشة : ياامتاه ، لا أعجب من علمك بالشعر وأنت ابنة أبي بكر وكان أعلم الناس ، ولكن أعجب من علمك بالطب ، فضربته على منكبه ، وقالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسقم عند آخر عمره ، فكانت تقدم إليه وفود العرب من كل وجه فينعت له الانعات فكنت اعالجه فمن ثم . وعن عائشة « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عليه بيمينه رجاء بركتها » اخرجه مالك في الموطأ .

وبهذا جمع الاسلام بين الماديات والروحانيات ، وانتظم الحسيات والمعنويات ، فأعطى لكل جانب حقه ، وأعد لكل حالة لبوسها ، ولم يهمل واحدة من الطرفين .

ذلكم ما نلحظه في معالجته لكل ناحية من شؤون الحياة الدنيوية حتى في معالجة الأمراض . فكما أمر الاسلام بالتداوي بالأدوية الحسية والأخذ بالأسباب العلمية فانه رغب بمشاركتها بالأدوية المعنوية والروحية ، من أدعية ورقى بكلام الله العزيز وأسمائه الحسنى ، حتى يتذكر المريض خالق الداء والدواء وتبقى عقيدة التوحيد خالصة لله تعالى في الصحة والمرض ، وحتى تبقى نفس المريض متفائلة هادئة مطمئنة بالالتجاء اليه تعالى ، والتوكل عليه ، فيقوى صبره ورضاه بالله سبحانه . وينتج عن ذلك كله غياب الوساوس والمخاوف وارتفاع المعنويات ، ونمو الأمل بالشفاء ، وازدياد المقاومة فتختفي أعراض الاضطراب النفسي ، ويبدو التحسن حتى في الأمراض الوظيفية والعضوية ، وأحيانا يتم الشفاء معونة من الله وفضلا ، كل ذلك بمقدار ثقة المريض بالرقية والراقي وبمقدار قوة إيمان الراقي ويقينه بالله تعالى .

ليس من الحديث النبوي

يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الاحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لندحض زيفها ، ونكشف القناع عن سقيمها .
ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

« القاص ينتظر المقت والمستمع ينتظر الرحمة والتاجر ينتظر المقت والتاجر ينتظر الرزق والمحتكر ينتظر اللعنة والنائحة ومن حولها من امرأة مستمعة عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

موضوع :

قال السيوطي في اللآلئ المصنوعة من رواته عبدالوهاب بن مجاهد ولا تصح روايته وهو ليس بشيء .
وأيضا من رواته أبو محمد عبدالله بن أيوب بن زادان القرنى وهو متروك الحديث .

« يحشر الحكارون وقتلة الأنفس الى جهنم درجة واحدة » .

موضوع :

من رواته بقية وهو يدلس عن الضعفاء والمتروكين .
وحكم السيوطي في اللآلئ المصنوعة بوضعه .



الحج

مؤذن

ومنافع المسلم فيه

للاستاذ سعد صادق محمد

فريضة الحج عبادة قديمة :

الحج هو الركن الخامس من اركان الاسلام ، وهو عبادة من العبادات التي فرضها الله تعالى على عباده كوسيلة لاظهار العبودية لله عز وجل .

والحج عبادة قديمة كانت على عهد ابراهيم الخليل واسماعيل عليهما السلام ، إذ أنها تحقيق لطلب ابراهيم عليه السلام ، حيث قال لمولاه جل شأنه : (**ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون**) ابراهيم (٣٧) كما أنها تلبية من ابراهيم عليه السلام لطلب مولاه حيث قال له : (**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق**) الحج / ٢٧ .

وقد ظلت شعائر الحج نظيفة من دنس الشرك ، سليمة من أدران الوثنية ، لكن العرب غيروا ــ مع تقادم الزمن وتوالي القرون ــ كثيرا مما كان عليه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، إذ أشركوا بالله : الاصنام والأوثان والتماثيل التي أقاموها حول الكعبة ، وعلى ظهر البيت وعلى الصفا والمروة ، وتقربوا بها إلى الله زلفى ، وغيروا كثيرا من المشاعر التي كانت على عهد ابراهيم وابنه إسماعيل ، وذكروا أسماء ما أنزل الله بها من سلطان ، وكانوا يحجون ويطوفون بالبيت عرايا ، وكانوا يأتون أعمالا شركية ، فيقولون في التلبية لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك .

موقف الاسلام من عمل المشركين عند الكعبة :

ولما كان هذا العمل مخالفا لعقيدة التوحيد ، ومصادما لدعوة الحق التي أمر الله عباده ان يؤمنوا بها ، فقد حاربها الاسلام محاربة شديدة وتتبع هذه المفاسد العقائدية في كل وكر من أوكارها حتى تم القضاء عليها نهائيا ، فبعد ان أتم الرسول صلوات الله وسلامه عليه فتح مكة ــ توج الله بهذا الفتح جهود الرسول الكريم لتطهير العقائد ــ أرسل أصحابه

الكرام لتطهير الكعبة وما حولها من الأصنام والأوثان التي كان المشركون يتوجهون إليه بالضراعة والسؤال والذل ، كما أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليقرأ على الناس عند الكعبة سورة براءة بعد نزولها على النبي لازالة الأوثان من الكعبة وإخلاص العبادة لله وحده ، حتى أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يذهب إلى حجة الوداع إلا بعد أن أزيلت الأصنام والتماثيل من الكعبة وما حولها ليكون البيت خالصا لعبادة الله الواحد القهار .

لقد جاء الاسلام ليطهر العقائد ، ويصحح المفاهيم ، ويقرر أن تكون عبادة الانسان كلها لله وحده دون شريك ولا ند تحقيقا لقوله تعالى : **(قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين)** الزمر / ١١ وأن تكون الطاعات لله وحده ، والتقرب بالقربات اليه وحده ، وأداء النسك كما كان عليها ابراهيم الخليل ، وكما بينها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

منهج الاسلام في شهر الحج :

ومن المناهج التي وضعها الاسلام ليسير على هديها ضيف الرحمن ما تبينه الآية الكريمة حيث يقول تبارك اسمه : **(الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب)** البقرة / ١٩٧ .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه .

فلو أن الحاج من ضيوف الرحمن اتبع هذا المنهج القويم ، وسار على هديه لانتفع بحجه ولصار صاحب : حج مبرور وذنب مغفور وتجارة لن تبور .

والفسق في الأصل : هو خروج الشيء عن طبيعته الخيرة ، فمن خرج عن هذه الطبيعة : اتى بالشر ، وألحق الضرر بالناس ، وأوقع بهم الاساءة ، ونفرهم من خير وبغضهم فيه .

ومن الفسق : مزاحمة القوى للضعيف على الحجر الأسود للتقبيل ودفعهم بعيدا عنه ، ولو أن هذا المزاحم قبل الحجر بالمزاحمة مرة واحدة في كل طواف ، لهان الامر ولكنه يتعمد تقبيل الحجر مرة ومرتين وقد تصل الى ثلاث في كل طواف ، وبهذا يزاحم ويؤذي غيره من العجزة والضعفاء ممن يريدون تقبيل الحجر مرة واحدة ، وذلك من الامور المنكرة التي ليست في الدين في شيء ، والتي تقلل من ثواب الطائف ان لم تكن مضيعة له .

والذي شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم في تقبيل الحجر الأسود ، هو ان الطائف اذا استطاع دون مشقة ان يقبل الحجر او يلمسه فعل ، فاذا تعذر ذلك ، فعليه أن يشير إليه بيده

اليمنى من بعيد عندما يحاذيه .
أما الرفث : كما تبينه الآية الكريمة والحديث الشريف فهو كل ما يؤذي الناس من قول بذيء فاحش أو فعل مشين قبيح .
أما الجدال فهو يعني كثرة الكلام وما يصحبه من صخب وضجيج وسباب وشتم وما يستتبع ذلك من المخاصمة والقطيعة والتباعد بين المسلم وأخيه المسلم .
وإذا كان الرفث والفسوق والجدال كل منها مذموم في غير أوقات الحج ، فهي في أوقات الحج أشد ذما ، وأعظم جرما وأقبح ذنبا .
ولا شك ان الذي خرج من بيته حاجا أو معتمرا واحتمل المشقة في ايجاد المال ، وفي السفر إلى الأراضي المقدسة هو إنسان في نيته التطهر من الذنوب والتخلص من الآثام ، ويتطلع إلى الله طالبا عفوه ورحمته فينبغي عليه ـ اذن ـ ان يعظم تلك الاماكن المقدسة ويحترم مشاعرها ويعتبرها موضع عبادات وقربى الى المولى تبارك وتعالى ، فاذا فعل هذا كان من دلائل الايمان والتقوى عنده ويؤته الله أجره عن هذا التعظيم ، وفي هذا يقول الله تعالى : (**ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب**) الحج / ٣٢ (**ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه**) الحج / ٣٠ .

منافع الحج

خير الزاد التقوى :

من منافع الحج : التزود بالتقوى فالله عز وجل حين فرض عبادة الحج ، لم يرد من المسلم والمسلمة اداء شعائر الحج ومناسكه وكفى ، ولكنه أراد من وراء هذا كله : أن يتزود المسلمون بالتقوى والايمان ، فهذه الاضحية التي يقدمها الحاج بعد الصلاة اتباعا لسنة خليل الرحمن ، ابراهيم عليه السلام ، لا ينال الله منها شيء من دم أو لحم . وإنما الحكمة منها . هي استشعار التقوى والايمان . وفي هذا يقول الله عز وجل : (**لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم**) الحج / ٣٧ ويقول ايضا : (**وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب**) البقرة / ١٩٧ اي يجب على المسلم أن يخرج من أعمال الحج أو يمارس شعائرها متزودا بالتقوى والايمان ومتحصنا بالصلاح وطاعة الله ، وابتغاء مرضاته .

ومما يؤكد ضرورة وجود عناصر الايمان والتقوى في اعمال الحج من اضحية وغيرها ، ان الله طلب من الحاج ان يذبح من البهائم السليمة المستحسنة ، فلا يتعمد ذبح الضحية العمياء ولا العوراء البين عورها ، ولا المريضة البين مرضها ولا العرجاء البين عرجها ، ولا العجماء التي لا مخ فيها ، ولا الحرباء التي يفسد لحمها ، ولا بمقطوعة الاذن والالية .. وذلك كما بينته الاحاديث النبوية .. بل يجب عليه ـ إيمانا منه

وتقوى ـ أن يذبح شيئا يأكل هو نفسه منه ، ولا يعافه ، وذلك كما يقول تبارك وتعالى : **(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)** آل عمران / ٩٢ وكما يقول الله في وجوب الانفاق من الشيء الطيب : **(يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد)** البقرة / ٢٩٧ فالآية الكريمة تطلب من العبد المنفق ان ينفق من الشيء الحسن وذمت أن يتعمد الانفاق من الشيء الخبيث بحيث اذا اخذ منه شيئا لخاصة نفسه عافته وكرهته ، وقد قصد الشارع من ذلك ان يأكل الفقير من الشيء الطيب الجيد ، وأن يربى ملكة التقوى عند المسلم في مثل هذه الشعائر وفي غيرها مما يأخذ ويدع من أمور الحياة .

شعور المسلمين بالوحدة الجامعة في الحج :

ومن منافع الحج ما تشهده الأماكن المقدسة من ألوف الحجاج القادمين من شتى بقاع الأرض ، مسلمين جاءوا من هنا وهناك ، ملبين نداء الله تعالى : **(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)** الحج /٢٧ يلبون النداء ، ويجيبون الدعاء ، فتتحرك النفوس إلى الارض المقدسة ، وتهفو الأفئدة الى بيت الله الحرام .. إلى البيت الذي وضع قواعده ابراهيم واسماعيل ، وفيه آثار النبيين ومشاهد الصديقين والشهداء والصالحين ..

نعم .. يذهب الحجاج من كل بقاع الأرض .. من الشرق ومن الغرب .. من أقصى الأرض وأدناها إلى البقعة المباركة التي شرفها الله سبحانه بنسبها إليه ، وزادها بأن اضفى عليها الأمن والبركة ، فقال تعالى : **(إن اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا)** آل عمران / ٩٦ و ٩٧ .

لقد جعله الله شعار الوحدة الاسلامية ومجتمع الأمة الاسلامية ، ففي كل يوم يتجه المسلمون جميعا إليه خمس مرات في صلاتهم حين يمسون وحين يصبحون ، وعشيا وحين يظهرون فهو قبلة المسلمين إلى يوم الدين فاذا تناءت ديار المسلمين شرقا وغربا ، وتباينت لغاتهم . واختلفت ألوانهم وأجناسهم . فالقبلة جامعة بينهم تشعرهم بوحدتهم في صباحهم ومسائهم كلما تضرعوا إلى ربهم وصلوا لخالقهم .. حتى اذا كانت اشهر الحج . نفر من كل طائفة الى بيت الله الحرام . ونزلت في ضيافة الله . والتقت القلوب على مائدة الرحمن . وتدانت النفوس خاشعة امام خالقها وباريها . وقالوا مجتمعين في صوت واحد . وفي صعيد واحد . وبقلب واحد خاشع : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وكأنما هم يستأذنون في بيت ربهم .

ويدخلون في الحرم الآمن (**أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم**) العنكبوت /٦٧ . فتتجلى الوحدة الجامعة . والأخوة الطائعة والقلوب المتلاقية . والعبادة الروحية . فتتأكد روابط الاخوة بين المسلمين . وينطلق التعاون بينهم وثيقا .. وتتوطد الصلات والعلاقات بين مختلف شعوب الأمة الاسلامية . ويشعر المسلمون اجمعون بانهم قد حضروا ندوة ربهم . فتتجمع على محبة الله وعبادته . وفي هذا الصعيد المبارك يقف الجميع بلا فوارق ولا تمييز . فلا فرق بين شرقي وغربي وأبيض وأسود وجنس وجنس . ولا فرق بين غني وفقير فالاغنياء بجانب الفقراء والملوك بجانب البسطاء والاقوياء بجانب الضعفاء . شعورهم واحد . وآمالهم واحدة . ووجهتهم واحدة فالجميع سواء في جوار رب العالمين يطوفون بيته ، ويسعون بين الصفا والمروة ، ويذكرون الله عند المشعر الحرام ، وفي كل مكان مقدس ، أمرهم الله بالذهاب اليه في الحج .

مؤتمرات كبيرة لخير المسلمين :

ومن منافع الحج ، ان الحجاج يلتقون في هذه المواسم ، فهي مؤتمرات كبيرة يشهدها ملايين المسلمين في شتى بقاع الأرض من المشرق والمغرب ومن أقصى الأرض وادناها .

واذا كان المسلمون في البلد الواحد يلتقون في الاسبوع مرة في مساجدهم المحلية لتوثيق عرى المودة والاخوة والتعاون بينهم فان مواسم الحج مؤتمرات كبيرة تشهدها هذه الألوف ، بل الملايين القادمة من كل فج عميق ..انهم يأتون لمشاهدة هذه المنافع ، في هذه المؤتمرات العظيمة ، فيتبادلون التجارات ، ويتسابقون الى فعل الخيرات ويقفون على أحوال بلادهم الاسلامية ، ويطلعون على ما يجري في أوطانهم العربية ، وينظرون في أحوالهم ومصالحهم السياسية والاقتصادية والفكرية والعسكرية ويبحثونها على أساس من التعاون وتكتل الجهود ، وتوثيق عرى المودة ، والتساند والأخوة الاسلامية وذلك لحماية الأوطان الاسلامية من المعتدين والطامعين .

وتلكم هي المنافع التي أشارت إليها الآية الكريمة : (**ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام**) الحج / ٢٨ .

فالحج إذن من أعظم شعائر الاسلام وأبعدها أثرا في حياة المسلمين وأكثرها نفعا وفوائد لدينهم ودنياهم .. ومستقبلهم ..

وخير ما نختتم به حديثنا هذا عن الحج دعاؤنا إلى الله عز وجل أن يرزقنا حسن العمل ، وطيب القول ، وجميل الخلق ، واتباع ما أمر الله به من الهدى والخير والاقتداء برسوله الكريم فيما أوصى وترك ، لنعود من الحج طاهرين أنقياء ، مزودين بالتقوى والايمان وثمرات هذه المنافع .

مائدة القارئ

خير الزاد

قال تعالى : (**الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب** » الآية ١٩٧ من سورة البقرة .

أنت أنت

قال ابراهيم الخرساني : حججت مع أبي سنة حج الرشيد ، فاذا نحن به واقف حاسر حاف ، وقد رفع يديه وهو يرتعد ويبكي ويقول : يا رب أنت أنت ، وأنا أنا ، أنا العواد بالذنب ، وأنت العواد بالمغفرة ، فاغفر لي .

قال لي أبي : انظر الى جبار الأرض كيف يتضرع الى جبار السماء .

بخل ابي الاسود الدؤلي

سلم عليه أعرابي يوما ، فقال أبو الأسود : كلمة مقولة ، فقال : أتأذن في الدخول ؟ قال : وراءك أوسع لك ، قال : فهل عندك شيء ؟ قال : نعم ، قال : أطعمني ، قال : عيالي أحق منك ، قال : ما رأيت ألأم منك ، قال : نسيت نفسك .

هذا من كرمهم

قالت بنت عبدالله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة : ما رأيت ألأم من أصحابك اذا أيسرت لزموك ، واذا أعسرت تركوك ! فقال : هذا من كرمهم ، يأتوننا في حال القوة منا عليهم ، ويفارقوننا في حال الضعف منا عنهم .

دعاء

اللهم لا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي .
اللهم لا تكلني الى نفسي ولا الى الناس فأضيع .

بلاغ

وقف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطيبا في المسلمين يوم النحر فكان مما قال : « فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا ، وستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا ، يضرب بعضكم رقاب بعض ألا هل بلغت ؟ » قالوا : نعم . قال : « اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع » .

متفق عليه

شكر النعمة

قال أبو هرون : دخلت على أبي حازم فقلت له : يرحمك الله ما شكر العينين ؟

قال : اذا رأيت بهما خيرا ذكرته ، واذا رأيت بهما شرا سترته .

قلت : فما شكر الأذنين ؟

قال : اذا سمعت بهما خيرا حفظته ، واذا سمعت بهما شرا نسيته .

نادرة

يروى أن جحا أرسله أبوه ليشترى رأسا مشويا ، فاشتراه وجلس في الطريق ، فأكل عينيه ، وأذنيه ، ولسانه ، ودماغه ، وحمل باقيه الى أبيه ، فقال : ويحك ما هذا ؟ فقال : هو الرأس الذي طلبته ، فقال : فأين عيناه ؟ قال : كان أعمى ، قال : فأين اذناه ؟ قال : كان أصم ، قال : فأين لسانه ؟ قال : كان أخرس ، قال : فأين دماغه ؟ قال : فكان أقرع ؟ قال : ويحك رده وخذ بدله ، قال : باعه صاحبه بالبراءة من كل عيب !

فن تزيين القرآن الكريم والقصص الديني

للاستاذ محمد الحسيني عبد العزيز

لقيت الكتب والمؤلفات الدينيةوالمصاحف الشريفة اكبر عناية واعظم رعاية من رجال الفن والرسامين نظرا لمكانة هذه المخطوطات من قداسة لعلاقاتها بالدين الحنيف الذي له في النفوس اسمى منزلة وأرفع مكانة وتميزت الرسوم والزخارف التي تزين المصاحف والكتب الدينية من سيرة او قصص قرآني او حديث او فقه باعتمادها على الرسوم الهندسية والزخارف النباتية التي تستطيل اغصانها او افرع الاوراق وتمتد في جمال وتناسق بين الاوراق وتقابل مع غيرها وتماثل ينتزع الاعجاب والتقدير من المشاهد الذي يتمتع بهذا الفن الزخرفي الذي ابتكره الرسام المسلم وصار علما على الفن الاسلامي .

الرسوم والمداد الذهبي

وكما تميزت الزخارف بالاسلوب الهندسي او النباتي فانها لم تكتب على الورق كغيرها من الكتب بل نقشت على الجلد الممتاز من حيوان مشهور هو الغزال الذي يليق بمكانتها في النفوس ولم يقتصر الامر على هذا بل اختير لها المداد المذهب الذي يتولى الرسم به المذهب وهذا المداد الذهبي الذي يجيد المذهب صنعه من ورق الذهب مضافا اليه عصير الليمون الصافي النقي مع الماء الصافي النقي ويترك المزيج لمدة ساعة حتى يترسب الذهب وبعدها يصفى الماء عنه ويؤخذ ما رسب ويوضع في زجاجة بها زعفران وقليل من الصمغ المحلول بالماء ويكتب به وتحاط الحروف المكتوبة بماء الذهب بالحبر العادي الذي يحيط بالحروف المكتوبة احاطة تامة .

متى ظهرت الصور الدينية ؟

من اوائل الكتب الدينية التي زينت بالرسوم كتاب جامع التواريخ الذي الفه



● زخرفة لفاتحة الكتاب وسورة البقرة

الوزير المغولي رشيد الدين الذي نقله عن كتاب العالم المسلم الجويني الذي يعرف باسم « تاريخ حياة قاهر العالم » والمنصورية جانكيز خان الحاكم المغولي الذي استولى على بغداد حاضرة الدولة العباسية وكان هذا الكاتب مؤرخا مسلما اضطر ليجاري الملك الجبار جانكيز ويمدحه خوفا من بطشه ويؤكد ان سبب هزيمة المسلمين يعود الى ابتعادهم عن التمسك بدينهم الحنيف وشريعتهم السمحة وكتابهم المقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويرى رشيد الدين أن المغول بعد اسلامهم واستلائهم على الدولة العباسية يكملون الدولة الاسلامية ويعتبرون امتداد لحكمها .

المصاحف وتزيينها :

وضع الرسامون للمصاحف الكريمة خطة واسلوبا لتزيينها وتنميتها بطريقة تزيدها روعة وجمالا فكانت هناك اساليب لتزيين الفواصل بين سورة واخرى وطريقة اخرى بين كل اية والتي تليها هذا بالاضافة الى تزيين بداية المصحف نفسه عند سورة البقرة وزخرفة رابعة عند سورة فاتحة الكتاب كما كانت هناك زخارف مخصصة بين كل جزء من اجزاء المصحف الثلاثين وانصافها وارباعها واعشارها وكذلك عند مواقع السجود ولم يتفق الفقهاء او يوافقوا على تزيين

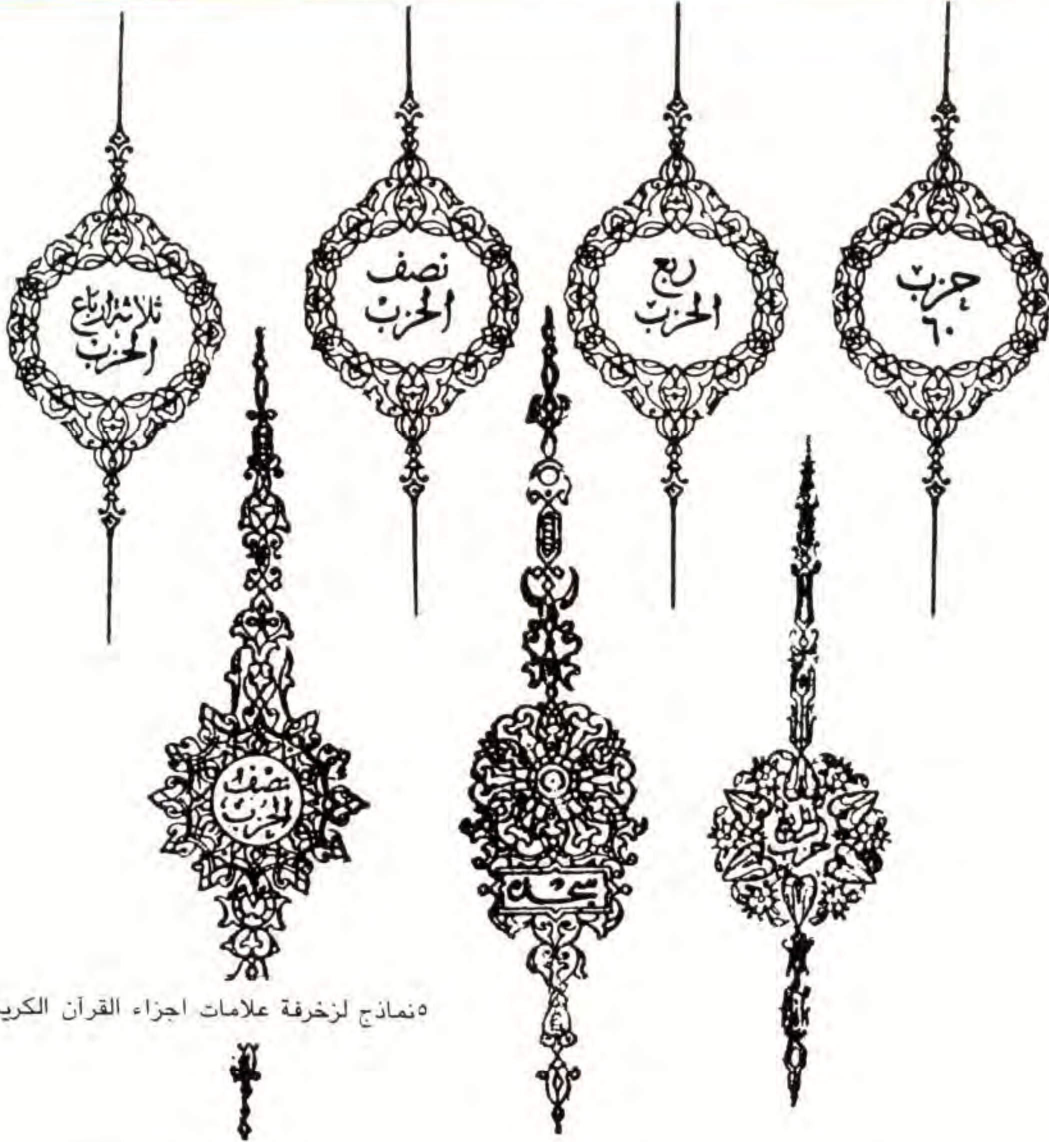


● زخارف رائعة لمقدمة احد المصاحف

المصاحف بالرسوم الهندسية والافرع النباتية الا في اوائل القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ونوعت الزخارف الهندسية وابتكرت طرز معينة فظهرت النجوم المسدسة او المثمنة متشابكة مع ما جاورها من زخرفة في تناسق وابداع فائق وكما ابتكرت انماط معينة من الزخارف الهندسية ابتدعت زخارف ورسوم نباتية مورقة ظهرت انواع من الخطوط مستحدثة في سائر انحاء الدولة الاسلامية وهجر الخط الكوفي الذي كان مقصورا على الكتابة في المصاحف تقديرا لقدسيتها ووجدت خطوط اسهل وايسر على القراء مثل النسخ الذي بدأ يظهر الى جانب خط الثلث في بلاد الشام ومصر المملوكية على حين ابتكر خط النستعليق الذي يجمع بين اصول خطي النسخ المملوكي والتعليق الفارسي في ايران وما جاورها . واقتصرت مهمة الخطاط على الكتابة اي كتابة ايات القران الكريم ويترك فراغا وفواصل بين الايات بعضها البعض وبين سورة واخرى بين اجزاء بعضها بعضا ليتولى المذهب المزخرف التفرغ لمهمة التنميق في وقت كاف لا يعترض سبيله الخطاط ونتيجة لهذا كان الابداع والوصول بفني الكتابة والزخرفة الى ارفع مستوى في الاداء والاجادة والاتقان .

الاساليب الزخرفية

كان المذهب يشعر بسعادة غامرة حين يعهد اليه بتذهيب احد المصاحف بل



٥نماذج لزخرفة علامات اجزاء القرآن الكريم

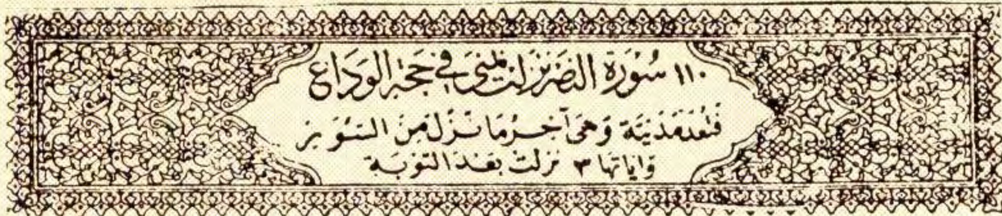
كان البعض يتنافسون على المصاحف لتذهيبها وهدفهم ليس العمل الفني بل اكتساب الثواب والشرف العظيم بتنميق احد المصاحف فهي التي تجمع بين دفتيها ايات القرآن كتاب الله المنزل على رسوله ودستور المسلمين والمصدر الاول لتشريعهم هذه الغبطة والسعادة تدفعه الى مزيد من الاجادة والاتقان ليحظى برضوان الله والناس اجمعين واذا كانت الرسوم الزخرفية قد اقتبست عن الاساليب الفنية القديمة الا انها اقتصرت على الزخارف النباتية والهندسية فقط لان الرسوم الاخرى كالطيور وغيرها لا يتتناسب وجودها مع المصاحف وفي هذا المنطلق اصبح التذهيب للمصاحف يحظى بالمقام الاول عند رجال الفن ففي هذا الميدان يتنافس المتنافسون ويعمل العاملون .

وفي المتاحف العالمية الاوروبية او الامريكية او العربية وفي دور الكتب نماذج رائعة تبهر زخارفها كل من يشاهدها لجمال الخط وتناسقه وبديع الزخارف وروعة التذهيب .

نماذج فنية لبعض المصاحف

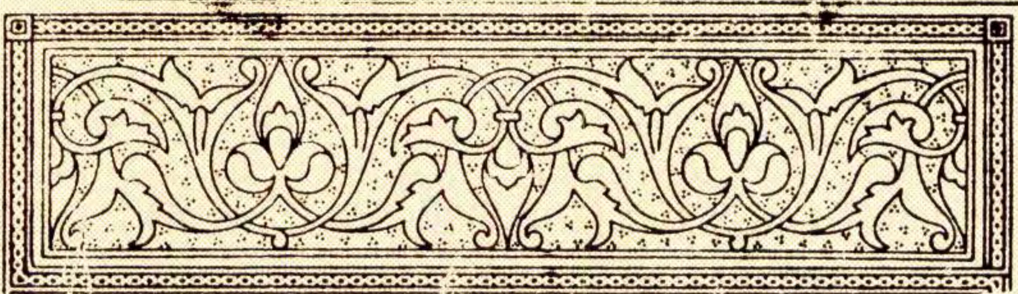
ويعتبر المصحف الذي ينسب الى السلطان اولجاتيو ثامن السلاطين في الدولة الايلخانية من اروع المصاحف واعظمها زخرفة وجمالا وقد كتبه ونسخة الخطاط عبد الله بن محمد عبن محمود الهمذاني عام ١٢٨٤م وكتب اجزاءه الثلاين بالمداد







● نماذج لتزيين الفواصل بين السور.





● زخارف هندسية ونباتية لنهاية صفحات المصحف

الذهبي .
وكانت تذهيب المصحف الشريف يقتصر اول الامر على اجزاء معينة من الصفحات مثل الاشرطة المستطيلة التي تفصل بين السور بعضها وبعض والفواصل بين الايات القرآنية وبعض الزخارف التي تحدد اجزاء المصحف واقسامه ويعتبر الشريط الذي يفصل بين السور اهم الزخارف وكان شكله مستطيلا لان المصاحف نفسها كانت صفحاتها مستطيلة التخطيط وعرضها اكثر من طولها وقد زينت الاشرطة بعناصر زخرفية مختلفة وكانت احيانا عبارة عن رسوم متشابكة او جدائل او رسوما هندسية من دوائر متداخلة او متماسة او متقاطعة او اشكال اخرى كالمعنيات والمربعات التي تقلد شكل قطع الفسيفساء ومرة ثالثة تشاهد من الرسوم عناصر معمارية كالعقود والاعمدة .

زخارف الصفحات الاستهلالية :

اهتم الرسامون والمزخرفون بتزيين الصفحات الاستهلالية بنجمة ذات ستة عشر زاوية كانها الشمس تنشر اشعتها الذهبية وتتوالد من امتداداتها اشكال هندسية متنوعة تملأ المربع المركزي الذي يحيط به اطار ضيق داخله رسوم نباتية وفي اعلى واسفل هذا المربع مستطيلان بهما ايات قرآنية كتبت بالخط الكوفي ويلي هذا المستطيلان من الخارج اطار يجمع الصفحتين المتقابليتين المتماثلتين في زخرفتهما عدا اختلاف الايات في المستطيلات العلوية والسفلية كما رسم المذهب حلية دائرية في هامش كل صفحة تمتلىء بالوحدات النباتية المتعانقة وهذه الحلية تتكرر في الهوامش عند اوائل الاجزاء وانصافها ويتفق هذا التصميم الزخرفي مع الرسم الاصلي للوحة الزخرفية الاستهلالية لمقابلتها لصورة النجمة التي تتوسط الرسم في اطارها الدائري لانها تشمل على نفس الزهور التي رسمت بشكل محور ويتجلى هذا الاسلوب الزخرفي بمصحف ارغون شاه في دار الكتب المصرية .
واما فواصل الايات فكانت مجرد دوائر على حين كانت علامات الاجزاء دوائر داخلها مربعات تتداخل لتكون اشكالا نجمية يدون من داخلها ما يدل على الجزء من المصحف .

الالوان المستخدمة

استخدم المذهب في الزخرفة اللون الذهبي والازرق والاخضر والاسود كما استخدم الاخضر الداكن والقرمزي والاصفر وقد بلغ فن التذهيب اسمى درجاته في العصر المملوكي في العراق والشام ومصر حيث كان على مقدار عظيم من الرقة والدقة والجودة والجمال في التناسق الهندسي وفي مجموعة الالوان المختارة مما يؤكد مدى نبوغ الخطاط والمذهب اللذان قدما هذه الروائع من الرسوم الزخرفية للمصاحف والتي حظيت باكبر اعجاب واعظم تقدير لمن يشاهدها في اي متحف من متاحف العالم من مؤرخي الفنون الذين سجلوا هذا في سجلات المتاحف ودور الكتب وفي المعارض الاسلامية التي تعرض فيها هذه النفائس الفريدة .

أكمل رسالة

للاستاذ: عبد العزيز قريش

من طبيعة الدعوات أنها لا توزن بميزان القوة والاندفاع ، أو الكثرة والاتساع ، وانما توزن بما قامت عليه من مبادىء ، وبما اشتملت عليه من قيم ، وبما تضمنته من أخلاق ومن هنا كانت عظمة الدعوة الاسلامية فهي رسالة تربية كما هي رسالة تشريع ، ورسالة سمو كما هي رسالة جهاد .. تهدف الى تنظيم الصلة بين الناس والناس ، وبين الناس ورب الناس ..

والدعوة الاسلامية ليست وحدها الآن في الساحة بل هناك نظريات وآراء ومذاهب وتيارات واتجاهات كلها تحاول التأثير في حياة الناس فكريا وثقافيا وعقائديا وحضاريا فأين مكان الدعوة الاسلامية بين هذه النظريات والتيارات والمذاهب والأفكار ؟

الدعوة الاسلامية هي الحق وليس بعد الحق الا الضلال .. هي النور وليس بعد النور الا الظلام ، هي الفضيلة وليس بعدها الا الرذيلة والهلاك والدمار .. وهي فوق هذا كله ليست مدنية من المدنيات فيها الخطأ والصواب وانما هي دعوة الله ألقاها على محمد صلى الله عليه وسلم من فوق سبع سموات وصدق الله العظيم: **(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)** الكهف / ٢٩ .

وهذه الدعوة واضحة وضوح الشمس في رائعة النهار .. ليس فيها كهنة ولا سدنة يخصون أنفسهم بالمعارف والعلوم والأسرار .. وحسبها وضوحا وجلاء أن قانونها الأساسي يعلن على الدنيا كل يوم خمس مرات : أشهد ألا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ..

وهذه الدعوة أقوى من كل قوى .. ويحدثنا التاريخ أنه لم توجه الحملات

لحرب دعوة من الدعوات كما وجهت للحرب ضد الدعوة الاسلامية ولم تنفق الأموال بسخاء وسرف كما أنفقت للقضاء على الدعوة الاسلامية . فالمرتدون ، والتتار ، والصليبيون واليهود وغيرهم كثيرون حاولوا القضاء على الاسلام .. ولكن على الرغم من كل هذه الحملات الحاقدة التي وجهت للأمة الاسلامية فقد بقيت الدعوة الاسلامية قوية أبدا ، ابية أبدا ، عزيزة أبدا ، لأنها موصولة بقوة الله التي لا تغلب ومدده الذي لا يزول .. دعا اليها محمد صلى الله عليه وسلم فبدد بها الأوهام ، وصحح بها الأفهام ومزق بها الظلام ، وبها استطاع أن ينشىء أمة ، ويضع تاريخا ، ويقيم حضارة حرستها رعاية السماء وأضاءت جوانبها مشاعل الانبياء ، وصانت انسانية الانسان من حيث هو انسان ، وقادت البشرية الى ربها على امتداد الزمان والمكان ..

ثلاث وعشرون سنة هي كل عمر النبوة فيها صار الاسلام عزيزا قويا ، له الصولة والدولة ، وله العزة والسيادة ، وله القيادة والريادة ، وله الدعاة والغزاة الذين عزبهم الحق ، وذل بهم الباطل ، وارتفعت بهم رايات الله ..

وقد تحمل صلوات الله وسلامه عليه في سبيل أداء الرسالة الكثير من الأذى والاضطهاد والتعذيب والتكنيب الى أن نصره الله في بدر ، ثم في الخندق ، ثم في مكة ، ثم في تبوك وغيرها ، ودان العرب لهذا الدين وما انتقل الى الرفيق الأعلى حتى كان شبه الجزيرة العربية قد عمه الاسلام الا طائفة قليلة من اليهود والنصارى ظلوا على دينهم ، ومنحهم الرسول صلى الله عليه وسلم الأمان على أنفسهم وأموالهم وشعائرهم .

ولم يتوقف الجهاد بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بل خرج المسلمون من بعده من المدينة وما حولها سيوفهم في أيديهم وايمانهم في قلوبهم ففتحوا مصر ونيلها ، والعراق وسوادها ، والجزيرة وفيافيها .. وعلى الرغم من قلة عَددهم وعُددهم الا أنهم كانوا بالله كثرة كاثرة وقوة ظاهرة .. هدفها الأسمى الجهاد في سبيل الله حتى تكون كلمة الله هي العليا ، ويكون كتابه دستور الحياة ..

وهم في قتالهم لم يكونوا مطالبين بنتائج القتال ، فالنتائج لله وحده ، وانما هم مطالبون فقط بالسير على نهج القرآن وصدق الله العظيم :(**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين**) البقرة / ٢٤٩ فالصبر على اقامة الحق والثبات عليه من أعظم أسباب النصر مهما كان عدد الصابرين قليلا ومهما كان عدد أعدائهم عظيما .. كما بين الله لهم غاية الفتح ، وسبب الجهاد ، فليس الجهاد في الاسلام من أجل استبداد الأمم ، واستعباد الشعوب ، أو التحكم في مصير الأفراد والجماعات ، وانما هو لاخراج الانسانية من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان الى عدل الاسلام وصدق الله العظيم :(**الذين إن**

مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) الحج / ٤١

والاسلام لا يتعرض بالقوة الا بالنسبة لمن يتعرضون له بالقوة : **(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)** البقرة / ١٩٠ . وحركة التاريخ تؤكد أن المسلمين السابقين لم يفتحوا الممالك والبلاد والأمصار بسيوفهم بقدر ما فتحوها بعدلهم ونبلهم وكريم شمائلهم فقد كانوا اسلاما يمشي على الأرض وكان كل مسلم يرى نفسه الانسان الرباني الذي ينطوي قلبه على قبس من نور الله ، ويعتبر نفسه منفذا لارادة الله حتى يلقاه منتصرا أو شهيدا .. إن حارب فحربه لله ، وان سالم فسلمه لله ، ولم يحاول المسلمون اكراه أحد على اعتناق الاسلام بل غاية ما فعلوه بالنسبة لمن رفضوا الاسلام أن فرضوا عليهم الجزية في مقابل تأمينهم على أنفسهم وأموالهم وشعائرهم امتثالا لقوله تعالى : **(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)** البقرة / ٢٥٦

فالاسلام سلم لمن سالموه ، وحرب لمن حاربوه ، وليس من وسائله أن يفرض المسلمون الاسلام على أحد بطريق القوة والقهر والاكراه ويتضح ذلك في الأمور الآتية :

١ ـ بين الله في القرآن الكريم .. وفي أكثر من آية من آياته البينات أن الاختلاف في العقائد والأديان امر فطري وغرزي عند الناس .. وكل محاولة لحمل الناس على دين واحد هي محاولة مقضي عليها بالفشل الذريع :**(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين . إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)** هود / ١١٨ ـ ١١٩ .. **(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)** المائدة / ٤٨ ، **(أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)** يونس / ٩٩ .

٢ ـ أعلن القرآن الكريم أن لكل واحد من البشر حرية اختيار عقيدته بمحض ارادته : **(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)** فلا يجوز لأحد أن يكره أحدا على اعتناق الاسلام ، ولكن الانسان اذا اختار الاسلام بمحض ارادته فليس من حقه بعد ذلك الموازنة بين رفضه أو قبوله بحال من الأحوال **(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)** الأحزاب / ٣٦ :**(ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)** البقرة / ٢١٧ .. وذلك لأن الردة تقع ضد الاسلام الذي يقوم عليه النظام الاجتماعي للمسلمين .. فالتساهل في هذا الأمر جريمة تؤدي الى زعزعة هذا النظام .. وروى عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحل دم

امرىء مسلم الا بثلاث . النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » متفق عليه .

٣ ـ أجاز الله في الأسرى أن يمن المسلمون عليهم فيطلقوهم ويهبوهم حياتهم بدون عوض أو يأخذوا منهم العوض والفداء : (**فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها**) محمد / ٤ .. وفي هذا تعليم للمسلمين أن يعطوا لمخالفيهم في الدين حق الوجود ، وأن يمنحوهم اياه حتى بعد اعتدائهم والقدرة عليهم وأسرهم .

٤ ـ حث الله المؤمنين على الرفق والسلم والحلم اذا ألقى أعداؤهم السلاح .. كما ألزمهم باحترام عقود الأمان بينهم وبين غيرهم فقال في سورة الأنفال : (**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم**) آية / ٦١ وقال في سورة النحل :(**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون**) آية / ٩١ وقال في سورة التوبة :(**كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين**) آية / ٧ .

٥ ـ بين الاسلام حقوق أهل الذمة والعهد من غير المسلمين المقيمين في الوطن الاسلامي ويربطهم بالمسلمين عهد مقدس أنهم متساوون مع المسلمين في الحقوق والواجبات ، وفي القوانين الجنائية والمدنية .. اما الأحوال الشخصية فيخضعون فيها لمعتقداتهم ان أرادوا ذلك ، وقد أعفاهم الاسلام من الزكاة واداء الخدمة العسكرية ، وفي الوقت نفسه فرض عليهم المشاركة في نفقات الدفاع عن الوطن الاسلامي ، واقرار امنه وسلامه .. وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا من ظلم معاهدا أوكلفه فوق طاقته أو انتقصه حقه أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة » ذكره أبو يوسف في كتاب الخراج .

٦ ـ أوضح القرآن الكريم أن الاختلاف في الدين لا يؤدي الى عدم البر بالمخالفين وتوليهم والعدل فيهم .. انما الذي يؤدي الى ذلك هو عدوانهم على المسلمين :(**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**) الممتحنة / ٨ ـ ٩ .

٧ ـ دعا الاسلام الى الصبر ولين الجانب والدعوة الى الله بالتي هي أحسن ـ كما حصر مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم في البلاغ :(**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة**

الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل / ١٢٥ .
(وإن تولوا فإنما عليك البلاغ) آل عمران / ٢٠ **(وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)** النحل / ١٢٦ **(وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله)** الشورى / ٤٠ .
وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : هل أتى يوم عليك كان أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيته يوم العقبة اذ عرضت نفسي على عبد يا ليل بن عبدكلال فلم يجبني الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق الا وانا بقرن الثعالب (مكان بين الطائف ومكة) فرفعت رأسي فاذا بسحابة قد أظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام . فناداني فقال : «ان الله تعالى قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فناداني ملك الجبال فسلم علي ـ ثم قال : يا محمد ان الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال . وقد بعثني ربي اليك لتأمرني بأمرك فما شئت ـ ان شئت أطبقت عليهم الأخشبين . فقال النبي صلى الله عليه وسلم (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئا)» متفق عليه .. والأخشبان جبلان بمكة ..
ولعل قائلا يقول ان ما ذكرته من دعوة الاسلام الى الرفق والحلم والسلم والصبر وعدم اكراه الناس على الدخول في الاسلام ربما يتعارض مع ما ورد في الدعوة الى الحرب والقتال والجهاد والنضال في قول الله تعالى : **(يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال)** الأنفال / ٦٥ وفي قوله تعالى : **(يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير)** التوبة/٧٣ وفي قوله تعالى: **(فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما)** النساء / ٧٤ وفي قوله تعالى: **(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين)** التوبة / ٣٦ .
والحقيقة انه لا تعارض بين آيات السلم وآيات الحرب .. فالاسلام يسالم من يسالمونه ، ويحارب من يحاربونه .. وأعداء الاسلام اذا ناصبوا المسلمين العداء .. وحاربوهم ، وظلموهم ووقفوا في وجه الدعوة الاسلامية وصدوا الناس عنها ، وحرموهم منها فهؤلاء أباح الاسلام قتالهم ، بل أمر به وحض عليه ، لأنه ليس من حق أحد أن ينتظر من الاسلام أن يسالم من حاربوه ، أو يهادن من عادوه .. أو يتهاون مع الذين صدوا الناس عن الاذعان له ، كما أنه ليس من حق أحد أن ينتظر من المسلمين ان يقفوا مكتوفي الأيدي وأن يمدوا أعناقهم للذبح ، ويسلموا أرضهم وعرضهم للطغاة البغاة لأن ذلك يتناقض مع طبيعة الوجود وسنن

الحياة ، وقديما قال الشاعر :

والناس ان ظلموا البرهان واعتسفوا
فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

وعلى الرغم من وضوح ذلك فقد راح أعداء الاسلام يدعون أنه مسعر حرب ، وأنه قوة غاشمة ولو انطلقت من عقالها فانها ستدمر الأخضر واليابس ، وتزلزل دعائم الحضارة ، وتقضي على كل ما وصلت اليه الذهنية البشرية من ابداعات على كافة الأصعدة والمجالات .. كما راحوا أيضا يشيعون عن الاسلام انه دين مرحلي . ان صلح لمرحلة لا يصلح لأخرى ، وأن هدفه الاول والأخير هو ربط العبد بربه ، ثم لا شأن له بعد ذلك بشئون الحياة ، وأن المسلم اذا أدى ما عليه من صلاة ، وأخرج ما عليه من زكاة فهو تقي نقي له جنة عرضها السموات والأرض ، وحور عين يملأن الآفاق .. وأصبح شعارهم :
أعط ما لقيصر لقيصر . وما لله لله ..
وغاب عنهم أنه ليس لقيصر شيء ، وانما الأمر كله لله .. فالأمر أمره ، والحول حوله ، والطول طوله ، والعزة والذلة من مشيئته ، وانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .
وفي هذه المرحلة الحاسمة التي تعيشها أمتنا الاسلامية علينا أن ندرك أننا بين أمرين لا ثالث لهما .. وهما المحو من صفحة الحياة الرشيدة السديدة ان ظللنا نعرف اسلامنا بالقول ونعزف عنه بالفعل .. وقنعنا منه بتمتمات وهمهمات لا أثر لها في العقل والفكر والسلوك والوجدان واما العودة الحاسمة والسريعة الى اسلامنا بكل ما فيه من عبادات ومعاملات ، ونظم وتشريعات حتى نكون قوة عالمية ترتجى .. والسبيل الى ذلك هو أن يعمد كل منا الى نفسه فيربيها على كتاب الله وسنة رسوله ، فان تغلبنا على أنفسنا كنا على غيرنا أقدر ، وان عجزنا عنها كنا عمن سواها أعجز ..

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فاذا انتهت عنه فأنت حكيم

وبعد ان نصلح أنفسنا علينا أن نصلح غيرنا امتثالا لقول الله تعالى: **(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)** آل عمران / ١٠٤ وعلى مؤسساتنا التربوية ، وانديتنا الرياضية ، ومراكزنا الاسلامية ، ونوادينا الثقافية ، وأجهزتنا الاعلامية ، ومسارحنا الفنية أن تقوم بترسيخ القيم الاسلامية بكل ما تدعو اليه من نقاء وصفاء ، وبكل ما تتضمنه من تعاون كريم ، وطريق قويم ، وصراط مستقيم .. ولنعلم تمام العلم أن الحضارة دورات فلكية تشرق هنا لتغرب هناك ، وقد آن الأوان لتشرق حضارة الاسلام ، وهي حضارة ستمزق الحجب التي تحول بين المسلمين وفجرهم الباهر الوضاء ليعودوا الى مكانهم الطليعي في قيادة العالم كما كانوا فيما مضى من الزمان: **(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)** يوسف / ٢١ .

الصرف وبيع العملات

الصرف هو بيع الاثمان بعضها ببعض والاحاديث الشريفة التي تبين احكامه كثيرة مشهورة ومنها ما رواه عبادة بن الصامت ــ رضي الله تعالى عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ــ انه قال : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد » رواه مسلم .

وعن ابي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم قال : « لا تبيعوا الذهب بالذهب الا مثلا بمثل ولا تُشِفّوا بعضها على بعض ولا

للدكتور/علي احمد السالوس

تبيعوا الورق بالورق الا مثلا بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض ولا تبيعوا منهما غائبا بناجز » متفق عليه . وعن ابي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال : نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم عن الفضة بالفضة والذهب بالذهب الاسواء بسواء وامرنا ان نشتري الفضة بالذهب كيف شئنا ونشتري الذهب بالفضة كيف شئنا » اخرجه الشيخان .

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الذهب بالورق ربا الاهاء وهاء » متفق عليه و « هاء وهاء » اي خذ وهات وعن ابي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :« الدينار بالدينار لافضل بينهما والدرهم بالدرهم لافضل بينهما » اخرجه مسلم .

هذه بعض الاحاديث الشريفة التي تبين احكام الصرف ويؤخذ منها ان الصرف كي يتم صحيحا بغير ربا يشترط ما يأتي :

اولا : التماثل بغير زيادة او نقصان عند تبادل ذهب بذهب ومثله دينار بدينار او فضة بفضة ومثلها درهم بدرهم ويسقط هذا الشرط اذا كان بيع الذهب او الدينار بالفضة او الدرهم وبيع الفضة او الدرهم بالذهب او الدينار .

ثانيا : القبض في المجلس قبل الافتراق فلا يباع غائب بحاضر ولا يتأخر القبض وانما هاء وهاء ويدا بيد .

فاذا افترق المتصارفان قبل ان يتقابضا فالصرف فاسد بغير خلاف .

والنقود التي كانت موجودة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم كانت من الذهب وهي الدينار او من الفضة وهي الدرهم وعلى اساس هذه النقود حدد نصاب الزكاة زكاة النقود وشرعت احكام الصرف . وتطورت النقود على مر العصور حتى وصلت الى ما نراه اليوم فكيف يتم تحديد نصاب زكاتها ؟ وما احكام بيعها وشرائها ؟

النصاب بحثه علماء المسلمين المشتركون في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٥) وقرر المؤتمر ما يلي :

« يكون تقويم نصاب الزكاة في نقود التعامل المعدنية واوراق النقد والاوراق

النقدية وعروض التجارة على اساس قيمتها ذهبا فما بلغت قيمته من احدها عشرين مثقالا ذهبيا وجبت فيه الزكاة وذلك لان الذهب اقرب الى الثبات من غيره ويرجع في معرفة قيمة مثقال الذهب -بالنسبة الى النقد الحاضر- الى ما يقرره الخبراء » .

وفي جمادي الثانية سنة ١٣٩٩ (مايو سنة ١٩٧٩) عقد في مقر بنك دبي الاسلامي مؤتمر مصرفي واتخذ المشتركون من علماء الشريعة ورجال القانون والاقتصاد عدة قرارات منها القرار التالي :

« الاستمرار في المعاملة الخاصة ببيع وشراء العملات وذلك على الصورة المشروحة والموضحة في بيان اعمال البنك لانها من قبيل المصارفة وتطبق عليها احكام الصرف المحددة في فقه الشريعة الاسلامية" اذن احكام الصرف تطبق على بيع وشراء العملات وهذا ما تسير عليه المصارف الاسلامية التي تخضع للرقابة الشرعية لكل بنك وللرقابة الشرعية العليا لاتحاد البنوك الاسلامية وهو ما اقره المؤتمر المذكور .

ومع ان احكام الصرف واضحة غير ان مشكلات برزت بالنسبة لتبادل وبيع هذه العملات بعضها ببعض وعلى الاخص بعد قيود النقد التي تفرضها بعض البلدان ولعل اظهر هذه المشكلات تبادل نقد حاضر مما يسمى بالعملات الحرة بنقد آخر يخضع للقيود .

ومن المفيد هنا ان نذكر شيئا حدث على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم :

فعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : « اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت اني ابيع الابل بالبقيع فابيع بالدنانير وآخذ الدراهم وابيع بالدراهم وآخذ الدنانير فقال : لا بأس ان تأخذ بسعر يومها ما لم تفترقا وبينكما شيء » رواه احمد واصحاب السنن الاربعة وفي لفظ بعضهم : « ابيع بالدنانير وآخذ مكانها الوَرِق وابيع بالوَرِق وآخذ مكانها الدنانير .

فابن عمر كان يبيع الابل بالدنانير او بالدراهم وقد يقبض الثمن في الحال وقد يؤجل لان مثل هذا البيع يجوز فيه الاجل كما يجوز فيه السلم ولكن عند قبض الثمن قد لا يجد مع المشتري بالدنانير الا دراهم وقد يجد من اشترى بدراهم ليس معه الا دنانير وهنا تأتي عملية الصرف ويأتي حكم الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا بأس ان تأخذها بسعر يومها ما لم تفترقا وبينكما شيء » فالاخذ بسعر يومها والقبض قبل الافتراق بدون تأجيل .

وابن عمر الذي عرف الحكم من الرسول صلى الله عليه وسلم سأله بكر بن عبد الله المزنى ومسروق العجلي عن كَرِيّ لهما -اي اجير – له عليهما دراهم وليس معهما الا دنانير فقال ابن عمر اعطوه بسعر السوق .

وان كان المال الذي في الذمة مؤجلا وقبل الموعد اراد ان يعجل بالدفع – فما الحكم اذا تم هذا مع الصرف – فاستبدل الدراهم بدنانير او الدنانير بدراهم ؟

قال صاحبا المغني والشرح الكبير :

« فان كان المقضى الذي في الذمة مؤجلا فقد توقف احمد فيه وقال القاضي : يحتمل وجهين: احدهما المنع، وهو قول مالك ـ ومشهور قولي الشافعي لان ما في الذمة لا يستحق قبضه فكان القبض ناجزا في احدهما والناجز يأخذ قسطا من الثمن والاخر الجواز وهو قول ابي حنيفة ، لانه ثابت في الذمة بمنزلة المقبوض فكأنه رضي بتعجيل المؤجل والصحيح الجواز اذا قضاه بسعر يومها ولم يجعل للمقضي فصلا لاجل تأجيل ما في الذمة ، لانه إذا لم ينقصه عن سعرها شيئا فقد رضى بتعجيل ما في الذمة بغير عوض فاشبه ما لو قضاه من جنس الدين ولم يستفصل النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر حين سأله ولو افترق الحال لسأل واستفصل (٤/ ١٧٣ ـ ١٧٤) والصحيح الذي ذهبا اليه يعني ان الصرف جائز بشرط ان يكون بسعر يومها ولا يجوز ان يختلف السعر في مقابل الزمن نتيجة تعجيل المؤجل ومثال هذا اذا كان ما في الذمة مائة دينار واستحقاق الدفع بعد عام فأراد المدين ان يعجل بالقضاء ويدفع الان ورضي الاثنان ان يكون الدفع بالدراهم بدل الدنانير وكان سعر السوق : الدينار بعشرة دراهم فعلى المدين اذن ان يدفع الف درهم، وهنا يقع الصرف صحيحا ولا اثم عليهما اما ذا ارادالمدين ان يكون الصرف الدينار بتسعة دراهم وعلى هذا يدفع تسعمائة درهم فقط فلا يجوز هذا شرعا لان مائة الدرهم التي خفضت انما هي ثمن للزمن وعوض عن تأجيل المبلغ مدة عام .

وهذا بالنسبة لتعجيل المؤجل اما التأجيل في الصرف فما اجازه احد لانه يخالف ما امر به الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفي ايامنا هذه وجدنا بعض المسلمين يقعون في خطأ فادح حيث تباع العملات مع الاجل نظير زيادة في الثمن عن السعر اليومي المتداول فمثلا يريد احدهم استبدال مائة دينار كويتي بجنيهات مصرية فيقال له : السعر الحالي الدينار بجنيهين ونصف واذا دفعت الان واخذت المقابل بعد شهر يحسب لك الدينار بجنيهين وستين قرشا وإذا أجلت شهرا آخر يحسب لك بجنيهين وسبعين قرشا وهكذا يزيد السعر كلما زاد الاجل

والخطأ الفادح هنا في شيئين :

اولهما : التأجيل ، فالقبض شرط لصحة الصرف باتفاق الفقهاء لاحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثانيهما : جعل زيادة في الثمن في مقابل زيادة في الاجل وهذا هو الربا بعينه : في شكله وفي جوهره وان لم يكن هذا ربا فما الربا اذن ؟!

ولذلك وجدنا المصارف الاسلامية التي تخضع للرقابة الشرعية حذرة من الوقوع في مثل هذا الخطأ ونضرب مثلا ببيت التمويل الكويتي :

جاء في الدليل الذي اصدره « يتم بيع العملات بما يعادلها على اساس البيع النقدي بالاسعار اليومية السائدة خدمة للزبائن في هذا المجال ».

فمسلك بيت التمويل الكويتي في بيع العملات على اساس الاسعار اليومية السائدة يدل على يقظة الرقابة الشرعية .

وتبقى هنا مشكلة تبادل نقد حاضر مما يسمى بالعملات الحرة بنقد آخر يخضع للقيود، وحل هذه المشكلة سهل ميسر، متى اردنا الحل مبتعدين عن الربا وشبهه :

فالتبادل يتم بسعر السوق وهذه نتيجة حتمية لعدم وجود الاجل فكيف يتم القبض في المجلس ؟ وكيف يفترقان وليس بينهما شيء ؟

الذي يحدث عادة عندما يقوم احد ببيع عملة حرة بما يقابلها من عملة تخضع للقيود انه يعطي المبلغ نقدا ويأخذ ما يقابله بشيك فخذ وهات هاء وهاء تتحقق هنا في قبض العملة من جانب وقبض الشيك من الجانب الأخر، ولكن يشترط هنا حتى يتم القبض شرعا ان يكون الشيك مكتوبا بالمبلغ الذي تم الاتفاق عليه وان يكون مؤرخا للسحب في اليوم نفسه وسواء بعد هذا ان يقدم الشيك للبنك في اليوم الذي تم فيه الصرف وهو متعذر غالبا، وان يؤجله صاحبه لوقت لاحق مادام القبض في المجلس قد تم وبهذا نساير طبيعة العصر بغير مخالفة للشرع وبغير وقوع في ربا او شبهة ربا .

وقد يتم تحويل العملة عن طريق حوالة مصرفية وهذا له ما يشبهه في القديم وهو ما يعرف باسم « السُّفْتَجَة » (بضم السين وسكون الفاء وفتح التـاء) والسفتجة : ان يعطي آخر مالا وللآخر مال في بلد المعطي فيوفيه اياه هناك فيستفيد امن الطريق .

والسفتجة وما شابهها من باب الخدمات التي تؤدي والتيسير على الناس والرفق بهم ومراعاة المصالح العامة .

اما اذا جئنا الى تحويل العملات : فيجب ان يتم اولا الاتفاق بحسب السعر اليومي السائد ويحدد المبلغ الذي يدفع وما يقابل هذا المبلغ بالعملة الاخرى ثم يتم القبض ، قبض كل من العملتين حتى لايفترق المتصارفان وبينهما شيء .

فاذا لم يتيسر قبض احدى العملتين لضرورة من الضرورات حل محل العملة : شيك او حوالة او سفتجة او غيرها مما يقوم مقامها .

اما من تعمد التأجيل في مقابل زيادة في سعر الصرف كلما زاد الزمن فنخشى ان يكون ممن يأذن بحرب من الله ورسوله !

والتحويل الربوي للعملات الذي أشرنا اليه ، يقوم به بعض المسلمين في الكويت ، ولا يتأثمون ولا يتحرجون ، نتيجة لفتوى صدرت من أحد السادة علماء الوعظ الاجلاء . وسئل الشيخ عن فتواه ، فبين وجهة نظره ، ودافع عنها في حديث مسجل على (شريط كاسيت) ، ويسعى بعض المشتغلين بالتحويل الى نشر هذا الشريط على نطاق واسع .

استمعت الى الشريط ، وخلاصة ما جاء به هو ما يلي :

١ ـ التحريم بالنسبة للذهب والفضة ذكر بغير تعليل ، فيبقى الحكم بغير

تعليل ، والتحريم بالنسبة لهما سواء أكانا عملة أم غير عملة ، والحكم منصب عليهما فلا ينصرف الى غيرهما .

٢ ـ الورقة النقدية ليست ذهبا ولا فضة ، ولو اعتبرناها ذهبا أو فضة لوقعنا في مشكلة ، فالتعامل بهذه الاوراق لا يتحقق فيه التماثل ولا القبض في المجلس .

٣ ـ اذا كان تحويل العملات يتم بسعرين : سعر للمعجل ، وسعر أعلى للمؤجل ، فهو حلال ، لأن العملة الحالية كالسلعة ، يجوز فيها السلم ، كما يجوز فيها البيع المؤجل ، مع اختلاف السعر (واعتبر العملة كذلك كمبيالة) .

٤ ـ الاوراق النقدية تعتبر ذهبا أو فضة في حالة الزكاة فقط مراعاة لمصلحة الفقير ، لأن الزكاة في المال النامي .

٥ ـ اذا أعطى شخص كمبيالة بمبلغ نظير كمبيالة بمبلغ أكبر مع الاجل ، فهذا ربا : لأن الكمبيالة الثانية هي مال المعطى وزيادة ، فهو قرض جر نفعا .

هذه خلاصة ما استمعت اليه ، الى جانب رأي له في فوائد البنوك ، لا حاجة الى ذكره أو مناقشته ، لأن هذا الموضوع بحثه مجمع البحوث الاسلامية ، وأصدر فتواه نتيجة اجتهاد جماعي ، فنحن في غنى عن الاستماع لرأي الفرد .

والنقطة الاولى هي الاساس الذي قامت عليه الفتوى . ولا خلاف بين المسلمين فيما ذكره من التحريم بالنسبة للذهب والفضة ، سواء أكانا عملة أم غير عملة ، أما قوله في العلة فغير مسلم ، وكان الواجب يحتم عليه ـ فيما أرى ـ أن يبين أن هذا رأي خاص به ، وأنه يوافق أهل الظاهر نفاة القياس ، ويخالف جمهور الفقهاء .

فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نص على تحريم الربا في ستة أشياء ـ كما جاء في الاحاديث الكثيرة المشهورة ، والستة هي :

الذهب والفضة ، والبر والشعير والتمر والملح .

فقال أهل الظاهر : لا ربا في غير هذه الستة بناء على أصلهم في نفي القياس ، وقالوا ما عداها على أصل الاباحة لقول الله تعالى : **(وأحل الله البيع)** البقرة / ٢٧٥ .

واتفق القائلون بالقياس على أن ثبوت الربا في الستة بعلة ، وأنه يثبت في كل ما وجدت فيه علتها ، لأن القياس دليل شرعي ، فيجب (استخراج علة هذا الحكم واثباته في كل موضع وجدت علته فيه ، وقول الله تعالى : **(وحرم الربا)** البقرة / ٢٧٥ . يقتضي تحريم كل زيادة ، اذ الربا في اللغة الزيادة ، الا ما أجمع على تخصيصه .

ومع اتفاق العلماء على أن الربا يتعدى الاشياء الستة الى ما في معناها ، وهو ما يشاركها في العلة ، الا أنهم اختلفوا في العلة التي هي سبب تحريم الربا فيها .

والذي يعنينا هنا بيان علة التحريم في الذهب والفضة ، أما الاربعة الباقية فليس هذا موضع بحثها . ومما تجدر الاشارة اليه أن صاحب الفتوى قال بأن الفقهاء قاسوا جميع المطعومات على الاربعة المذكورة ، ولا ندري لماذا لم يشر الى

القياس بالنسبة للذهب والفضة ؟ ! على أن ما ذكره غير دقيق ، فللعلماء في هذا عشرة مذاهب ، وما ذكره هو أحد هذه العشرة . (راجع مذاهب العلماء في بيان علة الربا في الاجناس الاربعة . كتاب المجموع للنووي جـ ٩ ص ٤٠١ ـ ٤٠٣) ونترك هذه الاشارة لنأتي الى بيان علة الربا في الذهب والفضة .

ذهب الامام أبو حنيفة الى أن العلة هي الوزن ، أي كونه موزون جنس ، فيجري الربا في كل موزون بجنسه كالنحاس والحديد وغيرهما ، وبهذا قال الامام أحمد في احدى روايتين عنه .

وقال الأئمة : ما لك والشافعي واحمد في الرواية الثانية : العلة في الأثمان الثمنية ، فالثمنية وصف شرف ، اذ بها قوام الاموال ، فيقتضي التعليل بها .

والعلة هنا قاصرة على الذهب والفضة لا تتعداهما ، لانها في وقتهم لم تكن موجودة في غيرهما ، ولهذا قال الأحناف للشافعية :

علتكم قاصرة ، فانها لا تتعدى الذهب والفضة ، وهما الأصل الذي استنبطتم منه العلة ، فلا فائدة فيها ، فان حكم الأصل قد عرفناه ، وانما مقصود العلة ان يلحق بالأصل غيره .

وأجاب الشافعية :

ان مذهبنا جواز التعليل بالعلة القاصرة ، فان العلل اعلام نصبها الله تعالى للأحكام ، منها متعدية ، ومنها غير متعدية ، انما يراد منها بيان حكمة النص لا الاستنباط ، وإلحاق فرع بالاصل ، كما ان المتعدية عامة التعدي وخاصته . ثم لغير المتعدية فائدتان : احداهما : ان تعرف ان الحكم مقصور عليها ، فلا تطمع في القياس .

والثانية : انه ربما حدث ما يشارك الأصل في العلة ، فيلحق به .

والمهم هنا ان الأئمة ذهبوا الى التعليل ، وان اختلفوا في بيان العلة ، فليس صحيحا ما ذكره صاحب الفتوى من القول بأن الحكم لا يقبل التعليل .

واذا كان الأئمة الثلاثة لحظوا الثمنية في وقت لم يكن فيه مقياس للثمن الا الذهب والفضة ، فان هذا يدل على دقة الملاحظة وعمق التفكير ، وان الله ـ عز وجل ـ قد فقههم . والشافعية الذين قالوا منذ قرون : ربما حدث ما يشارك الاصل في العلة ، فيلحق به ، ما كانوا يتوقعون ان يزاحم الذهب والفضة ، ويصل الأمر الى ما وصل اليه اليوم .

واذا حاولنا في عصرنا ان نبحث عن علة تحريم الربا في الذهب والفضة والدينار والدرهم .. افنخطىء الثمنية ؟ الا نرى الاوراق النقدية تقوم بدور الدينار والدرهم ؟ الا تعتبر النقود في مختلف العصور وحدة معيارية تقاس بها قيم مختلف السلع والخدمات ؟ الم يلحظ الثمن عندما عرف الصرف بأنه بيع الأثمان بعضها ببعض في وقت لم يكن فيه الا الدينار والدرهم ؟

ولنترك عصر الأئمة المجتهدين لنعود الى عصر الصحابة الكرام ، ولنستمع الى قول ابي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه : « السلم بما يُقَوَّم به السعر ربا »

(انظر فتح الباري كتاب السلم ـ باب السلم الى اجل معلوم ٤/ ٤٣٥) وتأمل التعبير « بما يقوم به السعر » ، الا ينطبق هذا على النقود في جميع العصور ؟

ان الدينار الذهبي والدرهم الفضي قد انتهى دورهما في عصرنا ، وقام مقامهما العملات التي يتعامل بها الناس في شتى بقاع الأرض ، فأصبحت علة الثمنية من الظهور والوضوح بما لا يبقى مجالا لخلاف يعتد به .

وهذه العلة هي التي اخذ بها العلماء في مؤتمر المصرف الاسلامي بدبي ، حيث قرروا ان احكام الصرف تطبق على بيع وشراء العملات ، وهي التي اخذ بها هيئات الرقابة الشرعية بالمصارف الاسلامية ، وهي التي لحظها علماء المسلمين في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية حيث جعلوا زكاة النقود في العملات المعاصرة ، والقول بان الزكاة هنا لمجرد مراعاة مصلحة الفقراء قول مردود ، فمصلحة الفقراء لا تجعلنا نفرض زكاة غير مفروضة ، فما لم نأخذ بالعلة ونطبق حكم الزكاة والربا في الذهب والفضة على العملات المعاصرة فلا زكاة ولا ربا !

فتنتهي زكاة النقود بنهاية التعامل بالدينار الذهبي والدرهم الفضي ، وتقتصر على الذهب والفضة .

وما دامت العملات ليست اموالا ربوية ، ويجوز التبادل مع التفاضل والنسيئة فقل ان يقع ربا في عصرنا !

فنحن لا نكاد نسمع عن ربا معاصر في البُرّ والشعير والتمر والملح ، والربا الذي ارق مسلمي العصر ، وشغل العلماء في المؤتمرات الاسلامية ، انما هو في النقود . ولو صحت فتوى الشيخ فلا ربا في النقود اليوم ، وكان يكفي العلماء ان يأخذوا بمثل هذه الفتوى ، فيستريح المسلمون المتمسكون بدينهم ، وكل معاملة ربوية الان يمكن ـ نتيجة لهذا ـ ان تكون حلالا : إما كسلم ، او كبيع مؤجل ، وتختفي كلمة قرض ، وكلمة ربا ، ويحل محلهما : البيع المؤجل والسلم !

ونضرب مثلا بما ذكر في النقطة الخامسة ، وهي ان كمبيالة بمبلغ نظير كمبيالة بمبلغ اكبر مع الاجل يعتبر ربا ، لانه قرض جر نفعا .

وما دام الشيخ اعتبر العملات كالسلع والكمبيالات ، وقال بجواز السلم والبيع المؤجل ،فما سبق لا يعتبر ربا ، ولا حاجة للقول بانه قرض جر نفعا ، وانما هو بيع مؤجل او سلم : فمثلا كمبيالة بالف دينار ، تستحق الدفع المعجل ، تتبادل او تباع بكمبيالة اخرى ، بالف وخمسمائة دينار ، واجبة السداد بعد عام ، وهذا حسب اصل الفتوى ـ يعتبر حلالا .

وهكذا كل معاملة ربوية الان يمكن ان تكون حلالا كسلم او كبيع مؤجل ، وما اسهل ان تغير البنوك الربوية بعض الالفاظ في تعاملها لتصبح بنوكا اسلامية مطبقة لشريعة الله عز وجل !

ويبقى هنا ما ذكر في النقطة الثانية من انه مشكلة ، وما هو بمشكلة ، فالتماثل موجود عند اتحاد العملة ، وغير مطلوب عند اختلافها ، والقبض بينا من قبل كيف يتم ، ثم ليس هذا بمبرر لتحليل الربا .

اعتقد انني لست في حاجة الى ان اطيل في المناقشة ، ففيما ذكرت غني وكفاية . وما كنت احب ان اختلف مع صاحب الفتوى ، فهو رجل فاضل يثنى عليه كثير ممن استمعوا اليه في خطبه ومواعظه ، غير ان فتواه ارى انها جاءت في غير موضعها ، وآمل ان يعيد النظر فيها مرة اخرى كما آمل ان نقتنع بان من الخير والسداد اللجوء في مثل هذه الامور الى الاجتهاد الجماعي ، فهو اقرب الى الصواب ، واكثر بعدا عن الخطأ والزلل والشطط . واسوق هنا مثلا علنا نتعلم منه كيف تكون الفتوى . مجمع البحوث الاسلامي بحث في مؤتمره الثاني انواع التأمين ، ثم قرر ان التأمين التعاوني امر مشروع ، اما باقي انواع التأمينات فقد قرر المؤتمر الاستمرار في دراستها بواسطة لجنة جامعة لعلماء الشريعة ، وخبراء اقتصاديين وقانونيين واجتماعيين ، مع الوقوف قبل ابداء الرأي على آراء علماء المسلمين في جميع الاقطار الاسلامية بالقدر المستطاع . ونفذ القرار ، وتوالت اجتماعات هذه اللجنة في اكثر من سبعة عشر اجتماعا ، وقدمت تقريرها للمؤتمر الثالث ، فبحثه ، ثم قرر مايلي :

« يقرر المؤتمر فيما يتعلق بمختلف انواع التأمين لدى الشركات ان يستمر المجمع في استكمال دراسته للعناصر المالية والاقتصادية والاجتماعية المتعلقة به ، وان يستمر في الوقوف على آراء علماء المسلمين في الاقطار الاسلامية بالقدر المستطاع ، حتى يتهيأ استنباط احكام كل نوع من انواع التأمين ».

ونتيجة لهذا استمر البحث ، واعد الامين العام للمجمع استفتاء حول التأمين وزع على نطاق واسع في العالم الاسلامي .

وبعد **ست سنوات قدم الاستاذ الشيخ محمد احمد فرج السنهوري** بحثا ممتعا مستفيضا حول التأمينات ، ذكر فيه نتيجة الاستفتاء ، وعرض خلاصة للآراء المختلفة منذ بدء محاولة استنباط حكم التأمين في الشريعة الاسلامية في النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجري ، ثم طالب المجمع بتنظيم وسائل الاجتهاد الجماعي ، واذا ما تم وضع هذا التنظيم ، نظر المجمع في جميع المسائل التي اثيرت في بحوث التأمين واحدة بعد الاخرى .

ثم قال في ختام بحثه :

« ان امر التحليل والتحريم عظيم جلل ، وامر الصحة والفساد جد ليس بالهزل ، وليس شيء اضر بالاسلام والمسلمين من الرأي الفطير ، والقول المتسرع ، لم ينل حظه من الروية والتدبر ، وعميق التفكير . واذا اعطينا الاستنباط حظه من ذلك ، فلا علينا ان يكتب كاتب ، او يذيع مذيع ، ان اهل الفقه اليوم متراخون ، ولا يؤدون له حقه ، ذلك ظن الذين لم يحسنوا التدبر ، ولا يعرفون فيم يتحدثون . رحم الله ابا حنيفة والشافعي ، ورحم الله مالكا والاوزاعي ، ورحم الله الثوري واحمد ، ورحم الله امثالهم من ائمة الهدى الذين عرفنا من طرائقهم ما يجب ان يسلكه من يتصدى لاستنباط الاحكام .

سدد الله الخطا ، وهدانا جميعا الى سبيل الرشاد .

عيد الأضحى

للأستاذ / يوسف زاهر

جَلَّ هذا العيدُ عن كلِّ ثناءْ — وعَلا بالفضل هاماتِ الفضاءْ
وازدهى فَخراً بمَا سطَّره — في جَبينِ الدهْرِ من آيٍ وِضَاءْ
منذ أن وافَ « خليلَ اللهِ » في — صادق الأحلامِ قُدْسيُّ النداءْ
يَا « خليلَ اللهِ » قمْ فاذبحْ لنَا — ابنك اسماعيل قربان الولاءْ
قامَ إبراهيمُ مذهولاً يرَى — مَشرقَ الأصباح فيضًا من دِمَاءْ ..
ويَخَالُ الوُرْقَ في تغريدِهَا — نائحاتٍ فَوقَ أجداثِ الفَنَاءْ
يا لهذا الوالدِ البرِّ الذي — صِيغَ من حُبٍّ وعَطفٍ وصَفاءْ
كيف يَقْوَى أن يُضحِّي بابْنِهِ — دونَ ما ذَنْبٍ جَنَاهُ ، أو عداءْ ؟!
وابنُه طفلٌ غريرٌ لم يذقْ — غَيرَ طعمِ الحبِّ ، أو رَجْعِ الغِنَاءْ
غيرَ أن الطفلَ لما أن وَعَى — سرَّ ما يَلْقَى أبُوه من عَنَاءْ ..
قال : فَلْتَفْعَلْ آبي ما ينبغي — سوف تلقاني صبُورًا في البَلَاءْ
ورأى الرحمانُ تصديقَ الرُّؤَى — في يقينٍ ليس يَعْروه مِراءْ ..
فافْتَدى بالذِّبْح نفسًا خَلَّدتْ — في سجل المجدِ دستورَ الفِدَاءْ
ورعاهَا وَهْيَ تَبْني كَعبةً — مَعْ أبيهَا في سرورٍ وانْتِشَاءْ
فتُحِيل الجَدْبَ روضًا يانعاً — زَهرُهُ نُسْكٌ وحَجٌّ ودُعَاءْ !!

حقوق الفقراء في الاسلام

للاستاذ/ محمد عطية الابراشي

حقوق الفقراء في اموال الاغنياء :

لقد حدد الاسلام حقوق الفقراء في اموال الاغنياء ، وفرض الزكاة على الاثرياء حتى يستطيع السائلون والمحرومون ان يعيشوا في مستوى يليق بالانسانية وكرامتها .

وقد حارب سيدنا ابو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ الاغنياء من المسلمين الذين امتنعوا عن دفع الزكاة واجبرهم على ادائها لرعاية الفقراء والمساكين وقد وصف الله المحسنين الابرار في قوله تعالى :

(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) الحشر / ٩

اي ويفضلون الفقراء على انفسهم ولو كانوا محتاجين الى ما يقدمونه لغيرهم وقد كانت السيدة فاطمة الزهراء وزوجها علي كرم الله وجهه والسيدة عائشة الصديقة بنت الصديق ـ يفضلون الفقراء والمساكين على انفسهم .

قال تعالى : **(الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لايتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)** البقرة / ٢٦٢ .

فالاسلام يحث على التصدق والاحسان الى المحتاجين ابتغاء مرضاة الله ولا يكتفي بذلك بل يرينا المثل العليا للاحسان بان نحسن سرا ولا نمن على المحسن اليه ولا نعيره بنكران الجميل بحيث لا تعرف يمين المحسن ما اعطت شماله.ولهذا النوع من المحسنين حسن الثواب وحسن العاقبة من المنعم جل شأنه .

الاسلام دين البر والاحسان :

ان الاسلام قد نادى بالبر والاحسان الى المحتاجين من الاقارب واليتامى والفقراء والمساكين والبائسين والتبرع لهم بنفس راضية بحيث لاتعرف شمال المحسن ما اعطت يمينه .

قال الرحمن الرحيم : **(وآتي المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب)** البقرة/ ١٧٧ .

ومن النبل في الاسلام ان البر او الاحسان لم يجعل مقصورا على المسلمين او خاصا بهم بل اجاز ان نكون بارين بمن يختلفون معنا في الدين وهذا هو المثل الاسمى في الانسانية وهذه هي العظمة الاسلامية حيث لاتعصب ولا طائفية .

انظر الى قوله تعالى :

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) الممتحنة /٨ .

اي لاينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم — ان تبروهم وتفعلوا كل خير فيه ادخال السرور عليهم ولو باالكلمة الطيبة ولا ينهاكم عن ان تعطوهم قسطا من اموالكم على سبيل البر بهم .

الاسلام يوجب الانفاق على الاسرة من زوجة واولاد وخدم :

الاسلام يتطلب من الانسان ان ينفق على اسرته ممَا اعطاه الله ويثيبه على ما ينفقه ويعوض عليه اكثر مما اعطى .

وان ما ينفقه على زوجه واولاده وخدمه اعظم اجرا عند الله من الاوجه الاخرى للانفاق في سبيل الله ومن كرم الله جل شأنه ان يثيب الانسان على ما ينفقه على اهله اذا قصد بالنفقة وجه الله ومرضاته والاقارب يبدأ بهم عند التصدق لان في التصدق عليهم صلة للرحم وصدقة،وان اليد التي تعطى خير من اليد التي تسأل وتطلب احسانا،ومن يبتعد عن السؤال يجعله الله عفيفا ويغنه عن الاحتياج الى غيره فالاسلام يدعو الى الاحسان ويشجع على عزة النفس والمحافظة على كرامة الانسان .

فالاسلام يوجب على الرجل ان ينفق على زوجه واولاده من بنين وبنات وعلى خدمه بقدر استطاعته مما اعطاه الله .

قال الله تعالى : **(وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف)** البقرة / ٢٣٣ .

وقال تبارك وتعالى : **(لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لايكلف الله نفسا إلا ما آتاها)** الطلاق /٧ .

وقال عز من قائل : **(وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين)** سبأ / ٣٩ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك أعظمها أجرا الذي انفقته على اهلك » رواه مسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم : « اذا انفق الرجل على اهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة » رواه احمد والنسائي .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ من حديث طويل ــ وانك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا اجرت بها حتى ما تجعل في في امرأتك » رواه احمد .

وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم : « افضل الدينار دينار ينفقه الرجل على عياله ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله ودينار ينفقه الرجل على اصحابه في سبيل الله » رواه مسلم وابن ماجة .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما : اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر : اللهم اعط ممسكا تلفا » رواه مسلم .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول ، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله » رواه البخاري .

إن الاسلام يدعو الى :

البر ، وزيارة المريض ، والاحسان الى المحتاج ، واطعام من يطلب الطعام ، وتقديم الماء للظمآن .

فقد ورد في الحديث القدسي ان الله جل شأنه يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني .

فيقول ابن آدم : يا رب كيف اعودك وانت رب العالمين ؟ فيقول الله : « اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده ؟ اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني !».

فيقول ابن آدم : يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين ؟

فيقول الله : « اما علمت ان عبدي فلانا استطعمك فلم تطعمه ؟ اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني ! فيقول ابن آدم : يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين ؟

فيقول الله : « استسقاك عبدي فلان فلم تسقه اما علمت انك لو سقيته لوجدت ذلك عندي ؟» رواه مسلم .

فالله رؤوف رحيم بعباده، والاحسان اليهم كأنه احسان الى الله جل شأنه فالاسلام مثالي في العطف على الانسانية والشفقة على المحتاجين والدعوة الى ترك الاثرة وحب النفس والتفكير في المريض والجائع والظمآن من بني الانسان. فالاحسان غاية الاسلام والرحمة مقصده، والدفاع عن الفقراء والمعوزين مبدؤه، والاخاء روحه والاخوة الانسانية الشاملة مثله السامي .

قال رب العالمين : **(إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)** الانبياء /٩٢ .

وقد هدد الاسلام الاثرياء والبخلاء القساة القلوب الذين يكنزون الذهب

والفضة ، ويحبون المال حبا جما ، ولا يتصدقون على فقير ، ولا يعطفون على يتيم ، ولا يطعمون اي مسكين ، ولا يتبرعون لمشروع خيري ، كاقامة مدرسة لنشر التعليم وانشاء مستشفى لعلاج المرضى ، وملجأ لايواء العجزة والضعفاء .

قال الرحمن الرحيم : **(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)** التوبة / ٣٤و٣٥ .

فالاسلام يحارب جمع الذهب والفضة لخزنهما ويحث على انفاقهما والتبرع بمقدار معين منهما للمشروعات الخيرية ابتغاء مرضاة الله .

وقال عز من قائل : **(كلا بل لا تكرمون اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين . وتأكلون التراث أكلا لما . وتحبون المال حبا جما . كلا إذا دكت الارض دكا دكا . وجاء ربك والملك صفا صفا . وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الأنسان وأنى له الذكرى . يقول يا ليتني قدمت لحياتي . فيومئذ لايعذب عذابه أحد . ولا يوثق وثاقه أحد)** الفجر /١٧ ــ ٢٦ .

« ولا تحاضون » : لايحث بعضكم بعضا .

« وتأكلون التراث » : وتأخذون الميراث الذي تأخذونه من حق النساء والاطفال ولا تفرقون بين ما جمع من حلال او من حرام .

« اكلا لما » : تأكلونه كله بشراهة بعد جمعه .

« حبا جما » : حبا كثيرا مع حرص وشره .

« دكا دكا » : دكا متتابعا يستوعب الارض ولا يبقى منها شيئا .

« والملك » : والملائكة .

« صفا صفا » : مصطفين استعدادا لتلقي اوامر الملك القهار .

« وجيء يومئذ بجهنم » : برزت واظهرت .

« يتذكر الانسان » : يتعظ عندما يرى قبح اعماله .

« وأنى له الذكرى » : ومن اين له التذكر الآن اي لاينفعه التذكر .

« لحياتي »: لأجل حياتي الخالدة .

« لايعذب عذابه احد » : لايعذب احد عذابا مثل عذاب الله في الشدة .

« ولا يوثق » : لايربط بالسلاسل والاغلال .

« وثاقه » : ربطه .

آيات قرآنية واحاديث نبوية تحث على البر والاحسان :

وهناك آيات قرآنية واحاديث نبوية لاحصر لها تحث على البر بالفقراء والتصدق على المساكين والمعوزين والمحتاجين والسائلين والمحرومين نذكر منها على سبيل المثال ما يأتي :

قال الرؤوف الرحيم : **(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع**

عليم) البقرة / ٢٦١ .

(ينفقون): يتصدقون ويتبرعون .
(في سبيل الله) : في اوجه الخير ابتغاء مرضاة الله كالتصدق على الفقراء والمساكين والتبرع للمشروعات الخيرية والاصلاح الاجتماعي .
(يضاعف) : يزيد الثواب بما لايحصى .
(واسع) : كثير الفضل .

آداب التصدق والاحسان :

ولم يكتف الاسلام بالحث على الاحسان الى المحرومين بل ذكر آداب الاحسان كالتستر فيه وترك المن والاذى والتظاهر بالتبرع وحث على التصدق بنفس راضية لا لدعاية او نشر صحف ، بل لارضاء الله وحده على ان تكون الصدقة من طيبات ما لدى المحسن واحسن ما لديه .

قال عز وجل : **(الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لايتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)** البقرة / ٢٦٢ .

(المن) : هو تعداد الاحسان على المحسن اليه
(الاذى) : يشمل المن ويشمل ما هو اقسى منه كأن يُعيِّره بنكران الجميل مثلا .

وقال عز من قائل : **(قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم)** البقرة / ٢٦٣ .

فقولك برفق للمسكين : الله يعطيك ـ خير من ان تحسن اليه ثم تقول له : اذهب ولا ترني وجهك مرة اخرى وان الله غني عن هذه الصدقة حليم يمهل الاغنياء قساة القلوب على الفقراء ولا يهمل عقابهم .

وقال تعاظم وارتفع : **(يا أيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لايقدرون على شيء مما كسبوا والله لايهدي القوم الكافرين)** البقرة / ٢٦٤ .

« رئاء الناس » : مرائيا لهم ومتظاهرا بالصدقة ليمدحوه
« صفوان » : هو حجر كبير املس
« تراب » : غبار «وابل» : مطر شديد
« صلدا » : املس خاليا من الغبار والتراب

وقال الرحمن الرحيم : **(ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير)** البقرة / ٢٦٥ .

(ينفقون) : يتصدقون في اوجه الخير لله
(وتثبيتا من انفسهم : وتيقنا من ثوابه تعالى تيقنا صادرا من صميم انفسهم

(ربوة) : هي الارض المرتفعة
(وابل) : مطر شديد
(فآتت اكلها ضعفين) : فاثمرت ثمرها اربعة امثال ما ينتج غيرها
(فان لم يصبها وابل فطل) : الطل : المطر الخفيف والمراد ان هذه الحديقة تتضاعف وتثمر سواء اكثر المطر ام قل فكذلك نفقة هؤلاء ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم تزكو عند الله وتطيب كثرت او قلت .

التصدق بأحسن ما لديك :

قال الغني الحميد : **(يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد)** البقرة / ٢٦٧ .

« طيبات ما كسبتم » : حلال كسبكم .

« ولا تيمموا الخبيث » : ولا تقصدوا الرديء من اموالكم تتصدقون منه .

« ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه » : والحال انكم لا تأخذونه لانفسكم الا اذا تساهلتم فيه واغمضتم اعينكم عن رداءته .

وفي هذه الاية حث على التصدق بأحسن ما لدى المحسن من نقود لاعيب فيها وحبوب جيدة وفيها نهي عن التبرع بنقود مزيفة او ممزقة لاتقبل او قمح اكله السوس او ذرة رديئة واعلموا ان الله غني حميد وليس في حاجة الى صدقتكم او تبرعكم ، هذا مثل من المثل العليا في الاسلام والعظمة في البر بالفقراء .

وقال العليم الخبير : **(إن تبدوا الصدقات فنعماهي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير)** البقرة / ٢٧١ .

« ان تبدو الصدقات فنعماهي »: ان تظهروا الصدقات فنعم ابداؤها واظهارها للتشجيع على التصدق .

واخفاء الصدقة افضل من اظهارها لما فيه من شائبة الرياء وهتك ستر الفقير وفي الصحيحين للبخاري ومسلم في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله :« ... ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ».

وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ».

وقال الله تبارك وتعالى : **(وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)** البقرة / ١٩٥ .

اي احسنوا الى المحتاجين سرا وحافظوا على شعورهم واحساسهم فالله يحب المحسن بماله وجاهه ، والمحسن في تصرفه ومعاملته للمساكين ، والمحسن ابتغاء مرضاة الله وهذا هو النبل في الاسلام .

وقال الله تعالى : **(وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه)** سبأ / ٣٤

وقال تقدست صفاته :

(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يونس / ٢٦

اي للمحسنين المثوبة الحسنى وهي مجازاة الحسنة بعشر امثالها وزيادة هي النعيم الروحي ، والنظر الى وجه ربهم الكريم .

الاسلام يحث على التعفف وعزة النفس :

قال صلى الله عليه وسلم : من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله ومن لم يسألنا فهو احب الينا .

وقال عليه الصلاة والسلام : استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا : ومنك يا رسول الله ؟ قال : ومني .

فالاتقياء الصالحون يتركون السؤال ولا يأخذون من احد شيئا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« لاحق لابن ادم الا في ثلاث : طعام يقيم صلبه ، وثوب يواري به عورته ، وبيت يسكنه ، فما زاد فهو حساب » والمراد بالثوب هنا ما يحتاج اليه الانسان من الملابس والبيت الذي يتخذه مسكنا له ولاسرته يشمل ما يستلزمه البيت من الاثاث .

والفقراء ثلاثة : فقير لايسأل مطلقا وان اعطى لايأخذ زهدا وتعففا فهذا في عليين ، وفقير لايسأل وان اعطى اخذ فهذا مع المقربين في الجنة ، وفقير يسأل عند الحاجة والضرورة القصوى فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين .

الاسلام يحث على التصدق على الكفار صدقة تطوع :

قال عز من قائل : **(ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)** البقرة / ٢٧٢ .

« ليس عليك هداهم »: الخطاب للرسول وقد كان لبعض الانصار قرابة من اليهود فلما اسلموا كره الانصار ان يتصدقوا عليهم وراودوهم ان يسلموا فنزلت الآية المذكورة اي ليس عليك هدى هؤلاء الكافرين فتمنعهم الصدقة ولا تعطيهم منها ليدخلوا في الاسلام ولكن الله تعالى هو الذي يهدي من يشاء الى الاسلام فيوفقه له فتصدق عليهم لوجه الله تعالى والمراد صدقة التطوع لان هناك اجماعا على انه لايجوز صرف الزكاة الى غير المسلم .

« الا ابتغاء وجه الله »: الا طلب رضاء الله لارياء ولا غيره .

فمن العظمة الاسلامية ان يحث الاسلام على التصدق على الكفار من صدقة التطوع ابتغاء مرضاة الله .

وفي الآية الكريمة نص صريح على حرية العقيدة في الدين الاسلامي وانه لا اكراه بالسيف ولا اجبار لكي يدخل الكافرون في الاسلام انظر الى قوله جل شأنه مخاطبا المصطفى صلى ا لله عليه وسلم :

(ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) توفيقه للدين الحق وهو

الاسلام .

وقال تباركت اسماؤه : (**للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لايستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لايسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم . الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) البقرة / ٢٧٣و٢٧٤ .

(أحصروا): حبسوا عن الكسب لانهم خصصوا جميع اوقاتهم بالتعلم والجهاد في سبيل الله فهم اشد الناس حاجة الى الصدقة .

(لايستطيعون ضربا في الارض) : لايستطيعون سفرا في البلاد ابتغاء كسب معيشتهم لاشتغالهم بالتعلم وطلب العلم والجهاد .

(من التعفف) : اي من اجل تعففهم عن السؤال لعزة انفسهم

(تعرفهم بسيماهم) : تعرف فقرهم بما يرى عليهم من الضعف والتواضع واثر التعب او تعرفهم بما البسهم الله من الهيبة والوقار .

(إلحافا) : اي إلحاحا والمعنى انهم لايسألون ابدا تعففا منهم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اتقوا النار ولو بشق تمرة » رواه البخاري ومسلم .

اي اتخذوا بينكم وبينها وقاية بالصدقة ولو كانت قليلة كنصف تمرة .

وعن جابر رضي الله عنه قال : ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا .

اي ان الرسول لم يرد سائلا بقوله : لا.بل كان يجود بما معه او يعد بالاعطاء ولا يخلف وعده مطلقا .

وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله تعالى » انفق يا ابن ادم ينفق عليك » رواه البخاري ومسلم .

اي تصدق يا ابن ادم وانفق المال في وجوه البر والخير يوسع الله عليك ويخلف عليك اضعاف ما تنفقه وتتصدق به .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ــ رضي الله عنهما ــ ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : اي الاسلام خير ؟

قال : تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » وعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ انهم ذبحوا شاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما بقي منها ؟

قالت ما بقي منها الا كتفها .

قال : « بقي كلها غير كتفها » رواه الترمذي ومعناه : تصدقوا بها الا كتفها فقالت بقيت لنا ى في الأخرة الا كتفها . رواه الترمذي .

الاقتصاد والحضارة الإسلامية



كما انه لا شك في أن الاقتصاد الذي يسيطر على العالم اليوم هو اقتصاد يهودي ، لأنه يقوم على فائدة رأس المال ، أي « الربا » فكذلك الحضارة فهي يهودية كذلك ، فهي حضارة تحمل في كيانها جرثومة إعدامها ، وهي المادية ، والالحاد ، والتكالب على الدنيا ، ولا تكاد حضارة تصل إلى هذا المنعطف حتى يكون في ذلك نهايتها ودمارها ،

واليهود مولعون بتدمير الحضارات والمدنيات ، حتى ولو هلكوا هم معها ، فلسفتهم تقوم على مبدأ « شمشون » عندما هدم المعبد على رأسه ورأس أعدائه ، واليهود يعتبرون البشر أعداءهم ، ولما كانوا قلة مسحوقة ، فلم يبق أمامهم الا أن يدمروا المجتمعات ، وسواء كانوا يفعلون ذلك عن وعي او عن غير وعي ، فهم يفعلونه على وجه التحقيق .

للاستاذ / احمد حسين

وكون الحضارة التي يعيش فيها العالم ، حضارة يهودية فتلك مسألة تحتاج إلى شيء من الشرح .

فقبل الثورة الفرنسية (في ختام القرن السابع عشر) كان التعصب الديني هو السائد في أوروبا ، وحيث يتعصب النصارى أو المسيحيون (بلغة العصر) ، فليس امام اليهود سوى الذل في احسن الحالات والابادة في أسوئها .

فلما أن قامت الثورة الفرنسية وهي تقوم على اللا تدين ، والاباحية والفوضى ، باسم : « الحرية ، والاخاء ، والمساواة » قامت الأفكار اليهودية وازدهرت وترعرعت وقام فلاسفة اليهود يؤصلون للمجتمعات الجديدة حياتها ، والتي تقوم اول ما تقوم على تشويه كل المقدسات ودعوة البشر للانطلاق فيما يشبه الفوضى ، ولست اريد أن أذكر أسماء عشرات الكتاب والمفكرين الذين لمعوا في سماء أوروبا ، وكيف كانوا كلهم من اليهود ، وحسبي أن أذكر المعهم ، وأعني « سيجموند فرويد » والذي أقام لأوروبا علما ماديا جديدا ، أصبح هو محور العلوم كلها ، وهو علم النفس ، فأصبح « الجنس » هو أساس كل مناشط الحياة ، وما الأنبياء والرسل والقادة والمصلحون والهداة ، بل والشهداء والقديسون ليسوا إلا أناسا تدفعهم عقدة الجنس (أي الشهوة) على وجه من الوجوه ، وإن كان التسامي،والمهم أن الجنس هو أساس كل شيء في هذه الحياة ، وانتهى ذلك كله الى ما نشهده اليوم من نوادٍ للعراة ، وإباحية في العشق ، وانحلال في الرابطة الزوجية ، واعتبار أن ذلك كله هو طبيعة الحياة ، الذي يجب ان نمارسه في غير خجل وحياء .

ماركس بعد فرويد :

ولم يكد أثر فرويد يخف بعض الشيء على ضوء التجربة وواقع الحياة حتى ظهر يهودي آخر يصبغ الحياة الغربية كلها بطابعه ، ونعنى به « كارل ماركس » فالأديان والقيم التربوية والخلقية ليست إلا أوهاما وخرافات وأن القيمة الوحيدة في الدنيا ، الجديرة بالاعتبار ، هي « الصراع » فلا شيء سوى الصراع. ويجب ان يعاد بناء المجتمعات على اساس من « الصراع »،وما بدأته الثورة الفرنسية ، أكملته الثورة الروسية ، وكلتاهما من نسج اليهود ، والنتيجة هي ما نراه اليوم من قلق وضياع ، وفقدان الثقة في كل

شيء واصبح محور النشاط البشري هو إنتاج الأسلحة اللازمة لتدمير الحياة القائمة من ناحية ، والعمل لتفادي وقوع ذلك من الناحية الاخرى .

وقد أوصل البشر إلى ذلك ، التفكير اليهودي ، الذي يقوم على فكرة هدم « المعبد » من داخله ، وعليّ وعلى اعدائي يا رب .

الاقتصاد اليهودي :

وتعتبر اميركا الشمالية ميدانا رائعا لكي يتعرف الانسان كيف صاغ اليهود الحضارة الغربية ، من خلال سيطرتهم على الاقتصاد فقد هاجر اليهود الى اميركا فيمن هاجر ، هربا من الاضطهاد الديني وسرعان ما اصبح المجتمع الاميركي يفيض بالحضارة اليهودية، حضارة القسوة والاجرام ، واللاتدين ، والمادية ، ولا يجب ان يتشكك متشكك في ان الحضارة الاميركية، هي حضارة يهودية ، فالقوم يسيطرون سيطرة كاملة على وسائل الاعلام من صحافة وإذاعة، وتلفزيون، ونشر، وكتب ومسارح ... إلى آخره وكل هذه تهدر بما سموه الحياة الاميركية الحرة ، إلى حد الفوضى والاجرام وانحلال كل القيم ، فرحين بعبادة الدولار ، وتكدس الثروة ، ووفرة الانتاج كما يقولون، ووسط ذلك يسود اليهود ، ويتحكمون ويسوقون اميركا للاشتراك في كل حرب، فهم لا يريدون سوى خراب العالم ، وتدميره، وعليّ وعلى اعدائي، اما كيف وصل اليهود إلى كل هذه السيطرة فعن طريق الاقتصاد .

كيف قلب اليهود اقتصاد العالم ليسود الربا ؟ :

ولقد اتيح لي من خلال تجربتي الشخصية ، ان أرى أخطبوط « الربا » وهو يمتد إلى كل مكان وزاوية ، وكيف يوقع في حبائله كل فرد اميركي بدون استثناء، ليسيطر اليهود في خاتمة المطاف ، واللطيف أنني نفسي وقعت في الفخ ، وبهرتني الفكرة التي يقوم عليها الاقتصاد الاميركي ، حتى إنني دعوت للاخذ بها، الى أن شاء الله ان فهمتُ مرامي هذه السياسة ، وكيف انها ستؤدي إلى الخراب والدمار فعدلتُ عما سبق أن دعوت اليه .

كل شيء في الحال بعد دفع « الربا » :

لقد عاش البشر منذ فجر التاريخ ، وتعاملوا في مجتمعاتهم المتحضرة التي انتهت بالحضارة الاسلامية ، على أساس أن كل من يريد الحصول على سلعة ، فعليه أن يدخر ثمن هذه السلعة مقدما ، فمن يريد لباسا او فراشا او أداة مواصلات ، فضلا عن أن يبني بيتا ، فعليه أن يدخر ثمن ذلك مقدما، على هذا سارت الدنيا وتوازن الانتاج مع الاستهلاك ، فلا أزمات إفراط انتاج ، ولا بطالة او تضخم وكل ما يعانيه العالم ، ويشقى به هذه الأيام .

وقلب اليهود نظام البشر في أميركا:

وإذ كانت أميركا بلادا جديدة

ومجتمعا جديدا فقد جاءوا بفكر جديد .

إنك تعمل أيها الانسان وتدخر ليكون في وسعك أن تحصل على هذا الشيء أو ذاك ، ولكي يكون لك بيت في خاتمة المطاف ، وتكون لك أرض أو حقل أو مصدر ثابت للرزق والثروة ، فأنا أقدم لك هذه الأشياء كلها أو بعضها في مقابل أن تدفع مبلغا زهيدا ، وأن تكتب بالباقي « كمبيالات » تدفع على مر الزمن على أقساط تتضمن جزءا بسيطا من الثمن ، مضافة إليه الفوائد أي « الربا » ، وتهافت الناس يحصلون على كل حاجياتهم بل أحلامهم ! ويوقعون على « كمبيالات » غير مدركين أنهم إنما يوقعون على صك عبوديتهم ، وغني عن البيان أن التاجر الذي يبيع بالتقسيط لا يملك كل الأموال التي يقدم بها ما يبيع بهذا الأسلوب، فهو يقترض ما يحتاج اليه ويقدم هذه « الكمبيالات » والبنك الصغير يقترض من بنك اكبر « بالربا طبعا » .

والمصنع المطلوب منه ان ينتج فوق طاقته ، يقترض بدوره ما يحتاج إليه من مال بالربا ، وهكذا أصبح المجتمع كله يعيش على كتابة الكمبيالات ودفع الفوائد ، أي الربا وترتب على هذه الدورة المصطنعة أزمات إفراط الانتاج وتعطل المصانع والبطالة والتضخم الذي يعني بكل وسيلة توفر أوراق النقد ، دون أن توجد سلع تقابلها .

وقد أحدث هذا الأسلوب الجديد نشاطا زائفا في بادىء الأمر ، ولكن بعد مرور بعض الوقت تشبعت المجتمعات في أسواقها الداخلية ، فبدأ (السعي المميت) خلف الأسواق الخارجية ولكن ذلك بدوره إلى حين ، وسوف تصل الأسواق الخارجية الى حد التشبع لسبب أو لآخر فيكون الكساد والبطالة والخراب .

الافلاس الروحي والخلقي وسيادة الجشع :

وإذا أردنا أن ندرك ما أصبح يعانيه العالم من إفلاس روحي وخلقي ، وسيادة المادية ، والجشع في النفوس ، نراه نتيجة هذا الاقتصاد اليهودي ، الذي طبقه اليهود في أميركا ومنها سرى إلى بقية العالم ، وهو امكان الحصول على كل شيء في مقابل التوقيع على « كمبيالات » ، ودفع الفوائد المستحقة ، فالذي يدخر للحصول على هذا الشيء او ذاك ، فهو يعيش بأمل الحصول عليه ، مقدرا ان سعادته « منتهى سعادته) ستكون في الحصول على هذا الشيء فيقبل أكثر وأكثر على الادخار ، والادخار مجموعة من الصفات والأخلاق الحميدة ، ابتداء من القناعة والصبر ، ثم المثابرة والجد والاستقامة، كل ذلك يفقده الانسان بمجرد حصوله على السيارة والغسالة والثلاجة والبيت (بقسط وكمبيالات) وتتحول كل الفضائل التي تحدثنا عنها الى مجموعة رذائل من الهم والقلق والجشع ، والتطلع

إلى الحصول على كل شيء من أيسر طريق وأسرعه بما في ذلك ارتكاب الجريمة ، وهو ما نراه سائدا في المجتمع الغربي اليهودي ، والذي انتقلت عدواه الينا ، وما لا سبيل لمواجهته ، فضلا عن التخلص منه إلا أن نعود ثانية **للاقتصاد الاسلامي .**

يتلخص الاقتصاد الاسلامي في هذه الآية الكريمة : **(وأحل الله البيع وحرم الربا)** البقرة / ٢٧٥ .

فحيث يقوم الاقتصاد اليهودي الذي اغرق الدنيا في ظلامه ومستنقعه على « الربا » فان الاقتصاد الاسلامي يقوم على تحريم « الربا » واللطيف أن الدين اليهودي يحرم الربا كذلك ، ولكن نظرا لأن اليهود يعيشون على التمييز العنصري فيعتبرون أنفسهم هم وحدهم « الناس » فقد قصروا هذا التحريم على اليهود فيما بينهم ، وتعريف الربا واضح وصريح فكل قرض جر منفعة فهو ربا ولا شك ان من أوضح صوره وأصرحها تقاضي الفوائد على رأس المال .

وعبارة « جر نفعا » فيها السر كل السر ، في الفارق بين الايمان بالغيب وعدم الايمان ، بين الالحاد والمادية وبين العمل ابتغاء مرضاة الله ،

فالربا يقوم على السؤال الآتي : « وأنا أين هي منفعتي ؟ » ومن هنا كان لا بد ان يجر القرض منفعة مادية محددة .

اما الذي يقرض لوجه الله ، فهو لا ينتظر منفعة مادية سريعة ، وانما هو ينتظر الثواب والمكافأة من الله العلي القدير ، يوم الحساب ، فالفارق بين أخذ الربا وتحريم الربا ، هو الفارق بين الايمان والكفر .

ولقد عاش المجتمع الاسلامي طويلا طويلا وازدهر ، وقامت التجارة الخارجية ، المستندة على الملاحة البحرية بدون اعتماد على نظام « الربا » كان التعاون بين الناس يسد كل أحوال التأمين في ظل النظام الاسلامي .

كان الفلاح إذا فقد « بهيمته » أو اذا أعرس ، أو إذا حدثت عنده وفاة ، وكان التاجر إذا أفلس بأن غرقت له سفينة او نهبت قافلته كان إخوانه وزملاؤه يجمعون له من المال ما يمكنه من استئناف مسيرته ، **وهكذا كان المجتمع يسير دون أن يعرف الأزمات الاقتصادية الحديثة ، فلا علاج لما يعانيه البشر ، كل البشر ، من أزمات الا بإبطال التعامل بـ « الربا »** وعندما يبطل التعامل بالربا فسوف يزول سلطان اليهود ، الذي يستطيلون به وهو تكديس الأموال عن طريق الربا ولم يكن لليهود في ظل اي مجتمع اسلامي لا يقوم على الربا هذا السلطان الذي يتمتعون به في المجتمع الأوروبي او الاميركي .

انني أرسلها صيحة أرجو أن تدوي في سمع الأجيال القادمة ليكن لنا اقتصادنا الاسلامي الذي يقوم على تحريم الربا ، في مواجهة الاقتصاد اليهودي الذي يقوم على « الربا »

والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله

تعقيب على فتوى زكاة العقارات والمصانع وسهام الشركات

للشيخ / عبد الحميد السائح

اطلعت على العدد ١٩٠ شوال ١٤٠٠ هـ وآب ١٩٨٠ م من مجلتكم ، فلفت نظري ما كتب تحت عنوان « رأي في زكاة العقارات والمصانع وسهام الشركات » لصديقنا الاستاذ محمد عزة دروزة .

وقد تضمن ما كتب انه لم يطلع على رأي شاف في ذلك ، وعن له الرأي الذي نشرته المجلة وملخصه : ـ

١ ـ ان زكاة النقد وعروض التجارة تجب على ما تبقى في يد صاحبها ، من رأس مال وربح في آخر كل سنة ، بمعدل ٢,٥٪ اذا بلغ الباقي النصاب .

٢ ـ زكاة غلة الارض تجب على مايحصد صاحبها فيها ، حين حصادها ، دون انتظار آخر السنة ، ودون اعتبار لما تبقى في يد صاحبها ، بمعدل العشر للاراضي التي تروى بماء المطر ، ونصف العشر اذا رويت بماء مكلف منفق عليه .. الخ .

٣ ـ الحكمة المتبادرة من ذلك أن المال السائل حر قابل للتنمية ، ولذلك كانت الزكاة ربع العشر ، وأما الأرض فثمنها قد يكون كبيرا ، ولكنه رأس

مال مجمد ، ولم يوجب التشريع عليها زكاة ، واقتضت حكمة التشريع ان تكون الزكاة على غلتها ، وان تكون اربعة اضعاف ما يجب على المال السائل .
٤ ـ وبالنتيجة يرى الاستاذ قياس العقارات المعدة للأجرة والمصانع ، وسهام الشركات بالارض وأداء زكاتها حسب زكاة الارض .. الخ .

والذي اريد بيانه وتوضيحه مايلي : ـ

١ ـ هذا الرأي الذي أبداه الاستاذ يختلف عن الرأي الذي رجحه في كتابه : « الدستور القرآني والسنة النبوية » حيث رجح فيه القول بوجوب الزكاة على مايبقى من الريع في آخر السنة ، إذا بلغ النصاب ، لان المصانع والعمارات آيلة للاستهلاك والخراب ، وليست الارض كذلك / انظر جـ ١ ص ٥٤ .
٢ ـ يسري الرأي الأخير على أرباح سهام الشركات ، وإن كان في كتابه لم يحسم الرأي في موضوع الأسهم .
٣ ـ موضوع الواجب في زكاة الأمور المشار اليها ، كان محل بحث دقيق في المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية في القاهرة .
وقد اقترح بعض الاعضاء : (المرحوم العلامة الشيخ محمد ابو زهرة) مثل الرأي ، الذي عن للاستاذ محمد عزة ، او ما هو قريب منه ، ولكنه حين المناقشة لم يقبل هذا الرأي ، وقد صدر عن المؤتمر القرارات التالية : ـ

اولا : لاتجب الزكاة في اعيان العمائر الاستغلالية والمصانع والسفن ، والطائرات وما شابهها ، بل تجب الزكاة في صافي غلتها ، عند توافر النصاب وحولان الحول .
ثانيا : اذا لم يتحقق فيها نصاب وكان لصاحبها أموال اخرى تضم إليها ، تجب الزكاة في المجموع ، اذا توافر شرطا النصاب وحولان الحول .
ثالثا : مقدار النسبة الواجب إخراجها هو ربع عشر صافي الغلة في نهاية الحول .
رابعا : في الشركات التي يساهم فيها عدد من الافراد لا ينظر في تطبيق هذه الاحكام الى مجموع ارباح الشركات ، وانما ينظر الى مايخص كل شريك على حدة / (التصنيف الموضوعي لقرارات وتوصيات مؤتمرات مجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، من الاول الى الخامس ص ٢٤) .
٤ ـ كل هذا اذا كانت العمائر او الاسهم او غيرها للاستغلال ، اما اذا كانت للتجارة فانه ينطبق عليها حكم عروض التجارة . ويدل على ذلك : ـ

اولا : ماروى في سنن ابى داود عن سمرة قال : كان النبي صلى الله عليه

وسلم يأمرنا ان نخرج الزكاة مما نعده للبيع ، وهذا بعمومه شامل لكل ما يعد للتجارة ، ولو أن التجارة بالاراضي والمصانع واسهم الشركات لم تكن معروفة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعهد خلفائه الراشدين .

ثانيا : ماروى عن حماسي قال : مر بي عمر فقال : « اد زكاة مالك ، فقلت ما لي الا جعاب وأدم ، فقال : قومها ، ثم أد زكاتها .

وقد اشتهرت القصة بلا منكر فهي اجماع .

ثالثا : الائمة الاربعة وسائر الامة ــ الا من شذ ــ متفقون ، على وجوب الزكاة في عروض التجارة ،سواء كان التاجر مقيما ام مسافرا ، سواء كان متربصا ام مدبرا ، سواء كانت التجارة بزا من جديد ، ام لبيسا ، ام طعاما من قوت ، ام فاكهة ام أدما ، ام غير ذلك ، ام كانت آنية كالفخار ونحوه ، ام حيوانات . فالتجارة هي اغلب اموال اهل الامصار الباطنة ، كما ان الحيوانات الماشية هي اغلب الاموال الظاهرة .

رابعا : قد شرعت الزكاة للمواساة ، ولا تكون المواساة الا فيما له مال من الاموال ، فحد له انصبة ووضعها في الاموال النامية .

فمن ذلك ما ينمو بنفسه كالماشية والحرث ، وما ينمو بتغيير عينه والتصرف فيه كالعين . وجعل المال المأخوذ على حسب التعب ، فما وجد من اموال الجاهلية وهو أقله تعبا ففيه الخمس ، ثم ما فيه التعب ، من طرف واحد ففيه نصف الخمس ، وهو العشر فيما سقته السماء ، وما فيه التعب من طرفين ففيه ربع الخمس وهو نصف العشر ، فيما سقي بالنضح والآلة ، وما فيه التعب طول السنة ففيه ثمن ذلك وهو ربع العشر/ فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية جـ ٢٥ ص ٨ ، ١٥ ، ٤٥ .

ومن ذلك كله يتبين ان الاقرب للصواب ، ان شاء الله ، هو مايلي : ــ

١ ــ ان جميع ما يعد للتجارة سواء كان ارضا ام عمارة ام مصنعا ، ام اسهم شركات ، تخضع قيمته للزكاة ، بعد حولان الحول ، وبلوغ النصاب ، ويدفع عن ذلك ربع العشر .

٢ ــ ما يعد للاستغلال فزكاتها في صافي غلتها ، في آخر السنة ، حين إكمال الحول وتوافر النصاب .

وهذا ما يتفق مع الرأي الذي اختاره جمع من العلماء المشهود لهم بالفقه والثقة في مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة ، وما يتفق مع النصوص المشار اليها اعلاه .

والله هو الموفق للصواب ، والهادي الى طريق السداد .



مع الشباب

الشباب هم ذخر الأمة . ومحط آمالها . وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة . وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم . والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل . وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

مكر اليهود

أرسل الينا الأخ سعد حسن لطفي تلك الكلمة حول مكر اليهود وغدرهم

كان اليهود انبياء وملوكا وكانوا افضل الناس في وقتهم . ولكنهم فعلوا أشياء بمقتضاها لعنهم الله وطردهم وأوعد بتعذيبهم إلى يوم القيامة .

فحبهم الشديد للمال كان أكبر الأسباب في عصيانهم لله وكفرهم به وتحريفهم للدين .

وبلغ من شدة حب اليهود للمال انهم حللوا ما حرمه الله كالربا والسحت . وأحلوا مال غير اليهودي وقالوا :« ليس علينا في الأميين سبيل » .

وهم أول من تحايل على الشرع لينالوا الدنيا بدون الوقوع في مخالفة صريحة لأوامر الله . فكان ان أمر الله أهل قرية على البحر ان يعبدوه يوم السبت ولا يعملوا بصيد الحوت الذي هو مهنتهم . وكان الحوت يأتي بكثرة إلى الشاطئ يوم السبت ، ويشرد بعيدا في الأيام الأخرى . فاحتالوا للأمر ، وصاروا يضعون الشباك في الماء ليلة السبت ويتركونها تمتلئ بالسمك وهي داخل البحر طيلة يوم السبت وليلة الأحد . ثم يخرجونها يوم الأحد . وظنوا أنهم ماداموا قد أخرجوا الشبكة يوم الأحد وليس يوم السبت فقد نجوا من العقاب . ولكن الله لعنهم لذلك ومسخهم قردة وخنازير يقول الله فيهم :« ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » .

ومن شدة طمعهم وطلبهم من الله الزيادة الكثيرة العاجلة من المال . فقد نسبوا إلى الله البخل ، تعالى الله عن ذلك :« وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » .

ولما نزلت آية:« إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم » قالت اليهود:« لو كان غنيا ما استقرضنا » فغرهم المال وظنوا انهم أغنى من الله كما أن بخلهم منعهم أن يطيعوا الله وينفقوا ، وجاء قول الله سبحانه ردا عليهم : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق » .

وأرادوا قتل عيسى لولا ان الله شبهه لهم فقتلوا الشبه ورفع الله عيسى . وكانوا ينقضون الميثاق ويغدرون ، وقد نقضوا ميثاقهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم فاجلاهم عن المدينة . وكانوا لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر . كما كانوا يحرفون كلام الله ليوافق اهواءهم ، فغيروا وصف النبي محمد في التوراة لانهم لا يريدون نبيا بعد موسى كما لا يريدون نبيا عربيا .

وقد قضى ان يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب الى يوم القيامة . وقد صدق الله وعده فعذبهم بختنصر .

ولا شك ان نصرنا الله سينصرنا عليهم وسيبعث في حاضرنا من يسومهم سوء العذاب بل في كل عصر جزاء مكرهم وغدرهم .

اعداء الاسلام لا يهدأون

وصلتنا رسالة من الاخ عبدالجواد محمد الخضري حول ان كل الانبياء جاءوا بالاسلام .

ولما كنت اعلم علم اليقين ان بعض النصارى في بعض البلاد العربية عن عمد يحاولون بث السموم اما بالطعن في الحقائق التي ترفع شأن الاسلام ، او في ادعاء ان اعلام الفكر الاسلامي كانوا موالين لهم وازداد الامر ضراوة بهذه المؤلفات الصادرة عن « دار الهلال » والتي كشف احدها الاستاذ « سالم البهنساوي » هنا في"مجلة الوعي الاسلامي" وتشاء الاقدار ان يصدر كتاب اخر يحمل الحقد لقيم الاسلام بل الثورة على تعاليم الله ودينه:« ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » ماذا يريد مؤلف كتاب « قاسم امين وتحرير المرأة » ؟ وهو ذاته صاحب كتاب:(الاسلام والوحدة الوطنية) الصادر عن نفس الدار !! يبدو ــ ان دعاة الاحتواء وجدوا المناخ الملائم للافراخ في مثل هذا المنعطف الرهيب الذي يمر به عالمنا الاسلامي ــ فمن مؤامرات شرقية الى اطماع غربية وتحضرني كلمة السلطان « عبدالحميد » يا مسلمي العالم اتحدوا فأنتم اخوة الايمان ، واللقمة السائغة بعد هذه التمزقات وبكل لأي تكاد الظروف تتوافق مع ماض ودعناه واننا نرفعها عالية لا نريد كائدين من المسلمين وعلى هؤلاء حاملي الاسلام ان يعطوه لاهله ، والدين مهما كان الامر لا يخدم قضايا الحكم اما هذه المؤلفات فهي الى سقوط وليت النصارى في بيئتنا الاسلامية يكفون عن التعرض للعلماء المسلمين والا فلا حرج ان تعرضنا لابائهم وامهاتهم وما زال اسلامنا في عقولنا .



اذكار واردة

اريد ان اعرف الاذكار الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما هو معنى الأذكار ؟
كما أريد أن أعرف هل هناك أذكار واردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الأحوال المختلفة للمسلم من نوم ويقظة وغير ذلك فقد سمعنا أن لكل حالة من حالات المسلم دعاء يقوله ، فما مدى صحة هذه الأدعية ؟
محمد عبدالمجيد عبدالقادر ـ القاهرة

الأذكار الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم تدعو المسلم أن يلتزم بما كان يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم في يومه وليلته من العبادات والدعوات معروف إذا أن الأذكار هي نوع من الدعوات أو العبادات والسنن .

ولا شك أن أفضل حال المؤمن أن يكون مشتغلا بذلك متأسيا بقول الله سبحانه ويدخل تحت نص الكتاب الكريم الذي يدعو المسلم إلى الذكر حتى يتحقق ذكر الله له يقول الله سبحانه: « فاذكروني أذكركم » ويؤكد القرآن الكريم الغرض من وجود الخلق يقول الله سبحانه « وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون » .

وقد صنف أهل العلم العاملون في عمل اليوم والليلة الكثير معتمدين في ذلك على الكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

فيروى البخاري ومسلم رضي الله عنهما عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » .

وذلك يقوله المسلم إذا استيقظ من نومه مريدا صلاة الفجر . كما يستحب ان يقول الداخل للمسجد :
«أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم الحمدلله» .

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك ثم يقول باسم الله ويقدم رجله اليمنى في الدخول ويقدم اليسرى في الخروج ويقول ما قاله عند الدخول إلا أنه يقول اللهم افتح لي أبواب فضلك بدل رحمتك » .

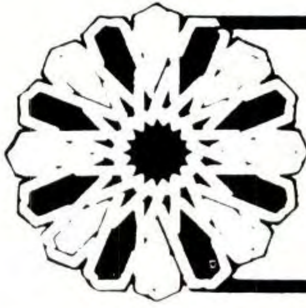
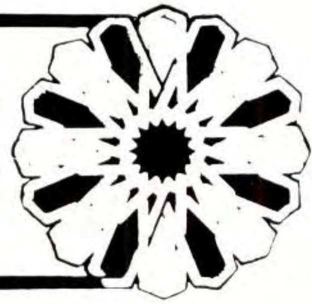
يروى عن أبي حميد أو أبي أسيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل اللهم إني أسألك من فضلك » رواه مسلم وأبو داوود والنسائي وابن ماجة وغيرهم في أسانيد صحيحة .

وفي موقف آخر يروى البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن ابي ذر رضي الله عنه قالا: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى الى فراشه قال باسمك اللهم أحيا وأموت وإذا استيقظ قال الحمدلله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور » .

كما يروى ابن السنى باسناد صحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« اذا استيقظ احدكم فليقل الحمدلله الذي رد علي روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره » .

وقد اكد الامام النووي رضي الله صاحب الأذكار على صحة وقوة تلك الأذكار مسندا لها محققا سلامتها من الطعن أو الضعف .
وتلك بعض الأذكار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمناه لتكون دليلنا وحادينا للخير ، ولنبين بها ما يلزم المسلم في يومه وليلته اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم غير مبتدعين .

نرجو ان تكون تلك وغيرها التي وردت في كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم هي الزاد الذي يتزود به المسلم في كل أحواله .

مع صحافة العالم

جولة سمو امير الكويت في آسيا

قال السيد راشد الراشد وكيل وزارة الخارجية : ان زيارة صاحب السمو امير البلاد الى عدد من الدول الصديقة في آسيا تدل على اهتمام سموه وعلى اهتمام الكويت وسياستها الخارجية في النظرة الجيدة والى تدعيم علاقاتها مع العالم الاسلامي اولا ومع العالم الثالث ثانيا . وان الكويت كانت دائما وابدا تنظر الى ضرورة تقوية هذه العلاقات مع دول العالم الثالث سواء في آسيا او افريقيا او في اميركا اللاتينية .

واكد ان دور الكويت في مجموعة دول عدم الانحياز واضح جدا وما يقوم به سمو الامير انما هو تدعيم لهذه المواقف فدول العالم الثالث تلعب دورا هاما في القضايا الدولية الرئيسية وان رؤية سمو امير البلاد لهذا الدور واضحة تماما وانه من هذه المنطلقات جاءت زيارة سموه لعدد من الدول الاسلامية والصديقة .

وقال ان تكوين الوفد المرافق لسموه يدل على ان هناك هدفا واضحا من وراء الزيارة فهي ليست زيارة مجاملة وانما زيارة عمل من خلال وجود عدد من كبار المسئولين عن شتى القطاعات السياسية والاقتصادية والتجارية ضمن الوفد لتأخذ الزيارة طابع العمل السياسي والتعاوني الثنائي والجماعي .

احتفالات القرن الخامس عشر الهجري في بريطانيا

نشرت مجلة الهداية التي تصدر في دولة البحرين تحت هذا العنوان مقالا جاء فيه :

ان نشاط المسلمين في بريطانيا اكثر وضوحا وخاصة بالنسبة للاحتفالات بمطلع القرن الخامس عشر الهجري فنجد ان « رامستيد آرثر » المعلق البريطاني يقول في مقال له حول الاحتفالات بهذه المناسبة في بلاده . ان الجهود المنسقة والكبيرة التي تبذلها المنظمات الاسلامية لزيادة وعي بريطانيا بالاسلام تشد اليها الانظار في هذه السنة التذكارية ثم ان الاحتفالات التي تنظم بمناسبة بدء القرن الخامس عشر الهجري تشجع على توسيع الحوار مع المتعاطفين من غير المسلمين وكثير منهم من الباحثين البريطانيين ثم قال :

في هذه الايام يدعى علماء مسلمون من الجالية الاسلامية الكبيرة المتزايدة في بريطانيا لاظهار الاهمية

الخاصة للهجرة بالنسبة الى الجالية وذلك في سلسلة من المؤتمرات ينظمها اتحاد المنظمات الاسلامية .
وهذه السلسلة تدور بوجه عام حول اهمية الهجرة غير انها تبرز الاوضاع المختلفة جدا التي يمارس المسلمون المعاصرون في ظلها شعائر دينهم وتقول الانباء الواردة من لندن ان المسلمين في بريطانيا سيواصلون احتفالاتهم ومؤتمراتهم الدينية طوال هذا العام الهجري « ١٤٠٠ » هـ ولم يكن هدف المسلمين في بريطانيا من هذه الاحتفالات والمؤتمرات هو الاحتفال ببدء القرن الخامس عشر الهجري فحسب وانما بهدف زيادة وتنمية مدارك غير المسلمين في بريطانيا بالدين الاسلامي وتعاليمه السمحة ويتزعم هذه الجهود في بريطانيا المركز الثقافي الاسلامي في لندن ويقول مدير المركز ان من بين الاهداف لهذه الاحتفالات هو اظهار اصالة التاريخ الاسلامي ونواحي الحضارة الاسلامية والتطورات العصرية في العالم الاسلامي ويواصل حديثه فيقول :
ان الجهود الاعلامية تتركز الان في القاء سلسلة من المحاضرات عن الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم والمساهمة في تحسين حياة الجالية الاسلامية في بريطانيا .
وتؤكد التقارير الواردة من هناك خاصة من دول اوروبا واميركا ان نشاط المسلمين في هذه الدول يتزايد في هذه الايام بصورة كبيرة وملفتة للنظر ومثلجة للصدر ، وقد لوحظ ان هذا النشاط يتزايد مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري وقد شعر ممثلو الاسلام في بريطانيا بضرورة الحرص على مخاطبة الشعب البريطاني والتركيز على ذلك من خلال الاحتفالات بمطلع القرن الخامس عشر الهجري .

لمن العيد ؟

نشرت مجلة الدعوة المصرية كلمة تحت هذا العنوان جاء فيها :

العيد يوم شكر لله سبحانه وتعالى يجتمع فيه المسلمون وقد اكرمهم الله بتمام نعمة الصيام ، فيصلون العيد ويتبادلون التهاني بينهم ، ويسعون في حاجة المسلمين .
فالعيد لهؤلاء المسلمين الذين يعيشون وبين اعينهم الجهاد .. الجهاد الذي اصبح فرض عين على كل مسلم ومسلمة وشاب وشيخ ، غني وفقير كل حسب قدرته .
فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « الجهاد ماض في امتي حتى تقوم الساعة » الجهاد بالمال ، الجهاد بالعلم وبذله لتعليم الغير ، الجهاد بالكلمة الطيبة لنرد بها العصاة الى دين الله .
فهؤلاء هم اصحاب العيد الذين لا ينعمون بالعيد واخوانهم الفقراء محرومين عرايا جياعا ، فم الذين يطعمون في تواضع ويعطون في تخف وقلوبهم وجلة من خشية الله لا تدري

شمائلهم ما صنعت ايمانهم . فهؤلاء هم اصحاب العيد حقا .
اما الذين في خصام مع الاسلام في رمضـان ، والمعطلـون للصـلاة ، والجاحدون للزكاة والغافلـون عن الحج مع القدرة عليه ، والعازفون في فسوق الزيف والزور والمسمى كذبا بالمدنية والتقدم انهم متطفلون على العيد باهتة وجوههم فيه ، كالحـة قبائحهم .

يا اهل الاسلام.اليقظة للحق،والحياة بالحـق،والعـودة للحـق . ان الله اختاركم حملة لخير كتبه واتباعا لخير رسله وختم بأمتكم الأمم وجعلـكم طليعة مواكب الحق يوم القيامة وجعل لكم نورا تسعون به من بين أيمانكم وشمائلكم وجعل اعيادكم شكرا على نعمة الطاعة .
فاتخذوها ساعة بيعة لله على جهاد سبيله حتى تسودوا الامم كما كنتم .
أيها المسلمون : ابرأوا اليه سبحانه من معاصيكم يتب عليكم ويغفر لكم ذنوبـكم ويمـدكم بنصر من عنـده ويجعلكم رأس الامـم كمـا كنتـم فاتخـذوا من يوم عيـدكم عيـدا لارواحكم وضمائركم حتى تتفتـق قلوبكم مع حياة جديدة وهي مخبتة بين يدي الله تتلوا قوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون » .

اجتماعات اللجنة الدائمة للثقافة العربية في تونس

في حديث لجريدة السياسة الكويتية عن مشاركة الكويت في تلك اللجنة جاء فيه :
تعقد اللجنة الدائمة للثقافة العربية اجتماعها الرابع في تونس في مقـر المنظمة العربية للتربية والعلـوم في الفترة الواقعة ما بين ٩ـ١٢ سبتمبر الحالي .
وتعقد اجتماعات هذه اللجنة عادة للاعداد لمؤتمرات وزراء الثقافة العرب وستناقش هذه اللجنة الموضوعـات التالية تمهيدا لتقديمها الى مؤتمـر وزراء الثقافة الذي سيعقد في بغداد في شهر اكتوبر عام ١٩٨١ من بينها .
● صيانة المدن التاريخية العربيـة الاسلامية .
● التصوير الجديـد لعمـل معهـد المخطوطات .
● الخطة القومية للترجمة .
● تشجيع الابداع الادبي .
● تنمية الثقافة العربية الاسلامية في الخارج .
● من ناحية اخرى فاز الجنـاح العربي في معرض الكتاب الدولي الذي اقيم في الارجنتين بالجائزة الاولى من بين اجنحة الدول المشاركة .
فقد تلقت الامانة العامـة للمجلس الوطني للثقافـة والفنـون والاداب رسالة من سفارة الكويت في تونس تفيد ان الامانة العامة لجامعة الدول العربية ـ ادارة الاعلام ـ قد نقلت للسفارة شعور الارتياح العميق الذي ابداه مجلس السفراء العرب الذي عقد في الارجنتين .

فهرس عام

مجلة

الوعي الإسلامي

في

عامها السادس عشر

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

تشتمل على الموضوعات
والكتاب والفتاوى

الفتاوى

للشيخ عطيه محمد صقر و الدكتور محمد سلام مدكور

❊ ❊ ❊ ❊

الموضوع

و

الكتاب

اسماء السادة كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

الاسم	الموضوع	العدد/صفحة	
ابراهيم أبو الخشب	المسلمون بحاجة الى	١٨٦	٥٦
ابراهيم النعمة	الشريعة الاسلامية والتطور	١٩٠	٢٥
احمد ابراهيم مهنا	حول ترجمة القرآن الكريم	١٨٩	٤٨
احمد البدوي محمد أنور	آية الكرسي	١٩٢	١٠٨
احمد حسن الباقوري	الفصحى شعار الاسلام	١٩٢	١٢
احمد حسن القضاة	الشعر في خدمة الدين	١٩٠	١٠٢
احمد حسنين القفل	كل نفس ذائقة الموت (٤)	١٨٥	٢٨
احمد حسنين القفل	قرآن وعلم وادب (٥)	١٨٦	٢٦
احمد حسين مرواد	التوبة	١٨٥	١٠٦
احمد الحوفي	شجاعة الرسول	١٨٣	٦٣
احمد الحوفي	القرآن الكريم يوقظ التفكير	١٨٩	١٢
احمد شادي	كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا	١٨٦	١٠٧
احمد الشرباصي	العزيز	١٨٢	٤١
احمد الشرباصي	الرحمن الرحيم	١٨٧	٣٢
احمد شوقي ابراهيم	لغة المخلوقات	١٩٠	١٠
احمد شوقي الفنجري	الطفل المسلم (١)	١٨١	١١٤
احمد شوقي الفنجري	الطفل المسلم (٢)	١٨٢	٨٠
احمد شوقي الفنجري	الاسلام والأسرة (١)	١٨٦	٩٤
احمد شوقي الفنجري	الاسلام والأسرة (٢)	١٨٨	٦٨
احمد عادل كمال	نعيم بن مسعود	١٨٤	٥١
احمد عادل كمال	الفتوح الاسلامية	١٨٥	٢٢
احمد عادل كمال	مع انجيل برنابا	١٩٠	١٨
احمد عبدالرحيم السائح	دور الأسرة في بناء المجتمع	١٨٩	٣٦
احمد عبدالمحسن المنشاوي	المنهج التربوي الاسلامي	١٨٥	٤٤
احمد عبدالواحد البسيوني	كلمة الوعي	١٨١ ـ	١٨٣
احمد عبدالواحد البسيوني	من وحي النبوة	١٨١ ـ	١٨٢
احمد علي المجدوب	التدابير الاحترازية والتشريع	١٩٠	٧٥
احمد محيى الدين العجوز	العظمة الذاتية	١٨١	٥٢
أمين شنار	العقل والحقيقة	١٩٠	٩٦
أنور الجندي	استقبال القرن الخامس عشر	١٨١	٨٤
التحرير	المركز الاسلامي الافريقي	١٨١	٥٨
التحرير	مؤتمر السيرة النبوية	١٨٣	٧٨
التحرير	مسجد طوكيو والمسلمون هناك	١٨٤	٨٢
التحرير	مؤتمر الدعوة الاسلامية	١٨٥	٧٨
التحرير	القدس في مؤتمر وزراء الأوقاف	١٨٦	٨٠
التحرير	جامعة دار العلوم بالهند	١٨٧	٦٨
التحرير	المعرض الاسلامي بالبحرين	١٨٧	٨٩
التحرير	صندوق التضامن الاسلامي	١٨٩	١١٢

اسماء السادة كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

الاسم	الموضوع	العدد/صفحة	
توفيق محمد سبع	الصوم ومنهج التغيير	١٨٩	٤٢
توفيق محمد سبع	قضايا الاسلام	١٩١	١٤
توفيق محمد شاهين	في رحاب الذكرى	١٨١	٩٢
حامد شكور	الاغتراف (قصيدة)	١٨١	١٢٥
حسن الحفناوي	من دلائل صدق الرسالة المحمدية	١٨٣	٤٥
حسن الشرقاوي	نحو علم نفس اسلامي	١٨٤	٣٨
حسن عبدالغني ابوغده	النسخ بين القرآن والسنة	١٨٢	٩٢
حسن فتح الباب	حافظ ابراهيم (١)	١٨٢	٨٤
حسن فتح الباب	حافظ ابراهيم (٢)	١٨٣	٣٦
حسن منصور	خلود القرآن	١٩٢	٦
حسين الطوخي	الطريد (قصة)	١٨٥	١٠٠
حمدي متولي مصطفى	الشيخان	١٩١	٧٨
خالد صالح المسفر	الشجاعة في الاسلام	١٨٧	١٠٧
رفيق المصري	نظرة عامة على الربا	١٩٠	٨٠
روحية القليني	انت الضياء (قصيدة)	١٨٧	٦٧
زكريا ابراهيم الزوكة	العقيدة الاسلامية	١٨٦	٩٨
زيدان عبدالباقي	حج المراة المسلمة	١٩١	٨٦
سالم البهنساوي	الوحدة الوطنية والدين	١٨٤	٥٨
سالم البهنساوي	شبهات التوحيد بين الأديان	١٨٩	٨١
سعد صادق محمد	القدس عربية (١)	١٨٧	٤٨
سعد صادق محمد	القدس عربية (٢)	١٨٩	٨٦
سعد صادق محمد	الحج ومنافع المسلم	١٩٢	٦٤
سعيد زايد	الاسلام دين الجماعة	١٨٤	٩٣
سعيد زايد	سماحة الاسلام	١٨٨	٧٤
السعيد الشرباصي	حرص الاسلام على تكوين الشخصية	١٩٠	١٤
سليمان التهامي	ليلة النصف من شعبان	١٨٨	١٣
سيد خليل ابراهيم	ام اللغات (قصيدة)	١٨٩	١٠٨
سيد سابق	الدولة الاسلامية	١٨١	٢٢
سيد عطا محمد	اين الاسلام ياأمة الاسلام	١٩٠	٤٤
السيد محمد القاضي	الاسلام والمستقبلية	١٨٣	١٠٨
صلاح الدين محمد الكامل	أسوة حسنة	١٨٢	١٠٨
ضياء الحاج حسين	تدخين السجاير	١٩٠	٥٩
طه محمد كسبه	المجتمع القرآني	١٨٩	٢٨
عبدالجليل عيسى	القضاء والقدر	١٨٥	١٤
عبدالجليل عيسى	مجالس الذكر	١٨٨	٨
عبدالحفيظ فرغلي	آية الاعجاز في الهجرة النبوية	١٨٤	١٤
عبدالحليم عويس	محمد صلى الله عليه وسلم	١٨١	١٠٠
عبدالحليم عويس	الصحافة الاسلامية	١٨٨	٣٨

اسماء السادة كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠هـ

الاسم	الموضوع	العدد	صفحة
عبدالحليم عويس	نموذج لمنهج النقد الديني العام	١٩٢	٢٨
عبدالحليم محمود	السنة وواجب المسلمين نحوها	١٨٣	١٥
عبدالحليم محمود	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١٨٦	٢٠
عبدالحليم محمود	التفكير فريضة اسلامية	١٨٩	٨
عبدالحميد بلبع	احداث الهجرة النبوية	١٨١	١٨
عبدالحميد المشهدي	واذ يمكر بك الذين كفروا	١٨١	١٠٨
عبدالحميد المشهدي	الا تنصروه فقد نصره الله	١٨٢	١٠٠
عبدالحي الفرماوي	حبيبة (قصة)	١٩١	١٠١
عبدالرحمن البرغوثي	الحج المبرور (قصيدة)	١٩٠	١٠٩
عبدالرحمن عيسوي	كيف تتكون الاتجاهات والعقائد	١٨٧	٧
عبدالرزاق نوفل	اقامة الصلاة	١٩٠	٣٥
عبدالسلام الهراس	ما العمل في دوامة الصراع	١٨٢	٣٣
عبدالعزيز بن باز	انقذوا افغانستان المسلمة	١٨٥	٩٧
عبدالعزيز عزت عبدالجليل	المكتبة الاسلامية	١٨٤	٤٢
عبدالعزيز قريش	اكمل رسالة	١٩٢	٧٨
عبدالغني احمد ناجي	رمضان شهر النور (قصيدة)	١٨٩	٩٦
عبدالغني الراجحي	الظواهر الكونية	١٨٥	٥٥
عبدالغني محمد عبدالله	المسجد النبوي الشريف (١)	١٨١	٧٢
عبدالغني محمد عبدالله	المسجد النبوي الشريف (٢)	١٨٢	٦٨
عبدالغني محمد عبدالله	زخرفة الأخشاب	١٨٥	٦٨
عبدالغني محمد عبدالله	الفنون الاسلامية واثرها	١٨٦	٦٨
عبدالفتاح شهاب	ونفخت فيه من روحي	١٩٠	٦٤
عبدالفتاح الفاوي	الاعجاز اللغوي للقرآن الكريم	١٨٨	٣٣
عبدالفتاح محمد سلامة	من سمات مجتمع التوحيد	١٨٧	٦٠
عبدالفتاح محمد سلامة	العقل والروح معا	١٨٩	٢٢
عبدالفتاح محمد سلامة	من سمات مجتمع التوحيد	١٩١	١٨
عبدالقادر حسن	ظاهرة الالحاد	١٨٩	١٠٩
عبدالكريم الخطيب	تجارة لن تبور	١٨٣	٢٦
عبدالكريم الخطيب	الاسلام والمسلمون	١٨٨	٢٤
عبدالكريم الخطيب	الحقيقة المحمدية	١٩١	٩٠
عبدالله عبدالقادر العلوي	رمضان شهر التصفية الروحية	١٨٩	١٠٠
عبدالمحسن صالح	شهر الصيام	١٨٩	٧٤
عبدالمقصود محمد حبيب	القرآن الكريم في المانيا	١٩٠	٤٩
عبدالمقصود محمد حبيب	الحج مؤتمر المسلمين الاكبر	١٩١	٤٤
عجيل النشمي	الاستحسان	١٨٣	٩٢
عزت الطهطاوي	رسالة النصرانية	١٨٧	٢٦
علي احمد السالوس	الصرف وبيع العملات	١٩٢	٨٤
علي جريشة	الام ندعو	١٨٨	٥٦

اسماء السادة كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

الاسم	الموضوع	العدد	صفحة
علي جريشة	لسنا بغاة	١٩١	٣٧
علي حسن الشكرجي	لست عقيما (قصة)	١٨٣	١٠٠
علي عبداللاه طنطاوي	المسؤولية الجنائية في الشريعة والقانون	١٨٨	٥٠
علي القاضي	دروس من الهجرة	١٨١	٢٧
علي القاضي	الاسلام والتربية مدى الحياة	١٩٠	٨٨
علي القاضي	حقوق الانسان	١٩١	٥٦
عمر الراكشي	من آيات الله في الماء	١٨٧	٧٤
عمر الراكشي	ما يجب ان يعرف المسلمون عن ماركس	١٩٢	٤٣
عوض الحسيني محمد قشطة	عجبت لا تنتهي (قصيدة)	١٨٢	١٠٨
غريب جمعة	نحو وعي صحي افضل	١٨٧	٣٨
فاروق عبدالعزيز سلام	متى يتحقق بناء مجتمع اسلامي	١٨٦	١٠٦
فايز ابو شيخة	لا قومية في الاسلام	١٩٠	١٠٨
فتحية محمد توفيق	المراة في الاسلام	١٨٤	١١٠
فؤاد محمد محمود	السيف والقلم	١٨٥	٩٢
فؤاد محمد محمود	من ثمرات الايمان بالله	١٨٧	٥٦
كاظم الجوادي	علي حزام في ذكراه السادسة	١٩٠	٥٤
مجدي عبد الفتاح سليمان	البنوك الاسلامية	١٩٢	٢٢
محفوظ امين غريب	من اجل هذا لعن اليهود	١٩٠	٤٠
محمد الاباصيري خليفة	كلمة الوعي	١٨٥	١٩٢
محمد الاباصيري خليفة	يوم الفرقان	١٨٩	١٧
محمد ابراهيم الخطيب	حكم الله في كتاب الله	١٨٨	٩٠
محمد احمد العزب	القرآن مدخل الى حياة العقل	١٨٤	٦٧
محمد احمد العزب	الفكر المسلم في مواجهة التحديات	١٨٨	١٠٦
محمد الحسيني عبدالعزيز	فن صناعة الزجاج	١٨٣	٦٨
محمد الحسيني عبدالعزيز	الخزف الاسلامي	١٨٤	٧٤
محمد الحسيني عبدالعزيز	فن تزيين القصص القرآني	١٩٢	٧٢
محمد الخضري عبدالحميد	في رحاب الخليفة الثاني	١٩١	٤٩
محمد الدسوقي	الأيام المعدودات والأيام المعلومات	١٩٢	٤٨
محمد رجاء حنفي	عبدالرحمن بن عوف	١٨٨	٨٠
محمد رجب البيومي	الاسبانيون يعترفون بحضارة الاسلام	١٨٨	٦٤
محمد رجب البيومي	الأمر بالمعروف	١٩٠	٦
محمد رضا آل صادق	اصداء من البعثة النبوية (قصيدة)	١٨٥	١٠٧
محمد رواس قلعه جي	التطور والثبات في الفقه (١)	١٨٣	٥٠
محمد رواس قلعه جي	التطور والثبات في الفقه (٢)	١٨٤	٣٥
محمد سعيد رمضان البوطي	السيرة النبوية	١٨١	٣٦
محمد طموم	الانسان الأول والتشريع السماوي (١)	١٨٥	٨٤
محمد طموم	الانسان الأول والتشريع السماوي (٢)	١٨٦	٨٦
محمد طموم	الانسان الأول والتشريع السماوي (٣)	١٨٧	٨٠

اسماء السادة كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

الاسم	الموضوع	العدد/صفحة	
محمد عبدالله السمان	الاقتصاد الاسلامي	١٩٠	٦٨
محمد عبدالمنعم خفاجي	استقبال القرن الخامس عشر	١٨٣	٣٢
محمد عزة دروزة	دراسات قرآنية	١٨٣	٦
محمد عزة دروزة	تفسير سورة الصف	١٨٤	٨
محمد عزة دروزة	تفسير سورة الصف ٢	١٨٥	٦
محمد عزة دروزة	تفسير سورة الصف ٣	١٨٦	٦
محمد عزة دروزة	زكاة العقارات والمصانع	١٩٠	١٠٣
محمد عطية الأبراشي	حقوق الفقراء في الاسلام	١٩٢	٩٣
محمد العفيفي	في ظلال التفسير النبوي للقرآن	١٨١	٦
محمد العفيفي	تفسير السنة للمتشابه في القرآن	١٨٢	٤٤
محمد العفيفي	حقيقة المواضع بين القرآن والسنة	١٨٣	٥٦
محمد العفيفي	في ظلال التفسير النبوي للقرآن	١٨٦	١٣
محمد العفيفي	من خصائص التفسير	١٩١	٧
محمد علم الدين	مشاكل الشباب	١٨٢	٦٢
محمد علم الدين	مؤتمر الشياطين	١٨٨	٩٧
محمد علي العبد	ابن تيمية والمغول	١٨٧	٩٦
محمد الغزالي	الانسان في القرآن الكريم	١٨٢	١٢
محمد الغزالي	القرآن والسنة معا	١٨٥	٣٨
محمد الغزالي	التقليد والاجتهاد	١٨٧	٢٠
محمد لبيب البوهي	الحياة الأخرى	١٨٢	٥٣
محمد لبيب البوهي	حتمية العودة الى الاسلام	١٨٦	٤٦
محمد لبيب البوهي	اعادة بناء الانسان	١٨٨	١٨
محمد لبيب البوهي	الأرواح في عالمها	١٩٢	١٦
محمد محمد أبو شهبة	مساهمة المسلمين في العلوم	١٨٢	٢٤
محمد محمد أبو شهبة	المساجد الثلاثة	١٨٧	١٤
محمد محمد حلاوة	مدرسة الأزواج (١)	١٨٣	٨٦
محمد محمد حلاوة	مدرسة الأزواج (٢)	١٨٤	٨٦
محمد محمد حلاوة	مدرسة الأزواج (٣)	١٨٥	٦٢
محمد محمد شرف الدين	زهور من بستان الايمان	١٨٤	٩٨
محمد محمد الشرقاوي	المحصرون في الحج والعمرة	١٩١	٧١
محمد محمود متولي	من فنون الدعوة	١٨١	١٢٤
محمد منسى السيد	ونبلوكم بالشر والخير فتنة	١٨٩	٩٢
محمد نايل	اللغة العربية والدعوة	١٨٤	٢٢
محمد نعيم عكاشة	الأزهر يضع دستورا اسلاميا	١٩٠	٣٠
محمود ابراهيم عامر	وضع المرأة في الاسلام	١٩٢	٣٢
محمود ابراهيم طيره	هذه الدنيا لمن (قصيدة)	١٨١	٥٦
محمود ابراهيم طيره	وفي كل شيء له آية	١٨٧	١٠٦
محمود ابراهيم طيرة	الاسلام منطلق الهدى	١٩٢	١٠٢

اسماء السادة كتاب مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

الاسم	الموضوع	العدد	صفحة
محمود السفاريني	ليلة القدر	١٨٩	٦٨
محمود عبدالغفار دياب	الأمومة (قصيدة)	١٨٨	٨٨
محمود الكولي	نهضة المجتمع الاسلامي	١٨٨	٤٤
محمود عبداللطيف فايد	مع الكتاب العظيم	١٨٩	٩٧
محمود محمد بكر هلال	من نفحات المولد (قصيدة)	١٨٣	٧٦
محمود محمد بكر هلال	ماذا يريد الانسان (قصيدة)	١٩١	٩٨
محمود ناظم نسيمي	توافق الاسلام والطب	١٨٦	٣٥
محمود ناظم نسيمي	موقف الاسلام من المعالجة الروحية	١٩٢	٥٦
معوض عوض ابراهيم	حتى نستعيد بيت المقدس	١٨٧	٩٢
وهبه الزحيلي	حق المساواة بين الناس	١٩١	٢٦
يوسف جاسم الحجي	في الاحتفال بالعام الهجري الجديد	١٨٢	٤
يوسف جاسم الحجي	في ذكرى المولد النبوي الشريف	١٨٤	٤
يوسف العظم	الشعر في عهد النبوة	١٨٣	١٨

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

الموضوع	الاسم	العدد	صفحة
ابن تيمية والمغول	الاستاذ/ محمد علي العبد	١٨٧	٩٦
احداث الهجرة النبوية	الشيخ / عبدالحميد بلبع	١٨١	١٨
الارواح في عالمها	الاستاذ/ محمد لبيب البوهي	١٩٢	١٦
الازهر يضع دستورا اسلاميا	الاستاذ/ محمد تقيم عكاشة	١٩٠	٣٠
الاسبانيون يعترفون بحضارة الاسلام	الدكتور/ محمد رجب البيومي	١٨٨	٦٤
الاستحسان	الدكتور / عجيل النشمي	١٨٣	٩٢
استقبال القرن الخامس عشر	الدكتور / محمد عبدالمنعم خفاجة	١٨٣	٣٢
استقبال القرن الخامس عشر	الاستاذ/ انور الجندي	٨٤	١٨١
الاسلام دين الجماعة	الاستاذ/ سعيد زايد	١٨٤	٩٣
الاسلام منطلق الهدى	الشيخ / محمود ابراهيم طيره	١٩٢	١٠٢
الاسلام والاسرة (١)	الدكتور / احمد شوقي الفنجري	١٨٦	٩٤
الاسلام والاسرة (٢)	الدكتور / احمد شوقي الفنجري	١٨٨	٦٨
الاسلام والتربية مدى الحياة	الاستاذ / علي القاضي	١٩٠	٨٨
الاسلام والمستقبلية	الاستاذ / علي القاضي	١٨٣	١٠٨
الاسلام والمسلمون	الاستاذ/ عبدالكريم الخطيب	١٨٨	٢٤
اسوة حسنة	الاستاذ / صلاح الدين محمد الكامل	١٨٢	١٠٨

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

موضوعات مجلة الوعي الاسلامي لعام ١٤٠٠ هـ

الموضوع	الاسم	العدد/ صفحة
مع الكتاب العظيم	الاستاذ / محمود عبداللطيف فايد	١٨٩ ٩٧
المكتبة الاسلامية	الاستاذ / عبدالعزيز عزت عبدالجليل	١٨٤ ٤٢
من اجل هذا لعن اليهود	الاستاذ / محفوظ امين غريب	١٩٠ ٤٠
من آيات الله في الماء	الاستاذ / عمر الراكشي	١٨٧ ٧٤
من ثمرات الايمان بالله	الدكتور / فؤاد محمد محمود	١٨٧ ٥٦
من خصائص التفسير	الاستاذ / محمد العفيفي	١٩١ ٧
من دلائل صدق الرسالة المحمدية	المستشار / حسن الحفناوي	١٨٣ ٤٥
من سمات مجتمع التوحيد	الدكتور / عبدالفتاح سلامة	١٨٧ ٦٠
من سمات مجتمع التوحيد	الدكتور / عبدالفتاح سلامة	١٩١ ١٨
من فنون الدعوة	الاستاذ / محمد محمود متولي	١٨١ ١٢٤
من نفحات المولد (قصيدة)	الدكتور / محمود محمد بكر هلال	١٨٣ ٧٦
المنهج التربوي الاسلامي	الاستاذ / احمد عبدالمحسن المنشاوي	١٨٥ ٤٤
من وحي النبوة	احمد عبدالواحد البسيوني	١٨١ و ١٨٢
مؤتمر الدعوة الاسلامية	التحرير	١٨٥ ٧٨
مؤتمر السيرة النبوية	التحرير	١٨٣ ٧٨
مؤتمر الشياطين	الاستاذ / محمد علم الدين	١٨٨ ٩٧
موقف الاسلام من المعالجة الروحية	الدكتور / محمود ناظم نسيبي	١٩٢ ٥٦
نحو علم نفس اسلامي	الدكتور حسن الشرقاوي	١٨٤ ٣٨
نحو وعي صحي افضل	الدكتور / غريب جمعة	١٨٧ ٣٨
النسخ بين القرآن والسنة	الاستاذ / حسن عبدالغني ابو غدة	١٨٢ ٩٢
نظرة عامة على الربا	الدكتور / رفيق المصري	١٩٠ ٨٠
نعيم بن مسعود	الاستاذ / احمد عادل كمال	١٨٤ ٥١
نموذج لمنهج النقد الديني العام	الدكتور / عبدالحليم عويس	١٩٢ ٢٨
نهضة المجتمع الاسلامي	الاستاذ / محمود الكولي	١٨٨ ٤٤
واذ يمكر بك الذين كفروا	الاستاذ / عبدالحميد المشهدي	١٨١ ١٠٨
الوحدة الوطنية والدين	الاستاذ / سالم البهنساوي	١٨٤ ٥٨
وضع المراة في الاسلام	الاستاذ / محمود ابراهيم عامر	١٩٢ ٣٢
ونبلوكم بالشر والخير فتنة	الدكتور / محمد منسي السيد	١٨٩ ٩٢
ونفخت فيه من روحي	الاستاذ / عبدالفتاح شهاب	١٩٠ ٦٤
وفي كل شيء له آية	الاستاذ / محمود ابراهيم طيره	١٨٧ ١٠٦
هذه الدنيا لمن (قصيدة)	الاستاذ / محمود ابراهيم طيرة	١٨١ ٥٦
يوم الفرقان	الشيخ / محمد الاباصير خليفة	١٨٩ ١٧

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ــ الشويخ ــ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا	:	طرابلس ــ الشركة العامة للتوزيع والنشر .
المغرب	:	الدار البيضاء ــ الشركة الشريفة للتوزيع .
تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب : (٤٧٧) الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) الطائف : مكة المكرمة : برحة نصيف / مكتبة جدة المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب:(١٠١١)
البحرين	:	دار الهلال .
قطر	:	دار الثقافة للتوزيع ــ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .
أبو ظبي	:	مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ــ ص.ب:(٣٢٩٩)
دبي	:	مكتبة دبي .
الكويت	:	شركة الخليج لتوزيع الصحف ــ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ذو الحجة	أكتوبر	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
			فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الجمعة	١	١٠	١١ ٤	١٢ ٢٣	٦ ١٢	٩ ٣٢	١ ١٧	٤ ٢٧	٥ ٤٦	١١٣٥	٢ ٥٥	٥ ٢٣	٦ ٤٠
السبت	٢	١١	٦	٢٥	١٣	٣٢	١٧	٢٨	٤٧	٣٥	٥٤	٢٢	٣٩
الاحد	٣	١٢	٧	٢٦	١٣	٣٢	١٧	٢٨	٤٧	٣٥	٥٣	٢١	٣٨
الاثنين	٤	١٣	٩	٢٨	١٤	٣٢	١٧	٢٩	٤٨	٣٤	٥٢	٢٠	٣٧
الثلاثاء	٥	١٤	١١	٣٠	١٥	٣٣	١٧	٣٠	٤٩	٣٤	٥٢	١٩	٣٦
الاربعاء	٦	١٥	١٢	٣١	١٦	٣٣	١٧	٣٠	٤٩	٣٤	٥١	١٨	٣٥
الخميس	٧	١٦	١٤	٣٣	١٧	٣٣	١٧	٣١	٥٠	٣٤	٥٠	١٧	٣٤
الجمعة	٨	١٧	١٥	٣٥	١٨	٣٣	١٧	٣١	٥١	٣٣	٤٩	١٦	٣٣
السبت	٩	١٨	١٧	٣٦	١٨	٣٤	١٧	٣٢	٥١	٣٣	٤٩	١٥	٣٢
الاحد	١٠	١٩	١٨	٣٨	١٩	٣٤	١٧	٣٣	٥٢	٣٣	٤٨	١٤	٣١
الاثنين	١١	٢٠	٢٠	٣٩	٢٠	٣٤	١٧	٣٣	٥٢	٣٣	٤٧	١٣	٣٠
الثلاثاء	١٢	٢١	٢٢	٤١	٢١	٩ ٣٤	١٧	٣٤	٥٣	٣٣	٤٦	١٢	٢٩
الأربعاء	١٣	٢٢	٢٣	٤٣	٢٢	٣٥	١٧	٣٤	٥٤	٣٣	٤٦	١١	٢٨
الخميس	١٤	٢٣	٢٥	٤٤	٢٢	٣٥	١٨	٣٥	٥٤	٣٢	٤٥	١٠	٢٨
الجمعة	١٥	٢٤	٢٦	٤٦	٢٣	٣٥	١٨	٣٥	٥٥	٣٢	٤٤	٩	٢٧
السبت	١٦	٢٥	٢٨	٤٨	٢٤	٣٦	١٨	٣٦	٥٦	٣٢	٤٤	٨	٢٦
الأحد	١٧	٢٦	٣٠	٥٠	٢٥	٣٦	١٨	٣٧	٥٧	٣٢	٤٣	٧	٢٥
الاثنين	١٨	٢٧	٣١	٥١	٢٦	٣٦	١٨	٣٧	٥٧	٣٢	٤٢	٦	٢٤
الثلاثاء	١٩	٢٨	٣٣	٥٢	٢٦	٣٧	١٨	٣٨	٥٨	٣٢	٤٢	٥	٢٣
الأربعاء	٢٠	٢٩	٣٤	٥٥	٢٧	٣٧	١٨	٣٩	٥٩	٣٢	٤١	٤	٢٢
الخميس	٢١	٣٠	٣٥	٥٦	٢٨	٣٧	١٨	٣٩	٥٩	٣٢	٤٠	٤	٢٢
الجمعة	٢٢	٣١	٣٧	٥٧	[illegible]	٣٧	١٨	٤٠	٦ ٠٠	٣٢	٤٠	٣	٢١
السبت	٢٣	نوفمبر	٣٨	٥٩	٣٠	٣٧	١٨	٤٠	١	٣٢	٣٩	٢	٢٠
الأحد	٢٤	٢	٤٠	١	٣١	٣٨	١٩	٤١	٢	٣٢	٣٩	١	٢٠
الاثنين	٢٥	٣	٤٢	٢	٣١	٣٨	١٩	٤٢	٢	٣٢	٣٨	٠٠	١٩
الثلاثاء	٢٦	٤	٤٣	[illegible]	[illegible]	٣٨	١٩	٤٢	٣	٣٢	٣٨	٠٠	١٨
الأربعاء	٢٧	٥	٤٤	٥	٣٣	٣٨	١٩	٤٣	٤	٣٢	٣٧	٥٩	١٨
الخميس	٢٨	٦	٤٦	٦	٣٣	٣٨	١٩	٤٤	٥	٣٢	٣٧	٥٨	١٧
الجمعة	٢٩	٧	٤٧	٧	٣٤	٣٨	١٩	٤٤	٦	٣٢	٣٦	٥٨	١٧

طباعة موسسة دار السياسة - الكويت -